

مقدمـــة

لعلى لا أتجاوز إذا قلت في التقديم لهذا الكتاب: « إن أيامي في الفترة التي جرت فيها وقائعه كانت أشق تجربة في حياتي ، كما أن أيامي في الفترة التي حاولت فيها استعادة هذه الوقائع لكتابتها على صفحاته ، كانت أصعب مهمة حاولتها في ممارستي لمهنتي ! »

□ وكانت تجربة الحياة مع الوقائع مكلفة . وأحسبها أضافت إلى عمرى سنوات لم أعشها ، وأشاعت في شعر رأسئ من البياض ما كان يمكنه أن ينتظر موعده الطبيعى في شتاء العمر ، وحين تجىء مواسم نزول الثلج على رؤوس الجبال ، ورؤوس البشر!

□ وكانت تجربة استعادة الوقائع معذبة . رغم أن هناك مدرسة ف الكتابة ترى أن إعادة رواية قصة ظهرت ـ كما يقال ! ـ خاتمتها ـ جهد يسير . فكل قصة معلقة بنهايتها ، وإذا كنا نكتبها بعد نزول الستار على حوادثها بما فيها مشهد الختام ـ إذن فإن الحكمـة بأثر رجعى ليست ادعاء في غير موضعه ، بمعنى أنه من السهل تكييف الحوادث بما يتوافق مع النتائج بغير عناء لا لزوم له ، وإلا كنا نعقد الأمور بأكثر مما تحتمله طبائعها ـ ولم يكن ذلك اتجاهى .

وقد أستأذن في تعليق بعض الحواشي على هامش التجربتين : تجربة الوقائع ، وتجربة استعادتها

□ إننى تحملت تجربة الحياة مع الوقائع بكل تكاليفها مؤمنا بأن الحياة لاتتجمد عند لحظة بعينها ، ثم إن عجلة التاريخ لا تكف عن الدوران ، كما تفعل عجلة ألعاب القمار ، تدور بسرعة ثم تتوقف أمام رقم يفوز بالغنيمة من راهن عليه ، بينما يخسر غيره لأن الحظ تخلى عنه ، ويمضى إلى لعبة قمار ثانية !

فالحياة لاتتجمد إلى الأبد عند لحظة ، وعجلة التاريخ لا تتوقف نهائيا أمام رقم .

وكان ذلك يقينى حتى في أشد اللحظات قساوة وقتامة ، واظن أنه اليقين الذي تمنحه قراءة التاريخ للذين يعرفون فضلها .

وربما كان ذلك ما دفعنى ـ دون تزيد في القول أو تفاخر ، إلى أعطى كل ما في طاقتى واكثر ـ إذا كان ذلك ممكنا ـ لـ « جمال عبد الناصر » ولـ « أنور السادات » بعده من أجل هدف أن تواصل حركة الحياة تقدمها ، وأن تواصل عجلة التاريخ دورانها ، وهو ماحدث فعلا في سنة ١٩٧٣ .

ولم اغير مكانى ، وهو الصحافة ، باستثناء فترة قصيرة جمعت . بينها وبين العمل وزيرا للإعلام ، ثم أضيفت إلى وزارة الخارجية لفترة أسبوعين فى غياب وزيرها الأصلى السيد « محمود رياض » ـ وفى أوقات تداخلت فيها عناصر القتال ، وعناصر الدبلوماسية سنة ١٩٧٠ .

لم اغير مكانى ـ الصحافة ـ ولاتغيرت مكانتى ـ الصديق ـ في هذه الفترة من الرجلين ، ولم اكن أريد غيرها ، أقل أو أكثر .

وربما كان اعتراضى على ماحدث في اثناء مفاوضات فض الاشتباك الأول بعد حرب اكتوبر مباشرة ، ثم خلافي الذى وصل بى في النهاية إلى السجن سنة ١٩٨١ ـ ﴿ وَ بِالضبط تقديرى لحجم العطاء الذى قدمته الأمة كلها في السنوات المشحونة بالقلق والأمل من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٧ ـ وخشيتى من أن الأمة قد لاتستطيع بسهولة أن تكرر معجزة عطائها ، فطبيعة المعجزة ـ وهي في الحقيقة طبيعة البطولة ـ إنها لحظة بذاتها من الحياة غير قابلة للتكرار بلمسة على لوحة أزرار!

وأتذكر أن الرئيس الفرنسى « فرانسوا ميتران » دعانى يوما إلى غداء كنا على مائدته وحدنا فى مطعم « ليب » ب « سان جيرمان » ، وناولنى نسخة من كتابه « السنبلة وحبة القمح » وهو يحوى طرفا من مذكراته وخواطره - وقد كتب عليها اهداءً رقيقا رحت أقرأ سطوره وهو ينتظرنى ، ثم قال لى :

- « سوف تجد اسمك مرات في هذا الكتاب ، فقد تعرضت فيه لأيام كنت فيها ضيفا عليك في القاهرة . سوف تجد أيضا اسم السادات . وسوف تجدني أتحدث عن الخلاف بينكما دون انحياز لأحدكما فيه . تذكر أنك أنت الذي قمت بتقديم كلانا إلى الآخر أول مرة ، ولا أخفى عليك أن الخلاف بينكما ما زال حتى بعد كل هذه السنين الطويلة يحيرني » .

وقلت له محاولا تجنب التفاصيل:

- « كان خلافنا في صميمه خلافا على تقييم العطاء الذي قدمته الامة من سنة ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ - كان تقديره أنه وقود يكفى للوصول حتى أكتوبر ١٩٧٣ - وكان تقديري أنه وقد وصل إلى أكتوبر ١٩٧٣ يستطيع أن يندفع إلى ما وراءه - وإلى ما بعده ، ويملك في متناول يده بقليل من الصبر والتصميم أكثر بكثير مما قنع به وسكت عنده . »

وقال « ميتران » وهو يهز رأسه ، ويمط شفتيه على عادة الفرنسيين :

- « لعله كان يريدها آخر الحروب في المنطقة ، ويحلم بتحقيق السيلام . . لقد سمعت منه بنفسي هذا الكلام ؟ »

وقلت

" وسمعته أنا أيضا ، ولكنك تعرف أكثر منى حقائق هذا العصر ، بل وكل العصور قبله وبعده ، وهي أنه عندما يريدها أحد

«أن تكون آخر الحروب » فمعنى ذلك أنه يعطى للآخرين فرصة أن يفرضوا عليه ما يريدون مطمئنين إلى أنه في النهاية قابل بما يعرضونه طالما أنه ليس مستعدا لما يترتب على عدم القبول وحين تتعهد أمة بأنها لن تحارب دفاعا عن مصالحها عند اللزوم ، فالترجمة العملية لذلك أنها عطلت إرادتها حتى من قبل أن تبدأ لحظة تعارض الإرادات .

ثم أنت أول من يعرف أن السلام موازين قوة ، وأنه ليس هناك ما يحافظ عليه غيرها .

والقول ب« نهاية الحروب » هو في شكل من الاشكال وقوع في محظور تجميد الحياة ، وتوقف عجلة التاريخ عن الدوران وانا لا أقول إن الحياة والتاريخ كليهما حروب ، وإنما أقول إنهما صراع . وفي مجرى أي صراع فإن القوة احتمال وارد ، ولا يستطيع طرف ، ولا يملك أن ينساه أو يتناساه »!

ثم آثرت أن أغير الموضوع وانتقل منه الى غيره! هذا عن تجربة الحياة مع الوقائع سنة ١٩٦٧.

□ وأما عن تجربة استعادة الوقائع وعذابها ، فإن السبب لم يكن اجترار المرارة ، وإنما كان السبب هو انتمائى إلى مدرسة في الكتابة ليست هي بالضبط تلك المدرسة التي تؤمن بأنه ما دامت نهاية القصة قد ظهرت أمامنا ـ إذن فإن كتابة تفاصيفها سهلة ، لأنها تقدر على تكييف سياقها مع الخاتمة التي نزل عليها الستار!

وهذا المنطق _ في ظنى _ مشوب « بشيء من الخلط » و « شيء من الخطأ » .

« شيء من الخلط » يتأتى من عدم التفرقة في مقاييس النقد بين « العمل الأدبى » و « العمل السياسي » . ف « العمل الأدبى » هناك

قصّاص او مخرج او رسام تمثل موضوعه والعصر الذى جرى لميه ، والمناخ الذى الحاط به ، واختار أبطاله وأجناسهم وأعمارهم ، وحتى تقاطيعهم وملامحهم ، وقرر لهم حركتهم ابتداء من مشاعرهم الدفينة إلى مصائرهم النهائية . وهكذا فإنه حين ينزل الستار على المشهد الأخير ف الفصل الأخير يستطيع الناقد أن يبدأ مهمته ، ويصدر حكمه .

في « العمل السياسي » يختلف الأمر لأن صانع القرار في أي صراع لايتمثل موضوعه ، ولايختار ابطاله ، ولا يقرر لهم حركتهم من المشاعر إلى المصائر .

■ امامه صراعات يخوضها ، وهي في الغالب من صنع عوامل تاريخية اكبر منه .

■ وهو لايملك اختيار أبطاله في الغالب بما في ذلك الواقفين على ناحيته من الصراع لأن طبائع حركة المجتمعات ، وسرعة دورانها ، واحتكاكها تدفع إلى الساحة بمن تدفع دون تصميم مسبق يخضع لخطوط مرسومة سلفا .

■ ثم إن المسافة الطويلة من المشاعر الى المصائر ليست من صنعه بما فيها جريان الحوار.

وليس معنى ذلك أن شخوص « العمل السياسى » كأبطال ماس إغريقية ، لا يملكون شيئا من مقاديرهم بل هم مجرد دمى على مسرح التاريخ يتقرر مصيرها دون دخل من إرادتها - فذلك آخرشىء اقول به ، بل لعلى واحد من المبالغين في الاعتقاد بتأثير دور الفرد على مسار التاريخ .

كل ما اريد قوله هو ان مقاييس نقد « العمل الأدبى » تختلف عن مقاييس نقد « العمل السياسي » .

ومن مقتضى هذا الخلاف ، فإن أدوات ومقاييس النقد لابد لها أن تختلف .

وفي الحقيقة فإن صانع القرار السياسي يستطيع ان يختار الحظة رفع الستار عن كلمته في حوار التاريخ ، ولابد له ان يختارها مدفوعا بمصالح حيوية ، ومسلحا بقوى حقيقية ، ومرتكزا على حسابات تستطيع أن تواجه لحظة رفع الستار وما بعدها ـ لكنه وراء ذلك يجد نفسه أمام مواقف وحقائق متغيرة بالافعال وردود الافعال تحكم وتتحكم في تشكيل صراع إرادات .

وهكذا فإنه في حين أن نقد « العمل الأدبى » يتعامل مع صورة مكتملة خفإن نقد « العمل السياسي » ـ بما في ذلك الحرب ـ يتعامل مع حركة متلاحقة ، حتى في ظلال السلام .

وبالطبع فإن الحركة المتلاحقة ليست فوضى بغير ضوابط يرجع إليها ويقاس عليها _ وإنما هناك بالقطع معايير .

وظنى أن أهم معايير الحركة السياسية هي :

حجم المصالح الدائمة - ودقة حسابات اللحظة وما وراءها - ثم كفاءة الإدارة القادرة على معالجة المتغيرات الناشئة عن حوار - أو صراع - الإرادات .

وربما تجاوزت وقلت إن الفكر العربي يملك تقاليد يمكن قبولها ف نقد « العمل الأدبى » ـ لكن تقاليده في نقد « العمل السياسي » لاتزال تبحث عن نفسها ، خصوصا وأن عهده بانتاج « عمل سياسي » مستقل مازال قريبا ، وبالتحديد لم تتوافر إمكانيته إلا بعد معركة السويس سنة ١٩٥٨ ـ وفي أعقابها امتلك العرب فكرا وفعلا إمكانية الحوار المستقل على مسرح العالم والعصر .

تلك كلمة سريعة عن هذا « الشيء من الخلط »!

وأما عن هذا « الشيء من الخطأ » فقد أكتفى بالقول بأن « العمل

السياسي » لايعرف من الأساس تلك اللحظة التي ينزل فيها الستار ، وتنطفىء بعدها الأنوار ـ مع المشهد الأخير في الفصل الأخير!

فإذا كانت الحياة غير قابلة لأن تتجمد عند لحظة ، وإذا كانت عجلة التاريخ غير قابلة للوقوف الى الأبد عند رقم _ إذن فإن خاتمة القصة ليست هي مانراه أمامنا . وحتى إذا رأينا الستارينزل فإنه يكون قد نزل على مشهد لا يلبث أن يرتفع بعده لتظهر وتتحرك ابتداءً منه ، واتصالا به مشاهد !

ومن هنا فلقد كان العذاب الحقيقى ف تجربة استعادة الوقائع ، هو محاولة البحث عن الحقيقة وراء المشاهد ، وربط المشاهد بعضها بالآخر والنفاذ بها الى المستقبل ـ حتى تتكامل الصورة .

وربما كان على هذا أن أعرض بعض ما قصدت إليه _ أو لم أقصد _ في هذا الكتاب:

۱ - لم أقصد أن أجعله نوعا من كتابة المذكرات ومع أننى عشت دخائل الوقائع التي يتعرض لها الكتاب، فإننى أخرجت نفسى بالكامل من دائرة روايتها.

٢ - أبعد الأشياء عن مقاصدى أن أجعل من هذا الكتاب محاولة له « كتابة التاريخ » ، والحقيقة أنه محاولة له « قراءته » ، وهذا معنى كررته كثيرا في وصف ما أكتبه ، ومازلت متمسكا به .

وليس من باب التواضع أن أقول إن « كتابة التاريخ » ليست صناعتى ولا أنا مدعيها ، وليس من باب التفاخر أن أقول إن « قراءة التاريخ » حقى لأنها حق كل مهتم بالشئون العامة !

ولعلى لا أتزيد إذا قلت إن «قراءة التاريخ» كانت أصعب

بالنسبة لى لأنى عشت وقائعه ، وكان على لكى أقرأه بأمانة أن أضع للاختبار كثيرا مما كنت أظن أننى أعلمه ، وأن أطرح للمراجعة كثيرا مما كنت أتوهم أننى أفهمه .

ولقد اتخذت ما كنت اتصوره لدى من علم ، أو فهم كمجرد دليل يقودنى إلى مواقع البحث والتفتيش حتى تكون قراءتى للتاريخ مستوفية ومتوازنة . ولقد وجدت في بعض الأحيان ما أريده حيث قدرت أن أجده ، وفي أحيان أخرى اكتشفت أن اتجاهى يحتاج إلى إعادة تصحيح وإعادة ضبط .

٣ - وعلى وجه التأكيد فقد قصدت إلى بذل كل جهد ممكن ، لكى أجعل قراءتى موثقة ، وكان اعتقادى بعد كل أنهار الحبر التى سالت على تلال الورق فى السنوات الأخيرة - أن الناس لم يعودوا مستعدين لتقبل ما يلقى إليهم مهما كانت مصادره .

ولقد قال بعضهم إنهم « كانوا هناك » _ عندما كانت الحوادث تصنع ، وفي بؤرة صناعتها _ وأحسب أنهم لم يكونوا هناك ! وقال بعضهم إنهم « كانوا هناك » _ لكنهم عندما رووا تحدثوا عن أنفسهم وما قالوه ، أو ما ظنوا أنهم قالوه ، أو ما تمنوا لو أنهم قالوه !

وربما أن بعضهم كانوا في بؤر الحوادث ، لكن مشاعرهم حكمت رؤاهم ، وهذا إنساني ! ومن ثم جنح الوصف ، وتاه الموصوف !

ومع ذلك ، فالنتيجة في أقل القليل محيرة ، فالروايات المتعارضة والمتضاربة ألغت بعضها بعضا ، وتولت إحداها نفى الأخرى ، كما أن وقائع التاريخ تحولت إلى معارك سياسية ، ثم إن دروسه أصبحت حالة من الضياع لا يستطيع أحد فيها أن يعثر على دليل!

وأزعم أنه كان في استطاعتي أن أقول « إنني كنت هناك » ورأيت بعيني وسمعت بأذني ، وشاركت في حوار الحوادث ، ثم يصدقني كثيرون يعرفون أنني « كنت بالفعل هناك » ، ولكنني عدت بعد ذلك فأشفقت على نفسي – وربما على الناس – فلقد أصبح الشك هو القاعدة والتصديق صعب المنال . ولقد كان من هنا أنني ذهبت في توثيق هذا الكتاب إلى حد يتجاوز المعروف والمألوف . والواقع أنني قصدت أن أتجنب ضمير المتكلم تماما . ولم ألجأ له إلا في ثلاثة مواقف ، أو أربعة كان مستحيلا أن يستقيم حديثها بغيره . آثرت – عامدا – أن تكون الوثائق هي ضمير المتكلم !

ولقد تكون المناسبة الآن ملائمة لكى أبدى ملاحظة على حجم ونوع التوثيق في هذا الكتاب . ولابد أن أقر بالعرفان فيه لـ « ظرف » ولـ « فضل » :

● أما « الظرف » فهو أننى كنت بالفعل هناك رائيا وسامعا وطرفا في الحوار ، وهذه حقيقة لا أخفيها ولا أعتذر عنها .

ولأنى كنت أتمنى أن أكتب « القصة » في يوم - من الأيام - قارئا للتاريخ - فلقد كان من هنا أننى لم أترك ما مر أمامى يضيع ، وإنما حاولت أن أسجله موثقا ، ولم يكن هذا سرا احتفظت به لنفسى ، بل إننى أشهرته حين وضعته ضمن « أسبابى » الرسمية لتقديم استقالتى من وزارة الإعلام غداة إعلان نتيجة الاستفتاء على انتخاب « أنور السادات » رئيسا للجمهورية . وفي رده على بقبول الاستقالة (ولعلها الاستقالة الوحيدة في تاريخ الوزارات المصرية الحديثة التى نشر نصها ، ونص الرد عليها كاملين على الملاً) - أشار الرئيس « السادات » بدوره إلى هذا « السبب » عارفا به ، ومؤكدا له .

ولا أتصور أن ذلك يحمل مظنة أى نوع من أنواع الاحتكار

للحقيقة ، فما اتيح لى كان متاحا لغيرى في مثل ظروفي ، وكان الفارق الوحيد أن الكتابة في يوم من الأيام كانت - بحكم المهنة - في خواطرى ، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لغيرى ، وإنما طرا فيما بعد لسبب أو لآخر .

وفى كل الأحوال ، فقد تعمدت الإشارة بوضوح إلى حيث توجد الوثائق متاحة ولا تزال للراغبين والطالبين .

هذا عن « الظرف »!

● وأما عن « الفضل » _ وهو حجم ونوع التوثيق _ فقد يلحظ قارىء هذا الكتاب أن التوثيق له من مصادر أجنبية ، لا يقل اتساعا وتنوعا عن التوثيق من مصادر عربية ، ولم تكن لى فيه ميزة أننى « كنت مناك » _ وكان الفضل فيه لعدد من الإخوة والأصدقاء لم يدخروا جهداً ، ولا وقتا لكى يتعقبوا موضوعات اهتمامى في مكانها من مجموعات أوراق رؤساء الدول ، وملفات وزارات الخارجية ، وحتى مجموعات أوراق رؤساء الدول ، وملفات وزارات الخارجية ، ولقد تقارير عديد من أجهزة المخابرات في أوروبا وأمريكا ، ولقد تحملوا في سبيل ذلك الكثير بما فيه مشاق اجراءات استعمال قانون حرية المعلومات في الولايات المتحدة ، وهو ليس طريقا مفتوحة للمرور بدون عوائق ، وإنما هو باب تقف عليه تعقيدات مقصود منها أن تصد وتعطل !

وإذا كنت اتحرج من ذكر أسماء هذا العدد من الإخوة والأصدقاء ، فمرجع ذلك أننى لا أريد أن أتسبب لأى منهم فى إحراج هو في غنى عنه .

وإذا قيل إننى انتفعت به « ظرفى » فهذا صحيح ، ومع ذلك فقد كان كثيرون غيرى فى نفس « الظرف » وانتفعوا به حين كتبوا ، وبينهم رؤساء للوزارات « السيد كمال حسن على » بل ورؤساء للجمهورية

(الرئيس « أنور السادات ») ـ هذا فضلا عن وزراء للخارجية ، وقواد للجيوش ، وسفراء .

وإذا قيل إننى انتفعت بـ « فضل » إخوة وأصدقاء تحمسوا لما أعمل ـ فهذا أيضا صحيح ، ولقد نسبته إلى أصحابه عارفا بجميلهم ومقدرا .

ولست أعتذر لا عن « الظرف » ولا عن « الفضل » ، فليس في أحدهما ما يبرر الاعتذار إذا كان الهدف هو طلب الحقيقة ، وأن تكون كل حقيقة بوثيقة ، حتى أستطيع أن أتقدم إلى طلب التصديق مرتاحا ومطمئنا بعد عذاب طويل في البحث والتدقيق .

ومع ذلك فلعلى لا أتجاوز إذا قلت إن الوثائق لم تجعل مهمة هذا الكتاب أكثر سهولة ، وإنما بالعكس جعلتها أكثر صعوبة ، فالالتزام بالوثائق قيد من حديد ، ثم أن حجمها وتنوع مصادرها اقتضى جهدا يكفينى فى الإشارة إليه أن أقول إننى اضطررت لقراءة وتحليل ومقارنة أكثر من ستة آلاف وثيقة لم أستعمل منها مباشرة غير أقلها ، وفضلا عن ذلك ، فقد كان على أن أختار بحيث تتصل وحدة الحديث والحوادث من خلال الوثائق قبل أى عنصر آخر!

انتقل إلى قضية أخرى أظن أن هناك ضرورة لطرحها ، وهي شرح مقصدى من هذا الكتاب ، وموقعه بالضبط على خريطة عملى . وأعتقد أنه لابد أن أبدأ من البداية :

□ أولا – إن لى رأيا ورؤية مؤداهما أن هناك مرحلة بأكملها هى المرحلة من سنة ١٩٥٥ – نستطيع أن نسميها حرب الثلاثين سنة . وهذه العقود الثلاثة هى الفترة الزمنية التى شهدت صعود ثم تراجع الحركة الثورية العربية ، وقد بدأت سنة

۱۹۰۰ بظهور مقاومة عربية شاملة قادتها القاهرة ضد مخططات الغرب في السيطرة على المنطقة تحت اسم حلف بغداد ، ثم تحت اسماء ومسميات أخرى تواردت بعده . ثم انتهت هذه الحقب الثورية الثلاث عندما استباح الغرب لنفسه حق النزول لاحتلال عاصمة عربية هي بيروت ، وبدعوى إنقاذها من احتلال إسرائيلي وصل بالفعل إلى قلبها ، وكانت تلك هي نهاية حرب الثلاثين سنة ! (ولعلها تثبت أنها كانت في نفس الوقت بداية حرب جديدة من نوع جديد) .

□ ثانیا – إن هذه الفترة – حرب الثلاثین سنة – شهدت ثلاث ذری عالیة لحرکة التاریخ فی المنطقة تمثلت فی ثلاث معارك رئیسیة هی معرکة السویس (۱۹۵۷) – ومعرکة سیناء (۱۹۷۷) – ومعرکة العبور (۱۹۷۳) – کلها معارك فی حرب واحدة ، والمعارك المسلحة دائما – عندنا وعند غیرنا من الشعوب – هی ذری الصراع عند اقصی درجات سخونته .

وهكذا فلقد بدأت سلسلة عن حرب الثلاثين سنة ، كان أولها كتاب « ملفات السويس » ـ عن المعركة الأولى (وقد صدر سنة ١٩٨٦) ف الذكرى الثلاثين لها .

والآن على صفحات هذا الكتاب أجدنى أمام المعركة الثانية ، وهى معركة سيناء سنة ١٩٦٧ ، وأصلى فى خشوع داعيا وراجيا أن أتمكن من كتابة المعركة الثالثة فى هذه الحرب ، وهى معركة العبور (١٩٧٣) .

□ ثالثا - إن المعركة التى أتعرض لوقائعها في هذا الكتاب، وهي معركة سيناء (١٩٦٧) هي أكثر المعارك الثلاث غموضا، واشدها تعقيدا، والغريب أنها المعركة التي تعرض لها القائلون باكثر مما تعرضوا لأى معركة غيرها، والحاصل أنهم حولوها من ميدان في حرب متصلة إلى ساحة من ساحات التأثير النفسي والسياسي المقصود لذاته بصرف النظر عما جرى وكان. والنتيجة

أن الناس أصبحوا في حيرة من أمر هداه المعركة ، وأشدهم حيرة أجيال الشباب .

وربما من هنا أننى وجدت نفسى مطالبا بدرجة معينة من التفصيل في الرواية والتوثيق تصورته وحده قادرا على الكشف والجلاء ، وكان ذلك ما اضطرنى إلى أن أقسم هذا الكتاب عن معركة ١٩٦٧ إلى جزءين . أولهما وهو الذى أقدم له الآن يمد الجسور إلى ساحة المعركة تحت عنوان « سنوات الغليان » ، والآخر يصل بها إلى الأيام الستة المشهودة من يونيو سنة ١٩٦٧ ويكون عنوانه _ إن شاء الله _ هو : الانفجار » !

ولقد دفعنى إلى ذلك حقيقة أن معارك الحروب لا تندلع فجأة من وسط السكون ، ولا تطل برأسها من فجوة مجهولة أو مظلمة ، وإنما هى من قديم ظاهرة لمحها المشرعون العظام للإمبراطورية الرومانية ، وصاغوها قانونا أو شيه قانون Historia Non Facit Sabbatum _ أى أن التاريخ لا ينقطع فعله !

وليس مد الجسور إلى ذرى الحوادث بدعة فى محاولة تقصى الحقائق وجلائها وكشفها ، وعلى سبيل المثال ، فليس فى استطاعة أحد أن يكتب عن معارك الحرب العالمية الأولى دون أن يتعرض لظهور ألمانيا الموحدة على يد « بسمارك » ، وهزيمة فرنسا أمامها فى حرب السبعين من القرن الماضى ، ثم ما يتبع ذلك من دخول ألمانيا إلى سوق المطالبة بالمستعمرات (مؤتمر برلين ١٨٧٨) – ودون أن يتعرض لظهور الدور الأمريكى فى السياسة العالمية على يد « تيودور روزفلت » – ودون أن يتحدث عن ظهور اليابان بعد انتصارها على روسيا فى بحار الشرق يتحدث عن ظهور اليابان بعد انتصارها على روسيا فى بحار الشرق الأقصى سنة ١٩٠٥ – فضلا عن الجسور المباشرة إلى هذه الحرب ، وبينها انهيار الإمبراطورية العثمانية الذى اشتهر باسم « المسألة

الشرقية » ، بل وحتى اغتيال الأرشيدوق « فرديناند » ولى عهد النمسا وقرينته ف مدينة سيراييفو اليوجوسلافية ! .

وبنفس المنطق، فليس في استطاعة أحد أن يكتب عن معارك الحرب العالمية الثانية دون أن يتعرض لقيام الثورة البلشفية في روسيا، واستيلاء الفاشية على إيطاليا، وسيطرة النازية على ألمانيا، ووقوع اليابان تحت حكم العسكريين، ودخول الولايات المتحدة لإرث إمبراطوريات الغرب التقليدية، وهي بريطانيا وفرنسا (فضلا عن الجسور المباشرة إلى هذه الحرب، مثل قيام «هتلر» بضم النمسا، واجتماع ميونيخ بين «هتلر» و «موسوليني» و «تشمبرلين» و «دالادييه»، واحتلال ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا، ومطالبتها بأجزاء من بولندا، وتوقيع معاهدة عدم الاعتداء بين «ستالين» و «هتلر»).

وفى مثال قريب منا وشهير ، فإن أحدا لم يستطع أن يكتب معركة السويس (كل من كتبوا) إلا وكان الطريق إليها بادئا على الأقل من قيام ثورة ٢٣ يوليو - إلى أزمة الأحلاف العسكرية - إلى أزمة كسر احتكار السلاح - إلى أزمة سحب العرض الغربي بالمساهمة في بناء السد العالى - إلى أزمة تأميم قناة السويس - إلى ما تلا ذلك من اجتماعات لندن حتى اجتماعات سيفر.

وهكذا كل معركة في التاريخ . لكن بعضهم يؤثر رواية معركة سنة ١٩٦٧ باعتبارها وقائع تلك الأيام الستة من شهر يونيو سنة ١٩٦٧ ، وبعضهم يبدؤها من يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ مع ظهور الحشود الإسرائيلية أمام سوريا ـ أما قبل هذا اليوم أو ذاك فلم يكن هناك شيء ، وفجأة جاءت القارعة !

وليس هذا صحيحا ، ولا يمكن أن يكون ، فإن الجسور إلى المعارك جزء لايتجزا منها ، كما أن الطرق إلى وقائع التاريخ الكبرى قطعة من نسيجها !

وبغير ذلك تصبح صراعات الأمم وحروبها اساطير وحكايات ، ويتنازل التاريخ عن أن يكون حركة تدافع قوى إنسانية هائلة ـ لكى يتحول إلى شبه مغامرات فردية : رصاص يرد على رصاص ، ومدافع تصرخ أمام مدافع ، ودبابات تتناطح مع بعضها في الصحارى أو في الوديان

□ رابعا ـ وربما أن ما زين لى أسلوب التفصيل الدقيق هو اعتقاد يتملكنى بأن حروبنا لم تنته بعد رغم مقولة «نهاية الحروب». لقد انتهت حرب الثلاثين سنة بذراها الشهيرة التى احتدمت فيها معارك السلاح سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٧ ـ لكن الصراع مازال يدور، وسواء أراد بعضنا، أو أبوا، فالمنطقة الأن في حرب جديدة من نوع جديد.

فهناك معارك حقيقية تجرى في الخليج وحول شواطئه ، وفي لبنان وعلى أطرافه – وهي معارك زادت في كلفتها المادية والبشرية عن كلفة حرب الثلاثين سنة من أولها إلى أخرها ثلاثين مرة ، ولو أخذنا معيار الضحايا الإنسانية فقط لوجدنا أن ضحايا حرب الثلاثين سنة كانوا حوالى ثلاثة وثلاثين ألف ضحية في كل المعارك الثلاث ، وعلى جانبي القتال (١٢٠٠ ضحية على الجانبين في معركة السويس ١٩٥٦ - ١٥٦٠ ضحية في معركة سيناء سنة ١٩٦٧ من الجانبين – ١٦٣٠ ضحية في معركة العبور سنة ١٩٧٧ من الجانبين) (١) – بينما وصل ضحايا حرب الخليج حتى الآن إلى الجانبين) صحية من الجانبين !

هناك أيضا معارك حقيقية في جنوب لبنان (ضحاياها قرابة

(١) لم اضف إلى الحساب ضحايا حرب الاستنزاف (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠) وقد وصلوا على الجانبين إلى ٤٦٠٠ _

غير قرابة ستة آلاف من العمال المصريين اعطوا حياتهم في عملية بناء قواعد حائط الصواريخ الشهير ، الذي

كذلك لم اضف بالطبع خسائر حرب اليمن ، وكان عددهم اقل قليلا من خمسة آلاف ضحية .

(٢) الأرقام هنا معتمدة على تقارير الصليب الأحمر الدولى في جنيف . والغريب ان حجم الخسائر المادية في هذه المحروب يتناسب بشكل لافت للنظر مع حجم الخسائر البشرية - وذلك من واقع ما تقول به ادق التقارير الدولية بما فيها ما هو صدر عن الأمم المتحدة . هناك ايضا ظاهرة اخرى لافتة للنظر ، وهي أنه في توزيع نسب الخسائر مين الطرفين ، فإن حساب الخسائر البشرية باستمرار هو ٢ إلى ١ على حساب العرب ، والعكس تماما في التكاليف المادية فهي ٢ إلى ١ على حساب إسرائيل ، أي اننا ندفع تكاليف معاركنا بثلثين من البشر وثلث من المال . وإسرائيل العكس ثلثين من المبشر وثلث من البشر !

خمسة وعشرين الفا في الجنوب وحده ، ولا يدخل في الحساب من سقطوا في بيروت أو غيرها من مدن لبنان وهم أكثر من ١١٥ الف ضحية) - أى أن كلفة هذه الحرب تزيد بدورها - قرابة خمس مرات - عن كل كلفة حرب الثلاثين سنة التى هى موضوعى الأن !(٢)

هناك أيضا معارك حقيقية في الضفة الغربية وغزة ، وهي معارك لم يسبق لها مثيل ، ففيها تتجرأ الحجارة على شن الحرب ضد دولة نووية !

□ خامسا ـ وإذا كنت أذهب إلى أن حرب الثلاثين سنة التى اكتب عنها قد انتهت ، وأن صراع المصائر الذى نخوضه مازال مستمرا ـ إذن فإننى لا أكتب عن الماضى ، وإنما أكتب عن الحاضر الذى مازال حيا ، ومازال ممتدا إلى المستقبل ، وهنا لا تصبح التفاصيل تزيدا ، وإنما تتحول بدورها إلى دراسة تقصد إلى استطلاع الغد وتتحرق شوقا لإطلالة عليه .

وقد أتجاوز مرة أخرى ، وأقول إن خط الصراع المستمر هو الخط الذى اركز عليه ، وهناك فيما يتصل بالتعرض للصراعات الكبرى رايان :

• راى يركز على الثوابت التى تنشأ بسببها صراعات التاريخ الكبرى .

● ورأى يركز على المتغيرات التي تجيء بها العوارض الظاهرة لهذه الصراعات .

كان القاعدة الحقيقية لانطلاق قوات العبور.

والتركيز على الثوابت يقترب من حركة وقوانين الصراع ، وأما التركيز على المتغيرات ، فهو يجرى وراء « الحواديت » والحكايات .

وأشهد أننى منحاز إلى الرأى الأول. منحاز ضد الرأى ثانى.

وبالتالى فلقد أقول مبكرا إن روايتى للوقائع كلها محاولة لتعقب مجرى الصراع الرئيسى بين الأمة العربية ، وبين الذين تربصوا بها طوال الحقب الثلاث التى استغرقتها حرب الثلاثين سنة . وأتمنى ألا أكون متشائما إذا قلت إن الصراع مازال جاريا ، وإن تغيرت ميادينه وتبدلت مواقعه ، واختلفت أطرافه .

□ سادسا ـ وما دمت قد أشرت إلى التشاؤم ، فلعلى قصدت ف تعقبى لخطر الصراع في المنطقة على صفحات هذا الكتاب أن أنبه بعض المتفائلين الذين يتصورون أن العصر النووى قد أنهى إلى الأبد « إمكانية » استخدام القوة في الصراعات .

ولقد كنت أتمنى لو كان هذا التفاؤل ف محله وفي موضعه ، ولكنه مع الأسف تفاؤل الحالمين ، ولا أريد أن ينزلق قلمى أو لسانى فأقول إنه قعود القاعدين يريدون أن يتلمسوا في تقدم العلم مايبرر لهم تجنب المشاق .

وعلى فرض أن السلاح النووى أنهى إمكانية الحرب ، فلعلنا لاننسى أن هذه النهاية لاتتحقق إلا بالتعادل النووى ، وإلا فإن احتكار طرف لهذا السلاح وحرمان طرف آخر منه ، يعنى أنها سوف تكون حربا بالابتزاز ، وهذا أكثر أنواع الحروب مهانة وانكسارا

وفى كل الأحوال ، فليس يحق لنا أن نغفل لحظة عن حقيقة أن الصراعات بين الأمم قائمة ودائمة ، وسوف تظل قائمة ودائمة حتى تتغير الدنيا وسكانها ، فتصبح أرضها هي الجنة وناسها هم الملائكة ، لكنه حتى يحدث ذلك فإن صراعات المصالح والأمن تؤدى لا محالة إلى الحروب . والعلم يؤدى الى اختلاف وسائل الحروب وأساليبها . والعصر

النووى قد يقنع بعض الأطراف بوضع حدود لاستعمالات القوة ، ومع ذلك فمن قال إن النار وحدها هي سلاح القوة ؟!

هناك قضية حساسة أخرى أرى ملائما أن أتعرض لها قبل أن الحرغ من هذه المقدمة ، لهذا الكتاب الأول عن سنة ١٩٦٧ - «سنوات الغليان » .

واتمنى في شأن هذه القضية أن أسوق الملاحظات التالية:

١ - إن معركة سنة ١٩٦٧ لها سمة خاصة تفترق بها عن
معركة السويس (١٩٥٦) التى سبقتها، وعن معركة العبور
(١٩٧٣) التى لحقتها.

وفي حين أن ماسبقها وما لحقها من معارك كانت له تضحياته، وكانت له جوائزه التي حافظنا عليها، أو تركناها تضيع ـ فإن معركة سنة ١٩٦٧ كانت تضحيات كلها بغير جوائز. ثم إن التضحيات كانت مأساوية ظاهرا وباطنا

وبالتالى ، فإن كل طرف يحاول إزاءها أن يتهرب من مسؤوليته في الماساة ، ويلقى اللوم فيها على غيره ، ويجد له في ذلك مشايعين وسط كتائب الفتنة الكبرى المستبدة الآن بالعالم العربى .

ولعل ما اريد قوله في هذه النقطة هو أننى لست متشيعا لطرف ، فأنا لا اريد أن أغطى على أحد أو أتستر على فعل ومن الحق أن أقول إن « جمال عبد الناصر » نفسه تحمل مسؤوليته عن ماساة سنة ١٩٦٧ وتحملها كلها لم يوزعها يمينا أو يسارا _ شرقا أو غربا على كل الأطراف مستثنيا نفسه .

وإذا كان ذلك ما فعله « جمال عبد الناصر » فليس لأحد بعد ذلك

حق أن يتزيد ، وإنما يكون على الذين يهمهم درس المأساة وعبرتها أن يتبينوا ، وأن يتقصوا دخائل الحوادث ودخائل النفوس ، فهذا وحده يجعل للمأساة فائدة حين يرتفع بها من أن تكون مأتما للبكاء على الأطلال ، ليجعلها منجما مليئا بالذخائر ، وكنوز المعرفة والتجربة معا .

٢ - ومع ذلك فإن أى قارىء سوف يلحظ أن اسم « جمال عبد الناصر » شخصيا سوف يتردد على صفحات هذا الكتاب بأكثر مما كنت أقدر أو أريد ، ولقد كنت أتمنى أن لا يكون الأمر كذلك ، ولكن المشكلة أن الوثائق التى يعتمد عليها الكتاب من ملفات الغرب وخزائنه تركز كلها على اسم « جمال عبد الناصر » والحقيقة أنها تستعمله اختصارا لحركة ورمزا لتوجه ، ولم يكن أمامى اختيار بديل ا

٣ - إننى أتوقع مبكرا أن بعض ما أقوله في هذا الكتاب ، أو بمعنى أدق ما تقول به الوثائق في هذا الكتاب ، سوف يثير أطرافا داخل مصر وخارجها ، ولا حيلة لى في ذلك .

إن محاولة « استعادة الوقائع » هى في ناحية منها محاولة « لاستعادة الذاكرة » - وهذا بالفعل بعض ما قصدت إليه - خصوصا إزاء أجيال الشباب - ومطلبى فيه هو الحرص على المستقبل ، ذلك أن رجلا يفقد ذاكرته في منتصف رحلة « لايمكن أن يكون قادرا على تكملتها . وذلك حال الأمم !

وربما قلت إن العصر كله هو عصر الذاكرة الواعية . عصر المعلومات وحفظها وترتيبها واستدعائها لتكون حية في المستقبل ، وفاعلة فيه بالإدراك الإرادى .

وقد ننبه أنفسنا إلى أننا بعد سنوات قليلة لا ندخل قرنا جديدا من الزمن فقط _ وإنما ندخل ألفا جديدة هي الألف الثالثة من التقويم المتعارف عليه بين عموم البشر ا

ولعل تمسكى الزائد بحديث الوثائق يرجع بالتحديد إلى أننى لا أريد أن يظن ظان أننى أعطيت نفسى حقوقا لا أملكها ، وهي تسمح لى بفرض الضرائب على البعض ، وتوزيع الأرباح على البعض الآخر .

والحقيقة أننا لسنا جميعا - أقصد أمتنا العربية - في وضع من تستحق عليه من تستحق له أرباح ، وإنما نحن جميعا في وضع من تستحق عليه ضرائب بصرف النظر عما إذا كان مسؤولا عنها مباشرة ، أو أنه يتحملها بدون مسؤولية مباشرة تستوجبها عليه .

وإذا نظرت إلى أحوالنا العامة ، وكما هي الآن ، فلعلى لا اتجاوز إذا قلت إن كلنا مسؤول وكلنا مذنب . ليس فينا أبرياء ، وليس بيننا قديسون ، ومع ذلك فهذه طبائع البشر طالما أن هذا الجنس من طينة الأرض ، وهم في قلبها لم يهجروها بعد إلى كوكب أخر كالمريخ أو القمر!

٤ - وربما أضفت أننى لا أقصد إلى إيقاظ أشباح الماضى النائمة. فالأشباح هائمة وليست نائمة ولعلى أتجاسر في طلب الإنصاف لكل الأطراف بالقول بأننا أمة مازالت تعيش مرحلة التناحر إلى قرب الحرب الأهلية: بين المدن والقبائل، وبين الوديان والصحارى، وبين الأغنياء والفقراء، وبين العقائد والمذاهب والفرق - وليس في هذا مايحق لنا أن نداريه أو نخجل منه، فهو طبائع حركة تاريخية متعددة المواريث والرؤى، مشتتة الولاءات والنزعات، وأحسب أن لكل منها جميعا منطقا تتحرك منه، وهو في حسابها مشروع وشرعى!

ولقد خاضت كل الأمم قبلنا هذه المحنة ، وحتى إلى درجة الحرب الأهلية ، بينما هي في طريقها لتحقيق وحدتها القومية .

بريطانيا عاشت سلسلة من الحروب الأهلية ، والولايات المتحدة عاشت أشهر حرب أهلية في التاريخ ، والثورة الفرنسية العظيمة

خاضت غمار الحرب الأهلية في طريقها إلى تأكيد مبدأ الحرية والإخاء والمساواة.

ولقد سرنا فى نفس الطريق ، وكان حتما أن نسير ، ومازلنا عليه سائرون ، فتحولات التاريخ الكبرى لا تحسمها عشر سنوات ، أو عشرون سنة ، أو ثلاثون .

وربما نتذكر أننا فى بعض اللحظات رفعنا السيوف على بعضنا ، ثم أعدناها إلى أغمادها تحت ضغط ظرف أو آخر داخل أوطاننا أو خارجها _ لكن التناقضات لم تحل ، وربما جازفت مرة أخرى وقلت إن هذه التناقضات أكبر من أن تحلها السيوف ، وإنما التطور التاريخي وحده هو الكفيل بها !

٥ - وبدون أن أحمل مقولة • أن التاريخ يكرر نفسه » فوق ما تحتمله - فإن المرحلة الراهنة التى نعيش فيها الآن تذكرنى بعصر الفتنة الكبرى في صدر الإسلام بفارق واحد ، وهو أنها فتنة لايجاورها حلم أموى عظيم يتجاوز مأسيها الحزينة والدامية ، بانطلاقة إمبراطورية واسعة تصل من شواطىء أسيا المطلة على بحر الصين ، إلى شواطى الاطلنطى المطلة على أسبانيا ، وتعوض محنة المذاهب المتناحرة بعظمة الدولة القادرة .

وهكذا فإن الفتنة يقظى ، وأما الحلم ففى سبات عميق . ولعلى أقول بأمانة : إن هدفى من كل ما أعرض له فى هذا الكتاب ليس صب الزيت على حريق الفتنة ، وإنما إضافة الزيت ، ولو حتى قطرة واحدة منه ، إلى شعلة الضوء حتى نرى كخطوة أولى أين نقف ، ولماذا نحن هنا ، وكيف السبيل إلى الخروج ؟!

هناك أيضا مسألة اجتهادات أرى من واجبى أن أضعها تجنبا لأى التباس:

السويس ١٩٥٦ - وقصة معركة سيناء ١٩٦٧ وهى الموضوع السويس ١٩٦١ - وقصة معركة سيناء ١٩٦٧ وهى الموضوع الأساسي لهذا الكتاب . ولم يكن ممكنا تجنب مثل هذا التداخل ، لأن خواتيم قصة سنة ١٩٦٧ هى نفسها مقدمات قصة سنة ١٩٦٧ ، وإذا كان تقديرى صحيحا « بأن حياة الشجرة في جذرها المدفون في باطن الأرض لاتراه العيون ، في حين أن الفروع والأوراق مجرد ظواهر مؤقتة ، عمرها ساعات أو بالكثير أيام » - إذن فالعودة إلى الجذور لم يكن منها بد ولا مفر . ولم تكن معركة سنة ١٩٥٧ - بالنسبة إلى معركة سنة ١٩٦٧ - علاقة شجرة بجذرها فقط ، وإنما كانت علاقة جنين برحم !

Y - إننى من أنصار قاعدة في الكتب ترى أن كل كتاب يجب أن يكون وحدة مستقلة تقرأ بذاتها منفصلة عما يسبقها ، وعما يلحقها ، مهما كان من اتصال وتسلسل السياق . ويخطر ببالى أنه يكون نوعا من الخيلاء إذا تصور أى كاتب أن كل قارىء كتاب جديد له يتحتم عليه أن يكون قد قرأ كتابه السابق ، وهكذا يسمح لنفسه أن يبدأ من حيث انتهى بالضبط دون أن يمهد ببناء جسر بين الاثنين يصل أحدهما بالآخر ويكون عذره في ذلك محاذير التكرار .

ومع اعتراف بأن محاذير التكرار واردة ، فقد حاولت تلاف آثارها قدر ما استطعت ، وكان سبيلى إلى ذلك البحث عن وقائع جديدة ووثائق مختلفة تعبر عن حقائق كانت موجودة في الصراع سابقا ، وظلت موجودة فيه لاحقا .

٣ - إننى اعود إلى الإلحاح على واقع اننى اقصر اهتمامى الكلامجموعة حرب الثلاثين سنة على الصراع على الشرق الاوسط ولهيه . امهد بذلك لكى اقول بعده إننى لا اتعرض الآن للاوضاع الداخلية لأى بلد بما في ذلك مصر - إلا في اقل الحدود ، بمعنى اننى اتعرض للأوضاع الداخلية في حالة واحدة ، وهي أن يكون لهذه

الأوضاع دور مباشر ، أو غير مباشر على مجرى الصراع الرئيسي في المنطقة _ فيها وعليها .

ولعلى أطلت في هذه المقدمة ، وكانت نيتى أن لا أطيل . ولكنى وجدت حقا على أن أقدم وأوضح .

ومع ذلك بقيت حقوق لابد من أدائها لأصحابها وهم كثر، وبدونهم لم يكن ممكنا أن أتشرف بتقديم هذا الكتاب إلى الذين يشرفنى أن يقرأوه.

هناك بعيدا عن مصر، في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا ، هؤلاء الذين كرسوا شهورا طويلة من علمهم واهتمامهم وصلاتهم لكى يحصلوا على ما طلبت من وثائق أجنبية .

وإذا كنت أوجه لهم الشكر دون أن أسميهم أمام الناس ، فعزائى أنهم يعرفون أنفسهم كما أعرف من ناحيتى دورهم .

يجىء بعد ذلك واجب الشكر لعدد من الأصدقاء في مكتبى .

هناك الأستاذة مايسة الجمل التى أعطتنى جهدها بغير حدود ، وبكفاءة منقطعة النظير ، وإخلاص أعتز به كمساعدة بحث رئيسية في إعداد مواد هذا الكتاب ـ رغم ظروف شخصية صعبة صادفتها في الفترة الحرجة من صياغته .

وهناك الأستاذة جيهان عطية التي قضت شهورا ممتدة تتابع معى مسار هذا الكتاب بابا بعد باب ، وفصلا يلى فصلا أخر ، وقامت بذلك بحماسة وعلم وفهم .

وهناك أيضا زميلى وصديقى ورفيقى القديم الوفى الأستاذ منير عساف الذى تولى إدخال مواد الكتاب إلى العقل الاليكترونى ، ثم تولى إخراجها في شكلها النهائى بجلد وكفاءة .

وأخيرا وليس آخرا ، فإن دينى كبير لقسم المعلومات في الأهرام ، ولرئيسه الأستاذ أبو السعود إبراهيم ، وقد كانوا دائما حاضرين وسباقين .

لدى بعد ذلك اعتراف بالجميل أتقدم به لصاحبه ، وهو الأستاذ جميل مطر خبير العلاقات الدولية المشهود له ، وقد تفضل بقراءة مخطوطة الكتاب كاملة مقتطعا بذلك كثيرا من وقت ثمين ، ومبديا ملاحظات قيمة .

ولقد أضاف « الأهرام » إلى أفضاله على فضلا متجددا .

فرئيس مجلس إدارته ورئيس تحريره الأستاذ ابراهيم نافع هو الذي سبق إلى طلب هذا الكتاب وحقوق توزيعه في العالم العربي من قبل أن أخط حرفا واحدا فيه .

كذلك فإن « مركز الأهرام للترجمة والنشر » هو الذى تولى ترجمة كل الوثائق الأجنبية التى تظهر فى الكتاب ، وقد حرصت ـ مرة ثانية _ على أن يقوم بها مترجموه ضمانا لحياد الترجمة ، والتزامها الموضوعى ، وبعدها عن مظنة أى هوى يتحيز فى ترجمة الألفاظ إلى ما يناسبه ويروق له !

ولئن كان هذا المركز هو القائم بنشر هذا الكتاب وطبعه ، فلابد أن الشهد أن كل الذين شاركوا في هذا العمل تصرفوا باعتبارهم أصحاب الكتاب من أول حرف إلى آخر حرف ، وتلك مدعاة للإعتزاز ، ولعلى أخص بالذكر السيدة نوال المحلاوى مديرة مركز الأهرأم للترجمة والنشر ، والأستاذ كمال السيد نائب مدير المركز ، والسيدة عفاف عبد العزيز ، وكثيرين غيرهم لا أعرف كيف أفيهم حقهم .

كذلك أذكر بالخير الصديق الأستاذ ماهر الدهبى الذى أشرف على إخراج هذا الكتاب ، وأضاف إليه لمسات فن وخبرة من حسن الحظ أنها مازالت باقية في صحافة مصر.

بقى العرفان للسيد الحقيقى والوحيد لأى كاتب ، وأعنى به قارئه ، وأمام عطفه ورعايته يعجز كل قلم ، وينعقد أى لسان .

محمد حسنين هيكل

أهم بله في الدنيا

«كل حرب في التاريخ بقية معلقة من حرب سبقتها! »

[معاهدة فرساى للسلام التى انتهت بها الحرب العالمية الأولى كانت هى بذاتها خميرة وبذرة الحرب العالمية الثانية !

والنتائج التى انتهت إليها معركة السويس سنة ١٩٥٦ كانت هى بذاتها مقدمات الإعداد للعركة سيناء سنة ١٩٦٧ !]

الفصل الأول جسرعلى السويس



كان « نابليون بونابرت » هو صاحب المقولة الشهيرة « إن مصر هي اهم بلد في الدنيا » .

ولقد صك «نابليون بونابرت» هذه العبارة، وفى خواطره ذلك الصراع الإمبراطورى المتأجج دائما والدامى أحيانا ـ بين بريطانيا وفرنسا اللتين خلت لهما الساحة الاستعمارية بعد أن جرى حصر أو تحجيم قوى سبقت إلى البحار والقارات المعيدة، ترفع عليها أعلامها، مقدمة لإخضاع شعوبها ونزح ثرواتها.

لقد جرى حصر وتحجيم إمبراطوريات اسبانيا وهولندا والبرتغال ، واقتصرت ساحة الصراع ، بالتالى ، على بريطانيا وفرنسا وحدهما ، وفي تلك اللحظة بدا مؤكدا أن مصر بالتحديد أصبحت بؤرة الصراع بين الإمبراطوريتين ، فهى الدرة المالية في تاج الخلافة العثمانية التي تكالبت عليها كل العوامل المؤدية حتما إلى سقوط الدول واولها غفلة السلاطين عن أداء حقوق الرعية ، وما ينجم عن ذلك المقابل ، وبالضرورة من سقوط عهود الولاء .

ووقع الشعب المصرى فريسة لجماعات من الجند والماليك والمشايخ ، تجمعهم مرعة الاستغلال وتفرقهم قسمة غنائمه _ في الوقت الذي كان فيه السباق الإمبراطوري بحوم حول مصر من كل الاتجاهات ، والخطر يتربص بها في البحار القريبة ينتظر اللمظة الملائمة لكي ينقض :

- كانت الإمبراطورية البريطانية تزحف من الهند إلى شطآن الخليج العربى قاصدة عدن ، وهي المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وهدفها النهائي اجتياز هذا البحر إلى الشمال حيث نقطة اقترابه من البحر الأبيض عند برزخ السويس .
- وكانت الإمبراطورية الفرنسية التى قدرت أن يتحول البحر الأبيض ليصبح بؤرة للصراع حاسمة مع عدوها العتيد قد نقلت اهتمامها بسرعة إليه الفراحت تضغط على شواطىء شمال أفريقيا العربية الإسلامية ، وراحت تمد بصرها من المغرب إلى المشرق وتفكر وتخطط . ثم قرر « نابليون بونابرت » أن أقصر الطرق أسرعها ، فإذا هو يعبر البحر من طولون إلى مالطا ، ومن مالطا إلى « أبو قير » إلى الإسكندرية والقاهرة مباشرة !

وف إطار هذه الخريطة للصراع - كانت مصر بالفعل هي « أهم بلد في الدنيا » .

وربما لم يكن « نابليون بونابرت » يتصور حتى في اكثر احلامه جموحا - ان بلاده - بعد قرن ونصف القرن وبضع سنوات - سوف تتحالف مع عدوها القديم (بريطانيا) في مغامرة مشتركة لغزو مصر سنة ١٩٥٦ ، وأن مصر في إطار صراع عالمي من نوع آخر وفي زمان مختلف - سوف تؤكد من جديد أنها « أهم بلد في الدنيا » وأن شعبها الذي رآه بنفسه منهكا من استغلال الجند والمماليك والمشايخ - سوف يقف وحده في ميدان قتال امام غزو الإمبراطوريتين



وفيما بين معركة « أبو قير » البحرية قبل أن يبدأ القرن التاسع عشر ، وحتى معركة السويس بعد أن انتصف القرن العشرين ـ تغيرت خريطة القوة في العالم ، وتبدلت الموازين ، واختلفت قوانين الحركة .

تدافعت أمواج عالية وعاتية في البحار والمحيطات طوال مسافة الزمن بين بداية فجر القرن التاسع عشر، وإلى ما بعد ظهر القرن العشرين:

. . الحلف المقدس للملوك الذي هندس له « مترنيخ » مستشار النمسا و « كاسلرو » وزير خارجية بريطانيا ، سنة ١٨١٥ ، لكي يمسك بموازين أوروبا بعد هزيمة « نابليون » .

... ثم إعلان المانيفستو الشيوعي سنة ١٨٤٨ بتوقيع «ماركس » و « انجيلز » .

... ثم قيام الوحدة الألمانية بتخطيط «بسمارك» ـ وتحقيق الوحدة الإيطالية بتاج «عمانوئيل الأول».

. . . ثم وصول القوة البريطانية إلى مداها في عصر « فيكتوريا » .

ه . ثم انكسار فرنسا في حرب السبعين _ غفلة من « نابليون الثالث » .

... ثم خروج المانيا الموحدة ، وإيطاليا الموحدة كلتيهما إلى دور استعمارى راح يلح _ وبتهديد القوة إذا لزم _ على إعادة طرح التقسيم القائم للمستعمرات على نحو يكفل العدالة بين الغاصبين!

وحين أهلّ القرن العشرون كان تدافع المتغيرات في العالم قد ازداد لمعليدا . لله ظهرت مع بداياته إشارات وعلامات تومىء إلى أن هذا القرن قد معسبح قرن الراسمالية الأمريكية .

واختلط القديم والجديد ، وامتزج خطر الأفكار الزاحفة مع خطر المدافع الرابضة ، وتصادمت الحقائق البازغة مع الأمر الواقع الذي بدأ يضطرب أمام مهابة عصر من الاكتشافات العلمية والجغرافية غيرت كل الأفاق والتضاريس الاجتماعية والاقتصادية ، ولم تعد الخرائط المعتمدة من قبل قادرة على تحمل الضغوط النازلة طبها ، وبدا أنها تتمزق ، ووقعت الحرب العالمية الأولى ، وانتهت بالسلام القلق والمتوتر الذي صاغته معاهدة « فرساى » !

وكانت دولة الخلافة الإسلامية في استانبول قد ذابت وتلاشت . في نفس الوقت الذي تحولت فيه الشيوعية من مانيفستو وقعه « ماركس » و « انجيلز » إلى دولة في روسيا اقامها « لينين » و « ستالين » .

وادى سلام « فرساى » المتوتر والقلق إلى ظهور فاشستية » موسولينى » ف إيطاليا ، ونازية « هتلر » ف المانيا ، وعسكرية « توجو » في اليابان ، وتهيأ المسرح لمرب عالمية ثانية عام ١٩٣٩ .

وحين انتهت هذه الحرب العالمية الثانية ، كانت مواقع القوة قد انتقلت من مكامنها السابقة إلى موقعين جديدين : واشنطن ، وموسكو .

وكانت تلك واحدة من اهم واخطر عمليات الانتقال لمراكز القوة في التاريخ ، ذلك أن عملية الانتقال الجديدة لم تكن في إطار دول أو امبراطوريات وإنما أصبحت الدول والإمبراطوريات عقائد اجتماعية في نفس الوقت - وفوق ذلك فإن أدوات القوة المتاحة للمركزين العالميين الجديدين فتحت أبواب عصر يختلف عن كل ما سبق أن عرفته البشرية طوال تاريخها من قبل ، وهو العصر النووى بكل محاذيره ومحظوراته!

كانت الأسلحة النووية تحديا فعليا لفكرة الحرب من أساسها، فلقد توصل الإنسان إلى استخدام قوى الطبيعة نفسها في تدمير الحياة ذاتها، ومن ثم فهناك لأول مرة سيف لايمكن إخراجه من غمده سواء للتلويح باستخدامه، او بالاندفاع إلى استخدامه فعلا ـ لكن هذه الحقيقة لم تكن ظاهرة بما فيه الكفاية أمام الساسة الذين يملكون قرار الحرب والسلام بقدر ما كانت ظاهرة أمام العلماء الذين يعرفون أسرار هذه الحقيقة ووقائعها.

كان العلماء الألمان هم الأسبق إلى محاولة استكشاف إمكانية تفجير الذرة ، وتنبه « هتلر » إلى هذه الإمكانية ، ولعلها كانت سلاحه السرى المرجو لتحقيق النصر ضد الحلفاء الذين تصدوا لمطامعه ، وأولهم الولايات المتحدة الأمريكية (الراسمالية) والاتحاد السوفيتي (الشيوعي) .

وسارع عالم ألمانى مهاجر إلى أمريكا وهو « البرت اينشتين » إلى تنبيه الرئيس الأمريكى « فرانكلين روزفلت » لاحتمالات هذا السلاح الجديد ، وبدوره سارع الرئيس الأمريكي إلى تكليف عالم من أصل ألماني أيضا وهو « أوبنهايمر » بأن يشرف على مشروع لإنتاج قنبلة ذرية تسبق قنبلة « هتلر » .

وحين تم إنتاج القنبلة الذرية الأمريكية كانت إيطاليا قد خرجت من الحرب مستسلمة ، وكانت المانيا النازية قد انهارت قبل أن تتمكن من إتمام صنع قنبلتها ، ثم إن اليابان كانت على حافة الياس بعد انهيار المانيا إلى درجة أرغمتها على التقدم بعروض مؤداها قبول الهزيمة ، والتوقف عن القتال .

وبدا كما لو أن السلاح الذرى الجديد لن تتاح له فرصة التجربة الحية _ ومع ذلك فإن الرئيس الأمريكي الذي دخل البيت الأبيض بعد وفاة « روزفلت » _ وهو « هارى ترومان » _ أصدر أوامره بإلقاء قنبلة ذرية على « هيروشيما » يوم ح اغسطس ١٩٤٥ اعقبتها _ بعد ثلاثة أيام _ قنبلة ذرية ثانية على « نجازاكي » !

وتشير الوثائق السرية للحرب العالمية الثانية إلى أن القنابل الذرية التى انقضت على اليابان لم تكن موجهة إليها، وإنما كانت موجهة إلى الاتحاد السوفيتي قبل اليابان!

إن هذه الوثائق تشير إلى حقيقة ان الولايات المتحدة الأمريكية (الراسمالية) بدات تدرك وهي بعد في خضم الحرب ضد « هتلر » ان صراعها العالمي القادم بعد هزيمة المانيا - سوف يكون مع الاتحاد السوفيتي (الشيوعي) فكلاهما - إمبراطورية وعقيدة - سوف يصطدم بالآخر عما قريب لسباق على اقدار عالم ما بعد الحرب ، والصدارة فيه - وربما السيطرة .

والواقع أنه لم تمض أيام قليلة بعد انتجار « هتلر » واستسلام ألمانيا بلا قيد ولا شرط - حتى كانت طوكيو تبعث رسلها إلى سويسرا يلتقون سرا ب » آلان دالاس » الذي كان يدير من جنيف ما سمى وقتها ب « مكتب الخدمات الخاصة » والذي تحول فيما بعد إلى إدارة المخابرات المركزية الأمريكية - وقد سلم هؤلاء الرسل ، ومن بينهم الوسيط الدولى الكونت « برنادوت » إلى » آلان دالاس » - طلب البابان بقبول الهزيمة ، وطلب الاستسلام .

وكان الرئيس الأمريكي « هاري ترومان » في حالة تشاور مستمر مع مساعديه ، وانقسمت الآراء بينهم:

□ فريق يرى بقبول استسلام اليابان دبلوماسيا دون استعمال السلاح النووى، وهذه خاتمة مشرفة للحرب. . . وإنسانية !

□ وفريق ثان يطالب بإلقاء القنبلة الذرية ليس فقط كخاتمة عنيفة للحرب اللا إنسانية التى انتهت ـ وإنما كافتتاحية تحذير في الحرب الجديدة التى يحتمل أن تقع مع الخصم الإمبراطورى العقائدى المنافس!

رأيهم أنها أولا فرصة عملية مازالت متاحة لتجربة السلاح الجديد .

ثم أنها ثانيا فرصة متاحة لإعلان التوصل إلى سلاح نهائى تتحقق لأصحابه هيمنة على مصائر الدنيا لايملك أن يتحداها أحد .

ثم هى ثالثا رسالة إلى الاتحاد السوفيتى بأن يلزم حدودا معينة لايتجاوزها ف السباق العالمي المنتظر.

وتلقت اليابان اول حصة في درس الدمار الشامل ، ولم تكن هي المقصودة . • وإنما شاء حظها أن تلعب فيه دور رأس الذئب الطائر لكي يتعظ غيرها !

لكن صراعات التاريخ الكبرى ليست لها دائما نهايات حكيمة ، أو تتوهم أنها حكيمة ، وذلك ما وقعت فيه الولايات المتحدة فإذا هى تخلط بين الأمر الواقع الراهن ، وبين إمكانية استمراره التاريخى _ وهكذا فإن الذي كان مقصودا بالدرس الأول في عصر القوة النووية لم يتعظ ، وإنما سارع ليحصل لنفسه على قنبلة ذرية هو الآخر _ وتمكن من الحصول عليها واللحاق بالخصم .

ولم يكن هذا التعادل كافيا فضلا عن أن حقائق القوة النووية لم تكن بعد قد افصحت عن كل أسرارها ، وهكذا كان لابد من اختبارات قوة بين المتنافسين الجدد .

ف إطار هذه الاختبارات جرت سلسلة من المواجهات بين الإمبراطوريتين الجديدتين .

مواجهة أولى في البلقان بالتحديد في الحرب الأهلية في اليونان بين الملكية والشيوعية.

ثم مواجهة ثانية على تخوم الشرق الأوسط في الحرب الأهلية في إيران بين الجمهورية الشيوعية التي أقامها « جعفر بيشفارى » في أذربيجان تحت سطوة الحراب الروسية ، وبين شاه إيران • محمد رضا بهلوى » الذي احتمى بالحراب الأمريكية .

ثم مواجهة ثالثة في الشرق الأقصى دارت على أرض كوريا بين الشيوعيين، وبين التابعين للولايات المتحدة في الجنوب

ولم تصل هذه المواجهات الثلاث(۱) إلى نتائج حاسمة ، ربما لأنها جرت على خطوط التماس المباشر بين القوتين الأعظم في العالم الجديد بعد الحرب العالمية الثانية _ وخطوط التماس بطبيعتها حساسة وقابلة للانفجار ، وبالفعل فإن آخرها وهو حرب كوريا كاد يلامس حدود الخطر حين ارتبك القائد الأمريكي في كوريا وهو الجنرال « دوجلاس ماك آرثر » بحجم تدخل الجيش الصيني في الحرب بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ، وتدفق جحافله عبر نهر « يالو » لتقلب موازين هذه الحرب . وفي لحظة عصبية اقترح « ماك آرثر » استعمال القنبلة الذرية لوقف التدفق الصيني « وبادر الرئيس الأمريكي « هاري ترومان » إلى عزل القائد الشبهير ، وهو يقول لمن حوله : « إنه ليس أحمق فقط ، ولكنه مجنون أيضا » ا

ومع ذلك ، فقد كانت طبائع الصراع وحركته تقتضى البحث عن ميدان آخر

لاختبار القوى ولمارسة السباق _ وكان مثل هذا الميدان قد طرح نفسه فعلا بعد انتهاء معارك الحرب _ وكان هذا الميدان هو حركة التحرر الوطنى - وثورة شعوب المستعمرات على الاستعمار القديم .

كانت حركة التحرر الوطنى قد تحولت إلى تيار عارم يكتسح المنطقة الواقعة على المسافة الطويلة الممتدة من « جاكارتا » في « إندونيسيا » إلى « الدار البيضاء » في المغرب العربي .

وعلى طول هذا الخط المعتد من شواطيء المحيط الهادى _ اقصى شرق اسيا _ إلى شواطىء الأطلنطى _ اقصى غرب افريقيا _ كانت منطقة الشرق الاوسط هى أكثر المواقع جيوية وسخونة ، وأهمية بحكم ظروفها الحضارية والتاريخية _ وزاد من خطورة ذلك كله أن هذه المنطقة كانت في نفس الوقت مركز كل عقد المواصلات البرية والبحرية والجوية _ ثم تضاعفت اليها الجائزة الحضارية التاريخية الجغرافية _ من حقيقة أن هذه المنطقة كانت في نفس المحظة موطن ثروة هائلة من النفط ، فقد تأكد أنها تحتوى في باطنها على أكثر من ستين في المائة من الاحتياطيات المؤكدة لأهم مصدر من مصادر الطاقة

وإذن فهناك كنز يستحق الصراع عليه _ يؤكد أحد الأطراف (الولايات المتحدة وحلفاؤها من الاستعماريين القدامي) سيطرتهم عليه _ او تنتقل السيطرة إلى الطرف الآخر فيحصل على الكنز لنفسه _ فإذا لم يستطع ، فعلى الاقل يحرم خصمه من الحصول عليه .

وكان العالم العربي هو عماد الشرق الأوسط، وكانت مصر بالتحديد هي القلب في وسطه بأحكام الجغرافيا والتاريخ، وراح النسر الأمريكي يحوم حول الحقها من البحر والجو، وراح الدب الروسي يمد البصر إليها عبر السهول والصحاري.

ومرة أخرى بدا أن مصر في الخمسينات من القرن العشرين تعود لكي تؤكد وضعها كـ « أهم بلد في الدنيا » حسب تعبير « نابليون » ـ الشهير ا

⁽ ۱) كان لى الحظ أن أحضر هذه المواجهات الثلاث بنفسى ومباشرة كمراسل صحفى : في اليونان سنه ١٩٤٧ ـ وفي إيران سنة ١٩٥٠ ـ وفي كوريا سنة ١٩٥٠ .



ما بين السباق الإمبراطورى الأول بين بريطانيا وفرنسا عند مداخل القرن الناسع عشر في اتجاه برزخ السويس ، وما بين سباق القوتين العالميتين الأعظم مع منتصف القرن العشرين ، واتجاه هذا السباق إلى صراع محتوم على أرض الشرق الأوسط وف قلبه مصر _ لم يكن « أهم بلد في الدنيا » مجرد ساحة مفتوحة لسباق الإمبراطوريات وصراع القوى ، وإنما بدا أن هذا . البلد ، يختلج ويتنبه ويهم محركة تجعل منه دورا وليس مجرد اداة . ففي خضم السباق الإمبراطوري الأول ، وفي أوج تفاعلاته _ قام « محمد على » بمحاولة جادة لبناء دولة عصرية ل مصر ، لكن حجم الصراع الإمبراطوري كان اقوى من المحاولة ، فإذا بشراسة الإمبراطورية تفترس محاولة الدولة العصرية في مصر، واستسلم . محمد على . المعاهدة سنة ١٨٤٠ ، وتنازل عن الحلم القومي الكبير في مقابل ولاية له ولاسرته داخل حدود مصر تضمنت شروطها ضمن ما تضمنته مطلب فتح أبواب مصر على مصراعيها للتجارةالدولية ، وكانت تلك مقدمة لها ما بعدها وقد تكفل به خلفاء « محمد على » ، حتى جاء « توفيق » فإذا هو لا يفتح الباب للسيطرة الاقتصادية والمالية فحسب ، وإنما يفتحه أيضا للاحتلال العسكري البريطاني ماوده الجنرال « ولسلى » ، وكان الشعب المصرى لايزال اصلب عودا من امرائه ، وتولى بنفسه مهمة مقاومة الإمبراطورية ، ودخل ضدها موقعة بعد موقعة ، وقاسى وتحمل بدون أن ييأس ويستسلم . تفلت منه فرصة فإذا هو مصنع لنفسه فرصة بعدها ، وتضيع منه موقعة فإذا هو ينضغط ليستجمع أواه لموقعة أخرى قادمة.

إن الأسباب التى تجعل من ثورة سنة ١٩٥٧ موقعة من نوع مختلف وفريد في التجربة المصرية لم تكن ترجع إلى شخصية رجل تاريخي شاءت له الطروف ان يتحمل مسؤولية تجسيدها، وإنما كانت ترجع بالدرجة الأولى إلى هجم ما استجمعه الشعب المصرى من قواه، وما اختزنه في فترة اختمارها.

ولقد بدأت فترة الاختمار هذه في الحقيقة بعد أن قبلت قيادات ثورة سنة ١٩١٩ أن توقع معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ولم تكن تلك المعاهدة ـ بما فيها أبدية التجالف



الأمير فيصل يرحب بعبد الرحمن عرّام ، السياسى المصرى البارز الذى عمل أمينا عاما للجامعة العربية ، ثم عينه الملك سعود مستشارا خاصا له ، وأوقده ممثلا شخصيا له إلى واشنطن لمالجة قضية العقبة .

العسكرى مع بريطانيا ـ فى مستوى توقعات الشعب المصرى ، أو حتى تضحياته ، ومن ثم فقد كان واضحا أن القبول بالمعاهدة فى واقع أمره عملية انضغاط لاستجماع القوة والعودة إلى الميدان من جديد .

وفي هذا الظرف اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، وطالت فترة الانضغاط ، لكن هذه الفترة لم تكن مجرد حساب سنوات لأن عمق التجربة الوطنية جعل حسابها بالعرض ، وليس بالطول وحده . كانت سنوات الحرب فترة من التاريخ غنية وزاخرة عاشتها مصر مسرحا أماميا من مسارح ذلك الصدام الإنساني الهائل الذي تطاحنت فيه أفكار ومذاهب ومصالح وجيوش ، ونشأت من ذلك كله طاقات أخذ منها الشعب المصرى نصيبا هائلا من الإدراك والعمق والتصميم .

إن هذه الحرب العالمية ، وبحكم حقائق كبرى بينها استراتيجية الحرب نفسها _ ربطت مصر بالعالم ربطا نهائيا ، فإذا هي تصبح جزءا عضويا منه .

كذلك حدث شيء آخر ، وهو أن ظروف هذه الحرب وآثارها أبرزت واقع انتماء مصر العربي وأكدته ، وهكذا فإن إعلان وتوقيع ميثاق إنشاء الجامعة العربية تم قبل أن تنتهي الحرب العالمية ، ثم إن هذا الانتماء العربي ترسخ أكثر وأكثر حين أضيفت إلى روابط التاريخ والجغرافيا واللغة والثقافة _ تجربة عمل عربي مشترك بالنار والدم في فلسطين بصرف النظر عن النتائج العسكرية ، أو السياسية لهذا العمل المشترك .

يضاف إلى ذلك أن ملابسات جو الحرب العالمية - وسوقها السوداء - زادت من تعميق التناقضات الاجتماعية في مصر ، وانتهت والحقيقة الاجتماعية في مصر تقول إن نصفا في المائة من سكانها يحصلون على خمسين في المائة من دخلها القومي .

ومن أثر تلك الاعتبارات مجتمعة أن « الحالة الثورية » التى أحاطت بمصر بعد الحرب العالمية كانت تحتوى على شحنة من المخزونات هائلة امتزج فيها العالم وصراعاته السياسية والفكرية _ والإحساس بالانتماء إلى كيان أوسع من حدود الدولة _ والوعى بحقائق اقتصادية واجتماعية لها تفاعلاتها _ إلى جانب اليقين المستقر بالحاجة إلى موقعة أخرى تكسر قيود معاهدة سنة ١٩٣٦ وتستكمل مطالب التحرر الوطنى .

س سال کی کار مالیسالی آمالاحا

إن حساب قوة هذه المخزونات التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية ـ قبل اى دور فردى ـ هو الذى يفسر شدة الاندفاع المصرى الذى انفجر بثورة

۱۹۰۲ ، والواقع انه في مدى يقاس بالشهور بعد وقوع الثورة كانت مصر تشهد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية كبرى مضت تلاحق بعضها بسرعة تكاد تخطف الأبصار.

وكانت الأمة العربية كلها تراقب ما يجرى على ضفاف النيل مندهشة في بداية الأمر، ثم ماخوذة به ومعجبة ولاحت ظاهرة كانت لها فيما بعد تداعيات هائلة بدا أن الفكرة العربية كانت في المنطقة روحا هائمة تبحث عن جسد وللما جرى ما جرى في مصر بدا وكان الروح العربية الباحثة عن جسد وجدت في مصر أملها المنشود . ثم تجلى نوع من التوحد بالمعنى العاطفى والنفسى بين مصر وأمتها العربية . كأن هذا التوحد يفتقر إلى القواعد الأساسية للوحدة مصر وأمتها العربية وعسكرية ـ لكن أحدا لم يلتفت إلى القواعد ، فقد كان ما يبدو للعيون كافيا في تلك الحالة من الفوران التي اجتاحت أرض الأمة كلها .

وتسارع إيقاع الحوادث.

في الوقت الذي كان فيه الاسد البريطاني يتراجع تحت ضغط الثورة المصرية ـ إذا بالنسر الأمريكي الذي كان يحوم حول آفاق المنطقة قد نزل على مصر ، وحش يحاول أن يخطف الفريسة من وحش آخر ، إمبراطورية جديدة نظمع في إرث إمبراطورية قديمة ، واستغلت مصر هذا التناقض بين الجديد والقديم في محاولتها لخلع مواقع السيطرة التي جثمت على صدرها سبعين سنة !

■ لم تكن مصر غافلة عن المطلب الأمريكي الذي ما لبث أن راح يلح عليها ف مطلتين :

□ الانخراط في معسكره الدولى المعادى للاتحاد السوفيتى ، تحت اسم الدفاع عن الشرق الأوسط ، وكان الادعاء الأمريكى أن الخروج البريطانى من المنطقة سوف يخلق فيها فراغا ينفذ منه ، أو ينجذب إليه الاتحاد السوفيتى ، وعندما وجدت الولايات المتحدة أن فكرة الفراغ فى الشرق الأوسط ليست مقنعة بما فيه الكفاية لشعوب كافحت طويلا من أجل استقلالها غيرت الاسم ولم تغير المسمى ، المسمى المطلوب حلفا عسكريا خاضعا للولايات المتحدة ، لكن اسمه يمكن أن يصبح الحلف الإسلامي » تحت ادعاء أن الدين الإسلامي يعادى الشيوعية ، ولم تيأس الولايات المتحدة الأمريكية حين ووجهت بمنطق أن الدين الإسلامي هو بالدرجة الأولى دعوة إلى الحرية ترفض التبعية مهما كان الطاغوت المستكبر !

□ اما النقطة الثانية في المطلب الأمريكي فقد كانت عقد صلح مع إسرائيل

تبدأ به مصر، ثم تقدمه إلى بقية الأمة بالغواية ، أو بالضغط بدعوى أن الشرق الأوسط يجب أن يكون في سلام مع نفسه قبل أن يتفرغ لاحتمالات الحرب ضد الاتحاد السوفيتي ، ولم تكن الثورة المصرية على استعداد لقبول هذا المنطق عن اقتناع بأن العدل هو المقدمة الطبيعية للسلام في الشرق الأوسط ، وأن الصلح مع الخطر القابع في قلب أرض الأمة ، والذي استولى بالفعل على جزء منها في فلسطين ، والذي يتواصل تهديده باستمرار لبقية أرضها _ هو ضرب من المستحيلات ، فالخطر الماثل أولى بالمواجهة من الخطر البعيد . أي أن الشر الواقع ، له الأسبقية في المواجهة على الشر المحتمل ، وكل شيء غير ذلك خلط للأولويات وتبديد للجهود يستحيل قبوله .

وراحت إسرائيل تبذل جهودها لإنجاح مخطط السيطرة الجديد الذي وجدته متوافقا مع تصورات أمنها .

ولجأت إسرائيل إلى أكثر من سبيل:

□ كانت هناك محاولاتها للاتصال بالقيادة الثورية الجديدة تعرض صلحا معها ـ ووجدت الباب موصدا .

□ ثم كانت هناك محاولاتها لعرقلة الجلاء البريطاني عن مصر قبل التوصل إلى صلح ـ وتمكنت مصر من إحباط هذه المحاولة .

□ واخيرا جاء الدور على الابتزاز باستخدام القوة المسلحة ، وتكررت الغارات الإسرائيلية على خطوط الهدنة سواء في غزة ، أو على الحدود المصرية ، واطلقت مصر قوات من الفدائيين شقوا طريقهم إلى العمق الإسرائيلي ، وردوا على الرصاص بالرصاص .

وهرعت إسرائيل إلى الإمبراطوريتين القديمتين بريطانيا وفرنسا تطلب منهما السلاح الرادع للحركة القومية العربية التى أصبحت القاهرة معقلها المؤثر في المشرق والمغرب من العراق إلى المغرب حيث البقايا الباقية من النفوذ البريطاني والفرنسي

واستجابت بريطانيا بحدود ـ من رواسب ثقة كانت مازالت لديها ، وأما فرنسا فقد كانت استجابتها بغير حدود لأن اليأس من موقفها خصوصا في الجزائر دفعها على طريق الشوك إلى نهايته !

وبدأ السلاح يتدفق على إسرائيل.

وردت مصر ، وكان لابد أن ترد ، فقررت أن تحصل على السلاح من حيث تستطيع الحصول عليه ، وهكذا تمت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي ،

واعلنت في شهر سبتمبر ١٩٥٥ ، وبهذه الخطوة اقتربت منطقة الشرق الأوسط من حافة الخطر.

والحقيقة أنه بعد إعلان الصفقة بأيام - وبالتحديد في شهر أكتوبر ٥ ١٩٥٠ - أصدر رئيس وزراء إسرائيل وقتها « دافيد بن جوريون » توجيها إلى رئيس اركان حرب الجيش الإسرائيلي « بأن يكون جاهزا لمعركة مع مصر تشن في أقل من سنة وقبل أن تتمكن مصر من استيعاب ما لديها من سلاح جديد » .(٢)

ولم يكن « بن جوريون » وحده في هذا التصور لحتمية معركة عسكرية مع مصر مبل أن ينقضي عام واحد ، وإنما شاركته في التصور أطراف أخرى : فرنسا اليائسة أولا ، ثم بريطانيا المترددة ثانيا .

وأما الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كانت جعبتها لا تزال ملأى بوسائل اخرى .

وأهلت سنة ١٩٥٦ والولايات المتحدة تجرب وسائلها واحدة بعد الأخرى ا وبالتفكير الأمريكي ، فقد كان منطق الصفقات هو أول ما عرض نفسه على سياسة الولايات المتحدة ، وكان أساس هذه الصفقات هو مشروع السد العالى الذي تحوّل بالفعل الى رمز للمستقبل في مصر .

□ كانت الصفقة الأولى تقديم عرض بمساعدة مصر في بناء السد العالى ، وبمنطق أن تكاليف بناء السد العالى تفرض على مصر تخصيص مواردها له يفإذا كان ذلك تحتم عليها أن توقف صفقات شراء السلاح من الاتحاد السوفيتى ، وإذن فالصفقة هي وقف السلاح ـ في مقابل البدء في بناء السد العالى .

□ والصفقة الثانية ـ ومنطقها متصل بالصفقة الأولى ـ هي شروط أكثر سخاء في بناء السد العالى في مقابل الصلح مع إسرائيل ، بمفهوم أن من يقصدون إلى البناء يتحتم عليهم نبذ الحرب . ووصلت الولايات المتحدة في هذه الصفقة إلى حد أنها قدمت مشروعا مكتوبا «لعقد » صفقاتها حمله مبعوث خاص من الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » وكان هذا المبعوث هو مستر « روبرت آندرسون » وزير الخزانة الأمريكي .

⁽ ۲) مذکرات موشی دیان عن معرکة سیناء .

كلتا الصفقتين رفضت في القاهرة .(٢)

وتحوّل منطق الصفقات إلى منطق المؤامرات ، وكان تقدير الرئيس « دوايت ايزنهاور » للمواجهة يبدأ من التسليم بأن الحرب المسلحة ضد مصر تنطوى على مخاطر معنوية وسياسية وعسكرية لا يصح قبولها إلا كملجأ أخير .

والمواجهة السليمة تقتضى وسائل أخرى لتحقيق أهداف الحرب دون إشعال نيرانها .

كان تقدير الرئيس الأمريكي أن يكون هناك تصاعد يزداد خطوة بعد خطوة حتى يتم القضاء على الدور المصرى المتعاظم وقتها .

■ الخطوة الأولى هي عزل مصر، فالواضح أن القاهرة في قيادتها للحركة القومية التي ارتفع مدها في العالم العربي - تعتمد على عاصمتين عربيتين غيرها: دمشق والرياض - دمشق لها وهجها المعنوى، والرياض عندها بريق الذهب.

وهكذا فإن عزل مصر يتأتى عن طريق الاستيلاء على دمشق بالانقلاب ، وإبعاد الرياض بالتخويف من خطر القومية العربية المتعاونة مع « الشيوعية الدولية ء!!

- الخطوة الثانية هي عقاب مصر، فعندما يتم الاستيلاء على دمشق بالانقلاب، وعندما يتم إبعاد الرياض بالتخويف ـ فإن مصر سوف تصاب بالشلل من وطأة الحصار، وحينئذ يجرى سحب عرض المساهمة في مشروع السد العالى، وهكذا فإن القاهرة لاتفقد أصدقاءها فقط، وإنما تفقد أملها الضا.
- الخطوة الثالثة هي القتل موجها إلى « جمال عبد الناصر » بالذات باعتباره « موقظ الفتنة » و « محرك التمرد » ا

Ш

يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ أعلن وزير الخارجية الأمريكي « جون فوستر دالاس » سحب العرض الأمريكي بالمساعدة في بناء السد العالى .

ويوم ٢٦ يوليو رد « جمال عبد الناصر » بإعلان تأميم شركة قناة السويس مع توجيه حصيلة إيرادها لبناء السد العالى .

وجن جنون بريطانيا وفرنسا ، وانضمت إليهما إسرائيل ، ووقع الثلاثة معا اتفاقية «سيفر» التي جمعت الثلاثة معا في عملية مشتركة لغزو مصر .

تهجم إسرائيل من سيناء يوم ٢٩ أكتوبر.

وتلحقها بريطانيا وفرنسا بالهجوم على منطقة القناة عند بورسعيد يوم ٣١ كتوبر .

ويتم حصار الجيش المصرى بين فكى كماشة ، ولا يعود أمام القاهرة غير أن نطوى أعلام الثورة العربية ، وترفع الأعلام البيضاء قبولا بالاستسلام!

وكانت المفاجأة ان اعلام الثورة بقيت على سارياتها ولم تترك مكانها لأعلام مبضاء، وعاش الشعب المصرى اروع ايامه وتحركت وراءه امة عربية باسرها، وتحرك رأى عام عالمي واسع على امتداد القارات، واهتزت موازين دولية بل وكادت تنقلب راسا على عقب.

وقفت الولايات المتحدة ضد العدوان الثلاثي في الأمم المتحدة ، فقد وجدتها فرصة سانحة لتصفية الامبراطوريات القديمة العاجزة عن حماية نفوذها ـ ومن ناحية الخرى كان على الولايات المتحدة أن تساير اندفاع شعوب العالم العربي إلى تأييد مصر ، وتعاطف الرأى العام العالمي مع شعبها الذي وقف وحده يقاتل في معركة منعددة الجبهات ، سياسية واقتصادية ونفسية وعسكرية .

وفى مساء يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ وجه الاتحاد السوفيتي إنذاره الشهير ضد اطراف العدوان ، وأضيف تأثير هذا الإنذار إلى بقية العوامل الحاسمة في مسار معركة السويس .

وحين اضطر أطراف العدوان الثلاثة إلى التسليم بفشل الغزو ، والتوقف عن العنال ، والقبول بهزيمة هدفهم ـ كان العالم كله قد عبر جسرا على السويس ، ودخل إلى أرض مختلفة .

□ خرج الشعب المصرى من المعركة وقد ازدادت ثقته بنفسه ، واشتد يقينه بأن احلامه ليست بعيدة عن متناول عزيمته ، وثبت لديه ان الشجاعة في قبول تحدى الموت تستطيع أن تكون هي نفسها الشجاعة المطلوبة لقبول تحدى الحياة .

⁽٣) رجاء مراجعة كتاب ملقات السويس عن مهمة اندرسون في مصر في أوائل سنة ١٩٥٦ وما جمله معه من وثائق كان مقروضا على جمال عبد الناصر أن يوقعها : الجزء الرابع ـ الفصل الثالث ـ الصفحات من ٣٨٧ الى عبد

□ اضافت التجربة كثيرا إلى عمق عملية التوحد بين مصر وامتها العربية ، فقد رأت الأمة كلها رأى العين ما يستطيع عملها الموحد أن يحققه ، فعندما تم نسف خط انابيب البترول عبر سوريا ، وتوقف تدفق النفط إلى البحر الأبيض من موانىء سوريا ولبنان بعد أن توقف هذا التدفق قبل أيام من قناة السويس بعد إغلاقها ـ انهار الجنيه الاسترليني ـ وبانهيار اقتصاد الإمبراطورية بعد عجز قوتها المسلحة تم حسم المعركة .

□ ادى الانتصار العربى في مصر إلى روح جديدة اجتاحت افريقيا وأمريكا اللاتينية إلى جانب آسيا ، ولم يكن «هارولد ماكميلان » - رئيس وزراء بريطانيا الذى خلف « أنتونى ايدن » الذى اضطر إلى الاستقالة _ مبالغا حين قال : « لقد هبت رياح التغيير » - وبالفعل فإن رياح التغيير بدأت هبوبها ، فاستقلت غانا وغينيا ومالى ، وكانت غيرها من دول افريقيا على طريق الاستقلال _ حدث هذا وكانت الثورة في كوبا قد تشجعت ، فنزلت من جبال « سييرا مايسترا » لكى تدخل منتصرة إلى العاصمة «هافانا » .

□ نزل الستار رسميا ونهائيا على العصر الإمبراطورى التقليدى المحدقت تماما مقولة السياسى الأمريكى الشهير «دين أتشيسون» : «إن بريطانيا أضاعت إمبراطورية ولم تعثر على دور» وفي نفس الوقت قال الكاتب البريطاني الكبير «مالكولم ماجريدج » : «إن ايدن ليلة السويس بدا كانه رجل محترم ضبطه بوليس الآداب عاريا في بيت مشبوه مع غانية لعوب . . . كان يستطيع أن يغامر في الليل ولكن ليس مع فرنسا »!

كان مشهد الإمبراطوريتين غداة السويس محزنا، ومهينا ا

□ أثبت الزاى العام العالمي فاعليته ممثلة بالأمم المتحدة ، إذا كان هناك شعب يملك قضية عادلة ، ويملك – وهذا هو الأهم – إرادة القتال في سبيلها ويرضى بتحدى الموت حتى يتأكد احترام الحياة ، والواقع أنه لسنوات بعد السويس استطاعت الأمم المتحدة أن تتحوّل من مجرد مسرح للحرب الباردة ، ومجرد ساحة للخطابة تنفس كرب أصحابها – إلى قوة حفاظ على السلام الدولي لها مسؤولياتها ، ولديها ما يكفى من الاحترام والمهابة للوفاء بهذه المسؤوليات

□ دخلت الولايات المتحدة إلى الشرق الاوسط من الباب الكبير، ذلك أنها أيام الحرب العالمية الثانية، وحتى أيام معركة السويس كانت تحاول الدخول من الأبواب الجانبية، أو من النوافذ أحيانا، فهى لم تكن راغبة ف أن تقتحم على حلفائها مناطق نفوذهم جهارا نهارا _ وفي نفس الوقت فإنها لم تكن قادرة على ترك هذه المنطقة الحيوية في أيد ترتعش بالشيخوخة أو الضعف.

وعندما هزم هؤلاء الحلفاء في السويس _ وجدت الولايات المتحدة نفسها معفاة من أي حرج ، بل إن هؤلاء الحلفاء الذين كانوا يضيقون ذرعا بجهودها من وراء ظهورهم راحوا هم أنفسهم يتوسلون إليها أن تدخل إلى الشرق الأوسط، وأن تأخذ أموره في أيديها حتى لاتنهزم مصالح الغرب في المنطقة كلها بعد أن انهزم بعض أطرافه في السويس.

كان الإنذار السوفيتي واحدا من اهم العناصر التي ظهرت في السويس.

وربما يختلف كثيرون في تأثيره المباشر على تطورات المعركة ، وما إذا كان هو العامل الفاعل في توقف القتال في الدقيقة التي توقف فيها ـ أو أن المعركة كانت منتهية من قبله ، وبالتالي فإن دوره لم يزد على تأكيد حقيقة أمر واقع تقرر سلفا من قبله .

إن هذه النقطة شغلت كثيرين من الباحثين ، بل وشغلت كثيرين من الذين كانوا شركاء في إدارة معركة السويس ، وكان بينهم وزير الدفاع الفرنسي الذي قال لـ « شيمون بيريز » مدير وزارة الدفاع في إسرائيل وقتها :

- « إن الروس يقومون بعملية تهويش » . « ايزنهاور » قال لـ « الفان » سفيرنا في واشنطن الذي قابله امس إن « الإنذار الروسي جد ويجب أن تأخذوه كذلك » ـ لكني اعتقد أن « ايزنهاور » يبالغ ، فلا يمكن للولايات المتحدة أن تقبل ضرب باريس ولندن بالصواريخ النووية ـ ذلك معناه حرب عالمية ثالثة . »

وسكت وزير الدفاع الفرنسي قليلا ثم استدرك قائلا:

- « لكنى مع ذلك لا استطيع أن أضمن شيئا _{= !}⁽³⁾

وبالتأكيد فإن هذا الذي قاله الوزير الفرنسي كان ينطوي على منطق له دواعيه

^(1) مذكرات شيمون بيريز (رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس صفحة ٥٥٨ و ٥٥٩) .

من حقائق القوة وصراعاتها ـ ومع ذلك فإن عنصر الشك الذي عبر عنه في استدراكه للحديث مع « شيمون بيريز » كان كافيا لإحداث أثره .

ولقد يستمر الجدل حول هذه النقطة العملية ، ولكن الذى لايختلف عليه احد هو الأثر الاستراتيجى للإنذار السوفيتى سواء كان هدفه عمليا ، او كان هدفه نفسيا . وسواء كان مجرد تهويش وهذا ظن ، أو موقف حزم وهذا بدوره ظن آخر .

إن الأثر الاستراتيجي تحقق في الحالتين ، فلد كانت اول مرة يجرى فيها ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ تهديد بسلاح نووى في إطار ازمة عالمية مفعمة بالتوتر .

إن هذا الأثر الاستراتيجي كان هو الذي أدى مباشرة إلى ظاهرة تعدد مراكز القوة النووية ـ ذلك أنه إذا ساور الحلفاء في أي معسكر ظل من الشك في أن القوة الرئيسية في تحالفهم ـ الولايات المتحدة في الغرب والاتحاد السوفيتي في الشرق ـ لاتستطيع تحمل الخطر النووي دفاعا عن الآخرين ـ إذن فإن الآخرين يتحتم عليهم ان يكون لهم رادع نووي مستقل.

كان هذا هو المنطق الذى استند إليه «ديجول» فيما بعد لبناء قوة نووية فرنسية مستقلة ـ " قوة الضرب» كما كان يسميها ـ وكان منطقه أن أى رئيس أمريكي لن يقبل بتعريض " نيويورك» أو «واشنطن " للإبادة النووية دفاعا عن "باريس " أو "مارسيليا » . إنه يستعمل الرادع النووي إذا كان الخطر موجها إلى " نيويورك " و " واشنطن » فقط ، وليس إذا كان الخطر موجها إلى « باريس » أو «مارسيليا " . في الحرب النووية لايقاتل طرف من أجل طرف آخر ، فحين يكون احتمال الإبادة واردا لا يستطيع تحمل المخاطرة غير المعرضين لها مباشرة وليس هناك أي ضمان آخر .

واتجهت فرنسا إلى صنع قوتها النووية المستقلة ، وفي سبيل ذلك تخلت عن الجانب العسكرى من حلف الأطلنطي وطلبت إلى قيادته أن تخرج من باريس .

نفس الشيء حدث في الصين إزاء الاتحاد السوفيتي .

وكان معنى ذلك أن المعسكرين انقسما من الداخل ، وتعددت المراكز فيهما ـ بل وظهرت أسباب للتناقض داخل إطار كل معسكر.

وعندما اتجهت فرنسا إلى رادع نووى مستقل وجدت المانها الغربهة ـ وهي قلب

مشكلة الأمن الأوروبي _ أنها لا تستطيع الوقوف ساكتة ، وإنما عليها أن تتحرك _ فإذا حدثت مواجهة في قلب القارة ، فإن أرض الأمة الألمانية _ غربا أو شرقا _ سوف نكون ميدانها .

وهكذا بدأت ألمانيا سياسة التوجه نحو الشرق.

وبالتوازى مع ذلك ، فإنه حين أصبحت الصين قوة نووية _ أحست الهند أنها لا تستطيع _ وبصرف النظر عن كل تعاليم « غاندى » _ أن تحرم نفسها من السلاح الموى إذا كان في مقدورها الوصول إليه ، وكان « نهرو » تلميذ » غاندى » هو الذى استدعى الأستاذ « بهابها » أستاذ الطاقة النووية في الهند ليقول له : « إنني سوف اصل لروح « غاندى » واطلب منها المغفرة ، لكن الهند يجب أن يكون لها خيارها النووى » .

اهم من ذلك كله بالنسبة للمنطقة ذاتها أن إسرائيل بدأت تفكر نوويا .

بدت لها مخاطر الحرب في المستقبل كبيرة ، وأن تدور هذه الحرب بالأسلحة النقليدية ضد الحصار العربي المستحكم حولها ، فهذا احتمال مكلف إنسانيا ، وبدرجة لا تستطيع مواردها البشرية احتماله _ فضلا عن التكاليف المتصاعدة للاسلحة التقليدية _ في حين أن توفير رادع نووى مرة واحدة يحل الإشكال بطريقة المتصادية أسلم وأسرع .

وكان « دافيد بن جوريون » _ خلال الاتصالات السابقة على اجتماع « سيفر » الذى تم فيه إعداد وتوقيع مؤامرة العدوان الثلاثي _ قد استغل رغبة فرنسا الحارقة إلى دور إسرائيل في فخ سيناء _ فإذا هو يطلب « مفاعلا ذريا صغيرا » لإسرائيل .

وبعد أن توقف إطلاق النار على جبهة القناة ، وذهب « شيمون بيريز » إلى لقاء مع « جى موليه » رئيس وزراء فرنسا الذى وجد عليه واجب طمأنة إسرائيل بعد أن خاب فخ السويس ـ إذا بـ « شيمون بيريز » يثير موضوع « المفاعل الذرى الصغير » الذى طلبه « بن جوريون » ف « سيفر » ـ قائلا له :

- « حسنا یاسیدی رئیس الوزراء ، إن إسرائیل ترید مفاعلها الصغیر » .(۰)

(" Et bien Monsieur le Premier Ministre, Israel veut son petit reacteur"]

^(•) رواية • كريستيان بينو • وزير خارجية فرنسا الذى حضر المقابلة • كما ان تقريرا للسير • باتريك دين • الذى كان ممثلا لبريطانيا في لجنة التنسيق السياسي بين دول العدوان الثلاثي • اكدها في تقرير معلومات كست لوزير الخارجية البريطاني .

وهز « جي موليه » رأسه موافقا .

إن التداعيات بعيدة الأمد للسويس لم تتوقف عند حد الانتشار النووى بتعدد المراكز ، وإنما تجاوزت هذا المنظور الأفقى إلى منظور آخر رأسى نشأت عنه آثار بعيدة في عمق « الحالة العالمية » التي سادت من وقتها .

وإذا كان من السهل رصد ما جرى على المنظور الأفقى من انتشار وتعدد المراكز النووية من واشنطن وموسكو ولندن وباريس وبكين ودلهى وتل أبيب إلى أخره _ فإن المنظور الرأسى ، بالعمق ، قضية أشد تعقيدا .

والحقيقة أنه بعد الإنذار السوفيتى ، فإن العالم ليلة ٦ نوفمبر ١٩٥٦ وجد نفسه واقفا على حافة الهاوية النووية ، ومهما قيل في أنه كانت هناك شكوك في إمكانية الانتقال بالإنذار السوفيتي من مرحلة التلويح إلى مرحلة التصريح ، ومن ثم إلى مرحلة التنفيذ ، فإن البشرية كلها لم تكن مستعدة لاختبار النوايا إلى النهاية .

كان التلويح كافيا فتوقف الجميع ، ثم استداروا راجعين بخطاهم بعيدا عن الحافة المظلمة .

إن البشرية أيقنت ساعتها أنها لا تستطيع فقط مواجهة اليقين النووى ، وإنما هي أيضا لا تستطيع مواجهة الشك النووى ، وكان هذا معنى يؤدى بدوره إلى معان .

أولها أن الحرب العالمية أصبحت مستحيلة بين الكبار ، فإذا كانوا هم من أطرافها - إذن فإنها بالقطع سوف تكون نووية ، حتى وإن لم تبدأ كذلك ، فالحرب بين الكبار ، وإن بدأت بالأسلحة التقليدية مكتوب عليها في مرحلة من المراحل أن تنقلب نووية ، لأن أحدا من الطرفين لن يقبل الهزيمة أمام الآخر ، وفي يديه إمكانية لم يستعملها .

ومن هنا _وهذا هو المعنى الثانى _ ظهرت نظريات الحرب المحدودة ، ذلك أن الصراعات الدولية لن تتوقف لمجرد استحالة الحرب العالمية ، فالأسباب الاقتصادية والسياسية والإنسانية التى تؤدى إلى الحرب مازالت باقية ، ثم إنه لايمكن حبس أو تجميد تفاعلات هذه الصراعات ، فإذا كانت السيطرة على إدارة هذه الصراعات يجب أن تظل محسوبة ولا يفلت زمامها ، فإن إطار الحرب يجب أن يكون محدودا ، وأول ضمانات التحديد ألا تنشب الحرب بين الكبار مباشرة ، وإنما تنوب عنهم أطراف أخرى يقفون هم وراءها دون اضطرار إلى المواجهة المباشرة ، وعواقبها غير المحدودة .

وترتب على ذلك - وهذا هوالمعنى الثالث - ان الحروب الإقليمية اكتسبت ضراوة جديدة ، طلق انتهز الكبار فرصة الصراعات المحلية لكى يصبوا فيها خلافاتهم ، ويجربوا في ساحاتها أسلحتهم ، ويكسبوا ويخسروا في اجهاء يمكن ضبط درجة حرارتها عند حد أقصى لاتزيد عنه ، خصوصا وأن مفاتيح الوقود - المدادات السلاح التقليدي المتطور - تكاد تكون احتكارا لهم . وفي هذه الأجواء استعلت نيران الحرب « المضبوطة » على خط عريض من الهند الصينية إلى القرن الإفريقي ، ومن أفغانستان إلى أنجولا .

واستوجب ذلك -وهذا هو المعنى الرابع - أن سباق الأسلحة النووية بكل نكاليفه لم يعد ممكنا تركه إلى ما لانهاية ، فليست هناك فائدة ترجى من تخزين سلاح نووى يستطيع تدمير العالم ألف مرة ، فمرة واحدة تكفى ، ومن اللافت للنظر أن الرجل الذي وضع اسمه على إنذار السويس - « نيكيتا خروشوف » - كان هو الرجل الذي تمكن مع الرئيس الأمريكي الذي خلف « دوايت ايزنهاور » عاشرة في البيت الأبيض - وهو « جون كنيدى » - من توقيع أول معاهدة للحد من التجارب النووية - وهكذا بدأت المسيرة الطويلة نحو تحديد الأسلحة النووية ، والتطلع إلى نزع السلاح النووي .

خلال كل هذا الذى كان يجرى بالعمق على مستوى القرار الرسمى الدولى الكان جماهير شعوب العالم تختلج حتى الأعماق بمشاعر راحت ترتقى بنفسها يوما معد يوم حتى وصلت بالمشاعر إلى مستوى الإرادة .

وكانت السويس نقطة التحول الفاصلة ، بها انتهت مرحلة ، وبعدها بدات مرحلة أخرى في التاريخ المعاصر .

كانت مصر لاتزال « أهم بلد في الدنيا » على حد مقولة « نابليون » رغم أن الخريطة السياسية للعالم اختلفت ، وتبدلت موازين القوى ، وتغيرت قوانين الحركة .

الفصل الثاني النصر له مائسة أب



لعصور طويلة في التاريخ السياسي للبشرية اختلط مفهوم الحرب بمفهوم القتال ، وكان ذلك أمرا طبيعيا ، فعلى امتداد قرون من الزمان كانت الحرب فعلا هي القتال ا

على طول هذه العصور والقرون كانت الحرب صناعة الملوك ، وقوادها أمراؤهم أو فرسانهم ، وجنودها من المحترفين أو المرتزقة الذين اتصفوا بالإقدام والاندفاع ، ويرعوا في عملية الذبح والقتل!

وعندما وقعت الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر تغيرت أشياء كثيرة في التاريخ السياسي للبشرية ، وامتد التغيير إلى منجالات كثيرة بينها على وجه التأكيد مجال الحرب ، ذلك أنه منذ لحظتها بدأ التمايز بين الحرب والقتال ، فالثورة الفرنسية في مواجهة حصار الملوك لها لم تكن تستطيع أن تعتمد على الأمراء أو الفرسان فهؤلاء كانوا رجال الملك ، ولا كان في استطاعتها أن تعتمد على المحترفين أو المرتزقة فلا ألموارد لم تكن متوافرة لديها لشراء سيوفهم _ وبالتالي فإن هذه الثورة لم يكن لديها ما تعتمد عليه غير الشعب ، ومن يومها ظهر جيش «المواطنين المتطوعين » للدفاع عن الثورة والوطن ليحل محل جيش الملوك والأمراء والفرسان والمحترفين والمرتزقة ا

ولم يكن جيش « المواطنين ، الذين تطوعوا لملاقاة زحف جيوش الملوك _ مهيأ

من يومها - وأكثر من أى يوم سبق - أصبحت الحرب صراعا أوسع من ميادين القتال . وحين صك « كلاوزفيتز » أعظم أساتذة الحرب الحديثة عبارته الشهيرة التي قال فيها : « إن الحرب صراع بين إرادات ، طرف يريد أن يغرض إرادته على طرف » - فإنه كان يعبر عن الحقيقة الأبدية الأزلية في قضية الحرب وحين أضاف « كلاوزفيتز » فيما بعد عبارته الشهيرة الأخرى التي قال فيها : « إن الحرب هي ممارسة للسياسة بوسائل أخرى » فإن طبيعة هذه الحقيقة كانت تزداد جلاء - لكن عندما أضاف رئيس وزراء فرنسا في الحرب العالمية الأولى إلى قاموس المعرفة السياسية عبارة شهيرة ثالثة قال فيها : « إن الحرب مسالة أخطر من ان تترك للجنرالات » كانت تلك كلمة شبه نهائية في قضية الحرب . لقد اخذ اكثيرون هذه الجملة عن « كليمنسو » على أساس انها تعبير لاذع عن رأى له المسكريين ، لكن التعبير كان ينطوى على ما هو أكثر ، وكان في صميمه يرسم خطا فاصلا بين القتال والحرب . القتال وظيفة الجنرالات ، وأما الحرب فإنها صراع أشمل يديره القادة الذين تقع عليهم مسؤولية مصائر الشعوب والأمم .

ولقد جاءت الحرب العالمية الثانية ، فإذا هي تضع الخطوط والفواصل محددة وحادة بين الحرب والقتال ، فلقد أصبحت الحرب مجهودا شاملا أكبر من ميدان القتال ، مجهودا شاملا في حشد الموارد ، وفي التخطيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والثقافي اهم بكثير من حشد الجيوش ، ومن دبابات تتصادم مع دبابات ، ومن مدافع ترد على مدافع ، ومن طائرات تسابق طائرات ، ومن طاقة نيران تواجه طاقة نيران !

وبصفة عامة ، فلقد كان يمكن لأى مراقب لمسار الحرب العالمية الثانية أن يقول إن الألمان وحلفاءهم خصوصا في اليابان كانوا أبرع في القتال ، ولكن الانجليز وحلفاءهم ، وخضوصا الأمريكيين والروس كانوا أقدر على الحرب ، ولم يكن النصر النهائي في هذا الصراع العالمي الهائل من نصيب الأبرع في القتال ، وإنما كان من نصيب الأقدر على الحرب .

وفي الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية ترسخت اكثر واكثر هذه الخطوط والفواصل بين الحرب والقتال - اكدت الحقائق السابقة واللاحقة ان « الحرب صراع إرادات » - وأن « الحرب ممارسة للسياسة بوسائل أخرى » - وأن « الحرب ليست مسؤولية جنرالات » - يضاف إلى ذلك أيضا أن الدول

الكبرى اصبحت في نفس الوقت عقائد، وهكذا فإن الصراع بينها اصبح في العقول والنفوس والأفكار كما هو على الأرض والبحر والجو، ثم إن تكنولوجيا السلاح النووى والفضاء أضافت إلى هذه الحقائق ظاهرة في منتهى الغرابة، وهي أن الحرب يمكن أن تدور بغير قتال. تناقض حتى في الألفاظ: حرب مستغنية عن القتال!

وبمقتضى الحقائق الجديدة في العالم ، فلقد كانت مصر هى الطرف الذى لم انتصر في السويس ، ففى صراع الإرادات كانت هى الطرف الذى لم يستطع الآخرون أن يفرضوا إرادتهم عليه ، وكانت هى الطرف الذى مارس السياسة بكل الوسائل حتى يحتفظ بجائزة الحرب ، وهى • قال السويس • في يده دون أن يقدر الآخرون على انتزاعها من يده طوال مراحل الصراع كلها ، ثم إن الصراع لم يترك على مسؤولية الجنرالات إلا بالقدر الضرورى لاهداف الحرب بمعناها الحقيقى .

وهنا تتداعى _ بالتسلسل المنطقى للمعانى _ آثار لها قيمتها .

بين الآثار أنه عندما كانت فكرة الحرب مختلطة بفكرة القتال ، فإن النصر كان في العادة ينسب إلى قائد مقاتل يتوج رأسه بأكاليل الغار ـ والأمثلة كثيرة في التاريخ القديم .

وعندما تحقق الفصل بين الحرب والقتال فإن نسبة الانتصار إلى قائد بعينه اصبحت نوعا من المجاز، أو ربما من الرمز للزعماء السياسيين الذين تحملوا مسؤوليات إدارة صراعات التاريخ العظمى، فهم الذين ألهموا شعوبهم، وهم الذين عبأوا مواردها، وهم الذين بنوا تحالفاتها، وهم في النهاية الذين أعدوا للقتال حينما كان القتال ضروريا كعنصر من عناصر الصراع بما في ذلك أنهم هم الذين اختاروا الجنرالات المقاتلين على جبهات النار المتعددة.

والمجاز قد يعبر ، كما أن الرمز قد يختزل الواقع بقصد السهولة واليسر ـ لكن التحليل الدقيق لابد من أن يقصد إلى ما وراء المجاز ، وإلى ما وراء الرمز ـ وهنا يتضع فارق كبير بين تحقيق النصر في القتال وتحقيق النصر في الحرب .

في القتال يكون النصر من صنع طرف واحد ـ قائد بجيشه المقاتل . وفي الحرب يكون النصر من صنع أطراف كثيرين شاركوا جميعا بجهد شامل في تحقيقه .

وهكذا فإنه إذا كان انتصار السويس قد نسب إلى « جمال عبد الناصر » من باب المجاز والرمز ، فلقد كان ذلك تقديرا لإدارته الشاملة لصراع الحرب الكبير ـ لكن التحليل الدقيق كفيل بأن يظهر أن أطرافا عديدين شاركوا معه في تحقيق مطالب النصر والتمكين منها .

ولقد كانت جماهير الشعب المصرى أول هذه الأطراف، ثم كانت جماهير الأمة العربية بعد ذلك طرفا ثانيا، وكان الرأى العام العالمي ممثلا في الأمم المتحدة طرفا ثالثا، كما أن القوتين الأعظم ـ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ طرف رابع وخامس بصرف النظر عن الأهداف أو المقاصد المباشرة وغير المباشرة.

بمعنى أوضح وأدق ، فلقد شارك في تحقيق النصر ، أو التمكين منه كل من شارك في « منع العدوان الثلاثي من فرض إرادته على مصر » لكي تتخلى خاضعة عن قناة السويس كخطوة أولى لها ما بعدها!

إن هناك قولا شائعا بأن « الهزيمة يتيمة ، والنصر له مائة اب » ، والقول صحيح من ناحية إنسانية ، فكل فرد أو كل طرف يحب أو يتمنى ، أو حتى يختلق دورا لنفسه في قصة انتصار ، في حين أن كل فرد أو كل طرف يحاذر أو يتجنب ، أو حتى يتهرب من دور لنفسه في قصة هزيمة .

وف الأزمنة الحديثة فإن ما كان قولا شائعا أصبح أمرا مؤكدا ، وف السويس كواحدة من ذرى صراعات العالم الكبرى في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كان الأمر يقينا .

شارك في تحقيق النصر أو التمكين منه أكثر من طرف تفاوتت أهمية الدوارهم واختلفت درجاتها.

كان للنصر بالفعل اكثر من أب . فيهم من شارك في صنعه ، وفيهم من ساهم ل التمكين منه !

إن تحديد الأطراف التي تشارك في أي انتصار ، أو في التمكين منه ليس مسألة نعلق بما انقضى من مراحل الصراع ، وإنما تتعلق بما هو قادم من هذه المراحل . لك لأن الأطراف لا تكتفى بمجرد الزهو بالنتائج ، وإنما هي أيضا تتوقع بعده أن حصل على جزء من الثمار ، وهذه طبائع الأشياء وضروراتها ، ثم إن تلك نقطة بالغة لاهمية في تقصى وتعقب أطوار الصراع الذي دار في العالم العربي وعلى مقاديره من

معركة السويس وحتى معركة سنة ١٩٦٧ ـ وهى ثانى المعارك الكبيرة (هرب الثلاثين سنة .

إن كل طرف من الأطراف التي اشتركت في تحقيق انتصار السويس أو التمكين منه كانت لديه مطالبه ، وكانت هذه المطالب المختلفة باختلاف الأطراف هي التي حكمت مراحل الصراع التالية لمعركة السويس وصاغت شكل الحوادث ـ ذلك أن كل طرف بعد النصر راح يطالب باستحقاقاته ، وسواء كانت هذه الاستحقاقات شرعية وصحيحة ، أو متوهمة ومدعاة ـ فإن المطالب المختلفة للأطراف والمتناقضة احيانا ـ كانت هي بداية المشاكل لسنوات تالية .

وعلى هذا الأساس، فإنه يصبح من اللازم مبكرا - تحديد الأطراف التى شاركت فى تحقيق النصر، أو التمكين منه - شرعا وصدقا، أو توهمت ذلك وادعته، وأكثر من ذلك، فقد يكون مناسبا فى نفس الوقت إلقاء بعض الضوء ولو بسرعة على المطالب والمستحقات للأطراف . . . فلقد كانت تلك هى الخمائر الأولى للتراكم المتفجر الذي هز المنطقة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧.

■ كانت جماهير الشعب المصرى أول هذه الأطراف ، والحقيقة أن دورها كان صنع النصر وليس مجرد التمكين منه فقط ، وكما أظهرت " ملفات السويس "(1) فإن الحملة البريطانية _ الفرنسية على مصر كانت تقوم على أساس فرضية رئيسية استخلصها رئيس الوزراء البريطاني _ وقتها _ « أنتونى ايدن " من خبرته الشخصية بمصر ، وقد اعتمد فيها على عدة مصادر بينها : أنه بالتخصص مستشرق ، ثم أنه كوزير دولة للشؤون الخارجية سنة ١٩٣٦ تفاوض مع الزعماء المصريين لعقد معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ثم أنه كوزير للخارجية البريطانية مع " ونستون تشرشل " ابتداءً من سنة ١٩٣٠ وحتى فترة ما بعد الحرب تعامل مع الأوضاع في مصر عن قرب بحكم أن مصر كانت مسرحا من أهم مسارح الحرب . وكان في ظن " أنتونى ايدن » أن هذه الخبرة الشخصية مضافا إليها تقديرات بعض مستشاريه وبينهم من خدموا _ أو بمعنى أصح حكموا _ في مصر تهيؤه أكثر من غيره لمواجهة لحظة الحسم في هذه المستعمرة السابقة التي استفحل أمرها في نظره فتجاسرت على قيادة ثورة قومية عربية عامة ضد سيطرة الإمبراطورية البريطانية في المشرق .

كانت محصلة ما توصل إليه « أنتونى ايدن » أن الشعب المصرى سوف ينهار

عند توجيه الإنذار البريطاني ـ الفرنسي إلى مصر يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، وسوف يتخلى عن إرادته تماما إذا بدا القصف الجوى على بلاده ، كما هو مقرر وفق اتفاقية ، سيفر » السرية مع فرنسا وإسرائيل ـ يوم ٣١ اكتوبر ـ ثم إنه إذا بدات العمليات العسكرية على الشواطيء المصرية مع إنزال القوات المتحالفة ، فإن الشعب المصرى سوف يخرج الى شوارع المدن المصرية يحرق ويدمر ويبحث عن قيادة جديدة توقع وثيقة استسلام .

ولكن ما فكر فيه « أنتونى أيدن » وانتظره لم يحدث ، وما حدث بالفعل كان عكسه ، فلقد قاوم الشعب المصرى ، وأصر على المقاومة ، وكانت هذه المقاومة ذاتها هى التى فتحت الطريق أمام بقية العناصر المؤثرة على الموقف بما فيها الإنذار السوفيتى على سبيل المثال . وتشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية إلى مرقية شفرية موجهة لوزير الخارجية « جون فوستر دالاس » من موسكو بتوقيع سفيره فيها » بوهلين » وهى تحمل رقم ٢٢٨٨ وتاريخها المسجل عليها هو ٥ نوفمبر ما يلى :

« إن خطورة الموقف تدعوني إلى الاعتقاد انه من الخطر ان نتصور ان الاتحاد السوفيتي سوف يكتفى بالموقف الدعائي، إزاء تطورات الحوادث في مصر. إن المقاومة المصرية للغزو استمرت حتى الأن اكثر من اسبوع، ومن اعتبار طول هذه المدة اساسا، فأنا لا اظن أن السوفيت يمكنهم البقاء بعيدا عن التدخل.

وكانت مطالب الشعب المصرى واستحقاقاته بعد النصر الذى حققه صموده قبل أى عامل آخر - مطالب واستحقاقات صحيحة وشرعية ، فهذا الشعب كان يطلب حريته من الاستعمار ، وكان يبحث عن هويته ومكانه العالم ، ثم إنه كان ينشد العدل الاجتماعى داخل وطنه ، ولقد منح قبوله ورضاه للنظام الثورى الذى قام في مصر يوم ٢٣ يوليو ٢٥٠١ - على هذه الاسس الثلاثة ، وبالفعل بدا له أن النظام الذى قبل به وارتضاه يفى بمبررات شرعيته وموجباتها ، فلقد توصل بعد كفاح إلى اتفاق يؤدى إلى جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس ، ثم دخل مع بقية أمته العربية في نضال عنيف ضد قوى السيطرة ، ثم بدأ يمارس عملية تحول اجتماعى وسياسى داخل الوطن ادت الى إسقاط النظام القديم للملكية والسلطة ، ثم بدأ يرى أن مجرد إعادة توزيع النوة بالإصلاح الزراعى لا تكفى ، وإنما لابد لتحقيق العدل من طموح إلى التنمية يضاعف من قاعدة الثروة ويواكب محاولات إعادة توزيعها ، وفي هذا التنمية يضاعف من قاعدة الثروة ويواكب محاولات إعادة توزيعها ، وفي هذا التنمية يضاعف من قاعدة الثروة ويواكب محاولات إعادة توزيعها ، وفي هذا التنمية يضاعف من قاعدة الثروة ويواكب محاولات إعادة توزيعها ، وفي هذا المحال اصبح مشروع السد العالى تجسيدا حيا لطموح التنمية . وكانت معركة

⁽١) يرجى مراجعة كتاب ملقات السويس لمحمد حسنين هيكل الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر أ نوامبر سنة ١٩٨٦

السويس - بما فيها قاديم شركة اللناة - هي في واقع الأمر صعركة من أجل بناء السد العالى يتصدر زحلة علالا إلى الناقي التنمية ، وتتصل به خطة للتصنيع والكهرباء والتوسع في استصلاح الأراضي .

كان السد العالى ـ وبما يرمز له ـ هو مطلب الشعب المصرى واستحقاقه ، وفي تلك اللحظات لم يكن السد العالى مجرد مشروع عملاق ولكنه كان صورة لامل عريض ومعتد إلى سنوات المعل ، بل إن السد العالى بهذا المعنى وفيما تلا معركة السويس اصبح واحدا من المصلار المتجددة الشرعية النظام الثورى .

■ وكانت الأمة العربية هي الطرف الثاني في تحقيق المنصر، ولقد تعددت أساليب دخولها مع الشعب المصرى إلى ساحة المعركة.

ف البداية كان التأييد سياسيا بالمؤتمرات والمظاهرات

ثم تصاعد التأييد بعد ذلك عمليا إلى حد الهجوم على السفارات البريطانية والفرنسية ومراكز الاستعلامات الأمريكية، وإشعال الحرائق في مبانيها.

ثم بلغ التصاعد ذروته عندما قررت مجموعة من الضباط القوميين في سوريا نسف خطوط انابيب البترول العابرة للأرض السورية في اتجاه البحر الأبيض المتوسط، وكانت هذه الضربة الحاسمة ضمن أهم العواصل المؤثرة في مسار الحرب، لأنه فضلا عن توقف تدفق نفط الشرق الأوسط تقريبا، فإن الجنيه الاسترليني تهاوى مرة واحدة في أسواق المال العالمية.

وتروى الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية مشهد لقاء جرى بين الرئيس «شكرى القوتلى » رئيس الجمهورية السورية ، وبين السفير الأمريكى «موس » سفير الولايات المتحدة في دمشق » وعلى أثر هذا اللقاء كتب السفير الأمريكي إلى وزير خارجيته رسالة شفرية رقمها ٦٣٦١ وتاريخها ٨ نوفمبر ١٩٥٦ (الساعة ٤٨ : ٩ مساء) جاء فيها :

• في الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم ذهبت لمقابلة الرئيس القوتلي لكي اقدم إليه رسالة الرئيس ايزنهاور (بعد إعلان وقف إطلاق المقار في السويس) ولم ينتظر القوتلي، وإنما اندفع فيما يشبه الخطابة العنيقة يصب النقمة على الانجليز والفرنسيين، وفي نفس الوقت أبدى تقديرا للروس - وفيما يتعلق بنا فإنه ابدى المله أن نلتزم بالمبادىء التي يتحدث عنها الرئيس ايزنهاور.

وقد سمحت لنفسى أن أقول للرئيس القوتلى إنه ما دممًا نتحدث عن المبادىء ، فإننا نرى أن العرب قد أضعفوا موقفهم المبدئي حين تقاعسوا عن إدانة استعمال القوة

من جانب الروس ضد شعب هنجاريا ، وانه كان الأولى بهم لكى يستطيم موقفهم المبدئى ان يعارضوا التدخل بالقوة في بودابست مثلما عارضوا التدخل بالقوة ضد بورسعيد .

وعندما فرغت مما قلت كان القوتلى مستثاراً ، فانفجر في وجهى قائلا : , إننا منذ اعقاب الحرب العالمية الاولى نتصدى لمخططات الصهيونية التى تهدد كياننا ، بينما انتم واصدقاؤكم تعطونها من وسائل تهديدنا ما يجعل خطرها غير محصور . لاتكلمونا عن المبادىء . وعندما يكون وجودنا مهددا ، وبلادنا في خطر _ فلنتهدم خمسون بودابست . » !

وإذا كان الأمل أ العدل هو مطلب الشعب المصرى واستحقاقه بعد انتصار السويس - فإن « الحلم ، بوحدة الأمة على أى شكل من الأشكال كان هو مطلب الشعوب العربية واستحقاقها بعد النصر.

كانت شعوب الأمة العربية «تحلم» بالوحدة، لكن حلمها لم يكن محددا . كانت ترى في نفسها ومن حولها امكانيات قوة ، ولكن هذه الإمكانيات نهدر نفسها وراء سدود من حدود مصطنعة رسمها الاستعمار ، وكانت تلك إلى حد كبير حقيقة ، وإن لم تكن كل الحقيقة ، ذلك، لأن حقيقة الوحدة _ وحتى ضرورتها _ لا تستطيع أن تحجب وجود خصائص وظروف اجتماعية واقتصادية لابد من أخذها في الاعتبار ، ثم إن الحدود حتى وإن كانت مصطنعة خلقت وراءها بتراكم السنين ومستجداتها أمورا واقعة يصعب نسيانها أو إنكارها .

وفي نشوة ما بعد النصر ، وفي غمرة مطالبه واستحقاقاته ، فإن ، الحلم ، كان سيد الموقف ، ثم إن غلالته الأسطورية نزلت على خريطة التضاريس المتنوعة والمتعددة ألله الشكالها وأحجامها ، وغطت عليها .

وف حين كانت الجماهير العربية تهتف ف عواصم عربية عديدة قائلة : « بدفا الوحدة باكر باكر » ! - كان مثقف سياسى مرموق مثل الأستاذ « ميشبل عفلق » مؤسس حزب البعث يقول « لا ينبغى لمشاكل الوحدة أن تعطلنا ، الوحدة خلاقة ، وهي تستطيع أن تحل مشاكلها بنفسها » .

إن « الحلم » اخذ كثيرين في سحره ، وحين تفاعل » الحلم » العربي مع « الأمل » المصرى فإن النتيجة تحولت إلى طاقة هائلة مشحونة لايستطيع احد ان يقف في طريقها وإلا جرفته ، وربما صعقته .

0

■ كانت الأمم المتحدة هي الطرف الثالث في التمكين من النصر، وكان مجمل احوالها في تلك الأيام من منتصف الخمسينات يسمح لها بأن تكون على نحر أو أخر شبه تعبير عن الضمير العالمي.

إن الأمم المتحدة منذ إنشائها _ وربما إلى الآن _ مرت بثلاثة أطوار .

● فى البداية كانت الأمم المتحدة ساحة للمواجهة بين القوتين الأعظم – الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ـ وكانتا حليفتين فى الحرب، وبعد انتهائها أصبحتا متنافستين على عالم السلام، فكلتاهما تطلب الأولوية فى قيادة مستقبله تحت ظل السلاح النووى الذى فرض على الساحة الدولية احتمالات يصعب اختبارها، أو استجلاء أسرارها!

فى ذلك الطور من حياة الأمم المتحدة أصبحت هذه المنظمة الدولية خشبة مسرح لا يقف عليها إلا اثنين من الكبار، وأما الباقون جميعا فهم على مقاعد المتفرجين يراقبون ويتابعون مدركين أنهم ليسوا قادرين على الاشتراك فى الحوار، فقضاياه معقدة وتكاليفه غالية.

ولسنوات ممتدة كان مسرح مجلس الأمن ـ وهو الجهاز الرئيسي للأمم المتحدة ـ حوارا بين وزير الخارجية الأمريكي « دين اتشيسون » (في عهد الرئيس « هاري ترومان ») وبين السفير « آندريه فيشنسكي » المندوب السوفيتي الدائم (في عهد الزعيم « جوزيف ستالين ») ، وتباري الاثنان بل وتناطحا في قضايا هامة مثل ازمة « اذربيجان » في إيران ، وأزمة الحرب الأهلية في اليونان ، وأزمة الحرب الكورية والهند الصينية. في الشرق الأقصى .

كان الحوار وكانت المواقف في ساحة مجلس الأمن حكرا على « اتشيسون » من ناحية ، فرى المناحية المندوبين ، فقد كان عليهم متابعة الحوار بنوع من الاهتمام أو الانبهار أحيانا ، وفي أحيان أخرى بنوع من التسلية أو التندر.

ولأسبوع بأكمله في الأمم المتحدة تقريبا كانت كل الوفود مشغولة بإعادة رواية حوار بين « فيشنسكي » و « اتشيسون » .

تكلم « اتشيسون » مرة في موضوع كوريا ، ووقف « فيشنسكي » يرد عليه فإذا هو يقول له :

- « إننى أعلم أن وزراء الخارجية الأمريكية لايكتبون خطاباتهم التي يلقونها هنا بانفسهم ، وإنما يكتبها لهم سكرتيريهم .

وهكذا فإننى عندما أرد على ماقاله المستر اتشيسون هنا لا أوجه حديثى إلى سكرتيره الذي كتب له ما قاله أمامنا الأن . .

ثم راح « فيشنسكى » يرد على « اتشيسون » بقوله : « إن سكرتيرك يامستر اتشيسون كتب لك التشيسون اخطأ حين كتب لك كذا وكذا ، وسكرتيرك يامستر اتشيسون . . . » إلى آخر الخطاب .

كل هذا ووجه وزير الخارجية الأمريكية يحتقن بالغضب ، ويزداد احتقانا مع كل عبارة توجه القول لـ « سكرتيره » .

ثم ختم « فيشنسكى » كلامه قائلا : « إن لدى نصيحة أوجهها لوزير الخارجية الأمريكية ، وهى أن عليه من الآن فصاعدا أن يكتب ما يريد أن يقوله بنفسه حتى يستطيع أن يتحقق من مصادر القول ويراجعها . "

وجلس والمتفرجون جميعا معجبون به طربا ومفتونون .

وجاء الدور على « اتشيسون » فإذا هو يقف ليقول :

- « إن لدى رجاء إلى المندوب السوفيتى ، وهو ان يلجأ إلى أحد لكى يكتب له ما يقول امامنا هنا لأنه حين يتكلم من وحى تفكيره يقول كلاما لا رابطة فيه ولا منطق . نعم إن لدى مساعدين شاركونى في التفكير ، وأما هو فكعادة الديكتاتوريين في الاتحاد السوفيتى يأمر ويفرض آراءه الفجة منفردا وبالقوة »!

ومرة ثانية صفق المتفرجون !

● وجاء الطور الثانى في حياة الأمم المتحدة ل اعقاب مؤتمر باندونج ، حين استطاعت مجموعة الدول الآسيوية والإفريقية المستقلة أن تتصدى لقيادة حركة التحرر الوطنى ، وأن تدخل إلى ساحة الأمم المتحدة حاملة معها أمالها واحلامها ل نظام دولى جديد .

وكانت الرياح مواتية لدخول هذه القوة الثالثة إلى ساحة الأمم ، من ناحية لأن حلبة الصراع بين القوتين الأعظم انتقلت من قضية الأمن الأوروبي إلى التنافس على

النفوذ في العالم الثالث ، ومن ناحية أخرى لأن استحكام العقد بين القوتين الأعظم خلق نوعا من الشلل في فاعلية الأمم المتحدة ، واستطاع سكرتيرها العام الجديد وهو «داج همرشولد » أن يستغله لتعزيز هيبة المنظمة الدولية ، وذلك عندما حاول أن يجعل من هذه المنظمة حكما بين القوتين الأعظم وليس مجرد ساحة للمواقف والعبارات الحادة بينهما .

وكان معنى ذلك أن القوة الثالثة التى دخلت لتأكيد نفسها فى المجال الدولى مستعدة ، ثم إن المسرح الدولى ذاته كان مستعدا لها . جاهزا ومهيأ .

وفي هذا الطور وقعت أزمة السويس، ثم جرت معركتها.

• ثم جاء الطور الثالث بعد ذلك في حوالي منتصف الستينات ـ وقد جرت معركة سنة ١٩٦٧ في إطاره ، ومازال العالم فيه حتى الآن ـ وهو طور فقدت فيه الأمم المتحدة فاعليتها عندما تحققت ديمقراطيتها ، وتجاوزت هذه الديمقراطية حدود المقبول من القمة الدولية . ولقد حدث ذلك عندما تفتحت أبواب الأمم المتحدة لعضوية كيانات مستقلة بالجملة ـ فإذا صوت بلد مثل كوستاريكا يتساوى مع صوت بلد مثل

عندما أسست الأمم المتحدة كان عدد أعضائها أقل من خمسين دولة ، ووقت السويس كان عدد أعضائها أقل من مائة دولة ، وفيما بعد زاد عددالدول الأعضاء على مائه وخمسين ، وكان الكل يحاول أن يتكلم بغير دراية ، وأن يتدخل في غير شأن ، وأن يتحدث لمجرد إثبات الوجود ، وكان الوفاق الدولى بين القوتين الأعظم على الأبواب ، وهكذا قررتا معا أن تأخذا أكثر القضايا حساسية وأهمية إلى خارج الأمم المتحدة .

لكن هذا الطور من حياة الأمم المتحدة كان _ زمن السويس _ احتمالا لم يجىء وقته بعد .

أيام السويس _ إذن _ وفى أعقاب انتصارها ، وأطرافه ، ومطالبهم واستحقاقاتهم 1 كانت الأمم المتحدة فى الطور الثانى من حياتها ، وهو طور الحيوية والفاعلية بفضل دخول قوة عالمية ثالثة إلى ساحتها ، وبفضل رجل ذكى 1 داج همرشولد 1 حولى سكرتاريتها العامة .

وفى مناخ الأزمة والحرب - ١٩٥٦ - ملكت الأمم المتحدة قدرة غير عادية على الحركة والتصرف ، وقد اكتسبت هذه القدرة طاقة مضافة من حقيقة أن القوتين

الأعظم _ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي _ كل منهما لأسبابه _ وقفتا معا ضد العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر .

وفي هذه الأجواء لم تصبح الأمم المتحدة _ بما فيها الجمعية العامة ومجلس الأمن _ أداة قول فحسب ، وإنما أصبحت أداة فعل أيضا – بل إنها الأسباب موضوعية متعددة أصبحت أداة الفعل الدولي الرئيسية في الأزمة ، وميدان حركتها الجماعية المؤثرة .

ولقد كانت التكليفات المنوطة بدداج همرشولد » فى تلك الملابسات واسعة ، وكان من جانبه على استعداد لتوسيعها أكثر ، ولعله تصور فى بعض اللحظات أن الأمم المتحدة تستطيع أن تمثل دور حركة عالمية لها حق فرض قراراتها فوق سيادات الدول الأعضاء .

ولقد وجد نفسه _ في جو أزمة دولية عاصفة _ مكلفا بعدة مسؤوليات :

- عليه أن يوجه عمليات تطهير قناة السويس ، وإعادتها إلى الملاحة العالمية .
- وعليه أن يتوصل مع الحكومة المصرية إلى وضع نظام يكفل حرية الملاحة في القناة لأعلام كل الدول بغير تمييز.
- وتحت تصرفه في نفس الوقت قوات طوارىء دولية تتلقى الاوامر منه ، وهي مسؤولة عن فصل القوات المتحاربة ، وعن التمركز في مواقع تكفل لها المحافظة على السلام .

كانت هذه تكليفات «داج همرشولد »، وكانت بنفسها مطالب الأمم المتحدة واستحقاقاتها – ولم تكن مصر تنازع في هذه المطالب والاستحقاقات، ولكنها كانت تريدها في إطار سيادتها المستقلة لا تتجاوزها، وكان رأى مصر أن تطهير القناة مسؤوليتها، وأن تنظيم الملاحة فيها خاضع لضرورات أمنها، وأن قوة الطوارى، الدولية ليست جيشا فاتحا، وإنما هي تحت ولايتها حتى وإن كانت القوة الدولية ترفع علم الأمم المتحدة.

وهكذا فإنه في الوقت الذي تصور فيه « همرشولد » دوره كمسؤول لحكومة عالمية _ فإن مصر أصرت على حصر دوره في إطار إجراءات تنفيذية لنصوص وروح قرارات الأمم المتحدة .

ولقد استطاعت السياسة المصرية في ذلك _ بمزيج من المرونة والحزم _ ان تتفادى صداما مع سكرتارية الأمم المتحدة كان كفيلا بتعقيد المواقف باكثر مما هي

معقدة بظروفها ، وساعدت على ذلك صداقة بين وزير الخارجية المصرى المقتدر الدكتور « محمود فوزى » وبين سكرتير عام الأمم المتحدة الذكى « داج همرشولد » ولحق ذلك اتساع نطاق الصداقة ليشمل « جمال عبد الناصر » و « همرشولد » أيضا _ إلى جانب أن مصر كانت قد استطاعت حشد عدد كبير من الدول العربية والآسيوية والإفريقية وغير المنحازة الى جانبها ، ووراء تفسيراتها لقرارات الأمم المتحدة .

وصحيح أنه أمكن تفادى الصدام بين تصورات الأمم المتحدة - كما تمثلها سكرتيرها العام - وبين تصورات مصر ، وصحيح أن نوعا من التعاون الودى حل محل امكانية الخلاف - لكن بعضا من المطالب والاستحقاقات المترتبة على دور الأمم المتحدة في التمكين من النصر ظل معلقا لسنوات طويلة .



■ ■ وكان الاتحاد السوفيتي هو الطرف الرابع في التمكين من النصر ـ وبدوره كانت له مطالبه ومستحقاته .

كان الاتحاد السوفيتي قد شهد تغييرات عميقة بعد وفاة « جوزيف ستالين » (١٩٥٣) ، ولقد خلفه « مالنكوف » لفترة قصيرة ، ثم ظهرت على القمة في الكرملين (١٩٥٤) قيادة ثلاثية تضم « فورشيلوف » رئيسا للدولة و « بولجانين » رئيسا للوزراء و « خروشوف » سكرتيرا عاما للحزب الشيوعي . لكن المؤكد أن القوات المسلحة السوفيتية بقيادة المارشال « زوكوف » كانت وراء الكواليس مؤيدة ومساندة للزعامة الجديدة في عهد تزايدت واستحكمت فيه ضرورات السباق الذي اتسعت ميادينه بين القوتين الأعظم فبدأت تمتد إلى أقاصي الأرض ، وتتطلع إلى أبعاد الفضاء .

ومع ظهور القوة الثالثة في « باندونج » ، وبروز حركة التحرر الوطني كدور دولي مؤثر تسعى القوى العظمى إلى اجتذابه والتأثير عليه _ كان الاتحاد السوفيتي يبحث عن فرصة للخروج من العزلة والنفاذ بعيدا وراء حدوده إذا استطاع

وعلى امتداد أرض القوة الثالثة ، فإن مايجرى في الشرق الأوسط كان الأكثر . إنارة والحاحا على الاهتمام ، فإذا ما أضيف إلى ذلك أن الشرق الأوسط هو الجوار المباشر _ على الأرض _ للاتحاد السوفيتي ، كما أنه الجوار المباشر _ عبرالبحر الابيض _ لأوروبا الغربية _ إذن فإن أنظار الاتحاد السوفيتي كان محتما أن تلتفت اليه قبل غيره ، وكان ذلك تقديرا صحيحا في محله وفي وقته تماما .

وفى قلب الشرق الأوسط، فإن الأمة العربية - وفى طليعتها مصر - بدت فى حالة فوران ثورى لاشك فيه ، فهى تشهد تغيرات سياسية وتحولات اجتماعية وتوجهات دولية بالغة الأثر ، وبالغة الأهمية فى نفس الوقت .

وفى اللحظة التى التفت فيها الاتحاد السوفيتى إلى العالم العربى ـ فقد كان الاستعمار التقليدى على وشك أن يطرد من المنطقة ، وكانت السيطرة الأمريكية مارالت عاجزة عن الدخول إليها في أعقابه لإرث تركته ، وكان واضحا أن المنطقة مقبلة ملى تفاعلات عنيفة ـ وبدا أن مصر هي المفتاح الرئيسي لها .

كانت مصر قد تمكنت من ازاحة الاحتلال العسكرى لضفاف قناة السويس ، ثم ولفت امام مخططات الأحلاف الأمريكية ، وعندما جرى إرهابها بواسطة القوة المسلحة الاسرائيلية راحت تبحث عن السلاح حيث تجده ، وعندما قام « جمال عبد الناصر ، بطلب السلاح من الاتحاد السوفيتى كان الرد عنده في ظرف أسابيع .

وانقلبت موازين المنطقة ، وحاولت الولايات المتحدة إعادة « شرائها » بعرض المساعدة في تمويل السد العالى ـ رمز آمال الشعب المصرى ـ لكن محاولة الشراء فشلت لأن « جمال عبد الناصر » كان مصرا على أن تدفع مصر ثمنا ماليا ـ وليس ثمنا سياسيا ـ لبناء السد العالى . وهكذا قام « دالاس » بسحب العرض الأمريكي ، ورد « جمال عبد الناصر » بتاميم قناة السويس . ودار الصراع في المنطقة والعالم سياسيا ، ثم تحول إلى صراع عسكرى بالتواطؤ الثلاثي ، وصمدت مصر وحدها في ساحة القتال ، ووراءها احتشدت كل طاقات الأمة العربية ، وكل تأييد القوة الثالثة ، وكل مناصرة الرأى العام العالمي ممثلا في الأمم المتحدة .

وفى لحظة من اللحظات كانت الأنظار كلها على موسكو تنتظر منهاموقفا _ وليس جرد كلمة _ في هذه الأوقات الحرجة والحاسمة .

وفى يوم النوفمبر ١٩٥٦ _حزم الاتحاد السوفيتي أمره ، واتخذ موقفا بالانذار سوفيتي الشهير .

إن ذلك الإنذار السوفيتي مازال حتى اليوم مثار أبحاث ودراسات مطولة تحاول استقصاء دوأخله الكنه مهما كان من أمر كل هذه الأبحاث والدراسات ، فليس هناك شك لدى أحد أن الإنذار _ في الوقت الذي صدر فيه وفي المناخ العالمي الذي اكتنفه _ أحدث أثرا سياسيا لايقبل الجدل .

- من ناحية فإن هناك من يقول ـ والقول صحيح ـ إنه إزاء مخاطر الأسلحة النووية ، فإن أيا من القوى التي تملكه لاتتجاسر على استعماله إلا دفاعا عن نفسها .
- ومن ناحية أخرى فإن هناك من يقول والقول صحيح إن القوى العظمى في هذا العصر تعتبر أن قوتها الحقيقية هي مهابتها ، فإذا هدد طرف بابعد من حدود استعداده لقبول المخاطر فإن أمره سوف ينكشف كنمر من ورق ، وحينئذ يفقد كل شيء .

وعلى أى حال ، فإن الذى لايستطيع أن ينكره أحد هو أن الإنذار السوفيتي كان ـ وبصرف النظر عن الاحتمالات العسكرية ـ عنصرا سياسيا مؤثرا في معركة السويس .

إن الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » شك على الفور في جدية الإنذار السوفيتي ، وكذلك تشكك في جديته « أنتوني ايدن » رئيس الوزراء البريطاني و « جي موليه » رئيس الوزراء الفرنسي ، وحتى « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل لكن مشكلة الأسلحة النووية أنها قضية لاتحتمل الشكوك . وإزاء الأسلحة النووية ، فإن حالة الشك في حد ذاتها تستوجب الحذر والمراجعة لأن المخاطر المحتملة تفوق كل طاقات الاحتمال .

وربما كان ذلك بالفعل ما حدث .

وربما كان من الحق أن يقال إن « جمال عبد الناصر » نفسه ساورته الشكوك في عزم الاتحاد السوفيتي على استعمال الأسلحة النووية ، بل لقد وصلت به الشكوك إلى حد أنه أثار الموضوع مع الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » في لقاء بينهما بعد سنتين تماما من توجيه الإنذار .(٢)

قال « جمال عبد الناصر » في ذلك اللقاء ، وصباغ قوله في عبارة ودية تستفسر دون أن تستنكر :

- « بالطبع أننا قدرنا موقفكم لكنى لا أخفى عليك أننى يومها ، وبعد أن قرأت مص الإنذار تساطت فيما بينى وبين نفسى : هل يعقل أن يكون الاتحاد السوفيتى مستعدا بالفعل لتوجيه صواريخه النووية ألى لندن وباريس ؟ لقد كان ذلك في ظنى كفيلا بأن يفرض على الرئيس الأمريكي أن يتدخل بأسلحته النووية ضد الاتحاد السوفيتي لأن ساعتها لن يكون الموضوع هو لندن وباريس وحدهما ، وإنما هو الغرب كله معرض للدمار . »

ورد « خروشوف » بـ « انهم كانوا جادين بالفعل (الإنذار ، وإلا لما عامروا بتوجيهه » .

ولعله أحس أن هذا الرد العام لايكفى لإقناع محدثه ، فأضاف بطريقة مامضة :

- « لماذا يتصور بعض الناس أن عقاب بريطانيا وفرنسا على العدوان لابتحقق إلا بضرب لندن وباريس ؟ . . . لقد كانت هنك أهداف أخرى مباشرة للنفيذ العدوان يمكن توجيه ضربة محدودة إليها . »

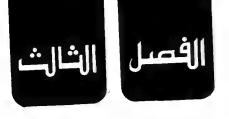
وكان الانطباع الذى أخذه « جمال عبد الناصر » هو أن « خروشوف « يلمح إلى الاتحاد السوفيتي كان ف تخطيطه _ إذا لم تحدث استجابه لانذاره _ أن يوجه صربة إلى أساطيل الغزو.

وبعد المقابلة تساعل «جمال عبد الناصر» والشكوك ما زالت تساوره « هل محكن أن ذلك كان تخطيطهم فعلا ؟ وإذا كان ذلك صحيحا ، فكيف السبيل الى لنفيذه مع العلم أن توجيه ضربة نووية إلى أساطيل الغزو كان من شأنه أن لأر الضربة تأثيرا مباشرا على بورسعيد وما حولها من منطقة القناة ، وفيها وقنها حوالى المليون من المدنيين المصريين ؟ "

وبقيت إجابة السؤال معلقة ، ولعلها لا تزال كذلك حتى الآن _ ومع ذلك فإن الحدا لايساوره شك _ وقتها والآن _ في ان الإنذار ادخل على الأقل عنصر شك غير مقبول في موقف كان بأكمله مستعصيا على القبول .

وربما زاد من الشك أن الاتحاد السوفيتي لم يتوقف عند حد توجيه الإنذار الإم و نوفمبر ١٩٥٦ وإنما أتبع ذلك بخطوات عملية ، ففي يوم ٧ نوفمبر اي الانذار بيومين - قام الاتحاد السوفيتي بتحركات عسكرية دفع فيها باعداد المبرة من القوات البرية والجوية نحو الشرق الاوسط، ووصفت جريدة بيوبورك تايمز ، الصادرة في ٩ نوفمبر هذه التحركات بانها « احدثت فزعا في وروبا الغربية » ...

⁽ ٢) مذكرة عن الاجتماع الخاص الذي عقده « جمال عبد الناصر » مع « نيكيتا خروشوف » في استراحة الزعيم السوفيتي خارج موسكو يوم ٣ مايو سنة ١٩٥٨ محفوظة في ارشيف منشية البكري .



لفـــم في خليج العقبة



بين كل الأطراف الذين شاركوا - بصرف النظر عن الدوافع والأسباب - في منع العدوان الثلاثي من فرض إرادته - كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الطرف الاكثر إلحاحا ، والأبرز حضورا على ساحة الصراع فور سكوت المدافع على جبهات السويس ، وكانت لذلك أسباب بعضها سابق على المعركة وبعضها استجد مع اشتعال مبرانها .

- الولايات المتحدة كانت قد دخلت لأول مرة الى الشرق الأوسط ـ والعالم العربى ـ من الأبواب الواسعة بعد الحرب العالمية الثانية .
- الولايات المتحدة كانت بعد الدخول الأول ، قد استطاعت مزاحمة المصالح البريطانية ـ الفرنسية القديمة في بترول الشرق الأوسط ، والحصول لنفسها على نصيب الأسد فيه !
- الولايات المتحدة أصبحت هي الصديق « الكبير » للأسر والنظم التقليدية في المنطقة ، والتي بدأت تواجه عواصف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية .
- القوى الوطنية الجديدة في العالم العربي لم تكن بعد قد تعاملت مباشرة مع الولايات المتحدة . وفي صراع هذه القوى ضد الإمبراطوريات التقليدية المسيطرة _ فإنها ظنت أن الولايات المتحدة قد تكون عونا لها ضد

ولم تمض أيام حتى أصدر رئيس الوزراء السوفيتى « بولجانين » بيانا فال مبه لنص : « إن الاتحاد السوفيتى يستطيع الاستيلاء على أوروبا الغربية كلها ون حاجة الى استخدام صواريخ أو قنابل ذرية » ، ثم اقترح مشروعا للسيطرة للى الاسلحة النووية من ست نقاط ختمه بقوله : « إن العالم كله أمام خيار أن قبل المشروع السوفيتى ، أو يواجه حربا عالمية ثالثة لم تشهد البشرية مثيلا ن قبل لأهوالها وفظاعتها »!

وهكذا فإنه حتى بعنصر الشك النووى وحده أصبح الاتحاد السوفيتى لم لمنع العدوان من فرض إرادته ، وبحكم أنه أصبح طرفا ، فقد كانت له الطبع مطالبة واستحقاقاته ـ وهكذا ، فلقد كان السؤال الأكثر غموضا بعد

السويس هو: ـ « ما هي مطالب الاتحاد السوفيتي واستحقاقاته ؟ وكيف بالضبط؟! »

■ وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الطرف الخامس

الاستعمار ، وكان هذا الظن يصدر احيانا عن حسن نية تبرىء الولايات المتحدة وطن الثورة العظيمة ضد الاستعمار من تهمة ممارسته ـ واحيانا اخرى كان يصدر عن فهم يرى أمامه إمبراطورية تحاول إرث إمبراطورية ومع ذلك فلم يكن يرى بأسا من استغلال تناقضات يحقق بها هدفا حالا ، وإن كان يعرف أنه سوف يواجه بعدها تعقيدات مؤجلة .

إلى جانب هذه العوامل - ونتيجة لكثير منها - فإن الولايات المتحدة كانت هى الطرف الدولى الأقدر على الحركة في تلك الظروف على ساحة المنطقة ، فبريطانيا وفرنسا في الحضيض بعد هزيمتهما في المعركة ، والاتحاد السوفيتي وافد جديد على الساحة العربية ، وبرغم كل ما حاول تقديمه لحركة التحرر العربي - ابتداء من مواقفه في الأمم المتحدة ، إلى صفقة السلاح مع مصر ، إلى إنذار السويس - فإن كتلا اجتماعية وسياسية كبيرة في العالم العربي كانت تنظر إليه بريبة ، بل وتناصبه العداء ولا تمانع من أن تجعل من أوطانها قواعد لحصاره في الحرب الباردة - وحتى الساخنة .

وعندما أضيف الى ذلك كله موقف الولايات المتحدة الظاهر من العدوان على مصر، والذى بدا أنه على حد قول « ايزنهاور » " يضع المبادىء قبل الأصدقاء » – إذن فإن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت فور وقف إطلاق النار " اللاعب الدولى الرئيسي " في الساحة – بل إن الرئيس الأمريكي " دوايت ايزنهاور » تملكه الاعتقاد بأنه « مهندس الأزمة » – فهو أمام منطقة حيوية تفككت مفاصلها ، وليس هناك غيره الآن يتولى إعادة تركيبها على النحو الذي يلائم المصالح الأمريكية .

ولم يكن هناك سر في اهداف " ايزنهاور " ، فمنذ امتنعت مصر عن دخول الحلاف الغرب العسكرية ، ومنذ رفضت عقد صلح مع إسرائيل ، ومنذ بدأت تشترى السلاح من الاتحاد السوفيتي ، ومنذ اعتذرت عن مقايضة بناء السد العالى بحريتها في الحركة السياسية ، ومنذ أممت شركة قناة السويس ـ كانت اهداف « ايزنهاور " بمنتهى الوضوح والدقة ، وكما تظهرها يومياته (١) المكتوبة بخطه في خزائن مكتبته ب « آبيلين » ـ ولاية كنساس ـ محددة على النحو

١ - إخراج الاتحاد السوفيتي من المنطقة قبل أن يتمكن من تثبيت مكانته ونفوذه فيها.

ا ـ انتزاع الملك «سعود» ملك المملكة السعودية من العلاقة مع «جمال عبد الناصر»، وكان « ايزنهاور » يعتقد أن التعاون بين الثروة السعودية ، والثورة المصرية في مقاومة حلف بغداد ـ يعطى للحركة القومية في العالم العربي تأثيرا فعالا وقويا . وكان « ايزنهاور » يدرك أن عداء الملك « سعود » لحلف بغداد وتعاونه في هذا المجال مع «جمال عبد الناصر » ـ يرجع أساسا الى التناقض بين الأسرة السعودية الحاكمة في الرياض ، والأسرة الهاشمية الحاكمة في بغداد _ وعلى هذا الأساس فقد بدا له أنه يستطيع إقناع السعوديين بأن التناقض الاجتماعي بين الثروة والثورة اخطر وأعمق من العداء القبلي القديم .

الفصل بين القاهرة ودمشق ، ذلك أن دمشق بحكم دورها في القلب من الحركة العربية كانت تشكل مع القاهرة محورا له جاذبية خاصة ، ولم يجد ايزنهاور » ولا كل مستشاريه وسيلة لتحجيم دور دمشق - والتأثير بالتالى على القاهرة - غير وسيلة الانقلاب « وبالفعل فإنه في الشهور الأخيرة من سنة ١٩٥٠ كانت هناك أكثر من جهة تتسابق على تدبير انقلاب عسكرى في دمشق : وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تدبر ، وحكومة « نورى السعيد » في العراق تشارك ، وتركيا تشجع » وعناصر أخرى أقل شأنا - وإن لم تكن أقل تصميما - تتسلل ولعلها لم تكن مصادفة أن أخطر محاولات الانقلاب من الداخل في سوريا - ولعلها لم تكن مصادفة أن أخطر محاولات الانقلاب من الداخل في سوريا وهي المحاولة التي تزعمها سياسي سورى معروف في ذلك الوقت وهو السيد وهي الميان » - جرى الترتيب لوقوعها يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥١ متوافقة مع بداية الهجوم الإسرائيلي في سيناء كبداية لتنفيذ خطة فتح الباب للغزو البريطاني - الفرنسي !

٣ - تصفية مركز « جمال عبد الناصر » عن طريق العزل السياسي ، وعن

٢ - تعزيز المصالح الأمريكية الاقتصادية والعسكرية بكل الوسائل ، وفي مقدمتها دعم مراكز الولاء التقليدي للغرب على الأرض العربية .
 ٣ - حصار المراكز الثورية الجديدة في العالم العربي وإسقاطها .
 وبالنسبة لهذا الهدف الأخير - فإن « ايزنهاور » - ومن قبل معركة السويس كان قد حدد طرق الاقتراب منه بثلاث وسائل محددة :(٢)

⁽ ٢) رجاء مراجعة الوثلاق في ملحق كتاب ملقات السويس صفحة ٧٦ه و ٧٧٠ .

⁽١) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس صفحات ٢٥٩ و ٥٠٤ و ٧٧٥ .

طريق الحصار الاقتصادى ، وعن طريق القتل إذا اصبح اللي لازما و وقت من الأوقات .

وفي المحصلة النهائية ، فإنه يمكن أن يقال إن خلاف الولايات المتحدة مع حلفائها الغربيين ـ بريطانيا وفرنسا ـ وبعدهم إسرائيل ، لم يكن خلافا حول الهدف ، وإنما كان الخلاف حول الوسائل .

وبالطبع فإن السياسة الأمريكية لاتقبل أن يتصرف الآخرون بدون إذنها ، كما أنها كانت تريد الوسائل في يدها ، وليس في يد غيرها حتى تجيء النتائج منطقيا لحسابها ، وليس لطرف آخر غيرها ، وبدعوى أنها الآن مركز القيادة الذي لاينازع في مطالب الغرب الرامية الى السيطرة على الشرق الأوسط بما فيه العالم العربي .

إن الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية ف هذه الفترة تلقى أضواء تكفى وحدها لإظهار وإثبات نوايا السياسة الأمريكية ومقاصدها في هذه الفترة ، ومن ثم قد يصبح مناسبا عرض بعض هذه الوثائق التي يحتويها الملف ".F." الخاص

مناك وثيقة تدعو الى الاستغراب يجتويها الملف ، وهى فى الواقع تقرير عن حديث خاص دار على العشاء بين وزير الخارجية الأمريكى = جون فوستر دالاس » وبين الصحفى الأمريكى الأشهر « جيمس رستون » رئيس القسم الخارجى في جريدة « نيويورك تايمز » ، وكان « رستون » موضع ثقة « دالاس » _ الذى كان حريصا على أن يضعه فى الصورة باستمرار .

حريب كى ...
ولاتشير الوثيقة على وجه التحديد إلى الطريقة التى وصل بها هذا التقرير الى
يد الخارجية البريطانية ، لكنه يحمل تأشيرة مكتوبة من الوكيل الدائم للخارجية
السير « ايفون كيركباتريك » ترجو من رئيس الوزراء « أنتونى ايدن » ووزير الخارجية
« سلوين لويد » أن يقرأه بعناية .

والحقيقة أن التقرير يستحق القراءة باهتمام ، فهو لايتعرض فقط لملابسات معركة سنة ١٩٥٦ ، وإنما يحترى على إشارات يمكن فهمها أكثر على ضوء ما حدث فيما بعد في معركة سنة ١٩٦٧ ـ فضلا عن أنه إطلالة دقيقة على التفكير الأمريكي في

يبدأ التقرير كما يلى بالنص :(٣)

ء خاص رأى مستر دالاس في التحرك الانجليزي الفرنسي .

وقد ابداه في عشاء خاص مساء يوم الثلاثاء ١٩٥٦/١٠/٣٠ مع جيمس رستون المحرر بجريدة نيويورك تايمز . والعبارات الموضوعة بين قوسين هي كلمات دالاس بنصها كما سجلها رستون اما الباقي فبعبارة رستون القريبة من النص . وكانت الملاحظات الإصلية اكثر ارتباطا بتسلسل الحوار واكثر طولا وتحوى تكرارا . وقد اعيد تنظيم هذا المستخلص تحت رؤوس الموضوعات التي تعرض لها دالاس .

■ القول بسوء النية:

ا - قال دالاس إنه استمر طوال ثلاثة اشهر يحاول إقناع البريطانيين والفرنسيين بعدم استخدام القوة . وانه عندما كان يقابل لويد وبينو شخصيا كما حدث في اجتماع الأمم المتحدة ، كانا يبديان اقتناعهما ، ولكن الأمور تتغير بمجرد عودة كل منهما إلى عاصمته .

(من المؤسف أن هناك بعض العناصر في مجلس الوزراء البريطاني ممن يتعاطفون معنا تماما أيدوا استخدام القوة على طول الخط) .

٢ ـ خلال الاسابيع القليلة الاخيرة كان هناك « تعتيم كامل ، على ذلك النوع من المعلومات التى اعتاد البريطانيون والفرنسيون تزويد حلفائهم الامريكيين بها .

وقال دالاس: (لقد ارسلت برقيات في الأسبوع الماضي إلى السفيرين في لندن وباريس لمحاولة اختراق هذا التعتيم، ولكنهما لم يحصلا إلا على معلومات قليلة، وحتى ما حصلا عليه كان مضللا تماما. وحتى اللحظة الأخيرة مباشرة اعطتنا بريطانيا وفرنسا انطباعا بانهما سوف يلتقيان بفوزي(٤) في جنيف).

■ القول بالتواطؤ مع إسرائيل:

١ ـ استشبهد دالاس بما يلي :

(1) (الاستبعاد المفاجىء للملحق العسكرى الأمريكي في القدس من جانب زميليه البريطاني والفرنسي في يوم السبت ، وهو اليوم الذي تمت فيه التعبئة العامة في إسرائيل بينما هم في العادة يعملون في تعاون وثيق للغاية معنا .

(ب) الإشارة إلى السويس في البيان الإسرائيلي الأول رغم أن ذلك لايتصل في شيء بتدمير قواعد الفدائيين المصريين ، وهو العذر الذي أعلنته إسرائيل لهجومها على مصر .

⁽٣) ترجمة الوثيقة قام بها مركز الأهرام للترجمة والنشر.

^{[1)} الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرية ، وكان همرشولد قد اقترح ... اجتماع بحضوره [المقر الأوروبي للأمم المتحدة يشارك فيه وزير خارجية مصر ، ووزير الخارجية البريطاني ، ووزير الخارجية الفرنسي لواصلة بحث الموقف ، وتحدد لهذا الاجتماع مبدئيا يرم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ .

٢ - قال دالاس إن الهدف الحقيقي لإسرائيل كان الاستيلاء على جزء من اراضي الاردن^(٥). (وقد اقنعهم البريطانيون بالا يفعلوا ذلك في هذه المرحلة وان يستعيضوا عنه ب. . .) - وقطع دالاس كلامه ثم مضي قائلا (وعندئذ هاجم الإسرائيليون ، وقاموا بهجوم مخادع في اتجاه القناة ، وكان ذلك لإعطاء بريطانيا وفرنسا ذريعة للتدخل).

T = 0وربما تكون اهداف إسرائيل الأساسية (تقطيع اوصال الأردن وحصول السرائيل على الأجزاء التي تريدها منه $T^{(1)}$.

1 - يتوقع دالاس أن القوات الإسرائيلية لن تلبث أن تنسحب من مصر (فقد ذهبت الى السويس للتمويه ، وبمجرد أن تدخل القوات البريطانية والفرنسية ستخرج السرائيل) .

دالاس والإندار:

1 – (إن الإنذار البريطانى الفرنسى لمصر واحد من أقسى الإنذارات التى قدمت في أى - (إن الإنذار البريطانى الفرنسى لمصر واحد من أقسى الإنذار التي فوق أراضى مصر) زمان ، لانه حتى إذا قبلت شروطه ، فستبقى القوات الإسرائيلية فوق أراضى مصر 7 – ولم تكتف بريطانيا وفرنسا بتوجيه الإنذار بدون التشاور مع الولايات المتحدة ، بل إنهما حاولتا في يومى الاثنين والثلاثاء 7 ان ثقنعا الولايات المتحدة بتاجيل تقديم مشروع قرارها بوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل الى الأمم المتحدة بدون أدنى إشارة إلى دوافعهما في ذلك .

دالاس وعبد الناصر:

ا - (إن سياسة عبد الناصر كفيلة بأن تهزم نفسها بنفسها ، فهو وطنى طائش مفتوح العينين بجراة وحشية ، وإنا اكرهه ، ولكننا لسنا بحاجة إلى دحره بهذه الطريقة ، ومن الأفضل أن يتصدى له جيرانه ، وقد شرعت إيران بالفعل في مواجهته ، واخذ السعوديون في التحول عنه ، وسلطان المغرب يتنافس معه على قيادة العالم العربي ، وليبيا لا ترتاح إليه ، وهناك إمكانية لإقامة تحالف بين الاردن والعراق لمعارضته) .

٢ - إن الولايات المتحدة تريد أن تكسر عبد الناصر تماما كما تريد ذلك بريطانيا وفرنسا ، ولو استمر الضغط الاقتصادى والسياسي لمدة سنة لأودى به لكن البريطانيين والفرنسيين كانوا حريصين على الخلاص منه تماما (قبل الكريسماس) .

(٧) الالنين والللالاء ٢٩ و ٣٠ اعتوبر.

٣ - كانت الولايات المتحدة على استعداد للنظر في مقاطعة القناة . وكذلك كان الفرنسيون ، لكن البريطانيين لم يقبلوا ذلك لانه سيكلفهم ١٠٠ دولار في مقابل كل دولار يخسره عبد الناصر .

■ دالاس والنتائج العامة للعملية:

۱ - إنها ماساة كبرى ، انه في الوقت الذي انكشف فيه الاستعمار والامبريالية الروسية في هنجاريا - يتصرف الإنجليز والفرنسيون مرة اخرى بمنطق استعمارى وامبريالى سافر .

٢ - إن الإنجليز والفرنسيين عليهم ان يفهموا انهم لايستطيعون ان يكونوا قوة
 عظمى إلا إذا كانت لديهم الوسائل الكافية لفرض سيطرتهم.

٣ - إن الأزمة سوف تؤثر على حلف الإطلنطى ، ولم يعد في وسعنا الأن ان نعتمد
 اعتمادا كبيرا على قوة اوروبا الغزبية .

٤ ـ قال دالاس إنه يتوقع أن تتعرض خطوط الانابيب للتخريب ، ويتوقع نتيجة لذلك حدوث ضغط شديد على الفرنك والاسترليني ، فهم يقامرون بكل شيء على تصور بقاء قناة السويس مفتوحة رغم الحرب ، وعلى استمرار تدفق البترول في خطوط الانابيب عبر البحر المتوسط ، وهذه مقامرة يائسة ، وإذا اخفقت فلست ارى وسيلة لإنقاذهم .

🗖 رای ایزنهاور:

ا - إن ايزنهاور ابدى رايه لإيدن وموليه (بقوة وشدة لايتصورهما احد). فهو كرجل عسكرى يعتقد انه ليس من المستطاع من الناحية العملية الاستيلاء على القناة بدون الاستيلاء ايضا على القاهرة والإسكندرية، وفي اعتقاده ان البريطانيين توصلوا الى هذا الاستنتاج قبل جلائهم عن قاعدة قناة السويس، فهم لايملكون القوات الكافية لتامين هذا الهدف إزاء عناد المصريين، وهو لايستطيع ان يفهم كيف يريدون ان يعودوا، ويضعوا انفسهم في نفس الموقف بعد ان خرجوا لنفس

■ • تجىء بعد ذلك في نفس الملف "J.E." _ من الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية _ وثيقة ثانية تتحدث عن مرحلة تالية من الصراع .

ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية _ فور إعلان وقف إطلاق النار على جبهات السويس _ تحركت بسرعة لضرب الحديد وهو ساخن ، فحاولت ترميم الجسور مع ملفائها الذين تآمروا على غزو مصر من وراء ظهرها ، ثم راحت تحاول تأمين بعض مصالحهم من منطق إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

^(*) يرجى ملاحظة هذه الاشارة المبكرة الى نوايا إسرائيل تجاه غزو وضم اجزاء من الاردن باعتبار أن ذلك هدفا

وبدأت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تحاول استغلال ضباب الرؤية لناشىء عن دخان المعارك لكى « تخطف الحلفائها بعض مايعوضهم عن الكارثة التى طت بهم : جربت أن تعطيهم دورا في تطهير قناة السويس ، ودورا في إدارتها لمستقبلية .

وكانت مصر متنبهة تماما برغم سخونة الموقف وضباب القتال ودخانه .

وفي هذا المناخ التقى وزير الخارجية البريطانى «سلوين لويد » مع وزير الخارجية الأمريكية «جون فوستر دالاس » في باريس ، ودار بينهما حوار ترويه هذه الوثيقة الثانية ، وهي على شكل تقرير عن هذا اللقاء في باريس كتبه «سلوين لويد «لمجلس الوزراء البريطاني .(^)

وكانت بعض الفقرات فيه لافتة للنظر وبينها:

- قال وزير الخارجية البريطانى سلوين لويد إنه يشعر بالقلق لأن « الحكومة البريطانية لم تتلق أية تأكيدات بشأن القضايا التى تهمها لأن الحكومة المصرية رفضت مشاركة المعدات البريطانية الفرنسية في تطهير القناة ، كما رفضت مناقشة أى أمر يتعلق بمستقبل إدارة قناة السويس » .
- قال وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس: « إن رد فعلنا تجاه غزو مصر لم يكن راجعا الى أي حب للمصريين إلا أن الولايات المتحدة لم تكن ترى كيف كان يمكن للنظام العالمي أن يستقر لو أنها أغمضت عينها ».
- قال وزير الخارجية البريطانى: « إن إرغامنا على الانسحاب ضيع من أيدينا كل الأوراق التى كان يمكن استعمالها في الضغط على مصر لتحقيق حد أدنى من
- قال وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس: «ليس دقيقا أننا أرغمناكم على الإنسحاب من مصر. لقد ترتب كثير من النتائج السيئة على تصرفات بريطانيا وفرنسا، ومن المحتمل أن تعالج الأمور على نحو افضل بعد الإنسحاب ... وأضاف دالاس: «إنه ليس من سياسة الولايات المتحدة استرضاء عبد الناصر أو التودد إلى العرب، وهي بالتأكيد لا تثق بحكومة مصر، وهي مستعدة للضغط على عبد الناصر لتسوية بعض المشاكل، وقد يكون لحكومة الولايات المتحدة قدر من التأثير على عبد الناصر في الوقت يكون لحكومة الولايات المتحدة قدر من التأثير على عبد الناصر في الوقت الحاضر، ولكن هذا التأثير سوف يتناقص لأن عبد الناصر سوف يلمس بنفسه

ان دافع الولايات المتحدة إلى الوقوف ضد التدخل البريطاني ـ الفرنسي ـ الإسرائيلي لم يكن صادرا عن حبها له ، وأن الحكومة الأمريكية على أي حال ستمارس اقصى ضغط ممكن على عبد الناصر خلال الأيام القليلة القادمة » .



كان التفكير الأمريكي تجاه بريطانيا وفرنسا واضحا.

إن لندن وباريس تصرفتا من وراء ظهر واشنطن ـ بادعاء أنهما من القوى العظمى ـ ولقد تخلت عنهما ، وكلاهما كان عليه أن يفهم الدرس .

ولقد كانت الولايات المتحدة تريد أن ترث دورهما الإمبراطورى في الشرق الاوسط بما فيه مصالحهما البترولية وقد تحقق ذلك بحماقتهما قبل أي عامل أحر ولم يكن لدى الولايات المتحدة دموع كثيرة تذرفها على الشموس الغاربة.

وربما كان فى مقدور الولايات المتحدة أن تساعدهما _ بقصد الحفاظ على حلف الاطلنطى فى أوروبا _ لكن هناك حدودا لهذه المساعدة . الولايات المتحدة سوف نحاول _ وقد حاولت _ لكنها لن تدخل فى صدام مع العرب ، لكى تحصل لبريطانيا وهرنسا على بعض الحطام من بقايا معركة السويس .

أما التفكير الأمريكي من الشريك الثالث في العدوان وهو إسرائيل، فقد كان الكثر تعقيدا!

كان مبعث التعقيد فيه يعود إلى عدة اعتبارات:

- ١ التعاطف الأمريكي العام مع إسرائيل لاسباب تاريخية وسياسية ونفسية متعددة .
- ٢ النفوذ الواصل للعناصر اليهودية والصهيونية في المجتمع الأمريكي ،
 وسيطرة هذه العناصر على بعض المراكز الحاكمة كمراكز الإعلام والمال
 والفنون .

⁽ ٨) النص الرسمى لحضر الاجتماع منشور بكامله في الملحق الوثلاقي لهذا الكتاب برقم (١)

٣ - التعهدات الرسمية الأمريكية لإسرائيل ابتداء من اعتراف الرئيس «هارى ترومان » بها قبل دقائق من إعلان قيامها رسميا كدولة فى منتصف شهر مايو ١٩٤٨ - إلى تعهد الرئيس الذى خلفه وهو «دوايت ايرنهاور» بضمان أمنها . ولم يكن ممكنا على الأمد الطويل ضمان الأمن الإسرائيلي وصيانته إلا بالتوصل الى صلح بين العرب وإسرائيل « ببشارة » تحقيق السلام في الأرض المقدسة ، أو بفرض هذا الصلح قسرا بدون الحاجة إلى « بشائر » إذا واصل العرب ، وعلى رأسهم مصر ، عنادهم ورفضوا الاعتراف بالدولة الصهيونية .

يضاف إلى ذلك عنصر تمتد ضروراته الى أوسع من حجم إسرائيل ، ذلك أنه إذا كان " ايزنهاور " يحلم بتنظيم حلف عسكرى فى الشرق الأوسط يستكمل حصار الاتحاد السوفيتى - فإن هذا الحلم لم يكن يستطيع حتى من الناحية العملية أن يستغنى عن إسرائيل . فإذا كان الاستغناء عن إسرائيل مستحيلا من الناحية العملية إذن فإن الصلح بين العرب وإسرائيل ضرورى ، فلا يعقل أن يقوم تنظيم دفاعى باشتراك أطراف متحاربة مع بعضها .

وكان الرئيس « ايزنهاور » في السنة الأولى لرئاسته للولايات المتحدة قد اصدر توجيها رئاسيا بإنشاء مجموعة عمل تابعة لمجلس الأمن القومى أطلق عليها الاسم الرمزى « مجموعة ألفا » عهد برئاستها الى المستر « فرانسيس راسل » ، وكلفها بمهمة « إنشاء سياسات واتخاذ خطوات تنفيذية تؤدى إلى تحقيق الصلح بين العرب وإسرائيل » .

وفى ملابسات السويس سنة ١٩٥٦ كان التفكير الأمريكي فى حالة سيولة تبحث عن أشكال للمستقبل لم تتحدد بعد معالمها .

بالنسبة لبريطانيا وفرنسا كانت المسائل محددة _ بمطالب الإرث الإمبراطورى .

وبالنسبة لإسرائيل لم تكن كذلك _ فإلى جانب كل الاعتبارات الخاصة في العلاقات بين واشنطن وتل أبيب ، فإن « السويس » طرحت ظواهر تستحق التأمل والدرس ، أهمها أن = إسرائيل تستطيع أن تقوم في المنطقة بدور عند

إن بريطانيا وفرنسا اكتشفتا هذا « الدور » مبكرا ، ولعله كان في التفكير البريطاني منذ زمن بعيد ، وأما الولايات المتحدة فإنها لم تلتفت إليه بالقدر الكافي ، وإن كان هناك بعض من تنبهوا قبل غيرهم ، وكان بينهم على سبيل المثال الكولونيل

• ى . ب . ارشيبالد = الملحق العسكرى الأمريكى الذى سافر بطائرة خاصة إلى اسرائيل فور قيام الدولة واعتراف « ترومان » بها .

إن الكولونيل « ارشيبالد » كتب في تقرير رسمى له مودع في مركز الوثائق القومى الأمريكي بولاية « ماريلاند » ومؤرخ في أول نوفمبر ١٩٤٨ ـ يقول :

ا إن إسرائيل بلد صغير ، ولكن له امكانيات عسكرية كبيرة ، واعتقادى .ن إسرائيل هى الجواد الذى يجب أن نراهن عليه مستقبلا لأن الظروف سوف تضعنا باستمرار في حالة قلق مع العرب » .

وفى ملابسات « السويس » سنة ١٩٥٦ كانت امكانيات إسرائيل العسكرية موضع اهتمام أكبر من مستوى ملحق عسكرى أمريكى فى سفارة تل أبيب سنة ١٩٤٨ ـ فهذه المرة كان الاهتمام على مستوى رئاسة هيئة أركان الحرب المشتركة الموات الأمريكية المسلحة .

كان « ايزنهاور » عسكريا بتجربته كلها قبل دخول البيت الأبيض ، وفي أوقات الأزمات فإن أقرب المعلومات والتقديرات إلى عقله كانت تلك الصادرة عن جهات عرفها من قبل واختبرها ، ثم إنها تجيئه بلغة يألفها ويفهمها . وفي أول نوفمبر ١٩٥٦ كان امام " ايزنهاور " على مكتبه في البيت الأبيض تقرير كتبه الأميرال " أرثر رادفورد " رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية ، وكان التقرير يتحدث عن حالة الحيش الإسرائيلي بعد الحجم الهائل من التسليح الذي أغدقته عليه فرنسا وبريطانيا استعدادا لمعركة السويس . وجاء في الصفحة الثانية من هذا التقرير ما يلي بالنص :

« وتقرر لجنة المعلومات والتقديرات الخاصة ان جيش الدفاع الإسرائيلي لديه الوسائل، كما انه يمتلك المقدرة، على تحقيق الإغراض التالية:

- (1) احتلال الضفة الغربية للأردن .
- (ب) اختراق الحدود السورية إلى درجة تهدد العاصمة دمشق.
- (جـ) اختراق الحدود المصرية والنفاذ الى عمق سيناء ، والبقاء فيها ألى فترة تعتمد بالدرجة الأولى على تأمين وسائل المواصلات والإمداد .
- (د) فك قبضة الحصار المصرى على خليج العقبة وفتح الطريق الى إيلات . (هـ) الاحتفاظ بالسيطرة الجوية على ارض معركة في مواجهة القوات المصرية التي لم تتح لها الفرصة لاستيعاب سلاحها السوفيتي الجديد .
- (و) القيام بعدد من هذه العمليات في وقت واحد حتى في مواجهة تنسيق عربي

كان تقرير الأميرال « رادفورد » مثيرا لاهتمام الجنرال « ايزنهاور » ـ ربما بأكثر من أي شيء وضع على مكتبه في تلك الفترة . والأفكار ما زالت تروح به وتجيء .

□ هو مضطر من ناحية الى أن يطلب من إسرائيل أن تنسحب من الأراضى التى احتلتها نتيجة للتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا ، فما دامت هذه هى القاعدة التى تنطبق على الإمبراطوريتين ـ فليس مقبولا تطبيق غيرها على الشريك الثالث الصغير وهو إسرائيل .

هناك أيضا « اعتباراته » إزاء الأسر الحاكمة المعتدلة في العالم العربي وهو يريد استمالتها .

□ من ناحية أخرى ، فإن " الدور » المحتمل لإسرائيل ظاهر ، وقد وضع للاختبار العملى في " السويس » ، لكن البريطانيين والفرنسيين لم يحسنوا استعماله ، أو هم استعملوه في الوقت الخطأ بالطريقة الخطأ ، ومع ذلك فإن الممارسة الخاطئة ليس من شأنها أن تسقط امكانية القوة المتاحة في حد ذاتها خصوصا مع كل ما توافر لإسرائيل " وأصبح في يدها فعلا دون أن تتكلف الولايات المتحدة من أمره ثمنا مادياً فادحا على خزائنها ، أو ثمنا معنويا مكلفا أمام أصدقائها العرب .

اتصالا بذلك ، فإن الدور الإسرائيلي بدا حيويا عندما راحت القواعد العسكرية للغرب في المنطقة تتعرض للعواصف بعد السويس ، فقد ذابت القاعدة الراسخة على ضفتى القناة ، وأصبحت قاعدة « الزرقاء » في الأردن مهددة ، وقاعدة « الحبانية » في العراق يلفها ضباب .

ونتيجة لتضارب الأفكار في هذه المرحلة _ تضاربت تصرفات .

فغى يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٦ كان المندوب الأمريكى الدائم في مقر الأمم المتحدة بنيويورك يزار في الجمعية العامة بمطلب الإصرار على انسحاب قوات الدول الثلاث المعتدية ، مسايرا في ذلك اتجاها كاسحا في الجمعية العامة تتصدره مجموعة الدول الآسيوية الإفريقية .

وفي اليوم التالى مباشرة وصل إلى تل أبيب السناتور الأمريكي الشهير = جاكوب جافيتس = يحمل رسالة شخصية من « ايزنهاور » إلى « بن جوريون = رئيس ونداء إسرائيل جاء فيها _ كما يذكر التقرير رقم ٢٧٦ / ٢٧٣ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية _ ما نصه : « إن الرئيس ايزنهاور لا يتعجل انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في سيناء وقطاع غزة ، والعودة الى ما وراء حدودها = .

ولم يكن ذلك تضاربا في القرارات بقدر ما كان حالة سيولة في الأفكار ، افكار ، المار تروح وتجيء ، لم يستقر لها بعد قرار .

كان لابد للمستقبل أن يتخذ اشكالا تلائم نفسها مع الحقائق والصرورات المستجدة ، فالعمل السياسى بين مهامه أن يجعل الخطوط المتوازية تتقاطع ، أو منلاقى عند نقطة معينة ، وبدا أن هذه النقطة تقترب مع منتصف شهر نوفمبر ١٩٥٦ وتستعد لتتخذ مكانها على الخريطة السياسية للمنطقة . ومثل أى نقطة على خريطة ، فقد كانت ملتقى خطين ، بالطول وبالعرض .

● الخط الأول: كيف يمكن مع ضرورة انسحاب إسرائيل شانها شان عبرها من أطراف العدوان الثلاثي أن تنسحب ثم لا تعتبر مهزومة في نفس الوقت مثلهم ؟

● والخط الثانى: كيف مع ضرورات انسحاب اطراف العدوان الثلاثى مميعا الله تعتبر مصر منتصرة خصوصا إزاء إسرائيل؟

وبدأت الخطوط المتقاطعة على الخريطة السياسية للمنطقة تقترب يوما معد يوم من نقطة التقائها ، ومن ثم بدأت الخطوط توحى بالخطط دون أن يعنى دلك بالضرورة أنها مؤامرة تم تدبيرها وإبرام تفاصيلها بليل ثم بدأ التنفيذ .

إن التاريخ يعرف المؤامرة لكنه من الصعب تحكيم المؤامرة دائما في تفسير ولهائم التاريخ ، والذي يحدث في العادة دون حاجة الى ترتيبات خفية في الظلام هو أن النفاء طرفين أو أكثر على أهداف محددة يخلق اتجاهات متوافقة فيما بينهما تؤدى الى انفاق ، وأحيانا فإن أجواء الاتفاق في النهاية قد تصل الى أبعد من نوايا الأطراف في بداينه ، فالحركة الذاتية للمصالح المتوافقة قادرة على أن تحقق من أسباب التعاون والعمل المشترك ما يفوق أي خطط مسبقة مكتوبة على الورق ، أو ممهورة بأختام النوثيق

والأرجح أن هذا ما حدث في العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لل تلك الفترة القلقة من نهاية سنة ١٩٥٦ وحين وضعت النطف الجنينية لكثير مما لخلق وتكون فيما بعد سنة ١٩٦٧.



ولعل الوثائق السرية للحكومة الإسرائيلية أن تكون أفضل المصادر جميعا لبيان الطريقة التي تقاطعت فيها الخطوط المتوازية والتقت في تلك الظروف ، ومن حسن الحظ أن هذه الوثائق السرية أتيحت كاملة لرجل واحد هو البروفيسور « مايكل بريشر » الذي كتب تقريرا ضافيا عن عملية صنع القرار الاستراتيجي والسياسي في إسرائيل ، وكان « دافيد بن جوريون » بنفسه هو الذي وضع هذه الوثائق السرية تصرف البروفيسور « بريشر » .

وتروى الوثائق السرية الإسرائيلية قصتها كاملة على النحو التالى:

■ في ١١ نوفمبر (بعد اسبوع تقريبا من إعلان وقف إطلاق النار على جبهات السويس) كتب السفير الإسرائيلي في واشنطن • آبا ايبان » ـ تقريرا الى رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون • قال فيه :

« علمت أن « كابوت لودج = (المندوب الأمريكي الدائم في الأمم المتحدة) لم يكف طوال هذا الأسبوع عن إبداء ضيقه لوزير الخارجية « دالاس = بشأن خطابكم أمام الكنيست يوم = نوفمبر = ومن رأى = لودج = أن هذا الخطاب جاء مستفزا لكل الدول الأسبوية والإفريقية التي استغلت ما جاء فيه لإظهار إسرائيل بصورة عدوانية= =

وقد كان الرأى السائد في وزارة الخارجية هو أن إسرائيل لايحق لها أن تسىء الى نفسها بإظهار التشدد ، والمطالبة بالحدود القصوى التي يصعب تنفيذها إزاء إصرار الاغلبية الساحقة في الأمم المتحدة » .

■ وفي ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ كتبت وزيرة الخارجية الإسرائيلية ■ جولدا مائير » التي كانت تشرف بنفسها على إدارة الجهد الإسرائيلي الدبلوماسي في الأمم المتحدة تقريرا إلى رئيس الوزراء تقول له فيه :

« جاء وكيل وزارة الخارجية الأمريكية « روبرت مورقى » للقائى ، وكان معى سفيرنا في واشنطن « آبا ايبان » . وقد أبدى لنا « مورفى » وجهة نظر مؤداها أننا نستطيع الحصول على المطالب الحيوية لامننا إذا نحن قصرنا طلباتنا على نزع سلاح

(٩] كان دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل قد قال في خطابه أمام الكنيست إن أهداف إسرائيل الثلاثة من معركة سيناء قد تحققت بالكامل : (١) تدمير القوات المسلحة المصرية (٢) تحرير سيناء التي هي جزء من الوطن اليهودي (٣) وفرض حرية الملاحة في خليج سليمان (العقبة) وفي قناة السويس

سيناء ، وفي مقابل ذلك فإن الولايات المتحدة سوف تكون على استعداد لان تقدم لنا الضمانات الكافية لعدم عودة الظروف إلى ما كانت عليه قبل القتال ، وبما يفيد صراحة أن خليج العقبة سوف يفتح أمام الملاحة الإسرائيلية .

ومن رأى = مورق = أن بقاء قوات جيش الدفاع في المواقع الحالية أمر يصعب قبوله في الأمم المتحدة ، لكن انسحابا إسرائيليا من سيناء لا ينبغى أن يعنى عودة القوات المصرية إليها = .

وفي الأيام القليلة التالية توالت برقيات « جولدا مائير » و « آبا ايبان = على = بن جوريون = تحمل إليه انطباعات وزيرة الخارجية ، والسفير في واشنطن نتيجة لقاءات بينهما ، وبين عدد من كبار الساسة والدبلوماسيين المشاركين في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وكانت هذه البرقيات بمثابة لقطات سريعة وكاشفة :

● • قال لنا كريستيان بينو إنه أحس من كابوت لودج أن الإدارة الأمريكية توافق على بقاء القوات الإسرائيلية في غزة .

وكان ليستر بيرسون (وزير خارجية كندا) متعاطفا ، بينما ابدى لونز (وزير خارجية النرويج) خارجية هولندا) استعدادا لتاييد مطالبنا . اما لانج (وزير خارجية النرويج) فقد كان ودودا ، ولو انه بدا متحفظا . الغريب هو موقف سلوين لويد ، فقد قال بحماقة رغم معرفته بكل ماتم الاتفاق عليه في سيفر إنه من المستحسن ان يظل قرار التقسيم هو اساس التسوية . •

● وفى ٢٢ نوفمبر كتب « ايبان » منفردا برقية الى • بن جوريون • عن مقابلة له مع السكرتير العام للأمم المتحدة « داج همرشولد • قال له فيها :

« لقد بدا همرشوك وكانه يتوسل إلى الاً تنسحب قوات جيش الدفاع من غزة بسرعة ، وإلا حدث فراغ مفاجىء . »

■ وفي أول ديسمبر ١٩٥٦ بعث « دافيد بن جوريون = إلى « جولدا مائير = بتعليمات صادرة عن لجنة الدفاع والأمن في مجلس الوزراء جاء فيها:

• إزاء الضغط الشديد من ايزنهاور ، الله اتخذنا قرارا بسحب قوات جيش الدفاع ثلاثين ميلا إلى الشرق من قناة السويس • ولكننا نطلب منك وكذلك من آبا ايبان في واشنطن الا يصدر عنكما ما يشير بشكل مباشر او غير مباشر الى خطوط الهدنة ، فنحن لاننوى الانسحاب إليها . •

■ وفي ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ ابرق «دافيد بن جوريون = الى « آبا ايبان = : « إننا نريدك ان تكون على علم بالمطالب التي لاتنوى إسرائيل ان تتنازل عنها مهما كانت الضغوط:

١ - لابد من نزع سلاح كل المنطقة الشرقية من سيناء .

٢ ـ سوف تبقى القوات الإسرائيلية في شرم الشيخ حتى نحصل على ضمانات عملية
 بحق اللاحة الحرة في مياهه .

ب إن إسرائيل لن تسمح بعودة الإدارة المصرية الى غزة . »

● وق ٢٩ ديسمبر ١٩٥٦ اشتركت = جولدا مائير » مع = آبا ايبان » في كتابة تقرير يضم ملخصا لمقابلة جرت بينهما وبين « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكي:

« إن دالاس كان في مزاج طيب ، وحتى عندما تحدث عن ضرورة انسحاب قوات جيش الدفاع من سيناء استجابة لإلحاح الأمم المتحدة ، وتهدئة لخواطر العرب والمسلمين ، فإن لهجته كانت بالنصح وليس بالضغط ، وقد اتفق معنا تماما وإلى ابعد حد على النقط التالية :

ضرورة نزع سلاح مناطق سيناء الشرقية .

■ ضرورة حصول إسرائيل على حقها في المرور البرىء من قناة السويس وخليج

وكانما اراد « بن جوريون » ان يثبت نتائج التفاهم الذى توصلت إليه « جولدا ماثير = و « أبا ايبان = مع « دالاس » فإذا هو ق 77 يناير 1907 يتقدم الى الكنيست بطلب اعتماد مجموعة من الأسس لتكون إطارا للتحرك الإسرائيلي لها قوة التشريع بحيث يعرف العالم الخارجي مدى تصميم حكومته وحدود التزامها ، واقر الكنيست لـ « بن جوريون » بما طلب :

١ ـ تبقى قوات جيش الدفاع على خط داخل الحدود المصرية السابقة يمتد من الساحل الشمالى حتى شرم الشيخ ، وذلك حتى يتحقق لإسرائيل مطلبها في الملاحة في قناة السويس وفي خليج العقبة .

ل _ يمكن لمراقبين من الأمم المتحدة أن يعودوا الى قطاع غزة ، ولكن لا تعود الى القطاع تحدة أن عمر . القطاع تحت أى ظرف من الظروف إدارة مصرية ، ولا قوات مسلحة من مصر . ٣ _ لابد أن تفرض الأمم المتحدة نزعا للسلاح في النصف الشرقي من سيناء .

وتحركت السياسة المصرية ، وبدت ساحة الصراع وكانها لعبة جبارين باذرعة حديدية ـ من يلوى ذراع من؟ وتقدمت مجموعة الدول الآسيوية الإفريقية بمشروع قرار للأمم المتحدة تطالب فيه بفرض عقوبات على إسرائيل .

وفي يوم 77 يناير 1900 التقى « أبا ايبان » مع « روبرت مورفي » وكيل وزارة الخارجية الأمريكي ، وبعد المقابلة كتب الى 1900 دافيد بن جوريون » برقية يقول له فيها 1900 مورفي قال لى بحضور شيلواح (الوزير المفوض بالسفارة الإسرائيلية في واشنطن ، وكان منتدبا في نيويورك مع الوفد الإسرائيلي) إن الضغط الآسيوى شديد للغاية في الجمعية العامة ، وإسرائيل على حق في الإصرار على مطالبها في

خليج العقبة ، ولكن بقاء قواتها في شرق سيناء وغزة سوف يعطى سببا دائما للإثارة ضدها في الأمم المتحدة » .

وفي يوم ٣ فبراير ١٩٥٧ كتب = ايزنهاور = خطابا سريا الى « دافيد بن جوريون = يقول له فيه : = إن الأمل يحدونى في ان تقرر إسرائيل سحب قواتها بدون تاخير لامبرر له » .

وفي يوم ۸ فبراير ۱۹۵۷ رد « بن جوريون » على « ايزنهاور » بخطاب جاء فيه : « إن إسرائيل ترفض كل اساليب الضغط مهما كان مصدرها » .

ثم عزز " بن جوريون " خطابه إلى « ايزنهاور » بتعليمات تنطق بالعناد : " هناك مسائل يجب أن يكون واضحا أنها ليست الأن ـ ولا في المستقبل ـ موضوع مفاوضات :

١ - ليس قابلا للتفاوض أن يقع انسحاب لقوات جيش الدفاع قبل الحصول على ضمانات كافية لحرية الملاحة الإسرائيلية في القناة والمضايق.

٢ ـ وليس قابلا للتفاوض أن تكون هناك عودة مصرية الى قطاع غزة . »

وبدا كأن أزمة لايريدها أحد على وشك أن تتعقد بين الإدارة الأمريكية وبين السرائيل، وهكذا شهدت الأيام الباقية من شهر فبراير ١٩٥٧ جهودا مكثفة شارك فيها عدد كبير من أعضاء الكونجرس الأمريكي، وقيادات اتحادات العمال، وعدد من زعماء اليهود، وكان هدف الجميع تفادي الأزمة. ونتيجة لهذه الجهود تقرر أن تجرى اتصالات مكثفة بين « أبا ايبان » وبين وزير الخارجية الأمريكي « جون فوستر دالاس » ، وأن تعقد هذه الاجتماعات سرا في بيت « دالاس » .

واستمرت الاجتماعات يوما بعد يوم وشارك فيها عدد من الخبراء على الناحيتين ، وكان الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » على اتصال بمجراها يبلغ مالتليفون يوما بيوم عن تقدمها حيث يكون - حتى في ملاعب الجولف ، أو على ظهر بخته الرئاسي في نهر البوتوماك .

ويروى = آبا ايبان = فى مذكراته إنه كان فى اجتماع مع « دالاس = فى بيته واتصل الرئيس « ايزنهاور = بوزير خارجيته تليفونيا ، وطال الحديث بالتليفون بينهما حتى أنه هو و = شيلواح = - الذى كان معه فى بيت دالاس - استهلكا بالكامل زجاجة من الكونياك الفرنسى الفاخر كان وزير الخارجية الفرنسى « بينو = قد أهداها الى نظيره الأمريكى ا

وهكذا اقتربت الخطوط وتلاقت . تحولت الخطوط الى خطط مؤداها ببساطة ان مناك انسحاب إسرائيلى ، وفي مقابل ذلك لا تكون هناك عودة مصرية إلى ضاع التى كانت قبل نشوب القتال .

وتم التوصل إلى مذكرة تفاهم تقرر انسحاب إسرائيل من سيناء وغزة ، وتقرر فى الوقت مسؤولية الولايات المتحدة عن ضمان تحقيق ما تطالب به إسرائيل سواء عدم عودة مصر إلى غزة ، أو فى الملاحة البريئة فى قناة السويس وخليج العقبة .

وجاء في مذكرة التفاهم بالنص مايلي:

ان الولایات المتحدة تؤمن بضرورة انسحاب القوات الإسرائیلیة ، وفي نفس الوقت فإن الولایات المتحدة تؤمن بأن قطاع غزة یتحتم أن تكون له ترتیبات خاصة یتفق علیها مع السكرتاریة العامة للأمم المتحدة .

وفيما يتعلق بحرية الملاحة في المعرات المائية ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية ترى انه في غيبة قرارات قاطعة مثل حكم من محكمة العدل الدولية ينص على العكس ، فإن الولايات المتحدة تؤمن بضرورة فتح المعرات المائية امام ملاحة جميع الدول بغير تمييز ، والولايات المتحدة سوف تمارس حقوقها في الملاحة البريئة في هذه المعرات ، وتعتبر ان هذا حق لها ولغيرها من الدول ، وسوف تضم جهودها إلى جهود كل القوى الأخرى الراغبة والمستعدة لضمان هذه الحقوق » .

وعلى أرض الواقع ، وبصرف النظر عن الأوراق الحافلة بمذكرات التفاهم ، كان باق الإرادات يمارس حركته ، وفي بعض اللحظات كانت تطورات الحوادث السريعة الد تحبس الأنفاس :

انسحبت القوات الإسرائيلية من شرق سيناء ، وتقدمت إليها قوات طوارىء الدولية ، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى وصلت قوات الجيش لصرى ودخلت المنطقة .

وانسحبت القوات الإسرائيلية من قطاع غزة ، وتقدمت إليه قوات الطوارىء دولية ، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى وصل الى غزة حاكم مصرى عام سؤول عن الإدارة المدنية للقطاع ، ومعه طلائع قوات مصرية .

وفيما بعد أصدرت مصر من جانب واحد إعلانا عن حرية الملاحة في قناة لسويس ، وكان الإعلان المصرى يمارس حقوق السيادة المصرية في منع الملاحة لإسرائيلية على أساس قيام حالة الحرب بين مصر وإسرائيل .

وكان «بن جوريون = غاضبا ثائرا يتصور أنه خدع وغرر به .

وفى نفس الوقت ، فإن الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » بدا متضايقا ومحرجا يشعر بالضغط عليه من كل أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس ، وفى مقدمتهم « ليندون جونسون » الذى واجه « ايزنهاور » فى اجتماع مغلق ـ أشار إليه « ايزنهاور » فى مذكراته ـ قائلا : « إنك ضغطت بشدة على إسرائيل واستعملت معها اسلوبا مزدوجا أدى الى توريطها » .(١٠)

وفي هذا المناخ المفعم بالتوتر والحسياسية أصدر « ايزنهاور » توجيها رئاسيا بتاريخ ١٥ مارس ١٩٥٧ ـ جاء فيه مايلي :

« إن الولايات المتحدة لابد لها ان تتاكد من أن قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة مكلفة بالحيلولة دون أى عرقلة للملاحة في مياه الممرات .

ولابد أن يكون وأضحا أن هذه القوات لا تنسحب من مواقعها إلا بإذن من السكرتير العام للامم المتحدة .

ولابد أن يكون واضحا أن السكرتير العام للأمم المتحدة لايستطيع التصرف بإصدار مثل هذا الإذن إلا بعد الرجوع إلى الجمعية العامة ، لكى تكون أمام الأمم المتحدة فسحة وقت كافية لبحث الآثار التي يمكن أن تترتب على مثل هذا الإجراء .

ويتعين على الولايات المتحدة في مثل هذه الحالة إذا وقعت ان تتشاور مع الدول البحرية صاحبة المصلحة (مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا ومجموعة الدول الاسكندنافية) بقصد اتخاذ كل مايلزم لتامين الملاحة في الممرات .

وفي هذه الحالة ايضا فإنه يصبح من الصعب منع إسرائيل من ممارسة حقها المشروع في الدفاع عن مصالحها وامنها .»

كان « ايزنهاور » قد شارك في ممارسة ضغط لاشك فيه على إسرائيل ، لكن دافعه إليه لم يكن راجعا الى حب لمصر أو حرص عليها :

كان من ناحية يخشى أن يتجدد القتال ، وتجد إسرائيل نفسها فيه وحيدة ضد القوة المصرية التى تزايد إمدادها وحشدها ، وضد المساندة السوفيتية المتشجعة

⁽ ۱۰) كان انشط هؤلاء الشيوخ ﴿ المطالبة بكافة « حقوق » إسرائيل « ليندون جونسون » زعيم الاقلية الديمقراطية ﴿ مجلس الشيوخ ، وقد روى « آبا ايبان » ﴿ متكراته أن « جونسون » قال له : « إننا قادرون على تعطيل كل شيء للإدارة ﴿ الكونجرس إذا هم لم يستجيبوا بجد لطلباتكم » . وقد شامت المقادير أن يكون ، جونسون » هو الرئيس الأمريكي الجالس ﴿ البيت الأبيض الله معركة سنة ١٩٦٧ .

برصيد معنوى وسياسى حققته خلال الأزمة ، وفي مواجهة غضب لاشك فيه من الرأى العالم العالمي ممثلا في الأمم المتحدة ، ويشكل لم يسبق له نظير

ثم إن تجدد القتال بين مصر وإسرائيل وحدها (بعد اضطرار بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب) - كان كفيلا بتوسيع نطاقه مما يؤدى الى احتمال اشتراك دول عربية أخرى فيه . . .

فإذا اضطرت الولايات المتحدة إلى مساندة إسرائيل ـ وقد تضطر بعهد حمايتها وبضغط أصدقائها في الكونجرس ـ إذن فإن الدلايات المتحدة قد تجد نفسها متورطة في حرب ضد العرب جميعا تؤثر على مصالحها ، ودبما في حرب عالمية تؤثر على أمنها !

وفى كل الأحوال فإن « ايزنهاور » كان يعتقد بناء على ما لديه من تصورات ! - أن الأوضاع في مصر مهيأة لتغيير - فإذا تحقق انسحاب إسرائيل بدأت تفاعلاته من الداخل . وعدم انسحابها هو الذي يمسك بهذه النفاعلات .

والواقع أن مطلبه الحقيقى من إسرائيل كان أن تترك له الفرصة ليتحرك على ساحة واسعة لكى يحقق هدفه - وهو نفس هدفها ، وبأسلوبه هو وليس بأسلوبها (وكان ذلك بالضبط هو موضع خلافه مع بريطانيا وفرنسا من قبل إسرائيل) .

وإذن فإنه ضغط من أجل الانسحاب _ ولدوافعه .

ثم أعطى لإسرائيل تعهدات لم يستطع الوفاء بها سواء في قناة السويس أو في سيناء أو في غزة ، ثم توقف في الخندق الأخير!

وهكذا فإن السياسة الأمريكية التى لم تستطع أن تفى لإسرائيل بما تعهدت لها به كله ـ تحصنت في الخندق الأخير، وهو قضية الملاحة في خليج العقبة، وقدمت لإسرائيل من الضمانات الموثقة والمكتوبة ما جعل الخليج في نهاية الأمر حقل الغام!



الوثائق المصرية عن هذه الفترة الاتحتوى على إجابة كافية لسؤال هام يطرح السالاء هذه التطورات وهو:

ا إلى أى مدى كانت السياسة المصرية على علم بهذا الذى تم بين الولايات المتحدة وإسرائيل بما في ذلك التعهدات الأمريكية القاطعة بشأن خليج العقبة ؟ "

إن استقراء ظواهر الحال ، فقد بدا أن السياسة المصرية استقرت على خيار بطرالك « سعود » ملك المملكة العربية السعودية مهمة مواصلة بحث هذه القضية الرارة الأمريكية ، وكان هو أكثر المتحمسين لهذا الخيار على أساس عدة النوان (۱۱)

□ أولها: أن جزر « صنافير » و • تيران » التي كانت مصر تمارس منها سلطة التعرض للملاحة الإسرائيلية في الخليج ـ هي جزر سعودية جرى وضعها تحت تصرف مصر بترتيب خاص بين القاهرة والرياض.

□ والثانى: أن خليج العقبة والبحر الأحمر بعده هو طريق الحج الى الأماكن الإسلامية المقدسة التى تتحمل المملكة العربية السعودية مسؤولية حمايتها.

□ والثالث: أن المملكة العربية السعودية تربطها ـ نتيجة لحجم المصالح ـ علاقة خاصة بالولايات المتحدة تسمح لها باكثر مما هو متاح لغيرها .

والفعل فإن الملك «سعود» نشط لهذه المهمة ، فأثارها مع الرئيس السلام » أثناء زيارته لواشنطن في الشهور الأولى من سنة ١٩٥٧ ، ثم عاود الله برسائله على « ايزنهاور ، طوال النصف الأول من هذه السنة .

لله بلغ من حماسة الملك « سعود » لهذه المهمة أنه أوفد إلى واشنطن ممثلا الله بلغ من حماسة الملك « سعود » لهذه المحمن عزام » (باشا) الذي كان من

قبل أمينا عاما للجامعة العربية ، ثم أصبح مستشارا خاصا للبلاط الملكى السعودى بعد انتهاء خدمته في الجامعة العربية .

ويحتوى ملف الشرق الأوسط في مجموعة أوراق « ايزنهاور » الخاصة المودعة في المكتبة الخاصة به في « آبيلين » بولاية « كنساس » – على عدة وثائق لها أهمية خاصة في شأن الاتصالات التي دارت بين الملك السعودي ، والرئيس الأمريكي عن خليج العقبة .(۱۲)

وتكشف هذه الوثائق أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تواجه الملك « سعود » بتعهداتها السرية لإسرائيل ، ولكنها راحت تراوغ بغية كسب الوقت ، وحتى تغطى التطورات المستجدة على إلحاح الملك « سعود » في قضية خليج العقبة ، أو تفتر حماسته لها فينساها !

ولقد وصل الأمر بـ « ايزنهاور » إلى حد أنه اقترح على الملك » أن تعرض السعودية قضية خليج العقبة على محكمة العدل الدولية ـ وعلى ضوء حكمها في الموضوع نتفاوض بشأن ما يمكن اتخاذه من ترتيبات »!

وتسترعى الانتباه في هذه الفترة مذكرة أملاها الرئيس « ايزنهاور » بنفسه وهي محفوظة في أرشيفه الخاص ، والأرجح أن الذي كتبها أحد مساعديه في مجلس الأمن القومي ، جاء فيها ما يلي :

« مذكرة بحديث مع الرئيس

قال لى الرئيس إنه تذكر شبيئا من حديثه مع الملك سعود عندما كان الملك في واشنطن، وبالذات فإن الرئيس تذكر نقطتين:

 ١ ـ ان الملك اثار موضوع سلامة الحجاج إذا ما كانت للإسرائيليين حرية استخدام خليج العقبة ، وقد رددت عليه (اى الرئيس) باننى لا اتصور ان إسرائيل يمكن ان تتعرض للحجاج المسالمين المسافرين بالبحر الى مكة .

٢ ـ ان الملك طلب منى (اى الرئيس) الاتفاق على اسم شخص موثوق به في السعودية لكى يكون حلقة اتصال لتبادل الرسائل السرية بينى وبينه

(١٢) ثلاث وثائق من هذه المجموعة منشورة بنصوصها الكاملة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت ارقام (١٢) و (Υ) و (Υ) و (Υ) ، وهي « مذكرة تفاهم » توصل إليها عزام [باشا) مع وزارة الخارجية الأمريكية » ثم نص خطابين من ايزنهاور إلى سعود .

(١٣) جرى حذف بقية سطور هذه المذكرة لدواعي حماية اسماء الاشخاص حتى عندما تم رفع حفار السرية عن • الوثيقة بمقتضى قانون حرية المعلومات .

ولقد كان « ايزنهاور » يعرف منذ الدقيقة الأولى انه لا يواجه الملك ، سعود » وإنما يواجه « جمال عبد الناصر » وراءه ، وكانت مشكلته إخراج الملك من القضية برفق لكى يتفرغ بعد ذلك لمواجهة الزعيم المصرى وبغير رفق !

ف أثناء ذلك كله لم تكن إسرائيل ساكتة ، كان الغيظ يستبد بها ، وفي نفس الوقت فإن قدرتها على الفعل كانت عاجزة ، والنتيجة الغريزية لهذا التناقض انها راحت تسعى بالدس في كل مكان ، وذهب السفير الإسرائيلي في لندن الى مقابلة مع الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية السير « أيفون كيركباتريك » الذي كتب مفريرا عن المقابلة بعث به الى « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية يحمل رقم مفريرا ج ، أ . - جاء فيه بالنص :

« ١ - اعطانى السفير الإسرائيل مجموعة تقارير إسرائيلية عن الموقف الداخل في مصر .

٢ -بإيجازشديد ، فإن عبد الناصر انتهز فرصة انسحاب قواتنا وصوره لشعبه على
 انه نصر عسكرى وسياسى كبير ، وهو يستخدم ذلك لصالحه في جميع البلاد
 العربية وبقصد إضعاف مركز اصدقاء الغرب في المنطقة ، وبينهم نورى باشا
 (السعيد) .

وكان من رأيه انه لابد أن نثبت أن مصر أضطرت ألى تقديم بعض التنازلات ، فذلك سوف يضعف مركز عبد الناصر خصوصا وأن الوضع الاقتصادى في مصر آخذ في التدهور ، والاخطاء والانتقادات في أزدياد !

" - ابدى السفير الإسرائيل بعض الملاحظات غير الودية عن السياسة الأمريكية ، وقال لى إنه تناول الغداء اخيرا مع السير ويليام هيلى (رئيس تحرير جريدة التايمز) الذى رسم له صورة كئيبة عن الاحوال في امريكا ، قالراى العام فيها غير مطلع على المعلومات ، وهو يندفع وراء عواطفه ولا يلتزم باحكام العقل . وقال لى السفير الإسرائيلي ايضا إن الرئيس ايزنهاور يعيش في برج عاجى ، وأن آثار جروح الحرب الكورية لم تلتئم بعد ، وأنه يخشى أن تكون أمريكا قد شرعت في التخلي عن أوروبا وأتجهت الى الانعزال .

وكان السفير يشعر بقلق شديد من تقرير اطلعه عليه السفير الإسرائيلي في واشنطن مؤداه ان نهرو ينوى في زيارته المقبلة ان يستخدم نفوذه لإعادة العلاقات بين امريكا وعبد الناصر، وان ذلك من شانه الوقيعة مع حلف الاطلنطى واطرافه الاوروبيين الكبار.

٤ - لقد علقت على كلام السفير الإسرائيل بان الاحتمالات التي المارها ◄ نحدث .
 ولكن الولايات المتحدة سوف تكتشف ـ إذا تركت نهرو يلعب بخيالها ـ ان حلف الاطلنطي قد تبخر بين يوم وليلة ، واصبح روحا بلا جسد مثل جيزيل في الفصل الثاني من الباليه المشهور .

إمضاء ا . ك . »

وفي هذا التقرير " فإن عبارة واحدة لفتت نظر وزير الخارجية « سلوين لويد » وهي العبارة التي وردت في البند الثاني منه عن « ضرورة إثبات أن مصر اضطرت إلى تقديم بعض التنازلات "

وفي اليوم التالى ، وفي اجتماع لرؤساء الإدارات في وزارة الخارجية البريطانية ، طرح « سلوين لويد » سؤاله الذي تنبه إليه من تقرير السير « ايفون كيركباتريك » : « كيف يمكن إثبات أن مصر اضطرت الى تقديم بعض التنازلات ؟ » - وكانت الإجابة التي توصل إليها البحث هي أن موضوع الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة هو النقطة المعلقة من آثار معركة السويس ، وأنه إذا فشلت جهود الملك « سعود » في إقناع الرئيس « ايزنهاور » بحلها على نحو يتلاءم مع المطالب العربية ، فإن مجموعة من الاحتمالات يمكن أن تطرأ ، فإما أن يختلف « سعود » مع « ايزنهاور » وفي هذه الحالة فإن » ايزنهاور » سوف يوجه لومه وغضبه إلى « عبد الناصر » - وإما أن يسكت « سعود » عن إلحاحه ، وفي هذه الحالة فسوف يدب الخلاف بينه وبين

ومن تلك الأيام سنة ١٩٥٧ وحتى معركة سنة ١٩٦٧ ظل موضوع خليج العقبة حجة رئيسية في الحرب النفسية لإثبات « أن مصر اضطرت الى تقديم بعض التنازلات » ، ولم يقتصر استعمال هذه الحجة على الذين « اكتشفوها « واقترحوها واستعملوها ، وإنما جرت فيما بعد على السنة كثيرة ا

كانت تلك الأيام من بداية سنة ١٩٥٧ نهاية مرحلة ، وبداية أخرى من مراحل الصراع على الشرق الأوسط وفيه .

وكان الستار على المسرح يهتز متأهبا للارتفاع عن مشاهد أخرى شديدة الإثارة .

وكان الأبطال قد تغيروا .

الأن اصبحت الولايات المتحدة هي اللاعب الاساسي نيابة عن الغرب بعد الفلات شمس الإمبراطوريتين القديمتين .

والآن كانت الولايات المتحدة على اعتقاد بأنها لم تأخذ مطالبها من انتصار السويس ولا استحقاقاتها في انتصاره ، ولعل قوة تعهداتها لإسرائيل في شان حليج العقبة كانت تعكس حجم تبرمها بما لم تحصل عليه ، وربما كان لل نفكيرها أنها ستفرضه على شكل ضرائب طالما لم يقدم لها على شكل أرباح .

وارتفع الستار على مشهد جديد.

■ عبد الناصر » ٠



حالبة من الفوران!

0

كانت مصر ذاتها هي المشهد الجديد الذي ارتفع الستار عليه في بداية المرحلة

كانت لا تزال وفقا لتعبير « نابليون » الشهير : « أهم بلد في الدنيا » - لكن شيئا ما » كان قد أضيف إليها ، فهي لم تعد كما بقيت لأكثر من ألفي سنة - منذ سقوط الإمبراطورية الفرعونية - لعبة في الصراع الدائر على المنطقة وإنما أصبحت طرفا فيه ، بل لعلها أصبحت الطرف الأصيل تجاه القوى الخارجية الطامعة في السيطرة والهيمنة . ثم إنها لم تعد كما كانت أيام الإمبراطورية راكعة أمام فرعون إله ، وإنما أصبحت شعبا موحدا يمسك مصائره في يديه ويشعر بالثقة في قدرته على اختيار انتماءاته وولاءاته ، وأهدافه ووسائله .

صحيح أن مصر بدأت تتنبه منذ عصر «محمد على » الذى حاول تأسيس دولة حديثة في مصر إلا أن «محمد على » لم يكن مصريا ، وكذلك كان حلمه عثمانيا (أن يصبح خليفة في استانبول أو صدرا أعظم على الأقل) ، ولعل مصر وشعبها كانا مجرد معابر يمشى عليها عائدا من حيث جاء أكثر قوة وأرفع شأنا وأعلى منزلة . وعندما انتهت أحلامه وانحصرت في ولاية مصر وحدها ملكته الحسرة فضاع عقله ومات .

ولا يقلل ذلك من شأن « محمد على » فهو شخصية تاريخية تستحق الاحترام ، كما أنه من الصعب الحكم على رجل تاريخي خارج ظروفه وخارج زمانه .

وصحيح أن مصر استيقظت مرة أخرى بالثورة التى قادها « أحمد عرابى " في أواخر القرن التاسع عشر » والتى تواصلت على نحو أو أخر مع الثورة النى قادها « سعد زغلول » في أوائل القرن العشرين _ إلا أن هذه الفترة الجياشة انتهن بسيادة سلطة تمثل تحالف الاحتلال البريطانى والقصر الملكى وكبار ملاك الأراضى من المصريين الذين كانوا عماد الأحزاب السياسية التى تولت الحكم رسميا _ رشكليا _ بدستور سنة ١٩٢٣ ، وفي ظل هذا الدستور برزت طبقة النصف في المائة النى كانت تحصل وحدها على خمسين في المائة من الدخل القومى الذي يتولد من عمل وعناء الملايين من أبناء الشعب المصرى .

وصحيح ايضا أن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تمردت على هذا التحالف الثلاثي الحاكم والمستغل - إلا أن هذه الثورة بدت ظاهرة غير عادية وغير مالوفة ، فقد كان مجيئها من حيث لا تجيء الثورات بالطبيعة ، ومن حيث تجيء الانقلابات بالمغامرات أو بالمؤامرات .

ولقد راحت ثورة سنة ١٩٥٧ تعطى إشارات تومىء إلى جوهر أصيل فيها وذلك عندما فرضت وطبقت الإصلاح الزراعى، وأعلنت النظام الجههودى، واعتمدت برنامجا سريعا للانتاج والخدمات، ثم تمكنت من إنهاء الاحتلال البريطانى والتصدى بعده - مع بقية أمتها العربية - لمخططات الإحلاف العسكرية الأجنبية، والإقدام على كسر احتكار السلاح، والرفض الكامل للصلح مع إسرائيل، والطموح إلى مشروع عملاق مثل مشروع السد العالى - إلا أن هذه الإيماءات كلها مع أصالة جوهرها لم تحقق لها شرعية كاملة.

كانت الشرعية في ذلك الوقت مرتبطة بالوجود في السلطة ، وكانت سلطة وطنية بكل قراراتها ـ لكن ذلك لم يكن كافيا كاساس ثابت لشرعية كاملة .

وربما يمكن القول إن شرعية الفترة ما بين يوليو ١٩٥٧ ويوليو ١٩٥٦ -

قبول بقرارات يوافق عليها الشعب، وإن لم يشترك في صنعها . ثم انتظار لما بعد كل قرار يترقب ما سوف يليه ، وهل يتسق أو يتناقض ؟ وبعد معركة السويس تغيرت الصفة الشرعية للحكم ، كما تغيرت أشياء كثيرة 1 مصر ، وفيما حولها وفي العالم .

إن معركة السويس لم تكن معركة قرار ، وإنما كانت معركة إرادة شارك فيها الشعب ، وكان هو الفعل والطاقة ، المحرك والوقود ، في نفس الوقت .

لقد كان « جمال عبد الناصر » هو الذي اصدر قرار تأميم قناة السويس ـ لكن الذي خاض صراع الإرادات الذي تلاه كان شعبا بأكمله .

وحين انجلى دخان المعركة وبخارها ـ فقد كانت هناك قيادة وشعب في نفس الساحة ، وفي ذات الخنادق ، وفي هذه اللحظة حققت ثورة ٢٣ يوليو شرعيتها الكاملة إذ تحولت إلى قبول عام يستند إلى عقد اجتماعى وسياسى عمقته التجارب ، وصهرته وصاغته نيران المعركة .

كان حدث ٢٣ يوليو في بدايته « قوة » من الجيش خرجت استجابة لنداء .

ثم تحولت « القوة » إلى « سلطة » ـ اكتسبت « بعض الشرعية » من قرارات لها معانيها ودلالاتها .

وفي السويس تحولت « السلطة » إلى « شرعية حقيقية وكاملة » لها عقدها الاجتماعي والسياسي مع جماهير منحتها ثقتها بغير تعليق على شرط بين قرار وقرار .

خلال عملیة التحول من « قوة $^{(1)}$ إلى « سلطة $^{(1)}$ ومن $^{(1)}$ سلطة $^{(1)}$ إلى « سلطة $^{(1)}$ « شرعیة قبول وترقب $^{(1)}$ ومن « شرعیة عقد اجتماعی وسیاسی کامل $^{(1)}$ = جرت تحولات واضحة في ترکیب القمة في مصر .

(1) لكى تكون حدود التعبيرات المختلفة واضحة ، فإن هذا الفصل من الكتاب يعتمد التفرقة بين مجموعة من المعانى كالقوة والسلطة والشرعية والقانونية :

والسلطة تعنى السيطرة على جهاز الحكم بما له من ادوات وتنظيمات يمكن عن طريقها للقوة السياسية ان تصدر قرارات لها صفة الإلزام المجتمع .

● والشرعية أن تكون القُوة المسيطرة على السلطة موضع رضا طوعى من المحكومين يقبلون ما يصدر عنها معتقدين أن دوافعه الأساسية هي خدمة مجموعهم حتى وإن لم يتوافق مع فكر أو مصالح بعضهم .

● والقانونية هي القواعد والحدود والإجراءات التي تنظم عملية التزام المجتمع بما يصدر من قرارات ، وإلزام افراده إذا لم يلتزموا من ذات انفسهم بوسائل فرض طاعة السلطة ابتداء من القضاء إلى البوليس إلى الحيش،

ومعنى تلك التحديدات كلها انه يمكن تصور قوة بغير سلطة (حزب معارض له قواعد وجماهير مثلا | _ كما انه يمكن تصور سلطة بغير شرعية (استيلاء بالقسر والغصب على الحكم مثلا) _ كما انه يمكن تصور قانون يطاع دون ان يكون له سند شرعى (قوانين تصدرها سلطة احتلال اجنبى مثلا)

ف بداية عملية التحول كانت على اللمة السياسية ف مصر مجموعة من الرجال والشباب لم يزيدوا على عشرة اطلق عليهم وقتها وصف « مجلس فبادة الثورة » لكنه كان واضحا منذ اللحظة الأولى أن واحدا بالذات بينهم كان له وضع خاص اشبه بما يصفه التعبير اللاتيني الشهير الذي يصف رجلا بانه الأول بين متساوين الموافق المنافقة الأول ، وبالفعل فإنه كان الأول ، وبالفعل فإنه كان بين متساوين يعترفون له بالسبق في التنظيم (تنظيم الضباط الأحرار الموبالقيادة في هذا التنظيم ورئاسته (اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار) لكن الوصول من مواقع القوة إلى مواقع السلطة كان محتملا أن يؤدي بتمايز الاداء وتحمل المسؤوليات إلى ترتيب آخر . وبالفعل فإن تجربة مرحلة القوة والسلطة كانت بمثابة امتحان إنساني عسير .

والذى حدث هو أن نتائج هذا الامتحان الإنساني العسير جاءت ايضا لمالحه فكرا وفعلا .

منذ اللحظة الأولى واجه وحسم فى قضية تبدو لأول وهلة وكأنها خلاف على الفاظ. فلقد كان فهمه لما حدث فجر ٢٣ يوليو أنه: « تورة » - وكان هناك أخرون بتخوفون من المعنى ، ويقلقهم وقع اللفظ فى حد ذاته ، وجرى عرض أوصاف بديلة مثل وصف « الوثبة » و « النهضة » و « الحركة » وغيرها - وصمم على رايه ولم بكن تصميمه تفضيلا للفظ على لفظ ، وإنما كان اعتقادا راسخا بجوهر المضمون المعبا داخل اللفظ.

وكان هو الذى ضبط للتغيير في توجهات السلطة _ بوصلته الاجتماعية وزاويته العربية ومحاور حركته الإسلامية ، والإفريقية _ الأسبوية .

وكان هو الذى أدار حوار جبهة المقاومة وحوار مائدة المفاوضة في نفس الوقت لتحقيق الجلاء ، وقاد عملية نقل سياسة مصر الخارجية من علاقة ثنائية وحيدة ومقصورة على بريطانيا وحدها ، أو على بريطانيا والولايات المتحدة وحدهما ، إلى علاقات مع العالم كله ، ثم عملية رفض الأمة العربية كلها لسياسة الإحلاف ، ثم عملية كسر احتكار السلاح .

وفى مقدمات المعركة ، فقد كان مشروع السد العالى مطلبه ، وتاميم قناة السويس رده ، وهكذا فإنه حين نشب القتال كانت المسؤولية عليه ، ولقد ادرك مندما رفعت المدافع رؤوسها أن المسؤولية وإن كانت عليه _ إلا انها حرب الشعب والأمة ، وليست حرب القيادة سواء كانت له أو لمجلس الثورة .

وهكذا كانت مهمته الأولى تعبئة إمكانات الشعب والأمة . ولقد توجه

بنداء المقاومة إلى الشارع وتحدث إليه من منبر الأزهر ، ووزع قرابة نصف مليون لطف سلاح على المواطنين(٢).

وتقدم تقارير القيادة البريطانية في بورسعيد شهادات ناصعة على دور الشعب (٢) في المعركة وتأثيره الكبير على نتائجها (٤).

وكان هو الذي تولى في نفس اللحظة مهمة التواصل بين الشعب المقاتل في مصى ، وبين الأمة المساندة لشعبها المقاتل وراء الحدود ، وحين تم نسف خط انابيب البترول في سوريا ، فإن هذا العمل الكبير بنتائجه تحول إلى رمز حي لقدرته على ربط الجسور وفتح الطرق.

متساويا معهم .

لقد كان الأول بين متساوين من أول الثورة ، وفي الامتحان الإنساني العسير لتجربة القوة والسلطة فإن مكانته تأكدت وتعززت ، وخلال المعركة فإن التغيير الكمى ف دوره تحول بطريقة كيفية لم يتحسب لها طرف ، ولم يسع لها بالقصد احد ، والواقع أنها كانت ، بحجم مسؤولياتها ومخاطرها ، أكبر من أي حساب واخطر من اى قصد .

خلاف، وحين سطعت الأنوار بعد الإظلام، فلقد بدا وحده تقريبا في دائرة الضوء وفي مركزها تماما.

لم يعد مجلس قيادة الثورة هو المجال الذي تهيم حول أجوائه فكرة الشرعية ، وإنما تجسدت الشرعية _ ولو لفترة من الزمان _ في رجل واحد .

تغيرت القاعدة ، وتخطت هذا الإطار وتجاوزته .

هكذا حينما توقف القتال ، فإن الرجل « الأول بين متساوين ، لم يعد

وهكذا فإنه اصبح في لحظة النصر " أولا » بغير منازع ، و " أكبر " بغير

تغيرت قواعد القوة ، ثم تغيرت مواقع الشرعية .

ولم يعد الضباط الأحرار هم قاعدة قوة « جمال عبد الناصر » وإنما

ولم تعد القوات المسلحة هي الموطن الذي نمت وتكونت فيه البؤرة الثورية ، وإنما ذابت البؤرة تعلما أ شرعية وطنية وقومية ، غلابة وكاسحة .

ولم يكن هذا النوع من الشرعية اختراعا جديدا في التاريخ ، وإنما كان ظاهرة رصدها كثيرون من كبار المفكرين في العلوم السياسية والاجتماعية ، وفي مقدمتهم « ماكس فيبر » الذي فرق بين ثلاثة أنواع من الشرعية ، فرأى أن هناك شرعية تقليدية (مصدرها قبلي أو ديني) _ وهناك شرعية دستورية قانونية (تجد فرصتها عندما تصل المجتمعات إلى درجة من التوازن بين مصالح الطبقات تسمح بها) - ثم إن هناك شرعية ذات طابع خاص بين الاثنتين هي شرعية الرجل الواحد (ف مراحل التحولات الكبرى ، وحين يظهر على المسرح رجل يتمتع بجاذبية وثقة تجعله في لحظة من اللحظات رمزا لأمال شعب أو أمة ، وقادرا على التعبير عن هذه الأمال والسعى لتحقيقها) .

إن كل تطور عميق ، وكل تغيير كبير _ هو بمثابة تساؤل تاريخي ، وكل تساؤل لابد له أن يعثر على إجابة لنفسه ، وكان " جمال عبد الناصر " بالتأكيد مطالبا بالرد على هذه المكانة التي تحققت له عند الشعب والامة ، وسواء كان واعيا أو غير واع بهذا الحوار بينه وبين الظروف المستجدة ـ فإنه أجاب ، أو بمعنى ادق استجاب .

وهكذا فإن إحساسه بالمسؤولية بدا يتطور ويتغير.

واعيا - او غير واع - لم تعد مسؤوليته أمام الضباط الاحرار، ولا أمام مجلس الثورة ، وإنما أصبح يحس مسؤوليته تجاه الشعب والأمة مباشرة ، فهم الآن قاعدة قوته وسلطته ومصدر شرعيته.

وكان معنى ذلك ببساطة أن هناك الآن عقدا سياسيا واجتماعيا جديدا: دولة يتجدد بناؤها.

وبما أن المعركة كانت _ وراء ساحات القتال _ ميدان نضوج وبروز قوى شعبية رفضت منطق « إنقاذ ما يمكن إنقاذه » - واندفعت إلى الصمود والمقاومة والتقدم - فإن الدولة المتجددة كان لابد لها أن تؤسس نفسها على هذه القوى التى نضجت وبرزت واندفعت ، وعلى مطامحها و آمالها .

ولقد كانت طبيعة « جمال عبد الناصر » تتيح له قبول وتحمل تبعات العقد السياسي والاجتماعي الجديد ، ففي سنوات السلطة السابقة على المعركة _ كان 🍱 حافظ على معدنه الثورى ، وعلى ولائه الطبقى ، وهكذا فإن توحده

⁽ ٢) في نفس الوقت كان بعض الساسة القدامي من العهد السابق يتصلون ببعضهم ويتاهبون لعقد اتفاق مع

الإنجليز تحت شعار ، إنقاذ مايمكن إنقاذه » .

⁽٣) وثائق وزارة الدفاع البريطانية ـ ملف القيادة المشتركة للحلفاء 🛦 حملة السويس . (٤) وثائق وزارة الدفاع البريطانية ـ ملف القيادة الشتركة للحلفاء 🛔 حملة السويس .

السياسى مع الجماهير اثناء المعركة عززه توحده الاجتماعي مع الجماهير بعدها .

يتداعى من هذا الوضع خاطر ملح:

ـ • هل كان • جمال عبد الناصر » مهيأ لمهمة تجديد بناء دولة تقوم على شرعية مؤسسة على عقد سياسى واجتماعى يختلف عما كان قبله ؟ »

إن هذا الخاطر يستحق شيئًا :من إطالة النظر .

وبداية _ فإن التعليم المنظم الذى تلقاه « جمال عبد الناصر » كان كافيا ، فلقد درس في الكلية الحربية ، ثم تخرج من كلية أركان الحرب ، وأصبح مدرسا للتاريخ ، ثم مدرسا للاستراتيجية .

يلى ذلك أن التحصيل الثقافي الذي تمكن منه كان هو الآخر كافيا _ فقد أتاحت له الدراسة والتدريس بعض الأبواب التي يستطيع بالدخول منها أن يوسع مداركه ، وأن يهتم بقضايا لاتتصل مباشرة بعمله .

يتصل بهذا أن التجربة العملية التى أتيحت له كانت بدورها كافية ، ففى فترة التدريس ، ثم فى فترة الإعداد للثورة ، ثم فى السنوات الأربع ما بين سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٥٦ وهى سنوات القوة والسلطة _ تعرف وتمرس على فنون التعامل مع الرجال والظروف .

ومن باب الأمانة والموضوعية ، فإن من الحق أن يضاف إلى هذا كله شهادة يعترف بها أصدقاء « جمال عبد الناصر » وأعداؤه ، وتلك هي أنه كان يملك شهية مفتوحة بغير حدود للمعرفة عن طريق الأوراق والناس والحوادث .

وهناك سؤال يطرح نفسه عن ماهية الاستعداد المطلوب للعمل السياسي ؟

واى إجابة دقيقة عن هذا السؤال سوف تجد أن العمل السياسي عند أرقى درجاته هو الاستعداد لاستيعاب آمال الناس، والقدرة على التعبير عنها، والبحث عن الوسائل الممكنة لإدارة مواردهم الإنسانية والعملية لتحقيق تنفرنها

أى أن السياسة شيء لايتصل بالضرورة بالدرجات العلمية ، ولا بالقدرة على الإبداع الثقاف ، ولا بطول مدة التمرس الإدارى ، وبالطبع فإن تنفيذ مطالب العمل

السياسي يحتاج إلى الثلاثة ـ لكن الإرادة السياسية هي التي تحدد المطالب اصلا ، وتعبر عنها بمقدار صدق تمثيلها للناس ، وبحكم قدرتها على تعبئة طاقاتهم ورامها .

وعلى طول التاريخ كله ، فإن الساسة وبناة الدول والامبراطوريات لم يكونوا من اعلام الفلسفة أو الفكر ، أو الخبرة الإدارية الطويلة .

وفى العصر الحديث ، فإن الثلاثة الكبار الذين قادوا أكبر صراع خاضته الإنسانية على رأس أكبر إمبراطوريات عرفها التاريخ لم يكونوا من أعلام الفلسفة ، أو أساتذة الفكر ، أو أصحاب الخبرة المتخصصة ، ف « فرانكلين روزفلت » في الولايات المتحدة بدأ محاميا ، و « ستالين » في الاتحاد السوفيتي بدأ عامل صلب ، و « ونستون تشرشل » في بريطانيا العظمى بدأ صحفيا .

وعند موقع القيادة في الولايات المتحدة الآن^(٥) « رونالد ريجان » (بدأ ممثلا) ، وفي بريطانيا « مارجريت ثاتشر » (بدأت كيميائية) ، وفي الاتحاد السوفيتي « ميخائيل جورباتشوف » (بدأ زراعيا) .

ومهما يكن فإنه في تلك اللحظة الفريدة من حياة مصر كان « جمال عبد الناصر » مهيأ بشواهد التاريخ ، وبحقائق الأمور ، بل وبواقع ما كان لديه فعلا ـ لمهمة تجديد بناء دولة ـ بشرعية عقد سياسي واجتماعي جديد .

ولكن كيف؟ وما العمل؟



في التصدى لمهام تجديد بناء الدولة ـ كانت قضية الانتقال من قواعد القوة والسلطة والشرعية السابقة على المعركة إلى القواعد الجديدة التي صنعتها المعركة ـ هي أكثر القضايا حساسية ودقة فضلا عن أن خطوط الانتقال كانت متعددة ومتوازية :

من قاعدة مجلس قيادة الثورة إلى دائرة أوسع.

^(■) وقت إعداد هذا الكتاب للنشر في صيف سنة ١٩٨٨ .

من قاعدة تنظيم الضباط الأحرار إلى إطار اكبر.

من قاعدة القوات المسلحة كموطن نشأ فيه التنظيم التاسيسي إلى الداد الوطن كله .

وبالنسبة لمجلس الثورة ، فقد كان تركيز الشرعية الجديدة في الرجل الذي لم يعد «أولا بين متساوين » فقط ، وإنما أصبح ، أولا على الإطلاق » -قضبة معباة بمشاعر إنسانية يمكن فهمها . وبصفة عامة ، فإن عملية الانتقال تمت بندر كبير من السلاسة واليسر . ومن باب الاحترام للحقيقة والتاريخ ، فإن تلك المجرعة من الرجال والشباب ـ تصرفت في ظروف شائكة بكثير جدا من الحرص والرع . وربما ساعد على ذلك أن سنوات التجربة العملية في القوة والسلطة أجرت نوعا من الفرز الطبيعي المتفق مع شخصية كل منهم واستعداده ، ورؤيته لنفسه والحقيقة الموضوعية .

كان أولهم « عبد الحكيم عامر » ، وكان وضعه هو الأكثر تعقيدا ، فقد كان الأقرب شخصيا إلى « جمال عبد الناصر » وكان المسؤول المؤتمن على القوات المسلمة سياسيا وعسكريا – لكن المعركة وظروفها ألقت ظلالا من الشك على قدراته ، فنحت حرارة نيران القتال وبروقه ورعوده اندفع = عبد الحكيم عامر = إلى تبنى نظرية التال إلى آخر رجل وإلى آخر طلقة في سيناء ، واختلف معه « جمال عبد الناصر = الذي كان من رأيه الانسحاب من سيناء وتجميع القوات المسلحة غربها لمواجهة العدو الرئيس المتمثل في الغزو البريطاني الفرنسي ، فضلا عن أن البقاء في سيناء أمام خطر إنزال بريطاني فرنسي في بورسعيد معناه السماح بقطع الجيش المصرى إلى شطرين : شطر في سيناء معزول عن قواعده ، وشطر على القناة محروم من مقدمته الضاربة . وفي ناه ويناء معزول عن قواعده ، وشطر على القناة محروم من مقدمته الضاربة . وفي ناه ويا التطورات وحتمية الاستجابة لمتغيراتها بحسم ، فإن « جمال عبد الناصر » نعي عامر » جانبا – تقريبا – وراح يقود الجيش – عمليا !

وحين انتهى القتال كان «عبد الحكيم عامر» شبه معتكف في بيته نصف معترف بخطئه ، ونصف غاضب لكبريائه ، والواقع أن الرجل كانت له ميرات شخصية جذابة _ أبرزها قدرته على خلق روح الأسرة في المناخ الذي يعيش فيه لكن الجيش كان يحتاج إلى روح الفريق أكثر من حاجته إلى روح الأسرة . وعلى أي حال ، فإن «جمال عبد الناصر» بعد تجربة المعركة تمسك ببقاء «عبد الحكيم عامر» بل ورفع رتبته العسكرية حيث لم يكن هناك داع للترفيع ، وإن كان = جمال عبد الناصر، قد تصور أنه بذلك يعيد لصديقه كامل ثقته بنفسه أملا أن مستقبل الأيام والنجارب كفيل بإتاحة فرصة تعوض وتستكمل .(1)

كان هناك اثنان غير « عبد الحكيم عامر » برزا في مجال العمل التنفيذي « زكريا محيى الدين » في مجال الأمن الذي يعرف للأمن مضمونه الاجتماعي ودور السياسي إلى جانب شخصية قوية ومتوازنة _ و « عبد اللطيف البغدادي » في مجال القدرة التنظيمية وكفاءة الإنجاز السريع لما يكلف به من مهام إلى جانب جاذبيا إنسانية تمكنه من العمل وسط فريق .

وكان هناك اثنان ظهرا فى مجال العمل الشعبى والجماهيرى : «حسين الشافعى » و «كمال الدين حسين » وكان لكل منهما مجاله وتأثيره .

ثم كان هناك ثلاثة ابتعدوا عن مجال العمل العام: « جمال سالم » (لأسباب شخصية) و « حسن ابراهيم » (اختار أن يتفرغ للأعمال الحرة) و « صلاح سالم » (تحرج موقفه لدواع متعددة ، واختار أن يتجه إلى الصحافة)

وأما التاسع وهو « أنور السادات » فقد توارى في الظل (ينتظر مستقبلا كان وقتها في علم الغيب) $.(^{\vee})$

وعلى هذا النحو فقد كان اندماج مجلس قيادة الثورة في دائرة الشرعية المستجدة مهمة ممكنة . بقى القادرون على العمل التنفيذي وزدات مسؤولياتهم ، وبقى المهيأون للعمل الشعبى والجماهيري ، وأصبح الحكم عليهم للناس ، وابتعد الذين كان لهم أن يبتعدوا ، وتوارى في الظل من أثر الظل!

□ ولم تكن قضية تنظيم الضباط الأحرار بهذه الدرجة من السلاسة واليسر، فقد كانت المجموعة أكبر، وبالطبع أكثر تعرضا لمختلف التأثيرات.

کان بینهم صف علی استعداد لتحمل المسؤولیات بجدارة وامتیاز ، ویرمز لهذا الصف رجال من أمثال « ثروت عکاشه » الذی أثبت أنه أهم وزیر للثقافة عرفته مصر ، و « مجدی حسنین » الذی قام بدور ریادی فی سیاسة تعمیر الصحراء ، و « وجیه أباظة » الذی لم إداریا کمحافظ فی أکثر من موقع – وغیرهم وغیرهم .

وكان هناك آخرون في هذا الصف تحملوا وحققوا ، وإن لم تقع عليهم الأضواء بشكل مكثف .

لكن هذا الصف كان وراءه صف آخر يختلف تركيبه ومزاجه ، فبعضهم فيه من أول القصة شدهم تنظيم الثورة كمغامرة ، والبعض تملكتهم نوازع السلطة بعد القوة ، و آخرون استطاع المجتمع القديم بمغرياته

^(7) تكظلت التجارب بإثبات العكس ، وكان ذلك واحدا من اكبر أخطاء ، جمال عبد الناصر ، .

 ⁽٧) كان ، خالد محيى الدين ، عضوا مؤسسا ل تنظيم الضباط الاحرار ، وكان من اكثر قادته نشاطا وحيوية وثقافة ، وقد قضت الظروف أن يبتعد عن عضوية مجلس الثورة من قبل المعركة بسنتين لخلافات فكرية .

أن يجذبهم وانحصر هدفهم في حياتهم ، فإذا هم يحلولون تغيير الإطار أن يجذبهم وانحصر هدفهم في حياتهم بإطار طبقي غيره تصوروه ارقى الطبقي الذي عرفوه ليلحقوا أنفسهم بإطار طبقي فلا هم بقوا على الأرض ، ولا وأعلى ، وأصبح حال بعضهم أزمة حقيقية فلا هم بقوا على الأرض ، ولا وأعلى ، وأصبح حال بعضهم أزمة حقيقية فلا هم بكتسبوا أجنحة للطيران في الأجواء التي حاولوا التحليق فيها .

وكانت تلك كلها مشاكل فتحت ثغرات إلى مشاكل ، فهؤلاء كان محتما أن يضرجوا من الجيش ضمن سياسة عامة تقررت بالنسبة لكل الضباط الأحرار حتى يخرجوا من الجيش ضمن سياسة عامة تقررت بالانضباط ، وفيها ما يتصل بتقدير يتأكد الانضباط في صفوفه ، وكان هناك ايضا عدد كبير من الضباط تقررت أفضلية يتأكد الانضباط في صعدة بعضها يتعلق بالانضباط ، وفيها ما يتصل بتقدير تركهم لصفوفه لاعتبارات متعددة بعضها يتعلق بالانضباط ، ولأن خروج هؤلاء جميعا لم يكن له أن تركهم لصفوفه لاعتبارات الفع غارج الصفوف ، ولأن خروج هؤلاء جميعا لم يكن له أن أن كفاءاتهم قد تكون أنفع خارج الصفوف ، ولأن خروج هؤلاء جميعا لم يكن له أن يبدو للناس ، ولا لهم ، وكأنه نوع من العقاب – فقد كان لابد من البحث لهم عن يبدو للناس ، ولا لهم ، وكأنه نوع من العقاب – فقد كان لابد من البحث لهم عن وظائف وأعمال ومهام في الترتيبات الجديدة بعد المعركة .(^)

وظائف واعسن من المجيش صعبة قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان وكانت قضية الجيش صعبة قبل حرب فلسطين فرضت الضرورات تغيير النظرة الجيش شكلا ومظهرا ، وبعد حرب فلسطين فرضت الضرورات تغيير النظرة الجيش شكلا ومظهرا ، وبعد حرب فلسطين شاركوا في الثورة وتنازلت إليه ، لكن الملك كان يعتبره منطقة نفوذ له ، وبعد الذين شاركوا في الثورة وتنازلت والربط فيه ، فقد علت سلطة شباب الضباط الذين من أن الصراع بين سلطة قادتهم الذين كانوا بعيدين عن التنظيم ، فضلا عن أن الصراع بين سلطة قادتهم الذين كانوا بعيدين عن التنظيم ، كاد يقدم الجيش في ميادين مجلس قيادة الثورة وبين اللواء « محمد نجيب » كاد يقدم الجيش في ميادين مجلس قيادة الثورة وبين اللواء « محمد نجيب ، وبينما الجيش يحاول اقلمة التحزب ، ثم جاءت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي مفاجأة لما الفه الجيش وتعود عليه من أنواع المعدات ومدارس التدريب ، وبينما الجيش يحاول اقلمة وتعود عليه من أنواع المعدات ومدارس التدريب ، وبينما الجيش في حاجة إلى بناء نفسه بناء حديثا بالغ الجد والصرامة .

ان الجيس في من ناحية ، فلم يكن هناك شك لدى أحد في أن الجيش على نحو أو آخر ومن ناحية ، فلم يكن هناك شك لدى أحد شأن التغييرات التي يمكن أن تطرأ مازال قاعدة القوة الرئيسية للنظام مهما كان من شأن الديمقراطيات ، فهو أهم أدوات على فكرة الشرعية - والجيش كذلك حتى في أعرق الجيش يجب أن يتحول إلى أداة السلطة والشرعية - لكنه من ناحية أخرى ، فإن الجيش يجب أن يتحول إلى أداة السلطة والشرعية - لكنه من ناحية أخرى ، فإن الرئيسية .

الدفاع من من القرارات في ذلك الوقت ، هو القرار الذي قضى بأن يتوجه وربما كان أصعب القرارات في ذلك الوقت ، هو القرار الذي قضى بأن يتوجه قادة الجيش الجدد إلى الاتحاد السوفيتي لكي بجلسوا على مقاعد الدراسة ، قادة الجيش الجدد إلى الاتحاد السوفيتي

(٨) خرج من الجيش إلى وظلف مدنية (سياسية او إدارية) في الفترة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٧ حوالي (٨) خرج من الجيش إلى وظلف مدنية (سياسية الأعضاء في تنظيم الضباط الإحرار . للالملاة وثمانين ضابطا - كان بينهم ٤٢ من الإعضاء في تنظيم الضباط الإحرار .

من جديد ، يتعلمون عقائد القتال المناسبة لنظم أسلحتهم الجديدة لكى يتمكنوا من قيادة قواتهم في معارك المستقبل . ولقد كان سهلا إرسال بعثات من شباب الضباط لكن هؤلاء حين يعودون كان محتما أن يصطدموا بالرتب الأعلى لاختلاف درجات العلم ، وأيضا لاختلاف عقائد الحرب _ ولم يكن ذلك مطلوبا .

كل هذه كانت معضلات مطروحة للحل ، وربما كانت الحلول التى عرضت نفسها سليمة ، لكنه عند التنفيذ العملى لهذه الحلول كان الواقع أكثر خشونة ووعورة .

كانت المهمة التالية لإعادة ترتيب قواعد القوة والسلطة هى النظر في أحوال الجهاز الإداري للدولة ، فالشرعية خصوصا إذا تركزت _ ولو مؤقتا _ في رجل واحد ترتهن بتجدد أهداف المجتمع واتساعها ، ثم بحسن تنفيذها .

وكان جهاز الدولة في حالة يرثى لها .

لقد أعيدت صياغة جهاز الدولة في أواخر القرن التاسع عشر بتوجيه وتصميم الاستعمار ، وتعلم هذا الجهاز ضمن ما تعلم عادة الاستعلاء على الناس ، ولعله لم يكن يحتاج فيها إلى علم جديد ، فالاستعلاء الإدارى ميراث فرعوني وسلطاني قديم ا

وعندما انتقل الإشراف على جهاز الدولة جزئيا إلى سلطة حكومات الاحزاب المثلة لكبار الملاك في مصر - تعرض هذا الجهاز الإداري للدولة إلى حالة تمزق في الولاءات . فالشعب مغيب ، ولعبة السلطة كر وفر بين السفارة البريطانية والقصر الملكي ومجموعة الأحزاب المتصارعة فيما بينها ، والمثلة لنفس الطبقة اجتماعيا .

ثم لحقت حالة عدم الاستقرار بحالة تمزق الولاء ـ لأن الأحزاب المتصارعة بدأت تختار رجالها في قلب الجهاز الإدارى ، ثم ينتقل الحكم من حزب إلى حزب ، فإذا بالتغييرات في هذا الجهاز تتوالى محكومة باعتبارات لا علاقة لها بالأداء.

وكانت النتيجة أن جهاز الدولة في مصر فقد دوره كمؤسسة .

كثرة التغييرات أزعجت كثيرين من نجومه أثروا الهجرة إلى العمل الاقتصادى ، خصوصا عندما أتسع مجال تأسيس الشركات خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي أعقابها .

ثم إن كثرة التغييرات بدورها دفعت إلى السطح بأكثر العناصر استعدادا لأن تطفو على السطح .

كذلك فإن كثرة التغييرات أدت تحت السطح إلى صراعات داخلية ف كل جهاز يتمنى أصحابها بدورهم أن تتاح لهم الفرصة للظهور على السطح ، والسباحة مع التيارات المتشابكة .

هذا الوضع ادى إلى نتائج خطيرة ، أولها أن جهاز الدولة فقد ذاكرته المؤسسية .

وفى تلك الظروف اكتشف « جمال عبد الناصر » واقعة أصابته بدهشة شديدة ، فقد تبين له أن مصر ظلت تدفع لتركيا أصل وفوائد قرض على الجزية التى كانت تقدمها للخلافة العثمانية حتى سنة ١٩٥٥ .

كانت علاقة مصر بالخلافة قد انتهت رسميا من سنة ١٩١٤ بإعلان الحماية البريطانية على مصر ، لكن جهاز الدولة الإدارى ظل يدفع - بالعادة ، أو بالنسيان - استحقاقات الجزية العثمانية من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩٥٥ بدون حق وبدون اساس ، وفي هذه الفترة دفعت مصر بالذهب مبلغا مقداره ٢٣١٧٤٩٨٤ جنيها .

وحين طلب « جمال عبد الناصر » مذكرة عن الموضوع جاءه الرد (٩) بأن مصر دفعت فعلا ، ودفعت بغير حق ، وأنها تستطيع مطالبة تركيا بما أخذته وتضيف عليه فوائد بواقع خمسة في المائة سنويا وهو سعر الفائدة العالمي السائد وقتها ، ثم يكون لها أن تنتظر من تركيا رد المبلغ وفوائده وقد أصبح على هذا الأساس أكثر من سبعين مليون جنيه (١٠) . وكان « جمال عبد الناصر » يدرك في أعماقه أن تركيا لن ترد شيئا ، ومع ذلك أشار بضرورة المطالبة . ولم تدفع تركيا بالطبع .

وكان ذلك مجرد نموذج ا

والحقيقة أن مشكلة الجهاز الإدارى على كل المستويات كانت تسبب أرقا له « جمال عبد الناصر » وهو يحاول تجديد بناء الدولة في تلك الأيام .

ولقد تصور أن إصلاح الأمر ممكن فى بداية الثورة عن طريق تطهير الجهاز الحكومي ، لكن التطهير أثبت أنه مجرد تكرار على نطاق أوسع لما كانت تقوم به الأحزاب من هزات قبل الثورة ، ذلك أن محاولة التطهير تحولت إلى فرصة لعناصر تحاول إزاحة عناصر ، وجماعات تريد أن تطفو على السطح بدلا من جماعات .

ولم تكن تلك الأحوال مستغربة على « البيروقراطية » المصرية . فه ودبئة الكهنوت المصرى الفرعونى القديم ، فقد تواكبت نشأة البيروقراطية المدية مع نشأة الزراعة في مصر ، ثم تعاقبت الدول غازية أو فاتحة ، وكان الجهاز البيرانراطي على استعداد لمسايرتها جميعا واسترضائها واحدة بعد واحدة ، بل كان على استعداد لاستيعاب قوتها وامتصاص طاقتها وجعلها دواما في حاجة إليه .

وفى بداية الثورة كان الجهاز البيروقراطى ينظر إلى الحكام الجدد بن الفساط نظرة حذر واتقاء للشر، فقد بدت السلطة في أيديهم بدائية وعنيفة خصوما وأن مصادر هذه السلطة توحدت وتركزت، ولم تعد كما كانت من قبل مرنة بحكم تعدد مصادرها (الإنجليز والقصر والأحزاب).

ومع ذلك، فإن الجهاز البيروقراطى على نحو أو أخر ساورته الشكوك في قدرة السلطة الجديدة على الاستمرار، فهؤلاء « الضباط لم يتهيأوا للمفاعد التي جلسوا عليها »، والنظام الملكى قد تسنح له فرصة ، والأحزاب قد تعثر على فجوة ، والإنجليز قد لا يجلون ، وإذا جلوا فقد يعودون مع استمرار احتكاك النظام الجديد بهم في المنطقة .

ومع نتيجة المعركة _ فإن البيروقراطية المصرية بدأت تدرك أن النظام الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ١٩٥٦ والذى راح يعيد صبياغة شبرعيته فى أواخر سنة ١٩٥٦ - باق معها إلى زمان طويل _ لكن الموروث تظل له الغلبة على المكتسب .

وبطريقة ما فإن البيروقراطية المصرية التقليدية كانت تشعر أن النظام الجديد لايوليها ثقته ، وأنه يخشى على أماله من سراديبها ، كما أنه يتوجس من خبرتها الطويلة في استيعاب الموجات الوافدة .

ولقد رأته منذ البداية يحاول تجنب طريقها فينشىء مجلسا أعلى للانتاج بتولى تنفيذ المشروعات بعيدا عنها ، ويفعل نفس الشيء في مجال الخدمات بمجلس أعلى لها أيضا . . . وكانت هذه الثقة المتأرجحة بين قيادة الدولة وجهازها الإدارى _ ومحاولة الدوران حولها بطرق بديلة أو موازية _ مشكلة حقيقية !

Г

وكان الحل الذى وجده « جمال عبد الناصر » لهذه المشكلة التى بدت له مزمنة ومستعصية هو التوجه إلى الجامعات يضخ منها دما جديدا إلى الجهاز البيروقراطي التقليدي .

⁽١١) تقرير من وزارة الخارجية برقم ١١٥/٣٤٢/١١٥

⁽١٠) بقيمة النقود الآن يصبح هذا المبلغ قرابة الف مليون دولار!

تصور « جمال عبد الناصر » _ وكان التصور صحيحا إلى حد كبير _ ان الجامعات هي موطن العلم ، فإذا ما أضيفت إلى العلم خبرة التنفيذ مع قلبل من الصبر _ فإن النتائج قد تكون مبشرة . وفي شهور قليلة من نهايات سنة ١٩٥٦ وبدايات سنة ١٩٥٧ انتقل من الجامعات والمعاهد العليا أكثر من ألف رجل بما لديهم من علم وفكر إلى ساحة العمل التنفيذي .

كان تصور التوجه إلى الجامعات قد طرح نفسه في الواقع قبل المعركة بشهور ، وذلك في الوزارة الأولى التي رأسها «جمال عبد الناصر » بعد انتخابه رئيسا للجمهورية في يونيو ١٩٥٦ ، وهي الوزارة التي دخلها الدكتور «عزيز صدقي » والدكتور «مصطفى خليل » والمهندس «سيد مرعي » والدكتور «عبد المنعم القيسوني » ـ وعندما طرح هذا التصور ، فقد كان ذلك من باب التجربة ، وبعد المعركة فإن نجاح التجربة ما لبث أن حولها إلى شبه قاعدة .

وهنا ايضا لم تكن المهمة سهلة . فقد كان لابد _ أولا _ من إقناع القيادات الجديدة القادمة من الجامعات إلى قمم العمل التنفيذى بفكر الثورة أساسا ، والثورة ليست مجرد إدارة لما هو قائم ، وإنما حلم يسعى لتحقيق ما يجب أن يقوم باستعمال طاقة الجهد الوطنى إلى مداها .

وكان لابد - ثانيا - من تمكين هذه القيادات الجديدة من فرصة مفتوحة لاختيار مساعديهم ، ونقل فكر الثورة كما فهموه إليهم ، وخلق روح فريق بينهم ، ثم تحريك طموحاتهم في اتجاه خطة تستطيع ملامسة الحلم .

وكان لابد - ثالثا - أن تتاح لهذه القيادات الجديدة امكانية دراسة مجالات اختصاصهم للتعرف على كل المتاح إلى نهاياته ، فأسهل الأشياء تعريف المتاح بالاعتماد على تقديرات البيروقراطية القديمة ، وهى بدورها لاتستطيع تخطى الحدود التى عرفتها من قبل ، وإذا حدث ذلك فهو العقم .

كانت تلك مشاكل عملية ، وفي نفس الوقت كانت هناك مشاكل ذاتية ، أو لعلها نفسية .

ذلك أن هؤلاء القادمين الجدد كان يمكن أن يتصادموا مع العسكريين المهاجرين إلى العمل السياسي في السلطة سواء من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، أو من تنظيم الضباط الأحرار ، فهؤلاء العسكريون يعتبرون أنفسهم أكثر أهلا للثقة ، والقادمون الجدد يعتبرون أنفسهم أكثر استحقاقا بالعلم والخبرة ، وكان تفكير « جمال عبد الناصر » أن تجربة العمل المشترك في تنفيذ حلم وطنى طموح سوف تحقق مزجا واندماجا

بين الفريقين ، فيصبح اهل الثقة من اهل الخبرة ، ويصبح اهل الخبرة من اهل الثقة(١٠) .

كانت هناك مشكلة أخرى محتملة، وهى أن التنافس قد يقع بين القادمين الجدد وبعضهم خصوصا وأن طبائع الأشياء تحرض صاحب كل اختصاص على أن يتصور بحق أو بغير حق أن اختصاصه هو الأولى بالرعاية، والأحق بالنصيب الأكبر من الموارد.

ربصفة عامة ، فإن النتيجة كانت مقبولة ، وإن كانت بعض المحاذير فيما سبق كلا، قد استحال تفاديها .

كانت هناك فجوة أخرى قائمة وهي فجوة الفكر والثقافة .

فالفكر والثقافة دائما طلائع الثورات.

لكان عقل مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وإلى منتصف القرن العشرين بنف حائرا ومترددا أمام تيارين في الفكر والثقافة :

□ أولهما: التيار الديني بأصوله الراسخة المتمثلة في الأزهر العتيد .

□ وثانيهما : هو التيار الليبرالى الذى ترجم عن أوروبا الغربية ، ونسى نفسه عاشقا منهما بما ترجم .

كان التيار الأول مأخوذا بالتراث، وكان التيار الثاني ماخوذا بالتجديد.

وكان التراث الذى وجده اصحاب التراث هو ما ابقته الايام بعد العصور الملوكية والعثمانية ـ ولم يكن هذا صالحا للعصور الجديدة المتغيرة . وبنفس المقدار فإن التجديد الذى حصل عليه اصحاب التجديد لم يزد كثيرا عن جهد الترجمة ـ ولم يكن ذلك كافيا للواقع الاقتصادى الاجتماعى . ولم يستطع التياران إيجاد لغة مشتركة بينهما إلا من خلال الاستثناء ، وليس من خلال القاعدة .

⁽۱۱) كل النظم السياسية في العالم لها حق الاستعانة ، باهل الثقة ، من انصارها باعتبارهم الأقدر على فهم سباساتها ونظيدها . فالرئيس الأمريكي مثلا له الحق فور توليه مسؤوليته في حوالى الفي منصب يستطيع ان بشظها بنعينات سياسية ، ويدخل في هذا الإطار اكثر من ربع السفراء الأمريكيين في عواصم العالم المختلفة ، وبلانات في العواصم الكبرى مثل لندن وموسكو وبكين وباريس وغيرها .

وأصبح الفكر والثقافة في مصر خطين متوازيين لايلتقيان إلا فيما ندر ، ومن الحق أن يقال إن الإمام الشيخ « محمد عبده » وجيل الرواد من أمثال « طه حسين » و « أحمد أمين » و « أمين الخولي « قاموا بمحاولات شجاعة للوصل لقيت بعض النجاح في وقت من الأوقات ، ثم غلبتهم الضغوط من الناحيتين .

ولقد أضيف إلى هذين التيارين - شبه تيار ثالث لم يقدر له أن يتقدم كثيرا ، وهو تيار الفكر الماركسي الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية ، والذي حدث أن هذا التيار كان بعيدا تماما عن التربة الوطنية والقومية ، وقد جاءها غريبا ، وعندما بدا أنه يتخلص من غربته ويتاقلم كانت مصادره ومنابعه نفسها تجف ، والعصور تتجاوزه .

والواقع أن التيارات الثلاثة كلها - بما لها وما عليها - لعبت دورا هاما في الحالة الثورية التي سادت مصر قبل الثورة ، لكن هذه التيارات جميعا وقفت أمام الحدث الجديد - الباحث عن حلم غير محدد - عاجزة ، وقصارى ما كان في جهدها هو أن تسايره ، أو أن تداريه إلى حد أو آخر . ولم تكن المسايرة أو المداراة هما الدور الصحيح للفكر والثقافة ، فكلاهما كان يتعين عليه أن يقود . ومع ذلك فالقيادة الفكرية والثقافية لا تحدث اصطناعا أو اختلاقا . وهنا ظهرت الفجوة .

ولقد كانت المحاولات لتجسيرها ساذجة في بعض الأحيان.

سعى بعض الضباط إلى الجامعات ليصبحوا من « الدكاترة » ـ ف نفس الوقت الذى سعى فيه بعض « الدكاترة » إلى مراكز السلطة لكى يصبحوا من « الضباط » .

وتحمس بعضهم يبحث عن عقائديين يلقنونهم الفاظا مستحدثة عن « الثورة » و « التفاعل الثورى » و « مصالح كل الجماهير » ، إلى آخره .

ثم إن البعض الآخر ممن لم يستطيعوا _ أو لم يشاءوا _ تحصنوا وراء المتاريس القديمة يحاربون معاركهم بدرع الدين وسيفه .

وكانت تلك أزمة حقيقية أدت إلى خلط شديد ، وكان واقع الحال في مصر يساعد عليها ، فالعقل المصرى ينوء تحت ثقل كبير جدا من التراث ، والضمير المصرى ينوء تحت ثقل كبير جدا من التاريخ ـ كل هذا والجغرافيا المصرية فقيرة شحيحة إلى درجة العخل!

ومع ذلك ، فقد كان النظام الثورى مندفعا على طريق التجربة ، وكان الامل ان الاندفاع ، والاحتكاك بقوى العصر سوف يحقق المعجزة ، كما أن حركة التبادل الحى مع هذه القوى قد تحدث مزيجا من كل النافع في التراث وفي الجديد وفي الفكر التقدمي والمتقدم في العالم تكون منها صياغة خلاقة لفكر خصب وثقافة مزدهرة . ولقد كان الفتيل موجودا ، والزيت موجودا ، وقد تجىء من الاحتكاك بالعصر وبحركة التبادل الحى مع قواه شرارة يشع بعدها الضياء وينتشر .

ومن باب الإنصاف ، فإن شيئا من هذا حدث خصوصا في مجالات الفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى ، وربما كان التعبير في هذه المجالات أسهل ، وربما أيضا _ من باب العدل _ أن التعبير في هذه المجالات كان أبعد عن الصدام مع سلطة بدت في عجلة من أمرها وجال بخاطرها أن تغيير المجتمعات يستطيع القفز فوق مراحل التطور .

ومع ذلك بدا أن قوة الآمال قد تستدعى قدرة تحقيقها!

ولقد اتصلت بذلك قضية أخرى حيوية وهى قضية الديمقراطية ، وكانت هذه القضية شاغل مصر قبل الثورة . ولقد اكتشف « جمال عبد الناصر » - خلافا مع تصورات خطرت له قبلها - أن الديمقراطية لم تكن نظام مصر قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . صحيح أنه كانت هناك أحزاب متعددة ، لكن هذا التعدد كان في واقع الأمر يمثل طبقة واحدة هي طبقة كبار الملاك .

في أيديهم الثروة، ومعنى ذلك أن في أيديهم السلطة.

ولقد تغيرت تصوراته عندما أتيح له أن يطل على المجتمع المصرى من الداخل ، ولقد تيقن من أن الأحزاب هي الطلائع السياسية للطبقات ، وبما أن الواقع كان يشير الى أن مصر كانت طبقتين : طبقة من الملاك ، وطبقة من المحرومين - إذن فإن الحكم في مصر في الواقع كان لحزب واحد يمثل طبقة واحدة تتنازع داخله جماعات متفرقة تنتمي إلى نفس الطبقة .

وإذا كان مطلوبا أن تكون هناك ديمقراطية حقيقية ، فإن هذه الديمقراطية لاتستطيع أن تنمو إلا بنمو طبقات المجتمع كلها بما يسمح بإيجاد توازن بينها تعيش الديمقراطية على حركته وتزدهر بتفاعلاته ..

وكانت بعض توجهات الثورة قد أزاحت كثيرا من الامتيازات الطبقية القديمة ، وكان قانون الإصلاح الزراعي أهم هذه الخطوات . ولم يكن الإصلاح الزراعي

اختراعا توصل إليه « جمال عبد الناصر » أو توصلت إليه الثورة ، بل إنه كان مطلبا مكبوتا في المجتمع المصرى نادى به كثير من المفكرين ، بل وتمناه بعض من تمرسوا بمسؤوليات الحكم والسياسة في مصر قبل الثورة بكثير .

وفي يوم من الأيام عثر « جمال عبد الناصر » في ملفات مجلس الوزراء على وثيقة اثارت اهتمامه .

كانت الوثيقة خطابا بخط يد « اسماعيل صدقى » (باشا) الذى تولى رئاسة الوزارة في مصر اكثر من مرة في العهد الملكي .

كان الخطاب موجها من رئيس الوزراء « اسماعيل صدقى » (باشا) إلى وزير الشؤون الاجتماعية في وزارته وهو « عبد الجليل أبو سمرة » (باشا) وكان نص الخطاب كما يلى :

« ریاسهٔ مجلس الوزراء(۱۲) فی ۱۹ ابریل ۱۹۶۲

حضرة صاحب المعالى وزير الشؤون الاجتماعية

إن البحث الذى تقوم به اللجنة العليا لمقاومة الفقر والمرض والجهل يستدعى اول ما يستدعى وضع التشريع الذى ينظم الإصلاح الزراعى ، وهو الإصلاح الذى يشمل اثره ثلاثة ارباع سكان القطر واكثريتهم ممن يرزحون تحت أحمال المرض والفقر والجهل ، وقد قامت صفوة من الباحثين الاجتماعيين واستعرضوا في الزمن الأخير اوضاع الريف المصرى من الناحية الاقتصادية ، وهى المتصلة بمعظم متاعب الفلاحين ، وانتهوا إلى حصر العلاج في وسائل قليلة العدد ، ولكنها قوية الاثر تتلخص فيما ياتى :

(1) نشر الملكية الصبغيرة التي تحقق حدا الني لحياة اسرة ريفية عادية ، والتي تسمح بتكوين طبقة ثابتة من صغار الملاك الزراعيين هي دعامة قوية من دعائم المحتمع .

(٣) حماية الملكيات الصغيرة من التقسيم الذي ينزل بها عن الحد الأدني اللازم لتحقيق مستوى معيشة مقبول، ويحول دون استثمارها استثمارا اقتصاديا صالحا، وهو ما يدعو إلى تحريم التجزئة المترتبة على البيع والإرث.

(٣) تقييد الملكيات الكبيرة ، وله وسائله المعروفة من قصر الأرض الزراعية على من يتعهدها ، ووضع حد أعلى للملكية الواحدة ، وفرض ضريبة تصاعدية على هذه الملكيات الخ

(ا) تنظيم الإيجار والعمل الزراعي كي يوزع ربح الأرض توزيعا علالا بين

المشتركين في تكوينه ، وينال كل ، قسطا من الرزق يسمح بحياة مقبولة . وهذا مما يدعو لوضع سعر للإيجار على اساس سليم . وحد للمساحة . وتعيين للزمن بحيث يشعر المستاجر بما يشبه مزايا الملكية – اما حماية العمل الزراعى فهو متشعب الإطراف والنواحى ، ويستدعى اول ما يستدعى الحيلولة دون إشباع مطامع اصحاب العمل بربط الأجور على اساس قانون العرض والطلب الذي كان السبب لا المناقة المنتشرة بين عمال الريف في القرى المكتظة بالسكان .

أود أن تعرض هذه المسائل وغيرها مما يتعلق بسكان الريف ومنهم سكان العزب ـ الذين لهم شانهم الخاص من النواحي الصحية والاجتماعية والاقتصادية بل والتعليمية ـ على اللجنة العليا . ولكن بعد أن تنال قسطها من بحث وزارة الشؤون الاجتماعية (وقد كانت بحسب ما علمت محل الدراسة من هذه الوزارة) حتى إذا ما أقرت اللجنة العليا المبادىء الاساسية للإصلاح قامت باقتراح التشريعات التي توفر له التنفيذ ـ واكون سعيدا لو جاءني من معاليكم مايطمئنني على أن الموضوح حائز لعنايتكم واهتمامكم .

(إمضاء) اسماعيل صدقى »

والواقع أن = جمال عبد الناصر » اهتم بهذه الوثيقة ، واطلع كثيرين من زملائه عليها ، وهو يقول : « لقد كان انطباعي عن صدقي (باشا) انه من غلاة الرجعيين ، ومن واجبى أن أراجع نفسى ولا أظلمه » .

والآن كان الإصلاح الزراعي في تفكير الدولة المتجددة أكبر من مجرد حل لمشاكل الجهل والفقر والمرض ، وإنما كان قاعدة من أهم قواعد التمكين للديمقراطية .

ولقد جاء الفوران الذى صاحب المعركة من اولها إلى آخرها ، ثم جامت الأمال والطموحات التى أظهرتها حركة الجماهير بعدها لتقنع الجميع بانه لابديل عن مشاركة كل الشعب في المرحلة المقبلة .

وكان السؤال المعضلة هو : كيف ؟

إن الديمقراطية لاتتحقق بمجرد فوران الجماهير ، لأن الأمال لا تتحقق بمجرد العواطف ، وإنما تتحقق الديمقراطية وتتحقق الآمال المعلقة عليها بتنظيم وإدارة حركة الجماهير .

وكانت الثورة من قبل قد أنشأت تنظيما باسم « هيئة التحرير »(١٣) ، لكن ظروف إنشاء هذا التنظيم كانت دفاعية في أعقاب اختفاء « الوفد » والصدام مع

⁽۱۳) ۲۳ ینایر ۱۹۰۳ .

⁽١٢) صورة لخطاب صدقى (باشا) في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب صفحة ٧٩٧ تحت رقم = .

جماعة الإخوان المسلمين . والآن حان الوقت لكى يصبح التنظيم السياسي اداة فعل مستقبلي ، وبدأ التفكير في تنظيم جديد باسم « الاتحاد القومي » . ولم تكن المهمة سهلة ، فقد كان الطابع الرسمي يفرض منطقه بقوة الواقع على التنظيم الجماهيري - ثم إن شرعية • جمال عبد الناصر » كانت تصل مباشرة إلى الناس وتنقل مباشرة عنهم دون حاجة إلى أسلاك أو قنوات ، وساعدت على ذلك أكثر تكنولوجيا الاتصال (الإذاعة والتليفزيون فيما بعد) ، ثم إن قوة الجهاز الحكومي مع مرحلة التأهب لخطط طموحة في مجالات التنمية أخذت موقع الصدارة .

ومرة اخرى فإن الشرعية الفوارة التي نضجت وبرزت من تجربة النار ـ بدت قادرة على تخطى الواقع وتجاوز عقباته حتى تتلاحم المواقع والجبهات ـ لكن هذا التلاحم يحتاج وقتا ، كما يحتاج مناخا .



هدف الشرعية الجديدة ـ وهدف جهاز السلطة وجهاز التنفيذ والتنظيم الشعبى إذا قام وراءها ـ هو الهدف الثابت للعمل السياسى على طول الأزمنة والعصور ، وهو هدف تغيير المجتمعات : إدارة مواردها وتعبئة طاقاتها لصنع غد لها افضل من يومها ومن أمسها .

وعندما بدأ « جمال عبد الناصر » مسلحا بشرعيته الجديدة المستمدة بالدرجة الأولى من أمال مستقبلية عبرت عنها حركة الجماهير في ظروف المعركة - فقد استهول بعض ما بدا له ، لم تكن مصر مجرد طبقات أفقية وإنما كانت كتلا رأسية في نفس الوقت ، وأكبر كتلة فيها لم تكن لها ، وإنما للغرباء عنها !

كان قد واجه استغلال المصرى للمصرى حسب تعبير ■ مكرم عبيد »(١٤) _

وذلك بقانون الإصلاح الزراعي . كانت ملكية الأرض هي ما رأه فاضحا وقتها وتصرف حياله .

وفيما يتعلق بالسيطرة الأجنبية ، فقد كان الاحتلال العسكرى هو الصورة الفاضحة فيما رأه وواجهه بالمفاوضات وبالحرب . والآن وبعد معركة السويس ، فإنه بدأ يرى صورة أخرى لحقيقة السيطرة لم تكن واضحة بالكامل أمامه من قبل . كان يعرف أن هناك مصالح أجنبية كبيرة في مصر ، ولكنه لم يتصور حجمها كما كشفت عنه الوقائع ، وكان تأميم قناة السويس هو بداية الكشف الجلى ، ثم جاءت معركة السويس فإذا الحقيقة كلها عارية أمام عينيه .

وبدأ يتصرف بقوة وحزم حتى قبل أن يتوقف إطلاق النار على جبهة القتال .

وراحت أصداء التصرفات التي تترى في القاهرة تطرق أسماع العاصمة البريطانية ، وتشجلها وثائق الخارجية البريطانية ـ ملفات القسم المصرى .

أولها في الملفات تقرير يقول:

∎ سری رقم 77 / J.E. 1015

لقد عاد المستر ارنست كوبر، وهو رئيس شركة برايس، ووترهاوس، بيت وشركاهم، وهي شركة مجاسبة قانونية في القاهرة، وقد قدم تقريرا إلى القسم المصرى جاءت فيه المعلومات التالية:

(1) لقد استولى المصريون على شركة حلوان بورتلاند للأسمنت ، وهى فرع الشركة تائل سيمنت التى يملكها الدانماركيون ، ولقد طرد المصريون كل الموظفين الأجانب ، واستولوا على الشركة .

(ب) استولى المصريون على شركة ضاحية هليوبوليس (مصر الجديدة) التى تملكها مجموعة مالية بلجيكية ، وقد قاموا بطرد كل مديريها الإنجليز والفرنسيين واليهود ، واظهر المصريون انهم لن يدفعوا تعويضات .

(جـ) استولى المصريون على شركة ترام القاهرة ، وهي مملوكة لمجموعة بلجيكية .

(د) استولى المصريون على ما يقارب ١٢٠ شركة كبيرة يملك الرعايا الاجانب حصصا كبيرة فيها، وبينها شركة شل للبترول.

(هـ) استولى المصريون على شركة مولارد للشرق الأوسط ليمتد ، وهى شركة بريطانية ، وذلك بوسائل ملتوية ، وهذه الشركة وإن كانت بريطانية في إدارتها إلا انها هولندية في ملكيتها .

(و) الغى المصريون ترخيص العمل لثلاث من شركات المحاسبين القانونيين

⁽ ١٤) ابرز سياسى قبطى في المرحلة الواقعة بين ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٧ ، وكان سكرتيرا عاما للوفد المصرى ، وتولى وزارة المالية عدة مرات ، وانفصل عن الوفد بتأثير غوايات القصر ، والف حزب الكتلة ، وكان من اذكى الساسة المصريين قبل الثورة ، ومن اكثرهم تقدما في فكره ، واكثرهم مقدرة على التعبير عن نفسه كتابة وخطابة

■ ـ يبدو للمستر الكسندروف ان المصريين يريدون لهذه الشركات التي استولوا عليها أن تواصل عملها كالمعتاد ، وقد تمكن الإخوة رالى اصحاب الشركة من الاتصال بكل عملائهم في الخارج ليخطروهم انهم لم يعودوا الان مسيطرين على فرعهم في الاسكندرية ، ويطلبون منهم التصرف على هذا الاساس .

(الإمض*ناء)* ت . س . **تال** 11/۲3 _ 14

وما لبث مصدر هذا التقرير الأخير أن أضاف إليه ملحقا:

« سری

رقم J.E. 1015 / 79

جاء إلى الإدارة المصرية اليوم مرة اخرى المستر الكسندروف ، وادلى بالمعلومات التالية :

۱ - إن المصريين استولوا على اقطان في شركته تساوى مليون جنيه ، وقد رفضوا الاعتراف بديون لشركته والتزامات إزاء البنوك بينها نصف مليون جنيه للبنك البلجيكي .

٢ - استولى المصريون على بورصة العقود للقطن ، واحتلوا كل بيوت السمسرة العاملة بها .

٣ - احتجز المصريون كل الاقطان التي كانت في طريقها إلى الموانيء المصرية للتصدير للخارج.

٤ - سوف يجد حكام مصر الجدد انفسهم في صدام مع كبار مصدرى القطن المصريين مثل فرغلى باشا الذين سوف يراودهم الخوف عندما يجدون انفسهم بمفردهم مع الوحش الذي دخل عليهم في السوق.

o = lvل الكسندروف ببعض المعلومات السياسية التى سمعها قبل ان يغادر الإسكندرية ، وبينها ان ناصر اطلق النار بنفسه على الماريشال صدقى والأميرال عزت ، وانه القى بعبد الحكيم عامر في السجن . كما قال لنا تعبيرا عن شعور عامة الشعب المصرى إن احد سائقى التاكسى قال له معلقا على الحوادث : • نحن لا نريد من هؤلاء الضباط شيئا . نريد منكم الثلاثة قروش التى تعطونها لنا كل يوم وهى تكفينا » .

ويحتوى نفس الملف J.E. 1015 بعد ذلك على مجموعة من التقارير المشابهة قدمها المستر فيفيان جوبز مدير البورصة الملكية لعقود التأمين ، والمستر ابيتسون مدير بنك أيونيون ، والمستر جون ماكناب رئيس إدارة شركة ايسترن للدخان . وكان

البريطانيين العاملين في مصر، وبينهم شركة برايس، ووترهاوس، بيت وشركاهم، ويبدو أن ناصر قد تجاوز حدود الانتقام من المصالح البريطانية، فهو الآن ينقض على المصالح الفرنسية والهولندية والبلجيكية والدانماركية، وهو ينتهز فرصة الازمة لكى يكسر العمود الفقرى للمصالح الغربية في مصر، ومن المؤكد أنه سيواصل ضرباته ليكسر الطبقة العليا المالكة في مصر، إن الموقف في منتهى الفوضى، وبالتاكيد فإن هناك تأثيرات شيوعية في الموضوع.

(الإمضاء) ت . س . تال ۲۱/۲۲ = ۱۹۵۲

وقد أشر وكيل وزارة الخارجية البريطانية بما يلى:

« لابد ان نثير حملة «عائية حول هذا الاستيلاء بالقوة على المصالح الغربية ، ولابد ان نلاحظ ان يكون تركيز الحملة بعيدا عما اصاب الرعايا البريطانيين بحيث ينصب كله على غيرهم من الأجانب ، ولكى لا نكون بمثابة من يعلن عن ضعفه «

ثم يلحق بالتقرير الأول تقرير ثان:

۽ سري

رقم J.E. 1015 / 78

جاء إلى القسم المصرى بوزارة الخارجية اليوم المسترج . ج . الكسندروف رئيس شركة رالى إخوان في الإسكندرية ، وهي من اكبر شركات تصدير القطن ، وادلى لنا بالمعلومات التالية :

١ - إن كل الشركات الأجنبية التي يعرفها في الإسكندرية قد تم الاستيلاء عليها بما في ذلك شركات تصدير القطن ، وشركات التامين ، وشركات الملاحة ، وكافة شركات النشاطات التجارية الأخرى .

٢ - إن المصربين الذين دخلوا للاستيلاء على شركته واجهوه بجرد كامل الصولها ،
 وقد وجهوا إليه الاتهام بانه هرّب بعض اموالها عن طريق السفارة البريطانية في القامرة .

٣ ـ استولى المصريون على شركة باسيلى وشركاه لتجارة الأخشاب وهى اكبر الشركات العاملة في تجارة الأخشاب في مصر . وصاحب الشركة باسيلى باشا لبنانى الاصل ، والبريطانيون لايملكون في اسهمها اكثر من ٢٠٠٠ جنيه ، ومع ذلك استولى المصريون على الشركة بالكامل .

ا ـ يبدو للمستر الكسندروف ان المصريين يستولون على كل ما تصل إليه ايديهم من الأصول الأجنبية في الشركات الصناعية ، أو التجارية ، أو المالية التي تصل إليها ايديهم .

اهم ما اضافه هذا الأخير أن المحلات التجارية لعدد كبير من اليهود المقبمين في مصر، وبينها محلات داود عدس وشيكوريل وهانو وشملا وأوروز دى بك قد تم الاستيلاء عليها.

ف هذه الفترة استرد الشعب المصرى كل ما سلب منه بالنهب المنظم الأول الذى تعرض له فى تاريخه الحديث ، وهو النهب الذى جرى على طول الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين ، واسترد أيضا كل ما سلب منه فى حماية الامتيازات الأجنبية التى ظلت تحاصره حتى وقع « مصطفى النحاس » (باشا) اتفاقية إنهاء الامتيازات الأجنبية فى « مونترو » على أن الضرر كان قد وقع ، ففضلا عما تم نزحه من ثروة مصر إلى خارجها ، فإن ما بقى فيها كان معظمه تحت السيطرة الأجنبية فيما عدا ملكية الأرض الزراعية التى كانت قبضة الأجانب قد ارتخت عنها لأسباب كثيرة أهمها أن الريف المصرى بدأ يظهر نوعا من التمرد .

ولقد كانت السيطرة الأجنبية على القطاع الصناعى والتجارى والمالى وقطاع المقاولات شبه محكمة ، وإذا اتخذت عضوية مجالس إدارة الشركات مقياسا للاستدلال ، فقد كان نصف مقاعد مجالس إدارة الشركات للأجانب ، وكان الربع للجماعة التى اطلق عليها وصف « المتمصرين » ، واما الربع الباقى فقد كان متاحا للمصريين ومعظمهم من الباشوات الذين يتصدرون المجالس شكلا دون ان تكون لهم علاقة بأعمالها موضوعا . وبالطبع فإن الهياكل الإدارية العليا لكل هذه الشركات (وبينها البنوك ، وشركات التأمين والملاحة ، وتجارة الصادرات _ خصوصا القطن _ والواردات على اختلاف انواعها ، والمشروعات الإنشائية الكبرى كضاحية مصر الجديدة ، ومصانع الاسمنت والسكر والزيوت والصابون ، واستخراج البترول وتكريره ، وتوليد الكهرباء وبيعها في القاهرة والإسكندرية ، وشركات الغنادق الكبرى إلخ إلخ) _ كانت كلها حكرا على

وحين يتطلع أى دارس الآن إلى هذه الفترة يتأملها فقد يستطيع أن يتوصل إلى الاستنتاج بأن تطورات المسائل كانت ترتيبا منطقيا تمهد مقدماتها لنتائجها خطوة بعد خطوة ، بمعنى أن جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس _ قاعدة السيطرة العسكرية _ كان مؤكدا أن يؤدى منطقيا إلى تأميم شركة قناة السويس ، ثم إن تأميم شركة قناة السويس _ وهى قلعة السيطرة الاقتصادية _ كان يجب أن يؤدى منطقيا بدوره إلى استرداد بقية المصالح المنهوبة التى تغطى معظم مناحى النشاط والحياة فى مصر . لكن المنطق بأثر رجعى سهل ، وأما وقتها فإن تلاحق التطورات لم يكن سريعا

فحسب وإنما كان محفوفا بالمخاطر أيضا ، وفي أقل القليل فإنه كان يحتاج إلى أعصاب من حديد .

على أن هذه التطورات المتلاحقة السريعة والخطيرة فى نفس الوقت _ ترتبت عليها نتائج اكثرها إيجابى لكن بعضها كان سلبيا .

على الجانب الإيجابى، فإن نجاح المصريين في إدارة النا السويس صاحبه نجاح لا يقل عنه أهمية في إدارة معظم المصالح التي تم استردادها من مخالب النهب، وأمكن في معظم الأحيان لعملية الانتقال من الإدارة الاجنبية إلى الإدارة المصرية أن تتم بنجاح. ولقد كانت هذه المصالح على أى حال هي الركيزة الأساسية لقيام القطاع العام الذي لايزال حتى هذه اللحظة أهم قوى الانتاج في مصر.

أما النتائج السلبية ، لله كان ظهورها بذورا مبكرة لمشاكل سوف تنمو فيما بعد وتتفاقم .

■ كانت أولى هذه النتائج السلبية أن الرأسمالية المصرية الوليدة حاولت أن تشترى بعض المصالح الأجنبية المستردة، ومن ذلك أن « احمد عبود » (باشا) وهو أغنى رجل في مصر قبل الثورة حاول أن يشترى شركة الفنادق المصرية، وكانت مملوكة للبلجيك قبل استردادها ـ ولقد رفض طلبه بعد فترة من التفكير والتردد. وكان منطق « جمال عبد الناصر » في الرفض أنه إذا اشترى « عبود » (باشنا) شركة الفنادق المصرية ـ إذن فإن آخرين غيره سوف يتقدمون الشراء شركات أخرى . والمستعدون لشراء هذه الشركات سوف يكونون مثل « عبود » (باشنا) من الأغنياء ـ وإذن فمعنى ذلك أن كل ما تم من إجراءات سوف يؤدى إلى جعل الأغنياء المصريين أكثر غنى ، وبالتالى تجعل الفقراء أشد فقرا ، وليس هذا هو المقصود من استرداد المصالح تجعل الفقراء أشد فقرا ، وليس هذا هو المقصود من استرداد المصالح الأجنبية المنهوبة .

ونتيجة لرفض طلب « عبود » (باشا) فإن الرأسمالية المصرية الوليدة بدأت تتوجس خيفة ، فلقد فهمت بوضوح أن توسعها ليس مطلوبا ، وإذا كان الأمر كذلك فإن حصر نشاطها وارد !

● نتيجة أخرى سلبية هى أنه باسترداد هذه المصالح الاجنبية كلها ، فإن مصر شهدت عملية خروج للأجانب على نطاق واسع منها ، والحقيقة أنه في تلك الظروف خلت فجأة قرابة عشرة آلاف وظيفة من وكانت القضية ملحة وعاجلة ، والقيادة السياسية العليا للعمل الوطاحى ف شغل عنها بذيول القتال المسلح ، والمعارك السياسية الزاحفة في الده وجرى البت على عجل . وفي ظرف شهور معدودة تقدم آلاف من العسكريين والمدنيين إلى

وفي ظرف شهور معدودة تقدم آلاف من العسكريين والمدنيين! في مناصب ومواقع كانت في انتظارهم، وحدث خلط حين فهم بعض هؤلا أنهم في مناصبهم ومواقعهم الجديدة بحكم الاستحقاق، وليس بحكم التكليف بمهمة اجتماعية، وساعد على هذا الخلط انهم حصلوا على نفس المرتبات والمكافات التى كانت مخصصة من قبل لمناصبهم ووظائفهم، وكانت الدعوى انه ليس من العدل تخفيض مخصصات العمل لمجرد أن شاغله أصبح مصريا!

• نتيجة سلبية أخرى ، وهى أنه بسبب نزوح هذا العدد الهائل من الأجانب عن مصر _ فإن المساكن ، بعد المناصب والوظائف _ أصبحت خالية ، وكانت هذه المساكن بالطبع في أرقى أحياء القاهرة . وهكذا فإن التقدم إلى المناصب والمواقع ، ما لبث أن تبعه زحف منظم على المساكن أيضا .

ولقد حدث في كثير من الأحيان. أن الصعود الاجتماعي الجدب ' بالوظيفة والسكن ، تزامن مع صعود مناسب له في الحالة العائلية ' وكان في ذلك كله ما يدعو إلى التطير !

وهكذا فإنه من المفارقات الغريبة أن لحظة ثورية فريدة في تاريخ مصر شهدت البذور الأولى لظهور « طبقة جديدة » - كان مقدرا لها فيما بعد أن تقوم بدور بالغ الضرر على الثورة خصوصا وأن هذا الدور وقعت ممارسته من داخلها ، وأحيانا بنفوذها وهيبتها .

إن مثل هذه الظواهر حدثت في كل الثورات ابتداء من الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وحتى الثورة السوفيتية وغيرها من الثورات ، وإن كان المفروض أن اللاحقين يتعلمون من دروس التاريخ السابقة . والواقع أن " جمال عبد الناصر " ما لبث أن تنبه إلى نمو طبقة جديدة ، وحاول بالفعل تصفية مشكلتها لكنه حين فعل كانت الامتيازات الجديدة قد عمقت آثارها ، والنتيجة أن الذين دفعتهم الثورة إلى عوالمهم الجديدة لم يكونوا على استعداد للتنازل وإنما كان استعدادهم أقرب إلى تغيير ولاءاتهم!

ومهما يكن ، فإنه في ظروف الفوران التي كانت مصر تعيشها في تلك الأيام بدت هذه المشكلة محصورة ، وبدا حلها سهلا ـ ولم يكن ذلك صحيحا الم



رفض عبد الناصر عرض احمد عبود (باشا) لشراء بعض الشركات الأجنبية المستردة ، لأن ذلك سيجعل الأغنياء اكثر غنى ، والفقراء اشد فقرا ، وليس ذلك هو المقصود من استعادة المشروعات المنهوبة . [الصورة عبود يتحدث إلى عبد الناصر ، وبجواره محمد نجيب .

وظائف الإدارة العليا في الشركات من جميع الأنواع ، وأدى ذلك إلى طرح مشكلة عويصة .

كان ضروريا ان يحل مديرون من المصريين بدلا من المديرين الأجانب المحان السؤال : كيف يمكن اختيارهم ، وما هي المقاييس ؟

إضافة إلى ذلك ، فقد كان لابد من تقرير مرتبات ومكافآت المديرين المصريين الجدد ـ وكان السؤال : هل يحصلون على مرتبات من كانوا قبلهم (وظائفهم أو تخفض المرتبات والمكافآت ، وعلى أى اساس ؟

3

وعندما يعيش شعب أو أمة في حالة الفوران _ فإن هذه الحالة يمكن أن تكون بشائر فرصة ، كما أنها في نفس الوقت يمكن أن تكون نذر قلق . فحالة الفوران في حد ذاتها حالة سيولة ، والفرصة فيها أن الشعب _ أو الأمة _ يكون في مزاج يتمكن معه من أن يعيد صباغة أفكاره وقيمه ، وعلى الجانب الآخر ، فإن حالة الفوران يمكن أن تصل إلى داعي القلق ، فالسيولة يمكن أن تتحول إلى فوضي يتفكك معها التماسك الوطني ، وتتأثر وحدة قواه .

ولقد كان مجمل التطورات العسكرية والسياسية ، الاقتصادية والاجتماعية ، وما صاحبها جميعا من مشاعر وآمال وتطلعات ـ أن مصر في حالة فوران ، حالة سبولة .

وكانت إحدى المهام الأساسية للشرعية الجديدة في تلك الأوقات هي تعظيم المكانيات الفرصة التي تلوح بشائرها ، والتقليل من دواعي القلق الذي تلوح دواعيه .

وعلى المستوى السياسى ، فإن قوة الشرعية الجديدة بدت غير قابلة للتحدى ثم إن الساحة بدت مفرغة من غيرها ، فالأحزاب القديمة ذابت تقريبا ، ثم إن الجماعات التى رفعت رأسها منتهزة فرصة الغزو « لإنقاد مايمكن إنقاده » ما لبثت أن خفضت رؤرسها خصوصا حين جاءتها الحوادث بعكس ما توقعته ، فقد خرج النظام الثورى من معركة النار قويا ومتمكنا !

وعلى المستوى الاجتماعى ، فإن الطبقات المسيطرة بدت أضعف من أن تكون تحديا حقيقيا للنظام على الأقل في المرحلة الراهنة . ومع رحيل عناصر السيطرة الاقتصادية الأجنبية ، فإن شريكها المصرى الأصغر والأضعف كان في شغل بمخاوفه الداخلية عن أي مواجهة لنظام بدا في عنفوان قوته .

وعلى المستوى العملى ، فإن الثغرات التى نشأت عن التحولات الكبرى ف قواعد القوة والسلطة وأجهزة الدولة والحكم ـ وحتى بوادر ظهور طبقة جديدة ـ لم تكن تشكل في ذلك الوقت مخاطر يمكن أن يكون لها شأن يذكر.

وكان «جمال عبد الناصر » يؤمن أن حالة الفوران التي صنعتها ظروف المعركة لابد أن تصل بتفاعلاتها إلى تحقيق تماسك أكبر في الوحدة الوطنية ،

فهذه الوحدة الوطنية هي أول الضرورات المطلوبة لتحقيق التقدم والحرية والعدل التي هي المطلب الدائم للشعب المصرى، ومن ناحية آخرى فإن هذه الوحدة الوطنية هي الدرع المطلوبة لصد كل محاولات التدخل الخارجي. وقد كان ثابتا في يقينه بأن القوى المعادية التي حاولت بالغزو الخارجي لن تكف عن المحاولة، وسوف تتجه إلى الغزو الداخلي بديلا عن الغزو العسكرى.

وكان « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكية يطرح بالفعل شعار « الغزو من الداخل » ، وفي مواجهة هذا النوع من الخطر ، فإن الوحدة الوطنية هي خط الدفاع الأول عن كل مكتسبات النصر وجوائزه .

ويسجل محضر لمجلس الوزراء عقد برياسة « جمال عبد الناصر » في ٥ فبراير ١٩٥٧ ـ وهو اجتماع بدأ في الخامسة بعد الظهر ، واستمر إلى منتصف الليل ـ قوله بالحرف :

« لابد أن نتنبه إلى أن هناك الآن حملة مضادة موجهة إلينا تركز على تخويف الناس، وهدفها هو ضرب الوحدة الوطنية.

وانا طلبت ان توزع عليكم تقارير عن الاستماع السياسي لما تقوله الإذاعات العلنية للدول المعادية سواء من محطات إذاعاتها العلنية ، او من محطات الإذاعة السرية التي تمولها .

نناقش هذا الموضوع في الجلسة القادمة بعد ان تكونوا اطلعتم على هذه التقارير، وإن كنت أود أن أقول لكم بعض الملاحظات تأخذونها في اعتباركم وأنتم تطلعون على هذه التقارير.

□ أولا - هناك تركيز على وصفنا بالشيوعية ، وطبعا هم يستغلون حقيقة ان سلاحنا الذى حاربنا به والذى يجىء إلينا الآن لاستعواض خسائرنا في المعركة هو باكمله من الكتلة الشرقية . وطبعا يستغلون أيضا مساندة الاتحاد السوفيتي لنا .

□ وثانيا ـ تلاحظون انهم يحاولون وصف مركزنا في العالم العربي على اساس انها إمبراطورية فرعونية جديدة يبنيها جمال عبد الناصر لحساب نفسه .

 \Box وثالثا \Box وهذه نقطة مهمة ، فهم بالجمع بين الشيوعية والفرعونية يحاولون التشكيك في عقيدتنا الإسلامية \Box إذا كنا فراعنة فنحن عبدة اصنام \Box وإذا اصبحنا شيوعيين فنحن ملحدين \Box هذا نوع من الحملات لابد أن ناخذه جدا \Box

□ ورابعا ـ فانا لاحظت أن بعض الإذاعات خصوصا الموجهة من فرنسا تخاطب إخواننا الاقباط، وتحاول أن تستدل من أناشيد المعركة، مثل نشيد الله أكبر، على أننا ناس متعصبين وأننا قاتلنا في المعركة بالدروشة.

كلها كما ترون « نغمات » تؤدى إلى النيل من الوحدة الوطنية . وهذه مسالة لا تنفع في علاجها اوامر أو قوانين ، وإنما هي مسالة يعالجها العمل السياسي . ولا بد لنا جميعا أن نفهم أن وأجب العمل السياسي هو خلق وتعميق التفاهم بين قوى المجتمع . لأن قوى المجتمع إذا تصادمت مع بعضها لجأت فئات منها إلى الاتصال بدول أو جهات أجنبية ، وهذا يسهل الاختراق في الداخل ويفتح له الباب .

وانا لست من انصار ان نستهين الآن بشيء وإلا اخطأنا في حق البلد وحق الثورة انا اعرف ان انتصارنا في المعركة اعطانا جميعا ثقة زائدة في انفسنا ، واصبحنا نتصور اننا نستطيع ان نواجه اى تحد ، وانا احذر من هذه الثقة الزائدة بالنفس . انا اوافق على الثقة بالنفس فهذا ضرورى . ولكن الثقة الزائدة غرور « يودى في داهنة » ! »

وفي الوقت الذي كان فيه « جمال عبد الناصر » يتحدث الى مجلس الوزراء بهذه المخاوف التي ساورته ـ كانت هناك بالفعل عناصر مصرية تتصل بجهات ودول اجنبية . وكان بعض هذه العناصر بلا قيمة تذكر ، إلا أن بعضها الآخر كان يمكن أن يكون مصدر اخطار محتملة .

□ ف هذه الفترة مثلا تمكن « أحمد عبود » (باشا) من ترتيب لقاء مع أحد أصدقاء الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » ·

وفي الملف الخاص بمصر في محفوظات البيت الأبيض الأمريكي لسنة ١٩٥٧ وثيقة سرية تحتوى على ملخص لما دار في هذا اللقاء ، وهي عبارة عن ورقة تحمل عنوان « مذكرة عن محادثة تليفونية (١٥) بين الرئيس ووزير الخارجية » ، والظاهر أن « ايزنهاور » بعد أن سمع من صديقه عن مقابلته لـ « عبود » (باشا) اتصل من مكتبه في البيت الأبيض بوزير الخارجية « جون فوستر دالاس » الذي كان في مكتبه بوزارة الخارجية بنيويورك ، وتحدث معه في عدد من الموضوعات ، وبينها حديث صديقه مع « عبود » (باشا) .

والملاحظ أن الوثيقة لا يظهر فيها تاريخ يوم محدد بالذات ، وإن كانت تحمل إشارة إلى التوقيت الذي جرت فيه المكالمة ، وهو الساعة الخامسة وعشرون دقيقة بعد الظهر :

(١٥) تسجل كتابة كل لقاءات رؤساء الجمهورية في الولايات المتحدة ، وكل ملاحظاتهم إلى مساعديهم ، وكل محادثاتهم التليفونية ـ لكي تكون الملقات كاملة .

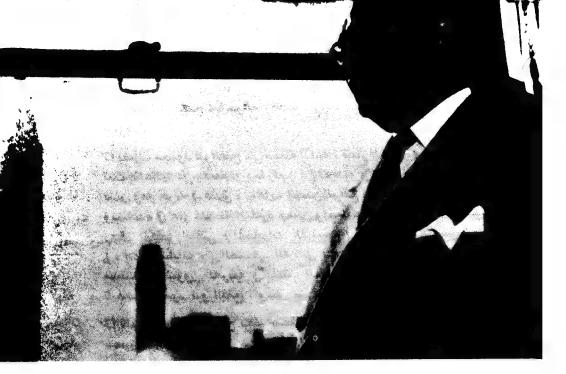
«سال الرئيس وزير الخارجية عما إذا كان قد سمع عن مصرى اسمه عبود (باشا) وهو رجل اعمال نشيط في مجال الملاحة البحرية وصناعة السماد ، وقال الوزير إنه سمع عنه ، وقال الرئيس إن عبود (باشا) كان هنا وقابل صديقه . . . (اسم الصديق محذوف من الوثيقة) وقدم إليه تقريرا عن الأحوال في مصر ، ويظهر ان عبود كان يتصور أن في إمكانه مقابلته (أى الرئيس) أو وزير الخارجية . إن عبود يقول : إنه التقى بناصر قبل سفره من مصر ، وإنه يريد أن يكون صديقا لنا إذا كانت هذه الصداقة لا تؤدى إلى إهانة له ، وإن ناصر على استعداد للقطيعة مع الاتحاد السوفيتي إذا نحن ساعدناه ، وهو قلق من علاقاته مع الاتحاد السوفيتي . ويظهر أن موقف ناصر سيء للغاية ، وأن علينا أن نقرر إذا كنا نريد ناصر أو ننوى أن نتخلص منه . وقال : إن ناصر اضطهده شخصيا لعدة سنوات ، واستولى على بعض مصانعه ، وكان شرسا للغاية في معاملته لكنه الآن يبدى بعض النوايا الطيبة . ويظهر أن عبود معجب جدا بالانجليز ، ولكنه يكره الفرنسيين ، ويعتقد أننا وحدنا نستطيع أن نقوم بدور كبير . وسأل الرئيس وزير الخارجية عما إذا كان يريد مقابلة عبود بنفسه ليسمع منه مزيدا من التفاصيل عن الخارجية عما إذا كان يريد مقابلة عبود بنفسه ليسمع منه مزيدا من التفاصيل عن الوضاع في مصر إذا كان لديه الوقت .»

لم يكن اتصال = عبود » (باشا) بصديق = ايزنهاور » عدائيا ، ولكنه في نفس الوقت كان من النوع المبطن بالإيماءات التي يمكن تفسيرها على هوى سامعها ا

فى نفس الوقت كان الأستاذ « محمود أبو الفتح »(١٦) وبقية أشقائه يتحركون لحساب فرنسا بالدرجة الأولى الآن . قبل أن تبدأ المعارك حاولوا إلصاق أنفسهم بالإنجليز متصورين أنهم الطرف الأرجح فى التواطؤ الثلاثى ، لكن بريطانيا كان لديها أخرون غير إخوان « أبو الفتح » وبدت غير مهتمة بهم .

وتقدم الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية صورة حية لمحاولات « محمود أبو الفتح » مع بريطانيا » وقد بلغت قمتها في عريضة قدمها « محمود أبو الفتح » باسم « لجنة مصر الحرة » إلى رئيس الوزراء البريطاني « انتوني ايدن » وهي تحمل رقم ٣١١ ـ ٣١٨٨٢٢ ـ ١١٧٣٦٤ .

ويلاحظ أن العريضة الموجهة إلى رئيس الوزراء البريطاني قدمت إليه في السفارة البريطانية في واشنطن ، وكان « ايدن » في زيارة رسمية وقتها ـ بداية سنة ١٩٥٦ ـ للولايات المتحدة الأمريكية ـ وقد جاء في العريضة ما يلي :



محمود أبو الفتح : أوصت تأشيرة وكيل الخارجية البريطانية برفض طلبه بمساعدة اصدقاء امريكا وإنجلترا « على خلق أداة كفء وقادرة للدعاية يمكن أن تحمى مصالحهما في المنطقة » . ومن ثم توجه أبو الفتح للمخابرات الفرنسية ، وعقد صفقات تجارية مع إسرائيل .

جواز سفر وتحقيق شخصية Titre de Voyage # d'Identitée صالحا لجميع البلاد لمدة خمس سنوات ، وهو جواز سفر فرنس تمنحه فرنسا للاجانب في حالات خاصة .

□ استطاعت السلطات الفرنسية ان تعطى محمود ابو الفتح عقد تمليك شقة ق عمارة فيكتوريا بمونت كارلو ، وهي افخم واضخم العمارات في اوروبا ، وشقة محمود ابو الفتح تقع في بلوك (د) في الدور الثالث ورقمها (٣٣٢) وقد قال لى محمود ابو الفتح : إنه سيطالب بالجنسية الموناجسك (جنسية إمارة موناكو) حيث يخول قانون إمارة موناكو لكل من يملك شقة في الإمارة ان يحصل على جنسية الموناجسك بعد مضى عام من إقامته الدائمة فيها . والعمارة التي سكنها محمود ابو الفتح مملوكة للمقاول المعروف « انتوان بادرون » وهو في الوقت نفسه يشغل منصب قنصل لبنان في موناكو ، وله نشاط واسع سياسي وتجاري ، وله صلات بإسرائيل . وقد تسلم محمود ابو الفتح عقد تمليك شقة عمارة فيكتوريا في نوفمبر بإسرائيل . وقد تسلم محمود ابو الفتح عقد تمليك شقة اخرى في جنيف في العمارة رقم (٧٥) شارع ستاند في الدور الخامس ، كما انه يحتفظ بجناح خاص ف فندق سكريب في باريس .

" إن كتاب هذه الرسالة طلبوا من احد اصدقائهم في شهر يونيو الماضى ان بقدموا الميكم معلومات وخلفيات عن الديكتاتورية العسكرية الشيوعية التي تحكم مصر ومنذ ذلك الوقت فإن الخطر الشيوعي على مصر زاد وتجاوز كل الحدود ، وهكذا فإننا نجد انفسنا امام واجب الكتابة إليكم مرة اخرى حول هذا الموضوع . إن في مصر الآن حكومة بوليسية كاملة ، وإن الغرب يمكن أن يواجه في هذا البلد الهام بموقف معقد مثل الذي نشا في جواتيمالا . ولما كانت مصر تمارس نفوذا كبيرا في المنطقة المحيطة بها فإن الخطر الشيوعي من مصر يمكن أن يمتد الى ما حولها ، مما يهدد مصالح الغرب الحيوية في المنطقة . "

ثم مضت عريضة « محمود أبو الفتح » الى « ايدن » بعد ذلك فامتدت إلى حجم ثمانى صفحات ، ثم انتهت بالعبارة التالى نصبها :

• إن بريطانيا والولايات المتحدة تصرفان الآن ملايين الدولارات للحصول على صداقات هشة في المنطقة ، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة وبريطانيا تستطيعان بجزء بسيط من هذه الأموال ان تساعدا اصدقاءهما على خلق اداة كفء ، وقادرة للدعاية التي يمكن ان تحمى مصالحهما في المنطقة ..

والغريب ان تأشيرة وكيل وزارة الخارجية الذى احال إليه مكتب رئيس الوزراء عريضة « محمود أبو الفتح » ـ جاءت لتوصى برفض طلباته باعتباره شخصا غير موثوق فيه .

وعندما يئس «محمود ابو الفتح » من بريطانيا باع نفسه بالكامل للمخابرات الفرنسية . ويشير تقرير سرى للمخابرات المصرية إلى معلومات حصل عليها احد « المندوبين » المكلفين بمتابعة نشاط إخوان « أبو الفتح » وقد تمكن من الاتصال بهم جميعا ونفذ إلى دوائرهم ـ وجاء في تقريره مايلي :

" _ تتركز اتصالات محمود ابو الفتح الأن في الـ D.S.T. الفرنسية Département الفرنسية D.S.T. وهو مستشارهم في شؤون الشرق الأوسط، ويحمل

^(17) نشرت النص الكامل لهذه الوثيقة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٦ ، وقد دفعني إلى ذلك في الواقع أن نصوص هذه الوثيقة تحمل صورة كاملة لفكر وحركة ما كان يسمى بالمعارضة المصرية في الخارج ، والتي كان لها اصدقاء في الداخل ، والتي عادت الآن إلى ممارسة دورها في مصر معتمدة على ضعف ذاكرة الناس ، وعادت لتردد نفس الكلام القديم باسلوب مختلف وفي ظروف متغيرة !

ومن سوء الحظ ان هذا النوع من الناس تكررت نماذجه بين الصحفيين من ذلك الجيل (راجع كتاب « بين المنحافة والسياسة » لمحمد حسنين هيكل » .

□ لم ينجح محمود ابو الفتح في تحقيق صالات وثيقة مع المفابرات البريطانية ، وإن كانوا قد قدموا إليه سيارة رولز رويس هدية ، ومصدرى في هذا الخبر هو المستر كلنتون جرين المدير العام لدائرة المخابرات الأمريكية في لندن الذي اتصل بمحمود ابو الفتح ليؤجر له رخصة جريدة المصرى تمهيدا لإصدار الجريدة البيروت .

□ يشرف محمود ابوالفتح على محطة إذاعة و مصر الحرة و ومركزها في نيس وهي تبث إذاعاتها على محطة اوروبا رقم (١) للراديو والتليفزيون ولها مكتب سرى في نيس نيس وهو غرفة في فندق و روهل والكبير الواقع بطريق روضة الإنجليز في نيس نيس وهو غرفة في فندق وهما وهما الكبير الواقع بطريق روضة الإنجليز في نيس ويساعده في عمل المحطة اشقاؤه حسين واحمد كما يتعلون معهم المسيو موران من رجال المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية). ويقوم بالتنسيق بين الجميع مستشارا للشؤون العربية في المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) وهو صديق شخصى لمحمود ابو الفتح وعمل من قبل مراسلا لصحيفة المصرى في باريس وهين ابو الفتح وقد سافرا معا إلى هامبورج بالمانيا واشتريا صفقة صفيح صدراها لإسرائيل واستوردا بدلا منها شحنة من موالح الدو جريب فروت وقد علمت على علمت بنفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون ومكات على علمت بنفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون ومكات على علمت بنفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون ومكات على علمت بنفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون ومكات على علمت بنفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون ومكات على علمت بنفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون ومكات على علمت بنفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون ومكات على علمت بنفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون و كما حصلت على

معلومات إضافية عنها من مصدر الفاكهة الجزائري «صلاح بوقليطة ■ .

لم تكن اتصالات « أحمد عبود » (باشا) أو غيره من نفس المواقع الاجتماعية ـ مثيرة للقلق ، والحق أن الرجل حاول أن يدارى فيما يقول ، وف كل الأحوال فقد كانت مصالحه تنبىء عن مكنون صدره حتى قبل أن يفتح فمه بكلمة واحدة ، وكان لديه الذكاء ليدرك ذلك ، فحاول توصيل رسالته إلى من يهمه رأيهم ـ وتدخلهم إذا أمكن ـ بأسلوب مبطن .

ولم تكن اتصالات « محمود أبو الفتح » _ أو أصحابه من نفس الاتجاه _ مثيرة للقلق أيضا ، ولقد كان أسلوب خطابهم المكشوف واستعدادهم للعمل بلا محاذير أو ضوابط من أى نوع يتكفل وحده بوضعهم في المكان الذي ارتضوه لأنفسهم .

كانت الاتصالات الداعية للقلق فعلا من عناصر أخرى لها مصادر حقيقية للتأثير والنفوذ ، وبين هذه العناصر الأخرى كان هناك عنصران على وجه التحديد يستحقان الاهتمام لأن مواقفهما التبست على نحو أو آخر بأهم الرواسي في حياة الشعب المصرى وهو الدين : الإسلامي والمسيحي على السواء .

□ على الناهية الإسلامية كان هناك عنصر جماعة الإخوان المسلمين ، وكانت علاقته قد تعقدت بتنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة وبعدها . ووصلت الحدة في العلاقات بين الجانبين إلى حد محاولة اغتيال « جمال عبد الناصر » بواسطة شاب من الإخوان ، وإلى حد حل جماعة الإخوان المسلمين بقرار من مجلس الثورة .

كان الإخوان المسلمون يريدون السلطة (ولم يكن في هذا بأس إذا كانوا على استعداد لأن يتقدموا للناس كتنظيم سياسي له برنامج أكثر تفصيلا من مجرد مقولة ان « الإسلام دين ودولة »)(١٨) - ولكنهم في تلك الأوقات لم يكونوا على استعداد لذلك ، وأحس نظام ثورة ٢٣ يوليو - صوابا أو خطأ - أن مايريده الإخوان هو أن بنسلموا منه السلطة أو يقيموا من أنفسهم أوصياء عليه - ووقع الصدام وترتب على الصدام ثارات أخذت طابعا دمويا لسوء الحظ.

وخرج كثيرون من الإخوان المسلمين إلى المهجر وتعددت مسالك فرقهم ، فقد كان هناك من أثروا السكينة في مهاجرهم ، وكان هناك من نشطوا إلى الدعوة ، وكان هناك أخرون قبلوا بعلاقات مع أطراف دولية وعربية لايعرفون على وجه اليقين ابعادها ، فلقد تصوروا أنهم في تحالف من أجل الإسلام ، ولم يمدوا البصر إلى ما وراء ظواهر الأمور ، ولم يسائلوا أنفسهم عن طبيعة هؤلاء الذين تحالفوا معهم ، وما هي حقيقتهم ، وما هي مقاصدهم البعيدة المدى(١٩).

ولقد أخذ النظام في مصر هذه التحالفات مأخذ الجد ليس لفاعلية أطرافها واهميتهم ـ ولكن لأن المجال الذي اختاروه لمعركتهم كان بطبيعته نافذا إلى الأعماق .

وفي إطار هذا المجال جرى افتعال معارك وهمية بين القومية العربية وبين الإسلام، ومعارك وهمية بين التحول الاجتماعي وبين التقاليد الإسلامية، ومعارك وهمية اخيرا بين الاستعداد للتعامل مع الاتحاد السوفيتي كدولة عظمي وبين الاستعداد لقبول اتجاهه للإلحاد. والذي حدث فعلا هو أنه أمكن حصر هذه المعارك الوهمية، وساعد على ذلك أن الحقائق كانت واضحة: نتائج التعاون مع الاتحاد السوفيتي ـ سواء أل السلاح أو في التصنيع أو في السد العالى ـ كانت للأمة ولم تكن عليها، في حين أن نتائج مساعدات الطرف الآخر الذي كان يدعى التحالف مع اطراف عربية وإسلامية ـ كانت ضد الأمة وعليها.

⁽ ١٨) استفاد الإخوان المسلمون من الدرس فيما بعد فعادوا في منتصف الثمانينات إلى العمل السياس ، والمتشفوا صيغة ملائمة لذلك .

⁽ ١٩) اتصالات الدكتور سعيد رمضان وهو صهر الاستاذ حسن البنا ظلت لسنوات طويلة تثير الاستغراب ، ولا اريد في هذا الفصل من الكتاب أن اتطرق إليها بتقصيل أكثر .

وبرز دعاة إسلاميون يتصدون للفتنة ، وكان من حسن الحظ ان ، الازهر ، وهو الله الإسلام الحصينة قام بدوره بتوجيه مشايخ اجلاء من طراز الشيخ ، محمود شلتوت ، وغيره .

لكن بعض الغبار ظل معلقا في الأجواء.

□ على الناحية المسيحية كانت هناك تعقيدات ايضا ، وإن كان خطرها اقل لسبب هام ، وهو أن الفتنة على الناحية الإسلامية كان يمكن أن تقع عند قاع المجتمع ، أي بين الجماهير العادية ـ وأما على الناحية القبطية ، قد كانت العناصر التي اثارت المشكلة على القمة الطبقية للمجتمع .

إن الكنيسة القبطية كانت طوال تاريخها كنيسة الفلاحين، وكانت الكنيسة حريصة وواعية فهى التى تصدت من قرون طويلة للكنائس المسيحية الأوروبية ورفضت منطقها وسيطرتها، وفي العصر الحديث كانت هى التى تصدت للإرساليات التبشيرية الأوروبية والأمريكية وطوقت نشاطها.

وكان لورد «كرومر» - حاكم مصر الشهير في اوائل عصر الاستعمار البريطاني - صادقا عندما قال: « إنه لم يلحظ في مصر فارقا بين قبطي ومسلم سوى ان احدهما يصلي لله في كنيسة ، بينما الآخر يصلي لله في مسجد » .

لكنه في بداية عصر الاستعمار ظهر مايمكن أن يسمى بـ « الارستقراطية القبطية » في نفس الوقت الذي ظهر فيه مايمكن أن يسمى بـ « الارستقراطية المسلمة » . ولم تكن هناك في مصر ارستقراطية بالمعنى المعروف في أوروبا مثلا ، فكل الاسر التي ظهر غناها مع ملكية الارض كانت جميعا على الناحيتين من ظواهر أواخر القرن التاسع عشر (٢٠) ـ ولم يعرف لأى من هذه الاسر إسهام حضاري سابق ـ أو لاحق ـ في حياة الشعب المصرى (٢١) .

ولقد كانت بوادر الشقاق التي ظهرت في مصر مع أوائل القرن العشرين صراعا على الوظائف، وفرص الغني بين عناصر هذه الطبقة الناشئة على قمة المجتمع المصرى بمن فيه من مسلمين واقباط، وعندما استطاعت قيادة ثورة

سنة ١٩١٩ ـو = سعد زغلول ، بالذات على راسها ـ ان تتفادى احتمالات إشكال طائفى يستغله الاحتلال البريطانى ويعتبره دعوة للبقاء ـ فإن ذلك تحقق بنوافق على شبه صفقة تقريبا . فالعناصر المسلمة من الطبقة = الارستقراطية ، كانت على استعداد لأن تترك = امتيازات أكثر في الثروة = للعناصر المثيلة لها من الاقباط في نفس الطبقة .

وعندما سادت في مصر حالة ثورية استحكمت من فترة الحرب العالمية النانية إلى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٧ فإن هذه الحالة استوعبت جماهير مصر كلها دون تفرقة بين الأديان ـ ولكن تساؤلا لاح حين قامت الثورة وتبين انه ليس بين اعضاء مجلس قيادتها عضو قبطى وواقع الأمر أن مثل هذه التوازنات لم يكن لها محل داخل تنظيم ثورى بنشا في ظروف مصر اوقاتها.

ثم زاد حجم المشكلة عندما اختار النظام الثورى لل مصر اقباطا للعمل معه من خارج الطبقة القديمة ، ومع أن هذا كان نفس ما تصرف به حيال المسلمين ، فإن المحاولات لتصوير الأمر على غير وجهه الصحيح زادت إلحاحا .

وحين بدا التفاعل بين مصر وبين أمتها العربية _ اضيف إلى المشكلة تعقيد الخلط بين القومية والدين .

وعندما بدأت عملية استرداله المصالح الأجنبية في أجواء معركة السويس وبعدها بدأ أن الخسائر على الناحية القبطية أكبر منها _ نسبيا _ على الناحية الإسلامية ، وكان هذا إلى حد ما منحيحا في ظاهره لأن المصالح الأجنبية كانت المارس التفرقة ، وتحاول تعميق آثارها لكى تكون أداة صالحة للاستغلال في الوقت المناسب .

وكان السؤال الذي يجب أن بطرح وقتها هو: أي المسلمين وأي الأقباط؟ والحقيقة أنه ل عملية تصفية آثار السيطرة الأجنبية على مصر من أولها إلى المرها، أضيرت طبقة بالذات وتعرضت امتيازاتها للضياع، وكانت هذه الطبقة المجتمع بمسلميه وأقباطه، وبحجم وجود عناصرها في تركيب هذه القمة.

ولقد كان داعى القلق هو ان تحاول بعض العناصر الطبقية القبطية إشاعة وجسها إلى الجماهير القبطية لكن «كنيسة الفلاحين» تقدمت لأداء دورها في عهد لأنبا «كيرلس » السادس، وفي هذا الوقت أيضا بدأت محاولة جادة لتجديد شباب كنيسة الفلاحين» وكانت هذه المحاولة هي التي جاءت بعد ذلك بسنوات بالبابا شنودة «الثالث على قمة الهرم الكنسي القبطي.

⁽ ٢٠) رجاء مراجعة كتاب الاستلا جبرائيل بلير عن ملكية الارض الزراعية في مصر .
(٢٠) يقتضى الإنصاف استثناء اربع شخصيات بالتحديد ساهمت في تشجيع بعض المجالات الحضارية وهم الامير ، عمر طوسون ، الذي اعطى رعلية لا شك فيها لبعثات وابحاث ، ثم « محمد محمود خليل » إ بك) الذي قدم قصره ومجموعته الفنية النادرة للامة ، ثم الدكتور « على ابراهيم » (باشا) الذي اهدى إلى متحف الفن الإسلامي عددا من روائع مقتنياته ، واخيرا السيدة « هدى شعراوى » التي تولت تشجيع بعض المواهب الفنية الإصبلة .

ومع ذلك فإن بعض الأسر الظاهرة في « الارستقراطية » القبطية المصرية راحت مثل مثيلاتها من بعض الأسر الظاهرة في « الارستقراطية » المسلمة تمد ابصارها إلى الخارج ، فإذا اتصالات نشيطة بفرنسا ، وإذا اتصالات بالفاتيكان ، ثم بمجلس الكنائس العالمي .

وكانت فرنسا مستعدة ، وكان هناك بعض الاستعداد في الفاتيكان .

وتحتوى التقارير السرية لبعض وزارات الخارجية في أوروبا على معلومات حافلة بالدلالات ، وعلى سبيل المثال (٢٢) هناك تقرير في ملفات وزارة الخارجية كتبه البروفيسور « ايلي جيتزبرج » وهو يحمل رقم ٧٦/ ١٠٥٣ في ملف مصر سنة ١٩٥٧ .

والتقرير مقدم إلى المستر « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية بعد رحلة قام بها كاتبه إلى مصر ، ومنها توجه إلى الفاتيكان _ وجاء في إحدى الفقرات من تقريره مايلي :

« رقم ۲۷/*۳۵*۵۳

البروفيسور ايلى جيتزبرج

لقد قابلت في روما الكاردينال سيران الذي تعرفون انه ليس فقط كبير الكرادلة بل هو ايضا المسئول عن الكنائس الشرقية . وقد يهمكم بوجه خاص أن تعرفوا انه كان راغبا في استقبائي لانه قام في اعتقادى في الفترة الأخيرة بإعادة تقييم للأوضاع في الشرق الأوسط وافريقيا ، وانه لم يعد يطيق المخاطر التي تتعرض لها المسيحية من جراء توسع حركة القومية العربية . ولقد حدث تحول ملحوظ في الجو المحيط بالفاتيكان في روما ، فقد انتهى خبراء الفاتيكان العاملين مع البابا إلى أن القومية العربية بوجه عام وحليفها الإسلام تمثل خطرا على الكنيسة ، ولا يمكن أن تكون حليفا محتملا بحكم أن العرب والفاتيكان معا يطالبون الآن بتدويل القدس . إن البابا لم يغير رايه في تدويل القدس ، ولكنه الآن اصبح يخشي على المسيحية من تدار القومية العربية .»

وفي تلك الفترة شاعت دعوات وطبعت نشرات تنادى بان مصر « فرعونية » وكانت هذه لعبة محفوفة بالمخاطر ، فإن العودة الى الفرعونية كانت ببساطة تعنى نزع الإسلام ، وهو في اقل القليل أربعة عشر قرنا تمثل المكون الحضارى لروح مصر ، كما هى الآن ، وبكل من يعيش على أرضها من مسلمين وأقياط .

وكانت الكنيسة في الماضى وفي الحاضر اكثر إدراكا من الطبقة ، فقد كانت هي التي اختارت اللغة العربية لغة للصلوات . واللغة هي الوعاء الحضاري للشعوب والأمم .

ولقد تعامل « جمال عبد الناصر » مع البطريرك القبطى بنفس الاسلوب الذى تعامل به مع شيخ الأزهر ، فقد كان لكليهما الحق في مقابلته في اى وقت بشاء ، وكلاهما له أن يطلب ما يراه ، وحين طلب الأنبا « كيرلس » السادس ان نساهم الدولة في بناء الكاتدرائية الكبرى في القاهرة لكى تكون مقرا لائقا برئاسة الكنيسة القبطية كانت مساهمة الدولة حاضرة .

ومع ذلك فقد ظل هناك من يهرولون إلى باريس والفاتيكان _ تماما كما كان بين المسلمين من يجرون إلى لندن وواشنطن ا

وشىء من ذلك كان يمكن تفسيره ، وإن كان من الصعب تبريره ، فجماعات هذه الطبقة من المسلمين والأقباط تعودت أن تعيش بالقرب من أوروبا الغالبة ، ولقد اطمأنت إلى هذا الوضع واستراحت فيه ، وأن تنقطع الصلات على النحو الذى انقطعت به في ظروف السويس ، وما بعدها مباشرة _ فإن الخوف كان احتمالا واردا كما أن المحاولات لوصل ما انقطع عن طريق مسالك فرعية أو تحتية كان يمكن اعتبارها نوعا من البحث العصبي عن الأمن . وكانت عقدة الموضوع هي معرفة الحدود التي لاينبغي تجاوزها ، ثم الوقوف عندها وليس بعدها بخطوة واحدة . ومن الحق أن يقال إن الأغلبية توقفت حيث كان لابد أن تتوقف ، ولكن مجموعات قليلة هنا أو هناك عبرت فوق الخطوط الحمراء ومشت وراءها عارفة أو جاهلة ا

وكانت لذلك أثاره فيما بعد .

وفى المحصلة النهائية لصورة مصر بعد المعركة ، فإنه يمكن أن يقال باطمئنان إن هذه القوة الجديدة التى ظهرت فى المنطقة بدت مقبلة على الحياة مستعدة لمسؤولياتها ، حالمة بمستقبل جديد ، مستعدة للعمل وللتضحية فى سبيله ، منطلقة من وراء حدودها الضيقة متصلة بأمتها العربية ، خارجة مع أمتها العربية كلها إلى عالمها الواسع تشارك فى صنع مصائره .

ومع ذلك كله فقد كانت هناك ثغرات . وكانت تلك طبائع الأشياء . فليس يعقل ان يتحول وطن من وضع التبعية إلى وضع الاستقلال الكامل ، وعلى نحو غير مسبوق ف تاريخ الأمم المستقلة ـ بدون عقبات .

⁽ ٢٢] لأن هدف هذا الكتاب ليس إثارة النعرات أو الحزازات ، فإنه يفقل كثيرا من الوثائق التي تحتوى على السماء ووقائع ، ومثل ذلك لاضرورة له في سياق شرح الأوضاع التي واجهت الشرعية الجديدة في مصر بعد معركة سنة ١٩٥٦ .

الفصيل

إمبراطسورية تستسسلم لامبراطسورية

0

كان الاسم الرمزى الذى اختاره أطراف العدوان لعمليتهم المشتركة ضد مصر هو « الفرسان » ولعلهم استوحوه من عنوان قصة « دوماس » الشهيرة : « الفرسان الثلاثة » ، وقد كانوا بالعدد ثلاثة : بريطانيا وفرنسا وإسرائيل . . .

ومن المهم بالنسبة لتطورات المستقبل الذي كان آتيا بعد المعركة إلقاء نظرة على الوضاع هؤلاء « الفرسان » في أعقاب فشلهم « الباهر » في تحقيق أهدافهم وفرض إرادتهم ، ولعل هذه النظرة أن تكون أصوب إذا بدأت بالأصغر متناهية إلى الأكبر حتى وإن كان هذا الترتيب في حسابات القوة مؤقتا .. والسبب أن حسابات المستقبل الفريب بعد المعركة شارك فيها الأطراف طبقا للواقع السائد وقتها ، وهكذا فإن البدء هجالة إسرائيل بعد المعركة يصبح هو المنطقى والعملى . . .

ولقد خرجت إسرائيل من المعركة في حالة من الإحباط والاكتئاب شديدة .

كان ظنها انها أوفت نصيبها في « فخ السويس» : بدأت القتال في الموعد المحدد له بمقتضى اتفاقية « سيفر » ، ودفعت قواتها في اتجاه قناة السويس منى تعطى لبريطانيا وفرنسا غطاء لتدخلهما ضدمصر بدعوى حماية القناة ــ

كانت هناك ثغرات لكن الأمل كان قويا ف أن تستطيع الممارسة العملية لتحقيق مطالب التقدم والحرية والعدل ب من سد كل هذه الثغرات حتى وإن حاولت قوى متعددة أن تستغل هذه الثغرات للنفاذ .

والحقيقة أن = جمال عبد الناصر = كان يرى هذه الثغرات ، ولعله كان كمدرس سابق للاستراتيجية يتعامل معها وفق نظريات «ليدل هارت = : الاختراق ، والتقدم ، والالتفاف ، والتطويق ، وترك الجيوب المحاصرة في المؤخرة تستسلم حين يستحكم حولها طوق الحصار .

ثم إن قواتها اصبحت في النهاية وحدها في شبه جزيرة سيناه بعد قرار مصر بالانسحاب لمواجهة قوة الغزو الرئيسية البريطانية والفرنسية ـ ثم إنها تحملت تضحيات لاشك فيها اثناء القتال العنيف الذي دار مع القوات المصرية قبل صدور أمر الانسحاب.

ومع ذلك فإن الفارسين الكبيرين - في حلف الفرسان الثلاثة - توقفا عن القتال يوم ٧ نوفمبر ، ثم اضطرا إلى إعلان رضوخهما لقرار الانسحاب - ومعنى ذلك انها وحدها المعرضة للضغط الدولى ، ولقوة مصر بعده إذا هي تشبثت بالبقاء للأراضى التي دخلتها في ظرف بدا لها وكأنه حلم رائع من احلام التاريخ .

إلى جانب ذلك ، فقد كانت لهجة الإنذار السوفيتى الموجهة لها - خلافا للهجة الإنذار الموجهة إلى بريطانيا وفرنسا - تحمل ليس فقط طابع التهديد ، وإنما طابع الإهانة أيضا ، فقد أشار الإنذار إلى « أن بقاء إسرائيل نفسها كدولة يمكن أن يكون موضع شك » ! ،

وفى ذروة الأزمة - بدا لها أن الولايات المتحدة قد تعهدت لها بضمان حد أدنى من مطالبها ، وظنت أنها تستطيع الاعتماد على هذا الضمان . لكن المطالب ضاعت واحدا بعد الآخر .

كان المفروض أن يتم نزع سلاح النصف الشرقى من سيناء _ ولم يحدث .

وكان المفروض أن لا تعود إلى قطاع غزة إدارة مصرية أو قوات عسكرية مصرية _ ولم يحدث .

وكان المفروض أن تحصل على حق مرور سفنها في قناة السويس بمقتضى ترتيبات دولية تفرض على مصر ولم يحدث .

وكان المفروض أن تفتح المرات البحرية أمامها فى خليج العقبة _ لكن هذا المطلب بدوره بدا مُعْرضا ، لأن مصر عهدت بهذه القضية إلى المملكة العربية السعودية بما لها من صلات خاصة مع الولايات المتحدة . وكان من المحتمل أن ينجح المسعى السعودى _ ومعنى ذلك أنه بدوره مطلب آخر قد يضيع ا

وهكذا كان المناخ في إسرائيل كله كئيبا وداعيا للانقباض ا

تشير ملفات لجنة الأمن والدفاع في مجلس الوزراء الاسرائيلي _ خصوصا ما أتيح منها بأمر من رئيس الوزراء «دافيد بن جوريون » للبروفيسور «مايكل

برش، - إلى أن صناع القرار ل إسرائيل تلك الفترة كانوا يشعرون بوحدة موشة احسوا معها أن العالم يتخلى عنهم ـ مع إحساس في نفس الوقت بأن عليم النخلي سريعا عن هذه المشاعر، وإلا فإن « الدولة في خطر » .

ربعد شهور من البحث المكثف والتفكير العميق توصلت السياسة الإسرائيلية ال مجموعة خطوط:

ا ـ إن الجيش الإسرائيلي ـ بفضل ما اتيح له من إمداد فرنسي وبريطاني قبل المعركة واثناءها ـ مازال يمثل اقوى قوة ضاربة في المنطقة (۱) . ومن الآن فصاعا، فإن هذا الجيش لابد له أن يحصل على اولوية مطلقة في موارد إسرائبل وكانت فرنسا على إستعداد لتوريد السلاح حتى بعد المعركة ، وربما كان ذلك أبزء منه إصرارا على حماقة العناد الى جانب أمل في أن تستطيع إسرائيل أن تكن رادعا للحركة القومية العربية ، وبالذات بالنسبة لامتداد هذه الحركة إلى شمال أن الجزائر بالتحديد .

١- التركيز في القوة الإسرائيلية على الطيران ، فهو السلاح القادر على الحركة الخاطفة في أحوال المفاجأت ، وهو سلاح يتطور بسرعة ، وتتزايد طاقته بكثافة من النبران يمكن نقلها في دقائق إلى أرض « العدو العربي » وإلى أعماقه البعيدة ، فضلا عن أنه سلاح لايحتاج إلى حشد بشرى كبير لاتملكه إسرائيل التي كان تعدادها في ذلك الوقت لايزيد على مليونين ونصف المليون من البشر.

راقد كلف « شيمون بيريز » و « موشى ديان » بالحصول من فرنسا على خطط علات القيادة الجوية المشتركة التى قامت بتوجيه الضربة الجوية الأولى إلى مصر ، وكان نرنسا مستعدة ليس فقط لتسليم الخطط ، ولكن لتسليم خرائط العمليات ذائعا .

1- إحاطة الجيش الإسرائيلي بهالة اسطورية تستند إلى تقدمه السريع في سبناء (مع إغفال حقيقة أنه لم يتقدم فعلا إلا بعد إنسحاب القوات المصرية بأمر أبداتها) ـ لتكون من هذه الهالة الاسطورية في حد ذاتها قوة ردع نفسية تغرض الخوف في نفوس الأعداء من قبل أن يتحركوا ، وتقعدهم عن الحركة إذا فكروا فيها ، وبهز اعصابهم إذا تحركوا فتورثهم التردد الداخلي (وقد أشار الجنرال «تسفى تسور، الرئيس السابق لأركان الحرب الاسرائيلية الى هذه المسألة ، وأبدى تخوفه منها لانها قد تؤدى إلى ثقة متزايدة بالنفس واستهانة بالآخرين ، ثم إنها قد تؤدى إلى

⁽۱) كان ها هو نفس تقدير هيئة اركان الحرب المشتركة 🐧 الولايات المتحدة طبقا لتقرير رئيسها الأميرال الأطاود، وقد سبقت الاشارة إلى نصه 📳 ص ۸۱.

خلق مؤسسة عسكرية تؤثر على روح إسرائيل المدنية ، وتحولها إلى مجتمع حامية عسكرية يبدد سلاحه في أوهام القوة!).

٤ - ضرورة البحث عن حليف دولى قوى يحل محل فرنسا الأكثر إخلاصا ،
 وإن كانت أقل قوة - وبريطانيا التى كانت باستمرار موضع تساؤل وشك بسبب
 روابطها التقليدية مع القبائل الحاكمة في أجزاء متعددة من الوطن العربى .

وكان الاختيار الطبيعي هو « الولايات المتحدة » ، ولكن الولايات المتحدة كانت في ذلك الوقت رغم تعاطفها الشديد مع إسرائيل ، ترسم لنفسها سياسة عربية طموحة تحل بها محل الامبراطوريتين القديمتين ـ بريطانيا وفرنسا ـ وقد بدا بعد المعركة أن سقوط نفوذهما ووجودهما في المنطقة مؤكد ومحقق .

ومع ذلك فإن الضرورات هي الضرورات ، فليس هناك بديل للولايات المتحدة خصوصا إذا دب الخلاف بين هذه الامبراطورية الصاعدة ، وبين حركة القومية العربية التي بدت قوة كاسحة على الأرض العربية .

وإذن فالانتظار والترقب، ووضع قواعد لجسور المستقبل.

وكان الجسر الرئيسى هو يهود الولايات المتحدة، ويهود العالم عموما، وهكذا فان مسلك الاستعلاء الذى كانت الدولة اليهودية تمارسه إزاء الهيئات اليهودية الأمريكية والعالمية من قاعدة أنهم آثروا الحياة في التيه على العودة إليها، وأكتفوا بضريبة المال بديلا عن ضريبة الدم، وبالتالي فليس لهم أن يشاركوا في رسم سياستها ـ راح يتواضع كثيرا ويظهر ليهود العالم أن دولتهم الموعودة تضع مصيرها أمام أعينهم بعد أن تخلى الكبار في العالم عنها _ وكانت تلك فترة نوع من شبه الاندماج بين الحركة اليهودية في العالم، وبين الدولة اليهودية في فلسطين.

وتشهد الطفرات التى طرأت على حجم المساعدات اليهودية لإسرائيل على هذه الحقيقة ، ففى حين أن ما تلقته إسرائيل من يهود العالم كان سنة ١٩٥٦ في حدود مائة مليون دولار ، فإن هذا المبلغ وصل سنة ١٩٥٧ الى خمسمائة مليون دولار .

٦ - ومد «دافید بن جوریون » بصره إلى أبعد ، فعلى هامش تقریر أعدته وزارة الخارجیة الإسرائیلیة عن احتمالات التعاون مع الولایات المتحدة ، بما فیه إمكانیات الحصول على سلاح أمریكى - كتب «دافید بن جوریون » تأشیرة قال فیها :

« ماذا عن المانيا الغربية ؟ إنهم دفعوا لنا تعويضات لكن هذا لايكفي للتعويض عن جرائمهم ضد شعبنا ايام النازى . وهم الآن دولة قوية مرة اخرى ويصنعون سلاحا متطورا . اليس هذا مصدر آخر للسلاح يستحق الدرس ؟ » !!

ولم يكن «بن جوريون » واهما او حالما كما تأكد فيما بعد . لقد تمت دراسة هذا الاحتمال ، وبعد سنتين وفي اجتماع عقد في فندق « والدورف استوريا » في نيويورك كان مستشار المانيا الغربية « كونراد اديناور » على استعداد لأن يسمع طلبات «بن جوريون » من الأسلحة الألمانية ، وكان على إستعداد كذلك ـ لأن يستجيب !

٧ ـ اعتبار القوة النووية هدفا اساسيا ف الضرورات الاسرائيلية ، فهذه الفوة ضمان أخير إذا عزت واردات السلاح التقليدى في يوم من الأيام ، ثم إن هذه القوة لا تحتاج إلى حشود بشرية في ميدان القتال يمكن أن تكلف إسرائيل تضحيات بالدم لا قبل لها بها ، فضلا عن أن السلاح النووى أرخص في التكلفة على المدى البعيد من سباق الأسلحة التقليدية ، فوجود سلاح نووى ـ حتى وإن استحال تطويره إلى المستوى الأرقى في العالم ـ سلاح رادع حتى في أشكاله البدائية .

وكانت فرنسا قد أبدت استعدادها لتقديم مفاعل نووى لإسرائيل تقررت إقامته في منطقة « ديمونة » في صحراء النقب ، والآن أصبح موقع هذا المفاعل محط الآمال ومعقد الرجاء في تأمين المستقبل.

وحتى يتم إنشاء المفاعل ، فقد أقامت إسرائيل على عجل وحدة للأبحاث النووية في معهد « وايزمان » _ أهم معاهد العلوم والتكنولوجيا في إسرائيل _ وتوجهت بالدعوة إلى كل العلماء اليهود بأن يهرعوا إلى الوطن الموعود ليضيفوا علمهم إلى عوامل أمنه بل وبقائه . وكان أبرز الذين ذهبوا سرا في ذلك الوقت الدكتور « ادوار تيللر » وهو عالم أمريكي من أصل هنجاري شارك في صنع القنبلة الهيدروجينية ، وقد بقي « تيللر » سنتين كاملتين وراء جدران معهد « وايزمان » !

كانت هذه الوقائع لا تزال .. في ظروف ما بعد المعركة .. خبيئة في طوايا الغيب .



في ظروف ما بعد المعركة كان الطرف الثانى فوق إسرائيل في سلم الضعف على فرنسا بعد المعركة كان اغرب الضعف على فرنسا بعد المعركة كان اغرب الاشكال جميعا . بدت فرنسا وكانها مضابة بحالة من « البارانويا » وهو مرض نفسى يورث اصحابه تناقضا في التصرفات ، وتضاربا في المواقف يرتفع بحدتها ، ويهبط بها أن ثوان بتاثير وساوس داخلية تستبد بالأعصاب .

وتكشف وثائق وزارة الخارجية الأمريكية والبريطانية عن نماذج من السلوك الفرنسي في تلك الظروف ، وكلها يدعو إلى التساؤل فعلا عما إذا كانت هناك في باريس حكومة تفهم ما يجرى حولها ، أو تحدد في وسطه ما تريد ؟

برقية رمزية من السفير الأمريكي في باريس المستر « ديللون » إلى « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكي .

■ رقم ۸۰۸۰ ۸

١٢ نوفمبر ١٩٥٦ الساعة ٩٠,٢٥

ابدى لى موليه (رئيس الوزارة الغرنسية) ضيقه من إنعدام التنسيق بين القوى الغربية الكبرى ، وكان دليله في ذلك رفض الرئيس ايزنهاور لدعوة الحكومة السويسرية إلى إجتماع قمة خماسي (يضم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا تضاف إليهم الهند ممثلة بنهرو ، ويكون إشتراكها فيه نيابة عن العالم الثالث) .

وقال لى موليه إن بريطانيا وفرنسا رحبتا بالفكرة ، وان الدلائل تشير إلى ان بولجانين يتقبلها ، كما ان نهرو لايمانع فيها ـوان الذى يدهشه هو رفض ايزنهاور للفكرة من اساسها .

وقال لى موليه إن الفكرة في الواقع لم تنشأ من الحكومة الفرنسية ولكن صاحبها هو المسيو منديس فرانس (رئيس وزراء فرنسا السابق الذى تمكن من حل مشكلة الهند الصينية) . وإن منديس فرانس بعث باحد انصاره الشبان وهو المسيو هرنيو^(۲) الى برن لكى يقترح على الحكومة السويسرية أن تأخذ هي زمام المباداة ، وتطرح هي فكرة الدعوة إلى مؤتمر قمة .

وكان رأى رئيس الوزراء أن هذا الاجتماع ضرورى بقصد التنسيق بين الحلفاء الغربيين الكبار ، وإلا فإنهم سوف يواجهون هزيمة سياسية شاملة في الشرق الاوسط لا تقل فداحة عن كارثة ميونيخ التي استسلم فيها الغرب امام هتلر ، ثم دفع الثمن غاليا بالحرب العالمية الثانية .

وقد ظلت كلمة ميونيخ هي الكلمة التي شاعت في حديث موليه طوال مدة لقائنا . (التوقيع) ديللون »

« تقرير من السير ايفون كيركباتريك^(٣)

رقم ۱۰۱۵ / ۷۲

10 توقعير 190

(۱) قال لى المسيو جازييه إنه يريد أن يبحث معى مسألة النظام المصرى الجديد الذي يتعين إقامته عندما يسقط ناصر . وقال إنه فهم اننا نتجه إلى صالح تشكيل حكومة من الوفد . ولكن الحكومة الفرنسية ترى أن ذلك خطأ لأن الأمور تتطلب حكومة مصرية جديدة تقوم على عناصر تقدمية .

(٢) قلت إننى لا اعتقد اننا نختلف في اهدافنا ، فنحن ايضا نرغب في إقامة حكومة ديمقراطية وتقدمية في مصر . ولكن الشيء المهم أن نتخلص من ناصر لأن أولويات المسائل لها الأولوية . ونحن لانعتقد أن هناك الآن في مصر أى شخص أو جهة تقدمية يمكن لها أن تشكل معارضة متجانسة تقوم بقلب نظام ناصر . ونحن نتصور أن الوفد هو الوحيد الذي يستطيع ذلك .

(٣) قال المسيو جازييه إنه يظن انه يستطيع ان يتفهم موقفنا ، فنحن من انصار الوقد، ليس على اساس عقائدى ، ولكن لأننا نعتبر الوقديين هم اقرب العناصر التى يمكن ان تنجح في إسقاط ناصر . وقد امنت على فهمه ذلك قائلا : إن ذلك بالضبط موقفنا .

(التوقيع) ايفون كيركباتريك .

وفى اليوم التالى توجه المسيو « جازييه » إلى مقابلة رئيس الوزراء البريطاني « أنتونى ايدن » وتحدث إليه في حضور السير « ايفون كيركباتريك » والكومندر

⁽٢) اصبح فيما بعد وزيرا للدفاع 🕻 حكومة الرئيس فرانسوا ميتران الاشتراكية .

 ⁽٣) صورة من التقرير في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب ص ٨٠١ رقم (٧) وللانصاف فليس هناك في الوثائق دليل
 على أن قيادة الوفد في مصر ، وبالذات مصطفى النحاس (باشا) ــ كانت على علم بنوايا وخطط بريطانيا .

" نوبل » ثم أنضم إليهم بعد قليل وزير الدفاع البريطاني " أنتوني هبد " وق هذا الاجتماع _ وطبقا لتقرير صادر عن رئاسة مجلس الوزراء موجه إلى وزير الخارجية للعلم والإحاطة _ فإن المسيو « جازييه " أثار مع « أيدن » كل الموقف في الشرق الأوسط برمته ، وجاء في الصفحة الخامسة من هذا التقرير ما نصه :

النظر في كل أوضاع الشرق الأوسط بعد سقوط ناصر الذي تشير كل معلوماتهم في النظر في كل أوضاع الشرق الأوسط بعد سقوط ناصر الذي تشير كل معلوماتهم في القاهرة إلى أن نظامه على وشك الانهيار . وطبقا لما نقله المسيو جازييه ، فإن الحكومة الفرنسية ترى أن سوريا قد أصبحت عميلا للاتحاد السوفيتي ، وقد يكون من المناسب الآن السماح للحكومة العراقية بالاستيلاء على سوريا ، كما كانوا يرغبون دائما .

وإذا تم ذلك ، فقد يكون من الضرورى تقديم تعويض لإسرائيل في مقابل ظهور دولة عربية جديدة وقوية .

وفي هذه الحالة ، فإن المملكة الأردنية يمكن أن تزول من الوجود حتى يتسنى لإسرائيل أن تحصل على أجزاء من الضفة الغربية للأردن(٤) .

وقال جازييه ايضا إن الحكومة الفرنسية ترغب في أن نكون على علم بسياساتها ، وهم يرحبون بأى مقترحات لنا في هذا الصدد . »

وفى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ أقام السفير البريطانى فى باريس السير « جلادوين جيب » غداء عمل للوزير الفرنسى « جوكس « حضره معه المسيو « دو بروى شانيل » ودارت فيه مناقشات لخصها الوزير المفوض البريطانى فى سفارة باريس المستر « بيت » _ فى تقرير إلى وزارة الخارجية جاء فيه ما يلى :

• إن سعادة السفير اعطى للجانب الفرنسى معلومات عما حوته برقية السير ايفون كيركباتريك بتاريخ ١٦ نوفمبر بشان ما فعلته الحكومة البريطانية ونواياها للإساءة لسمعة ناصر . إن مسيو جوكس ابدى تقديره لجهودنا ، واقترح النقط التالية لخطوط الدعاية الفرنسية والبريطانية ضد ناصر :

(1) إن قيادة القوات المتحالفة هي التي قضت على سلاح الطيران المصرى ، وإن هذا الجهد كان منفصلا تماما عن عمل الجيش الإسرائيلي .

(ب) إن ناصر قد هزم هزيمة ساحقة ، ولم يعد في استطاعته أن يتظاهر بأنه الزعيم الطبيعي للمجموعة العربية ، وأن • الخلافة • التي كانت القاهرة تطمح إليها بين المسلمين لم تعد أمامها فرصة .

(ج) إن ناصر تصرف في الأزمة كلها من اولها إلى آخرها كدمية في يد الاتحاد السوفيتي .

(د) إن ناصر فتح باب الشرق الأوسط للاتحاد السوفيتي . وهذا معناه انه مكن للنفوذ الروسي في منطقة بالغة الحساسية بالنسبة لمجموعة الدول الإفريقية الآسيوية ومجموعة باندونج .

(هـ) إن استراتيجية ناصر هي إستراتيجية طاغية . وهو لم يحاول الدفاع عن الأراضي المصرية ، وإنما سحب القوات مثل أي حرس بريتوري الى مشارف العاصمة لكي تحمي شخصه .

ثم انتقل الحديث إلى سوريا ، وقال المسيو ، دو بروى ، إن سوريا مفتاح الموقف في الشرق الأوسط ، والاتحاد السوفيتي يحاول الحصول على هذا المفتاح ، ولابد من تغيير الأوضاع في سوريا ، ولكن المشكلة أن الحكومتين البريطانية والفرنسية لاتستطيعان اخذ المباداة في هذا الموضوع بعد عملية السويس ، ولهذا فإن راى وزارة الخارجية الفرنسية فيما يتعلق بسوريا هو التعاون مع الولايات المتحدة في خطة لإسقاط النظام الحالى في سوريا ، وإقامة حكومة بديلة ، وانه ليس هناك في هذا الصدد سوى احتمالين ، فإما أن يعود الشيشكلي بانقلاب إلى السلطة ، وإما أن يدخل العراق بقواته لاحتلال سوريا وضمها إلى العراق . .

كانت الحكومة الفرنسية في باريس مستغرقة بالكامل في عوالم من الوهم صنعتها لنفسها ، فقد كانت منهمكة في التخطيط للشرق الأوسط بأكمله وكأنها تحاول أن تدير بصرها عن الهزيمة الساحقة التي لحقت بها في مصر .

والهرب إلى الأوهام ظاهرة طبيعية ، وحجم الأوهام التى يستغرق فيها اى طرف بتناسب في العادة مع إحساسه الدفين في اعماقه بحجم ما لحق به ، وما تمنى ان بداربه عن الآخرين ، وأن يخفيه في نفس الوقت عن وعيه .

لكن فرنسا ما لبثت أن استيقظت على ما يشبه لسعة قطعة من الجمر ، فقد بدأت الولايات المتحدة تتحرك في شمال أفريقيا بادئة من تونس .

كانت الولايات المتحدة على علاقة قديمة بالزعيم التونسى « الحبيب بورقيبة » وكان القنصل الأمريكي في تونس هو الذي تولى تهريبه من العاصمة الفرنسية قبل أن تقي القوات الفرنسية القبض عليه . ولجأ « بورقيبة » الى مصر .

ولم يكن لقاؤه الأول مع مصر مرضيا له ، ولم يكن يكف عن رواية قصة مجيئه البها لاجئا ، وظل يرددها حتى أواخر أيام حكمه .

⁽٤) تلاحظ الاشارات المتكررة للضفة الغربية 🐞 مطالب إسرائيل .

ولم يكن « بورقيبة » يخفى أن القنصل الأمريكي هو الذي رتب له الهرب وأنه أعطاه مبلغا من المال يصرف منه حتى يصل إلى القاهرة^(٥) ، وأنه نصحه أن يسعى لمقابلة السيد « عبد الرحمن عزام » (بأشا) الأمين العام للجامعة العربية . وجاء « بورقيبة » إلى مصر ، ويبدو أن إقامته فيها لم تكن على هواه ، بل إنها أصابته بعقد متشابكة .

وقضى « بورقيبة » سنوات في مصر ثم تفاوض مع فرنسا وعاد ، ولكن الولايات المتحدة بدأت من وراء ظهر فرنسا ترتب علاقاتها به .

ثم كانت المفاجأة سنة ١٩٥٧ وإذا بباريس تتلقى خطابا من الرئيس « ايزنهاور » موجه إلى رئيس الوزراء الفرنسي « جي موليه » يقول فيه :

• إن الحكومة الفرنسية وعدت الرئيس بورقيبة بإمداد تونس بالسلاح الذى يكفل لها إمكانية الدفاع عن نفسها في ظروف صعبة في الشرق الأوسط وشمال افريقيا _ وحتى الآن فإن الحكومة الفرنسية لم تف بما وعدت تونس به . إننا نخشى ان يحاول الرئيس بورقيبة الحصول على الاسلحة من مصادر شرقية ، وفي نيتى إذا لم تف الحكومة الفرنسية بوعودها ان تقوم الولايات المتحدة بتقديم بعض الاسلحة إلى الحكومة التونسية . »

ويكتب السفير الأمريكي في باريس أن رئيس الوزراء الفرنسي قال له: « إن الرئيس ايزنهاور يهددنا . إنه يضع المسدس قرب جبهتي ، ويقول لي إما أن تقدموا السلاح لبورقيبة ـ وإلا » . ثم يضيف : « إنني لا استطيع أن اتصرف تحت التهديد » .

(٥) كان « بورقيبة » يروى قصة مجيئه إلى مصر (وقد سمعتها منه بنفسى عدة مرات) على النحو التالى : « وصل إلى مرسى مطروح وهناك أمسك به احد ضباط الحدود المصريين ، وساله عن اسمه وعن هويته ، وذكر له « بورقيبة » اسمه وقدم له تذكرة مرور اعطاها له القنصل الأمريكي في تونس .

ولم يقتنع ضابط الحدود المصرى ، وقرر احتجاز « بورقيبة » حتى يتمكن من سؤال القاهرة ، وكان مما ضايق الزعيم التونسى ان الضابط المصرى تندر على غرابة اسمه » وحاول « بورقيبة » ان يشرح له ان « ابو رقيبة » تصغير لاسم « ابو رقبة » وإذا بالضابط المصرى يقول له ساخرا إن الاسم مازال مثيرا للضحك . وتضايق الزعيم التونسى وشال الضابط : « الم تسمع اسمى من قبل أبدا ؟ » واكد له الضابط المصرى انه لم يسمعه ، وانفجر « بورقيبة » يقول له : « إننى سعد زغلول تونس » وإذا بالضابط المصرى يقول : « تفضل إلى الحجز باسعد زغلول » .

واتصل الضابط بقيادته في القاهرة ، واتصلت قيادته بـ « عزام » (باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي طلب إذنا لـ » بورقيبة » بالدخول إلى مصر ، وتولى سلاح الحدود نقل « بورقيبة » الذي وصف مشاعره عند الوصول إلى القاهرة بقوله : « توقعت أن تقابلني الجماهير على الصفين بالورود والرياحين هاتفة بحياتي ، ولكنى دخلت القاهرة في سيارة حرس حدود ، ثم قضيت الليلة في قيادة السلاح نائما على مكتب لانه لم يكن هناك سرير في » . »

ولم يكن رئيس وزراء فرنسا يدرك ساعتها انه مهدد ، وان التهديد الزاحف نحوه ليس من مسدس امريكي ، وإنما من مدافع فرنسية وجهها القائد العام الفرنسي في الجزائر الجنرال • شال » حين اعلن تمرده على باريس .

وسقطت الجمهورية الرابعة كلها . وتقدم إلى الساحة رجل الساعة في فرنسا : الجنرال « شارل ديجول = يعلن قيام الجمهورية الخامسة .

وخرجت فرنسا مؤقتا من لعبة الصراع على الشرق الأوسط في الإطار الذي كانت تدور فيه وقتها ، لأن رجل الساعة الجديد كان يفكر في إطار آخر .



الإمبراطورية البريطانية - ثالث الفرسان وأكبرهم في مؤامرة السويس - ظاهرة فريدة في التاريخ ولعلها من أكثر مصادفاته استحقاقا للدراسة في نشوء الإمبراطوريات وزوالها ، فالشعب البريطاني يملك مواهب إنسانية تستحق التقدير والاحترام ، ولكنه لايملك الوسائل الامبراطورية أو مواردها البشرية والاقتصادية ، وبالتالي العسكرية ، ثم إن موقعه الجغراف على خريطة العالم يباعد بينه وبين مواقع السيطرة المتحكمة ، أو القادرة على التحكم ، كما كان الحال بالنسبة للإمبراطورية المصرية القديمة ، أو الإمبراطورية الرومانية في العصور القديمة ، أو إمبراطوريات الأمويين والعباسيين في العصور التالية لظهور قوة الإسلام .

ولعل قيام الإمبراطورية البريطانية يرجع - ضمن عوامل أخرى بالطبع - إلى عبقرية استغلال الفرص السانحة في التاريخ ، فقد كانت الظروف التي نمت فيها هذه الإمبراطورية واستفحل أمرها ترجع بالدرجة الأولى إلى انشغال القوى الأخرى المرشحة للإمبراطورية بمشاكلها الداخلية وثوراتها الفكرية والاجتماعية ، وحروبها مع جيرانها ومنافسيها ، واستنزافها لنفسها - فاذا ببريطانيا قبل أن يتنبه الآخرون تسود على قارات بأكملها ، وتسيطر على أقدار بحار من البشريكاد يصل عددهم إلى

أكثر من مائة مرة عدد سكان المركز المسيطر ، كان هذا دون أن تدخل حربا حقيقية تتأكد من خلالها سيادتها المطلقة على العالم .(١)

وربما كانت هناك ثلاثة عوامل بالتحديد ساعدت وساندت: أولها اضطرار بريطانيا إلى استيعاب أسرار البحار بحكم عزلتها كجزيرة ، والثانى أن ما حصلت عليه من النهب الاستعمارى الأول تصادف مع بداية عصر البخار ، ومن ثم ساعد على بناء قاعدة صناعية ، وأما الثالث فقد كان التمرس بفنون بناء التحالفات والتوازنات المؤقتة والدائمة ، وهو ما عبر عنه « دزرائيلي » رئيس وزرائها في ذروة العصر الفيكتورى بقوله : « إن بريطانيا ليست لها صداقات دائمة ، وإنما لها مصالح دائمة » .

وهكذا فإن الإمبراطورية البريطانية بدأت تفقد مركزها فى أواخر القرن التاسع عشر بطريقة شبه ألية عندما بدأ ظهور القوى المرشحة طبيعيا للدور الإمبراطورى بحكم اتساع الموارد البشرية والاقتصادية ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ودوسيا .

ولقد استطاع التحالف مع الولايات المتحدة أن ينقذ الإمبراطورية في الحرب العالمية الأولى ، ولما تكررت القصة في الحرب العالمية الثانية لم يعد في مقدور أحد إنكار الحقائق ، وإن ظل الاعتراف بها صعبا على الذين عنتهم الحقائق مباشرة وتعنيهم ، وأولهم على وجه التأكيد ساسة الإمبراطورية وأساطينها . ولعل أشهرهم وهو «ونستون تشرشل » كان أصدقهم في التعبير عن واقع الحال ، وعن صعوبة الاعتراف به في نفس الوقت ، وذلك حين كتب لصديقه « فرانكلين روزفلت » الرئيس الأمريكي الذي شاركه ثم تصدر بعده لقيادة الحرب العالمية الثانية يقول له :

« إن صاحب الجلالة الملك لم يخترنى رئيسا لوزرائه لكى اشرف على تصفية الإمبراطورية »

ولم يكن أى قدر من المكابرة يجدى أمام حقائق التاريخ وضروراته ، فقد كانت عملية تصفية الإمبراطورية تجرى فعلا ، وكانت أكبر خطوة على هذا الطريق هى أضطرار حكومة العمال برئاسة « كليمنت أتلى » وفي أعقاب الحرب العالمية مباشرة إلى التسليم باستقلال الهند . ومع ذلك فإن « تشرشل » عندما عاد إلى الحكم كان لايزال يكابر ، وتسجل المحاضر السرية لمؤتمر برمودا الذي عقد على مستوى القمة بينه وبين

الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور $(^{(V)})$ حجم الأسى الذي كان يشعر به $_{\parallel}$ تشرشل $_{\parallel}$ إزاء ضياع الإمبراطورية .

كان الحديث كما تروى الصفحة العاشرة من محضر الاجتماع الخاص المغلق بين « ايزنهاور » و « تشرشل » يدور حول مصر . وإذا « تشرشل » يقول فجاة :

" إن الامبراطورية البريطانية هي اعظم ظاهرة عرفها التاريخ . وبصرف النظر عن كل ما يقوله الآخرون ، فإن " الاستعمار » رسالة إنسانية تستحق عرفان البشر جميعا وتقديرهم لفضلها . وإنه لمن السخف أن يفكر أحد في منح الاستقلال لشعوب لا تستطيع ، وليست مؤهلة لإقامة حكومات مستقلة " .

ثم استطرد وصوته يتهدج (طبقا لوصف المحضر):

« إن التاريخ سوف يسجل ان بريطانيا تخلت عن واجبها في الهند ، وان هذه كانت اكبر حماقة ارتكبت خلال العقد الأخير . إننى لن اعيش شخصيا لكى ارى النتائج التى سوف تترتب على هذه الماساة ، ولكن هناك غيرى حول هذه المائدة سوف يعيشون ليروا حجم الكوارث والأحزان التى تنتظر العالم الغربى نتيجة لتراجع الإمبراطورية ، .

كان «تشرشل » لا يزال حيا حين تحولت الإمبراطورية الى حطام فى معركة السويس ، ومن المبالغة أن يقال إن مصر هى التى حطمت الإمبراطورية البريطانية فى السويس ، ومع ذلك فإنه ليس من قبيل المبالغة أن يقال إن مصر هى التى وجهت الضربة القاضية إلى الإمبراطورية فى السويس .

وربما كان أكثر ما سهل على مصر توجيه ضربتها القاضية الى الإمبراطورية هو ان الساسة والقادة الذين ألت إلى أيديهم المسؤولية في لندن كانوا غير قادرين على الاعتراف بالحقائق الجديدة ، ولقد كانت أمامهم لكنهم كانوا خائفين من النظر إليها واستخلاص معانيها .

إن قراءة مجموعة المحاضر السرية لاجتماعات مجلس الوزراء البريطانى طوال سنة ١٩٥٦ _ قبل المعركة وبعدها _ تقدم صورة بائسة لأوهام القوة ، حين يفكر الأطراف بأكثر مما تحتمله قدراتهم ، ويخططون بأوسع مما تصل إليه إمكانيات القوة المتاحة لهم خصوصا إذا كانوا قد فقدوا أيضا _ ضمن ما فقدوه _ براعة صنع التحالفات والتوازنات ، ونسوا الحكمة القائلة بأن « الصديق السيء ليس عنده

⁽۷) مؤتمر القمة 🐞 برمودا ـ شهر دیسمبر ۱۹۵۳ .

 ⁽٦) من المفارقات الغريبة ■ تاريخ الامبراطورية البريطانية انها لم تدفع بالدم ثمن قيامها ، ولكنها دفعت بالدم ضرائب تصفيتها من خلال حربين عالميتين (١٩١٤ – ١٩١٨) ثم (١٩٣٩ – ١٩٤٥) .

ما يقدمه غير التوريط » _ وكان هذا بالضبط ما حدث لبريطانيا من صداقة فرنسا وإسرائيل خلال رسم خطط التواطؤ في السويس!

وتقع المعركة ، ثم تنتهى . ويعقد مجلس الوزراء (^) اجتماعا يوم ٩ يناير ١٩٥٧ الساعة ■ مساء في مقر رئيس الوزراء ١٠ داوننج ستريت .

قال السير " انتونى ايدن » (رئيس الوزراء) - " إنه ياسف إذ يضطر لإبلاغ زملائه انه غير قادر على الاستمرار في الاضطلاع بمسؤوليته ، فبعد فترة الراحة التى حصل عليها قبل الكريسماس بناء على نصيحة الأطباء ، كان يامل أن يسترد عافيته بما يسمح له أن يواصل عمله لفترة طويلة إلا أنه وجد أنه بحاجة إلى استشارة طبية أخرى . ووصل الأطباء الأربعة الذين استعان بهم إلى رأى إجماعى مؤداه أن صحته لم تعد تمكنه من الاستمرار في تحمل عبء العمل كرئيس للوزراء . وقد قرر على أساس ذلك أنه ليس أمامه بديل عن الاستقالة ، وأنه قد أبلغ الملكة بما أستقر رأيه عليه عندما قام بزيارة قصر « ساندرينجهام » في اليوم السابق . وأنه سيقدم استقالته الى جلالة الملكة رسميا عند استقبالها له بقصر « بكنجهام » في وقت لاحق من نفس المساء . . »

وكان أمام المجلس جدول أعمال مهين ، فقد عرض عليه « ماكميلان » تفاصيل الحالة الاقتصادية التى وصلت إليها بريطانيا نتيجة للمعركة ، وإذا هى تتطرق الى خفض نفقات تكاليف العلاج الطبى بما فى ذلك ضغط تكاليف الإنفاق على مستشفيات الأمراض العقلية !

وفى اليوم التالى عهدت الملكة إلى « هارولد ماكميلان ، وزير الخزانة مع « ايدن » - بأن يتولى رئاسة الوزارة الجديدة .

وكان أول ما طلبه رئيس الوزراء الجديد تقريرا عن شخصية «جمال عبد الناصر» فهو يريد أن يعرف أكثر عن الرجل الذي يتحتم عليه الآن أن يواجهه .

وكان السير «همفرى تريفليان » السفير البريطانى فى مصر وقت وقوع العدوان قد فرغ لتوه من إعداد تقرير طلبه منه وزير الخارجية «سلوين لويد » (الذي بقى فى نفس منصبه مع «هارولد ماكميلان ») .

وليس هناك شك في أن السير « همفرى تريفليان » كان من أذكى الدبلوماسيين

البريطانيين في زمنه ، ولكنه من الواضح انه تحت ضغوط الاحداث ، وفي الظروف الحرجة بعد المعركة راح يداور في إبداء رايه كتابة في « جمال عبد الناصر » ، ولعله وقع في الخطأ التغليدي لبعض الدبلوماسيين حين يكتبون لرؤسائهم ما يريد هؤلاء الرؤساء أن يسمعوه خصوصا إذا كانت الكتابة في مناخ عداء وصل إلى حالة الحرب فعلا .(١)

ويأتى تقرير « همفرى تريفليان » عن شخصية « جمال عبد الناصر » في الوثيقة رقم ١٠١٥ / ٩٧ .

ويمضى على النحو التالى:

« سيدي

□ الرسالة التالية التي تحوى بعض الأفكار عن شخصية جمال عبد الناصر هي خلاصة ما استكملته في القاهرة .

□ لقد سبق لرئيس الوزراء، ولكم، ولوزير الدولة لشئون الحرب، ولوزير الخارجية، ولبعض الاشخاص ممن سيطلعون على هذه الرسالة، أن عرفوا عبد الناصر لفترة أطول مما عرفته. غير أن عبد الناصر شخصية معقدة، وقد تغير تغييرا كبيرا في السنوات الأخيرة، وقد يكون من المفيد أن اسجل بعض الملاحظات التي تحوى إنطباعاتي عنه، وهي مستمدة من لقاءاتي المتعددة معه في الفترة بين اغسطس ١٩٥٥ ويونيو ١٩٥٦. وحتى خلال فترة اتصالاتي المتعددة معه لاحظت بعض التدهور في حالته. وقد اخبرني اشخاص ممن عرفوه خلال بضع سنوات أنه قد تغير في الفترة الاخيرة تغييرا ملحوظا الى الاسوا.

 \Box وتتمثل قوته أساسا في الثقة الكاملة بالنفس، ودرجة عالية من المرونة، والشجاعة، والسيطرة على الأعصاب، والاستعداد لاقتحام المخاطر الكبيرة، والمهارة التكتيكية الكبيرة، والارتباط العنيد بأهدافه الأصلية. وجانب الضعف الأساسى لديه هو الافتقار إلى التعليم والخبرة بالعالم.

□ تجلت مهارته التكتيكية وكفاءته التنظيمية وقدرته على الصبر ، باجلى صورة ، في انشطته الثورية وفيما تلا ذلك من علاقاته مع اللواء نجيب ، واعضاء مجلس الثورة الجامحين . وقد كان في المحيط الذي يتآلف معه تماما في الأيام الأولى السابقة للثورة وبعدها . فهاتان هما مرحلتا حياته اللتان يحب أن يطيل الحديث عنهما . فإنشاء شبكة من العناصر الموالية في المنظمات المعادية ، والسرية الكاملة التي من الواضح أنه يعشقها لذاتها ، والتحضير الطويل الذي كان من المقرر اصلا أن

و الماسة منشور بالكامل في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (٨) ص ٨٠٠٠.

⁽٩) إن الذي يدعوني إلى هذا الاستنتاج هو معرفة وثيقة بالسير (اللورد فيما بعد) « همفرى تريفليان » ولقاءات طويلة معه استمرت إلى ما بعد اعتزاله وتفرغه للعمل رئيسا لمجلس امناء المتحف البريطاني . وكانت اراؤه وذكريات تجربته مع « جمال عبد الناصر » اشد ما تكون اختلافا عن هذا التقرير .

يستمر حتى سنة ١٩٥٥ ، ثم التنفيذ السريع للخطة في النهاية ، والمناورات الملتوية لجعل اللواء نجيب يفرط في الاعتداد بنفسه حتى يمكن سحقه بلا مخاطرة ، كانت هذه هي الموضوعات التي حدثني عنها ساعات طويلة باستمتاع غير اننا نخطىء إذا رسمنا صورة منظم المؤامرات الصبور الهادىء الذى لايفقد اعصابه ابدا . فعبد الناصر يفقد اعصابه احيانا ، ويتخلى عن هدوئه وصبره بصورة غير متوقعة . وقد حدثت حالات كثيرة من هذا القبيل حتى بعد مجيئي إلى القاهرة . ففي خريف ١٩٥٥ ، يقال إنه لولا تدخل زكريا محيى الدين لتم اتخاذ تدابير متعجلة وغير مدروسة ضد الولايات المتحدة ، نتيجة لتوقعات عبد الناصر بشأن الرسالة التي حملها اليه جورج آلن عن صفقة الأسلحة الشيوعية . وفي ربيع ١٩٥٦ اتخذ عبد الناصر قرارا متعجلا وغير حكيم بالاعتراف بحكومة الصين الشيوعية ، لم يكن كما يبدو إلا نتيجة للمخاوف التي غذاها لديه الروس بان تقوم الأمم المتحدة بفرض حظر على توريد الاسلحة . وخطاب عبد الناصر في مسطرد عقب سحب العرض بتمويل السد العالى ، واجزاء كثيرة من خطاب ٢٦ يوليو الشهير الذي أعلن فيه التاميم ، هي نماذج واضحة على فقده لإعصابه وسليطرته على نفسه ، مما كان سببا في اضرار شديدة اصابته . ولكنه أردف ذلك بإبداء قدرة غير متوقعة على الصبر خلال الشهور التالية ، كان سبيها الاعتقاد بأن الغرب يتحين فرصة ببرر بها

□ ولا اظن اني بحاجة إلى القول بانه لايلتزم الصدق دائما . فهو عندما يكون مطمئنا إلى ان الحقيقة لن تكتشف ، لا يتردد في الكذب المباشر ، كما فعل مع المسيو بينو في القاهرة عندما قال : إن المصريين لم يعودوا يدربون الثوار الجزائريين ، او يمدوهم بالسلاح . وهو كثيرا ما يلجأ إلى إستخدام الحذف أو الإيجاء حتى لايكون هناك شيء ثابت ضده ، ويحرص على الا يقول شيئا يمكن أن يثبت فيما بعد انه لم يكن صحيحاً . فعلى سبيل المثال ، فقد نفى لى انه يهاجم مواقعنا في عدن والبحرين ، بأن قال : إنه ليست لديه منظمة في أي من البلدين ، تاركا لي أن استنتج انه لا يساعد اعداءنا في تلك المناطق بغير ذلك من الوسائل . ومن عاداته الأخرى المالوفة أن يعلن على الملا أشياء يعرف أنها ليست صحيحة ، مثل القائمة الفرنسية بالاسلحة البريطانية التي قيل إنها وردت إلى إسرائيل(١٠)، وقد استخدمها في ١٩٥٥ في وقت إعلان صفقة الإسلحة الشيوعية . ومن اساليبه ايضا ان يذكر قاعدة عامة مثل القول بانه لايهاجم المواقع البريطانية في الشرق الأوسط، ثم يبرر او يستثني هجمات بعينها في مناطق محددة ، مثل العرض الذي قدم للأردن بدعوي انه سمع ان البريطانيين يهددون بسحب دعمهم لها ، او بيرر حملات الدعاية بانها ناتجة عن عدم تنفيذ المسؤولين في الإذاعة لسياسته المعلنة ، أو أنها نتيجة لخطأ في الإبلاغ .

□ وهو متفوق ف حبك المؤامرات ، ومن اوضح خصائصه الشك والاسترابة . وذلك امر يعترف به ببساطة . وقد حاولت يوما ان اقنعه بانه يستطيع ان ينجز قدرا اكبر اذا ما ابدى قليلا من الثقة بالآخرين ، ولكنه قال إنه غير قادر على ذلك ، وذكر انه تآمر في الخفاء لفترة طويلة بحيث اصبح يفكر بالأسلوب التآمرى ، وانه شديد الشك في كل إنسان . وربيته تمتد إلى رجاله انفسهم . وقد اخبرنى ان العملاء الإجانب لايستطيعون ان يحصلوا على شيء من الدائرة المباشرة المحيطة به لانه لا يكتب ابدا شيئا بخط يده . وقال إن الدكتور فوزى هو الشخص الوحيد الذي يثق به في وزارة الخارجية ، وان نحو نصف العاملين في الخارج من وزارة الخارجية ليسوا موالين للنظام . وقد زادت هذه العادة المتاصلة فيه من صعوبة تعاملنا

□ وعبد الناصر ، سواء بوعي ، او بغير وعي ، يعاني من انفصام واضح في الشخصية ، وهي حالة عقلية يبدو انها تتملك عددا من المصريين ، كما انها منتشرة في الإنجاء الأخرى من العالم العربي . ويبدو انه لا يدرك ، أو يتظاهر بانه لا يدرك ، ان بعض الجهات يمكن ان تقارن بين صوتيه وان تحكم عليهما معا . ففي بداية مارس مثلا ، اخبركم بانه لن يهاجم المواقع البريطانية خارج مصر . ولكن لم تكد تمضى ايام قليلة حتى انضم الى الملك سعود ورئيس سوريا في تقديم عرض علني للاردن لمنحها دعما يحل محل الدعم البريطاني ، ويهدف بوضوح إلى تعويض مركز بريطانيا في الأردن . ولم يمض اسبوعان على زيارتكم حتى كانت دعايته في الإذاعة قد عادت إلى مهاجمة مواقعنا . وبعد اسابيع قليلة كان يذكر لأحد المراسلين الأمريكيين انه لم يصدقكم عندما ذكرتم له اننا لانحاول فصل السودان عن مصر . وفي اثناء احتفالات الجلاء كان يعد بصداقة بريطانيا ، ويعلن في نفس الخطاب ان سياسته هي تحرير العالم العربي من المغرب إلى بغداد ، وهو يعلم تماما أن معنى ذلك تصفية مواقعنا السياسية الخاصة في المنطقة . ولو كان هذا المسلك لا يصدر إلا عن مناورات تتسم بالنفاق من جانب سياسي بارع ، لكان من الأيسر التعامل مع عبد الناصر ، لكن انطباعي انه وإن كان عبد الناصر يميل إلى أن يظهر غير ما يبطن ، فإنه كان يستطيع ان يحقق نجاحا اكبر في التوفيق بين صوتيه اذا كان على وعي تام بالتناقض بينهما . ويبدو ان حججه كانت تعضى بينه وبين نفسه على النحو التالى : الحرية والاستقلال مطلبان سليمان . إنجاز الوحدة العربية واجب ضرورى . والإسراع باستقلال الأراضى الخاضعة لبريطانيا ، وزيادة نفوذ مصر وقوتها في العالم العربي هو تطبيق لهذين المبداين. فإذا سقطت خلال ذلك التاكيدات التي يعطيها لنا فإنها خسائر لها ما يبررها وتستلزم منا التفهم *لا الإنكار* .

□ وهو لا يخفى انه نهاز للفرص . ومن عباراته الماثورة ان يقول : « الواقع انه ليست لدى خطة » . ويرى الغرب فيه ، وله كل الحق ، دكتاتورا طموحا مخادعا متعطشا للسلطة ، وعلى استعداد لاستخدام أى شكل من اشكال الخداع لتحقيق اهدافه . وهو بالتاكيد مدرك تماما لهدفه في الاحتفاظ بقوته ومضاعفتها على حساب

إن الوثائق تثبت أن كل الأمثلة التي استعملها « تريظيان » في التدليل على خداع » عبد الناصر » كانت خداع وليس العكس . والغريب أن » تريظيان » كان يكتب وهو يعرف الحقيقة ويكتب أيضا لمن يعرفون قة ، لكنه يظهر أن فنون الدبلوماسية تفلب أصحابها حتى على أنفسهم !

الغرب سواء داخل مصر أو خارجها . وقد ركز بالتدريج كل سلطات الحكم بين يديه . ولكن يبدو في الوقت نفسه أنه مقتنع بأنه مبعوث العناية الإلهية لإيقاظ القومية العربية . وفي اعتقادى أنه متدين حقا ومؤمن بالقدر . ولديه فكرة غير ناضجة بأنه مكلف برسالة مقدسة ، وأن أش القادر تعالى اختاره حاميا " لقافلة الحرية " . الم ينقذه أش القادر من القتل مرتين ، مرة من أن يكون قتيلا في الاسكندرية ، ومرة من أن يكون قاتلا ؟ ولعلكم تذكرون الحكاية الغريبة التي يرويها في " فلسفة الثورة " عن محاولة القتل التي قام بها ، والأثر الذي تركته في نفسه صرخات زوجة الرجل الذي كان سيصبح الضحية . وقد وصف لى يوما بالتفصيل هذه الواقعة ، وكيف أنه قضى الليلة كلها يصلى ش شكرا لانه لم يقتل الرجل . ولم تكن تلك نوبة هستيرية ، بل شعرت في ذلك الوقت بأن إعتقاده بتدخل الرجع . ولم تكن تلك نوبة هستيرية ، بل شعرت في ذلك الوقت بأن إعتقاده بتدخل الشعور بأنه كان صادقا ومخلصا . ومن الإضواء الجانبية الطريفة على شخصيته أن الشعور بأنه كان مخطئا من الناحية الإخلاقية في محاولته للقتل لم تمر بذهنه على الاطلاق .

□ وفي المجموع فإنه دكتاتور ثورى عدواني ، يخلق المتاعب في كل انحاء الشرق الاوسط بدلا من ان يحذو حذو بطله القديم المتزن ، مصطفى كامل ، ويعمل على إقناع الدول الكبرى بانه مهتم بتنمية بلده اكثر من إهتمامه بالمغامرات الخارجية. وبيدو ان وسائله المفضلة هي تهريب الاسلحة ، ووضع الخطط المحكمة للتخريب ، وخلق متاعب لاتنتهى يستخدم فيها كل وسائل الخداع . ويبدو انه عاجز تماما عن ممارسة ضبط النفس بقدر معقول . وقد طلبت من نهرو أن ينصحه قبل كل شيء بالتزام قدر من الهدوء وعدم التعجل ودفع الأمور طوال الوقت ، ولكن ليس هناك ما يوقف حركته المستمرة وميله الدائم الى المغالاة والإفراط ، مما زج به وببلاده الى المازق الحاضر . وقد صحب ذلك إستعداد للمخاطرة يصل إلى حد الاستهتار . وقد قالت لى السيدة عبود ، تلك المراة الاسكتلندية القوية ، في وقت مبكر عند وصولى إلى ا هنا : " إن ذلك الشاب له شجاعة الشبيطان " . وفي شبهر مايو الماضي قال لي : " إنكم لاتستطيعون أن تمارسوا معى سياسة البوارج الحربية كما فعلتم مع فاروق . فليس لدى عرش ولا منصب وراثي ولا ثروة » . وفي اكتوبر كان يتباهي بقوله : « إنه إذا هوجم ، فانه سيفعل ما فعله شمشون ، ويدمر اعمدة المعبد . وانه استعد لمقابلة الهجوم بتشكيل منظمة فدائية ستقوم ، خلال اربع وعشرين ساعة ، بقتل اي رئيس للجمهورية ، أو رئيس للوزراء تنصبه بريطانيا . وفي التحليل الأخير فإن خصائصه الغالبة هي خصائص المقامر والمغامر.

□ وإنى ارسل صورا من هذه الرسالة إلى ممثلي جلالة الملكة في واشنطن وباريس و وإلى الضابط السياسي الملحق بقوات الشرق الأوسط في قبرص ويشرفني ياسيدي ان اكون خادمكم المطبع .

(توقیع) همفری تریفلیان •

ويبدو أن تقرير السير « همفرى تريفليان » عن شخصية « جمال عبد الناصر » لم يعط « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء الجديد شيئا يمكن أن يتخذه أساسا لرسم سياسة جديدة ، وهكذا بدأ يسئل عن « احتمالات التغيير » في مصر ، وراح الخبراء الذين يعرفون مصر ويستطيعون التنبؤ بمجريات الأمور فيها يكتبون تقاريرهم للعرض على رئيس الوزراء .

وكان أهم هؤلاء الخبراء هو المستر « جارفى » الذى عمل طويلا مساعدا للمستشار الشرقى في السفارة البريطانية ، ثم رأس لجنة التنسيق الخاصة بين وزارة الخارجية وإدارات المخابرات السرية _ وكتب « جارفى » تقريرا عن احتمالات التغيير في مصر برقم ١٠١٠/ ١١٦ جاء فيه :

المعرفة الآراء الواردة في هذه المذكرة على اكثر من المعرفة الظاهرة بالشؤون المصرية ، بالإضافة إلى الشواهد التي امكن جمعها من الأفراد الذين غادروا مصر .

٢ ـ هناك عناصر ثلاثة يتوقع أن تعمل على انحلال النظام الثورى في مصر:
 (1) فقد القوات المسلحة المصرية لمكانتها ، نتيجة للهزيمة في سيناء وضعف المداء في در سماد

(ب) الخلل الاقتصادى الذى اعقب انسداد قناة السويس، وتوقف معظم المواصلات البحرية والجوية، ونقص التجارة الخارجية، وتعطل برنامج التنمية الاقتصادية، وصعوبة تصدير القطن، وعلى الأخص زيادة العجز في الوقود البترولي.

(ج) توزيع الاسلحة بالجملة على المجندين ناقصى التدريب الملحقين بجيش التحرير الوطنى .

٣ - هناك قدر معين من الدلائل على انتشار السخط، لكنها كلها تقريبا تتصل بالاقليات (الاقباط وغيرهم من المسيحيين) وبالطبقات المتعلمة ذات النزعة الغربية من سكان المدن. وقد كان هؤلاء يشكون من عبد الناصر منذ سنوات، ولكنهم لم يفعلوا شيئا في هذا الصدد، وهم لايجدون الشجاعة على فعل شيء في الوقت الحاضر إلا إذا جاءت المصادفات بظروف ملائمة، وهم في الاغلب يفضلون عودة حكومة من الناشوات.

ا ـ يروى مصدر يمكن الاطمئنان إليه أن أحد ضباط الطيران الموالين للنظام قام بعصيان ضد عبد الناصر ولكن يبدو أن هذا الضابط يمثل حالة منعزلة وأنه ذو مشاعر قوية نحو الغرب رغم أرتباطه القوى بالنظام وقد لقى ـ في حدود علمنا ـ بعض المتاعب مع النظام بعد أتهامه بمسائل تتصل بالنزاهة خلال الشهور الثمانية عشر الاخيرة .

ه _ كانت هناك احتمالات في بداية العملية لنشوء معارضة سياسية بقيادة واحد او اكثر من الساسة القدامى ، تلقى بعض التاييد من جانب العسكريين . وهناك روايات تتردد بكثرة عن وقوع عصيان بين بعض الضباط في ذلك الوقت ، ولكنها قد تكون بغير اساس . ومع توقف العمليات العسكرية ضد مصر ، فإنى اتوقع ان يعود اصحاب تلك المغامرة (ايا كانوا) الى جحورهم انتظارا لفرصة افضل . ومن شان تشديد قبضة سلطات الأمن العسكرى بما يتجاوز بكثير حدود عملها المعتاد ان يجعل وقوع شيء من ذلك _ في الوقت الحالى _ امرا اكثر صعوبة .

٦ ـ ليس هناك من يقطع بما إذا كان البلد في حالة اختفاء عبد الناصر سيعود الى السياسات الحزبية القديمة ، او سيظهر نظام اكثر ميلا إلى اليسار ، او نظام إسلامي اكثر رجعية . وإذا جاء التغيير بعد فترة طويلة من العسر الاقتصادى والتفكك المطرد للدولة ، فإن هذا الاحتمال سيكون اكثرها ترجيحا .

٧ - لا علم فى بحدوث شىء يغير ما ذكرته السفارة فى القاهرة فى الشتاء الماضى من ان اى ثورة ناجحة ضد عبد الناصر تتطلب تاييد جزء كبير (ليس) من الضرورى ان يكون الأغلبية) من القوات المسلحة ، ولاسيما الجيش ، ولابد لهذه الثورة من السيطرة على الجهاز الإدارى الذى يدار من وزارة الداخلية . وليس فيما سمعته من اللاجئين العائدين فى الشهر الماضى ما يدل على أن شيئا من هذه الشروط يمكن ان يتحقق على الفور . ورغم انه من المرجح أن يزداد الوضع الاقتصادى فى مصر سوءا (فى غياب المعونة الخارجية) مما يؤدى الى البطالة وانتشار السخط ، فإنى لم ار اسمع شيئا يدعو للاعتقاد بان اختفاء النظام يمكن ان يحدث فى وقت قريب .

(توقیع) ت و جارق ۱۶ دیسمبر ۱۹۵۲ =

واتجه رئيس الوزراء الجديد إلى بحث إمكانيات العمل السرى ضد مصر وضد « جمال عبد الناصر » ، وقد روى « بيتر رايت » الذى كان نائبا لرئيس جهاز الخدمة السرية البريطانى المعروف باسم M.I.5 – أنه فى واقع الأمر لم يكن لدى الأجهزة السرية كلها بما فيها M.I.6 وهو الجناح الهجومى للمخابرات البريطانية خارج الحدود – ما تستطيم تقديمه لرئيس الوزراء .

لقد حاولت كل الأجهزة أن تعمل من قبل ضد « عبد الناصر ، ونجحت أن بعض الأشياء ولم تنجح أن أهمها .

نجحت مثلا في حل شفرة وزارة الخارجية المصرية ، ونجحت في وضع عدد من السفارات المصرية وبينها سفارتها في لندن تحت التسمع ، ولكن ما حصلت

عليه كان قليلا ، ولعل اهمه - طبقا لما يقوله = بيتر رايت » - هو الحصول على نسخة من رسالة كتبها السفير المصرى في موسكو ، وأرسلت نسخة منها للعلم إلى سفارة لندن جاء فيها « إن الاتحاد السوفيتي يقوم بتعبئة قواته الجوية استعدادا لمواجهة مع بريطانيا = .(١١)

ولكن الأهم هو أن كل أجهزة العمل السرى البريطانية لم تنجح في اداء المهمة الرئيسية التي كلفت بها وهي اغتيال « جمال عبد الناصر » وتصفيته جسديا ، وقد ذكر « بيتر رايت » أن « جهاز M.I.6 وضع خطة لاغتيال « جمال عبد الناصر » عن طريق نوع من غاز الأعصاب ، وخطة أخرى لاستعمال أنواع من السموم « كذلك وضعت خطة اشترك فيها ضابط مصرى على صلة بالانجليز لضرب « ناصر » بالرصاص ، ولكن الخطط كلها لم تنجع . »

وقد أوضح « بيتر رايت » أن فرص العمل في مصر غير متاحة لسبب رئيسي واحد وهو أن « عناصر » المخابرات البريطانية في مصر كلها جرى اعتقالها عندما انكشف أمرها ، واستطاع جهاز الأمن المصرى أن يعثر على مقر تنظيمها الخفي وهو « وكالة الأنباء العربية » التي كانت غطاء شرعيا لهذه العناصر . وكان المسئول الأول عن هذه العناصر هو المستر « جيمس سوينبورن » نائب رئيس هذه الوكالة ويساعده المستر « جيمس زارب » ، وكان أهم أعوانه فيها عدد من البريطانيين العاملين في شركة « شل » وشركة « برودنشيال » للتأمين ، كما كان بينهم قسيس هو الأسقف « جونسون » راعي الكنيسة الانجليزية المطلة على النيل عند نهاية شارع « ماسبيرو » .(١٢)

بدا أن طرق بريطانيا كلها مسدودة في الشرق الأوسط ، فبدون القضاء على مركز مصر وبدون الخلاص من شخص « جمال عبد الناصر » ـ فإن الأمور تبدو مستحيلة .

⁽۱۱) صفحة ۸۰ من كتاب « صائد الجواسيس » الذى كتبه « بيتر رايت » الوكيل السابق لادارة المخابرات البريطانية M.I.5 والذى ثارت من حوله ضجة كبرى عندما حاولت السيدة « مارجريت ثانشر » رئيسة وزراء بريطانيا منع نشره بحجة المحافظة على الأسرار .

⁽١٢) كتب اللواء : محمد شكرى حافظ ، رئيس العمليات بالخابرات العامة المصرية كتابا هاما ف هذا الموضوع نمت عنوان ، جمال عبد الناصر والمقابرات البريطانية ، وكانت معلومات عنا الكتاب صحيحة وكاملة النوليق .

ن حسالة المالة

هناك « لعبة أمم » حقيقية ـ لكن موازين القوة هى التى تحركها ، وليس تسلل الجواسيس !

وتوصل «هارولد ماكميلان » الى نتيجة محزنة ولكنها بغير بديل وهى تنازل بريطانيا عن موقعها الخاص في الشرق الأوسط الى الولايات المتحدة الامريكية .

وفى مؤتمر « برمودا » الذى عقد بين الرئيس الأمريكي « ايزنهاور » وبين رئيس الوزراء البريطاني « هارولد ماكميلان » جرت عملية التسليم والتسلم ، ولعلها كانت أول مرة في التاريخ تحدث فيها مثل هذه العملية رسميا وتسجل على ورق وتوقع وتختم .

وتسجل وثيقة فريدة من ملفات وزارة الخارجية الأمريكية هذا المشهد الغريب في التاريخ بعنوان:

اتفاق على تخفيض الالتزامات البريطانية وراء البحار

إن الرئيس الأمريكي يعبر لرئيس الوزراء البريطاني عن فهمه للضرورات التي تدعو الحكومة البريطانية إلى تخفيض اعبائها في الشرق الأوسط، وهو يتعاطف مع رغبة هذه الحكومة في جعل التزاماتها في المنطقة متوازنة مع مواردها الاقتصادية والعسكرية.

٢ - إن الرئيس قد اخطر رئيس الوزراء البريطانى بان الولايات المتحدة لن تستطيع تحمل كل الاعباء البريطانية التي ترى الحكومة البريطانية انها مضطرة الى التخلى عنها ، ولهذا فإن الولايات المتحدة تامل في أن تواصل الحكومة البريطانية إخطار الحكومة الامريكية بخططها في المستقبل .

إن الرئيس سوف يتخذ الترتيبات التي تكفل استمرار التشاور مع الحكومة البريطانية في المسائل والحالات التي يتعين فيها استطلاع رأى الحكومة البريطانية ، وسوف يكون ذلك موضع الاعتبار .

ان الرئيس يعرب عن امله في ان الحكومة البريطانية سوف تقوم بتخفيضات تدريجية ومنتقاة بما يناسب المصالح الغربية بصفة عامة ، ويتفق مع مطالب الامن المضرورية للسلامة المشتركة . »

وكان « ماكميلان » على استعداد للقبول ، وكان له طلب واحد في المقابل وهو أن تحصل بريطانيا على دعم مالى عاجل قيمته ٤٠٠ مليون جنيه استرليني .

وبنهاية الإمبراطورية البريطانية في المشرق، وبانتهاء دور فرنسا فيه قبلها _كان الطريق قد انفتح لفصل جديد من الصراع على الشرق الأوسط وفيه.

الولايات المتحدة ـ بدلا من بريطانيا وفرنسا _ ضد حركة القومية العربية الصاعدة بقيادة « جمال عبد الناصر » .

والولايات المتحدة مباشرة ضد الاتحاد السوفيتي الذي كان يتقدم الى المنطقة باعتباره الصديق الأهم لحركة القومية العربية الصاعدة.

بداية العصر الأمريكي



وأخيرا تحقق للولايات المتحدة الأمريكية ما سعت إليه خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها وهو أن تصبح المسؤول الأول والأخير والقوة الوحيدة المعتمدة من الغرب كله لحماية مصالحه في الشرق الأوسط وصيانة امنه ولم تكن الإمبراطوريات الغربية القديمة بريطانيا وفرنسا قابلة هذا الوضع أو راضية عنه لكن هزيمتهما في السويس لم تترك لأيهما مجالا للمكابرة ولم يعد هناك مفر من الاستسلام بالكامل للقيادة الأمريكية .

كان الرئيس الأمريكي « فرانكلين روزفلت » هو الذي بدأ (من سنة ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥) مخطط إزاحة الامبراطوريات القديمة المسيطرة على الشرق الأوسط لكي ينعقق الإرث للإمبراطورية الجديدة البازغة في الغرب ، وهي الولايات المتحدة الامريكية .(١)

وفى عهد خلفه الرئيس «هارى ترومان » (من سنة ١٩٤٥ الى ١٩٥٧) تباطأ الرحف الأمريكي على الشرق الأوسط لأن أوروبا عادت لتصبح ميدان الصراع العالمي الرئيسي ، فقد كانت تلك سنوات المشكلة الألمانية ، ومشرؤع «مارشال » لإعادة

⁽١) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس ـ الجزء الأول ـ الفصل الثاني (نفط ونفوذ!) الصفحات من ٤٢ إلى ٢٠٠٠

یقول ، ترومان » :

« دعوت أيك (ايزنهاور) إلى لقائى في البيت الأبيض . اردت أن أشرح له أحوالنا العامة وأتجاهاتنا السياسية في العالم ، وأن أطلعه على ما يلزم إطلاعه عليه من الأسرار حتى يكون لديه الوقت الكافي للتفكير والتشاور مع مساعديه عندما يدخل إلى البيت الأبيض ليمارس الحكم .

اردت ايضا ان اعطيه فكرة عن اختصاصات ومسئوليات الرئيس.

• ايك • لم يكن يعرف الكثير عن حقائق الأمور وقد حاولت بامانة ان اقول له كل شيء، كل ما يجرى ورايي فيه ونصائحي إذا اراد ان ياخذ بها .

استمع إلى « ايك » وانا اتحدث وبدا لى ماخوذا بما يسمع ، واخيرا نطق وقال لى : سيدى الرئيس لم اكن اتصور المسائل على هذا النحو ؟

لم اكن اتصور أن الرئيس الأمريكي يملك مثل هذا القدر من القوة غير المسبوق في التاريخ .

يظهر أن لديه من السلطة أكثر مما كان للإسكندر الأكبر ، ولقيصر ، ولجنكيز خان ، ولنابليون ، وللويس الرابع عشر كلهم مجتمعين ! »

L

وبدأ « ايزنهاور » بمنطقة الشرق الأوسط ، فقد كانت هي المنطقة التي عرضت نفسها عليه كمسرح رئيسي لاستئناف الزحف الامبراطوري الذي بدأه « روزفلت » .

كان « روزفلت » وهو يحاول برفق أن ينتزع ميراث بريطانيا وفرنسا قد ركز على ثلاثة بلدان قابل ملوكها على ظهر الطراد الأمريكى « كوينسى » $^{(7)}$ في مياه البحيرات المرة بقناة السويس ، في أثناء عودته من مؤتمر يالطا في شهر فبراير ١٩٤٥ ، وهم : الملك « فاروق » ملك مصر ، والملك « عبد العزيز آل سعود » ملك العربية السعودية ، والامبراطور « هيلاسلاسي » ملك إثيوبيا .

أما « ايزنهاور » سنة ١٩٥٣ ، وعند توليه الرئاسة ، فلم يكن في حاجة إلى الرفق ، وهو يقترب من منطقة الشرق الأوسط ، ويحدد أهدافه فيها ومطالبه منها .

تغيرت الأمور كثيرا عما كانت عليه في محاولة « روزفلت » سنة ١٩٤٥ .

من ناحية تعزز النفوذ الأمريكي إلى حد الاحتكار في السعودية واثيوبيا . ففي السعودية اكتملت سيطرة « أرامكو » على مصادر البترول السعودي ، وازداد

إنعاش أوروبا الغربية إقتصاديا ، ومبدأ « ترومان » للأمن المشترك ، ومشكلة برلين ولمن تكون السيطرة عليها وهي قلب أوروبا تماما .

وأحيانا كان الشرق الأقصى ينافس أوروبا كمسرح ثان ـ وليس ثانويا ـ وذلك بقيام الحرب الكورية وتطوراتها التي أدت إلى ظهور الصين الشعبية كقوة كبرى في آسيا .

وأما الشرق الأوسط، فقد كان منطقة صراع مؤجل، وكان أهم ما حدث فيه تلك الفترة هو إقامة إسرائيل التي تبعتها الحرب العربية الإسرائيلية الأولى سنة ١٩٤٨. وفي الواقع فإن عملية إقامة إسرائيل لم تجر بالصراع العالمي وإنما جرت بنوع من التوافق، فقد شاركت القوتان الأعظم بنفس المقدار تقريبا في إقامة الدولة الاسرائيلية على حساب الوطن الفلسطيني. بل إن هذا الحدث لم يكن صراعا بالمعنى الحقيقي حتى على المستوى الإقليمي لأن النظم الحاكمة في العالم العربي وقتها لم تكن طلبقة.

وعندما انتهت رئاسة « هارى ترومان » في آخر سنة ١٩٥٢ كانت الموازين في الروبا قد جرى ضبطها على نحو أو آخر . وكانت الحرب الكورية قرب نهايتها .

وعندما تولى الرئيس « دوايت ايزنهاور » رئاسة الولايات المتحدة يوم ٢٠ يناير ١٩٥٣ بدا أن الزحف على الشرق الأوسط يوشك أن يستأنف من جديد . فقد كان بموارده الاقتصادية ، ومواقعه الاستراتيجية ، وممراته المائية والجوية أهم غنائم الدنيا في حين أن بقية مسارح الصراع العالمي (أوروبا والشرق الأقصى) كانت قضايا أمن أو ردع ، أو وضع حدود وموازين ومناطق نفوذ .

كانت القوة الأمريكية وقتها في الذروة معززة بانتصار كامل في الحرب العالمية الثانية ، وباحتكار للأسلحة النووية شبه مطلق ، وبموارد اقتصادية صناعية وزراعية ومالية بدت غير قابلة للنفاد .

وكان الرئيس الأمريكي فوق قمة هذا الهرم الضخم من القوة رجلا يختلف عن غيره من الرجال .

ويروى الرئيس « ترومان » في يومياته (٢) المودعة في المكتبة الوطنية المعروفة باسمه في « ميسورى » مشهد لقاء بينه وبين « ايزنهاور » تم يوم ٢١ نوفمبر ١٩٥٢ ـ أي بعد أسبوعين من إعلان نتيجة انتخابات الرئاسة التي فاز فيها « ايزنهاور » مرشح الحزب الجمهورى على منافسه « ادلاى ستيفنسون » مرشح الحزب الديمقراطي .

⁽٣) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس ـ الجزء الأول ـ الفصل الثاني (نفط ونفوذ!) الصفحات من ٤٢ إلى ٢٠ .

⁽٢) الكراسة السابعة ، صفحة ٨٦ ـ من هذه اليوميات .

الالتصاق السياسي بين واشنطن والرياض . كما وصل النفوذ الأمريكي إلى درج الاحتكار أيضا في إثيوبيا بعد أن تصادم « هيلاسلاسي » مع البريجادير « لاش البريطاني الذي كان يرأس البعثة العسكرية البريطانية في أديس أبابا منذ تحريا إثيوبيا من الإيطاليين سنة ١٩٤١ وقد انتهى هذا الصراع بمشهد غريب ، ذلك أن الإمبراطور الإثيوبي الذي وجد البريجادير البريطاني يتصرف وكأنه هو الامبراطور الحقيقي ـ تشجع بمساندة الولايات المتحدة ، وقرر أن « يتصرف » مرة واحدة ، وإلى الأبد مع البريجادير « لاش » ، وهكذا دعاه إلى القصر وعنفه ، وتعالى البريجادير « لاش » يرد على الامبراطور وكأنه ند له ، وإذا الامبراطور يستدعي حرسه ، ويقول البريجادير المذهول : « إنني أعرف أن « لاش » بالانجليزية تعنى الكرباج ، وسوف البريجادير المذهول : « إنني أعرف أن « لاش » بالانجليزية تعنى الكرباج ، وسوف البريجادير وبجلده بالكرباج حتى يعود إلى صوابه ، ولم يتمزق جلد » لاش » في البريطاني في القرن الإفريقي !

من ناحية أخرى كانت هناك تغييرات ، فقد راحت إسرائيل التى كانت بدايتها توافقا غربيا شرقيا - تنجذب ألى الغرب - فرنسا وبريطانيا أولا ، ثم الولايات المتحدة بضرورات الأشياء بعد ذلك .

ومن ناحية ثالثة ، فإن الملك « فاروق » الذى أرسى معه » روزفلت » أسس تفاهم مصرى أمريكى في لقاء البحيرات المرة – فقد عرشه وحلت محله على قمة السلطة في مصر مجموعة من الضباط يرأسها أحدهم وهو برتبة » كولونيل » ، وقد كانت هذه السلطة الجديدة في مصر تتصدى للامبراطورية البريطانية وتحاول بحذر أن تقترب من الولايات المتحدة الأمريكية – لكن الموقف في مصر بالنسبة لـ «ايزنهاور » كان مائعا في البداية ، ثم ما لبث أن أخذ طريقا ينذر بالخطر بعد رفض مصر الانضمام الى أحلاف الغرب ، ثم شراؤها للسلاح من الاتحاد السوفيتي ، ثم تأميمها لشركة قناة السويس ردا على قرار أمريكي بسحب عرض المساهمة في تمويل السد العالى .

وزادت نذر الخطر عندما رفض «جمال عبد الناصر» التسليم بأن الدور الأمريكي كان له الإسهام الأكبر في ردع العدوان الثلاثي على مصر في معركة سنة ١٩٥٦ _ وبالتالي رفض أن يؤدي لهذا الدور مطالبه ومستحقاته كما يراها الزنهاور « لنفسه .

والواقع أن « جمال عبد الناصر » كان يعترف بأهمية الدور الأمريكي في إفشال

عدوان سنة ١٩٥٦ ـ لكنه رده إلى اصوله باعتباره خلافا بين حلفاء الغرب فى الأساليب ، وليس خلافا فى الأهداف ، ومع أن مصر استفادت من خلاف الأساليب إلا أن الحذر عليها واجب من التقاء الأهداف .

ولم يكن تقدير « جمال عبد الناصر » بعيدا عن الحقيقة ، فالوثائق الأمريكية عن هذه الفترة كلها تظهر بوضوح (°) الخطوط التالية :

١ – مصرهى العقبة الوحيدة الباقية أمام مخطط السيطرة الأمريكية المطلقة على الشرق الأوسط، فهى تعارض الأحلاف الغربية، وأولها حلف بغداد، ثم إنها ترفض الصلح مع إسرائيل، وهو المقدمة الضرورية لتأمين مصالح الغرب فيها.

٢ - إن مصر تتشجع فى موقفها المعارض للمخطط الأمريكي بتحالف مع سوريا ، وهي المركز الفوار للقومية العربية - وبمساندة لها من المملكة العربية السعودية ، وهي أكبر الأثرياء فى العالم العربي ، والمبرر الأكبر لمساندة السعوديين هو عداؤهم التقليدي للهاشميين الذين انعقد لهم فى ذلك الوقت لواء حلف بغداد الموالى للغرب .

" - إنه إذا استحالت استمالة « جمال عبد الناصر » إلى جانب الغرب ، وإقناعه أو إرغامه على وقف التعامل مع الاتحاد السوفيتي - فإن السبيل الرحيد هو ضرب الثورة المصرية ، والقضاء على « جمال عبد الناصر » ، وتحقيق ذلك بعزله عن الملك « سعود » بالوقيعة ، وبانتزاع سوريا من صفه بالانقلاب ، ثم الخلاص منه شخصيا ، ولو بالقتل إذا اقتضى الأمر .

وكان القتل قد بدا يدخل في السياسة الدولية كسلاح معتمد ومقبول في عالم طرأت عليه حقائق كانت في جوهرها تعبيرا جديدا عن أفكار سابقة طرحها ، ماكيافيللي » في القرن الخامس عشر حين نادى في رسالته الشهيرة « الأمير » _ بالفصل الكامل بين القوة ، وبين الأخلاق عند ممارسة الصراع السياسي ا

٤) مقابلة اجريتها مع الامبراطور ، هيلاسلاسي ، 🕻 اديس ابابا في شهر مايو ١٩٦٣ .

⁽٠) رجاء مراجعة كتاب ، ملفات السويس ، سنفعا ٤٣٧ و ٤٣٨ .



كان الجنرال « دوايت ايزنهاور » وجها لوجه مع هذه الحقائق المستجدة على السياسة الدولية منذ اليوم الأول لدخوله الى البيت الأبيض، ولعله التقى ببعضها من قبل أثناء عمله كقائد عسكرى أعلى لقوات الحلفاء المنتصرة ضد « هتلر » فى الحرب العالمية العظمى الثانية ، ثم بعد ذلك أثناء توليه منصب القائد الأعلى لقوات الحلفاء فى أوروبا عقب تحقيق النصر :

أولى هذه الحقائق أن هناك الآن سلاحا ليس له سابقة في التاريخ ، أي السلاح النووى ، وهو سلاح يستحيل استعماله في القتال لأن قدرته على الدمار شاملة ، وإمكانية وصوله إلى أهدافه أفدح مما يستطيع تحمله طرف مقاتل ، مع العلم بأن الطرفين المرشحين للقتال به في صراعهما للسيادة على العالم ، وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - كلاهما توصل إلى أسراره ، وتمكن من أساليب نقله واستعماله .

وهكذا فإن البشرية لأول مرة تملك سلاحا لايستطيع طرف أن يلجأ إليه ، أو يهدد باللجوء إليه إلا أن يكون ذلك بالخطأ غير المقصود في الحسابات السياسية أو الحسابات التكنولوجية ، وقد كان هذا الخطأ غير المقصود هو ما يخشى منه « ايزنهاور » عندما تلقى نص الإنذار السوفيتي إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مساء يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ بتوقيت واشنطن .

ویسجل الکولونیل « أ . ج . جودباستر » السکرتیر العسکری للرئیس « ایزنهاور » فی « آبیلین » بولایة « ایزنهاور » فی مذکرة سریة مودعة فی مکتبة « ایزنهاور » فی النحو التالی : « کانساس » (۲) ردة فعل « ایزنهاور » إزاء الانذار السوفیتی علی النحو التالی :

« دخل هوفر (نائب وزير الخارجية الامريكية) وسلم الرئيس مذكرة بولجانين ، وتعليق بوهلن (السفير الامريكي في موسكو) عليها . وقراها الرئيس كلمة كلمة ، وقدم له هوفر ردا اعدته وزارة الخارجية مقترحة إصداره عن البيت الابيض . وابدى الرئيس وجهة نظره ، ومؤداها ان ما يخشى منه ان الروس يرون ان موقفهم

(٦) الصندوق رقم أ في مجموعة الاجتماعات الخاصة في مكتب الرئيس ، ايزنهاور ، وتاريخ التقرير هو ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

في الدول التابعة لهم في اوروبا الشرقية تردى كثيرا نتيجة لتدخلهم المسلح ضد الثورة في المجر، وهم الآن على استعداد لأى مغامرة مجنونة

ثم ابدى الرئيس رايه بان الروس لايمكن ان يكونوا على استعداد لمواجهة نووية مع الولايات المتحدة ـ وهي في تقديره لعبة قمار يائسة .

ولاحظ المستر « فلجر » (احد المستشارين القانونيين للرئيس) ان مذكرة بولجانين تعرض على الولايات المتحدة التعاون في العمل المباشر من خلال الامم المتحدة ، وعقب الرئيس بقوله « إن مندوبينا في الامم المتحدة لابد ان يقولوا لمندوبي الدول العربية : هل تريدون السوفيت في الشرق الاوسط لكي يفعلوا معكم ما يفعلونه الآن مع المجر » .

ثم قال الرئيس إن الامر يقتضى دعوة مجلس الامن القومى بكامل هيئته لبحث الموقف .

ولاحظ المستر هوفر أن البريطانيين والفرنسيين ليس في وسعهم أن يتوقفوا عن القتال قبل أن يسقط ناصر ، وأن السؤال الذى تطرحه مذكرة بولجانين الآن هو x من يجب أن يذهب أولا : ايدن أو ناصر ؟» ثم أضاف هوفر : x إن مركز ناصر الآن مهتز x . »

(ثم تجىء فقرة محذوفة بعد ذلك في مذكرة « جودباستر » ـ والمفارقة أن لها تكملة في أوراق « هوفر » نفسه إذ أورد في مذكرة له تعقيباً على اجتماعه بالرئيس قدمها إلى وزير الخارجية جاء فيها « إن الرئيس قال إن مشكلة ناصر يمكن مواجهتها فيما بعد وبوسائل أخرى ، وأما الآن فأظن أنه من الافضل عدم الانسياق في لعبة القمار مع بولجانين حتى ولو أدى الأمر إلى أن يخرج ايدن أولا ثم يلحقه ناصر فيما بعد ! »)

وكانت الحقيقة الثانية وجها لوجه مع « ايزنهاور » أن الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية انفردت بظاهرة تختلف عن كل ما أعقب الحروب قبلها في التاريخ .

كل حرب من قبل كانت مقدماتها حالة تعبئة عامة استدعت فيها الأطراف كل مواردها البشرية لحمل السلاح .

وكل حرب من قبل شهدت في أعقابها حالة تسريح عامة قامت فيها الأطراف بدون » حشودها الجرارة من البشر الحاملين للسلاح كي تعود أغلبيتهم الساحقة الى حياتها المدنية العادية - كما كان حالها من قبل - تاركة للدولة جيشها النظامي عند الحد الأدنى الضروري .

كل الحروب من قبل سبقتها حالة التعبئة العامة ، ولحقتها حالة التسريح العامة إلا الحرب العالمية الثانية _ انتهت المعارك ومازالت هناك جيوش كبيرة ، وقوات مسلحة تواجه بعضها على نفس المواقع التي توقف عنها القتال الكبير .

وكانت الأسباب واضحة:

□ السلاح النووى لم يدع لأحد فرصة يتوهم فيها أن التعبئة انتهت ، والتسريح جاء أوانه ، فهذا السلاح النووى موجود وشبحه منتصب عند حافة الأفق!

□ ثم إن اندلاع الحرب الباردة بين عقائد مسلحة جعل التربص قائما والمفاجآت محتملة .

□ والخوف من المفاجآت المحتملة دفع إلى سباق في السلاح النووى والتقليدي لأن كل طرف من الأطراف يخشى أن يتمكن الطرف الآخر من الحصول على ميزة عليه تعطيه تفوقا يغريه بالإقدام على المغامرة.

□ واوروبا لا تستطيع أن تواجه الاتحاد السوفيتي وهو أمامها على الأرض إلى الشرق من القارة الأوروبية ، وهكذا يجب أن توجد الولايات المتحدة الأمريكية بقواتها في القارة .

هذه العوامل كلها أدت إلى حلفين متقابلين في أوروبا _ حلف الأطلنطى في الغرب، وحلف وارسو ردا عليه في الشرق _ أي أكثر من ثلاثمائة فرقة على جانبي الخطوط في أوروبا المقسمة سياسيا وعقائديا وعسكريا، وفوقها على الناحيتين ظلال نووية كئيبة.

كانت لهذا الوضع تداعيات بالغة الأهمية:

جيوش ضخمة باقية في حالة السلام ـ مؤسسة عسكرية تتزايد قوتها ونفوذها ـ مصالح نامية ومتشعبة أصبحت حياتها هي « صناعة وتجارة » الأمن القومي ! ـ علاقات بين السياسة والسلاح تتوثق روابطها بعيدا عن ميادين القتال .

والمشكلة أن هذا كله لابد له أن يتحرك للكنه في نفس الوقت لايستطيع أن يمارس حركته أمام بعضه غربا وشرقا وباسلوب العمل المباشر.

وربما كان اكبر اخطاء « ايدن » في معركة السويس هو نسيانه لهذه المشكلة ، وقد كانت اهم « موعظة » بعث بها « ايزنهاور » الى « ايدن » في

اللحظات العصيبة للسويس هي قوله على التليفون لـ « هارولد ماكميلان » وزير الخزانة البريطاني لكي ينقلها لـ « ايدن » :

" قل لانتونى على لسانى إنه ما دام قد تصرف وحده خارج حلف الاطلنطى ، فليس من حقه أن بلجأ إلى حماية مظلة هذا الحلف عندما تتعقد الامور مهه " ا

واخبرا كانت الحقيقة الثالثة الماثلة أمام « ايزنهاور » هى تزايد دور أجهزة العمل السدى ، فقد بدت بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى إطار القيود المفروضة على حركة الجهوش بحكم الموازين الحساسة للقوى ومخاطر الأسلحة الجديدة ـ وسيلة مناحة ومهاحة للعمل المباشر على الأجنحة ووراء خطوط المواجهة المستحيلة .

وكان نشاط « المخابرات الأمريكية » قد اتسع فترة الحرب العالمية الثانية مقدار الساع دور الولايات المتحدة في هذه الحرب _ كما أن مجالات نشاطها تنوعت .

كان هناك _ اولا _ مجال الحصول على المعلومات العسكرية الصرفة _ وكان أهم مصدر لهذه المعلومات هو فنون التقاط إشارات الجيوش المتحاربة بما تحتويه من خطط وتقديرات وتوجيهات وأوامر، وفك شفراتها، وقد أنشىء جهاز كبير في الولايات المتحدة لهذا المجال تحول معد الحرب إلى وكالة الأمن القومى.

وهان هناك ـ ثانيا ـ مجال الحصول على معلومات سياسية عن مسار الحرب وأحوال أطرافها - وكان أهم جهاز لهذه المعلومات هو مكتب الخدمات الخاصة ، وكان مقره في سويسرا ، وكان المسؤول عنه هو آلان دالاس ، وقد تحول هذا الجهاز بعد الحرب ، وفي عصر الرئيس " ترومان » ، إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وهان هناك - ثالثا - مجال تحليل المعلومات المتاحة كلها ، والوصول الى مانيها الحقيقية ودلالاتها المستقبلية لكى تدخل كعنصر مؤثر في صنع القرار السياسي ، وإلا فإن حصيلة المخابرات تصبح مجرد قصص حكايات مثيرة في حد ذاتها لكنها ليست مؤثرة على مجرى الحوادث .

وفي ظروف الحرب استطاع هذا المجال أن يجند خيرة عناصر المفكرين في الدلايات المتحدة ، فقد كانت خدمتهم الوطنية في إطاره أفيد الف مرة من حمل السلاح .

وعندما يتذكر اى باحث مدقق أن خيرة المفكرين السياسيين والاقتصاديين ف الولايات المتحدة من أمثال « كينيث جالبرايث » (أشهر الاقتصاديين الأمريكيين) و « أرثر شلزنجر » (واحد من أكبر أساتذة التاريخ) و « ماك جورج باندى » (ألمع أساتذة العلوم السياسية) فضلا عن رجال من أمثال « هنرى كيسنجر » و « والت روستو » و » زبجنيو برجينسكى » _ كانوا جميعا في المخابرات الأمريكية في مجال الدراسة والتحليل _ لتأكد له إلى أى مدى امتزجت تجربة المخابرات بتجربة صنع القرار السياسي في واشنطن !

إن هؤلاء جميعا بعد الحرب أصبحوا مستشارى الأمن القومى للرؤساء فى البيت الأبيض ، ووزراء للخارجية ، ومسؤولين تركوا بصماتهم واضحة على القرار الأمريكى ابتداء من الخمسينات وحتى الثمانينات .

ومع أن وكالة الأمن القومى .N.S.A كانت أكبر أجهزة المخابرات الأمريكية حجما وأكبرها نصيبا في الاعتمادات المادية ، فهى مكلفة الآن بالتقاط كل إشارة تمرق في الأجواء وفي الفضاء ومن أعماق البحار ، وكل حديث تليفوني في العالم ، وكل رسالة شفرية مع حلها وتحليلها _ إلا أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .C.I.A كانت هي الأكثر شهرة والأقوى فعلا ، فقد تحولت بعد الحرب العالمية الثانية ، وبقرار من الرئيس " ترومان " إلى جهاز لـ « صنع وتنفيذ السياسات » أي أنها وسيلة العمل المباشر وأداة القوة الفاعلة على الأرض ، للسياسة الأمريكية خلال العقود الأخيرة ، وحتى هذه اللحظة .

ولقد بدأ العصر الذهبى لوكالة المخابرات المركزية مع إدارة « ايزنهاور » تقريبا ، فإن الجنرال الذى دخل إلى البيت الأبيض كان يعرف بحكم خبرته العسكرية في الحرب وقيادته لحلف الأطلنطى بعد الحرب أن الأسلحة النووية قد جعلت ممارسة القتال مستحيلة - وإذن فلا بد للصراع - أى للحرب من أن تعبر عن نفسها بوسائل أخرى خفية حتى لا تتأثر إلى درجة الخطر موازين حساسة .

أضيف إلى هذا العنصر الذاتى لدى « ايزنهاور » عنصر آخر إضاف ، وهو أنه اختار » جون فوستر دالاس » وزيرا لخارجيته ومنحه صلاحيات واسعة في إدارة السياسة الأمريكية

و « جون فوستر دالاس » هو الشقيق الأكبر لـ « آلان دالاس » .

جون ، مسؤول _ كوزير للخارجية _ عن إدارة سياسة الولايات المتحدة

الخارجية ، و « ألان » - كمدير لوكالة المخابرات المركزية - مسؤول عن تنفيذ اهداف هذه السياسة على الأرض وعمليا ، وفي المواقع التي انتقل اليها الصراع بين القوتين الأعظم ، وميدانها هو العالم الثالث وفي قلبه بالتحديد الآن - الشرق الأوسط الذي هو مقر ومستقر وموطن أهم المصالح الأمريكية الاقتصادية والسياسية والأمنية .

هكذا برؤية الرئيس الذاتية للأمور ، وبالعلاقة الحميمة الى درجة الإخوة بين وزارة الخارجية وإدارة المخابرات المركزية ـ تداخلت الاختصاصات وتكاد تكون امتزجت في فترة معينة من تاريخ الشرق الأوسط.



وحين قام الرئيس « دوايت ايزنهاور » بتحديد أهداف سياسته في الشرق الأوسط في في في الشرق الأوسط في في في في في المركزية الأمريكية أصبحت بشكل شبه تلقائي هي أداته الرئيسية في تنفيذ هذه السياسة تعاونها وزارة الخارجية الأمريكية وليس العكس !

كانت الوكالة في السنة الأولى من حكم « ايزنهاور " قد حققت له انتصارين بارزين :

انتصار في « جواتيمالا » تمكنت فيه من إسقاط حكم الكولونيل » أربينيز » الذي قام بعد توليه السلطة بمقاومة مصالح « شركة الفواكه المتحدة » وهي أكبر الشركات العاملة في أمريكا اللاتينية . ولم يسقط حكم « آربينيز » فقط ، ولكنه صفى جسديا أيضا .

ثم انتصار في « إيران » تمكنت فيه الوكالة من إسقاط نظام « محمد مصدق » الزعيم الوطنى الذي تصدى لامتيازات البترول البريطانية ، ورفض التنازل عنها ببساطة للشركات الأمريكية ، وفي الوقت الذي خاف فيه شاه إيران من ثورة « مصدق » وهرب من طهران ـ فإن ممثل الوكالة في الشرق الأوسط وهو « كيرميت

روزفلت » تمكن من قيادة انقلاب مضاد للثورة عاد به الشاه إلى العرش ، ودخل بعده « مصدق » إلى السجن ا

وجاء الدور على مصر.

.

لم يكن " كيرميت روزفلت » غريبا على مصر ، فقد كان هو الذى انتدب بعد لقاء « روزفلت » بالملك « فاروق » سنة ١٩٤٥ ليكون حلقة وصل مع « أحمد محمد حسنين » (باشا) رئيس الديوان الملكى وقتها . وعندما قتل " حسنين » (باشا) ف حادثة سيارة على كوبرى قصر النيل سنة ١٩٤٦ ـ انتقل اتصال " كيرميت روزفلت » إلى عدد من الصحفيين الموظفين بالقصر أو العاملين لحسابه ، وبينهم « كريم ثابت » (باشا) المستشار الصحفي للملك .

كان « كيرميت روزفلت » بالمهنة الأصلية مدرس تاريخ ، ثم تحول إلى العمل فى المخابرات فى ظروف الحرب ، فقد اختارها مثل غيره من طبقته $(^{\vee})$ من هيئات التدريس فى الجامعات . وكان الغطاء الذى أعطى لـ « كيرميت » هو غطاء المراسل الصحفى فى الشرق الأوسط ، وتحت ستاره كان يمارس عمله الحقيقى .

وبعد الحرب كتب «كيرميت » كتابا عن المنطقة باسم « بترول العرب وسياساتهم » والتحق لعدة شهور بشركة الخليج للبترول التي كان لها النصيب الأكبر في امتيازات نفط الكويت ـ لكن الاهتمام بالشرق الأوسط ما لبث أن استدعاه مرة أخرى للخدمة في الوكالة ، حيث تولى الاشتراك في العمليات الجانبية لانقلاب « حسنى الزعيم » وهو انقلاب تلاقت فيه مطالب السياسة مع مطالب شركات البترول . السياسة تريد وضعا ثابتا في سوريا بعد الهزة الكبرى لمعركة سنة ١٩٤٨ التي انتهت بقيام إسرائيل ، والشركات تريد امتيازا لمد خطوط أنابيب لنقل البترول عبر سوريا .

وفى الشهور الأولى من سنة ١٩٥٢ ظهر « كيرميت روزفلت » في مصر ثلاث مرات يمكن الآن رصدها ، وفيها التقى بعدد من أقطاب القصر وأقطاب الوفد وكبار الساسة البارزين على الساحة وقتها مثل « على ماهر » (باشا) و » نجيب الهلالى » (باشا) وكان شديد الاهتمام بوزير الداخلية مع كلا الرجلين وهو » مرتضى المراغى » (باشا) ويظهر أنه توسم فيه مستقبلا يجعل منه رجل الساعة في تلك الفترة .

وتكفل قيام الثورة يوم ٢٣ يوليو بوضع حد لخطط هذا المستقبل المتوهم! وعلى

وربما أمكن القول - رغم ما في القول من تناقض - إن طبقة القمة في وكالة المخابرات المركزية كانت إلى حد كبير متفتحة التفكير . فاتصالاتها في وطنها ومباشرة مع مستويات صنع القرار (البيت الأبيض - الخارجية) . كما أن اتصالاتها خارج

كانت الوكالة _ في تركيبها الداخلي _ مجتمعا طبقيا بالفعل .

المغايرات المركزية.

اى حال فإن « كيرميت روزفلت » لم يلبث ان عاد إلى مصر بعد الثورة لأول مرة في شهر

اكتوبر ۱۹۵۲ وكان يحمل جواز سفر دبلوماسيا يصف عمله بأنه « مساعد خاص

للرئيس = _ وكان ذلك هو الوصف الذي يطلق على طبقة معينة من رجال وكالة

- على قمته عدد من أبناء العائلات الكبيرة الذين أدوا مثل « كيرميت » خدمتهم الوطنية في إطار المخابرات ، ومعظمهم من الذين أتيحت لهم فرصة العمل مباشرة مع » آلان دالاس » في عصر مكتب الخدمات الخاصة في سويسرا . كان هؤلاء هم المكلفون بالاتصال بالملوك والقادة ، وكانوا يطلقون عليهم وصف « أعضاء النادى » ، وفي الغالب فإن مهامهم كانت مساندة العروش (كما حدث في إيران) أو إعداد الانقلابات (كما حدث في أكثر من بلد في أمريكا اللاتينية) .
- تحت القمة كانت هناك الطبقة التي أطلقوا عليها وصف الكشافة الومعظمهم من أبناء العائلات المتوسطة والمهنيين السابقين وهؤلاء كانت مهمتهم إقامة العلاقات وتنظيم الشبكات وترتيب مهام جمع المعلومات من مصادرها وفي الواقع فإن معظم هؤلاء وجدوا الغطاء العملي لنشاطهم في السلك السياسي ، حتى أن لجنة اتشرش » في الكونجرس اكتشفت عندما تولت التحقيق في نشاط المخابرات أن أكثر من عشرين في المائة من الدبلوماسيين الملحقين بالسفارات الامريكية في الخارج هم من رجال المخابرات .
- وكان القاع في الوكالة يضم الطبقة الثالثة ، وهي طبقة الرجال المكلفين ، أو الذين يمكن تكليفهم بالعمليات مباشرة ابتداء من سرقة أو تزوير الأوراق والمستندات ، ووضع أجهزة التصنت والاستماع ، وحتى جرائم الخطف والقتل ، وكان الوصف الشائع لهذا النوع من الرجال هو أنهم قسم « الخداع » أو « التضليل الإعلامي » أو « الألعاب القذرة » _ طبقا لنوع التكليفات التي تصدر إليهم .

 ⁽٧) كان عم والده هو ، تيدى روزفلت ، الذى كان رئيسا للولايات المتحدة في مطلع القرن العشرين ، وقد قدمت عائلة روزفلت رئيسا أخر لأمريكا هو فرانكلين روزفلت الذى لله بلاده أن الحرب العالمة الثانية .

وطنها سياسية ايضا في الغالب. وكان نصف عملها خفيا ونصفه الأخر ظاهرا وكان النصف الخفى بعيدا قدر ما هو ممكن عن مستوى « الألعاب القذرة » ـ وبالتالى فإن أفراد هذه الطبقة كانوا من نوع يمكن له أن يعيش وأن يتحرك في أجواء متحصرة ، ووفق قواعد مقبولة للسلوك بعيدة الى حد كبير عن التشوهات المهنية التى تلحق بأفراد الطبقة الثانية أحيانا ، وأفراد الطبقة الثالثة دواما .

إن كل مهنة فى الدنيا تؤثر على أصحابها بطبيعتها بمقدار ما أن أصحابها يؤثرون فيها بقدراتهم ، ولعل مهنة العمل السرى من أكثر المهن المؤثرة على الذين يحترفونها . والتأثير يزداد بمقدار سرية العمل .

والذي يقرأ كتاب « صائد الجواسيس » لــــ بيتر رايت » الذي حاربته السيدة « مارجريت ثاتشر » الى اللحظة الأخيرة بذريعة عقد السرية بين رجل المخابرات ، وبين جهازه مما يحرم عليه إذاعة أي شيء عن خبرته وخدمته إلا بتصريح مكتوب _ يشعر إلى أي مدى تؤثر مهنة المخابرات في أصحابها . فهي مهنة توقظ الإحساس بالوهم لدى المُستغلين بها . تجعلهم يرون أخطارا لا وجود لها ، لأن وجود مثل هذه الأخطار هو في حد ذاته مبرر وجودهم . بعد الوهم هناك تجسيد الوهم ، فوجود خطر يتطلب على الغور إيجاد مصدر تلقى عليه ذنوبه وأوزاره . ثم إن الحياة مع الوهم تورث حالة من الشك الدائم في كل الأشياء وكل الأشخاص. وحالة الشك الدائم بدورها تخلق إحساسا بالخطر الداهم الذي لابد من توقيه ، والرد عليه قبل وقوعه إذا أمكن . ولقد كان مثل هذا التفكير هو الذي دعا عناصر من المخابرات البريطانية إلى هوس الاعتقاد أن رئيس وزراء بريطانيا العمالي الشبهير « هارولد ويلسون » هو عميل للاتحاد السوفيتي ، ثم تصل من هذا الاعتقاد إلى ضرورة إزاحته عن منصبه ، ولو حتى بانقلاب في أعرق الدستوريات البرلمانية وهي بريطانيا . ووصل الأمر بمجموعة من ضباط M.I.6 إلى حد أنهم تدارسوا في اعتقال " هارولد ويلسون " وكل مجلس وزرائه ، ووضعهم تحت التحفظ على الباخرة « كوين ماري » بعد تحويلها إلى سجن مؤقت ريثما يتم تطهير بريطانيا من « أعوانهم الشيوعيين العملاء »!

مهنة المخابرات ايضا تعلم اصحابها دروسا بالغة السوء بينها اختراق القانون في حماية السلطة ، فالذي يتجسس ويتصنت ويفتش ويغتال عند اللزوم يخرق القانون معتمدا على حماية مكفولة له ، ومع الايام تصبح حدود القانون خطوطا وهمية يتجاوزها الناس حتى دون أن يتنبهوا ا

فوق ذلك فإن العمل السرى بطبيعته يؤدى الى استشراء نوع من الفساد الجامح . فالعمليات السرية تقتضى مصادر للتمويل سرية . كما انها تقتضى

سلطات هي الأخرى سرية . ومع وجود تعويل سرى وسلطة سرية خصوصا إذا طلات مدة البقاء في المنصب السرى – وكثيرا ما يحدث ذلك لأن الخبرة المكتسبة تصبح داعيا إلى طول البقاء – فإن النتيجة كوارث محققة ، وقد تكررت الظاهرة لل كل أجهزة المخابرات في العالم .(^)

العمل السرى إضافة إلى ذلك كله يعطى اصحابه إحساسا زائدا بالاهمية ، فهم يعرفون الآخرين ظاهرا وباطنا ، ويرونهم عرايا كما ولدتهم امهاتهم ، وهذا يخلق لديهم مشاعوا أو لم يشاعوا مشعورا بالاستهانة بالآخرين ، ورغبة كامنة التنكيل بهم لأنهم يظهرون للناس في رأيهم معلى غير حقيقتهم ملكن الحقيقة كلها ملك للعمل السرى وحده ، فهو المطلع وهو القادر!!

واحتياج الدولة الحديثة للمعلومات، وتردد الدولة الحديثة أمام احتمالات الحرب، يجعل أجهزة المخابرات على كل المستويات هي الجهاز الأثير لكل الأنظمة شرقا وغربا من أبواب السلطة العليا في أي وطن، فهي العين التي ترى في الظلام، ثم إنها الذراع التي تضرب في الظلام أيضا !(٩)

كان " كيرميت روزفلت " من الطبقة الأقل تأثرا بهذه التشوهات المهنية ، وهكذا فإنه كان مقبولا في أوساط العمل السياسي العربي ، بما فيها مصر قبل الثورة ، وتجدد هذا القبول في مصر بعد الثورة ، وحتى بعد أن عرف " جمال عبد الناصر " يقينا بالهوية الحقيقية لـ " كيرميت روزفلت » وبأن وصف « مساعد خاص للرئيس» وهو الوصف المسجل على جواز سفره ليس إلا قناعا يغطى وجه الحقيقة .

ولابد من الإقرار بأن « كيرميت روزفلت » شارك بدور في عملية توجيه قدر من الضغط على الحكومة البريطانية لكى توقع على اتفاقية الجلاء ، ويمكن أن يقال إنه كان مقتنعا بأن مصر يمكن أن تفكر جديا في الانضمام إلى حلف غربى في الشرق الأوسط إذا تحقق جلاء الانجليز أولا من قاعدة قناة السويس .

⁽A) فلل ادجار هوفر رئيسا لوكالة المباحث الفيدرالية الأمريكية اكثر من اربعين سنة ، ولقد تمكن من تطويع كل الرؤساء الأمريكيين الذين تعاقبوا على البيت الأبيض طوال هذه الفترة ـ بعضهم أراد استغلال معلوماته ، والنتيجة اربعون سنة كاملة على قمة واحد من اكبر اجهزة الأمن الأوى بلد في العالم ، ثم تكشف بعد ذلك أن الرجل حالة عقلية ونفسية قريبة من حافة الجنون .

⁽¹⁾ تعرضت كل أجهزة المخابرات (1) العالم تقريبا لهذه العوارض بما فيها الـ C.I.A. الأمريكية والـ .K.G.B الأمريكية والـ .S.D.E.C.E الفرنسية ، ولعل هذه الأعراض من أكبر أسباب انحرافات جهاز المخابرات المصرى (1) بعض الأحيان رغم أن هذا الجهاز قام بكثير من الخدمات للأمن القومي .

ودخل « كيرميت روزفلت « معركة حامية في كواليس وكالة المخابرات المركزية حول تقدير الموقف في مصر .

كانت هناك داخل الوكالة مدرستان :

■ اولاهما يمثلها «كيرميت روزفلت » وهي ترى « أن الثورة المصرية هي « شكل المستقبل في العالم العربي » وأن الرهان على « جمال عبد الناصر » يمكن أن يكون استثمارا مفيدا للمصالح الأمريكية من حيث أن توجهاته قد تلتقي معها في مستقبل الأيام ، فهو معاد للاستعمار التقليدي (بريطانيا وفرنسا) وهو معاد للشيوعية (روسيا) في نفس الوقت . ومن ثم فان على الولايات المتحدة أن تتفهم دوافعه ، وأن تساعده في حدود معينة ، ووفق اشتراطات تتحدد مرحلة بعد مرحلة . »

■ واما المدرسة الثانية ، فقد كان يتزعمها قطب آخر من اقطاب الوكالة هو " جيمس انجلتون " ، وكان " انجلتون " يرى " ان الضمان الوحيد لمصالح الولايات وامنها في الشرق الأوسط مرهون بإسرائيل ، والتعاون معها وتقويتها لكي تصبح الأداة الضاربة للنفوذ الأمريكي في المنطقة خصوصا بعد زوال الاستعمار التقليدي وقواعده العسكرية الظاهرة " . وكان « انجلتون » قد تعاون في أوروبا مع اليهولا " وكانت النظيمات اليهودية في أوروبا الشرقية أهم مصادره في المعلومات عن أحوال الاتحاد السوفيتي . وكانت الوكالة قد تنبهت مبكرا حتى من أيام الحرب الى هذا المصدر ، وحصلت على إعتمادات طائلة للعمل المشترك اطلق عليها السم « الصندوق الإسرائيلي " وكان « انجلتون " هو المشرف عليه .

وفي الفترة من أوائل سنة ١٩٥٣ وإلى أوائل سنة ١٩٥٥ ـ كانت مدرسة «كيرميت روزفلت » تبشر بامكانية نجاح تقديراتها « فقد كان « جمال عبه الناصر » يقاوم الانجليز بضراوة « ويختلف مع الأمريكيين برفق ، ويكتفى بمقولة إنه لا يستطيع أن يفكر في قضية الأحلاف إلا بعد جلاء الاحتلال البريطاني ، ونهاية الاستعمار في مصر .

وجاءت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتى في سبتمبر ١٩٥٥ صدمة لـ " كيرميت روزفلت " ومدرسته ، واستدعاه " جون فوستر دالاس " وزير الخارجية في حضور شقيقه " آلان دالاس " مدير وكالة المخابرات المركزية يستاله تفسيرا

وإيضاحا لما جرى ، ثم يطلب إليه أن يطير على القور إلى القاهرة ليقنع «جمال عبد الناصر » ـ أو يهدده ـ بالتراجع عن الصفقة(١٠).

ولم ينجح «كيرميت روزفلت » في مهمته ، لكنه لم يتخل بالكامل عن فكرته ، فقد ظل على إعتقاد بأن هناك « عملية إنقاذ » محتملة للموقف إذا أمكن إتمام صفقة مقايضة السد العالى بعقد صلح بين مصر وإسرائيل يفتح الطريق لحلف عسكرى يضم الشرق الأوسط كله ـ بما فيه إسرائيل ـ ضد الاتحاد السوفيتي .

كان «كيرميت روزفلت » يستعين باثنين من المساعدين له في القاهرة ، وكلاهما كان داخل السفارة الأمريكية تحت الغطاء الدبلوماسي التقليدي ، أولهما « جيمس ايكلبرجر » الذي كان يشغل منصب الوزير المفوض في السفارة الأمريكية بالقاهرة ، والثاني « مايلز كوبلاند » الذي عمل لبعض الوقت ملحقا بها .

وكان كلاهما في القاهرة في تلك الأيام « لكن « كيرميت » كان في واشنطن يتابع التطورات المتلاحقة :

استوعبت واشنطن صفقة الأسلحة السوفيتية لمصر مع الإصرار على إعتبارها بكل الوسائل صفقة واحدة غير قابلة للتكرار . وتوصلت واشنطن إلى فكرة مقايضة السد العالى بالصلح مع إسرائيل تمهيدا لإقامة الحلف العسكرى الغربى المسؤول عن أمن المنطقة بأكملها ، وتقرر أن يقوم وزير الخزانة « روبرت آندرسون »(١١) بحمل المشروع إلى « جمال عبد الناصر » وعرضه عليه :

وكان « كيرميت روزفلت » متحمسا . ومن واشنطن كتب إلى مساعده « جيمس ايكلبرجر » خطابا جاء فيه :(١٢)

• عزیزی ایك

إن « معركة القرن »(١٣) قد بدات بالفعل كما لابد وانك استنتجت ، وسوف تبين الاسابيع القليلة القادمة والاشهر التي تليها ، ما إذا كنا نستطيع ان نرسم طريقا

⁽١٠) رجاء مراجعة تفاصيل رحلة كيرميت روزظت ، ومقابلته لجمال عبد الناصر في القاهرة في كتاب ملفات السويس صفحة ١٧٨ هـ ١٧٩ .

⁽١١) رجاء مراجعة تفاصيل مهمة اندرسون ونتائجها [كتاب ملفات السويس ـ الجزء الرابع ـ الفصل الثالث ـ الصفحات من ٣٨٧ الى ٣٩٣ .

⁽١٢) تمكن احد ضباط المباحث المصريين من دخول شقة ايكلبرجر في عمارة البدراوى بالزمالك ـ وعثر على الخطاب ضمن اوراق الخرى .

⁽١٣) وصل روزفلت في تقديره لأهمية حركة الحوادث وقتها الى حد تسميتها ، معركة القرن ، والحقيقة ان المعركة كانت قريبة إلى هذه الدرجة من الخطورة ، فقد كانت معركة السيادة والسيطرة على الشرق الأوسط !

يحقق مصالح كل من الولايات المتحدة والعرب ، وأن نحصل على التابيد لهذا الطريق

ثم يتطرق الخطاب إلى عرض التيارات المؤثرة في واشنطن ، ثم يطل الى أهم نقطة فيه ، وهي الواردة في الصفحة الثالثة منه :

• والآن اود ان اوجه إليك ، وإلى هانك (هنرى بايرود ـ السفير الامريكي في القاهرة وقتها) سؤالا جوهريا .

إن كل جهودنا ، وبالتاكيد كل نجاحنا يعتمد على افتراض ان ارتباط مصر الحالى بالسوفيت ليس اكثر من حل مؤقت من جانب ناصر . ونحن نبلغ الجميع اننا مازلنا نعتقد ان النية الاساسية لناصر هي ان يجد صيغة للتعاون مع الغرب ، فهل مازال ذلك صحيحا ؟

لقد شعرنا بالانزعاج للانباء التي جاءت اخيرا عن قبول بعض المقربين من ناصر للخط السوفيتي ، وانهم مقتنعون بأن هدف السوفيت في العالم العربي لايعدو أن يكون الايحاء بالثقة وكسب الاصدقاء . ويكفي أن تتصور ما يمكن أن يفعله ذلك في المناطق الهشة ، مثل سوريا والعراق ، وما يمكن أن يصيب مكانة مصر نتيجة لذلك .

يجب أن نظل قادرين على إبقاء المراجع العليا هنا مقتنعة بأن ناصر لن يتسامح أبدا مع هذا العرض الساذج للدوافع السوفيتية . وأن يكون في وسعنا إعطاء تأكيد بأن ناصر لايطلب منا أن نتقاسم صداقة مصر مع الاتحاد السوفيتي على قدم المساواة .

، اكون شاكرا لو تلقيت تعليقكم في اقرب وقت .

ك . ر .»

وجاء « روبرت آندرسون » مبعوثا من الرئيس « ايزنهاور » الى « جمال عبد الناصر » بعرض مقايضة السد العالى بالصلح مع إسرائيل ، ورفضه « جمال عبد الناصر » . ولم يكن هذا الرفض صدمة كبيرة للحكومة الأمريكية ، فلقد أرادت العرض بالدرجة الأولى كاختبار للنوايا _ خرجت بعده بنتيجة محققة هي اعتبار « جمال عبد الناصر » عدوا في المنطقة يتحتم حصاره وعزله والخلاف معه _ وإلا فإن الشرق الأوسط بأسره معرض للخطر .

وأما بالنسبة لـ « كيرميت روزفلت » فإن فشل الافتتاحية الأولى ف « معركة القرن » كان صدمة كبيرة ، ولم يكن قلقه على مصر ، وإنما على وضعه هو في وكالة المضابرات المركزية وعلى نفوذه ، فرجال هذه الوكالة ـ شانهم شأن رجال أي

مؤسسة _ يكبرون أو يصغرون بصحة تقديراتهم ، وترتفع مراكزهم أو تهبط بمقدار ما يتحقق نجاح أو فشل هذه التقديرات ، وربما كان أكثر ما ضايق « كيرميت روزفلت » أن « جمال عبد الناصر » قرر بعد معركة السويس أن خط الاتصالات الثانى مع الولايات المتحدة لابد من إغلاقه ، والتعامل من خلال الخط الاول وحده ، وهو خط السفارات في واشنطن والقاهرة _ وكانت هذه هى الضربة القاضية ، ومع أن « جمال عبد الناصر » كان يحس بازمة « كيرميت » من وجهة نظر إنسانية إلا أن الخطوط المبدئية أصبحت واضحة ومحددة .

ولقد كان باديا أن نجم « كيرميت روزفلت » إلى أفول في وكالة المخابرات المركزية ، وكذلك نجم مجموعته .

والنجوم لاتنطفىء مرة واحدة فى العادة كانها شمعة عصفت بها الريح ، وإنما يخفت ضوؤها ويشحب . . . ثم يتلاشى أمام النظر ثانية بعد ثانية إلى أن يغيب _ وهذا ما حدث ل « كيرميت روزفلت » تماما .

ظهر بعد ذلك في عدد من المسارح التي تنقلت بينها الأحداث في الشرق الأوسط.

ظهر في بيروت يحاول أن يساعد في عملية تدبير انقلاب في سوريا ، وكانت عملية متشعبة تتضمن بين بنودها إنشاء وتقوية شبكة إعلامية في بيروت تتولى شن الحرب النفسية على دمشق ، ووراءها القاهرة . وكانت هذه العملية تتم بتنسيق امريكي ـ بريطاني ، تشارك فيه اطراف عربية خصوصا من اعضاء حلف بغداد ، او الموالين باطنا لهم !

ثم ظهر « كيرميت » في عمان أثناء الصدام الذي دار فيها خلال شهر مارس سنة ١٩٥٧ والذي كان في حقيقته تمهيدا للأرض في الأردن لمرحلة تالية من « معركة القرن » ا

ثم ظهر في الرياض يلتقى بالأمير «فيصل » ولى العهد . . وعاد إلى واشنطن ، ثم خبا آخر شعاع ، وترك «كيرميت روزفلت » وكالة المخابرات عائدا إلى شركة «جولف » للبترول مستشارا لمجلس الادارة .

وترك الوكالة بعده مساعداه « ايكلبرجر » و « كوبلاند » ، فقد افتتحا مكتبا للاستشارات التجارية شركة بينهما في بيروت اعتمادا أو استغلالا لصلات سابقة مع شركات البترول وغيرها من المصالح الأمريكية في المنطقة ، ثم انفضت الشركة ، ودار مايلز كوبلاند » بعد ذلك على المراكز التي عرفها في خدمته السابقة بما فيها

العالم العربي هو المسدان!

0

كان « كيرميت روزفلت » مصيبا إلى أبعد مما خطر له وهو يكتب لـ « جيمس ايكلبرجر » عن « معركة القرن » التى توشك أن تبدأ . لقد وضع في هذا التعبير ـ ربما دون أن يقصد ـ خلاصة شعوره وفكره وتجربته كمدرس تاريخ ، وكاتب ومسؤول كبير في إدارة المخابرات المركزية الأمريكية .

كانت فعلا « معركة القرن » ، فهى فصل آخر من فصول الصراع المتصل والمستمر للسيطرة على الشرق الأوسط ، والعالم العربى في قلبه . معركة قديمة جديدة ، سايقة ولاحقة ، اتخذت لنفسها أسماء عديدة منذ بدأت : المسالة الشرقية يوما ، وإرث رجل أوروبا المريض يوما آخر ، والسباق الى الاستيلاء على ولايات الخلافة العثمانية يوما ثالثا ـ وكانت الأوصاف كلها تدل على نفس الموصوف وذاته : من يملك هذه المنطقة الواقعة في قلب العالم ، ومن يمسك مايديه مصيرها ؟

كان هذا الصراع من الأسباب الرئيسية طوال تاريخ الامبراطوريات القديمة والجديدة لما احتدم بينها من حروب حتى جاء القرن العشرون الذى أصبحت الحروب فيه عالمية وكان مصير الشرق الأوسط مطروحا أثناء الحروب وبينها وبعدها . . . في الحرب العالمية الأولى سقطت الخلافة ، ما بين الحربين الأولى والثانية قامت الامبراطوريتان الاستعماريتان القديمتان بتقسيمها بينهما وفق اتفاقية «سايكس

للارة ، وفي البداية كانت هناك رغبة في مساعدته عن فهم بها حل بمجموعة البرميت » كلها ، ثم تبدل الموقف بعد أن تبين أن « كوبلاند » يبحث عن صفقة بي فيها أي شيء لأي مستعد للشراء في أي سوق .(١٤)

(۱) وبالفعل فقد وجد « مايلز كوبلاند » مشتريا لبضاعته ، وهكذا كتب ونشر كتابا بعنوان « لعبة الامم » ، الله به حتميحا وليس تصريحا - إلى ان المخابرات المركزية الامريكية كانت تعرف مسبقا بثورة يوليو ، وانها من على صلة بها على نحو او آخر ، ولم يكن ذلك بالقطع صحيحا باعتراف « مايلز كوبلاند » نفسه الذي تتكلل الساته التي كتبها بإظهار الخلل في شخصيته . وعلى اى حال ، فإن هذا الكتاب لم يلبث ان أصبح الذخيرة اللهزء لدى كل من يريدون الهجوم على ثورة يوليو . بحسن - او سوء - نية !

راد فكرت في وقت من الاوقات في نشر ملف مراسلات ، مايلز كوبلاند ، مع عدد كبير من الشخصيات المصرية المفرقة اثناء عمله في مصر حتى يستريح ويهدا هؤلاء الذين اتخذوه مصدرا معتمدا ومرجعا ؛ وبالفعل أن هذا الملف الى مركز الاهرام للترجمة والنشر لترجمته الى اللغة العربية ، وقام المركز بالترجمة الكاملة أسرمن قرابة مائتى صفحة ، وكنت انوى نشر الملف كاملا ، ثم غيرت رايي لأن كل امر من الأمور لابد أن تغلل أسبته الصحيحة إلى حجم الاحداث وقيمتها ، ومع ذلك فإننى انشر في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب قائمة المستعدة إلى حجم الاحداث وقيمتها ، ومع ذلك فإننى انشر في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب قائمة المستعدة إلى حجم الاحداث وقيمتها ، ومع ذلك فإننى انشر في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب قائمة المعتبرة رسائل ، مايلز كوبلاند ، وهذه القائمة كفيلة وحدها بإلقاء كل الاضواء على الحقيقة .

البرطة ومنطن المبير كوبلاند ، وهذه الطلقة كفيته وكذها بإنفاء كل الإطنواء على الخطيف . • نماذج من رسائل ، مايلز كوبلاند ، منشورة بنصوصها كما ترجمها « مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ـ • ف العز الوثائقي لهذا الكتاب تحت أرقام أ في ١٠ و ١١ و ١٢ صفحات . . ٨٠٠ ٨١٧ ، ٨١٠ ، ٨٢٠

بيكو » ، وفي إطار هذا التقسيم الذي حصلت فيه بريطانيا على حصة الاسد أعطت لليهود وعد « بلفور » في فلسطين ، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تقدمت الولايات المتحدة تطلب الإرث الإمبراطوري لنفسها . وفي اللحظة التي تصورت فيها الولايات المتحدة أن الارث أل لها وقعت ثورة ٢٣ يوليو ، وما تبعها من تحولات كبرى ظهرت خلالها حركة قومية عربية مركزها القاهرة . وابتعدت الغنيمة عن اليد المستعدة للإمساك بها . ابتعدت . تأخر وصولها إلى طلابها لكنها لم تضع تماما ، أو هكذا بدا .

لم يكن « كيرميت روزفلت » مخطئا في الوصف ، ولا في التصور الذي استوحى منه الوصف وإن أفلت منه بعض التفاصيل ، فقد ظن أن « معركة القرن » سوف تبدأ مع سنة ١٩٥٦ وأن هدفها هو استمالة مصر بما فيها « جمال عبد الناصر » .

ولكن « معركة القرن » في الواقع بدأت سنة ١٩٥٧ ، ثم إن وقائع الأحداث سنة ١٩٥٧ غيرت من هدفها في تخطيط « ايزنهاور » ، فلم يعد هذا الهدف هو استمالة مصر بما فيها » جمال عبد الناصر » كما قدر « كيرميت روزفلت » أو كما تمنى ـ وإنما أصبح هدفها « الاستيلاء على مصر بغير جمال عبد الناصر » .

كانت مصر لاتزال في إطار تلك الحقبة من الصراع : « أهم بلد في الدنيا »!

لاتتغير سياسات الدول العظمى ـ التى يرتكز قرارها على مؤسسات ـ مرة واحدة من النقيض الى النقيض ، وإنما يحدث التحول تدريجيا وتتغير التوجهات ببطه . ولا تقع الحركة من مسار الى آخر على شكل زوايا حادة ، وإنما على شكل منحنيات واسعة . وسياسة أى دولة عظمى فى هذه الحالة تكاد تشبه المناورة الواسعة فى عرض البحر لباخرة عملاقة تبدأ تغيير سياستها بتقليل سرعتها ، ثم تبدأ فى الدوران وعيون ربانها على خرائطه الملاحية حتى يضبط مقدمته على الخط الجديد لطريقه وسط جبال الموج .

ومثل هذه الحركة ليست طبيعية فحسب ، وإنما هى الطبيعة ذاتها ، فبين النهار والليل فترة يتداخل فيها النور والظلمة وهى فترة الغسق . وبين الليل والنهار فترة مماثلة تتداخل فيها الظلمة والنور وهى فترة الفجر .

وكان ذلك في الأرجح شكل الحركة في البيت الأبيض والجو الذي تدور فيه .

كان « ايزنهاور » يحاول تغيير مسار سفينة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط مدركا أن مطالب الولايات المتحدة ومستحقاتها ـ كما تتصورها ـ لن لصل إلى يدها بوجود « جمال عبد الناصر » ودوره في المنطقة وتأثيره في العالم

بعد معركة السويس . وكان من الطبيعي ان تكون الحركة بطيئة . وكان يرى الظلام قادما لا محالة ، لكن التوقيت كان لا يزال بعد في مرحلة الغسق .

وربما كانت محاولة تتبع الأوراق التي اطلع عليها الرئيس اليزنهاور الله هذه الفترة خير وسيلة لمتابعة تفكيره ومن الواضح طبقا لمجموعة أوراقه أنه كان يعرف ما يريد لكن التحركات لم تكن حادة ، وكذلك الأضواء متداخلة ومن الخطأ طبقا لأوراقه وصف موقفه بأنه يريد أن يستوثق من اتجاهات حركته ومن موقعه على الخريطة الملاحية لساحة الصراع وبالتأكيد فإنها أثار تجربته الطويلة كقائد لجيوش هائلة تزحف من مختلف الاتجاهات نحت أعلام مختلفة نحو هدف واحد .

والراجح أن ترتيب الأوراق في ملفات أزمة الشرق الأوسط في ذلك الوقت كان هو نفسه ترتيب عرضها على الرئيس ، ومن ثم فإن سياق تفكيره ماثل تماما في تتابع الأوراق وترقيمها

وهناك ظاهرة يمكن ملاحظتها في أوراق « ايزنهاور » ، كان الشيء الوحيد الذي يكتبه بخط يده هو يومياته ، وأما ما عدا ذلك ، فلم يكن يكتب شيئا سوى بعض العلامات : علامة استفهام مرة . علامة تعجب مرة أخرى . إشارات بحروف مرة ثالثة . وأما غير العلامات والاشارات ، فقد كان يملي ملاحظاته وتوجيهاته على احد مساعديه ، وتصدر على شكل مذكرة من الرئيس الى الجهة التي يعنيها الأمر في كل حالة .

في هذه الفترة تظهر مجموعة الأوراق التالية واحدة وراء الثانية:

■ تقرير استماع ملتقط من إذاعة القاهرة ، والتقرير يشير إلى أن لهجة الإذاعة المصرية أصبحت شيوعية بالكامل ـ على حافة التقرير علامة استفهام والواضع أن صاحبها هو « ايزنهاور » !!

تليه برقية شفرية من السفير الأمريكي في القاهرة يقول فيها :

« بالإشارة إلى البرقية رقم ١٢٠٤ تاكدنا ان ما قاله لنا ناصر صحيح . فقد كشفت المراجعة الدقيقة للأشرطة التي قدمها مكتب الاستماع عن وجود اختلافات مادية اساسية عن ترجمة قسم الاستماع المحلي بالسفارة ، ويبدو ان النشرة الملتقطة موضوع البرقية رقم ١٢٠٤ كانت مفيركة بالكامل لذلك اطلب منكم عدم الالتفات لها وانا اتصور ان هذه الاخبار المختلقة جزء من مؤامرة اوسع ربما كان الشيوعيون وراءها لتشويه صورة ناصر في اعين الغرب . وفي نيتي ان اطلب تعاون السلطات المصرية معنا في تحقيق دقيق لمعرفة جلية الأمر ، وسوف اوافي الوزارة الملطات علورات » (على حافتها بخط « ايزنهاور » علامة تعجب !)

تقرير بريطانى المصدر (بمقتضى التعاون البريطانى ـ الأمريكى لتبادل المعلومات) والتقرير بتوقيع السير « تشابمان أندروز » الخبير بشؤون مصر ، والذى خدم فيها سنوات طويلة وزيرا مفوضا في السفارة البريطانية بالقاهرة ، ثم نقل بعدها سفيرا في بيروت لأنها أصبحت مركز معلومات أفضل . وفي هذا التقرير يقول السير « تشابمان أندروز » :

• إن سفير المملكة العربية السعودية السابق (الشيخ حافظ وهبة) موجود الآن في جنيف . وقد اتصل من هناك بعمرو باشا (السفير المصرى السابق في لندن) ليقول له إنه عائد لتوه من القاهرة ، وانه وجد فيها مقاومة سرية كبيرة لناصر . لكن عناصر المقاومة المصرية ، والملك سعود يعتقدان كلاهما اننا إذا سمحنا لناصر أن ينجح ، فستكون تلك نهاية حركة المقاومة المصرية ونهاية النظام الملكي في المملكة العربية السعودية . واضاف السفير أن الملك سعود يزداد قلقا وعصبية نتيجة لإردياد نفوذ ناصر وغطرسته . ومن النقاط المحددة التي اشار إليها ظهور صور ناصر بشكل يدعو للانزعاج في محلات الحلاقين وغيرهم في المملكة العربية السعودية .!

■ برقية من «ريموند هير» السفير الأمريكي في مصر برقم ٧٤٣٥ جاء فيها : ■ اثرت مع ناصر في لقائي به اليوم موضوع التحركات السوفيتية السياسية في المنطقة مكان دم: ■ ليس لك ان تقلق في هذا الموضوع . إننا كافحنا طويلا

المنطقة ، وكان رده : « ليس لك أن تقلق في هذا الموضوع . إننا كافحنا طويلا لنتخلص من السيطرة الأجنبية ، ولا ننوى أن نكرر تجاربنا » ثم أضاف قائلا لى : « نحن لانثق باي من القوى الكبرى » .

وقال لى بعد ذلك : « إن نفوذ بريطانيا وفرنسا قد انهار في المنطقة ، ولما كانت مصر تريد أن تكون لها علاقات طيبة مع الغرب ، فإن هذه العلاقات سوف تكون بالضرورة مع الولايات المتحدة ، ولكن المشكلة التي سوف تواجهنا في هذا الصدد هي مدى ارتباط سياسات الولايات المتحدة ببريطانيا وفرنسا وإسرائيل = !

■ مذكرة عن إجتماع في مكتب « ايزنهاور » حضره بعض الوزراء والخبراء الى جانب « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والأميرال » رادفورد » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية ، وقد كتب المذكرة الكولونيل « جود باستر » السكرتير العسكرى للرئيس ، وجاء فيها :

« بدا الرئيس الاجتماع قائلا إن الهدف منه هو محاولة بلورة سياساتنا في الشرق الاوسط ، فالخطى السياسية يجب أن تتوافق تماما مع مصالحنا المالية والبترولية . ونحن لسنا هنا الآن لاتخاذ قرارات ، ولكن للتفكير والدرس . وقدم المستر هوفر (مساعد وزير الخارجية) ورقة للرئيس قائلا إنها مشروع ورقة عمل ، وهي لاتزال ورقة اولية تحتاج إلى كثير من الترتيب والصقل ولكنها تتضمن بعض الخطوط . تناول الرئيس الورقة ، وبدا يقرأ بعض ما فيها للمجموعة ويعقب عليه احدانا .

اكد الرئيس انه واثق من شعوره بانه لابد لنا ان نعمل على « بناء ، شخصية الملك سعود ليكون الشخصية الرئيسية التى تقود سناله الشرق الاوسط، ومن الضرورى ان يقتنع العراق وإيران باهمية هذا الدور .

وقال الوزير همفرى (وزير التجارة) إن الولايات المتحدة لابد ان تؤسس علاقاتها مع العرب المستعدين للتعاون معها . وتسامل الوزير روبرتسون عما إذا كان الوقت مناسبا لانضمام الولايات المتحدة رسميا الى حلف بغداد لأن ذلك سوف يطمئن العراق وإيران ، كما أن السعودية الآن يمكن أن ترجب بهذه الخطوة . وعقب الرئيس معترضا بأن " انضمامنا إلى حلف بغداد هو ما تريده بريطانيا الآن ، وهذا سوف يؤثر في نفوذنا على العرب .

واكد المستر الان دالاس (مدير المخابرات المركزية) أن « الموقف يسوء بشكل خطير في العراق ، وأن نورى السعيد قد لايستطيع البقاء طويلا » ودارت المناقشة حول ما يمكن عمله لتقوية مركز نورى ، واستقر الراى على دعمه ببعض المساعدات العسكرية ، وخصوصا اجهزة الرادار ، وربما بعض الوحدات الجوية الامريكية ، بالاضافة إلى بحث إصدار بيان سياسى يظهر التاييد لحلف بغداد . وتسامل الرئيس عما إذا كان هناك شخص يمكن إرساله إلى العراق ليساعد على ترتيب الاحوال هناك ، ثم اضاف انه يستحسن أن يتم ذلك من خلال السعودية .»

● برقية شفرية من السفير الأمريكي في السعودية « وادرورث » برقم ١٠١١٣ جاء فيها :

قابلت الملك سعود ، وهو شديد الإصرار على طلباته التي قدمها لنا عن الاسلحة .
 وقد قال لى إنه يريد أن يلتقى بالرئيس ايزنهاور ويتحدث معه عن « أشياء كثيرة تهم الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية » وقال لى الملك بلهفة : « إن هناك أشياء كثيرة لايمكن كتابتها فى الأوراق ، ولايمكن إرسالها فى البرقيات » .

إن الملك كان شديد العجلة لمقابلة الرئيس ، وقد فهمت منه انه سوف يركب الطائرة الى إيطاليا ، ومن هناك سوف يستقل إحدى البواخر التابعة لشركة الامريكان اكسبورت : إما الباخرة كونستتيوشن ، او الباخرة إندبندانس ، بحرا إلى نيويورك . وعندما قلت له إننى ما زلت في انتظار وصول دعوة له من اعلى المستويات قال في : « انقل ما قلته لك الآن الى حكومتك » ! »

بعد هذه المجموعة من الأوراق ، وما تحتويه من إشارات سريعة الى اتجاهات ـ تجىء فى أثرها مجموعة تالية توضح أن المسألة انتقلت خطوة أكثر فى اتجاه اتخاذ سياسة واضحة الاتجاه تصدر عنها قرارات محددة ـ بعضها يحمل نذرا مبكرة لبروق ورعود مازالت عند الآفاق بعيدة .

مجموعة الأوراق التالية كلها تقديرات موقف صادرة عن إدارة المخابرات المركزية الأمريكية ، والظاهر أن الأمور عادت مرة أخرى الى مسؤوليتها ، وكانت من جانبها على إستعداد للحزم والحسم وبشكل لايقبل اللبس . ففى التقرير الأول من هذه المجموعة وعنوانه « تقرير مخابرات على مستوى الأمن القومى : احتمالات الاستقرار في مصر وتأثيراتها على السياسة الخارجية » - ورد في البند الأول منه مايلي بالحرف :

« من الواضح أن نظام ناصر سوف يبقى مسيطرا على الأمور في مصر لسنوات قلدمة إلا إذا حدث أحد أمرين :

(۱) اغتيال

(ب) هزيمة ساحقة أمام إسرائيل .. (۱)

والواقع أن كلمات هذا البند الأول من تقرير المخابرات المركزية الأمريكية لم تكن تحتاج إلى إضافات تلحقها ، أو تفصيلات تضاف إليها ، فقد كان الوقت مبكرا بعد لما هو أكثر من تحديد هدف نهائى واضح .

وفى العادة فإن هذه هى النقطة التى تبدأ منها أى استراتيجية . فهى تبدأ بتحديد هدفها النهائى ، ثم تحاول بعد ذلك تلمس السبل الى تحقيقه عن طريق تحويله إلى سياسات يمكن تحويلها بدورها الى خطط تنفيذية تتكفل بترجمة الهدف إلى حقائق واقعة .

إن هذه العملية هي الممارسة اليومية للسياسة في تحقيق اهدافها . فالأهداف التي لا تستطيع تحويل نفسها إلى سياسات تظل مجرد أحلام يقظة _ او نوم ! _ ثم إن السياسات التي لا تستطيع ترجمة هدفها الى خطط تظل مجرد نوايا _ طيبة او سيئة _ ثم إن الخطط التي لاتتخذ لنفسها خطوات تنفيذية على ارض الواقع تظل مجرد حبر على ورق .

والأهداف والسياسات والخطط تعيش كلها في حركة التاريخ وليس خارجها ، بمعنى انها لاتنشأ وتعيش وتنمو في انابيب اختبار معزولة ومعقمة ، وإنما هي حياة في وسط الحياة متاثرة بما حولها مستجيبة لتفاعلاته متكيفة مع تطوراته .

ومؤدى هذا أن الأهداف النهائية لطرف من الأطراف في أى صراع _ وعندما يتم تحديدها _ لاتمشى مباشرة إلى مقاصدها ، وإنما هي تتقدم وتتأخر ،

وتبطىء وتسرع ، وقد تلف من حول هدفها ، وقد تبدو مبتعدة عنه في بعض الاوقات ـ لكن تلك كلها مقتضيات ظروف وملابسات تفرضها طبيعة الحياة السياسية في اجواء تتغير درجات حرارتها واتجاهات الرياح السائدة فيها من يوم إلى آخر .

إن الهدف الاستراتيجي لايتغير في العادة، وإنما تختلف اساليب الاقتراب منه وفق حركة علاقات القوى صعودا ونزولا، واستغلالا للفرص السانحة أو الثغرات التي قد تنكشف على غير انتظار.

وهكذا فإن تحقيق الهدف النهائي لأى استراتيجية هو في حقيقة أمره حوار مع الحوادث والأطراف والزمن!

مجموعة أوراق « ايزنهاور » مرة أخرى ـ ترسم صورة لهذه العملية المعقدة ، وهي الرحلة من تحديد الهدف إلى تحقيق تنفيذه في ظل أجواء متغيرة .

خطوات تتلمس سبيلها . تبحث عن محاور لحركتها . تفتش عن رجال وعن .

وفى أوراق « ايزنهاور » فى بداية سنة ١٩٥٧ ثلاث وثائق تستطيع فيما بينها أن نعطى صورة عن الحالة الفكرية فى دوائر صنع القرار الأمريكي عند مستوى القمة .

□ مذكرة بتقدير معلومات مخابرات كتبها ووقعها « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وهي موجهة إلى وزير الخارجية ، ويلاحظ أن نسخة منها أرسلت في نفس الوقت إلى الأميرال « رادفورد » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية ـ وقد جاء فيها مايلي :

« مذكرة تقدير معلومات مخابرات

رقم ت س ۱۵۸۷۳٤

١ ـ بدراسة وتحليل تقارير المخابرات بشان التطورات في الشرق الأوسط نورد في
 هذه المذكرة ما انتهينا اليه من حيث الموقف الذي يواجهنا الآن في هذه المنطقة .

(1) بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية من مصر ظهر فراغ في القوة في هذا البلد ، والواقع ان القوات العسكرية الوحيدة في مصر هي الجيش المصرى وقوامه حوالي ٩٠,٠٠٠ جندى بمعدات كبيرة وبعض الطائرات التي تم تعويضها .

⁽١) صورة من مذكرة المخابرات المركزية الأمريكية منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٣)

(ب) إن ناصر باق في السيطرة على الحكومة المصرية ، وعلى ما تبقى من قواتها المسلحة ، وهو مازال يمارس نفوذا كبيرا على القوات العسكرية ، وعلى وحدات التخريب في سوريا والأردن والسعودية ، وكان من شان التحركات الدبلوماسية والسياسة الأخيرة انه اعاد بناء هيبته وثقته بنفسه ، وهو يتلقى من موسكو تشجيعا سريا ووعودا بمعونة مالية . وطالما بقى ناصر في السلطة ، فسوف يحاول إحباط أى سياسة يعتبرها معادية لمطامحه خصوصا إذا ما اقتنع بأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية سيؤيده في تصرفاته ، وبأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتخذ اي إجراء فعال مضاد له.

(جـ) اما في سوريا ، فالوضع حرج إذ من الجائز ان يحدث فيها انقلاب شيوعي ناجح ، ولاسيما إذا ما استطاعت موسكو تسريب منظمات سوفيتية شديدة المراس زائدا نواة من القوة العسكرية يفترض أن تتالف في غالبيتها من طائرات واطقم طيران . وربما أسفرت الإطاحة بالحكومة السورية ، أو حتى زيادة الضغوط السوفيتية على الحكومة الحالية ، عن قيام سوريا بدعوة موسكو لإرسال قوات إلى سوريا لحمايتها من إسرائيل ظاهريا . ومن شان هذا ان يحيل سوريا إلى العبة عمليات سوفيتية في المنطقة تعضيدا لمصر . . ومن هنا فان سوريا تمثل فراغا ثانيا في القوة . وربما تحرك السوفيت لملئه بصورة سافرة اكثر مما هو الحال في مصر . اما الاردن، فهو مستهدف بالمثل، ولكنه اقل إغراء للسوفيت من الناحية

(د) إن المذكرة السوفيتية للولايات المتحدة (عبارة محذوفة) وتورط الهيبة السوفيتية تورطا عميقا مع ناصر والعرب زائدا الوعود بمساعدات عسكرية توحى بأن السوفيت ربما يحاولون القيام بعملية سورية وربما مصرية .

 الله على الله المسلمة ال محذوفة) ونحن نقدر اي توجيه بالنسبة لأي إجراءات اخرى ترغبون في قيام وكالة المخابرات المركزية بها مساندة لاية تحركات سياسية وعسكرية تفكر الولايات المتحدة فيها .

(توقيع) آلان دالاس المدس

□ مذكرة أعدتها « مجموعة عمل » تابعة لمجلس الأمن القومي في البيت الأبيض لعرضها على الرئيس ـ جاء فيها مايلي :

« من الواضح ان الحكومة المصرية الحالية لاتريد تقديم مساهمتها اللازمة لتسوية المنازعات القائمة الآن في الشرق الأوسط وفقا لمبادىء العدل والقانون الدولي، وسوف تكون للك عواقب رهبية لامعدى عنها:

١ - استخدام القوة من جانب إسرائيل : فإزاء عجز الأمم المتحدة بصورة فعالة عن تسوية نزاعات المنطقة طبقا لمبادىء الميثاق - فانها لن تعود قادرة على الحيلولة دون استخدام الاطراف المتنازعة للقوة في سبيل تحقيق التسوية . وفي ظل هذه الظروف ، يحتمل أن تستانف إسرائيل استخدام القوة ضد مصر ، ولا سيما فيما يتعلق بقطاع غزة ، وربما بصورة اوسع .

 استخدام القوة ف خليج العقبة : لأن الملاحة ف الخليج لايمكن تركها تحت رحمة قرار مصرى ـ فإن الأمم البحرية قد يكون عليها أن تقرر استخدام القوة للابقاء على مضايق تيران وخليج العقبة مفتوحة ، لاعتقادها بأن هذا حق صريح

٣ - بدائل للسويس : لاربب أن الأمم التي تتوقف اقتصادياتها ألى حد كبير على المرور من الشرق الى الغرب ستلجأ كتدبير سياسي إلى التعجيل بايجاد بدائل عن قناة السويس ، وهو ما قد يعني استخدام اموال حكومية على اساس غير تجارى ، وربما تمثلت هذه البدائل في خط انابيب شمالي (عبر تركيا) أو ناقلات ضخمة تستطيع تفادي قناة السويس ، او خط انابيب كبير يمر عبر اسرائيل مع الاعتماد بصورة أكبر ، ولو مؤقبًا على بترول نصف الكرة الغربي ، والتعجيل بتطوير الطاقة الذرية في اوروبا الغربية .

ا - إجراءات اقتصادية ضد مصر : لابد من الإبقاء على إجراءات اقتصادية ضد مصر من نوع ما طبق اخيرا ، وقد يكون من المطلوب اتخاذ إجراءات اخرى اشد تصل إلى درجة العقوبات .

٥ - الإدانة المعنوية لمصر : لابد من توجيه إدانة عامة لمصرمن الراى العام العالمي المستنير، ولابد من وضع الحكومة المصرية الحالية في التاريخ بوصفها خائنة لا للآمال المشروعة للشعب المصرى وحسب بل كذلك لجميع الأمم العربية . •

□ برقیة من الرئیس « دوایت ایزنهاور » إلى « جون فوستر دالاس ، وزیر الخارجية الذي كان يحضر اجتماعا لوزراء خارجية حلف الأطلسي في باريس جاء فتها :(۲)

د فوستر :

أمل أن يفهم أصدقاؤنا في منطقة حلف شمال الاطلسي بصورة وأضحة أنه ليست لدينا أية نية للوقوف مكتوفي اليدين نتفرج على الجناح الجنوبي للمنظمة وهو بنهار انهيارا تاما بسبب تغلغُل الشيوعيين إلى الشرق الأوسط ، ونجاحهم هناك في

⁽٢) النص الكامل لبرقية ايزنهاور إلى دالاس منشور في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٤) صفحة

حين اننا لانعمل شيئا إزاء هذا . وإنى لواثق من انهم يعرفون اننا نرى ان لناصر تاثيرا شريرا في المنطقة . كا اعتقد باننا وإن كنا نشاطر البريطانيين والفرنسيين أراءهم في ناصر الى حد كبير ـ فخلافنا الوحيد معهم انهم اختاروا الوقت السىء والاسلوب السىء للإقدام على تدابيرهم التصحيحية . واهم من كل شيء في نظرى هو ان يرى اصدقاؤنا في اوروبا كما نرى نحن ضرورة الشروع سرا ، وعلى مستوى اركان الحرب في وضع سياسات ، وخطط تستطيع دول الغرب بمقتضاها أن تعمل سوية على جعل الشرق الاوسط آمنا من التغلغل السوفيتي . وليس يخالجني اى شك في انه سيكون من المتعين علينا في قابل الايام أن نكون رأس الحربة في هذا

ويحدونى اعتقاد مستمر ـ كما اظن بانه يحدوكم ـ ان يكون بين الإجراءات التى يتعين علينا اتخاذها ان نقيم منافسا عربيا لناصر ، والاختيار الطبيعى هو على ما يبدو نفس الرجل الذى طالما تحدثت انت وانا عنه(").

فاذا استطعنا تنصيبه باعتباره الشخص الذي يستحوذ على خيال العالم العربي ، فإن بقاء ناصر لن يدوم طويلا .

توقیع *ای*زنهاور ه



ما الذي يمكن استخلاصه من هذا كله ، في هذا التوقيت من بدايات سنة ١٩٥٧ ؟

إن الوثائق ناطقة بمجموعة من الحقائق لا يحتاج استخلاصها إلى جهد كبير:

١ _ أن معركة « القرن ، تدور رحاها الآن بالفعل وهدفها استعادة وتثبيت سيطرة الغرب (الولايات المتحدة بالذات) على المنطقة .

(٣) الملك سعود هو الشخص المقصود ، كما يتضح من يوميات ايزنهاور (رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس ـ الجزء الخامس ـ الفصل العاشر ـ صفحة ٦٠٣ |

٢ - وأن المطلب الأول لها الآن هو تصفية الوضع الثورى في مصر. لأن هذا الوضع الثورى يهدد باحد أمرين من وجهة النظر الأمريكية: أن تستطيع مصر تكتيل تيار قومي عربى قادر يمنع تحقيق الحلم الامبراطورى الأمريكي - والأمر الآخر هو أن مصر في محاولتها سوف تفتح الباب لدور سوفيتي على الأقل لكي توازن به المخطط الأمريكي - وهذا محظور لابد من التصدى له.

٣ - ثم إنه إذا أريد إحباط المشروع القومى المصرى بغير الوسائل المسلحة المباشرة التى قد تؤدى إلى صدام عالمي (كما فعلت بريطانيا وفرنسا في معركة السويس) - فإن وسائل العمل غير المباشر هي الحل الممكن والمأمون.

■ - أن أهم وسائل العمل غير المباشر هو السعى لعزل مصر في العالم العربى ، ولما كان جزء كبير من العالم العربى معزولا بالفعل عن مصر وهو الجزء المتمثل في حلف بغداد بروابطه وفروعه في عواصم عربية متعددة - إذن فإن التركيز ينبغى أن يكون على حلفاء مصر في العالم العربى وأولهم في ذلك الوقت السعودية وسوريا : السعودية باخذها من مصر ، وبناء شخصية الملك «سعود » كمنافس ، أو خصم له عبد الناصر » « بدعوى تخويفه من الشيوعية » ، وسوريا بالانقلاب الداخلي بعد أن ثبت أن أى وسيلة غيره لا تفي بالمطلوب !

ه ـ قد تسنح فرص للاغتيال (وهي مرهونة بظروفها وتحت مسؤولية اجهزة اخرى مهياة لها) .

٦ هناك أخيرا الاحتمال الوارد في البند الأول من مذكرة المخابرات الأمريكية الخطيرة وهو: الهزيمة العسكرية المصرية الساحقة امام إسرائيل ا

وإذن فإن العالم العربي هو بنفسه ، وبذاته ميدان المراحل الأولى من معركة ، القرن ، .

هو ولیس أی میدان غیره!

وكان هذا « الميدان » الذى بدا إعداده للمراحل الأولى من معركة » القرن » ميدانا من أصعب الميادين بشريا وحضاريا وتاريخيا وواقعيا لكل أنواع المعارك المتصورة ، أو المخططة .

ولعل الرؤية الأمريكية لهذا « الميدان » كانت موروثة عن الرؤية البريطانية التقليدية له . وكانت الرؤية البريطانية التقليدية له أن الصراع الى درجة الحرب الأهلية فيه ممكنة بسبب تناقضات عنيفة في قلب هذا العالم العربي بين القبائل والمدن وبين الصحاري والوديان ، وبين التقليدي والجديد ، وبين الدين والقومية ، وبين الفقر المدقع والغني الفادح ، وبين الراضين بالنفوذ الأجنبي والمعتمدين عليه وبين الرافضين له والثائرين ضده ، ثم استجدت على هذه التناقضات المتشابكة كلها تناقضات طارئة سببها قيام إسرائيل ، ثم تدفق البترول وتراكم فوائضه ، وأخيرا العلاقة مع الاتحاد السوفيتي وإمكانية التعامل معه ، أو ضرورة مقاطعته والتكتل مع الغدب ضده .

وإلى حد ما فإن هذه الرؤية كانت صحيحة فى خطوطها العريضة ـ لكن الذى لم يتنبه له أحد بالقدر الكافى هو أن ظهور مشروع عربى قومى تقوده مصر يستطيع عن طريق تعبئة جماهير الأمة العربية الواسعة أن يغطى على هذه التناقضات ، ولو لبعض الوقت .

وقد كان ذلك هو الوضع في بداية سنة ١٩٥٧ ومن آثاره أن بدت شبه حالة من اختلاط المواقف والآراء، والتردد بين الإقدام والإحجام.

وكتب وكيل وزارة الخارجية البريطانية خطابا^(٤) موجها إلى السفير البريطاني في بيروت يقول له فيه :

■ عزیزی جورج

تلقينا تقريرا غير مباشر عن آراء اعرب عنها مؤخرا اللواء فؤاد شهاب (قائد الجيش اللبناني) ونكون شاكرين لو ابديتم تعليقاتكم عليها:

إن اللواء شهاب يعتقد ان غزو مصر قبل شهور دفع ناصر إلى التعقل ، فقد ادرك الآن انه لا يستطيع ان يقوى الجيش المصرى بدرجة تكفى لمواجهة إسرائيل . وكذلك ادرك انه ليس من المجدى الاعتماد على روسيا إلى هذا الحد . ولهذا ينبغى لنا ان نصحح علاقاته مع الغرب ، ولا سيما الولايات المتحدة . وعلى هذا فان اللواء شهاب يدعو إلى ان نعمل من اجل تعاون ناصر مع الغرب ، فلو سقط ناصر الآن فإن اسمه وسياسته سوف يبقيان ذكرى حية ، اما إذا تعاون مع الغرب فإنه يستطيع

ومن بيروت كتب السفير البريطانى = جورج ميدلتون = إلى وزارة الخارجية البريطانية برقية شفرية (°) ليقول :

«إن رئيس الجمهورية كما شمعون البغه ان الموقف الداخل في مصر آخذ في التدهور ومكانة ناصر تتراجع لصالح المتطرفين بل إن ناصر قد يتحول إلى نجيب أخر وقد وزعت الاسلح الصغيرة بأعداد كبيرة للغاية، وبدون تمييز على الاهالي ، ووقعت مناوشات مسلحة بين القدائيين والإخوان المسلمين والعداء للاجانب يزيد ويتخذ شكلا معاديا للمسيحيين بصفة عامة ، وبالتالي فليست هناك فائدة من التركيز على ناصر شخصيا لأن الموقف خطر ، واذا اصبحت مصر شيوعية ، فمن المؤكد أن سوديا سوف تسلك نفس الطريق ، وعندئذ يصبح الموقف في الشرق الاوسط خطيرا »

وقال السفير البريطاني في به قيته إنه يتشكك في معلومات « كميل شمعون » عن الصر » وأنه قال له :

« لكى يصبح « ناصر » نجيباً آخر فيجب ان يكون هناك " ناصر » أخر " . وكان تقدير « ميدلتون " ان « ناحر " مازال هو العدو برغم تفاؤل كميل شمعون» !

ومن بغداد _ عاصمة الحلف الغربي المعول عليه _ كتب السفير البريطاني السير « مايكل رايت » برقية إلى وذير الخارجية البريطاني يقول له فيها :

«قال لى نورى باشا _ عندم القيته الليلة _ " إنه تحدث مع الملك وولى العهد وغيرهما بشان الموقف من ناسر ، وتشير المعلومات المتوافرة لديه أن مصر تواجه الآن كثيرا من الصعوبات الاختصادية وغيرها ، وقد سمع ايضا أن ناصر يواجه نوعا من الشقاق ، أو على الاخالف في الرأى بين مؤيديه . وخلص نورى إلى انه قد يكون من المفيد جس نبس ناصر في حالته الحاضرة ، والتعرف على ما إذا كان ملتزما بشكل لا رجعة فيه بالمعاون مع الروس ، أم أن هناك فرصة لجذبه نحو التعاون مع البلدان العربة المعادية للشيوعية ومع الغرب "

واضاف نورى : • إن الخلاف بين الدول نادرا ما يستمر بلا نهاية ، وإذا كان في الوسع دفع ناصر او المحيطين به إلى الاستفادة من التجارب الاخيرة ، وتغيير سياستهم والاخذ بسياسة المحل بالتعاون مع العراق ضد الشيوعية ، ومن اجل

ان يؤثر على سوريا والأردى من أجل مناهضة الشيوعية أكثر من أى شخص آخر أن اللواء شهلب أبدى أملك في أن تقوم الولايات المتحدة بمساعدة ناصر ، وأن تقدم له بوادر على حسن نواياها كان تعيد إلى مصر سفيرها السابق فيها هنرى بايرود ، يعتقد اللواء شهاب أيضا أن شارل مالك (وزير خارجية وقد كان موضع ثقة ناصر . وفي اعتقاده أن شارل مالك لم يعد يعرف اتجاهات الرأى العام اللبنانى . »

⁽٠) الوثيقة الرمزية OTP رقم ١٥١٣ .

⁽٤) الوثيقة رقم ج ٥/ ١٠٧١ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية .



حل المشكلة الفلسطينية _ فإنه ليس من الحكمة التغاضى عن هذه الإمكانية وعلى ذلك فإن هناك رسالة تعد الآن لإبلاغها إلى القاهرة من توفيق السويدى عن طريق السفير المصرى في بغداد لمعرفة ما إذا كان ناصر على استعداد لمقابلته بوصفه شخصية مستقلة تحظى بثقة الحكومة العراقية ولا تمثلها . فاذا جاء رد ناصر بالموافقة ، فسيكون توفيق السويدى مستعدا للسفر الى القاهرة واستكشاف الموقف . أما إذا كان الرد بالرفض ، أو إذا وجد السويدى عند التقائم بناصر أنه لاسبيل الى تحقيق تقدم ، فستكون حكومة العراق قد عرفت على الأقل حقيقة الموقف ولن يلومها احد في المستقبل ، ولن تلوم نفسها لأنها لم تحاول »

واضاف نورى: « إنه يبدو لأول وهلة أن الأمريكيين يستطيعون أيضا أن يلعبوا دورا ، ولذا فانه بعث اليوم برسالة الى وأسنطن عن طريق القائم بالأعمال الأمريكي يقترح فيها أن يقوم سفير الولايات المتحدة في القاهرة أيضا بمحاولة لجس النبض ، وطلب منى إبلاغكم بما سبق . وهو يعتقد أن سوريا الآن تدور في فلك مصر ، وأن مصر تدور في فلك روسيا السوفيتية . وأنه إذا كانت هناك فرصة لكسر الحلقة أو إضعافها في مصر ، فإن ذلك سيكون مفيدا .»

ووصلت برقية السير « مايكل رايت » إلى مكتب رئيس الوزارة البريطانية الذي علق عليها بتأشيرة موجهة الى وزير خارجيته قال فيها بالحرف :

« اطلعت على برقية السير مايكل رايت عن آراء نورى بشأن الوضع الحالى لناصر .
اقتراح نورى بان تبذل محاولة لجذب ناصر إلى التعاون مع البلاد العربية المعادية
للشيوعية اقتراح لم يكن متوقعا . واعترف بأنه يبدو لى لأول وهلة اقتراحا غير
حكيم ، واشعر بشيء من القلق لأنه بادر بإبلاغ فكرته الى الأمريكيين . إن أى
محاولة من جانب نورى والأمريكيين لمساعدة ناصر في التغلب على متاعبه الداخلية
الحالية لن تكون لها نتيجة غير زيادة المتاعب في المستقبل ، ولن يلبث ناصر أن
يخادع الغرب مرة أخرى ، وأن يخادع نورى أيضا ، ومن الأفضل تركه ليسقط إذا

ولم يكن الرئيس « دوايت ايزنهاور » في واشنطن في حاجة إلى انتظار آراء اللواء « شهاب » أو تقديرات « كميل شمعون » من بيروت » ولا كان لديه الوقت لسماع وساوس أهم أصدقاء الغرب في المنطقة وهو » نورى السعيد » من بغداد _ كان قد بدأ يحزم أمره ، ويستقر على تحركات عملية على ساحة الشرق الأوسط أعلنها تحت اسم عبدأ ايزنهاور » الذي تقدم به إلى الكونجرس الأمريكي في أوائل عام ١٩٥٧ .

كان « ايزنهاور » أيامها في حالة نفسية تتسم بمسحة عدوانية ظاهرة لعل سببها الدفين في اعماقه إحساسه بأن مدة رئاسته الأولى من سنة ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ لم تحقق تقدما يذكر على كل الجبهات ، وخصوصا هذه الجبهة التي تدور عليها « معركة القرن » وهي جبهة الشرق الأوسط.

ولقد سقطت الامبراطوريات التي كانت تمسك في قبضتها بإرث الخلافة العثمانية - لكن المشكلة أن هذا الإرث لم يصل إلى المطالب عنوة - وبصرف النظر عن الحق - وهو الامبراطورية الأمريكية.

وفي رؤية " ايزنهاور " فإن هذا « الإرث » كان معلقا في الفضاء . ذلك ان ماغ القوة " الذي نشأ في الشرق الأوسط تتحرك فيه حركة عربية قومية حاشدة ، ولكنها « عاطفية » ، وهي تحت قيادة « جمال عبد الناصر » لا تبدو له مضمونة ، فهي تتحدث عن « استقلال حقيقي » يمكن أن يكون ضارا بمصالح الولايات المتحدة .

كانت تلك _ على نحو أو آخر _ رؤاه كما تبدو من يومياته ، وقد كتب بخط يده فى يومياته فى صفحة اليوم الأول من سنة ١٩٥٧ _ وكانت رئاسته الثانية (حتى آخر سنة ١٩٦٠) على وشك أن تبدأ _ يقول :

« لابد أن نخوض الحرب الباردة بروح قتالية . لابد أن نمارس في ظل السلام منطق التجنيد والتعبئة ـ ونحن هذه المرة لانجند ونعبىء فرقا وجيوشا ، ولكن نجند ونعبىء شعوبا وأمما لكى تقف في خطوطنا ، وليس في خطوط الشيوعيين » .

وفى نفس هذا اليوم الأول من سنة ١٩٥٧ ورغم جو الإجازة والاحتفالات براس السنة _ وجه = ايزنهاور = الدعوة إلى ثلاثين عضوا من اعضاء الكونجرس ، ودعا معهم اثنين وثلاثين شخصية من كبار المسؤولين في إدارته _ لكى يجتمعوا سويا معه لمناقشة ما رآه « ايزنهاور = أخطر تحديات مدة الرئاسة الجديدة والسنة الجديدة ، واستمر الاجتماع أربع ساعات كاملة ، من الثانية بعد الظهر حتى السادسة مساء .

وبدأ " ايزنهاور » الاجتماع بقوله : " إنه دعا إلى هذا الاجتماع الاستثنائي والموسع لأنه ينوى أن يتقدم بعد أيام إلى الكونجرس بمشروع قانون يعطيه سلطات استثنائية لمواجهة الأحداث الطارئة في الشرق الأوسط . "

ثم شرح « ايزنهاور » أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية والحيوية في الصراع العالمي ، وكان مجمل حديثه تأكيدا جديدا لمقولة إن السيطرة على الشرق الأوسط هي فعلا « معركة القرن » .

واستعرض = ايزنهاور = بسرعة مجمل الأحداث العاصفة التي شهدتها السنة الماضية (١٩٥٦) في الشرق الأوسط ، ثم خلص إلى أن الاحتمالات القادمة في هذه المنطقة تقتضي أن يكون الرئيس الأمريكي على استعداد لمواجهتها على الفور وبكل الوسائل ، ثم استطرد « ايزنهاور = قائلا طبقا لمحاضر الاجتماع :(١)

 إذا حدث عدوان سوفيتى على الشرق الأوسط، فليس هناك بديل امام الولايات المتحدة سوى ان تتحرك بسرعة لكى تواجههم بدلا من ان تنتظر حتى تفقد هذه المنطقة للروس. إن اى سيطرة سوفيتية على الشرق الأوسط تعنى الكارثة المحققة لنا ولاوروبا التى تعتمد على بترول الشرق ألاوسط.

واهمية تفويض من الكونجرس لى كى اتصرف تكمن بالدرجة الأولى فى انه إخطار للعالم كله باننا جاهزون للحركة إذا لزم الأمر . وانا اعد اننى بقدر الإمكان سوف اتبع اسلوب المشاورات الدستورية مع الكونجرس ، لكنى ارجوكم ان تتذكروا ان الحرب فى الأزمنة الحديثة مسالة ساعات فقط ، وانا اتمنى من صميم قلبى ان لا تضطرنى الاحداث إلى استعمال التقويض الذى اطلبه منكم . •

وأبدى عدد من أعضاء الكونجرس الحاضرين ، وفي مقدمتهم « راسل » و « رايبورن » عددا من التحفظات ، فقد قال « راسل » إنه « من الأفضل التزام القواعد الدستورية ، وإن موقف الولايات المتحدة سوف يصبح أقوى إذا توجه الرئيس بما يطلبه من الكونجرس أولا بأول مع تصاعد احتياجاته . فعندما يرى

الآخرون » أن هناك توافقا بين « السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية » سوف
 يجدون فعلا أمريكا موجدة . ورد « ايزنهاور » ردا له معنى حين قال :

 هذا النوع من التصرف الاجرائي مفهوم إذا كان الروس سوف يحركون جيوشا نظامية الى الشرق الأوسط لكن ما اخشى منه هو العدوان من الداخل على اى بلد عربى = .

وسئل « ايزنهاور » عما يعنيه ب « العدوان من الداخل » وقال إنه يقصد الانقلابات والثورات . وسأله السناتور « رايبورن » قائلا : « إن المنطقة مليئة بانظمة وطبقات متحكمة فاسدة ، فهل تخوض الولايات المتحدة الحرب في كل مرة يطمح فيها شعب إلى تغيير اوضاعه ؟ »

ورد « ايزنهاور » قائلا : « المسالة هي هل نحن قادرون على حماية اصدقائنا أم لا ؟ هل هؤلاء الأصدقاء يستطيعون الاعتماد على حمايتنا أم لا ؟ »

وقال السناتور « راسل » : « إنك تريد أن تتصرف في أجواء السلام وفق قوانين الحرب » .

ورد = ايزنهاور = : « إننا نواجه خطرين في وقت واحد ، الغزو من الخارج والغزو من الداخل ، وسوف نكون حمقى إذا قاومنا احدهما دون ان نقاوم الآخر - في هذه الحالة نسمح لانفسنا بالهزيمة أمام الخطرين معا وفي نفس الوقت = .

كان « مبدأ ايزنهاور » بالتحديد يتركز في مطلبين عمليين :

۱ - الموافقة على تخصيص ٤٠٠ مليون دولار معونة إضافية - غير
 اعتماد المعونة العادية - يستطيع الرئيس أن يتصرف فيها منحة بقرار
 منه لأى دولة مستعدة للتعاون مع الولايات المتحدة .

٢ - تفويض الرئيس باستعمال كل وسائل القوة الأمريكية - بما فيها استخدام القوة المسلحة - دون الرجوع إلى الكونجرس ضد اى عدوان على اى دولة معرضة للعدوان في المنطقة « من طرف آخر تحت السيطرة الظاهرة ، أو المستترة للاتحاد السوفيتى » ا

وفى يوم ٥ يناير عقد الكونجرس اجتماعا استثنائيا يعرض عليه الرئيس ايزنهاور « مبدأه » للشرق الأوسط ، وبعد جلسات طويلة ومناقشات وبعد التعديلات صوت الكونجرس لصالح الرئيس بالتفويض الذي طلبه ، وكانت نتيجة التصويت ٧٧ _ ١٩ . واتخذ « ايزنهاور » بعد ذلك خطوتين :

⁽٦) صفحة ٣٨١ [التاريخ المعتمد لحياة الرئيس « ايزنهاور » الذي اعده المؤرخ « ستيفن آمبروز ، والذي نشر سنة ١٩٨٤ .

□ دعا عددا من أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة العربية إلى لقائه

في واشينطن^(٧) . □ ثم بعث بصديقه « جيمس ريتشاردز ، رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب إلى المنطقة لكي يعرض « مبدأ ايزنهاور » على کل دولها ۱

(2)

كانت القاهرة تتابع ما يجرى من حولها ، قريبا وبعيدا ، وتصغى بآذان مفتوحة وعيون يقظة ، وكان إحساس « جمال عبد الناصر » إن معركة جديدة قد بدأت . لقد انتهت معركة العدوان ، وانسحبت قواته دون أن تستطيع فرض إرادتها على الشعب المصرى ـ لكن الصراعات الكبرى ليست بهذه البساطة . إن المساطة . مصر انتصرت هذا صحيح ، ولكنه انتصار في جولة ، والجولة بعدها جولات ، والجولات مشاهد في معارك ، والمعارك فصول في حرب ، والحرب صراع مستمر في. عالم تتحكم فيه موازين قوة ، وليس موازين عدل .

كانت تصوراته ما زالت متأثرة بخلفيته العسكرية ، وكانت تعبيراته عن هذه التصورات على نفس النهج .

وفي أوائل شهر أبريل ١٩٥٧ ، وكانت إسرائيل قد انسحبت من قطاع غزة ، وعادت إليه الإدارة المصرية والقوات المصرية - أحس « جمال عبد الناصر » أن معركة السويس قد وصلت إلى نهايتها ، وقرر لأول مرة أن يمنح نفسه إجازة لثلاثة أيام يفكر فيها مستقبليا ، فقد كان تلاحق الحوادث والتطورات ، وضرورات الاستجابة والحوار والمواجهة معها قد استغرقته بالكامل شهورا متصلة . . . شاقة

وكان إطار تصوراته وتعبيره عنها على النحو التالي :(^)

« إننا انتصرنا في معركة السويس ، وهذه مسالة ليست موضع شك ، لكن كل انتصار يحتاج إلى تعزيز ، وإلا فإنه معرض للخطر . وقواعد العسكرية تعلمنا اننا نعزز النجاح ولانعزز الفشل . إذا لم يتعزز أي نجاح ، فإن مراحل الصراع القادمة قد تخطفه من أيدينا ، ولذلك فإن علينا الان تحديد مصادر الخطر .

بريطانيا وفرنسا ليس منهما خطر الآن ، فقد خرجتا من المعركة بهزيمة كبيرة سوف تظل أثارها تتداعى ، وفي الفترة القادمة فلست أرى مخاطر كبرى من ناحيتهما .

الخطر من القوتين الكبيرتين: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

ليست هناك إشكالات كثيرة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي الآن ، وهم يتصورون ان لهم حقوقا علينا وهذا صحيح ، ولكننا أعطيناهم فرصة لم يكونوا يحلمون بها في العالم الثالث الذي خرجوا إليه كقوة مساندة لحركات التحرير، وليس عندنا ما نعطيه لهم اكثر من ذلك . ولست أعرف تماما مدى ارتباطهم بالشيوعيين العرب على مستوى التحركات اليومية ، لكنني لاحظت أن عددا من الشيوعيين في مصر قد نشطوا مستغلين فرصة وجودهم في الحرس الوطني والمقاومة الشعبية ، وحاولوا النفاذ بتنظيماتهم إلى بعض النقابات وفي أوساط الطلبة ، وقد اعتقلنا عددا منهم وسوف يقدمون للمحاكمة ، وإنا انتظر رد فعل الاتحاد السوفيتي . والحقيقة انني لا أريد مشاكل معهم لكننا على استعداد لهم إذا تصوروا أن موقفهم منا أثناء المعركة يمكن أن يكون حماية للشبوعيين المصريين أو العرب. لا أتمنى خلافا معهم الآن ، واتمنى أن لا يدفعونا إليه بغير داع ، وإذا فعلوا فلن يكون امامنا خيار . لا أتوقع مشاكل في الغالب ، فليست لديهم أدوات للعمل ضدنا غير الأحزاب الشيوعية ، وهذه امرها ميسور ، والتصدى لها لن يكون صعبا ، فهي ليست على درجة من القوة يخشى منها ، وان أتردد في مواجهتهم بدواعي مجاملة الاتحاد السوفيتي ، وإلا كنت اسمح لبعض الأطراف باللعب في الجبهة الداخلية ، ثم إنني إذا ترددت ، فمعنى ذلك اننى اعطى حجة لدعاوى الامريكيين واصدقائهم الذين يشنون علينا الآن حملة تدعى اننا ارتمينا في احضان السوفيت.

الخطر الحقيقي إذن من الولايات المتحدة.

الولايات المتحدة تتصور انها قامت بدور في هزيمة العدوان ، وهذا صحيح ، وقد اخذوا مستحقاتهم حين اتيح لهم أن يقولوا للعالم كله أنهم في وقت أزمة وقفوا ضد اصدقائهم انتصارا لمبادئهم _قالوا ذلك وكرروه في الجمعية العامة ، وكانت له آثاره الطيبة بالنسبة لسمعتهم وهذا يكفيهم ، مع ذلك فأنا واثق أنه ليس كافيا من وجهة

⁽٧) ذهب الملك سعود إلى واشتطن في آواخر شهر يتلير سنة ١٩٥٧ في هذا الاطار ، وبعده ذهب الأمير عبد الأله و في عهد العراق ، وهناك اقنعه ايزنهاور بان الوقت قد حان لعقد صلح بين السعوديين والهاشميين بمنطق ال كليهما الآن يواجه نفس الخطر (عبد الناصر) ، كما قام الرئيس الحبيب بورقيبة بزيارة رسمية لواشنطن ﴿ شبهر ابريل ۱۹۵۷ .

⁽٨) مجموعة اوراق محمد حسنين هيكل عن تفاصيل القاء طويل مع جمال عبد الناصر اتصل خمس ساعات مساء يوم | أبريل ١٩٥٧ في استراحة القناطر.

هم يريدون السيطرة على المنطقة، ونحن العقبة امامهم، علينا أن نسال انفسنا الآن، ما هي أسلحتهم تجاهنا؟

□ أولا ـ الحرب النفسية ، وهم يشنونها الآن علينا فعلا ، وليس امامنا دفاع غير ان تكون جماهيرنا على علم بما نفعله ، وان تشارك بنفسها في فعله ، ثم أن نشرح وجهة نظرنا باستمرار أمام الأمة العربية ، ونكون جاهزين طوال الوقت للرد على الله ادعاءات يثيرونها ضدنا .

□ ثانيا ـ الحرب الاقتصادية ، وهم ايضا يشنونها ، وهذه مشكلة ولكنها ليست صعبة ، وقد طلبت من الجريتل (1) والقيسوني دراسة إمكانيات وضع اقتصادنا على مستوى اقتصاد الحرب ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لمواجهة الحصار الاقتصادي .

□ ثالثا ـ « الغزو من الداخل » وهذا تعبير دالاس ، وهم يمارسونه ضدنا في السر رغم انهم يتهموننا نحن علنا باننا نمارسه في المنطقة ضد اصدقائهم . وليست لديهم فرصة للنجاح فيه معنا ، ولقد جربوا وجرب الانجليز والفرنسيون قبل المعركة وأثناءها وبعدها وفشلوا . ومالم يتحقق في جو المعركة وأرهاب القوة الذي تعرضنا له لن ينجح بعد انتصارنا .

رابعا – ما تحاوله الولايات المتحدة الآن في المنطقة هو محاولة عزل مصر عن بقية العالم العربي ، وهذه معركة لا نحتمل خسارتها . إذا خسرناها خسرنا اقوى اسلحتنا ، وهو إمكانية امة باسرها ، ثم إننا إذا خسرنا المعركة في العالم العربي سهل عليهم بعدها ان يتقدموا لضرب مصر في عقر دارها .

□ خامسا ـما الذي يتبقى لهم بعد ذلك : سلاح الاغتيال ، وهذه مسالة لا نستطيع ان نعتمد فيها إلا على الله مع اخذ كل الاحتياطات الواجبة . إذا وجد قاتل مصمم على القتل حتى ولو ضحى بحياته ، فليست هناك إجراءات أمن تستطيع منعه من تحقيق هدفه . المسالة أن المستعد للتضحية بحياته ليقتل لا يمكن أن يكون ماجورا . واعتقادى أن الولايات المتحدة لا تستطيع في هذه الظروف أن تعثر على رجل مستعد للقتل إلا إذا كان قاتلا ماجورا .

بعد سلاح الاغتيال يظل هناك سلاح الارهاب ووسيلته إسرائيل واعتقادى ان إسرائيل بعد كل ما جرى لها في معركة السويس - تحتاج إلى وقت لتعيد فيه بناء قواتها على مستوى المعركة القادمة ، وتعيد ايضا بناء تحالفاتها الدولية . بن جوريون لايتحرك إلى مغامرة بغير أن يطمئن إلى وجود قوة كبرى وراءه . هو بنفسه قال ذلك وكرره ، ودرس السويس نموذج عملى في التطبيق .

الله الوحيد القوى المحتمل لإسرائيل هو الولايات المتحدة . علاقتهم بإسرائيل الله الوحيد القوى المحتمل لإسرائيل المائية ويادتها وتعميقها ، ومازقهم هنا الإسقدار ما يظهرون الى جانب إسرائيل بمقدار ما يبتعدون عن الامة العربية الى مجال معركتهم الجديدة ضدنا .

الله اننا في حاجة إلى أن نكون عدوانيين . لكى يهاجم طرف فليس ضروريا أن الله عدوانيا .

البهة يمكن أن نهاجم منها هي جبهتنا الداخلية . أن يكون عملنا في الداخل الله يشد ويجذب بقية شعوب الأمة العربية إليه .

الله الله الله العالى سوف يكون هو البرهان . إذا نجحنا في بنائه فمعناه المارنا حقيقي ، واننا استطعنا تعزيزه . السد العالى هو الاختبار؟ كيف السد العالى؟ من يساعدنا بالخبرة؟ امريكا بالقطع مستحيل؟ روسيا لست الله؟ هذا سؤال لابد أن نجيب عليه .

إبالات تطوير الزراعة . التصنيع . الخدمات . استرداد المصالح الأجنبية السبة . استمرار التمكين للعدل الاجتماعي ، وإعادة توزيع الثروة ـ هذه كلها بن هجومية . تقوى خطوطنا في داخل حدودنا ، وتجعل لدعوتنا قيمة خارج الله . عندما نرى أن السعودية اصدرت قانونا بتحريم العبودية لأول مرة كرد الله ورة الاجتماعية في مصر ، فلا بد أن ندرك أننا نفعل شيئا هاما .

إلى نكون على اتصال بكل القوى العربية التقدمية ، وأن نقيم جبهة شعبية الله : أمامنا حزب البعث في سوريا ، أراؤهم طيبة ومشكلتهم أنهم أضطروا إلى الانقلابات العسكرية المختلفة في سوريا ، فقد وجدوا ذلك طريقا اسرع الى الله الساء لهم . هناك أيضا قوى كثيرة غير البعث . هناك قوى وطنية المنظمة في أحزاب وحجمها أكبر من كل التنظيمات في الحقيقة ، ولابد أن تكون البعم شرط وجود تنسيق لا نتورط بغيره في ازمات لا لزوم لها . هناك قوى المناه من المناه المناه وي المناه المناه وي المناه المناه المناه الله المناه الله المناه المناء المناه المناء المناه الم

البعد ذلك قضية القوات المسلحة ، وعلينا ان نعيد بناءها وفق تجربتنا في السب . لقد كان اتجاهى إلى تغيير كل قيادات الاسلحة . القوات البرية البران والبحرية . لكنى ترددت من ناحية لأن عبد الحكيم (عامر) يعتقد ان السابكرامته وكرامة الجيش . من ناحية اخرى ، فقد وجدت اننى اذا غيرت الله الآن ، فمعنى ذلك اننى اعترف ضمنا بانها لم تكن على المستوى المطلوب في الله ، وهذا يقوى الادعاء الذي يروج الآن بان انتصار السويس كان انتصارا

⁽٩) الدكتور على الجريتلى ، وكان واحدا من المع الخبراء الاقتصاديين ، وكان جمال عبد الناصر يريده نائبا لرئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية ، واعتذر الدكتور الجريتلى وفاء لصداقته للدكتور عبد الجليل العمرى الذى تولى هذا المنصب في اوائل الثورة ، وبرغم اعتذاره عن المناصب فإن جمال عبد الناصر كان يحترم أراء الدكتور الجريتلى ويثق ﴿ علمه .

سياسيا وهزيمة عسكرية، وهذا غير صحيح، ولكنها ضمن محاولات الحرب النفسية الموجهة إلى ثقة الناس بالجيش وثقة الجيش في نفسه

وجدت ايضا انه من الظلم أن أحكم على قيادات القوات المسلحة بالارتباك الذى ظهر في تصرفاتهم في المعركة ، فقد كان حجم = العدو = اكبر مما يمكن أن يتصوره خيال أى واحد فيهم . اقصى ما تصوروه هو هجوم تشنه إسرائيل ، ولكن أن يجدوا انفسهم فجاة أمام غزو بريطانى – فرنسى – إسرائيلى ، فهذا كثير عليهم ، ويجب أن نكون منصفين .

هناك مجالات لابد أن ندخل إليها:

إسرائيل تفكر ذريا ، ولابد لنا نحن الآخرين أن نفكر مثلهم . طلبت حصرا لكل خبرائنا في الطبيعة النووية ، وعرفت أن هناك عالما كبيرا بينهم لديه كل المؤهلات(١٠) ، ونحن نحتاج إلى مفاعل نووى ولابد أن نحصل عليه .

لابد أن نتمكن من صنع سلاحنا بما فيه الطائرات . عندنا مصانع سلاح على نطاق محدود ، وقد وضعنا برنامجا لبناء صناعة سلاح . الطائرات قضية اكثر تعقيدا ، ولابد أن نتعاون فيها مع أحد . أفكر في الهند أو يوجوسلافيا

أيضًا هناك الصواريخ . هناك علماء ألمان يتخاطفهم العالم بما فيه الولايات المتحدة ، وقد حاول بعضهم جس النبض معنا وقد قلت إننا نرحب . هناك واحد بالذات اتصل بنا ، ويظهر أنه شارك بشكل كبير في صنع صاروخ « ف ٢ » وقد وافقت على قدومه إلى هنا .

ليست المسالة هي أن نتمكن من صنع صواريخ أو طائرات ، المهم أن هذه المجالات هي تكنولوجيا المستقبل ، ولابد أن نتيج للمصريين التعرف عليها والتخصص فيها ، وهذا عندى أهم من سرعة إنتاج الطائرات أو الصواريخ .

هناك أيضًا مسألة الأسلحة الكيماوية . وأنا أعرف أنها ممنوعة ، ولكننا لابد أن نملك سلاحا رادعا إذا سبقتنا إسرائيل في مجال الذرة ، وسوف تجد كثيرين يساعدونها فيه . يقولون إن الأسلحة الكيماوية في السلاح النووى للفقراء . وأظن أن القول صحيح .

قبل هذا كله فنحن نحتاج إلى معلومات ، وقد وضعة خطوطا عريضة لإنشاء جهاز مخابرات على نسق وكالة المخابرات المركزية الأمريكة ، وأنا أريده جهازا قادرا على جمع المعلومات وتحليلها ، وعلى تأمين محاولات الافتراق الداخلى ، فقد وجدنا أن الانجليز والفرنسيين ، وكذلك إسرائيل لهم شعبكات واسعة في مصر ، ويجب أن نواجه ذلك كله .

وانا لا أريده جهازا مكتبيا أو بوليسيا ، ولكنى أتسوره جهازا قادرا على اختراق

إسرائيل . وايضا اريد ان يكون مستواه العلمى قادرا على فك شفرات البلاد التى تهمنا تحركاتها . إننا قطعنا شوطا لا باس به في هذا الاتجام ، ونحن الآن نفك عددا من الشفرات تعطينا معلومات لها قيمة .

كل هذه مجالات عمل للمستقبل، وأما المعركة التي سوف تفرض نفسها علينا بسرعة، بل إنها فرضت نفسها فعلا، فهي المعركة على قلب العالم العربي وفكره ومشاعره وتوجهاته.

إنهم خرجوا الآن بمبدأ ايزنهاور. وهذا المبدأ موجه الى إدعاء محاربة الاتحاد السوفيتي . ولسنا نحن الذين سنحارب المعركة ضد الاتحاد السوفيتي . هم يريدوننا في حظيرتهم لا أكثر ولا أقل . وايزنهاور بعث بممثل خاص له إلى المنطقة ، وهو يدور على كل العواصم العربية ولايجىء إلينا . قالوا لسفيرنا في واشنطن : « إذا أردتم أن يجيء « ريتشاردز » إليكم فوجهوا دعوة إليه » . وقلت إننا لن نوجه دعوات إلى احد ، ونحن لا نريد أن ناخذ مساعدات أو نقطع على انفسنا تعهدات . نحن لا نرى أن الاتحاد السوفيتي الآن هو الخطر علينا ، الخطر هو إسرائيل . ولو كان مبدأ ايزنهاور موجها الى كل المخاطر التي تواجه الشرق الأوسط لدعوناه لنحدثه في الخطر الإسرائيلي . على فرض أن الاتحاد السوفيتي خطر الآن ، فهناك خطر داهم يسبقه هو خطر إسرائيل . لا نستطيع أن ننظر إلى الخطر بعين واحدة ، ومن الضروري أن ننظر بعينين . السفير الأمريكي هير كان عندي ، وحاول أن يسالني رايي في مبدأ ايزنهاور ، وقلت له عيبه أنه « مبدأ أعور » ينظر بعين واحدة . رد على قائلا إنه على فرض صحة رأيي فإن « حالة العور » افضل من « حالة العمى » ، وقلت له : « لأ . ولم أشا أن أزيد لأنى أتحاشى بحث الموضوع كله في هذا الوقت . سوف نضطر إلى إبداء رأينا ، ولكنى قلت للدكتور فوزى (وزير الخارجية) إن سياستنا الآن هي الصمت . نحن نحتاج إلى وقت لكي نهضم كل تجارب المعركة . خير ما نفعله الآن أن نعد قوانا ثم ننتظر . والحقيقة أنه ليست لدى شكوك في أن مبدأ ايزنهاور هو أول محاولة عملية لعزل مصر . يأخذون العالم العربى كله إذا استطاعوا معهم ، ثم يتركون مصر وحدها ، وأنا أراها محاولة امريكية لتكرار عملية حلف بغداد بطريقة اشد مكرا وخبثا ، ومع ذلك اوثر ان اترك الأمور تشكل نفسها ، ونختار نحن بعد ذلك لحظة تدخلنا . هناك البعض عندنا يقولون لى : « ما الضرر في أن ندعو ريتشاردز ، فهو يحمل في حقيبته مساعدات مالية وعسكرية نحتاج لها " وقلت لهم : « لا تتعبوا انفسكم ليس لنا في حقيبة ريتشاردر أي شيء . كل شيء عنده له شروطه ، والمسالة هي ما إذا كنا مستعدين لقبول شروط الولايات المتحدة ؟ إذا كنا سنفعل ، فلماذا تحملنا كل هذه المكاره لرفض شروط الانجليز والفرنسيين ؟ . !

إن ايزنهاور بالطبع يستعمل حكاية الخطر السوفيتي والشيوعي لأنه يريد غطاء مقبولا في أمريكا . لا يستطيع أن يقول لهم إنه يريد محاربة القومية العربية . يريد محاربة مصر وسوريا وشعوب بلاد عربية أخرى لاتريد الخضوع للسيطرة .

١٠) كان يقصد وقتها استاذ الطبيعة النووية الدكتور «محمد الناك».

لا يستطيع أن يقول هذا بالطبع ويقول « الشيوعية » و « النسلل الشيوعي » و « فراغ القوة » . حكاية الذئب والحمل تتكرر مرة اخرى . طبعا يركزون عل سوريا والدور بعدها علينا . السيطرة هي المطلوبة ، وليس مواجهة خطر شيوعي ببالغون فيه . »

كانت هذه أفكار « جمال عبد الناصر » وبنفس تعبيراته وقتها .

ولم تلبث الأيام أن جاءته بالبرهان العملى على صحة ما فكر فيه وعبر عنه . فقد بعث إليه صديقه « جواهر لال نهرو » بخطاب يعرب فيه عن قلقه من « مبدأ ايزنهاور » ، وكان اهتمام « نهرو » بخطة » ايزنهاور » الجديدة مبعثه باكستان التى اتضع أن « مبدأ ايزنهاور » ينطبق عليها ، وقد زارها « جيمس ريتشاردز » مبعوث « ايزنهاور » ومعه حقيبته بما فيها من مساعدات مالية وعسكرية .

وكتب « جمال عبد الناصر » برأيه إلى « نهرو » ، وكان رأيه انه لا يوافق على مبدأ » ايزنهاور » من اساسه ، وتقديره أنها محاولة جديدة لعزل مصر وموجهة إليها بالتحديد قبل أى طرف أخر . ورد « نهرو » بانه كتب إلى « ايزنهاور » بشان مخاوفه مما يمكن أن تحصل عليه باكستان من أسلحة بالذات نتيجة لخطته الجديدة . ورد « ايزنهاور » على « نهرو » وبعث الرئيس الهندى إلى صديقه في مصر صورة من رد « ايزنهاور » عليه ، وكان فيه البرهان .

قال « ايزنهاور » في خطابه لرئيس وزراء الهند « جواهر لال نهرو » :

« عزیزی رئیس الوزراء

لسنوات طويلة _ فإن دولا كثيرة في المنطقة كانت تساورها المخاوف من احتمالات العدوان ، وقد وصلت بها هذه المخاوف احيانا إلى درجات من الانفعال الذي يصل إلى حد الهستيريا . ولقد وجدت حكومتي انه من الضروري مساعدة هذه الدول على تجاوز هذه الحالة .

ولابد أن أقول لك إننا لم نفكر على الإطلاق في أن واحدة من هذه الدول المعنية ، أو مجموعة منها تستطيع أو حتى تتحمل برامج تسليح كبيرة . وعندما نتحدث عن مساعدتها عسكريا ، فإن ما نعنيه في حقيقة الأمر هو أن نساعد هذه الدول على بلوغ درجة من القوة توفر لها قدرا معقولا من الأمن ضد العصيان الداخلي أو التخريب ، مع قدر من امكانية المقاومة إلى حد ما ضد العدوان الخارجي .

وإذا كان قد لفت نظرك ما قلته للكونجرس الأمريكي عندما طلبت تفويضه لمساعدة هذه الدول من أن الهدف هو مقاومة العدوان الشيوعي ، فإنني قلت ذلك لمجرد طمانتهم إلى اننا مستعدون وجادون في مساعدتهم على حفظ استقلالهم . والحقيقة

اننى اعتقد أن مجرد إعلاننا لذلك سوف يقلل ـ أو يزيل ـ أى احتمال للعدوان الخارجي . »

ثم استطرد « ايزنهاور » يقول ك انهرو » :

« وقد لا اكون في حاجة إلى أن أؤكد ك أنه ليس هناك أى احتمال جدى في أن تستطيع أى دولة مستفيدة بسياستنا الجديدة أن تشن أى عمليات حربية بدون موافقتنا لأن حصولها على أسلحة أمريكية يعنى اعتمادها إلى درجة كبيرة على إمدادنا لها بالذخائر وقطع الغيار، وإمكانيات الصيانة التى نستطيع وحدنا توفيرها . وكل هذا سوف يتم حجبه ونعه في اللحظة التى يتصرف فيها أى طرف بسلاحنا خارج الأهداف التى نوافق عليها .

وكانت هذه الفقرات من خطاب « ايزنهاور » إلى « نهرو » أكثر من كافية بالنسبة لـ « جمال عبد الناصر » ، ومع ذلك كان قراره : الانتظار ومراقبة التطورات ، وعدم التسرع إلى ردود فعل سابقة لأوانها !



يقول الرئيس « ايزنهاور » في يوميان (۱۱) : « إن مبعوثه الخاص إلى الشرق الأوسط زار كلا من : لبنان وليبيا وتركيا وإبران والعراق وإسرائيل والمغرب وباكستان والسعودية والسودان وتونس ، لكنه امتنع عن زيارة ثلاثة بلدان في المنطقة هي : مصر وسوريا والأردن . وهو لم يزر مصر وسوريا لأن « المناخ السياسي لم يكن مواتيا » ـ وأما الأردن فهو لم يزره لأن أزمة سياسية معقدة وقعت فيه أثناء استعداده لزيارته » !

ومن اللافت للنظر أن مصر في هذه الترة استقبلت زائرا غربيا اسمه « ا . م . جرينوود » جاءها يحمل خطابات توصية إلى « جمال عبد الناصر » من الرئيس « ايزنهاور » ومن عدد من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب وفي الكونجرس ، وحكام الولايات ، ورؤساء النقابات ـ يرجونه فيها استقبال المستر « جرينوود » والاستماع

⁽۱۱) مطحة ۱۹۳ و ۱۹۱ .

* radé » Ib aërcalis . وقابله بعض المسؤولين والصحفيين (۱۲) المصريين . وقدم نفسه إليهم باعتباره « رئيس لجنة الشرق الأوسط للتسوية السلمية » ، وكان يحمل معه مشروعا كاملا لشراء قناة السويس وإدارتها ، وتحمل المشاكل العملية التي تقتضيها ضمانات حرية الملاحة . وكان الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية بين المسؤولين الذين قابلهم « جرينوود » ، ودخل الرجل إلى مكتب وزير الخارجية قائلا له :

« هل تریدون الفی ملیون دولار نقدا تواجهون بها مشاکلکم المالیة ؟ » ورد علیه الدکتور « فوزی » باسما : « هذه کفی مبسوطة لك . »

ورد « جرينوود » بسرعة : « ولكن عليك أن تسلمني القناة أولا » ا

وانتهت القصة قبل أن تبدأ ، وقضى « جرينوود \blacksquare في مصر بعدها شهرا كاملا ينتظر مقابلة \blacksquare جمال عبد الناصر \blacksquare ليسلمه التوصيات المكتوبة التي حملها معه \blacksquare ، ولم يتحقق له ما يريد ، وترك ما معه في ظرف مغلق معنون باسم \blacksquare رئيس الجمهورية \blacksquare .

ولم يستطع احد في القاهرة أن يقطع بشيء في هذه القصة الغريبة ، وكان ظاهرا بكل الشواهد أنها عرض مسرحي جانبي ، وأما العرض المسرحي الحقيقي فقد كان بطله " جيمس ريتشاردز " الذي لم يجيء الى مصر _ وكانت صور ما يجرى عليه ، وأصداء الأصوات المتبادلة فوق خشبته _ تصل إلى القاهرة .

كانت كل الدول العربية التى زارها « ريتشاردز » $^{(17)}$ مستعدة لقبول « مبدأ ايزنهاور » ولكنها جميعا كانت مترددة فى إعلان قبولها تحسبا لمعارضة مصر وسوريا . وكانت المعارضة المصرية قد بدأت تظهر وتتصاعد مع كل محطة يتوقف فيها « ريتشاردز » ، وكانت المعارضة السورية على الذروة منذ أول لحظة .

وبلغت حساسية الموقف إلى درجة أن الرئيس اللبنانى « كميل شمعون » الذى استقبل المستر « ريتشاردز » في مكتبه في بيروت أصبيب بحالة من التوتر الشديد في اليوم التالى ، فدعا السفير الأمريكي في لبنان إلى مقابلته ، وطلب « إرسال وحدات من الأسطول الأمريكي السادس بسرعة إلى قرب الشواطىء اللبنانية كمظاهرة تأييد

لحكومته ، كما طلب شحن بعض الأسلحة على الفور إليه لأن السوريين يستعرضون سلاحهم السوفيتي بطريقة مستفزة هذه الأيام » .(١٤)

وعندما توجه السفير « ريتشاردز » إلى زيارة تركيا لم تكن للتعليمات التي حملها معه (۱۰) صلة بالأهداف المعلنة لـ = مبدأ ايزنهاور » وإنما كانت جميعا متصلة بالأوضاع الداخلية لبلدان الشرق الأوسط، وفي مقدمتها من وجهة نظر السياسة الأمريكية = البحث في تحسين وتقوية وتدعيم العلاقات بين تركيا ، وبين كل البلدان العربية التي يمكن أن تكون مستعدة لذلك . وكذلك تحسين وتقوية وتدعيم العلاقات بين تركيا وإسرائيل » !

وفي اثناء زيارته لليبيا كان عليه أن يعلق المساعدة الأمريكية على شرطين هما: « ابتعاد ليبيا تدريجيا عن مصر ، وبالتالى عن الاتحاد السوفيتى!! ثم السماح للولايات المتحدة بقواعد وتسهيلات عسكرية على أراضيها بما في ذلك عقد اتفاقية تضمن وتنظم وجودا عسكريا أمريكيا على الأراضى الليبية »(١٦).

وفي السعودية كانت مهمة السفير « ريتشاردز » أن يهدىء من نشاط الملك « سعود » في تحمل مسؤولية قضية خليج العقبة ، فلقد أحست واشنطن بالقلق لأن الملك بدلا من مناقشة القضية عن طريق الخطابات السرية مع الرئيس « ايزنهاور » راح تحت ضغوط متعددة المصادر يصدر بيانات متشددة ، فقد أعلن الملك « سعود » يوم • أبريل ١٩٥٧ « إن المملكة تحذر من أنها سوف تضطر إلى ضرب البواخر الاسرائيلية التي قد تمر بخليج العقبة » .

وفى اليوم التالى نقلت وكالات الأنباء من الرياض « أن السعودية احتجت على الولايات المتحدة لأن إحدى الناقلات الأمريكية مرت من الخليج تحمل شحنة بترول لإسرائيل » .

ثم نقلت وكالات الأنباء بعد ذلك من الأمم المتحدة يوم ١١ أبريل " ان السعودية المغت الأمم المتحدة أنها سوف تمنع مرور أى بواخر إسرائيلية من خليج العقبة " ١

ويوم ١٢ أبريل كان « ريتشاردز » قد وصل إلى السعودية ، ولا تحتوى ملفات وزارة الخارجية الأمريكية على وثائق كثيرة عن السعودية لأن معظم شؤون العلاقات

⁽١٢) كنت احد الذين قابلوا المستر جرينوود واستمعوا إليه ، وقد ارسل إلىّ خطابا يبدى فيه ضيّله من اننى لا استمع إليه باهتمام ، ولا اساعده على إحباط مخططات دالاس المعادية المصر . ونص الخطاب منشور في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٥) صفحة ٨٢١

⁽١٣) حدث لبس فيما يتعلق بالسودان ، فقد ذكر ريتشاردز 🖟 تصريح علني ان حكومتها وافقت على مبدا اليزنهاور ، ولكن وزارة الخارجية السودانية اصدرت تصريحا 🗓 اليوم التالي تعسن فيه فهمه لموقفها .

⁽١٤) برقية شفرية من السفارة الأمريكية في بيروت برقم ٢٥٦٧ بتاريخ ٢٦ أبريل الساعة ٩ مساء

ا (١٠) تقرير مجلس الأمن القومي 🐧 البيت الابيض رقم ١/ ٥٠٠٣ بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٧ .

⁽١٦) مذكرة كتبها المستر راونترى مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط

معها من اختصاص مجلس الأمن القومى في البيت الأبيض (١٧) ، ولكن البيان المشترك الذي اذيع على العالم بعد زيارة-« ريتشاردز » أجمل نتائج الزيارة حين اعلن « ان البلدان يعلنان عزمهما على مقاومة النشاط الشيوعى ، والاستعمار في شتى صوره ، واستعدادهما لمناهضة أية أخطار تهدد السلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط » ا

وفجأة انفجر لغم تحت «مبدأ ايزنهاور» ومهمة «ريتشاردز» وكان انفجاره بنفس الأسلوب الذى انفجر به اللغم قبلها تحت «حلف بغداد» ومهمة الماريشال «تمبلر »، وفي بنفس الموقع وهو الأردن. وكان الأردن بحكم موقعه على أطول خطوط المواجهة مع إسرائيل «وبحكم الوجود الفلسطيني الكثيف بين سكانه من ناحية ، وبحكم دقة الظروف الحرجة المحيطة بسلطة الحكم فيه من ناحية أخرى ـ مهيأ أكثر من غيره لانفجار اللغم.

والحقيقة أن ظروف الفرع الحاكم من الأسرة الهاشمية في عمان تستحق النظر الطويل في تحليلها ، والحذر الشديد في تناول سياساتها ، فقضيتهم ذات جذور ضاربة في أعماق التاريخ العربي والاسلامي ، ثم إن فروعها القريبة والراهنة تمتد الى مواقع شديدة الحرارة والسخونة .

وفيما يتعلق بالجذور فقد يمكن ملاحظة العوامل التالية:

ا - إن أسر الأشراف، وبصرف النظر عن تسلسل الانساب وملابساته - تصورت منذ فجر التاريخ الاسلامي أن لها حقا، وأن البقية من المسلمين تنازعها فيه، وكان هذا سببا للخلاف والفتن. ولقد كانوا منذ البداية يستحون من المطالبة جهرا بما يظنونه حقا لهم، وهكذا الله كان أسلوبهم المختار هو التلميح بدلا من التصريح، والتمنى بأن يسبقهم الآخرون الى المطالبة لهم بما يتحرجون من طلبه لأنفسهم. وفيما بعد بقيت هذه الحيرة متوارثة عبر الأجيال.

٢ - إن العروش الهاشمية لم تظهر إلا في العصر الحديث، وكان ظهورها مرتبطا بصراع الامبراطوريات الأوروبية على الخلافة العثمانية، وحين ظهر « الشريف حسين » في مكة ليتفاوض مع

الانجليز أن شأن العالم العربي بعد الحرب - فإن ما حدث أن أوائل التاريخ الإسلامي تكرر على نحو أن أواخره ذلك أن كثيرين نازعوا الأسرة الهاشمية أن دعوى الخلافة ، وكان ذلك موقف أسرة أل سعود ، التي لم تلبث أن استولت على الحجاز نفسه ، وأخرجت بنه بقايا الهاشميين ، كما كان ذلك موقف أسرة « محمد على » في مصر التي راودتها بسند « الأزهر » - أحلام خلافة إسلامية .

ولم يستطع الانجليز ، وربما لم يكن في نيتهم اصلاً أن يفوا بوعودهم له « الشريف حسين » الذي مات مقهورا . ولقد حاولوا تعويض أبنائه بعرش له « فيصل » في سوريا لم تلبث فرنسا أن ازاحته عنه ، واستبدل عرش دمشيق بعرش في بغداد لفرع « فيصل » وبعرش في عمان لفرع « عبد الله » ، ولم تكن العلاقات بين الفرعين ودية ، ولا كانت علاقتهما بعا ببقية العالم الاسلامي والعرب سهلة أو سلسة .

٧ - ومنذ بدايات الصراع العربى الإسرائيلى ، وبعد وعد بلغور المسنود بالانتداب البريطانى على فلسطين كان العرش الهاشمى في عمان طرفا في اتصالات ومخططات صعبة ووعرة ، وكان الملك ، عبد الله ، (١٨) في الظروف التي ادت الى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وبعدها كمن يعيش داخل كسارة البندق معرض للضغط من جانبين وربما ثلاثة .

الحركة العربية الشعبية الهادرة في مطالبها الحقة من ناحية ، وإسرائيل العدوانية الكاملة فيما تبقى من فلسطين (الخلة الغربية بالذات) من ناحية اخرى ، ومن الناحية الثالثة ضغط القوى الكبرى ـ واولها بريطانيا ـ الراغبة في الوصول إلى تسوية للمشكلة الفلسطينية ، ون أن يعنيها من الذي يدفع الثمن .

رحاول الملك عبد الله ي وكانت له طموحاته ومطالبه الخاصة ـ رناور (والحديث هنا محاولة للتحليل والتقصى، وليس للتحقيق رالمحاكمة) لكن الظروف كانت اقوى منه وانطبقت كسارة البندق، رجرى اغتيال الملك «عبد الله على أبواب المسجد الأقصى في القدس

١) بمقتضى إعلان خاص اصدره الرئيس ايزنهاور بتاريخ ٢ مارس ١٩٥٣ تطبق احكام «قانون الامن شترك ، على السعودية (نص القرار في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٦) صفحة ، ٨٢٩

⁽١٨) عرفنالملك عبد الله عن قرب في ظروف حرب فلسطين عندما كنت مراسلا مقيما في عمان بسبب قربها من ميلدين القناء وقد قضيت أياما طويلة في صحبته ، وفي حوارات طويلة معه ، وكنت اشعر من كرمه في وقته مع صحفى معرى شاب أنه يتشوق إلى اعتراف عربى بدوره وبصعوبة هذا الدور . وكانت ازمة « عبد الله » الحقيقية تربع إلى اعتقاده أنه « ملك بلا مملكة في حين يرى من حوله ممالك بلا ملوك ، وكان هذا نص تعبير سمعته منه وقتها ونظرته في حينه

وبجانبه حفيده الملك « حسين » وكان وقتها في السادسة عشرة من عمره .

ق وآل العرش الهاشمى في عمان إلى « طلال بن عبد الله » ثم انتقل منه الى « حسين بن طلال » وكانت حركة كسارة البندق قد ازدادت شدة وعنفا . كانت تلك فترة الفوران الثورى في العالم العربى ، ثم إنها كانت فترة تقدم الولايات المتحدة إلى دور امبراطورى في الشرق الأوسط تحصل به على إرث الإمبراطوريات الاستعمارية التقليدية . وكان الملك « حسين » موزعا بين شبابه وظروفه ، فشبابه كان يدعوه إلى الاتصال بالحركة القومية العربية ، وظروفه كانت تشده إلى إبقاء صلاته مع دول الغرب الكبرى - بريطانيا ثم الولايات المتحدة - قوية ووثيقة لأن ذلك الغرب الكبرى - بريطانيا ثم الولايات المتحدة - قوية ووثيقة لأن ذلك في تقديره كان المانع الوحيد لإسرائيل أن تستكمل دعاوى » أرض إسرائيل » بالاستيلاء على الضفة الغربية للأردن ، وربما الضفة الشرقية أيضا ، ولقد ادى هذا التوزع بين الشباب والظروف إلى مشاكل كبيرة وتعقيدات عسيرة - لكن مهارة الملك في المناورة السريعة ، مع تجربته المباشرة في رؤية حركة كسارة البندق على عتبات المسجد تجربته المباشرة في رؤية حركة كسارة البندق على عتبات المسجد الاقصى - وفرت فسحة من الوقت كافية لمرور العواصف .

ولقد كان «جمال عبد الناصر » يفهم هذه الظروف ، وإن كان غيره من أقطاب الحركة الثورية لم يكونوا على استعداد لفهمها . ولعل من هنا أن علاقة «جمال عبد الناصر » مع الملك «حسين » ظلت متصلة (١٩) وإن شهدت فترات من التوتر والحدة على الجانبين . وكان » جمال عبد الناصر » يقول : « إن الملك حسين كراكب الدراجة يتحتم عليه أن يتحرك باستمرار وإلا وقعت دراجته » ـ وكان هذا الى حد كبير وصفا صحيحا .

وعندما وقعت تجربة الضغط على الأردن للانضمام الى حلف بغداد في خريف سنة ١٩٥٥ ، وقام ، انتونى ايدن » رئيس الوزارة البريطانية بإيفاد رئيس اركان حرب الامبراطورية الماريشال « تمبلر » - استجاب الملك للثورة الشعبية التى اندلعت في الأردن ترفض حلف بغداد . ولعله أدرك من يومها أن الدور البريطانى في المنطقة وصل إلى مداه . وفي أوائل سنة ١٩٥٦ كان يقود عمليته الشهيرة - مع مجموعة من ضباطه المقربين - ضد الجنرال « جلوب » (باشا) قائد الجيش الأردنى رمّز الوجود البريطانى الظاهر في الأردن .

(١٩) لسنوات ظلت صورة جمال عبد الناصر في مكانها في غرفة نوم الملك حسين ، كما ظلت صورة الملك حسين في صالون الاستقبال في بيت جمال عبد الناصر .

وعندما وقعت معركة السويس في خريف سنة ١٩٥٦ كان الملك «حسين » متحمسا لدخولها ، وكان «جمال عبد الناصر » هو الذي اتصل به على تليفون مفتوح مساء يوم الاثنين ٣٠ أكتوبر يرجوه « أن لا يتدخل في المعركة لأن إسرائيل متربصة بالضفة الغربية والقدس » ، وحين حاول الملك أن يضيف شيئا قال له «جمال عبد الناصر » : « إننى أعرف أن قلبك معنا ، وأنا لا أريد أكثر من ذلك الآن » . وانتهى الحديث التليفونى وكلا الرجلين يعرف تماما ما يقصده الآخر .

وفى ربيع سنة ١٩٥٧ ، وكان ضغط الولايات المتحدة على أشده لفرض « مبدا ايزنهاور » الذى حمله ممثله الخاص « جيمس ريتشاردز » ، تصور البعض في الأردن أن الضغط الأمريكي تصعب مقاومته ، وساعد على ذلك التصور أن كل عناصر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التى كانت تعمل من قبل في القاهرة وغادرتها بعد معركة السويس الى بيروت ـ انتقلت الآن بقضها وقضيضها وبكل أسلحتها ووسائلها الى عمان .

كان السيد «سليمان النابلسي » رئيسا للوزراء في الأردن وقتها ، واحس بالضغوط الموجهة إلى وزارته ، ووقف في اجتماع علني يوم ٦ أبريل ١٩٥٧ يقول بالنص :

« إننا كعرب لنا مبادئنا القومية المستمدة من طبيعتنا وتقاليدنا ، ولسنا في حاجة إلى من يقودنا » .

ووصل في حديثه إلى « مبدأ ايزنهاور » وإذا هو يقول :

« إنهم يتحدثون عن الفراغ ، ولكن هذا الفراغ لايوجد إلا في عقول الذين يتحدثون عنه ، والدفاع عن الأمة العربية لايمكن أن يقوم به غير أبناء الامة العربية » .

وفي يوم ۱۱ أبريل أقيلت وزارة «سليمان النابلسي » وعهد إلى السيد «حسين الخالدي » بتأليف وزارة جديدة ، ولكن كل الأحزاب الأردنية رفضت التعاون معه ، وأصدرت بيانا تعتبر فيه « أن وزارته الجديدة عملية تمهيد لقبول مبدا ايزنهاور » .

وتعذر تشكيل وزارة « الخالدى » واعتذر في اليوم التالي عن قبول التكليف الذي صدر إليه ، وجرى اختيار السيد « عبد الحليم النمر » يوم ١٣ أبريل لتشكيل وزارة جديدة قبلت الأحزاب الوطنية الأردنية أن تشارك فيها بشروط.

كان التوتر على أشده في الأردن، وبوادر الغليان تتصاعد.

وفجأة تقرر العدول عن تشكيل وزارة برئاسة « عبد الحليم النمر » والإعلان عن تكليف السيد « سعيد المفتى » بتأليف وزارة جديدة ، وكان ذلك يوم ١٤ أبريل ،

وفى يوم ١٥ أبريل تألفت وزارة أردنية شبه قومية برئاسة السيد ، حسين الخالدى » اشترك فيها السيد «سليمان النابلسي » والسيد «سعيد المفتى » .

خلال هذه التقلبات السريعة كلها حدثت الوقيعة بين الملك وبين بعض ضباطه المقربين ممن تحركوا معه في عملية طرد « جلوب » (باشا) وتصفية النفوذ البريطاني في الأردن .

وهرب اللواء على أبو نوار البرز هؤلاء الضباط وكان قد أصبح قائدا للجيش الأردنى _ إلى سوريا ، ومن هناك بعث باستقالته ، وأعلن في عمان عن تعيين اللواء « على الحيارى » خلفا له ، ولم تمض غير ساعات حتى كان اللواء « على الحيارى الدوره يترك منصبه ، ويهرب الى دمشق ، ومن هناك يبعث باستقالته .

كانت دمشق هي الجمرة المتاججة وسط حقل الألغام العربي . ودخلت قوات الجيش العراقي إلى الأراضي الأردنية .

واعلن الرئيس « شكرى القوتلى » رئيس الجمهورية السورية وقتها ان هناك احتمال صدام عسكرى بين القوات السورية ، والجيش العراقى الذى دخل الى شمال الأردن « بدعوى ردع إسرائيل في حين ان سبب دخوله الحقيقى هو المساعدة في السيطرة على الأوضاع ، وفتح الطريق أمام مبدأ ايزنهاور » .

وكانت واشنطن تشدد ضغوطها لا تريد أن يحدث لـ « مبدأ ايزنهاور » في عمان ما حدث فيها ـ قبل عام تقريبا ـ لـ « حلف بغداد » ، وكانت الرياض نهبا لمشاعر متناقضة تؤيد « مبدأ ايزنهاور » في السر ، ولا تستطيع أن تجهر بتأييده في العلن . وطار الرئيس « القوتلي » من دمشق إلى مكة ليقابل الملك « سعود » في رحاب الكعبة ، ويستحلفه كما قال « بأن يمنع وقوع فتنة عربية كبرى » . وطار الملك « حسين » إلى مقابلة مع الملك « سعود » وعاد إلى عمان ليقول في مؤتمر صحفى :

• إن الأردن لن ينفرد وحده باتخاذ اى سياسة ، وانه لا تسوية للنزاع مع إسرائيل إلا بعد حل مشكلة مليون لاجيء فلسطيني » .

ووصل « مبدأ ايزنهاور » إلى نفس الطريق المسدود الذى وصل إليه « حلف بغداد » ، وفشلت تحركات الأسطول الأمريكي السادس في شرق البحر الأبيض المتوسط في التخويف ، كما فشلت من قبل مهمة الماريشال » تمبلر » رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية في الضغط.

ولم يكن «ايزنهاور» في واشنطن على استعداد للتسليم بان «موقعة عمان » هي نهاية مبدئه أو مشروعه لحل أزمة الشرق الأوسط الكنه كان يدرك أن حقائق الموقف تفرض عليه عدم دفع الأمور إلى أكثر من ذلك أن اللحظة الراهنة .

وتوضع يومياته في تلك الفترة أنه كان معجبا بجرأة الملك « حسين » ومرونته ، كما أنه بدا ضيق الصدر بالملك « سعود » وما رأه من « عجزه عن الظهور في الأوقات التي يتحتم فيها على الناس أن يقفوا ويعلنوا ما يرونه صوابا ، ويدافعوا عنه » ، وتظهر مراسلاته الداخلية مع وزير خارجيته « جون فوستر دالاس » أنه لم يعد مستعدا لتلقى إشارات الملك « سعود » في شأن خليج العقبة ، فقد كتب في توجيهات رئاسية الى وزير خارجيته يقول له :

" إن ما افهمه هو ان ما يهم الملك سعود في القضية برمتها هو موضوع عدم التعرض للحجاج المسلمين من جانب إسرائيل ، وهذه مسالة نستطيع ان نقدم فيها للملك كل التطمينات والضمانات . وقد حان الوقت لكي يركز سعود كل جهده على خطر الشيوعية الدولية " .

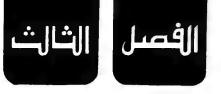
وفي نفس الوقت كتب « ايزنهاور » رسالة شخصية إلى الملك « سعود » يقول فيها :

• إن احداث الأردن تبين لكل من يريد ان يرى مدى الأخطار التي يتعرض لها بلد مستقل بسبب عملاء الشيوعية الدولية . وقد اوضحنا عزم الولايات المتحدة الراسخ على دعم استقلال البلدان الحرة في الشرق الأوسط وسلامة اراضيها •(٢٠)

وتكشف يوميات « ايزنهاور » إلى جانب ذلك أن إعجابه الخفى ب » جمال عبد الناصر » مازال كامنا ، فقد لاحظ في يومياته بسرعة « أن نجم عبد الناصر مازال يعلو ، وسعود غير قادر على التصدى لجاذبيته ، ولابد من الاعتراف مهما كان ذلك مريرا بأن « رجلنا » (يقصد الملك « سعود ») لايملك مزايا الرجل الآخر الذى اختار جانب الشيوعية الدولية (يقصد « جمال عبد الناصر ») التى توشك الآن أن تحكم قبضتها على اصدقائه في سوريا . »

وتظهر أوراق « ايرنهاور » في هذه الفترة أن أفكاره راحت تحوم في محاولة الاستكشاف بدائل أخرى ، ففي مجموعة الأوراق الخاصة ، وبعد شهور قليلة مذكرة عن حديث مع الأمير « فيصل » ولى عهد الملكة العربية السعودية جرى في مكتب

⁽٢٠) الرسالة تضمنتها برقية بتاريخ ١١ مايو ١٩٥٧ موجهة من وزارة الخارجية إلى مكتب اتصالات السفار الامريكية بالظهران ، وكان رقمها هو ٤٧٤ .



وراء أسسوار

0

ولم يكن هناك حتى هذه اللحظة خطر على الشرق الأوسط لا من الاتحاد السوفيتى ، ولا من الشيوعية الدولية ، كما كان الإيحاء بدعاوى الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » ووزير خارجيته « جون فوستر دالاس » .

من ناحية لم تكن المنطقة معرضة له عمليا أو عقائديا ، ومن ناحية اخرى فلم يكن الاتحاد السوفيتي مستعدا لها سياسيا أو عسكريا .

من ناحية المنطقة ، فقد كانت القوى الأكثر نفوذا وسلطة هي القوى التقليدية المحافظة ، وكان نسيج العلاقات الاجتماعية ، ونسق مجموعة القيم المؤثرة فيها ـ أشد ما يكون تنائيا وبعدا عن الشيوعية . وحتى القوى الجديدة في العالم العربي ، في المدن والمراكز الصناعية ، لم تكن تعرف الكثير عن الاتحاد السوفيتي ، ولا الكثير عن الفكر الشيوعي ، وقد كان معظم ما تعرفه ـ وبسبب المتاح من أدوات الاتصال الثقافي ـ يعتمد على مصادر غربية وكله يستدعى التشكك ولا يستدعى الثقة ، ثم إن العناصر الصاعدة إلى السلطة ضمن هذه القوى الجديدة ـ لم تكن مرتبطة عقائديا ، وكان الطابع الأغلب على فكرها وتصرفها هو الطابع العملي الذي يبحث عن حلول سريعة لمشاكل كبيرة متراكمة . وحتى الأحزاب الشيوعية التي نشطت إلى العمل في بعض بلدان

الرئيس في البيت الأبيض ورقمه ٦٤٧٢ في هذه المجموعة ، وتحمل الوثيقة في اعلاها أربعة حروف بخط « ايزنهاور » وافق على أن « ايزنهاور » وافق على المحضر ، ثم وضع الحرفين الأولين من اسمه . وقد ورد في محضر الاجتماع بالحرف ما يلى :

• ابدى الرئيس سعادته باستقبال الأمير فيصل ، واستذكر لقاءه السابق معه سنة المور ، واعرب عن امانيه بنجاح العملية الجراحية التى اجريت للأمير ، واستفسر منه عن خططه للمستقبل .

ورد الأمير شاكرا للرئيس ترهيبه ، وقال إنه ينتظر تقارير اطبائه قبل أن يقرر موعد عودته الى السعودية .

وقد أبدى الرئيس قلقه العميق من التطورات الجارية في الشرق الأوسط وعلى وجه الخصوص في سوريا . ثم قال : « إن الولايات المتحدة حريصة على أن تتمكن دول المنطقة من تنمية توافق بينها تحقق به أمانيها ..لكننا لا نريد أن نرى السوفيت بتاريخهم القاسى في فرض سيطرتهم يحصلون على مواقع حاكمة في بلدان الشرق الأوسط » .

وقال الأمير «فيصل»: «....»،»

وإذا بالوثيقة تضع نقطا سوداء على كل ما قاله في هذه الجلسة بنصوص الأحكام التي تنظم إذاعة الوثائق الأمريكية حتى بمقتضى قانون حرية المعلومات إذا كان ما تحتويه هذه الوثائق حساسا الى درجة تؤثر في الأمن القومى الأمريكي مستقبلاً ، أو تؤثر على أمن وسلامة الأشخاص المعنيين بما جاء في الوثيقة!

وكانت " معركة القرن " في طريقها الآن إلى سوريا .

الشرق الأوسط ـ والعالم العربي في قلبه ـ لم تزد على أن تكون بؤرا محاصرة مضغوطة في نطاق العمل السرى تحت الأرض .

كان الاتحاد السوفيتي خارجا للتو من تجربة عميقة وعنيفة طرحت وفرضت عليه شواغل أهم من الشرق الأوسط. وفي واقع الأمر فإن هذه الشواغل كانت تلامس مشكلة التجربة السوفيتية ذاتها. إن الشيوعية قامت في روسيا المتخلفة نسبيا على عكس فرضيات عماركس » التي ذهبت إلى أن الشيوعية مرحلة تالية ، وليست سابقة على المرحلة الراسمالية . ولم تكن روسيا وقت الثورة البولشفية قد بلغت المرحلة الراسمالية ، وإنما كانت بعد عند بدايتها . وعندما رأى « لينين » أن الفرصة سانحة لاستيلاء الشيوعيين على السلطة لتطبيق نظرياتهم ، فقد بدا أن الحل الوحيد هو الفرض بقوة الحزب الذي تحول في الواقع إلى قوة الدولة . ومع استمرار التجربة تحت قيادة « ستالين » فان بيروقراطية الدولة كان عليها أن تقوم في واقع الأمر بمهام حزب الثورة .

وقد أضيفت إلى هذه الحقيقة الواقعية حقيقة ثانية ، وهي توجه « ستالين » خلافا مع « تروتسكي » إلى سياسة بناء الشيوعية في بلد واحد ، فالثورة العالمية المستمرة بدت له « ستالين » دربا من الأوهام المستحيلة ، وعندما قرر أن يركز على بناء الاتحاد السوفيتي ، فإنه ما لبث أن وجد نفسه أمام تكاليف مادية وإنسانية غالية ، ولم يتردد أمام هذه التكاليف ، وكانت النتيجة عصرا طويلا من الإرهاب اقترن باسم « ستالين » وطبع عصره . ومع أن « ستالين » تمكن من بناء الصناعة الثقيلة في الاتحاد السوفيتي ، واستطاع فرض رأيه في الزراعة الجماعية ، فإن الثمن الذي دفعته الشعوب السوفيتية كان باهظا في تكاليفه حتى على الشخصية السوفيتية .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وأثقالها وتضحياتها المخيفة . وفقد الاتحاد السوفيتي مساحات كبيرة من أراضيه المزروعة ، وجرى تدمير معظم مراكزه الصناعية الكبيرة . وانتهت الحرب والجيوش السوفيتية المنتصرة بقيادة الماريشال «جوكوف » تدخل « برلين » وتدك مخبأ » هتلر » . لكن الاتحاد السوفيتي المنتصر عسكريا كان اقتصاديا واجتماعيا في حالة بالغة الحرج . وعاد « ستالين » يحاول إعادة بناء ما دمرته الحرب . وكانت الأساليب هي نفس الأساليب وأشد ، وكانت التكاليف هي نفس التكاليف وأغلى .

ومع بداية الحرب الباردة ـ فور انتهاء الحرب الساخنة ـ اضعار الاتحاد السوفيتي ان يعطى أولوية متقدمة للقوة العسكرية ، فقد وجدها أقرب الطرق إلى

تحقيق أمنه ، وضمان دوره في التوازن العالمي الجديد ، وطلب المساواة في القوة مع الولايات المتحدة الأمريكية. وبالفعل ، فإن الاتحاد السوفيتي استطاع تجديد وتطوير قوته العسكرية بعد الحرب ، ثم ما لبث أن لحق بالولايات المتحدة فكسر احتكارها للقنبلة الذرية ، ولحق بها في صنع القنبلة الهيدروجينية . ثم راح يركز في ميدان الصواريخ ، ويحقق فيها قفزات واسعة .

L

وحين مات " جوزيف ستالين " (٥ مارس ١٩٥٣) فقد كان لابد أن تحدث بعد اختفاء سلطته الأسطورية - تقلصات على القمة في الكرملين تمتص وتستغرق اهتمام القيادة التي انتقلت إليها خلافته . كانت سلطة « ستالين " الأسطورية قد كادت تخنق أنفاس الحزب تحت ثقلها ، كما أنها كانت قد حولت المحيطين به من أعضاء المكتب السياسي إلى مجرد ظلال لا وزن لها ولا تأثير . واحتل مقعد القيادة على عجل تلميذ " ستالين » المخلص وخليفته المنتظر " وهو " جورجي مالينكوف " . لكن الانتقال لم يكن ممكنا إتمامه بهذه السهولة ، أو هذه البساطة . فبعد اختفاء « ستالين » بالموت اختلجت الحركة في المكتب السياسي ، وانتقل النبض منها خافتا وضعيفا إلى بقية تنظيمات الحزب . وحدثت - وكان لابد أن تحدث - تفاعلات فكرية وذاتية لم يعد ممكنا تعطيلها . وهكذا سقط " مالينكوف » وأذيع بعد سقوطه بيان بأنه وذاتية لم يعد ممكنا تعطيلها . وهكذا سقط " مالينكوف » وأذيع بعد سقوطه بيان بأنه الوزارة ، وأن فهمه لمشاكل الزراعة مغلوط كما أن فهمه لمشاكل الصناعة غير كاف ، و « أنه بناء على ذلك يطلب إعفاءه من المسؤولية » - وأصدر المكتب السياسي قرارا يعهد فيه إلى « مالينكوف " بتولى منصب وزير القوى الكهربائية ، ثم مالبث أن عزل عن هذا المنصب أيضا مكتفيا بإدارة محطة كهربائية واحدة على تخوم سيبيريا .

وماهى إلا أسابيع أخرى حتى أعلن المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى عن تصفية أقوى رجل فى الاتحاد السوفيتى بعد « ستالين » وهو « لفرنتى بريا » وزير البوليس والأمن الداخلى . ولم يذكر المكتب السياسى فى بيانه كيف جرت تصفية « بريا » لكن التفاصيل التى تسربت بعد ذلك كشفت عن أن « بريا » حوكم بواسطة زملائه من أعضاء المكتب السياسى ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم استدعى إلى قاعة اجتماع المكتب السياسى جنرال من الجيش السوفيتى كلف بتنفيذ الحكم فورا ، وفذ بالفعل فى حجرة مجاورة .

وبدا في سنة ١٩٥٥ أن نجما جديدا يصعد إلى القمة في الكرملين بسرعة وحيوية وهو «نيكيتا خروشوف »، ومع ذلك فإن « خروشوف » كاد يسقط من حالق

بعد قليل حين رأى بعض الأقوياء في المكتب السياسي من امثال مولوتوف و « كاجانوفيتش » أن السكرتير العام الجديد بدأ يتجاوز حدوده . وعقدوا بالفعل جلسة لمحاكمته أرادوا عزله بعدها . وكان من ضمن التهم التي وجهوها إليه شهادة ادلى بها وزير الخارجية السوفيتية في ذلك الوقت ، وهو و ديمتري شبيلوف » الذي قال أمام المكتب السياسي : « إن خروشوف لايصلح بحكم تصرفاته أن يكون زعيما للاتحاد السوفيتي ، وأنه يكاد يذوب من الخجل مرات بسبب تصرفات خروشوف ، ومن أمثلة هذه التصرفات أنه _ أي شبيلوف _ حضر اجتماعا بين خروشوف ورئيس جمهورية فنلندا وطوال الاجتماع كان خروشوف لايكف عن هرش صدره ، وتحت إبطيه ، وكأن ملابسه الداخلية مملوءة بالقمل والبراغيت » .

لكن « خروشوف » استطاع أن يفلت من حصار الاتهامات والمؤامرة مستعينا بنفوذ حليفه في الجيش ، وهو الماريشال « جوكوف » بطل الحرب العالمية الثانية .

ولم تكد تمضى ثلاثة شهور حتى وجد «خروشوف» أن عليه التخلص من «جوكوف» بصرف النظر عن دينه له . ف «جوكوف» يستند على قاعدة الجيش وهذه القاعدة تمثل قوة حقيقية ، وبالتالى سلطة حقيقية ، واستطاع «خروشوف» أن يستميل إلى جانبه عددا من ماريشالات الاتحاد السوفيتى بينهم «كونيف» و «سوكولوفسكى» و « روكوسوفسكى » و « أنطونوف» و « مالينوفسكى» و « فاسيلفسكى » و « مروكوسوفسكى » و « أنطونوف » و « مالينوفسكى » و الذي اضطر إلى تقديم استقالته، ونشر باسمه بيانا في جريدة « برافدا » يقول فيه الذي اضطر إلى تقديم استقالته، ونشر باسمه بيانا في جريدة « برافدا » يقول فيه القد اكتشفت الآن لأسفى البالغ أننى ارتكبت أخطاء جسيمة في القوات المسلحة . فلقد حاولت عرقلة العمل السياسي للحزب في صفوف الجيش ، وإذ أعترف بأخطائي أمام المكتب السياسي ، فإنى أعترف أيضا بحق الحزب في تقويم هذه الأخطاء » .

هكذا يمكن القول دون مبالغة بأنه فى الوقت الذى احتدمت فيه جبهة الصراع فى الشرق الأوسط لم يكن الاتحاد السوفيتى مستعدا للمنطقة سياسيا ، أو جاهزا لها عسكريا . كانت التفاعلات الدولية تستغرق قيادته ، وقصارى ما كان يفرض نفسه عليها فى ذلك الوقت هو جبهة أوروبا وجبهة الصين بحكم استمرار الأوضاع الناشئة فى ظل معارك الحرب العالمية الثانية .

إن ذلك لاينفى بالطبع أنه كانت هناك نظرة سوفيتية لمنطقة الشرق الأوسط، واهتمام عام بأحوالها والتطورات المثيرة التي كانت تحدث على أرضها نتيجة للصراع

بين حركة القومية العربية، وبين الامبراطورية الأمريكية المتحفزة على إرث الامبراطورية القديمة.

والحقيقة أن الاهتمام السوفيتى بالمنطقة كان قائما وكامنا بحكم حقائق الجوار الجغراف ومطالبها ، وأولها مطلب الوصول إلى المياه الدافئة في الخليج والمحيط الهندى ، وهو مطلب بدأ يلح منذ أيام «بطرس الأكبر».

ولقد جرب الاتحاد السوفيتى في مؤتمر « يالطا » أن يحصل على نصيب في الشرق الأوسط الكن رياح الحرب الباردة مالبثت أن عصفت باتفاقية الثانى من وحاول الاتحاد السوفيتى بوسائل أخرى في إيران وفي اليونان في النصف الثانى من الأربعينات ، ولم يصادفه النجاح ، ثم قنع بالانتظار بعد ذلك معترفا بأن مجمل الأوضاع في الشرق الأوسط لا يعطيه مجالا كبيرا للحركة ، فالعناصر التقليدية حاكمة ، والبنى الاجتماعية ضعيفة ، والأحزاب الشيوعية شظايا مبعثرة ومطاردة .

وف كل الأحوال ، فإن التفاعلات الداخلية فيه كانت تستغرقه عن العمل في ميادين جديدة خارج أوروبا والصين .

وعندما بدأت رياح الثورة العربية تهب بعد يوم ٢٣ يوليو في مصر، فإن الانطباع الأول للاتحاد السوفيتي لم يكن مواتيا بل وكان عدائيا ضدها ـ ثم بدأت التطورات تلفت أنظار البعض فيه خصوصا عندما احتدمت المعركة في المنطقة ضد « حلف بغداد » ، فقد كانت هذه المعركة تنطوى على عناصر تهم الاتحاد السوفيتي مباشرة ، وتمس صميم أمنه .

وفى الفترة من قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ، وحتى آخر الخمسينات ، فإن توجهات الاتحاد السوفيتي نحو المنطقة لم تزد على قرارين استراتيجيين لا ثالث لهما :

□ أولهما: القرار بتزويد مصر بالسلاح ، ولعل الهدف الرئيسي فيه كان إحراج الغرب .

□ والثانى: هو القرار بتوجيه إنذار إلى أطراف العدوان الثلاثى وقت السويس، ولم يصدر هذا الإنذار إلا بعد أن كان العالم كله قد وقف بالكامل ضد العدوان في الأمم المتحدة وخارجها.

لكن صدور هذين القرارين الاستراتيجيين ، ثم مجمل التطورات التي تلاحقت بعد ذلك فرضت نفسها على الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي بدا فيه أن الأمور في الكرملين ، وعلى قمة القيادة السوفيتية بدأت تستقر لصالح « نيكيتا خروشوف »

وبقية ثلاثى القمة معه: الماريشال «فورشيلوف» رئيس الدولة، والماريشال «بولجانين » رئيس الوزراء – إلى جانبه هو كسكرتير عام للحزب الشيوعى السوفيتى وأول الأمناء للجنة المركزية.

هكذا في ذلك الصيف الحار من سنة ١٩٥٧ وحين راح = ايزنهاور » و « دالاس = يطلقان صيحات النذير والتحذير من خطر الاتحاد السوفيتي والشيوعية الدولية - كان الاتحاد السوفيتي بالكاد على وشك أن يضع لنفسه خطوط سياسة شرق أوسطية ، وعربية واضحة المعالم ، والواقع أن هذه الفرصة لاستعادة الاهتمام ، وإعادة التقييم ، ورسم سياسات جديدة ، وجدت نفسها بالمصادفات التاريخية امام قوة رئيسية واحدة قادرة على الفعل ، وهي قوة حركة التحرر الوطني الممثلة بحركة القومية العربية النشيطة وقتها على طول المنطقة وعرضها . لقد ثبت انها وحدها الأقدر على التصدى للاستعمار ومعنى ذلك التصدى للغرب . كما ثبت انها وحدها الأقدر على التحديك أوسع الجماهير ، وإيقاظ هممها وتحويل طاقاتها إلى تيار عارم متدفق - وليس فقط تجنيد بعض الأعضاء في السر كما تفعل الاحزاب الشيوعية . وقد أثر هذا الوجود الحي والقوى لحركة الثورة العربية على التشكيل الأولى لسياسة سوفيتية جديدة تجاه المنطقة - لكن هذا التلاقي لم يحدث ، ولم يكن له أن يحدث بطريقة ميكانيكية ، فقد كانت المسائل ما زالت تحتاج إلى الكثير من التفكير الإعمق والتجريب المباشر . لكن جسورا جرت تحتاج إلى الكثير من التفكير الإعمق والتجريب المباشر . لكن جسورا جرت تحتاج إلى الكثير من التفكير الإعمق والتجريب المباشر . لكن جسورا جرت إقامتها في هذه الفترة .

واللافت للنظر أن القوى الثورية في المنطقة ، وفي مقدمتها الثورة المصرية راحت تحاول الرد على صبيحات « ايزنهاور » و « دالاس » بالتشدد في مواجهة الشيوعيين ، ومطاردتهم ومحاكمتهم . وعلى سببيل المثال ، فإنه في آخر شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ قامت السلطات المصرية بضبط تنظيم شيوعي واعتقال أعضائه . ومع ذلك ففي يوم قامت السلطات المصرية بضبط تنظيم شيوعي واعتقال أعضائه . ومع ذلك ففي يوم 100 كتوبر ١٩٥٧ وقف « نيكيتا خروشوف » في اجتماع علني في موسكو يقول :

« إن جمال عبد الناصر ليس شيوعيا بل إنه يضع كل الشيوعيين المصريين في السجن ، ونحن نتعاون معه لأنه زعيم وطنى يقاوم الاستعمار بكل أشكاله ».

وكان « ايزنهاور » و « دالاس » مصممان على ترديد نفس الصيحة المنذرة بخطر الاتحاد السوفيتى والشيوعية الدولية . وجرت محاولات بائسة للبحث عن دليل . وتكشف وثيقة لوزارة الخارجية البريطانية برقم ١٠ / ١٠٢٤ ـ أن اكبر خبراء

وزارة الخارجية البريطانية في مسألة التغلغل السوفيتي كتب تقريرا لوزير الخارجية يقول فيه : « إنني لا أرى بموجب كل ما لدينا من معلومات أن هناك دليلا يؤيد تغلغل الاتحاد السوفيتي ، أو أي من الدول الدائرة في فلكه في الحياة الاقتصادية ألى مصر » . ومع ذلك فإن وكيل وزارة الخارجية البريطانية في ذلك الوقت السير « أيفون كيركباتريك » أضاف إلى البرقية تأشيرة بخطه قال فيها : « أوافق على أن هذا صحيح ، ولكنى اتساعل : اليس بوسعنا أن نفعل شيئا بالشواهد التي توجى بأن ناصر :

١ ـ يعتمد على مشتريات السوفيت من القطن المصرى.

٢ ـ يسمح لعدد من خبراء الكتلة السوفيتية بالوجود في المصانع المصرية (على سبيل المثال هناك ٨٠ خبيرا وعاملا تشيكيا في مصانع الخزف والصيني؟)

(إمضاء) ايفون كيركباتريك "

ولما كان الافتعال واضحا في مثل هذه المحاولات اليائسة ، فإنها لم تحقق اى قدر من النجاح ، والحقيقة أن مصر والاتحاد السوفيتي كليهما لم يكن قد استطاع من ناحيته أن يرسم لنفسه سياسة ثابتة تجاه الآخر . كانت هناك لقاءات ، وكانت هناك الصالات ، وكانت هناك خطوات عملية بعضها يصل إلى المستوى الاستراتيجي . لكن هذا كله لم يكن قد تم بعد تأسيسه على قواعد مستقرة . كان معظمه تعبيرا عن اهتمام ، وحوارا سريعا مع حوادث تقتضي ردود افعال لا تستطيع الانتظار حتى ينتهى بناء الطرق والجسور التي تمشى وتتحرك عليها الخطط والسياسات .

وبدا أن هناك حاجة إلى لقاء مباشر على مستوى القمة أو قربها تكون الفرصة متاحة فيه لحوار مباشر وصريح .



عبد الحكيم عامر يضحك لتعليق ابداه خروشوف ، وذلك في اول زيارة له لموسكو لمناقشة الأمور العسكرية وجس النبض بشأن السد العالي .

هذه الأسباب الظاهرة لم تكن كل شيء ، وإنما كانت هناك اسباب اخرى اولها ان جمال عبد الناصر الم يكن يريد لزيارته الأولى إلى الاتحاد السوفيتي ان تكون رحلة تقديم شكر على صفقة الأسلحة وعلى إنذار السويس أو رحلة تقديم طلبات ، فقد كان يريد عقد صفقة سلاح ثانية ، والحصول على قرض للتصنيع إلى جانب جس النبض في مشروع السد العالى ، وثانيها أنه وجد أن ظهوره شخصيا في موسكو مع توقيت الضغط على سوريا بكل الدعاوى التي يرددها الغرب قد يتخذ ذريعة ضمن ذرائع الدعاية الغربية ، وثالثها أنه كان يؤثر الحذر دائما ، ويفضل استكشاف المواقع قبل الدخول إليها ، ولعلها آثار تعليمه العسكرى

وكان « جمال عبد الناصر » يثق ثقة كاملة في السفير المصرى في موسكو وقتها وهو الأستاذ « محمد عوض القوني » ويعتبره أكفء سفير مصرى تعامل معه ،



يوم ٥ أكتوبر ١٩٥٧ ذهب السفير السوفيتى في القاهرة «ديمترى كيسيليف الله مقابلة الرئيس «جمال عبد الناصر» يحمل إليه مجموعة من صور أول قمر صناعى في العالم «سبوتنيك» الذي أطلقه الاتحاد السوفيتي (في اليوم السابق ٤ أكتوبر) إيذانا ببداية عصر الفضاء . كان إطلاق أول قمر صناعي إلى الفضاء انتصارا سوفيتيا لايحتمل الشك في مجال العلوم والتكنولوجيا ، وكان إطلاقه مفاجأة كبرى ظهر معها أن الاتحاد السوفيتي قد قفز خطوة هامة إلى الأمام سبق بها الولايات المتحدة الأمريكية .

وانتهز «كيسيليف» الفرصة فقال للرئيس «جمال عبد الناصر» إن القيادة السوفيتية تتمنى لو استطاع أن يزور الاتحاد السوفيتي قريبا ، ويشارك في احتفالات الثورة السوفيتية في عيدها الأربعين بعد شهر واحد (أى اوائل نوفمبر) - ورد «جمال عبد الناصر» بأنه «كان يتمنى أن يلبى الدعوة ، ولكن أمامه في مصر شواغل كثيرة تقيده ، فضلا عن أن الحملة الأمريكية والغربية التي تركز على سوريا تجعله يفضل البقاء لمتابعة التطورات ، ولكنه سوف يفكر في إرسال ممثل خاص له يشارك في الاحتفالات» . وأبدى «كيسيليف» ملاحظة أرسال ممثل خاص له يشارك في الاحتفالات» . وأبدى «كيسيليف» ملاحظة مؤداها « إنه يقترح بصفة شخصية أن يختار الرئيس ممثله في الاحتفالات على مستوى عال لأن القيادة السوفيتية تريد بحث العلاقات المصرية السوفيتية على مستوى يليق بأهميتها المتزايدة» . ورد عليه « جمال عبد الناصر » قائلا : « لقد خطر في ذهنى الآن أن أرسل إليكم عبد الحكيم عامر » . وأبدى «كيسيليف» حماسته للاختيار .

والحقيقة أن « جمال عبد الناصر » كان على استعداد لتلبية الدعوة والسفر إلى موسكو لو أن ذلك كان في استطاعته ، وكان يشعر برغبة في أن يعرف أكثر عن الاتحاد السوفيتي ، فلقد سمع كثيرا وتناقض ما سمعه مع بعضه ، وكان تقديره لصفقة السلاح السوفيتي كبيرا ، وكذلك كان تقديره للإنذار السوفيتي ، ثم جاء إطلاق القمر الصناعي فزاد من اهتمامه بأن يرى بنفسه ، وأن يسمع مباشرة .

وصحيح أن شواغله في مصر كانت تقتضى بقاءه في القاهرة ، كما أن الضغوط المتزايدة على سوريا كانت تحتم بقاءه في المنطقة قرب الحوادث ـ لكن

كما أن « القونى » كان على علاقة طيبة بالقيادات السوفيتية ، ومع ذلك قدر « جمال عبد الناصر » أن مناسبة سفر وفد مصرى على مستوى عال إلى موسكو سوف تتيح فرصة مركزة لتبادل الآراء على أعلى المستويات حتى بالنسبة لـ « القونى » نفسه .

وتم تشكيل الوفد المصرى وكان وفدا عسكريا صرفاً ، فقد رأى « جمال عبد الناصر » أن الطابع العسكرى للوفد سوف يخفى بعض المهام التى كلف بها « عبد الحكيم عامر » وأولها جس النبض بشأن السد العالى ، حتى إذا فرض وتردد السوفيت إزاء ضخامة المشروع ظل فى الإمكان إبقاء السبل مفتوحة على أبواب اخرى .

وهكذا ضم الوفد إلى جانب المشير = عبد الحكيم عامر » كلا من الفريق البحرى = سليمان عزت = واللواء طيار « جمال عفيفى » واللواء = حافظ اسماعيل » واللواء « عبد العزيز مصطفى = وعدد آخر من المساعدين والمرافقين .

كان الوفد برئيسه مهياً لتمثيل مصر ف العيد الخمسين للثورة السوفيتية . وكان مهيا بتشكيله العسكرى لبحث صفقة سلاح جديدة .

وفوق ذلك ، فقد كان « عبد الحكيم عامر » مكلفا بالاتفاق على حجم قرض معقول لبرامج التصنيع ، فإذا ما تم الاتفاق عليه سافر إلى موسكو الدكتور « عزيز صدقى » وزير الصناعة بادئا من إطار الاتفاق إلى تفاصيل مشروعاته .

واما بالنسبة للسد العالى ، فقد كان التكليف إلى « عبد الحكيم عامر » بان يسأل فقط عن مدى الاستعداد السوفيتي دون الدخول في تفاصيل .

وف أول نوفمبر وصل « عبد الحكيم عامر » إلى موسكو مستقلا طائرة سوفيتية خاصة من طراز « ت ى ١٠٤ » وكان هذا الطراز من الطائرات الكبيرة النفاثة في ذلك الوقت معجزة طائرة !(١)

يوم أول نوفمبر ١٩٥٧ كان « عبد الحكيم عامر » فى موسكو ، وأول ارتباطاته فيها دعوة على العشاء فى مقر وزارة الدفاع السوفيتية . ووجد نفسه محاطا بكل النجوم من ماريشالات الاتحاد السوفيتي الذين قادوا أكبر الجيوش فى اخطر معارك الحرب العالمية الثانية .

ف أول نوفمبر ـ نفس اليوم ـ أذيعت في القاهرة الأحكام الصادرة عن المحكمة العسكرية العليا في قضية الشيوعية ، وأعلنت الأحكام بالفعل على ١٨ متهما تراوحت مدد العقوبات المحكوم بها عليهم ما بين ٦ و ١٢ سنة .

وكان التوقيت بطبيعة الحال مقصودا . ويبدو أن « جمال عبد الناصر » اراده إعلانا للعالم له دلالته في يوم وصول « عبد الحكيم عامر » إلى موسكو ـ من ناحية ـ ومن ناحية أخرى ـ اختبارا مبكرا ومباشرا لردود الفعل السوفيتية ، ورسالة لها معناها حتى وإن بدت غير دبلوماسية .

وبرغم ذلك ، فإن « عبد الحكيم عامر » في موسكو كان يسبح في الأضواء الباهرة للدبلوماسية السوفيتية عند أعلى مستوياتها .

ف اليوم التالى لوصوله إلى موسكو كان مدعوا إلى حفل عشاء كبير أقيم في قاعة «كاترين العظيمة » وهي أفخم قاعات الكرملين بأعمدتها الرخامية البيضاء الشاهقة ، وجدرانها وسقوفها المغطاة بالذهب ، وثرياتها التي لم يبدع أساطين الفن في أوروبا أجمل منها ولا أروع .

وعندما دخل «عبد الحكيم عامر» إلى قاعة الكاترين» كان محط الانظار بالفعل، وكان ذلك راجعا بطبيعة الحال إلى أنه دخل في هذه اللحظة ممثلا لمجد السويس. وأقبل عليه كبار المدعوين يتسابقون إلى مصافحته، وكان المشهد مثيرا للاهتمام. وأقبل «ماو تسى تونج »قائد الثورة الصينية يصافحه، ويظل ممسكا بيده وهو يقول له: «قل للرئيس ناصر إننى أريد أن أراه، وإننى معجب بكفاحه وصلابته في سبيل استقلال بلاده وحريتها، فأنا أحب جميع الذين يحبون حريتهم الأمسك «ماوتسى تونج» بكتف «عبد الحكيم عامر» وقال له: «إننى سعيد أن وزير حربية مصر شاب إلى هذه الدرجة، فالمجهود العسكرى اليوم يقتضى جهدا لايقدر عليه غير الشباب، وأريد أن أقول لك نصيحة من صديق اكبر منك سنا»، وسكت «ماوتسى تونج» لحظة، ثم استطرد قائلا له عبد الحكيم الحبر منك سنا»، وسكت «ماوتسى تونج» لحظة، ثم استطرد قائلا له عبد الحكيم

⁽۱) شاعت في الظروف أن أكون المدنى الوهيد الذي يسافر مع هذا الوفد العسكري ، فقد دعاني الرئيس ، جمال عبد الناصر » إلى لقائم يوم ۲۸ أكتوبر وقاجاني بقوله :

[«] هل لديك استعداد للسفر إلى موسكو مع عبد الحكيم ؟ »

ثم شرح في مهمة الوفد ورئيسه ، واضاف : « إنني إتمنى لو انك تمكنت من الذهاب ، فانا اريد رؤية سياسية لاتجاهات السوفيت نحونا ، وسوف تسنح لك الفرصة مع الوفد لكى ترى كل شيء . عبد الحكيم كما تعرف سوف يكون مستفرقا في مهامه الرسمية إلى جانب المراسم ، ثم إنه بطبيعته لا يستطيع إستعادة التفاصيل ، . واضاف ضاحكا : « من مشاكل عبد الحكيم انك لو سائته عن قصة سيدنا يوسف لرد عليك بانها « قصة صبى تاه ثم لقوه ، ! ـ وليس هذا ما اريد معرفته .

إن الاتحاد السوفيتي قوة عظمي ، ونحن سنتعامل معهم لسنوات طويلة قادمة ، و في مسائل حيوية بالنسبة لنا ، وسوف يفيدني كثيرا أن أسمع منك حين تعود وبالتفاصيل . أريدك أيضًا مع عبد الحكيم . ولا تنسى أنها فرصة لك أيضًا كصحفي . »

⁻ ورددت بانه ليس ف حاجة إلى هذا كله لاقناعى بالسفر إلى موسكو ، واننى جاهز من الآن للرحلة ، وهكذا جرى ضمى إلى الوفد الرسمى في اللحفلة الأخيرة ، وكانت تلك مفاجاة للسوفيت ، وقد احسست حتى من السفارة السوفيت في عسكرى ! السوفيت في حيرة بسبب فلهورى المفلجىء مدنيا وحيدا ضمن وفد عسكرى !

عامر »: « جنرال عامر لاتدخر جهدا في الاستعداد ، وفي تدريب جنودك ، لن يتركوكم ولاتتصوروا أنهم سوف يسكتون عنكم بل هم سوف يطاردونكم إلى أخر الأرض ». وفي هذه اللحظة اقترب « هوشي منه » من الاثنين ، وهو يسحب في يده الاسقف « هيوليت جونسون » وكان معروفا بأفكاره التقدمية حتى أطلق عليه وصف « الأسقف الأحمر » .

وقال « هوشى منه • لـ « عبد الحكيم عامر » : « لقد كنا نتابعكم ساعة بساعة ، وكانت قلوبنا معكم ، وقد أحسسنا بفخر عندما رفضتم الإنذار البريطانى الفرنسى ، وقررتم المقاومة مهما كانت التضحيات . إن الذى يحسب التضحيات أمام نداء الحرية سوف يجد نفسه يخسر الاثنين – حريته وتضحياته – بغير قتال » .

لم يكن « خروشوف » قد التقى بعد ب « عبد الحكيم عامر » وأقبل السفير « سيمونوف » وكيل وزارة الخارجية السوفيتية يربت على كتف « عبد الحكيم عامر » يستأذنه في كلمة ، ثم يهمس في أذنه بأن « خروشوف » يريد أن يراه بعد أن يفرغ من حديثه مع « ماو تسى تونج » و « هوشي منه » . وبعد دقائق توجه « عبد الحكيم عامر » إلى حيث يقف « سيمونوف » ومعه السفير « محمد القونى » والسفير « نيكولاى تسائيتسيف » ثم تحرك الثلاثة نحو باب القاعة حيث كان « خروشوف » ينتظر في أحد الأركان . وهمس «سيمونوف » في أذن «عبد الحكيم عامر » قائلا : «هل لاحظت . . . سفير فرنسا وسفير اسرائيل كلاهما يتابع كل سكنة وكل حركة تقوم بها » . وكان « خروشوف » قد مد يده لـ « عبد الحكيم عامر » مرحبا ، ثم احتضنه وقبله والأضواء كلها مسلطة عليهما وكذلك الأنظار . وقال « خروشوف » : « يبدو أننا لن نستطيع أن نتحدث طويلا في هذا الجو . إنني تركتك في أول يوم لزيارتك إلى العسكريين لكنى لا أنوى أن أتركك معهم طويلا ، لقد فهمت أن الرئيس ناصر كلفك أن تبحث معنا عددا من المسائل، وأريد أن أعرف منك رؤوس موضوعاتها حتى نستطيع أن نقرر من يمثلنا في التفاوض بشأنها معك » . ورد ■ عبد الحكيم عامر» بسرعة : « إننى مكلف بثلاثة أنواع من المسائل : سياسية -اقتصادية - عسكرية ، . ورد « خروشوف ، قائلا : « حسنا . سوف أقول لك من الآن من سيتحدث معك في كل مسألة .

□ في المسائل السياسية سوف يكون حديثك معى ومع بولجانين (رئيس الوزراء) ومع جروميكو (وزير الخارجية).

□ وفي المسائل الاقتصادية سوف يكون حديثك مع ميكويان (نائب رئيس

الوزراء للشؤون الاقتصادية) وبيروفكين (المشرف العام على العلاقات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتي) .

□ وفي المسائل العسكرية سوف يكون حديثك مع الماريشال مالينوفسكى (وزير الدفاع) والماريشال سوكولوفسكى (نائبه) . »

وتساءل " خروشوف » : « هل هذا كاف ؟ » ، وتولى الاجابة نيابة عن " عبد الحكيم عامر " السفير المصرى « محمد عوض القونى " الذى قال لـ « خروشوف " : « إن هذا أرفع مستوى يمكن أن يتفاوض فيه الاتحاد السوفيتي مع أى دولة أخرى ، ونحن شاكرون لهذا الاهتمام » .

وكان الاهتمام بالفعل غير مسبوق في علاقات الاتحاد السوفيتي بأي دولة

في المسائل العسكرية لم يطل النقاش. فقد تمت الموافقة على طلبات « عبد الحكيم عامر » وجرى توقيع عقد لصفقة سلاح جديدة .

وفي المسائل السياسية بدا أن الاتحاد السوفيتي يتفهم دور مصر في العالم العربي ويقدر عاليا مقاومتها للاستعمار وأحلافه ، ويؤكد استعداده لمساندة مواقفها على النحو الذي تقرره هي وتختاره .

وفي المسائل الاقتصادية كان «عبد الحكيم عامر» يحمل معه مشروع السنوات الخمس الأولى للتصنيع. وقد فوجىء بأن الجلسة المخصصة لبحث المسائل الاقتصادية لم تقتصر على « ميكويان » وحده ، وإنما جاء معه كل من فروشوف » و « بولجانين » . وعرض « عبد الحكيم عامر » تفاصيل المشروع فائلا : « إنه بالفعل مشروع طموح لكن الاستقلال الاقتصادى هو الوسيلة الوحيدة التي تراها مصر لتحقيق ثلاثة أهداف في نفس الوقت : أن تقدر على مواجهة الحصار الاقتصادى الذي يحاولون فرضه عليها - وأن تواجه مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية الحقيقية بما فيها زيادة عدد السكان - وأن تأخذ دورها الطبيعي كدولة قوية في المنطقة » . وقال « عبد الحكيم عامر » : « إن مصر لاتحتاج إلى منح ولا إلى هبات ، وإنما هي تريد مصانع وتريد أن تدفع ثمنها بشروط محتملة . فهي تريد أن تدفع بالتقسيط ، وتريد أن يبدأ الدفع بعد أن نبدأ هذه المصانع في إنتاجها فعلا » .

وعرض « خروشوف " استعداد الاتحاد السوفيتي للمساهمة به ٥٠ مليون جنيه في مشروع الخطة بفائدة قدرها ٢٠,٥ مع فترة سماح مدنها خمس سنوات ، ومع تأسيط المبلغ على مدى ١٢ سنة بعد انتهاء فترة السماح . ثم توجه « خروشوف » إلى " عبد الحكيم عامر » بسؤال قائلا : « هل تعتقد أنه إسهام معقول ؟ » ورد " عبد الحكيم عامر » قائلا : « إنه لم يجىء إلى الاتحاد السوفيتي ليساوم ، وإن مصر طلبت فعلا ما هي في حاجة إليه ، وإنها لا تريد أن يتحمل أصدقاؤها أكثر مما يطيقون » ثم أضاف : « إنه في كل الأحوال سوف يتصل بالرئيس جمال عبد الناصر [القاهرة » .

وكان هناك اجتماع آخر في الصباح بدأه "خروشوف " بسؤال « عبد الحكيم عامر " : « ماذا قال الرئيس عبد الناصر عن عرضنا أمس ؟ " ورد « عبد الحكيم عامر " قائلا : « لقد كلفنى أن أوجه إليكم شكره " . وابتسم " خروشوف " وقال : « يظهر أنه غير راض تماما عما فعلناه هنا . نحن نريدكم أن تشعروا أننا نقدر مشاكلكم ، ونريد أن نطمئن إلى أنكم راضون تماما عن هذه المهمة التي جئت من أجلها إلى موسكو " .

وفي المساء تولى « خروشوف " إبلاغ " عبد الحكيم عامر » بأن القيادة السوفيتية قررت رفع مساهمتها في خطّ التصنيع الأولى إلى ٧٠٠ مليون روبل أي ٢٢ مليون جنيه . وأبدى " عبد الحكيم عامر » تأثره ، ثم أضاف : " الحقيقة أن هذا التجاوب من جانبكم يستحق التقدير " وقد كنت أريد أن أطرح موضوعا أخر للمناقشة ، ولكنى سوف أطرحه الآن كمجرد رأس موضوع لمجرد التفكير فيه ، وليس لاتخاذ قرار عاجل ، وأقصه به مشروع السد العالى . إن مشروع السد العالى . إن مشروع السد العالى عما تعرفون هو الآن محود نضالنا بعد معركة قناة السويس ، ونحن نتصور أن بناءه هو الهدف الرئيسي لنا في المرحلة القادمة » .

Ø

ولم تكن الأمور تحت السطح بهذا البساطة البادية عليها . فالعلاقات بين القوى ليست عواطف أو مجاملات ، وإنها هناك وراء العواطف والمجاملات نوايا ومقاصد تتحين الفرصة لكى تتحسس طريقها ، ولاتريد أن تكشف عن سرها بسرعة قبل أن تتأكد من مواقع أقدامها . ولقد كانت هناك مجموعة من الإشارات تلفت الانتباه :

۱- كان هناك الاهتمام المتزابد من جانب العسكريين السوفيت . فحفاوتهم البالغة بضابط مهسرى شاب ، واستعدادهم لاحاديث

مستفيضة معه حول موقع الشرق الأوسط وخطورته الاستراتيجية ، واهمية المحيطات والممرات المائية التي تحيط به كانت تنبيء باهتمام يتخطى اللحظة الراهنة .

٢ - كانت هناك حادثة فرضت نفسها بسرعة ، ثم أمكن تدارك آثارها بطريقة أسرع . فأثناء حفل عشاء بدا أن السفير «نيكولاي تسائيتسيف = قد احتسى من أقداح الـ = فودكا » ما كان اقوى من سيطرته على لسانه ، فإذا هو يقول للواء « حافظ اسماعيل ، عضو الوفد ، ولعدد من العسكريين الواقفين معه : « أنتم تتكلمون عن الحياد وعدم الانحياز وهذا لن يجديكم . لابد لكم أن تختاروا ، وإذا اخترتم جانبنا ، فإننا قادرون على حل جميع مشاكلكم ، . وفوجىء « حافظ اسماعيل » كما فوجىء الملحق العسكرى المصرى الذي كان يقف معه ومع « تسائيتسيف » . وسارع « حافظ اسماعيل » فابلغ « عبد الحكيم عامر » بما سمع ، فقام بدعوة السفير » القوني » إلى مقابلته ونقل إليه ما جرى ، وكان رأى السفير ، القونى ، أنه لا يمكن السكوت على هذه الملاحظة ، وأنه سوف يثيرها مع « سيمونوف « ويطلب إيضاحا عنها . وفعل « القوني » ما تعهد به ، وتلقى الإيضاح المطلوب بالاعتذار عن ملاحظة « تسائيتسيف » و إلقاء مسؤوليتها على « حمى الفودكا » ، ثم تأكد الاعتذار في اليوم التالي حين تقرر سحب « تسائيتسيف» من عضوية الوفد السوفيتي .

لكن ملاحظة « تسائيتسيف » ظلت بعد ذلك إشارة تستحق التامل والدرس .

٣ - وكان هناك إلى جانب ذلك هذا الفيض من الحفاوة والمبالغة في الإطراء ، وكان يمكن أن يعزى هذا ألفيض إلى كرم المشاعر وحدها ، وبالتأكيد فقد كان فيه الكثير من كرم المشاعر ، ولكن كرم المشاعر الزائد في السياسة الدولية حرى بأن يلفت الانظار خصوصا في العلاقات بين قوة عظمى وقوة صغيرة - فلقد دعى « عبد الحكيم عامر » مثلا إلى الوقوف يوم الاحتفال بعيد الثورة على شرفة مقبرة - لينين » جنبا إلى جنب مع قادة الاتحاد السوفيتى ، وضيوف من أمثال « ماو تسى تونج - جنب مع قادة الاتحاد السوفيتى ، وضيوف » دعاه إلى بيته على فنجان شاى مع اسرته قائلا له إنه يعتبره مثل ابن له تماما . ولما كان هذا أول لقاء

بينهما ، فإن هذه العواطف بدت موضع تقدير من ناحية ، وموضع تدقيق من ناحية أخرى .

وللإنصاف ، فلعل الاتحاد السوفيتى أراد بهذه الحفاوة كلها أن يؤكد أهمية علاقاته مع مصر ، وأن يفتح أبوابا على مصاريعها حتى تكون الطرق سالكة عندما يستقر على تخطيط سياسى شامل للمنطقة التى بدا له من أول لحظة أن مصر تلعب فيها دورا بالغ التأثير ، وتقود فيها حركة تتعدى حدودها ، وتلفت الأنظار إليها كظاهرة فريدة في السياسة الدولية في ذلك الوقت .

ومن الواضح أن حذر الاتحاد السوفيتى في علاقاته مع مصر، وحرصه على مراعاة الحدود التي وضعتها لسياستها المستقلة لم تكن خافية على الغرب. ويوضح تقرير لوزارة الخارجية البريطانية (٢) أن السفير البريطاني في موسكو استطاع أن يقدر على وجه سليم حقيقة الوضع، فقد كتب إلى وزير خارجيته تقريرا بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٥٧ جاء فيه: « ليس هناك شك في أن السوفيت يراعون مشاعر مصر الوطنية والقومية، ويحاذرون من أي إشارة يمكن أن تسيء إليها. ومن المؤكد أن العلاقات الوثيقة بين الطرفين لن تسفر عن أي تغلغل شيوعي في مصر، بل إن الحزب الشيوعي سوف يظل ممنوعا، كما أن أقطابه سوف يظلون أن السجن. ولن يحول الاتحاد السوفيتي التدخل لصالحهم، ولن يكون المشيوعيين دور في العلاقات المصرية السوفيتية. ومن الواضح أن الكرملين يظهر بكل الوسائل أنه لا يرغب في فرض عقائده السياسية على الآخرين».



ولعل خير وسيلة لاستكشاف معالم التفكير السوفيتى بشأن مصر ، وبشأن الشرق الأوسط في هذه الفترة هي العودة إلى نصوص حوار جرى في أثناء هذه الزيارة مع الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » .(٣)

6

سألت « خروشوف » عن سياسة الاتحاد السوفيتى في الشرق الأوسط ، منجاب : « إن سياسة الاتحاد السوفيتى في الشرق الأوسط و اهدافه لاتختلف عن سياسته و اهدافه في أى منطقة أخرى غير الشرق الأوسط . ولكن الشرق الأوسط بسبب ظروفه يمثل جزءا هاما وحساسا من أحداث العالم الآن . ذلك أن شعوب هذه المنطقة تكافح في سبيل استقلالها . بعضها استطاع تحرير نفسه ، وبعضها مازال يواصل معارك التحرير . بعضها حقق استقلاله ، وبعضها أخذ استقلالا ظاهريا تدعيه حكومات لا تمثل في الواقع أمانى شعوبها . وهذه الحكومات نمارس سياسة هي في حقيقة الأمر سياسة الاستعمار . وبسبب هذه الظروف تمارس سياسة هي في هذا الموقت من التاريخ - يعلق الاتحاد السوفيتي اهمية كبرى على كفاح شعوب المنطقة ، وسياسته في هذا هي أن يساهم في تدعيم كبرى على كفاح شعوب المنطقة ، وسياسته في هذا هي أن يساهم في تدعيم الاستقلال السياسي والاقتصادي للدول المستقلة حتى يصان استقلالها ، وان يناصر الذين يكافحون من أجل استقلالهم حتى يصلوا إلى هذا الاستقلال

● وسألت « خروشوف " عما إذا كانت هناك قاعدة معينة تحكم علاقاتهم مع دول المنطقة ، وكلها تتبع أنظمة إجتماعية وسياسية تختلف عن نظام الاتحاد السوفيتي يرتب سياسته السوفيتي ، وأجاب خروشوف : « صدقني إن الاتحاد السوفيتي يرتب سياسته على أساس العقيدة « اللينينية " في التعايش السلمي ، ونحن نعتقد أن تعزيز التعايش السلمي بيننا ، وبين الآخرين مهما اختلفت نظمهم الاجتماعية والسياسية هو الطريق الوحيد لصيانة السلام . "

● وسألت « خروشوف » عن رأيه في أسباب التوتر في الشرق الأوسط ، فقال :

 ⁽٣) أجريت هذا الحديث مع « نيكيتا خروشوف » يوم السبت ١٦ نوفمبر ١٩٥٧ ق الساعة الثانية عشرة ظهرا ق مكتبه بالدور العاشر من مبنى مقر اللجنة المركزية . وقد امتد لساعتين كاملتين ، ونشرت نصوصه الكاملة ق وقلها ق عدد » الإهرام » الصادر يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر ١٩٥٧ .

⁽٢) التقرير رقم ١٢٥٤٣٥ في مجموعة ملقات وزارة الخارجية البريطانية .

"إن الاسباب الحقيقية للتوتر ـ كما نراها ـ ان الاستعمار اضطر تحت ضغط شعوب المنطقة إلى التسليم بتنازلات لهذه الشعوب ، ولكنه مازال يحاول إبقاء زمام السيطرة الفعلية في يده . خذ بريطانيا مثلا ، وبريطانيا في هذا الموضوع لها تجربة كبيرة . إن بريطانيا تدعى أن سياستها هي منح المستعمرات استقلالها تمشيا مع أماني الشعوب ، ولكن هذه تصريحات مكشوفة ، إنها اضطرت للتراجع بعض الشيء لانها لم تستطع أن تستمر في فرض سيطرتها بالوسائل التقليدية ، وبريطانيا لاتريد أن تسلم ، لهذا فهي تلجأ إلى وسائل أخرى : أولها على سبيل المثال أن تبدو في الظاهر كمن يحاول الاستجابة لمطالب الشعوب بينما تعمل في الواقع على استبقاء مراكز نفوذها . وإحدى الوسائل في هذا السبيل هي خلق الحكومات الخائنة لشعوبها المرتشية من المستعمرين . يريد الاستعمار بذلك أن يوهم الشعوب أنها تحكم نفسها بأبنائها . بينما الواقع يريد الاستعمار بذلك أن يوهم الشعوب أنها تحكم نفسها بأبنائها . بينما الواقع القائم يقول لنا إن الاستعمار هو الذي يحكم .

إن الاستعمار يريد أن يبقى في مواقعه ، لكى يواصل استغلاله للموارد الطبيعية في المنطقة ، والشعوب تريده أن يخرج ، وقوة الاستعمار وقوة الشعوب في معركة حامية من أجل هذا السبب . إن الشعوب تريد حكومات تعكس إراداتها ، وهذا آخر ما يريده الاستعمار بدليل أنه عندما قامت في بعض هذه الدول حكومات تمثل شعوبها تمثيلا حقيقيا ، كما حدث في مصر وسوريا ، فإن حقد الاستعمار عليها وحربه ضدها لايعرف حدا يقف بعده . إن الاستعمار في حقده يلجأ إلى كل سبيل : يلجأ إلى الشك ، يلجأ إلى إرسال جواسيس ، يلجأ إلى نشر الإشاعات ، بل يلجأ إلى القتل ، وصدقنى إن ترسانة الاستعمار مليئة بأنواع كثيرة من السموم .

خذ مصر، إن مصر تملك في أرضها قناة ، هي قناة السويس ، التي تعتبر أهم نقطة في المواصلات بين أوروبا وأسيا وأفريقيا . والاستعمار يريد إبقاء سيطرته على هذه المنطقة ، لهذا فهو يريد أن تكون في مصر حكومة موالية يختارها وينتقيها على هواه . ويصل الأمر إلى حد أن تتكاتف دول الاستعمار جميعها في الهجوم على مصر . وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التي أعلنت في الظاهر عدم رضائها عن هجوم حلفائها على مصر كانت معهم إن المؤامرة ، وإنما كان هناك نوع من توزيع أدوار الرواية على الممثلين . واقد فشلت الرواية اعنى فشلت المؤامرة ـ وبقيت الحكومة المصرية الوطنية التي كان الاستعمار يريد الخلاص منها . ولقد كانت الخطة أن يتم القضاء على هذه الحكومة الوطنية بينما الأمم المتحدة تناقش مشكلة العدوان ، وكان التقدير أن لا تنتهى هذه المكون في مصر حكومة موالية مستعدة للتسليم . وهكذا لابد أن

اقول: إن مقاومة الشعب المصرى وحكومته كانت العامل الأول في إحباط المؤامرة ، ولكنى أيضا لا أريد أن أكون متواضعا إلى الحد الذى اتغافل معه عن الدور الذى قام به الاتحاد السوفيتي في سبيل إحباط خطة العدوان .

ولقد كان قصدنا أن نكشف أمريكا حين عرضنا عليها - قبل أن نوجه إنذارنا للمعتدين - أن تشترك معنا باسم الأمم المتحدة في عمل مسلح لوقف العدوان على مصر . إن أمريكا رفضت ، وكنا نعرف أنها سوف ترفض ، ولكن قصدنا كان أن نكشف حيلتها ، ونفضح دورها في المؤامرة . ولقد افتضح هذا الدور الأمريكي وانكشف ما كان خافيا من أمره بعد أن فشل العدوان على مصر ، فلقد خرجت الولايات المتحدة علنا تحاول أن تساعد حلفاءها في ما لم يستطيعوا وحدهم القيام به . وكانت تساعدهم بطريقة غريبة . كانت تساعدهم على طريقة حبل المشنقة حين يساعد المشنوق ! أعلنت الولايات المتحدة فجأة مبدأ ايزنهاور الذي يدعى نظرية ملء الفراغ في الشرق الأوسط . وكنت في دهشة من حكاية هذا الفراغ الذي يريدون ملأه في الشرق الأوسط . أين هو هذا الفراغ ؟ إن الشرق الأوسط منطقة مزدحمة بالسكان ، ثم إنه المنطقة التي نشأ فيها الجنس البشري وحبا إلى الحضارة ، ثم هو منبت الثقافات .

كان المعنى الوحيد لإعلان هذا المبدأ من جانب ايزنهاور هو أن أمريكا لاتعترف بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، وتعتقد بأن هذه الشعوب يجب أن نظل تحت الوصاية ، وصايتها طبعا . ولجأت الولايات المتجدة إلى أساليب جديدة وحديثة ومبتكرة ، ولكن القفازات البيضاء في يد القاتل لاتستطيع تخفيف الألم عن الضحية . وهنا لم تكن الولايات المتحدة تعمل لضمان مصالح بريطانيا وفرنسا ، وإنما كانت تعمل لضمان مصالح احتكارات البترول . إنهم يريدون الغنى بأى شكل وأى وسيلة ، ورائحة البترول بما تشيعه حولها من احلام ـ تفقدهم أعصابهم . ولما وجدوا أن الخطة ضد الهدف الأول وهو مصر لم تنجح تحولوا إلى هدف ثان ، وهكذا بدأت عملية سوريا . "

● وسألت « خروشوف » عن معلومات الاتحاد السوفيتى عما يجرى فى سوريا والضغوط الواقعة عليها ، وما إذا كان لديهم ما يثبت المؤامرة ضد سوريا . وقال خروشوف : « لدينا معلومات كاملة(٤) ونحن واثقون من دقتها ، وسوف اطلعك

⁽¹⁾ اتضح فيما بعد أن الاتحاد السوفيتي كانت لديه معلومات كاملة عما يجرى ضد سوريا ، وكان الجاسوس الأشهر ، كيم فيلبي ، هو الذي نقل المعلومات إليهم من بيروت ، وقد حصل عليها من ، ولبور ايفلاند ، مندوب المضابرات الأمريكية في سوريا ، وكان ، كيم ، ـ وهو ابن المستشرق ، فيلبي ــ قد وصل إلى أن أصبح نائب مدير المخابرات البريطانية ، وفي نفس الوقت فقد كان يعمل لحساب السوفيت ، وكان رجلهم الحقيقي قرب قمة جهاز M.1.6.

الفصل الـرابع



كان الزعيم السوفيتى «نيكيتا خروشوف» محقا ودقيقا إلى أبعد مدى ف الصورة التى عرضها عن الأخطار المحدقة بسوريا بعد أن اتجهت إليها عواصف المؤامرة التى تمكنت مصر من صدها ، وإرغامها على التراجع في معركة السويس المنتصرة . ولعل «خروشوف» وهو يرسم تفاصيل الصورة كان يملك من الوثائق السرية التى حصلت عليها المخابرات السوفيتية ما يعزز روايته عن كل ما كان يجرى في الخفاء .

إن الوبائق السرية للحكومة السورية والحكومة العراقية ، وكذلك الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية تكاد تتماشى حرفا بحرف مع الخطوط التى وردت في الصورة كما رسمها « خروشوف » .

في البداية كانت المؤامرات وهدفها الغزو من الداخل على حد تعبير « دالاس » . وكانت أشهر المؤامرات هي ما عرف باسم « قضية الدندشي » التي انكشفت وثائقها بالكامل بعد سقوط حلف بغداد . لقد بدأ انكشاف المؤامرة في الواقع قبل سقوط حلف بغداد ، ودارت بشأنها محاكمات في دمشق استمرت طوال عام ١٩٥٧ ، لكن الشكوك ظلت تساور البعض في أن ما عرض من أدلة الاتهام في هذه المحاكمات كان « مصنوعا » بقصد الدعاية السياسية ، حتى جاءت الوثائق الأصلية بعد سقوط حلف بغداد لتؤكد أن ما ظهر في محاكمات دمشق قبلها كان مجرد لمحة مبكرة من الحقيقة .

على ملخصها . إنهم دبروا مؤامرات للاستيلاء على سوريا من الداخل ، وعندما لم تنجح هذه المؤامرات رأت الولايات المتحدة أن تدفع الأردن والعراق إلى مهاجمة سوريا . وكان تصورهم أن ذلك لو حدث ـ فإن الولايات المتحدة الأمريكية تبدو بعيدة بينما ينحصر الأمر في نطاق دول عربية تتقاتل مع بعضها . ولقد تبين ان تنفيذ المؤامرة ضد سوريا على هذا النحو مستحيل . وأريد أن أحدد لك نقطة هامة ، وهي أن مبعث الاستحالة هنا لم يكن رفض حكومة الأردن وحكومة العراق القيام بما طلب منهما ، ولكن كان مبعث الاستحالة أن كلا من الحكومتين وجدت أنها لا تستطيع ضمان جيشها في مثل هذه الحالة . ولقد قالت هاتان الحكومتان هذا الكلام بصراحة للحكومة الأمريكية ، وقالتا إنهما تخشيان في مثل هذه الظروف أن تنضم قواتهما إلى الناحية الأخرى . وفي هذا الوقت عرضت إسرائيل إستعدادها لتنفيذ المهمة ، ولكن الولايات المتحدة منعت إسرائيل من الهجوم لأنها وجدت أن ظهور إسرائيل على المسرح سيكون دافعا إلى تكتل جميع الشعوب العربية . وهنا اتجه تفكير الولايات المتحدة إلى تركيا ، وكانت وجهة نظرها أن تركيا دولة مسلمة ، وسوريا دولة مسلمة . وعلى هذا النحو فإن هذا الوضع كان يضمن للولايات المتحدة أن تظل بعيدة عن خشبة المسرح بينما الدول الاسلامية تتقاتل مع بعضها . إن أمام الأتراك الفرصة كاملة ليروا ان الأراء التي تجيئهم من أصدقاء عبر الأطلنطي ليست دائما آراء ناضجة . ولقد وجهنا إنذارا للحكومة التركية ، ولعلها تكتشف أن الإله الأمريكي الذي تعبده ليس قويا إلى الحد الذي تتصوره . إن تركيا جار لنا ، ونحن نريد أن نعيش معها في صداقة وهدوء . وكذلك فنحن نريد من تركيا أن تعيش مع بقية جيرانها في صداقة وهدوء . إن صداقة القوى عقل ، وأما صداقة الضعيف ففيها وحدها يبدو حسن النوايا وحسن الأخلاق.»

منذ وقت مبكر ـ قبل السويس وحتى من قبل ثورة سنة ١٩٥٢ ـ كانت سوريا هي البؤرة الفوارة للصراع على الشرق الأوسط وفيه . كانت هي قلب العالم العربي ف نفس الوقت الذي كانت القاهرة هي موقع القوة فيه . وإذا كان ضرب موقع القوة هو الهدف النهائي ، فإن الاستيلاء على القلب ظل قبل كل المواقع وبعد كل المواقع مطلبا دائما .

وبصرف النظر عن تواصل موجات التاريخ العربى القديم ، فإن التاريخ الحديث يثبت أن الصراع على أقدار المنطقة كان هو نفسه الصراع على مصائر سوريا .

بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ـ وفى الوقت الذى دخلت مصر فيه عصر الدوامات الثورية ـ ظلت سوريا تقوم بوظيفة القلب فى الحركة العربية العامة التى لسعتها نار الهزيمة ومخاطر قيام دولة إسرائيل . وإلى جانب ذلك ، فقد كانت هناك مخاطر إضافية تتعلق بسوريا على وجه التحديد .

□ اولها: أن مصالح البترول الأمريكية ـ شركة «أرامكو» بالتحديد ـ راحت تراها أقرب طريق للأنابيب يحمل بترولها إلى الشرق الأوسط.

□ وثانيها: أن الهاشميين كانوا يرون لأنفسهم حقا فيها ، وإن تضاربت المشروعات المعبرة عن هذه الحقوق ، ففي حين أن رجل العرش الهاشمي في بغداد ـ « نورى السعيد » ـ كان يراها جزءا من مشروع الهلال الخصيب ـ فإن الجالس على العرش الهاشمي في عمان ـ الملك « عبد الله » ـ كان يراها جزءا من سوريا الكبرى .

□ وثالثها: أن قيام لبنان وبروز دور بيروت على شاطىء البحر الأبيض كقاعدة خلفية لعمليات البترول، وكمركز تسمع ومتابعة ونشاط سياسى ودعائى ـ كان معرضا ومكشوفا أمام أية قوة تحكم في دمشق

وفي فوران ما بعد هزيمة سنة ١٩٤٨ دخل الصراع على سوريا مرحلة حادة وعنيفة . ما هي إلا شهور بعد انتهاء معارك حرب فلسطين حتى وقع في سوريا أول انقلاب عسكرى من سلسلة كان مقدرا لها أن تتصل وتتلاحق لسنوات قادمة . كان الانقلاب بقيادة اللواء «حسنى الزعيم » رئيس أركان حرب الجيش السورى . ومنذ البداية كان واضحا أن هناك أيدى خفية وراء الانقلاب . فقد كانت أبرز منجزات «حسنى الزعيم » الذي نصب نفسه رئيسا لسوريا بعد عزل رئيسها الشرعى «حسنى القوتلى » ـ هي أن وقع اتفاقية « التابلاين » وهي شركة أمريكية قامت من باطن شركة « أرامكو » لنقل البترول عبر خط أنابيب يخترق سوريا إلى البحر .

ولم تمض إلا شهور أخرى حتى قام انقلاب مضاد قاده اللواء «سامى الحناوى » وكان واضحا أن هذا الانقلاب بصرف النظر عن الدعاوى جاء مواليا لبغداد سواء في ذلك الحكومة العراقية ، أو شركة بترول العراق البريطانية التى لم تكن متحمسة لمشروعات شركة «أرامكو» لنقل البترول بالأنابيب عبر البحر الأبيض .

ولم تمض شهور حتى لحق بالانقلابين انقلاب ثالث قاده اللواء الديب الشيشكل الذي أثبت لبعض الوقت قدرة على المناورة والحركة بين خطوط متعارضة ولم يكد «أديب الشيشكلي» يستقر في الحكم طويلا، ويعيد ترتيب الأوضاع في سوريا حتى تعرض حكمه لهزات أدت إلى سقوطه وكان السبب الرئيسي في هذه الهزات أن مجموعات من الضباط الشبان أحسوا أن الجيش السورى في كل هذه الانقلابات يستخدم إما لتحقيق مآرب خارجية ، وإما لتحقيق مآرب ذاتية تتصل بأحلام قادة هذه الانقلابات.

ولم يكن هناك فكر واحد يجمع أمانى هذه المجموعات من شباب الضباط السوريين ، وإنما كانت اتجاهاتهم موزعة بين ولاءات تفتقد إلى بؤرة واحدة تجمعها أو إلى هدف واحد تطمح إليه . ولقد كانت الأغلبية بين هؤلاء الضباط بالقطع متحمسة للتوجه القومى العربى الذى أصبحت القاهرة مركز ثقله خصوصا بعد السويس . ثم إن جماعات مؤثرة بين هؤلاء الضباط كانت على صلة بحزب البعث العربى الاشتراكى ، وكانت دمشق هى مهده منذ قام بتأسيسه الاستاذ « ميشيل عفلق » . كما أن جماعات أخرى من الضباط الشبان كانت على صلة بواسطة ارتباطاتها العائلية التقليدية ببغداد ، ثم بقيت قلة من هؤلاء الضباط الشبان شدها الفكر الماركسي في ذلك الوقت ووجدت فيه « الصيغة العلمية » للثورة الاجتماعية ، وكان الحزب الشيوعى السورى وقتها تحت قيادة ثورى حركى نشيط وهو الأستاذ « خالد بكداش » .

والحقيقة أن الجيش في تلك الفترة أصبح بوبقة لكل الصراعات السياسية ، وارتهنت قيمة الأحزاب بقدرتها على التأثير في الجيش . كما تعلق نفوذ أي سياسي سودي بمدى صلاته بضباط القوات المسلحة . وكان من شأن هذا الوضع أن يحدث مفارقات غريبة ومخاطر في نفس الوقت يصعب حساب نتائجها . فقد كان بروز دور الضباط على هذا النحو معناه أن اختلاف الآراء يمكن أن يتحول في أي وقت إلى تحركات الوية وكتائب ، ومدافع ودبابات .

وكانت مصر والسعودية ـ والصداقة في ذلك الوقت بين الملك «سعود» و «جمال عبد الناصر» في عصرها الذهبي ـ تدركان معا أهمية سوريا . واستطاع الاثنان معا الاتفاق على خطة للعمل يعود بها الرئيس « شكرى القوتلي » إلى رئاسة سوريا كما كان قبل بدء مسلسل الانقلابات العسكرية ، وكان التصور أن هذه العودة

سوف تضفى على سوريا بعضا من الاستقرار يمكنها من المساهمة بدورها في محور القاهرة ـ دمشق ـ الرياض ، والذي كان هو بنفسه جبهة التصدى لمقاومة محاولات السيطرة تحت اسم = حلف بغداد » .

وبعد السويس ، ومع بداية طرح « مبدأ ايزنهاور » وبداية افتراق الطرق بين « جمال عبد الناصر » الذي رفض » مبدأ ايزنهاور » والملك « سعود » الذي كان على استعداد لقبوله بدعوى توجهه إلى « مقاومة الشيوعية الدولية » - اشتد الضغط مرة أخرى على سوريا طبقا لمخطط « ايزنهاور » الشهير ضد » جمال عبد الناصر » والذي يستهدف » أخذ الملك سعود بعيدا عن جمال عبد الناصر » و « الاستيلاء على دمشق ولو حتى بالانقلاب » - وبذلك يتم عزل مصر وحدها ، ويتحقق هدف العدوان الثلاثي بوسائل أخرى غير وسيلة الغزو من الخارج .

كانت بداية المؤامرات تلك المؤامرة التى رتبها عميل لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية وهو «ويليام ولبور ايفلاند» مع السياسى السورى «ميخائيل اليان». ولم تفلح هذه المؤامرة لأنها توافقت مع ملابسات العدوان الثلاثى على مصر.

ولم تتوقف خطط التآمر بهذا الفشل الأول ، وما لبث أن ظهر فى بيروت مسؤول أخر من المخابرات المركزية الأمريكية هو المستر « كاسن » وبدأ يجرى اتصالات أولية مع = عبد الكريم الدندشى = وهو صحفى سورى كان عضوا ظاهرا فى حزب التحرير السورى الذى أنشأه = أديب الشيشكلى = فى فترة حكمه . واستطاع « الدندشى » أن يرتب لاتصالات مع عدد كبير من الساسة السوريين بينهم عدد من رؤساء الوزارات وأعضاء مجلس النواب ، وبينهم السيد « مأمون الكزبرى » وعدد من كبار ضباط الجيش ، وبدأ الإعداد لانقلاب عسكرى كان الهدف منه الخلاص من كتلة الضباط الشبان المتوجهين بمشاعرهم إلى الثورة المصرية ، والمتأثرين بشخصية « جمال الشبان المتوجهين بمشاعرهم إلى الثورة المصرية ، والمتأثرين بشخصية « جمال الشبان المتوجهين بمشاعرهم في ذلك الوقت العقيد « عبد الحميد السراج = الذى كان رئيسا السعبة الثانية (المخابرات فى الجيش السورى) . وكانت جريمة « عبد الحميد السراج » فى نظر هؤلاء أنه هو الذى فكر ورتب لعملية نسف خطوط أنابيب البترول العابرة لسوريا فور بدء العدوان على مصر . ولقد كان الضيق ب = عبد الحميد السراج » متناسبا بالطبع مع النتائج الضخمة التى ترتبت على نسف خطوط أنابيب البترول . وبدا واضحا أن الخلاص من « عبد الحميد السراج » المبح موضوع المباشر .

وتشير وثائق «محاكمة الدندشي» إلى أن السفير العراقي في بيروت وقتها " عبد الجليل الراوى » وملحقه العسكرى العقيد الركن « صالح السامرائي " أصبحا اهم اركان المؤامرة بالتّعاون مع عدد من السياسيين والضباط السوريين ، ومع رجال المخابرات المركزية . وتروى الوثائق أن « عبد الكريم الدندشي »(١) رتب للمستر « كاسن » مقابلة مع السيد « مأمون الكزبرى » السياسي السورى المعروف والوزير السابق(٢) ، ودار الحديث بينهما حول امكانيات تغيير الأوضاع في سوريا . وفي الحوار بينهما قال المستر «كاسن « لـ « الكزيري » : « إنه اختاره من بين السياسيين السوريين كلهم ليشرح له وجهة نظر أمريكا ، وهي أن سوريا أخطر نقطة ف الشرق الأوسط، وتخشى أمريكا من تسرب الشيوعية إليها، وترغب أن تعالج الأوضاع فيها بأيدى السوريين أنفسهم حتى لا تضطر أمريكا إلى استعمال أيد غير سورية في معالجة الأوضاع . وإنه _ أي « الكزبري » _ محل ثقة أكثر الأحزاب السياسية ، وفي استطاعته المساهمة مع أمريكا في تنفيذ سياستها ، وإنه مستعد لتقديم كل الامكانيات له حتى يتقوى هو وحزبه » . ورد « الكزبرى » بأن « أمريكا صديقة العرب ، وأنه على استعداد للتعاون معه ولكن امكانياته ضنئيلة» . ورد المستر « كاسن » طبقا لنصوص وقائع المحاكمة بأن « الولايات المتحدة مستعدة لأن تقدم له الامكانيات التي يطلبها » . ورد « مأمون الكزبرى » بقوله : « إن السيارة تمشى بمقدار ما يوضع فيها من البنزين » . وأبدى « كاسن » أنه فهم المقصود من هذه الجملة ، وتواعد مع « الكزبرى » و « الدندشي » (الذي كان يحضر معهما المقابلة) على أنه سيعود إليهما في اليوم التالى . وعاد إليهما فعلا ، وسلم « الكزبري » رزمة من البنكنوت تحتوى على ٣٠ ألف ليرة ، وتعهد بدفع ألف ليرة شهريا لمساعدة جريدة يصدرانها للدعوة لآرائهما .

ثم رتب « الدندشي " مقابلة للمستر « كاسن » بعد ذلك مع سياسي سوري آخر هو السيد « لطفي الحفار " ، وكان رئيسا للوزراء من قبل . في بداية المقابلة قال « كاسن » للسيد « لطفى الحفار " ما نصه (طبقا لوقائع المحاكمة) : " إن حكومة الولايات المتحدة تعتبر أن لطفى الحفار مستشارها السياسي في سوريا ، وإنه لشرف كبير لامريكا أن تتعاون مع شخصية قوية مثله ، وإنها على استعداد لان تضتع كل الامكانيات المطلوبة تحت تصرفه لإيقاف " النشاط الشيوعي " في البلاد . " ورد " لطفى الحفار " وبنفس الأسلوب الذي رد به " الكزبري » من قبل : " إن امريكا حبيبة للعرب لولا موقفها من قضية فلسطين ، ومع ذلك فهو مستعد

⁽١) صن ٥ من اعترافات « عبد الكريم الدندشي « كما وردت في ملفات محاكمته .

⁽ ٢) اصبح السيد ، مامون الكزيري ، فيما بعد أول رئيس للوزراء بعد الانقلاب ضد الوحدة وقيام حكم الانفصال في سوريا .

للتعاون معها لانه يكره الشيوعية ». ثم قال « إنه يعقد دائما اجتماعات مع رؤساء العشائر والتجار ليخلق حركة قوية لمقاومة الشيوعية \blacksquare . ثم أضاف : « إنه سيخبره في اجتماع قادم بحجم المساعدات الأمريكية التي يطلبها للهدف المشترك \blacksquare ، إلا أن المستر « كاسن ، أخرج كيسين بهما \P • ألف ليرة سلمها \square « لطفى الحفار » وقال إنها لبدء العمل ، ثم انصرف .

وقد ظهر في وقائع المحاكمة أن «كاسن » قال لـ « الدندشي » في أحد اللقاءات بينهما إن الأمريكان اتفقوا مع السعوديين على استمالة عدد من الضباط الموالين لمصر ، وإن الملك « سعود » متضايق من أن صورة » جمال عبد الناصر » توضع الآن في كل مكان في سوريا بدلا من صورة « شكرى القوتلي » رئيس الجمهورية ، وحتى من صورته هو . وكان هذا كله يجرى بالتوازى مع خطط رتبها السفير العراقى في بيروت » عبد الجليل الراوى » وملحقه العسكرى العقيد » صالح السامرائي » وعدد من كبار السياسيين العراقيين . وتضم وثائق المحاكمة صورة خطاب كتبه السيد » فاضل جمالي » (وزير خارجية العراق) الذي قصد إلى لبنان » واجتمع بعدد من السياسيين السوريين الضالعين في هذه المؤامرات كلها في فندق « الجبل الأخضر » في « برمانة » . وقد وجه تقريره إلى السيد » نورى السعيد » وجاء فيه ما يلى :

« اشواق واحترامات وبعد

فقد اجتمع عندى السيد صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا ، ومعه السيد ميخائيل اليان بحضور احمد مختار باشا ، ودام الاجتماع إلى الواحدة ليلا ، وها انا الخص لفخامتكم الوضع على الوجه التالى :

۱ ـ الجيش السورى هو مصدر عدم الاستقرار ، وضعف الحكومة إزاءه يجعله سيد الموقف .

٢ ــ الجيش السورى يخشى الاقتراب من العراق وتحقيق اتحاد بين العراق وسوريا
 لانه يتصور أن العراق سيجرد الضباط من سلطاتهم .

٣ ـ الوزارة السورية الحالية ضعيفة وغير متجانسة .

السعوديون يدبرون خطة لإحداث انقلاب لصالحهم.

معالجة الموقف:

 استعرضنا إمكان إرسال جيش عراقى ، فلم نجد إمكانا لذلك ، فلا توجد اتفاقية بين سوريا والعراق لمجىء الجيش العراقى لحفظ النظام الداخل ، ولا توجد اكثرية وزارية تجرؤ على القيام بهذه الاتفاقية حتى ولو كانت سرية ولا توجد

امكانية في الوقت الحاضر لإحداث اى تقارب بين الجيشين العراقي والسورى ولو بغرض التدريب والمناورات لأن الجيش السورى لا يطمئن لذلك . ولا يمكن استغلال أى عدوان إسرائيلي على سوريا لأن ذلك قد يؤدى إلى صراع دولى تكون الغلبة فيه لإسرائيل .

٢ ـ إذا كان لا يمكن إرسال جيش عراقى ، فيجب العمل على كسب الجيش السورى
 وتكتيله إلى جانب اصدقائنا ، وهؤلاء لا يتوقعون مساعدات مالية كبيرة . »

وفي ربيع ١٩٩٧ بدا أن الحوادث تتسارع في سوريا . فقد زاد نشاط مجموعة من ضباط الجيش السورى بقيادة المقدم « أمين النفورى » وهو من أنصار « أديب الشيشكلي » ، وتمكنت من فرض بعض التغييرات في قيادة الأركان العامة للجيش السورى كان أبرز معالمها تعيين « النفورى » نفسه مساعدا لرئيس الأركان . ثم أعدت هذه المجموعة من مركز القوة الذي بلغته في القيادة العسكرية السورية حركة تنقلات بين كبار ضباط الجيش كان أهمها نقل « عبد الحميد السراج » من رئاسة الشعبة الثانية (المخابرات) وهو الموقع الذي كان يستطيع أن يكشف منه حركة كل المؤامرات الموجهة إلى سوريا – إلى منصب آخر خارج سوريا كلها كملحق عسكرى في إحدى العواصم الأوروبية . وأحس عدد من الضباط كملحق عسكرى في إحدى العواصم الأوروبية . وأحس عدد من الضباط الوطنيين من مجموعة « عبد الحميد السراج » هو البعث بخطر هذه العملية . وكان رأيهم أن إبعاد » عبد الحميد السراج » هو مقدمة لتصفية مجموعات المضباط الوطنيين في الجيش السورى تمهيدا لاستيلاء العناصر المتعاونة مع الولايات المتحدة على مراكز القوة [الجيش ، وبالتالى على سوريا .

وتكشف التقارير السرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية (٢) عن ان هذه الوكالة كانت على صلة مباشرة بالتطورات المتلاحقة داخل الجيش السورى ف ذلك الوقت . فيقول التقرير : « في اجتماع استمر طوال اليوم قامت مجموعة النفورى بإعداد قائمة باسماء بعض الضباط الذين يشغلون مواقع هامة بقصد نقلهم من لهاكنهم . وتعتبر هذه القائمة في مجموعها بداية متواضعة لإبعاد الضباط اليساريين عن مراكز القوة . ولم تكن عمليات النقل تمثل استبعادا تاما لليسار اليساريين ما اعتقدت مجموعة النفورى أنها تستطيع أن تحققه كبداية . وكان اهم ما في القائمة استبعاد المقدم عبد الحميد السراج ، وهو رجل اليسار القوى من موقعه المؤثر في الأركان العامة . والسراج هو صاحب أكبر تأثير يسارى على من موقعه المؤثر في الأركان العامة . والسراج هو صاحب أكبر تأثير يسارى على

⁽٣) التقرير رقم ٢١٠/١٠ تحت عنوان ، تقرير عن الموقف في سوريا ، .

الحكومة وقد وضع رئيس الأركان ـ اللواء توفيق نظام الدين ـ توقيعه على قائمة التنقلات وفي نفس اللحظة نشب صراع داخلي عنيف ويظهر ان المقدم السراج لا يبدى مقاومة تذكر لنقله ، وهو شيء يدعو إلى الدهشة ، ولكن الضباط اليساريين المنظمين المنتمين إلى حزب البعث الاشتراكي العربي رفضوا تنفيذ النقل ، ولقوا تأييدا من جانب مجلس الوزراء الذي تسيطر عليه مجموعة من البعثيين وحلفائهم من المستقلين والمشكلة أن هؤلاء الضباط يشغلون مراكز متحكمة في الوحدات المدرعة السورية في معسكري قطنة وقانون ، وكلاهما على

ومن الواضح أن الرئيس القوتلى بتأثير السعوديين يؤيد حركة التنقلات، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا إزاء الاختلاف الكبير في مجلس الوزراء. وإذا أقدم الرئيس القوتلى على إقالة الحكومة الحالية، وأتى بحكومة أخرى غيرها مستعدة لتأييد نقل الضباط اليساريين، فلن يكون أمام هؤلاء الضباط إلا أن يقبلوا الهزيمة، أو أن يقوموا بانقلاب عسكرى مضاد عنيف. ولا ينبغى أن يتخذ رئيس الجمهورية هذه الخطوة إلا عندما تكون قوات النفورى مستعدة لمواجهة مسلحة مع اليساريين.

وتبين معلوماتنا أن التيار ربما يتحول لغير صالح اليساريين . ويقال إن القوتلي يرغب في تشكيل وزارة جديدة برئاسة مأمون الكزبري .»

ويبدو أن عملية « أمين النفورى » كانت أكبر مما بدا على السطح منها ،
الله كان « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يتابعها بنفسه
إلى درجة أنه كتب بشانها تقريرا بتوقيعه قدمه إلى الرئيس « دوايت ايزنهاور »
وإلى وزير الخارجية الأمريكية « دالاس » . وتصادف أن كان الرئيس ووزير خارجيته
يحضران مؤتمر القمة فى « برمودا » وطلب « آلان دالاس » من « كريستيان هيرتر »
مساعد وزير الخارجية إرسال تقريره إلى هناك ، وقد جاء في هذا التقرير ما نصه :

الن الموقف ما زال غامضا في سوريا ، ويبدو ان اغلبية في مجلس الوزراء تتخذ موقف التاييد للسراج في حين أن الرئيس القوتلي يبدو حازما على غير عادته في تاييد الكولونيل نفوري(٤) (مساحة مشطوبة لا يمكن أن يزيد عدد كلماتها على ثلاث ـثم يستأنف تقرير ■ آلان دالاس ») ونحن لا نعتقد أن هذه القضية سوف يجرى حسمها بواسطة المدنيين ، ولكن في الغالب بالمجموعة التي يطلق عليها وصف الضباط الشوام بقيادة الكولونيل قباني . وامام هذه المجموعة ثلاثة طرق يمكن أن تتعها .

(1) أنها قد تقف على الحياد ، ولكن هذا يكون في الواقع في صالح السراج . ونحن نعتبر هذا خطرا حقيقيا ، ونامل أن تتمكن المجموعة من مواصلة الضغط الكافى لاتباع الطريقين الأخرين .

(ب) انهم قد يحاولون فرض رجالهم على قمة القيادات العسكرية ، وفي هذه الحالة سوف تكون لديهم فرصة للنجاح في طرح اية حلول وسط يرونها ، ومن وجهة نظرنا فإن هذا لا يبدو امرا غير مرغوب فيه .

(جـ) وهم قد يلقون بتأييدهم لصالح النفورى ، وهناك مبرر للأمل في أن هذا سيكون قرارهم . وهناك شواهد تشير إلى أن بعض قادة مناطق الحدود يبدون رغبتهم في تصفية العناصر اليسارية في الجيش .

إمضاء آلان دالاس مدير

وأظهر سياق الحوادث بعد ذلك أن ما توقعه تقرير المخابرات المركزية الأمريكية لم يتحقق ، فقد استطاعت مجموعات الضباط الوطنيين على اختلاف انتماءاتهم الحزبية والفكرية أن تحبط مخطط السيطرة على قيادة الجيش السورى ، وتوقفت قائمة التنقلات حتى بعد أن وقعها رئيس أركان حرب الجيش (الذى أرغم على تقديم استقالته ، وكاد رئيس الجمهورية « شكرى القوتلى » يستقيل هو الآخر ثم عدل عن رايه في اللحظة الأخيرة) وبقى « عبد الحميد السراج » في موقعه في المكتب الثاني

وفي هذا كله كانت القاهرة ـ و « جمال عبد الناصر " فيها ـ هي قبلة كل العناصر الوطنية في الجيش السورى ، وكان هذا التوجه يلقى استجابة كاسحة في الشارع السورى ، وبدأ حديث الوحدة مع مصريقوى في دمشق ، ويزداد قوة مع كل يوم ، فلم يعد هذا المطلب أملا قوميا فحسب ، ولكنه أصبح أيضا ملاذا للأمن ضد كل مؤامرات الغزو من الداخل .

أطراف دمشق .

^(£) من الغريب أن ، أمين النفورى ، أشترك فيما بعد في وزارة الوحدة ، وكان ذلك بمنطق تمثيل الكتل في ا الجيش السورى !!



فشلت مؤامرات الانقلاب من الداخل ضد سوريا، وبدات على الفور محاولة غزوها من الخارج، وبدا أن ذلك هو الحل الوحيد للاستيلاء على قلب الحركة العربية القومية في دمشق، وكانت الوسيلة لذلك بالطبع هي استخدام نفس حجة استيلاء الشيوعية الدولية » على سوريا، وتكليف دول حلف بغداد بغزوها لإنقاذها من «براثن السيطرة» عليها ! وكان معنى ذلك أن العراق وتركيا عليهما الآن أن يستعدا لعمل مسلح ضد.سوريا. وبدا حشد الجيوش وتوالت التحركات والمناورات العسكرية على الحدود السورية العراقية، والسورية التركية. وتكررت الاجتماعات بين القيادات في بغداد وانقرة لدراسة والسورية والتاهب لإصدار قرار. ولم تكن إسرائيل بعيدة عما يجرى.

وتتكفل وثائق الخارجية الأمريكية بإعطاء صورة كاملة ومفصلة عن دخائل ما كان يرتب لسوريا في ذلك الوقت .

ف يوم ٢٠ أغسطس كتب وزير الخارجية « جون فوستر دالاس » مذكرة سرية (٥) يشرح فيها الخطوط التي استقرت عليها وزارته بالتعاون مع إدارة المخابرات المركزية التي يديرها شقيقه « آلان دالاس » وكان نص هذه المذكرة كما يلي :

« وزارة الخارجية

واشنطن

٢٠ اغسطس ١٩٥٧

مذكرة إلى الرئيس

البيت الأبيض

في موضوع سوريا ، اعتقد انه من المهم ان تتجنبوا الإدلاء باى تصريح ، او تلميح يفهم منه انكم وصلتم إلى قرار بان سوريا اصبحت الأن ، تحت سيطرة الشيوعية الدولية ، بالمعنى المقصود في القرار الخاص بالشرق الأوسط . ومن الناحية

الأخرى ، فلنتجنب اى تصريح بانكم تعتقدون انها ليست تحت تلك السيطرة . الله الله الموقف غير واضح . والرقابة صارمة . وسفارتنا تحت الحصار من الناحية العملية ، ولا نستطيع حتى الآن ان نصدر حكما سياسيا واضحا بشان مدى التغلغل الشيوعي .

ولمعلوماتكم الخاصة ، فإن السفير موس ، الموجود حاليا في واشنطن ، يرى انه من المحتمل الا يكون التغيير كبيرا بقدر ما يبدو على السطح ، وان التحول إلى اليسار ليس كاملا حتى الآن .

واعتقد انه من المهم الا تقولوا شيئا يشجع إسرائيل مثلا على افتعال حادث مع سوريا ، اعتمادا على نظرية اننا حكمنا بان سوريا خاضعة للسيطرة الشيوعية . ونحن من الناحية الأخرى نريد ان نحتفظ بحرية اتخاذ مثل هذا القرار في ظروف معينة . ونريد الآن ان تبقى الحكومة السورية غير متاكدة من نوايانا .

واقترح أن يكون الخط الذى نتبعه هو أن الاتهامات التى وجهت إلى الولايات المتحدة في الأونة الأخيرة كانت ستارا تستخدمه العناصر المعادية للغرب، والموالية للسوفيت لتعزيز سيطرتها على الحكومة . وهناك دلائل على أن ما يجرى في سوريا يسير وفقا لنمط كلاسيكى خطر . فالسوفيت يبدأون بتقديم الوعود ، ثم بتقديم المساعدة ، العسكرية أو الاقتصادية ، أو كلتيهما . ومن خلال هذه المساعدة يعملون على أن يسيطر اشخاص موالون للسوفيت على أية مواقع كانت . والنتيجة الاخيرة المرجوة هى أن يسقط البلد تحت سيطرة الشيوعية الدولية ، ويدور في الخلك السوفيتى ، وتدار مصائره من موسكو . ويجرى ذلك كله وراء ستار من الثلاثامات الكاذبة بأن هناك آخرين يتامرون ، ومن أمثالهم الولايات المتحدة .

ونحن لا نعرف حتى الآن إلى اى مدى ذهبت سوريا في هذا السبيل ، ولكن لا شك في ان ما حدث بالفعل مؤشر على الخطر ، ويجب ان يكون إنذارا للآخرين ممن تعمل الاساليب السوفيتية على جذبهم .

وقد أصبح الشرق الأوسط كما نعرف هدفا أساسيا للتطلعات الشيوعية في الأونة الأخيرة . وقد استغل الشيوعيون السوفيت والصينيون كل فرصة متاحة ، لبث التفرقة ، وعدم الاستقرار في المنطقة . ونحن نتابع التطورات الجارية في سوريا بقلق إذ انها تمس سلم المنطقة ، وهدوءها ، ورخاءها .

توقيع جون فوستر دالاس •

وفي اليوم التالى ٢١ أغسطس ١٩٥٧ اتخذ « دالاس » خطوة جديدة على طريق الإعداد للتدخل العسكرى ضد سوريا ، فقد رأى أن يكون حلفاء الولايات المتحدة

^(•) صورة من المذكرة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب رقم (١٧) صفحة ٨٣١

الأوروبيين على علم بنواياها ، وهكذا كتب الرسالة الشفرية (١) التالية إلى «سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية :

« إلى السفير في لندن

رجاء تسليم الرسالة الشخصية التالية من وزير الخارجية إلى وزير الخارجية البريطاني :

عزيزى سلوين

إننا نشعر بقلق شديد للأحداث الجارية في سوريا ، واعرف انها تسبب لك القلق اليضا . ويبدو لنا انه ليس هناك امل في التصحيح من الداخل ، وعلينا ان نفكر في الإمكانيات الخارجية التي تتمثل في القلق الشديد الذي تشعر به الدول الإسلامية التي لها حدود مشتركة مع سوريا . وقد يلزم ان نكون مستعدين لتحمل قدر من المخاطرة الجدية تجنبا لمخاطر واخطار اكبر فيما بعد . ونحن نولي هذا الامر اشد الاهتمام ، وسنكون في حاجة _ بغير شك _ إلى تبادل الراي معكم غدا ، أو يوم الجمعة .

المخلص فوستر »

وفى اليوم التالى ٢٢ أغسطس ١٩٥٧ ارتفع مستوى التشاور من وزراء الخارجية إلى القمة ، وبرقم ١٩٥٩ تحت عنوان « تصرف رئاسي » الفراء handling كتب « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكية إلى رئيس الوزراء البريطاني « هارولد ماكميلان » رسالة (٧) جاء فيها بالنص ما يلي :

« عزیزی هارولد

بعد دراسة الموقف دراسة وافية مع الرئيس قررنا ان نطلب من لوى هندرسون وهو وكيلى الأول ان يعجل بزيارته المقترحة لبعض سفاراتنا ، وان يضع انقرة على راس القائمة . وسوف يتيح له ذلك بالإضافة إلى اعماله العادية ان يحصل في تركيا على معلومات مباشرة عن موقف بعض جيران سوريا من التطورات الجارية هناك . وقد علمنا ان العراقيين ، وربما الأردنيون سيكونون هناك في ذلك الوقت ، وسوف يتصل لوى بسفيركم في انقرة .

وقد ارسلت امس رسالة شخصية إلى بن جوريون اعرب فيها عن الأمل في اننا

نستطيع أن نتصرف مفترضين أنه أن يتخذ إجراء يربط المسالة السورية(^) بجوانب الغزاع العربي الاسرائيلي ، ففي رأيي أن هذا شرط لا غني عنه حتى يمكن الوصول إلى حل بناء تحت رعاية عربية وإسلامية .

كما بعث الرئيس رسالة إلى الملك سعود يعرب فيها عن الأمل في ان يستخدم الملك ـ بوصفه حامى الأماكن الإسلامية المقدسة ـ نفوذه الكبير لمنع تمركز العقيدة الشيوعية الملحدة في احد المراكز الرئيسية في العالم الإسلامي .

ويسرنى أن أعرف رأيكم في هذا الموقف، وأعتقد أنه من المهم الا تمتنع إسرائيل فقط عن التدخل في التطورات المحتملة في سوريا ، بل وأن تمتنع عن ذلك الدول الغربية أيضًا . ويكفى أن يعرف جيران سوريا أنهم سيلقون مناكل تأييد معنوى لأى تدبير دفاعي يرون أن عليهم أتخاذه .

المخلص **فوست**ر ،

وكان « بن جوريون = أول من استجاب ، وفى نفس اليوم كما تظهر برقية سرية صادرة من سفارة الولايات المتحدة فى تل أبيب بتوقيع السفير = باكستر = موجهة إلى « جون فوستر دالاس = ، وجاء فى البرقية (٩) ما يلى :

« قال لى بن جوريون الذى قابلته فى مكتبه بتل ابيب بعد ساعة من تسلم برقيتكم إنه يستطيع أن يعطى بسرور التأكيدات المطلوبة إذا كانت الحكومة الامريكية تعنى انها تريد تأكيدا بأن إسرائيل لا تعتزم أن تكون البادئة بالمتاعب مع سوريا . واجرب عن شكره الحار لرغبة الوزير فى تبادل الأراء معه بشان سوريا . وابدى النقاط التالية :

ا - إنه يشاطر الولايات المتحدة القلق من التطورات الجارية في سوريا لانه في رايه يستحيل التمييز بين « سوريا وروسيا » . فإسرائيل هي الهدف النهائي للاسلحة التي تتدفق من الاتحاد السوفيتي على سوريا ، وإن كان من الممكن ان يقال نظريا إن هذه الاسلحة تهدد لبنان او دولا عربية اخرى .

وهو يود أن يعرف ما ستفعله الحكومة الأمريكية إذا تعرضت إسرائيل لهجوم من روسيا عن طريق سوريا.

وقال إن الصحف السوفيتية التي لا تنشر ابدا شبيئا بدون غرض كانت بشعة في الهجوم على إسرائيل في الأونة الأخيرة ، واستشبهد على ذلك بانباء تقول إن إيلات قد

^(^) كانت إسرائيل تعارض دواما في دخول قوات عراقية إلى سوريا أو الأردن تحت أى ظرف خشية أن يؤدى ذلك إلى زيادة القوة العربية على خطوطها

⁽٩) نص البرقية في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب رقم ٢٠ ص ٨٣٨

 ⁽٦) صورة من الرسالة الشفرية إلى الملحق الوثائقي لهذا الكتاب رقم ١٨ ص ٨٣٤
 (٧) صورة من الرسالة كاملة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب رقم ١٩ ص ٣٣٩

سلمت للولايات المتعدة لتجعل منها قاعدة بحرية على خليج العقبة ، وان فرنسا وإسرائيل تستعدان للهجوم على سوريا .

كما استشهد بن جوريون في حديثه معى بملاحظة يبدو أن حكومته تتوجس منها بشكل خاص إذ أن السفير السوفيتي أبراموف قال لعضو المابام حزان في اثناء لقاء بينهما ما نصه : « إن المدن الإسرائيلية لم تعرف بعد معنى التعرض للقذف بالقنابل » .

(راجع رسالة ابيان إلى وكيل الوزارة هيرتر في ٢٥/٧/٧/١)

٢ ـ وقال بن جوريون: « إن المطلوب هو تحرك امريكي قوى على غرار التحركات التي اوقفت السونيت عند حدهم « كما حدث مؤخرا عندما اقترب الاسطول الأمريكي السادس من الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط تاييدا للأردن ، والتصريح الأمريكي الذي سبق ذلك لتاييد فورموزا » .

 Υ _ وقال بلهجة عناب معتدلة : = إن سوريا تتلقى من روسيا كميات هائلة من الاسلحة تشكل خطرا على إسرائيل اكثر من اى بلد آخر . وبينما تقوم الولايات المتحدة بتزويد لبنان والمملكة السعودية والعراق بالاسلحة ، فإنها ما زالت تمنع الاسلحة عن إسرائيل تنفيذا _ فيما يبدو - لقرار الأمم المتحدة الصادر في Υ نوفمبر (1907) - وإن كان لماذا ، لست ادرى - -

وتمضى برقية السفير الأمريكى في إسرائيل بعد ذلك لتصل إلى البند الخامس الذي روى فيه السفير نقلا عن « بن جوريون » قوله : « إنه يرحب بوجه خاص بأن يفهم ماذا يعنى بعبارة « حل بناء » . » ثم أضاف السفير إلى مقابلته مع « بن جوريون » إضافة من عنده قال فيها :

" تعليق : ربما كانت الطلاقة التي تكلم بها بن جوريون بعد قراءته للرسالة مباشرة دليلا على أنه أعطاني خلاصة مركزة لتفكير الحكومة الإسرائيلية الذي وصلت إليه بعد أيام متوالية من المتابعة المستمرة للأوضاع في جارتها الشمالية . وقد دار حديثنا بلهجة معتدلة وبغير انفعال . ولكنه كان يردد كثيرا عبارة " نحن قلقون القون للغاية " . وقد قال لى : إننا سنتلقى ردا رسميا على رسالة وزير الخارجية في المستقبل القريب ، عندما تكون الفرصة قد اتبحت له لمناقشة الموضوع مع أيبان الذي كان ينتظر في الغرفة المجاورة عندما غادرت المكتب بعد محادثتنا التي استمرت عشرين دقيقة .

واتفقنا على اننا سنرد على اسئلة الصحفيين بان المقابلة تمت بناء على طلبى لنناقش الأمور الجارية ذات الاهتمام المتبادل . فإذا سئلنا عما إذا كانت سوريا بين موضوعات المناقشة ساجيب بأن بلدينا يهتمان بطبيعة الحال بالتطورات في سوريا .

إمضاء باكستر »

وصل « لوى هندرسون » إلى المنطقة ، وقام بزيارات لبيروت وعمان وبغداد ، ثم توجه إلى استانبول . وطوال الوقت كان يدلى بأحاديث عن مهمته يقول فيها إنه يقوم بمهمة تقصى حقائق عن الأحوال في سوريا . وفي يوم ٢٦ أغسطس دعا الرئيس « جمال عبد الناصر « السفير الأمريكي « ريموند هير » إلى لقائه (١٠٠) ، وقال له إنه لا يفهم مبررا لهذه الحملة ضد سوريا ، وأن مهمة « لوى هندرسون » في المنطقة تثير تساؤلات تدعو إلى الشك والربية . وأنه فهم من تصريحات « لوى هندرسون « أن المبعوث الأمريكي مكلف بمهمة لتقصى الحقائق في سوريا ، فإذا كان ذلك صحيحا «فإنني لا أفهم لماذا لا يتوجه مباشرة إلى دمشق ، ويرى بنفسه ما يجري هناك ، ويبحث على الطبيعة ما يريد أن يعرفه " . ثم قال الرئيس إنه على استعداد لأن يكفل حسن استقبال " لوى هندرسون " في دمشق ، وبأن يضمن له مقابلة كل من يريد مقابلتهم في العاصمة السورية لأنه ليس من المعقول أن يكون هدفه « إذا كان ذلك هدفه حقيقة » أن يتقصى الحقائق في سوريا ثم يدور في كل العواصم المحيطة بها دون أن يقصد إلى العاصمة المعنية بالأمر بالدرجة الأولى . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » إنه يخشى أن هناك خططا لغزو سوريا بدعوى « الشيوعية المحلية » و « الشيوعية الدولية » . ومع أنه يستطيع أن يؤكد بناء على معلوماته ـ وهي وثيقة ومباشرة ـ أنه ليس هناك ما يبرر مثل هذه الإدعاءات إلا أنه كان يفضل أن يتعرف « هندرسون » على الحقائق بنفسه . ثم قال « جمال عبد الناصر » للسفير الأمريكي : « إنني قرأت تقريرا من سفارتنا في إحدى العواصم التي زارها هندرسون ، وعرفت أن هندرسون طرح على أحد الوزراء الذين قابلهم في هذه العاصمة أربعة أسئلة عن السلاح الذي تشتريه سوريا من الاتحاد السوفيتي ، وعن عدد الخبراء السوفيت في سوريا ، وعن الظروف التي تحيط بالموالين للغرب في سوريا ، وعما إذا كان معنى ذلك أن سوريا تقترب أكثر مما يجب من روسيا ؟ » . وأضاف « جمال عبد الناصر » : « إن هذه الاسئلة كلها لم تكن في حاجة إلى كل هذه الضجة التي ترافق مهمة هندرسون . فسوريا تشتري السلاح من الاتحاد السوفيتي كما اشترته مصر من قبل لأنه لم يكن متاحا لها أن تشتريه من غيره . أما التضييق على الموالين للغرب في سوريا ، فمن الغريب أن يطرح هذا التساؤل ، فالطبيعي أن تضيق سوريا على كل الموالين لجهات أجنبية . ومن الطبيعي أن سوريا تريد الموالين لسوريا وليس للغرب أو للشرق . • ثم أضاف « جمال عبد الناصر • إن من شأن هذا

⁽۱۰) مذكرة عن لقاء « جمال عبد الناصر » و « ريموند هير » محررة بتاريخ ۲۷ اغسطس ، وهي بخط الدكتور • محمود فوزى » واصلها مودع بارشيف وزارة الخارجية ، وتوجد صورة بالآلة الكاتبة ومعها مذكرة إرفاق بتوقيع الدكتور « فوزى » موجودة في ارشيف منشية البكرى .

المناخ كله أن يخلق في المنطقة حالة من القلق ، فإذا أضيفت إلى هذه الحالة كل هذه البيانات عن حشود عسكرية ومناورات وخطط للتدخل المسلح ، فإن الموقف يمكن أن يكون خطيرا ، ويمكن أن تترتب عليه أزمة لا تقل عن أزمة السويس في عنفها . ثم ختم * جمال عبد الناصر * هذا اللقاء قائلا للسفير : * إنني أريد أن يكون الرئيس ايزنهاور على بينة كاملة من أن مصر لا تستطيع أن تقف ساكتة إزاء هذه المخاطر المحيقة بسوريا * .

وفى ٢٨ أغسطس كانت الحكومة الإسرائيلية قد فرغت من دراسة الموقف ، وكلفت ، آبا ايبان ، وزير الخارجية بإبلاغ السفير الأمريكي « باكستر » برأيها فى الموقف ردا رسميا على رسالة « دالاس » . وكتب السفير الأمريكي برقية (١١) عن المقابلة (رقم ١٩٩ ـ ٢٨ أغسطس _ الساعة الثامنة مساء) جاء فيها :

« بناء على طلب الجانب الاسرائيلي توجهت اليوم إلى وزارة الخارجية لمناقشة المسائل المتعلقة بسوريا بحضور هيرتزوج ، وكوماى ، وشلواح الذى يشغل الآن وظيفة انشئت حديثا كمستشار لوزير الخارجية لشؤون التخطيط ورسم السياسات . وعندما قلت إنني ارحب بهذه الفرصة للاستماع إلى آرائهم لأن الدراسات الجارية حاليا للموقف في واشنطن لم تصل بعد إلى جديد يمكن نقله إلى حكومة إسرائيل ، فقد ذكروا لى انهم لا يتلقون منا تفاصيل كافية عن خططنا . وذكروا أن هذا لا يشجعهم ، واضافوا إلى ذلك عدم تفاؤلهم بالنسبة لاحتمالات المستقبل . فهم يرون أن للوقت اهمية خاصة . فكل يوم يتأخر فيه التعبير عن رد فعل قوى وإيجابي من جانب الولايات المتحدة _ بوصفها زعيمة للعالم الغربي _ يزيد من الاحتمالات الخطرة للتغاضي والانتظار على التهديد الذي تمثله سوريا . فإذا لم تكن هناك دلائل على أن هناك خطوات يجرى بحثها للتحرك بسرعة من أجل عكس أتجاه الأحداث في سوريا _ فقد يؤدى ذلك إلى قبول النظريات الخطرة التي تود سوريا والكرملين نشرها . "

ثم روى السفير الأمريكي أن « شلواح » تدخل في الحديث ، وقال له : " إن الموقف في سوريا شبيه بما حدث في مصر سنة ١٩٥٥ عندما حاول الغرب أن يقلل من اهمية صفقة الاسلحة التشيكية بناء على اعتقاد ثبت الآن خطاه بانه ما زال في وسع الغرب أن يتعامل مع عبد الناصر ، وأن اتخاذ موقف قوى إزاء الصفقة التشيكية ربما يؤدى إلى الإسراع بدفعه إلى المعسكر السوفيتي . إن الحكومة الإسرائيلية تعتقد أن القول بأن عبد الناصر يشعر بالقلق من أحداث سوريا هو نوع من خداع النفس ، وربما أنه يحاول أيضا إعطاء هذا الإنطباع لخداع الدبلوماسيين النفس ، قابلونه » .

واستطرد السفير الامريكي يقول في برقيته : • لقد ذكروا لى ان خبراء الشؤون العربية في الحكومة الاسرائيلية يرون ان تحول سوريا إلى بلد يدور في الغلك السوفيتي اسهل بكثير من تحول مصر . ورغم ان ناصر اداة طيعة للسوفيت ، فإنه يصر على ان يعملوا من خلاله ، ثم ان لديه سيطرة قوية على جميع العناصر في الحكومة المصرية . اما في سوريا فهناك حركة شيوعية قوية وخلاياها على استعداد لتولى جميع الوظائف ، والعمل في جميع المستويات الحكومية . وإذا لم يحدث شيء لمنع هذا ، فيجب أن نتوقع تطهيرا يجرى خطوة بعد خطوة ، ويسفر عن قيام «هنجاريا » اخرى لا يكون الغرب قادرا على التحرك ضدها . لكن الحكومة الإسرائيلية ترى انه ما زال هناك بعض الوقت الذي يمكن فيه تقديم مساعدة للعناصر السورية المعارضة وتشجيعها على العمل ، وأن ذلك إذا تم بسرعة وبتاييد علني أو سرى من جانب الولايات المتحدة واصدقائها في المنطقة ـ يمكنه إنجاز المطلوب بغير الاضطرار إلى حرب واسعة ، وبدون استخدام للقوة المسلحة . •



ويثور الآن سؤال بالغ الأهمية وهو:

ما الذي كان مساعد وزير الخارجية « لوى هندرسون » يسمعه في العواصم العربية التي زارها مبعوثا خاصا في إطار مهمته « لتقصى الحقائق » ؟

إن أهمية هذا السؤال لا تتصل فقط بالشكل الذى اتخذته تطورات الحوادث فى تلك الأيام ، وإنما تتصل أيضا - وهذا هو الأهم - بانعكاساتها على تطورات الحوادث فى ايام قادمة .

مرة أخرى تتحدث الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ، وربما كان اوضحها في التعبير تقرير واحد مطول بعث به « لوى هندرسون » في ثلاث برقيات شفرية متوالية من بيروت في أعقاب اجتماعاته في العاصمة اللبنانية مع رئيس الجمهورية « كميل شمعون » ومع وزير الخارجية » شارل مالك » $_{-}$ ويبدو أن $_{-}$ هندرسون » كان يرسل تقريره تباعا على اجزاء لأن واشنطن كانت في عجل من امرها .

⁽١١) النص الكامل للبرقية في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢١ ص ٨١٠

أرسلت البرقية الأولى^(١٢) في ٤٣ : ٥ من مساء يوم ٢٨ اغسطس ١٩٥٧ كما يلى : كما يلى :

« وزارة الخارجية

سرى جدا ـ من بيروت ـ إلى وزير الخارجية

الرقم: ٦٣٥ (الجزء الأول من ثلاثة)

من هندرسون إلى الوزير:

(١) وصلت إلى بيروت ١١ صباحا . قابلنى السفير هيث في المطار ، واخذنى مباشرة إلى وزارة الخارجية حيث استقبلنا وزير الخارجية مالك ، ثم قمنا بزيارة قصيرة لرئيس الوزراء سامى الصلح ، وبعدها انتقلنا لمقابلة الرئيس شمعون لمحادثته اكثر تفصيلا .

(٢) شرحت لمالك ان من اغراض زيارتى للشرق الأوسط ان اناقش سفراءنا ، وان اتحدث مع اعضاء الحكومات الصديقة في الشرق الأوسط حول المشاكل الناشئة عن التطورات الأخيرة في سوريا . وقد تبادلت الراى في استانبول مع رئيس وزراء تركيا ، ومع الملك حسين ، والملك فيصل ، وولى عهد العراق وغيره من القادة العراقيين . وإنى مستعد لأناقش معه أراء حكومتنا ، ولكنى اكون شاكرا لو اعطانى قبل ذلك أراءه بشان التأثير المحتمل للتطورات الجارية في سوريا على للنان .

(٣) قال مالك وهو يقرأ من مذكرات معدة سلفا : إن هناك ثمانى نقاط يريد ان يبديها بثبان الحالة في سوريا .

(1) الموقف خطير للغاية ، ويتطلب أن تتشاور جميع البلدان العربية والغربية المعنية ، وأن تتصرف بطريقة موحدة .

(ب) إذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للعراق ، والأردن ، وتركيا ، ولبنان ، وإلى حد ما المملكة العربية السعودية ، وجميعها لا توافق على النظام السورى الحاضر ، وإذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للولايات المتحدة ، ودول الغرب الرئيسية غير قادرة على الوصول إلى حل للمشاكل السورية ، فلابد أن هناك ضعفا مخيفا في العالم الغربي .

(جـ) إن الاقتحام الشيوعي في سوريا هو نمو طبيعي لسنوات من التحضير الشيوعي ، وهو جزئيا نتيجة لمبدأ ايزنهاور . واضاف بين قوسين إن هذا النبات كان سيصل إلى مرحلة الازدهار على أي حال ، ولكن مبدأ ايزنهاور عجل بالعملية .

(د) إن الرد المناسب على هذا التطور الشيوعي في سوريا حتمي وملح.

(هـ) إن التعايش بين سوريا ، المحايدة ، (على الطريقة اليوجوسلافية) والمتجهة إلى الشيوعية ، وبين لبنان المتجه إلى الغرب مستحيل . فاجلا ، او عاجلا لابد أن يختفى أحدهما . وينتج من ذلك بالنسبة لنا في لبنان أن حياد سوريا ، او اتجاهها إلى الشيوعية هو بالنسبة لنا مسالة حياة ، او موت بكل معنى الكلمة .

میث

ملحوظة : تم اخطار السيد بورديت (الشرق الأدنى) في ٨٠١٠ مساء . ٥٧/٨/٢٨ . »

وفى الساعة الثانية و ١٧ دقيقة صباحا بعث « هندرسون » بالجزء الثانى (٢٠) من تقريره إلى « دالاس » وقد أكمل فيه مقابلته مع « شارل مالك » وبدأ فيه مقابلته مع « كميل شمعون » وكان نص البرقية كما يلى :

(تكملة المقابلة مع «شارل مالك »)

« (و) إذا اجتاحت لبنان نزعة « الحياد » او معاداة الغرب او الشيوعية سيخرج إلجميع خاسرين ، فيما عدا الاتحاد السوفيتي .

- (ز) إن الخطر الذى يتعرض له لبنان من الاعمال الهدامة التى تحركها ، او توجهها اتجاهات خبيثة ، شيوعية ، او حيادية ، او معادية للغرب في سوريا ، اكبر من خطر عدوان سورى مباشر .
- (ح) إن الاعتبار الوحيد الهام الطيب هو أن الأغلبية الساحقة من الشعب السورى تنفر من النظام الحاضر.

(}) شكرته وقلت إنى واثق من ان الحكومة الأمريكية تتفق معه تماما ، ثم اعطيته تحليلنا للموقف في سوريا ، واوضحت انه إذا ظل النظام السورى الحالى في السلطة ، فمن المحتم تقريبا ان تتحول سوريا خلال وقت قصير إلى دولة تدور في فلك السوفيت ، وتستخدم كقلعة شيوعية مدججة بالسلاح في الشرق الأوسط ، وان قرون الاستشعار الممتدة من ذلك البلد التابع ستتغلغل في البلدان المجاورة ، وتضعف مؤسساتها ، وتجذبها في النهاية إلى الفلك السوفيتي . وعلى ذلك فإن استمرار العملية الجارية الآن في سوريا سيكون معناها خسارة العالم الحر للشرق الأوسط ، وتهديد السلام العالمي . وقال مالك إن حكومته توافق على هذا التحليل معافقة تامة

(٥) اعرب رئيس الوزراء الذى قمنا بزيارته بعد ذلك عن القلق الشديد للتطورات الجارية في سوريا ، وقال إنه وقد اقام في سوريا لفترة طويلة لديه اصدقاء سوريون كثيرون ، وانه يستقبل الآن سيلا من الزائرين السوريين الذين يعربون له ـ

⁽١٣) صورة من الجزء الثاني من برقية ، هندرسون ، في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٣ صفحة

⁽١٢) صورة من برقية «هندرسون ، الأولى 🕻 الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٧ صفحة

جميعهم تقريبا ـ عن الانزعاج للأحداث الجارية في سوريا . وكانت زيارتنا لرئيس الوزراء اقرب إلى زيارة المجاملة ، ولم يذكر فيها شيء له أهمية سياسية .

(٦) ثم اخذنا مالك لمقابلة الرئيس شمعون . فشرحت للرئيس مرة اخرى الغرض من زيارتي للشرق الأوسط ، وطرحت عليه أراءنا ، وقلقنا بشان الوضع في سوريا .

(٧) قال الرئيس إنه بوافق تماما على تقديرنا للموقف . وأن ما يجرى الأن في سوريا إنما هو المرحلة الأخيرة مما كان جاريا منذ سنتين . وأنه حذرنا في ١٩٥٥ من ان سوريا تتحول إلى منصة عسكرية وسياسية للسوفيت . ويستطيع المرء ان يقول الآن إنه لم يعد هناك وجود لحكومة سورية ، فالرئيس القوتلي مجرد من السلطة ، والبلد الأن في يد مجموعة من العسكريين، هم بدورهم تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي . وهذا الوضع مصدر للقلق الشديد ، ولا سيما في لبنان ، والأردن . وقد تلقى للتو رسالة من الملك حسين يعبر فيها عن الإنزعاج للموقف . وقد تحدث بالامس مع وزير خارجية العراق الذي يرى الموقف خطيرا بالمثل. والسفير السعودي الذي عاد لتوه من الرياض يقول : إن الملك سعود يشعر ايضا بالقلق الشديد . غير أن الرئيس لم يشر إلى جزء من الرسالة التي حملها السفير السعودي معه ، والذي كان مالك قد ذكره لنا في اثناء محادثتنا السابقة . ووفقا لما قاله مالك ، فإن السفير السعودي ، بعد أن أشار إلى ما أبداه الملك من اشمئزاز من السياسات السورية الحالية ، ذكر مع ذلك أنه من الخطأ أن يحاول جزء من العالم العربي أن يعزل سوريا ومصر . وقال الرئيس شمعون إن الحقيقة أن الملك سعود يخشى إذاعة القاهرة التي إذا هاجمته يمكن بسهولة أن تخلق له المتاعب ، بل وربما تشعل ثورة . ونظرا لوجود عدد كبير من الضباط والمعلمين والفنيين المصريين ، فإن لمصر تأثيرا كبيرا على المملكة السعودية . وأكد الرئيس أن المشكلة التي تواجهنا لا تتعلق بسوريا وحدها ، فالحقيقة أن السوفيت يحاولون الاستيلاء على العالم العربي . ھىٿ »

وفى الساعة السابعة و ٢٩ دقيقة من صباح ٢٩ أغسطس ١٩٥٧ بعث « هندرسون » بالجزء الثالث والأخير (١٤) من تقريره إلى « دالاس » مستكملا فيه بقية حديثه مع « كميل شمعون » ، وكان نص برقيته كما يلى :

(\(\lambda \)) ربما لا يكون النظام المصرى مواليا للشيوعية ، ولكنه يلعب في الواقع لعبة الشيوعيين . والموقف في اليمن قد اصبح خطرا حقا . وقد ذكر السفير السعودى أن الملك سعود نبه الإمام مؤخرا إلى وصول أسلحة سوفيتية . وأن المبعوث الخاص الذي أرسله الملك سعود إلى الإمام بهذا التحذير ذكر أنه شخصيا

(۱٤) صورة من الجزء الثالث من برقية « هندرسون » في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٤ صفحة ٨٤٠

راى ١٠٠ طائرة سوفيتية في اليمن . واسلحة لم يتم تفريغها من صناديقها . وذكر الرئيس أن اليمنيين يحتاجون إلى مائة سنة ليتعلموا قيادة هذه الطائرات . وقد لاحظ مبعوث الملك السعودى وصول عدة مجموعات من الفنيين السوفيت . وحتى إذا كان هذا التقرير عن شحنات الأسلحة السوفيتية مبالغا فيه ، فإن الوضع يدعو للانزعاج ، خاصة وأن الروس لابد أنهم يعتزمون إحضار طيارين سوفيت ، أو طيارين دربهم السوفيت لقيادة الله الطائرات .

(٩) أن الإعمال الشيوعية الهدامة الموجهة من سوريا بدات تصبح ملموسة بالفعل في لبنان. وأن حرس الحدود يعتقلون باستمرار شبانا لبنانيين عائدين من سوريا وقد حملهم الضباط السوريون منشورات هدامة وذخائر. وأن هذه العملية كانت تجرى منذ عدة شهور لكنها زادت بدرجة كبيرة في الإسابيع الأخيرة ويبدو الآن أنها أصبحت نشاطا منظما بعناية والشبان اللبنانيون المعنيون هم عملاء لسوريا ، ومن الواضح أنهم ليسوا من الشيوعيين العاملين. كما أنهم لا يعملون على ابتلاع سوريا للبنان في الوقت الحالى ، ولا يطلب منهم السوريون غير الإطاحة بالحكومة اللبنانية الحالية ، وإقامة حكومة أخرى تتبع خطى سوريا في السياسة الخارجية . وعند ذلك تدخل مالك قائلا إنه إذا لم تتخذ خطوات قوية دون إبطاء ، فإن العالم الحر سيفقد لبنان والشرق الأوسط ، كما فقد الصين من قبل .

(١٠) قال الرئيس شمعون إن الكارثة ستقع إذا لم يوضع حد للتطورات الجارية في سوريا . فإما « ان نصبح اقوياء ، وسوريا اضعف ، او ان ننهار » . ثم اعرب كل من الرئيس ومالك عن الأمل في الا يكون معنى البيان الصحفى الذى ادلى به الرئيس في الا اغسطس بشان سوريا ، أن تعتقد الولايات المتحدة ان بلدان الشرق الاوسط يمكن ان تتعايش مع سوريا ذات الاتجام الشيوعى . واكدت لهما انه لا يمكن استخلاص شيء كهذا من بيان الرئيس .

(١١) وقلت إنه من الواضح ان حكومتينا تتفقان تماما على ان استمرار وجود النظام الحالى في سوريا يشكل خطرا على الشرق الأوسط، وعلى السلام العالمى . وسالت عما إذا كانت لديه اقتراحات لوقف الاتجاهات الحالية في سوريا . وقلت إنى لا اتوقع منه ان يقدم اقتراحات محددة في محادثتنا الأولية ، واننا يمكن ان نناقش الأمر في مقابلة ثانية . وسالت عما إذا كانت لديه تعليقات يريد ان يبديها في الوقت الحالى .

(١٢) قال الرئيس إنه يود أن يناقش معنا هذا الأمر فيما بعد.

« هندرسون » هیث (السفیر الأمریکی فی بیروت) » الفصيل الخامس

الاندفـــاع إلى القاهـرة

0

كانت الأحوال السياسية في سوريا هشة من قبل أزمة دمشق المحاصرة في بداية خريف سنة ١٩٥٧ . ثم جاءت ظروف الحصار الذي راح يحيط بدمشق خطوة بعد خطوة ، فإذا بالأحوال فيها تصبح مدعاة لقلق شديد برغم الواجهة المتحدية والمعاندة التي كانت عاصمة الأمويين تواجه بها الحوادث .

من قبل كان مجمل الظروف التي مرت بها سوريا قد أوصلها إلى حالة من الارهاق شديدة . كانت هناك ظروف الانسلاخ عن الخلافة العثمانية ، ثم الحرب العالمية الأولى وما جرى فيها على أرض سوريا ، ثم معاهدة « سايكس بيكر » التي خصت فرنسا بالانتداب عليها ، ثم محاولة تنصيب « فيصل الأول » ملكا على سوريا ، ثم دخول الجيش الفرنسي وإخراج « فيصل » وتنفيذ صك الانتداب » ثم استمرار الحكم الفرنسي فترة ما بين الحربين العالميتين وما ثار ضد هذا الحكم من انتفاضات شعبية تسعى للاستقلال ، ثم قيام الحرب العالمية الثانية وما توالى خلالها من احداث مست سوريا مساسا مباشرا ، وأولها استسلام فرنسا مع بقاء جزء كبير من مستعمراتها تحت سيطرة حكومة « فيشي » الموالية للنازي » ثم الغزو البريطاني السوريا ، ثم مناورات الجنرال البريطاني « سبيرز » الذي كان يريد إخراج فرنسا من المشرق ، وكانت تستهدف أن تحل بريطانيا محل فرنسا ، وقد أدت هذه المناورات الى جانب حيوية القوى الوطنية في سوريا ـ إلى استقلال سوريا سنة ١٩٤٥ .

وعاد « لوى هندرسون » إلى واشنطن يمضى فيها اسبوعا واحدا ، ثم يعود إلى المنطقة متوجها رأسا إلى استانبول ليحضر اجتماعا للمجلس الوزارى لحلف بغداد ، ولم يقتصر الاجتماع على وزراء الخارجية وحدهم ، وإنما حضره أيضا وزراء الدفاع مصطحبين رؤساء هيئة أركان الحرب لقواتهم المسلحة ، وخبراءهم العسكريين .

وبدأت الحشود العسكرية التركية تتجمع في اتجاه حلب.

وبدأت حشود عراقية تتجمع في اتجاه الحسكة ، ودير الزور .

وإضافة إلى ذلك بدأت واشنطن تعلن عن شحنات سلاح عاجلة تحملها الطائرات على جسور جوية طائرة بسرعة إلى العواصم العربية التى يقال إن الخطر السوفيتى وخطر الشيوعية الدولية يوشك أن يدهمها ، وأن يقتحم عليها أبوابها .

وكانت مسرحية الجسور الجوية الحاملة للسلاح صخبا إعلاميا صارخا ، ولم يكن ذلك هو الخطر ، وإنما الخطر ما وراء هذا الصخب من تهيئة وإعداد على جبهات أخرى .

كانت دمشق محاصرة ، والعاصفة تتجمع على وشك الهبوب عليها نارا ودما!

ولم تتح لسوريا فرصة كافية لتدعيم استقلالها الجديد لأن الصراع مع الصهيونية حُول دمشق إلى قاعدة رئيسية لعمليات المقاومة الشعبية المسلحة ضد المخطط الصهيونى في فلسطين ، ثم جاءت حرب ١٩٤٨ وما انتهت إليه من إحباط وشعور بالمرارة بلغ أشده في دمشق بحكم موقعها ودورها وارتباطها الوثيق بالمشروع القومى العربى . ولم يكد صوت الرصعاص يتوقف في حرب فلسطين حتى وقع في سوريا أول انقلاب عسكرى بقيادة اللواء «حسنى الزعيم » ، ولحقت به سلسلة من الانقلابات الكبيرة تخللتها ولحقتها سلاسل من الانقلابات الجزئية الصامتة أحدثت تغييرات هامة تحت السطح أمكن رصدها ، وإن لم ينتج عنها أثر الزلزال الذي تحدثه الانقلابات العسكرية الكاملة والصاخبة .

وطوال السنوات القلقة التى اعقبت الانقلاب على « اديب الشيشكلى » ف بداية سنة ١٩٥٤ وحتى سنة ١٩٥٧ حين تحول اتجاه العاصفة في الشرق الاوسط إلى دمشق ـ كان الجيش السورى هو الساحة الرئيسية للصراعات ، وكانت هذه الصراعات قد حولته في الواقع إلى كتل(١) تتآلف أحيانا وتتنافر أحيانا ، وتكاد تصل في تنافرها إلى حد الصراع المسلح ، وكانت لبعض هذه الكتل بطبيعة الحال ارتباطات حزبية في الداخل تؤدى إلى ارتباطات على الساحة العربية تؤدى إلى عاصمتين بالتحديد : الرياض وبغداد ـ استمرارا للصراع بين السعوديين والهاشميين ، وقد اصبحت دمشق الآن ميدانه . كذلك كانت لبعض هذه الكتل ارتباطات اجتماعية واقتصادية تؤدى بدورها إلى عاصمة أخرى هي بيروت التي اصبحت وقتها عاصمة توجيه ، وإدارة الحرب الباردة في المشرق العربي . وكانت لحزب البعث العربي الإشتراكي بدوره كتلة من ضباط الجيش يعلنون بصراحة انتسابهم إليه ، وعضويتهم في لجنته العسكرية . إلى جانب ذلك ، فقد بصراحة انتسابهم إليه ، وعضويتهم في لجنته العسكرية . إلى جانب ذلك ، فقد وغير محددة ، ولكنها جميعا تتطلع بشكل أو آخر نحو القاهرة .

وربما كانت الشخصية الرئيسية في دمشق في تلك الفترة هي شخصية العقيد « عبد الحميد السراج » رئيس الشعبة الثانية في الجيش السوري (المخابرات) فقد كانت أزمة نقله هي الأزمة التي بدأت منها العاصفة الجديدة على سوريا في صيف سنة ١٩٥٧ ، وكان بقاؤه في منصبه برغم هذه الازمة إضافة زادت من قوته سواء بحكم موقعه في الشعبة الثانية ، أو بحكم الهالة التي احاطت به بعد الأزمة ، أو بحكم أنه أصبح في ذلك الوقت مفتوح الأبواب إلى القاهرة . والحقيقة أن « عبد الحميد السراج » بحكم مسؤوليته عن الأمن الجيش السوري أصبح في نفس الوقت مسؤولا عن أمن سوريا ، وكان رايه أن الجيش السوري أصبح في نفس الوقت مسؤولا عن أمن سوريا ، وكان رايه أن المن سوريا الوطني يتصل اتصالا مباشرا بالقاهرة التي أصبحت مركزا رئيسيا لقيادة المشروع القومي العربي ، والتي برز فيها « جمال عبد الناصر » كقائد قومي للأمة العربية في ظروف ما بعد السويس .

ومع بدء مهمة « لوى هندرسون » في الشرق الأوسط ، ومع طوافه بالعواصم المحيطة بدمشق ، ومع عمليات التهديد المتصاعدة بحشد الجيوش وإجراء المناورات العسكرية ، وشحن السلاح بالطائرات إلى العواصم المتربصة والمنحفزة للانقضاض ـ بدا أن الصراع على سوريا وفيها يوشك أن يدخل في مرحلة حاسمة .

كان يمكن اعتبار ما يجرى الآن -بداية خريف سنة ١٩٥٧ - عملية تمهيد للغزو ، وكان المقدر أن يجىء الغزو نفسه إذا تهيأ المسرح وتم إعداده - في ظرف ثلاثة - شهور .

كانت عملية التمهيد للغزو هي العملية التقليدية التي تستهدف إفقاد الطرف المرشح للغزو توازنه بما يؤدى به إلى التخبط في تصرفاته فتحل به الفتنة الداخلية والتفكك ، أو أن يرتكب من الأخطاء تحت وطأة العصبية ما يسهل على الغزاة مهمتهم إذ يفتح لهم من الثغرات ما يمكنهم من النفاذ منه . وفي علوم السياسة الدولية ، فإن هذه العملية يطلق عليها وصف Destabilization وترجمته الحرفية ، الإخلال بالتوازن » أو « الخلخلة ، ولكن معناه يتعدى هذا الوصف المحدود الذي توحى به الألفاظ .

وكانت الأوضاع في سوريا _ كما سلف القول _ جاهزة لهذه العملية تماما !

والحقيقة - أن هذا النوع من العمليات - التى توجه إلى أى طرف بقصد إفقاده لترازنه - قادرة على أن تعطى لنفسها حركة ذاتية . فهذه العمليات تبدأ بالتحديد ضد طرف يشعر بوطأة الحصار ، وعندما تبدأ الخطوة الأولى فيها فإن الطرف المعرض

⁽١) برزت في الجيش السورى في هذه الفترة التي سبقت الوحدة مع مصر ست كتل رئيسية: الودد : ظهر عبد الحميد السراج كلوة فردية لاينتمي إلى أي حزب أو جماعة.

الولا : طهر حد المستوي عنود موليا . ثانيا : كتلة البعث ، وكان من أبرز عناصرها في الجيش مصطفى حمدون ـ عبد الغنى قنوت ـ بشير صادق ـ حسان حيدة ـ وجمال الصوق .

ثلاثا : كتلة حزب التحرير (الشيشكلي) وشملت جماعة من الضباط المناهضين للكتلة البعثية . وتزعّم هذه الجماعة أمين النفوري ، ومن اعضائها جادو عز الدين ـ لحمد عبد الكريم ـ وحسين حيدة (شقيق حسان حيدة) .

رابعا : تارجحت بين الكتلة البعثية ، وجماعة النفوري كتلة رابعة تزعمها طعمة العودة أله وأحمد الحنيدي . خامسا : كتلة دمشق وتزعمها أكرم الديري .

سايسا : كالله عليف البزري وقد كان تعاطفها مع اليسار .

لهذه العملية يستجيب لها برد الفعل الذي يجيء بالطبع محكوما بكل الظروف التي هي بدورها متحكمة فيه .

إن كل موقف يخلق تداعياته الصادرة عن توزيع مراكز القوة ومواقع الضعف، في بنيانه ، وهكذا تبرز وقت الأزمة بعض المزايا ، وتتضخم بعض المساوىء ، وتنفتح ثغرات إلى أوسع مما كانت عليه ، وتطرأ مطامح ومطامع تداعب أحلام آخرين كانوا بعيدين عن بؤر الصراع ، ولكن دوامته الدائرة بسرعة الآن وفي مناخ التوتر تشدهم إلى الحركة السريعة للتطورات واحتمالاتها .

وربما كان أوضح ما أسفرت عنه عملية إفقاد التوازن Destabilization أو الخلخلة في سوريا في ذلك الوقت ، هو بروز دور الحزب الشيوعي السوري .

كان الحزب الشيوعي السوري من أقدم وأنشط الأحزاب الشيوعية في العالم العربي ، وكان رئيسه ، خالد بكداش » من الشخصيات الحركية المشهود لها بالذكاء . لكن حجم الحزب كان محصورا بحكم أوضاع سوريا الاجتماعية بما فيها سيطرة القوى التقليدية والعشائرية والطبقية على مختلف أوجه الحياة والنشاط فيها .

وإلى جانب ذلك ، فإن الحزب الشيوعى السورى كان واقعا في الأزمة العامة للحركة الشيوعية الدولية ـ إزاء حركة التحرر الوطنى التى قادتها عناصر تنتمى إلى الطبقة المتوسطة (الكبيرة أو الصغيرة) .

كانت الحركة الشيوعية الدولية في عصر « ستالين » ترفض دور هذه الطبقات المتوسطة بدرجاتها المختلفة ، وفي العالم العربي فإنها لم تكن ترى فيها غير طبقة تدعى بالقومية العربية بينما مقصدها الحقيقي هو البحث عن أسواق متسعة لنشاطها الاقتصادي الذي يرتبط بمصالح الاستعمار الرأسمالي العالمي ، ومن هنا فإنها اعتبرت إسرائيل موقعا تقدميا وسط بيئة رجعية ومتخلفة .

وبعد وفاة " ستالين " ، وبعد ما حدث في مصر ضد الاستعمار ابتداء من إجلاء الانجليز عن قاعدة قناة السويس ، وحتى كسر احتكار السلاح والتصميم على بناء السد العالى _ فإن الاتحاد السوفيتي بدأ يراجع نفسه . وعندما قام " خروشوف " و " بولجانين " بزيارة إلى « بورما " يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٥ فإن كليهما عاد إلى موسكو بأفكار جديدة عن حركة التحرر الوطني التي تقودها الطبقة المتوسطة في بلدان العالم الثالث ، وبمقتضى هذه الأفكار فإن حركة التحرر الوطني أصبحت في رأى موسكو قوة تقدمية معادية للاستعمار وممثلة لطموحات شعوبها ، وقد عبر وزير

خارجية الاتحاد السوفيتى في ذلك الوقت «ديمترى شبيلوف » عن هذه النظرة الجديدة بقوله لجريدة برافدا: « إن الحركة الوطنية في مصر قامت ضد الاستعمار، وفي مجال التحولات الاجتماعية بتحقيق منجزات هائلة عجزت عنها الاحزاب الشيوعية طوال تاريخها، وسوف تعجز عنها طوال عمرها، وإن جمال عبد الناصر محق في وضع الشيوعيين في بلاده في السجن لأنهم متحجرون لا يحسنون متابعة حركة التاريخ »!

إن هذه التغييرات في المواقف انعكست بالطبع _ وكان لابد أن تنعكس _ على مواقف الأحزاب الشيوعية العربية ، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي السورى الذي وضعته تطورات الحوادث في الشرق الأوسط _ كما وضعت سوريا _ في مهب العاصفة .

ولقد تأثر هو الآخر بمثل ما تأثرت القوى الأخرى غيره بعملية إفقاد التوازن أو الخلخلة ـ وبدوره فإنه استجاب لها بردود أفعال متلاحقة صنعت حركتها الذاتية ، ويمكن لنظرة متأنية على هذه الحركة الذاتية لردود الأفعال أن تلقى الضوء على ما حدث لقوى أخرى غير الحزب الشيوعي السورى .

- كانت العاصفة التى هبت على سوريا ف ذلك الوقت تتذرع بسيطرة الشيوعيين ، ومن ثم الشيوعية الدولية على سوريا ـ كوسيلة لإعطاء مبرر للحصار وللغزو .
- نتيجة لهذا أن الأضواء سلطت على الحزب الشيوعي السورى قبل غيره من القوى الظاهرة على المسرح السياسي السورى في ذلك الوقت .
- ترتب على ذلك أن وكالات الأنباء والصحف راجت تتابع نشاط السيد « خالد بكداش » وتسعى إلى اجراء أحاديث معه ، ومن ثم ظهر دوره باكثر من حقيقة قوته .
- توافق ذلك مع إنذارات سوفيتية (٢) صدرت في ذلك الوقت تحذر اطراف الحصار والغزو من عواقب تصرفاتهم ـ وكان صدورها طبيعيا ومطلوبا ـ ولكن ذلك بدوره أدى إلى زيادة التركيز على الحزب الشيوعي السورى ، وعلى رئيسه « خالد بكداش .(٣)

⁽ ٢] تكررت الانذارات السوفيتية في ذلك الوقت إلى تركيا ، كما تحركت بعض وحدات الاسطول السوفيتي في البحر الابيض أ اتجاه شواطيء سوريا تحذيرا للاطراف من أجواء مشحونة بالتوتر ا

⁽٣) بلاحظ أن مكتب الاستعلامات التابع للسفارة الأمريكية في القاهرة وزع نشرة مؤرخة بتاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٥٠ عنوانها « بكداش الذي تلقى التدريب في موسكو هو الزعيم الشيوعي الأول في سوريا ، ، وجاء فيها ما نميه

- 0
- وكان «جمال عبد الناصر » في القاهرة وعيناه على دمشق يتابع ما يجرى باهتمام يشوبه التخوف والقلق . وضاعف من أسباب تخوفه وقلقه أن إسرائيل أقدمت مرة أخرى على مناورتها التقليدية . يكون العالم العربي مشغولا بتهديد خارجي يثير ازمة داخلية _ فإذا هي تتحرك بسرعة لتخطف لنفسها في وسط الزحام غنيمة . وفي هذه الظروف وسوريا تحت التهديد وعواصم عربية عديدة تساعد هذا التهديد ، وتعطيه الحجج والأسانيد _ دخلت القوات الاسرائيلية فاحتلت منطقة « جبل المكبر » في القدس لكي تحكم الحصار حول المدينة القديمة .
- وفى يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٧ قرر «جمال عبد الناصر» أن يتكلم عن الأزمة وملابساتها ، فأدلى بحديث صحفى للأهرام (٤) نقلته الإذاعة المصرية على كل موجاتها ، ونقلته أيضا وكالات الأنباء إلى عواصم العالم:
 - « إننى اتابع تطورات الموقف في سوريا ، واتساعل :
- هل انحازت سوريا حقيقة إلى المعسكر الشيوعي كما تدعى السياسة الأمريكية ؟
 - والجواب هو النفي قطعا.
- هل يمكن أن تكون المسالة أن أمريكا تتصور ـ بغض النظر عن صحة هذا التصور أو بطلانه ـ أن سوريا انحازت إلى المعسكر الشيوعي ؟
 - والجواب على هذا ايضا بالنفى قطعا.
- إن الولايات المتحدة الأمريكية لديها من إمكانيات العلم بحقائق الأوضاع في سوريا ما يسمح لها أن تعرف كل الدقائق والتفاصيل، ولقد قابلت بنفسى من المسؤولين الأمريكيين من يعرف زعماء سوريا جميعا، ومن التقى بهم واحدا واحدا، وتحدث إليهم بلغتهم الأصلية العربية
- (1) هديث مع ، محمد هسنين هيكل » نشر على الصفحة الأولى من عدد » الأهرام » الصادر صباح يوم » سبتمبر ١٩٥٧ .

- وبمنطق العمل السياسي، فإن الحزب ورئيسه خالا بكداش انتهزا الفرصة وراح كلاهما يصدر البيانات ويدلى بالاحاديث والتصريحات لمواجهة الظرف، وكان ذلك النشاط في حد ذانه إيحاء بأن للاثنين دورا في الحياة السياسية السورية يسبق أية أدرار اخرى
- وبزيادة هذه الإيحاءات ، فإن الجماعات السياسية الباعثة عن دور والطافية على السطح بدأت تتصور أن الحزب الشيوعي هو إحدى صور المستقبل المحتمل وخياراته الممكنة في سوريا . خصوصا وأنه راح يتصدر ما بدأ أنه مقاومة وطنية للحصار والغزو المحتمل ، وهكذا انجذبت جماعات إليه ومن ضمنها بعض ضباط الجيش ، وكان الاسم البارز بينهم هو اللواء «عفيف البزري» .
- في المحصلة أصبح الحزب الشيوعي السورى مهتما بما يجرى في المجيش السورى ، وراح يطمح إلى أن تكون في صفوفه كتلة مؤثرة ضمن الكتل المؤثرة .
- وهذه المحصلة ادت بالحركة الذاتية إلى ان ظهور الحزب الشيوعى السورى على المسرح تحت هذه المساحة من الضوء اعطى مبررا للمنادين بالحصار وبالغزو، اى ان ما بدا بالادعاء راح يحقق نفسه إلى درجة ما مع الواقع بمنطق المثل العربى القائل « تخيل فخال ».

ثم تدخل الحوادث من دورة تقود بالتداعى إلى دورة ثانية .

اى ان الخطر الذي كان مدهوما بالدعاية اصبح خطراً محتملا بالادعاء .

وبدوره، فإن الخطر الذي تحول من دعاية إلى ادعاء بدأ يزيد من درجة العصبية في دمشق، وراح يرفع مخاطر الاحتكاك بين كتل متناثرة لها هي الاخرى حركتها الذاتية بردود الأفعال!

وارتفعت درجة الحرارة حول دمشق وفيها.

د كان تغلغل موسكو السياسي في بعض مناطق الشرق الادني الذي ظهر اخيرا في تولى القوات العسكرية الموالية للسوفيت زمام السلطة في سوريا _ يتركز منذ زمن طويل في نشاط عميلها خالد بكداش . و وبكداش الذي تلقى التدريب في موسكو منظم شيوعي محنك ومهيج جعل من قيادته في دمشق محور الدعلية السوفيتية والمؤامرات . وتاريخ بكداش كشيوعي صريح في ولائه لموسكو يقارن بتاريخ هوشي منه الزعيم الشيوعي ألم فيتنام الطمالية الذي ظهر بمظهر الزعيم القومي حتى استولى على السلطة . ه

وعاش في بلادهم يدرس ويراقب عن كثب ، وليس معقولا أن يصل الخطأ في الحكم إلى مثل هذه الدرجة التي توحى بها تصرفات السياسة الأمريكية ، وإذن لا يتبقى إلا أن تكون المسألة خطة مرسومة مدروسة تنفذ تفصيلا بعد تفصيل . =

ثم استطرد « جمال عبد الناصر »:

إن الهدف الحقيقى للسياسة الأمريكية تجاه سوريا هو تحويل الأنظار عن الخطر الإسرائيلي ، واختراع أخطار أخرى غيره ينشغل بها اهتمام العرب . لقد كان الإجماع العربي أن إسرائيل هي خطر حقيقي على الأمة العربية ، وحاولت الولايات المتحدة بشتى الوسائل أن تجر العرب إلى صلح مع إسرائيل ، للما فشلت هذه الوسائل جاء دور الوسيلة الجديدة وهي : خلق أخطار بديلة حتى ولو كانت أخطارا صناعية حتى يتفتت الإجماع العربي وتتفرق قواه .

ما أن كدنا نفرغ من معركة السويس وآثارها حتى بدأت نغمة الخطر الشيوعى ، ثم بدأ التركيز على مصر وسوريا ، ثم اتجهت كل قوى الضغط مرة واحدة إلى دمشق ، ثم القيت بضعة ملايين من الدولارات تطبيقا لمشروع ايزنهاور لتكون بمثابة الطعم الذى يلقى للصيد ، هذا في نفس الوقت الذى تجرى فيه عملية التخويف جنبا إلى جنب مع عملية الإغراء . وهكذا بدأ تخويف الملوك والرؤساء العرب من الخطر الشيوعى ، وأن هذا الخطر محدق قريب ، وأن هذا الخطر انشب مخالبه بالفعل في بلد من بلادهم ويوشك أن ينقض منها على غيرها ما لم يتصدوا له ويخرجوا لقتاله ، ولم تكن السياسة الأمريكية فقط هي التي تحاول أن تحقق غاياتها في جو هذه الأزمة المصطنعة ـ وإنما لحقتها إسرائيل ، وهكذا وقف بن جوريون أمس ليقول إن الخطر الذي يواجه إسرائيل هو مصر وسوريا ، وليقول أيضا إن إسرائيل تريد فتح المجال الهجرة إليها حتى يصبح عدد سكانها اليهود ضعف عددهم الآن . واليوم يمضى بن جوريون إلى خطوة أبعد ، فيأمر قواته باحتلال جبل المكبر بالقدس .

ثم لا يوجد في العالم العربي من يرى في هذا كله نذيرا بالخطر . لماذا ؟ - لأن السياسة الأمريكية استطاعت تحويل المعركة ، فأصبح الخطر الآن ل نظر الذين انطات عليهم الخدعة - قلما من سوريا ، والهجوم

المنتظر منها ، والعدو المتربص فيها ! أليست هذه هي الحال التي نراها من حولنا ؟ »

واستطرد «جمال عبد الناصر»:

« ولناخذ مثلا عملية تزويد بعض الدول العربية الموالية للغرب بالسلاح ولنتأمل جوانبها ، فهناك ظاهرتان تسترعيان الانتباه في هذه العملية :

□ الظاهرة الأولى: هي السرعة المسرحية التي يتم بها إرسال هذا السلاح إلى الدول الموالية للغرب، وهذه السرعة المسرحية في الواقع تركز تأثيرها على عملية تخويف الملوك والرؤساء وربما الشعوب ايضا، والايحاء المقصود من السرعة هو أن الأمر عاجل وخطير، وأن السلاح لا يستطيع أن ينتظر السفن، ولهذا يجب أن تنطلق به الطائرات.

□ والظاهرة الثانية: أن هذا السلاح الذي يتم نقله بهذه الطريقة المسرحية بالطائرات لا يمكن بطبيعته أن يكون سلاحا ثقيلا يصلح للمعارك الحربية ، فالسلاح الذي ينقل بالطائرات لا يمكن أن يزيد عن أن يكون بعض السيارات والمعدات اللاسلكية ، وبعض المدافع الخفيفة والأسلحة الصغيرة ، فإذا لم يكن هذا السلاح صالحا لميدان القتال ، فما هو الميدان الذي يمكن أن يستخدم فيه ؟

والرد الوحيد الذي أجده على هذين السؤالين هو أن هذا السلاح موجه إلى الجبهات الداخلية في البلاد التي يرسل إليها بالطائرات، فهو إذن ليس موجها إلى أي عدو من الخارج، وإنما القصد الحقيقي منه هو السيطرة على الداخل، وكسر شوكة القومية العربية والقضاء عليها إذا كان ذلك في نطاق المستطاع. ولم يكن أحب إلى من أن تعطى أمريكا لمن تشاء من الدول العربية أسلحة ثقيلة، وبكميات مؤثرة توفر لها مقتضيات الدفاع عن نفسها في ميدان قتال حقيقي، ولم أكن لأرى في ذلك عيبا، بل كنت أراه مدعاة للفخر، فلقد حاولت بنفسي طويلا أن أقنع السياسة الأمريكية بأن تبيع سلاحا لمصر مع أنها تقدمه مجانا السياسة الأمريكية بأن تبيع سلاحا لمصر مع أنها تقدمه مجانا السياسة الأمريكية الناخلية، ولعنت أمريكا على استعداد لأن تعطينا سلاحا يمكن استخدامه ضد الجبهة الداخلية، ولم يكن ذلك السلاح الذي أريده وإنما كنت أريد سلاحا فعالا يستطيع



عبد الناصر وعبد الحميد السراج

للاستعمار، وإذا بدا انه يخص الحزب الشيوعى السورى بمعاملة خاصة، فإن ذلك مبعثه ان الإنذارات التى يوجهها الاتحاد السوفيتى إلى القوى الاستعمارية تحدث تأثيرا كبيرا في نفسية الشعب السورى إذ تجعله يشعر ان هناك قوة عظمى تقف وراءه وتسنده، وهو يتصور انه إذا وقع غزو ضد سوريا فإن الاتحاد السوفيتى يستطيع على نحو ما فعل في معركة السويس ان يشارك في ردع العدوان. وكانت وجهة نظر « جمال عبد الناصر » انه مع كل صداقة العرب للاتحاد السوفيتى ، فإن علينا جميعا الاننسى انه « ليس بمقدور أى دولة عظمى ان تغامر بحرب نووية من أجل الآخرين. وأن الدعم السوفيتى السياسى مهم بشرط أن نعى تماما أن مسؤولية القتال في النهاية تقع علينا وحدنا » .

واستمر الحوار لبضع ساعات ، وكان اهم ما فيه بعد ذلك ان « جمال عبد الناصر » ابدى تخوفه من وجود كتل في الجيش يتحكم قوادها في معسكرات مسلحة تحت ضغوط نفسية شديدة مما قد يخلق مجالا للاحتكاك بين هذه الكتل يؤدى ـ ولو بسوء الفهم ـ إلى نقل الخلافات السياسية إلى صراعات مسلحة .

ان يدافع بكفاءة عن حدود اوطاننا . وينبغى علينا ان نتذكر امرين ونحن ندرس خطط السياسة الأمريكية الجديدة ضد سوريا :

الأمر الأول - أن الخطة ليست جديدة ، بل الحقيقة أنها امتداد للخطة الاستراتيجية القديمة ، و إن كانت قد وجدت لنفسها الآن توجها تكتيكيا جديدا .

والأمر الثانى - أن الخطة كما يبدو من دراستها لا تتجه إلى سوريا وحدها، وإنما هدفها الأصلى هو القومية العربية كلها.

لقد اختبرت السياسة الأمريكية خبرة مباشرة خلال خمس سنوات كاملة ، والنتيجة التي توصلت إليها هي أن السياسة الأمريكية تجاه العرب تسعى إلى تحقيق ثلاثة اهداف :

١ - تصفية الصراع العربي الإسرائيلي على اساس الأمر الواقع .

٢ ـ فرض تنظيم عسكرى يخدم المصالح الأمريكية وحدها .

٣ ـ أن تتحول الدول العربية جميعها إلى منطقة نفوذ سياسي دولي للولايات المتحدة الأمريكية . »

ولم يكتف « جمال عبد الناصر » بإعلان آرائه في الأزمة ، وإنما كان عليه إلى جانب ذلك أن يتصرف عمليا . وهكذا طلب إلى العقيد « عبد الحميد السراج » رئيس الشعبة الثانية (المخابرات) في الجيش السوري أن يجيء إلى القاهرة للقائه ، وأن يصطحب معه اللواء « عفيف البزري » رئيس أركان الجيش السوري الذي راجت من حوله أقاويل التعاطف مع الحزب الشيوعي السوري .

ووصل الاثنان إلى القاهرة ، وقابلهما « جمال عبد الناصر » معا مساء يوم ١١ سبتمبر (بعد أيام من حديثه للأهرام) . وبدأ « جمال عبد الناصر » يسمع من الاثنين تقريرهما عن الأوضاع العامة في سوريا ، ثم راح يوجه أسئلة حول مواقف الأحزاب السياسية ، ثم انتقل من ذلك إلى الكتل في الجيش وتكويناتها وانتماءاتها الحزبية والسياسية . ثم انتقل إلى دور الحزب الشيوعي السوري ، وهنا توجه بحديثه بالدرجة الأولى إلى اللواء « عفيف البزري » مضيفا أنه سمع عن تعاطف اللواء « البزري » مع الشيوعية ، وأن هذا إذا صح يخلق وضعا خطيرا أبسط ما فيه أنه يعطى لأصحاب الحملة ضد سوريا مصداقية في حربهم النفسية ضد سوريا . وكان رد اللواء « البزري » انه متعاطف مع كل القوى المعادية

واقترح إنشاء مجلس يضم قادة هذه الكتل ، ويجتمع دوريا بحيث يكون ل مقدور كل منهم أن يتعرف على نوايا الآخرين ، وأن تكون من ذلك وسيلة للاتصال تحول دون اصطدامهم ببعضهم في الظلام لأن ذلك إذا حدث سوف يؤدى بسوريا إلى حرب أهلية تحقق لقوى العدوان ما تريد دون أن تضطر هذه الدول إلى إطلاق رصاصة واحدة . وقال « عبد الحميد السراج » إن هذا الاقتراح كان موضع تفكير بالفعل ، وأنهم قبل أيام قليلة جربوا عقد اجتماع موسع يضم ٢٤ ضابطا من كل الاتجاهات . وكان راى « جمال عبد الناصر » أن هذا الاجتماع يجب أن يتكرر ، وأن يصبح أطرافه مؤسسة مؤقتة حتى تنجلي الأوضاع .

وانتقل الرئيس = جمال عبد الناصر » بعد ذلك إلى مناقشة توزيع القوات السورية على الجبهات المحتملة للتهديد ، ثم طرح للبحث تقريرا للمخابرات العسكرية المصرية عن الحشود التي تواجه سوريا على الحدود مع تركيا والعراق . وبدا واضحا من المناقشة التي دارت بعد ذلك عن الاحتمالات العسكرية أن توزيع القوات السورية غير كاف ، خصوصا وأن قادة الكتل العسكرية في الجيش مصرون على الاحتفاظ لكل منهم ببعض قواته قرب العاصمة حتى يحتفظ بدوره السياسي وقدرته على التأثير فيه .

وفى اليوم التالى قام «جمال عبد الناصر» بدعوة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى الاجتماع به . وطرح عليهم أفكاره عن الأوضاع في سوريا ، ثم أضاف إلى ذلك اقتراحا طلب إليهم دراسته .

كان تفكيره على النحو التالى:

ان سوريا تواجه تهديدا عسكريا لا شك فيه ، وأن بروز هذا التهديد
 يخلق في دمشق حالة من العصبية يمكن أن تؤدى إلى تصرفات غير
 محسوبة تفتح ثغرة لخطط العدوان .

٢ - إن الجيش السورى في حالته الراهنة سواء بحجم قواته ، او بدرجة انقسام الكتل فيه ، أو بتعدد مصادر التهديد أمامه يشعر بوحدة شديدة تساعد حالة العصبية السياسية العامة .

٣ - إن الجيش السورى والشعب السورى معا لا يصح أن يتركا في هذه الظروف تحت توهم أن النصير الوحيد المرتجى لهم في حالة تحقق العدوان هو الاتحاد السوفيتى وأية إنذارات سياسية تصدر عنه . وأن هذه الإنذارات قد تشجع أقوالا وأفعالا غير مسؤولة دون أن يكون عليها التزام محدد في حالة الخطر .

إن الأمة العربية كلها تتابع ما يجرى في سوريا بقلق لا يجد سبيلا
 إلى طمانينة يتاكد معها توازن التصرفات

وكان اقتراح «جمال عبد الناصر» بعدها - وتنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك الخاصة بين مصر وسوريا - هو أن تطورات الموقف ربما تحتم على مصر أن تقوم بإرسال قوات مصرية إلى هناك ، وأن ذلك في حد ذاته سوف يخلق شعورا بالاطمئنان في سوريا ، ثم إن وصول مثل هذه القوات من ناحية أخرى يلاشى تأثير انقسامات الكتل بين الضباط ألا دمشق ، إلى جانب أنه إعلان للأمة العربية وللعالم أن سوريا لن تقف في أي معركة محتملة وحدها .

وفى صباح ١٤ سبتمبر حضر اللواء « عفيف البزرى » اجتماعا مع اللواء « عبد الحكيم عامر » شارك فيه عدد من أعضاء هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، وبحثوا احتمالات التهديد على سوريا ، وخلصوا في اجتماعهم إلى مجموعة من النقط أهمها :

١ أن إسرائيل ما زالت هي العدو الأساسي ، وأن الخطط العسكرية
 الدفاعية لمصر وسوريا ينبغي أن تعد لمواجهة خطرها .

ليس من المرجح أن تستطيع تركيا تحريك قواتها ضد سوريا لأن
 معنى ذلك أنها تكشف جبهتها الطويلة مع الاتحاد السوفيتى .

٣ ـ انه ليس من الضرورى حشد قوات عسكرية كبيرة على حدود سوريا مع أى دولة من الدول العربية الموالية للغرب لأن هذه الحكومات مهما بالغ حكامها فى ولائهم للغرب لا يستطيعون مواجهة شعوبهم ، ولا إصدار الأمر لجيوشهم بالتوجه لقتال الجيش السورى . وأنه على فرض أن أى جيش عربى اتجه إلى حدود سوريا ، فلا ينبغى مواجهته بالسلاح .

ومع ذلك فلابد من التحوط لكل الاحتمالات .

وفي اواخر شهر سبتمبر كانت هيئة اركان حرب القوات المصرية الماعدت خطة للعمل، وفي يوم ١٣ اكتوبر ظهر امام ميناء « اللاذقية » في شمال سوريا اسطول مصرى يضم بضع ناقلات للجنود وثلاث مدمرات، ونزلت إلى الشاطىء منها قوات مصرية تشكل في مجموعها لواءين كاملين تصحبهما اسلحتهما الثقيلة من المدفعية والمدرعات. وحين اذيع نبا نزول قوات من الجيش المصرى إلى سوريا كانت

الأصداء أن دمشق مدوية ، وكانت الأصداء أن العالم العربي مثيرة ، وكانت موازين القوى في الشرق الأوسط أن اختلفت .

لم تكن آثار وصول الجيش المصرى إلى سوريا مقصورة على دمشق ، ولا على غيرها من العواصم العربية فقط ، وإنما كانت هذه الآثار تحمل إلى العالم حقائق استراتيجية جديدة في موازين القوى في الشرق الأوسط:

- من ناحية كان معنى هذه الخطوة أن كلا من مصر وسوريا قد أصبحتا جبهة عسكرية واحدة لأول مرة منذ أيام " صلاح الدين " و « محمد على " .
- ومن ناحية ثانية ، فإن هذه الجبهة الواحدة كانت تسيطر وراء خطوطها على كل ممرات البترول في المنطقة ، أى قناة السويس في مصر ، وخطوط نقل أنابيب البترول في سوريا .
- ومن ناحية ثالثة ، فإن ثقل حركة القومية العربية الذى كان يرتكز على القاهرة قد اتسع بشكل هائل ، فامتد ليشمل سوريا أيضا . وترتب على هذا مباشرة أن الضغط الذى كان واقعا على أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة قد ازداد في وزنه وفي تأثيره بطريقة درامية .

وفى المحصلة النهائية ، فقد كان معنى ذلك أن مشروع « ايزنهاور » من أساسه قد تلقى ضربة قاضية ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل الذى يمكن للولايات المتحدة وأصدقائها في المنطقة أن يتقبلوه بسهولة .

[ولعل « جمال عبد الناصر » أراد أن يفتح منفسا لبعض البخار المضغوط ، فقد طلب منى صباح اليوم التالى أن أتوجه إلى مقابلة السفير الأمريكي « ريموند هير » وأن أبلغه رسالة منه (الرئيس « عبد الناصر ») مع رجاء إبلاغها إلى الرئيس « ايزنهاور » خلاصتها : « ارفعوا أيديكم عن سوريا » . وكان مجمل رسالة « عبد الناصر » إلى « ايزنهاور » بعد ذلك هو « أنه إذا كانت الولايات المتحدة تخشى الشيوعيين فعلا في دمشق ، ولا تتخذ ذلك تكثة لأهداف أخرى _ فإن خير ما تستطيع أن تفعله الآن هو أن ترفع يدها عن سوريا » فاستمرارها في الضغط على هذا النحو الفليظ لن يكون له أثر إلا دفع سوريا إلى المجهول . ثم إن سوريا لن تسقط للشيوعية الدولية أو لغيرها من القوى في العالم ، وإن هذه ليست في كل الأحوال مسؤولية الولايات المتحدة ، وإنما هي مسؤولية الحركة القومية العربية » .]

وفى كل الأحوال ، فإن المواقف المستجدة راحت تفرض حركتها الذاتية بالأفعال وردود الأفعال ، فنزول القوات المصرية في سوريا خلق حالة من الفوران في العالم

العربى ، وفي سوريا على وجه التحديد ، وفي مواجهة هذا الفوران فإن القوى التي كانت ترتب وتدبر للعدوان على سوريا راحت تشدد ضغوطها ، وفي هذا المناخ المسحون ارتفعت الأصوات المطالبة بالوحدة بين مصر وسوريا .



ولم تكن المطالبة بالوحدة بين مصر وسوريا فكرة جديدة . فلقد بدأ طرحها منذ المعركة ضد حلف بغداد ، وبعد معركة السويس فإن الإلحاح عليها بدأ يشتد يوما بعد يوم خصوصا في مواجهة أخطار مشتركة بين البلدين .

وفى أواخرسنة ١٩٥٦ طرح الرئيس « شكرى القوتلى » مشروعا لاتحاد فيدرالى تحت اسم « الدول العربية المتحدة » يضم مصر وسوريا كنواة ، ويكون بابه مفتوحا لانضمام أية دولة عربية أخرى ترغب فى ذلك .

وفى فبراير سنة ١٩٥٧ وفى أثناء المناقشات المحتدمة حول مشروع « ايزنهاور » طرح السيد « صبرى العسلى » رئيس وزراء سوريا على « جمال عبد الناصر » اقتراحا بإقامة وحدة بين مصر وسوريا .

وفى شهر يوليو سنّنة ١٩٥٧ ، وخلال معركة الضغط الشديد على سوريا ، اتخذ مجلس الوزراء السورى قرارا بطلب إقامة اتحاد فيدرالى مع مصر .

وفى أثناء زيارة وفد برلمانى مصرى برئاسة « أنور السادات » لسوريا فى شهر نوفمبر ١٩٥٧ وفى أعقاب نزول الجيش المصرى فى اللاذقية _ اتخذ البرلمان السورى قرارا بإعلان إرادته فى الوحدة بين البلدين ، وأعقب ذلك زيارة وفد برلمانى سورى إلى مصر ، وفى حضوره اتخذ مجلس الأمة المصرى قرارا بالاستجابة لرغبة البرلمان السورى بالوحدة .

كان الجو معبأ بنداءات الوحدة ، وبالدعوة إليها باعتبارها أملا مرتقبا ، وتأمينا ضروريا للبلدين في مواجهة خطر مشترك .

وأحس « جمال عبد الناصر » أن العجلة تدور بأسرع مما كان مستعدا له . وفي





كيرميت روزفلت

وبرت أندرسون

بداية شهر يناير ١٩٥٨ قرر إيفاد مبعوث خاص هو اللواء « حافظ اسماعيل » إلى دمشق لكي يقوم بنقل وجهة نظره إلى المجلس العسكري الذي يضم زعماء الكتل في الجيش السورى . وكانت نداءات الوحدة قد بدأت تصل إليهم ، وراحوا بدورهم يندفعون في تيارها . وكانت وجهة نظر « جمال عبد الناصر » تتلخص في أنه يوافق على الوحدة بين مصر وسوريا ، ولكنه يرى أن هذه قضية أخطر بكثير من مجرد إجراء يتخذ لمواجهة أزمة طارئة معينة ، وأن الوحدة لكي تقوم على أساس سليم ينبغى أن يجرى الإعداد لها بعناية ، وفي تقديره أن هذا الإعداد يقتضى فترة لا تقل عن خمس سنوات . وكان الاتجاه الواضح بين أعضاء المجلس العسكرى هو انه في الظروف الحالية ، فإن البدء بالوحدة قد يكون أدعى للسلامة على أن تحل المشاكل الضرورية لمرحلة الإعداد في اثناء قيام دولة الوحدة وفي ظلها .

وكانت الأمور في دمشق تتحرك بسرعة ، فإن وصول القوات المصرية إلى سوريا ، ووجود خطة عسكرية مطروحة للدفاع عن حدودها إزاء مخاطر متعددة المصادر _ فرض إجراء تحركات واسعة النطاق لتشكيلات الجيش السورى ، ولم يكن قادة الكتل المتنازعة في الجيش السورى على استعداد لتنفيذ هذه التحركات التي كان من شأنها تجاوز انقسامات الكتل وتربصها ببعضها .

وعقد المجلس العسكري الممثل لكل الكتل في الجيش السبوري اجتماعات متواصلة ، وكانت المخاوف الذاتية تغالب الخطر الماثل وضروراته ، وتأزم الموقف

واشتدت درجة حروجته إلى الحد الذي دعا بعض قادة الكتل إلى إعلان حالة الاستنفار ف وحداتهم التي تواجه بعضها البعض ، واكثر من ذلك فإن بعض قادة هذه الكتل قضوا ليالي بأكملها ساهرين داخل وحداتهم مخافة أن تسبقهم كتلة أخرى إلى حركة مفاجئة . ثم تنادى الجميع إلى اجتماع لحل الموقف الشائك والدقيق بينهم ، وتداعياته المحتملة والخطرة على الأمن الوطنى لسوريا ، والأمن القومي بصفة عامة - وإذا بالرأى الغالب بينهم أن أحدا منهم لا يستطيع أن يطمئن إلا بتسليم مقاليد الأمور جميعا إلى « جمال عبد الناصر » فهو وحده القادر على الفصل بين الأطراف المتعارضة ، والتي استحكمت الشكوك بين بعضها البعض . ولم ينفض الاجتماع إلا وقد طلب المشاركون فيه إعداد طائرة خاصة تحملهم إلى القاهرة لمقابلة « جمال عبد الناصر » لكي يمسك بنفسه بزمام الأمور ، ويتولى حسم المواقف ، ويقبل بوحدة فورية بين البلدين تنقل إليه مسؤولية المصائر وتحمله وحده تبعة توجيهها.

وكان الوقت منتصف الليل في دمشق ا

كانت طائرة الوفد العسكري السوري فوق مطار القاهرة في الساعة التانية من منتصف الليل يوم ١١ يناير ١٩٥٨ . وكان ركابها أربعة عشر ضابطا من أعضاء المجلس العسكري(٥) ، وكانوا يحملون معهم مذكرة بطلب الوحدة الشاملة الفورية وقعوا عليها جميعا قبل سفرهم من دمشق ، وانتهت إلى القول بالنص : « إن القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة السورية ، شعورا منها بمسؤوليتها القومية ودورها التاريخي ووفاء منها للشعب العربي في سوريا الذي حملها مسؤولية الدفاع عن بقائه وسلامته لتعلن أن كل وحدة لا تنبني على الأسس السابقة الذكر ـ ليست إلا تحالفا بين جيشين تابعين لدولتين منفصلتين ، ذلك أن متطلبات الدفاع وسلامة الأمة وحفظ كيانها في عصرنا الحاضر تقتضي دمج الشعوب العربية المتحررة في كيان واحد لتساهم في تحرير بقية الوطن العربي ، وتقوم بواجبها لصون السلم العالمي.

كما تعلن القيادة العامة باسم جميع القوات المسلحة أنها على أتم استعداد لتحمل جميع الواجبات الدفاعية التي تقتضيها الوحدة الفورية، وتعتبر نفسها منذ الآن ملزمة بتنفيذ كل ما تتلقاه من أوامر وتوجيهات تعطى اليها من القيادة العامة الموحدة مهما ترتب على هذا التنفيذ ، وفي الوقت نفسه

^(•) المجلس بكامل هيئته يتكون من ٢٤ عضوا .

تحمل كل حكومة أو فئة تتهاون في تنفيذ هذه الوحدة خطورة ونتيجة عملها تجاه الشعب العربي بأسره ، وتجاه الأجيال العربية الصاعدة . »

وأحدث وصول طائرة الوفد إلى مطار القاهرة وبزول هذه المجموعة من الضباط السوريين منها ارتباكا في مطار القاهرة ، وجرى الاتصال على عجل باللراء « عبد الحكيم عامر » ، وكان فجر يوم ١٢ يناير قد بدأ في الطلوع ، وأشار « عبد الحكيم عامر » على أعضاء الوفد بأن يتوجهوا إلى قصر « الطاهرة » لكى يناموا فيه بضع ساعات للراحة ، وبعدها فإنه سوف يكون مستعدا للقائهم .

كان « جمال عبد الناصر » في أسوان في صحبة ضيفه « أحمد سوكارنو » رئيس جمهورية « اندونيسيا » والذي كان يقوم بزيارة رسمية إلى مصر في ذلك الوقت ، واتصل « عبد الحكيم عامر » بالرئيس « جمال عبد الناصر » في أسوان ، وطلب « عبد الناصر » من « عبد الحكيم عامر » أن يقابلهم ، وأن يستمع إليهم ، ثم يخبرهم أنه _ أي الرئيس _ سوف يقابلهم فور عودته من أسوان .

والتقى اللواء « عبد الحكيم عامر » يوم ١٤ يناير بمجموعة الضباط السوريين الأربعة عشر واستمع إليهم مطولا ، ولم يبد رأيا فيما سمع مكتفيا بالقول بأن « الرئيس سوف يسمعهم ، ويتحدث إليهم برأى مصر فيما يطرحوه » .

وفي اليوم التالى ١٥ يناير، وفي الساعة الثامنة مساء استقل أعضاء الوفد سيارات وضعت تحت تصرفهم متوجهين من قصر «الطاهرة» إلى بيت «جمال عبد الناصر» في منشية البكرى، وجلسوا في نصف دائرة حوله ومعهم « عبد الحكيم عامر» وبدأوا بتقديم المذكرة المكتوبة التي حملوها معهم من دمشق موقعة من كل أعضاء المجلس العسكرى بطلب الوحدة الفورية، وأمسك « جمال عبد الناصر» بالمذكرة، ووضعها تحت منفضة على مائدة أمامه قائلا لهم : « إن الموضوع أخطر من أية أوراق أو مذكرات، وأنا سمعت من عبد الحكيم ملخصا عما تحتويه هذه المذكرة، ولن اقراها أمامكم الأن وإلا كنا نقفز إلى النتائج دون أن نتحرى مقدماتها وأسبابها «. ثم أضاف : « إنني أرسلت لكم وجهة نظرى في موضوع الوحدة، وأننا لسنا مستعدين لها قبل خمس سنوات، ولا أعرف ما الذي استجد خلال الأسبوعين الأخيرين بما يدعوكم الآن إلى المطالبة بالوحدة الفورية ؟ ».

وبداوا يتكلمون^(١) .

وصفوا حالة الفرقة بينهم، وقد ادت إلى إعلان حالة الاستنفار الدائمة في الثكنات لأن كلا منهم يتوجس من الآخر والبلد يمكن أن تضيع فيما بينهم " ثم وصفوا حالة الانقسام بين الأحزاب السورية التي فرعت اتجاهاتها السياسية إلى درجة توشك أن تحدث فتنة ، ثم تحدثوا عن تسلل بعض الشيوعيين إلى أعصاب حساسة داخل سوريا ، وعن نشاط خالد بكداش الذي حول حي الأكراد في دمشق إلى قلعة مسلحة لا يجسر على الاقتراب منها غريب .

ثم تحدثوا عن أسلحة تقوم أجهزة الأمن في حلف بغداد بتهريبها عبر الحدود إلى سوريا في نفس الوقت الذي تتكاثف فيه الحشود العسكرية على الحدود التركية والعراقية مدفوعة بتحريضات أمريكية سافرة.

ثم تحدثوا عن الشخصيات السورية السياسية المتهالكة » في رأيهم ، وأن كلا منهم قد باع نفسه لعاصمة عربية ، أو أجنبية تدفع له الأموال الطائلة بما يؤدى إلى أن سوريا أصبحت وطنا معروضا للبيع .

كان « جمال عبد الناصر » يصغى باهتمام . وحين أحس أنهم قد أفرغوا همومهم أمامه بدأ يتكلم قائلا :

« لابد أن أقول لكم إن كل ما سمعته منكم لا ببرر قيام وحدة ، فما ذكرتموه جميعا لا يخرج عن كونه أسبابا سلبية ، وهذه الأسباب السلبية سوف تكون عبنا على الوحدة أكثر مما تكون قوة دافعة لها ». ورد أحدهم قائلا : « ولكن الشعب في سوريا كله يطلب الوحدة ، والوحدة هي المطلب الدائم بالنسبة للشعب السورى ، والوحدة مع مصر بالذات هي التيار الكاسح في سوريا الأن » .

وتدخل ضابط آخر من بينهم يقول: « إن الناس في سوريا يحسون أنهم مقبلون على الوحدة ، وأن مصر تصدهم . ومجلس النواب السورى اتخذ قرارا بالوحدة مع مصر ، ولكن مجلس الأمة المصرى لم يستجب ، وإنما ظل أسابيع طويلة مترددا ومحجما دون أن يجيب عمليا على النداء الموجه إليه من المجلس النيابي السورى . وبأمانة فإن هذا وضع جارح للمشاعر الشعبية في سوريا » .

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا : « إننى لست في حاجة إلى أن أؤكد لكم أننى وحدوى بمشاعرى وتفكيرى ، لكن الوحدة ليست عملا سهلا . ولست أخفى عليكم أننا بدأنا بالكاد بعد معارك عنيفة ضد الاستعمار نوجه كل طاقتنا لبناء مصر ، وأملى في بناء مصر هو أن تكون قاعدة قوية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لنضال بقية الشعوب العربية . إن أملى أن نجعل من

⁽٦) المحضر الكامل لوقائع الاجتماع في الملف رقم ٣٧٤ (شؤون عربية) الذي كان محفوظا في ارشيف منشية البكري ، وهو مكتوب بخط اليد ، وفي الأرجح أن كاتبه هو أحد كبار الضباط المصريين من هيئة أركان الحرب الذين كانوا يقومون بدور ضباط الارتباط مع الوفد العسكري السوري .

مصر نموذجا لامكانيات العمل الوطنى ، وبرغم ما في ذلك من مشقة فاعتقادى ان هذا هو طريقنا الوحيد ليس فقط لتطوير مصر ، ولكن للوحدة ايضا . فعندما نجعل من مصر بلدا نواة لامكانيات التطور العربى ـ فإن ذلك سوف يكون له اثره في تدعيم الدعوة إلى الوحدة عمليا وواقعيا وإيجابيا . وقاطعه أحد الضباط قائلا : « سيادة الرئيس . تريد أن تعمل لمصر وتترك سوريا التي علقت أمالها على مصر وعليك . أنا أقول وأمرى إلى الله إنك بذلك تتخلى عن دعوة القومية العربية من أجل مصر وحدها » .

وابتسم " جمال عبد الناصر " ثم قال لمحدثه : " ما دمت قد آثرت أن تتكلم معى بهذه الصراحة ، فلا بد لي أن أبادلك القول بمثلها . فاذا تكلمنا بوضوح ، فلا بد لى أن أقول لكم إنني أعرفكم جميعا ، وأعرف حسن مقاصدكم ، ولكن لديّ سؤالا واحدا محددا يلح على منذ أن بداتم تتكلمون ، وسؤالي هو : ما هي. صفتكم التي تبيح لكم أن تتحدثوا معى في هذا الأمر، وأنتم غير مسؤولين سياسيا ؟ وسؤال آخر : هل تعرف الحكومة في دمشق أنكم سوف تتحدثون معى عن الوحدة؟ وإذا كانت تعرف، فلماذا لم يوضع الأمر في إطاره السياسي الشرعى الصحيح ؟ وإذا كانت الحكومة لا تعرف ، فمن حقى إذن أن ألح على سؤالي وهو من أنتم وما هي صفتكم ؟ _ هل يعرف الرئيس شكرى القوتلي بما جئتم تحدثونني فيه ؟ » ورد أحد الضباط قائلا : « إننا بعثنا أمين النفوري (أحد أعضاء المجلس العسكري ونائب رئيس هيئة اركان حرب الجيش) إلى شكرى القوتلي ليخطره بأننا هنا ، وليحيطه علما بالسبب الذي جئنا من أجله وهو يمثل رأى الجيش ، وليس أمام شكرى القوتلي إلا أن يقبل ، فهو لا يستطيع أن يعارض أي شيء نطلبه . ومد « جمال عبد الناصر » يده وأمسك بالمذكرة التي كان قد وضعها تحت المنفضة على المائدة ، وقال : « متأسف . إنني لا استطيع أن أقبل هذه الأوضاع ، وأنا أعرف أنكم تمسكون بأيديكم بزمام القوة الحقبقية في سوريا . ولكنى من ناحيتي لا أقبل في مثل هذه الأمور أن أتحدث ، أو أبحث إلا مع حكومة مسؤولة شرعيا ودستوريا».

وساد الصمت . ثم قطعه أحد الضباط بقوله : « سيادة الرئيس . هل تعطينا وقتا نتصل بالحكومة ؟ سوف نبعث إذا وافقت برسول منا بالطائرة إلى الحكومة يعرض عليها الموقف ويستطلع رأيها ، وسنبقى نحن هنا حتى يعود الرسول برأى الحكومة الرسمى . ولا نريد أن نمشى من هنا إلا ونحن نعرف قرارك إلى اين بالتحديد » .

ودعاهم « جمال عبد الناصر » إلى الانتقال معه إلى مائدة العشاء ، وأن يتحدثوا معه فيما يشاءون إلا موضوع الوحدة .

وفى الفجر قامت طائرتهم من القاهرة متوجهة إلى دمشق . وفي عصر اليوم ذاته عادت الطائرة ، وعليها الأستاذ « صلاح البيطار » وزير الخارجية السورية ممثلا رسميا للحكومة في دمشق .

كانت دمشق في حالة ارتباك شديد . فقد فوجيء الرئيس « شكرى القوتلي » عندما علم بسفر الضباط إلى القاهرة ، واطلع على مذكرتهم بطلب الوحدة . وكان تعليقه الأول أن هذا انقلاب عسكرى سافر على السلطة . ثم تمالك أعصابه بعد قليل ليقول إنه هو أول المطالبين بالوحدة ، وأنه في خطابه يوم إعلان الاستقلال كان هو القائل وهو يرفع العلم السورى بأنه يتمنى أن يعيش إلى اليوم الذي يرفع فيه علم الوحدة فوق علم الوطن . ثم بدأ يهدأ أكثر " ويقول إنه هو الذي كان يجب أن يسافر إلى القاهرة ، وأن يبحث الموضوع مع « جمال عبد الناصر » . وأبدى الرئيس « القوتلى » بعد ذلك ارتياحه عندما علم بما دار بين « جمال عبد الناصر » وبين الضباط الذين سافروا إلى القاهرة ، وكيف أن " جمال عبد الناصر » أصر على أنه لايستطيع أن يبحث الأمر إلا مع الحكومة الشرعية المسؤولة في دمشق .

ولقد أدرك الرئيس « القوتلى » بالتأكيد أن زمام الموقف قد أفلت من يده ، وأنه ليس في وسعه غير أن يساير اتجاه الحوادث أو يتنازل عن الرئاسة ، وفي هذه الحالة فإنه سوف يضع نفسه في موقف المعارض لمطلب الوحدة . وهكذا وافق على سفر وزير الخارجية الأستاذ « صلاح البيطار » رغم أن علاقاته بحزب البعث الذي يحتل فيه « صلاح البيطار » موقعا قياديا كانت مفعمة بالشكوك التي تصل إلى حد الكراهية .

ولم يلتق الأستاذ « صلاح البيطار » ب « جمال عبد الناصر » يوم وصوله إلى القاهرة . فإن « جمال عبد الناصر » كان يريد قبل مقابلة الممثل الرسمى للحكومة السورية أن يبحث القضية المطروحة بتأن وهدوء . كان يدرك منذ اللحظة الأولى أن الظروف تفرض عليه أن يقبل شكلا من أشكال الوحدة . فعدم القبول كان يعنى في هذا المناخ احتمال دفع سوريا إلى انفجار من الداخل لا يمكن تطويق نتائجه لا على مستوى الجيش السورى ، ولا على مستوى الشعب الذي بدأ يعرف بما يجرى في القاهرة ، وراحت مظاهراته العارمة تجتاح كل المدن السورية بلا استناء منادية بالوحدة ، ومرددة هتافا واحدا : « بدنا الوحدة باكر باكر . . . »

وفي يوم ١٦ يناير كان مجلس الأمة المصرى يقيم احتفالا بذكرى إصدار دستور ١٦ يناير، وأقام السيد « عبد اللطيف البغدادي ، مأدبة عشاء دعا إليها مجموعة الضباط السوريين الموجودين في القاهرة وقتها ، ومعهم الأستاذ « صلاح البيطار . وأحدث وجودهم في احتفال المجلس جوا ملتهبا من الحماسة ، وحين دخل ■ جمال عبد الناصر » إلى مبنى المجلس ليشارك في الاحتفال فوجيء بأن المجلس كله قد تحول إلى مظاهرة عارمة تطالبه بالوحدة . وتقدم الأستاذ « صلاح البيطار » من الرئيس « جمال عبد الناصر ، يقول له : « لقد جئت ممثلا للحكومة السورية أحمل طلبا رسميا منها بإقامة دولة الوحدة » . وكان هذا على مسمع من الجميع . وانفجرت القاعة حماسة إلى درجة أن كثيرين فيها أجهشوا بالبكاء وانتابت بعضهم نوبات هستيرية ، فإذا صراخهم يتعالى بطلب الوحدة فورا . واستطاع « جمال عبد الناصر » تهدئة المشاعر بأن قال لـ « صلاح البيطار » ولمجموعة الضباط الذين أحاطوا به بأنه سوف يجتمع بهم غدا ، لكنهم أصروا على أن يجتمعوا به في نفس الليلة ليسمعوا قراره لأنه من الضروري بالنسبة لهم أن يعودوا إلى وحداتهم ، وإلا فإن حماسة الموقف قد تتولد منها شرارة في جو ملتهب بالعاطفة . وانتهى العشاء قبل منتصف الليل بقليل ، وتوجه « عبد الناصر » إلى بيته ووراءه رتل من السيارات يقل وزير خارجية سوريا والممثل الرسمى لحكومتها ، وأربعة عشر ضابطا سوريا يمثلون الكتل المتحكمة في الجيش السورى والحاكمة فعلا في دمشق ، وعددا من المسؤولين

وبدأ « جمال عبد الناصر » يبدى بعض التحفظات . وتدافع أربعة عشر ضابطا سوريا إلى الحديث يعرضون كل ما لديهم من حجج وأراء ، و « جمال عبد الناصر » يناقش ويرد ، وفي الساعة الخامسة والربع صباحا نظر في ساعته ، وقال : « إن الفجر

قد طلع فعلا ونحن هنا ما زلنا نتكلم . وافان اننى الآن مطالب بأن اقول لكم رأيى النهائى » . وسكت الجميع وتعلقت أبصارهم به ينتظرون ما بدا لهم أنه حكم مصير . وقال « جمال عبد الناصر » :

« إننى مستعد لقبول المبدا . وأنا أقبله تحقيقا لمطلب الشعب السورى ، وبصراحة لأننى أخشى على سوريا أن تضيع . ولكن لدى ثلاثة شروط ، وأنا اعرف مقدما أن بعضها صعب ، ولكنها بالنسبة لى لا تقبل أنصاف حلول :

١ ـ ان يجرى استفتاء شعبى على الوحدة في مصر وسوريا حتى يقول الشعبان فيهما رايهما الحر، ويعبران عن إرادتهما واختيارهما.

٢ ـ ان يتوقف النشاط الحزبي السوري، وأن تقوم كل الأحزاب السورية دون استثناء بحل نفسها.

٣ ـ ان يتوقف تدخل الجيش في السياسة توقفا تاما ، وان ينصرف ضباطه إلى مهامهم العسكرية ليصبح الجيش اداة دفاع وقتال ، وليس اداة سلطة في الداخل وسيطرة . ومعنى هذا ، على المكشوف ، ان كل قادة الكتل وأولهم أعضاء المجلس العسكرى جميعا عليهم أن يخرجوا من صفوف الجيش ليشتغلوا بالسياسة لأنهم بالفعل مشتغلين بها .

هذه هي شروطي ۽ .

وسكت وساد الصمت عدة ثوان ، وأحس « جمال عبد الناصر » أنهم جميعا مأخوذون بالمفاجأة ، وأنه من المناسب أن يواصل حديثه تفصيلا ليعطيهم وقتا لتمالك الأعصاب ، وهكذا استطرد ليقول :

« إننى اعلم انكم ستوافقون على شرط الاستفتاء الشعبى ، لكن الشرطين الثانى والثالث في اعتقادى لا يقلان أهمية عن شرط الاستفتاء . إن الأخ صلاح البيطار هنا معنا وهو ممثل لحزب البعث . وحزب البعث من أكبر الأحزاب السورية . ثم من ناحية أخرى أنتم هنا ١٤ ضابطا تمثلون كتلا مختلفة في الجيش ، وهذه الكتل أقرب إلى أن تكون أحزابا مسلحة منها إلى تشكيلات عسكرية . وسؤالى هو لصلاح البيطار أولا : هل حزب البعث على استعداد لأن يحل نفسه ويوقف نشاطه الحزبى ؟ ثم سؤالى لكم ثانيا : هل تقبلون الابتعاد عن السياسة والخروج من الجيش ، وهل يقبل ذلك بقية زملائكم ؟ إن ما أقوله لكم هو ما فعلته في مصر حتى مع الذين خرجوا معى ليلة ٢٣ يوليو ليقوموا بالثورة . لقد قلت لهم جميعا إنه باشتراكهم في الثورة قاموا بعمل سياسى ، وهو

عمل سياسى وطنى يستحق التقدير ، ولكنهم بعده لم يعودا صالحين لنظم الجيش وتقاليده ولضرورة تسلسل القيادة فيه حتى تظل له كفاءته القتالية .

إن الذين كانوا معى في اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار خرجوا معى من الجيش ، وأصبحوا وزراء سياسيين ، والذين شاركوا في عملية الثورة طلبت منهم أن يبتعدوا عن الجيش ، وأن يبدأوا أدوارا جديدة في الحياة المدنية » .

وكان «جمال عبد الناصر» قد نقل رسالته كاملة ، فتوقف وسأل: « هذا ما ارى ، فهل انتم على استعداد له ؟ »

وتحمس بعض الضباط قائلين : « إنهم يفعلون ما يأمرهم به الرئيس » .

وقال السيد « صلاح البيطار » : « إنه سوف يعود في شأن ما سمع إلى قيادة حزب البعث » .

وقال « جمال عبد الناصر » : « لقد طلع نور الصباح فعلا ، فاذهبوا الآن وحاولوا أن تفكروا وخذوا وقتكم في التفكير » .

كانت الحوادث طوفانا لا يقدر على احتجازه سد أو خزان ، وجرت الحوادث تتدفق أمواجا بعد أمواج .

سافر معظم الضباط إلى دمشق ، وهناك لم تتوقف مناقشاتهم ساخنة ملتهبة في بعض الأحيان – وفي نهاية المطاف قبلوا بشروط « جمال عبد الناصر » وقاموا بإيفاد « عبد الحميد السراج » لإبلاغه بتصميمهم على أنهم يقبلون بما يشاء في سبيل الوحدة الشاملة ، وكان رأى « عبد الحميد السراج » أن الموقف لم يعد فيه خيار ، فإما الوحدة بين مصر وسوريا ، وإما الطوفان ا

وسافر « صلاح البيطار » واجتمعت قيادات حزب البعث ، وجرت مناقشات اشبه بمبارزات السيوف ـ ثم اعيدت السيوف إلى أغمادها تسليما بانه لا حل آخر غير الوحدة ـ أو أنهيار سوريا .

وفي الحقيقة فإن أحدا _مهما كانت هواجسه وتحفظاته _لم يكن في مقدوره أن يتلكأ فضلا عن أن يعترض ، فقد خرج زمام الحوادث من دور الحكم والأحزاب ، ومن المعسكرات والثكنات ، وأصبح الزمام في الشارع _ في شوارع كل مدينة وقرية في سوريا .

وكان الرئيس « شكرى القوتلى » هو أول من وجد التعبير الصحيح عن الوضع ل الشارع السورى ، ففى بداية اجتماع لمجلس الوزراء عقد في القصر الجمهوري يوم ٢٠ يناير جلس « شكرى القوتلى » على مقعده ، ثم راح يردد الآية الكريمة : « قضى الامر الذي فيه تستفتيان » وراح يكررها مرة بعد أخرى .

وفى اليوم التالى كان يركب الطائرة من دمشق فى طريقه إلى القاهرة . ويوم اول مبراير كان من نصبيب رئيس الوزراء السورى « صبرى العسلى » ان يعلن الاتفاق على السس الوحدة بين مصر وسوريا .

وف يوم ٥ فبراير انعقد في القاهرة اجتماع لمجلس الأمة المصرى ، وفي دمشق اجتماع لمجلس النواب السورى (تغيب عن الجلسة نائب سورى واحد هو السيد ، خالد بكداش » زعيم الحزب الشيوعى السورى الذى رفض أن يحل نفسه ، وغادر دمشق قبل إعلان الوحدة بيوم واحد متوجها إلى صوفيا عاصمة بلغاريا) . واتخذ المجلسان قرارا بالموافقة على طرح اسس الوحدة لاستفتاء عام بجرى يوم ٢١ فبراير مع ترشيح « جمال عبد الناصر » رئيسا لدولة الوحدة التى اتخذت لنفسها اسم « الجمهورية العربية المتحدة » .

وجرى الاستفتاء ، وكانت نتيجته موافقة كاسحة على إقامة دولة الوحدة ، وعلى انتخاب « جمال عبد الناصر » رئيسا لها .

ووصل « جمال عبد الناصر » إلى دمشق لأول مرة في حياته يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٨ ـ رئيسا منتخبا لبلد لم تطأه قدماه من قبل « وكان وصوله واستقباله في دمشق مشهدا من التاريخ العربي لا ينسى وإن ابتعدت بعده السنين . . .

وكتب السيد « عدنان مندريس » رئيس وزراء تركيا إلى وزير الخارجية الأمريكية « جون فوستر دالاس » يقول :« إن تطورات الموقف في حاجة إلى إعادة تقدير . فلقد نمت أمس ، وعلى حدودى الجنوبية دولة تعدادها ستة ملايين ، واستيقظت صباح اليوم ، وعلى حدودى الجنوبية دولة تعدادها ستة وثلاثون مليونا » .

ولم تكن دمشق محاصرة ، وإنما كانت دمشق على موقف الهجوم!



عالعي شالاباها

«أسرارا غامضة أقل، وإدراكا واعيا أكثر تلك أول ضمانات الصحة النفسية لأى شعب أو أمة »

الفصيل الأول

رسسائل وتنسابل !

0

كان المجلس الوزارى لحلف بغداد مجتمعا في انقرة على مستوى رؤساء الحكومات في نفس اليوم الذي طار فيه الرئيس «شكرى القوتلى » إلى القاهرة ، ومعه رئيس وزرائه « صبرى العسلى » الذي قدر له أن يلقى بيان إعلان الوحدة بعد ذلك بيومين في القاهرة . وبدأت أخبار الحوادث الجارية في دمشق والقاهرة تقرع أسماع وابصار المجتمعين في أنقرة ، وفي مقدمتهم « جون فوستر دالاس » وزير خارجية الولايات المتحدة الذي آثر أن يحضر الاجتماع بنفسه عندما تقرر أن توضع الخطط النهائية للزحف على سوريا .

كان على المجتمعين في انقرة أن يوقفوا اجتماعاتهم ، وأن يعيدوا ترتيب أفكارهم من جديد لمواجهة ما قد تسفر عنه التطورات المتلاحقة في القاهرة ودمشق . واتصل مجون فوستر دالاس » يوم ٣٠ يناير ١٩٥٨ تليفونيا بنائبه في واشنطن المستر وكريستيان هيرتر » وتباحث معه في آخر التطورات ، ثم وجه إليه بعض التعليمات .

وفى ٣٠ يناير ، وبعد مكالمته مع « دالاس » الذي كان لا يزال في أنقرة كتب المستر « كريستيان هيرتر » مذكرة إلى الرئيس « ايزنهاور » في البيت الأبيض جاء فيها بالنص ما يلي :

الصعب عليها ان تفعل ذلك إذا لم يكن هنك موقف موحد من جانبهم . واقترح ان تحاول العراق تنسيق موقف كهذا مع لبنان والاردن والمملكة العربية السعودية . وقال : إن الولايات المتحدة على استعداد لان تبعث برسائل إلى هذه البلدان الثلاثة تحثها على التعاون في ذلك مع العراق . ووافقت الدول الأخرى الحاضرة في اجتماع انقرة على ان تبعث برسائل مماثلة .

واقترح علينا الوزير (يقصد دالاس ايضا) ان تكون مخاطبتنا مع الملكة العربية السعودية في صورة رسالة منكم إلى الملك .

توقيع

كريستيان ميرتر

القائم بأعمال الوزير»

وصباح أول فبراير ١٩٥٨ استجاب الرئيس « ايزنهاور » لاقتراح وزير خارجيته « جون فوستر دالاس » كما نقله إليه « كريستيان هيرتر » نائب الوزير » فكتب إلى الملك « سعود » خطابا شخصيا نصه كما يلى :(٢)

= سری

صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ال سعود

ملك المملكة العربية السعودية

ياصلحب الجلالة

نظرا للقيمة الكبيرة التى استخلصها من الفرص التى اتيحت لى مسبقا للتشاور معكم بشان التطورات في الشرق الاوسط، فإنى اسمح لنفسى بمخاطبتكم في موضوع الخطط التى اعلن عنها للتو بهدف إقامة وحدة بين مصر وسوريا يقال إنها ستتخذ اسم الجمهورية العربية المتحدة . ومعلوماتنا عن هذا التطور وعن القوى الخفية وراءه لم تستكمل بعد . بل إن المعلومات التى وصلتنا متضاربة إلى حد ما . ومع ذلك فمن الواضح لنا أن الوحدة المقترحة ستكون لها أثار خطيرة على الدول العربية الاخرى التى تجمعنا بها علاقات ودية .

ولكننا لكى نتمكن من اتخاذ قرار بشان ما إذا كنا نستطيع ان نساعد اصدقامنا العرب ، نحتاج إلى ان نعرف آراءهم ومواقفهم . وقد فهمت ان حكومة العراق تعتزم التشاور مع حكومة جلالتكم ، ومع حكومتى الاربن ولبنان في الموقف الذي يمكن اتخده . . واعتقد ان هذا التشاور سيكون بناء ، وامل ان ترحبوا جلالتكم بإطلاع هذه الدول العربية على آرائكم ومشورتكم في هذا الخصوص .



أبدى المشتركون في اجتماع اللجنة العسكرية لحلف بغداد في انقرة قلقهم الشديد من النتائج الخطيرة التي يمكن أن تترتب على وحدة مصر وسوريا.

« سری^(۱)

مذكرة للعرض على الرئيس

في اثناء اجتماع حلف بغداد الذي عقد في انقرة ، والذي انتهى للتو _ اعربت الوفود المحاضرة عن قلقها الشديد للنتائج الخطيرة التي يمكن ان تترتب على الوحدة المقترحة بين مصر وسوريا . واعلن نورى السعيد رئيس الوفد العراقي ان الذي يحرض على الوحدة هم الروس وناصر ، وان الهدف الأخير هو السيطرة على العالم العربي . ووافق الأتراك والايرانيون والبريطانيون على ان الوحدة امر خطير ، واقروا ما ذكره العراقيون من ضرورة مقاومتها ، والسؤال هو : كيف ؟

ووافق وزير الخارجية (يقصد دالاس) على ان الوحدة خطرة وان هناك احتمالا كبيرا بان تكون مؤيدة من الروس، وانها إذا تحققت فسيكون هناك خطر كبير لابتلاع الأردن ولبنان، وتعريض العراق والملكة العربية السعودية للخطر وان الأمر لن يكون مجرد سيطرة ناصر بل سيطرة السوفيت واضاف الوزير ان الولايات المتحدة تود ان تساعد اصدقاءها العرب في هذا الموضوع، ولكن من

⁽٢) ملفات الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ـ الوثيقة رقم ١٢٠٦٥ . .

⁽١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الامريكية ـ الملف (ر) بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٥٨ .

وإنى مهتم اشد الاهتمام باراء جلالتكم في هذا الموضوع . والطلع لأن اللقاها منكم في اقرب فرصة ممكنة .

حفظكم الله ورعاكم.

صديقكم المخلص دوايت ايزنهاور م

لا تشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية أو البيت الأبيض إلى أن الرئيس « ايزنهاور » تلقى رداً من الملك « سعود » على هذه الرسالة الموجهة له والحقيقة أن الملك « سعود » كان مشغولا عن رسائل « ايزنهاور » بشأن الوحدة بين مصر وسوريا بما هو أهم . فقد كادت المواجهة المباشرة بينه وبين « جمال عبد الناصر » تنفجر ، وأن يحدث انفجارها دويا في المنطقة وفي العالم .

ولكي يكون السجل أمينا ، فإن العلاقة بين الرجلين كانت قد بدأت بدأية ممتازة حينما أدى « جمال عبد الناصر » فريضة الحج سنة ١٩٥٤ والتقى لأول مرة بطريقة رسمية بالملك « سعود » الذي خلف والده الملك » عبد العزيز » على العرش في مرحلة كان دخل البترول فيها قد بدأ ينقل السعودية إلى عوالم الغنى الباذخ . ويمكن القول على نحو ما إن العلاقة بين البدوى الملك ، والضابط الرئيس وصلت إلى درجة حميمة منذ اللقاء الأول . فقد كان كلاهما يتوسم ف الآخر خيرا . ف « جمال عبد الناصر " كان يؤمن بأن الملك عربي شبهم ، كما أن الملك بدوره كان يؤمن بأن « جمال عبد الناصر » رجل شجاع وقوى ، وكان كلاهما يدرك اهمية العلاقات بين السعودية ومصر . وقد فتح كلاهما قلبه للآخر إلى درجة أن « جمال عبد الناصر » في لقاء بينهما في مكتب الملك ، وبعد أن انتهت المحادثات الرسمية بينهما - قال : « إنه يريد أن يتحدث معه حديثا خاصا يفتح له فيه قلبه ، ورحب الملك . وقال « جمال عبد الناصر » : « إن الناس يتحدثون كثيرا عن الطريقة التي تصرف بها أموال البترول ، وخصوصا في بناء القصور وما تحتويه من مظاهر البذخ ، وهو _ اى جمال عبد الناصر _ يرى أن دخل البترول على هذا النحو يضيع فيما لا طائل وراءه في حين أن التقدم العلمي سوف يؤدى إلى أن يفقد البترول قيمته كمصدر للطاقة بعد أن تحل الطاقة النووية محله ، قبل نهاية القرن . وإذن فمز الضروري استغلال هذه الفترة ، أو عصر البترول لاعلاة بناء المملكة العربية السعودية من دخله بناء سليما بحيث تظل للبترول فائدته الباقية ، والدائرة

وكان الملك يهز راسه موافقا ، وقد سال « جمال عبد الناصر » قائلا: « وبماذا تشير على ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » قائلا له : « رأيى – وسامحنى في صراحتى – انه بدلا من بناء القصور ، فإن الأولى تكريس الأموال للصرف على بناء المصانع والمدارس والمستشفيات » . وطأل الحديث بينهما في هذا الموضوع . وعندما انتهى اللقاء ، وخرج الاثنان من مكتب الملك إلى الردهة التي كان ينتظر فيها الأمراء والوزراء ورجال الدولة – إذا بالملك « سعود » يقول للجميع : « هل تعلمون ماذا قال لى اخى ؟ » ثم روى الملك تفاصيل ما أشار به عليه « جمال عبد الناصر » . ثم اضاف بعد أن انتهى من تلخيصه للحديث : « هذا كلام صديق ، وصديقك من صدقك لا من صدقك » ..

واستمر التعاون بين الرجلين وثيقا ولصيقا لعدة سنوات في مواجهة مخططات حلف بغداد . ومع أن هذه المخططات كانت معبرة عن التجاهات السياسة الأمريكية ، فإن عداء الملك للهاشميين الذين تصرفوا ، وكانهم دعاة حلف بغداد واصحابه ـ بدا اقوى من علاقاته الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية .

وعندما جاءت مقدمات معركة السويس ومضت ، وخرج منها « جمال عبد الناصر » قائدا قوميا بارزا في المنطقة ـ فإن شيئا ما في مشاعر الإخوة والصداقة بين الاثنين راح يتغير . ولعل الملك تضايق من صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتي . ولعله ايضا تضايق من أن الحملة ضد حلف بغداد اتجهت ضمن ما اتجهت إليه إلى الهجوم على الملوك دون تمييز . ولعل الملك تضايق كذلك من قرار تاميم قناة السويس الذي طرح على الساحة قضية الامتيازات التي يحصل عليها الغرب في المنطقة كلها بما فيها مصادر البترول . ولعل الغيرة بعد ذلك وجدت طريقها إلى قلبه بسبب المكانة التي تحققت لـ « جمال عبد الناصر » بعد انتصار السويس .

ولقد كان هناك من يستغلون هذه الاعتبارات كلها ، ويحرّضون الملك على تضخيمها لأهداف سياسية أرادوها . فلقد كانت تلك هى الفترة التي قرر فيها ، ايزنهاور » على نحو ما تظهر مذكراته ومجموعات أوراقه أن «سعود » هو الرجل الذي يتعين على الولايات المتحدة أن تساعده وتهيئه لمنافسة « جمال عبد الناصر » في المنطقة ، وليتولى قيادة العالم العربي بعد إسقاط « جمال عبد الناصر » .

وطوال الفترات الحرجة من سنة ١٩٥٦ كانت القاهرة تتلقى أنباء عما يجرى ف

حتى بعد انتهاء عصره».

القصر الملكى في الرياض ، وعما يقال فيه همسا في مجالس الملك « سعود » ، وربما كان هذا هو السبب الذي دفع « جمال عبد الناصر » لأن يقوم بزيارته إلى الدمام للالتقاء بالملك « سعود » رغم الظروف الحرجة التي أعقبت تأميم قناة السويس (٢) . ولكن هذه الزيارة وإن بدت ناجحة على السطح ، فإنها لم تكن كذلك فعلا لأن الضغوط والحساسيات كانت أعمق وأبعد أغوارا . وبعد الزيارة بدأت القاهرة تسمع أن الملك « سعود » يشكو من بعض التصرفات المصرية . وكلف « جمال عبد الناصر » وفدا مصريا على مستوى رفيع بالسفر إلى السعودية لمقابلة الملك ، وسماع ما قد يكون لديه ، وتصفية المسائل معه على أي نحو يرتضيه . وكان الوفد مكونا من اللواء « عبد الحكيم عامر » والسيد « أنور السادات » والسيد « على صبرى » . والتقى بالملك » وقال له » عبد الحكيم عامر » : « إن الرئيس عبد الناصر يستحلفك باش ، وبحق ما بينكما أن تفتح لنا قلبك » وأن تصارحنا باي خطا ترى أننا وقعنا فيه » . واستجاب الملك قائلا إنه لن يخفي شيئا « تحت العباءة » ثم عرض فيه » . واستجاب الملك قائلا إنه لن يخفي شيئا « تحت العباءة » ثم عرض فيه من مصر ، وكان أهمها قضيتين :

□ الأولى: أن بعض المدرسين المصريين العاملين أ السعودية يتحدثون ضده بما يعنى أنه غير سياسته إزاء مصر .

□ والثانية: أن ضباط البعثة العسكرية في الرياض يقولون كلاما لا يصبح لهم أن يقولوه عن اتفاقية قاعدة الظهران التي كانت موضع مفاوضات بين الحكومة السعودية، وبين الحكومة الأمريكية.

وأرسل « عبد الحكيم عامر » برقية من الرياض إلى « جمال عبد الناصر » في القاهرة بما سمعه الوفد المصرى من الملك « سعود » ، ورد » جمال عبد الناصر » على الفور ببرقية لـ « عبد الحكيم عامر » قال فيها بالنص⁽³⁾ : « انقلوا إلى الملك سعود على لسانى انه مفوض بكل سلطات رئيس جمهورية مصر ، وله أن يبعد عن السعودية أى مدرس مصرى ، وأى ضابط مصرى يصدر عنه ما لا يرضيه . ونحن لن نغضب من ذلك ، ولن نعتب لأن العلاقات بين البلدين أكبر من تصرفات كل الأفراد » . وأبلغ الملك ببرقية الرئيس ، وقال لأعضاء الوفد المصرى أمام كبار رجال حاشيته « إن صدره قد انشرح » . »

واحست القاهرة بارتياح لكن هذا الارتياح لم يقدر له أن يدوم طويلا . فقد كانت تفاصيل ما يجرى في المفاوضات حول قاعدة الظهران يثير قلقها . كان الأمير ويصل ويصل ويلفاوض الرئيسي عن الجانب السعودي في بداية المفاوضات . ووصل الأمير «فيصل ويلي اتفاق مؤداه تجديد اتفاقية القاعدة لمدة خمس سنوات مقابل إيجار قدره ٥٠٠ مليون دولار تدفيع بواقع ١٠٠ مليون دولار في السنة على أن يكون استعمال القاعدة مقصورا على تسمهيل نزول الطائرات الأمريكية وإقلاعها ، وتموينها وصيانتها . ثم اقترح السفير الأمريكي أن يكون دفع الايجار السنوي بمعدل ١٠٠ مليون دولار كل سنة يدفع نصفها نقدا ويدفع النصف الثاني على شكل اسلحة امريكية للجيش السعودي ولكن الأمير وتعثرت المفاوضات ، ولجأ السفير الأمريكي بكون للسعودية مجال أوسع للاختيار . وتعثرت المفاوضات ، ولجأ السفير الأمريكي الذي كان يرأس جانب بلاده في المفاوضات إلى الملك مباشرة ، فأصدر الملك أمره بقبول الامريكية وفقا لهذا الاتفاق ، وكانت هذه الشروط ثلاثة علقت على مبيعات الاسلحة الأمريكية وفقا لهذا الاتفاق ، وكانت هذه الشروط:

١ ـ ان يكون اختيار وتحديد انواع السلاح الذى تشتريه السعودية من اختصاص وزارة الدفاع الامريكية .

٢ - أن لا يستعمل هذا السلاح ضد إسرائيل.

٣ - أن تتولى بعثة عسكرية أمريكية تحديد أماكن تجمع هذا السلاح ،
 والاشراف على التدريب به .

واضيف إلى الاتفاقية في آخر لحظة ملحق خاص تتعهد فيه الحكومة الأمريكية عبدماية العرش السعودي ضد أي خطر يتهدده من الخارج أو من الداخل » (°)

وكان الأغرب من ذلك كله أن الملك رأى أن يتم دفع المقابل النقدى في التفاقية القاعدة إليه مباشرة في حساب خاص باسمه في أحد البنوك الألمانية وتلقت القاهرة معلومات بأن الجزء الأول من التحويلات المالية باسم الملك أحدث ارتباكا في البنك الألماني الذي تلقاه من الولايات المتحدة (٦) ، فقد رأى مديره : « أن المبلغ ضخم ، وأنه لا عهد للبنك بمثله في الحسابات الشخصية وغير التجارية ، ومن ثم فإنه من

⁽٣) رجاء مراجعة تفاصيل هذا اللقاء ﴿ كتاب فلقات السويس ــ الصفحات من ٥٠٧ إلى ٥٠٠ . (٤) نص البرقية ﴿ أرشيف منشية البكري ﴿ الملف رقم «٣ » وعنوانه « مراسلات مع الملك سعود » ، وتوجد

نُسخةً من البرقية ﴿ القيادة العامة للقوات المسلحة . كما توجد نسخ ﴿ ارشيفُ وزارة الخارجية .

^(•) مذكرة من وزارة الدفاع الامريكية محفوظة ضمن مجموعة اوراق الرئيس ايزنهاور في مكتبته بابيلين . | ٦) تقرير من السفارة المصرية في جدة عن حديث السفير المصرى مع احد امراء الاسرة نقلا عن وقائع تحقيق اجرى في هذا الموضوع بامر من الامير « فيصل » [شهر مايو ١٩٥٨ .

الضرورى أن يحصل البنك على خطاب من وزير المالية السعودي حتى يتم الايداع وفقا للاجراءات القانونية والمالية ، .

وتحقق ذلك بالفعل ، فأرسل وزير المالية السعودى خطابا بهذا المعنى للبنك الذى لم يكتف بذلك ، وإنما طلب توقيع الملك شخصيا امام خبراء التوقيعات ، وسافر الملك في رحلة إلى « بادن بادن » بحجة الاستشفاء ، وكان القصد الحقيقى هو التوقيع على الأوراق امام خبراء في التوقيعات .

وزادت الشكوك في القاهرة حينما عرف أن الملك في أثناء وجوده في « بادن المدن » قابل سرا بعض المصريين من رجال العهد الملكي السابق ، وأن أحاديث دارت بينهم حول إمكانيات إحداث انقلاب في مصر ، وأن بعضهم وبينهم السيد « مرتضي المراغي » وزير الداخلية في أواخر عهد « فاروق » عادوا من بادن بادن إلى بيروت ، وبدأوا يتحدثون في مجالسهم عن إمكانية تغيير الأوضاع في مصر !

وفي ربيع سنة ١٩٥٧ ، وكان الملك « سعود » قد زار عمان بعد الحوادث التي جرت فيها بسبب محاولات ضمها إلى مشروع « ايزنهاور » ، تلقت القاهرة معلومات بما كان يقوله الملك في العاصمة الأردنية ، وبينه قوله : « إن الجماعة في مصر مصبحين أو ممسين . . ومعناها أن النظام في مصر قد لا يرى شروق الشمس أو غروبها في اى يوم . وكان هذا كله يثير الدهشة في القاهرة ، ثم تبددت الدهشة ليحل محلها شعور بالأسف حينما طلب ضابط مصرى هو العقيد « عصام خليل " مقابلة اللواء « عبد الحكيم عامر " ليقول له إن احد اصدقائه من الضباط السابقين ، وهو من انسباء الأسرة المالكة السابقة اتصل به ، وحاول تجنيده لاجراء انقلاب عسكرى في مصر ، وانه سلمه مبالغ من المال وصلت إلى أكثر من ١٦٢٠٠٠ جنيه استرليني . وقام الضابط بتسليم المبلغ إلى اللواء « عبد الحكيم عامر » . وانكشف السي . واحس الذين يعنيهم الأمر في السعودية بأن القاهرة قد عرفت بكل شيء ، وهكذا طار الشيخ ، يوسف ياسين ، مستشار الملك إلى القاهرة يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥٧ وطلب مقابلة الرئيس «جمال عبد الناصر » ونفى له أى دخل للملك في الموضوع ، وعرض عليه الرئيس « جمال عبد الناصر » وثائق العملية بما فيها شهادة « عصام خليل » وكان رد الشيخ « يوسف ياسين » انها محاولة مدبرة بعناية للوقيعة بين الصديقين . وخلال المناقشة ابدى الشيخ « يوسف ياسين » ملاحظة مؤداها ان الملك

، سعود » هو الذي له الحق ان يغضب لما يشعر به من جفاء مصر نحوه . وطالبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بدليل على ما يقول ، وبدأ الشيخ « يوسف ياسين " يروى قصصا بدت مستغربة على «جمال عبد الناصر " . قال : " إن الملك عاتب لأن الرئيس رفض وساطة الملك سعود لديه في موضوع طلاق السيدة ناريمان صادق (زوجة الملك فاروق الثانية) من زوجها الحالى الدكتور ادهم النقيب . . وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك كتب خطابا شخصيا إلى الرئيس بعد أن لجأت إليه السيدة ناريمان طالبة عونه ـ يرجوه فيه أن تتدخل الحكومة المصرية لاقناع أدهم النقيب بأن يطلق ناريمان صادق ، ولكن الرئيس رد على الملك قائلًا إنه كان يسعده أن يلبي أي طلب له ، ولكنه في هذا الظرف لا يستطيع لأن قضية الطلاق منظورة امام المحاكم، ولا تستطيع الحكومة المصرية ولا رئيسها أن يتدخلا في قضية منظورة المام القضاء ». وقال الشيخ ، يوسف ياسين » : « إن الملك بعد أن تلقى رد الرئيس كان تعليقه بالضيق هو • لو اراد أن يكرمني لفعلها » . » ورد « حمال عبد الناصر » على الشيخ « يوسف ياسين » قائلا : « هل سمعت عن حكومة متمدينة في العالم تملك حق التدخل في قضية احوال شخصية امام المحاكم تمس علاقة رجل بزوجته ؟ • وقال الشيخ · يوسف ياسين » : « إن الملك عاتب ايضا لأن بعض الصحف المصرية نشرت أن الملك اعطى للسيدة ناريمان صادق ١٠٠ الف جنيه استرليني . ورد « جمال عبد الناصر " قائلا : « إنه يذكر الخبر الذي نشر لكنه يذكر أيضا أن الصحف المصرية التي نشرته نقلته عن صحف بيروت التي سبقت إليه في وقت كان الملك فيه يقوم بزيارة رسمية للبنان »'. وقال الشيخ « يوسف ياسين • : • إن الملك غاضب ايضا لان الصحف المصرية نشرت تفاصيل قصة زواجه من فتاة لبنانية عمرها ١٧ عاما ، كما نشرت تفاصيل عن هدايا زادت قيمتها على نصف مليون جنيه استرليني قدمها الملك لزوجته الشابة » . ورد « جمال عبد الناصر » قائلا : ، إنه يذكر هذه الحادثة ايضا ، ويذكر أن الصحف المصرية نشرتها نقلا عن وكالات الأنباء والصحف الأمريكية ، فلماذا يغضب الملك من مصر ، ولا يغضب من امریکا ؟ •

ويبدو أن « جمال عبد الناصر » تضايق من مسار المناقشة ، فأوقفها بحزم قائلا للشيخ « يوسف ياسين (Y) : « إننى لا أرى فائدة من مواصلة النقاش على هذا النحو ، وأنا أرجوك أن تذهب للملك وتنقل إليه أننى لا أعمل بسياستين

[﴿] ٧) مذكرة بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٥٧ عن المقابلة مودعة في ارشيف منشية البكرى في جزء ، شؤون عربية ، رقم ١٧٤ /سعودية .

ولا بوجهين . قل له إن هناك مؤامرة على مصر وانه كان بشكل ما وراءها . وقل له إن المستندات لدينا تثبت أن الأموال التي أعطاها المراغي للضابط المصرى عصام خليل هي أمواله ، وأنا لا أرتضي لنفسي أن أنافق . فأنا أصادق من أصادقه علنا ، وإذا عارضت عارضت في العلن » . وأضاف : « إنه سوف يتحدث بعد أيام (يوم ٢٣ ديسمبر في عيد النصر في بورسعيد) وأنه سوف يذيع كل تفاصيل الموضوع لكي يكون الشعب على علم بالحقائق » . ورد الشيخ « يوسف ياسين » بأنه يشعر أن الموضوع أكبر منه ، وأنه سوف يقترح على الملك أن يبعث بشقيقه وولى عهده الأمير « فيصل » لكي يصفى كل شيء مع الرئيس . واضاف إلى ذلك رجاءه بأن يتمهل الرئيس ، ولا يذيع شيئا عن الموضوع قبل وصول الأمير « فيصل » . وعاد الشيخ « يوسف ياسين » في نفس اليوم إلى الرياض ، وفي اليوم التالي تلقت السفارة السعودية في القاهرة برقية من الرياض نصها : « الأمير فيصل يحضر طرفكم في أيام ـ اخطروا السيد على صبرى الرئاسة » .

ويوم ٢٣ ديسمبر، وفي احتفالات عيد النصر في بورسعيد القي « جمال عبد الناصر " خطابه ، واذاع تفاصيل المؤامرة ، ولكنه لم يذكر شيئا عن السعودية ، أو أي دور لها في المؤامرة . فقد آثر أن ينتظر وصول الأمير « فيصل " .

ووصل الأمير « فيصل » والتقى به الرئيس » جمال عبد الناصر » يوم ٣ يناير ١٩٥٨ وشرح له كل تفاصيل المؤامرة ، وكانت الدهشة بادية على الأمير « فيصل » وهو يسمع ، وكان تعليقه قرب نهاية المقابلة : « فخامة الرئيس . طال عمرك الا يحتمل أن تكون هذه كلها دسائس لافساد ما بينك وبين الملك سعود ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » : « إننى أتمنى أن تكون كذلك . لكن الوثائق التى وجدتها أمامى لم تترك لى مجالا لهذا الظن » . ثم أضاف : « ومع ذلك فما رأيك أن أطلب إعداد ملف كامل يحوى كل ملفات التحقيق ووثائقه لكى تطلع عليه بنفسك ثم تقول لى رأيك ؟ »

وتلقى الأمير « فيصل » في اليوم التالى ملفا كاملا بوقائع التحقيق ووثائقه . ثم التقى بالرئيس « جمال عبد الناصر » مرة ثانية يوم ١٣ يناير ، وقال في المقابلة إنه يرجو أن يأذن له الرئيس بالسفر بالملف إلى السعودية ، وأنه سوف يعود إليه بعد أيام قليلة . وسافر الأمير « فيصل » ثم عاد مرة أخرى ، والتقى مع « جمال عبد الناصر » يوم ٢٣ يناير . ثم التقاه مرة رابعة في نفس الشهر يوم ٣٠ يناير . وكان اقتراحه على



سلم الرئيس عبد الناصر للأمير فيصل عند لقائه به ملفا كاملا عن وقائع التحقيق ﴿ قضية تدبير انقلاب ﴿ مصر التي تثبت أن سعود كان وراءها بشكل ما

الرئيس قبل أن يسافر هو " رجاء أن يتكتم دور الملك " سعود " في الموضوع ، وأن يترك له فرصة يعالج فيها الموقف كله ، وأنه على أى حال سوف يسمع منه قريبا " . وقبل أن يغادر الأمير « فيصل " مكتب الرئيس " عبد الناصر » في اللقاء الرابع بينهما في شهر واحد - يوم ٣٠ يناير - قال له : « إننى أريد يا فخامة الرئيس أن أسالك سؤالا واحدا ، وهو هل أنت مستعد لاستقبال سعود هنا ؟ إننى سوف أرتب الأمور على نحو يرضيك ، لكنى أريد أن أضمن أنك في النهاية سوف تكون مستعدا لمقابلته ، والصفح عنه إذا ما ثبت أن ذلك كله جرى بعلمه » . ورد « جمال عبد الناصر " بأنه " سوف يكون في هذه الحالة على استعداد لأن يركب هو الطائرة " ويذهب للقاء الملك سعود في الرياض بشرط حضور الأمير فيصل معهما لأنه - أى جمال عبد الناصر - ما زال يامل أن يخرج البلدان بسياسة واحدة لا سياستين " .

وسافر « فيصل » إلى السعودية ، ولفترة طويلة لم يسمع منه « جمال عبد الناصر » شيئا ـ ولكنه سمع من الملك « سعود » .

كانت خطوات إتمام الوحدة بين مصر وسوريا تأخذ طريقها المرسوم والمقرر ف الأيام الأولى من شهر فبراير ١٩٥٨ ، وكان موعد الاستفتاء عليها بين الشعبين المصرى والسورى قد تقرر ، وإذا بالعراق والأردن يسبقان إلى إعلان اتحاد بين البلدين تحت اسم * الاتحاد الهاشمى » - كدولة اتحادية فيدرالية واحدة تضم العرشين الهاشميين في بغداد وعمان . وبدا أنه كان مقصودا لتوقيت إعلان هذا الاتحاد الهاشمى * أن يتم سابقا لقيام « الجمهورية العربية المتحدة * بين مصر وسوريا - ومع ذلك فإن * جمال عبد الناصر » رحب بقيام هذا الاتحاد ، واعتبره على حد قوله في برقية تهنئة بعث بها إلى الملك * فيصل » ملك العراق : * إن الاتحاد العربي الهاشمي الذي وحد اليوم ما بين العراق والأردن هو خطوة مباركة للأمة العربية كلها باعتباره تقريبا ليوم الوحدة الشاملة بين كل العرب * . ومع أن العربية كلها باعتباره تقريبا ليوم الوحدة الشاملة بين كل العرب * . ومع أن العربية هذا الاتحاد - بواسطة لندن وواشنطن - ووافقت عليه ، فإن «جمال عبد الناصر * لم يغير رايه في أن مجرد تحقيق خطوة وحدوية بين العراق والأردن ، وبصرف النظر عن الملابسات هو خطوة إلى الأمام . وحتى إذا كانت إسرائيل * وافقت كما تقول رسائل وكالات الانباء (١) بهدف أن يتمكن هذا إسرائيل * وافقت كما تقول رسائل وكالات الانباء (١) بهدف أن يتمكن هذا إسرائيل * وافقت كما تقول رسائل وكالات الانباء (١) بهدف أن يتمكن هذا

ف نفس هذا اليوم ١٦ فبراير سمع « جمال عبد الناصر » من الملك » سعود » . فقد دعا الملك سفير مصر إلى مقابلته (١) » وقال له ف حضور الشيخ « يوسف ياسين » إنه يريد منه أن ينقل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » الرسالة التالية :

«جاء إلى عندنا هنا قبل عدة ايام باش اعيان (يقصد السيد برهان الدين باش اعيان وزير خارجية العراق) وتوفيق السويدى (السيد توفيق السويدى باشا السياسى العراقى البارز) وسعير الرفاعى (كان رئيسا لوزراء الاردن) ـ وقابلونى بحضور الشيخ يوسف ياسين وابلغونى رسالة من فيصل ملك العراق وحسين ملك الاردن ، والامير عبد الاله ، وعرضوا على الانضمام إلى الاتحاد العراقى الاردنى على أن أكون أنا المتصرف في كل شيء ، وفقط يحتفظ كل منهم بمركزه في بلاده . وصارحتهم بأن الاستشارة أمانة ، ولذلك فإنى لا انصحهم بهذا الاتحاد ، ولا أستطيع أن انضم إليهم لأن سياستى عربية واتضامن من أجلها مع الجميع ، ولا أستطيع أن أساهم في انقسام العرب ، كا لا استطيع الانضمام إليهم حتى لا أجد نفسى أعمل مع الانجليز الأمر الذي يشكل استطيع الانضمام إليهم حتى اللك . . إمضاء : السفير . ..

وفى تلك الأيام الحاسمة افتعلت الحكومة السودانية التى كان يراسها السيد «عبد الله خليل» وكان من اشد الموالين للغرب ازمة مع مصر. فقد بعث بقوات سودانية لاحتلال منطقة «حلايب» على الحدود بين مصر والسودان. وكانت المنطقة مصرية وفق ما تقول به الخرائط المعتمدة ، ولكن السيد « عبد الله خليل » قال إن لديه خرائط أخرى حصل عليها تثبت أن المنطقة سودانية . وجرى بحث فى القاهرة فى كيفية مواجهة ما وقع ، وكان هناك رأى بدفع قوات مصرية إلى المنطقة . ورأى «جمال عبد الناصر » ان الموضوع كله مؤامرة موحى بها من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على الأرجح لافساد مناخ الوحدة بين مصر وسوريا - والتى كانت اجواء العالم العربى تموج بها فى تلك الأيام . وكان رأيه : « إنه سوف يكون اجواء العالم العربى تموج بها فى تلك الأيام . وكان رأيه : « إنه سوف يكون الذى تقوم فيه مصر بعمل وحدوى كبير مع سوريا ، وإننا لا يجب ان نستسلم الذى تقوم فيه مصر بعمل وحدوى كبير مع سوريا ، وإننا لا يجب ان نستسلم للاستفزاز » . كان الاستفتاء الشعبى على الوحدة على وشك أن يجرى فى البلدين ، وفى يوم الاستفتاء ذاته ترجه السفير السعودى فى القاهرة إلى مقابلة الدكتور » محمود

الاتحاد الهاشمي من مواجهة « الجمهورية العربية المتحدة » بطريقة فعالة ، فإن الأهم من ذلك كله هو أن خطوة وحدوية تحققت .

⁽ ٩) تقرير من السفارة المصرية في الرياض بتاريخ ١٦ فبراير (ملقات وزارة الخارجية المصرية وارشيف منشية البكرى)

^(^) برقية وكالة اليونايند برس رقم ٤٥ ليوم ١٦ فبراير تحت عنوان ﴿ إسرائيل والاتحاد العراقي الأردني ، .

0

تم الاستفتاء على الوحدة وأعلنت نتيجته يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٨ وانتخب * جمال عبد الناصر * رئيسا للدولة الجديدة .

ووصل " جمال عبد الناصر » إلى دمشق يوم ٢٤ فبراير ، وتوجه من المطار إلى بيت « شكرى القوتلى » وصحبه معه إلى قصر الضيافة الذى اعد لاقامته . وبدات جماهير دمشق وجماهير سوريا تزحف إلى القصر وتحيطه ببحر عارم من البشر . وظهر " جمال عبد الناصر " على شرفة القصر يتحدث لأول مرة مع الشعب الذى انتخبه رئيسا له دون أن يلتقى به مباشرة ووجها لوجه . وتكرر ظهوره على الشرفة ، وتكررت خطاباته للجماهير فى ذلك اليوم أكثر من عشرين مرة . وفى نهاية يوم حافل بالمشاعر الجياشة دخل " جمال عبد الناصر " إلى غرفة النوم المعدة له يلتقط أنفاسه متصورا أن أمامه ساعات يستريح فيها قبل أن يبدأ يوما جديدا فى دمشق ، خصوصا وأنه كان قد عرف أن وفود كل أقاليم سوريا قد بدأت مسيرات شعبية عارمة تشق طريقها إلى دمشق .

وصحبه إلى غرفة نومه السيد " عبد الحميد السراج » يقول إن لديه موضوعا يريد أن يطلعه عليه . وسأله « جمال عبد الناصر » وهو يخلع ملابسه ويستلقى مرهقا على الفراش : « ألا ننتظر للصباح ؟ » وقال « عبد الحميد السراج » : « فخامة رئيس أنا أعرف أنك مرهق ، ولكنى أريد توجيهك في الموضوع الذى أريد عرضه عليك لأنه لا يقبل الانتظار » . وسأله « جمال عبد الناصر » : « هل يضايقك أن أسمعك وأنا مستلق على السرير ؟ » ورد « عبد الحميد السراج » : « سيدى . إننى أريدك أن تستريح ، ولم أكن لأشغلك بهذا الذى سأقوله لولا خطورته » . ثم راح العبد الحميد السراج » يروى تفاصيل ما لديه ، قال وهو يخرج مجموعة أوراق من جيب سترته الداخلي ويضعها على مائدة صغيرة بجوار السرير » وقد أتى بمقعد جلس عليه قربها :

« إن الملك سعود له صهر اسمه اسعد ابراهيم ، والملك متزوج من ابنته التى انجبت له ابنا هو الأمير خالد ، واسعد ابراهيم هذا اتصل بى عن طريق وسيط هو النائب عزيز عياد ، وعرض على مبلغ مائة مليون جنيه استرلينى إذا انا قمت بانقلاب يحول دون قيام الوحدة بين مصر

فوذى ، وزير الخارجية ، وسلمه رسالة من الملك ، سعود ، ، واشر عليها الدكتور «محمود فوذى ، بخط يده بما نصه :

• إلى السيد الرئيس

سلمنى السفير السعودى هذه الرسالة مساء اليوم ذاكرا أنها وصلت إليه بعد الظهر .

. 190A/Y/YY

مع التحية والاحترام.

وكان نص الرسالة كما يلى:

« برقية واردة من جلالة الملك سعود

حضرة السيد الرئيس الأخ جمال عبد الناصر حفظه اش

علمت بقلب ملؤه الاسى والحزن نبا الخلاف الذى نشب بين البلدين الشقيقين مصر والسودان . وليقينى أنه يحز في نفس السيد الرئيس ما يحز في نفس كل مسلم عربى أن تصل ذروة الخلاف في هذا الأمر إلى هذا الحد الذى يشمت بنا الاعداء أجد من وأجبى في هذا الموقف أن اتقدم برجاء ملؤه الاشفاق لسيادة الاخ الرئيس ، كما اتقدم بمثله لحكومة السودان لتحكيم الروية لحل المشكلة بينهما ، وإخواننا في البلدين وش الحمد لهم في حصافة الرأى والاخلاص الوطنى الاسلامى العربى ما يحملهما على التاسى ، وأبتهل إلى أش أن يضفى على هذا الخلاف البرد والسلام والأمان ، وإنى على تمام الاستعداد لبذل أى مسعى قد يراه إخواننا في البلدين لحل هذه المشكلة التى تقلق كل مسلم وعربى . حفظكم الله وابقاكم .

إمض*ناء* سعود •

واتصل الرئيس « جمال عبد الناصر » بالدكتور « محمود فوزى » يقول له : « إن الرجل يحاول ان يعرض وساطته بيننا وبين السودان في الوقت الذى يتوسط فيه شقيقه بيننا وبينه » . ثم طلب إليه ان يتصل بالسفير السعودى ، ويدعوه لمقابلته ويبلغه ان الازمة بين مصر والسودان تم تطويقها ، وانها لم تعد في حاجة إلى وساطات مشكورة من جانب احد من الاخوان العرب .

وكان تقدير « جمال عبد الناصر » أن الملك في حالة ارتباك ، وأنه يحاول أن يغطى ارتباكه بهذا النوع من الرسائل سواء عن الاتحاد الهاشمى ، أو عن الأزمة مع السودان . ولكن تقدير » جمال عبد الناصر » كان خاطئا لأن الملك الذي تصوره مرتبكا كان يتحرك بأقصى همة ونشاط .

وسوريا قبل إعلان نتيجة الاستفتاء ، وكان العرض ان يدفعوا لنا عشرين مليون جنيه استرليني مقدما على أن يدفع الباقي بعد نجاح الانقلاب لكي يساعد على إصلاح الأحوال . . ومعى هنا كل الوثائق والمستندات .. .

ونهض « جمال عبد الناصر » من فراشه ، وأخذ مقعدا في مواجهة « عبد الحميد السراج » وطلب إليه أن يبدأ القصة من أولها ، وأن يطلعه على وثائقها ومستنداتها ، وراح يسمع . ولنصف ساعة كان « عبد الحميد السراج » يتكلم دون مقاطعة .

قال « عبد الحميد السراج » :(١٠)

(المخابرات العسكرية التى النه المخابرات العسكرية التى كان يراسها عبد الحميد السراج طوال السنوات الثلاث السابقة على الوحدة) قصة طويلة . ويظهر أنهم كانوا يتصورون أننا العقبة التى تقف أمام مخططاتهم كلها وتقوم بكشفها . ولهذا فإنهم بعد أن يئسوا من مختلف المحاولات قرروا التوجه مباشرة إلى الشعبة الثانية .

إن الملك سعود دعانى لمقابلته مرة حينما زار دمشق قادما من بادن بادن وكان في طريقه إلى بيروت. وقد قال لى في هذا اللقاء إنه يعتبرنى مثل ابن له ، وإنه يسألنى إذا كنت أريد شيئا . ووجدتها فرصة ملائمة لأقول له : يا جلالة الملك سامحنى إذا أخطأت في حديثى إليك ، فهذه أول مرة أتحدث فيها مع ملك ، وطلبى منك أننى سوف أرجوك أن لا تصدق كلام الذين يذهبون إليكم ، ويقولون لكم إنهم يستطيعون أن يفعلوا كذا وكذا في سوريا . إن هؤلاء لا يقدرون على شيء ، وأنتم تدفعون لهم أموالا طائلة ، ولدى كشف بأسمائهم جميعا ، كما أن لدى بيانا بالمبالغ التى حصلوا عليها منكم ، إن هؤلاء الناس يضحكون عليكم ، وهم لايستطيعون أن يقدموا أو يؤخروا . إننى أفهم أنك تريد أن تحارب الهاشميين . وإذا كنت تريد ذلك ، فإن ضمانتك هي الجيش السورى ، والجيش السورى هو الذي يحمى سوريا ، والشعب في سوريا فقير وهو لا يستطيع أن يعطى لجيشه كل ما يحتاج إليه . فإذا كنت تريد أن تساعد حقيقة فما نتمناه منك هو أن تقدم مساعدة فإذا كنت تريد أن تساعد حقيقة فما نتمناه منك هو أن تقدم مساعدة للجيش : كتيبة دبابات ، أو سرب طائرات أفيد من كل الأموال التي

تصرفونها في السر على الذين يقولون لكم إنهم يمنعون تحقيق احلام الهاشميين في دمشق.

وفوجىء الملك سعود وقال لى : « إننى كنت أسألك عما إذا كنت تبغى شيئا لنفسك ، ولم أكن أسألك عن الجيش السورى » . وقلت له : « يا جلالة الملك إن الجيش السورى هو الذى يهمنى ، ونحن مستعدون أن نقيم لك تمثالا في كل معسكر إذا ساعدت » . ولم يبد على الملك أنه استراح لما قلت له ، ولم يسفر لقاؤنا عن شيء . ولكنه دعانى إلى أن أزوره في الرياض في يوم من الأيام . وقلت له إننى على استعداد لأن أستجيب للدعوة في أي وقت يتفضل فيه بتوجيهها .

وبعد شهور، وفي ذروة أزمة الحشود التركية ضد سوريا، فوجئنا برسالة من الملك يدعوني فيها أنا واللواء عفيف البزري (رئيس أركان حرب الجيش السوري) إلى مقابلته في الرياض. واستغربنا توقيت الدعوة وطلب منا شكري القوتلي أن نذهب ولو لليلة واحدة وراح اللواء البزري يتصل بسلاح الطيران ويطلب تخصيص طائرة لسفرنا ، ثم راح يدرس خط مسار الطائرة التي تحملنا إلى الرياض وتأخرنا عن الموعد المقرر ثم تحدد موعد السفر عند منتصف الليل ، وقبل أن أخرج من مقر الشعبة الثانية متوجها للمطار أبلغت أن وكالات الأنباء العالمية نقلت برقية من الرياض تقول فيها : « إن السيد فطين زورلو رئيس وزراء تركيا قد وصل فجاة إلى الرياض » وانكشف المستور أمامنا ، وأصبح واضحا أن هدفهم هو الجمع بيننا وبين الأتراك تحت رعاية الملك سعود وطلبت إلغاء الرحلة ولم نذهب .

وبعد أن أعلن الاتفاق على إقامة الوحدة بين مصر وسوريا طلب النائب عزيز عياد أن يقابلنى . وقابلته ، وقال لى إن صبهر الملك سعود وهو أسعد ابراهيم يريد أن يقابلنى . وأحلته إلى ضابط فى الشعبة الثانية لكى يستطلع ما عنده ، وطلبت أنا معلومات عنه وعرفت منها أنه والد زوجة الملك المعروفة بأم خالد ، وأن الملك تزوج ابنته واصبح الرجل بعد ذلك من اصحاب الملايين . وأغرب ما أظهرته المعلومات التى جاءتنا عنه أن الرجل قبل أن يتزوج الملك من ابنته كان متهما ومحكوما عليه في قضية سرقة حمار .

ثم رأيته بعد ذلك ، وجلست معه لكى أعرف بنفسى ما عنده لأن كلامه مع ضابط الشعبة الثانية الذي كلفته باستطلاع ما عنده كان مبهما وغامضا .

⁽١٠) كنت مع ، جمال عبد الناصر ، في قصر الضيافة ، وقد سمعت بالقصة منه . وفيما بعد رجوت السيد « عبد الحميد السراج » أن يعيد روايتها في كما رواها للرئيس أمام جهاز تسجيل . والتفاصيل المذكورة هنا وكذلك السياق منقولة عن تفريغ لهذا التسجيل .

تثقوا بنا ، وأنتم تعرفون أن الشعبة الثانية في يدها كل شيء في أي وقت . وأخرج من جيبه رسالة قال لى إنها موجهة من الملك إلى ، وكان مضمونها أن الملك في كل الظروف لن يتخلى عنا إذا مشينا معه كما لم يتخل والده الملك عبد العزيز عن شكرى القوتلى . ثم سألنى عما إذا كنا نستطيع فور وقوع الانقلاب أن نسلمهم عددا من اللاجئين السياسيين السعوديين ؟ وأعطاني قائمة بأسمائهم ، ثم عاد يكرر أن السفير الأمريكي سوف يكون جاهزا لتقديم اعتراف بلاده بالانقلاب فور حدوثه . »

وتوقف « عبد الحميد السراج » في روايته ليسلم لـ « جمال عبد الناصر » الذي كان يسمع مبهوتا مجموعتين من الوثائق :

□ مجموعة لصور الشيكات واذونات الدفع المتعلقة بها.

□ ومجموعة من إشارات تحركات الطائرة الملكية السعودية الخاصة التي وضعت تحت تصرف « أسعد ابراهيم » والتي كانت تتنقل ذاهبة قادمة من دمشق إلى الرياض وبالعكس عدة مرات كل يوم . ثم عاد إلى استئناف روايته للوقائع ، فقال :

الحقيقة أننى بعد أن تسلمت الشيكات كنت أريد أن أتأكد أن قيمتها سوف تنتقل إلى حوزتنا فعلا ، وكنت في بيتى مساء ليلة أول أمس أفكر في الموضوع ، ثم تذكرت أن جارى في الدور الأسفل من البيت هو السيد واصف كمال وهو مدير البنك العربى المحدود في دمشق (وهو البنك الذي تمت عن طريق فرعه في الرياض عملية سحب الشيكات على بنك ميدلاند في لندن) . ونزلت إليه أطرق بابه ، وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وأيقظته من النوم ، وقلت له إن لدى شيكات وأنا أخشى أن يتدخل أحد لايقاف دفع قيمتها ، ولذلك فأنا أريد إتمام التحويل الآن . وكان الرجل في حيرة من أمره لا يدرى كيف يستجيب لما طلبت منه في هذه الساعة من الليل . وأخذته إلى فرع البنك العربى المحدود في دمشق ومعى بعض الضباط ، واستدعينا في نفس الوقت بعض معاونيه ، وأولهم نائب مدير البنك الذي استطاع للحق أن نفس الوقت بعض معاونيه ، وأولهم نائب مدير البنك الذي استطاع للحق أن يستوعب الموقف بسرعة . وهكذا في أول ساعة من الصباح كانت عملية سحب المبلغ من بنك ميدلاند برقيا وإيداعه باسمى في حساب في سويسرا قد تمت » .

وتوقف « عبد الحميد السراج » عن روايته للرئيس الذى كان يتفحص الشيكات ولا يصدق ما يسمعه ، ثم قدم للرئيس ايصالات بإتمام الايداع [حساب باسمه فتح [البنك العربي المحدود [سويسرا تحت رمز (ع. س. ـ

وعندما قابلته راح يتكلم في أمور عامة ، ثم خلص إلى أن الملك سعود حريص جدا على سوريا والشعب السوري عزيز عليه . وسألنى عما إذا كان لديّ مانع في أن أذهب إلى الرياض ، ولو سرا لمقابلة الملك لأنه يريد أن يفضى إلى -وهو يعتبرني ابنا له ـ بأشياء هامة . وقلت له إن الظروف لا تسمح لي بمغادرة دمشق ، فاذهب أنت واسأل الملك فيما يريد ، فنحن نقدر أراءه ونصائحه ونحترم حرصه على سوريا وشعبها . وذهب الرجل وعاد قبل أيام قليلة من الاستفتاء . والتقيت به ، ورحت استدرجه لكى يقول لى كل ما عنده . وبدأ يحدثني عن حرص الملك على سوريا وشعبها مرة أخرى ، وعن أن الاستقلال الذي تحقق لهما جاء بعد جهاد عنيف ، وأنه لا يصح التفريط فيه بسهولة . وأن هذا الذي يجرى تحت اسم الوحدة هو محاولة من عبد الناصر لاقامة إمبراطورية مصرية . وقلت له : « شو بيريد الملك ؟ « وشرح لى ما يريد الملك ، وقلت له إن الأمور بيدنا ، وليست في يد غيرنا ، ولكن أي عمل يقتضي ترتيبات . فقال لي إن الملك على استعداد لأن يساعد ماديا وسياسيا على تحقيق الهدف . ثم راح يعرض مائة مليون جنيه استرليني يسلم لنا منها عشرون مقدما والباقي بعد نجاح الانقلاب قبل إتمام الوحدة . ثم أضاف أن الملك يضمن لنا « أن السفير الأمريكي سوف يقدم لنا اعترافه بنظامنا فور اعلان الانقلاب ، وكذلك اعتراف كل الدول الصديقة للولايات المتحدة. وبعد يومين عاد أسعد ابراهيم وسلمني شيكا(١١) بمبلغ مليون جنيه استرليني مسحوبا من البنك العربي المحدود في الرياض على بنك ميدلاند في لندن . وكان مدفوعا لحامله (شبيك رقم ۸۰۹۰۲/۰۲) ، ثم عاد بعد ذلك بشيك بمبلغ ۷۰۰ الف جنيه استرليني مسحوبا من البنك العربي المحدود في الرياض على بنك ميدلاند في لندن (شبك رقم ٥٨ /٨٥٩٠٣) ، ثم عاد بشبك آخر بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه استرليني مسحوبا من البنك العربي المحدود في الرياض على بنك ميدلاند في لندن (شبيك رقم ٥٩ / ٨٥٩٠٤) . وسألت أسعد ابراهيم عن بقية المبالغ ، فقال هذه ٢ مليون جنيه والباقى عندما يحدث شيء ، ولم تكن الشيكات التي سلمها لي بـ ٢ مليون جنيه وإنما بمليون و ٩٠٠ الف فقط . وابتسم وكان على أن أفهم أنه اختصم لنفسه مائة ألف جنيه استرليني عمولة . وقلت له إننا لا نستطيع أن نتحرك الآن لأن الاستفتاء سوف يجرى غدا والجيش مستنفر ، وهذا هو أسوأ وقت يمكن أن نتحرك فيه ، وعلى أي حال فلابد أن

⁽١١) صور فوتوغرافية للشيكات الثلاثة ، وإشعارات الإيداع منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٥ صفحة ٨٤٨

اى عبد الحميد السراج). وكان اول سؤال وجهه « جمال عبد الناصر ، له « عبد الحميد السراج » بعد ان اكدت له الوثائق حقائق ما سمع : « هل يعرف شكرى القوتلى ؟ » وقال « عبد الحميد السراج » إنه لم يذكر الموضوع لأحد على الاطلاق . وفيما عدا ثلاثة من ضباط شعبته الموثوقين ومدير البنك العربى المحدود في دمشق ونائبه ، فإن أحدا في سوريا كلها لا يعرف شيئا . »

وطلب الرئيس من «عبد الحميد السراج » أن يروى القصة لـ «شكرى القوتلى ». وأبدى » عبد الحميد السراج » مخاوفه من أن يقوم «شكرى القوتلى » بإبلاغ السعوديين بانكشاف المؤامرة . وقال له الرئيس » جمال عبد الناصر » : » إن شكرى القوتلى رجل عاقل ، وانت دائما سيىء الظن به . وعلى أى حال فإن شكرى القوتلى سوف يجىء إلى في الصباح ، وسوف أطلب منك أن تحكى له كل شي أمامى » .

ولم ينم « جمال عبد الناصر » بقية الليل ، وإنما تزاحمت الخواطر والذكريات في مخيلته ، ولعله فهم وقتها لماذا لم يتلق ردا من الأمير « فيصل » بعد أخر مرة التقام في القاهرة . وكان « فيصل » قد وعده بأن يرد عليه ، وأن يجىء له بالملك « سعود » ليتكاشفا ف كل ما بينهما(١٢) .

وفي الصباح جاء «شكرى القوتلى » لتناول الافطار مع « جمال عبد الناصر » ، وفوجىء بوجود « عبد الحميد السراج » ، وفوجىء اكثر عندما قال له الرئيس : « إن لدى عبد الحميد شيئا ، وأريد أن أسمع رأيك فيه » . وأعاد « عبد الحميد السراج » رواية قصته على «شكرى القوتلى » وسلمه صور الشيكات . وأمسك «شكرى القوتلى » بالشيكات يقلبها بين أصابعه » ثم نظر إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » وقال له : كيف نتاكد أن هذه الشيكات صحيحة » وأن التوقيعات عليها أصلية ؟ » وتضايق « عبد الحميد السراج » وقال « للقوتل » : « سيدى هذه ايصالات إيداع المبالغ في حسابات باسمى في سويسرا ، وهي حوالى ٢ مليون ايصالات إيداع المبالغ في حسابات باسمى في سويسرا ، وهي حوالى ٢ مليون جنيه استرليني ، وأبي مات على حصيرة لم يترك في أبيض ولا أحمر » . وراح جنيه استرليني ، وأبي مات على حصيرة لم يترك في أبيض ولا أحمر » . وراح « شكرى القوتلى » يضرب كفا بكف ويقول : « لا حول ولا قوة إلا باش » .

وبعد الظهر عاد «عبد الحميد السراج » إلى الرئيس «جمال عبد الناصر » يحمل إليه نص برقية مرسلة من السفارة السعودية في دمشق إلى الديوان الملكي في الرياض ، وكان نصها : « تاكد ان البناية مفشوشة » . واضاف عبد الحميد السراج » ان كلمة « البناية » كانت هي الاسم الرمزي لعملية الانقلاب ، ومن المؤكد أن « شكرى القوتلي » أبلغ السفارة لكي ينبه الملك إلى ان الموضوع قد انكشف .

ولم يكن هذا هو كل شيء فقط مع « عبد الحميد السراج » وإنما كانت معه ايضا تفاصيل مؤامرة أخرى أعدها « اسعد ابراهيم » بالاتصال مع أحد ضباط الطيران ، وقد وعده بأن يعطيه نصف مليون جنيه إذا قام بضرب طائرة » جمال عبد الناصر » في الجو إذا جاء إلى دمشق بعد الاستفتاء (ولم تكن المؤامرة الكبرى للانقلاب قد نجحت) .

وبعد اقل من ساعة كان « جمال عبد الناصر » في شرفة قصر الضيافة في دمشق يروى للجماهير المحتشدة في ساحته ، والمزدحمة حتى سفوح جبل ، قاسيون » تفاصيل القصة كلها واسرارها . ولم تصل الحقيقة إلى الجماهير التي سمعته وحدها ، وإنما وصلت في نفس الوقت إلى كل اطراف الأمة العربية ، وإلى كل اركان الدنيا بما فيها السعودية .



كانت إذاعة تفاصيل المؤامرة ، وأسرارها بمثابة قنبلة انفجرت في الرياض ، وهرع بعض الأمراء الشبان إلى القصر الملكي ، وعرفوا أن الملك ليس في العاصمة ، وإنما هو في قصره في المدينة المنورة . وكان الأمير « طلال » $(^{17})$ هو أول من تمكن من الاتصال بـ « سعود » في قصره بالمدينة . وسأله ما إذا كان قد سمع ما أذيع للتو من

⁽١٢) فيما بعد عرف «جمال عبد الناصر» من الأمير « فيصل » انه نقل للملك « سعود » بالفعل كل ما سمعه من «جمال عبد الناصر » وعرض عليه فكرته في إجراء مكاشفة ومصالحة بين الاثنين « ولكن الملك « سعود » اكتفى بالرد عليه قلئلا : « ابشر ابشر » . ولعله كان ينتظر سماع انباء من دمشق .

⁽ ۱۳) رواية الأمير « طلال » للرئيس « جمال عبد الناصر » عندما التقاه فيما بعد ، وهي بنصوصها الكاملة مكتوبة بخط السيد » سامي شرف » ومودعة في ارشيف منشية البكري ضمن ملف عنوانه : « السعودية ــ مؤامرة الملك سعود ــ فبراير ۱۹۵۸ ــ رقم ۴ ﴾ .

دمشق؟ ورد عليه الملك بقوله: « لا تنزعج وتوجه إلى في المدينة ». ودخل الأهير « طلال » إلى القصر في المدينة ليجد أن نائب أميرها « عبد الله السديرى » جالس ع الملك ، وكان الملك يسأله: « هل صدق أهل المدينة ما قاله الحاسدون في دمشق؟ » وسكت نائب أمير المدينة لم يجب . وكان الصمت في حد ذاته إجابة كافية . وحاول الأمير « طلال » أن يستطلع رأى الملك في الموضوع » ولكن الملك راح يتحدث عن رحلة صيد قام بها إلى البروعاد منها قبل ساعات . وأحس « طلال » أن الملك يراوغه » فقال له منفعلا : « بالله يا طويل العمر أن تبيض وجوه آل سعود . لو تركنا ما أذيع بغير رد لسودت الفضيحة وجوهنا ، وإحنا لا نمثل فردا ولا اثنين ، ولكن إحنا خمسة ألاف من أل سعود ، واين نذهب بوجوهنا ؟ »

وتصنع الملك ابتسامة ، ثم قال لـ « طلال » : « ابشى ابشى ، ما يخالف ، ولا تنزعجوا » .

وفي الصباح استقل الملك طائرته قاصدا إلى الرياض ، ولم ينزل في مطارها العام ، وإنما نزل في مطار خاص قرب القصر . ودعا مستشاريه ، ولم يكد مجلسهم ينعقد حتى دخل عمه الأمير « عبد الرحمن آل سعود » وكان وقتها يعتبر عميد الأسرة بحكم كونه شقيق مؤسس المملكة ، وأكبر الأمراء سنا . وأمر الملك بالقهوة ، والصمت سائد في المجلس لا يقطعه إلا قول الملك « كيف حالك ؟ عيوجهها إلى كل واحد من الجالسين أمامه . ثم قام الملك واتجه إلى مكتبه ، ودعا إليه مستشاريه الشيخ « يوسف ياسين » والسيد « جمال الحسيني » . ونهض الأمير « عبد الرحمن » واقفا يقول للشيخ « يوسف ياسين » : « إلى أين قذهبان بال سعود يا يوسف ؟ » ثم يضيف : « إلى الأرض الحضيض إلى جهنم والله » . قالها يا يوسوف .

وصدر عن الديوان الملكى بعد قليل بيان نصه : « إن جلالة الملك اصدر قرارا ملكيا بتكوين لجنة عليا للتحقيق في هذا الأمر لاظهار معمياته ومقاصده ، وستنشر الحكومة هذا التحقيق فور الانتهاء منه » .

ثم أذيع قرار ملكى بتعيين لجنة تحقيق تضم كلا من اللواء « سعيد العزى » مدير الاستخبارات ، والسيد « رشدى ملحس » وهو لبنانى يعمل مستشارا للملك ، والسيد « عبد الله بن عدوان » وكيل وزارة المالية .

واعتكف الملك في قصره لا يقابل أحدا، ولا يأذن لأحد بالدخول عليه. ولكن أخبار القلق الذي استبد بأمراء الأسرة كانت تصل إليه. وبدأت سلسلة من

التصرفات الهوجاء ، فقد تم القبض على السيد ، مصباح كنعان ، مدير فرع البنك العربي المحدود في الرياض . وجيء به مكبلا بالحديد إلى مقابلة مع الملك لم يحضرها إلا الشيخ « محمد سرور الصبان » وزير المالية . وقال « مصباح كنعان » أمام الملك : « إن البنك لم يفعل إلا ما أمر به ، وأن في حوزته توقيع الشيخ « محمد سرور الصبان » نفسه على إذن التحويل ، كما أن عنده توقيع « معتوق حسنين » رئيس مؤسسة النقد ، وكذلك عنده خطاب خاص من ديوان الملك بالاذن بالتحويل » . وسأله الشيخ « سرور الصبان » : « هل سمعت ما أذيع من وثائق في دمشق ؟ كيف تسمحون بتسليم هذه الوثائق لأحد ، ومفروض أن تراعوا في أعمالكم السرية المطلقة » . وحاول « مصباح كنعان » أن يدافع عن نفسه . وأمر الملك بإخراجه ، وأمر بإغلاق فروع البنك العربي المحدود في المملكة كلها ، واقترح عليه الشيخ « محمد سرور الصبان » تأجيل هذا الأمر حتى لا يهز السوق المالية . ولكن السوق المالية كانت قد اهتزت فعلا ، فقد سارع بعض الأمراء تحسبا لاجراءات قد تتخذ ضد البنك العربي المحدود إلى سحب أموالهم منه . فقد سحب الأمير « طلال » مليونين من الجنيهات ، وسحب الأمير « عبد المحسن » والأمير « سعد » كل منهما نصف مليون جنيه . وتوالت طلبات السحب من البنك ، فقررت إدارته إغلاقه لمدة يوم حتى تتمكن من تدبير أرصدة للراغبين في السحب . ولكن زحام الراغبين في السحب تحول أمام البنك إلى شبه مظاهرة ، ثم توترت الأعصاب حين جاءت قوة من الحرس الملكي ، وفتحت لها أبواب البنك اضطرارا ، فإذا هي تدخل لتصادر كل ما لدى البنك من ملفات وأوراق.

وبلغ إلى مسامع الملك أن بعض الأمراء الشبان بدأوا يتطاولون عليه . فبعث احد مستشاريه ليقول للأمير « عبد الله الفيصل » (الأبن الأكبر للأمير « فيصل ») إن الملك لا يريده في الملكة في الوقت الحاضر . وكان الأمير « فيصل » نفسه بعيدا عن الرياض ، واتصل به أبنه « عبد الله الفيصل » يستشيره فيما أبلغ به . ورد الأمير « فيصل » ببرقية مفتوحة ، ولعله قصدها جاء فيها : « إن عبد الله الفيصل ليس ابنى ، وإنما هو رعية من رعايا مولانا الملك سعود . ويمكنه أن يطرده من المملكة دون الرجوع إلى أحد » .

ولكن المشكلة لم تكن مقصورة على الأمير « عبد الله الفيصل » وإنما بدأت تمس كل أفراد الأسرة الذين تكررت اجتماعاتهم ، وأصبحت في واقع الأمر اجتماعا

واحدا(١٤) مستمرا يدخلون ويخرجون منه وهم حياري لا يعرفون ما العمل ؟ وقرروا إرسال برقية إلى الأمير « فيصل » يطلبون إليه القدوم إلى الرياض ليحسم الموقف . ورد الأمير « فيصل » ببرقية قال فيها : « ليس لى من الأمر شيء ، فكيف تحملونني التبعة ؟ الأحسن أن تتصلوا بالملك _ فيصل » . وذهبوا إلى الأمير « عبد الرحمن » عم الملك ، وطلبوا إليه أن يتدخل لأن الشعب في المملكة يغلى . واستجاب لهم الأمدر « عبد الرحمن » وذهب إلى الملك ، وتحدث معه بلهجة قاسية لم يسمعها منه قبلا . وبدأ «سعود » يتهاوى ، وقال لعمه : «بماذا تشير على ؟ » ورد عليه الأمير « عبد الرحمن » بقوله : « استمع إلى نصيحة إخوتك وأبناء عمومتك وخذ الأمر بالشدة ليظهر الحق، وادع أخاك فيصل ليتعاون معك، فهو جدير بتحمل المسؤولية » . ورد الملك بأن الأمير «فيصل » غاضب عليه . وقال الأمير « عبد الرحمن » : « ادعه وقل له الحقيقة ، وأخلص له النية ، ولكل امرىء ما نوى » . وأملى الملك في حضور الأمير « عبد الرحمن » على مستشاره الشيخ « يوسف ياسين » برقية جاء فيها : « توجه إلينا في الرياض ـ سعود » . وبعد ساعة : جاء الرد من الأمير « فيصل » وكان نصه : « طال عمرك صحتى لا تتحمل السفر الآن . وحينما تتهيأ الظروف سأشد الرحال ـ فيصل » . ورد الملك ببرقية قال فيها: « نحن في حاجة إليك ، فتوجه إلينا والله يرعاك ـ سعود »

ووصل « فيصل » وطلب لقاء الملك وحده . ولم يعرف أحد ما دار بينهما » وتوجه الأمير » فيصل » وعقد اجتماعا حضره كل أمراء « أل سعود » الموجودين ف الرياض يومها ، وروى لهم ما حدث بينه وبين الملك باختصار شديد ، ثم أطلعهم على ورقة بتوقيع الملك يخول فيها للأمير « فيصل » جميع سلطات الملك ليعالج كل القضايا الداخلية والخارجية للمملكة .

وصباح اليوم التالى ظهرت جريدة • النيويورك تايمز » بأول التفصيلات عن التطورات الأخيرة في المملكة ، وكانت عناوينها • سعود يسلم الحكم إلى أخيه فيصل ـ فيصل هو الرجل القوى في المملكة الآن » .

ونقلت وكالة « اليونايتد برس » من لندن برقية جاء في مقدمتها : « صرحت المصادر البريطانية المطلعة اليوم بأن تنازل الملك سعود عن سلطاته لأخيه الأمير فيصل يعتبر ريشة جديدة في قبعة جمال عبد الناصر » . وسجلت أسهم شركات البترول هبوطا شديدا في أسعارها ، وأصدر الأمير « فيصل » بصفته

رئيسا لوزارة جديدة تشكلت السعودية بيانا ناشد فيه الشعب السعودى ان يؤيد حكومته ، واذاع راديو مكة بيانا قال فيه : « إن حكومته الجديدة اصبحت مسؤولة عن الشؤون الداخلية والخارجية والمالية ، وأنه هو الآن المسؤول عن القوات المسلحة السعودية . وحين دخل الأمير « فيصل ، إلى مقر رئاسة الوزارة بعد إذاعة بيانه كان النظاره حشد من أفراد الأسرة يصفقون الوزارة بعد إذاعة بيانه كان المنظارة حشد من أفراد الأسرة يصفقون الوزارة بعد إذاعة بيانه كان المنظارة حشد من أفراد الأسرة يصفقون الموردية .

وكان الرئيس « ايزنهاور » في واشنطن يتابع ما يجرى في المنطقة ، وقد أحس ان الأمور في الشرق الأوسط تأخذ اتجاها آخر غير ما قصد إليه حين كتب للملك « سعود » يطلب إليه أن يتشاور مع العراق والأردن ولبنان ، لكى يقوموا جميعا بالتنسيق فيما بينهم لمواجهة قيام الوحدة بين مصر وسوريا وظهور دولة جديدة كبرى في المنطقة تحت اسم » الجمهورية العربية المتحدة » .

كانت تصرفات « سعود » التى انكشفت بهذه البساطة وتحولت إلى فضيحة مدوية صدمة كبرى بالنسبة للسياسة الأمريكية . والمؤكد فى كل الأحوال أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عن الاتصالات والمشاورات والتحركات التى جرت فى الرياض ، وانتهت بتنازل الملك « سعود » عن سلطاته لأخيه الأمير « فيصل » .

وفى بعض اللحظات بدا ضيق « ايزنهاور » بالتطورات فى الشرق الأوسط مديدا يغلبه كلما حاول أن ينحيه عن أفكاره . وقد دعا مساعده العسكرى البريجادير « جودباستر » وأملاه مذكرة جاء فيها(١٠٠) :

" إننى حتى هذه اللحظة لم افهم ماذا حدث في الشرق الأوسط. إن كل ما قراته لم يجعلنى مهيا للتطورات التى جرت. فهل كنا على علم بها ام اننا فوجئنا مثل الآخرين ؟ لقد كانت سياستنا كما اعرف هى انتزاع سوريا بعيدا عن مصر، وعزل ناصر بواسطة اخذ سعود من جانبه ـ فإذا نحن نفاجا بالعكس تماما . ناصر يستولى على سوريا بالكامل ، ثم يقوم هو بعزل سعود ـ إننى اريد تقريرا عن الكيفية التى تم بها ذلك .

توقيع _ آيك =

وظل السؤال معلقا حتى كتب السفير « رينهاردت » (خبير بالشرق الأوسط ، وقد أصبح فيما بعد سفيرا للولايات المتحدة في مصر) تقريرا قدمه إلى « جون أ .

⁽ ١٤) مجموعة تقارير السفارة المصرية في جدة خلال شهر مارس ١٩٥٨ ـ واصولها جميعا [أرشيف وزارة الخارجية ، وقد حصلت السفارة على نسخ البرقيات المتبادلة [الأزمة بين الملك والأمير ، فيصل ، من مكتب الصالات القصر معاشرة ا

⁽١٥) مجموعة أوراق ، ايزنهاور ، وكذلك مجموعة وثائق الخارجية الأمريكية.

كالهون » مدير السكرتارية التنفيذية للبيت الأبيض لكى يضعه تحت نظر الرئيس علا يجيب عن سؤاله الحائر المعلق . وفي هذا التقدير كتب السفير « رينهاردت بالنص :(١٦)

السياسية العربية إلى الجعجعة « من الناحية التاريخية درجت جميع الفئات بمبدا الوحدة العربية ، ولكن لم يرتض اى منها التضحية بمطامحه الخاصة في الثوري من الوحدة العربية ملمحا سبيل تحقيقها . وقد اتخذ حزب البعث العربي جوهريا من ملامح برنامجه السياسي عندما انشيء سنة ١٩٤٢ . وقام الحزب بعد ذلك بإنشاء فروع له في لبنان والأردن وسوريا والعراق . وبعد الاطاحة بالدكتاتور عودة الحياة البرلمانية في سوريا ، السوري الشيشكلي في عام ١٩٥٤ وما تلا ذلك من اندمجت الشعبة السورية من حزب البعث مع الحزب الاشتراكي العربي السوري ، الطبقة المتوسطة السفلي ، ومن وهو جماعة يسارية راديكالية تضم عناصر من عن هذا الاندماج بحزب البعث صغار ضباط الجيش . وعرف التنظيم الناشيء العربي الاشتراكي ، واشتهر في سورياً أيضًا باسم " البعث " . ومنذ عام ١٩٥٤ فصاعدا اخذ هذا التجمع الجديد ، معتمدا اعتماداً شديدا على تاييد من يعطفون عليه من ضباط الجيش السورى ، يظفر شيئًا فشيئًا بالهيمنة على الخصوم السياسيين الطيعين الجبناء في جميع انحاء سوريا . وادت الانشطة السوفيتية المتزايدة في المنطقة بما في ذلك الشحنات الضخمة من الاسلحة إلى مصر وسورياً ، وازدياد هيبة السوفيت بعد مغامرة السويس الانجليزية الفرنسية الاسرائيلية المجهضة _ ادت لفترة ما إلى هذا الائتلاف الجديد بين حزب البعث والجيش للتعاون معا (سطور محذوفة في التقرير ، ثم يمضى نصه بعد ذلك إلى القول) وذلك في اوائل عام ١٩٥٨ 🛋 تسفر عن عندما تبين أن الانتخابات البلدية المقرر إجراؤها هزيمة يلحقها الشيوعيون بالحزب . ومن هنا قهد ائتلاف البعث والجيش السعى إلى الاندماج مع مصر فورا على امل أن يعطيه ذلك الحماية التي توفرها زعامة الرئيس ناصر، مما يهيئ للبعث فرصاً اكبر لزيادة قوته.

وفي يناير ١٩٥٨ عقد الضباط العسكريون السوريون غير الشيوعيين ، ووزير الخارجية السورى البعثى اجتماعات درامية مع ناصر في القاهرة توسلوا إليه فيها أن يقبل اندماج البلدين ، وكان هذا التطور مفاجأة للمصريين . وفي بادىء الأمر رفض ناصر النداءات السورية ـ غير انه كان من اشق الأمور عليه ان يقاوم نداء يستند إلى العقيدة الاصلية للفكر السياسي العربي الا وهي الرغبة العارمة في الوحدة العربية . ومن ثم وافق المصريون على إنشاء الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن وفقا لشروطهم هم ، وليس لشروط الائتلاف السورى بين البعث والجيش . إن زعماء البعث توقعوا أن تكون لهم الهيمنة على الحكومة في سوريا ، ولعلهم فكروا في أن تصبح ايديولوجية البعث اساسا لنظام ناصر الثورى ، كما أن ضباط الجيش السورى افترضوا انهم في وضعهم المدنى الجديد يستطيعون الاحتفاظ الجيش السورى افترضوا انهم في وضعهم المدنى الجديد يستطيعون الاحتفاظ

بقوتهم العسكرية ، والأرجع ان كلا من الفريقين سوف يفجع لعدم تحقيق مطالبه . . . » .

ولم يكن ف هذا التقرير ما يكفى لمواجهة قلق « ايزنهاور » على النتيجة التي الت الله المخططات الأمريكية في المنطقة ، ولعلها من هنا أن تقرير السفير « رينهاردت لم يظفر منه إلا بعلامة استفهام خطها على هامشه . ثم كان طلبه بعد ذلك هو إعادة تقدير الموقف ، ودراسة إمكانيات العمل المتاحة في الظروف المستجدة .

وعقدت اجتماعات مشتركة بين خبراء وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية ، ودعى بعض المهتمين من وزارة الدفاع ، ودارت مناقشات لمدة يومين كاملين في قاعة خاصة بوزارة الخارجية في واشنطن . ثم جلس " جون فوستر دالاس " وشقيقه « آلات دالاس » يناقشان المحصلة ، واتفق رأيهما على أنه قد يكون من الضرورى التقدم إلى « ايزنهاور " بتوصية لاجراء بعض الملاءمات مع خطوط مسار السياسة الأمريكية ، فهى " كما هى الآن على مسار صدام مكشوف مع حركة المقومية العربية التى يبدو أن نجمها في صعود " . ووافق " ايزنهاور " على المبدا ، ولكنه أشار بألا يكون من شأن أية ملاءمات جديدة أن تظهر للآخرين المبدا ، ولكنه أشار بألا يكون من شأن أية ملاءمات جديدة أن تظهر للآخرين وكاتها توجهات سياسية جديدة ، وأن يكون ذلك مفهوما جيدا لكل المسؤولين الأمريكيين في واشنطن وفي المنطقة .

وكلف « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكية مساعده « ويليام راونترى » بإبلاغ توجيه سرى إلى جميع سفراء الولايات المتحدة في المنطقة ، وكان نصه كما يلى :

« سرى للغائة(١٧)

توجيه رقم : ٢٢٧٩

تسجيل : ١٨ ابريل ١٩٥٨

خاص ولعلم رؤساء البعثات الأمريكية في الشرق الأوسط وحدهم سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة

١ - إن وزارة الخارجية تؤكد أن الأهداف الاساسية لسياسة الولايات المتحدة في علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة ، باقية من غير تغيير .

إنها تؤكد من جديد أن ازدياد نفوذ مصر يتعارض مع القرار المشترك للكونجرس عن

⁽١٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الامريكية.

المصورة من النص الكامل للوثيقة منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٦ صفحة ٥٠٠ - وهذه لوثيقة لها ظرف خاص ، فقد جرى الحصول على صورة لها بعد الثورة العراقية مباشرة ، ومن مصدر داخل لسفارة الامريكية في بغداد ، ولهذا فإن اسم السفارة الامريكية في بغداد ظاهر عليها .

الشرق الأوسط، ويؤدى إلى تقوية القومية العربية ويشجع الاتجاهات المضادة للغرب، وبالتحديد الاتجاهات المضادة لأمريكا، في الشرق الأوسط وفي افريقيا، ثم هو يؤثر على هيبة حلف بغداد، الذى يعتبر حلقة هامة في شبكة الدفاع عن العالم الحر، ويمس بالضرر موقف إسرائيل ومصالحها، الأمر الذى لا تستطيع الولايات المتحدة أن تتجاهله.

٢ - إن وجود السيطرة على مواصلات نقل بترول الشرق الأوسط إلى اوروبا ، سواء عن طريق قناة السويس ، او عن طريق انابيب البترول المتجهة إلى البحر الأبيض - تحت السيطرة الفعلية للقاهرة ، يعرض المصالح الأمريكية في المنطقة لخطر اكيد ، فإن ذلك يجعل الجمهورية العربية المتحدة الآن في وضع يمكنها من ممارسة ضغط على الولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية ، وهذا الاحتمال يمكن ان يتحول إلى سلاح مخيف في يد الرئيس ناصر .

٤ - وفي الظروف الحالية . فإن متابعة الاسلوب السابق تجاه الجهورية العربية المتحدة ، لن يؤدى إلا إلى مضاعفة سخط العرب ، ودفعهم إلى احضان السوفيت ، وهذا يتطلب بعض التغييرات في اسلوب متابعة سياستنا ، ومن هنا تجىء مسالة الخفيف « علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولا يتضمن الأمر إعادة تقدير اساسى لسياستنا ، وإنما هناك تحول تاكتيكى مؤقت تغرضه الضرورة ، وعليه فإن الافراج عن ارصدة مصر من الدولارات المجمدة في الولايات المتحدة ، وتخفيف بعض القيود المفروضة على التجارة ، وبعض الخطوات الاخرى ، تجرى دراستها في الوقت الحاضر .

وإذا نجحنا في أن نقنع ناصر بأن الولايات المتحدة ، قد وطدت نفسها على حكمه " وأنها الآن على استعداد للاستجابة لبعض شروطه ، فإن النتيجة الحتمية لذلك ستكون فتورا في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والكتلة السوفيتية .

وإن احتمال نجاح تطور على هذا النحو موجود ، ويستدل عليه من تصريحات صادرة عن مصر بينها تصريحات من ناصر نفسه بما معناه ان الصلات القريبة بين مصر وروسيا قد استمدت جذورها من رفض الغرب ان يتفاوض مع مصر على اساس الشروط المصرية ، وهكذا فإن تحسنا في العلاقات بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة ، يمكن ان يؤدى ـ على المدى البعيد ـ إلى إثارة الشكوك في الكرملين ، ثم إلى إضعاف العلاقات العربية السوفيتية إن لم يؤد إلى قطعها تماما .

يتحتم أن تظل جهودنا متجهة إلى مهاجمة فكرة الوحدة بين مصر وسوريا ،
 ولا يجب أن تتوقف جهودنا لايجاد فاصل بين البلدين ، وينبغى أن يظل ذلك من
 أبرز أسس سياستنا في المنطقة .

وهناك قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته ، كما أن هناك قوى خارجية يمكنها في

اى لحظة ملائمة ان تتدخل ، وينبغى تدعيم هذه القوى من غير كلل ، وينبغى ان نذكر دَائما ان اى تفسخ في الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر ، وإنما سوف يجعل من السهل ايضا محاربة القومية العربية ، في اى شكل تتخذه في الشرق الأوسط .

٦ - ولسوف تكلل جهودنا بالنجاح اكثر إذا امكن عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى العالم العربى وبالنسبة لهذه المهمة ، فإن ممثل الولايات المتحدة ، سواء في الاقسام الدبلوماسية ، أو في اقسام الاستعلامات والدعاية في العالم العربي عليهم أن ينشروا الاعتقاد العام بأن الجمهورية العربية المتحدة تشكل خطرا مباشرا على كل الحكومات العربية .

وفى البلاد الملكية علينا أن نشرح بقوة أن تدعيم الجمهورية العربية المتحدة قد يؤدى إلى سقوط حكم جميع البيوت الحاكمة ، كما أنه في الجمهوريات يمكن بث الخوف من ابتلاع القاهرة لهذه الجمهوريات .

وفي النهاية ينبغى انتهاز كل فرصة لتقوية الاتحاد العراقي الأردني الذي سوف يستمر في الحصول على تاييد الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوري المصرى.

٧ ـ إن هذا المنشور يقدم تصويرا عاما لبعثات الولايات المتحدة الدبلوماسية في الشرق الاوسط، وتتلقى كل بعثة منها بالذات تعليمات مفصلة تناسب مكانها.

توقیع ر*او*نتری =

وعلى الأرجح فإن هذا التردد والتخبط بين الحقيقة والتعبير عنها ، وبين السر والعلن ، كان يعكس مشكلة قوة عظمى من قوى العصر فاجأتها حوادث لم تكن مستعدة لها ، ومن ثم راحت ترتجل وتصطنع في انتظار أن تمكنها الظروف ، وتتيح لها مناخا أكثر ثقة واستقرارا تستطيع فيه أن تعيد رسم سياستها والتعبير عنها في تناسق وانسجام .

وربما كان خير ما يشرح الحالة النفسية للسياسة في تلك الفترة من التردد والتخبط أنها راحت تفكر في مشاريع وحدوية لا تخطر بعقل عاقل.

وتكشف إحدى وثائق مجلس الأمن القومي (١٨) أن لجنة تنسيق العمليات والسياسات التابعة له اقترحت أن تسعى الولايات المتحدة إلى إقامة دولة وحدة مين إيران وباكستان!

⁽١٨) الوثيقة رقم ١/٥٠٠٥ من ملفات مجلس الأمن القومي، وهي بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٨.



الصـــيف الفطــر !



كان « جمال عبد الناصر » قد ترك أفراح الوحدة في دمشق ، وعاد إلى القاهرة مدركا أن مرحلة جديدة من الصراع على الشرق الأوسط ، وفيه توشك أن تبدأ . لقد انتهت مرحلة باءت فيها بالفشل كل مخططات الغرب ، وعلى رأسه الولايات المتحدة . وكان الفشل صارخا . وكان تقديره أن الذين تلقوا هذا الفشل لن يقبلوا به كنتيجة نهائية للصراع مهما كان ما يتظاهرون به . ومن ثم فإن المرحلة الجديدة من هذا الصراع سوف تكون بالغة الخشونة ، وبدرجة تتناسب مع حجم الفشل الذي منوا

ولعله من هنا أراد في هذه الفترة أن يستُكشف إمكانيات السوفيت بطريقة مباشرة وعميقة . كان يرى أن الولايات المتحدة هي التي تقود المرحلة القادمة من المواجهة ، وبخطط جديدة . فهي حتى الآن ، ومنذ أن تصدرت لقيادة التحالف الغربي ، كانت في الشرق الأوسط تفكر وتتحرك وتفعل محكومة بمواريث الاستعمار التقليدي ـ البريطاني الفرنسي ـ الذي انهار في السويس . وأما الآن ، وخصوصا بعد ما حدث في سوريا وانتهى إلى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، فهي على وجه اليقين سوف تعطى نفسها بداية جديدة لا علاقة لها بما سبقها ، ثم إن هذه البداية سوف بكون عليها في مراحلها الأولى أن تعوض النكسات التي تلقتها في كل من دمشق والرباض .

وكان رأى اللجنة أنه إذا كانت الوحدة معنه بين مصر وسوريا وليس بينهما حدودا جغرافية ، فإمكانياتها أكثر بين إيران وباكستان لان لهما حدودا مشتركة !!

وتحتوى يوميات « ايزنهاور » (وهي مودعة في مكتبته في آبيلين _ كانساس) على إشارات في ذلك الوقت تظهر حيرة « ايزنهاور » إزاء الطريقة التي يمكن للولايات المتحدة أن تتصرف بها إزاء « جمال عبد الناصر » .

ویکتب « ایزنهاور ، بخط یده فی یوم ۱۰ مایو :

« إن امامى خططا كثيرة للخلاص من ناصر تقدمها لى المخابرات . وامامى تقارير مختلفة ومتضاربة عن نواياه ، فهم يقولون إن لديه جدول اعمال محددا للسيطرة على الشرق الأوسط بلدا بعد بلد تماما كما كان « هتلر » . وهم يؤكدون انه ليس شيوعيا ، ولكنه إذا استولى على الشرق الأوسط كله ، فإن الشيوعيين سوف يسيطرون على منابع البترول » .

ثم يستطرد « ايزنهاور » :

• إن فوستر (دالاس) يعتقد ان بإمكاننا إذا اتبعنا سياسة ذكية ان نستطيع استمالته إلى ناحيتنا ، ولو لحصر ضرره على مصالحنا ، وقد وافقت وقلت لفوستر : د على شرط الا يبدو وكاننا نلعق حذاء ديكتاتور • .

والحقيقة اننى لا اعرف بعد كيف ينوى « فوستر » ان ينفذ سياسته هذه الذكية التى يتحدث عنها ، فقد اردنا عزل ناصر عن سوريا ، فإذا هو يأخذها بالكامل في يده! »

ویمضی « ایزنهاور » :

« إن القومية العربية حركة وطنية راديكالية ، ومثل هذه الحركات لها جاذبية ، وإذا اقترنت جاذبية الفكرة برجل يمثلها ، ويملك نفس القدر من الجاذبية الشخصية ، فمن المؤكد أنه يستطيع اكتساح الاقطاعيين الذين يحكمون في البلدان الأخرى ، وأن يحرض شعوبهم على الثورة ضدهم ، وهذا يعطى القرصة للهذاب الشعرة فروشوف » ليخنق الغرب !! »

ويصل « ايزنهاور » إلى بيت القصيد ، فيقول :

« لابد أن نجد وسيلة لتطبيق سياستنا في مكان ما من العالم العربي ، ومن المحتم أن نثبت للجميع أن مبدأ أيزنهاور له قوة على الفعل ..

ثم يصل « ايزنهاور » إلى القول :

• إن لبنان قد يكون فرصتنا لاثبات ان مبدا ايزنهاور قادر على الفعل ، ومع ان لبنان بلد لا يملك نفطا ولا جيشا ، فإنه يملك تجربة ديمقراطية معرضة الأن للخطر بسبب التحديات التي تواجه (الرئيس اللبناني كميل) شمعون !! •

ومن ناحية أخرى ، فقد كان «جمال عبد الناصم، يدرك ان الامور مع السوفيت تحتاج إلى مناقشات صريحة (۱) خصوصا بشموالا الموقف الذى اتخذه الحزب الشيوعى السورى من الوحدة . فهذا الحزب لم يكف بهرب رئيسه «خالد بكداش » من جلسة التصويت على الوحدة خروجا على الاجماع العام ، وإنما راح من «صوفيا » يصدر بيانات متواصلة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وضد كل الأطراف التى ساعدت على إقامتها بما فيها حزب البعث . ووصل الأمر بالحزب الشيوعى السورى إلى أنه وصف حزب البعث بأنه » عميل مأجور لبنك مصر » على أساس تصور ارتاء الحزب الشيوعى السورى مؤداه أن النظام في مصر كله «واجهة للمصالح البورجوازية التى تملك بنك مصر » . وإضافة إلى ذلك فإن «جمال عبد الناصر » كان يشعر أن الاتحاد السوفيتي يشعر بخسق يحاول بكل الجهود إخفاءه والتغطية عليه بسبب التناقض الواضح بين أفكار ثورة ٢٣ يوليو وبين إخفاءه والتغطية عليه بسبب التناقض الواضح بين أفكار ثورة ٣٣ يوليو وبين التنظيمات الشيوعية ، وما نتج عن ذلك من ضبط لبعض التنظيمات الشيوعية واعتقال لأعضائها ، وصدور أحكام من المحاكم في حقها . وهكذا استجاب لدعوة سوفيتية قائمة ، ووصل إلى موسكو فعلا في أول زيارة رسمية له في أواخر شهر أبريل ١٩٥٨ .

والواقع أن جدول أعمال المباحثات الذي حمله « جمال عبد الناصر » معه في رحلته إلى موسكو كان مستوحى بالكامل من مؤتمر سرى عندته الأحزاب الشيوعية العربية في صوفيا^(*)، واتضحت منه خطوط سياساتها للمرحلة المقبلة. كانت المقررات السرية لهذا المؤتمر تقوم على ثلاث فرضيات وجدها « جمال عبد الناصر » من وجهة نظره خاطئة ، وأكثر من الخطأ فإنها كان يمكن أن نصبح خطيرة إذا تبناها الاتحاد السوفيتي كسياسة له بناء على نصيحة أصدقائه القربين من الشيوعيين العرب. كانت هذه الفرضيات الثلاث على النحو التالى:

١ - إن الصلح مع إسرائيل لابد منه لأنه الطريق إلى توحيد كل جهود المنطقة ضد المصالح الاستعمارية الغربية .

٢ - إن الوحدة العربية دعوة رومانسية عاطفية ، وأنه مهما قيل عن تأثيرها العاطفى والمستقبل لا يمكن في الظروف الحالية إلا أن تكون وسيلة لفتح أسواق أكبر أمام البورجوازية العربية .

٣ ـ إن الأحزاب الشيوعية يجب أن يتم الاعتراف بها ، وأن تتمكن هذه الأحزاب من تحقيق تعاون بينها على مستوى المنطقة كلها . (وكانت هذه

الفرضية الأخيرة على تناقض مع ما سبقها لأنها تقوم على التسليم بأن هناك أساسا حقيقيا لوحدة العمل السياسي في العمل العربي).

وعلى مائدة المفاوضات في الكرملين ، وفي مواجهة « خروشوف » و « بولجانين » قال « جمال عبد الناصر » إنه يريد أن يطرح مجموعة من القضايا السياسية العامة ، وبعدها يمكن أن ينتقل البحث إلى مسائل التعاون الثنائي بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . وكانت القضايا الثلاث هي بالتحديد ما استوحاه من مقررات مؤتمر الأحزاب الشيوعية العربية :

(۱) إسرائيل - (+) الوحدة العربية - (+) الأحزاب الشيوعية في العالم العربي .

وطالت المناقشات وتشعبت ، وثارت في بعض الأحيان نقط خلاف محددة ، وحدثت مشاكل بسبب عملية الترجمة من الروسية إلى العربية ، وقد كان الزعماء السوفيت مصرين على أن يتكلموا دائما بلغة بلادهم ، كما أن « جمال عبد الناصر » إزاء ذلك رأى أن يستعمل اللغة العربية . ولم يكن هناك سوى مترجمين سوفيت معظمهم من خريجي معهد الدراسات الشرقية . وربما كانت لغتهم بالكتابة على الورق مقبولة ، ولكنها في الحوار المتبادل كانت تفتقر إلى كثير من الدقة والوضوح .

ومن جانبهم، فإن السوفيت حاولوا اختبار مدى التماسك بين الأعضاء الصريين، والأعضاء السوريين في وفد الجمهورية العربية المتحدة. كما انهم راحوا يشدونهم إلى محاورات يستهدفون منها استكشاف ما إذا كان إلحاحهم على الوحدة قضية اقتناع بعيد المدى، أو أنه ضغوط الظروف.

وعلى أية حال ، فإن الزيارة كانت فى أقل القليل فرصة يسمع فيها كل طرف الطرف الآخر مباشرة ، ويستنتج مما سمعه مما يشاء له ذكاؤه أن يستنتجه . ومع أن المراسم الاحتفالية – وقد بلغت درجة عالية من الحفاوة والتكريم – سادت كل أيام الزيارة – فإن الفرصة كانت متاحة للتعارف عن كثب . كما أن حرارة الزيارة فتحت الطريق بسهولة للاتفاق على مسائل العلاقات الثنائية ، وكان أبرزها أن « جمال عبد الناصر » طلب دراسة مشروع السد العالى جديا » وإبلاغه بما إذا كان الاتحاد السوفيتى على استعداد للمشاركة فى تنفيذه . وكذلك حدث نفس الشىء بالنسجة لخطة التصنيع فى دولة الوحدة الجديدة ، وقد بدت للسوفيت شديدة الطموح . وأخيرا فقد كانت هناك مسئلة التعاون فى مجال الطاقة الذرية ، وكان الواضح أن السوفيت لديهم بعض التساؤلات عن نشاط العلماء الألمان فى مصر فى مجال صناعة الطائرات بعض التساؤلات عن نشاط العلماء الألمان فى مصر فى مجال صناعة الطائرات والصواريخ . وقد رد « جمال عبد الناصر » على هذا التساؤل بقوله : « إنكم انتم هنا والصواريخ . وقد رد « جمال عبد الناصر » على هذا التساؤل بقوله : « إنكم انتم هنا

⁽١) نشرت جريدة ، برافدا ، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي خبر إقامة الوحدة بين مصر وسوريا [إحدى صفحاتها الداخلية ، وكان حجم الخبر الذي هز الشرق الاوسط هو ثلاثة عشر سطرا فقط ! (*) منشور عن مقررات الاجتماع وزع في بيروت ونشرته الصحف الشيوعية فيها .

آ الاتحاد السوفيتي ومنافسيكم هناك في واشنطن تسابقتم على العلماء الألمان ، وإذا كنا قد استطعنا أن نقنع بعضهم بالذهاب إلى مصر ، فإن هدفنا الأساسي كان الا نتخلف عن تكنولوجيا الطيران والصواريخ ، فقد كان هذا هدفنا بالدرجة الأملى ...

وفى اليوم الأخير للزيارة سأله خروشوف: « لماذا يتعجل العودة إلى القاهرة ، ولماذا لا يأخذ إجازة أسبوع على الأقل فى أحد منتجعات البحر الأسود ـ « يالطا » مثلا » ـ ورد » جمال عبد الناصر » « إننى كنت أتمنى ، ولكن الحوادث في المنطقة تتداعى تطوراتها ، وقد تلقيت وأنا هنا عندكم بالفعل تقارير عن مشاكل تجرى في لبنان ، وكالعادة فإن الغرب يتهمنا ، وأحسب أننا مقبلون على صيف حار » .

ولم يكن مخطئا في تقديراته . ولم يكن بعيدا - كما تثبت الوثائق - عما كان يدور في فكر « ايزنهاور » .

كان استقراء الوقائع يثبت مرة أخرى ، أنه ليس أقل أهمية من قراءة وثائقها .



لم يكن « ايزنهاور » يرسم خططا في الفراغ حينما اختار لبنان ميدانا لتجربة مبدأ » ايزنهاور » ، وإنما كان لبنان مهيأ بالفعل لحوادث الفصل الأول من الصيف الحار الذي توقعه « جمال عبد الناصر » وهو ما زال بعد في موسكو .

إن العاصمة اللبنانية « بيروت » كانت قد تحولت في سنوات سابقة إلى قاعدة لقاء ومواجهة بين كل التيارات الفعالة ، والمؤثرة في الصراع الكبير على مصائر العالم العربي والشرق الأوسط . وفي الفترة اللاحقة لمعركة السويس مباشرة أصبحت بيروت مركزا رئيسيا لعمليات المخابرات والحرب النفسية والمؤامرات وتجارة السلاح ، إلى جانب أنها كانت من قبل ذلك فعلا قاعدة خلفية لنشاط شركات البترول ، وفوائض الممالة

وحين قامت الجمهورية العربية المتحدة بالوحدة بين مصر وسوريا ، فإن الموازين الدقيقة والحساسة التي كانت حركتها تمسك بالعناصر المتنافرة والمتناقضة في لبنان بدأت تختل وبدأ الشرر يتصاعد من احتكاك كتل هذه العناصر بعضها سعض .

وكانت أبرز دواعى الاحتكاك أن الأغلبية الاسلامية التى رضيت أن تعيش فى لبنان تحت حكم أقلية مارونية ـ بدأت تشعر أن قيام الجمهورية العربية المتحدة إلى شرق لبنان ، ومن حوله قد أعطاها بعدا وسندا تستطيع أن تطمئن إليه فى مواجهة أوهام راودت بعض الزعماء الموارنة فى سلخ لبنان عن انتمائه العربى ، وإلحاقه بأوروبا عبر البحر المتوسط .

وفي الفترة التي قضاها «جمال عبد الناصر» في دمشق كانت مواكب القاصدين من بيروت إليها لا تنقطع عبر الجبال والوديان. وقدرت وكالات الانباء ـ « رويتر » و « الاسوشياتد برس » ـ عدد اللبنانيين الذين قصدوا إلى بيروت في هذه الفترة التي لم تزد على أسبوعين بأكثر من نصف مليون لبناني (وهذا معناه أن نصف لبنان في الواقع شارك في مواكب الرحلة إلى دمشق) . ولانصاف ، فإن بعض الظواهر في المناخ بدت جامحة ، فإن قيام الوحدة أطلق العنان لتطلعات مكبوتة طال كبتها ، إلى جانب أنه كان من بين السوريين كثيرون لم ينسوا بعد أن لبنان كان سنجقا سوريا . بل إن الرئيس « شكرى القوتلي » خطب في احد الوفود في ذلك الوقت يقول : « إن على لبنان أن يفكر الآن في الالتحاق بالجمهورية العربية المتحدة » . وكان هذا أكثر مما تحتمله طبائع الأمور في بيروت ، خصوصا وأنه كانت هناك قوى كثيرة تحاول إشعال النار على رؤوس الجبال على الطريق بين بيروت ودمشق .

كان كل اللاعبين بالنار _ هواة ومحترفين _ قد ذهبوا إلى بيروت بالأمر أو بالتطوع .

ذهبت كل عناصر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية العاملة لا المنطقة . وتدفقت اعتمادات مالية من مصادر مختلفة على كل وسائل الاعلام وغيرها من أدوات الحرب المعنوية والنفسية في بيروت . حتى أن تقريرا للمخابرات اللبنانية وصل إلى يد اللواء «شهاب » قائد الجيش اللبناني في ذلك الوقت ـ قدر كمية الأموال التي القيت في السوق السياسية بمبلغ خمسين مليون دولار خلال مدة شهرين اثنين .(٢)

⁽ Y) تقرير اللواء ، فؤاد شبهاب ، تقرير تفصيل ، والمعلومات التي وردت فيه شاملة ، وقد اطلع عليه السفير ، عبد الحميد غالب ، ونقل عنه فقرات طويلة في تقرير للسفارة المصرية من بيروت ، ولا توجد منه ـ حسب _

وشهدت بيروت في ذلك الوقت أيضا توسعا في نشاط جماعة «مصر الحرة » التي أسسها «محمود أبو الفتح » (بمساعدة المخابرات الفرنسية) وراحت تكثف دعاياتها ضد الجمهورية العربية المتحدة ومن بيروت مضت هذه المنظمة تحرر مواد إذاعتها الموجهة إلى مصر وكان من أغرب ما أذيع على موجاتها في ذلك الوقت مجموعات من التعليقات جاء في عناوين بعضها : « الشعب يساق الآن في الشوارع ليهتف بالوحدة » - و « الشرباصي (وزير الأشغال) والباقوري (وزير الأوقاف) يسافران إلى سوريا كمندوبين عن « جمال عبد الناصر » لبحث إمكانية استيعاب أرض سوريا ، والترتيبات المعيشية لمليون مصرى مهاجر » - و « الوحدة مازالت حبرا على ورق ، ومع ذلك بدأت معركة الاستغلال » .(٣)

كان واضحا من كثرة عدد اللاعبين بالنار أن المعركة التي توشك أن تبدأ ليست المعنى على دمشق . ولكن هجوما على دمشق .

وبدأ تطاير الشرر.

فى ٢٨ مارس ١٩٥٨ بدأت بعض العناصر من قرى الجبل تتحرش بالمواكب المتوجهة إلى دمشق سواء باعتراضها بحواجز الطرق ، أو بإلقاء الحجارة عليها ، ثم تطور الأمر إلى إطلاق النار فى الهواء تخويفا وإرهابا . ثم جرت ـ وكان لابد أن تجرى ـ مصادمات . وانتشر نطاق المصادمات ، ثم راجت فى بيروت على الأثر أخبار بدت مستغربة ، فقد شاع أن الرئيس « كميل شمعون » الذى أوشكت مدة رئاسته على الانتهاء يفكر فى ترشيح نفسه مرة أخرى للرئاسة خلافا لنصوص الدستور اللبنانى الذى يقصر رئاسة الجمهورية على مدة واحدة لكل رئيس . ثم جرى الهمس بأن هناك اتصالات تجرى لتعديل الدستور حتى تتحقق لـ « كميل شمعون » مدة رئاسة ثانية . وكان مبعث الاستغراب فى هذا كله أن مسألة تعديل الدستور للسماح للرئيس بمدة ثانية كانت هى نفسها النقطة التى تحطم فيها حكم الرئيس اللبنانى الذى سبق » كميل شمعون » وفى فترة هذه الأزمة الذى سبق » كميل شمعون » وهو الشيخ « بشارة الخورى » . وفى فترة هذه الأزمة

كان « كميل شمعون » نفسه من أكثر المعارضين لتمديد فترة رئاسة الجمهورية ، والآن كان بنفسه يكرر خطأ سلفه .

كانت حجة «كميل شمعون » وانصاره أن الموقف سنة ١٩٥٨ يختلف عن أى موقف سابق . فقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتأثير قيامها على القوى الاسلامية في دمشق سوف يجعل هذه القوى تتشجع مما يهدد المركز الخاص للمسيحيين الموارنة في لبنان . وهكذا فإن «كميل شمعون » في تقدير نفسه ، وفي تقدير انصاره كان أمام هدف أسمى من مصلحته الشخصية ، فقد كان عليه الآن إنقاذ مسيحيى الشرق . وبالفعل فقد كاد يحولها إلى نوع من الحروب الصليبية ، وفي نفس الوقت إلى تحرش سافر ومكشوف ضد الجمهورية العربية المتحدة بلغ مداه يوم ١٥ أبريل بالقبض على خمسة من حرس الجمارك السوريين بحجة أنهم دخلوا الأراضي اللبنانية في أثناء مطاردة مع جماعة من المهربين!

وفى مواجهة الاضطرابات التى اشتعلت فى قرى الجبل على الطريق من بيروت إلى دمشق ، ثم انتقلت عدواها إلى بيروت ذاتها _ كتب « كميل شمعون » رسالة إلى الرئيس ايزنهاور يساله فيها « عما إذا كان يستطيع أن يعتمد على مبدأ ايزنهاور لتحقيق الحماية للبنان المعرض الآن للخطر » ؟(٤)

واستجاب « ايزنهاور » دون أن يرد كتابة أو صراحة ، وإنما أصدر الأمر إلى بعض قطع الأسطول الأمريكي السادس بالتحرك إلى شرق البحر الأبيض المتوسط .

ولم يحدث تحرك الأسطول تغييرا أساسيا في الأزمة اللبنانية التي راحت تشتد عندما تأكد أن «كميل شمعون » يعمل بالفعل لتجديد مدة رئاسته . ثم أدلى «شمعون » بحديث إلى إحدى الصحف الفرنسية يقول فيه : « إنني لا أريد تجديد مدة رئاستي ، ولكنني إذا لم أتأكد من وجود رئيس بعدى قادر على تحمل المخاطر الجديدة المحيقة بلبنان ، فسوف أستجيب لنداء الواجب » . وأحدث هذا التصريح ضجة كبرى بين قوى المعارضة الوطنية على مستوى الأحزاب ، وعلى مستوى الصحف . وأصدر الرئيس « شمعون » أمره باعتقال صحفى من أشد المعارضين لتعديل الدستور وتجديد فترة الرئاسة » وهو الأستاذ « نسيب المتنى » . وجرت تظاهرات واحتجاجات تقرر بعدها الافراج عنه ، وعاد ليواصل حملته » ولكنه لم يستطع أن يستمر فيها أكثر من ثلاثة أيام ، ففي ٨ مايو ١٩٥٨ جرى اغتياله ضربا بالرصاص . ولم يظهر فاعل توجه إليه التهمة . وثارت ثائرة أحزاب المعارضة ، واتسع نظاق عملها ليشمل كل القوى الشعبية في لبنان ، وكان منطق الجميع « أن لبنان نطاق عملها ليشمل كل القوى الشعبية في لبنان ، وكان منطق الجميع « أن لبنان

⁼ علمى ـ غير نسخة واحدة في ارشيف المخابرات العامة المصرية ، ويبدو أن أصل التقرير أحيل إليها بكامله لتكملة معلوماته ومتابعتها ، والتقرير يحمل تاريخ ١١ يوليو ١٩٥٨ .

⁽٣) تقرير استماع صادر عن مصلحة الاستعلامات في مصر ، وكذلك تكرر التقاطه وورد في تقرير للمخابرات العامة تحت عنوان : « النشاط المضاد ــ إذاعات موجهة في الفترة من مارس إلى يوليو ١٩٥٨ ، .

^(1) برقية شفرية من السفير الأمريكي ، ماكلينتوك ، إلى وزارة الخارجية ، وهي ضمن مجموعة وثلثق وزارة الخارجية الموجودة في مكتبة الرئيس ، ايزنهاور ، في آبيلين - كانساس .

بتركيبته الدقيقة لا يستطيع أن يتحمل الاغتيالات ». ثم كان طلب القوى الوطنية بعد ذلك ضرورة أن يستقيل « كميل شمعون » وأن تتألف حكومة أمن وطنى تتولى المسؤولية إلى حين موعد إجراء انتخابات الرئاسة الجديدة ، وكان المفروض أن يحل هذا الموعد بعد ثلاثة شهور .

ورفض « كميل شمعون » وانحازت إليه كل العناصر المسايرة لاتجاهاته ، وبينها حزب « الكتائب » الذى حشد ميليشياته المسلحة _ وفي مواجهة ذلك قام الزعيم اللبنانى « كمال جنبلاط » بحشد الميليشيات الدرزية في جبال الشوف ، وبدا لبنان على حافة الحرب الأهلية ، وفي نفس الوقت ادعى « كميل شمعون » أن عددا من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة السوريين المقيمين في لبنان يشتركون في إثارة الاضطرابات ، وهكذا صدر قرار بإبعاد الف وأربعمائة سورى من لبنان ا

ومرة أخرى كتب « كميل شمعون » رسالة إلى الرئيس « ايزنهاور » يسأل فيها عن احتمال مساعدته وفقا لـ « مبدأ ايزنهاور » . وفي هذه المرة لم يكن طلبه مقصورا على إجراء مظاهرة بقطع الأسطول الأمريكي السادس في الشواطيء اللبنانية ، وإنما كان طلبه هو نزول قوات أمريكية فعلا إلى بيروت لحفظ الأمن فيها .

وصلت رسالة «كميل شمعون » إلى واشنطن يوم ١١ مايو ١٩٥٨ . وبعد يومين _ أى يوم ١٣ مايو _ دعا « ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى عقد فى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض ، وحضره مع « ايزنهاور » كل من « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية ، ومساعده « كريستيان هيرتر » _ عن الجانب الدبلوماسى _ وعن الجانب العسكرى كل من الجنرالات « توايننج » و « جرونتر » من هيئة أركان الحرب المشتركة إلى جانب الجنرال « جودباستر » المساعد العسكرى للرئيس ، والمستر » آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

كان « ايزنهاور » فى بداية الاجتماع متضايقا لأن نائبه « ريتشارد نيكسون » الذى كان يقوم بزيارة رسمية لفنزويلا قد قوبل بمظاهرة عدائية اعتدى عليه فيها بالضرب . وعندما أمكن إنقاذه من المظاهرة امتلأت شوارع العاصمة الفنزويلية « كاراكاس » بمظاهرات قطعت طريق « نيكسون » إلى المطار خارجا من فنزويلا . واضطر » ايزنهاور » إلى إصدار الأمر بتحريك كتيبة من جنود البحرية على عجل بالطائرات لكى تفتح طريق « نيكسون » من الفندق الذى كان يقيم فيه إلى المطار .

مكان « ايزنهاور » عندما دخل لاجتماع مجلس الأمن القومى قد عرف لتوه أن « نيكسون » قد تمكن من مغادرة « كاراكاس » دون حاجة إلى معونة القوات الأمريكية

التى كانت قد وصلت بالفعل إلى قاعدة « جوانتانامو » فى كوبا . ومع أنه اطمأن على أحوال نائبه فى الرئاسة ، فإن ملابسات الحادث كلها جعلته فى مزاج سيىء بالفعل من قبل أن يبدأ فى مناقشة رسالة « كميل شمعون » .

وتشير مجموعة أوراق « ايزنهاور » إلى أن الاجتماع بدأ ببعض الملاحظات التي أبداها الرئيس عما جرى لنائبه في فنزويلا » ثم انتقل إلى جدول الأعمال . وطلب « ايزنهاور » من « آلان دالاس » أن يبدأ بعرض الموقف في لبنان . وراح « آلان دالاس » يقرأ الرسالة الموجهة من « كميل شمعون » إلى الرئيس « ايزنهاور » وكانت قد وصلت إلى واشنطن عن طريق المخابرات المركزية الأمريكية . وفي صلب الرسالة كان » كميل شمعون » يسئل مرة أخرى عما إذا كانت الولايات المتحدة على استعداد لساعدته عسكريا تطبيقا لمبدأ ايزنهاور ، وعما إذا كانت مستعدة للتعاون في ذلك الهدف مع البريطانيين والفرنسيين الذين أبدوا لـ « كميل شمعون » استعدادهم لساعدته .

وطبقا ليوميات « ايزنهاور » $^{(0)}$ التي كتبها بخطيده ، فإنه أبدى على الفور عددا من الملاحظات :

- \Box أولها \bot أن « كميل شمعون » هو الذى تسبب فى الأزمة بسعيه لترشيح نفسه مرة أخرى لرئاسة الجمهورية مخالفا لأحكام الدستور \Box
- □ والملاحظة الثانية التي سجلها « ايزنهاور » كانت قوله : « لماذا الفرنسيون ، وما هي ضرورة فرنسا في الموضوع مع أن الكراهية ضدها في العالم العربي حادة وعنيفة » . وأضاف « ايزنهاور » في هذه الملاحظة : « إنني أفهم اشتراك البريطانيين ، فما زال لهم أصدقاء في المنطقة ، وأما فرنسا فمسالة أخرى » .
- □ ثالثا ـ تساءل « ايزنهاور » : « لماذا لا يستطيع كميل شمعون أن يعتمد على قائد جيشه اللواء شهاب في السيطرة على الموقف خصوصا في بيروت ؟ •

⁽٥) صفحة ٢٦٤ من الكراسة الثانية من مجموعة الأوراق.

^{ُ (} ٦) في مذكراته المنشورة بعنوان ، هجوم السلام " وفي صفحة ٢٦٥ من هذا الكتاب كتب ، ايزنهاور ، يقول بالحرف : ، عندما سمعت ان كميل شمعون يريد تعديل الدستور لكي يتيح لنفسه فرصة اخرى في الرئاسة كنت مقتنعا بانه اقدم على خطأ سياسي ، وكان رابي أن عليه بسرعة أن ينفي أية نوايا لديه في هذا الصدد ، .

وفي المكتب البيضاوى في أثناء اجتماع مجلس الأمن القومى طلب « ايزنهاور » من وزير خارجيته أن يبدى رأيه في طلب « كميل شمعون » . وشرد « دالاس » في تفصيلات تاريخية وسياسية طويلة أوقعت « ايزنهاور » في حيرة خصوصا عندما قال « دالاس » إن « جزءا مؤثرا من عداء كميل شمعون للجمهورية العربية المتحدة أنها قاطعت شراء التفاح اللبناني ، وهكذا أصبح هناك فائض في السوق من هذا التفاح حجمه ۲۰ ألف طن » . وطلب إليه « ايزنهاور » أن يقصر كلامه على طلب التدخل العسكرى . وهنا أبدى « دالاس » بعض شكوكه حول الاساس القانوني الذي التدخل العسكرى . وهنا أبدى « دالاس » بعض شكوكه حول الاساس القانوني الذي يمكن أن يرتب عليه نزول قوات أمريكية أو أمريكية بريطانية في لبنان ، إلى جانب أنه أبدى مخاوفه من ردود الفعل لدى الشعوب العربية ولدى الاتحاد السوفيتي .

والتفت « ايزنهاور » إلى « آلان دالاس » مدير المخابرات ، وطلب سماع رأيه ، وأبدى « آلان دالاس » رأيا مؤداه أنه يفضل العمل المستتر على العمل المكشوف لأن العمل المكشوف يمكن أن يستفز ردود فعل يصعب تقديرها . كما أنه إذا بدأ يصعب الرجوع عنه حتى وإن تأكد فشله خصوصا بالنسبة لقوى عظمى . ويبدو أن « ايزنهاور » نفد صبره ، فقد أبدى ملاحظة قال فيها : « إذا تصرفنا فهناك مخاطر ، وإذا لم نتصرف فهناك مخاطر ، وظنى أن عدم التصرف أخطر مهما كانت العواقب » . ثم التفت إلى الجنرال « توايننج » وطلب منه إخطار وزارة البحرية بالاستعداد للتدخل ، والاتصال بلندن لتنسيق الجهود مع وزارة الحربية البريطانية بقصد القيام بعمل مشترك في لبنان .

وفى اليوم التالى يبدو أن الصورة تغيرت بعد لقاء بين السفير الأمريكى « روبرت ماكلينتوك » وبين اللواء « فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبنانى . وفي هذا اللقاء طبقا لتقرير كتبه السفير « عبد الحميد غالب » سفير الجمهورية العربية المتحدة في بيروت - فإن « ماكلينتوك » قال للواء « فؤاد شهاب » : « إذا لم يتدخل الجيش اللبنانى لمواجهة الاضطرابات في بيروت ، فإن الاسطول السادس سوف يقوم بنفسه بهذه المهمة » (٧) .

ولم تعد هناك حاجة إلى تدخل عسكرى مباشر أمريكي ، أو أمريكي بريطاني - ولكن « ايزنهاور » كان يشعر أن الأزمة قد تتجدد في أي وقت ، وهكذا طلب من « دالاس » وضع التطورات المحتملة في لبنان على قائمة جدول أعمال مؤتمر قمة كان مقررا عقده مع « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا في الأسبوع الثاني من شهر يونيو ١٩٥٨ .

رسما قرأ « جمال عبد الناصر » تقرير السفير « عبد الحميد غالب » من بيرن ، رعرف بتفاصيل اللقاء بين السفير الأمريكي « ماكلينتوك » وقائد الجيش اللباني اللواء « فؤاد شهاب » ـ رأى أن الموقف يقتضيه أن يتحرك لأن الأزمة قد تتعدد أى وقت . وتحرك أن ثلاثة اتجاهات :

ا ـ بعث برسالة شخصية إلى البطريرك « بولس المعوشي » (^) يقول له فيها :

رإن أكثر ما يخشاه في لبنان هو أن تتحول أزمة تجديد مدة رئاسة الجمهورية إلى حرب أهلية بين المسيحيين والمسلمين في لبنان ، وأنه يعتبر نفسه مسؤولا عن كل عربي مسيحي بنفس مقدار مسؤوليته عن كل عربي سلم . وأنه إلى جانب ذلك يعتبر أن الدم الذي يراق في شوارع بيروت وغيرها من مدن وقرى لبنان أغلى من مطامح أي فرد . ثم ناشد البطريرك أن يدى رأيه بما يكفل سلامة وسلام لبنان » . وذهب السفير « عبد الحميد غالب » إلى مقابلة البطريرك « المعوشي » وسلمه رسالة « جمال عبد الناصر » . وفي اليوم التالى أعلن البطريرك أنه لا يوافق على تعديل الدستور لأن تعديله فتنة تهدد لبنان بالانقسام .

١- وكان اتجاه التحرك الثانى نحو الفاتيكان. وقام السيد عصين عزيز عوكيل وزارة الخارجية بدعوة القاصد الرسولى (سفير الفاتيكان فى القاهرة) وأبلغه رسالة مؤداها: « أنه لا ينبغى أن يساورهم قلق على السيحيين فى الشرق ، وأن بعض ما يحدث الآن لا علاقة له بإخوة الوطن التقليدية بين المسلمين والمسيحيين فى العالم العربى ، ونحن نريد أن يتذكر البابا أن المنطقة التى تعيش فيها الأمة العربية هى مهبط كل رسالات السماء ».

٣ ـ ثم كان الاتجاه الثالث للتحرك هو أن الرئيس دعا السفير الأمريكي فى القاهرة « ريموند هير » إلى مقابلة معه ظهر يوم ٢٠ مايو ١٩٥٨ وأثار معه والناع ما جرى ويجرى فى لبنان . وقال السفير (١) : « إن الولايات المتحدة

 ⁽ ٧) تقرير من السفير « عبد الحميد غالب » السفير المصرى ق بيروت بتاريخ ١٥ مليو ، واصله ق ملفات وزارة الخارجية المصرية . وهناك صورة منه مودعة ق ارشيف منشية البكرى .

⁽٨) أم بظها إليه السفير « عبد الحميد غالب » الذي بعث إلى القاهرة ببرانية عن لقائه مع البطريرك « المرابيخ هذه البرانية هو ٢٨ مليو ١٩٥٨ ، وهناك نسخة منها في ارشيف وزارة الخارجية ، كما توجد مجبوعة بن ثلاث نسخ في ارشيف منشية البكري .

⁽۱) الكرة عما دار في المقابلة الملاها الرئيس « جمال عبد الناصر » بعدها على السيد « سامى شرف » الذى كتبها بخه ، وهى مودعة في ارشيف منشية البكرى ، وقد طبعت بعد ذلك على الآلة الكاتبة وارسلت نسخ منها إلى وزارة الخابرات العامة للقوات المسلحة ، وإلى إدارة المخابرات العامة ـ كذلك يكمل هذه المذكرة تارير بعث به السفير الأمريكي « ريموند هير » إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو ضمن مجموعة اوران ، ابزنهاور » في الملف الذي يحمل عنوان « الانزال الأمريكي أل لبنان » .

تتحمل التزامات معينة إزاء الحكومة اللبنانية » . ثم استطرد يسال الرئيس ■ عبد الناصر ■ : « ألا تستطيعون بنفوذكم الشخصى التدخل لدى الجبهة المعارضة في لبنان لانهاء الأزمة ؟ » . ورد « جمال عبد الناصر " فقال بالنص ما يلى : « إذا كانت الحكومة الأمريكية تتصور أن هناك خطة مرسومة بين المعارضة اللبنانية وبيننا فهذا التصور خطأ . إن الحكومة الامريكية فيما أرى تتجاهل العوامل الحقيقية للازمة في لبنان ، وفي رأيي أنها مسؤولة قبل غيرها عما يحدث في هذا البلد الآن . إن التدخل الحقيقي في أزمة لبنان جاء من ناحيتكم أنتم (يقصد حكومة الولايات المتحدة) ، فقد القيتم بثقلكم مع فريق وضد فريق . الحقيقة ان الحكومة الأمريكية تتجاهل التطورات الموجودة باسرها . إن المنطقة كلها تحكمها نزعة ترفض أن تقبل الخضوع وتثور على السيطرة . ولقد نسيت الحكومة الأمريكية هذا كله في لبنان ، ونسيت أيضًا أن لبنان بالذات له أوضاع خاصة . وأن هذه الأوضاع تحتم أن يكون الشعب اللبناني بأسره متماسكا مترابطا . وفي هذا الوضع ما الذي يمكن أن نفعله مع المعارضة ؟ _ أعود فأكرر لك أنه إذا كانت الحكومة الأمريكية تتصور أن هناك اتصالات بيننا وبين المعارضة في لبنان فهذا تصور خاطىء ، وإذا كانت تتصور اننا نستطيع ان نتدخل لدى المعارضة او نضغط عليها ، فذلك إمعان في الخطأ . إن زعماء المعارضة في لبنان قادة مسؤولون ، ومسؤوليتهم اولا واخيرا امام الشعب الذي يقودونه . .

واستطرد « جمال عبد الناصر » يقول للسفير « ريموند هير » :

ا التزاماتكم تجاه حكومة كميل شمعون فانا اعرفها . وليس هذا ما يعنيني في المشكلة من أولها إلى آخرها . إن الذي يثير قلقي في الأزمة كلها هو هذه الدماء التي تسيل . إنني اكره سفك الدماء ، وأظنكم تعرفون ذلك . وتقديري للموقف أنه إذا سارت الأمور على هذا النحو ، فسوف يتعذر على الاطلاق إيجاد حل للمشكلة . إن النتيجة ستكون بعد ذلك مزيدا من الضحايا ، ومزيدا من سفك الدماء ، ومزيدا من الأحقاد بين أبناء الوطن الواحد ، وهذا ما لا أريد حدوثه مهما كانت الظروف . لذلك تجدني من هذا الاعتبار وحده على استعداد بغير تردد أن أقوم بأي جهد تسمح به الظروف . ولكن المشكلة ليست سهلة وجهدي فيها محدود . ذلك لأن حكومة لبنان أدخلتني طرفا في المعركة من أول يوم ، وأؤكد لك أنه لو لم تكن حكومة لبنان قد اتهمتني لكنت حاولت أن

اعرض وساطتى . واظنك ترى معى انى لم اعد استطيع ان افعل ذلك الأن حكومة لبنان اتهمت الجمهورية العربية المتحدة بغير دليل ، وصدقتم انتم » .

وواصل « جمال عبد الناصر » كلامه قائلا : « إننى قرأت تصريحا لوكيل الخارجية الامريكية « ويليام راونترى » امام لجنة الاعتمادات الكونجرس ، وقد اتهم الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل ال ازمة لبنان ، وانا اسالك الآن : « إذا كانت لديكم ادلة تؤكد هذا الذي يقوله « راونترى » فانا اريد ان اسمعها » . »

ولم يعلق السفير بكلمة ، وإنما كان يكتب نقاطا بما سمعه . واستطرد «جمال عبد الناصر « يقول :

« والآن علينا ان نسال انفسنا ما العمل ؟ والحل الوحيد الذي اتخيله الآن هو ان نحاول معا انتم ونحن ان نقوم بجهد مشترك Joint مقصد إيجاد حل للأزمة الدامية ـ هذا إذا كنتم على استعداد ».

ومضى « جمال عبد الناصر » يقول :

«إن تصوراتي على النحو التالى: انتم اصدقاء لأحد طرفى النزاع وهو المحكومة اللبنانية ، ونحن اصدقاء للطرف الآخر فيه وهو المعارضة الوطنية في لبنان . فإذا وافقتم على ان نقوم بهذا الجهد المشترك ، فنحن على استعداد لأن نتصل مع زعماء المعارضة في لبنان ، وننقل إليهم أية مقترحات قد تؤدى إلى حل الأزمة . وسؤالى المحدد لك هو : «هل الحكومة الأمريكية على استعداد لأن تشترك معنا في محاولة لوقف إراقة الدماء ؟ » إنكم تتحملون مسؤولية خطيرة فيما يحدث لأن تدخلكم السافر مع فريق ضد فريق هو الذي اوصل الأزمة إلى ذروتها الحادة الحالية . »

وسكت «جمال عبد الناصر» ينتظر تعليق السفير الأمريكي الذي قال: « إن ما سمعته منكم الآن بالغ الأهمية ، وسوف أنقله فورا إلى واشنطن ، ولكنى أريد أن أستفسر منكم عما إذا كانت هناك في تصوركم حلول تفصيلية محددة ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا :

« لا اظن أنه من الصعب الوصول إلى حل إذا خلصت النيات ومن متابعتي لمجريات الحوادث في بيروت ، فإننى ارى ان هناك كتلة ثالثة بدأت تؤكد دورها بين موقف المعارضة الوطنية ، وموقف الحكومة اللبنانية . ولقد عرفت أن هذه الكتلة الثالثة تقترح الآن أن يتولى رئاسة الجمهورية شخص محايد يثق فيه الجميع ، ويكون عليه أن يوقف القتال ، وأن يتيح الفرصة أمام الأطراف لكي تتفاهم . ولقد فهمت من كل ما يصلني أن هناك شبه قبول عام أن يتولى اللواء شهاب هذه المهمة ، فهو مسيحي ماروني مرموق ، ثم إن تصرفاته في الأزمة جعلته موضع رضا من أطراف كثيرة ، ثم إن موقعه كقائد للجيش اللبناني يسهل مهمته ـ ومع ذلك فهذه كلها تفاصيل .»

الله عن محادثات بين المملكة المتحدة ، والولايات المتحدة الأمريكية اليونيو

■ وزارة الخارجية

رأبهم ٨ يونيو ٨٥ ١٩ كان « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء البريطاني يقوم

برطا الرنبة إلى واشنطن لاجتماع على مستوى القمة بينه وبين الرئيس الأمريكي

‹درابُ ارنهاور . . وكان اللقاء الأول بينهما يوم ٩ يونيو ، وكان مخصصا بالكامل

الشن الاسط. وتظهر الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية تفاصيل ما جرى

الرضوع: المعونة العسكرية للعراق ولبنان والأردن.

المسركون :

ل منا الاجتماع (١١).

سن الوثيقة على النحو التالى:

ن الولايات المتحدة : الرئيس ـ وزير الخارجية ـ ألان دالاس ـ السفير ديلون ـ السليل رينهاردت ـ السفيل البريك ـ السفيل راونقرى ـ المستر سبراج من وزارة الالاع ـ الجنرال توايننج ـ الجنرال جودباستر.

الملكة المتحدة: رئيس الوزراء ـ السفير كاشيا (السفير البريطاني في والشطن) ـ السبي نورمان بروك (وكيل وزارة الخارجية البريطانية) ـ السبير بالربك دين (مساعد وكيل الخارجية) - اللورد هود - الوزير المفوض ويلي ىرىس ـ المستر فريدريك بيشوب . »

ثم الله المذكرة بعد ذلك ما يلى:

اطب الرئيس إلى وزير الخارجية دالاس أن يشرح الموقف في الشرق الأوسط. رتكم الوزير ، فأبدى انشغاله الكبير بالمشكلة التي تواجه الغرب وهي المحافظة اللَّه على حكومات موالية في المنطقة ، ومن ناحية اخرى عدم استثارة قوى الاسة العربية ، وتطرق إلى أن هذه المشكلة أصبحت حادة في لبنان لأن الصدام الله قد بدا فعلا . ثم اوضح اننا اكدنا للبنانيين منذ حوالي ثلاثة اسابيع اننا سُبِتُ بِقُواتُ مسلحة لمساعدتهم في بالدهم في ظروف معينة ، وذلك في المقام الأول لسية المواطنين الأمريكيين ، ولكن ذلك سيتم ايضا لتحقيق تدعيم الحكومة الدلية . ومنذ ذلك الوقت ، فقد أصبح يعتقد بأن الوضع يتحسن بصورة تجعل إسل قوات عسكرية امريكية إلى لبنان امرا غير ملح . ولكننا فكرنا منذ فترة قريبة

ووصل تقرير « ريموند هير » إلى واشنطن ووجد طريقه إلى مكتب « ايزنهاور » ف البيت الأبيض ، وقدمته اليه سكرتيرته " أن ويتمان » . وقرأه بإمعان ، ثم التفت إليها وقال(١٠): « كيف يمكن لأحد أن ينقذ بلدا من قادته ؟ سعود ضعيف ، وكنا نعتمد عليه ولكنه لم يثبت أي كفاءة . وشمعون كان في استطاعته أن يطرد شهاب ، ويعين جنرالا آخر يأتمر بأمره لكنه تردد ولم يفعل ، والآن فإن شهاب مرشح لخلافته . ناصر وحده هو الذي يعرف ما يفعل ، وسواء اختلفنا معه أو اتفقنا ، فلا بد أن نسلم بأنه زعيم حقيقي . •

كان « كميل شمعون » يرى تدافع التطورات ، وقد وجدها في غير صالحه ، وقرر استباقها ، فأعلن يوم ٢١ مايو أنه لا ينوى ترشيح نفسه لمدة رئاسة ثانية ، ثم قرر في نفس الوقت أن تقدم حكومته شكوى في الأمم المتحدة يتهم فيها الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل في شؤون لبنان ، وإرسال متسللين وأسلحة عبر حدوده الثارة الاضطرابات فيه . وبدأت مناقشة الشكوى فعلا في الأمم المتحدة ، وقررت الأمم المتحدة تكليف سكرتيرها العام « داج همرشولد » بتشكيل قوة مراقبة تتوجه إلى منطقة الحدود بين لبنان ، والجمهورية العربية المتحدة لتتحرى ما يجرى هناك على الطبيعة ، وتقدم تقريرا إليه (« همرشوك ») يعرضه على مجلس الأمن . وسجل « ايزنهاور » في يومياته بعد صدور هذا القرار ملاحظة هامة قال فيها : « لقد أثار استغرابي أن وقد ناصر في الأمم المتحدة لم يعترض على إرسال قوة مراقبين إلى حدود بلاده ، وهذا معناه انهم واثقون من انفسهم . .

⁽١١) رام الدرى الحصول على هذه الوثيقة بمقتضى قانون حرية المعلومات ، فإن وزارة الخارجية الامريكية سلان الاالإلبقة في النهاية وقد حذفت منها فقرات كثيرة بدعوى أنها تمس الأمن القومي حتى نهاية القرن

⁽١٠) نشرت د أن ويتمان ، كتابا بعنوان « يوميات البيت الأبيض ، وقد وردت شهادتها عن هذا التقرير ، وقد روت فيه ما سمعته من « ايزنهاور ، تحت العنوان القرعى ليوم : ١٥ يونيو ١٩٥٨ .

يمكن أن يقوم به خبراء أمريكيون ، فوافق الرئيس على ذلك (فقرة محذوفة) .

ثم قال الرئيس للجنرال توايننج إن عليه ان يبعث رجاله إلى العراق في اسرع وقت ممكن (فقرة محذوفة) .

وقال الرئيس إنه بالنظر إلى الأهمية النفسية لتاييد الاتحاد العربى الهاشمى إزاء الجمهورية العربية المتحدة ، فإن على الجنرال توايننج وزملائه في المملكة المتحدة ان يعملوا معا على توريد هذه الطائرات بسرعة .

واشار الوزير إلى ان التعاون بين العسكرية البريطانية والامريكية على مسرح العراق لم يجر بطريقة سلسة . وقال الرئيس إن من الضرورى التحدث بصورة جدية إلى بعض من رجالنا حول هذا الموضوع . ثم استدعى الرئيس الجنرال توايننج الذى كان قد غادر الاجتماع ، وطلب منه التاكد من ان تعاونه مع البريطانيين وثيق وكامل في المجال العسكرى . واتفق على ان يتم التعاون في توريد المعدات العسكرية للعراق ولبنان والاردن من خلال بعثات عسكرية في الميدان وبالتنسيق مع الاميرال = ديني = رئيس البعثة البريطانية للاتصالات المشتركة واشنطن . =

وفي يوم ١٥ يونيو بعث « كميل شمعون » إلى الرئيس « ايزنهاور » بطلب رسمى بإرسال قوات أمريكية إلى لبنان فورا لأن الأمن يتدهور نتيجة لتدخلات سافرة من الجمهورية العربية المتحدة . ودعا « ايزنهاور » إلى اجتماع طارىء لمجلس الأمن القومى في البيت الأبيض . وانعقد الاجتماع فعلا في الساعة الخامسة وعشر دقائق في المكتب البيضاوى . واستمر اجتماعه حتى الساعة السابعة إلا الربع . ويكتب اليزنهاور » في يومياته يومها ما نصه :

« إن شمعون طلب تدخل قواتنا . ولا اعرف كيف كان في مقدورى إرسال بحارة الأسطول إلى بيروت قبل ان يقدم همرشولد تقريره إلى الامم المتحدة . لم نكن نحن الذين ذهبنا إلى مجلس الامن ، ولكنه هو الذي اختار ان يذهب . ولا اظننا نستطيع ان نتدخل طالما ان الامم المتحدة لم تقل كلمتها بعد التحقيق الذي كلفت به . ثم ما هو المطلوب من تدخلنا ؟ هل نتدخل لحساب رجل هو الآن سجين في قصره ، أو في فندق لا اعرف ، ثم ما هو مدى تدخلنا المطلوب ؟ لقد كنت اقول للانجليز والفرنسيين عندما تدخلوا في السويس إنهم يجب ان يعرفوا هدفهم من التدخل ، وان لا أريد ان اتورط فيما كنت احذر الآخرين منه . »

حتى يوم الاثنين الماضى في احتمال إرسال قوات على عجل . وعلى اى حال فالصورة ليست واضحة لنا . واشار الوزير إلى أن التعاون بين قواتنا العسكرية المختلفة ، وبين سفرائنا (البريطانيين والأمريكيين) كانت عونا طيبا . وفي اعتقاده انه يتعين علينا التعجيل بإرسال طائرات إلى لبنان والأردن . وقال إننا في وضع طيب من حيث ما نسلمه إلى لبنان من دبابات واسلحة صغيرة .

وتدخل الجنرال " توايننج " قائلا إن هناك طلبا قد وصل حالا للحصول على ذخيرة خاصة وعلى ناقلة بحرية للجنود . وقال إن في وسعنا الشروع في توريد طائرات " هوكر هنتر " إلى لبنان والاردن بإرسال خطاب نوايا إلى لندن في خلال اسبوع (١٠٠) . ثم قال الجنرال " توايننج " إن الحكومة العراقية تريد طائرات على وجه السرعة . وكان لدينا سرب من طائرات (أف ٨٦) في جنوب فرنسا " ولكننا اضطررنا إلى سحبه في شهر اغسطس الماضي لأن بقاءه حيث كان يكلفنا مليون دولار في الشهر . والعراق يريد بعض هذه الطائرات بسرعة ، وقد خصصنا له ١٥ طائرة لكننا لا نستطيع إرسال شيء منها الآن " واسباب ذلك أن المطارات في العراق في حالة استخدامها ، وكذلك فإن قطع الغيارلها موجودة هنا في الولايات المتحدة . وعلى اي استخدامها ، وكذلك فإن قطع الغيارلها موجودة هنا في الولايات المتحدة . وعلى اي حال فقد يكون في وسعنا إرسال ما بين " و " طائرات إلى العراق في غضون ثلاثة اسابيع .

وقال المستر ماكميلان (رئيس وزراء بريطانيا) إنهم في انتظار طلب للحصول على طائرات ، وهم لم يتلقوا طلبات حتى الآن . وساله الوزير عما إذا كانوا يستطيعون تحويل ثماني عشرة طائرة هوكر هنتر – ١٢ للأردن و ٦ للبنان – في ظرف ثلاثة شهور ؟ ورد المستر موريس بانه قد يكون من المكن إرسال ثلاث طائرات إلى كل بلد في غضون ٦ اسابيع من التقدم بالطلب (وتدفع الولايات المتحدة الثمن) .

وابدى الوزير ملاحظة جاء فيها (فقرة محذوفة) ان ابلغه بان الحصول على هذه الطائرات مهم . واعتقاد الوزير ان إرسال هذه الطائرات يخلق تاثيرا نفسيا طيبا حتى ولو لم تكن لها قطع غيار . وقال الرئيس (ايزنهاور) إن من الاهمية القصوى إرسال من ٤ - ٣ طائرات (فقرة محذوفة) .

وقال الرئيس : إن المسالة مهمة ، وهي اختبار عملي لامكانيات التعاون البريطاني الأمريكي .

وابدى الجنرال توايننج اعتقاده بأن تدريب العراقيين على الطائرات التي تصلهم

⁾ طائرات هوكر هنتر تنتج في بريطانيا ، ولكن الولايات القتعدة هي التي تشتريها لتسليمها إلى بلدان الشرق سط المنية ضمن برامج المساعدة العسكرية .

وذخائر نسيرب عبر الحدود السورية إلى لبنان . وإننى لاتساط عما إذا كنت بعلم اوبغير علم لست شريكا(١٥) في ميونيخ اخرى في الشرق الأوسط(١٦) ، . .

وكانت الحملة الصحفية على « همرشولد » تزداد شدة وعنفا يوما بعد يوم في ارائل شهريوليو، وقد شاركت فيها بالنصيب الأوفر الصحافة الأمريكية، والصحافة البريطانية على جانبي الأطلنطي . وكان « همرشولد » يشعر بضيق لا يخفيه ، فقد كان يعرف بتجربته أن هذه الحملة وراءها « توجيهات رسمية » . وقد كتب إلى «سارين لريد » وزير الخارجية البريطاني خطابا شخصيا(١٧٠) قال فيه : « إنني لم اكن اتونع شيئًا أفضل مما لقيت بالنظر إلى النظريات الغليظة التي راجت في أعقاب ازبة السريس عندما قيل إن ناصر قد استغفلني ، أو أننى كنت عميلا له ، مع أنى اعتلا أن نتائج الترتيبات المختلفة التي تمت مع مصر خلال هذه الأزمة ، والتي كنت سررلا عنها كان يجب أن تقنع هذه الصحف (في لندن ونيويورك وواشنطن) بأنها كانت على خطأ طوال الوقت . ومع ذلك فإن هذا كله لا يهم ، وسوف يظل اعتقادى بأن النط الستقيم سوف يبدو ملتويا أمام هؤلاء الذين انحرفوا عنه .

وزيوم ٧ يوليو توجه « همرشوك » إلى واشنطن وتناول الغداء مع « دالاس » رزير الخارجية الأمريكي ، وإذا بـ « دالاس = يحمل تحت ذراعه ملف قدمه إليه نائلا: ،إنه يضم تقارير كاملة ومفصلة عن عمليات التسلل من الجمهورية العربية النصة إلى لبنان . . وقام « همرشولد » بتقليب بعض الصفحات في الملف ، ثم قال لدردالاس ، إن هذه كلها تقارير ليس لها مصدر ، ولم تخضع لأى نوع من النطبق، وهو لا يستطيع أن يعتمد عليها . وراح « دالاس » يصارحه « بأن الولايات الندة رائعة تحت ضغط عنيف من العراق وتركيا وإيران وإسرائيل للتدخل في لبنان . راكثر من ذلك فإن الجنرال « ديجول » الذي كان قد عاد إلى السلطة قبل ذلك بظلل (١٨) بعث إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا يقول لهما إنه إذا كان في نيتهما التبيل سيكريا في الشرق الأوسط، فإن فرنسا يجب أن يكون لها دورها » .

(١٥) المعرنفسه ، وبن جوريون هنا يشير إلى استسلام الحلقاء الشهير في ميونيخ أمام ، ادولف هتلر ، سنة

وفي يوم ١٨ يونيو وصل « داج همرشواد » السكرتير العام للأمم المتحدة بنفسه ألى بيروت ، والحقيقة أن حكومة الولايات المتحدة كانت تستعجله ليذهب . وفيها عقد عدة اجتماعات مع كبار ضباط فريق المراقبين التابع للأمم المتحدة . واستمع منهم ، وخرج بنتيجة مؤداها : « أن فريق المراقبين لم يجد دليلا واحدا يدين الجمهورية العربية المتحدة بأى عمل من أعمال التسلل أو تهريب الأسلحة » . والتقى « همرشولد » في نفس الليلة في بيروت بالسفير الأمريكي « ماكلينتوك » وافضى إليه بانطباعه الأول . وقال له « ماكلينتوك » ما مؤداه أنه يثق به « ناصر » أكثر من اللزوم . ورد عليه « همرشولد » بقوله : « مهما كان راى الآخرين ، فإنى اتحدث مع ناصر بصراحة كاملة في كل ما يخطر لي ، واقول له دواما : « إنه لم يعدني بشيء إلا وقام بالوفاء به ، وانا اريد ان يبقى السجل باستمرار على هذا

وفي اليوم التالي اقام رئيس وزراء لبنان حفل غداء تكريما لـ « داج همرشولد » وبعد الغداء فوجىء « همرشولد » بدخول كعكة كبيرة مغطاة بالكريمة البيضاء ، وقد كتب عليها بالسكر وبلون أحمر وباللغة الفرنسية : « أيتها الأمم المتحدة انقذى لبنان » . والتفت « همرشولد » يقول لرئيس الوزراء اللبناني بالفرنسية أيضا : « سيدى الرئيس : إنني لا استطيع قبول هذه الدعوة لأن لبنان وحده هو الذي يستطيع ان ينقذ لبنان »(١٤) . وكانت الأشارة ذات معنى ، ولكن « همرشولد = فوجىء بعدها بحملة في بعض الصحف اللبنانية ضد فريق الأمم المتحدة تتهمه بأنه يغمض عينيه . ثم تلقى من مقر الأمم المتحدة في نيويورك تقريرا عن خطاب للسيد « فاضل الجمالي » رئيس وزراء العراق يدعو فيه الأمم المتحدة إلى إرسال قوات للبنان تتصدى عمليا للعدوان الواقع عليها!

وعاد « همرشولد » إلى نيويورك بعد أن زار عددا من العواصم العربية ، فقد كان عليه أن يقدم تقريره إلى الأمم المتحدة . وفي نفس يوم وصوله إلى نيويورك تلقى خطابا من رئيس وزراء إسرائيل الذي كان متحمسا لتدخل عسكري أمريكي في لبنان يؤدى إلى احتكاك عسكرى مباشر مع الجمهورية العربية المتحدة ـ يقول له فيه : « إنني اصارحك القول بانك تتخلى عن لبنان وتتركه وحيدا لمؤامرات الجمهورية العربية المتحدة . إننى لا اعرف اية تاكيدات تلقيتها من رئيس الجمهورية العربية المتحدة حينما اجتمعت به ، ولكنى اعرف أن هناك أسلحة ومسلحين

⁽١٦) المصر السابق (صفحة ٢٧٣).

⁽١٧) المصر السابق (صفحة ٢٧٤).

⁽١٨) علا ببيول إلى السلطة بعد انقلاب الجنرالات الفرنسيين في الجزائر يوم ١٣ مايو ١٩٥٨ وقد دعوه إلى الاسك بدلة الحكم ، وظل صامقا ليومين لاح خلالهما أن فرنسا مهددة بحرب أهلية ، وخرج ديجول يوم ١٠ مابر ببيان معلى يقول فيه : « إنني في خدمة فرنسا . إنني وحدى لا انتمى لاحد ، وبالتالي انتمى للجميع » .

⁽١٣) مذكرات السير « برايان أوركهارت ، مساعد السكرتير العام المتحدة ، وهو دبلوماس بريطاني مرموق (صفحة ٢٦٩).

⁽١٤) مذكرات مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة السير ، برايان أوركهارت ، (صفحة ٢٧٠) .

كان « همرشواد » يشعر بالضغوط التى يتعرض لها « دالاس » لكنه لم يكن يستطيع أن يجعل من فهمه لموقف « دالاس » مبررا يدفعه إلى الاخلال بنزاهة الأمم المتحدة . وهكذا فإنه علق على ما سمعه من وزير الخارجية الأمريكي قائلا : « إنني أعتقد أن ناصر كان مخلصا عندما عبر في عن عدم رغبته في ضم لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة » .

وكانت العاصفة الكبرى لهذا الصيف الحار على وشك أن تهب . وكانت رعودها وبروقها على وشك أن ترى في سماء بغداد .



بينما كانت أنظار الكل مركزة على ما يجرى فى بيروت لم يتنبه كثيرون بالقدر الكافى إلى ما كان يجرى فى عاصمة حلف بغداد التى كانت قد أصبحت فى الوقت نفسه عاصمة الاتحاد الهاشمى الذى أنشىء لمواجهة قيام الجمهورية العربية المتحدة .

والملاحظة الغريبة على مجموعة الوثائق الأمريكية في تلك الفترة أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت طوال سنة ١٩٥٧ مهتمة بإجراء تقديرات عن احتمالات المستقبل في بغداد . وقد كتب مديرها « آلان دالاس » مذكرة إلى وزارة الخارجية أشار فيها إلى الصعوبات التى أضيفت إلى أثقال الحكومة العراقية نتيجة للتواطؤ البريطاني الفرنسي مع إسرائيل في معركة السويس . وجاء في هذا التقرير ، وفي البند الثالث منه ما نصه : « تشير معلوماتنا إلى انتشار السخط في الجيش العراقي ولا سيما بين الضباط الشبان ، وقد أشيع أن أربعين ضابطا على الأقل العامليات العسكرية في الجيش العراقي للملحق العسكري الأمريكي أنه « إذا صدرت أوامر للجيش بحماية نظام نوري السعيد ، فإنه يشك في أن الجيش سوف يقبل إطاعة هذه الأوامر » .

ثم جاء في البند الخامس من هذا التقرير ما نصه : • إن تقارير سفيرنا في بغداد السفير كولمان قد رددت أكثر من مرة في الفترة الأخيرة أن نورى السعيد يبدو باستمرار مجهدا ومشغولا » .

ثم جاء فى البند السادس من نفس المذكرة * إنه إذا لم يحدث تغيير اساسى فى العراق ، فإن مركز الحكومة العراقية سوف يضعف كثيرا ، وإذا اسقطت حكومة نرى السعيد فإن الحكومة الجديدة سوف تجد نفسها أمام ضغوط لا تستطيع نطلها » .

ويبدو أن « آلان دالاس » ظل مشغولا بالعراق لشهور بعد ذلك ، فقد شكل مسبعة أمن موسعة لاعداد تقدير مخابرات مفصل عن الأحوال في العراق شاركت في بضعه هيئات متعددة منها إدارة المخابرات بوزارة الخارجية . ومساعد رئيس الأركان العامة ، ومدير مخابرات الجيش ، ومدير مخابرات الأسطول ، ومدير مخابرات سلاح الطيران . وقد انتهوا جميعا إلى تقرير عنوانه » نظرة على مستقبل العراق » وكان ملخصه : أن هناك فرصة للاحتفاظ بالاستقلال السياسي الحالي في العراق طالما أن «نورى السعيد » يمارس نشاطه سواء كرئيس للوزراء ، أو كمركز قوة لتوجيه سياسات من وراء الستار .

ثم اشار التقرير إلى أن الخطر الأكبر على العراق سوف يجىء من الضغوط الهدامة من جانب مصر وسوريا ضد تحالف الملوك الثلاثة فيصل وسين وسعود . ثم اشار التقرير في بنده الأخير للجيش العراقى ، ولم بنوقع منه خطرا . وقد جاء في البند الخاص بالجيش ما يلى : « إن القوات السكرية العراقية التي يبلغ عددها نحو ٦٥ الف جندى قادرة على المحافظة على الأمن الداخلى . وربما تكون قادرة على الدفاع عن البلد في وجه هجوم من جانب اى من الدول العربية المجاورة . غير أن قدرة القوات المسلحة العراقية مدودة في الدفاع ضد قوة كبيرة . وإذا ما دعى الجيش العراقي للمساعدة في علبات تجرى خارج بلاده ، فسوف يواجه مشاكل خطيرة في الامداد والتمويل . وربما بعرن المحافظة على الأمن الداخلي (١٩٠) .

ثم لا يبدو بعد ذلك أن هناك تقديرات جديدة للموقف في العراق ، ومن المحتمل ان اهتمام وكالة المخابرات قد توجه إلى بؤر أخرى للتوتر في الشرق الأوسط.

كانت هناك أشياء كثيرة تجرى تحت السطح فى بغداد . وفى بعض اللحظات فإن ماكان يجرى تحت السطح ظهر كإشارات فوقه . كان يمكن لأى عين مدربة وخبيرة أن تلمحه ، وتحاول على الأقل استكشاف ما وراءه ولو لمجرد الاطمئنان . ولكن هذه

⁽١١) تقرير المخابرات رقم ٢٩٧ وهو صادر عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

الاشارات بانت ، ثم اختفت دون أن يرصدها أحد من الذين كان يجب أن يعنيهم أمرها .

ولقد عرف « جمال عبد الناصر » على سبيل المثال أن هناك تنظيما في الجيش العراقى يطلق على نفسه اسم « الضباط الأحرار » . وكان السيد « عبد الحميد السراج " وزير الداخلية في الاقليم السوري لدولة الوحدة هو مصدر معلوماته . فقد وصل « عبد الحميد السراج » إلى لقاء مع « جمال عبد الناصر » في أوائل شهر مايو ١٩٥٨ وقال للرئيس : « إن اثنين من الضباط العراقيين العاملين ضمن الكتائب العراقية الموجودة في الأردن 🛋 اتصلوا به ، وسألوه عما إذا كانت الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لمساندتهم إذا ما قاموا بثورة في العراق » . وقام « عبد الحميد السراج ، بتسمية هذين الضابطين بأنهما العقيد الركن « عبد الكريم قاسم » والعقيد الركن « عبد السلام عارف » . وساله « جمال عبد الناصر " عما إذا كان يعرفهما من قبل ؟ ورد « السراج » بأنه يسمع عنهما من التقارير التي تجيئه من بغداد ، ولكنه لم يلتق بهما إلا اخيرا بناء على-طلبهما ، وفي نقطة على الحدود السورية الأردنية . وقال « عبد الحميد السراج » إن الضابطين العراقيين سالاه عن ظروف إجراء انقلاب في العراق، وعن إمكانيات نجاحه ، وعن القوى العربية والدولية التي يمكن أن تساعده . ثم طلب « عبد الحميد السراج » من الرئيس توجيهه فيما يمكن أن يرد به عليهما ذاكرا انه على موعد معهما في الأسبوع القادم. وكان رد « جمال عبد الناصر » محددا في عدة نقاط:

١ ـ أن الذى يريد أن يقوم بعمل وطنى لا يسأل أحدا فى الخارج عن الطريقة
 التى ينفذ بها هدفه ، فكل وطنى أدرى بالظروف التى يواجهها ، وليس هناك نموذج قياسى متعارف عليه يرسم الخطوات لأحد .

٢ - أنه من الخير للضابطين ولزملائهما إذا كانوا جادين أن يحتفظوا
 بأسرارهم لأنفسهم ، وإلا انكشف تنظيمهم وتمت تصفيته قبل أن يقدم على
 الخطوة الأولى في عمله .

 Υ _ أن موقف الجمهورية العربية المتحدة المبدئي على أى حال وأضح فى مساندة كل عمل يهدف إلى تحسين أوضاع أى شعب عربى سواء كان ذلك عن طريق التطور π أو عن طريق الثورة .

ثم كان توجيه = جمال عبد الناصر = أن يظل على اتصال بالضابطين دون أن يكون هذا الاتصال مكثفا ، أو ظاهرا بحيث يبقى على علم بالتطورات دون أن يستطيع احد أن يمسك عليه أنه كان متورطا فيها على نحو أو آخر .

والتقى « عبد الحميد السراج » بعد ذلك في الموعد المقرر بكل من » عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » ونقل إليهما ما سمعه . وراح كلاهما يروى له بعض التفاصيل عن تنظيم » الضباط الأحرار » في العراق مما دعا « عبد الحميد السراج » أن يبعث بعد ذلك برسالة إلى الرئيس » جمال عبد الناصر » يقول فيها إنه يبدو أن الموضوع الذي تحدث فيه معه في لقائهما الأخير جدى ، وأنه يمكن أن يؤدى إلى تطورات هامة .

كان تنظيم الضباط الأحرار بالفعل كما وصفه « عبد الحميد السراج » عملا جديا . وقد قدر له بالفعل أن ينجح رغم أن بعض المعلومات قد تسربت عن خطته إلى اطراف سياسية في العراق مما كان يمكن أن يؤدى إلى كشفه قبل التوقيت المناسب لكن تحول الأنظار كلها إلى الأزمة اللبنانية أصاب أذانا كثيرة بالصمم ، وعيونا كثيرة بالعمى _ فلم تسمع ولم تر .

كان التنظيم يضم قرابة مائة ضابط ، وبينهم من كانت لهم صلة بالأحزاب . وقد قام بعض هؤلاء بالفعل بإبلاغ أحزابهم بخطة الثورة قبل تنفيذها فعلا يوم ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨ .

والواقع أن ثلاثة أحزاب ، وهي « حزب البعث العربي الاشتراكي » في العراق و « الحزب الشيوعي العراقي » و « الحزب الوطني الديمقراطي » أبلغت جميعها بموعد الانقلاب يوم الجمعة ١١ يوليو ، أي قبل موعد تنفيذه بثلاثة أيام . ولقد تصرف كل حزب منها وفقا لخططه وتوقعاته في المستقبل . ومن اللافت للنظر أن الحزب « الشيوعي العراقي » أعد وطبع بيانا قبل الثورة موجها إلى جماهير الشعب العراقي يدعوها فيه إلى اقتحام ساحة العمل الثوري ، وقد جاءت في هذا البيان فقرة تحث الجماهير على « تجنب إبراز شعارات مبهمة أو متطرفة ، أو تلك التي تعجد هذا الزعيم أو ذاك من قادة الحركة الوطنية ، أو العربية على حساب طمس شعاراتنا الأساسية ، والتقليل من شأن نضال الجماهير الشعبية والجبهة الوطنية » . وبالطبع فقد كانت هذه الملاحظة تحذيرا مبكرا من الدعوة إلى أي وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، ومن التوجه إلى « جمال عبد الناصر » . ومن الواضح أن الحزب حتى في تلك اللحظات المبكرة كان يستذكر تجربة « الحزب الشيوعي » ال دمشق .

وعند منتصف ليلة ١٤ يوليو بدأ اللواء العشرون ينفذ خطة الاستيلاء على بغداد ، كما وضعها كل من « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » ، وكانت أول خطوة فيها هي الاستيلاء على معسكر الرشيد ، واعتقال رئيس أركان حرب الجيش الفريق « محمد رفيق عارف » ، ثم التوجه لاحتلال قصر » الرحاب » والقبض

من الراحة ، وقد تصور بعد أن هدات الأمور قليلا في لبنان أن الفرصة قد تكون مهيأة لاجازة يستريح فيها أياما ، وأن تسافر معه السيدة قرينته (١) .

وهكذا اختار أن يسافر إلى يوجوسلافيا بطريق البحر، واستقل الباخرة « الحرية » من الاسكندرية متوجها إلى « دوبروفنيك » المطلة على ساحل الأدرياتيكي وسط المنطقة المعروفة بالشاطيء « الدالماسي » والتي كانت المصيف الأجمل في عصر إمبراطورية « أل هابسبرج » (الامبراطورية النمساوية الهنجارية) .

وكان الرئيس « تيتو » في انتظاره على رصيف ميناء « دوبروفنيك » وكان برنامج اليوم الأول يشتمل على عرض لمسرحية « هاملت » لـ « شكسبير » يجرى تمثيلها تحت أبراج قصر قديم من قصور الامبراطورية حولته وزارة الثقافة اليوجوسلافية إلى مسرح طبيعى للعروض الكلاسيكية .

ولم تكن رحلة البحر كما تخيلها «جمال عبد الناصر » هدوءاً وصفاء ، وإنما بدأت مشاكلها من أول يوم . فمن اليوم الأول كان « جمال عبد الناصر » غير قادر على أن ينفصل عما كان يشغله في القاهرة طوال الأزمة اللبنانية ، وهكذا فإن غرفة -اللاسلكي على الباخرة « الحرية » والتي كانت زودت بشفرة خاصة أرسلت وتلقت في اليوم الأول من الرحلة ٦٢ برقية (غير الخدمة الكاملة لثلاث من وكالات الأنباء). وقد كانت بينها برقية بالذات أرسلت إليه من القاهرة سببت له كثيرا من القلق إذ أنها احتوت على معلومات مفادها أن حكومة السودان برئاسة « عبد الله خليل » قد أجرت اتصالات مع عدد من الحكومات الافريقبة على حوض النيل لكي تبلغها أنه إزاء إصرار مصر على المضى قدما في بناء السد العالى ، فإن الحكومة السودانية « قررت أن لا تعتبر نفسها ملزمة باتفاقية مياه النيل » . وقد كان تعقيب « جمال عبد الناصر « على هذه البرقية عندما قراها : « يظهر أن المشكلة القادمة أمامنا هي الجنوب في السودان . انتهينا من لبنان في الشمال ، واختاروا الآن جبهة اخرى اقرب إلينا واشد حساسية » . ثم بعث إلى القاهرة بتعليمات مفادها أن رأيه « عدم المبالغة في رد الفعل، وانتظار عودته من يوجوسلافيا لأن خطورة الموضوع تفرض علينا الاقتراب منه بمنتهى هدوء الأعصاب . إننا فوتنا عليهم فرصة إثارة خلاف مع السودان بسبب حلايب ، وموضوع مياه النيل اهم من حلايب ، والواضح أن هدفهم استفزازي إذ يظهرون لنا أنهم قادرون على مضايقتنا في اخطر ما يمس حياتنا ، وهو مياه النيل » .

وكان الموضوع شاغله طوال اليوم ، بدأ يشعر بالقلق من حجم نشاط وكالة

المخابرات المركزية الأمريكية في الخرطوم ، ثم إن شعوره بالقلق كان أشد تجاه المعلومات التي تؤكد أن المخابرات الاسرائيلية (الموساد) تلعب دورا مؤثرا في نشاط الحركات الانفصالية في جنوب السودان ، وكان الواضح أن ما يجرى في السودان شماله وجنوبه هو بدايات خطة جديدة للعمل هناك بعيدا قرب منابع النيل ا

وفي اليوم الثانى للرحلة أبلغت إحدى المدمرتين اللتين كانتا تصحبان «الحرية » عبر البحر الأبيض بأن بعض قطع الأسطول الأمريكي السادس تقترب من القافلة المصرية ، وتطلب معلومات عن ركابها ومقصدها . وكان اتجاه قائد المدمرة التي تلقت الرسالة آلاً يرد على تساؤلهم بدعوى السرية . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن السرية لا داعى لها لأن الرحلة معلنة ، ووكالات الأنباء في العالم كله تتابعها . ثم إن العلم المرفوع على الباخرة « الحرية » وهو مرئى أمام أية محاولة للاستطلاع _ هو علم رئاسة الجمهورية العربية المتحدة . وبعد ساعات أرسلت إحدى المدمرتين المرافقتين لـ « الحرية » إشارة إليها تقول إن غواصة مجهولة تتابع مسيرة القافلة » وأن قيادتها تقترح إطلاق بعض قذائف الأعماق لابعادها . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن مثل ذلك لا داعى له .

وطاف « جمال عبد الناصر » بعد نزوله في « دوبروفنيك » بعدد من الجمهوريات اليوجوسلافية ، واهتم بالجمهوريات ذات الكثافة السكانية الاسلامية . ثم وصل في ختام رحلته إلى « بريوني » للقاء اخير مع « تيتو » . وكان الترتيب أن يغادرها صباح يوم ١٥ يوليو عائدا إلى الاسكندرية .

وفجر يوم ١٤ يوليو كانت أجهزة اللاسلكي مفتوحة لتلقى أية رسائل ، كما أن محطة الاستماع عليها كانت تتابع كل إذاعات العالم ، وكان ذلك تطبيقا لترتيبات معلومات خاصة قصد منها أن يكون رئيس الجمهورية العربية المتحدة على اتصال بكل التطورات المحتملة ، فرغم أن الموقف العام في المنطقة بدا هادئا إلا أن الكل كان يدرك أن المفاجآت قد تنفجر في أي لحظة . ولقد كان من ضمن استعدادات الطواريء أنه كانت هناك طوال الوقت طائرة خاصة من طراز « إليوشن ١٨ » تنتقل مع « جمال عبد الناصر » حيث يذهب بحيث يستقلها عائدا إلى القاهرة في أي لحظة إذا ما اقتضت مفاجآت الظروف مثل هذه العودة على عجل .

وفى الساعة الخامسة وعشر دقائق اتصل بى ـ وكنت مقيماً فى فندق بريونى ـ السيد « حسن صبرى الخولى » ـ وكان هو مسؤول الاتصالات على الباخرة « الحرية » فى هذه الرحلة ، وابلغنى أن محطة التقاط الاذاعات على « الحرية »

711

⁽ ١) كان الوقد الذي صحب الرئيس ، عبد الناصر ، والسيدة قرينته على الباخرة ، الحرية ، مكونا من الدكتور ، محمود فوزى ، والسيدة قرينته ، ، محمد حسنين هيكل ، والسيدة قرينته .

التقطت إذاعة بغداد قبل دقائق ، وسجلت منها بيانا عن قيام ثورة ف العراق . وغادرت الفندق القائم على رصيف الميناء سريعا متوجها إلى الباخرة ، والتقانى السيد «حسن صبرى الخولى » وفي يده الاشارة الملتقطة من إذاعة بغداد ، وسألنى ما إذا كان ضروريا إيقاظ الرئيس على الفور وإبلاغه ما حدث ، وكان اقتراحى عليه أن نتأكد من النبأ قبل إيقاظ الرئيس ، فمن المحتمل أن يكون هناك خطأ في الموجات خصوصا وأن تقرير الاستماع لم يكن يحوى نص بلاغ كامل لأن الالتقاط كان مشوشا . وات تدير الاستماع لم يكن يحوى نص بلاغ كامل لأن الالتقاط كان مشوشا . واقترحت الاتصال بمطار دمشق لمعرفة ما إذا كانت لديه معلومات . ورد مطار دمشق بأنه أبلغ بأن مطار بغداد مغلق . وبعد دقائق قطعت هيئة الاذاعة البريطانية من لندن إرسالها العادى ، وأذاعت أول خبر يقول إن « انقلابا عسكريا حدث في العراق ، والن النظام الملكي قد سقط فيها ، وأعلن قيام نظام جمهورى » .

ولم يعد هناك مجال للشك أو للانتظار.

كانت فيللا « بريونكا » التى يقيم فيها الرئيس تبعد دقيقتين بالسيارة عن شاطىء البحر . وحملت معى الاشارة الملتقطة الأولى من إذاعة بغداد ، ورد برج المراقبة في مطار دمشق ، ونص الخبر الأول الذى أذاعته لندن ، وترجهت إلى فيللا « بريونكا » . وقال لى الضابط المكلف بنوبة الحراسة أمام جناح الرئيس ليلتها إنه لا يعرف كيف يوقظه دون ازعاج . ورجوته أن يتركنى أحاول . وتقدمت من باب غرفة نومه وطرقت الباب طرقا خفيفا عدة مرات . وفي ثوان كان « جمال عبد الناصر » يفتح الباب بنفسه ، ويخرج إلى مرتديا بيجامته إلى الصالون الملحق بغرفة نومه . ورويت له ما حدث . وتناول مجموعة الأوراق التى كانت في يدى ، وراح يقرأها ويدقق في كلماتها « وكأنه يحاول أن يستشف ما وراء الحروف . وكان تعليقه الأول هو أن كلماتها « وكأنه يحاول أن يستشف ما وراء الحروف . وكان تعليقه الأول هو أن كلماتها « وكأنه يحاول أن يستشف ما فراء الحروف . وكان تعليقه الأول هو أن قيام الثورة في بغداد سوف يقلب المنطقة رئسا على عقب ، وأن الساعات القليلة القادمة قد تشهد اخطارا داهمة لأن الغرب ـ والولايات المتحدة في مقدمته ـ قد يتصرفون جميعا بحالة من الجنون يصعب تقدير عواقبها .

وكان تعليقه الثانى هو استعادة كل ما سمعه من « عبد الحميد السراج » عن الضابطين اللذين اتصالا به ، وقد تذكر اسميهما على الفور : « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » .

ثم كان تعليقه الثالث بعد ذلك أنه لابد من إعلان حالة التأهب القصوى في الجمهورية العربية المتحدة ، وقام إلى التليفون الموضوع على مكتب (ركن من الصالون وطلب توصيله ب « عبد الحكيم عامر » (في القاهرة . وكان إتمام

الاتصال صعبا للغاية . فالخطوط فيما يبدو كانت مرتبكة ، واستطاع بالكاد ان يسمع صوت عبد الحكيم » من القاهرة ، وأن يبلغه بقراره بإعلان حالة الطوارىء القصوى ، ثم يطلب إليه متابعة كل الاشارات التى سوف تصدر عن الباخرة الحرية الم دخل غرفة النوم بهدوء حتى لا يوقظ السيدة قرينته وعاد منها بحقيبة أوراقه ، وأخذ منها كراسة نزع بعض أوراقها ، وراح يكتب عليها بخطيده بيانا باسم الجمهورية العربية المتحدة استغرق اربع ورقات كان ختامه : « إن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقا لميثاق الضمان الجماعى العربى ، وإن أى عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة » .(١)

واستدعى " جمال عبد الناصر " أحد الضباط ، وكلفه بتوصيل البيان الذى كتبه إلى السيد « حسن صبرى الخولى » لكى تقوم محطة الارسال على ظهر « الحرية " بالابراق به إلى القاهرة حتى يذاع على الفور ، ثم أتبعه برسالة ثانية طلب إرسالها إلى القاهرة أيضا ، وفيها يطلب أن تقوم إذاعات القاهرة ودمشق طوال اليوم بنقل كل ما يصدر عن إذاعة بغداد أولا بأول ، وأن ييدو من هذه الاذاعات تأييد الجمهورية العربية المتحدة الكامل للثورة في العراق . وأخيرا بعث إلى دمشق والقاهرة يطلب اجراء اتصالات عاجلة بكل الوسائل المباشرة مع القيادات العراقية الجديدة ، والتعاون معها إلى أقصى الحدود فيما تطلبه ، وفي نفس الوقت كتب مجموعة من « النصائح " طلب إيصالها إلى بغداد ، وكان أهمها تكرار التعهد باستمرار تدفق النفط العراقي إلى أسواقه ، والتأكيد على استقلالية الثورة العراقية عن كل الأطراف بما فيهم الجمهورية العربية المتحدة " وعدم التسرع بإبداء اتجاهات وحدوية حتى لا تثور ثائرة الغرب ضد الثورة في مرحلة التعرض الأو في للخطر .

وفى الساعة السابعة والنصف صباحا اتصل الرئيس «تيتو» من فيللا «بيانكا «التى كان يقيم فيها ، وقال لـ «جمال عبد الناصر»: إنه أبلغ بما جرى فى العراق ، وأنه يعتقد أن الشرق الأوسط مقبل على ساعات عصيبة ، وأنه على استعداد لأن يجىء الآن وعلى الفور إذا كان الرئيس مستعدا لاستقباله . وتذكر «جمال عبد الناصر » في هذه اللحظة فقط أنه كان لا يزال يرتدى البيجامة ، وأسرع إلى

 ⁽٢) صورة من البيان بخط « جمال عبد الناصر » منشورة [الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٧ صورة من البيان بخط المتعلقات بالأصل الذي كتب في حضوري معي ، ثم سلمته في القاهرة لمكتب الرئيس بعد ان احتفظت بصورة منه في مجموعة اوراقي .

0

ارتداء ملابسه لكى يستقبل الرئيس « تيتو » ، كما طلب استدعاء الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية للتوجه إلى فيللا « بريونكا » .

وجاء الرئيس « تيتو » ولحقه الدكتور « محمود فوزى » ، ثم وصل وزير الخارجية اليوجوسلاف « بوبوفيتش » يحمل معه بعض البرقيات التي تلقتها وزارة الخارجية اليوجوسلافية خلال الساعتين السابقتين. وانتقل الاجتماع موسعا على هذا النحو إلى غرفة المكتب بالدور الأول من فيللا « بريونكا » . وكان أول شيء قاله « جمال عبد الناصر » هو قراره بأن يعود إلى مصر على الفور . وطلب إخطار قائد طائرة الطوارىء المرافقة له بالاستعداد للسفر إلى القاهرة في ظرف ساعتين . واعترض الرئيس « تيتو » على الفور قائلا : « إن الطائرة الاليوشن سوف تستغرق ف رحلتها إلى القاهرة ثماني ساعات ، وقيام طائرة وحيدة من طراز اليوشن ١٨ بعبور البحر الأدرياتيكي من مطار بولا المواجهة لبريوني ، ثم عبور البحر الأبيض المتوسط في اتجاه مصر هو مخاطرة لا يمكن القبول بها ، خصوصا وأن الخلاص من طائرة وحيدة فوق البحر يمكن أن يكون عملية سهلة لأى قوة راغبة في اصطيادها ، خصوصا وأن المعلومات التي ترد الآن كلها تشير إلى تحركات جوية كبيرة تجرى فوق منطقة البحر الأبيض المتوسط . . وكان رأى « تيتو » أن العودة بالباخرة أسلم . فلا يمكن لأى قوة مهما بلغت حماقتها أن تهاجم قافلة تضم عدة قطع: « الحرية » والمدرتين المصريتين المرافقتين لها ، ثم إنه عندما فكر في الصباح توقع أن يقرر الرئيس قطع زيارته ليوجوسلافيا ، واستقر على أن تنضم اثنتان من المدمرات اليوجوسلافية إلى القافلة لتعزيز الحراسة . وهكذا فإن أي قوة سوف تتردد عدة مرات قبل أن تقرر التعرض لخمس قطع بحرية تشق أمواج البحر مجموعة واحدة . وفكر « جمال عبد الناصر » قليلا ، ثم اتفق مع « تيتو » في رأيه . ومع أنه كان يقدر أن الملاحة باقصى سرعة قد تستغرق اكثر قليلا من يومين ، فقد تصور أنه سوف يستطيع في كل الأحوال من فوق ظهر الباخرة « الحرية » وبواسطة محطتها اللاسلكية أن يظل على اتصال بالحوادث ، وأن يتمكن من إبلاغ وجهات نظره فيها إلى المسؤولين في القاهرة ودمشق .

واتصل الرئيس « عبد الناصر » بالقائد البحرى المصرى المسؤول عن القافلة ، وهو الفريق البحرى « ناشد » وطلب إليه أن تكون الباخرة « الحرية » والمدمرات المرافقة لها مستعدة للإبحار في أقرب لحظة ممكنة .

ثم راح يناقش كل احتمالات تداعى الموقف مع الجالسين معه في غرفة المكتب، وأولهم الرئيس « جوزيب بروز تيتو » .

كان الرئيس « ايزنهاور » قد تناول عشاءه مع زوجته « مامى » في الساعة السابعة مساء بترقيت واشنطن ، ومعهما بعض الأصدقاء المقربين . وبعد العشاء انتقل « ايزنهاور » مع هؤلاء الأصدقاء إلى قاعة اللعب في البيت الأبيض . ولدة ساعتين راحوا يلعبون « البريدج » . ثم نهض الرئيس « ايزنهاور » متوجها إلى جناحه الخاص وأوى إلى فراشه ، وكانت الساعة العاشرة والنصف بتوقيت واشنطن . وبعد ساعة من النوم » أى في الحادية عشرة والنصف بتوقيت واشنطن اى الساعة السادسة والنصف بتوقيت بغداد ـ دق التليفون بجوار سريره » وكان المتحدث هو مستشاره » شيرمان آدامز » يبلغه بحدوث ثورة في العراق آدت إلى إنهاء النظام الملكي ، وإعلان الجمهورية . وأضاف « شيرمان آدامز » إلى هذا النبأ قوله معلقا : « لابد أن يكون هذا من صنع الكولونيل ناصر أيضا » . وطلب معلقا : « لابد أن يكون هذا من صنع الكولونيل ناصر أيضا » . وطلب سينضم للاجتماع في ظرف نصف ساعة .

وعندما دخل « ايزنهاور » مكتبه مع منتصف الليل بتوقيت واشنطن كانت هناك مجموعة كبيرة من البرقيات قد وضعت أمام المقعد المخصص له على مائدة الاجتماعات ، وراح « ايزنهاور » يقلب أوراقها ، ويطلع بسرعة على ما فيها ، والكل من حوله صامت ينتظر رأيه .

وقال « ايزنهاور »(٣) إن الوضع خطير ، وأن الولايات المتحدة سوف تكون مطالبة بالتصرف فيه بحيث لا يخطىء أحد في فهم نواياها . ثم طلب أن تكون القواعد البرية والجوية والبحرية أن أوروبا الغربية جاهزة للعمل بمقتضى حالة الطوارىء القصوى . واستفسر من الجنرال « توايننج » عن درجة الاستعداد ، وعن القوات الجاهزة للتدخل السريع إذا ما تطلب الأمر ذلك . ثم طلب أن تنعقد مجموعة عمل تضم وزارتي الخارجية والدفاع ، وتنضم إليهما أجهزة المخابرات في الجيش والأسطول والطيران إلى جانب المخابرات المركزية ، ثم أن يكونوا جاهزين بأية توصيات قد تكون لديهم في ظرف ست ساعات . واستغرق الاجتماع ٥٤ دقيقة علا بعده « ايزنهاور » إلى غرفة نومه على أن يعود

⁽٣) مذكرة عن الاجتماع كتبها الكولونيل « جودباستر » المساعد العسكرى للرئيس » ايزنهاور ، وهي محفوظة (٣) مكتبته بأبيلين - كانساس - ضمن ملف » الإنزال في لبنان » .

إلى الاجتماع بمجلس الأمن القومى في الساعة السابعة صباحا بتوقيت واشنطن قائلا إنه هو الآخر يريد أن يعطى نفسه فرصة يفكر فيها في خطواته خلال الساعات المقبلة. وأضاف قائلا: « إن الحساب أمامنا بالدقائق والساعات ، وليس بالايام والاسابيع ». وغادر قاعة الاجتماع ، والكل حول المائدة يحسون على حد تعبير « جون فوستر دالاس » بأن « الدنيا واقفة على حافة الهاوية » .

استيقظ « ايزنهاور » _ كما كتب في يومياته _ في الساعة الخامسة والربع لكي يجهز نفسه لاجتماع مجلس الأمن القومي المقرر له الساعة السابعة صباحا . وقد تناول افطاره وحيدا ، وفي اثنائه قرأ ملفا أعده له مساعده العسكري « جودباستر » بما استجد خلال الساعات الفائتة . وكان الملف يحوى التقرير الأولى لمجموعة العمل التي واصلت اجتماعاتها أثناء نوم « ايزنهاور » _ وحتى الفجر ، وكذلك بعض التقارير الواردة من سفارات الولايات المتحدة في المنطقة » إلى جانب رسالتين شخصيتين وجههما الملك » سعود » على عجل إلى « ايزنهاور » ، ثم أخيرا رسالة من « كميل شمعون » يطلب فيها التدخل الفوري للقوات الأمريكية وإلا انهار الوضع كله في لبنان .

وكان نص تقرير مجموعة العمل الخاصة طبقا للوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية على النحو التالى:

« مذكرة إلى الرئيس

الموضوع: مجموعة العمل بشان العراق. هارى وروكويل.

المشتركون _ من الخارجية : الوزير جون فوستر دالاس _ روكويل (من إدارة مخابرات الخارجية) _ السفير هندرسون _ السفير مورفى _ السفير رينهاردت _ السفير ماك كومبر _ الوزراء المفوضون سانجر وماتوا وجرون .

من العسكريين : الجنرال توايننج (هيئة الأركان المشتركة) ـ كوارلس وسبراكو (من مخابرات الجيش) .

من وكالة المخابرات المركزية : ألان دالاس (مدير الوكالة) ـ نورمان بول (رئيس العمليات الخاصة) .

🗖 نص التقرير

ناقشت المجموعة الآثار المحتملة لتدخل الولايات المتحدة عسكريا في المنطقة ، كما ناقشت ايضا الآثار التي يمكن ان تترتب على عدم التدخل . واهتمت اللجنة بصفة خاصة بطلب شمعون للتدخل في لبنان باعتبار ان ذلك طلب رسمي يعطى اساسا قانونيا للتدخل اكما ان التدخل في لبنان يمكن ان يتم بدون مقاومة ، وهو ما يرجح ان يكون لبنان هو الاتجاه الاول لأى عمل عسكرى . وقد طلب المستر هارى

(مخابرات وزارة الخارجية) وايده في ذلك الجنرال توايننج ان تكون اول خطوة هي وقف تسليم طائرات اف ـ ٨٦ وغيرها من المعدات المرسلة للعراق على الفور، فهذه المعدات صدر الأمر بشحنها، ومن المحتمل ان ينفذ امر الشحن تلقائيا، وبدون اعتبار للظروف الطارئة، واحيط المجتمعون علما برسالتي الملك سعود الواردتين في برقيتي السفارة الأمريكية في جدة تحت رقم ٤٦ و ٤٧.

(هناك فقرة محذوفة من التقرير⁽¹⁾ ، ولكن يوميات « ايزنهاور » تكشف عنها إذ تشير إلى أن الملك « سعود » طالب في البرقية الأولى بالتدخل العسكرى الأمريكي سريعا في الشرق الأوسط ، وإلا « انهار كل شيء » . والثانية يقول فيها الملك إنه إذا لم تتدخل الولايات المتحدة عسكريا في الموقف ، فإنه لن يكون امامه مضطرا علير « ان ينتقل إلى صف الجمهورية العربية المتحدة ») .

وكان هناك اتفاق عام على التدخل العسكرى لأن الامتناع عن التدخل سوف يترتب عليه ما يلى :

استيلاء ناصر على المنطقة بكاملها .

٢ - أن نفوذ الولايات المتحدة سوف يضيع لا في الدول العربية وحدها ، ولكن في المنطقة كلها بشكل عام . وسوف تصبح القواعد الأمريكية في الشرق الأوسط كلها معرضة للخطر .

٣ ـ سوف يصبح الاعتماد على تعهدات الولايات المتحدة بتقديم المساعدة عند الحاجة موضع شك في جميع انحاء العالم.

وراى الجنرال توايننج انه في هذه الظروف ليس امامنا بديل غير التدخل. (فقرة محذوفة)^(ه)

وقد قرر الجنرال توايننج ان الاسطول الامريكي السادس بدا يتحرك بالفعل إلى شرق البحر الابيض المتوسط، وان قيادته لديها خطط معدة للانزال على الشواطيء اللبنانية ، وهي جاهزة لانزال أول كتيبة بعد اثنتي عشرة ساعة من إصدار الامر . وتساعل المستر كوارلس عما إذا كان مناسبا إيجاد مظلة من الامم المتحدة تجرى تحتها عملية التدخل العسكري بحيث يكون هناك غطاء معنوى مناسب لها ، وانضم إليه ماك كومبر مضيفا أن مثل هذا الغطاء المعنوى قد تكون له اهميته بالنسبة لرد فعل الكونجرس ، مضيفا إلى ذلك أنه من المحتمل أن بعض الدوائر بالنسبة في الموقف في لبنان السياسية في الموقف في لبنان والعراق ، سوف يكون شبيها بالتدخل البريطاني القرنسي في السويس سنة ١٩٥٦ .

⁽٤) حذفت من هذا التقرير ـ عند الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات ـ فقرتان .

^(°) هذه هى الفقرة الثانية المحذوفة من التقرير عند الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات ، والأرجح انها تتعلق بعمل المخابرات وادواتها في المنطقة ، وقد حذفت باعتبارها حتى هذه اللحظة تعرض الأمن القومي الأمريكي والمتعلونين معه في المنطقة لخطر قلام

وقال السفير رينهاردت إن نطاق التدخل الغربي هو الذي سيحدد طبيعة ونطاق رد الفعل السوفيتي . واتفق معه المستر هندرسون في ذلك ، كما علق الوزير (دالاس) بانه يوافق على أن التدخل ينطوى على خطر نشوب حرب عالمية . ورأى السفير هندرسون : « إننا يجب أن نواجه هذا الخطر الآن كما نواجهه في أي وقت أخر . كما أن علينا أن نتقبل أن هناك جزءا من العالم غير الشيوعي لن يقف منا موقفا وديا في البداية على الأقل = . =

وقد قرا « ايزنهاور » تقرير مجموعة العمل ، ووجد أن كبار مستشاريه لم ينتهوا إلى توصيات محددة يوجهونها إليه ، وإنما رأوا نظرا لخطورة القرار أن يعرضوا أمامه مناقشاتهم ، وأن يتركوا له استخلاص ما يريد بحكم مسؤوليته السياسية والدستورية عن قيادة » الأمة » خصوصا وأن الأمر يمكن أن يؤدى إلى نشوب حرب عالمية .

في الساعة السابعة تماما كان «ايزنهاور» يدخل إلى مكتب «ريتشارد نيكسون» نائب الرئيس، ثم يلحق به على الفور أعضاء مجلس الأمن القومى الذين كانوا ينتظرونه في مكتب سكرتيرته " أن ويتمان». ويسجل أحد مساعدى الرئيس، وهو المستر «كاتلر» في مذكراته أنه حينما دخل المكتب ونظر إلى « ايزنهاور " أحس على الفور بأنه " أمام رجل في منتهى هدوء الأعصاب والارتياح " وأدرك على الفور من أول نظرة أن « ايزنهاور» قد وصل إلى قراره . » وكان إحساس " كاتلر » صحيحا فيما يبدو ، فإن " ايزنهاور " كتب في مذكراته في ذلك اليوم (١) : « في هذا الصباح دعوت مجموعة مستشارى إلى اجتماع في مكتبى لكى أتاكد للمرة الأخيرة أن كافة احتمالات الموقف قد تم بحثها . كما أن آخر المعلومات الدقيقة متوافرة لدى . وقد كان ذلك يوما بداته وأنا أعرف ما ينبغي على أن أفعله فيه . كنت مقتنعا بأننا أمام ضرورة التدخل في الشرق الأوسط . لقد جاء الوقت الذي يتحتم علينا فيه أن نتدخل ، وبالذات في لبنان لكى نمنع تردى الموقف إلى حالة من الفوضى لبنان قد تكون في خطر » .

وكان « ايزنهاور » ف حالة صفاء ذهنى مختلط بشىء من الحماسة لما استقر عليه من قرار ، فقد كتب ف يومياته ف ذلك الوقت بالنص :

" لقد فكرت أن ارتدى بدلتي العسكرية القديمة ، وقلت لمامي (زوجته)

ابدى عن ملابسى العسكرية لكى اجرب واحدة منها ، واتاكد من انها ما زالت المقاسى .

П

ويروى « ايزنهاور » في مذكراته (٧) أنه طلب من » ألان دالاس » مدير وكالة الخبرات المركزية أن يبدأ بعرض ما عنده من مستجدات . ورد » ألان دالاس » اللا :

« إن المعلومات المتوافرة لدينا تؤكد أن الانقلاب تم بواسطة عناصر موالية لناصر . وإن كنا لا نملك حتى الأن معلومات توضح لنا صلة ناصر بهم ، وما إذا كان هو شخصيا وراء الانقلاب . وهناك حظر تجول الأن في بغداد الامر الذي تصعب معه فرصة جمع معلومات دقيقة . وقد بلغنا أن حوالي خمسين ضابطا من الضباط الموالين للغرب 🎩 احيلوا إلى التقاعد . وليست لدينا معلومات عن القوات خارج بغداد ، ومن المحتمل أن توجد في مكان ما قوات موالية للملكية . ولما كان اختفاء الملك فيصل ورئيس وزرائه نورى السعيد قد حرم مثل هذه القوات الموالية للملكية _ على فرض وجودها _ من قيادة توجهها ، فإن الملك حسين كما هما باعتباره الرجل الثاني في الاتحاد الهاشمي يظن انه يستطيع ان يعطي هذا التوجيه . وقد اصدر بالفعل اوامر اذاعتها عمان إلى وحدات الجيش العراقي التي تصورها موالية للملكية ، ولكننا لا نعرف إلى اى مدى يمكن أن يتحقق مثل هذا الأمر . والمعلومات لدينا من إسرائيل أن رئيس الوزراء دافيد بن جوريون في حالة هياج شديدة ، وانه قد ينتهز الفرصة مدفوعا ببعض المتشددين إلى احتلال الضفة الغربية للأردن(٨) . ومن المحتمل أن يكون مصير الكويت معلق في الميزان . وفي لبنان ابلغنا كميل شمعون أن الموقف ينذر بأسوا العواقب ، وقال لسفيرنا إنه إذا لم نتدخل عسكريا نحن وبريطانيا ، فإن كل شيء سوف يضيع . إن شمعون يشعر بمرارة شديدة لاننا لم نسانده حتى وقعت الكارثة ، وقد تعارك مع قائد جيشه اللواء شهاب ، وطلب إليه إما أن يقاتل ، وإما أن يترك منصبه ١٠ .

ويستكمل « ايزنهاور » في مذكراته روايته عن تقرير « آلان دالاس » فيقول : الآن دالاس قال لنا أيضا إن الملك سعود في حالة قلق شديد ، وهو يطلب من الحلف بغداد أن تتدخل عسكريا في بغداد ، وإلا فإنه مهما كان شعوره بالذل الله يضطر إلى الرضوخ للجمهورية العربية المتحدة . وقد ختم دالاس كلامه للإ قائلا : « إن الوقت قد حان للعمل » . »

ويروى « ايزنهاور » بعد ذلك أن « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية توجه البالسؤال قائلا : « ألا تريد أن تسمع تقريرنا السياسي للموقف ؟ » وأحس

⁽٢) صفحة ۲۷۰ من مذكرات ، ايزنهاور ، .

[∀] صفحة ۲۷۰ من مذكرات د ايژنهاور . .

٨/إشارة اخرى إلى تصميم إسرائيل على اهتلال الضفة الغربية للارين .

حرية المعلومات . لكن الأجزاء غير المحذوفة (مع الاشارة إلى مواضع الرذف) كفيلة بإظهار فحوى المحادثة التليفونية وتوجهات أطرافها .
□ ايزنهاور: لديكم كل المعلومات، وتقارير المخابرات عن العراق ما حدث يؤدى إلى تفاقم الوضع في لبنان. وقد طلب منا الرئيس شمعون أن نتدخل وقررنا تنفيذ الخطة. وهذا لمعلوما كم الخاصة الشديدة السرية
■ ماكميلان : (كل تعليقه على ما سبق من كلام ايزنهاور محذوف) □ ايزنهاور : (كله محذوف) ■ ماكميلان : (كله محذوف)
ايزنهاور: طبعا. ولكم أن تعلموا أنه فيما يتعلق بنا ، فليس في والمعنا اعتبارا من هذه اللحظة أن نهتم بأى شيء يجرى في أى مكن أخر من العالم. إن الوضع هناك لا يستطيع أن يتحمل أكثر من ذلك .
■ ماحمیاد ن : (کله محدوف)
□ ايزنهاور : والآن لحظة واحدة فقط حتى لا يكون هناك أى سور فهم (فقرة محذوفة)
■ ماكميلان : (كله محذوف)
□ ايزنهاور: حسنا الآن. سأقول لكم طبعا إننى لست راغبا في المض لقد استعرضنا الموقف الآن، وناقشنا ما يمكن أن يكون الكونجرس في الموقف، وإذا كان علينا أن نخطط الآن لليه رد فعل تواصل الطريق إلى نهايته، وتمتد إلى سوريا والعراق لعملية اكبر نبتعد عن أى شيء في سلطتى القيام به دستوريا بغر قرار من الكونجرس، إن هناك مشاكل أمامنا في الكونجرس في تبرر ما نعتزم القيام به دون الرجوع إليهم(^).
■ ماکمیلان : (کله محذوف)
□ ايزنهاور : ف هذه اللحظة سيستغرق الأمر لا أعرف على والم التحديد
(٩) توحى هذه العبارة بالطبع بفحوى العبارات المحنوفة من قبل في حديث الرئيسين . فمن « هارولد ماكميلان » اقترح على « ايزنهاور » عملا عسكرما مشتركا لا متوقف عند حدود لمنان أسبه المحقق ان

سوريا (الجمهورية العربية المتحدة] والعراق.

وجاء الدور على « ايزنهاور » ليعطى قراره ، وبدأ يقول وفقا لما كتبه في يومياته الخاصة :

القد وصلنا الآن إلى مفترق الطرق . فمنذ سنة ١٩٤٥ وسياستنا تقوم على ضرورة الوصول إلى منابع البترول ، وضمان سيطرتنا عليها بدون أية عوائق من جانب اى طرف . وأن يتحقق ذلك سلميا إذا أمكن . والآن فإن علينا أن نناضل لكى نمنع ناصر من السيطرة على هذه الموارد ، وإلا أعطيناه المال والنفوذ والقوة التى يتمكن بها من تدمير العالم الغربى . لقد كان علينا في نقطة ما على الطريق أن نواجه هذه المشكلة ، وقد وصلنا إلى هذه النقطة الآن » .

ثم التفت « ايزنهاور » ناحية الجنرال « توايننج » قائلا له : « Go Ahead » الدا في التصرف » . وخرج الجنرال « توايننج » من قاعة الاجتماع لكى يتصل تليفونيا بالبنتاجون ، وينقل قرار الرئيس بالتدخل العسكرى .

ودق جرس التليفون على المكتب، وكان « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا على التليفون . ودارت بين الاثنين محادثة يسجلها تقرير خاص في ملفات البيت الأبيض جرى حذف فقرات عديدة منه عندما تم الحصول على نصه وفقا لقانون

وإنما يمتد إلى

[&]quot;ايزنهاور " بحرج لأنه اهتم بسماع رأى المخابرات ولم يعط الفرصة لوزارة الخارجية . ورد قائلا : " فوستر بالطبع أريد سماعك . والآن أريد منك أن تعطينا تحليلك لاحتمالات تدخلنا في لبنان ، وكيف يمكن أن يكون رد فعل السوفيت " . ورد «فوستر " بقوله إنه « يعتقد أن السوفيت سوف يقومون بإحداث بعض الضجيج ، وبعض إشارات التهديد الموجهة ضد تركيا وإيران بالذات ، ولكنهم لن يذهبوا إلى أبعد إلا إذا تصوروا أن نتائج قيام حرب عالمية في هذا الوقت قد تكون مواتية لهم ، وإن كان لا يعتقد أن السوفيت يريدون مثل هذا الاختبار لقوتهم إزاء قوتنا ، خصوصا إزاء تفوقنا عليهم في القاذفات » . وأضاف «فوستر » أنه " إذا تدخلت الولايات المتحدة عسكريا في لبنان ، فإن رد الفعل العربي هو الذي يجب أن يحسب حسابه ، فقد نتعرض لحملات سياسية ، وقد يكون هناك خطر على خطوط أنابيب البترول ، وقد تقفل قناة السويس في وجه بواخرنا . وأنه من سوء الحظ أن الملك سعود الذي يرغب في تدخلنا لا يستطيع أن يفعل شيئا لمساعدتنا ، ثم إن البريطانيين سوف يجدون أنفسهم مضطرين إلى إعادة احتلال الكويت لحماية بترولهم » .

ملفات لقانون

■ ماكميلان : ماذا تنوى ان تفعله بشأن حديثك للأمة ؟

□ ايزنهاور : كلا . ليس الليلة بالقطع . هذا موضوع سرى جدا .

■ ماكميلان : سأكتب إليك الآن رسالة تفصيلية وستصلك في ظرف ساعة أو ساعتين . فهناك أشياء كثيرة لا أستطيع أن أقولها على التليفون .

□ ايزنهاور : نعم ، افعل ذلك ، واعط تعليماتك لسفيركم هنا أن يحملها فورا إلى فوستر .

■ ماكميلان : سأكتب الآن فورا . وسيصلكم في ظرف ساعة ، وسوف يسلم إلى فوستر .

□ ايزنهاور: أما بقية الاحتمالات ، فسنظل على اتصال بشأنها ، وأنا أعرف أننا سوف نفتح صندوق كل الشرور ، ولكن علينا أن نفتحه ، وإلا فإن البديل مواجهة كارثة كاملة .

ويضيف تقرير البيت الأبيض عن تسجيل المحادثة التليفونية في نهايته ملاحظة تقول: « إن الرئيس التفت إلى وزير الخارجية في ختام المحادثة التليفونية مع رئيس الوزراء البريطاني وقال له (عبارة محذوفة) واضاف الرئيس إنه اتفق مع ماكميلان على اشياء كثيرة . واستطرد الرئيس ، فقال إنه حاول أن يقول لماكميلان إنه - أي الرئيس - لا يستطيع أن يتخذ وحده قرارا بهذا الحجم بغير الرجوع إلى الكونجرس » .

وكانت صناديق الشر كلها على وشك ان تفتح مرة واحدة .



كانت الموسيقى تدق والأعلام ترفرف مع نسمات الربح حينما وصل « جمال عبد الناصر » إلى رصيف جزيرة بريوني، واستقل من هناك قاربا مع الماريشال « تيتو » متوجها إلى الباخرة « الحرية » الواقفة في عرض البحر متأهبة للرحيل، ومن

الوقت المقرر لوصول القوات إلى هناك ، لأن هناك ارتباطا بين صدور الأوامر وساعات توقيت العمليات بعدها . وأنا لا أرغب في إعطاء أي معلومات على الخطوط المفتوحة (١٠٠) .

ا ماكميلان : طبعا ـ والآن هل ستوجه خطابا للأمة ؟

ايزنهاور : نعم . وهذا موضوع سرى جدا . إننا سوف ندعو إلى جلسة عاجلة للجلس . لجلس الأمن . وسأوجه إذاعتى إلى الأمة بعد انعقاد هذا المجلس .

■ ماكميلان : غدا ؟

□ ايزنهاور : حسنا . ربما .

■ ماكميلان : (كله محذوف)

🗖 ايزنهاور : لم نكن نعرف ما هي آخر التقارير .

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور: الذي أفكر فيه الآن كما يلى: إذا تطور الموقف بحيث أصبحنا أمام أحد احتمالين: إما التخلى عن جميع مصالحنا القومية وقد تدميرها _ فسيكون على أن أذهب إلى الكونجرس، وأطلب سلطة للتصرف. وفي وسعنا فهم هذا القدر الآن والاتفاق عليه (فقرة محذوفة)

■ ماكميلان : (كله محذوف)

□ ايزنهاور: أنا لا أعرف ف هذه اللحظة متى نحتاج إلى قواتكم ، ولا ف أى مكان ، فالموقف متحرك بسرعة ، وعلى أى حال ، فلابد من جعلهم على أهبة الاستعداد ، وأيا كان ما يحدث بعد ذلك فسوف نتصرف وفق ما نفهمه الآن .

■ ماكميلان : علينا أن ندعو إلى هذا كله علنا . فالمشكلة برمتها هي ما يجب أن يهمنا الآن . علينا أن نتعامل مع الخطر ككل .

□ ايزنهاور : طبعا . اعتبارا من هذه اللحظة فهذا هو الوضع ، ولسنا نعرف بعد ما سوف تتطور إليه الأمور . وأعتقد أن من السيىء لى ولك أن نتحدث على التليفون حول هذه الاحتمالات الضخمة .

⁽١٠) المحادثات التليفونية بينهما كانت تجرى عن طريق تليفون خاص مزود بجهاز Scrambler وهو يحولها إلى نوع من الشفرة ، ولكنها مثل أى شفرة يمكن كسرها .

حولها أربع مدمرات حربية : اثنتان ترفعان علم الجمهورية العربية المتحدة ، واثنتان ترفعان علم يوجوسلافيا .

ومن المفارقات أن هذا التوقيت في يوجوسلافيا كان متفقا تماما مع محادثة ايزنهاور و ماكميلان و بتوقيت واشنطن . ولكن أحدا من المبحرين في المياه الصافية الزرقاء المحيطة بجزيرة بريوني لم يكن يعرف أن صناديق الشر كلها على وشك أن تفتح . كان تقديرهم جميعا أن هناك مخاطر شديدة ولكن حجم هذه المخاطر واتجاهات الخطر الكامن فيها لم يكن محددا بالقدر الكافي .

كانت الأزمة التى دفعت العالم إلى حافة الهاوية موضوع الحديث الدائر بين « جمال عبد الناصر » و « تيتو » وهما معا فى القارب السريع الذى راح يجرى فوق الموج متجها إلى الباخرة « الحرية » . وعندما صعدا إليها جرت مراسم وداع سريعة ، ثم تعانق الرئيسان وداعا ، ونزل الماريشال « تيتو » إلى القارب عائدا إلى بريونى ، وأطلقت قطع القافلة البحرية صفاراتها تحية له واستعداداً للرحيل ،

كان الغروب بالوانه الرائعة قد بدأ ينفذ إلى السماء في هذه المنطقة من شمال البحر الأدرياتيكي . ووقف « جمال عبد الناصر » على جسر الباخرة « الحرية » ـ ومعه الدكتور " فوزى » وأنا ـ يتأمل مهرجان الغروب . وعلى وجه التأكيد فإن إلحاح الأزمق كان يفرض نفسه على كل المشاعر والأفكار . وابتعد شاطىء بريوني ، ودخلا " عبد الناصر " من سطح الباخرة إلى غرفة المكتب في الجناح الرئيسي عليها ، وداج يقرأ البرقيات التي تجمعت ولم يطلع عليها في الفترة التي استغرقها الانتقال من فيللا يروينكا » إلى الباخرة « الحرية » .

وتحول الجناح الرئيسي على الباخرة الحرية » إلى شبه غرفة عمليات . ففي ساعات قليلة كان مكتب الاتصالات الشفرية على الباخرة قد تلقى أو أرسل ١٧٢ برقية شفرية - كأن الباخرة كانت في مجراها على أمواج الأدرياتيكي في حوار متصل لا ينقطع مع القاهرة ودمشق .

وأشرق فجر ١٥ يوليو بتوقيت البحر الأبيض المتوسط والقافلة البحرية ما زالت تتجه جنوبا في مياه الأدرياتيكي بأقصى سرعة ، والتقدير أنها سوف تخرج منه إلى البحر الأبيض المتوسط في ظرف ساعات قليلة . وكانت الباخرة " الحرية " ما زالت تعمل كمركز قيادة عائم . ومع أول بشائر الصباح تلقى مكتب الاتصالات الشفرية على الباخرة أول إشارة عن نزول القوات البحرية الأمريكية إلى الشواطيء اللبنانية قرب بيروت . ومع أن بوادر العاصفة بدأت تهب على البحر الأبيض ، فإن القافلة راحت باقصى سرعتها تشق طريقها إليه .

ومع الغروب _ وبعد نهار حافل بزحام المشاكل والمشاغل _ أقبل قائد الباخرة الحرية » يطلب مقابلة الرئيس « عبد الناصر » ليقول له إن الضابط البحرى الكبير المكلف بقيادة مدمرات الحراسة اليوجوسلافية يقترح مراعاة حالة إطفاء كامل على كل قطع القافلة بما فيها » الحرية » . وأضاف إن هذا القائد أبلغه أنهم رصدوا بعض محاولات الاستطلاع الجوى . ونزل الليل وقطع القافلة كلها كأنها كتل من الظلام تجرى على سطح البحر المظلم . وفي الساعة التاسعة مساء بدأت المدمرة اليوجوسلافية التي تحمل رقم ١٢ تبعث بإشارات بالأضواء تقول « نطلب توقف القافلة _ نريد إرسال قارب إلى الباخرة الحرية يحمل رسالة هامة من الرئيس تبدو إلى الباخرة الحرية يحمل رسالة هامة من الرئيس بمجداف يسرى في ظلام الليل من المدمرة إلى » الحرية » . وكان تعليل اليوجوسلاف نهم اختاروا هذه الوسيلة تأكيدا للأمن لأن أصوات محركات القوارب السريعة يمكن رصدها بأجهزة « السونار » ومان نصها كما يلى :

من الرئيس تيتو إلى الرئيس ناصر - أناشدكم أن لا تتقدموا في البحر إلى أكثر من الحد الذى وصلتم إليه الآن - الخطر شديد بعد التطورات الأخيرة - احتمالات مواصلة السفر بالبحر لم يعد يمكن تأمينها - أرجوكم العودة إلى أقرب ميناء يوجوسلافي - ألا يكون في إمكاننا تدبير طائرة عظيمة السرعة تعود بكم إلى وطنكم - أرجو أن أتلقى ردا على الفور - تيتو ».

كان الدكتور «محمود فوزى» وأنا في المكتب الذي يعمل منه « جمال عبد الناصر » على الباخرة « الحرية » _ عندما قرأ رسالة « تيتو » . وقد ناولها للدكتور » محمود فوزى » ثم وصلت إلى _ وكان واضحا أن الرئيس يطلب رأينا . ودارت مناقشة استغرقت بضع دقائق ، ثم قال » جمال عبد الناصر » : « إننى أظن أن تيتو يريد أن يستعير من الروس طائرة تي يو ١٠٤ الجديدة ، وهي تستطيع أن تقطع المسافة من بريوني إلى مصر في ثلاث ساعات » . وانتهت المناقشة السريعة و « جمال عبد الناصر » يملى ردا على « تيتو » نصه :

« من جمال عبد الناصر إلى الرئيس تيتو ـ فهمت وجهة نظركم ـ قررت أن اعود ـ انتظر معلومات إضافية ـ جمال » .

وبعد ساعات قليلة جاء قارب أخر على الموج من المدمرة ٦٢ إلى الباخرة « الحرية ، وكان يحمل رسالة أخرى من « تيتو » لـ « عبد الناصر » نصبها :

«من الرئيس تيتو إلى الرئيس عبد الناصر ـ اتخذت كل الترتيبات ـ
اقترح عودتكم إلى بريونى ـ ستكون في مطار بولا طائرة عظيمة السرعة
تنتظركم ـ إذا وافقتم أرجوكم أن تتركوا الباخرة الحرية لأنها بطيئة ،
وأن تنتقلوا إلى إحدى مدمراتكم لتصلوا إلينا في ظرف ثماني ساعات ـ
أعرف أن مكتب الاتصالات والشفرة على الحرية مهم لكم في هذه
الظروف ـ طلبت من البحرية اليوجوسلافية أن تضع تحت تصرفكم
طائرتين حربيتين من طائرات الانزلاق على الماء ليكون من ذلك خط
مواصلات دائم بينكم وبين الباخرة الحرية طوال ساعات رحلتكم
بالمدمرة السريعة إلى بريوني ـ أتطلع بشوق إلى أن أراك مساء اليوم ـ

Г

كان مكتب الاتصالات والشفرة على الباخرة « الحرية » يتلقى الخدمة الصحفية لثلاث من وكالات الأنباء (هي وكالة رويتر والأسوشيتد برس ووكالة الأنباء الفرنسية) . وبدأت أجهزة الاستقبال تتلقى فيضا من رسائل هذه الوكالات ، وكلها تشير إلى إعلان حالة الطواريء في كل القواعد الأمريكية في البحر الأبيض وأوروبا الغربية . وكانت هناك إشارات لا يمكن أن يخطئها أحد في تحركات القوات البريطانية برا وبحرا على القوس الممتد من جبل طارق إلى عدن . وكان هذا السيل من برقيات وكالات الأنباء ينقل إلى « جمال عبد الناصر » في نفس الوقت مع البرقيات الشفرية القادمة من القاهرة ودمشق. وكان «جمال عبد الناصر » يقرأ هذا كله باهتمام ، وفي بعض اللحظات بدا أنه منشغل بفكرة تجول في خواطره . وفوجئنا ـ الدكتور « محمود فوزى ، وأنا ـ بالرئيس يقول لنا إن لديه فكرة تلح عليه منذ تلقى رسالة « تيتو » الأولى عن مخاطر العودة بالبحر ، وعن الطائرة عظيمة السرعة التي يمكن أن تنقله إلى القاهرة في ظرف ثلاث ساعات . ثم راح الرئيس يفضي بفكرته إلينا ، ومؤداها أنه خطر بباله أن يذهب بالطائرة السريعة إلى موسكو في زيارة سرية يلتقي فيها بالقادة السوفيت لكي يتعرف مباشرة على نواياهم في حالة ما إذا تفاقمت الأزمة ووصلت إلى حد استعمال القوة المسلحة . وكان تقديره أن دخول الولايات المتحدة إلى منطقة العمل المسلح يصنع موازين تختلف عما كان عليه الحال في وقت السويس ، وأن من الضروري لنا أن نعرف مبكرا نوايا السوفيت حتى تكون حساباتنا على أساس سليم . وأنه لا يعتقد والأحوال على هذه الدرجة من الخطورة أن تبادل الرسائل يكفي ، وإنما لابد من التعرف على الحقائق وجها لوجه . وكان سؤاله بعد ذلك عن راينا في اقتراحه . ورجاه الدكتور « محمود فوزي » أن يعطينا مهلة

نتدبر الأمر معا ، ونعود إليه بعد ذلك براينا . وكان رد « جمال عبد الناصر » : « هذا حقكما ، فانا قضيت الساعات الماضية أقلب هذا الاقتراح من جميع جوانبه » .

وخرجنا ـ الدكتور « محمود فوزى » وأنا ـ إلى جسر الباخرة نطوف حوله ونفكر والحوار بيننا يلاحق أفكارنا . كانت هناك اعتبارات تؤيد رأى " جمال عبد الناصر » وكانت هناك محاذير تدعو إلى التروى . وكانت مهلة الوقت المتاح للتفكير محددة ، وهكذا عدنا إلى المكتب الذى يجلس فيه الرئيس ، وعرضنا أمامه وجوه الأمر على اختلافها ، وقال له الدكتور « فوزى » : « إن الكفتين متساويتان ، واعتقد انك وحدك بحكم مسؤوليتك تستطيع الترجيح بينهما » . وبقى « جمال عبد الناصر » صامتا لدقيقة بدا وكانها زمنا طويلا ، ثم كان قراره بعد ذلك « ان نتوكل على الله ونذهب » .

ومرة أخرى تحولت الكابينة التي أعدت لـ « جمال عبد الناصر » على ظهر المدمرة المصرية » الناصر » إلى مركز قيادة .

كان السفير اليوجوسلافي في موسكو قد طلب موعدا عاجلا مع الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » وأبلغه السفير برسالة من « تيتو » تتضمن سؤالا يقول: • إن الماريشال تيتو يسألكم هل من المكن أن تضعوا طائرة ملكة من طراز تي يو ١٠٤ تحت تصرف الرئيس عبد الناصر لكي يعود بها إلى القاهرة فورا نظرا لاستحالة تقدمه عبر البحر الأبيض المتوسط بسبب مخاطر ازمة الشرق الأوسط خصوصا بعد تدخل الولايات المتحدة عسكريا في لبنان ، إن الـ « تى يو ، تستطيع قطع المسافة من مطار بولا إلى القاهرة في ثلاث ساعات ، وهذه مسافة تعرض مقبولة فضلا عن أن كل الاطراف التي اشتد غضبها في البحر الأبيض سوف يفكرون مرات قبل أن يهاجموا طائرة سوفيتية على فرض انهم اكتشفوا حقيقة ركابها « . وكان رد « خروشوف » على السفير هو قوله : « دعنى أصحح معلوماتك . طائرتنا الـ « تى يو ١٠٤ » معجزة علمية ، وهي قادرة على قطع المسافة من بولا إلى القاهرة في ساعتين فقط . ثم اضاف « خروشوف » أنه سوف يأمر بقيام الطائرة من موسكو فورا لتقلع إلى مطار بولا ف ظرف عشر دقائق. وبعث السفير اليوجوسلاق في موسكو بنتائج مقابلته مع « خروشوف » إلى الرئيس « تيتو » وكانت برقيته أمام » جمال عبد الناصر » في كابينة المدمرة « الناصر » في أقل من نصف ساعة . وقرأها « جمال عبد الناصر » ثم قرر أن يبعث عن طريق « تيتو » برسالة مباشرة منه إلى « خروشوف » وكان تيتو ۽ .

نصها: « إننى اقترح قبل ان اعود إلى القاهرة ان التقى بكم في اى مكان يناسبكم - إننى الآن في طريقي عائدا إلى بريوني ، وأمل عندما اصل إليها ان اجد ردا منك ينتظرني - جمال عبد الناصر » .

وصلت المدمرة « الناصر » إلى مياه جزيرة بريونى ، وتوجهت بناء على رسالة تلقتها بعيدا عن الميناء ـ نحو خليج عند الطرف الشرقى لها . وهناك التقاها قارب سريع نقل ركابها(١١) إلى الشاطىء ، وكانت تقف على رصيفه مجموعة من السيارات حملت الجميع إلى فيللا « بيانكا » مقر إقامة الرئيس « تيتو » .

كان « تيتو » واقفا على بابها ينتظر الرئيس ، وكان معه اربعة من مساعديه هم نائبه ه كارديل » ووزير داخليته « رانكوفيتش » ووزير خارجيته « بوبوفيتش » ووزير حربيته الجنرال ه جوشنياك » . وجلس الفريقان لاستعراض شامل ودقيق لآخر تطورات الموقف . وكانت أهم الأخبار المستجدة أن قوات بريطانية قد نزلت في الأردن بالطائرات ، ولعل أكثر ما لفت النظر في تفاصيل هذا الخبر المستجد هو أن الطائرات البريطانية عبرت المجال الجوى لاسرائيل في طريقها من قبرص إلى مطار عمان . وبدا ذلك خطرا إضافيا على موقف كان في الأصل مثقلا بالمخاطر . ودعى الجميع بعد ذلك إلى عشاء سريع ، فقد كانت الطائرة اله " تى يو الا السوفيتية جاهزة للانطلاق إلى موسكو في أى وقت . كان « خروشوف » قد اقترح السوفيتية جاهزة للانطلاق إلى موسكو في أى وقت . كان « خروشوف » قد اقترح أن يلتقى ب « جمال عبد الناصر » في موسكو لأنه أراد هو الآخر أن يكون قريبا أن يلتقى ب « جمال عبد الناصر » في موسكو لأنه أراد هو الآخر أن يكون قريبا أن حظات الأزمة من كل أجهزة القيادة السوفيتية السياسية والعسكرية .

2

كانت خطوة « ايزنهاور » التالية هى الالتقاء بقيادات الكونجرس ، فقد كان يعرف أنه إذا نزلت القوات فى لبنان قبل أن يتحدث إلى أعضاء الكونجرس ، فإنه سيواجه مشكلة كبيرة . ولعله أيضا كان يحتاج إلى وضع الكونجرس فى الصورة حتى إذا طرأت ظروف تفرض اتساع نطاق التدخل كان طريقه ممهدا . وبالفعل فإنه وجه

(۱۱) الرئيس «جمال عبد الناصر» والدكتور «محمود فوزى» والسيد «حسن صبرى الخولى» مسؤول الاتمىالات على الباخرة «الحرية»، ـ وانا .

دعوة عاجلة إلى قيادات الكونجرس (زعماء الأغلبية في المجلسين ، وزعماء الأقلية ، ورؤساء اللجان) ، وكان عددهم ٢٢ عضوا . وقد التقى بهم في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر . وقد كتب في يومياته عن هدفه من الاجتماع يقول :

«لقد كانت في ثلاثة أهداف من اجتماعي بهم في هذه اللحظات المصيرية . الهدف الأول : أن أخطرهم ، وأن أشرح لهم دواعي قراري بالتدخل العسكرى في لبنان _ والثاني : أن استطلع منهم اية أراء إضافية عن الموقف قد تكون غائبة عنى أو عن مساعدى _ وثالثها : أن أتحسس اتجاهات الكونجرس في حالة ما إذا كان علينا توسيع نطاق العمليات .

وفيما يتعلق بنتائج الاجتماع ، فقد كتب « ايزنهاور » في يومياته يقول :

القد استمعوا إلى باهتمام واستوضحوني في عديد من النقاط ، وكان الحاحهم باديا على نقطتين : أولاهما احتمال رد فعل لدى السوفيت ، والثانية هي الذرائع القانونية التي سوف نغطي بها تدخلنا العسكرى في لبنان . وقد سألنى السناتور فولبرايت في إحدى اللحظات بحدة عما إذا كان تدخلنا على هذا النحو في لبنان يعنى أننا نشترك في حرب أهلية لبنانية ، وما إذا كان ذلك موقفا صحيحا ؟

ولقد أحسست أنهم يعارضون أى اشتراك للبريطانيين معنا في العملية لأن مثل ذلك قد يستدعى أشباح السويس . كذلك أحسست أنهم على وجه القطع لن يقبلوا بتوسيع نطاق العمليات إلى أبعد من لبنان إلا اذا كان هناك ما يستدعى ذلك فعلا شريطة أن أحصل على تفويض دستورى بذلك من الكونجرس » .

Г

وانشغل « ایزنهاور » بعد ذلك فی إعداد بیان یوجهه للأمة فور إخطاره بأن عملیات الانزال قد بدأت فعلا . ویكتب « ایزنهاور » فی یومیاته أن أصعب نقطة واجهته هی اختیار التعبیر الذی یصف به عملیة الانزال ، فلم یكن یرید استعمال كلمة « تدخل » Intervention أو أی كلمة مشابهة یمكن أن یكون لها أثر سییء علی الرأی العام العالمی . واستدعی أحد مستشاریه القانونیین وبعد مناقشة معه استقر علی استعمال كلمة « تمركز » Stationed . واستدعی مستشاره الصحفی » جیمس علی استعمال كلمة « تمركز » كام فور ورود أول أنباء عن بدء عملیة الانزال .

وجاءته أول الأخبار عن بدء العملية وكانت مطمئنة ، فقد أبلغه الجنرال

«توایننج » أن طلائع وحدات البحریة نزلت إلى الشاطیء قرب بیروت ، وأن قائد الجیش اللبنانی اللواء «شهاب » كان بنفسه في استقبالها ، ومعه السفیر الأمریكی في بیروت « روبرت ماكلینتوك » (۱۲) . ثم جاء إلیه الجنرال « توایننج » بآخر تقدیرات هیئة أركان الحرب المشتركة ، وكان مؤداها أن القوات الأمریكیة التی ستنزل إلی الشاطیء حتی فجر الغد سوف یكون تعدادها ۱٤٣٥٧ جندیا – ومع أنه لا توجد حتی هذه اللحظة آیة دلائل علی إمكانیة حدوث مقاومة لها ، فإن هیئة أركان الحرب المشتركة تری أن تكون هناك خطة للتعزیز السریع إذا تغیرت الصورة في أی وقت . وكان اقتراح هیئة أركان الحرب هو إصدار أمر إنذاری إلی القوات الجویة الأمریكیة في أوروبا وأمریكا ، وبالذات قوات الضربة الأولی والتی یبلغ عدد طائراتها ۱۱۰۰ الحرب طائرة . وكانت توصیة « توایننج » مختلفة عن اقتراحات هیئة أركان الحرب المشتركة ، فقد كان رأیه أن صدور أمر إنذاری إلی مثل هذه القوة الكبیرة قد یدفع السوفیت إلی افتراض وجود خطط أمریكیة أوسع مما هو مقدر الآن ، وبالتالی فإن ردود فعلهم المبنیة علی استنتاج خاطیء قد تدفعهم إلی تصرفات تؤدی إلی آفعال ردود فعلهم المبنیة علی استنتاج خاطیء قد تدفعهم إلی تصرفات تؤدی إلی آفعال

وفكر اليزنهاور البضع دقائق ثم قال : « إنه يوافق على تقدير أركان الحرب المشتركة ولكنه لا يفعل ذلك من منطلق عسكرى ، وإنما من منطلق سياسى حتى يعرف السوفيت أننا جادون فيما نفعل » . وناقشه الجنرال و توايننج و أن « السوفيت قد يتمكنون في بضع ساعات من حل إشارات العمليات فيتبينون حدودها ، ويتصورون بعد ذلك أننا و نحاول تهويشهم » وذلك قد يدفعهم إلى المغامرة بقصد كشفنا . «

ورد اليزنهاور الملاحظة لها معنى وقد وردت ملاحظته بالحرف في يومياته حيث قال: وإن هدفي ليس تخويف الروس. فالروس سوف يعرفون حقيقة موقفنا هذه اللحظة بوسيلة أو بأخرى إن هدفي الحقيقي هو ناصر الذي يتصرف فيما يبدو في تحت ظن أننا لن نتدخل مخافة الصدام مع السوفيت. وذلك يعطيه حرية في الحركة غير محدودة ولابد أن نحاول إيقافه عند حد لا يتجاوزه الم

ويلفت النظر أن « ايزنهاور » سأل الجنرال « توايننج » عما إذا كانت القوات التي نزلت في لبنان قد اخذت معها أية إمكانيات نووية ؟ وقال الجنرال

وكانت رسائل « ماكميلان » الموعودة إلى « ايزنهاور » قد وصلت إلى « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية ، وقد حملها إليه لورد « هود » السفير البريطاني في واشنطن . وكتب وزير الخارجية الأمريكية مذكرة إلى الرئيس عن هذه الرسائل ، وبعث بالملف كله إلى « ايزنهاور » . وكان نص مذكرة « دالاس » كما يلى :(١٣)

« الرئيس ـ البيت الأبيض

عزيزى الرئيس: جاءنى اللورد هود يحمل رسالتين واردتين لكم من هارولد ماكميلان، وهما مرفقتان بهذه المذكرة ولا بد انكم ستطلعون عليهما. (فقرة كبيرة محذوفة)

بالنسبة للنقطة الواردة في الفقرة 1 اعلاه بشان ما إذا كنا نريد ان يشترك البريطانيون معنا في إنزال القوات إلى لبنان ، لقد قلت للورد هود إننا خططنا لهذه العملية منفردين ، ونفضل تنفيذها كما خططنا لها ، ونحن نفضل ان لا يشترك البريطانيون فيها _ فهذا يوافقنا اكثر .

وفيما يتعلق بطلب الأردن تاكيدا باننا سنتقدم لمساعدته ، فإننى اخبرت اللورد هود بان هذه مسالة جديدة تماما ولا يشملها تخطيطنا العسكرى الحالى ، ولذا فإنى لا ارى في الوقت الحاضر اننا نستطيع ان نعطى الملك حسين التاكيد الذى طلبه ، ولا ان نقبل ما اقترحه البريطانيون من حثه على طلب الضمان فورا . ومع ذلك فإننا سوف ندرس هذا الامر على وجه السرعة هنا في وزارة الخارجية ومع العسكريين » .

وقرر « ایزنهاور » آنه من المستحسن أن یتصل هو تلیفونیا برئیس الوزراء البریطانی « هارولد ماکمیلان » . وکتب « ایزنهاور » فی یومیاته عن هذا الاتصال التلیفونی یقول ما نصه : « إن ماکمیلان أبلغنی أنه تلقی طلبا بالمساعدة العاجلة من شمعون وحسین ، وقلت له إننا تصرفنا فعلا فیما یتعلق بطلب شمعون ، وقواتنا بدأت نزولها فعلا فی بیروت . ورد علی ماکمیلان ضاحکا بقوله : « إذن فأنت تواجهنی بسویس أمریکیة » . وقلت له : « إننا لا نریدهم معنا فی لبنان ، وإنه من الأفضل الآن أن یرتب نفسه للتحرك إلی الأردن بقوات مظلیین » . ثم وعدته أن فقدم له أیة مساعدات فی الامداد والتموین ، ثم أکدت علیه مرة آخری : « إننا نقدم له أیة مساعدات فی الامداد والتموین ، ثم أکدت علیه مرة آخری : « إننا

[&]quot; توایننج » : " إن هذه القوات قد صحبت معها كتیبة مدفعیة صواریخ من طراز « لیتل جون » المزودة برؤوس نوویة » . ورد « ایزنهاور ، بان « هذا أحسن » .

⁽١٣) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الامريكية بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٥٨.

⁽١٢) كانت تعليمات ايزنهاور إلى الجنرال توايننج عدم إخطار احد من المسؤولين اللبنانيين بموعد الإنزال بما فيهم الرئيس كميل شمعون ، ولكن طبائع الأمور ، وطبائع لبنان معا جعلت تنفيذ هذا الأمر نوعا من



الدبابات الأمريكية تنزل على شواطىء لبنان يصحبها ١٦٠٠٠ من الجنود الأمريكيين المزودين باحدث الأسلحة .

المتحدة فى مصر وسوريا _ إلا العبور فى الأجواء الجوية الاسرائيلية . واتصلت الحكومة البريطانية فيما يبدو بالحكومة الاسرائيلية تطلب موافقتها ، لكن رئيس وزراء اسرائيل « دافيد بن جوريون » أصر على أن الطلب البريطاني يجب أن يعززه طلب امريكي لأنه _ أي « بن جوريون » _ لدغ بما فيه الكفاية من البريطانيين في أثناء عمليات السويس .

لا نريد البريطانيين معنا في عملية لبنان » . ثم أكدت له أن عليه أن يكون واثقا من أننا لن نتخلى عن حليف لنا . ولكن طلبات ماكميلان تبدو لى غير معقولة ، فهو يريد منا الآن أن نقوم بتنظيف كل المنطقة مرة واحدة خلال عملية مشتركة كثيفة لا تكتفى بلبنان وحدها أو الأردن ، وإنما تمتد إلى العراق وسوريا . إن مثل هذه الخطط تثير مخاوفي ، فأنا أريد أن أحدد تدخلنا ولا أسعى إلى تصعيده ، وقد رفضت طلب ماكميلان بحزم »

وفى مساء هذا اليوم - ١٥ يوليو - أفضى « ايزنهاور » ليومياته الخاصة بالعوامل التي كانت تتنازعه في هذه الساعات الحرجة ، فكتب يقول متأملا :

«هذه اول مرة في مدة رئاستى الجا فيها إلى استعمال قواتنا المسلحة ، والحقيقة اننى افعل ذلك بمشاعر مختلطة . فانا لا اريد ان اعود إلى دبلوماسية المدافع Gunboat Diplomacy ، والحقيقة اننى لا ارى أن لبنان معرض لتهديد خطير فشمعون قد اعلن فعلا انه لن يعدل الدستور ، ولن يسعى إلى تجديد مدة رئاسته . كما اننى لا املك دليلا على اشتراك الروس أو المصريين فيما يجرى في لبنان ، أو فيما وقع في العراق . ولست ارى أن هناك مصالح حيوية لنا معرضة في هذين البلدين . وإذن فلمن احشد هذا الاستعراض الكبير للقوة ؟ بالتاكيد فهو غير موجه السوفيت ، ففي استطاعتهم أن يعرفوا ما هو اكثر مما يجرى على السطح . بالطبع إن الهدف الحقيقي هو ناصر . إن ناصر لابد أن يغير سياسته ، فهو يبدو لى مقتنعا بأن الولايات المتحدة بسبب تقاليدها الديمقراطية لا تستطيع أن تتحرك بسرعة وحزم لحماية مصالحها الحيوية . إننى في الغالب اريد بما افعله الآن أن أعطيه مادة للتفكير بينما هو يحاول تحقيق حلمه بتوحيد البلاد العربية . »

ومن اللافت للنظر أن المؤرخ الأمريكي « ستيفن أمبروز » الذي قام بمراجعة يوميات « ايزنهاور » بنصوصها الكاملة ، أضاف عندما بلغ هذه النقطة في دراسته عن تفكير » ايزنهاور » - عبارة لها رئين خاص . فقد ذكر » أمبروز » عند هذه النقطة :

« من الواضح أن القاعدة الرئيسية لسياسة الغرب في المنطقة هي العمل على إبقاء الدول العربية ضعيفة ومقسمة ومعتمدة على الغرب » .

ويبدو أن « ماكميلان » لم ييأس ، فقد قرر إرسال وزير خارجيته « سلوين لويد » إلى واشنطن على عجل . وبينما هو يطير فوق الأطلنطى يعبره من لندن إلى واشنطن طرأت مشكلة بشأن نقل قوات المظليين البريطانيين من قبرص إلى الأردن . فلم يكن هناك طريق تسلكه هذه القوات ـ مع استبعاد أجواء الجمهورية العربية

وفى الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم الخميس ١٧ يوليو ١٩٥٨ كان «سلوين لويد » في البيت الأبيض ، ويرافقه اللورد «هود » . وكان على موعد مع الرئيس « ايزنهاور » الذي طلب اشتراك وزير خارجيته « دالاس » في الاجتماع . وجرى عرض كل جوانب الموقف . وكتب « جون فوستر دالاس » للسجلات مذكرة عن هذا الاجتماع جاء فيها بالنص :(١٤)

« إن وزير الخارجية عرض امام الرئيس ما ناقشه مع وزير الخارجية البريطانى لويد في اجتماعهما قبل ذلك . وقد اتفقا على انه من الضرورى على بريطانيا والاردن الآن إلقاء بيان في مجلس الأمن بشان الاستجابة البريطانية لما طلبه الملك حسين من مساعدة عسكرية ، وانهما يتصوران معا انه لا داعى لادراج الموضوع في اعمال مجلس الامن حتى يمكن تفادى اى مناقشة مع مصر في هذا الصدد .

وقد ابدى الرئيس استغرابه من حالة الجماهير العربية التى استولى عليها ناصر بهذا القدر الكامل . ولاحظ الرئيس اننا اخفقنا في القيام باى جهد له قيمة في توزيع المعلومات وبث الدعاية في البلاد العربية . وبالتاكيد فإننا لم نساعد اصدقاءنا . بالقدر الكافي في هذا المجلل . وقال الرئيس لابد أن نكون اكثر ذكاء في فهم حقيقة أن القومية العربية لا تتعارض مع العالم الحر ، ولكننا لا نفهم ذلك بالقدر الكافي بينما استطاع الشيوعيون أن يتبنوا مفهوم القومية العربية ، وقاموا بعمل افضل في كسب عقول الشعوب العربية . وقد أشار وزير الخارجية (دالاس) إلى اننا نبذل جهودا كبيرة لانشاء محطة إذاعة قوية في قبرص ، ولكن هذا المشروع يتعثر رغم انه بدا منذ سنتين . وتذكر الرئيس أن السفير هيث كان قد اخبره أن هناك محطة إذاعة قوية العربية السعودية لو امكن الحصول على موافقة الملك سعود .

ا (فقرة محذوفة) .

وقد ذكر سلوين لويد أن رئيس الوزراء هاروك ماكميلان طلب منه أن ينقل إلينا عرفانه بتاييد الولايات المتحدة لهم في عملية الأردن ، وهم يقدرون أية مساعدات نستطيع تقديمها لهم ، ولكنهم ما زالوا على اعتقادهم بضرورة توسيع نطاق العملية وجعلها جهدا مشتركا بيننا وبينهم ، فذلك يجعل العملية نوعا من الردع الفعال . وأشار الرئيس إلى أن الولايات المتحدة لا تتمتع مثل بريطانيا بمزايا حكومة برلمانية تساندها اغلبيتها في أي قرار تتخذه ، على عكس الواقع في النظام الرئاسي الأمريكي ، والذي يفرض على الرئيس أن يتعاون خطوة بخطوة مع الكونجرس . وقد الما الرئيس إنه من هذه الاعتبارات فإن عملياتنا في البحر الأبيض المتوسط كان لابد من تقديمها كعملية مقتصرة على لبنان . ومع ذلك فإن من المؤكد أننا سنقف مع

البريطانيين كتفا بكتف . ولكن كما كان الحال في عملية « تورش «(١٠) ، فقد عرضت فرص كان من الخير فيها توزيع الجهد ، فيختص كل طرف من الحلفاء بمهمة .

وجرى حديث موجز عن تحركات القوات البريطانية داخل عمان ، ولم تكن هناك إلا معلومات قليلة . وكذلك كانت المعلومات قليلة عن وجود مؤامرة ضد الملك حسين دفعته إلى طلب القوات . وقد ذكر الوزير انه تم الاتصال به في الساعة الثانية صباحا لان الاسرائيليين اصروا على ان نؤيد الطلب البريطاني قبل ان ياذنوا للقوات البريطانية بعبور اجوائهم إلى عمان ، وانه وافق على تقديم تعزيز امريكي للطلب البريطاني .

وقد ذكر سلوين لويد أن البريطانيين نقلوا ٢٢٠٠ جندى من جنود المغللات إلى عمان ، وانهم سوف يحتفظون في المؤخرة بمجموعة لواء احتياطى . وهم لم يرغبوا في إرسال عدد أكبر من القوات بسبب مشكلة التموين الذي يتعين نقله جوا .

وذكر الوزير انه تحدث مع سلوين لويد حول مشكلات الخليج الفارسى ، ومنشات البترول الغربى هناك ومطالب تامينها ، وقد الللا على إحالة هذا الموضوع إلى اللبنة المشتركة للخبراء . وفي اعتقاد سلوين لويد انه بصرف النظر عما يمكن ان يقوله الخبراء ، فهناك مواقف لابد من التمسك بها . فلبريطانيا قوات في البحرين ، واتفاقية مع شيخ الكويت للدفاع عن هذه المنطقة . وذكر الوزير (دالاس) ان السفير هيث يعتقد بان الملك سعود قد يرحب بوجود عسكرى ما في مطار الظهران يمكن استخدامه عند الضرورة .

وظرح الرئيس اهمية زيادة قوة إيران وتركيا . ففى هذين البلدين من الروح المعنوية اكثر مما يوجد في اى مكان آخر من الشرق الأوسط . واضاف الرئيس إنه يتعين ان يكون لدى إيران ١٢ فرقة في وضع جيد ، والترتيب بعد ذلك لاضافة فرقتين اخريين . وقال إنهم يريدون بناء قواتهم العسكرية بسرعة اكبر ، ولابد ان نحاذر . فإذا زادت قوتهم عن الحد الذى تستطيع قيادتها ان تتحكم فيه ، فإن مؤسستهم العسكرية ممكن ان تتمزق من الداخل(٢١) .

وفى نهاية الاجتماع علا سلوين لويد فاثار مع الرئيس أمال بريطانيا ال احتمال الاشتراك فى عملية اوسع . ولم يعطه الرئيس أى تشجيع ، ولكنه قال له أن يطمئن لاننا لن نرضى أن يصبح البريطانيون فى ورطة وحدهم . •

⁽١٤) وثائق وزارة الخارجية الأمريكية (مجموعة شهر يوليو ١٩٥٨).

⁽١٥) الاسم الرمزى لحملة الحلفاء في شمال افريقيا لتحريرها من حكومة ، فيشى ، الموالية للألمان ، وقد كان ، الإنهاور ، نفسه هو قائدها ، وكانت الحملة امريكية بالدرجة الأولى ، وكانت مشاركة البريطانيين فيها بالضغط على الألمان من جبهة اخرى هي جبهة تونس التي كان يقودها الماريشال البريطاني ، الكسندر ، . (١٦) كان ايزنهاور في هذه النقطة بعيد النظر إلى حد كبير كما ثبت فيما بعد عند سقوط النظام الملكي في إيران .



فجر يوم ١٧ يوليو هبطت الطائرة التي كانت تقل « جمال عبد الناصر » في مطار « فينوكوفو » ، وطلب إليها برج المراقبة في المطار أن تتوجه إلى نهاية أحد المرات البعيدة ، ثم تتوقف هناك . ونزل " جمال عبد الناصر " ومعه ركابها الثلاثة ليجد ثلاثة مستقبلين في انتظاره وهم «ميكويان » نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ، والجنرال « سيروف » رئيس هيئة المخابرات السوفيتية الـ K.G.B. ، ومعهما « سوبوليف » المترجم الاخصائي في اللغة العربية . واتجهت بهم السيارات إلى ضاحية « كاليتشوها » ودخلت إلى ساحة قصر صغير تحيط به الأشجار العالية من كل جانب . ونظر « ميكويان » إلى ساعته ، وقال للرئيس « جمال عبد الناصر » : « إن الساعة السادسة صباحا الآن ، وأنتم بالتأكيد تحتاجون إلى بعض الراحة ، وسوف ط يجيئكم الرفيق نيكيتا خروشوف الساعة العاشرة تماما » . ثم انصرف « ميكويان » . ولم يكن هناك متسع لأى راحة بحكم تدافع حركة الحوادث ، وضرورات الاستعداد لها بما في ذلك الترتيب لاجتماع « جمال عبد الناصر » مع « نيكيتا خروشوف » الذي تقرر إتمامه بعد أربع ساعات . وطلب الرئيس إلى الدكتور " محمود فوزى " وأنا أن نجلس معا لوضع تصور لما يمكن أن يثار مع « خروشوف » . وبدت أمامنا لأول وهلة مشكلة الاتصال بالسفير المصرى في موسكو « محمد عوض القوني » ، فإن القاهرة كانت قد اخطرت بطريقة سرية بتحويل كل رسائلها الشفرية إلى الرئيس على السفارة في موسكو. ولما كانت هناك شفرة خاصة للرسائل طوال هذه الرحلة ، فقد كان مؤكدا أن السفارة في موسكو الآن في موقف محير لأنها بدأت فجأة تتلقى رسائل بشفرات لا تملك مفاتيحها . وكانت إجراءات الأمن تفترض الا يعرف أحد بوجود « جمال عبد الناصر " في موسكو في هذه الساعات . وهكذا قام المترجم " سوبوليف " - وكان قد ظل في قصر الضيافة ليقوم بمهمة الاتصال مع السلطات السوفيتية في حالة ما إذا اقتضى الأمر داعيا لمثل هذا الاتصال ـ بإبلاغ وزارة الخارجية برغبة الوفد المصرى في مجيء السفير « القوني » إلى قصر الضيافة بأى وسيلة يختارونها .

وبالفعل اتصل وكيل الخارجية السوفيتية بالسفير « القونى » في بيته ، وكانت الساعة السادسة والربع صباحا ، وقال له : « إنه مطلوب بصفة عاجلة لتلقى رسالة هامة في وزارة الخارجية . ولما كانت الوزارة تعرف أن سائق سيارته لم يحضر بعد في هذا الوقت من الصباح المبكر _ فإن الوزارة سوف تبعث إليه بسيارة خاصة تنقله إلى

مقرها ». وبنزل السفير « القونى » بسرعة ليجد سيارة من وزارة الخارجية ف انتظاره ، وقد أسدلت الستائر السوداء على نوافذها . ودخل إليها ، وإذا هى تنطلق بأقصى سرعة في التجاه أخر يعرف بحكم خبرته بتخطيط موسكو أنه لا يؤدى إلى وزارة الخارجية . وحاول أن يستفسر من السائق ، ولكن السائق لم يرد عليه إلا بكلمة «خراشو » أى حسنا . ولعدة دقائق اعتقد السفير « القونى » أنه تعرض لعملية خطف ، ولم يكن أمامه ما يفعله والسيارة تنطلق به خارجة من موسكو إلا أن يقبع في مكانه ساكنا ، وينتظر ما تجىء به المقادير . وبعد رحلة حافلة بالقلق دخلت السيارة المقلة له إلى قصر الضيافة في « كاليتشوها » ونزل منها السفير » القونى » وتصادف وقتها أن كان الدكتور « محمود فوزى » وأنا جالسين على أريكة في الحديقة نناقش الموقف ، ونسجل خواطرنا على ورق لكى نكون مستعدين لاجتماع مع الرئيس قبل اللقاء مع « خروشوف » .

وكانت دهشة السفير « القونى » بالغة ، خصوصا عندما عرف أن « جمال عبد الناصر » بنفسه موجود داخل قصر الضيافة .

وفي الساعة العاشرة جاء «خروشوف». وتحولت غرفة المائدة إلى قاعة اجتماع . وبدأ « خروشوف » يتحدث « فأبدى سعادته بأن « جمال عبد الناصر » قرر لقاءه قبل أن يتوجه إلى المنطقة ، وأنه طلب طائرة سوفيتية سريعة لتنقله إلى هناك ، ثم أضاف : « الحقيقة أننى كنت في غاية الدهشة عندما سمعت أنكم على ظهر باخرة صغيرة تتقدمون ببساطة نحو البحر الأبيض . إن هذا البحر ملىء الآن بكثيرين لا يتمنون الخير لكم . وبالتأكيد فقد كان يسعدهم أن يجعلوا منكم وجبة شهية لبعض أسماكه « . وأقبل أحد الخدم بكأس ملأه بالفودكا ووضعه أمام « خروشوف » ، ودق « خروشوف » على المائدة قائلا لرئيس الخدم : « ارفع هذا من أمامي » . ثم التفت إلى * جمال عبد الناصر » يقول له :« حينما تكون معى فأنا لا اشرب ابدا . انا اعلم انك مسلم متدين ، وانا احترم عقيدتك » . ثم التفت إلى الناحية التي كان يجلس فيها الدكتور « فوزى » وأنا ، وقال لنا : « لقد كان يسعدهم أن يواجهوه وحده في البحر الأبيض. فهم يعرفون أنه أصبح رمزًا لكفاح العرب، ولهذا فإن المعركة الدائرة اليوم اصبح محورها هذا الشاب ودوره » . قالها « خروشوف » وأشار إلى « جمال عبد الناصر » . ثم ملأ كوبا أمامه بالمياه المعدنية وقال : « إنني اشرب نخب كفاح الشعوب العربية ، ونخب انتصار العرب ، ونخب قائد العرب » . ثم مضى « خروشوف » يقول : « أنا لا أتكلم عن الغيب ، ولكنى أومن بمنطق التاريخ . لقد انتهى الاستعمار، وانتهى عهد الامبراطوريات، وأنا أرى أمامي هزيمتهم

كاملة . إنهم لا يرون انفسهم على حقيقتهم ويتمسحون بعبارات عن الديمقراطية ، ويتعلقون بأذيال ادعاء الدين » . ثم وصل « خروشوف » إلى صلب الحوادث حين قال :« إن ثورة العراق كانت مفاجأة لهم ، لقد سقط حلف بغداد » فهل يتصور احد الآن حلف بغداد بغير بغداد ؟ أو أن بغداد أصبحت فجأة ضعد حلف بغداد ؟ لقد حذرتهم طويلا . عندما كنا في لندن أنا وبولجانين قال لى ايدن : « إذا تأكد لنا أن بترولنا في الشرق الأوسط معرض للخطر « فسوف ندخل الحرب » . وقلت لايدن يومها : « استعمل عقلك . ماذا سيفعل العرب ببترولهم غير أن يبيعوه لكم ؟ - إن الاتحاد السوفيتي ينتج من البترول أكثر من حاجته ، فهو إذن ليس طامعا ، وليس مشتريا لبترول الشرق الأوسط ، وإنما أنتم في الغرب المشترى الوحيد » . « وضحك « خروشوف » ثم استدرك قائلا : « ولكن المشترى غير اللص ، وهم لا يريدون شراء البترول ، وإنما يزيدون سرقته « المشترى غير اللص ، وهم لا يريدون أن ثورة العراق تهدد البترول » .

وهكذا مهد « خروشوف » بنفسه للموضوع الذي يطرح نفسه للمناقشة ، وهو ثورة العراق وتداعيات الموقف بعدها . كان السفير « محمد القوني » قد سارع إلى إعداد ترتيبات لارسال البرقيات الشفرية الواردة من القاهرة إلى قصر الضيافة . كما أن الجنرال « سيروف » (مدير المخابرات) الذي كان قد جاء ف صحبة « خروشوف » أيضا (مع « ميكويان » ومع وزير الخارجية « جروميكو ») كان يحمل معه ملفا بآخر التطورات عما يجري في الشرق الأوسط . وبعد استعراض المعلومات من مصادرها المتعددة جرى بحث كل الاحتمالات . وطال اللقاء إلى موعد الغداء ، ثم اتصل بعده إلى المساء ، وكان ملخص وجهة نظر « جمال عبد الناصر » من ناحية :

« أن الموقف خطير ، وأن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد أن تضاعف من خطورته ، وأنها سوف تبذل كل جهدها للسيطرة على ردود افعالها لأنها لا تقبل أن تعرض السلام العالمي للخطر . وأنه عندما يعود إلى المنطقة ـ اليوم ـ فإنه سوف يبذل كل جهده لتهدئة أعصاب كل الأطراف لكنه يشعر أن بعضهم يدفع الأمور إلى مناطق خطرة » .

وبدا تشوق « خروشوف » شدیدا لمعرفة آیة تفاصیل قد تکون لدی « جمال عبد الناصر » عن القیادة العراقیة الجدیدة (وکانت قد برزت بالفعل ثلاثة اسماء هی : « عبد الکریم قاسم » و « عبد السلام عارف » _ وبعدهما کان هناك اسم اللواء « نجیب الربیعی » الذی عین رئیسا لمجلس السیادة) .

وقال « خروشوف » لـ « جمال عبد الناصر » صراحة : « الواضح انهم رجالك ؟ » .

ورد « جمال عبد الناصر » على « خروشوف » بانه بهذا السؤال يقع في نفس الخطا الذي يقع فيه الغرب حين يتصور أنه وراء كل حدث يجرى في أي وطن عربي . ثم قال لــ « خروشوف » إنه « لا يعرف أحدا من هؤلاء القادة الذين تتردد اسماؤهم في معرض الثورة العراقية ، ولم يلتق في حياته بأحد منهم « .

ثم قال لـ « خروشوف » : « إذا كنت انت بتجربتك الكبيرة [الثورة تسالنى هذا السؤال ، فإن ايزنهاور ودالاس معهما العذر عندما يوجهان إلى الاتهام باننى « مدبر الثورات » في العالم العربي » .

وراح « جمال عبد الناصر » يعطى لـ « خروشوف » فكرة عامة عن القومية العربية ، وعن الحالة الثورية في الأمة العربية في الظروف الراهنة ، وخلص في هذه النقطة بأن قال : « لقد كان هناك مخزون محبوس من الآمال والتطلعات لدى كل شعب عربى ، فلما بدا أن الثورة المصرية قادرة على فتح الطريق تدافع كل المخزون والمحبوس من الطاقات ـ تيارات وحركات عارمة بغير ترتيب من احد وبغير تخطيط » .

ثم قال * جمال عبد الناصر » لـ « خروشوف » :« إننى أول من يساوره القلق في بعض الأحيان نتيجة لتدافع الحوادث ، فهذا التدافع ليس فقط أكثر مما تحتمله أعصاب الغرب بل إنه في نفس الوقت أكثر مما نستطيع نحن تحمل مسؤوليته ، ولكن المشكلة « أننا لا نستطيع أن نصد عفوية الجماهير ولا حقها المشروع في تكسير أغلال التبعية * .

وسأله « خروشوف » عما إذا كان « ينوى ضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة ؟ " ورد « جمال عبد الناصر » بأن استعمال كلمة " ضم " دليل على أنه فشل في التعبير عن آرائه بالنسبة لحركة القومية العربية . وأبدى " خروشوف » ملاحظة مؤداها أن " التنظيم " هو الذي يحل المشاكل التي أثارها " الرئيس " حول حركة القومية العربية . ورد « جمال عبد الناضر " بأن فكرة " التنظيم " مازالت تبحث لنفسها عن إطار في الواقع العربي ، ومع ذلك فإذا كان " التنظيم " ممكنا في إطار مشروعية دولة واحدة فإنه صعب على النطاق العربي العام " مع أن ذلك هو النطاق الفعلي لحركة التفاعلات الجارية في العالم العربي كله . ثم قال : " إنني حرصت دائما على أن لا يكون لنا تنظيم خارج حدود الدولة ، ومع ذلك فقد اتهمنا بذلك دون أن نكون قد مارسناه " فكيف إذا كنا مارسناه بالفعل ؟ " .

ثم عاد « جمال عبد الناصر » إلى سؤال « خروشوف » عن العراق والجمهورية

العربية المتحدة ، وكان رأيه : « كما قلت لك ، فأنا لم التق بالقيادات الجديدة للعراق ، وإن كنت اتوقع أن يحدث ذلك بعد عودتى إلى المنطقة ، ولكن شعورى الآن هو الاستعداد لأكبر قدر من التعاون والتنسيق بغير وحدة ، فنحن ما زلنا نحاول حل مشاكل الوحدة بين مصر وسوريا » . وأضاف « جمال عبد الناصر » ملاحظة ذات معنى قال فيها : « ومن سوء الحظ أن أصدقاءكم الشيوعيين السوريين لا يجعلون حل هذه المشاكل سهلا ، وإنما هم يعقدونها بأكثر مما هى معقدة » . وفهم « خروشوف » مغزى الملاحظة ، فرد على الفور ب « إنهم لا يتدخلون بين العرب وبعضهم ، وأنهم لم يفتحوا فمهم بكلمة فيما يحدث للشيوعيين في مصر ، أو لما حدث لهم في سوريا » .

ثم قال * جمال عبد الناصر » : « فيما يتعلق بالموقف الراهن ، فإنى أراه في حاجة إلى اعصاب ، وأنا أرى أعصاب الغرب « فالتة » . وبصراحة فإنى أفهم قلقهم ، فالمنطقة تبدو أمامهم كشلال يتدفق ، ومهما كان رأيى في سياساتهم السابقة واللاحقة في المنطقة ، فأنا على استعداد لأن أرى أن العصبية التي يتصرفون بها لها ما يبررها ولو جزئيا . ولكنى لا أعرف كيف تتطور الأمور » .

ثم قال : " إنه أرسل فعلا إلى قادة الثورة العراقية بنصيحته أن يحرصوا على استمرار تدفق النفط العراقي إلى الغرب حتى لا يخلقوا لأنفسهم مشكلة لا مبرر لها ، فهم في كل الأحوال - على حد تعبير خروشوف - لن يشربوا بترولهم وإنما هم يريدون بيعه » .

ثم أضاف: « إنه مع هذا كله أراد أن يعرف مباشرة موقف الاتحاد السوفيتي في حالة ما إذا أصر الآخرون على التصعيد دون مبرر حقيقي أو قانوني أو أخلاقي « .

وكانت وجهة نظر « خروشوف » أن « جمال عبد الناصر » مصيب فعلا في تقديره أن الأمريحتاج إلى أعصاب من حديد . وإلى أعصاب باردة . وأن الذى سينتصر في المواجهة الجارية الآن في الشرق الأوسط هو الذى يستطيع أن يضع اعصابه في ثلاجة . وأضاف « خروشوف » أن « معلوماتهم تؤكد أن الولايات المتحدة لا تنوى توسيع نطاق العمليات لأنهم يعرفون أنهم إذا فعلوا فإن العالم العربى كله ضائع منهم لا محالة . ومع أن بعض أصدقائهم يحاولون توريطهم فيما هو أكثر ، فإن ايزنهاور يعلم من الحقائق المحتملة لأى مواجهة نووية بيننا وبينهم ما يكفيه ليلزم جانب الحذر . نحن أيضا نلزم جانب الحذر « وأريد أن يكون ذلك واضحا أمامكم . فليس هناك في العالم سياسي يستطيع أن يأخذ على ضميره أن يعرض شعبه لأهوال حرب نووية . ولذلك فيجب أن تبنوا موقفكم

على اساس انها مواجهة سياسية ، وليست عسكرية ، ولا يجب ان تكون عسكرية . وهى مواجهة اعصاب باعصاب . وانتم ارحتمونى كثيرا حينما وصفتوها بذلك « الوصف الصحيح » . »

ثم أضاف * خروشوف * أنهم « حتى من قبل أن يصل الرئيس عبد الناصر إلى موسكو أصدروا الأوامر لقواتهم للقيام بتحركات ومناورات لحلف وارسو فل منطقة البلقان وفي مواجهة تركيا . والهدف من هذه التحركات ليس عسكريا ، ولكن الهدف هو التأثير النفسى وليس أكثر » .

كانت المواقف تتحدد ، وزوايا الصورة تزداد وضوحا أكثر فأكثر حين جاء الجنرال « سيروف » ومعه خطة لعودة « جمال عبد الناصر » إلى المنطقة . وكان رأى « سيروف » أن الأسلم هو أن تتجنب الطائرة بكل الوسائل طريق البحر الأبيض ، وأن تتجه من موسكو إلى القوقاز ، وتعبر فوق إيران ، ثم فوق العراق إلى دمشق . ثم قال : إنه بعث إلى سفير الاتحاد السوفيتي في طهران بتعليمات لطلب مقابلة الشاه بصورة عاجلة لكى يطلب منه إذنا بمرور طائرة سوفيتية خاصة عبر الأجواء الايرانية . وبالفعل فإن السفير السوفيتي اتصل بقصر « المرمر » في طهران ، وطلب مقابلة عاجلة مع الشاه فورا لأن معه رسالة من « خروشوف » لا تستطيع الانتظار إلى الصباح .

وهكذا مضت ساعات المساء في انتظار رسالة من طهران عن لقاء الشاه مع السفير السوفيتي ، وفي هذه الفترة فتح « جمال عبد الناصر » موضوع إسرائيل ، وكان رأيه : « إن إسرائيل عنصر في الموقف يصعب حساب حركته ، فهم بعد الثورة في العراق سوف يحسون أكثر بوطاة الحصار العربي عليهم إذ يجدون أن حلقاته توشك أن تتصل » .

وكان رأى « خروشوف » أن « المشكلة الحقيقية هي البترول وموارد الشرق الأوسط، فهذا هو الاعتبار الذي يؤدي إلى شعور الولايات المتحدة بالتهديد » . وكان رأيه أن « إسرائيل هي مجرد أداة لسياسة الغرب يستعملها إذا أحس بالخطر » .

ثم قال « خروشوف » : « إن الغرب يهددكم بقدرته على أن يستغنى عن بترول الشرق الأوسط بالطاقة الذرية ، وأنا أرى في ذلك وهما ، واعتقادى انه للخمسة والعشرين عاما القادمة فإن الحياة في الغرب سوف تتوقف على البترول العربي ، وأنه عرف أن الانجليز لديهم برنامجا يقضى بالاعتماد على المحطات النووية في احتياجاتهم من الطاقة بنسبة ٤٠٪ خلال عشر سنوات ، وأنه يرى في ذلك وهما كبيرا ، فلربع قرن قادم على الأقل ليس هناك بديل عن البترول العربي ،

0

كان «جمال عبد الناصر» و « ايزنهاور » ف سباق على الأصدقاء ف هذه الساعات التي بدأت فيها المواجهة تأخذ طابعا سياسيا .

كتب = جمال عبد الناصر = وهو ما زال بعد في يوجوسلافيا رسائل إلى رؤساء الدول الافريقية الآسيوية ، وبالذات هؤلاء الذين يشاركونه نفس الاتجاه السياسي ، وفي مقدمتهم = نهرو = و « سوكارنو » و « أونو » و « شوين لاي = . ومن المفارقات أن « ايزنهاور = كان يكتب في نفس اللحظة إلى كل من « نهرو » و« سوكارنو » و « أونو = = ولم يكتب لـ « شوين لاي » بالطبع .

وبلغ السباق على الأصدقاء أشده . وكان ضمير العالم هو جائزة هذا السباق التى تستطيع ترجيح كفة طرف على طرف . وكتب السفير الأمريكي في الهند « الزورث بانكر » تقريرا عن مقابلته لـ « نهرو » جاء فيه ما يلي :(۱۷)

« اتاح لى تقديم رسالة الرئيس إلى نهرو الفرصة لكى اشرح لرئيس وزراء الهند خلفية الإجراءات التى اتخذتها الولايات المتحدة في لبنان واسبابها . وفي البداية كان نهرو شديد الانزعاج بصورة واضحة . بعد ساعة وربع الساعة من حديثنا في بيته بدات اعصابه تسترخى . وراح يسمعنى بجدية شديدة . وكان هدوؤه غير مشوب باى انفعال . ولا اشك في انه يكن للرئيس ايزنهاور احتراما كبيرا اشخصه ولولائه الصادق لقضية السلام . ولكن من الواضح أن نهرو لا يتفق مع تقييمنا للأحداث التى تجرى على مسرح الشرق الأوسط ، فهو يعتقد أن القومية العربية قوة عارمة ينبغى أن يحسب لها كل حساب لفترة طويلة مقبلة ، وأن على الدول العربية في المنطقة أن يكون لها حق اختيار سياساتها دون أى تدخل اجنبى . وفيما يتعلق باهم النقاط التى برزت في هذا الحديث ، فسيرسل تقرير وأف عنها اليوم في الحقية إلى المستر بارتك في هذا الحديث ، فسيرسل تقرير وأف عنها اليوم في الحقية إلى المستر بارتكت في لجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتكت في لجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتكت في لجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتكت في لجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتكت في لجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتكت في المنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتكت في الجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتكت في الجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتكت في الجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هي المستر بارتك في المستر بالمستر بالمستر بارتك في المستر بالمستر بالمستر

ان نهرو يرقب إنزال قوات عسكرية في اى مكان بقلق شديد ، وموقف حكومة الهند يتلخص في انه يتعين سحب القوات الاجنبية باسرع ما يمكن .

٢ - أن نهرو قد اطلع بعد عودته من « أشه أباد » على بيان الرئيس في الكونجرس وخطابه في الاذاعة ، وكان رأيه أن أي محاولة من جانبنا للبكاء على نورى السعيد

وإن كان الاتحاد السوفيتي لا يحتاج إليه لأنه ينتج الأن سنويا أكثر من مائة مليون طن (سبعمائة مليون برميل).»

ثم دارت مناقشات حول الأوضاع العالمية ، وأخيرا جاءت برقية السفير السوفيتى في طهران ، ومؤداها ، أن الشاه وافق على طلب مرور الطائرة دون أن يسأل عن ركابها ، وأنه وافق بغير تردد ، وكان الارتياح باديا عليه عندما عرف أن هذه هي حدود الموضوع الذي دعا السفير السوفيتي إلى مقابلته على هذا النحو العاجل »!

وعند منتصف الليل كان «جمال عبد الناصر» يعود من «كاليتشوها» إلى مطار «فينوكوفو» ويتوجه إلى نهاية الممر الذي تقبع فيه الطائرة التي خصصت له ، وتصعد الطائرة إلى الجو ، وتنطلق بأقصى سرعة في اتجاه الجنوب . وقد هبطت للتزود بالوقود في مطار «صوفيا» قبل الفجر حتى تتمكن من مواصلة الرحلة إلى دمشق بغير توقف . وفي مطار «صوفيا» كان هناك حشد من القوات الجوية التابعة لحلف وارسو » وكان واضحا أن هذا الحشد جزء من حرب الأعصاب التي تجرى بين القوتين الأعظم من حول الشرق الأوسط الذي كان يعيش واحدة من أخطر أزماته .

وفي ضحى يوم ١٨ يوليو عبرت طائرته فوق بغداد ، وأطل من نافذتها على العاصمة العراقية ، وبعث ببرقية تحية إلى « عبد الكريم قاسم » ثم وصل إلى دمشق بعد الظهر بقليل ، وفي عصر اليوم ذاته كان واقفا يتحدث إلى بحر من الجماهير احتشدوا في ساحة قصر الضيافة . وكان حديثه للجماهير دعوة إلى العقل حرصا على سلام العالم . وكانت إذاعة موسكو تذيع بيانا مؤداه أن جيش القوقاز وقوامه نصف مليون جندى يقوم بمناورات ضخمة على حدود تركيا وإيران .

ولعل الاعلان الواسع عن هذه المناورات لم يكن موجها إلى الولايات المتحدة بقدر ما كان موجها لتركيا ، ذلك أن الحكومة التركية راحت تتصرف بانفعال شديد إلى درجة أن " الباى ميشيل " الوزير المفوض الاسرائيلي في انقرة وقف في حفل دبلوماسي يقول صراحة : « إن الولايات المتحدة سوف تتكفل بصيانة استقلال لبنان ، وأن بريطانيا سوف تتكفل بحماية الأردن ا وأن إسرائيل وتركيا عليهما الآن أن تتكفلا معا بسوريا »!!

⁽١٧) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ـ البرقية رقم ١٣٥٤٣ بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٥٨ ـ الساعة ٩,٤٨ صباحا .

تقریسر بفسداد



عندما وقف « جمال عبد الناصر » يخطب أمام الجماهير المحتشدة أمام قصر الضيافة مساء يوم ١٨ يوليو _ كانت المفاجآت التي وقعت في الأيام الأربعة السابقة والتي انقلبت بها الموازين في المنطقة _ قد تحولت إلى حقائق واقعة . خف أثر المفاجأة بعض الشيء ، وأفسح مكانه لنوع من الحيرة والتخبط تجلى في تصرفات اطراف كثيرة .

من ناحية كانت رحلة « جمال عبد الناصر » السرية إلى موسكو قد بدت امرا غير قابل للتصديق في عدد من العواصم الغربية ، وأولها لندن التى وقف فيها المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية ليقول : « إن وزارة الخارجية البريطانية تشك في ان هذه الرحلة وقعت بالفعل ، وأنها تعتبر أن الأنباء التى راجت عنها هى نوع من حرب الأعصاب » . وعندما أكد « عبد الناصر » بنفسه في خطابه من شرفة قصر الضيافة بدمشق أنه كان في موسكو بالفعل ، وأنه التقى ب « خروشوف » وتباحث معه طوال نهار يوم ۱۷ يوليو - كانت الدهشة واضحة في لندن ، ومعها التساؤل عما دار في اجتماع « عبد الناصر » و « خروشوف » وقد طرح هذا التساؤل في الوقت نفسه من عنصرا من القلق حول ما يمكن أن يكون الاتحاد السوفيتي قد قطعه على نفسه من تعهدات .

وكانت واشنطن بدورها في حالة حيرة ، ولم يجد الرئيس ، ايزنهاور ، ما يعلق

لا جدوى منها لأن نظامه كان يفتقر إلى الشعبية ، ثم إن شمعون شخص غير مرغوب فيه .

٣ ـ كان رأى نهرو أن نزول قواتنا في لبنان واحتمال دخولها في اشتباكات عسكرية في ذلك البلد هو وضع مؤسف يعطى للشيوعيين الفرصة لشن حملات دعائية واسعة ضدنا .

الرغم من انتقاد نهرو وشكوكه ، فإن نصيحته لنا هى أن نعمل من خلال الأمم .
 المتحدة ، وليس بواسطة التظاهرات العسكرية . »

وكان « خروشوف » فى حلبة السباق أيضا ، فقد كتب إلى شاه إيران يقترح عليه لقاء بينهما . ولعله كان يريد تحييد أو تخويف أصدقاء الولايات المتحدة بنفس الدرجة التى كان « ايزنهاور » يحاول بها تحييد أو تخويف أصدقاء الجمهورية

ومن طهران يكتب السفير الأمريكي « ويلز » تقريرا عن مقابلة له مع الشاه يجيء فيه :(١٨)

«قال لى الشاه إن السفير السوفيتى جاء إلى مقابلته ، وقدم له دعوة لمقابلة خروشوف فى منطقة على الحدود السوفيتية الإيرانية حيث يتهيا لهما معا الاستمتاع برحلة صيد . وابتسم الشاه وهو يستعيد هذه العبارة ، ثم علق بقوله :

اليس في هذه المنطقة صيد » ثم اضاف انه أبلغ السفير السوفيتي بانه سيبحث الدعوة في ضوء مصالح إيران . ثم قال لى الشاه بجدية : « إنه يريد مشورة واشنطن فيما إذا كان مناسبا ان يعقد هذا الاجتماع مع خروشوف • وهو شخصيا يشك في إمكان الخروج من هذا الاجتماع بشيء كبير ، ولكن إذا احست الولايات المتحدة بأن مثل هذه المحادثات تخدم أى غرض نافع _ فهو يرحب بمعرفة آرائنا من حيث الكيفية والسبب . وقد قال لى حسين علاء (رئيس ديوان شاه إيران) على حدة إن الشاه اخبر السفير السوفيتي بانه بدلا من عقد اجتماع بين خروشوف وبينه (أي الشاه) فلعل من الافضل لخروشوف أن يستخدم الشاه نفوذه مع ناصر وبينه (أي الشاه) فلعل من الافضل لخروشوف أن يستخدم الشاه في حديثه معي لم يشر الذي هو السبب الرئيسي في كل متاعب المنطقة . لكن الشاه في حديثه معي لم يشر إلى هذه النقطة . وقد ناقشت مع الشاه بعد ذلك البرنامج العاجل الذي يستهدف تقوية الامكانات العسكرية لايران • والذي بعثتم به إلى . وقد طلب الشاه ان اناقشه مع الجنرال هدايت • .

العربية المتحدة.

⁽١٨) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ـ البرقية رقم ١٤٠٣٧ بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٥٨ ـ الساعة ٢٠٤٧ بعد الظهر.

به على الزيارة سوى تصريح أصدره « جيمس هاجرتى » مستشاره الصحفى ، وقال فيه : » إن الولايات المتحدة تعتبر أن مصر مسؤولة مباشرة عن سلامة جنود البحرية في لبنان » . ورد « جمال عبد الناصر » بعد ذلك في خطاب ثان من شرفة قصر الضيافة قائلا : « إنه لا يعرف كيف يكون مسؤولا عن سلامة قوات غزت بلاد دولة ليست له فيها سلطة » .

ودعا «بن جوريون » إلى اجتماع للجنة الأمن القومى والدفاع في مجلس الوزراء ، وطرح فكرة أن الوقت مناسب لتوجيه ضربة عسكرية إلى سوريا ، ولقى معارضة في ذلك من « جولدا مائير » التي كان رأيها أن أي تحرك عسكرى إسرائيلي في هذا المناخ الدولي يمكن أن يجيء بمضاعفات ينقلب أثرها على إسرائيل . وكان تقديرها أن ذروة الأزمة قد فاتت ، وأنه من الواضح أمامها حرص القوتين الأعظم على تجنب الصدام المباشر بينهما ، وبالتالي فإن أي مغامرة إسرائيلية قد تجد نفسها مواجهة بلوم أمريكي شديد لا تستطيع تحمله في الأوضاع الراهنة . وكانت هناك أغلبية في لجنة الأمن القومي والدفاع تؤيد وجهة نظرها .

مساء يوم ١٨ يوليو كان « جمال عبد الناصر » مشغولا مع وفد عراقى على مستوى عال يمثل النظام العراقى الثورى ، وقد توجه هذا الوفد إلى دمشق عندما أذيع نبأ وصول « جمال عبد الناصر » إليها . كان الوفد العراقى مكونا من العقيد الركن » عبد السلام عارف » نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ، والأستاذ » صديق شنشل » وزير الارشاد القومى في الحكومة الجديدة ، والسيد « محمد حديد » وزير المالية ، والسيد « عبد الجبار جومرد » وزير الخارجية .

كان « جمال عبد الناصر » قد استطلع آراء عدد من مستشاریه قبل أن یلتقی مع الوفد العراقی الذی دعی لتناول العشاء معه ، وكان أهمهم السید « عبد الحمید السراج » وزیر داخلیة الاقلیم السوری الذی قام بتجمیع كم هائل من المعلومات عن الثورة العراقیة بما فی ذلك الأطراف التی شاركت فی الترتیب لها ، والرجال الذین یتولون قیادتها ، والاتجاهات العامة التی تؤثر فی سیاساتها . وقد خرج نتیجة لما سمع بنتیجة مفادها أن الثورة تواجه أوضاعا قلقة بسبب تضارب كبیر بین الأطراف ، والرجال ، والتوجهات .

ثم استطلع « جمال عبد الناصر » آراء الأستاذين « ميشيل عفلق » زعيم حزب البعث ، والأستاذ » صلاح البيطار » نائبه الذي كان في نفس الوقت وزيرا للدولة في مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة . وكان الأستاذ » ميشيل عفلق » بحكم

إيمانه المطلق بقضية الوحدة العربية من انصار انضمام العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ووصل إلى حد القول : « إنه كان يود لو أن الرئيس جمال عبد الناصر نزل في بغداد بالطائرة ظهر اليوم ، ولم ينزل في دمشق ، فقد كان وصوله إلى بغداد في حد ذاته كفيلا بخلق تيار مؤيد للوحدة لا يستطيع احد أن يتصدى له أو يعطل حركته » . وكان « جمال عبد الناصر » يرى رأيا يختلف ، وقد قال للأستاذ * ميشيل عفلق » : إنه يظن أن نزوله في بغداد صباح اليوم • كان كفيلا بخلق حساسيات لا داعى لها . فإن الذين قاموا بالثورة وحققوا بها انتصارا لا شك فيه _ كان يمكن ان يضايقهم أن يزاحمهم أحد في مجد يومهم الذى يعيشون فيه . والحقيقة والانصاف كلاهما يفرضان ترك هذا اليوم لأصحابه الذين عرضوا حياتهم من أجله دون أن ينازعهم في ذلك أحد » . ثم شرح « جمال عبد الناصر » للأستاذين « ميشيل عفلق » و « صلاح البيطار » بعض ما سمعه من « عبد الحميد السراج » عن الأوضاع في بغداد . وامن الأستاذ " ميشيل عفلق " على صحة هذه المعلومات ، ومع ذلك كان واضحا إصراره على رأيه . وقال « جمال عبد الناصر » إن « الوحدة بين مصر وسوريا تواجه حتى هذه اللحظة كثيرا من العقبات والحساسيات ، وأننا إذا أضفنا إليها واقع الحال في العراق، فسوف نجد أنفسنا أمام تعقيدات لا حل لها . . وكان تعليق الأستاذ « ميشيل عفلق » على ذلك هو قوله : « إن الوحدة خلاقة ، وأنها كفيلة بأن تحل مشاكلها بنفسها » . وعلق « جمال عبد الناصر » بقوله : « إن مثل هذا القول مقبول من الناحية النظرية ، ولكنه عند التجربة العملية أشد صعوبة . .

كان العشاء مع الوفد العراقي مناسبة عامرة بالحماسة ومشاعر الزهو بانتصار كبير على المستوى القومي . وبعد أن فرغ العشاء كان « جمال عبد الناصر » على موعد مع الأستاذ « صديق شنشل » الذي كان صديقا قديما لـ « جمال عبد الناصر » بحكم انشغاله الطويل بالعمل العربي القومي . وقد روعي أن لا يتم هذا اللقاء في قصر الضيافة حتى لا يسبب حساسية للآخرين من أعضاء الوفد . وعندما تم هذا اللقاء بدأ « جمال عبد الناصر » بأن قال لـ « صديق شنشل » إن « ما حدث في بغداد (١) كان بالنسبة له أشبه ما يكون بالأحلام مستحيلة التحقيق » . وفوجيء « جمال عبد الناصر » بالأستاذ « صديق شنشل » يقول له : « على المستوى القومي نعم عبد الناصر » بالأستاذ « صديق شنشل » يقول له : « على المستوى القومي نعم

⁽١) مجموعة أوراق ، محمد حسنتين هيكل ، ـ مذكرات عن اجتماعات ، جمال عبد الناصر ، بالوقد العراقي ، وقد حضرت عددا من هذه الاجتماعات ، وكتبت عن تفاصيلها ملخصا من ٢٦ صفحة في دمشق بتاريخ ٢٠ يوليو

يا سيادة الرئيس ، ولكنه على مستوى الوطن العراقي يمكن ان يتحول إلى كابوس ثقيل ، وبدت الدهشة على وجه « جمال عبد الناصر ، فرغم كل ما سمعه من ، عبد الحميد السراج ، فإن ما يقوله « صديق شنشل » الآن يبدو له أسوا مما تصور ، ومضى ، صديق شنشل ، يقول : « إن على رأس الثورة العراقية الآن رجلين ، أولهما نصف مجنون ، والثاني نصف عاقل » !

كان نصف المجنون في تقدير « صديق شنشل » هو اللواء « عبد الكريم قاسم » رئيس مجلس قيادة الثورة ، وكان نصف العاقل في تقديره أيضا هو العقيد «عبد السلام عارف» . وراح «صديق شنشل» يروى لـ «جمال عبد الناصر » تفاصيل التفاصيل عن الظروف التي قامت فيها الثورة ، وكيف أنه كانت هناك مجموعات تتسابق إلى القيام بها منذ جرى تأسيس دولة الوحدة بين مصر وسوريا في شهر فبراير . ثم كيف أن « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » انفردا بالعمل في الأيام الأخيرة ، وأن ذلك أحدث خلافات كبيرة داخل المجموعات . ومن خلال هذه التفاصيل بدأ « جمال عبد الناصر » يدرك أنه كان على حق ف الآراء التي أبداها في أثناء مناقشته مع الأستاذ « ميشيل عفلق » قبل ساعات قليلة . وحتى -قرب الفجر كان « جمال عبد الناصر » يسمع ويسمع ، وتزداد مخاوفه لحظة بعد لحظة على الثورة العراقية ، خصوصا وقد شعر من خلال ما سمعه من الأستاذ « صديق شنشل » أن التوتر قائم حتى في العلاقات بين « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » نفسيهما . وقبل أن يفترق الرجلان مع مطلع الفجر قال «جمال عبد الناصر » لـ « صديق شنشل » : « إننى قبلت بالوحدة مع سوريا لظروف تعرفها ، ولقد تصورت أننا نستطيع أن نقوم بخطوة كبيرة إلى الأمام ، ثم ندعم الخطوط ونسد الثغرات على مهل. ولكن ذلك لم يحدث فلا تزال خطوطنا طويلة ومكشوفة حتى الآن، ثم إن الثغرات ما زالت مفتوحة ومعرضة ، وبرغم كل محاولاتي فلابد أن اعترف لك أننا لم ننجح بالقدر الذي تصورته أو تمنيته ، وأنا لا أريد أن أحمل تجربة الوحدة بين مصر وسوريا بتبعات كل هذه المتناقضات القائمة في بغداد الآن . ولهذا فسوف تجدني على استعداد لأن أقوم بكل عمل من شأنه تدعيم ثؤرة العراق ، ومن شأنه فتح أفاق التعاون الممكن بين البلدين، ولكنى أرجوكم أن لا تطالبوننى بأى خطوة وحدوية الأن " . وقال الأستاذ « صديق شنشل " إن " هذا رأيه بالفعل ، وأنه جاء إلى دمشق عازما على أن يصارح « جمال عبد الناصر » به من منطلق قومي ، وأنه لو كان قد وجد لديه اتجاها أخر لنصحه بعكسه لأن الوحدة بين مصر وسوريا معرضة للغرق في الموج الخضم الذي يغمر بغداد الآن ـ رغم إيمانه الكامل بحقيقة الوحدة العربية . .

وفي الصباح الباكر كان = عبد السلام عارف » على مائدة الافطار مع • جمال عبد الناصر » وكان حديثهما صريحا ، وقد وجد فيه « جمال عبد الناصر » ما يؤيد مخاوفه _ فإن « عبد السلام عارف » قضى أكثر من ربع ساعة يشكو من « عبد الكريم قاسم = وكيف أنه حاول بعد نجاح الثورة أن يفرض نفسه قائدا أوحد لها ، ويحجب الآخرين مستغلا في ذلك مجموعة من الضباط الذين بهرهم وجود اسمه رئيسا لمجلس قيادة الثورة = في حين أن ذلك كان في رأى « عبد السلام عارف » ترتيبا شكليا ضمن قيادة الثورة العراقية _ قيادة جماعية كان ضروريا أن يتفق عليها لتحمل مسؤوليات قيادة الثورة العراقية _ ولكن = عبد الكريم قاسم = انتهز فرصة النجاح الأولى لقوات الثورة ، وبدا ينسب كل شيء إلى شخصه . وكان رأى « عبد السلام عارف = أن التركيبة الوطنية للعراق بوجود السنة والشيعة والأكراد تسبب وضعا يستحيل معه انفراد = عبد الكريم قاسم » بقيادة الثورة والحكم .

وانضم بقية أعضاء الوفد العراقى إلى «جمال عبد الناصر» و « عبد السلام عارف » ومنذ اللحظة الأولى قال لهم « جمال عبد الناصر » : إنه على استعداد لتوقيع أى اتفاق مع النظام الثورى في العراق لكنه ليس متحمسا لأى عمل وحدوى في هذه الظروف .

كان بالفعل يشعر أن الخطوط طالت ، وأن الثغرات مفتوحة ، وأن أمن الحركة القومية العربية يحتاج إلى التدعيم والتركيز أكثر مما يحتاج إلى الاتساع والانتشار .

وكان في ذهن « جمال عبد الناصر » في تلك الساعات خاطر واحد ملح ، وهو وثائق حلف بغداد الموجودة في مقر الحلف في العاصمة العراقية ، فقد كان يدرك ان هذه الوثائق كفيلة بأن تعطيه صورة دقيقة عن عقل الغرب ومخططاته ، وكلها تحمل إجابات عن أسئلة كان تواقا إلى استكشاف خباياها لكى يستطيع رسم سياسته في المنطقة للمرحلة المقبلة . وقد قام بتكليف العقيد « عبد المجيد فريد » الذي عينه يومها ملحقا عسكريا في بغداد بأن يحاول الحصول عليها بأى وسيلة ممكنة . ونجع ملحقا عسكريا في مهمته بأكثر مما كان يقدر أحد ، فقد تمكن في غمار الفوضي التي كانت تسود بغداد عقب نجاح الثورة من دخول مقر الحلف . ثم استطاع أن يملا حمولة طائرة كاملة بهذه الوثائق ويرسلها إلى دمشق ، ثم إلى القاهرة . وأطل = جمال عبد الناصر = على عقل حلف بغداد ومخططاته من الداخل ، وغاص ساعات طوالا في سراديب وثائق حلف بغداد .

0

يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٨ دعا الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى عقد في المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض في الساعة العاشرة صباحا . وكان الهدف من الاجتماع طبقا لجدول أعماله يتكون من بند واحد هو بحث الوضع العالمي على ضوء التطورات في الشرق الأوسط. وقد بدأ " ايزنهاور " هذا الاجتماع بقوله : « إننى أريد أن أفهم كيف استطاع ناصر أن يلهب حماسة جماهير جاهلة في الشرق الأوسط ضدنا على هذا النحو، وكيف استطاع « خروشوف » أن يلعب على الحصان الرابح ، وأن يحقق هذا النفوذ في العالم الثالث بعد سنتين اثنتين من غزوهم لهنجاريا » . ثم أضاف إنه يريد أن يعرف أكثر عن هذه الحركة المسماة ب « القومية العربية » . وكالعادة طلب « ايزنهاور » من « آلان دالاس « مدير. المخابرات المركزية الأمريكية أن يكون أول المتكلمين . وقال " آلان دالاس " طبقا للمحاضر السرية لمجلس الأمن القومي(٢): « إننا يجب أن ننظر إلى القومية العربية باعتبارها فيضانا يتدفق بقوة ، وإننا لا نستطيع أن نقاومه ، وإنما نستطيع فقط أن نضع بعض شكائر الرمل حول المواقع التي ننوى الدفاع عنها » . وقد وافقه « ايزنهاور » على الفور وبحماسة ، وأضاف « ايزنهاور » طبقا لنفس المحضر إلى ذلك قوله : « لو لم تكن إسرائيل لكان في إمكاننا وضع سياسة فعالة لنا في المنطقة ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا باستمرار هو كيف يمكن أن نتخذ موقفا متعاطفا مع العرب بدون أن نوافق على تدمير إسرائيل ؟ » ثم أبدى ملاحظة بدت فيها مخاوفه حين قال : « لو أن هدف سياستنا الوحيد هو المحافظة على بعض العروش إذن فإن المستقبل امامنا ميئوس منه حتى على المدى القريب . .

واحس «جون فوستر دالاس » وزير الخارجية بأن » ايزنهاور » فى تردده البادى الآن قد يؤثر على تحركات السياسة الأمريكية ، ولذلك تدخل قائلا بالحرف : « لا ينبغى لنا أن نبالغ فى قوة القومية العربية والوحدة العربية ، فالوحدة بين مصر وسوريا حتى الآن لا تزال هشة ، ولا يمكن اعتبار الوحدة العربية حركة دائمة » . واختلف معه « ايزنهاور » قائلا : « إنه يرى أن هناك أساسا لحركة

القومية العربية ، وعلينا إما أن نتعاون معها ، وإما أن نحاول تغييرها ، وإما أن نقوم بمزيج من الأمرين » . ثم أضاف « ايزنهاور » أنه حاول بكل جهده أن ينسق مع الملك « سعود » ولكن محاولته لم تسفر إلا عن نتائج هزيلة ورد « جون فوستر دالاس » قائلا : « إن هذه السياسة على الأقل أعطتنا فسحة سنتين كاملتين في المنطقة لكي نمنع تحولها إلى الشيوعية » . ورد « ايزنهاور » بأن الموضوع كله يبدو له شديد التعقيد ، وأنه يحتاج إلى بحث معمق .

وفى اليوم التالى _ 75 يوليو _ أملى « ايزنهاور » على أحد مساعديه وهو المستر « روبنسون » مذكرة إلى » جون فوستر دالاس » وزير خارجيته عن « ناصر » وعن حركة القومية العربية . ورد « دالاس » عليه يوم 70 يوليو 1900 بمذكرة 100 نصبها كما يلى :

« إلى الرئيس : البيت الأبيض

عزيزى الرئيس

لدى مذكرتكم ، وهى تحتوى على افكار تثير الاهتمام ، وإن كان لا يوجد بينها ما لم نمعن التفكير فيه فعلا . ولقد ورد فيها تساؤلكم عن « كيف نستطيع ان نهز ناصر ليتحرر من اعتقاده بان اصدقاءه الوحيدين هم السوفيت » ؟

إن الاصدقاء في عرف ناصر هم هؤلاء الذين يساعدونه على تحقيق مطامعه . وتشمل هذه المطامع على الاقل بتر اطراف إسرائيل ، والاطاحة بالحكومات الحالية في لبنان والاردن والمغرب وتونس وليبيا والسودان والمملكة العربية السعودية ، الخ ... واستبدالها باذنابه . ولان الاتحاد السوفيتي متحرر من اى ارتباطات والتزامات سابقة في المنطقة _ ففي وسعه ان يساعد ناصر ، بل هو يساعده فعلا على تحقيق هذه الاهداف المتهورة اعتقادا منه بانه سيكون الوريث في اخر المطاف . واما نحن فلا يسعنا ان نصاعده بشرف في هذه الامور ، وبالتالى لا يسعنا ان نكون اصدقاء له كما هو شان السوفيت .

وطبيعى ان ناصر يسعده ان يحصل على معونات منا ، وعلى معونات من الاتحاد السوفيتى في نفس الوقت ، ولكننى اخشى ان يقوده هذا إلى مجرد المضى في طريقه دون الاعتدال في مطامعه ، وهو ليس شخصا من النوع المعتدل كما انه ليس مهتما بتعزيز ما لديه ، وإنما يهمه المضى من نجاح سياسى إلى نجاح سياسى أخر ، وهذا هو ما يجعل المشكلة شديدة الصعوبة .

ونحن اساسا نتعاطف تعاطفا كليا مع القومية العربية إذا كانت تعنى وحدة بناءة منتجة للشعوب العربية . ومما يؤسف له ان القومية العربية من ماركة ناصر لا تفضى إلى هذا على ما يبدو ، وهو لم يعمل إلا القليل لتحسين أحوال الشعب

⁽٢) اوردها ستيفن آمبروز في صفحة ٤٧٤ بالحرف نقلا عن مضبطة اجتماع مجلس الأمن القومي بتاريخ ٢٣ بوليو ١٩٥٨ .

⁽٣) مجموعة الوثلاق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٨ .

المصرى ، وهو لم يعمل شيئا في سوريا ، وهو يميل إلى طلب سلسلة لا نهاية لها من اسباب النجاح السياسى ، ولكن دون ان يتوقف لتعزيزه تعزيزا بناء .

المخلص

جون فوستر دالاس ،

وتشير الوثائق السرية الأمريكية في هذه الفترة إلى نشاط محموم يحاول أن يعيد رسم سياسة أمريكية تواجه المستجدات الطارئة في المنطقة ، فتقوم باستبقاء الاتجاهات الرئيسية فيها وتدخل على ممارستها أية تعديلات تفرضها الظروف :

- دعا « ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى ، وجاء فى التقرير^(٤) الذى كتبه المستر « جوردون جراى » عن وقائعه بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٨ : « بحث المجلس الوضع فى الشرق الأدنى استنادا إلى :
- (1) تقرير شفوى موجز قدمه الوزير «دالاس» من وجهة النظر الدبلوماسية .
- (ب) تقرير شفوى موجز من الجنرال «توايننج» من وجهة النظر العسكرية للولايات المتحدة .
- (جـ) تقرير شفوى موجز من « آلان دالاس » من وجهة نظر المخابرات .
- (د) تقرير مقدم منى (« جوردون جراى » مساعد خاص للرئيس) عن نتائج مناقشات هيئة التخطيط بشأن طرق التصرف المحتملة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية بهدف الحيلولة دون ظهور الولايات المتحدة علنا بمظهر المعارض للقومية العربية ، وكيف يمكن أن نواجه الاذاعات المعادية لنا في الشرق الأدنى » .

وقد وردت في هذا التقرير فقرة كبيرة محذوفة من كلام = آلان دالاس = مدير المخابرات المركزية ، ومن الراجح أنها تتعرض لبعض العمليات السرية التي يجرى إعدادها أو تنفيذها .

● توجيه رئاسى بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٥٨ وقع عليه المستر ■ كارل هار » المساعد الخاص للرئيس ، وقد حوى في البند الخامس منه توجيها من الرئيس بتكثيف الدعاية

الاعلامية والنفسية في الشرق الأوسط، وبضرورة التنسيق في هذا الصدد بين وكالة الاستعلامات ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

ثم جاء في البند السادس من نفس التوجيه الرئاسي ما نصه :

«بالنظر لحقيقة أن الحكومة الجديدة في العراق تملك في حوزتها مجموعة كبيرة من الوثائق المتعلقة بحلف بغداد ، وبالنظر إلى أن هذه الوثائق يحتمل وقوعها في أيد معادية للولايات المتحدة ـ فإن منك ضرورة لمواجهة احتمال تسربها ، وكيف يمكن الرد على تأثيرات مثل هذا التسرب . هذا مع العلم بأنه قد يكون من الأفضل (فقرة محذوفة ، وعلى الأرجح فإن ايزنهاور يطالب باسترداد هذه الوثائق باى وسيلة ممكنة) .

- ف ٢٩ يوليو بعث « ايزنهاور » برسائل^(°) طمأنة إلى رؤساء كل من تركيا وإيران وباكستان يقول فيها :« إنه يعرف أسباب قلقهم بشأن الخطر السوفيتى على الشرق الأوسط، ولكننا لا نملك حتى هذه اللحظة أى دليل يجعل لهذا القلق أسبابا حقيقية ، وعلى أى حال فإن الاجراءات الحاسمة التى قامت بها الولايات المتحدة في لبنان والمملكة المتحدة في الأردن كفيلة بأن تظهر لأصدقاء الغرب مدى الحزم الذى يمكن أن يواجه به أى تهديد .
- وفي أخريوم من شهريوليو ١٩٥٨ كان على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ان تقدم للرئيس اليزنهاور » بناء على طلبه تقدير موقف كامل للوضع في الشرق الأوسط وقد كتبه « آلان دالاس التحت عنوان التقرير مخابرات خاص مقدم إلى الرئيس عن القومية العربية كعامل من العوامل المؤثرة في الشرق الأوسط مقدم من المدير (مدير الوكالة ، أي « آلان دالاس ») »(١) . واللافت للنظر مرة أخرى أن نصف الصفحة الأولى محذوفة بالكامل رغم الحصول عليه بمقتضي قانون حرية المعلومات . وعلى الأرجح فإنها عادت لتكرار ما ورد في تقديرها العام للموقف من قبل من أنه ليس هناك إلا أحد حلين : إما إغتيال « عبد الناصر » وإما فرض هزيمة ساحقة عليه بواسطة إسرائيل . ولعل الأمر في هذا التقرير كان أكثر تفصيلا مما ورد التقرير الأول (١٠) .

⁽ ٤) مجموعة اوراق « ايزنهاور » في مكتبته بآبيلين ـ كانساس ـ وقد اشير على التقرير بان سبع نسخ فقط منه جرى توزيعها .

⁽ ٥) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية تحت رقم ٧٩٤ ـ يوليو ١٩٥٨ .

⁽ ٦) تقرير مخابرات خاص برقم ٢٧٤ موقع من « آلان دالاس » وعلى صفحته الأولى إشارة إلى ان الرئيس « ايزنهاور » اطلع عليه بتاريخ ٢ اغسطس ١٩٥٨ .

⁽٧) رجاء مراجعة نص التقرير المنشور على صفحة ٨٠١ والذي توجد منه صورة وثائقية في الملحق الوثلاقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٣) صفحة ٨٧٨

وبعد ذلك امتد التقرير إلى ثلاث عشرة فقرة ، وقد جاء في الفقرة السادسة مثلا : " لقد ثبت أن لفكرة الوحدة العربية قوة هائلة وجاذبية شديدة في كافة انحاء العالم العربي تقريبا ، وأن لها قوة دفع لا ينتظر أن تفقدها في المستقبل القريب ، إلا أننا لا نعتقد أن توحيد الدول العربية ودمجها في « إمبراطورية » مركزية موحدة ممكن في المستقبل المنظور (!!) فهناك في المنطقة ظروف وأوضاع سوف تتحرك ضد النجاح النهائي لاقامة دولة عربية مركزية ثم إن هناك عوامل معادية لقبول « التفوق " المصرى ، وهي تعيد إحياء « الخوف » من " الاستعمار المصرى » وربما لا يقبل كثير من صانعي الثورة العراقية أن

تكون القاهرة هي المصدر النهائي والوحيد للسلطة في شؤون العراق. وقد

واستطرد البند السابع في مذكرة « آلان دالاس » يقول :

يحدث نزاع بينهم وبين الناصريين »

٧ - غير اننا نعتقد ان العوامل المختلفة المؤدية إلى الفرقة في المنطقة سوف تختفي لبعض الوقت نتيجة للجاذبية العاطفية القوية لحركة الوحدة العربية وخاصة إذا استمر وجود بعض اجزاء من العالم العربي تحت سيطرة الدول الغربية او نفوذها ، وفوق ذلك فإن وجود إسرائيل سيستمر في إحداث تأثير توحيدي قوى بين العرب .»

ثم مضى البند الثامن من مذكرة « آلان دالاس » ليقول :

« A _ وقد اكتسب ناصر مكانته كبطل وطنى عربى شعبى نتيجة لسلسلة من الاحداث احرز فيها ، انتصارات للقومية العربية ضد معارضيها ، مثل نجاحه في الحصول على اسلحة سوفيتية وتاميمه لشركة قناة السويس ، واستعادته لمكانته بعد الهجوم الاسرائيلي البريطاني الفرنسي في اواخر ١٩٥٦ ، والوحدة مع سوريا . كما أنه عزز نفوذه في المنطقة عن طريق استخدامه البارع والقاسي للأعمال الهدامة والدعاية . وهذه هي الاسلحة الطبيعية لحركة ثورية ، ومن المستبعد أن يتخل ناصر عن استخدامها » .

• ٩ - ومع ذلك ورغم قوة ناصر ومكانته ، فإن سيطرته على حركة الوحدة العربية الراديكالية ، داخل مصر ، وبدرجة اقل في سوريا - ليست سيطرة مطلقة . وفيما يتعلق بالشؤون الداخلية لكل دولة على حدة في المنطقة ، فإن سلطته ليست كاملة ، وهناك مجال واسع للخروج على إرادته . وفي اعتقادنا ان نفوذه يعتمد على « الجاذبية العاطفية ، لبرنامجه ، وعلى شخصيته ، وعلى كفاءة دعايته اكثر مما يعتمد على اى تنظيم يأتمر بأمره سواء كان سريا ام علنيا .

ثم جاء البند العاشر ليقول:

« ١٠ _ ومع ذلك فإننا نعتقد انه من الضروري في كافة الأمور العلمية النظر إلى

ناصر ، والجماهير الوطنية العربية ككل واحد لا يتجزأ . فقد توحد هو بوضوح مع اعظم انتصارات القومية العربية بحيث لا ينتظر أن ينافسه أحد إلا إذا تعرض لسلسلة من الهزائم المتوالية (^) »

ثم جاء البند الحادي عشر ليتحدث عن أهداف " عبد الناصر " قائلا :

« ١١ ـ نعتقد أن موقف ناصر وأهدافه هي في جوهرها كما أعلنها بنفسه . فهو يعتزم القضاء على جميع بقايا المواقع الأجنبية المتميزة ، ووضع موارد العالم العربي بالكامل تحت تصرف القوى الوطنية العربية ، وهو يهدف إلى توحيد العالم العربي قاطبة وراء سياسة خارجية مشتركة ، وبرنامج مشترك للتحديث والتنمية والاصلاح . ونعتقد أن ناصر في سعيه لتحقيق هذه الأهداف سيستمر في استخدام وسائل الدعاية والنشاط الهدام ، ومساعدة القوى المحلية للقومية العربية . ولا نعتقد أن لدى ناصر برنامجا محددا ، أو خطة مفصلة للدولة العربية الموحدة التي يعمل لاقامتها . ونعتقد أنه سيكون راغبا في تجنب الصدام المباشر مع القوة التركية ، أو الاسرائيلية ، أو الدول العربية التي تعارضه . »(١)



في احتفالات عيد ٢٣ يوليو ١٩٥٨ ، وفي خطاب عام القاه « جمال عبد الناصر » في احتفال كبير أقيم في ميدان الجمهورية ـ أعلن « جمال عبد الناصر » أن الجمهورية العربية المتحدة تريد أن تكون أداة سلام ، ولا تقبل أن تكون أداة عدوان . ثم طلب من العالم في خطابه أن يعترف باستقلال العالم العربي ، وأن يحترم رغبة شعوبه في عدم الانحياز . وأضاف : « إننا لا نريد الحرب الباردة ، ولا نريد سياسة التكتلات ، ولقد سئمنا عمليات التهديد التي تضع منطقتنا كل يوم على حافة الهاوية » . ثم توجه بنداء إلى دول الغرب يدعوها فيه إلى أن تفتح عيونها ، وترى الحقائق وتعترف بها . ثم أيد دعوة كان « خروشوف » قد وجهها لعقد مؤتمر على على مستوى القمة داخل إطار الأمم المتحدة .

 ⁽ A) تلاحظ الإشارات المتكررة إلى أن الحل النهائي هو هزيمة ساحقة أو سلسلة من الهزائم المتوالية !
 (P) الصفحة الثلاثة من هذا التقرير ، وهي تضم هذه البنود ، منشورة في الملحق الوثائقي لهنل الكتاب تحت رقم ٢٨ صفحة ١٩٥٤

كان «جمال عبد الناصر» يشعر بعد كل ما جرى في المنطقة ان الخطوط طويلة ، وأن الثغرات مفتوحة ، وأن الحركة القومية العربية تحتاج اكثر ما تحتاج الآن إلى عملية تعزيز للمواقع التي وصلت إليها . وهكذا راح يحاول بأقصى جهد ضبط درجة الحرارة في المنطقة ، وتخفيف حدة التوتر فيها .

وكتب خطابا بخط يده إلى الأمير « فيصل » ولى عهد السعودية بعث به من الاسكندرية بتاريخ ۲۷ يوليو ۱۹۰۸ جاء فيه بالنص ما يلى :(۱۰)

عزیزی الأمیر فیصل .

اقدم لسموكم الملكي خالص تخيتي وتقديري وبعد

فإن الذى حفزنى ان أبادر بالكتابة إليكم الآن هو الموقف المتازم الذى وصلت إليه الحالة في الشرق العربى ، وهو أمر يعرض المنطقة التي تعيش فيها أمتنا إلى أخطار داهمة يتعين علينا جميعا أن نبذل كل جهد لوقف خطرها وردها .

وتقديري للموقف الآن انه يفرض علينا ان نلتقى باسرع ما يمكن في اجتماع على مستوى عال يحضره كل من يتيسر حضورهم من رؤساء الدول العربية . ونحن -نستطيع ان نجعل من مثل هذا الاجتماع إذا تم عملا بناء نساهم به في تطوير الحوادث . والواقع اننا لا نملك كدول عربية ان نترك امورا تمس اقدارنا في يد الدول الكبرى وحدها لكي تتولى حلها بأسلحتها ، أو بمصالحها على أحسن الفروض . وليس هذا هو الدافع الوحيد الذي يجعلني ارى اجتماعنا امرا لازما ، وإنما هناك عوامل اخرى عديدة ـ اولها أن نتولى نحن في هذه الظروف الخطيرة رسم الطريق امام شعوبنا على اساس جماعي يستند على الحق الذي يتمسك به صاحبه ، ويستند كذلك على الرغبة في السلام . وثانيها ـ أن الرأى العام العالمي ينتظر منا والمشكلة في ارضنا ان لا نكتفي بمجرد السلبية ، بل يتعين علينا ان نحاول إيجابيا حل امور نحن اخبر بها من غيرنا . وثالثها ـ ان العالم العربي الأن كما ترون سموكم تجتاحه عواطف ومشاعر ضخمة انطلقت من عقالها ، وإن من واجبنا أن نحاول بكل ما في طاقتنا أن نجند هذه العواطف ، وننظمها لتكون قوة دافعة بناءة . ورابعها ـ ان نحاول بقدر ما نستطيع أن نفوت الفرصة على من تحدثه نفسه بالعدوان متعللا بأن الحركة القومية العربية تهدد مصالحه ، فيروح يبحث عن ذريعة يتعلل بها امام الرأي العام العالمي.

إن هناك _ يا صاحب السمو _ اعتبارات اخرى كثيرة لم يتسع لى المجال لتفصيلها ، فاكتفيت بموجزها لانى ارغب ان تصل إليك رسالتى فى اسرع وقت ممكن . ومهما يكن من امر ، فإنى على استعداد لان اتلقى اية اقتراحات ترون إحاطتى علما بها . وإنى لارجو ان تتيح لى هذه الفرصة لقاء معكم ، ولو شاء جلالة الملك سعود ان

جمال عبد الناصر ،

ورد الأمير « فيصل » مقترحا أن يكون الاجتماع بينه وبين الرئيس « جمال عبد الناصر » ثنائيا لأن هناك أمورا بين المملكة وبين الجمهورية العربية المتحدة « يلزم تصفيتها » في اجتماع مكتوم . وبعد أيام كان الأمير « فيصل » في القاهرة والتقى بـ « جمال عبد الناصر » ثلاث مرات ، ثم أصدر تصريحا قبل سفره قال فيه إن الفترة السابقة « كانت سحابة صيف وانقشعت » .

يتفضل بالحضور فلعلها أن تكون فرصة تصفو فيها النفوس وتسكن ـ وإنى لأرجو أن أراكم في خير صحة وعافية . وفقنا أنه جميعا وقوانا والهمنا رشده وصوابه إنه

وأصدر «همرشولد» من مقر الأمم المتحدة تقريره عن شكوى «كميل شمعون » بأن الجمهورية العربية المتحدة تدفع بمخربين وأسلحة إلى لبنان ، وكان التقرير يبرىء الجمهورية العربية المتحدة من كل ما وجه إليها بشأن التسلل أو تهريب السلاح .

وقبل أن يذاع هذا التقرير كانت انتخابات رئاسة الجمهورية في لبنان قد أسفرت عن انتخاب اللواء « فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبناني رئيسا للجمهورية . وكان هذا هو اقتراح » جمال عبد الناصر » الذي عرضه من قبل على السفير الأمريكي « ريموند هير » في مقابلتهما يوم ٢٠ مايو ١٩٥٨ .(١١)

وكان أول ما فعله الرئيس اللبناني الجديد هو أن كتب خطابا إلى « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص :

• سيادة الأخ الرئيس

ولى التوفيق .

من دواعى اغتباطى الشديد أن تكون أول رسالة اكتبها بعد وقوع اختيار مواطنى اللبنانيين على شخصى للقيام بمهام رئاسة الجمهورية ، هى التى أوجهها إلى سيادتكم .

وإذا كنت ارى هذه الفاتحة وليدة الأمر الطبيعى اكثر مما هى وليدة الصدفة ، فإننى لأجد فيها رمزا عفويا لما ارجوه من عهد جديد بين الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة ولبنان .

⁽١١) رجاء مراجعة وقائع هذه المقابلة، وقد سبقت روايتها في صفحة ٣٢٥ من هذا الكتاب

⁽١٠) ارشيف منشية البكرى ، وارشيف وزارة الخارجية ، وارشيف القيادة العامة للقوات المسلحة ، وارشيف المخابرات العامة .

لقد قامت الجمهورية الشقيقة بخطوات إيجابية للمعاونة على تصلية الجو بينها وبين لبنان ، وإنى وكل من أمكنه أن يطلع على الوقائع كما اطلعت لنعرف في هذه الخطوات رغبتكم وتدخلكم الشخصى ، ونسجل فيه فضلكم الكبير »(١٢)

وقبل أن يصدر تقرير « همرشولد » رسميا ، وإن كانت اتجاهاته الرئيسية قد عرفت قبل إذاعته – قرر الرئيس « شهاب » أن يكون أول إجراء تتخذه حكومته هو سحب شكواها ضد الجمهورية العربية المتحدة قبل أن يصدر في شأنها أي قرار . وتقدم السيد « محمد أحمد محجوب » وزير خارجية السودان يعلن باسم الدول العربية رغبتها المشتركة في شطب الشكوى اللبنانية (التي قدمها « كميل شمعون ») من جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد قال في مستهل كلامه أمام الجمعية ، والدكتور « محمود فوزى » وزير خارجية مصر جالس بجواره : « إن العالم العربي ليست فيه خلافات ، وحتى إذا ظهرت فيه خلافات ، فإن الجامعة العربية هي المكان الذي تحل فيه وليس أي مكان غيرها »

وترتب على شطب الشكوى اللبنانية أن بدأ = جمال عبد الناصر » يرتب للمطالبة بانسحاب القوات الأمريكية من لبنان ، والقوات البريطانية من الأردن . واستدعى إلى مقابلته السفير الأمريكي في القاهرة « ريموند هير » وأبلغه أن بقاء هذه القوات يخلق حالة من التوتر لا مبرر لها . وبعد ثلاثة أيام عاد إليه « ريموند هير » ليقول له : = إن مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط « روبرت مورف » موجود في المنطقة ، وقد زار بغض دولها ، وكان مترددا في المجيء إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن واشنطن تسئل الآن = إذا كان في وسنع الرئيس أن يقابله ؟ » وأبدى « جمال عبد الناصر = ترحيبه بمجيء « روبرت مورف » وقال لـ « ريموند هير » إنه تابع مقابلات = مورف قي بغداد ، وقد تلقى عنها تقريرا كاملا . ونظر إليه « ريموند هير = متسائلا ، ولعله كان يسائل نفسه فيما « إذا كان الرئيس يعرف أكثر مما صرح به = . ولم يضف « جمال عبد الناصر = شيئا أخر .

كانت التقارير التى تلقاها « جمال عبد الناصر » من بغداد تشير كلها إلى أن السفير الأمريكي في بغداد « جون جالمان » أفاق من صدمة وقوع الثورة ، ثم راح يفتح مسالك مع النظام الجديد .

كان أول تقرير بعث به إلى واشنطن تقريراً (١٢) يتحدث عن أن الثورة التى نجحت كانت مصادفة الواحد في المليون ـ فلم يكن لها في الواقع أي فرصة للنجاح « لولا مصادفات لم تكن في حسبان أحد » . ولعل « جالمان » كان بذلك يغطي على فشله في توقع الثورة . ثم توالت تقاريره بعد ذلك على واشنطن تشير إلى أنه تمكن من لقاء » عبد الكريم قاسم » الذي أكد له أن العراق لا يفكر في الانضمام للجمهورية العربية المتحدة » وأنه يفضل أن يحتفظ بدوره المستقل في المنطقة . ثم أضاف «جالمان » في تقريره أن « عبد الكريم قاسم » قال له بلهجة ذات معنى إنه » ليست علينا وصاية من أحد خارج العراق » . ثم تكررت لقاءات «جالمان » بد « عبد الكريم قاسم » كما تكررت بعدد من المقربين إليه إلى الحد الذي دعا بد «جالمان » لأن يكتب إلى واشنطن بتاريخ أول أغسطس قائلا بالحرف : « إنني أستطيع أن أجد في عبد الكريم قاسم منافسا لناصر أكثر مما أرى فيه صديقا الستطيع أن أجد في عبد الكريم قاسم » وليعلن من هناك اعتراف الحكومة الأمريكية رسميا بالجمهورية العراقية !

وبعدها وصل «مورف» إلى القاهرة ، والتقى به «جمال عبد الناصر» ف اجتماع دام أربع ساعات ، وخرج «مورف» من الاجتماع ليعلن «أن الولايات المتحدة تعترف بحركة القومية العربية ، وتحترم دوافعها » وأن هذه هى سياسة «ايزنهاور» الجديدة!

وأملى « ايزنهاور » بنفسه بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٥٨ مذكرة عن لقائه بسفير الجمهورية العربية المتحدة الدكتور « مصطفى كامل » عندما جاء ليقدم له أوراق اعتماده سفيرا جديدا للجمهورية العربية المتحدة في واشنطن (١٤) . وقد جاء فيها ما يلى :

« مذكرة عن مناقشية

اثناء تقديم اوراق الاعتماد إلى الرئيس ايزنهاور بواسطة سفير الجمهورية العربية المتحدة .

دارت بحضور الرئيس، وسفير الجمهورية العربية المتحدة مصطفى كامل، وروبرت كوريجان القائم باعمال رئيس البروتوكول في البيت الأبيض.

⁽١٢) النص الكامل للرسالة بتوقيع الرئيس فؤاد شهاب منشور في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٩ صفحة . ٨٦ ـ والاصل موجود في ارشيف منشية البكرى ـ كما توجد نسخ على الآلة الكاتبة [ارشيف وزارة الخارجية ، ووزارة الحربية ، وهيئة المخابرات العامة .

⁽١٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية (اغسطس وسبتمبر ١٩٥٨).

⁽١٤) نص المذكرة موجود ضمن أوراق « ايزنهاور » كما توجد منه نسخة 🌡 مجموعة وثائق وزارة الخارجية .

« في مناسبة تقديم اوراق اعتماده قال السفير للرئيس إن لبلاده ثلاثة اهتمامات رئيسية هي :

١ ـ المرية في الداخل

٢ _ رفض التدخل الأجنبي

٣ _ إسرائيل

وقال السفير إنه لن يتكلم كثيرا عن المسالة الأخيرة . وابدى الرئيس ملاحظة قال فيها : إن من الحماقة الادعاء بان مشكلة إسرائيل لا وجود لها . على انه ما دام لا السفير ولا هو مسؤولان عن الوضع الحالى _فمن الواجب عليهما ، وعلى الساسة في البلدين ان يعملوا معا متعاونين وبذكاء في سبيل الاهتداء إلى حل منصف لمشكلة إسرائيل .

وقال السفير إن شعب بلاده وشعوب المنطقة لا يريدون إلا الحرية والعدل بعد اجيال من الظلم والقهر ، وأن الرئيس ناصر صادق النية في رغبته في علاقة ودية مع الولايات المتحدة ، وتعاون طيب معها . وأن أماني ناصر والشعوب العربية إنما هي بعد كل شيء _ أماني صبيغت على غرار مبادىء الحرية التي تقوم عليها الديمقراطية الأمريكية

وقال السفير إن الرئيس ايزنهاور ينظر إليه في الجمهورية العربية المتحدة لا باعتباره مجرد رئيس للولايات المتحدة بل للعالم الحر باسره ، ونحن جزء منه (١٠) . وقال إنهم يؤمنون باش ، وأن الشيوعية غريبة بالنسبة لهم ، كما كانت غريبة عن المسيحيين . وأشار إلى أن الشيوعية محظورة في مصر ، وأنها أزيحت جانبا في سوريا أيضا بعد اتحادها مع مصر .

ولاحظ الرئيس ان الولايات المتحدة تعتنق مبادىء الحرية وتقرير المصير، وبالتالى فهى تؤكد كل شيء قاله السفير. واضاف الرئيس ان حق تقرير المصير ينبغى السعى إليه بطريقة سلمية، وهو لا يرى اى فائدة إيجابية يمكن تحقيقها من الاذاعات الموجهة لشعوب بلاد مثل ليبيا وتونس والسودان تحرضهم على التمره ضد الولايات المتحدة الأمريكية، وتصفها بانها دولة استعمارية. واشار الرئيس إلى ان الولايات المتحدة لم تحاول إضافة ميل إلى الأراضى التي تسيطر عليها على طول هذا القرن. بل على العكس، فقد منحت للفلبين استقلالها، ومع ذلك فهى لا تزال تتحمل عبء مساعدتها.

وقال السفير إنه يقدر موقف الولايات المتحدة . ثم اشار باسف إلى ان بلاده تتعرض لحملة من المبالغات ، وانصاف الحقائق يجرى تكرارها كل يوم في هذه

البلاد . وقال للرئيس إنه ، كجندى ، يستطيع ان يقدر اننا نستطيع وضع المدافع في ايدى الناس ، ولكنهم لن يطلقوها إلا إذا كان لديهم سبب . ثم قال السفير إنه عاش عشر سنوات في العراق ، وقد تركها منذ تسع سنوات ، وهو يعرفها ظاهرا وباطنا ، واكد ان النظام السابق على الثورة كان نظاما قمعيا ومعاديا لأمال الناس ، وقال إنه قبل ان يغادر القاهرة التقى مع سفير الولايات المتحدة فيها ، وقد تحدثا معا بالصدفة عن العراق ، ولم تكن الثورة قد وقعت بعد(١٦) ، وقد ساله السفير الامريكي عما إذا كان يتوقع ثورة في العراق ، وكان رده وقتها ان الثورة يمكن ان تقع في اى وقت ، وبالتالي فإنه لم يفاجا بما حدث في بغداد عندما سمع به لاول مرة على سطح الباخرة التي كان يستقلها عبر الاطلنطي إلى نيويورك .

وطالب السفير بمزيد من الفهم للمشاعر العربية ، وابدى تطلعه إلى فترة طويلة من الصفاء في العلاقات بين البلدين . »

وجاء «همرشولد » إلى المنطقة ليمهد لانسحاب القوات الأمريكية من لبنان ، والقوات البريطانية من الأردن . ووقعت أزمة عابرة بينه وبين « جمال عبد الناصر » ففى اجتماعه الأول به أثناء هذه الزيارة قال « همرشولد » إنه نظرا لوجود مشاكل معقدة تتولاها الأمم المتحدة في المنطقة كمسألة الترتيب للانسحاب ، فإنه اقترح على الدكتور « فوزى » فكرة أن يقوم بتعيين سفير فوق العادة له لدى الحكومة المصرية بقصد تسبهيل الاتصالات ، وأن الدكتور « محمود فوزى » طلب إليه أن يثير الموضوع مع الرئيس لأنه وحده يستطيع البت فيه . ورفض « جمال عبد الناصر » هذا الاقتراح ما الرئيس لأنه وحده يستطيع البت فيه . ورفض « جمال عبد الناصر » هذا الاقتراح قائلا لـ « همرشولد » : « إن بيننا بالفعل وبين الأمم المتحدة سفير هو ممثلنا الدائم وحاول « همرشولد » أن يعرض اقتراحه تفصيليا ، وبادره « جمال عبد الناصر » بقوله : « مهما قلت لى ، فأنا لا أريد في القاهرة مندوبا ساميا للأمم المتحدة أو لغيرها » (۱۷).

وبدأ « همرشواد » يرتب لاجراءات الانسحاب ، وقد تمت بالنسبة للقوات الأمريكية بغير مشاكل ، وأما بالنسبة للقوات البريطانية في الأردن ، فقد المتدت

⁽١٥) كانت هذه أراء الدكتور « مصطفى كامل » شخصيا ، وقد خلط بينها وبين الآراء الرسمية ، وهذه مشكلة يقع فيها كثيرون من السفراء . ولم ترد هذه الفقرة في التقرير الذي بعث به الدكتور « مصطفى كامل ، عن مقابلته لـ « ايزنهاور » ولكن مذكرة « ايزنهاور » عن اللقاء هي التي كشفت عنها

⁽١٦) كان السفير « مصطفى كامل » بعد أن تسلم أوراق اعتماده من القاهرة قد قضى إجازة في سويسرا ، ثم سافر بالبحر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وانتظر فترة من الوقت قبل أن يستقبله الرئيس « ايزنهاور » ويتلقى منه أوراق اعتماده . وفي هذه الاسابيع كانت كل التطورات الكبيرة في المنطقة قد توالت وتدافعت .

⁽١٧) محضر اللقاء كما كتبه الدكتور محمود فوزى الذى شارك فيه بنفسه توجد منه نسختان : إحداهما في ارشيف منشية البكرى ، والثانية في وزارة الخارجية ، وتوجد عليها تاشيرة بخط الدكتور محمود فوزى تطلب إرسال مضمون المحضر إلى الوفد الدائم للجمهورية العربية المتحدة في نيويورك .

المشال من أول يوم إلى أخر يوم في عملية الانسحاب. ففي البداية قالت الحكومة البراانية إنها ترغب في سحب القوات عن طريق الأجواء المصرية. ووافقت الحكومة المربة . وطالبت الحكومة البريطانية بتأليف لجنة مشتركة مصرية _ بريطانية لرض الترتيبات ، ورفض « جمال عبد الناصر " قائلًا إن الأمر لا يحتاج إلى ترتيبات ، وكلما يحتاجه هو إخطار بمواعيد مرور الطائرات من أجواء الجمهورية العربية النس ، ولم تقبل الحكومة البريطانية ، وفضلت ما دام الأمر كذلك أن تجرى عملية الأساب عن طريق الأجواء الاسرائيلية .

وبعد أن تمت عملية الانسحاب البريطاني وقع حادث تسبب فيه سوء الفهم ، وس التنظيم معا . ذلك أن « همرشولد » اقترح فتح الأجواء السورية أمام الطيران الأللى . وكانت هذه الأجواء قد أغلقت بعد نزول القوات البريطانية في عمان . والذ الجمهورية العربية المتحدة على فتح الأجواء طبقا للقواعد المقررة من الاخطار عنساعيد عبور الطائرات . وقد وقع الحادث الذي تسبب فيه سوء الفهم ، وسوء التنام عندما قرر الملك « حسين » بعد عدة أيام من إتمام الانسحاب أن يسافر إلى السا بالجو ، ودخلت طائرته إلى المجال السورى دون إخطار عن موعدها ، ودون إخلا عن شخصية ركابها . وقامت بعض المقاتلات السورية باعتراضها ، وقال قالها وهو طيار بريطاني إن هذه المقاتلات حاولت إرغامه على النزول في مطار دمشق وأناستطاع أن يعود بمعجزة بطائرته إلى مطار عمان . وأسىء فهم الموضوع ، وجرى نمريره وكأنه محاولة موجهة ضد الملك شخصيا . وتقدم رئيس وزراء الأردن « سمير الرابي " بشكوى إلى الأمم المتحدة ، وقام « همرشولد » بتكليف مساعده السفير «سنيللي » بتحقيق الواقعة ، واكتشف « سبينيللي » حقيقة أن طائرة الملك لم تخطر بعبد مرورها فوق الأجواء السورية ، ولا بشخصية ركابها . وبعث « سبينيللي = إلى « الرشولد » بتقرير يوضح الحقيقة ، وكتب « همرشولد » إلى الدكتور « محمود نرش» رسالة يقول له فيها: « إننى أعلم من وجهة نظر قانونية وعملية أن البهورية العربية المتحدة لا تتحمل أية مسؤولية عن الحادث ، ومع ذلك فإن الار يمكن معالجتها بطريقة رقيقة إذا كان في وسع الرئيس عبد الناصر أن بِسْ بِكلمة طيبة للملك حسين »(١٨) .

وفي يوم ٢٣ اكتوبر تم توقيع اتفاقية المرحلة الأولى من مشروع السد العالى ،

وقد قدم الاتحاد السوفيتي لمصر قرضا بمبلغ ٤٠٠ مليون روبل للمساهمة في تنفيذ

المشروع ، وبفائدة قدرها ٢,٥٪ ومع فترة سماح قدرها ست سنوات حتى يبدأ السد

في إعطاء فوائد المرحلة الأولى بتخزين المياه ، وعلى أن يكون السداد بعد ذلك على

أقساط ممتدة لاثنى عشر عاما . ووقف « جمال عبد الناصر » يعلن أنه أمر بالبدء فورا

فى تنفيذ المشروع الذي تتجسد فيه آمال الشعب المصرى في التنمية ، والذي خاضت

في سبيله أعظم معاركها .

الأالذكرات السير ، برايان أوركهارت ، مساعد السكرتير العام المتحدة ، وقد وردت في فصل عنوانه $|{\bf k}|$ الإ من الدبلوماسية الوقائية ،

الفصيل الخامس

سسمب عابسرة



لفترة وجيزة فى خريف سنة ١٩٥٨ كانت السماء فى المنطقة خالية من الضباب كثيف الداكن ، ولم تكن هناك إلا بعض السحب العابرة تحيط بأطرافها أشعة شمس الساطعة ، وكان الجو أشبه ما يكون بحالة ما بعد العاصفة .

وبالتأكيد فلقد كانت هناك مجموعة عوامل ساعدت على ظهور هذا الطقس :

- كل الأطراف كانت في حاجة إلى فرصة تسترد فيها أنفاسها بعد تسابق محموم بين الحوادث والرجال.
- وكل الأطراف كانت تحاول استيعاب ما جرى بتفاصيله ودروسه المستفادة.
- وكل الأطراف كانت تستعد لمرحلة جديدة تعرف مقدما أنها على الطريق ، فالصراع على المنطقة وفيها لا يمكن أن يتوقف بطبائع الأمور .
- وكل الأطراف كانت تدرس تصرفاتها في المعركة ، وتتبين أين مواقع الضعف في خطوطها ، وكيف تستطيع تقويتها قبل أن تتحرك الرياح من جديد .
- وكل الأطراف كانت تحاول أن تتعرف على شكل المعارك القادمة ، وكيفية الاستعداد لها في ظروف من موازين متغيرة .

وفي هذه الفترة بدت ثلاث ظواهر بالتحديد تلفت النظر:

الولايات المتحدة نقلت حركاتها من القلب إلى التخوم . ففى فترة إعادة دراسة لأوضاع القلب كان مهما أن تتأكد من سلأمة التخوم ، وهكذا انتقل الاهتمام الأمريكي ، ولو مؤقتا نحو إيران وتركيا ، ونحو شمال غرب افريقيا ، ونحو السودان .

أن التقدير العام للجميع كان يؤكد أن دبلوماسية القوة المسلحة ، بما فيها تحريك الأساطيل ، وإنزال القوات على الشواطيء ، وغيرها من نفس النوع ـ هي العاب خطرة يمكن أن تستدعي ردود فعل أكثر خطورة ، وقد تقود إلى مواجهات لا يريدها أحد .

ومن ناحية أخرى ، فإن الخوف من المفاجآت على نمط ما جرى في بغداد كان شبحا يؤرق مضاجع كثيرة ، فقد يتكرر مرة أخرى حيث لا يتوقع أحد .

وتفاعل هذين العنصرين معا أدى إلى التفكير أكثر في العمل السرى ووسائله وأدواته في الظروف الجديدة.

٣ - إن إسرائيل راحت تظهر وكأنها اكثر الأطراف شعورا بالقلق ، فظهور حركة القومية العربية على هذا النحو ، والاستعداد الأمريكي للتعامل مع هذه الحركة مع استمرار علاقاتها الوثيقة مع الاتحاد السوفيتي - كل هذا خلق في إسرائيل حالة من الاحساس بالحصار لابد من كسره .

كانت خطوط المواجهات السابقة ، قومية وعقائدية وعسكرية ، تبدو في حالة الهتزاز وسيولة ، وكان هذا كله يخلق أوضاعا قد تؤثر على رؤى المستقبل ، وخططه وشكله العام لسنوات مقبلة .

وتحت الهدوء الظاهرى ـ كان الكل يفكر ، ويخطط ، ويهم بالحركة .

طوال شهر أغسطس ١٩٥٨ تكررت اجتماعات مجلس الأمن القومى الأمريكى برئاسة الرئيس « ايزنهاور » ، وقد لوحظ في هذه الاجتماعات أن مدير وكالة الاستعلامات الأمريكية كان يحضرها لأول مرة على قدم المساواة مع مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وأضيف إليهما مدير وكالة التعاون الاقتصادى الدولى .

وفى جلسة للمجلس صدق الرئيس « ايزنهاور » على محضرها بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٨ ـ بدا مؤكدا أن المجلس يعود إلى مناقشة السياسة الأمريكية ف

الشرق الأوسط من الأساس^(۱). وقد جاء في هذا المحضر ما نصبه « ناقش المجلس بعض القضايا الأساسية الناشئة عن الحالة في الشرق الأوسط على أساس القائمة التي اعدها مجلس التخطيط التابع لمجلس الأمن القومي، وذلك على أساس مذكرة أحيلت إليه بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٥٨ ». وقد حذف من محضر الجلسة عند الحصول عليه بمقتضي قانون حرية المعلومات كل ما تلى هذا البند ، ومن الواضح أنه يتعرض لخطط عمليات سرية .

وق ١٩ أغسطس عقد المجلس اجتماعا آخر استكمل فيه بحث الموقف في الشرق الأوسط : أولهما الأوسط ، وناقش فيه بالتفصيل بندين يتعلقان بالموقف في الشرق الأوسط : أولهما خاص بتعزيز القواعد الأمريكية العسكرية في المغرب ، والثاني خاص بالسودان . وكان المسؤول الذي تولى عرض موضوع السودان هو « آلان دالاس » وقد قام بمناقشته فيه » جوردون جراى » المساعد الخاص للرئيس الذي قال - كما يظهر في الصفحة الثانية من محضر وقائع هذا الاجتماع - إنه « من المضروري بذل كل الجهود للمحافظة على استقلال السودان » . وقد علق الرئيس « ايزنهاور » على هذه المناقشة بقوله : » إن مجلس الأمن القومي يجب أن يكون جاهزا يستطيع أن متحرك بسرعة لمواجهة أي طاريء » .

وفي جلسة بتاريخ ٢٥ أغسطس أبدى الرئيس « ايزنهاور " في أثناء اجتماع أخر لمجلس الأمن القومى ضيقه من أن بعض الزعماء المحليين في الشرق الأوسط يحاولون انتهاز الفرصة لكى يلعبوا أدوارا هي في رأيه أكبر من حجمهم . وقال إنه تلقى خطابا من الرئيس التونسي " الحبيب بورقيبة " يطلب منه فيه تركيز المساعدات الأمريكية في العالم العربي على تونس " لكى يجعل منها « فاترينة عرض » في العالم العربي لما تستطيع الولايات المتحدة أن تقدمه لأصدقائها . كما أنه طلب كذلك أن يضع الرئيس " ايزنهاور " بالاشتراك معه ترتيبا لعقد مؤتمر على مستوى القمة سنويا بينهما . وعلق " ايزنهاور » في الاجتماع بقوله : « إن بورقيبة يريد أن يكون وحده وكيلنا المعتمد في العالم العربي " . وقال إنه سيرد عليه ، وبالفعل فإن وثائق مكتبة « ايزنهاور » في العالم العربي " . وقال إنه سيرد عليه ، وبالفعل فإن وثائق مكتبة « ايزنهاور » يقول فيه بالحرف : " إننا مضطرون بسبب اتساع مسؤولياتنا إلى مساعدة كثيرين من أصدقائنا على صيانة أمنهم في وجه تهديدات خارجية ، وهذا دفعنا إلى توزيع مساعداتنا رغم اننا كنا نتمني أن نتمكن من تركيزها على عدد قليل من الدول .

وانا مستعد ان اسلم معكم إلى ان مساعداتنا لتونس كانت متناثرة ولقد كنا نتمنى ان نختار عددا قليلا من الدول نركز عليها لكى نجعل منها " فاترينات للغرب " فهذه فكرة تروق لنا ، ولكن تنفيذها قد يؤدى إلى حرمان كثيرين من مساعدات كانوا يحتاجون إليها . " ثم أضاف " ايزنهاور " قائلا : " وانا اسلم معكم بأن هناك حاجة إلى مشاورات مباشرة دورية بيننا . ولكنى اخشى ان يؤدى ذلك إلى التأثير في وسائلنا المؤسسية التى نعتمد عليها في التعاون الدولى " .

وخلال شهر سبتمبر ۱۹۰۸ تكررت اجتماعات مجلس الأمن القومى التى تركز على إيران . وفي اجتماع للمجلس بتاريخ ۱۲ سبتمبر أبدى الرئيس " ايزنهاور " قلقه على أساس التقارير التى قرأها أخيرا من أن هناك " تخوفا " من أن تأخذ الأحداث في إيران نفس الاتجاه الذى أخذته من قبل في العراق " وهو وضع لابد من تجنبه لأنه يمثل خطورة كبرى . وطلب الرئيس « ايزنهاور » من لجنة تنسيق السياسات أن تعد تقريرا خاصا عن الأوضاع في إيران .

وبتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٥٨ قدمت اللجنة تقريرها عن الأوضاع في إيران تحت رقم ١٩٥١ ، وقد جاء في هذا التقرير أنه « مع أن الأحوال العامة تبدو هادئة ومستقرة على السطح في إيران ، فإن هناك شكوكا بدأت تطل براسها . ولقد ساعدت زيارة الشاه الأخيرة للولايات المتحدة على دعم حكم الشاه ، ولكن الملاحظ أن الثورة الناجحة في العراق قد شجعت عناصر المعارضة السياسية مع عناصر من المثقفين ، وعناصر من الطبقة المتوسطة ، وإن هؤلاء قد يستطيعون أن يجذبوا إلى صفوفهم عددا من ضباط الجيش الشبان ، وإن هذا التحالف يستطيع عن طريق المطالبة بإصلاحات داخلية واسعة أن يؤدى إلى ضغوط شديدة على الجبهة الداخلية في إيران » .

ثم استطرد التقرير في بنده السادس ليقول: « إن الشاه حاول استيعاب هذه التحركات بإنشاء حزبين سياسيين مصطنعين. ومن الظاهر أن وجود هذين الحزبين لا يستند إلا على نفوذ هيئة « سافاك » (المخابرات الايرانية). ثم ناقش التقرير بعد ذلك الاحتمالات والعمليات المعتادة التي يمكن القيام بها إذا حدث « ا ـ أن سقط نظام الشاه ، و ب ـ أن قام نوع من التمرد على حكمه لا يقوم به الشيوعيون ، أو حـ ـ إذا قام الشيوعيون بهذا التمرد ».

⁽۱) منذ اصدر الرئيس «ايزنهاور » قراره التنفيذى رقم ٥٨٠١ حول ضرورة سيطرة الولايات المتحدة على منابع البترول ، وحول ضرورة إقامة تنظيم عسكرى ﴿ المنطقة يواجه الاتحاد السوفيتى ، وتشترك فيه إسرائيل جنبا إلى جنب مع الدول العربية .



وطوال شهر سبتمبر ١٩٥٨ كانت الثورة الجزائرية هي الموضوع العربي الملح على «جمال عبد الناصر » ، فقد كان تصوره أن نجاح الثورة في الجزائر ، وقيام حكومة جزائرية وطنية مستقلة يمكن أن يضيف إلى القوة العربية مَذَداً لا يستهان به . وكان تصوره الاستراتيجي أنه بالجمهورية العربية المتحدة في القلب ، وبالجمهورية العراقية الجديدة إلى الشرق ، وبدولة جزائرية مستقلة في المغرب العربي ، فإن الأمة العربية تكون قد حصلت على ثلاث ركائز أساسية تشمل المنطقة كلها من شواطيء الخليج العربي إلى شواطيء المحيط الأطلسي.

والحقيقة أنه بعد الهزيمة الفرنسية في معركة السويس _ فإن " جمال عبد الناصر » كان يشعر أن استقلال الجزائر لم يعد بعيدا . ولقد شجعه على هذا الاعتقاد سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وقيام الجنرال «ديجول » بتأسيس جمهورية فرنسية جديدة هي الجمهورية الخامسة . ومع أن عودة " ديجول » إلى السلطة جرت عن طريق انقلاب عسكرى قامت به قوات الجيش الفرنسي في الجزائر مما كان يشير إلى أن الحكومة الجديدة التي يرأسها «ديجول » سوف تكون تحت رحمة المؤسسة العسكرية الفرنسية _ إلا أن " جمال عبد الناصر » كان يرى أن حقيقة قيام الجيش الفرنسي في الجزائر بانقلاب عسكرى هي دليل لا يحتمل الشك على أن هذا الجيش لم يعد قادرا على القتال ضد الثورة الجزائرية .

كانت مساعدات مصر للثورة الجزائرية قد بدأت من قبل اندلاع نيرانها ، وعندما اندلعت هذه الثورة فى أول نوفمبر ١٩٥٤ لم يكن تحت قيادتها أكثر من ألفى متطوع . ومع استمرار الثورة ، وزيادة الدعم المصرى ، ثم العربى لها كانت الثورة الجزائرية الآن موجودة على أرض المعركة بأكثر من مائة وعشرين ألف مقاتل .

كانت القيادة الحقيقية للثورة الجزائرية ، وعلى رأسها « بن بيللا » موجودة فى السجون الفرنسية منذ جرى اختطاف زعمائها قبل أيام من معركة السويس ـ ومع ذلك فإن « جمال عبد الناصر » شجع قيام حكومة جزائرية فى الخارج تتولى مواجهة الظروف المستجدة فى فرنسا بعد انقلاب الجنرالات الفرنسيين(٢) ضد حكومة

(٢) كان قائد الانقلاب العسكرى الفرنسي في الجزائر هو الجنرال « سالان » وقد كان هو نفسه ابرز مهندسي عملية التواطؤ الثلاثي في معركة السويس .

الجمهورية الرابعة في باريس ، وبالفعل فقد تالفت حكومة جزائرية مؤقتة في المنفى ، وتم إعلان تأليفها في ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ .

وفى البداية كان «ديجول » يتصرف على نحو يختلف عما تصوره « جمال عبد الناصر » ، فقد بدا وكأنه رهينة فى أيدى جنرالات الانقلاب يفرضون عليه استمرار القتال واتخاذ موقف متشدد تجاه الثورة الجزائرية ـ ولكن « جمال عبد الناصر » كان يرى أن الحقائق سوف تؤكد نفسها فوق كل مظاهر التشدد والاتجاه إلى العنف .

وفي هذه الفترة استطاعت الثورة الجزائرية أن تنقل معركتها إلى فرنسا ذاتها . فقد قامت فرق من الثوار بالتسلل إلى فرنسا ، وتمكنت من إشعال النار في أربع مدن فرنسية بينها « مارسيليا » ، وأعلنت حالة الطوارىء في فرنسا ، وفي ظرف أسبوع كانت السلطات الفرنسية قد اعتقلت أو احتجزت للتحقيق ٢٠٠ ألف جزائرى .

وسافر « ديجول » إلى الجزائر ليدرس حقائق الموقف على الطبيعة بنفسه ، وقابله المستوطنون الفرنسيون بمظاهرة عاصفة اضطر إزاءها أن يعلن أن الجزائر سوف تظل فرنسية إلى الأبد ، ولكنه عندما عاد إلى باريس أعلن أنه سوف يتقدم بمشروع لحل الأزمة يمكن الجزائريين « المسلمين » من تقرير مصيرهم في ظرف أربع سنوات .

ومن القاهرة أعلن أقطاب الحكومة الجزائرية المؤقتة أنهم يرفضون مشروع «ديجول » ، وقد وقف السيد « فرحات عباس » في مؤتمر صحفي في القاهرة يعلن هذا الرفض ، وإلى جواره نائبا رئيس الوزراء في الحكومة المؤقتة : « كريم بلقاسم » و « عبد الحفيظ بوصوف » .

وكان رأى «جمال عبد الناصر» وشاركه فيه ملك المغرب الملك «محمد الخامس ان الحكومة الجزائرية المؤقتة تستطيع أن تقبل عرض «ديجول التفاوض دون أن يكون ذلك القبول مشروطا بالمشروع الذى طرحه اديجول » وكان رأى «جمال عبد الناصر ان التفاوض بين الثورة الجزائرية ، وبين الحكومة الفرنسية الجديدة يعنى ضمنا اعتراف «ديجول » بشرعية الثورة الجزائرية كممثل شرعى للشعب الجزائرى ، وأن ذلك في حد ذاته كفيل بإسقاط الادعاء الفرنسي بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا

وفي اواخر شهر سبتمبر وجد « جمال عبد الناصر » نفسه مضطرا إلى تحويل اهتمامه من الغرب (شمال أفريقيا ـ الجزائر) إلى الجنوب في السودان ، فما أن كاد

يعلن نبأ الاتفاق بين مصر وبين الاتحاد السوفيتي على تمويل المرحلة الأولى من مشروع السد العالى ، حتى فوجئت القاهرة بأن حكومة الخرطوم التي كان يرأسها السيد « عبد الله خليل » تعلن إسقاط اتفاقية مياه النيل ، وتضيف إلى ذلك أنها سوف تنفذ مشروعا جديدا لبناء سد على النيل في منطقة • الرصيرص » - ولم تكن لدى القاهرة أية اعتراضات على تنفيذ مشروع « الرصيرص » ولكنها كانت ترى أن تنفيذ المشروع يجب أن يتم بتنسيق بين مصر والسودان، وأن يكون في حدود اتفاقية مياه النيل، ذلك لأن أي إخلال باتفاقية مياه النيل كفيل بأن يشجع قوى أخرى عند منابع النهر على تنفيذ مشروعات للسحب من مياهه دون أي تنسيق بين دول حوضه . و أحست القاهرة ان موقف حكومة السودان ينطوى على منطق سياسي أكثر مما يعتمد على حقائق اقتصادية . هذا فضلا عما يمكن أن يصيب الشعب المصرى من أضرار حقيقية إذا اسقطت أحكام اتفاقيات مياه النيل. وكان مما أثار الشكوك أكثر أنه في وسط المناقشات الدائرة بين القاهرة والخرطوم أعلن في واشنطن فجأة أن بعثة من البنك الدولي سوف تسافر إلى الخرطوم للتفاوض في تمويل سد « الرصيرص » .` وكان هذا كله ينطوى على مخاطر واسعة ، ثم إنه يقود البلدين إلى احتمالات صدام لاشك فيه .

وكثفت القاهرة معارضتها السياسية ، وكانت وجهة نظرها أن مصر والسودان كليهما معرض للخطر إذا ما أسقطت اتفاقية مياه النيل . وكان الاحساس العام على نحو أو آخر أن الحكومة البريطانية هي الطرف الذي يحرض في الخرطوم على كسر اتفاقية مياه النيل . وركزت القاهرة على هذه النقطة من منطق أن إسقاط الاتفاقية سوف يضر بمصالح مصر والسودان معا لأنه سوف يطلق يد بريطانيا في مستعمراتها الافريقية عند منابع النيل في التصرف بمياهه على أي نحو يروقها .

واحدثت معارضة مصر اصداء واسعة في السودان، فإن الجماهير السودانية التي كانت متعاطفة تقليديا مع مصر، والتي ازداد تعاطفها مع القيادة المصرية للحركة القومية العربية العامة ـ كانت معبأة على الآخر. وسارت مظاهرات عارمة في الخرطوم، وامتلأت الأجواء بالحديث عن تواطؤ الحكومة السودانية مع قوى في الغرب تستهدف بعثرة الصف العربي. وزادت حركة انتقال الوفود بين القاهرة والخرطوم، وبدا واضحا أن هناك قوى كبيرة في السودان تعارض أي وقيعة بين البلدين مهما كانت أسباب ذلك أو ذرائعه.

ووجد السيد « عبد الله خليل » رئيس الوزراء السوداني أنه لم يعد [

مقدوره مواجهة الموقف الشعبى المتفجر في السودان ، فإذا هو يقرر تسليم السلطة إلى القوات المسلحة السودانية .

وصباح يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ أعلن في الخرطوم أن الفريق « ابراهيم عبود » قائد الجيش السوداني قد تولى زمام السلطة في السودان ، وألف مجلسا أعلى للحكم يضم كبار قادة القوات المسلحة . وكتبت جريدة « نيويورك تايمز » الأمريكية تعلق على أحداث الخرطوم قائلة : « لقد كان من الأصوب دعوة الجنرالات ليتفضلوا بتسلم السلطة قبل أن يقوم الكولونيلات بتسلمها دون أن يدعوهم أحد » .

وتحركت القاهرة بسرعة ، وكانت أول بلد يعترف بالنظام الجديد في السودان . وكتب « جمال عبد الناصر » رسالة إلى الفريق « ابراهيم عبود » يقول له فيها : « إن مصر على استعداد لكل عمل يهدف إلى توثيق الروابط بين البلدين والحكومتين والشعبين » ، ثم عرض القيام بمفاوضات جديدة بين البلدين بهدف إعادة الاحترام إلى اتفاقية مياه النيل ، وإعادة توزيع الفائض الذي يوفره مشروع السد العالى بينهما لخدمة المشروعات الحيوية لمصالح الشعبين .

وفي اليوم التالى أصدرت الحكومة السودانية الجديدة تصريحا تلاه اللواء « أحمد عبد الوهاب » نائب رئيس وزراء السودان ، وجاء فيه : « إن الاسباب التي كانت تحول دون الاتفاق مع القاهرة زالت بزوال النظام القديم » .

كان الحكم الجديد الذي جاء إلى السلطة من خارج إطار الحياة السياسية التقليدية في السودان غير راغب في معركة مع مصر، فقد كان يحتاج إلى مساندتها لكي يتمكن من تدعيم سلطته . وفي نفس الوقت ، فإن هذا الحكم بدا يرى حقيقة ما يجرى عند منابع النيل سواء ما كانت تقوم به بريطانيا في مستعمراتها الافريقية ، أو ما بدأت إسرائيل تنشط إليه في جنوب السودان رغبة في فصله عن الشمال حتى يتحقق لها مطلب أن ترى منابع النيل وقد انسلخت عن الاطار العربي الكبير .

وفجأة انتقلت الزوابع إلى الغرب مرة أخرى ، ولكنها هذه المرة كانت فى تونس ، فإن الرئيس التونسى « الحبيب بورقيبة » بعد فترة من التردد قرر أن تنضم تونس إلى الجامعة العربية . وانعقد اجتماع لمجلس الجامعة يوم ١١ أكتوبر ١٩٥٨ تقرر فيه قبول عضوية تونس ، وبدأت وفود الدول العربية إليه تشارك فى الحفاوة بمندوبها . وفوجىء المجتمعون بالمندوب التونسي يقف ويقول إنه سوف يتلو بيانا بأمر من الرئيس « بورقيبة » ، وإذا بهذا البيان يمتلىء بالهجوم على مصر بادعاء أنها نصبت نفسها قائدة للأمة العربية دون تفويض من احد ، وانها تتكلم في المحافل الدولية

وتتصرف باسم العرب جميعا دون ان تستشيرهم ، ثم إنها تتدخل في شؤونها الداخلية وتحول الاحتفال بتونس إلى ازمة خصوصا عندما قرر مجلس الجامعة شطب أقوال المندوب التونسي من محضر الجلسة وفي اليوم التالى أذاعت الحكومة التونسية بيانا شرحت فيه أسباب خلافها مع القاهرة ، وجاء فيه : إن مصر قد منحت حق اللجوء السياسي إلى الزعيم التونسي «صالح بن يوسف » الذي كان نائبا سابقا لـ « بورقيبة » وزعيما بارزا للحزب الحر الدستوري ، » وأن مصر بمنحها حق اللجوء السياسي لصالح بن يوسف الذي حكم عليه بالاعدام في تونس إنما تتدخل تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية التونسية . وبناء عليه ، فإن الحكومة التونسية قررت مقاطعة الدورة الحالية للجامعة العربية » .

ويوم ١٥ أكتوبر أعلنت وزارة الاعلام التونسية أن تونس قررت قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة . ولوحظ أن إذاعة باريس بثت نبأ قطع العلاقات قبل ساعة من إذاعة البيان الرسمى التونسى . وقرر الأمين العام للجامعة العربية السيد « عبد الخالق حسونة » (باشا) أن يسافر إلى تونس لبحث الموقف . وعقد اجتماعا طويلا مع الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية قبل سفره إلى العاصمة التونسية . وقال له الدكتور « محمود فوزى » : « إننا لا نفهم هذا الموقف من « الحسب » ونعتقد أن وراء الأكمة ما وراءها . ومعلوماتنا أن « صالح بن يوسف » كان لاجئا في مصر مع « بورقيبة » وأنه عندما اختلف معه بعد الاستقلال رفض العودة إلى تونس ، وقرر البقاء حيث كان (أى في القاهرة) . ولم يحصل على إذن جديد للالتجاء إلى مصر ، وإنما هو يمارس نفس الحق الذي كان له مع الرئيس « الحبيب بورقيبة » ، والرئيس « بورقيبة » لابد له أن يعرف أن حقوق الالتجاء السياسي إلى مصر مصونة ومقدسة ، ولو كنا سمحنا بأي مساس مها لكان « يورقيبة » نفسه أول من أضير أيام الاستعمار الفرنسي . وعلى أي حال فنحن في غنى عن عواصف في الفناجين. وقد طلب إلى الرئيس « عبد الناصر » إبلاغك بأن تتحرى من « بورقيبة » شخصيا عن أية أسباب للشكوى لديه، وأنت مفوض هناك في حلها على أي نحو تراه مهدئا لخواطره » .^(۳)

وسافر السيد « عبد الخالق حسونة » إلى تونس ، وقضى فيها يومين ، وعاد إلى القاهرة والتقاه الدكتور » مجمود فوزى » مرة أخرى ، وسمع منه وزير الخارجية

المصرية تفاصيل ما دار بينه وبين الرئيس التونسي ، وانطباعات « حسونة » (باشا) نفسه عن اللقاء . كان ملخص الموضوع في راى « حسونة » (باشا) انه نفسي قبل أي اعتبار أخر ، فالرئيس « بورقيبة » فيما يبدو كان يطمح بعد قيام الثورة العراقية ، واختفاء « نوري السعيد » (باشا) من الساحة أن يصبح هو رجل الغرب في المنطقة . ويبدو أنه طلب تفويضًا من الغرب بأن يكون مسؤولا عن توحيد خطوط السياسة العامة في شمال أفريقيا ، ولم يلق استجابة كافية ، وهذا فيما يبدو ضايقه . وهو يتصور نفسه رجل الدولة الحقيقي في العالم العربي ، ولا بحد من الآخرين اعترافا كافيا بهذا التصور، ثم إنه (أي « بورقيبة ») يعتقد أن « صالح بن يوسف » يتامر لقتله . وقال الدكتور « محمود فوزى » إن « قضية صالح بن يوسف قضية يسهل حلها ، فنحن نستطيع تحديد نشاطه السياسي حرصا على العلاقات مع تونس طالما هو في القاهرة . ورد . حسونة » (باشا) قائلا إنه ، إذا كانت هذه القضية يمكن تسويتها ، فهناك قضايا اخرى تصعب تسويتها » . ثم روى « حسونة » (باشا) كيف أنه في أثناء مناقشته مع « بورقيبة » اشتكى له « بورقبية » من أن بعض الصحف في العالم العربي تصف « جمال عبد الناصر » بأنه « عملاق » . وأضاف « بورقيبة » أنه يعتبر ذلك تعريضًا به لقصر قامته « فمعناه أنني قرْم ، وأن الباقين كلهم أقرام ، وجمال عبد الناصر وحده هو طويل الله وهامته أعلى منا جميعا ». ثم أشار « عبد الخالق حسونة » (باشا) إلى أن « بورقيبة » شكى له من أن هناك ضباطا مصريين تسللوا إلى تونس، وهم يحرضون بعض ضباط الجيش التونسي ضده . ورد الدكتور « فوزي » على ذلك بأن رجا « حسونة » (باشا) أن يبعث إلى « بورقيبة » بأن « الحكومة المصرية تخوله الحق في القبض على مثل هؤلاء الضباط إن وجدوا وتقديمهم إلى المحاكمة » . وكانت القضية اعمق كما أحس « حسونة » (باشا) ، ولعل « جمال عبد الناصر » أراد أن يواجهها على طريقته ، فقد وقف في مدينة المنيا يومها يخطب امام جماهير حاشدة ويقول : « إن لواء القومية العربية ليس معقودا لجمال عبد الناصر ، وإن الحركة القومية العامة أكبر من أي فرد ، وإن قيادتها الحقيقية هي جماهير الشعب العربي في حين أن جميع الأفراد إلى زوال ».

⁽٣) مذكرة كتبها الدكتور محمود فوزى بخط يده ، وبعث بها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، وهي موجودة في ارشيف منشبة البكري 🛔 ملف عنوانه « تونس » رقم ٥ .



ف لندن كان «هارولد ماكميلان » ما زال يشعر بخيبة الأمل لأن الرئيس «ايزنهاور " لم يستجب لاقتراحاته فى أثناء ثورة العراق بتوسيع نطاق العمليات ، وتحويلها إلى جهد مشترك بين الولايات المتحدة وبريطانيا . فقد اقترح «ماكميلان " وقتها - كما أشارت الوثائق من قبل - ألا تقتصر العملية على إنزال أمريكى فى لبنان ونزول بريطانى فى عمان ، وإنما يتم استغلال جو الأزمة لتطهير كل منطقة الشرق الاوسط بالزحف على سوريا والعراق أيضا مما كان كفيلا فى تقديره بإسقاط النظام فى مصر أيضا . كان «ماكميلان » يشعر بشيء من المرارة لأن " ايزنهاور » لم يستجب له ، ولو أنه استجاب لكان «ماكميلان » قد حقق ما عجز عنه " ايدن » فى السويس . كانت الفرصة فى رأيه متاحة لتعاون أمريكى - بريطانى يستعيد النفوذ الغربى فى العالم العربى ، ويوطد أركانه ، لكن « ايزنهاور » تردد وترك الفرصة تضيع .

وكتب « ماكميلان » إلى « ايزنهاور » يقول له :(٤)

« إن اصدقاءنا في إسرائيل يشعرون الأن بمزاج سوداوى ، فهم يجدون اننا تخلينا عنهم ورحنا ندغدغ اعصاب ناصر . ولقد اقترح مندوبهم في لجنة التنسيق بيننا وبينهم عندما كنا نرتب سحب المظليين من عمان ان نتركهم يحتلون الضفة الغربية للأردن() لأن ناصر سوف يستولى على الأردن كله في يوم من الأيام " وابدينا لهم اننا لا نستطيع بالقطع ان نشارك في مثل هذا الإجراء أو نسمح به . وعلى اى حال " فإننى اعتقد أن أصدقاءنا في هذا البلد (يقصد إسرائيل) يستحقون منك عناية اكثر ، وإلا فإن النظارة السوداء التي يضعونها على عيونهم قد تدفعهم إلى التصرف على انفراد . "

وكان « ماكميلان » قد بدأ من ناحيته يعتنى بهؤلاء الأصدقاء في إسرائيل ، ولعله لم يجد بديلا لهم في تلك الظروف التي سادت المنطقة وقتها ، وكانت طلبات » بن جوريون » محددة » سلاح … ومزيد من السلاح » كما قال بنفسه للسفير البريطاني في إسرائيل !

وسافر « شیمون بیریز » فی أواخر شهر أغسطس ۱۹۰۸ إلى لندن لیعقد صفقة سلاح بریطانی بلغت قیمتها ۵۰ ملیون جنیه . وفی یوم ۸ اکتوبر ۱۹۰۸ أذاعت وزارة

ولكن ما يجرى في الخفاء كان أكثر مما يجرى إعلانه ، ففي ذلك الوقت وقبل أن يتولى الجنرال « ديجول » السلطة تمكنت الحكومة الاسرائيلية من الاتفاق مع الحكومة الفرنسية على رفع طاقة مفاعل « ديمونة » . وكان « شيمون بيريز » هو الذي وقع نيابة عن إسرائيل هذا الاتفاق مع الحكومة الفرنسية ، وبمقتضاه ارتفعت طاقة مفاعل « ديمونة » من ٥٠٠٠ كيلووات إلى ٢٤٠٠٠ كيلووات حراري ، كما قامت فرنسا بتسليم إسرائيل كمية من اليورانيوم الطبيعي إلى جانب معدات للتبريد باستعمال الماء الثقيل . وكان ذلك يسمح لاسرائيل في يوم من الأيام بتحويل اللوونيوم المحترق إلى قنابل ذرية .

وبعد توقيع هذا الاتفاق ظل « شيمون بيريز » في باريس يتابع وقائع الانقلاب الذي أدى إلى سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وقيام الجمهورية الفرنسية الخامسة بقيادة « ديجول » . وعندما استقرت الأمور حصل على موافقة النظام الجديد في باريس على صفقة طائرات من طراز « سوبر ميستير » لاسرائيل كانت المفاوضات بشأنها قد تمت مع النظام السابق ، وكان عددها أربعين طائرة تسلم في مدى أربعة وعشرين شهرا . وصرح « شيمون بيريز » فيما بعد لوكالة رويتر بأن « إسرائيل في العادة لا تتحدث عن صفقات السلاح التي تعقدها ، لكنها تجد نفسها أمام وضع خطير بعد أن ثبت أن المقاتلات السوفيتية الجديدة من طراز « ميستير » التي تبيعها فرنسا لاسرائيل منذ سنة ١٩٤٥ وإن اسرائيل على هذا النحو مطالبة بتجديد سيلاحها الجوى ، وهو عماد قوتها الضاربة » .

وفى واشنطن كانت هناك علامات تدعو إلى إمعان النظر ، ففى المناخ الذى بدا فيه أن الحكومة الأمريكية تراجع موقفها تجاه حركة القومية العربية شعر جناح المخابرات المركزية الأمريكية المنادى بالتركيز على مصر ، وفى مقدمة صفوفه «كيرميت روزفلت » ـ بشىء من الانتعاش ، فقد تصور هذا الجناح فى الظروف الجديدة أن الجو ملائم له الآن لكى يظهر على الجناح الآخر المنادى بالتعاون مع إسرائيل إلى أخر المدى ، والذى يتصدر صفوفه «جيمس أنجلتون» .

^(1) يوميات ، ايزنهاور ، [مكتبته بابيلين (كانساس) ـ وثائق الصندوق رقم ٦ .

⁽ ٥) مرة أخرى إسرائيل واحتلال الضفة الغربية !

كانت الولايات المتحدة قد استجابت لرغبة مصر في الاستفادة بالقانون رقم ١٨٠ الخاص ببيع فائض محصول القمح الأمريكي (١) . واعتبر «كيرميت روزفلت » أن هذه الاستجابة قد تعطيه فرصة لفتح أبواب في القاهرة ، واقترح تكليفه بالسفر إليها لجس النبض . وبالفعل كتب «كيرميت روزفلت » إلى الدكتور « أحمد حسين » سفير مصر السابق في واشنطن يقول له إن هناك احتمالا كبيرا في زيارة يقوم بها إلى القاهرة . وسئله عما إذا كان يلمح في الجو علامات مواتية . وبعث الدكتور « أحمد حسين » برسالة «كيرميت روزفلت » إلى الرئيس «جمال عبد الناصر » مرفقة بخطاب منه ، وكان تعليق «جمال عبد الناصر » أنه يفضل في الظروف الحالية أن تكون للاتصالات مع الولايات المتحدة قناة واحدة ، وهي القناة الرسمية عن طريق وزارتي الخارجية في البلدين . ثم طلب من الدكتور « أحمد حسين » أن يكتب إلى فسوف يلقي فيها كل ترحيب ، وأما إذا أراد المجيء إلى القاهرة في زيارة خاصة ، فسوف يلقي فيها كل ترحيب ، وأما إذا أراد لزيارته أن تكون غير ذلك ، فقد يكون من الأنسب التعامل بالوسائل الدبلوماسية العادية » .

ولم تكن هناك حاجة لارسال هذا الرد لـ « كيرميت روزفلت » فقبل أن يكتب إليه الدكتور « أحمد حسين » بما سبق كان « كيرميت روزفلت » يبعث إليه برسالة يقول له فيها إن رحلته إلى القاهرة قد تأجلت إلى أجل غير مسمى .

ولقد تبين فيما بعد بالفعل أن جناح « أنجلتون » المنادى بالتعاون مع إسرائيل قد حقق انتصارا مؤكدا في واشنطن .

فقد وقعت ظاهرة نادرا ما تحدث في السياسة الأمريكية إذ نشرت جريدة «نيويورك تايمز» (٧) وغيرها من كبريات الصحف الأمريكية في أوائل أكتوبر أنباء تتحدث عن صفقات سلاح تعقد بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وأن هذه الصفقات تقررت بعد عدة رسائل متبادلة بين « دافيد بن جوريون » و « دوايت ايزنهاور » ، وقد بدأت هذه الرسائل يوم ١٦ يوليو ، أي بعد يومين من ثورة العراق . وفي الرسالة الأولى بينهما أبدى « بن جوريون » حاجة إسرائيل الشديدة إلى « رادع » قوى يحمى أمنها من مخاطر تيار الوحدة العربى الذي يندفع كالشلال . ورد عليه « ايزنهاور » بأنه « يستطيع أن يؤكد له أن الولايات

المتحدة الأمريكية تعلق أهمية كبرى على سلامة وازدهار دولة إسرائيل، وأن تلك سياستها الثابتة لا تحيد عنها.»

وعندما نشرت النيويورك تايمز أنباء هذه الرسائل أضافت إليها أن الولايات المتحدة التي لم تكن بين موردي السلاح لاسرائيل وجدت أخيرا ضرورة لتقديم بعض الاسلحة الدفاعية ضد الطائرات إلى هذا البلد.

وفي اليوم التالى صرح متحدث رسمى باسم وزارة الخارجية بان ما حصلت عليه إسرائيل من الأسلحة هو قليل نسبيا relatively few ـ ثم كانت الظاهرة التى لا تحدث كثيرا في السياسة الأمريكية ، وهي أن رؤساء تحرير الصحف الكبرى دعوا إلى مقابلة وزير الخارجية الذي نقل إليهم رجاء الرئيس أن يمتنعوا اختياريا عن نشر أخبار أية صفقات سلاح أمريكي لاسرائيل لأن ذلك يضر بالأمن الأمريكي . وفي نفس الوقت كانت السفارة الاسرائيلية في واشنطن تعزز لدى رؤساء التحرير طلب الرئيس إليهم بالكتمان ، وبأن يتركوا المصالح المشتركة للبلدين تنمو بالطريقة المناسبة إزاء أخطار تهددهما معا في منطقة خطرة من العالم .

وتوقفت صحف الولايات المتحدة كلها عن متابعة الموضوع ، واشارت مجلة » يو . اس . نيوز أند وورلد ريبورت » إلى أن ذلك التوقف تم بناء على « نصيحة » !

ويلفت النظر في ذلك الوقت أن الرئيس « جمال عبد الناصر » تلقى رسالة من الرئيس « تيتو » بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٥٨(^) قال له فيها :

« لقد طرا امر اريد إخطاركم به . فقد زارنى في بلجراد المستر ناحوم جوادمان رئيس المجلس اليهودى العالمي ، وهو كما قلت لكم يوما صديق قديم في . وقد ابلغنى جوادمان برغبته ، ورغبة المجلس اليهودى العالمي في إقامة جسر اتصال مع الجمهورية العربية المتحدة ومعكم ، لأنه يشعر أن إسرائيل الآن تعانى من وحدة موحشة شاعرة أن اصدقاءها التقليديين لا يقبلون عليها بعد أزمة الصيف هذا العام كما كانوا يفعلون من قبل . وإنما هم يتعاملون معها كمن يتعامل مع ابن غير شرعى ، يساعدونها في الخفاء ، ويتباعدون عن الظهور معها في العلن . وقد ذكر في جوادمان أنه بات يخشى على إسرائيل من نفسها ، فقد بعث له بن جوريون يطلب

⁽٦) كان الرئيس ، جمال عبد الناصر ، قد طلب إلى ان اسال السفير الأمريكي عن مدى إمكانية استفادة مصر بهذا القانون ، وقد قابلت السفير بالفعل يوم ٨ ديسمبر ١٩٥٨ وناقشت الأمر معه ، وجاء الرد من واشنطن بالموافقة في اليوم التالي مباشرة ، وكانت الصفقة الأولى في الاستجابة لهذا الطلب بحجم ٨٠ الف طن ، وبعد ذلك تولى الدكتور ، عبد المنعم القيسوني » مهمة مواصلة عمليات توريد القمح .

⁽٧) جريدة دنيويورك تايمز، 🎟 يوم ٢ اكتوبر ١٩٥٨ ـ الصفحة الأولى .

⁽ A) اصل الرسالة باللغة اليوجوسلافية ، ومعها ترجمة غير رسمية باللغة العربية مودع [ارشيف منشية البكرى ، وقد ارسلت صورة منه إلى كل من وزارة الخارجية ، وإدارة المخابرات العامة بمذكرة وقعها السيد حسامي شرف ، بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٥٨

منه القيام بحملة لجمع ٥٠٠ مليون دولار تقدم لاسرائيل مرة واحدة لامر يتصل بتعزيز امنها . وذكر لى جولدمان أنه يخشى أن يكون ما يقصده بن جوريون بهذه العبارة المائعة هو الدخول في برنامج نووى غالى التكلفة ليس من الناحية المادية . وإنما من الناحية المعنوية . وذكر لى جولدمان أنه مدفوع في الافضاء الى بما أفضى بحرصه على إسرائيل و أنه يخشى أن إسرائيل قد تضيع روحها في سبيل ما تتصور أنه حماية لامنها . وذكر لى في النهاية أن رغبة يهود العالم في تحقيق نوع من السلام مع العرب قد يعطيهم الحجة المطلوبة لرفض الالحاح الاسرائيلي = . وقال « تيتو = في ختام رسالته لـ = جمال عبد الناصر » إنه رأى إبلاغه بكل ما سمع تاركا له حرية التصرف ، وإذا كان له أن ينصح كصديق ، فهو يقترح عدم ترك يد = جولدمان = المدودة معلقة في الهواء . =

واستدعى «جمال عبد الناصر » السفير اليوجوسلافى ، وأبلغه برد شفوى مؤداه أنه « يقدر حرص الرئيس تيتو على إبلاغه بما سمع كما أنه يقدر نصيحته ، والمشكلة كما يراها هى أن يتمكن جولدمان ، ومعه يهود العالم من أن يجيئوه بخريطة رسمية معتمدة تقرر فيها إسرائيل أين حدودها النهائية ، وما إذا كانت مستعدة لتنفيذ قرار التقسيم . وأما بغير ذلك فإنه يخشى أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تجد نفسها في مفاوضات مع إسرائيل عن طريق المجلس اليهودى العالمي ، وعلى أساس الأمر الواقع ، وهو ما لا يستطيع قبوله » .

2

ف هذه الأجواء التى اندفعت فيها الأطراف المختلفة إلى استيعاب دروس الحوادث ، وإلى التأهب للمرحلة القادمة ، وإلى التحسب للمفاجآت التى يمكن أن تجىء على غير انتظار ـ كانت درجة الحرارة مناسبة تماما لزيادة دور وأهمية أجهزة العمل السرى .

وفى حين أن جناح « أنجلتون » فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أكد السبقية دوره مرة أخرى ، فإن جهاز الـ M.I.6 وهو المخابرات البريطانية كان ـ بتهور المسؤول عن عملياته ، وهو « جورج يونج » _ يكثف نشاطه فى المنطقة مركزا على بعض النقط الحساسة فيها .

والحقيقة ان هذه المرحلة شهدت بداية سباق تحت الأرض بين اجهزة العمل السرى ليس في الولايات المتحدة وبريطانيا وحدهما _ وإنما في إسرائيل وفرنسا والاتحاد السوفيتي وتركيا وإيران ، بل وجنوب أفريقيا التي بدأت ترى توجه عدد من زعماء حركات التحرر الوطني في القارة السوداء إلى القاهرة التي علا نجمها بسرعة ، ومن ثم قررت « جوهانسبرج » متابعة نشاطهم فيها .

وقرب نهاية سنة ١٩٥٨ كان هناك جهازان جديدان للمخابرات في المنطقة قدر لهما فيما بعد أن يلعبا أدوارا بالغة الأهمية في عملية صنع الحوادث في العالم العربي .

كان أولهما هو جهاز المخابرات العامة المصرى الذى أعيد تأسبسه في إطار حديث بعد حرب السويس ، وكان سنة ١٩٥٨ قد استكمل تشكيلاته سواء بالنسبة للمخابرات (أى جمع المعلومات في الخارج) ، أو للأمن القومي (أى مواجهة النشاط الخارجي الموجه إلى الداخل) – وقد قام على رئاسته السيد «صلاح نصر».

وكان الثانى هو جهاز المخابرات العامة السعودى الذى اتامه الأمير « فيصل » رئيس وزراء المملكة العربية السعودية بعد أن تولى السلطة بتغويض كامل من الملك « سعود » في أعقاب فضيحة الرشوة في سوريا لمنع قيام الوحدة ولضرب طائرة « جمال عبد الناصر » .

وقد عهد الأمير « فيصل » إلى صهره السيد « كمال أدهم » برئاسة هذا الجهاز . وكان لقبه الرسمى في البداية أنه « المستشار الخاص » للأمير « فيصل » (والملك « فيصل » فيما بعد) .

وكان جهاز المخابرات المصرى قد استوحى تنظيماته ، واساليب عمله من عدد من الأجهزة المماثلة ، وبينها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وهيئة الد = كى جى بى = السوفيتية ، إلى جانب جهاز المخابرات في المانيا الغربية .

أما جهاز المخابرات السعودى ، فقد ركز على نموذج وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكانت الطرق مفتوحة امامه ...

ومن ناحية عامة ، فإن عمل هذه الأجهزة - بما فيها جهاز المخابرات المصرى ـ كان خدمة مطلوبة لبلادها ، وفي مصر فإن هذا الجهاز أصبح ضرورة على المستوى القومى خصوصا مع اتساع مسئوليات الأمن العربي ، وامتدادها على مساحات واسعة من العالم .

وللانصاف ، فإن هذا الجهاز ادى خدمات ضخمة ، وقام بادوار تحسب له في مجالات جمع المعلومات وتدقيقها وتحليلها ، كما استطاع تحقيق نتائج يشهد لها في مجالات التجسس على مصر ، وقد أعطيت لهذا الجهاز كل الوسائل التي طلبها ، والتي وجدها ضرورية لعمله سواء من ناحية الاعتمادات ، أو من ناحية تسهيلات العمل .

وفي وقت من الأوقات كان لجهاز المخابرات المصرى أكثر من خمسين " عنصرا " داخل إسرائيل!

كما أنه في وقت من الأوقات كانت لهذا الجهاز سلطات في الاستطلاع والبحث والتحقيق راحت تتسع بمقدار اتساع نطاق الأمن القومي

لكن المشكلة التى طرأت بعد ذلك أن جو الفوران الذى ساد فى العالم العربى فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٨ انعكس على جهاز المخابرات العامة ، وأفرز ظاهرة تجاوز لم يكن هناك ما يدعو إليها فى عمله ، وضاعف من تفاقم هذه, الظاهرة أن التعاون بين هذا الجهاز ، وبين القيادة العامة للقوات المسلحة ، وهى المسؤولة عن توجيه نشاط المحقين العسكريين المصريين فى العالم ـ راح يتجاوز حدوده المرسومة ، فقد تصور هؤلاء أن نجاحهم فى العالم العربى مثلا مرهون باتصالات يقومون بها مع الضباط الشبان فى البلاد التى يعملون فيها ، أو مع الأحزاب والجماعات السياسية المتعاطفة مع القاهرة .

وكانت هذه نقطة تحول ضارة . إذ تصور كثيرون من مسؤولى المخابرات والملحقين العسكريين أن نجاحهم يقاس بما إذا كانوا يستطيعون جذب عناصر ، عسكرية أو مدنية ، تعقد صلاتها معهم ، وتحسب نفسها بعد ذلك على الجمهورية العربية المتحدة .

وقد أحدث هذا الوضع خلطا شديدا في المهام خصوصا عندما بدأت بعض العناصر التي يجرى الاتصال بها في استغلال صلاتها بممثلي القاهرة بمقدار ما بدا لها أن ممثلي القاهرة يستغلون صلاتهم بها.

وهنا بدا أن العمل العربى العام في جزء هام منه ينتقل من مجال النشاط السياسى المفتوح إلى مجال العمل السرى المكتوم، وهو جو ينتج بالتأكيد أثارا غير صحية، وقد ساعد عليه أن الاختصاص بشؤون اللاجئين انتقل في معظمه إلى إطار المخابرات.

وكان جهاز المخابرات السعودي في بداية عمله يحاول أن يجد لنفسه طريقاً يسترشد به ، ويمشى على أثاره . وكان رئيسه السيد « كمال أدهم » ذكيا وطموحا ، ثم إن صلته المباشرة بولى المهد (الملك فيما بعد) جعلت سلطاته نافذة إلى جميع المجالات متخطية لكل الحدود ، خصوصا في ظل طبيعة تركيب السلطة في المملكة .



ولم تكن القوى الدولية والاقليمية ، والأجهزة الرسمية ، هى وحدها التى تحاول أن تجد لنفسها مواقع على خرائط المستقبل وإنما كان ذلك أيضا هو وضع التجمعات السياسية الداخلية ، وفي مقدمتها الأحزاب على اختلاف انتماءاتها العقائدية . ولم يكن ظاهرا في الساحة يومئذ غير ثلاثة تجمعات سياسبة منظمة :

أولها - الاتحاد القومى في الجمهورية العربية المتحدة ، وكان تنظيما ضعيفا شأنه في ذلك شأن كل التنظيمات الرسمية التي يتم تشكيلها لاحقا للسلطة ، وليس سابقا عليها .

ثم كان هناك بعد ذلك حزب البعث العربى الاشتراكى ، وكان هذا الحزب وقتها يواجه مشكلة عويصة ، فمشاركته فى إقامة الوحدة بين مصر وسوريا ادت إلى قبوله بحل نفسه ـ ولكنه حل نفسه فى سوريا وحدها ، وبقيت تنظيماته فى غيرها من البلاد العربية ، وبالذات فى العراق والأردن ولبنان . وكان هذا الوضع مبعث حرج شديد للحزب ، كما أنه أدى به إلى مواقف أثرت على أفكاره وحركته وتنظيماته .

وكانت هناك بعد ذلك الأحزاب الشيوعية العربية ، ومع أنها كانت في إطار اتجاه عقائدى واحد ، فقد كانت هناك خلافات في توجهاتها _هذا مع أن حقائق الأمور فرضت عليها جميعا في النهاية أن تضطر إلى اتخاذ نفس المواقف . وفي هذه الأوقات من نهاية سنة ١٩٥٨ كانت الحركة الشيوعية في المنطقة تحاول بكل الوسائل أن تعطى نفسها حرية في الحركة ، ووصلت بها دعاوى هذه الحرية إلى مزالق بالغة الخطورة . كان الذي يتصدر لقيادة الحركة الشيوعية العامة في البلاد العربية هو الحزب الشيوعي السورى ، وكان هذا الحزب برئاسة «خالد بكداش » قد خرج من سوريا بعد تجربة الوحدة شاعرا بمرارة شديدة . ففي بعض اللحظات قبل قيام الجمهورية

العربية المتحدة تصور هذا الحزب انه اقرب ما يكون إلى مواقع التأثير في دمشق ، وإذا بموجة كاسحة من القاهرة تجرفه بالكامل خارج سوريا . ومضى يبحث عن وسيلة لاسترجاع ما ضاع منه ، ولكن الاحساس بالفشل والمرارة يستطيع أن يغير قواعد العمل السياسى وموازينه ومعاييره ، وهكذا فإن الحزب الشيوعى السورى في هذه الفترة لم يكن في خلاف فكرى أو سياسى مع الجمهورية العربية المتحدة فقط ، وإنما كان في حرب ضدها بكل وسائل الحرب .

إن تاريخ الحزب الشيوعي السورى ، كما أن تاريخ الأحزاب الشيوعية العربية كلها ، لا يؤهلها على وجه اليقين للقيام بدور قيادى فى أى مجتمع من المجتمعات العربية . وفى تلك الظروف فإن الحزب الشيوعي السورى نجح فى شيء واحد ، وهو أن يجر جميع التنظيمات الشيوعية فى المنطقة وراءه إلى حرب ضد الجمهورية العربية المتحدة . ومع أن هذه كانت معركة خاسرة لهم منذ اللحظة الأولى ، فإن الأوهام قادتهم إلى دخولها على تصور أن علاقات الجمهورية العربية المتحدة الوثيقة بالاتحاد السوفيتي ، خصوصا بعد عقد اتفاقية المرحلة الأولى من السد العالى ، سوف تكون قيدا على حركتها ومجالا فسيحا أمامه .

لم يكن للأحزاب الشيوعية العربية جميعا بما فيها الحزب الشيوعي السورى برصيد جماهيرى ترتكن إليه ، فقد نشأت منذ البداية في رعاية شخصيات غامضة معظمها من اليهود الفرنسيين ، أو الايطاليين . ثم تورطت في حلقات متصلة من الأخطاء بدأت من الولاء الأعمى لستالين إلى التقدير الأعمى لمعنى قيام إسرائيل . فحتى بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ظلت الأحزاب الشيوعية تتصور أن إسرائيل قوة تحديث في المنطقة قادرة على تطويرها ، ودفعها إلى المستقبل . ومع أن بعضها تحدث عن أهمية الوحدة العربية ، فقد كان ذلك مجرد استجابة لمشاعر الجماهير أكثر منه تعبيرا عن إيمان بحقائق تاريخية .

وللحقيقة ، فإن الحزب الشيوعي المصرى خرج لفترة من الفترات على هذه القوالب الجامدة ، خصوصا بعد أن عقدت كل التنظيمات الشيوعية المصرية المتناحرة اجتماعا سريا تحت رعاية الحزب الشيوعي الإيطالي ، فوحدت صفوفها وحاولت توحيد اتجاهاتها ، وخرجت بتحليل صحيح لحركة الوحدة العربية صدر في منشور بترقيع الرفيق خالد »(١) سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصرى وقتها جاء فيه :

«إن الوحدة العربية حقيقة نضالية مشروعة تستند على مقومات التاريخ المشترك والنضال المشترك ، والأرض المشتركة ، والتكوين النفسى المشترك ، واللغة الواحدة ، والتراث الخاص بها » . وفي الوقت الذي كان فيه الحزب الشيوعي السورى مصمما على أن القومية العربية هي مطامع طبقة بورجوازية نامية نحو أسواق جديدة _ فإن الحزب الشيوعي المصرى كان يراها حركة وطنية معادية للاستعمار . لكن هذا الموقف المستقل للحزب الشيوعي المصرى لم يستطع أن يواصل انفراده بالرؤية والتحليل ، فما لبث بعد قليل ف خريف سنة ١٩٥٨ أن وجد نفسه مضطرا إلى العودة للدخول في نفس الموقع مع بقية الأحزاب الشيوعية العربية التي راحت تحت زعامة «خالد بكداش ■ تخوض حربها ضد دولة الوحدة .

كان « خالد بكداش » بعد أن هرب من سوريا عند إعلان الوحدة قد توجه إلى صوفيا ، ومن عاصمة بلغاريا ترددت نداءاته وبياناته ضد الجمهورية العربية المتحدة . وعندما وقعت الثورة في العراق ، وبدأ الحزب الشيوعي السوري ينشط في الساحة السياسية في بغداد _ توجه « خالد بكداش » إلى العاصمة العراقية ، واعطته أجواء بغداد في ذلك الوقت فرصا واسعة للعمل مالبث أن استغلها هو ، واستغلها غيره . وكانت لعمليات الاستغلال هذه آثار واسعة وعميقة تتخطى بكثير قوة الحركة الشيوعية في المنطقة ، وتأثيرها على الناس أو على الحوادث . فقد دفعت المنطقة مرة أخرى إلى مزالق خطرة ، وأحدثت شرخا غائرا في الوضع العربي العام .

⁽ ٩) كان اسم ، الرفيق ، خالد اسما كوديا للدكتور « فؤاد مرسى » الذى اصبح فيما بعد وزيراً للتموين في عهد الرئيس « انور السادات » . و في الحقيقة فإن اثنين من المفكرين المصريين البارزين وهما الدكتور « عبد العظيم انيس » والاستاذ « محمود أمين العالم » كان لهما الاسهام الاكبر في تعريف التجمعات الشيوعية المصرية باهمية البعد القومي العربي .

حافع حروب باردة ا

« أسهل الاختيارات هـو موقف التبعية وأصعبها موقف الاستقلال موقف التبعية اختيار مريح مرة واحدة طول العمر وموقف الاستقلال اختيار مرهق كل يوم إلى آخر العمر »

3

القصل الأول

قاســـم وانقســام



كان «عبد الكريم قاسم » شخصية من أغرب الشخصيات التى ظهرت على مسرح السياسة العربية الحديثة . ولعل الأستاذ « صديق شنشل » لم يخطىء كثيرا عندما وصفه مبكرا في دمشق بأنه نصف مجنون . ولقد بدت تصرفاته منذ اللحظات الأولى مثيرة للجدل ، فقد شاع فيها نوع من الانفصام يصعب تحليله أو تعليله . فمنذ اليوم الأول بدأ يشكو من أن هناك قوى تحاول أن تجره إلى وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، أو إلى اتحاد . والحقيقة أن أجواء بغداد كانت مفعمة بالانتظار بعد الثورة ، فقد كانت هناك جماهير عريضة تتمنى الوحدة ، وظهرت في مواجهتها دعوة تنادى إلى الاتحاد . ولم يكن « عبد الكريم قاسم » يريد أيا من الاتجاهين ، ولعل هذه هي النقطة الوحيدة التي شاركه فيها « جمال عبد الناصر » الذي راح يرى أن نشوب معركة حامية في بغداد بين القائلين بالوحدة ، والقائلين بالاتحاد هو افتعال لمعركة وهمية ليس هناك ما يقتضيها الآن ، لأن هناك أولوية يجب أن تسبقها « وهي تأكيد وحدة الثورة العراقية ، وتدعيم مسيرتها نحو أهدافها .

وبدا « عبد الكريم قاسم » وكأن كل ما يعنيه هو تدعيم سلطته الشخصية بحيث ينفرد وحده بالسلطة في العراق ، وقد اختار لنفسه في ذلك الوقت لقب الزعيم الاوحد ، وأدى ذلك الوضع إلى مضاعفات سيئة على القمة العراقية . وبعث الجمال عبد الناصر » في ذلك الوقت برسالة إلى « عبد الكريم قاسم » يطمئنه فيها إلى أن

الجمهورية العربية المتحدة ليس لها حزب ، وليس لها رجال يحسبون عليها ف بغداد ، وأن كل ما يهمها هو تثبيت الحكم الوطنى فى بغداد ،، وتدعيم قوته . ورد = عبد الكريم قاسم » شفويا بما مؤداه أن مشكلته هى أن « عبد السلام عارف » ينسب الثورة لنفسه لأنه هو الذى قام بتنفيذها فى بغداد فى الوقت الذى كان هو (عبد الكريم قاسم) لا يزال بعد خارج العاصمة ، وأن كون « عبد السلام عارف » هو الذى قام بالتنفيذ لا ينفى حقيقة أنه هو (عبد الكريم قاسم) القائد الحقيقى للثورة .

وبعد أقل من شبهرين اثنين من قيام الثورة ، أي في يوم • سبتمبر ١٩٥٨ جرت حادثة تثير الدهشة في بغداد . كان مجلس الوزراء العراقي مجتمعا ، وكان ■ عبد الكريم قاسم » يرأس اجتماعه وكان إلى جانبه ■ عبد السلام عارف ■ نائبه ونائب القائد العام للقوات المسلحة . وفي وسط الاجتماع استأذن « عبد الكريم قاسم » وخرج وغاب لمدة نصف ساعة ، ثم عاد إلى قاعة الاجتماع مرة اخرى ، واتصلت أعمال المجلس إلى منتصف الليل، ثم انفض الاجتماع. وانصرف « عبد السلام عارف » مع غيره من أعضاء مجلس الوزراء متوجها إلى سيارته ، وإذا بسائق السيارة يساله مندهشا عما حدث « لأن إذاعة بغداد اعلنت قبل ساعة انك أعفيت من منصب النائب العام للقوات المسلحة » ؟ وذهل « عبد السلام عارف » ولم يركب سيارته ، وإنما عاد إلى مبنى المجلس حيث وجد « عبد الكريم قاسم » يتحدث مع بعض الوزراء . وساله « عبد السلام عارف » امامهم جميعا عَن النبأ ، وإذا ب عبد الكريم قاسم » يبكي بالدموع ، ويقول ل عبد السلام عارف " إنه غلب على أمره ، وأن قواد الفرق الأربعة في الجيش العراقي اجتمعوا وقرروا ضرورة تنحية « عبد السلام عارف » ، وانه هو (عبد الكريم قاسم) توسل إليهم لكي يعدلوا عن قرارهم ولكنهم صمموا عليه ، وتحت ضغظهم لم يكن امامه مفر من أن يوافق ، ثم كان لابد أن يذاع النبأ ، وأن هذا كله حدث في الفترة التي خرج هو (عبد الكريم قاسم) فيها من الاجتماع ثم عاد إليه بعدها . وساله عبد السلام عارف « لماذا لم يقل له بعد أن عاد إلى قاعة الاجتماع ولماذا لم يخطر المجلس بما حدث ؟ " وكان رد عبد الكريم قاسم " ان قلبه لم يطاوعه " .

ولم تمض غير أيام قليلة حتى طلب « قاسم » من » عارف » أن يغادر العراق إلى أوروبا لبعض الوقت « حتى يستطيع تهدئة الأمور » . وسافر » عبد السلام عارف » ثم عاد بعد أسبوع ، فإذا هو يعتقل في مطار بغداد ، ويوضع في السجن . وبدأ » عبد الكريم قاسم » بعدها يلمح في مجالسه إلى أن » عبد السلام عارف » كان يويد أن يفرض عليه أوضاعا لا يريدها ، وأن لديه الوثائق التي تثبت ذلك . وذهب بعض الوزراء القوميين ، وفي مقدمتهم الأستاذ « صديق شنشل » يستفسرون من

« عبد الكريم قاسم » عن أسباب ما فعل ، وقال لهم إن السغير البريطاني السير « مايكل رايت » أبلغه خمس مرات « بان ياخذ حذره من « عبد السلام عارف » . ثم إن « عبد القادر اسماعيل » زعيم الحزب الشيوعي العراقي ذكر له أيضا أن « عبد السلام عارف » يتامر مع بعض الضباط على عزله ، والمناداة بوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة » . بل إن بعض الوزراء من الجمهورية العربية المتحدة من العسكريين السوريين حذروه من أن المصير الذي يعد له هو أن « يصبح المواطن الثاني في الجمهورية العربية المتحدة ، كما أصبح « شكري القوتل » المواطن الأول فيها » (١) « بل إنهم حذروه من المصير الذي « انتهرا هم أنفسهم إليه ، فقد وجدوا أنفسهم بعد الوحدة وزراء بلا قوة سياسية في حين أنهم كانوا وهم ضباط في الجيش أصحاب القوة السياسية كلها » (١) .

وعندما وصل هذا كله إلى القاهرة كان همها الأول ليس أن تدافع عن احد ، وإنما أن تؤكد لعبد الكريم قاسم أن ما يفكر فيه هو أبعد الأشياء عن نواياها . ووقف « جمال عبد الناصر » في خطاب عام يقول : « إن عبد الكريم قاسم هو قائد ثورة العراق وزعيمها ، وإن القومية العربية « والوحدة العربية يتحققان تماما بالتضامن المخلص والصادق » . لكن وساوس « عبد الكريم قاسم » ظلت تحكمه ، وكانت بالتأكيد تناسب مزاجه النفسى .

وذهب بعض الوزراء القوميين إلى « عبد الكريم قاسم » وقالوا له إن « جمال عبد الناصر » أعلن عن نواياه ، وأنه على وجه التأكيد لا يطلب ولا يريد وحدة لسنوات طويلة مع العراق . وقال « عبد الكريم قاسم » إن لديه وثيقة تثبت العكس ، وأبرز لهم من درج مكتبه ورقة تحوى برقية صحفية حاول صحفى أمريكى أن يبعث بها إلى جريدته في نيويورك . وكان النص العربي للبرقية يقول :

■ يتزايد الشعور بالفزع هذا من احتمال قيام انقلاب او ثورة اخرى في العراق . وقد علمت من اوثق المصادر ان ناصر يؤيد الاتجاء المعارض لقاسم ، وقد ايدت المخابرات الأمريكية والبريطانية ذلك . وتملك سفارة الولايات المتحدة ادلة المعالع على ان المصريين يساندون الثائر القديم « رشيد على الكيلاني »(٣) بالمال والسلاح ضد قاسم »

⁽١) كان «شكرى القوتلى » بعد زوال صفته الرئاسية بقيام دولة الوحدة قد منح لقب « المواطن الأول ، ق الجمهورية العربية المتحدة .

⁽٢) ذكر اللواء عبد الكريم قاسم اسيد امين النفورى على انه الرجل الذى تطوع له بهذه النصيحة! (٣) كان من ابرز زعماء العراق في العصر الحديث؛ وقد توفي رئاسة الوزارة اكثر من مرة، وقاد ثورة سنة ١٩٤١ في العراق، وكانت ثورة ١٤ يوليو في العراق بعد قيامها قد اعتبرته بطلا قوميا، ومنحته ارفع الاوسمة.

ثم مضت البرقية على هذا النحو.

وفرجىء الذين كانرا يتحدثون مع «قاسم» بهذا الدليل الواهى ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وقال أحدهم لـ «قاسم» إنه «من الواضح أن هذه البرقية موحى بها من السفارة البريطانية ، أو السفارة الأمريكية ، أو أنها على وجه التأكيد موجهة لأعصابه أكثر مما هى موجهة إلى قراء صحيفة هذا المراسل فى نيويورك » . ثم كانت مفاجأتهم أكثر عندما علموا من «عبد الكريم قاسم» أنه بناء عليها أصدر أمرا بالقبض على «رشيد على الكيلاني» . وعندما تبدت دهشتهم قال الهم «قاسم» إن لديه ما هو أكثر ، فلقد جاءه السفير البريطاني السير «مايكل رايت »(٤) في الساعة الثانية صباح اليوم (٦ ديسمبر ١٩٥٨) وقابله في وزارة الدفاع «وأبلغه برسالة عاجلة من لندن نصها : « إن المخابرات البريطانية وصلتها معلومات تؤكد أن رشيد على الكيلاني يدبر لانقلاب ، وأنه يتصل ببعض الضباط في الجيش ، وأن مالا وسلاحا قد وضعا تحت تصرفه ليقوم بانقلاب يفتح الطريق لانضمام العراق في وحدة ، أو اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة » .

وكانت الدهشة تستبد بالجالسين معه ، ولم يجد ما يقوله سوى أن يعلق بقوله : « لقد تبين في أن ما يسمى بثورة رشيد على الكيلانى كان خيانة كبرى لمصلحة الاستعماريين والصهاينة » . واحتد أحد الوزراء ، وقال لـ « عبد الكريم قاسم » إنه « يستهول صدور هذا الكلام منه عن رشيد على الكيلانى ، وإذا كانت ثورة رشيد على الكيلانى التى حاربت الانجليز عميلة للاستعمار ، فماذا نقول عن احوالنا الراهنة ، ونحن حتى الآن لم نخرج من حلف بغداد ، ولا استطعنا إخراج الانجليز من قاعدة الحبانية . ثم تستمع أنت الآن لدسائس السفير المبريطانى مايكل رايت الذى كان موجودا في العصر الملكى » . ورد « عبد الكريم قاسم » بأن السير « مايكل رايت » سوف يغادر العراق قريبا ، وقد عرض عليه عند لقائه أمس اسم السفير المرشح لكى يخلفه ، وهو السير « همفرى تريفيليان » (الذى كان سفيرا لبريطانيا في مصر حتى معركة السويس) وهذا معناه أن الانجليز يراقبون النشاط المصرى ، ويتوقعون منه شرا في العراق .

وعندما وصل هذا كله إلى القاهرة دعا « جمال عبد الناصر » سفير العراق في

القاهرة السيد « فائق السامرائي » إلى مقابلته ، وابلغه رسالة (°) منه طلب إليه ان يبعث بها إلى « عبد الكريم قاسم » . وكان مضمونها « ان هناك محاولة لخلق خلاف لا مبرر له بين جمهورية العراق » والجمهورية العربية المتحدة ، وهي في الحقيقة عملية مقصود بها عزل العراق . وأن الرئيس جمال عبد الناصر لا يستطيع أن يراقب ما يجرى الآن ويكتفي بمتابعته والسكوت عليه ، وأنه يفكر طويلا فيما يمكن عمله ، وهو لا يجد وسيلة غير أن يحاول بنفسه لقاء الرئيس عبد الكريم قاسم ليحدثه بكل ما في قلبه . والرئيس على استعداد لان يذهب إلى بغداد إذا أراد عبد الكريم قاسم ذلك . وهو على استعداد للقائه ووالترحيب به في دمشق أو القاهرة إذا رغب في ذلك ، وستكون فرصة له أن يلمس بنفسه تقديرنا له ، واعتزازنا بثورة العراق . وإذا لم يكن يريد إتمام الاجتماع في بغداد ، أو في دمشق ، أو في القاهرة ، فليكن اللقاء في أي بقعة الرسالة ، وإن كانت التطورات في العراق قد بدأت تتكفل بتقديم الرد .

بدأت حملات اعتقالات واسعة بين الضباط العراقيين ، فقد اعتقل كل هؤلاء الذين عرفت عنهم توجهاتهم العربية الخالصة ، وبينهم معظم الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ١٤ يوليو ، كما جرت اعتقالات لأعداد كبيرة من المدنيين المهتمين بالشؤون العامة ، وبينهم اعضاء كثيرون من حزب البعث العربى الاشتراكى . وجرت استقالات بالجملة من الوزراء القوميين ، وبينهم الاستاذ « صديق شنشل » وزير الارشاد ، والسيد « ناجى طالب » وزير الشؤون الاجتماعية ، والدكتور « عبد الجبار جومرد » وزير الخارجية ، والسيد « بابا على الشيخ محمود » وزير المواصلات والاشغال ، والدكتور « محمد صالح محمود » وزير الصحة ، والاستاذ « حسين جميل » . ثم لحق بهم في تقديم استقالته السيد « فائق السامرائى » سفير العراق في القاهرة .

ثم أعلن « عبد الكريم قاسم = ذات صباح أن الثورة في خطر ، وأنه يرى تأليف جيش للمقاومة الشعبية يتولى حمايتها . وكان هذا يخلق وضعا خطيرا لأنه ينطوى على تشكيك في الجيش ، وبالفعل فإن عددا من الضباط توجهوا إلى مقابلة « عبد الكريم قاسم = وشرحوا له محاذير وجود جيش شعبى مسلح في مواجهة جيش وطنى منظم .

^(£) تقارير السفير المصرى في بغداد السيد « امين هويدى « حافلة بالوقائع والتفاصيل ، وكذلك تقارير السيد « عبد المجيد فريد » الملحق العسكرى في بغداد يومئذ ، والجزء الاكبر من اصول هذه التقارير موجود الآن ■ جهة واحدة ، وهي ارشيف هيئة المخابرات العامة .

⁽ º) كتب السيد فائق السامرائي خطابا لعبد الكريم قاسم يتضمن رسالة جمال عبد الناصر ، وبعث بنسخة منه إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر لكي يتأكد من أنها موافقة تماما لما سمع ، والنص هنا منقول عنها ، واصله موجود أل أرشيف منشية البكرى في ملف يحمل عنوانه ، السيد فائق السامرائي ـ مراسلات شؤون عربية ـ رقم ٣١٤٥ ب ، .

وبدا واضحا من تعاقب الحوادث أن الحزب الشيوعي الذي استطاع اختراق الجيش بتجنيد أعداد محدودة من الضباط قد وجد فرصته في الجيش الشعبي ، حتى وصل إلى السيطرة شبه الكاملة عليه .

وراح الجيش الشعبى يرتكب حماقات وجرائم لا حدود لها ، فقد أعطى نفسه حق القبض على الناس ، وحق تفتيش البيوت والمكاتب ،وحق عقد المحاكمات الشعبية على الآراء والاقوال ، حتى وإن كانت في مجالس خاصة . وقد وصف السيد « فائق السامرائي » في كتاب استقالته أحوال العراق بقوله في نصها : » إن ما يجرى في العراق لا يمكن إلا أن يكون تمهيدا لاعلان حكم شيوعي مطلق ، وأنه يريد أن يكون سفيرا لحكومة تحترم نفسها ويحترمها الناس ، ويرفض أن يكون سفيرا لعصابة حمراء في طريقها إلى السيطرة على العراق »

كان كل ما استطاعت دسائس الغرب وسفراؤه فى بغداد تحقيقه فى العراق هو دفع « عبد الكريم قاسم » إلى أحضان الأحزاب الشيوعية . ويبدو أن ذلك لم يكن يهمهم فى قليل أو كثير ، لأن العدو الرئيسي كان لا يزال متمثلا فى الحركة القومية العربية التي يمكن أن تشكل فى الشرق الأوسط حاجزا قويا ضد مطامع السيطرة الغربية .

وابتداء من أواخر ١٩٥٨ بدأ « جمال عبد الناصر » يلمح فى خطاباته العلنية إلى مخاطر سيطرة الشيوعيين على بغداد ، ويرى فيها تهديدا على الفكرة العربية لا يخدم غير مصالح الاستعمار . ولفتت هذه المواقف نظر « ايزنهاور » فيما يبدو ، فقد كتب في يومياته يوم ١٢ ديسمبر يقول :

« يبدو أن الأمور تتوتر بين ناصر وبين الشيوعيين ، ولكنى أتساعل عما إذا كان يملك حرية وقدرة التصرف على مواجهة عملاء الاتحاد السوفيتى ، بنفس الدرجة من القوة التى حارب بها أصدقاءنا في المنطقة . ليس أمامنا غير أن ننتظر لنرى « .

ثم ظهرت مخاوف « ايزنهاور » من الوضع في الشرق الأوسط عموما بطريقة أوضع عندما بدأ يتلقى التقارير عن تغلغل الشيوعيين في بغداد . ثم أقلقه أن زعماء حزب « تودة » (الحزب الشيوعي الايراني) بدأوا يظهرون في العاصمة العراقية جنبا إلى جنب مع زعماء الأحزاب الشيوعية العربية ، وعلى رأسهم جميعا « خالد بكداش » . ثم تزايد شعوره بالقلق على إيران .

وقرر « ايزنهاور ■ أن يبعث بـ « ويليام راونترى » مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط إلى المنطقة لكي يتحرى الأمور على الطبيعة . وسافر

" راونترى » وعاد ليشترك في اجتماع لمجلس الأمن القومى ، ثم يقابل الرئيس « ايزنهاور » بعد الاجتماع في الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق صباح يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ ، وقد حضر مقابلته مع الرئيس كل من نائب الرئيس « ريتشارد نيكسون » ووزير الخارجية الجديد « كريستيان هيرتر » (١) . وتحتوى مجموعة أوراق « ايزنهاور » على مذكرة (١) عن هذا الاجتماع وقع عليها الميجور » جون ايزنهاور » ابن الرئيس « ايزنهاور » وكان قد انتدبه للعمل في مكتبه في البيت الأبيض . وقد جاء فيها بالنص :

« قال المستر راونترى إنه احتفظ ببعض تفاصيل اجتماعه مع ناصر ، ولم يعرضها في الاجتماع العام لمجلس الأمن القومي بسبب دقة التفاصيل . وبصفة عامة فإن حديثه مع ناصر كان مشجعا ، وقد برز فيه ما يلي :

(أ) إن ناصر يبدى قلقا حقيقيا إزاء التغلغل الشيوعي في الشرق الاوسط.

(ب) إن ناصر قضى جزءا طويلا من المقابلة في شرح اخطاء الولايات المتحدة في التعامل مع الشرق الاوسط.

(ج) إن ناصر كان شديد التاثر باستجابتنا السريعة لما طلبه من الحبوب بموجب القانون ٤٨٠ ، وقد أبدى تقديره بحقيقة أن وزارة الخارجية ابلغته بالموافقة على طلبه خلال أربع وعشرين ساعة من تقديمه .

(ا) إن ناصر قرر العمل في العراق ، فهو يرفض النفوذ الشيوعي المتزايد على قاسم ، ويدهشه أن قاسم يرفض الالتقاء به .

(هـ) يعتقد المستر راونترى بأن في وسعنا الاطمئنان إلى أن ناصر قادر على مواجهة التغلغل الشيوعي في العراق ، وقد استشهد برأى سمعه من السفير الأمريكي ريموند هير في القاهرة يفيد أن حرص ناصر على عدم الانحياز في توجهاته القومية العربية ، واعتزازه باستقلالها يجعل منه قوة قادرة على الوقوف في وجه السيطرة الشيوعية في العراق ، ولكن ناصر سوف يحاذر في اندفاعه لانه لا يزال يرى الخطر الأكبر على القومية العربية من المصدر الاسرائيلي .

وعندئذ قال الرئيس (ايزنهاور) = هل يعنى ذلك أن ناصر يريد منا أن ندفع له على حساب إسرائيل ثمنا لمقاومته للشيوعية في العراق ؟ = واعترف المستر راونترى بانه أشار إلى هذا عدة مرات باعتباره مشكلة خطيرة - ولكنه كان ينحى الموضوع جانبا دون أن يوصى بإجراء معين .

 ⁽ ٦) كان = جون فوستر دالاس > قد تعلل بسوء حالته الصحية وقدم استقالته ، وقبلها الرئيس ، ايزنهاور ،
 قبل ذلك بعدة اسابيع . والحقيقة انه استقال بسبب فشل كل سياساته في الشرق الأوسط .

⁽ ٧) مذكرة عن مقابلة ، ويليام راونترى ، مع الرئيس بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ وهي بتوقيع الميجور ، جون ايزنهاور ،

وابدى الرئيس رايا ملخصه (فقرة محذوفة) . وعلى اى حال فإن في وسع ناصر ان يتصدى للشيوعيين بافضل مما تستطيع الولايات المتحدة . وابدى مخاوفه من ان يطلب ناصر منا ان نتخذ مواقف معادية لاسرائيل .

..... (فقرة محذوفة).

ثم عاد المستر راونترى إلى موضوع العراق ، وقال إن احتمالات الوحدة بينه وبين الجمهورية العربية المتحدة غير واردة ، وق رايه ان لدى ناصر من المشكلات ما يكفى في سوريا . ثم اشار إلى ان هناك ثلاث مجموعات رئيسية في العراق هي : الشيوعيون ـ القوميون الممالئون لقاسم ـ وثالثا القوميون الذين يريدون الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

وقال المستر راونترى إن جهد المجموعات القومية هو الذى يستطيع ان يقاوم التغلغل الشيوعى (عبارة محذوقة). وقد توجه نائب الرئيس (نيكسون) بسؤال إلى المستر راونترى عما إذا كان يمكن التوفيق بين ناصر وبورقيبة ؟ ورد راونترى على هذا بقوله : « إن ناصر مقتنع اقتناعا كاملا بأن بورقيبة يعمل لحسابنا ، واننا طلبنا منه دخول الجامعة العربية لكى يقوم بمهمة إغراق السفينة ، ولا اظن ان ناصر مستعد لأن يتزحزح عن رايه . •

0

وفى شهر فبراير ١٩٥٩ انعقد فى موسكو المؤتمر الواحد والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى ، ودعيت كل الأحزاب الشيوعية العربية إلى المشاركة فى احتفالات المؤتمر ، وكان ذلك شيئا مألوفا ، ولكن الذى بدا خارجا عن المألوف هو أن زعماء الأحزاب الشيوعية العرب ، وعلى رأسهم « خالد بكداش ، أعطوا أماكن متميزة فى قاعة المؤتمر ، كما تهيئت لهم الفرصة لكى يلقوا بخطابات من على منصاته جاءت حافلة بالهجوم على الجمهورية العربية المتحدة لأنها تحل الأحزاب الشيوعية العربية كتنظيمات ، كما أنها تعادى الشيوعية كعقيدة ، وإلى جانب ذلك ، فإنها تطاردهم إلى داخل العراق ، وتحرض عليهم وتحاصر نشاطهم الديمقراطى ، وأن هذا كله يضع حكامها فى صف « الفاشست » و « الهتلريين » . كذلك بدا غير مألوف أن الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » دعا » خالد بكداش » إلى الوقوف بجواره على منصة

المؤتمر حيث التقطت لهما صور تذكارية نشرت إحداها بجريدة « برافدا » . وكان معنى هذا بوضوح في القاهرة ودمشق أن القيادة السوفيتية ممثلة في « خروشوف » قد وجدت أن الفرصة مناسبة لكى تقف علنا مع الشيوعيين العرب .

ولم تكن هذه مفاجأة كاملة ، فقد بدا للقاهرة ودمشق من الأيام المبكرة لثورة العراق أن القيادة السوفيتية تتصور – بكل هذا الحشد من الشيوعيين العرب الذين تسابقوا إلى بغداد بعد الثورة – أن أمامها في العراق جائزة كبرى تستطيع أن تحصل عليها ، وأن تعوض بها ما فاتها تحقيقه في مواقع أخرى من قبل .

ويبدو أن الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » كان يقدر أن احتياج الجمهورية العربية المتحدة للسلاح السوفيتى ، ولتمويل السد العالى سوف يكون قيدا على حركتها . وأضيف إلى ذلك أيضا أن القاهرة كانت قد وضعت لنفسها برنامجا نوويا طويل المدى ، وكانت الخطوة الأولى فيه هى إقامة مفاعل نووى . وقد فوتح الاتحاد السوفيتى فى إمكانية بيعه إلى مصر ، وأبدى استعدادا طيبا لبحث الموضوع . ومن مجمل هذه العوامل قدر « خروشوف » أنه يستطيع أن يعطى تشجيعه العلنى للشيوعيين العرب مطمئنا إلى وجود موانع موضوعية, تمسك بأية محاولة للرد على تشجيعه .

وكان « جمال عبد الناصر » قد أحس مبكرا أن « خروشوف » يتحفز إلى تأييد الشيوعيين العرب ، خصوصا وأن عددا من الأحزاب الشيوعية خاصة في الصين وألبانيا ، كانت تتهمه بأنه يقف مع البورجوازية العربية ضد الطبقة الكادحة العربية ، بسبب مطالب الاتحاد السوفيتي باعتباره واحدة من القوتين الأعظم ، بصرف النظر عن العقائد وأصحابها . وكان الموقف الذي يستغل ضده باستمرار هو تخليه عن الشيوعيين العرب .

وعندما كان « جمال عبد الناصر » يقوم بزيارته الرسمية لموسكو في ابريل ١٩٥٨ فإنه من جانبه فتح هذا الموضوع مع « خروشوف » وكان يشعر انه في حاجة إلى شرح وجهة نظره إلى القيادة السوفيتية بعد كل ما جرى في سوريا . وفي ذلك الوقت حاول » خروشوف » مناقشة مواقف الشيوعيين العرب ، ولكنه في النهاية ابدى تفهمه ، خصوصا عندما قال له « جمال عبد الناصر » إن المحتوى الحضارى لفكرة القومية العربية هو محتوى إسلامى ، كما أن الشعوب العربية متمسكة بأديانها ، وأن أية دعاوى تتجه إلى الالحاد لا مستقبل لها على الاطلاق في العالم العربي .

وفي شهر سبتمبر ١٩٥٨ وكان السيد « محيى الدينوف » عضو المكتب السياسي يقوم بزيارة لمر ، وكان الخلاف مع الشيوعيين قد بدأ مع محاولتهم لبسط نفوذهم في

بغداد والانتهاء بالسيطرة عليها _ أعاد = جمال عبد الناصر = شرح موقفه ، وقال إنه يخشى أن يؤدى ذلك إلى الاساءة للعلاقات العربية السوفيتية ، وأنه يتمنى لو استطاع الطرفان بحكمة أن يتجنبا التورط في نزاع لن يستفيد منه غير الاستعمار .

وبعد عودة «محيى الدينوف » بأيام إلى موسكو تلقى « جمال عبد الناصر » خطابا شخصيا من «نيكيتا خروشوف » كان نصه (^) كما يلى :

عزیزی الرئیس جمال:

استمعت توا بكثير من الارتياح إلى الرفيق محيى الدينوف الذى حدثنا عن زيارته لمصر وعن محادثاته معكم ، ومع المشير عامر ، وغيره من اصدقائكم . ومن الواضح أن الرفيق محيى الدينوف مفتون بكم ، فلم يعد له من حديث إلا عن الجمهورية المتحدة ، وقد تاثر إلى ابعد حد بكل ما رآه وسمعه في بلدكم .

واعترف باننى كنت استمع إليه بسرور بالغ ، وبشىء من الحسد . وهو حسد مفهوم بطبيعة الحال ، فإن ظروفي لم تسمح لى للأسف بزيارتكم قبل محيى الدينوف . ثم خطرت لى فكرة اود ان اعرضها عليك : اليس الوقت الحالى مناسبا لكم للوفاء بوعدكم بالحصول على فترة من الراحة على شاطىء البحر الاسود سواء في القرم ، أو على ساحل القوقاز ؟ إذا كان ذلك يناسبك الآن ، فسيكون من دواعى سعادتى ان القاك ، وأن نقضى فترة الراحة معا . ففى عزمى ان انتقل هذه الايام من القرم إلى الساحل في القوقاز حيث الجو اكثر دفئا . فإذا رغبت في ذلك وسمحت ظروفك ، فإنى ادعوك للحضور إلينا مع اسرتك واصدقائك ، وجميع من تريد ان يحضروا معكم . وقد لاحظ محيى الدينوف الذي يكن لكم مشاعر الصداقة الاخوية انكم تعملون بلا هوادة غير مبالين بصحتكم ، وانكم في اشد الحاجة إلى الراحة . إن كل من يعمل بإخلاص يحتاج إلى الراحة ويستحقها . وانت كسبت الحق في هذه

وإنى اسمح لنفسى بأن اتوجه إليكم الأن بهذا الاقتراح لأنى عندما تحدثت معكم أخر مرة ، ودعوتكم لقضاء فترة من الراحة مع اسرتكم في بلدنا كانت إجابتكم ان الوضع ملتهب بدرجة تجعل من غير المستصوب أن تغادروا بلدكم . وكانت الاعتبارات التى رايتموها صحيحة في ذلك الحين . أما الآن فلم يعد لتلك الاعتبارات وجود ، وهو أمر يسعدنا جميعا . فالامبرياليون اعداء السلام قد منوا بهزيمة جديدة في الشرق الادنى ، وكان عليهم أن يبتلعوا دواء مراً تمثل في ثورة العراق التى ترتب عليها اتساع جبهة التحرر الوطنى المناهضة للامبريالية والاستعمار .

وفى تقديرنا ان الوضع الدولى يتطور الآن لصالح البلدان المناضلة من اجل السلام والاستقلال الوطني ، وذلك من دواعى غبطتنا وغبطتكم .

ولن اثقل عليك بالحديث في هذه المسائل تفصيلا ، وإن كنت امل ان التقى بك في المستقبل القريب ، كى نتحدث في جميع القضايا التي نرى مناقشتها . ومن الواضع ان لديك الكثير منها ، كما ان لدينا من ناحيتنا ما نود ان نناقشه معك .

وارجو أن تتقبل الشكر الصادق على الاستقبال الودى الحار الذى لقيه مبعوثنا محيى الدينوف منكم شخصيا ، ومن رجال دولتكم ، واسمح لى أيضا أن أعبر عن الامتنان القلبى للتمنيات الطيبة والتحيات التي بعثتم بها عن طريق الرفيق محيى الدينوف لشخصى ، ولزملائى ، وللشعب السوفيتي .

وإنى لأشد على يدك _ مع فائق الاحترام .

نيكيتا خروشوف

وأدرك « جمال عبد الناصر » من العبارات الأخيرة في هذا الخطاب أن موضوع الشيوعيين العرب يلح على « خروشوف » وأن هذا الموضوع بالذات هو الموضوع الذي يود خروشوف أن يناقشه معه ، كما ورد في هذه الفقرة من خطابه .

وفي شهر اكتوبر كان «عبد الحكيم عامر » على موعد لزيارة موسكو لبحث المرحلة الأولى من السد العالى ، ولجس النبض في احتمال حصول مصر على مفاعل نووى من الاتحاد السوفيتى ، كما أنه كانت هناك صفقة اسلحة متطورة جديدة لابد من التفاوض عليها . وحمل » عبد الحكيم عامر » معه إلى موسكو ردا من » جمال عبد الناصر » على خطاب « خروشوف » جاء فيه قول » جمال عبد الناصر » إنه » في الوقت الراهن لا يستطيع السفر خارج الجمهورية العربية المتحدة ، وانه يسعده أن يعزز له دعوته السابقة لزيارة مصر ، وأن جو مصر في هذه الفترة اكثر دفئا من سواحل القوقاز » . وعاد » عبد الحكيم عامر » من موسكو ، وقد أجيب الحكر دفئا من سواحل القوقاز » . وعاد » عبد الحكيم عامر » من موسكو ، وقد أجيب ألى كل ما طلب ، وحمله « خروشوف » خطابا مكتوبا منه إلى « جمال عبد الناصر » قال في الفقرة الأخيرة منه : » إنى أقبل مع عظيم الامتنان دعوتكم ، وأود صادقا أن ألفقرة الأخيرة منه : » إنى أقبل مع عظيم الامتنان دعوتكم ، وأود صادقا أن أقوم بهذه الرحلة في المستقبل القريب إلا أن اقتراب موعد المؤتمر الواحد والعشرين للحزب يمنعنى من تحقيق هذه الرغبة في الوقت الحاضر » .

ورد « جمال عبد الناصر » على خطاب « خروشوف » بخطاب كتب مسودته بخط يده (۱) .

П

وجاء المؤتمر الواحد والعشرون للحزب، وبدأت الوفود المدعوة تصل إلى

[﴾] النص الكامل للخطاب موجود في ارشيف منشية البكرى في الجزء الثالث من مجموعة ملفات مكونة من لية اجزاء عنوانها ، مراسلات مع القادة السوفيت ، وقد ارسلت نسخة من هذا الخطاب إلى كل من وزارة ارجية ، والقيادة العامة للقوات المسلحة .

⁽ ٩) صورة من مسودة الخطاب بخط = جمال عبد الناصر ، منشورة في المُلحق الوثائقي لهذا الكتاب صفحة ٨٦٢ تحت رقم ٣٠ .

موسكو، وفي مقدمتها الأحزاب الشيوعية العربية . وكالعادة ، فإن عددا من زعماء هذه الوفود كتبوا ـ ونشرت لهم صحيفة « برافدا » وغيرها مقالات في تهنئة الحزب السوفيتي بمؤتمره الواحد والعشرين . وكان « خالد بكداش » واحدا من الذين نشرت الصحف السوفيتية مقالاتهم ، ولوحظ أن مقال « بكداش » تضمن تعريضا بالجمهورية العربية المتحدة ، وبسياساتها في معاداة الشيوعية ، وأن هذا في رأيه عداء للديمقراطية نفسها ، وللتقدم الاجتماعي . ثم تناثرت في بعض الصحف السوفيتية تعليقات على كتابات الشيوعيين العرب ، وكلها تؤيد وجهة نظرهم ، وتطالب بفتح الطريق أمامهم لكي يمارسوا نشاطهم الديمقراطي والاجتماعي بغير قيود .

وقبل انعقاد المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي بيومين ، كان السفير السوفيتي في القاهرة « ديمتري كيسيليف » على موعد مع الرئيس » جمال عبد الناصر » لكي يستأذنه في السفر إلى موسكو لحضور المؤتمر بوصفه عضوا في مجلس السوفيت الأعلى . وانتهز « جمال عبد الناصر » هذه الفرصة لكي يتحدث إلى السفير بأقصى قدر من الصراحة طالبا منه أن ينقل كلامه إلى « خروشوف » ، وقال سجمال عبد الناصر » (۱۰) :

البنى اثرت ان اتحدث إليك شفويا ولا اضع ما سوف اقوله لك على ورق في خطاب مكتوب للرئيس خروشوف الن الموضوع الذى اريد ان اكلمك فيه حساس ، وانا اريد علاجه بغير الطريق الرسمى . إننى والحكومة في الجمهورية العربية المتحدة نشعر بالقلق إزاء بعض الظواهر التى تتبدى في علاقاتنا هذه الأيام . فالمقالات التى يكتبها خالد بكداش وامثاله لا تهمنا ، فقد كانوا ينشرون مثلها واسوا في الصحف العراقية ، وفي صحيفة الحزب الشيوعي اللبناني في بيروت . ولكن ظهور هذه المقالات الآن في الصحف السوفيتية ، وبينها صحيفة و برافدا ، وهي الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي السوفيتية يثير لدينا شكوكا نفضل ان نطرحها عليكم مباشرة ، خصوصا وان الأمر لم يقتصر على كتابات الشيوعيين العرب وإنما اضيفت إليه تعليقات صدرت عن الصحف السوفيتية ذاتها . وانا لست مستعدا ان اقبل مقولة إن الصحافة عندكم حرة تنشر ما تشاء ، فانا اعرف من واقع الحال أن الأمور على عكس ذلك ، وان ما يصدر في الصحف السوفيتية لا يمكن أن يتم الإمور على عكس ذلك ، وان ما يصدر في الصحف السوفيتية لا يمكن أن يتم الغرب ، وحتى عندما كانوا يتعللون امامنا بحرية الصحافة الله كنا لا نقبل الغرب ، وحتى عندما كانوا يتعللون امامنا بحرية الصحافة الله كنا لا نقبل الغرب ، وحتى عندما كانوا يتعللون امامنا بحرية الصحافة الله كنا لا نقبل الغرب ، وحتى عندما كانوا يتعللون امامنا بحرية الصحافة الله كنا لا نقبل

دعاويهم رغم اننا نعرف ان صحافتهم بالفعل لا تخضع بالضرورة ، او بالكامل لمؤثرات الدولة في بالدهم ، وإذا صدافت ما ينشر في الصحف السوفيتية ، وليس امامي غير ان اصدق ، فهذا معناه ان الاتحاد السوفيتي يغير سياسته الان تجاه حركة التحرر الوطني ، واكثر من ذلك فإنه يتدخل في صميم امورنا الداخلية ،

وقد نكون مفرطين في الحساسية ، وقد يكون هذا صحيحا ، فنحن بلاد لم تحصل على استقلالها إلا منذ سنوات معدودات ، وغيرتنا على هذا الاستقلال تجعلنا احيانا مفرطين في سوء الظن بأى كلمة نعتبرها ماسة به . ولهذا فانا اخشى ان نجد انفسنا مضطرين لأن نستنتج مما نقرا ما يلزم استنتاجه ، وهذا بدوره سوف يؤدى إلى ربود من جانبنا . وإذا كنتم تتصورون ان حاجتنا إلى السلاح ، ورغبتنا في بناء السد العالى سوف تمنعنا من الرد ، فإنكم تقعون في خطا كبير . ولو ان تلك طبيعتنا لما كان هناك داع لكل هذه المعارك التي دخلناها ضد القوى الاستعمارية والامبريالية . فنحن لم ندخل هذه المعارك لأننا نكن لهم كراهية خاصة ، وإنما دخلناها لأنعا نحب استقلالنا وحريتنا . وإذا بدات ردود الافعال من جانبنا ، ثم دخلنات من جانبكم ، فلست اعرف إلى اين تصل الأمور ؟ "

كان « كيسيليف » يكتب ما يسمع ، ولم يقل شيئًا غير إنه سوف ينقل ما سمع كاملا ، وأمينا إلى « خروشوف » .

وبعد يومين اتصل مستشار السفارة السوفيتية بمكتب الرئيس ، وابلغ أن لديه رسالة مكتوبة من « خروشوف » إلى « جمال عبد الناصر » . ودعى مستشار السفارة لمقابلة السيد « على صبرى » وسلفه رسالة « خروشوف » باللغة الروسية ، ومعها ترجمة غير رسمية باللغة العربية « وكان نصها كما يلى(١١) :

« عزيزي السيد الرئيس

فهمنا من حديثكم مع السفير السوفيتى قبل سفره إلى موسكو، ومن غيره من الإحاديث، بالإضافة إلى ما تنشره صحف الجمهورية العربية المتحدة، ان الإحداث المعروفة التى وقعت مؤخرا ادت إلى قلق حكومة الجمهورية العربية المتحدة وقلقكم شخصيا، بشان احتمالات تطور العلاقات بين بلدينا. كما اثيرت تساؤلات عن موقف الاتحاد السوفيتى من حركة التحرر الوطنى العربية، وهل لم يطرا عليه تغيير. وفي رأينا أنه يجب أن يكون هناك وضوح كامل بيننا بشان هذه المسائل الهامة.

⁽١٠) طلب الرئيس قبل اجتماعه بالسفير تسجيل وقائعه ، وكان يطلب ذلك في بعض المقابلات الهامة التي لا يشترك فيها غيره ويكون من الضرورى حفظ تفاصيلها لسجلات الدولة ، وقد جرى تفريغ هذا الشريط الذى تحدث فيه د جمال عبد الناصر » إلى د كيسيليف » باللغة الإنجليزية ، ووضع اصل التفريغ ضمن الملف الثالث من د مراسلات مع القادة السوفيت » في ارشيف منشية البكرى ، وقد ارسلت نسخ منه إلى القيادة العامة للقوات المسلحة .

⁽١١) أصل الرسالة باللغة الروسية ، وترجمتها غير الرسمية باللغة العربية [ارشيف منشية البكرى ضمن الملك الثالث من «مراسلات مع القادة السوفيت » . وقد أثرت نشر نصبها كاملا في متن الكتاب ، وليس ضمن الملك الثالث من «مراسلات مع القادة السوفيت » . وقد أثرت كثيرة من اسباب الخلاف العربي ـ السوفيتي .

تعرفون يا سيادة الرئيس انه قد قامت بين دولتينا علاقات طيبة ، وكان لذلك دوره الكبير في الدفاع عن سلم بلدان الشرق وامنها . حدث ذلك مثلا في ايام السويس ، وفي الأيام التي كانوا يعدون فيها للعدوان على سوريا . فلي وقتها تحرك بلدانا معا لصد الهجوم المشترك من جانب قوى المستعمرين على حرية الشعوب العربية ، تلك الحرية التي احرزتها بالكثير من الجهود والتضحيات . كما أن التعاون الوثيق بيننا ساعد على تقويض الوضع الاحتكاري الذي طال عليه الامد لرؤوس الاموال الاجنبية في الحياة الاقتصادية لبلدان الشرق الاوسط . ونحن نشعر باغتباط صادق للنهضة التي يشهدها الاقتصاد الوطني لهذه البلدان .

وقد قام هذا التعاون المثمر رغم اننا نعتنق ، كما يعرف الجميع ، اراء ايديولوجية مختلفة . وعندما كنا نناقش المسائل المشتركة التي تجمع بيننا في النضال من اجل السلم ، وضد قوى الامبريالية والاستعمار ، كان من الطبيعي ان نسعى في الاتحاد السوفيتي إلى عدم التركيز على الخلافات الايديولوجية الللكة . لكنكم رايتم في بور سعيد ان هناك ضرورة لابداء رايكم في هذه المسائل ايضا . والزمنا ذلك بان نعبر عن راينا داخل مؤتمر حزبنا . ومن الواضح ان كلا منا بقي على رايه ، وليس في ذلك شيء غير متوقع .

وقد كانت الخلافات الايديولوجية قائمة بيننا من قبل ايضا . ومع ذلك استطاع بلدانا أن يتعلونا بنجاح ، على نحو ما نتعاون الآن مع بلدان كثيرة اخرى يختلف نظامها الاجتماعي عن نظامنا . وإذا نظر المرء إلى الوضع الحالى نظرة واقعية ، فمن السهل أن يرى أن من يعادون قيام العلاقات الودية بين الاتحاد السوفيتي ، والجمهورية العربية المتحدة يريدون الآن أن يستغلوا خلافاتنا الايديولوجية . فاعداؤنا المشتركون من المستعمرين يبحثون عن أى ثغرة ينفذون منها لدق اسفين بيننا ، ولافساد ما بيننا من علاقات طبية .

ونحن نزيح جانبا كل ما تبلغنا به الدول الغربية من افتراءات ضد حكومة الجمهورية المتحدة وأود أن أخبرك يا سيادة الرئيس مخلصا ، أن هذه الدسائس من جانب الامبرياليين لا يمكن أن تؤثر علينا أو تغير موقفنا الودى من الجمهورية العربية المتحدة ، وأن الدول الغربية لن تنجح في العثور على تلك الثغرات في ناحيتنا . ولذا فإنهم ببحثون عنها ، وسيستمرون في البحث عنها ، في الصحافة في المقام الأول ، خاصة وأنهم برون أنكم فتحتم لهم الباب في ميدان الكفاح ضد الشيوعية الدولية ، ولكننا نود أن ندع هذه المسالة جانبا ، فالجميع يعرفون جيدا أن الكفاح ضد الشيوعية دائر منذ مائة علم ، ولا شك في أنكم تعرفون أية نتائج حققها هذا الكفاح حتى الآن . ولكنى على أى حال لست بحاجة إلى الإفاضة في هذا الموضوع .

ولما كنت اعرفكم كقائد سياسى منذ سنوات طويلة ، فإنى اعرب عن الامل في الا ينجح الامبرياليون في العثور على تلك الثغرة في ناحيتكم ايضا ، لكيلا يحبطوا وحدة شعوب بلدينا في النضال ضد الاستعمار . وهل هناك اى اساس لأن يقال إن

الجمهورية العربية المتحدة ، وغيرها من الدول العربية ، لم تعد تتعرض للخطر من جانب الدول الامبريائية التي تعمل اليوم ، كما كانت تفعل في الماضي ، على شحذ خناجرها للاجهاز على حرية البلاد العربية واستقلالها ؟

هل يمكن تصور أن مهمة النهوض باقتصاد تلك الدول وهي مهمة صعبة ا والقضاء على الآثار المفزعة للاستعمار ، قد انجزت ، واصبحت من ذكريات الماضي ؟ هل يمكن القول بأنه لم تعد هناك الآن ضرورة لوحدة القوى المناهضة للامبريالية من أجل إنجاز المهام المتعلقة بالنضال ضد الاستعمار ، والتي لا تقل اليوم تعقيدا عما كانت عليه بالأمس ، وفي مقدمتها ضرورة وحدة العمل بين دول الشرق المستقلة ، والاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى ؟

في اعتقادنا أن الوضع اليوم يتطلب ، على العكس ، تعزيز هذه الوحدة ، وتشديد حملتنا المشتركة على الاستعمار والامبريالية . واقول صراحة إن خطر قوى الامبريالية عليكم اليوم اكبر من خطرها علينا ، لأن الاتحاد السوفيتي وصل إلى درجة من التقدم تتيح له أن يدرج في خططه القومية أهدافا لا تقدر عليها حتى اكثر الدول الراسمالية تقدما من الناحية الاقتصادية في العالم . ولكننا لا نخفي أن من مصلحتنا أن تضعف القوى الاستعمارية ، فهي ليست عدوة لحركة التحرر الوطني في بلدان الشرق وحدها ، بل هي عدوة أيضا للدول الاشتراكية ، ولو كان ذلك لسبب واحد هو عداء تلك القوى للسلام .

ونحن نعرف جيدا ان الدوائر الحاكمة في الدول الغربية لا تتورع عن استخدام اية وسيلة للوقيعة بين الاتحاد السوفيتي، والجمهورية العربية المتحدة. وفي مقدورهم ان يطلعوك على وثائق عن « انشطة الشيوعية العالمية " يكونون قد اصطنعوها بانفسهم " فباعهم طويل في هذا الميدان، وهم ينفقون عليه اموالا طائلة، وفي الولايات المتحدة جيش كامل من الاخصائيين الذين يعملون لنشر المعلومات الكاذبة والمضللة بين الساسة، والراي العام في مختلف البلدان وهدفهم الاساسي من ذلك هو إفساد العلاقات بين الدول التي تقف سياستها السلمية عقبة في طريقهم، وخاصة إذا إتصل الأمر بالعلاقات بين دول الشرق المستقلة " والبلدان الاشتراكية. وإذا اعطاهم المرء اصبعا قلن يلبثوا ان يقطعوا الذراع كلها.

ونحن نعرف أن هناك أنباء تنسب إلى مصادر يوجوسلافية نشرتها مؤخرا الصحف البريطانية والفرنسية عن محاولة دبرت للاعتداء على حياتكم ، وذكر في هذا الصدد تلميحا باسم الاتحاد السوفيتي . وهم بينما يلجاون إلى هذه الاكذوبة التي تهدف بوضوح إلى صرف أنظاركم إلى أتجاه خاطيء ، لا يشيرون بحرف إلى أن محاولة الاعتداء على حياتكم كانت تعدها المخابرات الفرنسية والاسرائيلية ، وهم يعلمون بذلك .

وهم يقدمون إليكم معلومات عن « تغلغل النفوذ الشيوعي » في اليمن عن طريق الخبراء السوفيت ، تماما كما حاولوا إفزاع زعماء اليمن بالحديث عن ميول الرئيس

عبد الناصر ، المؤيدة للشيوعية ، وبالحديث عن مهمة خاصة مزعومة قام بتنفيذها الخبراء السوفيت الذين دعتهم حكومة الجمهورية العربية المتحدة للمعاونة في إقامة مختلف المشروعات .

وقد النبتت التجربة ان عملاء الامبريالية يعملون في الجانبين من اجل تحقيق المدافهم الانانية القدرة ، ولما كانت الجمهورية العربية المتحدة (وانتم شخصيا بوصفكم قائدها) لا تزال تمثل قذى في عين الامبريالية ، فإنهم يريدون بكل وسيلة ان يعزلوكم عن البلدان الآخرى المعادية للامبريالية حتى يتمكنوا من الانفراد بكم ، والقضاء عليكم فيما بعد .

اما نحن في الاتحاد السوفيتي ، والحكومة السوفيتية فقد ايدناكم ونؤيدكم بإخلاص في نضائكم العادل ضد الاستعمار ، ومن أجل استقلال الجمهورية العربية المتحدة وحقوقها المشروعة ، وموقفنا منكم ومن البلد الذي تقودونه لا يتغير نتيجة لظروف سياسية مؤقتة عادرة ، أو لاسباب عارضة .

ونحن شخصيا نعرفكم قائدا بارزا لحركة الشعوب العربية من أجل التحرر من نير الاستعمار . وقد كان لنضال الشعب المصرى والشعوب العربية الأخرى من أجل الاستقلال الوطنى ، والتحرر من النير الاستعمارى دوره الكبير في النهضة العارمة لحركة التحرر الوطنى لشعوب أسيا وأفريقيا . وقد حظى هذا النضال بالاحترام والعطف والتاييد العميق من جانب الشعب السوفيتى ، والشعوب الأخرى المحبة للسلام . وايدنا نحن هذا النضال بكل إخلاص في الماضى ، ونؤيده في الحاضر ، وسنؤيده في الماض .

وقد تلقينا بارتياح ما ذكرته للسفير السوفيتى من أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لن تحيد عن سياسة الصداقة مع الاتحاد السوفيتى . ويسعدنى أن الاحظ أن التعاون الأخوى والروابط الاقتصادية والثقافية بين الاتحاد السوفيتى ، والجمهورية العربية المتحدة متينة وتزداد تطورا . ونحن من جانبنا عازمون على دعم هذه الروابط وتوسيعها رغم ما هو معروف بصفة عامة من أن الاتحاد السوفيتى وشعوبه يواجهان الآن مهام داخلية هائلة لتنمية الاقتصاد الاشتراكى ، وبناء الشيوعية .

وقد اتيحت لنا الفرصة في اثناء وجودك في موسكو لاجراء محادثات صريحة وحميمة ، تبادلنا فيها الاراء حول شتى الشؤون الدولية ، والاحوال الداخلية في بلدينا . ولم نتردد في توضيح ان من مصلحتنا ان تزداد الجمهورية العربية المتحدة قوة ، وان تتضاعف دورها كعنصر هام في السلام ، والاستقرار والرخاء في الشرق الاوسط .

وفي هذا الصدد ، لعلكم تذكرون انى اعربت ايضا عن اعتقادنا بانه حدث بعض التعجل في الوحدة بين مصر وسوريا ، فلم تؤخذ في الاعتبار بدرجة كافية جميع السمات الخاصة لكل من البلدين اللذين تجرى الوحدة بينهما . ولقد اعربنا عن

راينا ، وحاولنا بإخلاص وبروح الود ، ان نساعد في قضية بناء الدولة الجديدة ، ومنع ظهور صعوبات في المستقبل ويبدو لنا ان هذه الحقيقة لم تلق الامتمام الكافي في ذلك الحين . لكنكم الآن ترون ان ذلك التعجل ترتبت عليه نتائج غير سارة كان في الوسع تجنبها . والخبرة التي اكتسبها عند من الدول ، والاتحاد السوفيتي من بينها ، تثبت أن في الوسع ازالة الاسباب المؤدية إلى ظهور مثل هذه الصعوبات ، وذلك بمراعاة السمات الخاصة بتطور كل من الاقليمين اللذين تتالف منهما الجمهورية العربية المتحدة .

أما عن الموقف من الشيوعيين في الجمهورية العربية المتحدة ، فإن الاتحاد السوفيتي لم ولن يتدخل في الشؤون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة ، رغم انكم يا سيادة الرئيس ، عندما سلكتم سبيل التقارب بين بلدينا ، كنتم تعرفون طبعا اننا شيوعيون ، واننا لا يمكن ان نتعاطف مع سياسة الكفاح ضد الشيوعية ، فهي سياسة نعتبرها خاطئة تاريخيا ، ولا جدوى من ورائها . ولذا فليس في هذا شيء جديد ، سواء من جانبكم أو جانبنا .

وإنى اتفق معكم فيما اعربتم عنه من الأمل في ان تزداد متانة العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . واود ان اذكر في الختام ان ما تضمنته هذه الرسالة من تعبير صريح عن راينا ، إنما يهدف إلى زيادة التفاهم بيننا ، وتعزيز علاقاتنا الودية في النضال المشترك ضد الاستعمار ، ومن اجل تدعيم السلام والأمن في الشرقين الادنى والاوسط .

موسکو فی ۱۹ فبرایر ۱۹۵۹ .

المخلص ن . خروشوف .



وهكذا فإنه عندما ظهرت صور زعماء الأحزاب الشيوعية العرب مع «خروشوف» ومع غيره من القادة السوفيت بدا الأمر خارجا عن المألوف، بل وبدا منذرا بالشر لأن هذه الصور لم تلبث أن أعقبتها حفلات اقيمت تكريما للشيوعيين العرب، وقد وقف « خروشوف » في إحداها خطيبا ، وراح يهاجم سياسة الجمهورية العربية المتحدة علنا . وبدا الأمر وكأنه يقوم بحملة مركزة لتأييد الشيوعيين العرب

وتحريضهم ، ولم يكن هؤلاء في حاجة إلى مزيد من التحريض ، فقد أصبح صوتهم في بغداد أعلى الأصوات ، وبدأت المحاكمات الاستثنائية تصدر أحكام إعدام بالجملة على مئات من القادة الوطنيين ، وطالت حبال المشانق حتى التفت حول أعناق مئات من المدنيين ، كما أصبحت طوابير الاعدام رميا بالرصاص مصيرا يتربص كل يوم بمئات من العسكريين !

وعندما جاءت رسالة « خروشوف » الأخيرة التى سلمها مستشار السفارة السوفيتية إلى السيد « على صبرى » وأضيفت محتوياتها إلى الصورة العامة للموقف بين البلدين ـ أصبح الأمر لا يحتمل الصمت من وجهة نظر « جمال عبد الناصر » وقرر أن يرد علنا على « خروشوف » ، واختار أن يرد من شرفة قصر الضيافة ف دمشق التى قصد إليها في مناسبة الاحتفال بالعيد الأول لقيام الجمهورية العربية المتحدة .

وتحدث « جمال عبد الناصر » عن تاريخ الكفاح من أجل الوحدة العربية ، ومن أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية ، ثم وصل إلى ما جرى في إطار المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، وقال إنه لا يخفى أن هناك خلافات عقائدية بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتي ، بل إنه يعلنها لكل من يسمع ، فلكل بلد نظامه الاجتماعي الخاص ، ولكل بلد عقائده التي يؤمن بها ، ونحن لا نتدخل في عقائد الآخرين لكننا نرفض أن يفرض الآخرون عقائدهم علينا . وإذا كنا نعترف بمساعدات الاتحاد السوفيتي لنا ـ ونحن نعترف بها وسنظل _ فإننا لا نجد في هذا مبررا على الاطلاق للتخلى عن عقائدنا . وقال إن هناك مراسلات بينه وبين « خروشوف » وانه ما زال يامل أن يستطيع الطرفان احتواء الخلاف بينهما حتى لا تشمت القوى الاستعمارية في الغرب، وهي بالطبع تريد الوقيعة بيننا وبينهم . كما أن هناك جماعات من الانتهازيين العرب يهمهم أن تسوء العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتي . والقضية بالنسبة لنا أكبر من أن تكون قضية إمداد سلاح ، أو معاونات اقتصادية ، أو بناء سد عال عند اسوان، وانه وهو يطرح موضوعات الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتي علنا على جماهير الشعب ، فإنه يفعل ذلك لكي يعرف السوفيت وغيرهم أن شعب الجمهورية العربية المتحدة يؤيده في التمسك باستقلاله الوطني وباختياره العقائدي . وقال إنه يريد أن يكون مفهوما أن لنا اصدقاء بين الشيوعيين ، واولهم الرئيس « تيتو » والرئيس « خروشوف » نفسه ، وبالتالي فنحن لسنا في حرب مقدسة ضد الشيوعية ، وإنما نحن متمسكون بمبادئنا ، كما اننا لم نحاول أن نقنعهم بها ، أو نصدرها إليهم .

وقام = جمال عبد الناصر = بعد ذلك بجولة واسعة فى محافظات سوريا ، وتحدث فى اكثر من موقع ، وفى حلب قال « جمال عبد الناصر » يوم ٢٦ فبراير : « نحن لا نستلهم الوحى ، وفى اللاذقية يوم اللانقية يوم اللانقية يوم اللان عبد الناصر » : « نحن لسنا مستعدون لقبول التبعية لاى طرف فى الغرب أو فى الشرق » . وفى جبل العلويين يوم ٣ مارس قال ا جمال عبد الناصر » إن « الشيوعيين العرب يلعبون دور الطابور الخامس ل خدمة الاستعمار سواء كانوا يعرفون ذلك ، أو يجهلونه » .

وفى يوم ٨ مارس ١٩٥٩ تمردت الفرقة الثانية العراقية فى الموصل بقيادة العقيد « عبد الوهاب الشواف » ، ودار قتال شديد بينها ، وبين قوات يسيطر عليها الشيوعيون ، واستطاع ممرض ينتمى إلى الحزب الشيوعي أن يطلق الرصاص على العقيد « عبد الوهاب الشواف » ويقتله . وبعدها استبيحت محافظة الموصل كلها لعملية من الارهاب لم يسبق لها مثيل وصلت إلى قتل الناس بالمئات فى الشوارع ، وإلى إرغام بعض الذين أيدوا تمرد « الشواف » من المدنيين على حفر قبورهم قبل إطلاق الرصاص عليهم ، وإلقاء جثثهم فى القبور التى حفروها ، كما أن عشرات جرى شنقهم فى اعمدة النور فى الشوارع .

ووقف « جمال عبد الناصر » يوم ١١ مارس في ساحة الجلاء في دمشق ليتحدث عن الارهاب الشيوعيين لأول مرة بانهم « عملاء للاجنبي ، ولا يتحركون إلا بتعليمات » .

وكان الارهاب في الموصل على قدم وساق . وتدفق عشرات الألوف من أهالى الموصل إلى محافظات سوريا القريبة منهم لاجئين من المجازر الارهابية . وأعلنت إذاعة بغداد أنه جرى إعدام أربعة وخمسين عسكريا ومدنيا في الموصل بدون محاكمة لأن جرائمهم كانت واضحة ، ولا تحتاج إلى تحقيقات أو محاكم .

ويوم ١٦ مارس جرى في موسكو احتفال بتوقيع اتفاقية للمساعدة الفنية والمالية بين الاتحاد السوفيتي والعراق واختار «خروشوف » أن يلقي في هذا الاجتماع خطابا ينتقد فيه فكرة القومية العربية ، ويبدى رأيه بأن القومية ليست أساسا للوحدة ، وإنما الأساس هو وحدة الطبقة العاملة في العالم . ثم انتقد سياسة «جمال عبد الناصر » واتهمه بأنه «يتصرف باسلوب احمق ، وأن رأسه ساخن ، وهو يتصور أنه يستطيع أن يفرض سياسته على العالم » . ثم انتقد «خروشوف » لأول مرة سياسة عدم الانحياز قائلا إنها سياسة ذات وجهين ، وانتهز فرصة هجومه على عدم الانحياز ، وأشار إلى الرئيس «تيتو »

وهو احد زعمائها باسلوب خارج قال فيه : « إن تيتو يعطينا خده لنقبله ، ويعطى مؤخرته للراسماليين الغربيين » .

ورد « جمال عبد الناصر » على « خروشوف » في نفس اليوم ، ومن داخل المسجد الاموى الكبير في دمشق قائلا : « إن دفاع خروشوف عن الشيوعيين في بلادنا امر لا يمكننا قبوله ، وهو يعتبر تحديا لاجماع الشعب في وطننا » . ثم قال : « إننا لن نبيع بلادنا لا بملايين الدولارات ، ولا بملايين الروبلات . وإن خروشوف حر فيما يا الدولارات ، ولا بملايين الروبلات . وإن خروشوف حر فيما يا ويفعل في الاتحاد السوفيتي ، اما نحن فلسنا تحت وصاية احد » . وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة ، وحضر يوم ٣٠ مارس احتفالا اقامته القيادة العامة للقوات المسلحة في معسكر الهاكستيب بمناسبة انتهاء تدريب الفرقتين الثالثة والرابعة ، ووقف « جمال عبد الناصر » يخطب امام مئات من ضباط الجيش قائلا : « إن الشيوعيين يشنون حربا مسعورة ونرفض سيطرته » . ثم اضاف : « إن الشيوعيين يشنون حربا مسعورة ضدنا تساندهم في ذلك قيادة الاتحاد السوفيتي ، وبذلك فإن في الاحزاب اثبتت انها ليست إلا عميلا لقوة كبرى » .

وكانت طاحونة الارهاب ما زالت تدور فى بغداد ، ووصل الأمر إلى عد قيام بعض الشيوعيين بالدخول على « عبد السلام عارف » فى سجنه حيث كان مقيدا بالسلاسل ، وضربوه بالخناجر حتى اثخنوا جسمه بالجراح .

وكانت المشادة العلنية بين « جمال عبد الناصر » و « خروشوف » قد تحوات إلى مبارزة علنية وقف العالم أمامها مندهشا ومأخوذ الالك كأنه يتابع مباراة مثيرة ، ولكنها لم تكن مباراة في الرياضة ، وإنما كانت صراع إرادات من طراز مثير ،

وحين أصدرت بعض التنظيمات الشيوعية السرية في مصر بيانا تؤيد فيه موقف الاتحاد السوفيتي في المشادة العقائدية مع مصر رد « جمال عبد الناصر » بحملة اعتقال لعدد من أفراد هذه التنظيمات .

وتلقى « جمال عبد الناصر » من موسكو بعض الرسائل من طلبة البعثات

الدراسية المصرية في الجامعات السوفيتية يشتكون فيها من سوء المعاملة التي بدأوا بلقونها فجأة حتى في عنابر النوم . وكان اشد ما أثاره في ذلك الوقت خطاب من دارسة مصرية للطبيعة النووية قالت فيه إنها تجد نفسها مرغمة على النوم في غرفة تضم ثلاث شابات غيرها من جنسيات مختلفة ، لكنهن جميعا من الشيوعيات المقاتلات ، وقد وصلن في تعاملهن معها إلى حد نبذها وإهانتها بدعوى أن مصر غيرت سياساتها ، وتركت المعسكر التحرري ، وانضمت إلى أعدائه . ثم شكت من أن غرف النوم تقع في عنابر مختلطة للجنسين . وقد أطلعني الرئيس « جمال عبد الناصر » على هذا الخطاب وغيره من خطابات الدارسين المصريين بموسكو ، وكلها تطفح بالشكوى ، وقال لى إنه يريد في هذا الموضوع بالذات أن يرد بطريقة موجعة ، وسألنى أن أتوجه إلى مقابلة السفير الأمريكي « ريموند هير » وأن أسأله « إذا كانت الولايات المتحدة تستطيع أن تجد على الفور أماكن في الجامعات الأمريكية لهؤلاء الدارسين المصريين في الجامعات السوفيتية »، وكان رايه أن السوفيت في حاجة إلى أن يفهموا أن مصر ليست رهينة لدى طرف . وبالفعل فقد قابلت السفير الأمريكي وناقشت معه الموضوع . وسألنى عن عدد الدارسين الذين نطلب توفير أماكن لهم في الجامعات الأمريكية _ مع العلم بأن الفترة الدراسية للربيع قد بدأت بالفعل ف كل الجامعات الأمريكية . وقلت إن عددهم حوالي المائتين ، وأمسك « هير » رأسه بيديه مفزوعا من العدد ، وقال إن الأمر يحتاج إلى قرار على أعلى مستوى في الولايات المتحدة ، وأنه سيكتب فيه ليس فقط إلى وزارة الخارجية ، وإنما إلى البيت الأبيض . وعند منتصف الليل التالى اتصل بي « هير « ليقول لى إنه تلقى قبل دقيقة واحدة ردا إيجابيا على الطلب ، وأن كل القواعد سوف يجري كسرها ، وأن نفوذ الرئيس « ايزنهاور » نفسه سوف يجري استعماله لدى الجامعات الأمريكية لتقبل كل هذه الأعداد في هذا الوقت المتأخر من العام

ولم يمضى اكثر من أسبوع حتى كان مائتا دارس ودارسة مصريين يحزمون حقائبهم من موسكو، ويستعدون لعبور المحيط إلى الولايات المتحدة.

وكانت حرائق الأعصاب ما زالت تشتعل على الناحيتين بين موسكو والقاهرة .(١٣)

⁽١٢) وصلت المشادة بين الزعيمين إلى دروتها في ٢٠ أبريل ١٩٥٩ حيث تبادلا أطول رسالتين متبادلتين بينهما ، وقد شرح كلاهما قصة الخلاف وأسباب سوء الفهم من أولها إلى أخرها ، وكانت اللهجات حادة والاتهافات عنيفة ، وقد أثرت بسبب طول الرسالتين أن أنشر رد « عبد الناصر » لأنه يحوى الرسالتين معا ، فقد أوره فهه نصا بنص فقرات من رسالة ، خروشوف » ورده عليها ، وبذلك فإنها الرسالة التي تتضمن القمنة كلها ، وهي على صفحة م١٨ برقم ٣١ في الملحق الوثلاقي – وقد كان السفير السوفيتي « ديمتري كيسيليف » هو الذي حمل رسالة ، خروشوف » إلى « عبد الناصر » كما في السفير « محمد عوض القوني » هو الذي حمل به ، عبد الناصر » على « خروشوف » .

⁽١٣) يلاحظ أن الطرفين بشكل ما كانا يحرصان على عدم الوصول إلى نقطة اللاعودة رغم أن هذه النقطة لاحت ل بعض الأحيان وكانها الخطوة التالية مباشرة .

بشكل ما بقيت هناك علماوية شعرة ، رغم أن الضغط عليها كان ثقيلا ، وربما كانت هذه النقطة هي التي مكنت من علا اتفاقية المرحلة الثانية من تمويل السد العالى أن جو كانت ظواهره جميعا ضد إمكانية عقدها . فعندما ظهر أن هناك تداخلا بين بعض أعمال المرحلة الأولى والمرحلة الثانية ، كما أن هناك وقرا كبيرا يمكن تحقيقه من التنسيق بين أعمال المرحلتين ـبدأت عملية استطلاع النوايا أن نهاية سنة ١٩٥٩ وأن الأيام الأولى من سنة ١٩٦٠ ، ثم علا اتفاق المرحلة الثانية من السد العالى ، وأصبح تنفيذ هذا المشروع العملاق ـ عملا وأحدا التعالى .

الفصر الثاني

حسابات



ف أواخر شهر مارس ١٩٥٩ انعقد مؤتمر على مستوى القمة بين « ايزنهاور » و « ماكميلان » فقد أحست الولايات المتحدة وبريطانيا أن هناك أمورا كثيرة تقتضى لقاء مباشراً بين البلدين ، وفي مقدمتها هذه التطورات التي بدت مثيرة على مسرح الشرق الأوسط . وكان الاجتماع الذي عقد بين الرئيسين في البيت الأبيض صباح يوم ٢٠ مارس مخصصا بأكمله للمنطقة . وقد بدأه « ايزنهاور » بقوله (۱) : » إن ما يجرى في المنطقة يستوجب أعلى درجات الاهتمام ، فالقرار الذي اتخذه ناصر معواجهة الشيوعيين في العالم العربي في منتهى الصراحة والعلنية » . ورد عمواجهة الشيوعيين في العالم العربي في منتهى الصراحة والعلنية » . ورد العالم العربي ، فقد فشل حتى الآن في الاطاحة بقاسم رغم كل النشاط الهدام الذي قام به ، وعلينا أن نتساعل ما إذا كان ناصر قد وصل إلى نهاية قوته السياسية . وايا كان الأمر ، فقد ظهر أن قدراته داخل العراق محدودة . وعلى أي السياسية . وايا كان الأطرع فقد ظهر أن قدراته داخل العجوم على الشيوعية العربية إلى دفعه (أي قاسم) إلى مزيد من الاعتماد الداعي للخطر على التاييد الشيوعي » . ورد « ايزنهاور » معربا عن اعتقاده بأن « لحملة ناصر على الشيوعي » . ورد « ايزنهاور » معربا عن اعتقاده بأن « لحملة ناصر على الشيوعي » . ورد « ايزنهاور » معربا عن اعتقاده بأن « لحملة ناصر على الشيوعي » . ورد « ايزنهاور » معربا عن اعتقاده بأن « لحملة ناصر على الشيوعي » . ورد « ايزنهاور » معربا عن اعتقاده بأن « لحملة ناصر على الشيوعي » . ورد « ايزنهاور » معربا عن اعتقاده بأن « لحملة ناصر على

وقد مضت مذكرة المحادثات بعد ذلك إلى تحليل الموقف كما قدره الرئيسان ، فقالت بالحرف: « إن المعركة الشاملة لناصر ضد الشيوعية العربية ادت إلى تخفيف الضغوط على الدول الصديقة للغرب في الشرق الأوسط بما في ذلك اعضاء حلف بغداد . وقد تفتت التماسك السابق للشعور العربي المضاد للغرب ، وساعد على ذلك أن هناك هدوءاً نسبيا في الصراع العربي الاسرائيل . كما تبدو لبنان والسودان والمملكة العربية السعودية مشغولة بسياساتها الداخلية واحوالها الاقتصادية ، ثم إن شعور هذه الدول جميعا تجاه الولايات المتحدة هو شعور طيب » .

ثم استطردت المذكرة تقول « إن الوضع في الخليج الفارسي هاديء في الوقت الحالى . غير أن سعى الشيوعيين إلى السلطة في العراق قد بأت مصدر هلع للقوى العربية المحافظة ، واوجد عدوا جديدا للقومية العربية في المسللة . وقد يفضى هذا بالزعماء القوميين إلى الاعتراف اعترافا ضمنيا بان مصالحهم لا تتعارض مع الغرب ، كما انه يقلل من التهديد القومي السابق لاستقرار المنطقة . ومن الجائز ايضا أن يؤدى الصراع بين القوميين العرب والشيوعيين العرب إلى عرقلة العمل العربي الموحد للمطالبة بحصة ابتزازية باهظة من دخل بترول الشرق الأوسط. ومن المؤكد أن التعامل التجاري مع القوميين في مسائل البترول سيكون حقيقة من حقائق الحياة علينا أن نواجهها في الخليج . ولكن العرب يدركون الأن أن إيران يسعدها دائما أن تحل محلهم باعتبارها المصدر الأول للبترول الخام ومنتجاته المكررة لأوروبا . لهذا فإننا لسنا واثقين من ان أى إجراء غير عادى يتخذ في الوقت الحالي من جانب الولايات المتحدة والمملكة المتحدة هو إجراء ضرورى ، او مرغوب فيه ، وإن كان من المجدى والمفيد ان نراقب عن كثب تطورات الأمور، وأن نظل على تشاور متصل . إن خبرامنا العسكريين عاكفون على التخطيط للطوارىء ، وفي اعتقاد الولايات المتحدة انه من الصعوبة الآن التكهن بالتطورات المقبلة ، وبالتالي فليست سنك حاجة ل هذه اللحظة إلى اتخاذ اى قرار بشأن خطط الطوارىء المحتملة . ،

⁽١) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ـ مذكرة عن محادثات « ايزنهاور » و « ماكميلان ، بعنوان « الشرق ؛ لأوسط في المحادثات مع ماكميلان ـ واشنطن ـ ١٩ ـ ٣٣ مارس ١٩٥٩ ، .

وتطرق « ايزنهاور » و « ماكميلان » إلى مناقشة الظروف المحيطة بإسرائيل ، وقال « ماكميلان » إن « إسرائيل قد البغت الحكومة البريطانية بقلقها مما تعتبره ليونة جديدة في الموقف الأمريكي ، وانها تشعر أن ناصر في قام بعملية إلهاء بارعة للغرب ، فقد صور له (أي للغرب) أنه هو وحده القادر على التصدي للخطر الشيوعي ، وبالتالى فإنه استطاع أن يخدر اعصاب السياسة الأمريكية . وهم أن إسرائيل واثقون أن ناصر لم يغير جلده ، وأنه يقوم بمناورة تكتيكية يسترضى بها الولايات المتحدة بالعداء للشيوعيين ، وفي نفس الوقت يستعمل تعاطف الولايات المتحدة الراهن معه لكي يضغط على الاتحاد السوفيتي . وفي كل الأحوال فإنه يضيف إلى قوته . وإسرائيل واثقة أنها هي التي ستواجه ، غضبه » في يوم من الأيام » . . ثم قال « ماكميلان » إن » إسرائيل تلح أكثر من أي وقت مضى أن طلبات جديدة للسلاح . وقد تقدموا للحكومة البريطانية بطلبات ملحة للحصول على دفعة من دبابات « سنتوريون » . » واضاف « ماكميلان » إنه » تلقى من دافيد بن جوريون عددا من الخطابات يطلب فيها دعوته لزيارة لندن لكي يعرض قضيته بنفسه » .

ورد « ايزنهاور » على « ماكميلان » بأنه » يتفهم قلق إسرائيل » كما انه يرى دواعيه ، لكن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تدخل في هذه اللحظات في أى موضوع خاص بتسليح إسرائيل ، لأن أى حركة في هذا الاتجاه كفيلة بأن تفسد كل ما تحقق للسياسة الامريكية بسبب التطورات الاخيرة ، وتبدده قبل أن يعطى كامل ثماره . واقترح أن يتم تسليح إسرائيل في الوقت الراهن بواسطة الدول الاوروبية .

ولاحظ « ماكميلان » أن « فرنسا برئاسة ديجول » قد لا تدخل في أمر هذا التسليح لاسرائيل إلا من خلال « دول التصريح الثلاثي »(٢) ، فذلك الترتيب وحده يعطى لديجول المكانة التي يريدها لفرنسا كشريك على قدم المساواة مع الأنجلو ساكسون (أي الولايات المتحدة وبريطانيا).

وقد وافق « ايزنهاور » على هذه الملاحظة قائلا إنه لا يمانع أن تتم الاستجابة لطلبات إسرائيل على أساس التصريح الثلاثي ، وأن هذا أفضل من صفقات ثنائية يبرز فيها دور الولايات المتحدة .

ثم اضاف « ایزنهاور » عبارة ذات معنی إذ قال : « إنهم علی ای حال بحصلون من هنا علی اشیاء هامة جدا لهم ، وهم اول من یقدر قیمتها » .

وفي اغلب الغلن ان « ايزنهاور » كان بهذه الاشارة الغامضة يشير إلى نشاط جناح « انجلتون » في وكالة المخابرات المركزية . وكان « انجلتون » في ذلك الوقت منهمكا في شراء بعض الأجهزة الدقيقة التي تحتاجها إسرائيل في مجهودها النووى . ومما يساعد على ترجيح هذا الظن ان « ايزنهاور « اضاف بعد ذلك عبارة أخرى غامضة قال فيها : « اش اعلم بهذا الذي يفعلونه مع الفرنسيين » . وتستمد هذه الملاحظة معناها الحقيقي من أن إسرائيل كانت في ذلك الوقت قد دعيت سرا لحضور تجربة نووية فرنسية في منطقة « راجان » وسط الصحراء الغربية الافريقية الواقعة تحت الحكم الفرنسي .

Г

وتشير محاضر مجلس الأمن القومي^(٣) التالية لاجتماعات قمة « ايزنهاور ـ ماكميلان » إلى أن « ايزنهاور » راح يوما بعد يوم يفكر في تقوية إيران . ففي وسط انشغال العرب بالمعركة الداخلية الدائرة بين القوميين والشيوعيين كان رأى « ايزنهاور » أن الفرصة مناسبة لتعزيز الأوضاع في إيران ، فالشاه قلق من سيطرة الشيوعيين على بغداد ، وهو يطلب المزيد من المساعدات العسكرية ، ويلح كثيرا على طلبات قدمها للحصول على أسلحة متطورة . ومن ناحية أخرى ، فإن « ايزنهاور » يتفق معه ليس فقط في تقييمه للخطر الشيوعي في العراق ، وإنما هو يرى أن الفرصة فوق ذلك متاحة لجعل إيران تلعب دورا أكبر في المنطقة ، خصوصا في حالة ما إذا توقفت الصراعات العربية الداخلية . وربما كان الخلاف الوحيد بين وجهتي نظر شاه إيران ، ورئيس الولايات المتحدة يكمن في قائمة أولويات كل منهما . ففي حين أن الشاه كان يضع السلاح على رأس قائمة أولوياته ، فإن رئيس الولايات المتحدة كان يضع الاصلاح الداخلي ، وزيادة كفاءة الدعاية الايرانية على رأس قائمة أولوياته .

وقرر « ايزنهاور » أنه قد يكون الوقت ملائما لكى يقوم بنفسه بزيارة لايران تعطى للشاه قسطا من الهيبة ، وتؤكد عمليا اهتمام الولايات المتحدة بالدور المقبل لايران .

وفي اجتماع للجنة تنسيق السياسات التابعة لمجلس الأمن القومى بعث الرئيس الزنهاور » بورقة تحمل توجيهات منه إلى اللجنة . وفيها قال « ايزنهاور » (٤)

⁽ T) تصريح اعلنته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥١ بتحديد كميات السلاح المرسلة إلى الشرق الأوسط ، وشكلت فيما بينها لجنة سرية لمتابعة تنفيذه .

⁽٣) مجموعة الأوراق السرية لمجلس الأمن القومي.. الوثيقة رقم ١/ ٨٢١ .

⁽١) المعدر السابق.

« إن اهدافنا في الشرق الأوسط ما زال يمكن إجمالها في مطلبين :

١ ـ إبعاد السوفيت عن المنطقة .

٢ _ استمرار تدفق البترول العربى دون عوائق .

لكن الظروف تعطينا الآن مرونة أكبر، وأفاقا أوسع في العمل. وبصرف النظر عما تقوم به الادارات المختلفة للسياسة الامريكية _ بما فيها وكالة المخابرات المركزية _ فإننا يجب أن نركز على قادة المستقبل في العالم العربي . ولهذا فإنني أريد توسيع نشاطنا الدعائي والثقافي خصوصا في أوساط الطلبة والمدرسين ، واساتذة الجامعات والمثقفين إلى أكبر حد ممكن ، وليس ضروريا أن تلتصق جهودنا في هذه المجالات بمطالبنا المباشرة من المنطقة ، فعلينا أن نفكي فيما هو أبعد من احتياجاتنا الملحة كما نقدرها في الوقت الحاضر .

وانا اريد مرونة اكثر في اتجاهات عملنا في المنطقة فعلينا ان نعيد دراسة توجيهاتنا السابقة التي صدرت في ظروف مختلفة وبدون ان نتخلي عن احتياجاتنا الضرورية النهائية فإن مراجعة توجيهاتنا السابقة سوف تكشف لنا ان هناك حدودا واسعة وراءها وفرصا متاحة يتحتم استغلالها . «



ولم تكن إسرائيل راضية عن المناخ الجديد الذي يسود الشرق الأوسط عصوصا فيما يتعلق بحالة الليونة في العلاقات بين القاهرة وواشنطن ـ على حد التعبير الذي كتبه «بن جوريون» في رسالته إلى « ماكميلان » . ولم تكن بقادرة على أن ترى ما يجرى من تطورات دون أن يكون لها فيها دور أو تحصل منها على فائدة وهكذا قررت أن تتحرك ، وتنتهز الفرصة لكى تفتح قناة السويس أمام ملاحتها متصورة أن القاهرة قد لا تتعرض لها حرصا على عدم إفساد الشعور بالتعاطف المتنامي تجاهها خصوصا في الولايات المتحدة . فإذا ما تعرضت القاهرة لها فيم تنويه » فإن هذا التعرض يمكن استغلاله لاثارة حملات سياسية ودعائية تعيد أجوا الشك والعداء إلى حيث كانت . وهكذا في مارس ١٩٥٩ استأجرت شركة « زيم الشك والعداء إلى حيث كانت . وهكذا في مارس ١٩٥٩ استأجرت شركة « زيم الشك والعداء إلى حيث كانت .

الاسرائيلية باخرة عن طريق شركة أمريكية ، وهي الباخرة « ليولوت » التي يقودها الكابتن « جورج مانولس » ثم ملاتها بحمولة من الاسمنت الاسرائيلي مرسلة إلى شرق أفريقيا ، وبعثت بها إلى ميناء بور سعيد حتى تمر من قناة السويس إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى . وأوقفت السلطات المصرية الباخرة ، ولم تسمح لها بالمرور ، وصادرت حمولتها . ولم تمض بعد ذلك إلا أيام قليلة حتى كانت إسرائيل تبعث بباخرة ثانية استأجرتها من الدنمارك ، وهي الباخرة « أنجه توفت » وحملتها ببضائع إسرائيلية مرسلة إلى سنغافورة ، ومرة أخرى منعت مصر مرور الباخرة وصادرت حمولتها أيضا .

وتقدمت إسرائيل بشكوى إلى مجلس الأمن وسط ضبجة دعائية كبيرة عن إصرار مصر على فرض سيادتها على معبر دولى للملاحة البحرية . وبدأ مجلس الأمن يناقش الموضوع .

وكان راى « جمال عبد الناصر »(°) ان ما تقوم به إسرائيل « خطة مدروسة ، وهي تتصور ان الوقت الحالى ملائم لتنفيذها ، خصوصا بالنسبة لموقف القوى الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن . فإسرائيل تعرف ان الولايات المتحدة الامريكية قد ايدت باستمرار حقها في استعمال قناة السويس . ومن ناحية اخرى فهي تظن أن جو الفتور الحالى بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتي سوف يمنع الاتحاد السوفيتي من استعمال حق الفيتو ضد اى قرار يصدره مجلس الامن بتاكيد حق الملاحة لكل الدول بغير تمييز في قناة السويس . »

وكان رأى «جمال عبد الناصر» ايضا أن إسرائيل بهذه المحلولة لا تسعى إلى الاحراج فقط، وإنما سعيها الحقيقى هو إلى إسقاط سلاح لا تزال له اهميته في المشكلة الفلسطينية، ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة تمارس منع الملاحة الاسرائيلية من قناة السويس بمقتضى حالة الحرب المترتبة على الصراع العربي الاسرائيلي - فإذا استطاعت أن تسقط الآن هذا الحظر، فمعنى ذلك أنها سلبت العرب أحد أهم اسلحتهم في المقاطعة. ثم كان قراره بعد هذا أنه تحت أي ظرف من الظروف، ومهما كانت النتائج لا ينبغي أن يسمح لاسرائيل بالمرور من الظروف، ومهما كانت النتائج لا ينبغي أن يسمح لاسرائيل بالمرور من رسمي « أنه حتى إذا حصلت إسرائيل على قرار من مجلس الأمن بحقها رسمي « أنه حتى إذا حصلت إسرائيل على قرار من مجلس الأمن بحقها

^(•) مجموعة محاضر جلسات الحكومة المركزية لسنة ١٩٥٩ ـ جلسة ١٤ أبريل ١٩٥٩ ـ الصفحة ٣٨ .

المرور من الله السويس، فإن الجمهورية العربية المتحدة لن تنظر هذا القرار إلا إذا نفذت إسرائيل ما يخصها من قرارات الأمم المتحدة، واولها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لسنة ١٩٤٧ الخاص بالتقسيم، وكذلك القرارات الخاصة بحق اللاجئين الفلسطينيين العودة لأراضيهم، أو تعويضهم التي صدرت سنة ١٩٥١، (١)

ولقد زادت المشكلة تعقيدا حينما سئل «داج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة عن رايه في الأزمة ، فرد بقوله « إن مجلس الأمن ليس مخولا ببحث هذا النزاع ، فالنزاع في حقيقته قانوني يدور حول تفسير نصوص معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة في قناة السويس . والمكان الطبيعي لاثارته ليس مجلس الأمن ، ولكن محكمة العدل الدولية » . وانفجر غضب وزارة الخارجية الاسرائيلية ، واصدرت تصريحا تقول فيه : «إنه من الصعب على إسرائيل وعلى العالم الحر بأكمله أن يفهم حكمة هذا التصريح الصادر عن أكبر مسؤول دولى ، فلقد كان المنتظر منه أن يوجه نصيحة بالاعتدال إلى الجمهورية العربية المتحدة ، وبدلا من ذلك فإنه اتخذ موقفا لا يمكن تفسيره إلا بانه اعتراف بالعجز السياسي الكامل للأمم المتحدة » .(*)

وبينما مجلس الأمن لا يزال حائرا أمام الأزمة التي فرضت عليه تقدمت إسرائيل خطوة أخرى نحو تحقيق أهدافها . فقد بدأت تستعمل نفوذها الكبير ، وتفولاً الجماعات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية مع الاتحاد العام للعمال الأمريكيين .

وكانت المفاجأة أن اتحاد البحارة الأمريكيين أصدر بيانا يقول فيه إنه « يعتبر التعرض للبواخر الدولية ولحمولتها من البضائع العابرة للمحيطات عملا عدوانيا ضد حرية الملاحة ، وأن هذا العمل لابد من مقاومته بواسطة أصحاب المصلحة ما دامت الهيئات السياسية قد أثبتت عجزها عن مقاومته « . وهكذا كان قراره بمقاطعة عمليات دخول البواخر المصرية في الموانىء الأمريكية .

وكان واضحا من بيان اتحاد البحارة الأمريكيين أن الأمر لن يكون مقصورا

على البواخر المصرية للله ، وإنما سيمتد ليشمل بواخر كل الدول العربية في نفس الوقت باعتبار أنها جميعا تؤيد أحكام مقاطعة إسرائيل وتطبقها في موانيها . كما أن الخطة المرسومة لهذه المقاطعة للبواخر العربية لن تقتصر على الموانيء الأمريكية وحدها ، وإنما المقرر لها أن تمتد إلى موانيء أوروبا الغربية واليابان ، وأية موانيء أخرى في العالم تستطيع نقاباتها البحرية أن تستمع إلى نداء أتحاد البحارة الأمريكيين وتستجيب له وتتعاون معالتنفيذه .

وتصادف أن دخلت ميناء نيويورك باخرة مصرية هى الباخرة «كليوباترا » التى كانت تحمل شحنة من القطن المصرى طويل التيلة مصدرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وبدأ إتحاد البحارة الأمريكيين يمارس إزاءها إعلانه بمقاطعة البواخر المصرية ، فرفض أعضاؤه تقديم خدمات الموانىء لها بما في ذلك تفريغ حمولتها .

وتوجه السفير المصرى في واشنطن الدكتور «مصطفى كامل » إلى وزارة الخارجية الأمريكية لبحث الأزمة ، واقترح أن يستعمل الرئيس الأمريكي سلطاته بمقتضي إجراءات الطوارىء التى تمنحه الحق في فض أى اعتصام عمالي إذا ما ترتب على تنفيذه إضرار بالمصالح الأمريكية . وقالت وزارة الخارجية الأمريكية إنها لا تستطيع أن تتقدم بمثل هذه النصيحة إلى الرئيس لأن مثل هذه السلطة المخولة له ترتبط بالطوارىء التى تمس أمن الولايات المتحدة القومى ، وهو أمر ليس محققا فيما يتعلق بأزمة الباخرة «كليوباترا» (^)

وظلت الباخرة «كليوباترا» أياما طويلة على رصيف ميناء نيويورك يحيط بها طابور من أعضاء اتحاد البحارة الأمريكيين لمنع الاقتراب إليها حتى لا تلجأ القنصلية المصرية في نيويورك ـ وهي المكلفة برعاية أمرها ـ إلى أي ترتيبات أخرى لتفريفها بغير واسطة أعضاء اتحاد البحارة الأمريكيين .

وارتفعت درجة حرارة الأزمة ، فقد اجتمع اتحاد العمال العرب ل القاهرة ، واتخذ قرارا بالرد يقضى بمقاطعة البواخر الامريكية ل موانىء الجمهورية العربية المتحدة . وبدا تطبيق القرار بالفعل ل الاسكندرية وبور سعيد والسويس واللاذقية . وفي اليوم التالي انضمت

^(^) تلرير من الدكتور ، مصطفى كامل ، سفير الجمهورية العربية المتحدة بواشنطن بتاريخ ٢٦ مليو ١٩٥٩ واصله معلوظ في ارشيف وزارة الخارجية ، وتوجد ٦ نسخ منه في ارشيف منشية البكرى ، ويبدو انها كانت معدة للتوزيع على عدة جهات رسمية ، ولكن ذلك التوزيع لم يتم لسبب او آخر

 ⁽⁷⁾ حديث مع الصحفى الهندى « ر . كارانجيا » نشرته جريدة « بليتز » بتاريخ ١ مايو ١٩٥٩ .
 (٧) بيان للحكومة الإسرائيلية اذيع من راديو الجيش الإسرائيلي يوم ١١ مايو ١٩٥٩ (نقلا عن نشرات الاستماع لمصلحة الاستعلامات) .

لم يقل الكونجرس الأمريكي شيئا عن البواخر الأمريكية ومقاطعتها ، لكنه الله كثيرا عن البواخر الاسرائيلية .

6

لم تكد أزمة الموانىء والبواخر، واتحادات البحارة تنتهى ـ حتى فتحت إسرائيل جبهة أخرى . وكان لابد لها أن تفعل ، فإن الموقف الذى وجدت نفسها فيه بعد التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط كان يدفعها إلى الحركة باستمرار بحثا عن منفذ ، وإلا استحكم من حولها طوق الحصار . وكان اتجاه إسرائيل هذه المرة ومع بداية سنة ١٩٦٠ نحو إيران . وكانت طهران مستعدة لملاقاة إسرائيل في منتصف الطريق .

وفي الواقع فإن الدولة الاسرائيلية منذ قيامها كانت تحاول أن ترسم لنفسها استراتيجية تتجاوز فيها الطوق العربى المحيط بها ، وتقفز إلى ما وراءه حيث توجد قرميات آخرى ليست عربية ، وإن كان بعضها يعتنق الاسلام . وكان بصرها مركزا منذ اللحظة الأولى على تركيا وإيران^(٩) ، خصوصا وهى تعرف أن تركيا بتأثير حركة « الشريف حسين » ضد دولة الخلافة أيام الحرب العالمية الأولى وبعدها - السادها شعور بالمرارة ضد العرب ، وأن هذا يعطى أرضية صالحة لمواقف تركية غير ودية تجاه العرب . وقد عبر ذلك عن نفسه بالدور الذي قامت به تركيا في إنشاء حلف بغداد ، وفي توجيه أنشطة لجانه خصوصا لجنة الأمن والمخابرات .

وبالنسبة لايران فقد كانت هناك أيضا أرضية تبدو جاهزة ، وإن اختلفت تضاريسها . فالدولة الايرانية كانت لقرون طويلة منطقة احتكاك حضارى بين

إلى قرار المقاطعة إتحادات العمال في بيروت وطرابلس والعقبة والكويت والرباط وبورسودان .

وكانت اول باخرة أمريكية اقتربت من ميناء الاسكندرية عند بدء تنفيذ قرار المقاطعة العربية هي الباخرة « انتربرايز » ، وقد أبلغها وكيل شركة الشحن التي تتبعها بينما هي لا تزال عند مدخل الميناء بان الموقف الذي ينتظرها سييء ، وأن هناك جموعا من العمال على الرصيف المقرر رسوها عليه يحملون لافتات تقول « لا ماء ... لا وقود ... لا طعام ... لا شحن ... لا تفريغ ... لا خدمات من أي نوع للبواخر الامريكية » . كما أن هؤلاء العمال يمسكون بميكروفونات تنادى بانه « لا تعاون مع أي باخرة أمريكية » . وأدارت « انتربرايز » دفتها لتفلت من المقاطعة ، لكنها لم تلبث أن وقعت تحت أحكامها في ميناء بور سعيد لانها كانت متجهة إلى الشرق الاقصى .

وفي ميناء بور سعيد كانت أحكام المقاطعة قد نفذت فعلا على الباخرة « جون فرانكلين » ، وطبقت في السويس على الباخرة « بن شبرد » .

وفي بيروت طبقت المقاطعة على الباخرة «مولين فيكتورى » و «سانتا لوتشيا « . واضطرت باخرتان أمريكيتان أخريان هما «ستيل « و « اكسبورت لاين » إلى التراجع عن ميناء بيروت والتوجه إلى أثينا . وفي اللاذقية طبقت أحكام المقاطعة على الباخرة «مونتويك » .

وفي نفس اليوم نقلت وكالة « يونايتد برس » برقية تقول إنها « علمت أن بقية الدول العربية التي لم تشترك موانيها في تطبيق أحكام المقاطعة ضد البواخر الأمريكية سوف تستجيب لنداء الاتحاد العام للعمال العرب من القاهرة » . وكانت أبرز هذه الدول في القائمة الجديدة هي : ليبيا وتونس والمملكة العربية السعودية واليمن .

وبذلك أصبحت المقاطعة العربية للبواخر الأمريكية شبه كاملة.

وهنا دخلت الأزمة إلى أرض الشوك . ذلك أن إسرائيل استغلت الفرصة شدت كل أنصارها في الكونجرس ، وفي الرأى العام _ فإذا مشروع قانون يقدم إلى ونجرس بوقف شحنات القمح الأمريكي إلى الجمهورية العربية المتحدة إذا واصلت مال الحصار ضد الملاحة الاسرائيلية ا

^(1) مدت إسرائيل بصرها إلى اكثر من ذلك ، فقد حاولت تطبيق هذه السياسة مع الجماعات الدينية داخل البلاد العربية ، وتصور « دافيد بن جوريون » انه يستطيع ان يخلق جسورا مع الموارنة في لبنان ، وقد روى وزير خارجيته « موشى شاريت » كيف ان « بن جوريون » طلب ان توجه إسرائيل جهودا اكبر نحو تمزيق لبنان ، وإقامة دولة مارونية فيه تشعر بحلجتها إلى التحالف مع إسرائيل ، وقد وصف « شاريت ، هذه الفكرة بانها « غير عملية » .

الحضارة العربية أن شبه الجزيرة العربية وبين العضارة الهندية أن شبه القارة الهندية و في هذا الموقع ، وبأحكام الجغرافيا والتاريخ ، فإن الدولة الإيرانية أيضا كانت تشعر بحالة من شبه الحصار .

وعندما أصبح المذهب الشيعى الاثنا عشرى مذهبا رسميا للدولة الايرانية ف عهد الشاه « اسماعيل الصفوى » - ف ظروف مواجهة سياسية ومذهبية ضد الامبراطورية العثمانية السنية - فإن المذهب الشيعى » وهو مذهب اقلية بين جموع المسلمين ، أضاف إلى المزاج النفسي للدولة الايرانية مزيدا من الشعور بالحصار . فالقومية المحاصرة بمواريثها الحضارية اعتنقت مذهبا يشعر هو الآخر بالحصار . وكان امتزاج هذين العنصرين يخلق ضغوطا شديدة على الذات الايرانية خصوصا عندما احتدم الصراع بين ايران الصفوية ، وبين دولة الخلافة العثمانية ، ولعبت الامبراطورية البريطانية دورها في إذكاء روح هذا الخلاف وتعميق جذوره ، وكان هدفها من ذلك بالقطع هو عزل تأثير دولة الخلافة الاسلامية عن الوصول إلى جحافل مسلمي الهند الذين قامت بهم فيما بعد دولة باكستان .

واستمر الحال على نفس المنوال بعد عهد الصفويين إلى عهد اسرة « الكاجار » التى خلفتهم ، ثم استمرت نفس هذه العوامل الجغرافية والتاريخية في التأثير على توجهات أسرة « بهلوى » التى أسسها الجاويش » رضا خان » سنة ١٩٢٧ ووضعها على عرش الطاووس بعد سقوط أسرة « الكاجار » . وقد كان « رضا خان » يتطلع باستمرار إلى « تركيا أتاتورك » ويتباعد قدر ما يستطيع عن العالم العربي ، ولم يقدم على خطبة أميرة مصرية من أسرة « محمد على » لابنه » محمد » إلا عندما أراد أن يضع نفسه في مصاف الأسر المالكة القديمة في منطقة الشرق الأوسط .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وما وقع فيها من عزل « رضا خان » وصعود ابنه « محمد رضا خان » إلى العرش بمساعدة البريطانيين ، ثم ما لحق هذا من دخول النفوذ الأمريكي لإرث النفوذ البريطاني ضمن محاولة شملت الشرق الأوسط كله لم يكن لدى حكومة الشاه في طهران عندما قامت إسرائيل سنة ١٩٤٨ خيار غير الاعتراف بإسرائيل اعترافا فعليا de facto وإن تمهلت بعض الشيء قبل أن تقدم اعترافها القانوني de jure . ولم يكن في استطاعتها أن تذهب إلى أبعد من هذا لأن دولا كثيرة في العالم في آسيا وأوروبا رفضت الاعتراف بإسرائيل لا واقعا ولا قانونا ، وكان أولها دولة الفاتيكان فضلا عن أسبانيا واليونان وغيرهما من الدول التي امتنعت عن التورط في الاعتراف بإسرائيل رغم كل الضغوط الأمريكية والبريطانية التي تعرضت لها .

وفى أواخر الأربعينات كان الوجود الاسرائيلي في طهران يتقدم حثيثا ، ويحاول أن يحتل أكبر مساحة يستطيع أن يصل إليها للنغوذ والتأثير في طهران

وعندما بدأت بوادر الثورة الايرانية التى قادها الدكتور " محمد مصدق "
ولقيت التأييد الذى لقيته من العالم العربى - بدأت الضغوط تشتد في معارضة ظاهرة
نمو العلاقات الاسرائيلية الايرانية ، وبالفعل فإن هذه الضغوط حققت نجاحا كبيرا
عندما تصدى لقيادتها « آية الله الكاشانى » وهو أبرز آيات الله في « قم » في تلك
الايام . وقد أعلن مكتبه في مايو ١٩٥١ أنه سئل في فتوى عن شرعية الاعتراف
الايراني بإسرائيل ، ورد عليها بفتوى شرعية صادرة عن حوزته قال فيها : « إن
الاعتراف بدولة إسرائيل هو تاييد لعدوان يقع على العرب المسلمين ، والمسلمين
غير العرب " . وفي يوم ٧ يونيو صدر إعلان رسمى في طهران عن وزارة الخارجية
الايرانية يقول بالنص : « إن وزارة الخارجية الايرانية بعثت تلغرافيا اليوم إلى
قنصليتيها في تل أبيب والقدس المحتلة تبلغهما فيه أن أى وجود إيراني رسمى
في إسرائيل قد أصبح منذ اليوم منحلا » . ويظهر أن " آية ألله الكاشاني " لم
يكن واثقا من صدق نوايا وزارة الخارجية الايرانية ، وهكذا كتب خطابا رسميا
على أساس فتواه إلى وزير الخارجية الايرانية «كاظمى " يطلب منه تعهدا
على أساس فتواه إلى وزير الخارجية الايرانية «كاظمى " يطلب منه تعهدا
مكتوبا . وكتب إليه «كاظمى " خطابا برقم ٢٠٠٧ نصه :

«لخدمة الحضرة الشريفة آية الله السيد الحاج سيد أبو القاسم الكاشانى دامت بركاته ـ ردا على خطابكم الشريف المؤرخ بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٥١ نتشرف بعرض الآتى :

ا -لم تعترف الدولة الامبراطورية الشاهانية إلى الآن اعترافا كاملا بدولة إسرائيل (يقصد التفرقة بين الاعتراف الفعلى، والاعتراف القانوني)

٢ - اتخذ في الأونة الأخيرة قرار بحل القنصليات الامبراطورية ل
 فلسطين .

٣ ـ لن يقبل في إيران أي ممثل من قبل إسرائيل ، وبأي صفة كانت ، أو أي عنوان .

إمضاء وزير الخارجية ،

وعندما وقعت الثورة المضادة في ايران ، وجرى الانقلاب على حكومة الدكتور ، سعد مصدق ، الوطنية ، وعاد الشاه الهارب خوفا من الثورة من

روبا إلى طهران مرة اخرى ، انفتح المجال من جديد امام إسرائيل . فإذا مثاتها التجارية تصل إلى طهران ، وتلحق بها بعد ذلك جماعات من دبلوماسيين ، ورجال المخابرات . وإذا البترول الايرانى يصبح المحرك رئيسى لاقتصاد إسرائيل ، والوقود الوحيد تقريبا لجيشها بكل اسلحته البرية البحرية والجوية .

وتنبهت الجامعة العربية في ذلك الوقت إلى ما يجرى ، وكلفت حكومة العراق رئيسها « نورى السعيد » في ذلك الوقت بالتدخل لدى الشاه ، وهو شريكه في حلف غداد لكى يلفت النظر إلى عواقب التعاون الاسرائيلي الايراني النشيط – على العلاقات لودية التي يجب أن تقوم بين العرب وإيران ، وروى « نورى السعيد » في جلسة جلس الجامعة العربية سنة ١٩٥٥ أن الشاه قال له عندما فاتحه في الموضوع : « إن لعرب لا يحق لهم أن يطالبونا بشيء ، فعندما توقف انتاج بترولنا أثناء أزمة التاميم أيام مصدق انتهز العرب الفرصة ، وزادوا من انتاج نفطهم لتعويض الأسواق بسبب توقف انتاج البترول الايراني » .

وفى معركة السويس سنة ١٩٥٦ كانت الآلة الحربية الاسرائيلية تتحرك بالكامل اعتمادا على بترول إيراني (١٠). وفي ظروف الدعوة المحمومة لحلف بغداد اشتد التنسيق الايراني الاسرائيلي ضمن المخطط الغربي العام بدعوى الدفاع عن المنطقة . ثم وصل الأمر إلى مداه عندما وقعت ثورة ١٤ يوليو في العراق وانهارت بذلك عمليا أية فاعلية لحلف بغداد . ووقتها أحس الشاه بأنه يستطيع أن يقنن علاقاته مع إسرائيل دون الخشية من أي حرج أو أية موانع .

ولشهور بعد الثورة في العراق بدا النشاط الاسرائيلي في إيران سافرا ومفتوحا ، ولم يعد الامر مقصورا على التبادل التجارى بما فيه بيع البترول ، ولا على النشاط الثقافي وقد امتد ليشمل تبادل وفود صحفية وإعلامية ـ وإنما بدا السلاح الاسرائيلي يصل إلى إيران ، وكانت مقدمته شحنة من المدافع الرشاشة من طراز «عوزى ، وصلت في تقدير تقرير كتبته السفارة السعودية في طهران بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٥٩ إلى ستة آلاف مدفع رشاش . وقد قام السفير السعودى في طهران بإطلاع زميله المصرى السفير ، محمود محرم حماد » على

فحواها، واتفق الاثنان على ضرورة أن يقوم السفراء العرب بمسعى مشترك لوقف التعاون العسكرى بين إيران وإسرائيل، وزادت أهمية الموضوع عندما ذكر لهما السفير العراقي في طهران أنه علم من مصدر موثوق يعرف من قديم أن هنك خطة للتنسيق بين أجهزة المخابرات المدنية، والعسكرية في البلدين.

وفى ١٠ مارس ١٩٦٠ توجه السفراء العرب في طهران إلى مقابلة مع وزير الخارجية ، وشرحوا له مخاوفهم " وقدموا إليه مذكرة مكتوبة بأرائهم ارفقوا بها قصاصة من جريدة «طهراني جورنال» جاء فيها وصف «بن جوريون " بأنه «حارس السلام في الشرق الأوسط». ثم تعقدت الأمور حينما بدأت الوفود الاسرائيلية تشترك في كل المؤتمرات والمناسبات العامة التي تعقد في طهران مما كان يضطر كل الوفود العربية إلى الإنسحاب من هذه المناسبات.

ثم ترددت انباء عن اجتماعات سرية تعقد في قصر المرم بين الشاه ، وعدد من الشخصئيات الاسرائيلية في مقدمتها رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » والجنرال « موشى ديان » و « شيمون بيريز » المدير العام لوزارة الدفاع في ذلك الوقت . وتجاسر السفير اليوجوسلافي في طهران ذات مرة في لقاء له مع الشاه ، فقال له :

« إن هناك ضيقا بين السفراء العرب الذين بلغهم انكم تجتمعون مع بعض الزعماء الاسرائيليين » . ورد عليه الشاه قائلا : « إننى قابلت بعضهم بالفعل ، ولكنى لم اقابلهم لأسباب سياسية » . ثم اضاف الشاه ما مؤداه أنه استقبل بالفعل بعض الاسرائيليين « لأسباب الملاية لا يستطيع هؤلاء العرب تقديرها . فهؤلاء الاسرائيليون المثقفون ، والعارفون بتاريخ الحضارات لفتوا نظرى إلى أن الذكرى الـ ١٠٠٠ لتأسيس مملكة « قورش » بانى الحضارة الايرانية سوف تحل بعد سنوات قليلة ، وأن الاحتفال بهذه الذكرى قد يكون مناسبة انسانية تجمع العالم كله على الحفاوة بلحظة تاريخية مشرقة . وأنه سعد كثيرا برايهم ، وخصص بالفعل ۲۰ مليون ريال للاستعداد لهذه الاحتفالات من الآن . »

ووصل ملخص لتقرير السفير اليوجوسلافي عن مقابلته مع الشاه إلى القاهرة في إطار تبادل المعلومات بين الرئيسين « تيتو » و « عبد الناصر » . وكانت الأخبار قد بدأت تصل إلى القاهرة من مختلف المصادر بأن قرارا قد اتخذ بالفعل، وعلى اعلى مستوى بين الشاه و « بن جوريون » بقصد إقامة علاقات رسمية بين البلدين يتم بها تقنين العلاقات المتسعة بينهما في كل المجالات ، والتي بدأت تصل إلى قضايا الأمن والدفاع . ولم يكن الأمر في حاجة إلى تخمينات ، فقد نشرت صحيفة « كيهان » وهي

⁽١٠) كان البنرول الإيراني هو وقود الآلة الحربية الإسرائيلية معارك سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٥٧ وسنة ١٩٥٧ وسنة ١٩٥٧ وسنة ١٩٥٧ حرب العبور سنة ١٩٧٧ ، وفي الواقع فإنه كان مجرد غطاء دعائي لتسهيل تغيير السياسة المصرية تجاه الشاه ، محمد رضا بهلوى »!

وفى مساء نفس اليوم دعا السفير السعودى زملاءه من السفراء العرب في طهران إلى اجتماع معه ليروى لهم ما دار بينه وبين وزير الخارجية(١١).

روى السفير السعودى أنه أثار موضوع اعتراف إيران بإسرائيل وشرح لوزير الخارجية الايرانية عواقبه ، وكان رد وزير الخارجية عليه أن لفت نظره محتدا إلى تعرض صحف الجمهورية العربية المتحدة وصحف لبنان والعراق لشخص = صاحب الجلالة الامبراطورية الشاهانية • وأشار إلى خبر ظهر في جريدة الاهرام عن سيدة اجنبية اعطت حديثا لإحدى الصحف الفرنسية قالت فيه إنها كانت عشيقة للشاه - ثم إن جريدة الجمهورية نشرت صورة عارية للأنسة ، فرح ديبا ، التي خطبها الشاه لنفسه _ وهو (أي وزير خارجية إيران) يسلم بأن السفارة المصرية قدمت للخارجية الايرانية اعتذارا عن نشر هذه الصورة ، ولكن هذا الاعتذار لم ينشر في الجريدة التي نشرت الصورة(١٢). ثم روى السفير السعودي ايضا: « إن السفير الايراني في القاهرة يحاول منذ اسابيع مقابلة وزير الخارجية المصرى ، ولكن طلبه لم يلق استجابة حتى الآن ، . ثم أضاف السفير السعودى ف روايته : « إن المشكلة هي أن حكومة سويسرا التي كانت ترعى مصالح إيران في إسرائيل ابلغته (اي وذير خارجية إيران) انها لم تعد تستطيع مواصلة القيام بهذه المهمة لأنها تستنفد جهد كل موظفي السفارة السويسرية في إسرائيل. 🎩 تبين لهم أن في إسرائيل ٥٠ ألف إيراني منهم ٧ ألاف مازالوا يحملون جوازات سفرهم الايرانية . . وقال السفير السعودى في نهاية تلخيصه لمقابلته مع وزير خارجية إيران أنه (أي السفير السعودي) قال لوزير الخارجية الايراني : • إن الدول العربية لا تستطيع قبول وجهة النظر الايرانية كما سمعها، وان ما سمعه لا يوحى بالخير ، وانه لا يتصور ان إيران تفضل إسرائيل على مائة مليون عربي . .

ثم حدث ما لم يرد سفير السعودية أن يتصوره ، وأعلن رسميا في طهران عن إعادة العلاقات مع إسرائيل ، وعلى أن هذا لا ينشىء وضعا جديدا ، وإنما هو استثناف لحقيقة كانت قائمة من قبل !

وفى القاهرة وجد « جمال عبد الناصر » أنه لابد من توجيه تحذير عنيف إلى شاه

المقربة من بلاط الشاه خبرا في صفحتها الأولى يوم ١٨ يوليو ١٩٦٠ تحت عنوان القامة تمثيل دبلوماسي بين إيران وإسرائيل ، وجاء في صلب الخبر ما نصه بدات أن الأيام الأخيرة مباحثات بشان إقامة تمثيل إيراني في إسرائيل ، وسوف يتم ذلك بمجرد إعداد الميزانية اللازمة . وقد صرح اليوم مصدر مطلع بأن موضوع إنشاء تمثيل إيراني في إسرائيل هو موضوع عادى لأنه سبق للحكومة الايرانية أن اعترفت رسميا بإسرائيل . وليس في الموضوع تجديد إعتراف إذ أن حكومة إيران الخلقت أل وقت من الأوقات قنصلياتها أن إسرائيل لأسباب تتعلق بالميزانية ، ولم يكن هذا مبنيا على سحب الاعتراف ، وإنما كان مرهونا بالوقت الذي تسمح فيه الميزانية بوضع الأمور في مكانها الصحيح ...

وبدا الموضوع خطيرا بالنسبة لـ ١ جمال عبد الناصر » لعدة اسباب : ١ ـ ان اسرائيل على هذا النحو تقفذ فوق الطوق العربى المحيط بها إلى ما وراءه ١ المنطقة .

٢ - ان التعاون الايرانى الاسرائيلى قد يصبح خنجرا في ظهر الثورة العراقية التى مازالت تواجه ظرففا صعبة تستغلها قوى اجنبية عديدة.

٣ - أن اعتراف إيران بإسرائيل اعترافا كاملا سوف يكون سابقة خطيرة ، إذ أنه يعنى أن إحدى الدول الاسلامية تعترف بها اعترافا كاملا لأول مرة .

٤ - ان اعتراف دولة إسلامية بإسرائيل قد يتخذ تكاة تستند إليه دول اخرى خصوصا في افريقيا التي حصلت بلدان عديدة فيها على استقلالها اخبرا.

وتلقى سفير الجمهورية العربية المتحدة في طهران برقية تطلب منه تقريرا تفصيليا عن احتمالات الاعتراف الدبلوماسي الكامل من جانب إيران بإسرائيل، وإنشاء علاقات دبلوماسية بينهما . وبعث السفير «حماد» إلى القاهرة بتقرير كامل، وأضاف إليه ترتيب جهد مشترك بين السفراء العرب في محاولة للاحتجاج والتصدي، وكان السفير السعودي في طهران في ذلك الوقية هو عميد السلك السياسي الأجنبي فيها . وتم الاتفاق على أن يقوم هو (أي السفير السعودي) معززا بأهمية المملكة العربية السعودية كأكبر منتج للبترول، وبمكانة كعميد للسلك السياسي في طهران وبطلب مقابلة عاجلة مع وزير الخارجية الايراني، وإبلاغه بقلق الدول العربية .

⁽١١) برقية رمزية بتوقيع السفير « محمود محرم حماد » سفير الجمهورية العربية المتحدة [طهران بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦٠ ـ ارشيف وزارة الخارجية .

⁽١٢) كانت الصورة التي نشرتها جريدة الجمهورية لـ « فرح ديبا " بالمايوه منقولة عن مجلة « بارى ماتش » الفرنسية التي اشترتها من إحدى وكالات الأنباء التي باعتها [العالم كله .

إيران. وهكذا وقف ف خطاب عام، وتحدث عن « خطورة اعتراف الشاه بإسرائيل، وانه بهذا الاعتراف يؤكد للعالم كله ولشعبه انه العوبة في يد المخابرات المركزية الأمريكية التي اعادته إلى العرش بعد الانقلاب المضاد على ثورة مصدق، وأن نهايته سوف تكون نهاية غيره من العملاء «

كان رد « جمال عبد الناصر » عنيفا وموجها إلى الشاه مباشرة ، وقد شرح أسبابه في ذلك العنف بأن هدفه الحقيقي هو أن يردع أي طرف يتصور أن بمقدوره استغلال وضع تجد فيه الجمهورية العربية المتحدة نفسها في خلافات مع القرتين الاعظم في نفس الوقت ، ويتوهم أن ذلك يمكن أن يحد من ردود فعلها تجاه أية إساءة إلى سياساتها . وأن الرد بعنف كان ضروريا لجعل آخرين في العالم الاسلامي ، أو في افريقيا يفكرون مرتين قبل أن يحذوا حذو إيران . ثم إن سلاحه الأساسي الذي يعتمد عليه هو تعبئة الجماهير العربية في كل مكان . فالحديث إلى هذه الجماهير يقتضي وضوحا قاطعا يختلف عن ظلال دبلوماسية المذكرات . ثم استشهد « جمال عبد الناصر » بما تفعله المانيا الغربية في تطبيق مبدأ « هالشتين » على أي دولة في العالم تعترف بألمانيا الشرقية . وبمقتصي هذا القانون فإن المانيا الغربية تقطع علاقاتها فورا بأي دولة في العالم تعترف بالنصف الشرقي منها _ فكيف إذا كان الاعتراف بعدو في حرب لا تزال مستمرة ؟

وفقد الشاه اعصابه ، واصدرت وزارة الخارجية الايرانية بيانا رسميا جاء فيه بالنص : « إن وكالات الانباء الاجنبية نقلت مساء اليوم تصريحات مجنونة لجمال عبد الناصر تعرض فيها للمؤسسات المقدسة في ايران . ولكن هذا الفرعون المصرى الاحمق يشوه حقائق موقف الحكومة الامبراطورية الشاهانية . إن تصريحات جمال عبد الناصر الغبية والشريرة والرخيصة لا تليق برئيس دولة ، ولكن هذا لا يدهش جلالة الامبراطور الذي يعلم أن ذلك الرجل قفز إلى السلطة على أساس غير شرعى » .

وقد اصدرت وزارة الخارجية امرا إلى السفير المصرى في إيران بأن يغادر طهران في ظرف ٢٤ ساعة .

كان خطاب « جمال عبد الناصر » عنيفا ، وجاء رد الشاه بذيئا . والواقع أن العلاقات بين الرجلين لم يقدر لها أن تكون طيبة في يوم من الأيام ، فقد كان الشاه متطيرا من ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، وقد زاد تشاؤمه عندما تم تأميم قناة السويس بنجاح ، وقد كان في ذلك ما يذكره بمحاولة « مصدق » التي لم يكتب لها النجاح في إيران . ثم أن الشاه كان حساسا باستمرار لحقيقة أن والده « رضا خان » قفز من جاويش في اسطبلات الحرس الكاجاري ليجلس على عرش الطاووس » وبالتالي فإن

كراهيته للثورات ، وحتى الانقلابات ، كانت ظاهرة لحالة انفصام عقلى تدعوه إلى التظاهر بعراقة الأصل وتجعله يبالغ في مراسمها على ذلك أن يقطع صلته بالجذور وبالماضي تماما . وإضافة إلى ذلك ، فإن سقوط حلف بغداد بطريقة دموية في العراق الصق به جراحا نفسية ، ومخاوف لا سبيل إلى ردها .

وكانت الولايات المتحدة تحاول أن تتنصل من تصرفات الشاه . ففي الليلة السابقة لمفادرته لطهران تنفيذا لأمر الطرد الصادر عن الشاه _ حضر السفير المصرى « محمود محرم حماد » حفل استقبال في سفارة الهند قصد منه أن يودع بالجملة زملاءه من السفراء المعتمدين لدى الحكومة الايرانية . وروى السفير « حماد » في تقرير له عن يومه الأخير في طهران ما نصه :

ه حضرت مساء الاثنين ٢٥ يوليو ١٩٦٠ حفل استقبال اقيمت في سفارة الهند وقابلت فيها :

- □ أولا: السيد جلال عبده وزير الخارجية الايرانية السابق، وقد اعرب لى سرا عن دهشته لحدة تصريحات الشاه، وأبدى أسفه لموقف بلاده من إسرائيل، وقال لقد كان رأيه أن لا تغير إيران سياستها طالما أن إسرائيل لا تنفذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين.
- □ ثانيا: انتحى بى السفير الأمريكى جانبا: وأبدى لى دهشته من اتجاه إيران إلى الاعتراف رسميا بإسرائيل، ثم أضاف قائلا لى: « إننى لا أعرف لماذا يخلقون لأنفسهم مشاكل جديدة في حين أن لديهم ما يكفيهم منها ». ثم أبدى لى السفير الأمريكي عبارة فهمت منها « أنه بعد ما حدث ، فإنهم قد يضطرون إلى وقف تنفيذ قرارهم . »

وكان هذا هو ما حدث فعلا ، فإن مختلف القوى الوطنية في إيران برغم ما تعانيه من كبت وقمع راحت تتحرك ـ حتى بالمظاهرات في جامعة طهران ـ وتوقفت عملية تبادل السفراء ، وإن كانت قد تحولت إلى بعثة لرعاية المصالح المشتركة .



أحسزان أفريقيسا



بعض السنوات في التاريخ كبعض المواقع على الطرق ـ يشتد عندها الزحام وتكثر الحركة ، وتزداد احتمالات حوادث التصادم . وتلك في الغالب مواقع تقاطع الطرق !

وعلى خرائط التاريخ نقط تقاطع ، كما على خرائط الطرق .

وضحايا حوادث التصادم على نقط تقاطع التاريخ اخطر شانا وابعد اثرا منهم على نقط تقاطع الطرق ، ذلك انه عندما تقع حوادث التصادم في التاريخ فإن الضحايا ليسوا مجرد افراد ، وإنما هم افكار واقطار ، وافراد أيضا ، وإن كانوا في العادة افرادا من طراز خاص لم يكن غافلا عما دهمه ، وإنما كان فاعلا مسؤولا ولو حتى بمقدار !

وكان الجسر الذى مشت عليه الحركة السياسية الدولية من نهاية الخمسينات إلى بداية الستينات نقطة تقاطع طرق تاريخية ، وعلى نحو يكاد يجعل الوصف مطابقا للموصوف تماما ، مما يجعله حالة نموذجية للدراسة والتحليل !

كانت القوتان الأعظم في سباق عنيف بينهما ، وهو سباق يحذر الكل من عواقبه . لكن الكل لم يكونوا قد استطاعوا بعد تقنين قواعده . وقد اشتد الخوف من

العواقب بعد معركة السويس التي اوصلت الدنيا إلى حافة الهاوية ،ولكن القوانين تحتاج إلى اتفاق وتوازن ورضا ، ولا يكفى فيها مجرد الخوف ا

وكانت القوى الكبرى خصوصا بريطانيا وفرنسا قد نزلت عن عروشها الامبراطورية ، ولكنها لم تتنازل ، وهناك فارق كبير بين الاثنين ، فالنزول إكراه ، والتنازل إدراك ، والامبراطوريات لا تدرك بسهولة ا

وكانت الأمم المتحدة ، وهى التجمع الدولى الذى قبله العالم نظاما لمجتمع الدول ـ ساحة برز فيها ضمير العالم معتمدا على أغلبية من الضعفاء تصدوا لسيطرة الخلية الاقوياء ، واستطاعوا في السويس أن يضعوا المبادىء على درجة أعلى فوق المطامع ـ لكن أغلبية الضعفاء نفسها قصير وصبرها ـ حتى مع الانضباط ـ قليل ، ثم إن تباعد الظروف لا يستطيع أن يجعل منها حركة موحدة الاتجاه في كل أزمة .

ولقد بدا بعد السويس ، واستفادة من نتائجها ودروسها، أن هناك محاولة لتنظيم المرور على طرق التاريخ المتقاطعة .

بدأت القوتان الأعظم محاولة على مستوى القمة لبحث سباق السلاح كمقدمة للوصول إلى نوع من الوفاق ، وقام « خروشوف » بزيارة للولايات المتحدة كان يجب أن تعقبها زيارة يقوم بها « ايزنهاور » للاتحاد السوفيتى في ربيع سنة ١٩٦٠ .

وكانت القوى الامبراطورية السابقة مشغولة بعمليات المقاومة الأخيرة قبل التصفية النهائية : فرنسا في الجزائر - وبريطانيا في عدن والخايج العربي .

وكانت الأمم المتحدة قد وجدت لنفسها صيغة بدت ملائمة ، فإلى جانب تناقش القوتين الأعظم بالأسلحة وبالعقائد ـ كانت السكرتارية العامة للأمم المتحدة بشخصية « همرشولد » تمارس دورا أكبر بكثير من دور الموظف الدولى الأول ، وساعده على هذا الدور أن مجموعة الدول غير المنحازة بقيادة الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة ، ومعها كوكبة من الدول المؤمنة بنفس الاتجاه تتبعها كتائب من قوى حركة التحرر الوطني ـ راحت جميعا تضع قوتها بالكامل وراء مبادىء الأمم المتحدة .

وبدا في نهاية الخمسينات في هذه الترتيبات التي أوجدتها ظروف الممارسة الدولية قابلة للنجاح في مهمة تأسيس نظام دولي قابل للحياة والحركة والفعل.

ثم فجأة في أوائل الستيفك اختلت الموازين، وتشابكت حركة الزهام، وتصادمت عند تقاطع الطرق!

القسر ، فالاقتصاد التابع والثقافة التابعة والأمن التابع حالة من القهر اسوا مما يصنعه العنف ، فالعنف يستدعى المقاومة في حين أن الاضطرار إلى التبعية يورث الذل ا

وهكذا فإن أفريقيا غداة أيام الاستقلال أصبحت قارة حزينة ، ققا كانت قياداتها الجديدة في أعماقها تدرك الحقيقة ، وإن راحت في تصرفاتها تحاول الهرب منها بوسائل مختلفة ، فقد كان هناك من اختاروا الهرب عن طريق الأوهام العقائدية (" سيكوتورى " في غينيا مثلا) _ وكان هناك من اختاروا الهرب عن طريق الأحلام الذاتية (" نكروما » في غانا الذي اختار لنفسه لقب الأوساييفو » أي المنقذ المخلص . . مسيح إفريقي !) _ وكان هناك من اختاروا الهرب من باب الاستسلام الكامل للواقع (« باندا » في مالاوي مثلا) . ومع ذلك فإن إدراك الحقائق والهرب منها أو الاستسلام لها _ ليس من شأنه ايقاف تفاعلات التاريخ ، وإن كان من شأنه جعل هذه التفاعلات مؤلة ملتهبة ودامية .

وكانت مصر طوال تاريخها جسرا بين افريقيا وآسيا ، وكان هذا الجسر جغرافيا بمقدار ما هو تاريخى ، ثم جاء دور الثورة المصرية في دعم حركات التحرر الوطنى ، وفي صنع روح باندونج ، وفي المشاركة الفعلية في تحريك رياح التغيير بما في ذلك تحملها بمسؤولية اساسية في مناصرة ثورات شمال افريقيا ، واولها الثورة الجزائرية . وبمجمل هذه العوامل جميعا فإن القاهرة اصبحت بعد السويس عاصمة للتحرر الإفريقي .

وهكذا كانت القاهرة من أهم نقط تقاطع الطرق في افريقيا وتلاقيها ـ أو تشابكها ـ مع آسيا .

ومع بدایات سنة ١٩٦٠ كان « جمال عبد الناصر » یشعر أن هناك احتمالات للزحام وللصدام بالذات في أفریقیا ، كما أنه كان مشتركا في عملیة تشاور واسعة مع « نهرو » و « تیتو » . وكان « نهرو » أقرب إلى تفكیره في هذه الموضوعات مما كان « تیتو » . واقترح علیه « نهرو » أن یلتقیا في دلهی ، وكتب إلیه یسئله إذا كان بستطیع أن یشارك معه في الاحتفال بیوم الجمهوریة في الهند یوم ٢٦ ینایر ، ثم یتفرغ الاثنان بعد الاحتفالات لأحادیث أفریقیا . واعتذر « جمال عبد الناصر » عن هذا الاعد ، فقد علم أن هناك ضیوفا كثیرین سوف یشاركون في هذا الاحتفال « وبینهم الرئیس » فورشیلوف » رئیس اتحاد الجمهوریات السوفیتیة . وكتب إلى « نهرو » یقترح موعدا آخر ، وفهم « نهرو » أن « جمال عبد الناصر » لیس مستعدا في الوقت

كانت افريقيا هي أول نقطة تقاطعت عندها الطرق في نهاية حقبة الخمسينات ، وبداية حقبة الستينات .

كانت خمائر السويس قد نضجت بسرعة ، وادت إلى استقلال غانا في سنة ١٩٥٧ ثم لحقها استقلال غينيا في سنة ١٩٥٨ ، وهبت « رياح التغيير » - تعبير « هارولد ماكميلان » - على القارة السوداء حاملة بذور الثورة والتحرر ، وما هي إلا شهور حتى بدات علامات عشرين مخاضا لميلاد جديد في قلب افريقيا .

وفي سنة ١٩٦٠ كان كل شهر تقريبا يسمع صراخ وليد أفريقي مستقل مطالب بحقوق الحياة .

ق أول يناير ١٩٦٠ أعلن استقلال الكاميرون ، وفي ٢٧ أبريل أعلن استقلال توجو ، وفي ٢٦ يونيو أعلن استقلال بلدين في وقت واحد : مدغشقر والصومالي الشمالي ، وفي ٣٠ يونيو أعلن استقلال الكونجو (زائير) ، وفي أول يوليو أعلن استقلال الصومال الجنوبي ، وفي أول أغسطس أعلن استقلال بنين ، وفي ٧ أغسطس أعلن استقلال ساحل العاج (كوت ديفوار) ، وفي ٨ أغسطس أعلن استقلال فولتا العليا (بوركينا فاسو) ، وفي ١١ أغسطس أعلن استقلال النيجر واستقلال أفريقيا الوسطى ، وفي ١٣ أغسطس أعلن استقلال الكونجو واستقلال أفريقيا الوسطى ، وفي ١٥ أغسطس أعلن استقلال الكونجو (برازافيل) وفي ١٧ أغسطس اعلن استقلال الكونجو أعلن استقلال السنغال ، وفي ٢٧ سبتمبر أعلن استقلال مالي ، وفي أول أكتوبر أعلن استقلال نيجيريا ، وفي ٨٨ نوفمبر أعلن استقلال موريتانيا . . .

زحام شديد على تقاطع الطرق!

ولم تكن عمليات الميلاد الجديد المتوالية بهذه السرعة كأنها شلال يتدفق مجرد مشهد طبيعي يخطف الأبصار بروعته ، ذلك لأن الاستعمار لم يكن مجرد قيد من حديد ينكسر ، فإذا هي الحرية بعد العبودية ، وإنما كانت الحقائق أعقد من ذلك كثيرا ، واشد مدعاة للهم والقلق ، لقد كان الاستعمار يريد أن يمنح مظهر الاستقلال ، ويريد في نفس الوقت أن يمنع جوهره ، يترك القيد الحديدي يقع بعد كسره ، ولكنه يحتفظ بصك العبودية في جيبه ، ولم تكن صكوك العبودية أوراقا ، وإنما كانت حقائق اقتصادية وثقافية وسياسية تربط المستعمرات التي استقلت بعواصم السيطرة السابقة عليها ، أي أنها تغرض الاضطرار بديلا عن

الراهن ، وفي ظروف الخلاف المشتد مع الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط أن يلتقى ، ولو بالمسادفات ، مع شخصيات سوفيتية على مستوى رئيس الدولة . وكتب الله خطابا(١) شخصيا جاء فيه :

عزیزی الرئیس ناصر

كنت وزملائى فى الحكومة الهندية نتطلع إلى زيارتكم للهند ، وإلى اشتراككم فى احتفالاتنا بيوم الجمهورية فى ٢٦ يناير . وقد علمنا الآن انكم تفضلون ان تحضروا إلى الهند فى الاسبوع الأول من ابريل ، ومرحبا بكم فى الهند فى اى وقت يناسبكم . ومع ذلك فما ذلت ارى انكم إذا كنتم غير راغبين فى ان تتداخل زيارتكم مع زيارة الرئيس فورشيلوف ، فإننا نستطيع ان نحقق رغباتكم . ولما كان من المرجح ان يغادر الرئيس فورشيلوف دلهى يوم ٢٧ يناير ، فهل يمكنكم ان تحضروا إلى دلهى فى ٢٧ او ٢٨ ؟

مع اطيب تحياتي .

المخلص جواهر لال نهرو _"

وكان رأى « جمال عبد الناصر » أنه لا يود الذهاب بهذه السرعة في أعقاب زيارة « فورشيلوف » لأن ذلك قد يوحى ضمنا بوجود وساطة تقوم بها الهند بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى ـ في حين أن الموضوعات التي كان راغبا في مناقشتها مع « نهرو » كانت أوسع من الخلاف مع الاتحاد السوفيتى .

وعندما التقى الاثنان أخيرا في ٦ أبريل ١٩٦٠ كان اتفاقهما منذ اللحظة الأولى على أن أفريقيا ، وما يجرى فيها ، وما سوف يجرى هو موضوع الساعة . وكانت مخاوفهما تتركز في مشكلتين :

- المشكلة الأولى هي مشكلة تحول قيادات حركة التحرر السريعة الناشئة عن رياح التغيير من حركات ثورية هشة إلى دول سوف تكون بالتأكيد ضعيفة ، مما يعرضها لأزمات داخلية وخارجية قد تعرضها لأكثر مما هي قادرة على احتماله في هذه اللحظة من تطورها .
- والمشكلة الثانية أن هذا الوضع سوف يكون فرصة مهيأة للاستغلال بواسطة القوتين الأعظم، وهكذا فإن عواصف الحرب الباردة قد تؤدى إلى دمار شديد في القارة الواقفة على عتبات الاستقلال.

كذلك اثار « جمال عبد الناصر » قضية هامة رآها في ذلك الوقت ، وهي محاولات إسرائيل للنفاذ إلى القارة .

واتصلت المناقشات ، واستمرت بين الاثنين ، ولم يكن وقت الزيارة الرسمية كافيا ، فقضايا البحث بينهما ضخمة ، واحتمالاتها خطرة . وفي آخر يوم من أيام الزيارة وهو ۹ أبريل ۱۹٦٠ مر « نهرو » على قصر الضيافة الذي ينزل فيه « جمال عبد الناصر » وترك له رسالة يفكر في موضوعها حتى يتقابلا بعد ذلك في موعد الوداع الرسمى ، وقد جاء فيها :(۲)

« عزيزي الرئيس ناصر

لم نستطع أن نغطى مساحة كل ما كنا نبحث فيه من موضوعات الناء زيارتكم هنا فإلى جانب لقاءاتنا الناء زيارتكم كان امامكم ايضا برنامج حافل بالزيارات وارجو الايكون ذلك قد ارهقكم وعلى اى حال ، فانتم لا تزالون في عنفوان الشباب ، وممتلئون بالحيوية ، ومعتادون على العمل الشاق . لكننا لم نفرغ من كل ما كنا نعتزم بحثه . وانتم تعلمون اننى سوف احضر في الشهر القادم مؤتمرا لرؤساء حكومات « الكومنولث » في لندن ، واتمنى أن استطيع قضاء يومين أو ثلاثة في مصر في طريق عودتى . فإذا استطعت أن تعطيني وقتا كافيا يومي ١٥ و ثلاثة في مصر في طريق عودتى . فإذا استطعت أن تعطيني وقتا كافيا يومي ١٥ و ثارا مايو _وإذا كان ذلك يناسبكم _ فإنى البد أن القضى ثلاثة أيام في مصر يومين فيها ما بداناه هنا . وإذا اذنت لى ، فإنى اريد أن اقضى ثلاثة أيام في مصر يومين منها معك في القاهرة ويوم ثالث اتمنى أن أزور فيه السد العالى وربما معابد الاقصر ، فإن ذلك يجعلنى اشعر بنبض كل من مصر التى تتطور بسرعة ، ومصر القديمة العربقة .

توق*يع* ج*واهر لال* نهرو ₌

وعلى هامش هاتين المشكلتين اثار « جمال عبد الناصر » ازمة خلافه مع الاتحاد السوفيتي ، كما اثار « نهرو » ازمة خلافه مع الصين . وكان رايهما معا ان حركة التحرر الوطني بصفة عامة قد وصلت إلى « تقاطع طرق » مع الكتلة الشيوعية . فهذه الكتلة وقفت مع حركة التحرر الوطني إلى حين تحقيق الاستقلال . وحين تحقق برزت المطامح والمطامع لأن الفريقين لم يعودا كما كانا في السابق يواجهان نفس الخصم ، ولنفس الهدف ، وهو تصفية الاستعمار .

⁽ Y) نص الرسالة بخط يد ، نهرو ، وبتوقيعه محفوظ في ارشيف منشية البكرى ، ويلاحظ ان هامش هذه الرسالة هوى تأفيرة بخط ، جمال عبد الناصر ، يطلب وضع جهاز تكييف في الاستراحة التي سينزل فيها ، نهرو ، في أسوان .

⁽١) رسالة ، نهرو ، محفوظة في ارشيف منشية البكرى ، كما توجد منها نسخة في ارشيف وزارة الخارجية .

وسافر « عبد الناصر » من الهند إلى باكستان ، فقد كان حريصا ف كل مرة يزور فيها الهند بروابط عدم الانحياز – أن يزور باكستان أيضا بدواعي رابطة الاسلام . وكان يعرف مقدما أنه ليس لديه كثير يناقش مع حكومة باكستان ، ولكنه كان يقصد بالدرجة الأولى أن يلتقى بشعبها . وكان أثناء زيارته للهند قد دعا سفراء الجمهورية العربية المتحدة فى كل الدول الآسيوية إلى اجتماع معه فى « بومباى » ، وتشكل وقائع هذا اللقاء صورة لتفكيره فى تلك المرحلة . فقد بدأ حديثه (٢) مع السفراء فى آسيا بقوله :

« إننى احببت ان اراكم هنا مجتمعين فانا في احيان كثيرة اراكم فرادى ، وهذه فرصة لنا جميعا كي نرى الصورة كاملة معا بحيث يخرج كل منا برؤية واضحة لقارة باكملها لها اهميتها الخاصة بالنسبة لنا . إنكم رايتم اثناء وجودكم هنا كيف تنظر جماهير الشعوب إلى الجمهورية العربية المتحدة ، قاتا لا اعتبر أن خروج الناس لاستقبالي على هذا النحو تحية موجهة لى شخصيا ، وإنما اعتبره تحية موجهة إلى النموذج الذي قدمه الشعب في بلدنا للتحرر وللبناء . والسؤال الذي اساله لنفسي ، واسالكم فيه الآن هو كيف نستطيع تدعيم هذا النجاح ، فنحن لا نملك ما تملكه امريكا أو روسيا ، وأنما نملك ثلاثة عناصر يجب أن نحرص عليها لتظل للجمهورية قيمتها وقدرتها على التأثير . والعناصر الثلاثة هي :

١ ـ الاخلاص للقضايا الافريقية الاسبوية .

٢ ـ الحياة في هذه القضايا والتفاعل معها .

٣ ـ النموذج الذي نقدمه لكل الذين يتطلعون إلينا.

كل هذه العناصر مهمة لأن قيمة اى بلد في عالم اليوم تتحدد بقدرته على الاشعاع . ولابد ان تلاحظوا اننا نتحمل تكاليف كثيرة لنحتفظ بموقفنا المستقل . ونحن نجد ان الشرق والغرب كليهما ينظر إلينا على اننا عقبة في طريقه إلى السيطرة . وفي آسيا وفي افريقيا مجالنا الحقيقي للحركة والتأثير . إنني كنت اتمنى ان تكون لنا امكانية التأثير في اوروبا وامريكا ، ولكني مضطر مع الاسف إلى الاعتراف بان إسرائيل تسبقنا في هذين الميدانين . ولقد استطعنا مواجهتها في آسيا منذ ايام * باندونج * ونحن الآن نواجهها في افريقيا ، وعلينا ان نسبقها إلى امريكا اللاتينية .

وبالطبع فإن امريكا وروسيا كليهما يحاول عزل تأثيرنا المستقل ، ولا ينبغى ان نسمح لأنفسنا ان نعزل . فإذا تم عزلنا عالميا ، فسوف تكون الخطوة التالية هى ضرينا محليا . •

واعطى « جمال عبد الناصر » الكلمة بعد ذلك للدكتور « محمود فوزى » الذى طرح على السفراء كمدخل للنقاش تفاصيل ما كان قد جرى قبله من حوار ف دلهى بين « جمال عبد الناصر « و « جواهر لال نهرو » ، ثم بدأت المناقشة واتصلت ست ساعات .

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة .

ولحق به « نهرو » بعد أسابيع قليلة كما اقترح .

واتصلت المناقشات بين الصديقين في نفس الموضوعات. وكانت اعلام الاستقلال ترتفع بسرعة خاطفة في عواصم أفريقية عديدة ، ومع ذلك فإن الصديقين المجتمعين في القاهرة ، كانا يحاولان مد البصر إلى ما وراء أيام الأفراح العابرة ، ويخشيان مما هو قادم بعدها من أسباب الصدام ودواعيه .

ووقع الصدام الكبير في الكونجو سنة ١٩٦٠ .

كان الكونجو في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين مستعمرة من نوع غريب في التاريخ، فقد كانت ملكيتها لملك بلجيكا الملك « ليوبولد السادس شخصيا . كان « ليوبولد » هو مالك الغابات ، ومالك المناجم ، ومالك سكان الكونجو جميعا عبيدا له بالمعنى الحرفي للكلمة ، أى أن الملك كان بالفعل يتاجر بالبشر حتى خارج حدود مستعمرته . ولقد تسبب هذا الوضع في حرج شديد للشعب والحكومة في بلجيكا ، الأمر الذى أدى بد « ليوبولد » وورثته إلى أن يحولوا ملكيتهم للكونجو إلى شركات مساهمة ، وظل هذا الوضع قائما تقريبا إلى أيام معركة السويس . ثم بدأت رياح التغيير تهب حتى ظهرت أول حركة سياسية وطنية سنة ٩٥٩ . ويقول تقرير رياح التغيير تهب حتى ظهرت أول حركة سياسية وطنية سنة ٩٥٩ . ويقول تقرير الأمم المتحدة الأول عن الكونجو بعد أن بدأت وقائع الصدام سنة ١٩٥٠ « إنه حتى سنة ١٩٥٧ لم يكن هناك في الكونجو البلجيكي أى نشاط سياسي من أى نوع بواسطة سكان البلاد الأصليين . ولم تكن فكرة الاستقلال _ ولو حتى كفكرة _ مطروحة على الاطلاق . ووقعت أول قلاقل معادية للاستعمار سنة ١٩٥٩ » .

وبطبيعة الملكية الخاصة للكونجو على هذا النحو، فإن ظهور القلاقل ما لبث أن تبعه تراجع سريع لأن القوى المسيطرة لم تكن حكومة لها مسؤولياتها، وإنما كانت شركة، أو مجموعة شركات لها مصالحها، وهي ليست جاهزة للقمع بالقوة إزاء انتشار التمرد، ولذلك فإن عليها أن تجد وسائل أخرى للتهدئة، واستعادة السيطرة، وذلك ماراحت تفعله، لكن رياح التغيير كانت تهب وتفرض بهبوبها تداخلات وانقطاعات وتغييرات على الترتيبات الأصلية.

⁽٣) محضر الاجتماع بين «جمال عبد الناصر » وسفراء الجمهورية العربية المتحدة في أسيا كتب اصله بخط الدكتور « محمود فوزى » وقد اعيد نقله بالآلة الكاتبة على أوراق وزارة الخارجية التي احتفظت منه بنسخة ، وبعثت بالنسخة الثانية إلى الرئاسة ، وهي محفوظة في ارشيف منشية البكرى .

ولقد اتخذت على عجل اجراءات لاعلان نوع من الاستقلال . وجرى نوع من الترتيبات المتسرعة ظهر خلاله ثلاثة رجال هم « كازافوبو » الذى تولى رئاسة الدولة ، و « تشومبى » الذى فضل أن يظل في إقليمه « كاتنجا » ولا يتوجه إلى العاصمة في احتفالات قيام الدولة الجديدة .

ولم يكن هناك من المقيمين في الكونجو إفريقيون أو أجانب من كان مهيأ لفكرة الاستقلال عاطفيا أو عمليا . وهكذا فإن ما تلا إعلان الاستقلال كان هو بالضبط ما سبقه . وعلى سبيل المثال ، فقد تحولت قوة الأمن العام التابعة لمجموعة شركات استغلال الكونجو لكى تصبح جيشا للدولة المستقلة . وكان قائدها ضابطا بلجيكيا ، وكانت تعليماته في اليوم الأول للاستقلال هي منشور طبعه ووزعه على جنوده يحمل جملة واحدة « بعد الاستقلال = قبل الاستقلال » . ولم يكن وحده في هذا التصور ، وإنما كان ذلك هو التوقع العام السائد والمستقر .

ولكن المشكلة أن رئيس وزراء الكونجو « لومومبا »(3) كان له تصور آخر دفعته إليه أحوال القارة عموما إلى جانب هبوب رياح التغيير عليها في تلك الفترة . وهكذا فإنه وقف يوم الاحتفال بمراسم الاستقلال ، وفي حضور ملك بلجيكا ، وأطلق العنان لكل المخزون والمكبوت من مشاعر الاحساس بالقهر والظلم . ولم يكن حديثه صدمة للملك فحسب ، وإنما كان صدمة أكبر للبلجيك ، وغيرهم من الأجانب الذين يعيشون في الكونجو ، ويحصلون على امتيازات استغلالها أفرادا وشركات . ومنذ اللحظة الأولى ، فقد أدرك هؤلاء أن لومومبا « ظاهرة تهور واندفاع » يتحتم استئصالها مبكرا ، وقبل أن تحدث تأثيراتها ومضاعفاتها .

ولقد كان التدخل بإثارة الاضطرابات سهلا ومتاحا ، ولم تنقض أيام حتى كانت الحكومة عاجزة عن السيطرة على الأمن في العاصمة وخارجها ، وزاد على عوامل الاضطراب أن « تشومبي » المسؤول عن إقليم « كاتنجا » اعتبر نفسه مسؤولا أمام شركات النحاس والماس واليورانيوم في « كاتنجا » وليس مسؤولا أمام حكومة على الورق قامت في العاصمة . وعرضت الحكومة البلجيكية أن ترسل قوات لحفظ الأمن في الكونجو ، ولكن « لومومبا » اعتبر ذلك عودة للسيطرة ، وطلب إلى الأمم المتحدة أن تبعث اليه بقوات تصون استقلال « الكونجو » ووحدة أراضيه إزاء محاولات للتمرد والانسلاخ بلغت ذروتها في مقاطعة « كاتنجا » التي ما لبث « تشومبي » أن أعلن استقلالها عن الحكومة المركزية ، وتعقد الموقف أكثر حين طلب « تشومبي » قوات الجيكية تساعده في المحافظة على أمن المناجم في مقاطعته ، ووصلت إليه هذه القوات

فعلا ، وقفزت أزمة الكونجو لتفرض نفسها على القارة ، وعلى القوى المهتمة بمصائرها وبرواتها ، وبالتالى على العالم .

وقام السكرتير العام للأمم المتحدة « داج همرشولد » - بتأييد مجموعة الدول غير المنحازة ، وفي مقدمتها الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة - بتشكيل قوة دولية بدأ وصولها إلى الكونجو ، ولكن هذه القوات وجدت نفسها وسط دوامات وتيارات متصادمة متصارعة « تشابكت فيها اطراف محلية وإفريقية ودولية تقاربت ، أو تباعدت خططها ومصالحها .

وكانت بداية المشاكل خلافا بين «لومومبا» و «همرشولد» فقد طلب «لومومبا» أن تكون القوات الدولية التي ترسل إلى الكونجو كلها قوات سوداء اى من أفريقيا ورفض «همرشولد» قائلا إنه لا يستطيع أن يميز في إطار الأمم المتحدة بين الأسود والأبيض والأسمر ، فمثل هذا التمييز في حد ذاته يتناقض مع روح الأمم المتحدة ذاتها .

وبعد وصول قوات الأمم المتحدة عادت المشاكل بين «همرشولد» و الومومبا » لتطل براسها من جديد لأن «لومومبا » تصور أن القوات الدولية لابد أن تتلقى أوامرها منه شخصيا . وكان ذلك مخالفا لوجهة نظر «همرشولد » فقد خشى أن تتحول قوات الأمم المتحدة بهذا الوضع إلى طرف في الصراع الداخلي ، في حين أن مهمتها محددة بقرار من مجلس الأمن يلقى عليها مهمة حفظ الأمن في الكونجو كله .

وعندما أعلن « تشومبي » انفصال إقليم « كاتنجا » ودعا القوات البلجيكية لمساعدته في حفظ الأمن ، اعتبر « لومومبا » أن هذا التطور يعطيه الحق في اتخاذ قرار يطلب فيه إلى قوات الأمم المتحدة أن تشق طريقها إلى « كاتنجا » حتى ولو ادى الأمر إلى اشتباكات مسلحة مع القوات البلجيكية وقوات « تشومبي » .

كانت القاهرة ودلهى وبلجراد كلها تتابع التطورات ، وتشعر أن الدول غير المنحازة عليها مهمة في تسهيل عملية الانتقال من الاحتلال إلى الاستقلال في افريقيا بأقصى ما يمكن من السلاسة والهدوء . ولقد كان هذا هو ما دعا « جمال عبد الناصر » إلى أن يقبل اقتراحا من « همرشولد » بأن تشترك الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها دولة إفريقية في قوة الأمم المتحدة العاملة في الكونجو . وبالفعل وصلت إلى الكونجو كتيبة مظلات مصرية من خمسمائة جندى وضابط يقودها العقيد « سعد الدين الشاذلي » ، كما أن « جمال عبد الناصر » وافق على إرسال مجموعة من ضباط الدين المصريين ملحقين بهمئة الأمم المتحدة في الكونجو ، وكان يراسها الدكتور

^(1) كان د باتريس لومومبا ، هو الكونجول الوحيد الذي حصل على شهادة البكالوريا ، واكمل بعدها دراسة منهج في المحاسبة جعله يحصل على وفليقة في أحد البنوك .

« رالف بانش » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة (وهو زنجى امريكي) وكان رئيس ضباط الاتصال المصريين هو العميد « أحمد اسماعيل على »(°).

واقترح « عبد الناصر » على « همرشولد » أن يذهب بنفسه إلى الكونجو ، وأن يحاول تذليل العقبات بهيبته كسكرتير عام للأمم المتحدة خصوصا وأن الأنباء كانت قد بدأت ترد عن نشاط محموم يجرى فى « كاتنجا » التى وصلت إليها مجموعات من رجال المخابرات المركزية الأمريكية يتقدمهم « فرانك كارلوتشى » (۱) ، كما وصلت إليها أيضا مجموعات من كبار الرأسماليين يتقدمهم البارون » جى روتشيلد » وريث عائلة « روتشيلد» المشهورة ، و « هارى أوبنهايمر » رئيس مجموعة مناجم جنوب أفريقيا التى تملك امتيازات الماس فى « كاتنجا » . كما أن المعلومات المتسربة من هناك كانت تشير إلى خطط ومؤامرات استطاع فيها هذا التحالف بين قوى المخابرات والمصالح الراسمالية شراء ولاء الكولونيل « موبوتو »(۱) قائد جيش الكونجو الذي بدأ ينقل ولاءه من الحكومة إلى جهات اخرى .

واستجاب « همرشولد » لاقتراح « عبد الناصر » وسافر إلى الكونجو ولكن علاقاته بد « لومومبا » اتسمت بالتوتر من أول يوم . فقد كان « لومومبا » على استعداد للشك الدائم في كل أبيض ، كما أن « همرشولد » الذي اعتبر نفسه مسؤولا عن سلامة قوات الأمم المتحدة كان مصرا على أن تحتفظ هذه القوات بمطار تسيطر عليه ضمانا لمواصلاتها مع العالم الخارجي .

ولقد كان هناك تصادم ثقافي بين الأثنين تحول إلى تصادم شخصى بين الثائر الافريقى المتحمس إلى حد العصبية ، وبين الدبلوماسى السويدى الذى حقق لنفسه مكانة دولية تتجاوز حدود وظيفته ـ بالدور الذى قام به فى معركة السويس . وفي بعض اللحظات بدا أن « لومومبا » يفقد أعصابه » فقد احتد على « همرشولد » وقال له فى اثناء أحد اللقاءات إنه سوف يطرد قوات الأمم المتحدة ويطلب قوات يستطيع أن يعتمد عليها من أى مكان يراه . وكان واضحا أنه يلمح إلى امكانية دعوة قوات يسوفيتية . وحاول « همرشولد » أن يلفت نظره إلى خطورة ما يقول ودلالاته ، ولكن « لومومبا » كان يشعر أن حلقات الحصار تضيق من حوله يوما بعد يوم .

وتعقدت المشاكل ، وبدأت تعقيداتها تعكس نفسها على عمل قوات الأمم المتحدة

بما فيها القوة المصرية . وكتب « جمال عبد الناصر » إلى « همرشولد » رسالة قال فيها : « إنه اضطر إلى أن يطلب إلى القوة المصرية في الكونجو الامتناع عن أداء مهمة كلفتها بها قيادة الأمم المتحدة لأن هذه المهمة تخرج في رأيه عن نطاق التكليف الذي تحمله قوات الأمم المتحدة . وكانت المهمة التي أشار لها ، جمال عبد الناصر " أن القوة المصرية تلقت أمرا باحتلال مطار " ليوبولدفيل " ، كما أن قوات غانا تلقت امرا بالاستيلاء على إذاعة العاصمة الكونجولية ومنع اذاعة بيانات معادية لمهمة الأمم المتحدة من استديوهاتها ، بدعوى أن جنود القوى الدولية يتعرضون للضرب والقتل في الشوارع من جراء التحريض السافر ضدهم من إذاعة « ليوبولدفيل » مما دعا « همرشولد » على حد قوله إلى إصدار قرار بالتدخل على هذا النحو . وقال «جمال عبد الناصر » ف رسالته لـ « ممرشولد » : « إن الذي أفهمه هو أن مهمة قوات الأمم المتحدة هي مهمة سياسية بالدرجة الأولى ، وأما تدخلها بمهام قتالية ، أو مهام يمكن أن تؤدى إلى قتال ، فهي مسألة لابد من ابقائها إلى حالة الضرورة القصوى ، وعند الدفاع عن النفس الله . وقال جمال عبد الناصر إنه « اضطر إلى أن يعطى أمرا مباشرا للقوة المصرية خارج سلسلة القيادة الطبيعية في إطار الأمم المتحدة لأنه وجد ان القوة المصرية يمكن أن تستغل في خدمة سياسات تتعارض ليس فقط مع سياسة الحمهورية العربية المتحدة ، ولكن أيضًا مع روح الأمم المتحدة ابتداء من روح الميثاق إلى روح قرار إرسال قوة دولية إلى الكونجو » . ثم ختم « جمال عبد الناصر » رسالته قائلا إنه « يتمنى ألا تضطره الظروف إلى أن يصدر قرارا بسحب القوة المصرية المشتركة في أعمال الأمم المتحدة من الكونجو ، .

وف ٩ سبتمبر وصلت الأزمة إلى القمة الدولية ، وكتب «خروشوف » إلى « جمال عبد الناصر » رسالة (^) شخصية كان نصها كما يلى :

• عزيزي الرئيس

تدفعنى الأنباء التى وردت في الأيام الأخيرة من جمهورية الكونجو إلى أن أبعث اليكم بهذه الرسالة الخصوصية . وكما تعرفون فأن الموقف في الكونجو يزداه تدهورا ، والسبب الأساسي لهذا التدهور هو ازدياد تدخل القوى الاستعمارية في الشؤون الداخلية لجمهورية الكونجو . وقد اصبحت قيادة القوات التى ارسلت إلى الكونجو بناء على قرار مجلس الأمن ، والتى عينها السكرتير العام للأمم المتحدة ـ اداة لتلك القوى في واقع الأمر . وبناء على أوامر تلك القيادة قامت القوات المذكورة في الأونة الاخيرة باحتلال وإغلاق مطار العاصمة ، ليوبولدفيل ، ،

⁽٥) اختلف الضابطان المصريان الكبيران: « احمد إسماعيل » و « سعد الشاذل » أن اثناء عملهما ال الكونجو ، وقد انعكس هذا الخلاف على علاقاتهما فيما بعد خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ وكان اولهما قد اصبح قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للحربية ، والثانى رئيسا لهيئة اركان الحرب .

⁽٦) • كارلوتشي ، الأن سنة ١٩٨٨ هو وزير الدفاع 👢 حكومة الرئيس ، رونالد ريجان ، .

⁽٧) لا يزال ، موبوتو ، حتى هذه اللحظة ١٩٨٨ رئيسا للكونجو ، وقد قفز إلى الرئاسة بانقلاب عسكرى سنة ١٩٦١ ، وهو يعتبر من اغنى الاغنياء في العالم .

 ⁽ A) اصل الرسالة مودع في ارشيف منشية البكرى تحت رقم (٤) ضمن مجموعة الملفات التي تحمل العنوان الرئيس « مراسلات متبادلة مع القادة السوفيت » .

واستولت القوات التابعة للأمم المتحدة على كل الاذاعة المركزية لحكومة الكونجو في « ليوبولدفيل » ، وهكذا أصبحت حكومة الكونجو لا تملك سيطرة على مطاراتها ، كما أصبح ممثلوها ممنوعون من دخول إذاعتها . كما أن أولئك الذين يدعون تمثيل الأمم المتحدة في الكونجو يقدمون على افعال لا يمكن قبولها ، ويرتكبون تصرفات مهيئة لحكومة جمهورية الكونجو ، ولشخص رئيس وزرائها « لومومبا » . ومن الواضح أن هذا كله سيؤدى إلى الاختلاف والاصطدام بين القوات التي وضعت تحت قيادتهم بناء على قرار مجلس الأمن ، وبين قوات الكونجو الوطنية . »

ثم اسهب « خروشوف » في مخاطر هذا الوضع ، وختم رسالته قائلا :

• وعلى أساس هذا كله قررت الحكومة السوفيتية أن تطلب من مجلس الأمن إبعاد قيادة قوات الامم المتحدة في الكونجو بعد أن تلطخت سمعتها ، ومن ثم فإن الحكومة السوفيتية تعتقد اعتقادا عميقا أن البلدان التي أرسلت قوات إلى الكونجو بناء على قرارات مجلس الامن ، تستطيع أن تقدم أكبر خدمة بأن تضع قواتها العسكرية تحت تصرف حكومة الكونجو مباشرة .

وامل يا سيادة الرئيس ان تلقى الافكار الواردة في هذه الرسالة تفهما وقبولا لديكم ، وارجو قبول وافر الاحترام .

إمضاء نيكيتا خروشوف ■

ولم يكن « جمال عبد الناصر » مستعدا لقبول وجهة النظر السوفيتية ، فقد كان معناها ان القوات المصرية وغيرها من قوات الدول الافريقية العاملة في الكونجو سوف تجد نفسها طرفا في صراعات داخلية وصلت بالفعل إلى حدود الحرب الأهلية في الكونجو .

لكن «جمال عبد الناصر » من ناحية اخرى لم يكن مستعدا لقبول التورط الذى انزلقت اليه قيادة الأمم المتحدة في الكونجو ، وكان رأيه أن «همرشولد » معرض لضغوط شديدة خصوصا من الولايات المتحدة ، وهي ضغوط كان من الواضح انها تستهدف التخلص من «لومومبا» وتمهيد الطريق لله «موبوتو » ولقد احس «جمال عبد الناصر» بالخطر، وراى مقدماته الزاحفة عندما عرف أن قيادة الأمم المتحدة بدأت تضع قيودا على حركة «لومومبا » لأن لديها معلومات مؤكدة تؤكد وجود خطر على حياته ، وكان يقين «جمال عبد الناصر » يزداد يوما بعد يوم بأن شيئا يرتب في الخفاء لعزل «لومومبا ».

وكانت مخاوفه شديدة من ان يحدث شيء لا يستطيع منعه ، ولا يقبل الاشتراك فيه حتى بمجرد وجوده شاهدا لا يستطيع التاثير و مجرى الحوادث ، ومن هنا فإنه اعلن يوم ١٠ سبتمبر انه قرر سحب الكتيبة المصرية من الكونجو . وبدأت الكتيبة المصرية انسحابها يوم ١٢ سبتمبر رغم إلحاح . همرشولد " على بقائها ، ونداءاته المتواصلة لهذا الغرض .

ولعل تقدير « جمال عبد الناصر » هنا كان صحيحا باكثر حتى مما تصور



يتحدث التقرير الخاص^(٩) للجنة الكونجرس الخاصة عن نشاط المخابرات التي يرأسها السناتور « فرانك تشرش » عضو مجلس الشيوخ عن ولاية « ايداهو » في الصفحة الثالثة عشرة منه ، فيقول عن وقائع تلك الأيام بالحرف ما يلى :

« إن اللجنة تلقت ادلة مقنعة بوجود مؤامرة لاغتيال " باتريس لومومبا » . لقد كان هناك عداء ضد « لومومبا » تتردد اصواته في المستويات العليا للحكومة ، وحتى إذا قبل إن الهدف المبدئي من إعداد ترتيبات لاغتياله بقصد مجرد تخويفه ، فإن هذا في حد ذاته تولدت عنه عملية محاولة الاغتيال . إن الادلة تشير إلى ان الرئيس « ايزنهاور » ابدى انزعاجا شديدا بشان « لومومبا » في اجتماع لمجلس الامن القومي بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٦٠ ، وأن » الان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية قد اخذ هذا الانزعاج الشديد على اساس انه تفويض باغتيال » لومومبا » » . . .

⁽ ٩) التقرير رقم ٢٥ - ٩٤ لاعمال الدورة الـ ٩٤ للكونجرس - فصل الانعقاد الاول - كانت اللجنة إلى جانب رئيسها مشكلة من اعضاء مجلس الشيوخ التالية اسماؤهم : « جون تاور » (ولاية تكساس) - « فيليب هارت » (ولاية متشيجان) - « والتر هادئتون » (ولاية كنتاكي) - « روبرت مورجان » (ولاية نورث كارولينا) - « جاري هارت » (ولاية كولورادو) - « هاورد بيكر » (ولاية تنيسي) - « باري جولدووتر » (ولاية اريزونا) - « تشارلز ماتياس » (ولاية ميرلاند) - « ريتشارد شفيكر » (ولاية بنسلهانيا] .

ويعضى تقرير اللجنة ، فيقول في نفس الصفحة « إن معثل الرئيس في مجموعة العال الخاصة المنبثقة عن مجلس الأمن القومي بخصوص الكونجو حدد توجيه الرئيس على النحو التالى : « ضرورة اتخاذ عمل مباشر ضد « لومومبا » ولا ينبغي في ذلك الصدد التردد حيال اى اسلوب يمكن اتخاذه للخلاص من « لومومبا » . وبناء على هذا التوجيه الصريح بعث « آلان دالاس » بتعليمات إلى محطة المخابرات المركزبة في الكونجو بأن « تتصرف » . »

من المؤكد في تلك الأيام أن « ايزنهاور » كان ضيق الصدر إلى حد كبير بالمحاولات التي تجرى للتمرد على سلطان الولايات المتحدة في العالم الثالث. فطبقا لنفس التقرير الصادر عن لجنة « تشرش » وفي صفحة ٧١ يتضح أن محطة أخرى صدر إليها الأمر بالتصرف المباشر، وكانت هذه المحطة هي محطة « هافانا » عاصمة كوبا ، وكان مطلوبا منها أن تتولى تصفية « فيدل كاسترو » بكل الوسائل.

كان « كاسترو » سنة ١٩٥٨ قد وصل إلى قمة نجاحه في الثورة ضد الجنرال « باتستا » ودخل بقواته الثائرة إلى عاصمة كوبا في وقت كانت الصحافة الأمريكية فيه متحمسة له ولرفاقه ذوى اللحى الطويلة . وقد دخل « كاسترو » إلى هافانا في موكب المنتصر غطته شبكات التليفزيون الأمريكي ، كأن دخوله مشهد من أحد أفلام هوليوود . وبالفعل ، فقد كان معه في نفس سيارة الجيب المغطاة بالزهور نجم السينما الأمريكية المشهور « ايرول فلين » ، كما أن الكاتب الأمريكي الأشهر « ارنست هيمنجواي » شرع قلمه لتحويل الثورة الكوبية إلى اسطورة .

وكالعادة لم تعش أسطورة الحرية طويلا في الولايات المتحدة _ فإن « كاسترو » بعد نجاح الثورة راح يؤمم الشركات الأمريكية الكبرى ، ويسترد امتيازاتها في كوبا ثم أتبع ذلك بالمطالبة بجلاء القوات الأمريكية من قاعدة « جوانتانامو » . ثم وقع في خطيئة الاعتراف بالصين الشعبية ، وهي خطيئة لا تغتفر في ذلك الوقت من وجهة نظر السياسة الأمريكية ، وزاد « كاسترو » على ذلك وقوفه في اجتماع عام أمام حشد من الجماهير « فأمسك بوثيقة معاهدة الدفاع المشترك مع الولايات المتحدة الأمريكية المعقودة مع الجنرال « باتستا » _ والتي كانت الولايات المتحدة تستند إليها في رفض الجلاء عن قاعدة « جوانتانامو » ومزقها ، والقي ببقاياها قطعا صغيرة من الورق طائرة في الهواء .

وصدر أمر « ایزنهاور » بالتصرف فی هافانا ایضا ، کما صدر أمره بالتصرف فی الیوبولدفیل .

ركان المرقف الدولى خطيرا في هذه الفترة ، وبلغت خطورته حدا آثار المخاوف في المالم تقريبا ، فقد وصلت العلاقات بين القوتين الأعظم بطريقة مفاجئة الله ينذر بشرور مستطيرة لم يكن احد على استعداد لها ، ولو حتى من الناحية المرة .

كان العالم مهيا لاحتمالات وفاق بين القوتين الأعظم على أثر زيارة قام بها الشوف ، إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٥٩ . وكان لقاء القمة الدولية اقتراحا الأسوف » أن الموقف الدولي بعد السويس مباشرة . ففي أواخر سنة ١٩٥٦ الله خروشوف » أن الموقف الدولي بعد السويس بقتضي اجتماعا على مستوى السنجاب « ايزنهاود ، للاقتراح على اساس أن يتم اجتماع القمة في إطار المتحدة ، وأن يضم الأعضاء الدائمين في الأمم المتحدة . ووافق « خروشوف » الأسكلة الحين أعاقت تنفيذ الاجتماع ، ثم استطاعت القوتان الاعظم الخروج من المترتب لقاء ثنائي بينهما بدأ بزيارة « خروشوف » للولايات المتحدة ، وكان الأسلوب هو الله المعقولة التي وجدتها الدولتان الأعظم للخلاص من عائق الصين ، والتنصل المتراك بريطانيا وفرنسا في اجتماع القمة ، خصوصا وأن « ايزنهاور » لم يكن المالين الني أصبح رئيسا لفرنسا .

لكن ضعوط بريطانيا وفرنسا بعد إتمام زيارة « خروشوف » لأمريكا ، وادعاء لله الدولية أصبحت حكرا على دولتين فقط اعاد اقتراح القمة رباعيا - اى بدون لله المعتمام العام مرة اخرى . وتم الاتفاق بعد اتصالات واسعة بين الله وموسكو ولندن وباريس أن اجتماعا للقمة الرباعية سوف يعقد في باريس التحديف مايو ١٩٦٠ .

رداح المالم يشعر بنوع من الانتظار المستريح ، وهو ينتظر موعد القمة الله ، والتي سوف تتلوها بعد ذلك زيارة « ايزنهاور » لموسكو . كان المناخ الدولى المسائر ربيع من الانفراج .

المجاة تنجه العالم من تفاؤله على ازمة لم يكن قد تأهب لها ، فقد اعلنت الولايات المريكية يوم ٢ مايو ١٩٦٠ انها فقدت إحدى طائراتها فوق شمال تركيا ، ثم الله المنافرة يوم ٢ مايو ١٩٦٠ انها فقدت إحدى طائراتها فوق شمال تركيا ، ثم اللهيان الى هذه الطائرة يحتمل أن تكون قد سقطت في أراضي الاتحاد السوفيتي الأرجح اخرجتها عن خط سيرها . كان البيان مستغربا ، ولكنه في ذلك الله يثر ما هو أكثر من الاستغراب حتى كان يوم ٧ مايو ، فإذا بد منيكيتا

خروشوف ، يقف امام اجتماع لمجلس السوفيت الأعلى ليعلن أن الطائرة التى سقطت كانت طائرة تجسس أمريكية من طراز « ى - ٢ » التى صنعتها وكالة المخابرات المركزية لأغراض الاستطلاع السرى البعيد المدى . ثم أضاف « خروشوف » أن الطائرة لم تنحرف عن طريقها بفعل الرياح ، وإنما دخلت إلى قرب « كييف » وأنها لم تسقط ، وإنما اسقطت بواسطة صاروخ سوفيتى استطاع الوصول إليها في أجواء عالية لم تكن الولايات المتحدة تتصور أن مدى الصواريخ السوفيتية يصل إليها وأن قائد الطائرة لم يقتل في الحادث ، وإنما هو حى ومعافي وقد اعترف بأنه في مهمة تجسس ، كما ظهر أن اسمه هو الكابتن « فرانسيس باورز » . وأضاف « خروشوف » أن الطيار « فرانسيس باورز » كان يحمل ضمن متاعه دبوسا مسموما لينتحر بوخزة منه إذا وجد نفسه معرضا للسقوط في أرض سوفيتية . ثم عرض « خروشوف » على مجلس السوفيت الأعلى بعض الصور التى التقطها الطيار بعدساته القوية المصنوعة خصيصا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية - للمنشآت العسكرية السوفيتية في المنطقة الجنوبية للاتحاد السوفيتي على طول الطريق من قاعدة « أرضروم » التركية حتى قرب « كييف » التى أسقطت طائرته قبل الوصول إليها .

وكان اعلان « خروشوف » فضيحة مدوية للولايات المتحدة . ولم يكن أمام « ايزنهاور » سوى ان يعترف ، فطلب إلى وزارة الخارجية الأمريكية أن تذيع بيانا تعلن فيه أن طائرة « فرانسيس باورز » كانت بالفعل تقوم بمهمة لجمع المعلومات السرية للتحقق من البيانات التي يقدمها السوفيت في اجتماعات نزع السلاح الجارية في جنيف ، وذلك قبل لقاء القمة في باريس وبعده لقاء القوتين الأعظم بزيارة « ايزنهاور » لموسكو .

ورد « خروشوف » في تصريح عام قائلا : « إنه يتعجب من أن ايزنهاور لديه الجراة للتحدث عن زيارة الاتحاد السوفيتي » ، ثم أضاف : « إنه غير رأيه في ايزنهاور ، فقد كان يظنه رجلا أمينا ثم اكتشف أنه ليس كذلك ، فهو لا يستطيع أن يصف بالأمانة رجلا يتلصص على مضيفيه قبل أن يزورهم » . ثم أبدى تردده ل حكمة دعوة « ايزنهاور » أصلا لزيارة موسكو !

ورد « ايزنهاور » في نفس اليوم قائلا : » إن عمليات جمع المعلومات هي من حقائق الحياة التي يجب أن تتقبلها الدول مهما كان رأيها سيئا فيها » . ثم أضاف : « إنه لا يزال مستعدا لزيارة موسكو ، وأنه ينوى القيام بهذه الزيارة في موعدها المقرر » .



فرانسيس جارى باورز جالسا في قفص الاتهام (لليمين) في قاعة الأعمدة في موسكو، في جلسة افتتاح محامية بتهمة التجسس، وامامه محامية .

وفيوم ١٤ مايو وصل « خروشوف » إلى باريس لحضور مؤتمر القمة الذي كان مقررا افتتاحه يوم الاثنين ١٦ مايو . وغداة يوم وصوله – أي يوم ١٥ مايو – اعلن الاتحاد السوفيتي انه « اطلق اضخم صاروخ في العالم ، وأن الصاروخ انطلق حاملا معه محطة فضاء وزنها خمسة اطنان ، وأن هذه المحطة الفضائية سوف تمر فوق باريس ، وترسل منها تحية سلام في نفس اللحظة المقررة لاجتماع تمهيدي بين الجنرال «ديجول» –مضيف القمة – و «نيكيتا خروشوف» ضيفها الغاضب .

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين ١٦ مايو التام عقد الأقطاب في قصر الاليزيه ـ مقر الرئاسة في باريس . وقور انتهاء مراسم الافتتاح طلب « خروشوف ، الكلمة ، فإذا هو يوجه إنذارا إلى « ايزنهاور ، ثم يضيف انه إذا لم يقبل إنذاره فإنه سوف يقاطع أعمال المؤتمر ، وسيعود على الفور إلى موسكو . وكان إنذار « خروشوف ، يحتوى على لللة مطالب :

١ ـ الاعتدار الرسمى عن حادث طائرة التجسس .



خروشوف يضرب المائدة بيديه غاضبا في المؤتمر الصحفى الذي عقده في قصر شايو بباريس ، والى جواره اندريه جروميكو وزير الخارجية والمارشال مالينوفسكي وزير الدفاع ، وقد استغرق المؤتمر ساعتين وعشرين دقيقة ، وحضره ٢٠٠٠ صحفي .

٢ ـ التعهد رسميا بوقف كافة اعمال التجسس فوق الأراضي
 السوفيتية .

٣ - تعهد رسمى من « ايزنهاور » شخصيا بمعاقبة المسؤولين عن حادث طائرة التجسس .

ثم اخرج «خروشوف » من حقيبته بعض الصور التى التقطها «فرانسيس باورز » ووجه حديثه مباشرة إلى «ايزنهاور » قائلا له : «كيف تدارى وجهك عن هذا المشهد القبيح ؟ »

واحمر وجه « ایزنهاور » وبدت علیه علامات غیظ شدید حاول بکل وسیلة ان یکظمه لکن احتقان وجهه کان دلیلا علی انه یوشك علی الانفجار . وقد رد بعصبیة

قائلاً • إلى رئيس الولايات المتحدة لا يعتذر عن حقيقة من حقائق الحياة » . وبعد • خيورف » مرجها حديثه إلى بقية المشاركين في القمة وقال : • إذن فانا اطلب تاجيل مؤلس القمة حتى تنتهى مدة رئاسة هذا الرجل » واشار باصبعه إلى • ايرنهاوي ثم استدار خارجا من الجلسة والعالم كله يحبس انفاسه .

ولم وس « خروشوف » وهو يخرج من القاعة أن يلتفت ناحية " ايزنهاور " ويقول له ولقد سحبنا دعوتك إلى موسكو » - قالها وخرج من باب القاعة . وسارع « ديجول » " ماكميلان » إلى الخروج وراءه ، ولكنهما عندما لحقا به في مقر إقامته اكتشفا أنه توجه مع الماريشال « مالينوفسكي » إلى نزهة في غابة بولونيا . وعاد الاثنان إلى الخان في المساء ليسمعا منه أنه إذا لم يستجب " ايزنهاور " إلى مطالبه قبل الصباح ، المنه سوف يغادر باريس عائدا إلى موسكو في الصباح .

ولم هعتذر « اينهاور » وإنما اصدر من باريس قرارا بإعلان حالة الطوارى القصوى لا كل القواعد الأمريكية المنتشرة في ارجاء العالم . وكان الراى العام الأمريكي يؤيده بشدة ، فقد اعتبر أن رئيسه أهين إهانة بالغة بالأسلوب الذي اتبعه « خروشوف » أ إبداء غضبه بصرف النظر عن موضوع الغضب ل حد ذاته .

وصباح يوم ١٨ مايو غادر « خروشوف » باريس ، وفي المطار كان في انتظاره حوالي الفي وخمسمائة صحفي يمثلون صحافة العالم جاءوا لتغطية مؤتمر القمة . ووقف امامهم يتحدث فقال : « إن كل الوساطات التي قام بها ديجول وماكميلان ببينه وبين ابزنهاور - قد فشلت ، فقد كان التنازل الوحيد الذي عرضه ايزنهاور استعداده لوقف عمليات التجسس لمدة رئاسته التي كانت توشك على الانتهاء ، متعللا انه لا يستطيع أن يقيد حركة الرئيس الأمريكي الذي سيخلفه للانتهاء ، متعللا انه لا يستطيع أن يقيد حركة الرئيس الأمريكي الذي سيخلفه والبيت الأبيض » . وعقب « خروشوف » على ذلك أمام حشد الصحفيين بقوله : كيف يمكن أن اعقد اتفاقا لوقف التجسس لا يدوم إلا لشهور قليلة فقط . ثم كيف يمكن أن اعقده مع رجل يتسلل إلى بيتي في الظلام مثل اللصوص . لقد طلب منى عندما كلت أزوره في أمريكا أن أناديه « يا صديقي » وأنا الآن نادم على كل مرة ناديته فيها بهذا الوصف . فأنا لا أستطيع أن أصف بالصديق رجلا يتصرف مثل القطة عندما تتسلل إلى المطبخ لكي تسرق بعض اللبن . » ثم أفضي مثل القطة عندما تتسلل إلى المطبخ لكي تسرق بعض اللبن . » ثم أفضى ببله أن يودع « أيزنهاور » و « ماكميلان » مودعا قبل سفره ، ولم يخطر ببله أن يودع « أيزنهاور » .

كان ، جمال عبد الناصر ، و ، نهرو ، مجتمعين يومها في القاهرة ، وقد

وصلت إليهما انباء ما حدث في باريس. ومن قصر القبة توجه الاثنان بنداء إلى الاقطاب الأربعة يقولان فيه ان السلام العالمي في خطر، وان هذا السلام ليس ملك رجلين يخطىء احدهما ويغضب الآخر، ويكون على البشرية كلها ان تدفع الثمن.

وراحت الحوادث تجرى بسرعة حين طلب الاتحاد السوفيتى يوم ١٩ مايو عقد مجلس الأمن فورا لبحث الانهيار السريع في الموقف الدولي بسبب السياسة الخرقاء للولايات المتحدة الأمريكية . ذلك أن إصرار الولايات المتحدة على استمرار عمليات التجسس فوق الأراضى السوفيتية سوف يؤدى إلى الحرب . وفي جلسة مجلس الأمن قال « همرشولد » إن وجهة نظره باستمرار أن القمم الدولية كان يجب أن تعقد في إطار الأمم المتحدة .

وبحكم أغلبية الغرب في مجلس الأمن - فإن المجلس رفض في جلسة مثيرة وصاخبة مشروع قرار سوفيتي بإدانة الولايات المتحدة ، وهكذا أعلن وزير الخارجية السوفيتي الذي كان يمثل بلاده في اجتماعات مجلس الأمن أن حكومته قررت عرض الأزمة التي أدت إلى انهيار مؤتمر القمة ، وبالتالي إلى تدهور الموقف الدولي ، على الجمعية العامة للأمم المتحدة لتفادي الفيتو الغربي . وانتهت جلسة مجلس الأمن على مشهد مخيف ، فقد أعلن « جروميكو » أن الصواريخ السوفيتية تستطيع أن تطول بالضرب أي بقعة في العالم ، ومن ناحية أخرى أعلن المندوب الأمريكي في مجلس الأمن أن بلاده مصممة على مواصلة الحصول على المعلومات بأي وسيلة تراها ضرورية لضمان أمنها .

وتلاحقت التداعيات ، فقد انسحب الوفد السوفيتى من محادثات نزع السلاح في جنيف يوم ٢٧ يونيو ، وفي ٢٩ يونيو أعلن الاتحاد السوفيتى أنه سوف يجرى سلسلة من التجارب بالصواريخ الحاملة للرؤوس النووية في منطقة مساحتها خمسين الف ميل مربع من وسط المحيط الباسيفيكى .

ثم توالت صيحات «خروشوف» الغاضبة ، فأعلن يوم ٨ يوليو أن الاتحاد السوفيتي سوف يواصل بيع الأسلحة للدول العربية طالما أن الغرب يزود إسرائيل بالسلاح تمهيدا لاشعال حرب في الشرق الأوسط.

وفى يوم ٩ يوليو، وكانت كوبا تتعرض لتهديدات امريكية واضحة ، اعلن ع خروشوف ، أن الاتحاد السوفيتي سيزود كوبا بالصواريخ التي تستطيع الوصول إلى الولايات المتحدة طالما أن كوبا تتعرض لتهديد أمريكي بضربها بالصواريخ .

ويوم ١١ يوليو أسقط الاتحاد السوفيتي طائرة تجسس ثانية فوق مياهه الاقليمية قرب ميناء « أركانجل » .

ويوم ٧ اغسطس اعلن « كاسترو » قبوله للصواريخ السوفيتية ، كما اعلن في نفس الخطاب تأميم جميع الممتلكات الأمريكية في كوبا .

وفى يوم ۱۷ اغسطس بدأت فى موسكو محاكمة الطيار الأمريكى « فرانسيس باورز » قائد طائرة التجسس . وادلى « خروشوف » بتصريح قال فيه : « إن الواقف في القفص ليس هو فرانسيس باورز ، ولكنه دوايت ايزنهاور ـ فهذه هى الحقيقة « . ووقف « فرانسيس باورز » فى القفص ليدلى باعتراف كامل .

ويوم أول سبتمبر ١٩٦٠ أذاع راديو موسكو أن « نيكيتا خروشوف » سوف يحضر بنفسه دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة التي تبدأ يوم ٢٠ سبتمبر ، والتي سيعرض أمامها الاتحاد السوفيتي شكواه من المغامرات الطائشة للولايات المتحدة الأمريكية .



وبعث « خروشوف » إلى عدد من زعماء العالم يرجوهم الحضور إلى اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة لأن السلام العالمي في خطر . وكان « همرشولد » يؤيد هذه الدعوة تعزيزا لمكانة الأمم المتحدة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لاستعادة دور الأمم المتحدة كميدان شرعى للعمل من أجل تعزيز السلام .

ومساء يوم أول سبتمبر بعث « نهرو » إلى « جمال عبد الناصر » برسالة (١٠) يقول فيها إنه يفكر جديا في الاشتراك في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة شريطة أن يتم الاتفاق على موعد محدد لمناقشة الموقف الدولى ، فهو لا يستطيع أن يظل في نيويورك فترة طويلة .

وبعد نصف ساعة كان « جمال عبد الناصر » يتلقى رسالة من « خروشوف » يلح عليه فيها لحضور اجتماع الجمعية العامة . كما تلقى في نفس الوقت رسالة من « همرشولد » يقول له فيها : « إن اجتماع الجمعية العامة قد يكون مناسبة لبحث

⁽١٠) اصل الرسقة 🗓 لرهبه منشية البكرى ، وتوجد نسخة منها 🐁 ارشيف وزارة الخارجية .

قضايا كثيرة تهم السلم العالمي سواء في العلاقات بين القوى العظمى ، أو في مناطق التوتر كالشرق الأوسط وأفريقيا » .

وكان «جمال عبد الناصر » يحاول دراسة موقفه ، فعلاقاته مع « خروشوف » كانت لا تزال متوترة بسبب الخلاف الذي بدأ بينهما منذ نهاية سنة ١٩٥٨ حول دور الشيوعيين في العالم العربي . وعلى الجانب الآخر ، فإن علاقاته ب « ايزنهاور » رغم التحسن الذي طرأ عليها كانت تشهد تقلصات شديدة بسبب الصراع العربي الاسرائيلي المستمر ، وبسبب صفقات سلاح تردد أن « بن جوريون » حصل على وعد بها من « ايزنهاور » عندما اجتمع به في واشنطن في يناير سنة ١٩٦٠ . وفوق ذلك فإن تأييد الجمهورية العربية المتحدة لـ « لومومبا » في الكونجو ، ولـ « كاسترو » في كوبا يكانت تجعل مزاج الولايات المتحدة عموما مزاجا سوداويا تجاه كل الذين اتخذوا لانفسهم موقف عدم الانحياز .

وبعث « جمال عبد الناصر » إلى « تيتو » يستطلع موقف يوجوسلافيا ، ودهش عندما تلقى ردا(١١) من « تيتو » ظهر يوم السبت ٣ سبتمبر جاء فيه بالنص :

« 1 ـ لم اتلق من خروشوف رسالة مماثلة لما تلقيته انت ونهرو .

٢ ـ لست متاكدا من أن حضور الرؤساء لاجتماع الجمعية العامة بمثل هذه السرعة ، وبدون إعداد ودراسة كافية يسمح بالوصول إلى نتائج إيجابية .
 ٣ ـ إذا ذهبنا بدعوة من خروشوف على هذا النحو ، فقد يبدو ذلك انحيازا إلى جانب

الريس المروس المحوال خروج مثل هذا الاجتماع بقرارات جدية ، فرئاسة المزنهاور على وشك ان تنتهى ، وهو لا يستطيع تقييد خلفه باية قرارات يتخذها في نهائة مدة رئاسته .

ه _ اكون شاكرا لو بعثت لى بوجهة نظر نهرى ، فهو ايضا لم يكتب لى عن دعوة خروشوف له . »

ويوم ٥ سبتمبر بعث «جمال عبد الناصر » برايه إلى « تيتو » وكان ملخصه :(١٢)

١ - إن همرشولد يؤيد اجتماع اقطاب العالم في إطار الأمم المتحدة في نيويورك .
 ٢ - إن تقديره أن الولايات المتحدة لن تترك المجال للاتحاد السوفيتي وحده ولاصدقائه يمرحون في الجمعية العامة ، وأنها في اللحظة الاخيرة سوف تقرر الحضور على أرجح الظنون .

٢ - إن معلومات السفير المصرى في باريس تشير إلى أن الجنرال = ديجول - مستعد للسفر إلى نيويورك حتى لا يترك الأمر للاتحاد السوفيتي وحده - أو للقوتين الاعظم وحدهما إذا قررت الولايات المتحدة أن تحضر .

ا - إن الفرصة في نيويورك قد تكون متاحة لاتصالات على هامش اجتماعات الجمعية العامة نصفى كثيرا من المشاكل المؤثرة في بؤر التوتر في العالم.

ا - إنه فيما يتعلق به بالذات ، فهو يعرف مقدما ان القوى الصهيونية قد تنتهز فرصة رجوده في نيويورك إذا قرر السفر إليها ، وتواجهه بمظاهرات واعمال عدائية ، ومع ذلك فهو برس جديا إمكانية الحضور ويرى فيها مزايا لا يستهان بها . «

وهكذا كان . . .



كانت نيويورك ابتداء من النصف الثانى من شهر سبتمبر ١٩٦٠ واستعدادا لورة الجمعية العامة الطارئة للأمم المتحدة ـ مدينة ف حالة حرب : طوارىء معلنة الن حديدى ، اعصاب متوترة ، انتظار قلق ، توجس وشك واستعداد باستمرار الاسوا . وكانت هناك دواع يمكن قبولها لهذه الحالة ، إلى جانب مظاهر لهيستيريا لم بن هناك ما يدعو لها .

كانت الدواعى الحقيقية أن المدينة فوجئت بانعقاد الجمعية العامة على مستوى الساء الدول في اللحظة الأخيرة . وكان معنى ذلك أن قرابة خمسين رئيس دولة سوف بجدون في مدينة واحدة في نفس الوقت بكل ما يعنيه هذا الوجود ابتداء من احتفالات الراسم إلى احتمالات المؤامرات . وفي أبسط المظاهر ، فإن الفنادق لم تكن مستعدة العدد من الرؤساء والوفود المرافقين . وكان « همرشولد » دقيقا حينما قال : إن أمامي أسبوعين كاملين من الكوابيس أولها كابوس البروتوكول » (١٣)

وكانت الوفود الدائمة للدول في الأمم المتحدة تعيش على أعصابها ، فهذه الوفود لل عليها أن تتحمل عبء وجود رؤساء دولها في الأمم المتحدة بكل ما يعنيه ذلك من

⁽١١) اصل نص الرد في ارشيف منشية البكري، وتوجد نسخة منه في ارشيف وزارة الخارجية .

رُ (١٢) اصل رسالة « جَمال عبد الناصر » إلى « تيتو » في أرشيف منشية البكري ، وتوجد نسخة منه في أرشيف وزارة الخارجية

الله مع « هموشولد ، في مكتبه في الدور السادس والثلاثين من ميني الأمم المتحدة جرى في الساعة الثانية الشف بعد ظهر يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٠ .

التزامات وترتيبات سواء بالنسبة لحضور الجلسات ، أو إعداد موضوعات المناقشة ، أو ترتيب الاتصالات بين رؤسائهم ومن يرغبون في الاتصال بهم من الرؤساء الآخرين .

وكانت الحكومة الأمريكية رغم مقولة إن هناك فارقا بين الأمم المتحدة ، وبين الولايات المتحدة ـ تواجه واقع أن هذا العدد من الرؤساء جميعا يحلون على أرض أمريكية . فهم لن يحبسوا أنفسهم داخل مبنى الأمم المتحدة ، وإنما هم بالتأكيد سوف يتحركون ولو بقصد إتمام اتصالاتهم في شوارع المدينة وحولها ، وكانت هذه مشكلة دعت قائد بوليس نيويورك إلى إخطار الحكومة الفيدرالية في واشنطن أنه يحتاج إلى سلطات استثنائية ، ووسائل غير عادية توضع تحت تصرفه . فترتب مرور مواكب الرؤساء في حد ذاته خلال تحركهم ، ودون أن تتصادم المواكب سوف يكون عبئا لا يمكن تحمل مسؤولياته .

وزاد العبء عندما هبط على المدينة جيش من رجال الأعمال الأمريكيين ومكاتب العلاقات العامة يحاولون الاتصال بالوفود ، فهم يجدونها فرصة لاتصالات على أعلى مستوى من أجل شراء البترول وبيع السلاح على الأقل .

وفى نفس الوقت فقد هبطت على نيويورك جيوش من أجهزة المخابرات وجدت أن هذا التجمع العالمي المنقطع النظير يمثل فرصة لا مثيل لها لاستطلاع المواقف ، وجمع المعلومات ، وقياس درجة حرارة المواقف والأزمات .

إلى جانب ذلك ، فقد كان الموقف الدولى متوترا . فمشاهد ما حدث فى مؤتمر القمة فى باريس كانت لا تزال صورا حية ماثلة فى الأذهان . ومحاكمة « فرانسيس باورز » كانت لا تزال مستمرة . وأحداث الكونجو لا تزال تترى وقائعها ، وكان أخرها أن « لومومبا » اختفى فجأة وبطريقة غامضة يوم ١٧ سبتمبر ، أى قبل افتتاح الجمعية العامة بعدة أيام . وصحافة نيويورك وصحافة الغرب مستثارة ومستفزة ، ولهجتها عدائية من أول سطر إلى أخر سطر فى الهجوم على مجرد فكرة الاجتماع باعتبار أن الاقتراح صدر أصلا عن « خروشوف » .

كانت هذه وغيرها دواعي معقولة للحالة التي بدت عليها نيويورك في تلك الأيام من شهر سبتمبر ١٩٦٠ .

أما مظاهر الهستيريا التي لم يكن هناك ما يدعو لها ، فقد تمثلت في تصرفات بدت للوهلة الأولى غير معقولة ، فقد قام بوليس نيويورك بإبلاغ الأمم المتحدة ، وإبلاغ بعض الوفود أنه لا يستطيع أن يضمن أمن عدد من الرؤساء إذا هم نزلوا في الفنادق . وكان « خروشوف » هو أول هؤلاء الرؤساء وجاء بعده « جمال عبد الناصر »

ثم تلاهما «كاسترو». وكانت وجهة نظر بوليس نيويورك أن « خروشوف « مهدد لأن الطريقة التي تعامل بها مع « ايزنهاور » اعتبرت إهانة للشعب الأمريكي بأسره « وبالتالي فإن بوليس المدينة عاجز عن حمايته تماما لأن كثيرين قد يكونون على استعداد للتهور ضده بتصرفات لا يستطيع أن يمنعها أحد .

وكان ذلك هو نفس الحال تقريبا بالنسبة لـ « كاسترو » لأن عشرات الألوف من اللاجئين الكوبيين كانوا يتربصون له ، إلى جانب أن المصالح الأمريكية التي أممها في كوبا جعلت أعداءه في نيويورك بحجم أكبر مما يستطيع بوليسها أن يسيطر عليه .

وفي حالة «جمال عبد الناصر » فقد كان الخطر افدح . فيهود نيويورك الذين يعتبرون أن مدينتهم هي عاصمة اليهود في العالم ـ اعدوا عدتهم ، ورتبوا أمرهم على مواجهته بمظاهرات عدائية له في أى مكان يذهب إليه ، وهي مظاهرات قد يفلت زمامها في أى لحظة . بل وصل بوليس نيويورك إلى حد توجيه النصيح لوفد الجمهورية العربية المتحدة الدائم لدى الأمم المتحدة بأن يبحث لنصيح لوفد الجمهورية العربية المتحدة الدائم لدى الأمم المتحدة بأن يبحث لد جمال عبد الناصر » عن مقريقيم فيه خارج حدود المدينة . ومع أن ذلك كان بمثل تعرضا أكبر لخطوط سير أبعد في الذهاب والمجيء إلى اجتماعات الأمم المتحدة ، فإن بوليس نيويورك رأى أن الخطر الذي يتعرض له موكب يسير باقصي سرعة على الطرقات ـ اقل حدة من مقر إقامة في وسط المدينة حديد بمعروف .

وزاد على ذلك كله بالنسبة لـ " جمال عبد الناصر " أن الأوضاع في العالم العربي كانت تمر بفترة عاصفة ، فقد اغتيل رئيس وزراء الأردن السيد « هزاع الجالى " بقنبلة انفجرت لل مقر رئاسة الوزراء في عمان قبل ايام قليلة من انعقاد الجمعية العامة . وكان الملك « حسين » يوجه اصابع الاتهام إلى الجمهورية العربية المتحدة ، أو بعض أجهزتها ، أو بعض اصدقائها المحسوبين عليها . وكانت الصحف الأمريكية تنتهز فرصة هذه الأوضاع في العالم العربي وتشن عملة ضارية على « جمال عبد الناصر " تتهمه بالتخريب ضد اصدقاء الغرب في النطقة ، وتضيف إلى ذلك سلسلة من « الذنوب » التي لا تغتفر في رايها بينها النطقة ، وتضيف إلى ذلك سلسلة من « الذنوب » التي لا تغتفر في رايها بينها الدعواه بعدم الانحياز هي في واقع الأمر انحياز للاتحاد السوفيتي ـ كما ان عداء للولايات المتحدة ، إلى جانب انه بسياسته لا عدائه الغرب عداء للولايات المتحدة ، إلى جانب انه بسياسته لا الكونجو ، وهي متعاطفة مع « لومومبا » وبسياسته لا أمريكا اللاتينية ، وهي نعاطفة مع « كاسترو » ـ تضعه دون شك على رأس إثارة المتاعب لا العالم كله .

وتصادف في ذلك الوقت اننى ذهبت إلى نيويورك قبل وصول « جمال عبد الناصر » إليها بعدة أيام (١٤) . وبعد أن قضيت يوما واحدا مع الوفد المصرى الدائم في نيويورك ، وجدت مناسبا أن أذهب في اليوم التالى إلى واشنطن لاستطلاع الأجواء في العاصمة ، خصوصا وأنه كانت هناك بعض المشاكل التى يتطلب الأمر مناقشتها مع وزارة الخارجية . والتقيت في واشنطن بـ « كريستيان هيرتر » وزير الخارجية . وكانت هناك حتى هذه اللحظة مشكلة في اختيار البيت الذي يمكن أن ينزل فيه « جمال عبد الناصر » خلال اشتراكه في اجتماعات الجمعية العامة ، وبحيث يكون هذا البيت خارج حدود نيويورك ، كما طلبت سلطات الأمن في المدينة . وقال لى « كريستيان هيرتر » في معرض المقابلة إنه سمع أن « نياركوس » المليونير اليوناني وصاحب أكبر أسطول للناقلات في العالم (وهو صهر « أوناسيس ») عرض أن ينزل عرضت أيضا بيتا يملكه رئيس مجلس إدارتها في نفس المنطقة . وكان رايي « انني عرضت أيضا بيتا يملكه رئيس مجلس إدارتها في نفس المنطقة . وكان رايي « انني العمل ، وبالذات هؤلاء الذين لهم مصالح في المنطقة » . وتعهد « كريستيان الاعمال ، وبالذات هؤلاء الذين لهم مصالح في المنطقة » . وتعهد « كريستيان هيرتر » بأنه سوف يطلب إلى إدارة البروتوكول في وزارة الخارجية بأن تجد بيتا

وسالنى «كريستيان هيرتر » عما إذا كنت اظن ان « جمال عبد الناصر » يمكن ان يقضى يوما واحدا في واشنطن بعيدا عن الحمى التى تعيشها نيويورك لتكون من ذلك فرصة لمحادثات هادئة بينه وبين المسؤولين في الولايات المتحدة . وكانت حجته في هذا انه « بما أن الرئيس قد جاء إلى الولايات المتحدة ، فلا يجب تضييع المناسبة وتبديدها في هذا السيرك الذى ستشهده نيويورك » . وكان ردى « اننى لا اعرف وجهة نظر الرئيس ، ولكنى إذا جازفت براى شخصى ، فإننى اظن أن جمال عبد الناصر يمكن أن يقبل دعوة رسمية لزيارة العاصمة لكنه لن يقبل دعوة شخصية توجه إليه من تحت المائدة » . ورد «كريستيان هيرتر » يقبل دعوة شخصية دعوة رسمية إلى جمال عبد الناصر ، فمعنى ذلك أنهم سوف يضطرون إلى توجيه دعوات مماثلة لعشرين رئيسا على الأقل يتوقعون أن يلقوا نفس المعاملة » .

ولقد كان اكثر ما لفت نظرى في الحديث مع « كريستيان هيرتر » انه راح يلح في السؤال عن الأحوال في سوريا قائلا إن لديهم معلومات بأن القلق في

سوريا يزيد ، وأن هناك أسلحة مهربة كثيرة تدخل عبر الحدود ، وقد رصدوا كميات كبيرة منها تمر عن طريق منطقة «حوران » .

وفى نهاية اللقاء قال لى «كريستيان هيرتر » ملاحظتين لهما معنى : الأولى انه بتمنى لو استطاع المحايدون أن يشرفوا حيادهم فى أثناء أعمال الجمعية العامة ، فلو انهم انحازوا كما يفعلون عادة إلى جانب السوفيت _ فإن هذه سوف تكون فى نظر امريكا علاقة شر وشؤم . والملاحظة الثانية هى قوله : « إن همرشولد يملك عبقرية سياسية فذة ، ولكن الأمم المتحدة لا يمكن أن تكون دور رجل واحد _ Show where ها في مسودات كل مراسلاته بنفسه وأنه يتعشى كل ليلة فى مكتبه ، وقد حذره « بانش » من هذا الجهد المضنى ، ولكن الممرشولد » رد عليه بقوله : « إن هذه هى الفائدة الوحيدة لكونه لم يتزوج فى المعادة » . ثم هز « كريستيان هيرتر » رأسه وقال : « إن السكرتير العام للأمم المتحدة بجل مرهق جدا »

وعدت إلى نيويورك في اليوم التالى لارتباط على عشاء مع « هنرى لوس » مؤسس بصاحب ورئيس تحرير مجلة « تايم » وزوجته « كلارا بوث لوس» التي كانت تعمل الصحافة مثل زوجها حتى عينها » ايزنهاور » سفيرة للولايات المتحدة في روما . وقبل بوعد العشاء بساعة واحدة اتصل بي « لوس » في فندق « بلازا » الذي كنت انزل به ، وسألنى إذا كنت أمانع في أن يكون معنا على العشاء صديق له أبدى اهتماما لها وسألنى إذا كنت أمانع في أن يكون معنا على العشاء صديق له أبدى اهتماما لهائي . وسألته عنه ، وكانت المفاجأة أنه « آلان دالاس » _ وكان ردى انني على العكس أرحب ، قمدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أصبح اسطورة باعتباره ستودعا لأسرار الدنيا ، وسوف يسعدنى أن التقى به في بيته (بيت « هنرى اس ») .

وتحول حديث مائدة العشاء ، وما بعده إلى حوار ثنائى فى الواقع بين « ألان دالاس » وبينى (١٥) . كانت قصة اختفاء « لومومبا » فجأة هى الموضوع

⁽١٤) كنت احضر دورة دراسية في جامعة كولومبيا عن « التطورات الجديدة في عالم الصحافة » وابرق إلى الجمال عبد الناصر » بأن اقطع حضورى لهذه الدورة لكي أشارك مع الوفد المصرى الدائم في الأمم المتحدة في الإعداد للجانب السياسي من زيارته للأمم المتحدة .

⁽١٠) مذكرات كتبتها بتاريخ ١٩ سبتمبر على أوراق فندق « بلازًا » وقد ضمنتها صورة كاملة ومفصلة للقائي مع «الان دالاس » . وقد كتبت على هامش الصفحة الأولى من المذكرات مجموعة ملاحظات شخصية جاء بينها :

 [♦] إن الان دالاس يختلف كثيرا في ملامحه ومزاجه عن جون فوستر دالاس ، فهو بطيء أن إيقاع حديثه ،
 إيعطى الانطباع لسامعه أنه يفكر مرتين قبل أن يقول جملة وأحدة .

إنه مريض إما بـ « النقرس » أو بـ « جلطة » في الساق لأنه بعد فترة قصيرة من بدء الحديث طلب فرسيا
 سفيرا لكى يمد ساقيه عليه قائلا : إنه مضطر إلى تمديد ساقيه باستمرار .

ابنه مدمن تدخين « بليب » فمنذ اللحظة الأولى استاذن صاحبة البيت في ان تسمح له بتدخين البليب الله ان التبغ الذي يستعمله ، جميل الرائحة » !

الرئيسي في صحف الصباح يومها ، وسألت « آلان دالاس » عما إذا كان يعرف شيئا عن مصير الزعيم الكونجولي ، وكان رده : « إن آخر معلوماته هي أن « لومومبا » شوهد لآخر مرة وهو يحاول أن يجمع متطوعين من الجيش الكونجولي للذهاب معه لتحرير « كاتنجا » . » ثم سألني مباشرة : « إننى لا أفهم لماذا تؤيدون « لومومبا » وهو رجل طائش يتصرف بأكبر قدر من الحماقة ؟ » وقلت له صراحة : « إننا لا نؤيد « لومومبا » لشخصه ، وإنما نؤيد ما يمثله وما أصبح رمزا له ، وهو الوطنية الافريقية ، وأنا على استعداد لأن أسلم بأن بعض تصرفاته تبدو غير متوازنة ، ولكن على استعداد لأن أسلم بأن بعض تصرفاته تبدو غير متوازنة ، ولكن ذلك لا يمكن فصله عن الموقف المشوش الذي واجهه منذ أول يوم للاستقلال . » وتوجه إلى بسؤال مباشر ثان : « ما هو رأى الرئيس ناصر في لا للاستقلال . » وتوجه إلى بسؤال مباشر ثان : « ما هو رأى الرئيس ناصر في الم يلتقيا في حياتهما ، وربما تتاح لهما فرصة لقاء أول في أثناء اشتراكهما في أعمال الجمعية العامة في نيويورك . وعلى أي حال ، فإن « كاسترو » يبدو لنا من بعيد زعيما وطنيا يمثل روح أمريكا اللاتينية . »

وعقب « آلان دالاس » على ما قلت بملاحظة عامة قال فيها : » إن الله وحده يعلم ما الذي يمكن أن يجرى في مبنى الأمم المتحدة خلال الأسبوع القادم . ولابد أن خروشوف يحتفظ تحت قبعته بعدد كبير من الأرانب » . ثم استطرد : « إن هناك منذ الأن إشاعات كثيرة عن نوايا خروشوف . هناك إشاعة تقول إنه سوف يجيء معه بفرانسيس باورز قائد طائرة التجسس التي أسقطها الاتحاد السوفيتي) ويسلمه لنا هنا كدليل على حسن نيته ، ورغبته في فتح صفحة جديدة استعدادا للرئيس الجديد الذي سيخلف الرئيس ايزنهاور . وهناك إشاعة أخرى بأن الباخرة التي يركبها داخلا إلى نيويورك سوف تلتقط من الماء « شيئا » الباخرة التي يركبها داخلا إلى نيويورك سوف تلتقط من الماء « شيئا » مرسلا من الفضاء عن طريق القذيفة التي بعثوا بها إلى القمر قبل أيام ، وانا لا اعرف ماذا أو كيف ، ولكن الأجواء ملئي بإشاعات متوحشة . »

ثم انتقل إلى موضوع آخر، فقد قال: « إن معلوماته أن السوفيت متأخرون عن البرنامج المقرر لبناء السد العالى، وأنه إذا حدث شيء من هذا النوع، فإن الولايات المتحدة سوف تكون على استعداد للمساعدة . . ثم مضى

بل: «إننا نحب ان نتصور ان هدفهم هو ان يسود الاستقرار في منطقة الشرق الرسط. واؤكد لك انه ليست لنا مطامع في المنطقة بل على العكس ، فنحن نقدم لا الكثير من المساعدات . وارجوك ان لا تتصور اننا بلد غنى يبذر أمواله بفاهة ، فنحن أحوج ما نكون إلى أموال المساعدات التي نقدمها للآخرين . فن في حاجة إلى مدارس أكبر . عندنا نظام تعليم ممتاز ، ولكننا نستطيع أن بقى به » .

ثم انتقل إلى موضوع إقامة « جمال عبد الناصر » في نيويورك ، وقال : « إنه المتقد أنه سوف تنشأ مشاكل ، وصحيح أنه يعلم أن بعض الجماعات الصهيونية للله المظاهرات ضده ، ولكنه يعلم في نفس الوقت أن الطلبة العرب يرتبون لمظاهرات للهدة له . وقد عرف أن بعض الطلبة العرب تورطوا في اتصالات مع « لوسون » وهو لهم مجموعة نازية في نيويورك ، وظهور مثل هذا النوع من الناس في مظاهرات مؤيدة المر ينكن أن يفسد كل شيء . وقد اتصل بنفسه بمدير بوليس نيويورك ، وطلب إليه لا يتصرف بأقصى حزم حتى لا تحدث مشاكل . «

ثم انتقل بحديثه إلى الاحوال في المنطقة العربية. وكما جرى مع الريستيان هيرتر ، في اليوم السابق - كان « آلان دالاس ، مهتما بالاحوال في الريا . وقد اضاف « أن الملك حسين في حالة هياج شديد بعد اغتيال رئيس إلئه هزاع المجالى . وأنه - أى الملك - يفكر في مشروعات خيالية Up to so "لهائه هزاع المجالى . وأنه - أى الملك - يفكر في مشروعات خيالية واسميد المسراج بتدبير اغتيال هزاع الجالى ، أو على الأقل بالتحريض على اغتياله . »

ثم انتقل إلى السؤال عن الأحوال في العراق ، ولفت نظرى وصفه للواء العريم قاسم » رئيس وزراء العراق بانه « لومومبا آخر بالحركة البطيئة » . Another Lumumba in slow motion.

وتدخلت « كلارا بوث لوس » لأول مرة في الحديث ، فسألت » آلان دالاس » عن سة ما يقال « من أن الوفد الكوبي لم يعثر حتى الآن على فندق يرضى بنزوله فيه ؟ » « آلان دالاس » بالإيجاب « لأن كاسترو وجماعته سوف يحولون أي فندق ينزلون الإلى مستودع « زبالة » . » ثم التفت » آلان دالاس » ناحيتي وقال لى : « اسمع أن لا أحب كاسترو ، ولا أعتقد كثيرا في مزاياه " I do not think much of him ". ثم أناف : « إن هناك بعض الناس يتصورون أن إثارة المتاعب ضدنا حرفة بيشون من ورائها . وكاسترو واحد من هؤلاء ، ولومومبا واحد آخر منهم » . أاستطرد : « إننا كنا نفضل أن تتولى دول أفريقيا مسؤولية مواجهة الموقف في النجو » ولكننا اضطررنا إلى التدخل حينما أحسسنا أن الوقت يفوت ، وأن هذا

 [■] إن الحديث عن كاسترو وكوبا ، وعلاقة الثائر الكوبي بجمال عبد الناصر كان « لازمة « حديثه يعود إليه من خلال اى موضوع يتطرق له (ومن الواضح الآن ، وباثر رجعي ان عملية غزو كوبا كانت في ذهنه ، وان فكره كان يحوم حولها !) .

البلد ينهار بسبب حماقة رجل واحد . ولم نكن نريد أن يدخل الكونجو في الحرب الباردة ، ولكنه الآن في وسطها على ما يبدو ، وأحب أن أقول لك ، وأرجو أن يعرف الرئيس أنه إذا حاول الروس أن يلعبوا هناك ، فإننا سوف نلعب أيضا ، وصدفني إننا سنكون في منتهى القسوة and believe me we're going to be pretty tough .

ثم أضاف ف النهاية ، وفيما بدا أنه رسالة موجهة عبرى إلى « جال عبد الناصر» قوله : « إننى أعرف أن الرئيس ناصر متزن وعميق التفكير . وأن أصبح الآن من أقدم رؤساء دول العالم الثالث تجربة ، ولديه الآن الفرصة ليقود ، ونحن لا نعترض على قيادته ، ولا نحكم عليها بمقدار موالاتها لنا، وإنما نريده أن يتصرف على أساس حياده الحر »(١٦).

0

ووصل « جمال عبد الناصر » يوم ٢٣ سبتمبر إلى نيويورك . وكان قد أعد خطئه لم يريد إنجازه في اجتماع الجمعية العامة وعلى جوانبه . وكانت أهدافه للعمل محدة على النحو التالى :

١ ـ كان يريد أن يشارك في أعمال الجمعية العامة ، ويضم جهوده إلا جهود آخرين في محاولة صادقة لانقاذ السلام العالمي .

٢ - وقد خطر له أن يقترح في لقاءات يعقدها مع « تينو » و « نهرو ضرورة أن تقوم الدول غير المنحازة بتجميع صفوفها ، وتنسبن جهودها لكى تستطيع أن تقوم بدور احتياطى في صيانة السلم العالى إذا لم تستطع القوتان الأعظم التقدم خطوات على هذا الطريق من خلال احتماعات الجمعية إلعامة .



شهد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة التي عقدت في سبتمبر ١٩٦٠ ، عدد كبير من أبرز زعماء المقلم وقادته حينذاك . في الصورة خروشوف يتحدث الى عبد الناصر الذي وقف تيتو الى جواره ، في هبن وقف نهرو خلف خروشوف ، وبينهما الملك الحسن الثاني .



ارو وعبد الناصر وسوعارتو ف حديث شايه ف على استعمال الله و السفاء المدرية ارب

⁽١٦) إننى خرجت فهذا الموضع من الكتاب عن المنهج الذى الزمت نفسى به فيه ، وهو أن ابتعد عن التركيز على أى دور شخصى في في الحوادث ، ولكن بعض المواقع تفرض عكس ذلك خصوصا عندما تكون لما رايت أو سعن بنفسى دلالات خاصة ذات مغزى كبير على سير الحوادث ، ثم يكون من الصعب إيراد الوقائع دون نسبتها إلى مصدر واضح وصريح .

٣ ـ وكان في تقديره أن يلتقى مع • خروشوف ، في محاولة لتسوبا الخلافات العربية السوفيتية التي مازالت تتردى رغم حرص الأطراف على عدم الوصول إلى نقطة اللا عودة .

1 - ثم كان ظنه بعدها أن يقابل • ايزنهاور » وجها لوجه ، وأن يستطل على أعلى مستوى نوايا السياسة الأمريكية واتجاهاتها .

وكان دوره نشيطا في اجتماعات الجمعية العامة ولافتا للأنظار ، ثم إنه اتفق م « تيتو » و « نهرو » على التمهيد لمؤتمر موسع للدول غير المنحازة . والتي ب « خروشوف » لكن لقاءهما لم يسفر عن تصفية الخلافات القائمة ، وإنما تحول الوعمليات استعراض للمواقف ، وتحديد للمسؤوليات ، ومن الذي بدأ ، ومن الذي للمسؤوليات ، ومن الذي بدأ ، ومن الذي للمواقف على أنه إذا لم يكن في مقدورهما أن يدفعا العلاقات إلى الأمام، فإن الواجب عليهما أن يمنعاها من التدهور إلى أبعد مما وصلت إليه .

وكان اجتماعه مع « ايزنهاور » مفيدا ، وإن لم يتعرض لاحتمالات المستقبل لأ انتخابات الرئاسة الأمريكية كانت على وشك أن تجرى ، بل إن معركة الانتخابات كانت جارية بالفعل على قدم وساق بين « ريتشارد نيكسون » نائب « ايزنهاود مرشحا عن الحزب الجمهورى » و « جون كيندى » عضو مجلس الشيوخ عن ولا ماساتشوستس مرشحا عن الحزب الديمقراطى . بل إن « جمال عبد الناصر » كان الليلة السابقة قد تابع مواجهة مباشرة بين الاثنين على شاشات التليفزيون ، وخرا منها بانطباع متعاطف مع « كنيدى » ، مرجحا لاحتمالات فوزه .

وقد تم اجتماع بين « جمال عبد الناصر » و « ايزنهاور » في الجناح الرئاس بفندق « والدورف استوريا » في نيويورك التي جاء إليها « ايزنهاور » لحضور الجمنا العامة ، والالتقاء بزعماء العالم الذين وفدوا عليها للمشاركة في اعمال الدورة الخاسن عشرة للجمعية العامة . وتسجل وثائق البيت الأبيض وقائع ما جرى في هذا الاجسال في مذكرة كتبها الجنرال « جودباستر » المساعد العسكرى لـ « ايزنهاور »(۱۷) ، وله جاء في المذكرة بالنص ما يلي :

بعد أن قام الرئيس بتحية الرئيس ناصر ومرافقيه ، وبعد النقاط صورة تذكاباً
 له مع ناصر ، بدات المناقشة بأن قال الرئيس (ایزنهاور) : « إنه اجتهد في جان خطابه امام الامم المتحدة خطابا توفیقیا . وقال إنه یعتقد أن الامم المتحدة ذان

المدية بالغة في عالم اليوم ، حيث توجد بلدان كليرة يتعين مساعدتها لتحقيق مستويات عصرية عالية من الانتاج والرفاهية الاجتماعية ، فالمعونة الثنائية ليست علا ، والاسراف فيها يجعل العلاقة بين البلدان المائحة والبلدان المتلقية تجنح إلى ان تصبح علاك هيمنة . وقال الرئيس (ايزنهاور) إنه يعتبر أن الامم المتحدة هي املنا العقليم في تسوية المشاكل بين الامم ، وأن هذا هو الذي حدا به إلى أن يكون توفيقيا في خطابه حتى يسمح بأن تكون دورة الجمعية العامة مجدية ، وإن كان الرئيس (ايزنهاور) كم اعترف بأنه ربما لم ينجح في هذه الغاية .

وبدا الرئيس ناصر حديثه بالإعراب عن تقديره للمؤازرة التى قدمتها الولايات المتحدة للامم المتحدة ولمصر في الصراع الذى حدث في نوفمبر ١٩٥٦ . وقال إنه قدر هذه المؤازرة ، وإن كان قد عقب قائلا إن المصاعب وسوء الفهم جرت بعد ذلك على علاقالنا . وقال الرئيس ناصر : « إن تجربة الامم المتحدة (ولعل ناصر كان يعنى هنا التجربة مع الامم المتحدة لانه استخدم العبارة بهذا المعنى عدة مرات الناء النقاش) كانت تجربة بناءة جدا ، . وقال الرئيس ناصر : « إن الجمهورية العربية مزعجة لقيام الامم المتحدة في الكونجو من بداية الامر ولكنه دهش دهشة مزعجة لقيام الامم المتحدة باحتلال المطارات الجوية ، ومحطات الاذاعة في الكونجو ، وهذه كلها انتهاكات لسيادة الكونجوليين » . ثم اضاف الرئيس ناصر انه اعتبر هذه التصرفات اخطاء من جانب الامم المتحدة ، وخطورة هذه الاخطاء ان بلدانا كثيرة كالجمهورية العربية المتحدة تعتمد على الامم المتحدة في امنها في عالم اليوم . والان وبسبب مثل هذه التصرفات ، فإن الامم الافريقية بدات تفقد ثقتها في الامم المتحدة . »

ثم استطرد الجنرال « جودباستر » في مذكرته عن اللقاء يقول : « إن الرئيس (ايزنهاور) رد على الرئيس ناصر بقوله : « إنه من الطبيعي ان قوات الامم المتحدة لا تكون كافية في بعض الحالات للتوصل إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، وإن كانت الولايات المتحدة في فترة رئاسته قد حاولت بكل طريقة تعزيز عمليات الامم المتحدة ، وتقديم العون لها في تنفيذ قراراتها ، . ثم قال الرئيس (ايزنهاور) إنه يظن ان السبب في الامر الذي اصدرته الامم المتحدة بإغلاق المطارات في الكونجو كان منع وصول الاسلحة والخبراء السوفيت ، فقد كان إرسالهم على وشك أن يتم يون طلب من الأمم المتحدة . ولايد ان نتفق انه عندما تتدخل الأمم المتحدة في حالات من الفوضي الشديدة - كما يحدث في الكونجو - فلابد أن يكون لرجالها الحق ل ان يقرروا بانفسهم ما هو ضرورى لصيانة النظام . وبالطبع فإنه يتصور أن الاراء سوف تختلف حول الاساليب ، على ان الحقيقة الواضحة هي ان الامم المتحدة ابدت تصرفات همرشولد تابيدا كاملا . وقال الرئيس (ايزنهاود) إن السؤال المهم الذي يتعين علينا أن نسأله لانفسنا على ضوء الهجوم الشديد الذي يشنه الانجاد السوفيتي ضد الامم المتحدة هو • هل منظمة الامم المتحدة منظمة طبية بصورة إجمالية أم لا ؟ ، ورده هو شخصيا على هذا السؤال هو ، إنها منظمة طبية بالنسبة للأمم الكبيرة وكذلك الصغيرة ، ، ،

⁽١٧) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الامريكية: مذكرة عن اجتماع بين الرئيس ايزنهاور والرئيس الدرام (١٧) الوثائق السرية المتحدة | ـ يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠ ـ الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر

ومضى الجنرال = جودباستر ، في مذكرته بعد ذلك عن وقائع الاجتماع يقول ، إن الرئيس ناصر ابدى اعتقاده بان افريقيا تتحرك بسرعة إلى الامام ، وان هناك تغييرات ضخمة تجرى في القارة . وهو يعترض اعتراضا حازما على اى شيء من شانه ان يجعل من افريقيا ميدانا للحرب الباردة ، والواجب ان لا تسيطر عليها الولايات المتحدة او روسيا او اوروبا . وهو على وجه التحديد يعارض اى سيطرة روسية على الكونجو ، كما يعارض اى سيطرة غيرها . =

واستطرد الجنرال «جودباستر» في مذكرته ، فروى ما دار من مناقشات بين « ايزنهاور » و « جمال عبد الناصر » عن قصة صفقات السلاح منذ سنة ١٩٥٢ . ثم وصل وجودباستر ، في مذكرته إلى القول : وقال الرئيس ناصر إنه منذ عام ١٩٥٢ وهو يرغب في علاقات طبية مع الولايات المتحدة . وكان الحاجز الرئيسي الذي يحول دون ذلك باستمرار يتمثل في إسرائيل . وقال ناصر إنه طلب منا اسلحة لحماية بلاده من الهجمات الاسرائيلية فرفض طلبه ، ومع ذلك قدمت الولايات المتجدة اسلحة إلى إسرائيل . وتدخل الرئيس (ايزنهاور) عند هذه النقطة ، وقال إن ما قدمته الولايات المتحدة لاسرائيل كان مجرد اسلحة دفاعية . ورد الرئيس ناصر على ذلك بقوله إن الرئيس ايزنهاور بخبرته العسكرية الضخمة يدرك دون شك أن جميع الاسلحة لها قيمة هجومية . وسمى عددا من انواع الاسلحة التي قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل ، وبينها المدافع عديمة الارتداد من عيار ١٠٦ مم . ثم عاد الرئيس ناصر إلى تاكيد القول بأن إسرائيل هي دائما الحاجز الذي يقف أمام تحسين علاقاتنا . وقال إنه يتابع الحملة الانتخابية بين كنيدي ونيكسون ، ووجد كلاهما يتبارى في استرضاء إسرائيل ، كما انه يقرأ خطبا مهينة لكثيرين من أعضاء الكونجرس الأمريكي تؤيد إسرائيل على طول الخط. ومع فهمه لحقيقة ان الكونجرس ليس هو الحكومة ، فإنه مضطر إلى الاعتقاد بأن كليهما يعبر عن

ثم انتقل الرئيس ناصر إلى شحنات القمح الأمريكي لمصر، وقال إنه ممتن لهذه الشحنات ، لكنه عندما يقف اعضاء في الكونجرس ليقولوا إن الجمهورية العربية المتحدة عليها ان تدفع ثمن القمح الأمريكي بالسماح للبواخر الاسرائيلية بعبور قناة السويس ، فإن الواجب يقتضيه ان يقول إنه سيرفض دفع هذا الثمن ، وسيرفض القمح .

ورد الرئيس (ايزنهاور) إن هذه مشكلة صعبة ومعقدة ، وعلينا ان نحاول الاهتداء إلى الحق ، واين هو وكيف ؟ وفيما يتعلق به ، فإنه سيحاول . ثم طلب من الرئيس ناصر ان يفكر فيما إذا كان ممكنا العثور على بداية جديدة . ثم توجه الرئيس (ايزنهاور) إلى الرئيس ناصر بسؤال مباشر عما إذا كانت الدول العربية ملتزمة بتدمير إسرائيل ؟ ورد الرئيس ناصر بقوله : = إن هناك قولا متواترا بأن العرب يريدون تدمير إسرائيل = . ثم اضاف انه لم يصدر عنه بيان واحد بانه ينبغى تدمير إسرائيل = . ثم اضاف انه لم يصدر عنه بيان واحد بانه ينبغى تدمير إسرائيل ، او إلقائها في البحر . وان الحل في رايه يكمن في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة .

وقال الرئيس (ايزنهاور) إنه عندما دخل البيت الأبيض بدا سياساته في العالم من منطق ان الحرب في عصرنا هذا قد اصبحت مقيتة مقتا مطلقا ورد الرئيس ناصر بقوله إن في وسع اى شخص اليوم ان يبدا حربا ، ولكن اى شخص لا يستطيع إنهاء الحرب على هواه . وساله الرئيس (ايزنهاور) عن رأيه في حل سنت اللاجئين ، وكم منهم يمكن ان يعودوا إلى إسرائيل إذا اعطوا حرية الاختيار ؟ ورد الرئيس ناصر على السؤال الموجه إليه بقوله : « إنه يعتقد انهم جميعا سيعودون ، الرئيس ناصر على السؤال الموجه إليه بقوله : « إنه يعتقد انهم جميعا سيعودون ، ومن شان هذا ان يحسن الوضع ل المنطقة ، ويقلل ما يشعر به العرب الان من الخوف والكراهية » . وساله الرئيس (ايزنهاور) كيف يمكن لاسرائيل إيواء مليون الخوف والكراهية » . وساله الرئيس ناصر بقوله : « إن بن جوريون اعلن ان شخص إضافي داخل حدودها ؟ ورد الرئيس ناصر بقوله : « إن بن جوريون اعلن ان العلاقات الامريكية الاسرائيلية ، وصل « جودباستر » إلى الجزء الاخير من مذكرته عن اللقاء فكتب يقول :

و إن الرئيس (ايزنهاور) صارح الرئيس ناصر باننا نتطلع إلى علاقات افضل مع الجمهورية العربية المتحدة و الكننا شديدو الارتياب في السوفيت و فهم عندما يقدمون المساعدات للجمهورية العربية المتحدة يضعون في حسابهم انهم قد يصلون بواسطتها إلى الهيمنة على المصريين ورد الرئيس ناصر بقوله و إن المصريين لن يبيعوا حريتهم لاحد و واعاد إلى ذاكرة الرئيس انه قاطع السوفيت علنا في وقت كانت فيه علاقاته مع الغرب شديدة السوء وهو على استعداد لتجمل علاقات سيئة مع المعسكرين شرط ان تحتفظ بلاده بكرامتها في قال الرئيس ناصر و إن جون فوستر دالاس سحب العرض الأمريكي بالمساهمة في بناء السد العالى ببيان مهين و وقاطعه الرئيس (ايزنهاور) في هذه النقطة قائلا و داقد كان ذلك سوء تفاهم بين حكومتينا »

وتسامل الرئيس (ايزنهاور) عما سيحدث في الأردن؟ ورد ناصر بقوله: «أنه لا يتخذ إزاء الأردن إلا إجراءات دفاعية ، وهو غير منغمس في مؤامرات مع الروس ، أو مع الولايات المتحدة ، أو مع أى طرف آخر ضد الأردن . فالمؤامرات لن تفضى إلى شيء ، وإنه لا يملك عملاء في الأردن ، أو في العراق ، أو في لبنان مع تسليمه أنه في هذه البلدان جميعا يوجد أناس يؤمنون بافكاره ويناصرونها ، وهو لا يعرف معظمهم ، . ثم أضاف : « إنه لا يقبل أن يتسع إطار الجمهورية العربية المتحدة لاى طرف جديد إذا جاء ذلك عن طريق انقلابات ، أو أعمال هدامة ، فلا رغبة له في مثل هذا الارتباط إلا إن تم من خلال إرادة تعبر عن نفسها طوعا . .

امضــاء ۱ . ج . جودباستر بریجادیر جنرال •

الفصيل البرابع

تحصين المواتع



ف أوائل سنة ١٩٦١ كان « جمال عبد الناصر » يقوم بعملية مراجعة « ولعل الاحساس بالحاجة إلى هذه المراجعة هو الذي دفعه إلى اختيار السفر بالبحر إلى الدار البيضاء يوم ١ يناير ١٩٦١ في أول زيارة له للمغرب ، ولحضور اجتماع لعدد من رؤساء الدول الافريقية المستقلة الذين هالهم ما يجرى في أفريقيا ، وتلاقت أفكارهم على ضرورة اتخاذ موقف واحد لمواجهته .

ولم تكن شواغل « جمال عبد الناصر » في ذلك الوقت مقصورة على أفريقيا - رغم أن أفريقيا فرضت نفسها في ذلك الوقت على المسرح العالمي الواسع .

كانت شواغله أوسع من افريقيا ، وأكثر تعددا في ظلالها من لون وأحد .

والحقيقة انها كانت نفس الشواغل التي الحت عليه من قبل في أعقاب معركة السويس، وجعلته يحس بالحاجة إلى فرصة لتدعيم وتعزيز ما استطاعت الثورة تحقيقه أو التخطيط له منذ قيامها وإلى ما بعد السويس.

كان قد بدأ هذه المحاولة ، ثم اعترضته قضايا سوريا حين حاولت الافلات من الغزو بالاندفاع إلى الوحدة - ثم توزع اهتمامه بعد ذلك ما بين تصاعد أمال الحركة الثورية العربية على كل المستويات ، وانفجارها على شكل ثورة من التطلعات والتوقعات القومية والاقتصادية والثقافية ، بل وجموحها أحيانا إلى ما يسبق وسائلها وإمكاناتها

- إلى ثورة في العراق _ إلى الخلاف مع الشيوعيين _ إلى النزاع مع الاتحاد السوايتي _ كل هذا والصراع مع إسرائيل على اشده ، كما أن المخطط الامبراطوري الامريكي ضاغط .

ولقد كان إحساسه بالحاجة الملحة إلى المراجعة والتدعيم والتعزيز لما تحقق ، بنسادم دائما مع إحساس مقابل بضرورة الاستجابة للتطورات التاريخية والتفاعل مها .

رلقد كانت سياسته في معظم الأحيان ، ويحكم دراسته للاستراتيجية وتأثره بسرسة «ليدل هارت » هي : الاختراق ، والالتفاف ، ومحاصرة الجيوب ، والالتقاف ، ومحاصرة الجيوب المعزولة للحصار او الاستسلام .

لكن المشكلة أن كثرة الجيوب التى تركتها عمليات الاختراق والالتفاف والعصار، ثم احتمال أن تتمكن هذه الجيوب من الاتصال ببعضها _ يهدد أى جبهة بهجرم عليها من المؤخرة.

ركان بعد انتصار السويس قد تقدم وترك وراءه جيوبا متعددة .

وفي أواخر سنة ١٩٦٠ كان إحساسه بأن الجبهات الدولية التي يصارع ضدها أنه على حليف طبيعي في الجيوب التي تركها وراءه ، والعكس بالعكس ايضا الراجعة الله يحتاج وفق مدرسة «ليدل هارت» إلى شيء من عمليات المراجعة والشعبم، ثم إنه قد يحتاج إلى تقصير بعض خطوطه ، وإلى تأمين أو تطهير بعض المراقع قربها .

وكانت السنوات التالية التي قضاها في السلطة حتى الآن قد زادته معرفة بأحرال عالم وتياراته ، كما زادته قربا من آمال شعوب أمته التي أحس طبقا لما قاله دانها اعطته أكثر مما تمناه أو حلم به ».

ربشكل ما ، فإن ضرورة المراجعة والتدعيم والتعزيز كانت تلح عليه طوال سنة المام وهو يرى نفسه في خلافات مع القوتين الأعظم في ذات الوقت ، ومع أنه كان براها اختبارات ضرورية من أجل الاستقلال الحقيقي وتأكيده - فلقد كان تقديره العام أنه ينبغي تخفيض درجة الحرارة في أكثر من موضع من مواضع الاحتكاك .

ولقد أثار الموقف الدولى قلقه باشتداد المواجهة بين خروشوف وايزنهاور، ولا الأمم المتحدة في الكونجو اقلقته أيضا ، فهذه الورطة أثرت في هيبة الام المتحدة ، وعلى مكانة سكرتيرها العام «داج همرشولد » .

رلقد أقنعه الجو الذي رأه في نيويورك في أثناء حضور اجتماعات الدورة

الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة أن رياح الحرب الباردة سوف تزداد برودة في المرحلة القادمة ، وأنه من الضروري أن تتحصن الأطراف الدولية الراغبة في صيانة أمنها واستقلالها ضد هبوب الصقيع القادم .

ولم يكن التحصين في رأيه خنادق عميقة ، ومتاريس عالية يقبع فيها ووراءها المقاتلون ، وإنما كان رأيه أن التحصين يؤدى أهدافه على أحسن وجه بالدفاع النشيط واليقظ.

كان فى نيويورك قد حقق تأثيرا كبيرا على قادة العالم ، وعلى جيل الزعماء الجدد الظاهرين فى أسيا وأفريقيا ، كما حقق خطوات ناجحة يجوز لها أن تنسيه شواغله أو بعضها :

□ كان هو الذى اقترح على عدد من زعماء عدم الانحياز أن يتقدموا معا بمشروع قرار للجمعية العامة يدعون فيه إلى استئناف الاتصالات على مستوى القمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وهكذا اشترك معه «نكروما» و «سوكارنو» و «نهرو» و «تيتو» بتوقيع اقتراح بمشروع قرار(١) قدم إلى رئيس الحمعية العامة نصه :

« الجمعية العامة

شاعرة بالقلق من التدهور الطارىء على العلاقات الدولية مما يهدد بأوخم العواقب

وعارفة بالآمال التى تعلقها شعوب العالم على هذه الدورة للجمعية العامة ـ ف تمهيد الطريق نحو تخفيف التوتر

وواعية بالمخاطر التي تهدد الأمم المتحدة والمسؤوليات التي تقع عليها تطلب: كخطوة أولى عاجلة من كل من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس مجلس الوزراء في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية أن يعيدا تجديد اتصالاتهما التي انقطعت أخيرا ، بحيث يتحقق عن طريق ذلك ما أعلنه كلا الطرفين من رغبته في حل المشاكل الدونية الكبيرة والمعلقة بوسيلة المفاوضات . »

□ وكان قد تمكن أيضا من إهادة تصميح علاقات الجمهورية العربية المتحدة ببعض القوى الكبرى في أوروبا ، وبينها بريطانيا وفرنسا .

فقد أبدت بريطانيا رغبتها في استئناف العلاقات مع مصر ، وفتح صفحة مديدة ، وقبل « جمال عبد الناصر » مع إدراكه أن كتاب المصالح الدولية لا يعرف هذا النوع من الانقطاع بين ما كان سابقا ، وما سوف يكون لاحقا . وكان « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا (المملكة المتحدة) الذي يحضر الدورة والذي يجلس الرب مقاعد وفد الجمهورية العربية المتحدة بحكم الترتيب الأبجدي ، غير مستعد لترك مشاكل البروتوكول تؤخر رغبته في استعادة العلاقات مع البلد الذي برز باعتباره أهم مؤثرة في العالم العربي ، وهكذا فإنه قرر القيام بمغامرة مباشرة .

وذهب وزير الخارجية البريطانى اللورد « دوجلاس هيوم » إلى وزير خارجية الممهورية العربية المتحدة الدكتور « محمود فوزى » يقول له : « إن رئيسى يفكر ف ان يتقدم لمصافحة الرئيس ناصر في فترة الاستراحة في اثناء جلسة الغد ، فهل اللن أن الرئيس ناصر سوف يمد له يده ، ومن ثم يلتقيان اثناء هذه الدورة ٣ « ورد » فوزى « قائلا بطريقته : « إنه واثق أن « رئيسنا » جنتلمان ، وهو لا يترك في الهواء يدا معلقة تمتد إليه بالتحية . »

وكان اعضاء الوفد المصرى إلى الجمعية العامة ، الذين عرفوا بما دار بين اللورد « هيوم » والدكتور « فوزى » ، في حالة من الفضول الشديد ينتظرون كيف يتصرف « ماكميلان » و « كيف يفعلها » ؟

وعندما جاءت الاستراحة ، رأى الكل « ماكميلان » يناور حتى تستطيع خطواته فارجا من مقعده إلى المر الواسع في القاعة أن تضعه وجها لوجه أمام « جمال عبد الناصر » ثم إذا هو يمد اليه يده قائلا بتواضع شديد : « إننى هارولد ملاميلان ، ويشرفني أن اتعرف عليك » ! ورد « جمال عبد الناصر » باسما وقائلا : النبي جمال عبد الناصر ويسعدني أن القاك » !

ثم قام « ماكميلان » بقبول دعوة من « جمال عبد الناصر » في اليوم التالي على النجان شاي .

□ وكان «جمال عبد الناصر» أيضا قد حقق أول اتصال مباشر بأمريكا اللاتينية ، وقواها الثائرة ، فقد طلب = فيدل كاسترو = لقاءه ، وجاء إليه يحمل علبة من السيجار الكوبى ومحفظة من جلد التمساح ، وقال له وهو يقدمها له : = أما السيجار فأنا أعرف أنكم لا تنتجونه في مصر وأما التماسيح فأعلم أن لديكم كثيرا منها في النيل = ، ورد عليه « جمال عبد الناصر » ضاحكا بأن « مصر بالفعل فيها

⁽١) نص القرار منقول عن بيان السكرتارية العامة للأمم المتحدة (الإدارة الصحفية) برقم ب . م / ٣٨٩٠ ـ بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٦٠ .

خمسة تماسيح على حد علمه ، وكلها موجودة في حديقة الحيوانات ، وبالتالى فإن المحفظة التي أعطيتها في نادرة لأننا أيضا لا نملك تحويل خمسة تماسيح إلى محافظ وحقائب جلدية » .

ثم جلس « عبد الناصر » يتعرف على مشاكل أمريكا اللاتينية ، ويستمع مطولا إلى تقرير عن أوضاعها ، وقد استكمل سماعه بعد ذلك عندما قام بزيارة لد « كاسترو » في الفندق الذي كان يقيم فيه بحى « هارلم » . وكان « كاسترو » قد أثر الانتقال إلى حى الزنوج في نيويورك لأن الفندق الذي نزل فيه بادىء الأمر اتهم الوفد الكوبي بأنه يذبح « الدجاج » وينظفه من « الريش » في الصالونات لانهم حريصون على طبخ طعام « كاسترو » بانفسهم مخافة دس السم له في طعام الفندق!!

□ كان أيضا قد التقى بالجنرال « ديجول » الذى كانت هامته الطويلة لافتة للانظار أثناء دخول الوفود وخروجها إلى قاعة الجمعية العامة ومنها . وقد ركز « جمال عبد الناصر » على ثورة الجزائر وضرورة الاعتراف بقيادتها ، وإطلاق سراح الزعماء الذين خطفتهم الحكومة الفرنسية السابقة » والتفاوض معهم ومع الحكومة المؤقتة بقصد إنهاء حرب مكلفة في الجزائر لم يعد ممكنا لها أن تعوق استقلالها . وحاول « ديجول » أن يناقش معه بعض الشروط ، ولكن « جمال عبد الناصر » صارحه بأنه لا يملك تفويضا بالمناقشة معه . وكان أهم ما أسفر عنه اللقاء هو أن « ديجول » وعد بفتح مسالك للاتصال المباشر ، كما أنه وافق على السماح « ديجول » وعد بفتح مسالك للاتصال المباشر ، كما أنه وافق على السماح للزعماء الجزائريين المعتقلين بتلقى مكالمات تليفونية من الخارج ، أو بإجراء مكالمات تليفونية مع الخارج ، بحيث تستطيع أطراف القيادة في « الداخل » أن تشارك ﴿ الحوار مع القيادة في « الخارج » لترتيب موقف تفاوضي معقول .

□ وكان في نيويورك أيضا قد ناقش ضرورة إنشاء تجمع إفريقي يكون مرجعا أساسيا للقارة ، وتجمع لدول عدم الانحياز يكون حلقة رئيسية في محاولة الحفاظ على السلام . والآن كان في طريقه فعلا إلى اجتماع إفريقي تقرر عقده في الدار البيضاء ، واختار أن يسافر بالبحر لكي تعطيه أيام الرحلة فرصة للتفكير الحر والطليق : يحلل ويقيم ويختار بين البدائل المطروحة والضرورات الملحة ، ويرسم خطا سليما للحركة وسط بحار هائجة !

ولم يترك « جمال عبد الناصر » لشيء أن يخرجه عن شواغله حتى عندما قيل له إن طائرة استطلاع فرنسية تحوم حول الباخرة « الحرية » وبتلقط صورا لها . وقد كان كل ما فعله أن صعد إلى سطح « الحرية » ومعه الة تصوير التقط بها عددا من الصور لها !



كان مؤتمر الدار البيضاء الذي شارك فيه كل من الملك « محمد الخامس » ملك الغرب ، و « قوامي نكروما » رئيس غانا ، و « أحمد سيكوتوري » رئيس غينيا ، و « موديبوكيتا » رئيس جمهورية مالى إلى جانب « جمال عبد الناصر » نفسه ـ نقطة نعول في العمل الافريقي . فقد اجتمع فيه كل زعماء حركة الاستقلال في أفريقيا ذلك الوقت ، وأرادوه تعبيراً عن إرادة إفريقية حرة لا تخضع للمحاولات التي تقوم بها الدول الاستعمارية للتحكم في اتجاه رياح التغيير . كانت جهود الدول الاستعمارية في الله الوقت تحاول أن تفرض ، أو تغرى بترتيبات تفرغ استقلال أفريقيا من جوهره ، الله كانت هناك محاولة لتقسيم الدول الافريقية المستقلة حديثا إلى مجموعة فرنسية ، إلى مجموعة أخرى بريطانية طبقا لعلم الاستعمار الذي كان يرفرف فوق هذه الأقطار الله استقلالها ، وعلى أساس من التأثير الثقاف الذي خلقته لهجات السيطرة باللغة الإنهليزية ، أو باللغة الفرنسية . وكان ذلك في رأى عدد من زعماء القارة توجها فطيرا . وهكذا فإن الذين اجتمعوا في الدار البيضاء وضعوا أنفسهم ـ بصرف النظر في اية مؤثرات سابقة ـ في موقع مستقل .

كان ، جمال عبد الناصر » قد تحدث فى كتابه « فلسفة الثورة » عن دائرة الريقية _ ضمن دوائر ثلاث _ تتحرك مصر تاريخيا فى إطارها ، والآن كانت أمامه الفرصة ليشارك فعلا فى رسم هذه الدائرة على الأرض ، وعلى الطبيعة . وهكذا ذهب إلى مؤتمر الدار البيضاء ، وأمامه مجموعة من الأهداف يسعى لتحقيقها :

١ ـ أن يشارك في سعى القارة من أجل تحقيق ذاتها والوعى بشخصيتها ،
 والتاكيد على خطوط مصالحها وارتباطاتها .

" وقد ركز جزءا من جهده لكى يزيل التباسا تاريخيا شاع وذاع ، وكانه مطلوب مقصود أحد ذاته ، وهو أن العرب في افريقيا كانوا هم تجار العبيد أيها وكان هذا الالتباس يخلق حساسيات شديدة في الوقيعة بين الأمة العربية ، وبين القارة الافريقية . وقد اكتشف « جمال عبد الناصر » على الطبيعة دور الاسلام أ افريقيا ، ففي إحدى المناسبات على هامش المؤتمر راح ، جمال عبد الناصر » مع عدد من الأقطاب المشاركين فيه يتقصى الحقيقة وراء اسمائهم ، فإذا أصل « سيكوتورى » من كلمتين : « سيك » وهي تصحيف لكلمة ، شيخ » و « تورى » وهي تصحيف لكلمة « طريقة » أي أن اسم

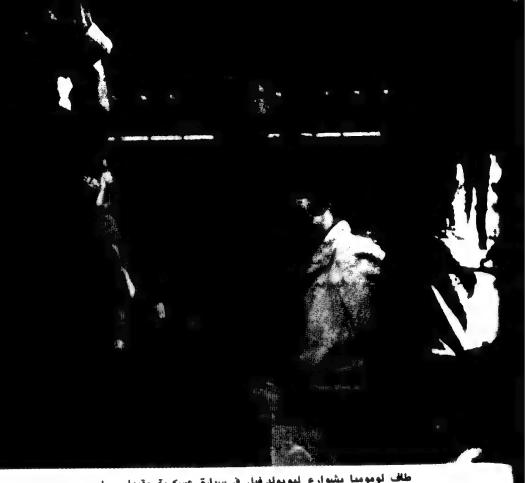
«سيكوتورى» يعنى «شيخ الطريقة». ثم ظهر ايضا ان اسم «سيفولا دياللو» هو تصحيف لاسم «سيف الله ضياء الله». وأن اسم «باليوا» (رئيس وزراء نيجيريا) هو في الواقع تصحيف لاسم «أبو عليوة»، وأن الاسم الشائع في غرب افريقيا وهو «مامادو» هو تصحيف لاسم «محمد»، وأن اسم «أمادو سردونا» هو تصحيف لاسم «أحمد سر الدين»، وأن اسم «موديبوكيتا» هو تصحيف لاسم «المؤدب بخيت». كان حديث بحث عن الجذور، وظهر أن هذه الجذور متلاقية في تربة إفريقية متصلة.

٣ - وحاول مع الآخرين أن يعثروا على كل الإمكانيات المتاحة للتعاون الاقتصادى الذى كان في رأيهم أساسا لأى عمل سياسى. وقد تبينوا معا على سبيل المثال أن خطوط الطيران لا تصل إلى عواصمهم إلا مرورا بعواصم الاستعمار القديم، ونفس الشيء بالنسبة لشبكات البرق وخطوط التليفونات. وكان عليهم أن يبدأوا، وكلفوا خبراءهم بأن يضعوا تصوراتهم.

ا - وكانت أمامه مهمة أخرى علق عليها أهمية كبرى ، وهى دور إسرائيل التسلل إلى القارة . وقد وجد أن إسرائيل ذهبت إلى القارة بأبعد مما كان يقدر ، وأن الولايات المتحدة تساعدها في ذلك . وقد استطاع أخيرا أن يجد الصيغة التى تستطيع بها أفريقيا أن تتمثل خطر إسرائيل ، فقد عرضها أمام زملائه من قادة أفريقيا على أساس أنها صورة من صور الاستعمار الاستيطاني شانها أذلك شأن جنوب أفريقيا . وكحالة جنوب أفريقيا ، فإنها جزء لا يتجزأ من الوجود الاستعمارى . وهكذا فقد كان أكثر قرارات المؤتمر دويا هو القرار الذي قال بالنص :

« يلاحظ المؤتمر باستنكار أن إسرائيل دأبت دائما على مناصرة الاستعمار كلما جرى بحث للمسائل الهامة المتعلقة بأفريقيا ، ولاسيما مسائل الجزائر والكونجو والتجارب الذرية فى أفريقيا . لذلك يندد المؤتمر بإسرائيل بوصفها أداة فى خدمة الاستعمار بنوعيه القديم والجديد ليس فقط فى الشرق الأوسط ، بل فى أفريقيا وأسيا . ويدعو المؤتمر كافة دول أفريقيا وأسيا إلى الوقوف أمام هذه السياسة الجديدة التى يستخدمها الاستعمار بخلق قواعد له »

وكان هذا القرار صدمة لإسرائيل، ولأصدقاء لها في الغرب اعتبروا تسللها إلى أفريقيا جسراً لهم إلى قلب القارة.



طاف لومومبا بشوارع ليوبولد فيل في سيارة عسكرية مقيدا بحبل امسك بطرفه احد الضباط، وبعد ذلك جرى اغتياله غيلة وغدرا.

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة بعد انتهاء أعمال مؤتمر الرباط ليجد على مكتبه برقية من « جيزنجا » نائب « لومومبا » نصبها كما يلى :

« لقد علمنا من مصدر موثوق به أن رئيس وزرائنا لومومبا سيقتل هو والوزير موبولو والرئيس كانات اكيتو ، كما علمنا أن فرقتين من جنود المظلات الامريكيين على استعداد للحضور ومحاصرة العاصمة للقضاء أيضا على أعضاء الحكومة . ومما يؤيد صدق ذلك حضور قنصل أمريكا متخفيا يوم الفبراير ، وكذا تحليق طلارة مجهولة . إن الخطر وشيك الوقوع ، والحكومة الشرعية تفضل اندلاع حرب علمية على أن تغتال غدرا . إننا نحتج بشدة على مؤامرات أمريكا الاستعمارية وحلفائها بحجة حماية مواطنيها في حالة قيام الشعب الكونجولي بثورة عندما يعلم بقتل لومومبا والشخصيات الأخرى . نطالبكم باتخاذ موقف حازم حتى يكون العالم على علم بما يجرى »

وتلقى الوفد المصرى الدائم فى الأمم المتحدة تعليمات بأن يقدم إلى مجلس الأمن مشروع قرار بالافراج عن «لومومبا ». وقدمه الوفد بالفعل يوم ٧ فبراير المراب المراب و فبراير تلقى « جمال عبد الناصر » من « اليزابيث فيل » بالكونجو معلومات تؤكد أن «لومومبا » تم قتله بالرصاص بعد أن جرى اعتقاله وهو يحاول تجميع جيش من المتطوعين يسير معه إلى تحرير « كاتنجا » . وقد ظهر أن الذى اعتقاله هو الكولونيل « موبوتو » قائد قواته ، وأنه قام بتسليمه فى نفس يوم اعتقاله إلى عدوه « تشومبى » فى « كاتنجا » وفى لحظة وصوله إليها ضرب حتى الموت ، ثم رشق جسمه بالرصاص ، ثم أحرقت بجثته .

وكان « جمال عبد الناصر » بنفسه هو الذى أكد للعالم رسميا نبأ قتل « لومومبا » . وأعلن « جمال عبد الناصر » أنه يضع أسرة « لومومبا » تحت حماية الجمهورية العربية المتحدة . وكتب له شقيق « لومومبا » خطابا(٢) يقول له فيه :

و يا صاحب الفخامة

إذا كان خطابى هذا لا يحمل جميع معانى الاحترام الواجب تقديمها لشخصكم، فارجو الا يفسر ذلك بقلة العناية ، ولكن باننى اتعامل معكم كشقيق وراع ورجل إفريقى لم يتنازل عن روحه الافريقية . إن وقوفكم معنا ضربة لكل من ارادوا أن يوقعوا بيننا وبينكم حينما ارادوا إقناعنا أن العربى هو عدو للأسود ، وأن العرب كانوا أصل فكرة الإتجار ببنى البشر في تجارة الرقيق . ولقد تاكدنا أن ذلك غير صحيح ونحن نرى أمامنا أن البرتغاليين وهم شعب مسيحى كانوا هم تجار الرقيق في بلادنا ، وكانوا يقومون بذلك بامر من ملوكهم .

إمض*ساء* لويس لومومبا •

وكتبت له « بولين » زوجة « لومومبا » خطابا^(۱۲) تقول فيه :

« إننى امراة لم تتعلم لأن الاستعماريين البلجيكيين حرمونا من فرصة الحصول عليه . لكنى مع إدراكى البسيط افهم مثل كل امراة وطنية في افريقيا انكم اوفى الاصدقاء لشعوبنا . إننى بلسان امراة ـ والمراة هي موضع اسرار الرجل ـ اؤكد لكم اننا عرفنا الآن اصدقاءنا الحقيقيين . واش معك .

إمضساء بولين لومومبا .

وكان «جمال عبد الناصر » متاثرا إلى ابعد حد بقتل « لومومبا » وقد نبادل خطابات في هذا الموضوع مع « خروشوف » و « نهرو » و « تيتو » و « همرشولد » . وكان لومه لـ « همرشولد » شديدا ، فقد اعتبر أن « لومومبا » لد قتل تحت اعلام الأمم المتحدة ، وفي وجودها ، بل إن وجودها استغل كغطاء لجريمة بشعة هزت افريقيا . وكتب إليه « نكروما » خطابا مؤثرا يقول فيه : إننى اقضى ليائي طويلة مع الدموع ، واشعر بالنار في قلبى كلما تذكرت أن لواتنا كانت هناك ضمن إطار الأمم المتحدة ، وأن الحرية التي ذهبنا لحمايتها قد المتيلت على مرمى حجر منا » .

ولم يكن هناك كثير يمكن عمله ، فإن قوى الاستعمار ، وامتيازات واحتكارات الماس والنحاس واليورانيوم ، كانت تحارب معركة ضارية للاحتفاظ بكنوزها الافريقية .



بعد صدمة أفريقيا راح « جمال عبد الناصر » يركز جهده على جبهة الدول غير المنحازة ، وفي منتصف أبريل ١٩٦١ كان الرئيس « تيتو » ضيفا عليه في الاسكندرية ، وتحادثا طويلا في الموقف الدولي ، وفي ضرورة بروز دور الدول غير المنحازة لمواجهة أوضاع دولية مثيرة للتوجس والشك . واستقر رأيهما على الدعوة إلى مؤتمر موسع للدول غير المنحازة ، وكتبا خطابا(٤) مشتركا من الاسكندرية بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٦١ لصديقهما الثالث « جواهر لال نهرو » جاء فيه أنه :

« نظراً للتطورات العالمية ، وما تنذر به من اخطار زيادة التوتر الدولى إلى حد يهدد استقلال بعض البلدان كما يهدد السلام العالمي ، فقد بحثنا الحاجة الماسة إلى بذل نشاط اكثر فعالية ، وافضل تنسيقا من جانب جميع البلدان التي تسعى إلى تحسين العلاقات الدولية ، وإذ بحثنا هذه القضايا ، فقد خطر لنا أن الوقت قد حان لعقد

⁽٢) اصل الرسالة مودع 🐧 ارشيف منشية البكرى ضمن مجموعة الملقات التي تحمل عنوان ، ازمة الكونجو . .

 ⁽٣) أصل الرسالة مودع في أرشيف منشية البكرى ضمن مجموعة الملقات التي تحمل عنوان ، أزمة الكونجو ...

^() أ أصل الرسالة مودع في أرشيف منشية البكرى في ملف عنوانه « مراسلات مع الرئيس جوزيب بروز تيتو « (الجزء الثلث) .

اجتماع يحضره اكبر عدد ممكن من رؤساء بلدان عدم الانحياز، وفي راينا ان هذا الاجتماع يجب ان يعقد في اقرب وقت ممكن، وفي وقت يسبق تاريخ انعقاد الدورة السادسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة، وقد تلقينا في اثناء محادثاتنا هنا رسالة سعدنا بها من الرئيس سوكارنو رئيس اندونيسيا وافق فيها على وجهة نظرنا، وراينا انه يمكن ان يجتمع في القاهرة مفوضون ممثلون لنا يتولون وضع جدول اعمال الاجتماع المقترح، ويحددون مكانه وموعده.

إمض*ناء* جمال عبد الناصر جوزيب بروز تيتو »

وأرفق « جمال عبد الناصر » « وتيتو » بهذا الخطاب قائمة بأسماء عدد من الدول التي يقترحان دعوتها إلى حضور هذا الاجتماع ، وكانت القائمة تضم الدول التالية :

افغانستان _ بورما _ كمبوديا _ سيلان _ الهند _ نيبال _ اندونيسيا _ اثيوبيا _ غانا _ غينيا _ مالى _ الصومال _ السودان _ المغرب _ العربية السعودية _ العراق _ اليمن _ البرازيل _ فنزويلا _ كوبا _ المكسيك .

وتلقى « جمال عبد الناصر » بتاريخ ٣٠ ابريل ردا من « نهرو » ، وكان « نهرو » كعادته المثقف المحلق عاليا في كل الآفاق ، والذي يحتار في كثير من الأحيان أين ينزل على الأرض ؟

كان « نهرو » موافقا بصفة إجمالية على الفكرة لكنه طرح تصورات واسعة لتنفيذها ، وجاء في نص خطابه :

عزیزی الرئیس ناصر

اشكركم على الرسالة المشتركة التي وصلتنى منكم، ومن الرئيس تيتو،
 واوافقكما تماما على انه من المرغوب فيه ان ننسق سياساتنا واعمالنا من اجل تحسين العلاقات الدولية.

٢ - وقد فكرت طويلا في اقتراحكم، ولدى بعض الاعتبارات التي اود طرحها عليكم.

٣ - إن مؤتمرا كبيرا كهذا الذى تفكرون فيه يجب ان يعقد عندما يكون هناك امل مؤكد في الوصول إلى نتائج مرضية وعملية ، فلن يفيدنا كثيرا الاكتفاء بإدانة الآخرين .

انه من المهم اختيار وقت للمؤتمر لا يتعارض مع الجهود المبنولة لنزع السلاح .

ولما كنا نعارض الأحلاف والتكتلات العسكرية ، فينبغى الا نعطى الانطباع
 باننا نسعى إلى تكوين كتلة ثالثة حتى ولو لم يكن وراءها حلف عسكرى .

٦ - ليس من السهل وضع تحديد واضح للبلدان التي تعتبر غير منحازة ، ولقد ارسلتم إلى قائمة مجموعة من البلدان التي يمكن دعوتها ، ولكنى لا ارى سببا وجيها لاستبعاد بلاد مثل نيجيريا وليبيريا وليبيا وتونس والسنغال ولبنان .

V = 0 ق أوروبا يمكن أن تعتبر النمسا والسويد وفنلندا وايرلندا بلادا غير منحازة ، وق أمريكا اللاتينية يمكن أن تعتبر الأرجنتين وشيلى في نفس الللت .

٨ - يمكن أن نطبق معيارا سلبيا للدول غير المنحازة فنقول إنها البلدان غير المرتبطة بحلف الاطلنطى، أو الحلف المركزى، أو حلف جنوب شرق أسيا، أو حلف وأرسو، لكن هذا وحده لا يعتبر منهجا كافيا.

جواهر لال نهرو "

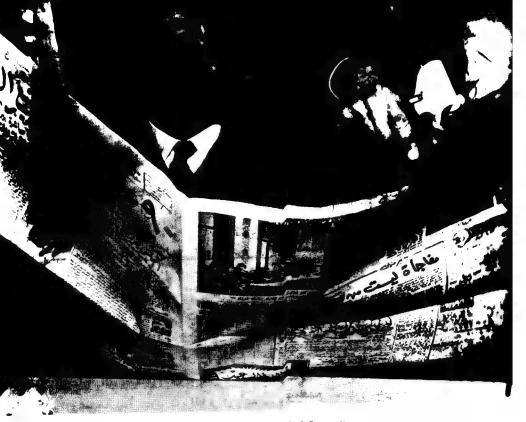
وانعقد في القاهرة في شهر يونيو مؤتمر تحضيري لقمة عدم الانحياز. ثم تلاه بداء بدلك مؤتمر على مستوى القمة في سبتمبر ١٩٦١ في بلجراد خرج في النهاية بنداء براجل السلام ، وكلف المؤتمر بناء على اقتراح من « جمال عبد الناصر » اثنين بالرؤساء هما « سوكارنو » و « موديبوكيتا » بتسليمه باليد إلى رئيس الإيات المتحدة في واشنطن ، ويقوم اثنان آخران هما « نهرو » و « نكروما » الليد إلى زعيم الاتحاد السوفيتي في موسكو .

وكلف المؤتمر رئيس وزراء الهند « جواهر لال نهرو » بصياغة ندائهم إلى الدولية بالسعى إلى تحقيق السلام ، وكان » نهرو » في احسن احواله وهو أبرح لقمة عدم الانحياز خطوط الأفكار العريضة التي ينوى وضعها في نداء اللام الذي كلف بكتابته ، وقد خصص من كلامه ربع ساعة تحدث فيها عن طلار الحرب النووية ، واستحالة قبول مخاطرها قائلا :

إننى اعرف لأننى اعتقد اننا ننتقل من عصر كانت فيه قوة الأمم تقاس إنجيوشها ، واما الآن فنحن في عصر تقاس فيه قوة الأمم باتساع علومها » .

ولعلها كانت آخر مرة في حياته وقف فيها على مسرح دولي ، وفتح قلبه الله ، وتكلم بهذه الحيوية .

كان معنى تأسيس حركة عدم الانحياز على هذا النحو بداية ظهور تجمع دولى الإمجموعة من المعايير ترسم طريقا لحركتها في المجال الدولى ، يعتمد مجموعة من الله الابتعاد عن عقد المحالفات والاتفاقات العسكرية من أي نوع كانت ،



جيمس زارب يقرأ في والإهرام ، خبر الافراج عنه وسفره .

وروى السير « كولين كرو » فر مذكراته أننى دعوته بعدها بأيام إلى مقابلتى ف « الاهرام » . وركب سيارته ليجى ولا ، ولأول مرة في حياته عرف معنى التفاؤل والنشاؤم . فقد كان يراقب إشارات المرور وهو قادم إلى ، فإذا صادفته إشارة خضراء اعتبرها سببا للتشاؤم . وحاربين الاشارات الخضراء والحمراء حتى وصل إلى مكتبى ، وفوجى و بى وأنا أقول له ؛ ولك طلبت هدية شخصية لك ، وقد طلب إلى الرئيس جمال عبد الناصر أن اسلمك هذا الشيك » . واحمر وجه حرجا وعرته الدهشة . وأننى الححت عليه أن يفتح المظروف الذي يحتوى على الشيك لكى يعرف قيمته الشخصية في أن يفتح المظروف أن يحتوى على الشيك لكى يعرف قيمته الشخصية في مصر ، وأنه حاول أن يحتج ، ولكنى واصلت الحاحى عليه حتى يفتح المظروف ، وبعد تردد قام بفتحه "فإذا أمام المبلغ المطلوب دفعه في الشيك اسم ، زارب » ، وأنه أحس بالدموع في عينيه ، فقد أدرك لحظتها فقط أننى قدمت له الهديه التي كان يطلبها باسلوب من المزاح كاد يحطم أعصابه . ثم روى السير ، كولين كرو » في مذكراته أنه ذهم صباح اليوم التالى إلى باب سجن « طره »

وفى ١١ مايو ١٩٦١ جرى القبض على شبكة شارك فيها بعض الدبلوماسيين الأتراك، وقد بدا تعقبهم منذ بداوا ينشطون في سوريا ويحاولون جمع معلومات عن الضباط المصريين العاملين في القيادة العامة السورية.

وكان بين التقارير التي استرعت الاهتمام في ذلك الوقت تقرير قدمه السيد «صائب سلام » رئيس وزراء لبنان عن مؤامرة ترتب في الأردن لاغتيال عده من الشخصيات في سوريا . وتبين أن مدبرى المؤامرة جندوا أعضاء من الحزب القومي السورى المنحل كمتطوعين لتنفيذ هذه العمليات في دمشق . وكان أول الإهداف المطلوبة هو « عبد الحميد السراج » الذي كان هناك اعتقاد جازم العمان بانه الرأس المدبر لاغتيال السيد « هزاع المجالي » رئيس وزراء الأردن . (°)

وتوافقت مع هذه الحوادث حادثة أخرى بدت غريبة ، فقد ضبطت الشرطة المصرية « زيجموند نيوجورسكى » مساعد المستشار الصحفى الأمريكى » وهو يوزع منشورات ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وكان يلقيها بالجملة من سيارته في الصباح الباكر ، وكانت كلها تهاجم الجمهورية العربية المتحدة وسياستها في الكونجو على أساس أن الجهد المصرى مبدد في مغامرات خارجية تشغل الحكم عن العمل في الداخل . وقد ألقى القبض على مساعد المستشار الصحفى ، وتم التحفظ على سيارته التي تحمل رقم ٢٥٠٦ هيئة سياسية ، ثم أفرج عنه بعد ذلك بمقتضى حصانته الدبلوماسية ـ لكن الحادث بدا مستغربا .

ومع ذلك فإن « جمال عبد الناصر » كان يعتمد سياسة للتهدئة . ووقعت في تلك الظروف حادثة سجلها في مذكراته السير « كولين كرو » القائم برعاية شئون المصالح البريطانية في فترة قطع العلاقات . وقد كتب السير « كولين كرو » يقول إنه كان يستعد لمغادرة القاهرة بعد أن تقرر نتيجة لاجتماع « عبد الناصر » و « ماكميلان » في نيويورك أن تستأنف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، لكنه لم يكن يريد أن يغادر القاهرة قبل أن يتمكن من العمل على إطلاق سراح أخر الجواسيس البريطانيين الذين اعتقلوا وحوكموا قبل السويس في مصر . وكان يعتبر إطلاق سراح هذا الجاسوس الأخير وهو المستر « زارب » تصفية نهائية لبقايا مرحلة في العلاقات بين البلدين . وروى في مذكراته أنه وسطني في إثارة هذا الموضوع مع الرئيس « جمال عبد الناصر » كإشارة ودية أخيرة نحوه قبل أن يغادر مصر .

⁽ ٥) كانت هذه المعلومات تاييدا لما قاله ، الان دالاس ، مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية [اثناء اجتماعات الدورة الخامسة عشرة للجمعية العاما للأمم المتحدة .

وهناك سلموه آخر جاسوس بريطانى سجين في مصر ، فقام بترحيله في نفس اليوم إلى لندن ، واعتبر أن مهمته ألى القاهرة قد أنتهت نهائة سعيدة . وكانت الواقعة صحيحة بكل تفاصيلها (وقد فعلتها مداعبة له!) .

ولم يكن التحصين بالأمن هو المطلب الحقيقى لـ = جمال عبد الناصر » . فقد كان يشعر على نحو ما أن الثورة تفقد قوة اندفاعها ، وأنه برغم كل ما تم في مجالات التصنيع وتوزيع الأراضي ، وإنشاء المشروعات الكبرى وفي مقدمتها السد العالى ، واسترداد المصالح الأجنبية المسكة بأعصاب الاقتصاد المصرى ، فإن هناك حلقات ما زالت مفقودة .

وقد حدثت في ذلك الوقت واقعة لفتت نظره إلى هذه الحلقات المفقودة . فقد حدث في أوائل عام ١٩٦١ أن حكومة بلجيكا التي ضايقتها سياسة الجمهورية العربية المتحدة في الكونجو - اتخذت قرارا بقطع العلاقات السياسية مع مصر . وردت مصر بوضع الرعايا البلجيكيين في مصر تحت الحراسة ، وكان عددهم حوالي ثلاثمائة بلجيكي . وعندما بدأ جرد ثرواتهم في أعقاب وضعهم تحت الحراسة تبين أن هذا العدد من البلجيكيين يمتلك قرابة مليون سهم في شركات تعمل في مصر في مختلف المجالات . وقد دفعه هذا إلى طلب تقرير كامل عن ملكية الأجانب في الاقتصاد المصرى . ولشهور بعد ذلك كانت أجهزة الدولة الحساسة مجندة للبحث عن السؤال الذي كأن يلح على « جمال عبد الناصر » في ذلك الوقت وهو : « من الذي يملك مصر ؟ »

وكانت النتيجة التى توصل إليها البحث صدمة لا حدود لها . فقد تبين ان حوالى مائتى عائلة يهودية تحمل جوازات سفر بلجيكية أو إيطالية او فرنسية أو بريطانية - وبعضها لا يحمل جوازات سفر على الاطلاق من وقت الإمبراطورية العثمانية - تملك فيما بينها مصالح عقارية او مالية موظفة في الشركات تزيد قيمتها على خمسمائة مليون جنيه بقيمة النقود في ذلك الوقت .

وكانت تلك أول نقطة على الطريق الذي أدى بعد ذلك بشهور إلى قرارات يوليو الاشتراكية الشنهيرة .

وعلى نحو ما فقد كان هناك إحساس عام ف القاهرة بأن الأطراف الراغبة و توجيه ضربة إلى الجمهورية العربية المتحدة سوف تركز ضربتها القادمة على دمشق

وفى عيد الوحدة الثالث ، ومن شرفة قصر الضيافة فى دمشق خطب عجمال سد الناصر » فى جماهير حاشدة ، وكانت نقطة التركيز فى خطابه تسترعى النظر ركانت هذه النقطة هى أنه « لا إقليمية فى الجمهورية العربية المتحدة ، وإنما منك بلد واحد » . ثم تكرر قوله بأن الاستعمار يركز على ضرب دولة واحدة .

وف أول مارس ١٩٦١ و «جمال عبد الناصر » لا يزال ف دمشق ـ تمكن الحميد السراج » من ضبط مؤامرة استهدفت إلقاء قنابل على قصر الضيافة أبها . وكان مصدر المعلومات عنها هو اللواء « فؤاد شهاب » رئيس الجمهورية البنانية . وحين عاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة كانت في انتظاره حكاية أفرى غريبة . فقد ذهب إلى لقائه البابا « كيرلس السادس » بابا الأقباط ليروى اله أن هناك راهبا سابقا في الكنيسة طرد بسبب غموض تصرفاته ، واسمه الراهب أرمانيوس الأنطوني » وأن البابا علم أن هذا الراهب زور خطابا نسب سدوره إليه (أي إلى البابا » كيرلس ») وأن الخطاب مرسل إلى « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل . وكانت وجهة نظر البابا « كيرلس » أن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل . وكانت وجهة نظر البابا « كيرلس » أن إنداث فتنة طائفية تؤثر على الوحدة الوطنية . وقد تفهم « جمال عبد الناصر » إحداث فتنة طائفية تؤثر على الوحدة الوطنية . وقد تفهم « جمال عبد الناصر » ببهة نظر البابا ، ونصحه بإبلاغ النيابة العامة لكي تحقق في الأمر وتستجل بوانبه حتى تفوت الفرصة على أي محاولة لاستغلالها . واخذ البابا بانصيحة .

كان السد العالى هو رمز أمال وجهود التنمية في مصر . وخلال مناقشات للكومة المركزية لدولة الوحدة جرى الحديث ذات مرة في بداية سنة ١٩٦١ عن الحلم إبناء سد على نهر الفرات في سوريا . وطلب « جمال عبد الناصر » كل المذكرات التي سن كتابتها عن هذا السد ، وكل الدراسات الخاصة به . وزاد اعتقاده ، وهو يقرأ الراق بأن هذا السد إذا أمكن تنفيذه يستطيع أن يمثل في سوريا ما كان يمثله السد اللي في مصر . وخرج المشروع من الأدراج التي كان نائما فيها لسنوات ، واعيد سا وبعد اتصالات سياسية ودبلوماسية مكثفة تم يوم ٦ يوليو توقيع عقد بتنفيذه بالمانيا الغربية .

وبالفعل فإن هذا السد أصبح يمثل أملا ضخما في سوريا ، فقد كان كفيلا

بتخزين ٣٠ مليار متر مكعب من المياه وراءه . وكان في استطاعته أن يضبط تصرف نهر الفرات في سوريا بمعدل ١٨ مليار متر مكعب سنويا . وبالتالي فإن أراضي منطقة الجزيرة الخصبة التي لم يكن يزرع منها غير ٣٧٪ من مساحتها أصبح ممكنا زراعتها بالكامل ببناء هذا السد . وكانت الشروط مواتية ، فقد وقع السيد « عبد اللطيف البغدادي " نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ووزير التخطيط مع « لودفيج ايرهاردت " نائب المستشار الألماني ووزير الاقتصاد قرضا بمقدار ٥٠٠ مليون مارك ألماني بفائدة قدرها ٤٣٠٪ تسدد على عشرين سنة بعد فترة سماح مدتها عشر سنوات .

وكان الغريب ان اللواء « عبد الكريم قاسم » في بغداد بدأ يهاجم مشروع بناء سد الفرات على اساس انه عدوان على حقوق العراق في مياهه ، كما أن « دافيد بن جوريون » هاجم مشروع بناء السد بحجة أن كل موارد المياه المتاحة في المنطقة يجب أن يتم استغلالها بموجب تنظيم عام تشترك فيه كل دولها بما فيها إسرائيل .

وأضيفت إلى ترسانة المهاجمين للجمهورية العربية المتحدة في المنطقة دعوى أخرى مفادها أن سد الفرات يبنى في الحقيقة توطئة لتهجير ملايين من الفلاحين المصريين إلى منطقة الجزيرة! وقد تكرر هذا الادعاء من إذاعات عديدة في المنطقة ، كما أصدرت به « حركة مصر الحرة » بيانا ضافيا وزعته في بيروت ، وحاولت تسريب كميات منه إلى دمشق.

وفي هذا الوقت كانت الأحزاب الشيوعية العربية لا تزال تهاجم سياسة الجمهورية العربية المتحدة في توجهاتها الوحدوية والدولية ومجالات العمل الداخلي .

وحتى عندما أعلن تأميم بنك مصر والبنك الأهلى، فقد كان تحليل بعض جماعات الشيوعيين المصريين المعتقلين في الواحات بأن ما يجرى في الحقيقة هو صراع بين مجموعتين من الراسماليين: مجموعة يمثلها « أحمد عبود » (باشا) وأن السلطة العليا في الجمهورية العربية المتحدة هي في الواقع صراع بين المجموعتين. وذهبت جماعات أخرى إلى أنها راسمالية دولة. وكانت هناك أقلية وجدت فيما اتخذ من إجراءات مؤشرا على توجه تقدمي.

وانتهز « نيكيتا خروشوف » فرصة زيارة وفد برلماني من الجمهورية العربية المتحدة برئاسة السيد « أنور السادات » فأثار مرة أخرى في لقائه معهم مسألة اعتقال

السوعيين في مصر ، ثم تطرق من ذلك إلى هجوم عام على سياسة الجمهورية العربية النمدة ، وعلى « جمال عبد الناصر » شخصيا . وفوجى » الوفد البرلمانى بكلام ،مروشوف » ، وعندما عاد إلى القاهرة روى السيد « انور السادات » لـ « جمال الناصر » تفاصيل ما حدث ، وتبين له أن الوفد الذي فوجى » بكلام « خروشوف » نرج من الرد عليه . وطلب « جمال عبد الناصر » كتابة رد كامل على ما قاله ،مروشوف » ووقعه السيد « انور السادات » وسلم للسفير السوفيتى في القاهرة .(١)

كانت هناك محاولات للتحصين في الداخل والخارج ، ومع ذلك فقد ظلت هناك للرات مفتوحة ، ومحاولات مستميتة من اتجاهات مختلفة لتوسيع نطاق هذه الثغرات اللفاذ منها ، وتحويل الثغرات المفتوحة إلى جبهات ساخنة .

⁽۱) طفتى الرئيس ، جمال عبد الناصر » بكتابة هذا الرد ، وقد كتبته فعلا ، وارسل لـ ، خروشوف ، دون أي نسر فيه



قواعد « إذا الم أى حوار ومقاصده سياقه وضاعت نتائجه!»

قسسلب العالم الثالث وسطح القمر!



عندما خطا « جون وجاكلين كنيدى » خطوتهما الأولى إلى داخل البيت الأبيض في واشنطن ظهر يوم ٢٠ يناير ١٩٦١ ـ كان هناك شعور عام بأنه من المحتمل أن يكون العالم قد خطا معهما في نفس اللحظة إلى عصر جديد في العلاقات الدولية ا

وكانت هناك مؤشرات كثيرة تومىء إلى ترجيح هذا الاحتمال ، وتعطيه حظا وهمرا ف التوقعات والحسابات التى تنهمك فيها عواصم الدنيا مع كل تغيير كبير مجرى ف البيت الأبيض ـ أو في الكرملين ا

كان « جون كنيدى » حتى في المظهر شابا يبدو ممتلئا بالحيوية ، وقد قال هو في تقديم نفسه يوم تنصيبه : « إنه أول رئيس يدخل البيت الأبيض من مواليد القرن العشرين » - ثم إن زوجته » جاكلين » بدت إلى جواره شابة جميلة وأنيقة على عكس ما كانت عليه زوجات الرؤساء الذين سبقوه إلى البيت الأبيض فيما تعيه الذاكرة ابتداء من « اليانورا » روزفلت زوجة « روزفلت » - وحتى » مامى » ايزنهاور - زوجة ، ابزنهاور » !

ثم إن رجال الرئيس الجديد بدوا نوعا آخر غير ما كانه رجال الرئيس الذي سبله ، ففي حين كان رجال « ايزنهاور » من كبار رجال الأعمال والمحامين ، ومعظمهم

تجاوز الستین _ فإن رجال « کنیدی » کانوا من رجال الفکر ، واساتذة الاقتصاد والتاریخ ومعظمهم بین الأربعین والخمسین ، وکلهم بغیر استثناء تقریبا علی مصاف النجوم فی مجالات تخصصهم مثل « ماك جورج باندی » (سیاسة) ، و « کینیث جالبرایث = (اقتصاد) ، و « آرثر شیلزنجر » (تاریخ) ، و = والت روستو = (علوم اجتماعیة) ، و « تشستر بولز = (قانون) = وغیرهم عشرات .

وإلى جانب هؤلاء الذين أحاطوا به في البيت الأبيض _ فإن اختياراته للمناصب الرئيسية في إدارته بدت براقة ، خصوصا في وزارة الدفاع التي عين لها « روبرت ماكنمارا » ، ووزارة الخارجية التي عين لها « دين راسك » .

كان ■ كنيدى » يتكلم لغة حية ، ويطرح أفكارا فوارة ، وكان التليفزيون الملون الذى بدأ عصره على أوسع نطاق هو الآخر قد وجد فيه ، وفرزوجته « جاكلين » نفس مادة وعنصر النجوم ، وصنع منهما صورة باهرة تشد أي خيال . وكان لدى الاثنين استعداد للاستجابة . وهكذا فإنه عندما تمت عملية صنع رئيس للولايات المتحدة ، وسيدة أولى للبيت الأبيض سنة ١٩٦١ ـ جرت أيضا عملية ميلاد نجمين « جون ■ و « جاكى » ا

ولقد كان عنصر الشك الوحيد فى تلك الأوقات الحافلة هو: « أين « جوزيف كنيدى » والد الرئيس فى هذا كله ؟ » إن « جوزيف كنيدى » العجوز كان مليونيرا التوت به المسالك والمقاصد ، فجمع أموالا ضخمة من ألاعيب البورصة وسراديب الصفقات ، وكانت الرئاسة هى حلمه الذى لم يتحقق له ، وأصبحت رغبته الحارقة أن يحقق بأحد أبنائه ما عز عليه أن يحققه لنفسه ، وكان الشائع _ وربما شبه المؤكد _ أن ثروة « جوزيف كنيدى » هى التى مولت الحملة الانتخابية لابنه « جون كنيدى » .

وإذن فإن عنصر الشك يعود فيصوغ نفسه في تساؤل عما إذا كان المشهد الرائع للشباب والجمال، والفكر والثقافة للادارة الجديدة يمثل صورة أصيلة، أو أنها في واقع الأمر صورة مزيفة خلقتها قدرة المال حين يشترى وسائل العلاقات العامة، فيصنع انطباعات ليست وراءها طبائع!

ويبدو أن الرئيس الجديد كان يقظا لهذه الشكوك والتساؤلات ـ فقد حرص على أن يحتفظ بمسافة بينه وبين والده « جو » ، وفى الوقت الذى كان فيه الابن يسبح تحت الأضواء الساطعة كان الأب حريصا على الانزواء فى الظلال ، ومع ذلك فقد نسبت إليه كل البقع الداكنة التى بدت وسط الأضواء . فقد نسب إليه على سبيل المثال أنه السبب فى بقاء « ادجار هوفر » مدير المباحث الفيدرالية مع الرئيس الجديد ، رغم أن كثيرين كانوا ينتظرون ويأملون فى سقوطه بعد أكثر من ثلاثين سنة فى منصبه

الذى هدد منه كل الرؤساء لأنه كان يعرف عنهم اكثر مما ينبغى ، وهذا اعطاه حصانة هما قبل . كذلك بقى في منصبه « ألان دالاس » مدير المخابرات المركزية ، وقبل إن سبب بقائه هو نفس سبب بقاء « هوفر » . ومع ذلك فإن الأضواء شدت الجميع ، وبلكأت بقع الظل ، وإن لم يلتفت إليها الناس كثيرا في غمرة التحفز للتغيير .

بدا كما لو أن البيت الأبيض الجديد يعمل بكامل طاقته منذ اللحظة الأولى لانتقال السلطة ، وربما من قبلها .

واختار « كنيدى " لرئاسته شعارا معبأ بالإيحاءات ، ففى حين كان شعار إدارة « ايزنهاور " هو " شعار الاستقرار » _ فإن شعار إدارة « كنيدى " اصبح الحدود الجديدة ، أو الآفاق الجديدة » ، وكانت حدود العالم تتسع فعلا ببداية عصر الفضاء ، وعصر الثورة الصناعية الثانية .

وبعد ايام في البيت الأبيض أعلن أن الرئيس الجديد على موعد مع « نيكيتا خروشوف » في فيينا بعد شهرين .

كُان السوفيت كعادتهم مع كل رئيس أمريكي جديد قد قرروا اختباره ، وكان • كنيدى " من جانبه يشعر أنه مستعد للاختبار وجاهز له ، وكانت أداة التمهيد للاجتماع بينهما قد تمت بالفعل في أثناء اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، حبن قدمت الجمهورية العربية المتحدة مشروع قرار يدعو القوتين الأعظم إلى لقاء على مستوى القمة من أجل محاولة جديدة تصون السلام العالمي . ولم يتيسر عقد هذا اللقاء بعد هذه الدعوة مباشرة لأن حادثة إسقاط طائرة التجسس « يو ٢ ، وما أعقبها من صدام بين « خروشوف » و « ايزنهاور » في باريس سمم العلاقات بين الرجلين نماما ، بحيث أضحى من المستحيل عليهما أن يحاولا ولو على الورق بالأتصالات وعمليات جس النبض والتمهيد . وعلى أي حال ، فقد كانت رئاسة " ايزنهاور " عند الفروب ، وكان الأفضل ترك الفرصة معلقة حتى يحين موعد شروق جديد . وبعد اقل من اسبوع على بدء رئاسته اعلن « كنيدى » أنه أصدر أمرا بوقف كل عمليات التجسس فوق الاتحاد السوفيتي ، ورد « خروشوف » بأن أصدر قرارا بالافراج عن انسن من ضباط طائرة من طراز « ب ٤٧ » سقطت فوق الاتحاد السوفيتي . وبالفعل ، فقد بدأ الترتيب بين الاثنين للقاء في فيينا في منتصف مايو ١٩٦١ . وقد انتهى الاجتماع إلى الفشل ، فد « خروشوف » كان ما زال عدوانيا ف مزاجه ، و • كنيدي » كان لا يزال طريا في عوده لأن قدراته لم تكن قد استوعبت بعد حقائق القوة اللازمة لأداء دوره .



كنيدى يحيى خروشوف عند وصوله للسفارة الأمريكية ﴿ فيينا لبدء المحادثات بينهما

وقد توصل « كنيدى » ومستشاروه حتى من قبل اجتماع « فيينا » إلى اعتقاد ن الوقت ليس ملائما بعد في العلاقات الأمريكية السوفيتية ، وأن أمام القوتين الأعظم مرحلة شقاق قبل أن تتضح المسائل لكى تفتح الطرق إلى مرحلة وفاق - وبالتالى فإن العمل دون مستوى القمة الدولية هو الآن أجدى وأولى .

ولقد كان ذلك ضمن توجهاتهم من قبل اجتماع «فيينا »، وجاء اجتماع «فيينا » ليؤكده لهم .

والحقيقة انه منذ البداية كان الرئيس الأمريكي الجديد وكوكبة مستشاريه يرون أن العالم الثالث هو المجال المفتوح ، والمسرح المهيأ للتنافس بين القوتين الأعظم ذلك لأن المسرح الأوروبي كان قد ثبت على نحو أو آخر . وفي نفس الوقت فإن بلدان العالم الثالث التي برز دورها على طول المسافة والمساحة من باندونج إلى نيويورك في اجتماع الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ـ وتشوق شعوب هذه الأمم إلى الحرية والتنمية يخلق

ساحة جياشة بالأمال والطموحات تتفتح فيها فرص لكسب النفوذ، وكسب الأصدقاء، وبالتالى التاثير في الموازين العالمية القلقة.

وإلى جانب كسب الأصدقاء والنفوذ في العالم الثالث ، فقد كان «كنيدى » ومستشاروه يعتقدون أن هناك خللا في موازين القوة لابد من تعديله قبل التفاوض مباشرة مع الاتحاد السوفيتي يملك تفوقا في قوة الصواريخ يعطى سبقا على الولايات المتحدة . وكانت هذه هي اللحظة التي فكر فيها «كنيدى » في إرسال إنسان إلى القمر في ظرف عشر سنوات بحيث يكون من ذلك إعلانا لا يحتمل الالتباس على أن الولايات المتحدة الأمريكية قد سبقت ، أو على الأقل لحقت .

هكذا بعد شهرين من رئاسته ، أصبح أمام «كنيدى » هدفان يريد الوصول إليهما :

قلب العالم الثالث، وسطح القمرا

كانت ثلاثة من بلدان العالم الثالث تقوم بدور المقدمة والطليعة والقوة الضاربة معا وهي : الهند ، ويوجوسلافيا ، والجمهورية العربية المتحدة .

وقد اختار « كنيدى » لكل عاصمة من عواصمها سفيرا غير تقليدى يعكس اختياره اهتماما غير عادى بجعل علاقته بها علاقة مباشرة مع البيت الأبيض .

اختار « كينيث جالبرايث » سفيرا إلى الهند (و « جالبرايث » أشهر علماء الاقتصاد في الولايات المتحدة وحتى الآن) .

واختار « جون كينان » سفيرا إلى يوجوسلافيا (و « كينان » هو الدبلوماسي الدي فلسف للحرب الباردة في نظريته الشهيرة عن الاحتواء) .

واختار « جون بادو » سفيرا إلى الجمهورية العربية المتحدة (و « بادو » واحد من أبرز رجال التعليم ، وكان لسنوات قبلها مديرا للجامعة الأمريكية فى القاهرة) .

وفى الفترة ما بين إعلان انتخابه فى أوائل نوفمبر ١٩٦٠ وحتى توليه السلطة يوم ٢٠ يناير ١٩٦١ خصص = جون كنيدى » جلستين من جلسات = تحديد خطوط السياسة العامة » لإدارته _ والتى عقدت فى بيت والده على شاطىء البحر فى هيانسبورث ، _ لبحث العلاقات مع بلدان العالم الثالث ، وقد توصل مع مجموعة مستشاريه إلى تحديد الخطوط التالية :

١ ـ مع إدراك أن مساحة العالم الثالث واسعة ومتنوعة ، فإن هناك ثلاثة من البلدان المفاتيح لابد من التركيز عليها وهى : الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة .

٢ - إن التعامل مع هذه البلدان الثلاثة يجب أن يجرى ليس بمقتضى العلاقات الثنائية معها ، ولا باعتبار اتصالها بمشاكل إقليمية محددة بموقعها من العالم ، وإنما يجب أيضا مع هذين المستويين إضافة مستوى ثالث هو اعتبار دور كل منها على النطاق العالمي وفي مجال التأثير الدولي .

٣ ـ إن زعماء هذه البلدان الثلاثة : " نهرو » و " تيتو » و « ناصر » ـ وربما آخرون غيرهم مثل « سوكارنو » في اندونيسيا ، و « نكروما » في غانا ـ إذا أحسوا أنهم على صلة مباشرة مع الرئيس « كنيدى " فإن ذلك من شأنه أن يكون اعترافا أمريكيا بحقهم في المشاركة في أوضاع العالم بعد فترة طويلة من الإنكار الأمريكي لهذا الدور جاءت بآثار سلبية على سياسة الولايات المتحدة .

وكان التقدير الأمريكي أن جزءا من نجاح سياسة « خروشوف » في العالم الثالث هو أنه خلق جسورا مباشرة بينه ، وبين الزعماء الجدد ، وأن هذا ما يتعين على رئيس الولايات المتحدة الجديد أن يفعله .

وكانت السياسة الجديدة بغير مصاعب غير عادية فى حالة الهند و« نهرو » ، وفى حالة يوجوسلافيا و « تيتو » ، ولكنها فى حالة الجمهورية العربية المتحدة و « جمال عبد الناصر » كانت فى مواجهة صعوبات .

وقد حضر « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية اجتماعا في « هيانسبورث » مع الرئيس الجديد ومستشاريه ، وشرح لهم مجمل الأوضاع في مصر ، وملخصا لأحوال العلاقات معها ، وقد عقد هذا الاجتماع بشكل غير رسمى في الحديقة الشتوية للبيت ، وليست هناك وثيقة تسجل وقائعه فيما عدا مجموعة نقاط كتبها « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى للرئيس (في أول مرة استحدث فيها هذا المنصب) وفيما يبدو فإن « آلان دالاس »(۱) تحدث عن خطين متوازيين للسياسة الأمريكية :

- □ اولهما خط مساعدة ، جمال عبد الناصر » في المواجهة الدائرة بينه . وبين الاتحاد السوفيتي والشيوعية العربية .
- □ والثانى خط ردع « جمال عبد الناصر » عن تحويل مصر إلى قوة استراتيجية في المنطقة تضر بمصالح الغرب فيها بمجرد دعوتها وعملها على استقلالها ، لأن الاستقلال في حالة مصر لا يمكن إلا أن يكون ضد الغرب باعتبار أن المنطقة داخلة في إطار نفوذه التقليدي .

وقد لخص « ماك جورج باندى » الموقف من مصر بقوله :

ا إن عداء ناصر للاستعمار سوف ينسحب على الغرب ، وضمنه الولايات المتحدة الأمريكية .

ثم إن قيادة ناصر للحركة القومية العربية ، سوف تعبر عن نفسها في العداء لاسرائيل بالدرجة الأولى . »

وقد أضاف « آلان دالاس » : • إن تنفيذ مشروع السد العالى قد يجعل مصر تنبهر بالنموذج الشيوعى للتنمية على غرار ما حدث في الاتحاد السوفيتي والصين » .

ورد عليه « أرثر شليزنجر » قائلا :

« إننا لا ينبغى أن نفرض عليهم نموذج حياتنا ، وفي نفس الوقت فإن السوفيت لن يستطيعوا أن يفرضوا عليهم نموذج حياتهم ، والحقيقة أن كلا النموذجين ليس ملائما لهم » .

ثم ركز « ألان دالاس » على دور السعودية باعتبارها » موطن الثروة في العالم العربى » ، ثم ركز على دور إسرائيل باعتبارها « مركز قوة الردع في العالم العربى » ، ثم أوضح المشقة الكبيرة أمام السياسة الأمريكية حين يكون عليها ان تحافظ على » موطن الثروة » قريبا جدا منها ، وأن تحافظ في الوقت نفسه على ، فوة الردع » في متناول يدها مباشرة .

وكانت لدى « كنيدى » ثلاثة أسئلة محددة :

- هل أن «ناصر يمثل بالفعل موجة المستقبل في العالم العربي ؟ وكان الرد : نعم ا
- هل يمكن عزل السياسة مع الجمهورية العربية المتحدة عن تفاعلات
 العلاقة مع إسرائيل ؟ وكان الرد : لا !

⁽¹⁾ مقابلة لـ « محمد حسنين هيكل » مع « مك جورج باندى » فى فندق « سميراميس » بالقاهرة مساء يوم اول يونيو ١٩٨٨ ، ومقابلة مع « ارثر شليزنجر » فى نيويورك فى شهر نوفمبر ١٩٨٨ ، إلى جانب إشارات وردت فى دراسة هامة قام بها الجنرال « موردخاى جازيت » مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية ، وهى منشورة ضمن مجموعة اوراق معهد « شيلواح » قى القدس سنة ١٩٨٣ .

● هل نستطيع استحداث لغة في التخاطب مع الجمهورية العربية تتجاوز مفردات الحرب الباردة ؟ وكان الرد : محتمل !

وعندما اثير موضوع الثورة الجزائرية ، وجد « كنيدى » في الدائرة القريبة المحيطة به رجلا متحمسا للثورة الجزائرية ، ومؤمنا بانتصارها ، وهو مستشاره الصحفى « بيير سالنجر » (۲) الذى كان نصف فرنسى بالمولد ، وكان قد تعرف إلى كثيرين من المناضلين الجزائريين في باريس عن طريق زوجته « نيكول سالنجر » ، واستمع إليهم وتحاور معهم ، وعرف عن طريقهم بمدى الدعم الذى تقدمه الجمهورية العربية المتحدة للثورة الجزائرية ، ومدى ارتباط زعماء هذه الثورة بالقاهرة .

. \square

كان «جمال عبد الناصر » يتابع الرئيس الجديد للولايات المتحدة باهتمام » وكان له كما سبق القول ـ قد شاهد إحدى مناقشاته التليفزيونية في أثناء الحملة الانتخابية عندما كان هو نفسه في نيويورك خلال انعقاد الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ـ وقد أحس بتعاطف معه بأكثر مما أحس تجاه منافسه ، وهو يومها « ريتشارد نيكسون » نائب الرئيس » ايزنهاور »(٣).

وقد جاءه السفير الأمريكي في القاهرة « فردريك رينهاردت » يوم ١٩ يناير ١٩٦١ يحمل له رسالة وداع من « ايزنهاور » نصها كما يلي :

« البيت الأبيض ـ ١٩ يناير ١٩٦١

إننى قبل أن أترك منصبى وجدت نفسى مدفوعا إلى أن اكتب لك خطاب وداع شخصى ، فخلال السنوات التى خدمت فيها كرئيس للولايات المتحدة اسعدنى أن أتعاون معك فى كثير من الأهداف المشتركة الهامة للسلام وللعدل فى العالم ، وسوف اتطلع دائما إلى صداقة معك برضا عميق .

خلال اتصالى بك تمكنت من ان اكسب رؤية مرضية للشخصية القومية للجمهورية العربية المتحدة ، ولجوهر قوتها وعظمتها . ولسوف اظل اتابع احوالكم باهتمام وتعاطف شديدين .

واؤكد لك صداقتي واحترامي.

المخلص دوایت ایزنهاور •

وقرأ « جمال عبد الناصر » رسالة » ايزنهاور » بينما السفير » رينهاردت » ما زال جالسا أمامه ، وحين فرغ من قراءتها كانت ملاحظته للسفير :

« لقد كانت بيننا خلافات كثيرة ، ولكنه كرجل مستقيم استطاع اخيرا أن يرى بعض اللمحات الصادقة عن ظروفنا ، ومن سوء حظنا انه ما كاد يتعرف على الصورة حتى انتهت مدة رئاسته ، ويظهر ان هذه ستكون مشكلتنا معكم باستمرار . كل أربع سنوات علينا ان نشرح احوالنا ولو حتى بالصدام لرئيس جديد في البيت الأبيض » .

وراح « رينهاردت » يتحدث عن الرئيس الأمريكي الجديد ، وكيف انه اقرب سنا إليه (أي إلى الرئيس « عبد الناصر ») وبالتالي فإنه سوف يكون أقدر ، وأسرع على الفهم مما كان « ايزنهاور » .

ثم أشار « رينهاردت » إلى أنه من المحتمل أن الرئيس الجديد سوف يختار سفيرا جديدا له في القاهرة ، وأن اختيار السفير الجديد سوف يعكس توجهات الرئيس الجديد على الأرجح . ثم أبدى أنه لا يعرف بعد من هو السفير الجديد ، وأن علينا أن ننتظر لنرى .

ولم ينتظر « جمال عبد الناصر » طويلا ليرى ، فبعد شهر واحد من دخول « كنيدى » إلى البيت الأبيض ، أى يوم ٢٠ فبراير ١٩٦١ ، بدأ « جمال عبد الناصر » سلسلة المراسلات الشخصية الطويلة ، والمباشرة بينه وبين الرئيس الأمريكي « جون كنيدى » .

وكانت القضية التى بدأ فكتب بشأنها إلى « كنيدى » هى « أزمة الكونجو « وكانت هذه المشكلة قد تفاقمت إلى أبعد من حدود الكونجو فسالت مضاعفاتها إلى المريقيا ، ومنها إلى بقية أنحاء العالم بما أثرت به على الأمم المتحدة ، فكرة وتنظيما واداء خصوصا في أوقات الأزمات ، ذلك أنه بعد مقتل « لومومبا » تقدم جيش الكولونيل « موبوتو » فقام بحل برلمان الكونجو المنتخب ، واعتقل بقية أعضاء حكومة الاستقلال ، وجرى ذلك كله تحت علم الأمم المتحدة ، وفي أثناء عملها في الكونجو .

وبدأ نص خطابه إلى «كنيدى ، كما يلى :

« عزیزی الرئیس کنیدی

لقد وجدت لزاما على أن اكتب إليكم في هذه الظروف الدقيقة مدفوعا بثلاثة عوامل تشغل بالى وتثير قلقي .

□ أولها: الماساة المؤلمة التي وقعت في الكونجو حتى وصل بعد الجريمة

⁽٢) حوارات متصلة مع «بيير سالنجر» ﴿ نيويورك وباريس والقاهرة والأقصر.

⁽٣) كان لسفير الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن وهو الدكتور « مصطفى كامل » رأى أخر ، وقد عبر عنه علنا ، فأتهم « كنيدى » بأنه موال لإسرائيل .

بصبلاحیات واسعة ، و کذلك « دین راسك » وزیر الخارجیة الأمریکی الجدید الذی مضی فی دلهی بضبع ساعات عائدا من اجتماع فی بنکوك . وقال « نهرو » فی رسالته :(°)

عزیزی الرئیس ناصر

التقيت بالسيد هاريمان سفير الرئيس كنيدى مطلق الصلاحيات ، واجريت عدد الحديث طويلة . وقابلت بعد ذلك السيد دين راسك وزير الخارجية الجديد في الحكومة الأمريكية الجديدة . وقد تناقشنا مناقشات مستفيضة في قضايا كثيرة بينها موضوع « لاوس » والحالة في الكونجو . وقد اوضحت لهما ان الادارة الجديدة لابد لها كأولوية اولى ان تعمد إلى تقوية الامم المتحدة .

ولقد احسست إحساسا لا يداخله شك في أن الادارة الجديدة في واشنطن ، وبالذات الرئيس كنيدى ، على وشك إدخال تغييرات كبيرة على السياسة الامريكية ، وأن هذه التغييرات سوف تكون في الاتجاه الصحيح . ولكنى لا استطيع أن أقرر إلى أى مدى ستصل هذه التغييرات ، لكنى اعتقد أنها سوف تؤدى بشكل ما إلى تخفيف حدة التوتر الدولى . وقد شعرت بارتياح عندما فهمت من زائرى أن هناك اتجاها للتعامل مباشرة مع الاتحاد السوفيتي (٢) فيما يتعلق بنزع السلاح وغيره من المسائل ، وكل هذا مفيد في حد ذاته ، ولكن السؤال يظل قائما عن المدى الذي يصل إليه في النهائة .

تذكر انك وعدتنى بإرسال السيدة قرينتكم وابنائكم إلى الهند ، ونحن في انتظارهم ، وسوف يلقون منا كل رعاية عند حضورهم .

لك أحسن التحيات وافضل التمنيات.

المخلص جواهر لال نهرو »

وفی یوم أول مارس ۱۹۶۱ جاء رد « کنیدی » وقد جاء فیه ما نصه :(۷)

عزیزی الرئیس

لقد قرات باهتمام عميق خطابك إلى بتاريخ ٢٠ فبراير بشان الموقف في الكونجو . وإنى لاحترم الدوافع التي حدت بك إلى الكتابة إلى ، كما اقدر اهتمامك الكبير بتسوية الأزمة في الكونجو في إطار الأمم المتحدة . ومنذ وصلني خطابكم ، فلعلكم

الوحشية التى وقعت فيه باغتيال باتريس لومومبا ـ إلى حافة الحرب الاهلية . وهو الأمر الذى يجب تجنبه مهما كانت الظروف باعتبار ما يمكن ان ينشا عن ذلك من أخطار على سلامة الشعب الكونجولى ، وعلى سلامة شعوب افريقيا عموما . وتاثير ذلك على السلام العالمي .

□ وثانيها : الموقف العصيب الذي صارت إليه أعمال الأمم المتحدة في الكونجو ، وضياع الأمال الكبرى التي كنا نعلقها على هذه التجربة التي كانت تبدو لنا في بدايتها سابقة مشجعة ترسم طريقا جديدا في تطوير الدول التي لم تحصل على فرصتها في النمو ، وتعطيها عونا رشيدا متجردا عن المطامع الاستعمارية يقودها إلى غد افضل . وإنه لمن المهم في هذه اللحظة أن نفرق جميعا بين الأخطاء التي ارتكبت باسم الأمم المتحدة وتحت علمها ، وبين ما تمثله هذه المنظمة بالنسبة للشعوب جميعا في هذه جميعا في هذه اللحظات إلى محاولة جادة ومخلصة لاعادة الهيبة والاحترام لهذه المنظمة التي تمثل في راينا احتمال السلام الوحيد في جيلنا الذي نعيش فيه .

□ وثالثها: فإن الصدمة التى تلقتها شعوب افريقيا المتطلعة إلى املها بعد ليل استعمارى طويل، لابد لها على الفور من تصحيح صادق وامين. فإن المرارة التى تشعر بها هذه الشعوب التى تابعت بمزيج من الحزن والغضب ما حدث لاستقلال الكونجو المهدد بالضياع، وما حدث لحكومته الشرعية ممثلة في البرلمان، وهى نفس الحكومة التى اخذت على عاتقها مسؤولية دعوة الأمم المتحدة لمساعدتها مفذه المرارة لا ينبغى ان تترك آثارها تدفع شعوب افريقيا التى كانت تظن منذ اقل من عام انها رأت النور، إلى ظلام يائس يمكن ان تكون له اوخم العواقب. من هذه الاعتبارات الثلاثة، وما تثيره في نفسى وقائعها ونتائجها، وجدت من المستحسن في هذه الأوقات ان اضع امامكم صورة من فكرى....».

ثم مضى « جمال عبد الناصر » يشرح بالتفصيل رأيه فى أزمة الكونجو ، وأزمة الأمم المتحدة ، وأزمة أفريقيا . وقد أشار فى معرض ذلك إلى مقارنة بين دور الأمم المتحدة والولايات المتحدة فى أزمة السويس ، ودورهما فى أزمة الكونجو ، واستخلص من ذلك دروسا ، واقترح حلولا تفصيلية .(٤)

وقبل أن يصله رد « كنيدى » تلقى رسالة من « نهرو » الذى كان بدوره يحاول استكشاف أمر الرئيس الأمريكي الجديد ، والذى اتيحت له فرصة لم تتح لـ « جمال عبد الناصر » « فقد تصادف في ذلك الوقت أن مر على دلهي كل من « افريل هاريمان » السفير المتجول فوق العادة الذى عينه « كنيدى » ممثلا له في الأزمات الدولية

ورسالة ، نهرو ، تحمل ارقام ٢١١-٩٣٨١/61 أ ملفات رئاسة مجلس وزراء الهند .

١) لم يكن قد اعلن بعد عن اجتماع «كنيدى » و « خروشوف » الذى جرى بعد ذلك ف فيينا وفشل .

٧ | اصل هذه الرسالة [ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منها في ارشيف وزارة الخارجية .

^(1) رسالة « جمال عبد الناصر ، الأولى إلى « كنيدى ، مودعة بارشيف منشية البكرى ، وهناك إشارة ق اسفلها تفيد بإرسال ثلاث نسخ منها إلى وزارة الخارجية .

تلاحظون ان الموقف في هذا البلد قد تحسن كثيرا عما كان عليه عندما كتبتم إلى . فقد صدر قرار عن مجلس الأمن يمكن للأمم المتحدة من استعادة الهدوء السياسي ، وإمكانيات العيش الاقتصادى لهذا البلد الذي مزقته الآلام . وإنني لسعيد أن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية العربية المتحدة صوتتا جنبا إلى جنب لصالح هذا القرار فاتحين بذلك مرحلة من الفهم والتعاون المشترك للفترة القادمة .

إنني الاحظ أن حكومتينا اختلفتا في الماضي ، وما زالتا مختلفتين في الحاضر على بعض جوانب الموقف المعقد في الكونجو وفي غيره . ولكني في نفس الوقت سعيد بأن اسباب الخلاف لم تمنعنا من إيجاد ارضية مشتركة . وإني لسعيد باهتمامكم بدعم هيبة وسلطة الامم المتحدة وقد لاحظت في خطابكم انكم تحدثتم عن مسؤوليات خاصة تشعر بها حكومتكم تجاه هذه المنظمة . ولعلكم لاحظتم أنني في خطاب تنصيبي رئيسا للولايات المتحدة ، وعدت بأن الولايات المتحدة سوف تعطى كل تابيدها للامم المتحدة ، ولميثاقها . وإني لاتطلع بالذات إلى الدول غير المنحازة واثقا انها تستطيع ان تعطى الأمم المتحدة الدعم الذي تطلبه . إن الولايات المتحدة تستطيع بمفردها أن تحمى مبادئها ومصالحها ، ولكن نظام الأمم المتحدة قائم بالدرجة الأولى لحماية امن ومصالح الدول التي تحتاج إلى جهد جماعي . إن هذه الدول التي يهمها بالدرجة الأولى نظام الأمم المتحدة لابد لها أن تقدم على دعمها لهذا النظام العالمي الذي يستطيع اكثر من غيره حماية امنها وسلامتها . وأنا وأثق أن حكومتكم بتاييدها لقرار مجلس الأمن ، وبمساعدتها للأمم المتحدة قد قامت بدور هام وإيجابي في تدعيم قوة الحفاظ على السلام في العالم . ولقد اسعدني أن اشعر من خلال خطابك بالتزامك الشخصي بهذه المهمة . وإنى لانتهز هذه الفرصة لأقدم لكم تقديري الشخصي واصدق امانيّ.

المخلص جـون كنيدى .

ولم يقدر لهذه العبارات الرقيقية «ولا لهذه النوايا الطيبة بالعمل على تدعيم الأمم المتحدة ـ أن تعيش طويلا . ففى أوائل أبريل ـ أى بعد أيام قليلة من رد « كنيدى » على « جمال عبد الناصر » ـ كانت العواصف تهب على البحر الكاريبي .

كان « آلان دالاس » قد أعد خطة لغزو كوبا عرضها على « ايزنهاور » المتحمس دائما للغزو من الداخل . واقر « ايزنهاور » الخطة فى أواخر مدة رئاسته . وعندما التقى بخلفه فى البيت الأبيض « جون كنيدى » كان بين الأسرار التى أفضى بها إليه وهو يسلمه مقاليد الرئاسة _ خطة غزو كوبا التى كان الاعداد لها قد سار شوطا بعيدا . وعندما دخل « كنيدى » إلى البيت الأبيض كان « آلان دالاس » فى حاجة إلى تصديق جديد على الخطة من الرئيس الجديد . وناقش « كنيدى » ومستشاروه خطة

العمل المباشر في كوبا التي كانت قد راحت تطالب بجلاء القوات الأمريكية عن قاعدة وجوانتانامو » وتؤمم شركات الاحتكار الأمريكية الكبرى ، وتحصل على اسلحة من الانحاد السوفيتي .

وتشير الوثائق الى أن « كنيدى » لم يكن متحمسا لخطة غزو كوبا ، فقد بدت له مر كافية للخلاص من حكم بنى لنفسه قواعد شعبية واسعة . وراح « دالاس » يلع لإنساعه مستشهدا بنجاح المخابرات المركزية في إجهاض ثورة الكونجو ، واغتيال ، لومومبا » ، وكان إصراره أن شعبية أى زعيم في العالم الثالث لا تستطيع أن تقف امام تحد بالسلاح ، وأن الجماهير سرعان ما تغير موقفها فتسقط معبودها القديم إذا مدا لها أن نهايته أصبحت محققة . وكان « آلان دالاس » يكرر كثيرا في تلك الأيام فوله الشهير : « إن قبور الشهداء ، والنصب التذكارية التى يمكن أن تقام لهم ، ودموع العاجزين التى تذرف تحت أقدامهم ليست قوة حقيقية » .

ويؤكد كل مستشارى «كنيدى » الذين كتبرا فيما بعد مذكراتهم (وبينهم منليزنجر » و « سورنسون » و « سالنجر ») أن «كنيدى » ظل حتى اللحظة الاخيرة غير واثق من خطط الغزو التى أعدها « آلان دالاس » . فقد بدت له قوة شراذم الكوبيين المنفيين من أعداء «كاسترو » والذين ارتكزت عليهم خطة الغرو - قوة مبعثرة ينقصها الهدف والإيمان ، كما ينقصها التأييد الشعبى مصرف النظر عن كميات السلاح التى وضعتها المخابرات المركزية في ايديهم وللد احس إحساسا غامضا بأن هدفهم الحقيقى هو أن يبدأوا عملية عسكرية غير ناضجة ، ثم تضطر القوات المسلحة الأمريكية بعد ذلك إلى التدخل بسلاحها عبد النصحة ، ثم تضطر القوات المسلحة الأمريكية بعد ذلك إلى التدخل بسلاحها عبدا رئاسته باستخدام الجيش الأمريكي في عملية مسلحة لغزو كوبا . فلم يكن يبدأ رئاسته باستخدام الجيش الأمريكي في عملية مسلحة لغزو كوبا . فلم يكن للك في سياسته ، ولا كان في مقدوره بسبب موقف السوفيت المؤيد لكوبا ، كما أنه في الوقت ذاته لم يكن يريد أن يفسد احتمالات القمة القادمة بينه وبين الحد في الين دالاس » بان المهمة في مناول اليد ، وأنه ليس عليه إلا أن يأمر فتتم عملية الغزو وينتهى نظام منتول اليد ، وأنه ليس عليه إلا أن يأمر فتتم عملية الغزو وينتهى نظام مناول اليد ، وأنه ليس عليه إلا أن يأمر فتتم عملية الغزو وينتهى نظام مناسرو » الذي جرأ على تحدى الولايات المتحدة بالقرب من شواطئها مباشرة .

وطال تردد « كنيدى » وزاد الضغط عليه ، وخشى فيما يبدو أن يفشل في أول اختبار كبير للقوة تعرض له . وقال هو نفسه فيما بعد : « إن آلان دالاس وضع المسالة أمامي كما لو كانت اختبارا لرجولتي ، ومن سوء الحظ أنني قبلت منهم هذا التصوير للموقف وتصرفت على أساسه » .

وعندما بدأت المخابرات المركزية تنفذ خطتها لغزو كوبا تحقق بالضبط

ما كان «كنيدى » يخشاه . فقد فشلت قوات المرتزقة في تحقيق مهامها منذ الساعة الأولى ، واستنجدت بالجيش الأمريكي . ورفض «كنيدى » وتمكن «كاسترو » من تصفية جيوب المرتزقة التي استطاعت النزول في «خليج الخنازير » .

عندما بدأت عمليات غزو كوبا بعث « جمال عبد الناصر » ببرقية مفتوحة إلى « كاسترو » يقول له فيها : « إن الذي يتعرض له شعب كوبا اليوم جريمة ضد السلام والضمير الحر للانسانية ، وأن أصدقاء الحرية في العالم لن يقفوا موقف المتفرج من هذه الجريمة ضد شعب كوبا » .

كان = جمال عبد الناصر » يتابع الأحداث في دهشة من الطريقة التي يتصرف بها = جون كنيدى » فقد وجدها على عكس كل ما تصوره ، وربما تمناه ، فلقد أحس أن الرئيس الأمريكي الجديد استمرار شاب للرئيس الأمريكي الذي سبقه . كما أنه وجد في المغامرة تلاعبا مخيفا بموازين السلام . وقد لاحظ باهتمام أن الاتحاد السوفيتي وقت اشتداد الأزمة قام بإرسال أول رجل فضاء (« يورى جاجارين ») إلى خارج الغلاف الأرضي وأعاده سالما .

وعندما تلاحقت إنذارات «خروشوف» الموجهة إلى «كنيدى» والتى قال «خروشوف» في أحدها موجها كلامه للرئيس الأمريكى: «إنك تعرض البشرية لحرب عالمية» ـ وجد «جمال عبد الناصر» أن مجموعة الدول غير المنحازة مطالبة بالتحرك السريع.

وكان الرئيس «تيتو » يزور مصر قادما إليها بالبحر عن طريق الاسكندرية ، وأصبحت أزمة كوبا أول بند على جدول أعمال الرئيسين ، وقد بعث إليهما « كاسترو » برسالة يقول لهما فيها : « لقد ضربنا قوات الغزو ، وقمنا بتصفية فلولها ، ولم يبق منها إلا جماعات من الشاردين في المستنقعات تركنا أمرهم للتماسيح » .

ولم يكن فشل الغزو هو الأمر الذى اقتصر عليه اهتمام « جمال عبد الناصر » و « تيتو » ، فقد كان الإقدام على العمل في حد ذاته تحديا لكل المواثيق والمبادىء وبصرف النظر عن النتائج هو الموضوع الذى ألح عليهما . وقد تعرضا له في البيان المسترك الذى صدر عن مباحثاتهما ، وأعلنا أنه يجب اتخاذ إجراءات جماعية لكى لا تتعرض الدول الصغيرة لعمليات غزو من النوع الذى تعرض له شعب كوبا .

وكما فعل «جمال عبد الناصر» في أزمة الكونجو، فكتب مباشرة إلى

• كنيدى » _ كتب « كنيدى » بدوره إلى » جمال عبد الناصر » يرد على موقفه في شأن ازمة كوبا .

وجاء في نص خطاب «كنيدى» إلى «جمال عبد الناصر» ما يأتي :(^)

« البيت الأبيض

واشنطن ٣ مايو ١٩٦١

عزيزي الرئيس

لقد لفتت نظري رسالتكم إلى المستر كاسترو في الثامن عشر من ابريل ، وكذلك البيان الذي اصدرتموه مشاركة مع الماريشال تيتو في التاسع عشر من أبريل . وإني لأوافقكما كل الموافقة على أن الحرية والسلم والإنسانية سيكتب لها النصر النهائي في كوبا . غير أن رسالتكم والبيان المشترك يشيران إلى « العدوان » و « التدخل الأجنبي " اللذين قامت بهما الامبريالية . ومن مضمون القول وسياقه ان هذا حدث من جانب الولايات المتحدة . وقد اشرتم في رسالتكم للسيد كاسترو إلى تجربة بلادكم الخاصة في وقت ازمة السويس سنة ١٩٥٦ . واني لأستعيد في هذا الصدد كتابكم إلىّ في ٢٠ فبراير سنة ١٩٦١ الذي علقتم فيه تعليقا مواتيا على مسلك هذه الحكومة « خلال أزمة السويس ، عندما قامت الولايات المتحدة بتاييد المباديء بغض النظر عن الصداقات » . ودعنى اؤكد لفخامتكم أن الولايات المتحدة لا تقل ولاء لمبادىء العدالة والتحرر في الموقف الكوبي عما كانت عليه في موقف السويس . وإن تجربة حكومتكم في ذلك الوقت ينبغي ان تشكل اقوى اسباب الطمانينة بشان هذه النقطة . وإنى لواثق من أن فخامتكم ستوافقون معى على أن من الأهمية بالنسبة لجميع الذين يعملون للسلام في جميع انحاء العالم أن يفهموا المغزى الحقيقي للأحداث الكوبية الأخيرة . إن الولايات المتحدة ، وهي نفسها امة نشأت بالعصبيان على الحكم الاستعماري ليست غريبة عن أماني الشعوب الأخرى في الحرية والاستقلال . »

ومضى «كنيدى » يشرح فى خطابه لـ «جمال عبد الناصر » قصة نظام • كاسترو » والمقاومة الداخلية ضده ، مما استغرق صفحتين كاملتين فى خطابه . ثم وصل إلى القول :

« لقد حدث فعلا تدخل في الشؤون الداخلية لكوبا . فهناك قوة من خارج القارة تعادى العالم الحر . وقد حاولت هذه القوة من خلال استخدام نظام كاسترو تكثيف الحرب الباردة . ولعلكم تذكرون ما قلته للشعب الأمريكي في العشرين من ابريل من اننا لا نعتزم أن تلقى علينا محاضرات عن « التدخل » من جانب الذين تركوا

 ^(^) اصل خطاب الرئيس ، كنيدى ، موجود في ارشيف وزارة الخارجية ، وعليه إشارة تغيد أن نسخا منه قد ارسلت إلى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وإدارة المخابرات العامة .

بصماتهم بالدم على الشوارع المخربة في بودابست . إن النظام الكوبي ، برغم جهود الولايات المتحدة الصادقة للابقاء على العلاقات الودية على انتهج سياسات معادية تجاه هذا البلد ، وقد تدخل هذا النظام تدخلا صارخا في الشؤون الداخلية للدول الأمريكية المجاورة ، وسعى إلى قلب حكوماتها . وفي هذه المشكلة الخاصة بنصف الكرة الغربي تتحمل الولايات المتحدة مع غيرها من اعضاء منظمة الدول الأمريكية مسؤولية خاصة . وبالتالى فإن المشكلة ليست نزاعا ثنائيا بل هي هم اول من هموم نصف الكرة الغربي كله . •

ثم ختم « كنيدى » خطابه قائلا :

• ولعل الذين ينادون بالاستقلال السياسى للأمم الحرة يطلبون النظر في الفاجعة الكوبية ، ويلوح في أن الحقائق ليست معروفة جيدا وبالقدر الكافي في دوائر كثيرة . ولهذا وتلقاء اهتمام فخامتكم الواضح بهذه المشكلة ، رايت انه من المفيد أن أوضح لكم في جو من الاحترام والثقة المتبادلة قناعاتي الخاصة بشأن معنى الاحداث الكوبية الاخدرة .

المخلص جون ف . كنيدى _"

ولم يسكت « جمال عبد الناصر » ولا كان في مقدوره أن يسكت . وهكذا جلس بعد يومين من تلقيه رسالة « كنيدى » ليرد عليه . وجاء في رده بالنص ما يلي :(١)

• عزيزي الرئيس

لقد تلقيت باهتمام خاص خطابكم إلى بتاريخ ٣ مايو ١٩٦١ والذى دار موضوعه حول الموقف في كوبا سواء من ناحية التصريح الذى صدر عنى بتاريخ ١٨ ابريل ، وكذلك من ناحية البيان الرسمى الذى اعقبه في اليوم التالى صادرا بالاشتراك بين الماريشال تيتو وبينى . وقبل أن استطرد إلى موضوع هذا الخطاب ، فإنى أريد أن اسجل تقديرى للروح التى املت عليكم أن تكتبوا إلى في هذا الموضوع . وإنى العتبرها بادرة طيبة من جانبكم تعزز جهود التفاهم المشترك بين شعب الولايات المتحدة وبين شعبنا . وإنى لاستاذنكم في أن اتحدث إليكم بوحى من قول رسولنا محمد : « صديقك من صدقك لا من صدقك » . ذلك اننى أومن أنه من الزم الإشياء في الظروف التي يجتازها العالم الآن أن يجرى تبادل الرأى بين الذين يعنيهم مستقبله في صدق وفي وضوح . وإنى لامهد بهذا القول لإعفاء نفسى من التقيد باللغة الدبلوماسية التقليدية في حديثي إليكم إيمانا منى بأن دقة الموقف الدولي تستلزم مواجهة الحقائق ، وأن حسن النية المستمد من المبادىء التى نؤمن بها هو تستلزم مواجهة الحقائق ، وأن حسن النية المستمد من المبادىء التى نؤمن بها هو دافعنا الوحيد للاهتمام بما جرى في كوبا ـ يضاف إلى ذلك اننى احسست من متابعتى لحملتكم الانتخابية في الخريف الماضى حينما كنت احضر دورة الجمعية متابعتى لحملتكم الانتخابية في الخريف الماضى حينما كنت احضر دورة الجمعية متابعتى لحملتكم الانتخابية في الخريف الماضى حينما كنت احضر دورة الجمعية

العامة للأمم المتحدة ـ انكم تحاولون مواجهة المشاكل بمنطق شاب ومتحرر . وتتطلعون إلى ما اطلقتم عليه اسم ، الحدود الجديدة . . .

ومضى « جمال عبد الناصر » يروى رؤيته للثورة الكوبية ، ويستذكر لقاءه مع الدكتور « فيدل كاسترو » ثم وصل إلى القول صراحة :

« من واجبى إذن أن أقول لكم إن الانطباع الذى احسسنا به في الجمهورية العربية المتحدة ، وأحس به كثيرون في أرجاء العالم أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عن الاحداث المؤسفة التي جرت في كوبا . ولم يكن الأمر بالنسبة لنا يحتاج إلى جهد كبير ، فإن مجرد قراءة الصحف الأمريكية ومتابعتها ، بل إن متابعة التصريحات الرسمية المنسوبة لعدد من كبار المسؤولين في حكومة الولايات المتحدة كان كافيا ليرسم أمامنا أبعاد التدخل الأمريكي في كوبا ، بل وتفاصيل هذا التدخل إلى دقائقه الصغيرة .

ولست اخفى عليكم أن ذلك كان صدمة كبرى للرأى العام العالمى ، ولكننا نشعر بشرف أن علاج هذه الصدمة لا يكمن في إنكار ما حدث ، وإنما العلاج يكمن في إنكار ما حدث ، وإنما العلاج يكمن في مواجهته بصراحة بغية تجنب تكراره . واحب أن أؤكد لك أن موقفنا كان التزاما طبيعيا بالمبادىء التى نؤمن بها ، ولم يكن هدفنا من هذا الموقف أن نقف ضد الولايات المتحدة ، وإنما كان الهدف الأصيل أن نقف مع معتقداتنا النابعة من ضميرنا الوطنى .»

ثم ختم « جمال عبد الناصر » رسالته بقوله :

« إننى ارجو ان تحمل الملاحظات التى ابديتها جميعا على محملها الصحيح باعتبارها صادرة عن إعجاب عميق بالمبادىء العظيمة التى صنع بها الشعب الأمريكي هذا التقدم الباهر الذي وصل إليه ، وعن تقدير كبير للمسؤوليات التى تحملون شخصيا امانتها تجاه الجنس البشرى وامله في سلام قائم على العدل ، وعن رغبة مخلصة في تقوية اواصر الفهم والصداقة بين شعبينا .

المخلص جمال عبد الناصر •

⁽٩) أصل الرسالة موجود في ارشيف منشية البكرى، وقد ارسلت نسخة منها إلى وزارة الخارجية.



بدون أية مقدمات تلقى « جمال عبد الناصر » من الرئيس الأمريكى « جون كنيدى » يوم ١١ مايو ١٩٦١ خطابا يسأله فيه عن رأيه في الحل المناسب للصراع العربى الاسرائيلي ، وتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . ويضيف « أن الوقت قد حان في رأيه للاعتراف بالحقائق حتى تستطيع المنطقة أن تبنى مستقبلها على أسس من الثقة والتعاون والمصالح المشتركة » .

كانت الرسالة تطلب إزالة التوتر في الشرق الأوسط بإيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وهذا كل شيء! أي أن الهدف كان تصفية آثار الأزمة دون بحث في أسبابها وحقائقها!

وكانت تلك قفزة مفاجئة . كانت المراسلات بينهما من قبل دائرة حول أحداث الكونجو وأزمة كوبا . وفجأة قفز « كنيدى » من مجاهل أفريقيا ، ومن شواطىء الكاريبي إلى أعقد مشاكل الشرق الأوسط . ولقد كان معروفا باستمرار أن كل رئيس أمريكي جديد محكوم عليه بالاقتراب من هذه الأزمة لعدة أسباب :

□ أولها أنهم جميعا يحلمون بأن يكونوا صناع السلام في الأرض المقدسة .

□ وثانيها أنهم جميعا معرضون للتأثير اليهودى وتوجهاته إزاء إسرائيل. □ وثالثها أنهم جميعا يتصورون ضرورة إعادة ترتيب أوضاع المنطقة إزاء الاتحاد السوفيتى، ويريدون شعوبها وأراضيها معا تحت تصرفهم فى الصراع العالمي الكبير.

لكنه بالنسبة لـ «كنيدى » بدا أن أزمة الشرق الأوسط قد لا تقفز إلى مقدمة اهتماماته بهذه السرعة ، فقد كان لديه ما يكفيه من مشاكل فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، كما أن علاقاته مع السوفيت سواء فى المجال السياسى ، أو فى مجال موازين السلاح كانت تفرض عليه أن يعطى الأولوية الأولى لعلاقته مع القوة الأعظم الثانية . وكان فى هذه الأيام المبكرة من شهر مايو يستعد لاجتماعه المرتقب مع «نيكيتا خروشوف » وقد تحدد له يوم ١٥ مايو . واتصالا بذلك فقد كانت لديه مشكلة مع حلفائه الأوروبيين وأولهم الجنرال «ديجول » _ وهؤلاء أزعجهم أن تتحول القمة الدولية من رباعية كما كان مقدرا _ وواقعا _ فى باريس قبل شهور إلى قمة ثنائية فى

مبينا بين «كنيدى» و «خروشوف» وحدهما واخيرا فقد كانت الأزمة الكوبية لا تزال معه بكل تداعياتها .

ومن هذه الاعتبارات كلها ، فإن ردة الفعل الأولى في القاهرة تجاه خطاب كنيدى » بشأن الصراع العربى الاسرائيلي شابها إحساس بالاستغراب ، وثارت ساؤلات عن هدفه الحقيقي من ذلك في هذه الظروف . وتراوحت التقديرات . فقد كان هناك تقدير يراها محاولة لاختبار النوايا بعد الخلافات الظاهرة بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة بشأن الكونجو ، وبشأن كوبا . وكان هناك تقدير يراها محاولة لفرض تحديد المواقف قبل أن يقرر الرئيس الجديد سياساته على الأمد البعيد بالنسبة للمنطقة . كما برز تقدير يراها تكرارا لمحاولات سابقة تتصور أن الفرصة ماسبة الآن وقبل لقاء القمة بين « كنيدى » و « خروشوف » لتأكيد السيطرة الامريكية على المنطقة ، وإخراجها من الترازنات بين العملاقين قبل أية مواجهات محتملة بينهما ، أو أية تسويات ممكنة . وكان إحساس « جمال عبد الناصر » أن الخلاف المحتدم بين القاهرة وموسكو قد يجعل موقف . كنيدى » يتصور أن الخلاف المحتدم بين القاهرة وموسكو قد يجعل موقف . جمال عبد الناصر » أكثر استعدادا للتسوية ، بغية الحفاظ على علاقاته مع الولايات المتحدة ، وتحسبا في نفس الوقت لأية إجراءات قد يتخذها الروس بما في ذلك وقف صفقات السلاح .

وكانت بعض التقديرات التي برزت في القاهرة صحيحة . فقد كان هناك فعلا كما تثبت الوثائق الأمريكية عنصر « اختبار النوايا » ، كما كان هناك عنصر « تحديد المواقف » ، كما كان هناك أيضا عنصر الخلاف مع الاتحاد السوفيتي الذي أعتبره بعض مستشاري الرئيس « كنيدي » عاملا قد يكون مواتيا لدفع « جمال عبد الناصر » إلى « التعقل » .

ولكن واشنطن كانت لديها إلى جانب ذلك تقديرات أخرى ، فقد احتدمت المناقشة بين مدرستين في التفكير والتخطيط:

■ فريق يمثله « تشستر بولن » وكان رايه « أن ناصر حتى هذه اللحظة لا يزال يمثل موجة المستقبل في الشرق الأوسط ، وأن التعامل معه يمكن أن يؤدى إلى فوائد للسياسة الأمريكية في المستقبل القريب على الأقل . فهو من ناحية قوة شعبية كاسحة ، وهو من ناحية ثانية عنصر مقاومة تجاه الشيوعيين والاتحاد السوفيتي لا شك فيه . ثم إنه ثالثا قيادة قادرة في منطقة عاصفة ـ لا بديل لها في المستقبل المنظور . وإذا كان هناك بديل فهو

الفوضى الشاملة التى يستفيد منها الاتحاد السوفيتى اكثر مما تستفيد الولايات المتحدة «. وكان « تشستر بولز « مع ذلك كله يرى ان نفوذ « جمال عبد الناصر » في الحركة القومية العربية « وبعد الوحدة مع سوريا قد زاد بأكثر مما هو مرغوب فيه _ ومع ذلك فإن القضية برمتها تقتضى اقصى حالات الحذر في معالجتها .

■ وفريق آخر يمثله «ليندون جونسون » نائب الرئيس الأمريكي الذي هرعت إليه عناصر وكالة المخابرات المركزية المؤمنة بحتمية التعاون مع إسرائيل = إلى النهاية = وفي مقدمتها = جيمس أنجلتون » مساعد مدير الوكالة الذي كان من رأيه أن «ناصر » لا يمكن الاعتماد عليه = وأن أي تعاون معه لن يكون من شأنه إلا المساهمة في زيادة نفوذه . وكانت مجموعة = جيمس أنجلتون » في وكالة المخابرات المركزية قد حققت لنفسها مجالا واسعا للعمل في الشرق الأوسط ، وأعطت نفسها الحق ـ بالتعاون مع عدد من شركات البترول ـ في العمل مباشرة في المنطقة «لتقليص نفوذ ناصر » تطبيقا للخط السياسي التقليدي المنادي بعزل مصر عن المنطقة تمهيدا لتوجيه ضربة مباشرة إلى القاهرة ، وباعتبار أن ذلك هو وحده الكفيل بضمان المصالح الأمريكية فيها .

كانت هذه المجموعة قد وجدت في «ليندون جونسون » حليفا قويا في البيت الأبيض ، وأصبحت تتصور أنها تستطيع بواسطته أن تمد تأثيرها إلى أعلى مستويات صنع القرار الأمريكي . والواقع أن «ليندون جونسون » كان بالنسبة لهذه المجموعة هو الشخص المناسب في المكان المناسب في اللحظة المناسبة .

وقد أبدى «ليندون جونسون» في عديد من المناسبات التي جرت في مجلس الأمن القومي في تلك الفترة ـ وكرر آراء مفادها أنه « ينبغي قص ناصر إلى حجمه الطبيعي ، وأن الفرصة الآن مواتية بسبب خلافه مع السوفيت من ناحية ، وبسبب الصراع بينه وبين عبد الكريم قاسم في بغداد من ناحية ثانية ، وبسبب الحساسية المتزايدة ضد « طموحات ناصر » من جانب العروش التقليدية _ يضاف إلى ذلك أن الأوضاع في سوريا ، وهي الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ، « تموج تحت السطح بقلاقل وتيارات تفتح فجوات وثغرات في صفوف ناصر بمكن استغلالها » . »

قرا ، جمال عبد الناصر ، رسالة « كنيدى » عدة مرات ، وأطال التفكير فيها ، مرات عليها بخط يده مجموعة تأشيرات على النحو التالى :(١٠)

١ _ تاشيرة موجهة إلى السيد : سامي شرف » نصها :

ا سامى ـ ترسل نسخة سرى للغاية وشخصى إلى : بغدادى ـ المشير ـ كمال الدين حسين دو الفقار على صبرى ـ الدكتور فوزى ـ حسين دو الفقار صبرى ـ صلاح نصر ـ محمود رياض . ويطلب من كل منهم أن يجهز ملاحظاته على الرسالة .

إمضاء جمال عبد الناصر»

۲ _ تاشیرة موجهة إلى السید « على صبرى » نصها :

السيد على صبرى :

مطلوب تحليل للموقف الأمريكي كله والسياسة الأمريكية الجديدة . المضاء

جمال عبد الناصر -

۳ ـ وتاشيرة ثالثة موجهة إلى السيد « سامى شرف » مرة اخرى نصها :

يطلب من المخابرات العامة أو حاتم توزيع ترجمة لكل ما كتبه كنيدى وما الفه، وتوزع على الأسماء التي سترسل إليها الرسالة.

إمضاء جمال عبد الناصر »

وكان أول رد تلقاه « جمال عبد الناصر » من الذين أرسلت إليهم صور من رسالة « كنيدى » هو مذكرة أولية كتبها الدكتور » محمود فوزى » وزير الخارجية

⁽۱۰) مجموعة هذه الرسائل والمذكرات موجودة في ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة كاملة من الملف الذي بموى المجموعة في ارشيف وزارة الخارجية . تعطى هذه التأشيرات صورة حية لعملية صنع القرار السياسي في عصر ، جمال عبد الناصر ، فقد كان كل قرار في السياسة الخارجية يعتمد على تقديرات اربع جهات رسمية هي ، مؤسسة الرئاسة ـ وزارة الخارجية ـ وزارة الدفاع ـ هيئة المخابرات العامة ، إلى جانب اى عدد من المسؤولين أو الخبراء الذين يكون اختصاصهم متصلا بموضوع القرار . وكانت التقديرات تطلب دائما مكتوبة ، وباى قدر من التفصيل يراه اصحابها ، كما انه كانت توضع تحت تصرفهم كل المعلومات اللازمة لبلورة المكارهم

بأسلوبه المتميز المعروف ، وقد كتب الدكتور « فوزى » ف مذكرته بالحرف يقول :

« السيد الرئيس

(1) هذه رسالة إغراء ماهرة ، ولها في نفس الوقت وزنها غير الهين كوثيقة سياسية هادفة ، وإن فاتها التوفيق حين غالت في ذكر فضل الولايات المتحدة ومبادىء سامية عبر عنها قادة أمريكيون قدامي وامتهنها قادة أمريكيون معاصرون ، وحين بالغت في الترغيب عن طريق المادة ، ثم حين غضت الطرف عن طوفان المعونة الأمريكية لاسرائيل .

(ب) كان طبيعيا أن تفترض الرسالة بقاء إسرائيل.

(جــ) كلامها عن العودة ، أو التعويض للاجئين العرب لم يات صريحا في أن الخيار في ذلك لهم .

وقد لا يكفى لازالة ما تثيره تلك المجانبة من شكوك ما جاء من إشارة لقرارات الامم المتحدة ، إذ أن في طيات الرسالة محاولة ماكرة لاستدراجنا إلى طريق الانزلاق والمساومة والتنازل عن الحقوق .

 $(\, \iota \cdot \,)$ تعمدت الرسالة الا تذكر حقوق العرب ، وأن تقصر الاشارة على « صالحهم وخيرهم $_{*}$.

(هـ) واضح أن هذه الرسالة جزء من حملة هجوم أمريكية ، قد يكون خير دفاع من جانبنا إزاءها هجوما نختار نحن وقته ونوعه ومداه وأسلوبه . ويجدر بنا فيما يتصل بالناحية الكلامية أو التفاوضية أن نرتكز إلى حقوق العرب ، ووجوب ردها إليهم كاملة ، ولسنا عند ذلك في حاجة إلى التصريح بوجوب زوال إسرائيل .

كذلك تدعو الحال ، كما تدعو السليقة إلى الاحتفاظ لجانبنا بطابع الحزم والعقل ، وبالمودة المتبادلة مع كل من يمدون إلينا يدا صديقة ولا يناصبوننا عداء .

(و) من المفيد معرفة ما إذا كانت قد ارسلت رسائل مشابهة إلى رؤساء دول في منطقتنا غير الجمهورية العربية المتحدة، والتفكير في ان نعلم بعض الدول الصديقة العربية وغيرها بما يجرى في المناسبة الحالية. وقد يرى التفاهم على ان ننتهج وهذه الدول خطة من شانها الافادة من الكرة التي القي بها كنيدى إلى الميدان، والمزيد من إبراز حقوق العرب، ومن الضغط على إسرائيل، وكشف نواياها الشريرة للعالم، وتاليب دوله عليها.

п

إمضاء محمود فوزی ۱۹۲۱/٥/۱۸ »

وبعد أيام قليلة كان الدكتور " محمود فوزى " قد عرف الاجابة عن السؤال الدى طرحة في مذكرته إلى " جمال عبد الناصر " ، وهو السؤال الخاص بما " إذا خالت قد أرسلت رسائل مشابهة إلى رؤساء دول في منطقتنا غير الجمهورية العربية المحدة " . والذي حدث هو أن " كنيدى " بعد أيام من رسالته لـ " جمال سد الناصر " بعث برسائل مشابهة إلى عدد من رؤساء الدول العربية . وكتب السيد " حسين ذو الفقار صبرى " نائب وزير الخارجية في ذلك الوقت مذكرة إلى الرئيس " حسال عبد الناصر " أحالها إليه الدكتور " محمود فوزى " وزير الخارجية ، وكان مصها كما يلى :

« السيد الرئيس

 ١ - نحن نعلم الأن أن الرئيس كنيدى أرسل في الاسبوع الماضى رسائل مشابهة للرسالة التي وصلتكم إلى عدد من ملوك ورؤساء بعض الدول العربية.

٢ - ثم برز فجاة أن كنيدى قام بنشاط واسع في هذا النطاق ادى إلى أن يقترح الملك
 سعود دراسة تلك الرسائل في مجلس جامعة الدول العربية .

٣ ـ باطلاعى على محاضر الجلسات التى دارت حول هذا الموضوع ، وجدت ان ممثلى الدول العربية (لما قارنوا بين بعض هذه الرسائل) فطنوا إلى ان كنيدى ينوى أو يفكر في مبادرة الدول العربية باقتراح حل لمشكلة اللاجئين داخل إطار معين محدود على أساس فكرة حل هذه المشكلة وحدها فتنهار القضية الفلسطينية من أساسها .

٤ - أما لو كان كنيدى قد قصر اتصالاته على الرسالة الموجهة لكم ، فكان يمكن الظن بانها محاولات منه لتفهم وجهة نظرنا ، ولكن الأسلوب الذى اتبعه ينفى هذا الظن الآن ويشير إلى نية مبيتة .

وباطلاعى على محاضر جلسات الجامعة العربية وجدت ايضا أن الدول العربية مالت إلى الوقوع في الفخ الذي نصبه كنيدى ، وخاصة إذا لاحظنا ما جاء في اقوال بعض المندوبين وأهمها ما يلى :

(1) ماذا نقول لو جرى استفتاء ورفض اللاجئون العودة ؟

(ب) إن كنيدى وضعنا في مازق، فكيف الخروج منه؟

(جـ) ماذا نقول وكنيدى يبنى اقتراحاته على قرارات الأمم المتحدة ؟

(فيما يتعلق باللاجئين)

٦ - ولا شك أننا نعلم جميعا أن مداولات الجامعة لا يمكن الاحتفاظ بسريتها ، وأن هذه الروح الانهزامية ، والتي تسلم بأننا في مازق سيكون لها أثر على تشجيع أمريكا على المضى قدما في خططها .

٧ ـ هذا علاوة على ما جاء على لسان بن جوريون من ان كنيدى عرض عليه اقتراحا
 لحل مشكلة اللاجئين ، وان بن جوريون وجد الاقتراح معقولا

٨ ـ ولذا فإنى ارى انه يجب على الجمهورية العربية المتحدة في مثل هذه الاجتماعات عدم تشبجيع هذه الروح الانهزامية ، بل المبادرة باتخاذ موقف مضاد قوى .

٩ ـ واول ما يتحتم عمله هو إيجاد الوسائل التى تخرج المعركة من الميدان الذى حاول كنيدى أن يفرضه علينا (أنها قضية لاجئين) .

10 ـ واعتقد أن معالجتنا للموضوع يجب أن تتناول تاكتيكا أخر على ضوء ما ظهر من أن كنيدى وسع ميدان اتصالاته في هذا الموضوع مما يوحى بأنه مقدم على خطوة ما .

إمضاء حسين ذو الفقار صبرى »

ولم يشأ * جمال عبد الناصر * أن يتعجل في الرد على رسالة * كنيدى * فقد راح يفكر فيها على مهل ، ويتابع في نفس الوقت وبقدر ما يستطيع حركة تيارات تحتية تجرى في العالم العربي ، ويظهر منها قليل ، وكثير خاف لا تراه العيون .

وفى اليوم الأول من شهر أغسطس ١٩٦١ أي بعد قرابة ثلاثة شهور على تسلمه رسالة «كنيدى» بعث إليه برده عليها .

وفي مقدمة رده كتب « جمال عبد الناصر » بالنص :(١١)

« عزیزی الرئیس جون ف . کنیدی

لقد تلقيت بمزيد من الارتياح والتقدير خطابكم إلىّ بتاريخ ١١ مايو ١٩٦١ ، والذى تفضلتم فيه بإثارة بعض جوانب المشكلة ذات الأهمية البالغة ، والخاصة ، بالنسبة للأمة العربية على اختلاف شعوبها ، وهى ـ دون شك ـ قضية فلسطين .

وإذا كنت قد تأخرت في الرد على هذا الخطاب ، فلقد كان باعث التأخير هو إعطاؤه ما يستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتانية .

ولعل مبعث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيت خطابكم ، كما اشرت في العبارة الأولى من هذا الخطاب ، اننى كنت من جانبى اقلب النظر في فكرة الاتصال بكم بشان نفس هذه القضية التى اثرتم في خطابكم بعض جوانبها .

ولقد كان فكرى في الاتصال بكم يرتكن على مجموعة من العوامل

□ اولها: أن ما تم بالفعل من تبادل المراسلات بيننا في عدد من مختلف المشاكل العالمية كان واضحا في دلالته على أنكم تحاولون فتح أبواب التفاهم ـ وإبقائها مفتوحة ـ بينكم وبين عدد من الشعوب الأخرى التي تولى قضايا السلام اهتمامها الأول ، حفاظا على هذا السلام وصونا للجنس البشرى مما يتهدده من اخطار .

□ ثانيا: أن قضية فلسطين ، وما تفرع عنها من مشاكل هي ، بجانب كونها من القضايا الرئيسية التي تمس السلام العالمي مباشرة في عصرنا ، فهي في الوقت نفسه ذات اتصال وثيق بالعلاقات ما بين شعبينا ، واحب هنا أن أضيف أنني لا أربط احتمالات التفاهم بيننا بضرورة التقاء وجهات نظرنا في هذه المشكلة على نحو كامل التطابق ، وإنما الذي اقوله هو أنه من الأمور الحيوية في هذا الصدد أن تكون لدى كل منا صورة وأضحة للحقيقة ، بقدر ما يمكن أن يبدو منها إنسانيا من وراء ضباب الزمان ، ودخان الأزمات .

□ ثالثا : اننى تابعت باهتمام كل مرة تعرضتم فيها لهذه المشكلة سواء فيما القيتم من خطابات في الكونجرس حين كنتم تمثلون ولاية ماساشوستس ، او ما صدر عنكم خلال حملة انتخابات الرئاسة ، ولست اخفى عليكم اننى قبل ان يصلنى خطابكم كنت _ من تاثير فكرة الاتصال بكم في موضوع فلسطين _ احاول ان استشف صورة لموقفكم منه خلال سطور كتابكم عن استراتيجية السلام . ولقد كان استشف صورة لموقفكم منه خلال سطور كتابكم عن استراتيجية السلام . ولقد كان احساسى بما قرات عنكم مباشرة ، او بما نسب إليكم في هذا الموضوع _ يجعلنى اعتقد ان هناك زوايا كثيرة في المشكلة تستحق مزيدا من الضوء .

على انى برغم هذا كله تصورت انه ربما كان المناسب ان ارجىء الاتصال بكم في هذا الأمر باعتبار ما كان يواجهكم من مشاكل ضخمة ذات طابع ملح ، وعاجل في الميدان الدولي .

ومن هنا ـ كما قلت لكم ـ اثار ارتياحى انكم اخذتم المبادرة ، وكتبتم إلى في بعض زوايا الموضوع الذى كان بودى ان احدثكم من جانبى في صورته الكاملة كما نراها هنا على الناحية العربية . ولست اريدا ان املاً هذا الخطاب بالوثائق ومعانيها ، والقرارات واحكامها ، فذلك كله قد يكون له مجاله ، وإنما انا هنا احاول ان انقل إليكم تصورنا العام للمشكلة . واسمح لى ان اؤكد لك ان هذا التصور لا يقوم على اساس عاطفى ، وإنما ما حدث ماديا هو اساسه الوحيد . »

ثم مضى « جمال عبد الناصر » بعد ذلك في خطابه الذى استغرق سبع عشرة صفحة كاملة يشرح لـ « كنيدى » كل مراحل تطورات القضية الفلسطينية ، وارتباط مصر بها في إطار انتمائها العربي القومي ، كما تعرض لكل انصالاته بهذا الشان مع الحكومة الأمريكية .(١٢)

⁽۱۱) اصل الرسالة واجزاء كثيرة منها بخط « جمال عبد الناصر » موجودة 🖟 ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منها 👢 ارشيف وزارة الخارجية .

ودعا «كنيدى = إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى جرى فيه عرض رد = جمال عبد الناصر » على رسالته . كان واضحا لجميع الحضور أن « جمال عبد الناصر = لن يقبل بتسوية للصراع العربى الاسرائيلي على أساس أن القضية الفلسطينية هي مجرد قضية لاجئين . وكان الرأى الغالب في نهاية مناقشات طويلة أنه من الأفضل السياسة الأمريكية أن تتحرك في الشرق الأوسط في هذه الفترة بعيدا عنه ، وأن تطورات الأحوال في المنطقة « قد تخلق ظروفا تفرض عليه أن يتعقل أكثر في تحديده لمواقفه » . وبالتالي فإن على الولايات المتحدة أن تركز جهدها أو بمعنى أصح تنشره بعيدا عن القاهرة ، ثم تعود إليها فيما بعد في ظروف أكثر ملاءمة . وكان على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن تصنع ، أو تساهم في صنع هذه الظروف الأكثر ملاءمة . ويروى « جيمس أنجلتون » أنه في هذا المناخ حصل على أول تفويض مفتوح له بالعمل والتصرف والتنسيق مع أي طرف يراه مستعدا وقادرا .

وكانت قرون الاستشعار في إسرائيل يقظى ومتحفزة!

والغريب أن ذلك كله كان بالتحديد تقدير « جمال عبد الناصر » نفسه ، وهو يتابع ساحة عربية بدت له حافلة ومعبأة على الآخر .



فى صبيف سنة ١٩٦١ كانت القوى التى تنادت بالهجوم على الجمهورية العربية المتحدة تضم فرقا شتى لا يجمعها غير العداء لدولة الوحدة . وسواء كان هناك تنسيق مخطط بين هذه الفرق ، أو أن الهدف المشترك جمعها معا بغير تنسيق مخطط ـ فقد كان ما يلفت النظر أن مواقع الهجوم كانت دائما هى نفس المواقع .

كان التركيز باستمرار على مجموعة من الادعاءات أظهرها:

- امتناع الجمهورية العربية المتحدة عن التصدى الفورى بالسلاح لمحاولات إسرائيل تحويل مياه نهر الأردن .
- ◄ الديكتاتورية الناصرية ◄ التي لا تستهدف غير التمكين
 لسيطرتها ١

- التسلط الفرعوني ، الذي يمسك باقدار سوريا تحت دعوى الوحدة العربية !
- « سلب أموال الناس » بادعاء التحول الاشتراكي بما صحبه من قرارات التأميم!
 - « زج الأبرياء في السجون وتعذيبهم داخل أسوارها « .
- « الابتعاد عن الدين والاقتراب من الالحاد » بالتركيز على مشاكل الدنيا ، وإهمال العالم الآخر .

وكان التوجه فى كل هذه الادعاءات يركز بصفة أساسية على سوريا باعتبار أنها الحبهة الأضعف فى دولة الوحدة . والغريب أن الفرق التى تجمعت للهجوم حوت حليطا متنافرا ضم الملكيين والشيوعيين ، وجمع لفترة من الوقت على الأقل بين اللخيين والسوفيت !

والواقع أن الحركة على هذه الخطوط جميعا بدأت مبكرا ، ومن قبل صيف ١٩٦١ . ففى أواخر سنة ١٩٥٩ كانت جماعة « مصر الحرة » قد نقلت نشاطها إلى مداد وتقدم تقارير الاستماع إلى إذاعة بغداد نماذج مريبة لخطوط الهجوم على الممهورية العربية المتحدة من مواقع متعددة :(١٢)

- في ١٠ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالحرف: « إن الدين يسكتون على تحويل مياه الأردن هم المسؤولون عن ضياع حقوق العرب . واول هؤلاء المسؤولين هم حكام القاهرة » !!
- وفي ١٢ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالحرف : « إن هكام الجمهورية العربية المتحدة يساومون فرنسا على شعب الجزائر الصامد ، وهم يبيعون الثورة في مقابل تسهيلات مصرفية مع بنوك فرنسا باتفاقية حصلت فيها القاهرة على ٢٣ مليون جنيه » !!
- وفي ١٨ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا أخرجاء فيه بالنص: « في القاهرة ودمشق ترتكب الجرائم، وتهدد الأنفس البريئة، وتمثل المهازل الدامية، وتحاك المؤامرات ضد الأفراد وضد الشعوب. وفي القاهرة وقبل أكثر من عام كان الصنم الأكبر يحملق بعينيه صوب العراق المتحرر »!!
- وق ١٩ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص : = إنهم

⁽١٣) نقارير استماع صادرة عن وزارة الإرشاد القومي .

يحشرون المئات من شعبنا في السيارات السوداء مخترقة شوارع القاهرة والاسكندرية والاسماعيلية إلى سجون الفيوم والقلعة ، وإلى السجن الحربى الرهيب "!!

- وفى ٢١ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص: « إن النهج الناصرى في سوريا العربية ليس إلا مظهرا من مظاهر القضاء على حرية وانطلاق الشعب السورى. إن الديكتاتور المصرى حل الأحزاب الوطنية السورية ، والغى حرية التفكير ، وأنهى إرادة السوريين لكى يفرض عليهم كلابا وجواسيس يكتمون أنفاسهم »!!
- وفي ١٥ يناير ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص: « هؤلاء الفراعنة الأقزام جاءوا اليوم ليبشروا باستعمار جديد، وليعيدوا أمجاد الفراعنة الغابرين باسم القومية العربية »!!
- وفي ١٩ يناير ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقا آخر جاء فيه بالنص: « إن سوريا تعانى أزمة اقتصادية طاحنة . ولم يجد ديكتاتور القاهرة حلا إلا أن يعقد مع أمريكا اتفاقية تحصل سوريا بها على ١٥٠ ألف طن قمح وشعير ، وهو أمر يدعو إلى الأسف » !!
- وفي ١٥ نوفمبر ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه : إن هناك مهزلة تجرى في سوريا ، فقد جرى تخفيض رواتب ضباط الجيش السورى ، وتمت تسريحات شملت ١٥٠٠ ضابط من أخلص الضباط الوطنيين »!!
- وفي ١٦ يناير ١٩٦١ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص: « وغدا .. غدا القريب نظهر سوريا من جرائم الفاشست والحكام الخونة ... ارفع يدك عن سوريا يا جمال ... ارفع يدك أيها الجلاد عن الشعب السورى ... الموت والخزى والعار يا جمال ... ارفع يدك يا سلطان الاحتكارات عن ولاية سوريا = !!

وكان الملك «سعود » يتحرك بأسلوب آخر ، فبعد فترة صمت أعقبت انكشاف المحاولة الفاشلة لرشوة « عبد الحميد السراج » حتى يقوم بانقلاب على الوحدة ف فبراير ١٩٥٨ ـ تلقى « جمال عبد الناصر » رسالة غريبة من الملك « سعود ■ جاء فيها بالنص ما يلى :(١٤٠)

ا من سعود بن عبد العزيز ال سعود إلى حضرة صاحب الفخامة السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة حفظه الله حضرة الآخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

ارجو لسيادة الأخ موفور الصحة والعافية ، وان يديم المولى علينا نعمه ويوفقنا لما فيه الخير والصلاح إنه سميع مجيب .

راجعنى كبار المشايخ والعلماء في البلاد بخصوص ما اطلعوا عليه جميعا في الصحف المصرية من وجود فكرة لدى بعض الأوساط في مصر لتلحين القرآن العظيم على بعض الألات الموسيقية وانغامها . وافلدوني انه حصل لهم اضطراب وتشويش عظيم من ذلك خوفا من أن تحدث هذه الخطوة ثغرة كبيرة في الدين . لقد دعاني هذا الحادث لما فيه من خطورة أن أراجع سيادة الأخ ، والفت نظره راجيا منه لما اعلم فيه من حصافة الرأى ، وصدق العقيدة أن يعمل بنفوذه الكبير على منع هذا الأمر الذي لا ياتي منه إلا التفرقة والشقاق بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، والذي نحن في غني عنه . إني اعتقد بانكم توافقونني بان اعداء الاسلام والعروبة سيجدون في هذا المجال مرتعا خصبا لبث سمومهم القتالة ، وهي فرصة ذهبية لا يجدونها في كل وقت ، وبالأخص في الدور الذي نجتازه نحن العرب ، ولذلك فإني لأرجو مخلصا بان نكون جميعا ممن يحافظ ويدافع عن قدسية كتاب اش ، ويحرص على كرامته من أي عبث يراد به ، وإني لمطمئن بانه سوف لا ينال أحد منه شيئا . وقد وعد وهو اصدق الواعدين ، وقال في تنزيله الحكيم ، إنا نحن نائا الذكر وإنا له لحافظون . .

وفي انتظار ما يطمئن الخاطر في هذا الخصوص.

اخوكم سعود السعود »

وكان واضحا أن الملك «سعود » يريد أن يتصيد شيئًا . فإن الجريدة التي نشرت هذا الخبر في أربعة سطور ما لبثت في اليوم التالي أن كذبته واعتذرت عنه . وقد نم ذلك بالتأكيد قبل أن يقوم « المشايخ والعلماء » بمراجعة الملك .

وكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » على غلاف رسالة الملك تأشيرة قال فيها : « على صبرى : هل ترى الرد على هذه الرسالة أو إهمالها ـ الرد يكون أن هذه المعلومات خاطئة ، ويرسل له البلاغ الرسمى المرفق ـ أو عدم الرد » .

⁽¹⁴⁾ اصل الرسالة موجود في ارشيف منشية البكرى، وقد ارسلت صور منها الى وزارة الخارجية، ووزارة الإرشاد القومى، وإدارة المخابرات العامة، وتوجد صورة من هذه الرسالة والتأشيرات المرفقة بها أن الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٣٣ صفحة ٩٠٠

وتقصيل موضوع الشيشكل ، وهو يعللب باسم الملك إبلاغها للرئيس ، مع اخلص تحياتي وتسليمي .

المخلص انور السادات »

وكانت رسالة الملك المرفقة بالنص ما يلى:

 سبق أن اتفقت مع سيادة الأخ و أخذنا فيما بيننا وعد شرف بأن لا يعمل أحد منا ضد الأخر مهما كانت الظروف والأحوال . بل يجب أن نكون متعاونين في المصلحة العامة وعلى ما يعود بالنفع على بلادنا . وان من يسمع عن الآخر يخبره حالا بما وصل إليه ضد اخيه حتى نقطع خط الرجعة على من يريد الافساد بيننا . وإنى احب ان اؤكد لكم باني على وعدى ولن احنث - لا في الحاضر ولا في المستقبل. وإني مطمئن كل الاطمئنان إلى سبيادة الأخ بانه واثق من وعدى له . وانا منذ شهرين وانا اسمع انه في(١٦) بعض من يريد الاصطياد في الماء العكر بيني وبين سيادتكم ، وان هؤلاء الناس ربما يوحون لفخامتكم بامور القصد منها التشويش بطريق مباشر ، او غير مباشر. وقد تواترت الأخبار لدينا في هذا الموضوع، وأنا على 🚻 بأنه لو كان لتلك الأخبار صدى لدى سيادتكم لأرسلتم لى من ينبئني بذلك حسب الاتفاق . ولكن مع ذلك حرصا منى على ان تسير امورنا على ما اتفقنا عليه احببت ابعث البيكم هذه الرسالة لأؤكد لفخامة الأخ باني لازلت ولن ازال على وعدى ، وامل انه إذا حصل لدى سيادتكم أي التباس بسبب ما ينقل لكم من أهل السوء ، وممن لهم مقاصد خبيثة أن تسالوني عن صحة ما نسب . وأنا كما وعدتكم كسعود ابن عبد العزيز ساقول لكم الحقيقة . وعرفت مما نسب انه ارسل لكم معلومات عن موضوع الشيشكلي وأنَّ مجيئه إلى المملكة كان بناء عن رغبتي ، وأنه طرد من البلاد بامر جهات اخرى ، وهذا خلاف للواقع تماما . فالواقع هو حسب ما جاء 🚺 المخابرات البرقية بيننا وبين المذكور والسلطات المحلية في جدة وهذه المخابرات مع الرسول ، وهذا ما احببت إشعار سيادتكم به لأدلل على صدق نواياى ، وحتى لا يجد أهل السوء مجالا للتلاعب بيننا .

سعود السعود ،

وكانت هناك مجموعة برقيات رسمية مع رسالة الملك.

۱ ـ برقية من « أديب الشيشكلي » إلى الملك (رقم ۲۰۰۱) من جدة : « صاحب الجلالة الملك سعود المعظم

وصلت جدة صباح اليوم الاثنين قادما من البرازيل وحللت في فندق « الكندره » بفية المثول بين يدى جلالتكم . ارجو صدور امر جلالتكم الملكى بما يلزم . ادامكم الله ذخرا .

اديب الشيشكلي =

وكتب « على صبرى » : « أرى أن أسلم السفير السعودى صورة من التكذيب الرسمى ليرفعه هو لسعود « ولا داعى للرد » .

وأضاف • جمال عبد الناصر » إلى ذلك تأشيرة جديدة بخط يده جاء فيها : • أوافق ، وأرى أن تسلم له الجريدة التي نشرت التكذيب .

جمال 🛚 .

П

وفى ديسمبر سنة ١٩٦٠ كانت العلاقات قد توبّرت بين الأمير « فيصل » وبين الملك » سعود » الذى تنازل له عن رئاسة الوزارة فى ظروف انكشاف المؤامرة على الوحدة ، واستحكم الخلاف بين الاثنين .

واستطاع الملك أن يضم إليه بعض الأمراء، واستعاد سلطته من الأمير « فيصل » وشكل وزارة جديدة برئاسته في وم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٠ ، واحتدم الصراع بين الأخوين ا

وبعث الأمير « فيصل » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » رسالة يقول له فيها إنه فوجىء بأن اللواء « أديب الشيشكلي » قد وصل إلى السعودية ضمن محاولات لإحداث قلاقل في سوريا . وأنه أمر بطرده من المملكة .

ويبدو أن الملك « سعود » عرف بأمر هذه الرسالة . وهكذا أوفد ممثلا خاصا له هو الشيخ " سرور الصبان » ليقابل « جمال عبد الناصر » حاملا رسالة من الملك . ولم يتمكن " جمال عبد الناصر » من استقبال الشيخ " سرور الصبان " الذى وجد طريقه في النهاية إلى السيد « أنور السادات » وكان رئيسا لمجلس الأمة وقتها . وتسلم السيد " أنور السادات » رسالة الملك ، ومعها مجموعة من الوثائق تثبت براءته من موضوع " أديب الشيشكلي " وأرفقها بخطاب منه بعث به إلى المشير " عبد الحكيم عامر " راجيا تقديم الملف كله للرئيس .

وجاء فى خطاب السيد « أنور السادات » الذى كتبه بخطه ما يلى :(۱۰) « سيادة المشير

اتصل بى الشيخ سرور الصبان وقابلنى اليوم ٨ يناير ١٩٦١ وسلمنى المظروف المرفق طيه ، وهو عبارة عن الرسالة الشفوية التي كان الملك قد ارسلها من قبل

⁽١١) هناك اخطاء لغوية وإملائية واردة في الرسائل وقد تركت كما هي طبق الأصل .

⁽١٥) اصل الرسالة ومرفقاتها في أرشيف منشية البكرى ، وقد أرسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، ووزارة الإرشاد القومي ، وإدارة المخابرات العامة .

استلمناه بالفعل وسلمنا له ورقة مرور بعد سحبه بالفعل ، ولم نتاخر عن تسفيره إلا لعدم وجود الواسطة ، وحالا توجه بورقة مرور ، ادام اش بقاكم .

الخادم عبد الرحمن السديري ،

ويبدو أن الملك كان يريد أن يطمئن إلى أن رسالته ووثائقه وصلت إلى " جمال سد الناصر " فاستدعى السفير « حافظ أبو الشهود » سفير الجمهورية العربية المحدة إلى مقابلته وقضى معه ساعة كاملة ، وكتب السفير " حافظ أبو الشهود » ، ه, برا إلى القاهرة وردت فيه النقاط التالية :(١٧)

ا _ استقبلني الملك سعود في مكتبه بالرياض وانفرد بي لمدة ساعة .

٢ ـ طلب إبلاغ السيد الرئيس انه ما زال على عهده « والله على ما نقول شهيد » .

٣ - ذكر أن أناسا نفعيين هدفهم المنفعة الذاتية يسعون إلى الدس والوقيعة ، وقد عرفهم ولن يهيىء لهم فرصة العمل قط .

ا - إبدى جلالته دهشته مما قيل لنا بأن سمو الأمير فيصل هو الذى قام بطرد اديب الشيشكلى ، بينما الحقيقة أن سموه لم يكن يعلم بأى شيء عن الموضوع حتى البلغه الملك منفسه مما حرى .

قال لى إنه يفخر بأنه حكم ١٠ عاما اكتسب منها الخبرة والتجربة ، وتعود على سرعة البت ، وبهذا فإنه انهى موضوع الشيشكلى في يوم واحد .

آ ـ استوضحت من جلالته عن الأخبار التي راجت عن مقابلته لعبد الكريم قاسم ، وأجاب بأن قاسم طلب منذ شهرين الاجتماع بجلالته ولكنه رفض ، ثم طلب مرة أخرى في هذه الأيام ، فرفض جلالته « بزوق » كما قال (كذا ف الأصل) .
 ٧ ـ اكد أنه منع الصحف من التعرض لأخيه فيصل ذاكرا أنه وإن كان فيصل غاضبا الأن « فمسيره أن يرضى يوما ما » .

٨ - تفاخر بأن الوزراء الجدد يجدون في اعمالهم ، ويتواجدون في مكاتبهم من الساعة الثالثة صباحا بالتوقيت العربي .

٩ - ختم المقابلة بقوله: «تستطيع أن تحضر إلى الرياض في أى وقت تشاء، وتبلغنى بما تريد، ويصلك الرد في الحال».

وف شهور صيف ١٩٦١ كانت هناك زيادة ملحوظة في رسائل الملك « سعود » إلى ، جمال عبد الناصر » ، فقد توالت هذه الرسائل في أعقاب بعضها ، وفي بعض الاحيان وصل معدلها إلى رسالة كل يوم ، وكانت لبعض هذه الرسائل أسباب

٢ ـ برقية من الملك « سعود » إلى محافظ جدة الشيخ « عبد الرحم السديري » :

■ عبد الرحمن السديرى .. جدة

وصلتنا برقية من اديب الشيشكلى يذكر انه وصل جدة ، ويطلب مقابلتنا . وانتم ما عرفتونا عن وصوله . وانتم حالا اجعلو (كذا في الاصل) عليه رقابة وامنعوه عن التجول . وقله يقول لك سعود إن وصولك ليس له اى مبرر ولكن اقل ما نعمل معه حالا يرجع من حيث اتى . ومن قبل جوازه السعودى اسحبوه منه . وسلموه للخارجية . واعطوه ورقة مرور .

سعود ،

٣ ـ برقية من الشيخ « عبد الرحمن السديرى » إلى الملك « سعود » :

« جلالة مولاى الملك المعظم

برقية جلالتكم . حالا اعتمدنا امر جلالتكم فيما يختص باديب الشيشكلي ونفذناه . وجعلنا عليه مراقبة قوية . وطلبنا منه تسليم الجواز السعودي ، فامتنع عن تسليم الجواز مفيدا انه يحمل سمة العودة وسمة الاقامة في البرازيل حيث تقيم عائلته وحيث هناك بيته وعياله ، ولا يستطيع العودة بدونه مطلقا . وإن كان لابد من سحب جوازه ، فإنه يقسم بشرفه إعادة الجواز فور وصوله إلى البرازيل . وقد الزمناه بتسليم الجواز منتظرين امر جلالتكم . اطال الله بقاكم .

الخادم

عبد الرحمن السديري »

٤ ـ برقية من الملك « سعود » إلى محافظ جدة الشيخ « عبد الرحمن السديرى » :

« من قبل امتنع ادیب الشیشکلی عن تسلیم الجواز السعودی ، وقسمه بشرفه بإعادة الجواز السعودی عند وصوله إلى البرازیل باطل . فادیب قد سبق ان اقسم بشرفه بان یعید الجواز ولم یعیده حسب وعده . فانتم نفذو (کذا ف الاصل) الامر واستلمو (!) منه الجواز السعودی علی کل حال بدون ای مراجعة منکم واعطوه ورقة مرور وسفروه حالا .

سعود .

٥ ـ برقية من الشيخ = عبد الرحمن السديري » إلى الملك « سعود » :

جلالة الملك المعظم

حسب امر جلالتكم ابلغنا اديب الشيشكلي ضرورة تسليم الجواز السعودي وقد

⁽١٧) أصل التقرير موجود في ارشيف وزارة الخارجية ، وقد ارسلت نسخ منه إلى رئاسة الجمهورية .

صحيحة ، ولكن بعضها الآخر بدا مقصودا في حد ذاته كوسيلة لزيادة معدلات الاتصال .

كان السبب الصحيح الواضح في تلك الأيام هو الأزمة التي تعرضت لها دولة الكويت التي حصلت على استقلالها ، وتقدمت بطلب الانضمام إلى عضوية الجامعة العربية وسط ترحيب من العالم العربي كله لم يخرج عنه إلا اللواء « عبد الكريم قاسم " الذي أعلن في بغداد يوم ٢٥ يونيو ١٩٦١ أنه سوف يصدر مرسوما جمهوريا باعتبار الكويت قضاءً عراقيا تابعا للواء البصرة . وأعلنت الكويت يوم ٢٦ يونيو حالة الطواريء ، وحشدت ما كان لديها من قوة على حدودها لمواجهة أي تحركات عسكرية مفاجئة معلنة أنها سوف تدافع عن استقلالها . وأعلن " جمال عبد الناصر » أن الجمهورية العربية المتحدة ترفض منطق الضم بين البلدان العربية . وهي الجمهورية الوحدة ، فإنها ترى أن الشرط الأساسي لتحقيقها هو شرعية صدورها عن إرادة شعبية لا شك فيها . وأما منطق الضم والغزو ، فليس أمام كل المؤمنين بالوحدة إلا مقاومته ، ولو بالقوة عند الاقتضاء .

وأعلن « عبد الكريم قاسم » فرض حصار على الكويت يشمل المياه والمواد الغذائية أيضا . ووجد العالم العربى نفسه في مواجهة أزمة تضاف إلى أزماته ، خصوصا وأن « عبد الكريم قاسم » أبلغ « عبد الخالق حسونة » (باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية بأن حكومته سوف تنسحب من الجامعة إذا قبلت الكويت عضوا فيها .

وبدأت رسائل الملك «سعود » تتوالى . ففى يوم ٢٧ يونيو ١٩٦١ بعث إلى « جمال عبد الناصر » بخطاب جاء فيه : « إننا نعتمد عليكم في رتق هذا الفتق الذي لا يستفيد منه إلا أعداء العرب راجيا أن تروا رأيكم السديد الذي يحول دون هذا الأذي » .

وبينما القاهرة تعلن استعدادها لارسال قوات إلى الكويت للحفاظ على استقلاله ، قامت إسرائيل بحشد قواتها على حدود سوريا . وفي يوم ٢٩ يونيو ١٩٦١ بعث الملك «سعود » إلى « جمال عبد الناصر » يقول له : « علمنا اليوم نبأ الحشود الصهيونية التي تجمعت على خطوط الهدنة في الاقليم الشمالي ، وتتبعنا هذه الأنباء ببالغ القلق والاهتمام ، ونرجو التفضل بإخبارنا بالطريقة التي ترونها بحقيقة الحال ، وهل تقدرون أن هذه الحوادث مقدمة لأعمال واسعة النطاق من جانب العدو حتى نتخذ للأمر عدته » .

وفى ٣٠ يونيو ١٩٦١ بعث الملك «سعود» برسالة مطولة إلى «جمال عبد الناصر» أشار فيها إلى التوتر أمام الخطوط السورية ، وإلى أزمة الكويت ، ثم

اساف في نهايتها عنون ونحن كما تعلمون فخامتكم نتشاور و إياكم دواما في مثل هذه الطروف ومن أجل هذه الغاية راينا أن نوفد إلى فخامتكم وزير خارجيتنا أبراهيم السويل ليطلعكم على أرائنا ، وليقف على ما يكون لكم من رأى في الموقف على خطوط الهدنة في الاقليم الشمالي ، وفي الوضع بالنسبة للخطر الذي يتعرض له الكويت من تهديدات يثيرها اللواء عبد الكريم قاسم .

والله نسبال أن يجنب العرب شر أنفسهم، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل ».

وق ٢ أغسطس ١٩٦١ بعث الملك « سعود » برسالة إلى « جمال عبد الناصر » مصله فيها علما بلقاء له تم مع الملك « حسين » في الرياض قبلها بأيام ، وجاء في رسالة الملك « سعود » بالنص :(١٨)

- اريد ان احيط فخامتكم علما بالمحادثات التي دارت بيننا وبين الملك حسين في زيارته الأخيرة في المملكة ، وهي كما يلي :
- □ اولا ـ أبدى الرغبة في التحدث إلينا تأييدا للاخاء والصداقة وتوحيدا للجهود.
- \Box ثانيا \bot أشار إلى أنه يراد من لجنة الخبراء $^{(14)}$ لفلسطين اتخاذ مواقف تساعد على فصل الضفة الغربية عن الأردن .
- □ ثالثا ـ أبدى ملاحظاته على بعض ما ورد في مقررات القيادة العسكرية (للجامعة العربية). العربية).
- □ رابعا ـ تكلم عن موضوع الكويت فقال إنه كان من اول المعترفين بالكويت ، وأرسل وفدا للتهنئة ، وأن ما قام به عبد الكريم قاسم كان مفاجئا له . وأنه مع اعترافه بالكويت واستقلاله وتهنئته له لم يشأ أن يقف موقفا قاسيا من عبد الكريم قاسم حتى لا يزيد من استفزازه وخشى من عاقبة من ورائه ، وأنه عمل على الاتصال به لعله يجد طريقا معه لتوحيد الصف العربي ، كما أنه سعى لديه لعقد اجتماع على مستوى عال لبحث القضية ، فابدى عبد الكريم قاسم أنه لا فائدة من هذا الاجتماع في الوقت الذي تقف فيه الدول العربية موقفها المعارض للعراق ، وأنه

⁽١٨) النص الكامل لرسالة الملك « سعود » موجود لدى ارشيف وزارة الخارجية ، فقد جرى تبادل هذه الرسائل هميمها بالطريق الديلوماسي .

⁽١٩) لجنة الخبراء لفلسطين كانت لجنة منبثقة عن الجامعة العربية ، وكانت تحاول التقدم بتوصيات عن الممه وجود كيان فلسطيني يمثل الشعب الفلسطيني مع التسليم بان الضفة الغربية وديعة تحت مسؤولية السندة الهاشمية الأردنية إلى حين حل مشكلة فلسطين برمتها .

مصر على المطالبة بالكويت وذكر الملك حسين بان دخول الكويت للجامعة العربية ، وحتى وجود قوات عربية تحل محل القوات البريطانية فيه لا يمكن أن يحل المشكلة ، ولابد من إيجاد تفكير في وضع حل يكون العراق طرفا فيه حتى يمكن أن يحل الأمر بشكل يطمأن له . وتساعل عما إذا كان بالإمكان عمل اتحاد بين الكويت وبعض الدول العربية ليساعد في الأمر ، كما أشار بصورة خاصة إلى عتابه على الكويت لأن الأردن لا يحظى من الكويت بمعاونة وهو في خط الدفاع عن الأمة العربية ، بينما الملايين من أموال الكويت مودعة في خزائن البنوك البريطانية .

وقد اجبناه بان موقف قاسم كان موقفا مفاجئا لنا أيضا ، ولم يسعنى عند أول لحظة سمعته إلا أن أبادر بربط مصيرنا بمصير الكويت نظرا للعهد الذى بيننا وبين الكويت من الآباء والأجداد . وكذلك العهد بينى وبين الأخ الشيخ عبد الله السالم . »

وقد أشر « جمال عبد الناصر » بخطه على الرسالة قائلا : « يرد عليه بالشكر على إخطارنا ، ويبلغ عن موقفنا من فلسطين والكيان الفلسطينى ، وأننا لا يمكن أن نستهدف فصل الضفة الغربية » .

كان الملك « حسين » بدوره قد بدأ وكتف رسائله إلى القاهرة . ففي يوم ٢٣ فبراير ١٩٦١ وكان يوافق يوم الثامن من رمضان ١٣٨٠ هـ . بدا أن الملك « حسين » قرر فتح صفحة جديدة مع « جمال عبد الناصر » فبعث إليه دون أية مقدمات بخطاب شخصى طويل بدأه بقوله : « نبعث لسيادتكم بأطيب تحياتنا وأصدق تمنياتنا ، ونحن نتفيا ظلال شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن الكريم » . ثم مضى الملك « حسين » يقول : « وتحت تأثير هذه الذكرى المقدسة ، وما تحييه في القلوب المؤمنة من معان زاخرة بالخير والأمل والتصميم نكتب لسيادتكم " . ثم مضى الملك « حسين » يقول : « ويهمنى يا سيادة الأخ أن تدركوا حقيقة الأسباب التي حدت بنا لكي نكتب إليكم ، وتتفهموا الروح الصادقة التي أملتها ، فنحن يعلم الله كنا وما زلنا قادرين على مقابلة الخير بالخير، والمعروف بالمعروف كقدرتنا إلى دفع الشر إذا فرض علينا بمثله . وقد أعزنا الله في هذه الحياة بالجرأة في الحق ، وفي الدفاع عن أمتنا ، وفي أداء واجبنا نحوها » . ثم مضى يقول: « ونحن وإن كنا في هذه الرسالة ننظر بعين الأمل إلى المستقبل المرتجى لا يفوتنا أن نؤكد حقيقة إيماننا بأن الشعب العربي والأمة العربية ما كانا، ولن يكونا في يوم من الأيام ملكا للحسين بن طلال ، أو لجمال عبد الناصر » . ثم طالت رسالة الملك بعد ذلك عدة صفحات

كان * جمال عبد الناصر * مرتاحا إلى مبادرة الملك ، وقد رد على رسالته يوم ١٢ مارس ١٩٦١ . وعاد الملك يوم ٢ أبريل فكتب إلى * جمال عبد الناصر * يقول ما نصه : * تلقيت بعميق الشكر والتقدير رسالة سيادتكم المؤرخة بتاريخ ١٣ ادار (مارس) ١٩٦١ . ويقينا يا سادة الأخ أن ورودها ، وما فاضت به من مضاعر اخوية ، وما تضمنته من تجاوب خير مع رغبتنا الصادقة في لقاء اشقائنا على صعيد المحبة بدل الجفاء ، والخير بدل الشر ، والثقة بدل الشك ، كل ذلك قد عمرني بالسعادة والأمل * . ثم طالت رسالة الملك بعد ذلك إلى عشر صفحات ، واصاف إليها بخط يده قبل توقيعها بإمضائه كلمة * أخوكم الوفي المخلص * ثم وقع مامصانه : الحسين بن طلال .

ولاحظ « جمال عبد الناصر » أن رسالة الملك المستفيضة تعرضت لكثير من احداث الماضي ، ومع أنه كان مرتاحا إليها أيضا نفس ارتياحه إلى الرسالة الأولى ، فقد فضل أن يكون رده عليها مختصرا . وشرح وجهة نظره في اختصار رده بقوله بالنص : « لست أخفى على جلالتكم أننى خشيت أن يبدو تبادل الرسائل بيننا وكانه مساجلة في الأراء والمواقف ، وهو الأمر الذي أشعر أنه يقلل من الفائدة الإبجابية البناءة لهذه الرسائل . وفي الحقيقة فإنني كنت قد اعتبرت أن دائرة النبادل الفكري بيننا قد تمت ، ونقلت إلى كل منا لمحات من الدوافع المحركة لسياسة الآخر واتجاهاتها . ولم أكن أنوى أن أثقل عليكم برسالة جديدة . ولكنى عندما احسست سواء عن طريق ما نقلته إلينا سفارتنا في عمان ، أو عن طريق تصريحات بعض المسؤولين في حكومتكم ـ أنكم تنتظرون ردا سريعا جديدا منى ـ بادرت فاستدعيت القائم بأعمال سفارتنا في عمان لمقابلتي كي يحمل لجلالتكم هذا الرد . . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » قائلا : « ثم يبقى أخيرا واصاحب الجلالة ما اشرتم إليه في ختام رسالتكم الأخيرة من رغبتكم في الاجتماع بي ـ وإني لأرحب كل الترحيب بالمشاعر الكريمة التي تملي عليكم هذه الرغبة ، مؤمنا أن هذا الاجتماع سوف يسهم في خدمة الأمة التي نؤمن بشرف العمل من أجلها ، ونؤمن أن لها المستقبل العزيز » .

وفى صيف سنة ١٩٦١ أيضا تجددت بطريقة أعنف حملة الاتحاد السوفيتى والاحزاب الشيوعية العربية ضد الجمهورية العربية المتحدة . ووصلت هذه الحملة إلى مداها عندما وقف « خروشوف » في أحد خطاباته ضمن احتفالات أول مايو فتحدث من ان الشيوعيين العرب ، وهم المناضلون الحقيقيون من أجل الاستقلال السياسي والاجتماعي يوضعون في السجون والمعتقلات في الجمهورية العربية

المتحدة ، وأن هذا يعنى ببساطة أن البورجوازية المصرية الحاكمة معادية للتطور الطبيعي للتاريخ .

وبدأت جريدة " برافدا " الناطقة الرسمية بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي تنشر تفاصيل هذه الفظائع التي قالت إنها جرت في سجون الجمهورية العربية المتحدة . فقد نشرت " برافدا » أن زعيما شيوعيا شهيرا هو السيد " فرج الله الحلو » قد قتل بواسطة وضعه على « خوازيق " في سجن المزة في دمشق . وبعث « جمال عبد الناصر » ببرقية إلى " عبد الحميد السراج » يسئل فيها عن الموضوع ، وكانت المفاجأة أن " عبد الحميد السراج » بعث من دمشق يقول إن الموضوع من أوله إلى أخره ملفق لأن « فرج الله الحلو » توفى في بيروت قبل سنتين من قيام الوحدة ، وأن نعيا مستفيضا له نشر في جريدة الحزب الشيوعي اللبناني ، كما أن بيانا رسميا من الحزب عن وفاته صدر عن أمانة سر الحزب الشيوعي اللبناني في حينه . فكيف يأتي ذلك مع ما جاء في جريدة « برافدا » يوم ٩ مايو ١٩٦١ ؟

ولم تسكت « برافدا » وإنما انتظرت يومين لتعلن أن زعيما شيوعيا آخر هو السيد ه رياض الترك » قتل في سجون الجمهورية العربية المتحدة ، وكانت المفاجأة أن صحف لبنان نشرت صورا ، وأجرت أحاديث مع « رياض الترك » ظهر منها أنه ما زال حيا يرزق ، وما زال يمارس نشاطه في بيروت . ونشرت الصحف المصرية نقلا عن الصحف اللبنانية صورا وأحاديث مع السيد « رياض الترك » ، ومع ذلك فإن الحملة لم تتوقف رغم أن نائب وزير الخارجية المصرى استدعى السفير السوفيتي في القاهرة ، ولفت نظره إلى هذا التورط الذي وقعت فيه « برافدا » ووقعت فيه بعدها إذاعة موسكو . (٢٠)

ولقد بلغت دهشة « جمال عبد الناصر » من الاتحاد السوفيتي ، ومن الأحزاب الشيوعية العربية ذروتها في شهر يوليو سنة ١٩٦١ ، ومن الموقف الذي اتخذوه جميعا إزاء صدور قرارات يوليو الاشتراكية الشهيرة في الجمهورية العربية المتحدة . فقد كان موقفهم آخر موقف يتوقعه .

كانت قرارات يوليو ف رأيه خطوة بالغة الأهمية ف التطور الاقتصادى والاجتماعي ف الجمهورية العربية المتحدة . فقد كانت هذه القرارات ف

تقديره تعديلا اساسيا في موازين العلاقات الاجتماعية ، كما انها كانت بداية لمرحلة جديدة في التنمية ، فضلا عن انها بما أكدته من حقوق التأمينات الشاملة ، ومشاركة العمال في إدارة المنشآت وفي أرباحها جاءت بوضع جديد من الديمقراطية الاجتماعية اعتبر نموذجا في العالم الثالث كله . وإلى جانب هذا ، فإن هذه القرارات أضافت فكرتين وجد فيهما « جمال عبد الناصر » حلا لمشكلة الطبقة الجديدة التي بدأت تظهر بعد الثورة . ففكرة منصب واحد للربحل الواحد قضت على تطلع كثيرين إلى مناصب كثيرة _ ومصادر للدخل متعددة _ في نفس الوقت ، كما أن وضع حد أعلى للمرتبات تحدد بخمسة آلاف جنيه سنويا خلق نوعا من العدل بين الحدود الدنيا والحدود العليا للدخول .

ومع ذلك فإن الأحزاب الشيوعية العربية راحت تهاجم هذه القرارات في مدخها ومنشوراتها ، وانتقلت حملة الهجوم بعد ذلك إلى صحف وإذاعات الاتحاد السرفيتي ، وكان مجمل رأى الشيوعيين أن القرارات الاشتراكية هي لصالح الطبقة المتوسطة ، ثم أنها تكرس رأسمالية الدولة ، كما أنها لا تحقق سيطرة البروليتاريا على وسائل الانتاج ، وأخيرا فإن إجراءاتها كانت تقصد إلى تخفيف الضغط عن الطبقات المستغلة ، وليس لتصفية هذه الطبقات ا

وربما كانت أهم الوثائق في هذه الفترة تعليق مطول كتبه « جمال عبد الناصر » محط يده لكى يذاع ردا على حملة الهجوم التى شنها الشيوعيون على قرارات يوليو الاشتراكية . فهو في هذا التعليق المطول ، وضمن رده شرح في واقع الأمر رؤيته الكاملة لحركة الثورة العربية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والانسانية ، كما كار يتصورها(٢٠) .

⁽٢٠) كان الرئيس «جمال عبد الناصر » يعرف اننى على علاقة صداقة مع «ساتياكوف » رئيس تحرير » برافدا » وقد اتصل بى يومها ، وسالنى إذا كان « الأهرام » يستطيع ان يبعث بالراديو صورة لـ « رياض الترك » إلى جريدة « برافدا » ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة في علاقاتنا التى امتنع فيها عن الرد على رسالة وجهتها إليه .

⁽٢١) نظرا لأهمية هذا الرد كوثيقة ، ولأنها مكتوبة بخطيد = جمال عبد الناصر ، فقد وجدت مناسبا نشر فقرات مطولة منها في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٣٤ صفحة ٢٠٠١ . وكان الرئيس : جمال عبد الناصر ، قد ممث إلى بصورة منها قبل إذاعتها ، وطلب رايي فيها ، وبالطبع فقد احتفظت بهذه الصورة ضمن مجموعة اوراقي

الفصل

الانقىسلاب والانقسلاب على الانقسلاب



فجر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ استيقظ " جمال عبد الناصر » على أكبر صدمة وجهت إلى الحركة الثورية العربية منذ بدأت مسيرتها منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٧ وحتى تلك اللحظة . فقد دق جرس التليفون بجوار فراشه في الساعة الخامسة وعشر دقائق ، وجرى إبلاغه بأن هناك حركة انقلابية قامت بها عناصر من الجيش السورى في دمشق ، وأن إذاعة دمشق قد سقطت بالفعل في يد الانقلابيين ، وأنهم أعلنوا منها البيان رقم واحد . وارتدى " جمال عبد الناصر " ملابسه بسرعة ، ونزل إلى مكتبه ليواجه يوما صعبا وحافلا . واكتشف بعد قليل أن مكتبه ليس هو المكان الذي يستطيع منه متابعة الحوادث دقيقة بدقيقة أن مكتبه ليس هو المكان الذي يستطيع منه متابعة الحوادث دقيقة بدقيقة ويتصرف بما تقتضيه تطوراتها . واهتدى إلى أن المكان المناسب لهذه المهمة في هذا اليوم الشاق هو مبنى إذاعة القاهرة الذي يسنطيع منه أن يتابع إذاعة دمشق ، وأن يكون في نفس الوقت على صلة بكل أجهزة الدولة المكافة بمتابعة التطورات أيضا .

والحقيقة أن « جمال عبد الناصر » لم يكن ينبغى له أن يفاجأ بما وقع ف دمشق ، فقد كانت الآفاق حافلة بالنذر توحى كلها وتشير إلى أن شيئا ما يرتب ضد العاصمة الشمالية للجمهورية العربية المتحدة ، وأن القوى

المعادية للثورة العربية داخل المنطقة وخارجها قد ركزت جهودها على اصمة الأمويين العتيدة ولكنه مهما قيل عن ضراوة المؤامرات من الخارج فإن اى مؤامرة من الخارج لا يمكن أن يكتب لها النجاح إلا إذا اعتمدا على عوامل داخلية يمكن استغلالها سلاحا لتوجيه ضربة المؤامرة ورباكان ممكنا إيجاد أعذار له «جمال عبد الناصر» من وجهة نظر انسانية وعلية ولكنه من وجهة نظر سياسية وتاريخية يتحمل نصيبه من أخطاء شارة فيها كثيرون .

وربما كانت أبرز أخطاء « جمال عبد الناصر » في مسؤولية الانفصال الذي وقع ،،،، مصر وسوريا في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ـ هي :

ا - أنه وقع في خطأ الاعتماد على مسلمات قديمة سابقة تكونت للله في مراحل متقدمة ، ولم يعد إلى مراجعتها ما بين وقت و آخر لكي بتالاً من استمرار صحتها وصدقها .

٢ - أنه قبل بتجربة الوحدة مع سوريا من نفس الأوضاع التى التنقضات التى قائمة في سوريا عند إعلان الوحدة . وهكذا فإن التناقضات التى ساعدت على إنهاء الوجود المستقل للدولة السورية ظلت هى نفس العوامل المهددة لدولة الوحدة بعد قيامها - فمجموعات الضباط والأحزاب السياسية التى عجزت عن استبقاء الدولة السورية التي تتهيأ الظروف الموضوعية للوحدة - بقيت هى نفسها بكل تناقضاتها هى العناصر الحاكمة في دمشق بعد دولة الوحدة . ولم يكن مجرد نيام الجمهورية العربية المتحدة قادرا بالفعل أو بالواقع على فتح صاحة الجمهورية العربية المتحدة قادرا بالفعل أو بالواقع على فتح صاحة جديدة في التاريخ . وإنما ظلت الصفحة التى فتحت بعد الوحدة اتصالا منطقيا بالسياق الطبيعي مع الصفحة التى سبقتها .

٣ - أن التفكير والعمل وفق مدرسة " ليدل هارت " (أى الاخلاق والتقدم وتطويق الجيوب في المؤخرة - وهو الاسلوب الذى اللهه " جمال عبد الناصر » في كثير من المواقف) كان لابد أن يعقبه تطهير لهذه الجيوب التي تركت في الخلف خصوصا إذا كانت هذه الجيوب واقعة بالجغرافيا بعيدا عن المركز - وكان هذا ما لم يحدث بالضبط في تجربة الوحدة . فقد تقدم بسرعة ، واخترق وطوق وترك جيوبا كليرة لما بعد ، ولم يعد إليها لكي يعالج خطرها ، وإنما راح يواصل تقلمه وهي في مؤخرة خطوطه تؤدى دورها ، وتؤثر بالتاكيد على حركنه

ا - أن واحدة من أهم المشاكل التي واجهها في سوريا ، وإلى حد كبير أل مصر هي مشكلة أي نظام يسمح لآماله أن تتعدى وسائله . وبهذا فإنه يجد نفسه معتمدا في دفع التطور على أجهزة الدولة ، فإذا هي تقوم بدور لم تتهيأ له ، وقد حدث شيء من ذلك في سوريا ، وتصرف عدد من الضباط المصريين الذين أحاطوا بالمشير ، عبد الحكيم عامر » وبقيادته في دمشق في قضايا لم يتهيأوا لها .

ه _ أن * جمال عبد الناصر » وقع في محظور يقع فيه كثيرون غيره من الثوريين إذ يعتمدون على الجماهير بطريقة تكاد تكون غيبية ، ناسين أن الجماهير مهما كانت حماستها لا تستطيع أن تفعل شيئا أمام قوة السلاح . كما أن هناك فترات في تاريخ الشعوب يحدث فيها أن تتمكن قلة من المغامرين من أن تجر وراءها كتلا من المغافلين .

7 - أن « جمال عبد الناصر » أحب سوريا على وجه اليقين ، لكنه لم يستطع النفاذ إلى قلب تركيبتها الخاصة ، ومن ثم فإنه وإن وصل إلى عواطفها لم يتمكن من التخاطب مع عقلها ، وربما قاس في دمشق بمعيار ما كان يعرفه في القاهرة . ولم تكن أداة القياس صالحة للحالتين ، وربما أيضا أن حركة المدن وجماهيرها أخفت عنه حركة الصحراء وقبائلها وعشائرها .

كان هناك آخرون شاركوا بنصيب أكبر في التمهيد لما وقع ، وفي التمكين له . ولعل أبرز الظواهر التي يمكن رصدها في هذا الصدد :

ا _ إن مجموعة القادة العسكريين في الجيش السورى قبل الوحدة ظلوا على ارتباطهم السابق بأحلامهم الشخصية ، وبارتباطاتهم الحزبية والاجتماعية . والغريب أن بعضهم كان ينتمى إلى حركات وسياسات شاركت في التآمر على سوريا . فقد كان بينهم على سبيل المثال عدد من أنصار * أديب الشيشكلي * وممن وردت أسماؤهم صراحة في مؤامرة « الدندشي * التي تمت باشتراك بغداد وأنقرة تحت رعاية وتوجيه المخابرات المركزية الأمريكية (١) . وقد أصبح من هؤلاء وزراء في أول حكومة تشكلت لدولة الوحدة .

٢ ـ إن حزب البعث السورى اعتبر نفسه شريكا أساسيا في إقامة الوحدة .
 ومن ناحية نظرية ، فقد كان ذلك صحيحا ، وأما من الناحية العملية ، فإن الظروف

الني تمت فيها الوحدة كانت في واقع الأمر إعلانا صريحا بأن حزب البعث السوري لم مكن له القدرة على توجيه دفة الأمور في سوريا .

٣ - وترتب على ذلك أن كثيرين من الضباط، ومن الأحزاب والتجمعات السياسية أعطوا لأنفسهم حقوقا، أو انتظروا لذواتهم أمالا في إطار دولة الوحدة - لم حن هناك ما يبررها. ولقد أحس هؤلاء جميعا بعد قيام دولة الوحدة أنهم في حقيقة الأمر فقدوا نفوذهم القديم في سوريا، ولم يستبدلوه بشيء في الجمهورية العربية المتحدة.

ا - إن الضغوط والمؤامرات التي أحاطت بسوريا في الفترة الحرجة من سنة ١٩٥٥ - ١٩٥٨ خلقت إحساسا حادا بضرورات الأمن . ومن نتيجة ذلك ان الجهزة الأمن بما فيها جهاز المباحث والمكتب الثاني زادت من نفوذها ومن سيطرتها ، وكان ذلك بدعوى المحافظة على سوريا . ولكن عمل هذه الأجهزة ودورها لم يتوقف ، ولم يلائم نفسه للظروف الجديدة بعد قيام دولة الوحدة .

إن انتقال مركز الحكم إلى القاهرة خلق حالة من الفراغ في دمشق ، ولم نكن دمشق معتادة على هذا الفراغ فضلا عن أنه أصبح الآن ممتلئا بأصداء ما يحدث في القاهرة ، وفي معظم الأحيان فإنه كان يصل مشوها ومشوشا .

آ - إلى جانب ذلك ، فقد كانت الجماهير في حالة فوران خلال قيام دولة الوحدة . ولم يكن كافيا أن تكون الاستجابة لهذا الفوران بعمليات البناء الاقتصادى أو التحول الاشتراكي وحدها . وكانت الجماهير في سوريا تعيش وتنام بالسياسة ، وفجأة ساد نوع من الملل والرتابة ، وعلى نحو ما فإن العنصر الوحيد الذي حافظ على حركة فورانه بين القطرين أصبح زعامة «جمال عبد الناصر » . ولم يكن ذلك كافيا لأنه ليس بمقدور رجل واحد أن يكون جسرا وحيدا يربط ما بين بؤرتي حركة طموحة على هذا النحو ، خصوصا إذا كان التاريخ يقرب والجغرافيا تباعد .

 \Box

وبدات المتاعب منذ وقت مبكر، ولعلها بدات في اليوم التالي لقيام الوحدة. فقد وضح أولا أن هناك خلافات كبيرة بين حزب البعث السورى ومجوعة الضباط المنتمين إليه، وبين السيد « عبد الحميد السراج » وكتل من الضباط متشيعة له . ولم يكن « جمال عبد الناصر » الذي لا يعرف ما فيه الكفاية عن اوضاع سوريا الداخلية قادرا على ترجيح أحد الاتجاهين الخلاف، ووجد نفسه مضطرا إلى محاولة التوفيق بين اتجاهين متناقضين .

⁽١) رجاء مراجعة التفاصيل في صفحة ٢٣٨ من هذا الكتاب.

وزاد على ذلك أن كل بقايا القوى السياسية السورية كانت على خلاف مع حزب البعث ، كما أن الجيش السورى كان يحتوى على أكثر من كتلة غير كتلة البعث وكتلة السراج » . وهكذا فإن الوضع الداخلي في سوريا بعد الوحدة كان في أعماقه بمثل هشاشة وضعه قبل الوحدة ، وكل ما زاد عليه هو قشرة صلبة خارجية يصنعها القبول العام لزعامة « عبد الناصر » وشخصيته القوية .

وفي هذا المناخ وجدت القوى المعادية لحركة الثورة العربية وللجمهورية العربية المتحدة فرصتها للعمل ، وهكذا جرت اتصالات ورتبت تحركات ، ودفعت أموال ، وجهزت خطط تتحين جميعها فرصة الانقضاض ، عارفة أن تداعى الأمور سوف يعطيها في أى وقت فرصة ملائمة لضربة تأمل أن تكون قاضية .

وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ أحس ■ جمال عبد الناصر » بشكل واضح أن التناقضات الداخلية السورية توشك أن تعكس نفسها على الأمن القومى للجمهورية العربية المتحدة . وتجلى ذلك بوضوح فى أثناء مناقشة للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة لمشكلة قيام إسرائيل بتحويل مياه نهر الأردن .

كانت عملية قيام إسرائيل بتحويل مياه الأردن جارية منذ أوائل الخمسينات ، ومن قبل قيام دولة الوحدة بكثير . وكانت الولايات المتحدة في محاولاتها لتحقيق صلح بين العرب وإسرائيل على أساس التعاون على الأرض في المصالح المشتركة بين الأطراف في الشرق الأوسط ، قد اقترحت مشروعا لتقسيم مياه الأردن بين العرب وإسرائيل ، يذهب بين ما يذهب إليه إلى إقامة هيئة عليا مشتركة بين العرب وإسرائيل للتعاون في اقتسام مياه الأردن . ورفض العرب وبينهم مصر هذا المشروع الذي تقدم به " اريك جونسون " المبعوث الخاص للرئيس « إيزنهاور » . وعلى الفور بدأت إسرائيل في تنفيذ مشروعها الخاص للاستفادة من مياه الأردن . وكانت المشروعات الإسرائيلية لاستغلال مياه نهر الأردن قد أوشكت على الانتهاء قبل قيام الوحدة . ولم يكن باقيا من أعمالها إلا أجزاء قليلة تجرى كلها بقرب المنطقة المجردة من السلاح على الناحية الإسرائيلية من خطوط الهدنة .

وفى أثناء مناقشة المشكلة فى اجتماع للحكومة المركزية يوم الثلاثاء أول ديسمبر ١٩٥٩ ـ بدأ عدد من أعضاء الوزارة من الطرف السورى يطالبون بمنع إسرائيل بالقوة المسلحة من تنفيذ المرحلة الأخيرة من تحويل مياه الأردن . وكان رأى = جمال عبد الناصر » أن الوقت الراهن ليس مناسبا للعمل العسكرى ، وأنه ربما كان الأجدى أن تسارع الجمهورية العربية المتحدة من الناحية العربية إلى إقامة

مشروعات على نهر الاردن تستفيد من مياهه قبل ان تصل هذه المياه إلى المشروعات الإسرائيلية . كان ذلك في رايه يحقق هدفين في نفس الوقت تجنب الهجوم المسلح على إسرائيل لوقف مشروعاتها ، وفي نفس الوقت إلغاء اى قيمة لهذه المشروعات لأن العرب سوف يحصلون على المياه قبل وصولها إلى الإسرائيليين . فإذا أرادت إسرائيل أن تبادر هي إلى الهجوم كان العرب أمام حرب دفاعية يستطيعون الصمود فيها ، ثم إن العالم كله سوف يرى وجهة مظرهم ويقف معهم إزاء عدوان واقع على أراضيهم بينما هم يمارسون حقهم المشروع في الدفاع عن النفس .

واحتدمت مناقشات ، وكان رأى السيد « أكرم الحوراني » : « أرى منع اسرائيل من تنفيذ مشروعها بالقوة . مع إثارة القضية في مجلس الأمن على أنها فضية تهدد الأمن والسلام في الشرق الأوسط. مع توضيح موقفنا أمام الرأى العام العربي $^{(7)}$. ورد عليه الرئيس = جمال عبد الناصر $^{(7)}$ المشروع الإسرائيلي الذى ينفذ اليوم يقع جنوب المنطقة المجردة داخل إسرائيل، وهذا يحرمنا من المبرر القانوني للحرب، فقد كنا دائما نقول إنه لا يحق لهم دخول المنطقة المجردة بمقتضى اتفاقية الهدنة » . ورد السيد « أكرم الحوراني » قائلا : « المبرر أن لنا حق في هذا النهر ، ولا يمكن أن تأخذ إسرائيل هذه المياه منفردة ، وتحرم الدول المعنية منها وهي لبنان وسوريا والأردن ، والعملية عبارة عن سرقة واغتصاب »(٣). وسأله « جمال عبد الناصر » : ، وما هو تطور الحرب كما تتصور؟ » ورد السيد « أكرم الحوراني ■ قائلا : . عندما نقف في وجههم ، فإن مجلس الأمن لن يسمح بقيام حرب في الشرق الاوسط فنعود إلى المفاوضة ونأخذ حقنا ولا نترك إسرائيل تغتصبه لأن هذه كارثة »(٤) . وعلق « جمال عبد الناصر » بقوله : « قبل الكلام عن الحرب يجب ان نكون متأكدين أننا يمكن أن نكسب المعركة العسكرية ، إن الحرب كما نعلم جميعا هي استكمال السياسة بالطرق العسكرية ، ولكي ندخل الحرب يجب الا ندخل حربا خاسرة . ولهذا فإنى اقترحت مشروعا عربيا لاستغلال مياه الاردن حتى نعطى أنفسنا الفرصة للاستعداد».

وتدخل السيد « صبلاح البيطار » في المناقشة ، فقال : « نستطيع أن نثير الموضوع الآن في الأمم المتحدة ، وعندما نقول إننا سنستخدم القوة ، فإننا لن

⁽ ٢) محضر الاجتماع الخامس عشر للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة المنعقد يوم الثلاثاء أول دسمبر ١٩٥٩ ـ صفحة ١٩ .

⁽٣) المحضر السابق ـ صفحة ٢١ .

⁽¹⁾ المحضر السابق ـ مشعة ٢٧

نستخدمها بالفعل ، ولكنها سبيل أن تتدخل الدول ويتحرك الرأى العام ، ولكن لا يجوز السكوت على هذا الوضع لأن إسرائيل ستخلق بين الحين والآخر مشاكل جديدة وسيكون موقفنا فيها ضعيفا . وأنا أرى أننا مضطرون لإحداث أزمة حتى يقف الرأى العام العالمي بجانبنا في قضية فلسطين ، أما إذا انتظرنا لحين تنفيذ إسرائيل لمشروعاتها ، فسوف نعتبر بعد ذلك معتدين أمام العالم . ولن تقبل الدول قيام حالة من الحرب بيننا وبين إسرائيل قد تؤدى إلى حرب عالمية . ذلك لأن العالم كله يتجه في الوقت الحاضر إلى مشروعات التنمية ، ولا يرغب في إشعال نار الحرب (0).

وفي الجلسة التالية للحكومة المركزية ، وقد عقدت يوم السبت ٥ ديسمبر ١٩٥٩ تقدمت لجنة فرعية شكلت لبحث الموضوع بتقرير تضمن اقتراحا « بالقيام باعمال « شبه عسكرية » ، بمعنى أن نحول دون إتمام هذا المشروع بقدر المستطاع ، فنضعهم باستمرار تحت حالة من عدم الاستقرار بالنسبة للجزء الذي لم يتم تنفيذه بعد »(٦) . وتساعل « جمال عبد الناصر » في بداية المناقشة قائلا : « ليست هناك عمليات بالقوة المسلحة يمكن تسميتها عمليات شبه عسكرية ، لأن كل فعل سوف يقابله عمليات انتقام ، وتتصاعد العمليات وتتطور . . وقال السيد « امين النفوري » (وزير المواصلات) : « يجب أن تشعر إسرائيل والدول التي تستخدم إسرائيل اننا مستعدون للقتال ، واعتقد أن لدينا من القوة ما يكفى للحيلولة دون أية مفاجآت ، أو أية عمليات انتقامية . يضاف إلى ذلك تسليح قطاع غزة واللاجئين ، ولا مانع من رفع قسم من قوة الطوارىء الدولية حتى تشعر إسرائيل بتصميمنا على القتال . واعتقد أنه بواسطة الاستعدادات الموجودة حاليا من الناحيتين العسكرية والمعنوية سبكون المجال واسعا امام الجمهورية العربية في وقوفها أمام إسرائيل . فيجب أن نجعل إسرائيل في موقف الدفاع ، ونشعرها بأننا مصممون على منع هذا التحويل بكل قوة ، ولا نخشى أية تطورات منها بل العكس يجب أن تكون طريقتنا عدم جعل إسرائيل تشعر بالاستقرار حتى نجعل بقية اليهود الموجودين في أوروبا في موضع شك من استقرار هذه الدولة . والأسلحة الحالية العسكرية والبشرية تمكننا من محاربة إسرائيل، ومن هو وراء إسرائيل .. (٧)

وسئله « جمال عبد الناصر » : « من هم الذين تقصدهم بعبارة الذين وراء إسرائيل ؟ » ورد السيد « النفورى » : « اقصد إنجلترا وفرنسا » . وقال « جمال عبد الناصر » : « لا أظن أن إنجلترا سوف تجازف بالدخول ضدنا عسكريا في حرب

مسلحة ، ولكن فرنسا يمكن ان تجازف بسبب تاييدنا للثورة الجزائرية » ورد السيد امين النفورى » قائلا : « إن فرنسا لا تستطيع أن تجازف ضدنا ومع إسرائيل ، أكثر من تسعين طائرة . ولاشك أننا يمكن أن نقف ضد فرنسا أو غيرها من ناحية الطيران . ولا يمكن أن تصمد ٩٠ طائرة فرنسية أكثر من يومين » . ورد « جمال عبد الناصر » بقوله : « إننى لا أستطيع أن آخذ حسابات الطيران بهذه البساطة ، هالطيران سوف يلعب الدور الحاسم في أي معركة مقبلة . إن من يملك التفوق الجوى ، كون قد كسب المعركة تقريبا » . (^)

وطالت المناقشات في موضوع العمل العسكرى، وتدخل عمال عبد الناصر» و النهاية لحسم المناقشة ، وقال : « لابد أن أقول لكم رأيى بكل صراحة ، ورأيى انه كلما تأخرت المعركة كلما كان ذلك أفضل لنا . لابد قبل المعركة أن تتوفر لدينا كفاية ذاتية من السلاح . ونحن الآن نصنع العربات المدرعة ، وقد بدانا في إنتاج محركات الدبابات . وبالنسبة للطائرات ، فإن أمامنا عدة سنوات لكى نستطيع انتاج الطائرات المقاتلة بمحركات ، كذلك سنبدأ في انتاج المدافع المضادة للطائرات وغيرها . وهدفنا ألا يكون اعتمادنا على أحد في اللحظة الحرجة . ولهذا فإننى أعتبره نوعا من المغامرة أن نجعل إسرائيل اليوم تفرض علينا وقت المعركة ، هناك فارق أساسى بيننا وبين إسرائيل ولابد أن تلاحظوه ، وهو أن السرائيل تستطيع أن تتواطأ مع آخرين ، أما نحن فإذا انحزنا إلى دولة كبرى افدنا استقلالنا . ولذلك فرأيى النهائي ما يلى :

إذا قامت إسرائيل بأى عمل في المنطقة المجردة من السلاح فعلينا إيقافها بالقوة. أما في غير هذه الحالة ، فإن رأيي هو أن نحرمها من المياه بواسطة مشروعات عربية ، لكى نحتفظ في أيدينا بتوقيت المعركة لايفرضه أحد علىنا ».

والراجح أن هذا النوع من المناقشات على أعلى مستويات الدولة جعل « جمال عبد الناصر » يفكر ويطيل التفكير ، فقد أحس أنه يصدر عن منطق تسجيل المواقف ، ولا يصدر عن منطق التخطيط لمستقبل دولة أو أمة .

دارت هذه المناقشات كلها في بداية شهر ديسمبر ، وفي يوم ٢٣ ديسمبر أي بعد ثلاثة أسابيع كانت الجمهورية العربية المتحدة تحتفل بعيد النصر في بور سعيد . وسافر أعضاء الحكومة المركزية من المصريين والسوريين مع « جمال عبد الناصر »

⁽٥) المحضر السابق ـ صفحة ٣٤ و ٣٥.

⁽٦) محضر الاجتماع السادس عشر للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة المنعقد يوم ديسمبر ١٩٥٩ ـ صفحة ٧.

⁽٧) المحضر السابق ـ صفحة ١١.

⁽٨) المحضر السابق .. صفحة ٢٥

بالقطار إلى بورسعيد لحضور الاحتفالات . وتناولوا طعام الإفطار معا اثناء الذهاب ، وتناولوا طعام العشاء معا في القطار أثناء العودة بعد الاحتفالات .

وفي اليوم التالى فوجىء = جمال عبد الناصر » بخطاب استقالة من السيد المصطفى حمدون » الذى كان وزيرا للإصلاح الزراعى في الإقليم السورى ، وهو في نفس الوقت من أبرز الضباط المنتمين إلى حزب البعث . ثم لم تمض إلا ساعات حتى كانت مفاجأة « عبد الناصر = أشد ، فقد تلقى استقالة من السيد = صلاح البيطار » تلتها استقالة من السيد « أكرم الحورانى » . والغريب أنه في هذه الاستقالات ، وفي الاتصالات التي أعقبتها بما فيها لقاءات بين « جمال عبد الناصر » وبين الثلاثة لم يرد ذكر مباشر ، أو غير مباشر لقضية الحرب ، وإنما كانت الأسباب متصلة بقضايا أخرى .

كان المشير « عبد الحكيم عامر » وقتها في دمشق ، وقد أراد " جمال عبد الناصر " أن يحيطه علما بما يجرى في القاهرة . وكتب إليه بخط يده في هذه الفترة خمس رسائل مطولة ترسم بطريقة دقيقة وكاملة وقائع تلك الأيام ورؤية « جمال عبد الناصر » وأراءه فيها^(١) . والواقع أن صفحاتها جميعا صورة حية وناطقة بمشاكل دولة الوحدة ، وتعقيداتها من البداية إلى النهاية .

- كانت أولاها رسالة بتاريخ السبت ٢٦ ديسمبر (١٩٥٩) وقد استغرقت ثمانى صفحات من أوراق مكتب الرئيس ، وقد شرح فيها تفاصيل لقاء بينه ، وبين وزير الإصلاح الزراعى في سوريا (بعثى) وهو السيد «مصطفى حمدون».
- وكانت الرسالة الثانية بتاريخ الأحد ٢٧ ديسمبر (١٩٥٩) وقد تُضمنت تفاصيل لقاء « جمال عبد الناصر » بالسيد « أحمد قنوت » وهو أيضا ضابط سابق من أعضاء حزب البعث .

- وكانت الرسالة الثالثة بتاريخ الاثنين ٢٨ ديسمبر (١٩٥٩) وقد استغرقت ثلاثا وعشرين صفحة ، وحوت صورة مفصلة للقاء بين «جمال عبد الناصر » والاستاذ «صلاح الدين البيطار» والسيد «أكرم الحوراني» (وهي رسالة حافلة بالتفاصيل والتعليقات الحية والنابضة).
- وكانت الرسالة الرابعة بتاريخ الأربعاء ٣٠ ديسمبر (١٩٥٩) وقد استغرقت تسع صفحات ، وقد جعلها « جمال عبد الناصر » خلاصة لمقابلاته مع « اكرم الحوراني » و « صلاح البيطار » و « مصطفى حمدون » و « أحمد قنوت » ، وكذلك الانطباعات التي خرج بها .
- و اما الرسالة الخامسة ، وقد جاءت بتاريخ ٥ يناير (١٩٦٠) واستغرقت عشر صفحات ، فقد جاءت على حد تعبير « جمال عبد الناصر » : « تكملة مختصرة للصورة التي شرحتها لك في رسائلي السابقة » .

خرج حزب البعث السورى من حكومة الوحدة ، وبعد شهور تحول في دمشق إلى حزب معارض ، وبطبيعة الأشياء وجد نفسه طرفا في جبهة متسعة تضم مايا النظام السابق على الوحدة بما فيهم الأطراف الذين عارضوا قيامها أصلا ،

وربنهم الشيوعيون .

وظلت هذه الجبهة المعارضة تتسع حتى انضمت إليها أقوى الجماعات في الطبقة المتوسطة خصوصا بين التجار على أثر صدور قرارات يوليو الاشتراكية التى شملت بين ما شملت تأميم الشركة الخماسية ، وكانت اكبر تجمع مالى سورى !

وأعيد تنظيم الحكم في الجمهورية العربية المتحدة ، وبرز على القمة رجلان اصبح كلاهما نائبا لرئيس الجمهورية ، كان أحدهما هو المهندس « نور الدين كحالة » مانب رئيس الجمهورية لشؤون الإنتاج ، وكإن الثاني هو السيد « عبد الحميد السراج » الذي أصبح نائبا لرئيس الجمهورية للشؤون الداخلية .

ولم يكن هناك مجال للمقارنة بين قوة كل من الرجلين ، فالأول ـ « نور الدين كحالة " فنى يعمل بأجهزته ، وكانت مسؤوليته الأولى فى ذلك الوقت تنفيذ مشروع سد الفرات ، أما نائب رئيس الجمهورية الآخر ، فقد كان سياسيا من رأسه إلى أخمص القدم ، وكان يجمع مفتاحين من المفاتيح الحاكمة فى العمل السياسى ، وهما التنظيم الشعبى الممثل فى الاتحاد القومى فى ذلك الوقت ، وجهاز الأمن الممثل فى المباحث والمكتب الثانى .

⁽ ٩) تعتبر هذه المجموعة من الخطابات المكتوبة بخطيد « جمال عبد الناصر » من اهم وثائق تلك المرحلة . وقد اتيحت لى الفرصة للحصول على صور منها في اثناء مناقشة مع المشير « عبد الحكيم عامر » في بيته في شهر اغسطس سنة ١٩٦٧ . وكنت قد وجدت نفسي على غير إرادة مني وسيطا في العلاقات المتازمة بينه ، وبين « جمال عبد الناصر » في ذلك الوقت . وكنت في اثناء نقاش ساخن بيننا قد اثرت تصرفاته في سوريا سنة ١٩٦١ واراد ان يستشهد على بعض ما اثرت من نقط ، فصعد إلى الدور الأعلى من بيته ، وعاد بمجموعة من الخطابات التي كتبها له « جمال عبد الناصر » بخط يده وأرسلها له في دمشق . واستاذنته في تصويرها ، وأذن ــ لكنه اشترط ان لا تخرج من بيته ، وأن يتم تصويرها داخله ، وهكذا دعوت بالتليفون مصورا من « الأهرام » قام بالتقاط صور لا تجموعة الرسائل كاملة . وفي الملحق الوثائقي لهذا الكتاب وتحت أرقام ٣٥ و ٣٦ و ٧٧ و ٣٨ و ٣٥ صفحات عالم ، ١٩١١ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩١١ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩١٠ ، ١٩١٠ ، ١٩١٠ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٠ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩١١ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩١١ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٥ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٥ ، ١٩١١

وساد في دمشق إحساس عام بأن « عبد الحميد السراج » اصبح واقعا وعملا حاكم سوريا ، ولعل « جمال عبد الناصر » اراد أن يتدارك هذا الوضع ، فطلب إلى المشير « عبد الحكيم عامر » أن يكون ممثلا له في سوريا .

كان مزاج كل من الرجلين اللذين قدر لهما أن يوجدا على القمة في دمشق تلك الأيام متوتراً إلى أقصى درجة بحكم طبيعة وظروف كل منهما.

ف عبد الحكيم عامر الذي كان نصف مكسور ونصف منكسر في القاهرة بعد أزمته في السويس وجد في دمشق أجواء أخرى تتعامل معه وكأنه انائب الملك في دمشق ، ومن سوء الحظ أنه راح يتصرف على هذا الأساس ، فإذا بمحيطه في دمشق يتحول إلى شبه بلاط تزدجم فيه شبه حاشية ، وفي مثل هذه الأجواء فإن المقاييس تترهل والقيم تنفك يوما بعد يوم ، وكان البعد عن مركز السلطة في القاهرة يشجع من حيث أنه يدارى فما يصل إلى المركز يصبح مجرد أصداء يسهل الرد عليها بإرجاعها إلى الدس أو الافتراء (وكانت تلك كلها أوضاعا تداعت عنها فيما بعد عواقب سوف يبدو أثرها على مجرى الحوادث) .

ومن ناحية أخرى فإن « عبد الحميد السراج " الذى كان قد تخلص من ضغوط حزب البعث التى ركزت عليه (*) لم يكن راغبا فى أن يجد نفسه تحت رقابة « عبد الحكيم عامر » ، خصوصا وأن " السراج » كان فى وضع يسمح له برؤية تصرفات " عامر » عن قرب . بل لعل ما كان يراه شجعه أكثر بدعاوى الأمن على تشديد قبضة الأجهزة البوليسية على أهم المواقع فى دمشق . ولما كان التنظيم النقابى ، والتنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى) كلاهما بقرب اختصاص « السراج » فإن التداخل بين مقتضيات الأمن ومجالات العمل السياسى خلق حالة من التشابك زادت وطأتها .

وعلى أى حال فقد وقع _ وكان لابد أن يقع _ تناقض بين الرجلين ، خصوصا وأن ضباط مكتب المشير كانوا جميعا ممن يعتبرهم • السراج » أعداء

له ، وبالفعل فإن بعضهم اصبح ينظر إلى « السراج » ويتعامل معه باعتباره . العدو » . ومن جانبه ، فإن « عبد الحميد السراج » جعل المسائل اكثر صعوبة ، فقد راح بتصرفاته كل يوم يؤكد أنه « القوة الحقيقية » في سوريا . ووصلت الأمور بين الرجلين إلى حالة مهينة ليس لكرامة كليهما فقط ، ولكن للدولة التي يمكن أن تحسب عليها في النهاية تصرفاتهما معا .

ووصلت الأمور إلى نقطة الخطر في أوائل سبتمبر ١٩٦١ لعد بدا . عبد الحكيم عامر » يقول إن رجال « عبد الحميد السراج » في الداخلية ، وفي الاتحاد القومي يهاجمونه علنا ، ثم هدد « عبد الحميد السراج » بالاستقالة حين اصدر المشير أمرا بنقل عدد من ضباطه إلى القاهرة ، وأضاف إلى تهديده بالاستقالة عبارة سرى رنينها في محافل دمشق ، فقد قال » إنه يستطيع إخراج . عبد الحكيم عامر » من دمشق مضروبا به « البنادورة » (الطماطم) » !

وكان هناك أخرون يرون تدهور الأحوال بين الرجلين ، ويرتبون للنفاذ من النغرة التى راحت تتسع بينهما كل يوم ، وكان هناك من يدفع المؤامرة ، ويدفع لها من الخارج ، وأصبح واضحا أن شيئا ما يمكن أن يحدث في دمشق .

وللإنصاف ، فإن « عبد الحميد السراج » أعد ذات يوم قائمة باسماء ضباط يعتقد أنهم متورطون في الترتيب لانقلاب ، وكانت المشكلة أن عددا كبيرا من هؤلاء الضباط كانوا من أقرب أعوان المشير « عامر » ومن هيئة مكتبه ، وكان الرد السهل على هذه القائمة هو أنها محاولة للدس من جانب « عبد الحميد السراج » لا تستحق الإلتفات ، فهو يريد أن يتخلص من خصومه بضربة واحدة .

ووصل « عبد الحميد السراج » إلى حد أن قال صراحة إنه إما أن يكون هو ف دمشق ، أو يكون المشير » عامر » ، ثم أتبع ذلك ببرقية منه إلى « جمال عبد الناصر » صباح يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٦١ نصها بالحرف : « إنك سلمتنى إلى من أهاننى ، فارجو إعفائى .

إمضاء: عبد الحميد السراج =

وطارت من القاهرة برقية تستدعى « عبد الحميد السراج » إلى مقابلة الرئيس .

وجاء = عبد الحميد السراج = إلى القاهرة ، والتقى مع الرئيس « جمال عبد الناصر = لثلاث ساعات ، ولكن الكراهية المتبادلة بين « عبد الحميد السراج = و « عبد الحكيم عامر » غلبت كل شيء ، فقد صمم « عبد الحميد السراج = على انه لم يعد هناك مجال للتعاون بينه وبين المشير ، وفي نفس

[■] كان « عبد الحميد السراج » على اقتناع كامل بان حزب البعث السورى يريد الانفراد بالسلطة في دمشق ، وقد عجز عن الوصول إليها قبل الوحدة لأن القوى الرجعية التقليدية في سوريا اثبتت انها اقوى منه . ولكن الجيش السورى تصدى للرجعية التقليدية وحال دون استيلائها على السلطة . ثم جاء « جمال عبد الناصر » وقام الجيش بتسليم السلطة إليه بعد الوحدة . والان في ظل الدولة الموحدة ، فإن البعث السورى راح يحاول ان يتسلم السلطة في سوريا بإذن « جمال عبد الناصر » ورضاه . وكانت تصرفات « عبد الحميد السراج » تصدر عن يتسلم السلطة في سوريا بإذن « جمال عبد الخلاف بينه وبين حزب البعث السورى ، وتحول إلى معركة قصف شديد : عبد الحميد السراج » يتحدث عن مؤامرات ومخططات ، وحزب البعث السورى يتحدث عن الدولة البوليسية الم عبد الحميد السراج » . وفي الفترة التالية مباشرة لقيام الوحدة كان » جمال عبد الناصر » حائرا بين هذه التيارات المتضاربة ، خصوصا وانه كان يرى ان اصحابها ساهموا بنصيب في إقامة دولة الوحدة .

الوقت فإن ، عبد الحكيم عامر ، من دمشق كان يلح على قبول استقالة السراج ، ويؤكد أن الناس بعد خروجه سوف يتنفسون الصعداء ، فقد ضجوا جميعا من أسلوب التسلط والقمع الذي كان يمارسه

كانت مؤامرة الإنقلاب على وشك أن تطبق على دمشق وتمسك بها ، وكان الرجلان المسؤولان عن حمايتها في شغل بصراع بينهما على من تكون له القوة ، ومن ينفرد بالنفوذ ؟!

كانت المؤامرة تحت الإعداد والتخطيط منذ شهور، وكانت ملايين الدولارات ترصد وتدفع، وكانت الاتصالات والتحركات لتنفيذها قائمة، ومع ذلك فإن الذين تعهدوا بها كانوا يخشون الإقدام والبدء بالخطوة التي لا رجوع بعدها. وعندما انفجر الخلاف بين « عبد الحكيم عامر » وبين « عبد الحميد السراج » انتهت الخشية وزالت كل اسبابها، واندفعت المدرعات والدبابات إلى دمشق تتوجه لاحتلال مبنى القيادة العامة، ومحطة الإذاعة والتليفزيون، وإدارة البرق والبريد. كل المواقع التقليدية التي يبادر انقلاب عسكرى إلى احتلالها من الساعة الأولى حتى يحكم قبضته، ويمكن لسيطرته ا



دخل « جمال عبد الناصر » إلى مبنى الإذاعة المصرية ، وكان وقتها فى شارع الشريفين بوسط القاهرة ، وتحول مكتب مدير الإذاعة إلى مقر قيادة مؤقت له . وكانت الساعة السابعة والنصف صباحا . وهناك كانت خطوط اتصالاته ثلاثة : الإذاعة مباشرة ، وأجهزتها الموجهة لالتقاط كل كلمة على الهواء فى المنطقة ، وأولها دمشق مباشرة ، العامة للقوات المسلحة التى كانت لا تزال على اتصال مباشر بمبنى القيادة العامة فى دمشق _ ثم مكتب الرئيس للمعلومات « وكانت أجهزة المخابرات ووزارة الخارجية على اتصال دائم به . وعلم « جمال عبد الناصر » فور دخوله إلى المكتب الذى المصبح مقرا مؤقتا للقيادة بأن اتصالا تم إجراؤه بين القيادة العامة فى القاهرة ، والقيادة العامة فى دمشق . وطلب أن يحاولوا توصيله بالمشير « عبد الحكيم عامر »

بنفسه . وف انتظار أن يتم الاتصال راح يقرأ نصوص البلاغات التي صدرت عن قيادة الانقلاب . والمؤكد أن أسئلة معينة كانت تلح على خواطره ، وربما كان أولها سؤال راح يحاول بشدة أن يطرده من فكره وهو = هل ما حدث في دمشق من صنع عبد الحميد السراج ؟ وأن أسلوب الانقلاب كان رد السراج النهائي على خلافه مع عبد الحكيم عامر ؟ = وكان ورود هذا السؤال على خاطره يصيبه بالم شديد ، فقد كان رأيه في « السراج » دائما أنه شاب وطنى أدى دوره في إطار ظروفه ومن موقعه . ومع أنه كان يعرف حجم ومواقع النقد الذي كان يوجه إلى « عبد الحميد السراج » فقد كان يستهول أن يقوم = عبد الحميد السراج » بالمشاركة في ضرب الوحدة التي شارك في تحقيقها بصرف النظر عن أية مشاعر شخصية !

وبدأت بلاغات الانقلاب ترد إليه ، وراح يقرأ البلاغ رقم (١) بتدقيق واهتمام . كان نص البلاغ رقم (١) كما يلى :

«فى صباح هذا اليوم قام جيشكم الذى كان دائما ، وسيبقى دعامة وطنية راسخة . قام للحفاظ على أرض الوطن وسلامته وحريته وكرامته ، قام لإزالة الفساد والطغيان ورد الحقوق الشرعية للشعب ، وإننا نعلن أن هذه الانتفاضة الوطنية لا صلة لها بشخص أو بفئة معينة ، وإنما هى حركة هدفها تصحيح الأوضاع الغير شرعية . فيا أيها الشعب العربى ثق بجيشك ، فإننا أقوياء بعون الله . وإننا قد طرقنا كل باب للإصلاح قبل أن تتفجر ولم نجد وسيلة للتحرر من المستغلين واتباع طريق الحرية إلا القوة ، لكى تعود للشعب حريته وللجيش كرامته .

القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة »

ولاحظ « جمال عبد الناصر » أن البيان رقم (٢) حوى هجوما على القرارات الاشتراكية ، فجاء فيه بالنص :

« لقد صدرت قرارات سميت ثورية ، والثورة منها براء . قرارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب . كل ذلك ليخدعوا الكادحين من أبناء هذه الأمة وخاصة العمال والفلاحين » .

وقبل الساعة الثامنة بقليل استطاعت أجهزة الإذاعة مع أجهزة القوات المسلحة توصيل خط بين « جمال عبد الناصر » وبين « عبد الحكيم عامر » أنه كان في بيته ، ثم انتقل مع بعض ضباطه إلى القيادة العامة « عبد الحكيم عامر » أنه كان في بيته ، ثم انتقل مع بعض ضباطه إلى القيادة العامة

حينما سمع بالأنباء الأولى عن تحركات قوات الانقلاب من معسكر « قطنة » . وبدا ان « عبد الحكيم عامر » مرتبك في روايته لتطورات الحوادث بعد ذلك . وكان جل جهده أن يحاول إظهار أن الموقف « تحت السيطرة » . ولم يرتح » جمال عبد الناصر » لهذه العبارة ، « فالموقف لم يكن في رأيه تحت السيطرة إذا كانت إذاعة دمشق في يد الانقلابيين يذيعون منها بلاغاتهم واحدا بعد الآخر » . ولم يشأ « جمال عبد الناصر » أن يفقد أعصابه في هذه اللحظات الحرجة ، فسأل « عبد الحكيم عامر » عن الموجودين حوله من الضباط ؟ وحين عرف أن بينهم السيد » طعمة العودة الله » يا طلب أن يتحدث إليه . ومنه بدأ « جمال عبد الناصر » يتلقى إجابات شبه محددة عن أسئلة محددة كان يريد أن يعرف إجاباتها .

۱ - عرف أن الحركة الانقلابية جرت بزعامة مجموعة من الضباط الشوام (الدمشقيين) ، والظاهرون منهم حتى الآن هم : « عبد الكريم النحلاوى » ، و « عبد الغنى دهمان » ، و « موفق عصاصة » .

٢ - أن التحركات العسكرية الأساسية قامت بها قوات حرس البادية بقيادة « حيدر الكزبرى » .

٣ - وأن « عبد الحميد السراج » لا دخل له بمحاولة الانقلاب .

٤ - وأن هناك انقساما بين مجموعات الضباط في القيادة ، فبعضهم
 يخشى أن ينفلت زمام الأمور بأبعد مما قصدوا إليه .

• - وأن المشير « عبد الحكيم عامر » رغم أنه محاصر في مقر القيادة - يحاول الوصول إلى حل وسط بين مجموعات الضباط المختلفين .

وبعدها بدأت مصادر المعلومات تصب لتعطى صورة أكثر وضوحا ، وأدق تفصيلا .

وبنظرة واحدة على أسماء الضباط المشتركين في المحاولة عرف « جمال عبد الناصر » أن كثيرين بينهم هم في الواقع من أفراد مكتب المشير « عامر » ، وأن الاسم الظاهر والمتكرر باعتباره العقل المدبر للانقلاب ، وهو المقدم « عبد الكريم النحلاوى » كان منتدبا من عمله الأصلى كنائب لكاتم اسرار الجيش الاول ـ ليعمل كمدير لمكتب « عبد الحكيم عامر » . وهكذا فإن المؤامرة دبرت ورسمت خطوطها ، وأعدت فرص نجاحها بما في ذلك تنقلات الضباط بين المواقع الحساسة ـ من داخل مكتب المشير وباسمه وبسلطته .

وتكررت اتصالات « جمال عبد الناصر » ب « عبد الحكيم عامر » فقد تم الصال بين الاثنين في الساعة العاشرة والنصف صباحا ، ثم في الساعة الواحدة بعد الظهر ، ثم في الساعة الرابعة إلا ربعا بعد الظهر . ولم يكن « جمال عبد الناصر » راضيا عن الطريقة التي تسير بها الأمور ، خصوصا عندما علم بتفاصيل الحل الوسط الذي توصل إليه « عبد الحكيم عامر » مع مجموعات الضباط التي توافدت على القيادة العامة للقوات المسلحة ، والتي صدر على أثرها بلاغ عن قيادة الانقلاب ، حمل رقم (٩) جاء فيه بالنص :

« أيها الإخوة المواطنون

إن القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة التي دفعها الشعور بالخوف على وحدة الصف العربي ، وحماسها للقومية العربية وتأييدها ودفاعها عن مقوماتها ، تعلن للشعب العربي الكريم أنها لا تنوى المس بما أحرزته القومية العربية من انتصارات ، وتعلن أنها لمست عناصر مخربة انتهازية تمد يد الإساءة إلى قوميتنا ، فقامت بحركتها المباركة تلبية لرغبة الشعب العربي وآماله وأهدافه . وأنها عرضت قضايا الجيش وأهدافه على سيادة المشير « عبد الحكيم عامر » نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة الذي تفهم أمور الجيش على حقيقتها ، واتخذ الإجراءات المناسبة لحلها لصالح وحدة وقوة الجمهورية العربية المتحدة . وقد عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي اعتمادا على ثقتها بحكمة القائد العام للقوات المسلحة ، وقائد الجيش الأول اللذين يحققان أهداف القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة . »

وتبين أن الحل الوسط الذي صدر على أساسه هذا البيان يتضمن مجموعة من الشروط بينها: أن تكون قيادة الجيش الأول من الضباط السوريين وحدهم ـ ترحيل الضباط المصريين إلى مصر ، وإعادة الضباط السوريين من القاهرة إلى سوريا ـ إلغاء معض القرارات الاشتراكية ـ إذاعة بلاغ من قيادة الانقلاب يعلن إنهاء العصيان المسلح ـ صدور بيان من « عبد الحكيم عامر » بموافقته على ذلك ـ سحب قوات الانقلاب التي تطوق مبنى القيادة ـ القيام بعرض عسكرى في اليوم التالي تشترك فيه كافة وحدات الجيش للتدليل على أن الأمور عادت إلى طبائعها .

ولم يكن « جمال عبد الناصر » مستعدا لقبول كل هذه الحلول الوسط ، فقد قامت على المساومات ، فقد قامت ، فقد قام

مبادىء ، وإذا اعتمدت على المساومات لكى تعيش فإن الذى يتبقى ليس وحدة ، وإنما الذى يتبقى ليس وحدة ، وإنما الذى يتبقى سوف يكون نصف دولة مشلولة وعاجزة كما كان الحال فى سوريا قبل الوحدة . وقال رأيه بصراحة له عبد الحكيم عامر ه فى أخر محادثة بينهما ، ثم عزز ذلك برسالة مكتوبة إليه يحدد فيها خطوط موقفه ، ويطلب استسلاما كاملا لقوات التمرد ، ومحاكمة المسؤولين عنهم . وجاء فى هذه الرسالة ما يلى :

- ١ ـ إذا أصبحت المبادىء موضوع مساومة فقدت كل قداسة فيها ـ خصوصا عندما تجرى المساومة في ظل التمرد وتحت تهديد السلاح .
- ٢ ـ لا يمكن أن أقبل بتدخل الجيش في السياسة ، وكان هذا شرطا من شروطي الرئيسية لقبول الوحدة .
- ٣ ـ إن الأمة لم تتأخر عن تقديم أية تضحيات طلبت منها لكى يستطيع
 الجيش أن يؤدى واجبه .
- ١ لا أظن أن الأمة ، أو أن التاريخ يمكن أن يتسامح معى إذا قبلت اليوم مساومة تحفظ شكل النظام وإن كانت تسىء إلى جوهره .
- ه ـ إن عناصر التمرد تصرفت في هذا اليوم ، كما كانت تتصرف مع
 ه شكرى القوتلى « ولا يمكن من أجل هيبة الدولة أن أقبل بهذا الحل
 الوسط .

ثم أذاع « جمال عبد الناصر » بالفعل على الأمة خطابا مرتجلا تضمن الخطوط الرئيسية لما بعث به لـ « عبد الحكيم عامر » حتى يعرف ضباط الانقلاب بموقفه مباشرة منه ـ فقد خشى في جو المساومات السائد في القيادة أن تنقل وجهة نظره على غير معناها الصحيح .

وعلى أى حال ، فقد كان الجو المحيط بالقيادة هو الآخر لا يسمح بالحل الوسط رغم كل الأوهام الحائرة داخلها ، ذلك لأن مجموعات الضباط الذين قاموا بالتحركات ، والذين كانوا ضالعين في التآمر مع قوى خارجية ، وجدوا أن أى حل وسط بعد بدء العملية فعلا يمكن أن تكون له عواقب خطيرة بالنسبة لهم ، وكان من بين هؤلاء العقيد « حيدر الكزبرى » قائد لواء البادية الذى بعث إلى القيادة ببرقية يطلب فيها لزملائه من المتمردين أن يسحبوا البلاغ رقم (٩) - (الحل الوسط) - وإلا فإنه سوف يهدم مبنى القيادة على رؤوسهم بمدافعه .

كان من الواضح ان هنك انفساما في الجيش السورى ، ولم يكن مظهره هو ذلك الجو المفعم بالحيرة في مبنى القيادة العامة ، وإنما عبر الانفسام عن نفسه بطريقة اوضح عندما بدات إذاعة حلب تذيع بيانات معارضة لإنقلاب دمشق ، وتعلن أن قواتها سوف تزحف على العاصمة لتطهيرها من المتمردين ، وللمحافظة على الوحدة . ثم أعلنت قيادة هذه القوات في اللاذقية أنها تطلب مددا من الجمهورية العربية المتحدة لتقوم ب« واجبها المقدس»

وقرر «جمال عبد الناصر» تعزيز قوات اللاذقية ، وكان يشعر أن مسؤوليته تفرض عليه المحافظة على وحدة الجمهورية إلى آخر جهده . وصدر الأمر لوحدات من موات الصاعقة بالنزول بالمظلات في اللاذقية . وبدأت مقدمات عمليات الإنزال فعلا ، ثم حدث بعد ذلك أن إذاعة حلب توقفت ، وتبين أن قيادة المؤامرة كانت قد رتبت امورها وواجهت قوات المظليين المصريين بكمائن تعترض طريقها ، ووجد «جمال عبد الناصر » نفسه في مواجهة موقف بالغ الصعوبة ، خصوصا وأن قوات إضافية تحملها قطع الأسطول كانت على وشك الإبحار فعلا من بورسعيد والاسكندرية في طريقها إلى اللاذقية لتعزيز الموقف هناك .

وكان ذلك ينطوى على احتمالين كلاهما مر:

- □ أولهما ـ أن قتالا دمويا سيجرى بين المصريين والسوريين ـ وهذا محظور يتحتم تجنبه .
- □ والثانى ـ أنه على فرض نجاح العمليات العسكرية ، فإن دولة الوحدة بعد هذه العمليات سوف تجد نفسها محاطة بالدم ومعتمدة على قوة السلاح ـ وهذا بدوره مستقبل لا خير فيه .

وفي المساء ، وقبل أن يغادر « جمال عبد الناصر » مبنى الإذاعة عائدا إلى بيته (١٠) أصدر قرارين :

⁽١٠) لم يستطع «جمال عبد الناصر » ليلتها أن ينام ، فقد ارقته خواطره رغم أنه كان يملك خاصية غريبة ، وهي قدرته على النوم إذا أوى إلى فراشه ، وفي تلك الليلة دخل إلى فراشه ، وذهبت به أفكاره إلى كل أتجاه وماحية . وبعد نصف ساعة دق جرس التليفون السرى في غرفة نومه ، وإذا عاملة تليفون تقول له إن هناك مكالمة له من « مغاغة » ورد عليها بهدوء قائلا : « النمرة غلط » ووضع السماعة . وبعد قليل دق جرس التليفون مجواره . وكانت نفس العاملة تكرر له القول بأن هناك مكالمة له من « مغاغة » وعاد فكرر قوله لها : « النمرة غلط ، وسالته بحدة عن نمرة تليفونه ، ورد بأنه لا يعرفها ، وراحت تلوم رجلا لا يعرف رقم تليفونه ، ولم يكن لل الحقيقة يذكره لانه لم يكن يطلب نفسه فيه ، وراحت عاملة التليفون تلاحقه . ورفع تليفونا أخر وطلب موصيله بالدكتور « مصطفى خليل » وزير المواصلات وقتها ، ودهش وزير المواصلات وهو يسمع رئيس الجمهورية قرب الفجر يتصل به ، ويقول « مصطفى اريد مساعدتك ، فهناك عاملة تليفون عندكم مصممة فيما يبدو على مطاردتي لأن أحدا يطلبني من مغاغة ١ » وتصرف الدكتور « مصطفى خليل ، على المور ، وأمكن معرفة عاملة التليفون ، وصعفت السيدة المسكينة حينما علمت أن ذلك الذي كانت تزعجه طوال تلك الليلة العاصفة كان هو : «جمال عبد الناصر » "

وم ما كان خافيا من شخصيات قادة الانقلاب وما كان مستورا من اتصالاتهم والاقاتهم .

وفي يوم ٥ أكتوبر حدد « جمال عبد الناصر » موقفه في خطاب رسمي حدد فيه « ما نقاط أهمها :

انه رفض الوسائل العسكرية كطريق إلى تدعيم الوحدة ، وإنه بنفس
 القوة يرفض أن تكون الحرب الأهلية طريقا لاستعادتها .

٢ - إن العدو الرئيسي للأمة العربية هو الاستعمار وإسرائيل ، وبالتالى
 فهو لن يدخل في معارك جانبية .

٣ ـ إنه ليس من المحتم أن تبقى سوريا جزءا من الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن من المحتم أن تبقى سوريا .

إذاء كل ما يذاع من إذاعة دمشق افتراء على عهد الوحدة ، فإنه على استعداد لقبول لجنة تحقيق من الجامعة العربية تتقصى الحقائق ، وتعلنها للأمة .

كان أول عمل لحكومة الانقلاب هو إعلان عزمها على إلغاء القرارات الاستراكية ، وفصل مئات من المسؤولين وكبار الموظفين الذين شاركوا في رسم ، وتنفيذ السياسات التي طبقت في عهد الوحدة . وفي أقل من شهر واحد وصل عدد المعتقلين في سوريا إلى أكثر من خمسة آلاف معتقل .

وقبل أقل من شهرين بعد الانقلاب سقطت وزارة « مأمون الكزبرى » وتألفت ورارة برئاسة السيد « عزت النص » . وعندما أجريت انتخابات المجلس النيابى يوم اول ديسمبر كانت الدعوة لمقاطعتها عامة وشاملة ، ونقلت وكالات الأنباء العالمية صورا حملة عن عملية تزوير الانتخابات كرد على دعوة المقاطعة . وفي يوم ١٣ ديسمبر أعلن عن إعفاء ٧٣ ضابطا من الجيش السورى . وفي يوم ١٤ ديسمبر أعلن عن انتخاب السيد » ناظم القدسى » – وهو من الساسة السوريين القدامي الذين كانوا محسوبين على « نورى السعيد » – رئيسا جديدا للجمهورية في سوريا . وتشكلت وزارة جديدة للمرة الثالثة خلال ثلاثة شهور ، وكانت برئاسة السيد « معروف الدواليبي » !

□ الأول ـ يقضى بعودة « عبد الحكيم عامر ، على الغور إلى القاهرة إذا كان ذلك في مقدوره عمليا .

□ والثانى ـ إنهاء كافة العمليات العسكرية ، ووقف تعزيز قوات المظلات ، وإلغاء تحركات الأسطول المصرى في اتجاه اللاذقية ، سواء ما بدأ منها فعلا ، أو ما هو موشك على البدء .

وفى تلك اللحظات كان الانقلاب الجديد يتلقى أول اعترافات رسمية به يتقدمها اعتراف من الأردن، يليه اعتراف من الاتحاد السوفيتي!

وكانت بقية الاعترافات تعد على عجل. *

وهكذا قام حكم الانفصال في دمشق، وتشكلت حكومة برئاسة السيد مامون الكزبرى » الذى كان من قبل ضالعا في المؤامرات الأمريكية للانقلاب في سوريا كما أثبتت المحاكمات والوثائق في قضية « الدندشى » ، كما أعلن عن تعيين اللواء « عبد الكريم زهر الدين » قائدا عاما للقوات السورية المسلحة . وعاد منطق الانقلاب يفرض نفسه على التصرفات كما كان يحدث في سوريا قبل الوحدة . وراح عدد من الساسة يتسابقون إلى تأييد الضباط المتمردين ، وربما كان بعضهم لم يعلم بعد بخفايا الدوافع التى حركت تمردهم . ولم يستغرب أحد في القاهرة عودة هذا المنطق إلى فرض نفسه . وإن كان كثيرون توقفوا بدهشة أمام ما أذيع من راديو دمشق يوم ١٠ أكتوبر ١٩٦١ ، فقد أعلن أن السيد « مأمون الكزبرى » تلقى مكالة تليفونية من الرئيس » شكرى القوتلى » « الموجود حاليا تحت العلاج في المستشفى في زيوريخ » وقد أبدى » شكرى القوتلى » اغتباطه » لوثبة الميش المظفرة » كما أنه حمل « الكزبرى » تحياته وتمنياته إلى رجال الثورة الجيش المظفرة » كما أنه حمل « الكزبرى » تحياته وتمنياته إلى رجال الثورة القاهرة أمام بيان بتأييد الانقلاب صدر يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١ وكان يحمل توقيعات القاهرة أمام بيان بتأييد الانقلاب صدر يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١ وكان يحمل توقيعات عدد من السياسيين بينهم « أكرم الحوراني » و « صلاح البيطار » .

وأعلن عن النية في إجراء انتخابات عامة في سوريا ، وعادت إلى الظهور على الساحة كل الوجوه القديمة التي كانت معروضة في السوق السياسية قبل الوحدة . ولم تستطع هذه المظاهر كلها أن تقنع أحدا بوجود استقرار في سوريا ، فقد كانت كل الشواهد تكشف أن النار تحت الرماد ، وأن هناك قوى كثيرة تحاول جمع صفوفها بعد صدمة الانفصال لكي تتمكن من مقاومته ، وأن الأمور في سوريا سائرة إلى انقسام خطير يمكن أن يهددها بالحرب الأهلية ، خصوصا وقد بدأ يتضح يوما بعد



كان حكم الانفصال فترة من أعجب فترات التاريخ السورى وأشدها غرابة . ولعل أهم شهادة على ما كان يجرى في داخله هي شهادة الرجل الذي عينه الانقلابيون قائدا للجيش السورى بعد انكسار الوحدة . ومن حسن الحظ أن اللواء ■ زهر الدين ■ كتب اعترافاته كاملة في كتاب نشره _ كما قال فيما بعد _ لتبرئة ذمته ، وحتى يخفف عن ضميره أثقال مما يتحمل به ، ويدفع عن نفسه اتهامات ظلت تلاحقه طوال حياته .

قال اللواء « عبد الكريم زهر الدين
 » (۱۱)

« أتانا المقدم عبد الكريم النحلاوي في أحد الأيام حاملا لائحة تضم اسماء ما يقارب مائة وعشرين ضابطا، طالبا إلينا إصدار الأوامر اللازمة لتسريحهم من الجيش ، أو نقلهم إلى الوزارات المدنية ، لأنهم ينتمون إلى أحزاب مختلفة ، وهو يقول بأن الجيش يجب أن يكون نظيفا من الحزبية . طلب منى النحلاوى توقيع أوامر النقل والتسريح المذكورة فورا إلا أننى رفضت البت بهذا الموضوع ، وبهذا الشكل الفردى ، بل قررت دراسة هذه القضية على صعيد مجلس الدفاع الكامل، والذي كان يضم ما يقارب الخمسين عضوا ، وهم قادة الشعب في الأركان العامة ، وقادة المناطق العسكرية ، وقادة الألوية المحاربة ، ومدراء مصالح الجيش ، ومدراء مدارس الجيش (١٢) . وأصدرت أمرا بعقد اجتماع لمجلس الدفاع المذكور ووافقت الأغلبية على التصفية ، وهنا طلب منى النحلاوى عن طريق الهمس بالأذن توقيع النشرة التي كان حضرها لهذه الغاية ».

• وقال اللواء « عبد الكريم زهر الدين » :(١٣)

« لجأنا إلى تشكيل مجلس للأمن القومي لتوجيه سياسة البلد يصورة غير مباشرة ، إذ أن الأكثرية الساحقة من أعضائه كانت من العسكريين . وإذلك كان من المفروض أن تطبق السياسة التي كان يرغب بها العسكريون . غير أن دهاء والاعيب السياسيين كانت في غاية الاتقان بحيث كانت تتجاوز

الحديد _ إجراء انتخابات جديدة .

المقررات التي كان يتخذها مجلس الأمن القومي . لاحظ العسكريون هذه

السياسة ، فأخذوا يتذمرون بصورة علنية . وأذكر أننى استدعيت الاستاذ رشدى الكخيا في إحدى زياراتي إلى حلب لمقابلتي في نادى ضباط موقع حلب . وشرحت له الموقف ، وأوضحت له الأساليب التي تستعمل على صعيد الوزارة التي يرأسها معروف الدواليبي ، وعلى صعيد الرئاسة الأولى (ناظم

القدسى رئيس الجمهورية) . وطلبت منه الذهاب إلى دمشق ، والاجتماع

بالمسؤولين لشرح الموقف، والتوعية، ثم التحذير من الاستمرار بهذه

السياسة التي قد تطيح بالحكم ، خاصة وأن الدعايات التي تروج ف البلد

حول استغلال الحكام لكثير من الأمور بدأت تشكل الحلقة الأولى من حلقات

عناصر المقاومة ، وعناصر المعارضة ، وعناصر المحاربة الفاضحة للسياسة

• وروى اللواء « عبد الكريم زهر الدين »(١٤) كيف عرف ضباط الانقلاب

بالأموال التى دفعت من الخارج لبعض رفاقهم ولعدد من السياسيين

السوريين الذين شاركوا معهم في الحكم ، وتمت اعتقالات واجريت محاكمات

● وشرح اللواء • عبد الكريم زهر الدين »(١٥) كيف احتدم الخلاف بين

ضباط الانقلاب ، وبين السياسيين السوريين الذين وضعوا على مقاعد

السلطة الرسمية بسبب القوانين الاشتراكية : السياسيون يريدون إلغاءها ،

والعسكريون يطالبون بالمحافظة عليها لأن الرأى العام في الجيش ، وفي

● وأفاض اللواء « عبد الكريم زهر الدين »(١٦) في تفاصيل ومسار

الخلافات بين الطرفين ، وتدهور الأحوال بعد ثلاثة شهور من الانقلاب ،

وإلى الحد الذي دعا ضباط القيادة إلى مقابلة رئيس الجمهورية ، وتقديم عدة

مطالب إليه : إقالة حكومة « الدواليبي » - رفع الحصانة عن النواب المتهمين بالرشوة والتعامل مع دول عربية وأجنبية _ اختصار مدة المجلس النيابي

وعارض السيد « ناظم القدسي = قائلا : = إنه لا يقدر أن يخالف الدستور

الذي أقسم اليمين بالمحافظة عليه » ، وقدم له زعيم الانقلاب المقدم

سرية لكن وقائعها أصبحت حديث الناس في كل المحافل!

التي يتبعونها . »

الشعب متمسك بها ا

⁽١٠) المصدر السابق صفحة ١٨٦.

⁽١٦) المصدر السابق صفحة ١٨٨

⁽١١) مذكرات اللواء ، عبد الكريم زهر الدين ، صفحة ١٨٥ .

⁽١١) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين ، صفحة ١٧٤ .

⁽١٢) كانت هذه هي سلطة الحكم الحقيقية في سوريا بعد الانقلاب واثناء حكم الانفصال . (١٣) مذكرات اللواء = عبد الكريم زهر الدين = صفحة ١٨٤ .

« عبد الكريم النحلاوى » فتوى من أحد القانونيين مؤداها أن رئيس الجمهورية يستطيع مخالفة الدستور عندما يكون أمن البلد مهددا ، وطالما أن المخالفة هي للصالح العام » !

● ثم وصل اللواء « عبد الكريم زهر الدين »(١٧) إلى النقطة التي استيقظ عندها بعض ضباط الانقلاب من غفلتهم ، فقال :

«كانت القيادة تدرس دوما المواضيع العربية ، وتبدى أسفها لفقدان الوحدة مع مصر . وكانت تفتش عن الوسيلة التى تمكنها من العودة إلى الوحدة ، ولكن بشروط تحول دون انحرافات الوحدة السابقة ، وبصورة تحقق الديمومة لهذه الوحدة والتوسع على الصعيد العربى . لذلك وبعد الدراسات المتتالية والاجتماعات التى كنا نعقدها أحيانا مع السيد هانى الهندى ، والسيد فريد زين الدين وغيرهما من العناصر الوحدوية ، قررنا أن نخطو الخطوة الأولى ، ونرسل وفدا من الضباط لمقابلة الرئيس عبد الناصر ، والتداول في المواضيع العامة والمتعلقة بالأخطاء التى ارتكبت زمن الوحدة . وكان ما طلبناه من الوفد هو معالجة الأمور التالية :

١ _ وقف المهاترات الإذاعية فورا .

٢ ـ الاعتراف بالوضع الحاضر في سوريا ليصار إلى الانتقال إلى معالجة
 عودة الوحدة على أسس جديدة .

٣ عقد اتفاق عسكرى مشترك ما بين مصر وسوريا لتطبيق الخطط العسكرية الموضوعة أثناء الوحدة .

3 _ تصفية الأمور الإدارية المعلقة بين مصر وسوريا (أسلحة وسواها) .

لقد قررنا تشكيل هذا الوفد من العناصر التى ساهمت بحركة ٢٨ أيلول ، وذلك للدلالة على سلامة النية والصدق فى الطوية . كما أطلعنا الدكتور ناظم القدسى رئيس الجمهورية على هذا القرار الذى اتخذته القيادة . وقد وافق رئيس الجمهورية على هذه الخطوة . غير أنه اشترط الاجتماع بعناصر هذا الوفد قبل السفر ، لتلقينهم المواضيع التى يجب طرحها على الرئيس عبد الناصر . إلا أن الوفد سافر فجأة دون علمى ، أو علم رئيس الجمهورية ، بل بإيعاز من عبد الكريم النحلاوى الذى أدعى بأنه فهم منى ،

وفى الساعة الثانية والنصف من مساء يوم السبت ١٣ يناير ١٩٦٢ دخل إلى مكتب « جمال عبد الناصر » في بيته ثلاثة من ضباط قيادة الانفصال في دمشق هم العميد « رهير عقيل » ، والعقيد « محمد منصور » ، والرائد » فايز الرفاعي » .

طلبوا لقاء معه يواسطة الفريق « جمال فيصل » القائد السابق للجيش السورى وكان قد بقى في القاهرة بعد الانفصال ، والح الفريق « جمال فيصل » ، وعلى أى حال فإن » جمال عبد الناصر » كان يريد أن يسمع بنفسه ، وأن يرى ، ولهذا وافق وحدد موعدا للقاء ، وجاء الثلاثة إليه في حالة ارتباك شديد .

وبدأ العميد « زهير عقيل » فقال :(١٨)

- «سيادة الرئيس ... إنه كرم منكم أن تتفضلوا بمقابلتنا بعد كل ما حدث ، وقد كنا نثق أن هذا سيكون موقفكم بالنسبة لما نعلمه من حبكم لسوريا وللشعب السورى ، وكان هناك من زملائنا من يقولون إن سيادتكم مسترفضون الاستماع إلينا لأن ما حدث منا قد آلمكم ، ولكن ـ سيدى ـ نحن نقسم لكم أن كل ما حدث لم يكن في حسابنا ولا في تصورنا » .

- □ الرئيس ـ « انا أعلم أن بعضا منكم انساقوا في هذا الموضوع بحسن نية ، وغرر بهم ، وصورت لهم الأمور على غير صورتها الصحيحة ، ولكن ما حدث لم يعد مشكلة نوايا ... إنكم بما حدث ، مهما كان من نواياكم ، أسلمتم وطنكم إلى الرجعية المعلاية لمصالح الشعب والمتعاونة مع الاستعمار « .
- العقيد محمد منصور ـ « سيدى اقسم لكم أن بيننا كثيرين لا ينامون الليل وهم يشعرون أن الأمة العربية ترميهم بالانقصال والرجعية ».
- الرائد فایز الرفاعی ـ « سیدی إن کثیرین بیننا واجهوا عقاب ضمائرهم قبل ان یواجهوا ای عقاب غیره ...

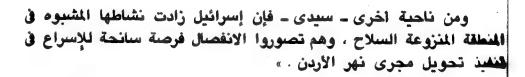
ومن رئيس الجمهورية بأن الوفد يتمكن من السفر في أى وقت يشاء . أى أن النحلاوي أهمل رغبة رئيس الجمهورية عندما طلب الاجتماع بأعضاء الوفد قبل السفر . »

⁽١٨) تسجيل صوتى للحديث طلب ، جمال عبد الناصر ، ترتيبه ، وكان يفعل ذلك في بعض اللقاءات الهامة التى هرمد معودة إلى وقائمها بعد ذلك بالتفصيل للدراسة ــ وشريط التسجيل محتفظ به في أرشيف إدارة المخابرات المامة . وقد تم تفريفه وطبع نسخ معدودة منه .

⁽١٧) المصدر السابق صفحة ١٦٤ .



🔏 والى يساره الفريق محمد الصوفي وزير الدفاع .



■ الرائد فايز الرفاعى ـ « سيادة الرئيس هم يظنون أن سوريا واقفة وحدها . وذلك يبدو صحيحا سيدى ما دامت سوريا بعيدة عن مصر ، وإلا فمع من تتعاون سوريا ؟

العراق ؟ كان الله في عون العراق ، لم يعد فيه غير تصريحات حماسية تصدر كل يوم حتى ملها الناس ، وأصبحت لا تطمئن صديقا ، ولا تخيف عدوا ! الاردن ؟ انتم ـ سيدى ـ تعرفون عن حسين اكثر مما نعرف ا



عبد الناصر 🕻 لقائه بالوفد السورى ، وقد جأ

□ الرئيس ـ « إن الموضوع بالنسبة في ليس موضوع عقاب .. إنه موضوع اكبر من ذلك ، إنه مسالة مبدا . إننى في حرب مع الاستعمار والرجعية ولست في حرب معكم ، لقد استعملوكم ، وأنا أعرف أن بعضكم أخذ الأمور بالعاطفة السطحية » .

■ العميد زهير عقيل ـ « لهذا جئنا إليكم .. سيادة الرئيس ... إن سوريا في خطر . إن سوريا _ سيدى ـ هي الهدف الذي يظن الاستعمار ، وأتباعه في المنطقة انهم قاربوا الوصول إليه .

سوريا _سيدى _هى المقصودة بمحاولة الانقلاب إلى لبنان ، والذين دبروا ا محاولة الانقلاب في بيروت كانوا يريدون دمشق ، تمهيدا لمشروع الهلال الخصيب في احضان الاستعمار وتحت سيطرته .

الملك سعود ؟ هذا _سيدى _ لا يملك شيئا غير ، المصارى ، يدفعه للرشاوى ، لكن الرشوة لا تقف دفاعا عن عقيدة ا

ماذا يبقى لسوريا؟ إمام اليمن ... هذا ،

- العميد زهير عقيل ـ « سيادة الرئيس هذا هو الموقف على حقيقته ، والحل الوحيد له ، كما نرى جميعا ، هو أن تعود الوحدة بصورة جديدة » !
- □ الرئيس = « بهذه البساطة ؟ إن الوحدة ليست مسالة بسيطة إلى هذا الحد ، نقيم اليوم وحدة ، ونقوم غدا بانفصال ، ثم وحدة ... ثم انفصال ... إننا بذلك ندوخ الناس معنا » .
- العميد زهير عقيل _ « سيدى اقسم لكم مرة اخرى أن الانفصال ما كان في حسابنا . لقد كانت هناك بعض الأخطاء ، وكنا نسعى لتصحيحها » .
- □ الرئيس ـ سافترض معك جدلا انه كانت هناك اخطاء ، وعلى اى حال ، فلقد قلت بنفسى بعد الانفصال إن تجربة الوحدة تعرضت لأخطاء كثيرة ، ولقد تكون الأخطاء التى عددتها هى الأخطاء التى رايتموها انتم وقد لا تكون ، المهم انى سافترض وجود اخطاء ، وسافترض بالتبعية ان هذه الأخطاء كانت في حاجة إلى تصحيح ، فهل ياتى الناس بالدبابات لتصحيح خطا ... إن تحرك الدبابات معناه انقلاب شامل .. .
- العقيد محمد منصور ـ « حاشا شه سيدى ، واشه ما خطر ببالنا أبدا أن نقوم بانقلاب عليكم أو على الوحدة ، أو على الاشتراكية ، أنتم تعرفون ـ سيدى ـ محبة الشعب السورى لكم وإيمانه بمبادئكم » .
- العميد زهير عقيل _ لقد كان كل هدفنا أن نلفت الأنظار إلى بعض الأخطاء » .
 - □ الرئيس ـ « بالدبابات ؟!

إن واحدا منكم وهو عبد الكريم النحلاوى كان مديرا لمكتب عبد الحكيم عامر ، وكان يستطيع أن يقول للمشير كل ما عنده ، بل إن واجبه كان يقتضيه ذلك . كذلك كان واحد منكم وهو هشام عبد ربه يتولى حراسة قصر الضيافة الذى كنت أنزل فيه بدمشق ، وكان في استطاعته أن يجىء إلى إذا أراد ...

- العميد زهير عقيل ـ « سيدى ـ لو تكرمتم بسؤال المشير فلسوف يقول لكم إن بعضنا قابله ظهر يوم الانقلاب ، وقال له إننا نتمسك برئاسة جمال عبد الناصر ، وصدر البلاغ التاسع على هذا الأساس ...
- □ الرئيس ـ إن الموضوع بالنسبة لى ليس موضوع رئاسة .. إنه مسالة قيم ومبادىء ، ومع ذلك ، فكيف تقبلون ان يكون رئيسكم طاغية ؟
 - العميد زهير عقيل ـ طاغية ؟ حاشا شه سيدى . . . من قال ذلك ؟ » □ الرئيس ـ إذاعة دمشق صباح يوم الانقلاب ا
- العميد زهير عقيل ـ « سيدى هذا كلام صدر عن بعض المغرضين الذين اندسوا ل الإذاعة يومها ، أما نحن فإن تقديرنا لكم وإيماننا بالوحدة والاشتراكية لم يتزعزع في أى وقت من الأوقات ... إن موقفنا واضح ـ سيدى ـ ل البلاغ التاسع .. .
- □ الرئيس ـ إن البلاغ الثاني ملى بالطعن في الوحدة والاشتراكية ، وهذا هو الذي أوضيح بالنسبة في شكل الانقلاب ، واتجاهاته الانفصالية الرجعية » .
- العميد زهير عقيل ـ « سيدى ، صدقنى ، والله ما قرانا هذا البلاغ الثاني » .

 □ الرئيس ـ « ما قراتوه ؟ .. كيف ؟ .. إنه يحمل توقيع ما اطلقتم عليه اسم « القيادة الثورية العربية العليا » ؟ »
- العميد زهير عقيل ـ « سيدى ... والله ما قراناه ، لقد كنا يومها في دوامة تدور بنا . لقد شعرنا منذ الصباح الباكر أن هناك من استغلوا الموقف بناء على تدبير سابق ، ووجهوه وجهة ما اردناها له » ا
- □ الرئيس « إن مصفحات الانقلاب ذهبت في الفجر إلى بيت عبد الحكيم عامر، واطلقت عليه النار من غير إنذار، ولو كان عبد الحكيم عامر في البيت لقتل ، كذلك فلقد كان أولاد عبد الحكيم عامر كلهم في دمشق حتى ما قبل الانقلاب بيومين ، ولقد عادوا بالصدفة استعداداً لدخول المدارس ، ولو كانوا قد تأخروا لقتلوا جميعا » .
- العميد زهير عقيل ـ « سيدى ، هذا صنيع حيدر الكزبرى ، هذا جناح العقيد فيصل سر الحسيني ، ولم نكن على علم بمقاصدهم ، ثم اكتشفنا انهم قبضوا من الخارج .

لقد اكتشفنا الحقيقة كلها والوقت متاخر.

بعد ايام من الانقلاب فاحت الرائحة ، وزكمت الأنوف . وظهرت في دمشق مئات الألوف من الليرات دفعها الملك حسين لفيصل وللكزبرى ، وما كان لنا بها خبر . ولقد باشرنا بالتحقيق وعثرنا على الأدلة وضبطنا بعض أموال الرشاوى ، ووضعنا اثنين في سجن المزة ، وهما هناك هذه اللحظة » .

□ الرئيس ـ « وماذا كان رايكم في ذلك ؟ »

■ العميد زهير عقيل ـ " سيدى ، هذه خيانة تامة ما في ذلك شك ... لكن اللجنة القضائية التي شكلناها للتحقيق في الموضوع عرقلت أمامنا فرصة محاكمتهم ".

🗖 الرئيس ـ « لماذا ؟ »

- العميد زمير عقيل ـ «سيدى ، اللجنة القضائية قالت هؤلاء قبضوا قبل الانقلاب وبقصد الإعداد له ، والانقلاب أصبح حكومة شرعية ، ومن ثم لا تجوز محاكمتهم وإلا كانت المحاكمة هدما للوضع الشرعى القائم ... (ضحاك)
 - العميد زهير عقيل ـ « هيك قالوا بالضبط سيدي »!
- □ الرئيس ـ « أنا أصدقك بالطبع ... هذا منطق الرجعية تماما حين تسيطر على جهاز الدولة وتسخر كل شيء حتى القانون لتعزيز أوضاعها وخدمة مصالحها » .
- الرائد فايز الرفاعى ـ « لكننا سيدى للله لهم بالمرصاد ، إنهم يحاولون السيطرة لكنهم يعلمون اننا واقفون لهم ، وهم يلعبون الآن ، يريدون أن يأخذوا كل الحقوق الاشتراكية التي حصل عليها العمال والفلاحون .

إنهم يقفون الآن معا جبهة واحدة ، اصحاب رؤوس الأموال ، والإقطاعيون ، والأحزاب السياسية ، وعملاء الرجعية العربية ، وحتى الأحزاب التي تدعى التقدمية تشترك معهم في مناوراتهم ليخلو لها الجو ، بل العجيب أن الشيوعيين يقفون في نفس الجبهة . لكن الشعب متنبه ، ولا يرضى عن اتجاهاتهم ، وكذلك الجيش لن يسمح لهم بتحقيق اغراضهم » .

□ الرئيس ـ « وكيف تستطيع أن تمنعهم ما دامت الحكومة في أيديهم ، والمجلس التأسيسي منهم ... وما لدينا من معلومات يؤكد أن النية

- متجهة إلى إلغاء القوائين الاشتراكية كلها ، وسلب الفلاحين والعمال مكاسبهم بها؟»
- الرائد فايز الرفاعى ـ « سيدى ، نحن قادرون على الإطاحة بهم ، وهم يعرفون ذلك ، ويحاولون أن يمدوا مناوراتهم إلى الجيش » .
- □ الرئيس « لكن ذلك يصنع إزدواجية في السلطة تعرض سوريا للخطر » .
- الرائد فايز الرفاعي « لذلك نقول سيدى إن الحل الوحيد المعقول مو عودة الوحدة على اسس جديدة ..
- □ الرئيس ـ « وكيف نعيد الوحدة ؟ ... هل نعيدها بانقلاب جديد ؟ في الحقيقة لا اتصور أن يحدث ذلك ، الوحدة عندى كهدف أغلى من أن اعرضها لأية مغامرة .
- إن فكرة الوحدة تأثرت كثيرا بكل ما حدث حتى الآن . وصحيح أن عودة الوحدة بإنقلاب له ترضى شعورنا جميعا ، ولكن يجب أن نفكر الآن بما هو أعمق من مجرد مشاعرنا .
- وانا اتصور ماذا يمكن أن يحدث في المنطقة الآن لو قام انقلاب وحدوى في سوريا أعادها إلى الوحدة فورا .. إن الجماهير العربية التي صدمها ما حدث سوف تلتهب حماستها مرة ثانية .
- إن القوى الاستعمارية المتربصة في المنطقة سوف تتلقى صفعة العمر .. إن العناصر الرجعية سوف تفقد صوابها ، ولسوف ترتج عروش وتهتز تيجان .
- إن إسرائيل ستجد نفسها فجأة أمام أكبر خيبة أمل منيت بها . إننى أكاد الآن أسمع المنطقة كلها تهدر ، وأكاد ألمح الجموع الشعبية تزحف رافعة أعلامها وشعاراتها .
- ولكن ماذا بعد ذلك عن تجربة الوحدة ذاتها ، ماذا عن الناحية الإيجابية فيها ، وبها يرتبط المصير العربى كله ؟
- كذلك فانتم تريدون عودة الوحدة في شكل جديد ... لقد قلتم لى هذا الأن ... وانا أيضا أرى مثل هذا الرأى ... أنا الآخر أطالب بشكل جديد للوحدة . إن كثيرين تصوروا أن إيماني بالوحدة قد أهتز بعد كل

ما حدث ، لكننى اؤكد لكم ان إيمانى لم يهتز ، بل لقد ازددت إيمانا . لكنه من الزم الضروريات أن نستفيد من التجربة ان ندرسها وأن نتعلم منها .

لو حكمت عواطفي كبشر، فلربما نازعتني العاطفة إلى عودة الوحدة الفورية، ذلك قد يمسح آثار طعنة أحسست بها في الظهر، وذلك قد يرضى الكبرياء. لكني اعتقد عن يقين انه ليس من حقى أن أفكر على هذا النحو. إن نظرتي إلى الأمور تختلف ... ربما لأني أحسست أن الأمة العربية كلها، والشعب السوري بالذات الد أعطوني من الحب اكثر مما حلمت به في أي وقت من الأوقات. لقد أعطوني ما يشفى أي جرح، وما يزيل أي عقدة من عقد الكبرياء. وذلك فيما أشعر يلقي على وأجبا أتمنى لو قدرت على الوفاء به. إن أول واجباتي فيما أشعر الآن أن انظر إلى المستقبل، وإلى الأسس الثابتة التي يجب أن يقوم عليها، وليس من حقى فيما أتصور أن أترك انفعالات اللحظة، واحتمالاتها العاطفية المثيرة تشدني. «

(فترة صمت) ...

□ الرئيس - قلت لكم إن إيمانى بالوحدة زاد بالتجربة ولم يقل . وقلت لكم إننا في حاجة إلى أن ندرس كل ما حدث ونتفهم معانيه . وقلت لكم إن ذلك في رايى - ورايكم - سوف يغرض شكلا جديدا للتجربة . وكل هذه امور تستحق الدراسة بل وتتطلبها كضرورة حيوية للنجاح ، ثم هنك مسائل أخرى اقولها لكم بصراحة . بينها النظام الاجتماعى ... إننى لا اتصور أن تقوم وحدة بين مصر وسوريا وتكون القاهرة اشتراكية بينما دمشق راسمالية . كذلك بينها مسالتكم انتم ...

مسالة الجيش في أى دولة ... هل تتلقى الدولة من الجيش أو امرها ، أم الجيش يتلقى من الدولة أو امره ؟

كل هذه مسائل لابد أن ندرسها ، وهي ما لا يمكن أن يتم بالانقلاب ، وإنما مجال بحثها بين حكومات وطنية تلتقي في الهدف وتتحد عليه . ..

■ الرائد فايز الرفاعى ـ « سيادة الرئيس ، وهل تنتظر الأخطار المحيطة بسوريا خصوصا من جانب إسرائيل ، حتى تجىء الفرصة لإقامة حكومة وطنية [سوريا تتذاكر معكم [هذه الأمور كلها ؟ »

□ الرئيس - « اريدكم جميعا ان تعرفوا انه مهما كان من أمر ما حدث ، أو ما سوف يحدث ، فإن الجمهورية العربية المتحدة ، بكل قواها المسلحة ، بكل إمكانياتها الملاية والمعنوية وراء سوريا ... هذا موضوع خارج عن أى مناقشة ... وهو فوق أى بحث . وهذا أمر يجب أن تكونوا على ثقة منه واطمئنان . أن تكون سوريا وحدها في مواجهة إسرائيل أبدا ، ولست وحدى الذي أقول ذلك ، وإنما هي إرادة الأمة العربية كلها ، والشعب المصرى ضمنها .

لذلك أقول لكم: في مواجهة إسرائيل قفوا دون تردد ولا تتصوروا لثانية واحدة انكم بمفردكم أمامها ، ففي لحظة الخطر ستكون كل القوات المسلحة في المجمورية العربية المتحدة معكم في المعركة ...

ونحن على استعداد لهذا الأمر منذ اليوم الأول للانفصال وخططنا كلها مرتبة على أساسه ولسنا في حلجة إلى إصدار تصريحات حماسية بشانه فانا واثق أن كل فرد أن الأمة العربية يعرف موقفنا فيه كما أعرفه . »

(فترة صمت) ...

🗆 الرئيس ـ « لقد جعت ... هل تتعشون معي ؟ »

(خرجوا من بيت الرئيس الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة صباحا) .

وتستكمل اعترافات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » بقية القصة فيقول :(١٩)

« كنا نعقد اجتماعات طويلة وعديدة في مكاتب القيادة . حتى عقدنا اجتماعا في منزلي ضم العناصر التالية :

اللواء زهر الدين ، واللواء نامق كمال ، والمقدم عبد الكريم النحلاوى ، والمقدم مهيب الهندى ، والمقدم هشام عبد ربه ، والرائد فايز الرفاعي (٢٠) ، والأستاذ نهاد القاسم ، والدكتور فريد زين الدين .

وقد تداولنا في موضوع التقارب مع القاهرة ، ودرسنا مسألة إعلاة الوحدة حتى لو أدى ذلك إلى انقلاب جديد .

⁽١٩) مذكرات اللواء ، عبد الكريم زهر الدين ، صفحة ١٩٠ .

⁽٢٠) كل الضباط المشاركين في هذا الاجتماع هم من الضباط الذين خططوا وشاركوا في تنفيذ انقلاب الانفصال (٢٠) السبتمبر ١٩٦١) .

وهنا برزت فكرتان:

□ الأولى ، وهى فكرة العسكريين والدكتور فريد زين الدين ، وكانت تقضى بضرورة تشكيل حكومة انتقالية جديدة برئاسة الدكتور ناظم القدسى ، فيما إذا رغب ، وإلا فبرئاسة شخصية وحدوية معتدلة ، وذلك بعد إزاحة المجلس النيابى ، وإقالة الحكومة الحالية . ثم تشكيل وفد من الحكومة الجديدة ، وإعادة الوحدة بشكلها الجديد .

□ اما الفكرة الثانية ، وقد تبناها الأستاذ نهاد القاسم لوحده ، فكانت تقضى بتشكيل وفد وحدوى من عسكريين ومدنيين ، والذهاب برئاسة نهاد القاسم إلى القاهرة ، لمفاوضة الرئيس عبد الناصر ، قبل تشكيل آية حكومة في سوريا . وذلك للاستنارة برأيه حول الأشخاص الواجب إدخالهم في الوزارة الجديدة ، وحول الخطوات الواجب اتباعها ، من أجل الوصول إلى الاتفاق الكامل بخصوص الوحدة الجديدة . حتى أن الأستاذ نهاد القاسم قال إنه لا يتمكن من القيام بأى عمل قبل مقابلة الرئيس عبد الناصر ، وأخذ رأيه في كافة المراحل الواجب تنفيذها .

وهنا تصدى له اللواء نامق كمال: إذا كنت تعتبر عبد الناصر لا يزال رئيسك، وانت لا تريد أن تخطو أية خطوة إلا بأمره فنحن لسنا من رأيك، ولا نريد أن نأتمر بأمرته.

غضب الأستاذ نهاد القاسم عند سماعه هذا الكلام، وانسحب من الاجتماع. اما الدكتور فريد زين الدين، فقد بقى معنا في المنزل حيث استعرضنا اسماء الوزراء في الحكومة المقبلة. وكان الأعضاء المقترحون باغلبيتهم الساحقة من الوحدويين (بعثيين، وقوميين عرب، ووحدويين اشتراكيين). وقد درسنا موضوع رئاسة الدولة في حال اعتذار الدكتور ناظم القدسي وتفضيله الانسحاب من الحكم بعد إقالة الوزارة وحل المجلس النيابي.

ماذا نفعل إذا استقال القدسي ؟

أكد الدكتور فريد زين الدين ضرورة إسناد المناصب الحساسة في الوزارة المزمع تشكيلها إلى العسكريين، وذلك لإعطائها طابع القوة. ولهذا فهو يرى ان يسند منصب الرئاسة الأولى في الدولة لى أنا ، كما يرى أن احتفظ ايضا برئاسة مجلس الوزراء، وذلك خلال المرحلة الانتقالية، أى مرحلة المفاوضات مع الرئيس عبد الناصر.

لكنى رفضت فكرة استلام أى منصب مدنى ، وقلت بأننى سأحتفظ بقيادة الجيش فقط . وطلبت من الحاضرين التفتيش عن رئيس للدولة سواى .

وارجانا البحث في قضِية جهاز الحكم ، وانتقلنا إلى موضوع المباحثات المزمع إجراؤها مع الرئيس عبد الناصر . وكلفنا الدكتور فريد زين الدين بتحضير هذا الموضوع .

انفض الاجتماع ، وأخذ الدكتور فريد زين الدين يتردد على القيادة ليجتمع بالمقدم عبد الكريم النحلاوى ، وكل من هشام عبد ربه وشرف زعبلاوى ومهيب الهندى وفايز الرفاعى ومحمد منصور . وكانت هذه الاجتماعات تعقد بصورة متقطعة في شعبة المخابرات ، وذلك لإنجاز الدراسة المتفق عليها .

باشرت بالتفرغ للأمور العسكرية . إذ كنا على أبواب معركة مع إسرائيل . وكنا نحضر العمليات العسكرية ، لأن المعلومات المرثوقة التى كنا نتلقاها كانت تشعرنا بقرب العاصفة . ولذلك فقد ابتعدت بعض الوقت عن جولات السياسة ، وتركت أمورها إلى النحلاوى ورفاقه .

وفي هذه الفترة عقدت اجتماعات القابون على مستوى كبير من الأهمية .

عقد اجتماعان في مدرسة المدرعات في القابون . وكان الاجتماع الأول بدون علمي أو حضوري . بل حضر هذا الاجتماع ضباط حركة ٢٨ أيلول ، بالإضافة إلى بعض قادة القطعات . وقد تداول المجتمعون في قضية إعادة الوحدة . وانقسم المجتمعون إلى قسمين ، منهم من قال بضرورة المناداة بإعادة الوحدة الفورية بلا قيد أو شرط ، ومنهم من رفض هذا النداء رفضا باتا ، حتى ورفض التفوه بأي حديث يتعلق بالوحدة . وأدى الخلاف إلى تأجيل الاجتماع إلى اليوم الثاني . كما اقترح أحد المجتمعين ، وهو العقيد تيسير الطباع ، الذي كان يقود أحد الألوية المدرعة ، ضرورة إعلامي بهذا الموضوع ، وضرورة عقد اجتماع أخر برئاستي .

عقد الاجتماع الثانى برئاستى . وقد استدعيت لحضوره المسؤولين ف الجيش ، وذلك على صعيد القيادة العامة ، وصعيد قيادة القطعات المحاربة ، وصعيد قيادة المناطق والمصالح ومدراء المدارس العسكرية . ولا أزال أذكر من الذين حضروا هذا الاجتماع الذي عقد ليلا في مدرسة المدرعات بالقابون كلا من :

اللواء زهر الدين ، والعميد مسلم صباغ ، والعميد عدنان العاقل ، والعميد زهير عقيل ، والعقيد رياد الحريرى ، والعقيد تيسير الطباع ، والعقيد محمد منصور ، والعقيد عبد الكريم العابد ، والعقيد عدنان شويكانى ، والعقيد محمد منصور ، والمقدم عبد الكريم النحلاوى ، والمقدم مهيب الهندى ، والمقدم هشام عبد ربه ، والرائد فايز الرفاعى . وقد حضر كثيرون غيرهم ، إلا أننى لم أعد أذكر أسماءهم .

استعرضنا في هذا الاجتماع موضوع إعلاة الوحدة ، فادلى العقيد شرف زعبلاوى نائب رئيس شعبة المخابرات برايه القاضى بضرورة القيام بانقلاب تعاد على اثره الوحدة الفورية . واستند بذلك على الموقف الذى وصفه بانه خطر . إذ قال بأن الجيش بكامله ناصرى ، وان الشعب بنسبة ٩٠٪ منه ناصرى . ولذلك فهو يقترح سرعة القيام بهذه الحركة ، خوفا من المد الناصرى الذى قد يطيح بنا بصورة فجائية .

وهنا تعالت اصوات الاحتجاجات.

تدخلت [الموضوع واعدت الهدوء ، ثم طلبت دراسة القضية بصورة متانية ومفصلة حتى نصل إلى نتيجة . وقلت إذا اتضح لنا بأن كلام المخابرات واقعى، فيجب الإسراع إلى الانضواء تحت لواء الوحدة الفورية بلاقيد او شرط، إذ يجب دوما أن ننحنى أمام رغبة وإرادة الاكثرية من الشعب. أما إذا ثبت لنا بأن تلك الأقوال غير مضبوطة ، فينبغى تحاشى الاصطدامات التي قد تنشأ من جراء القيام بأية حركة لا تكون الأكثرية مؤمنة بها . ووجهت سؤالى إلى قادة القطعات المحاربة فيما إذا كانوا يؤيدون قول شعبة المخابرات من أن الجيش بكامله ناصرى ، وقد سألتهم واحدا واحدا ، فكانت إجاباتهم نافية نفيا قاطعا لحديث المخابرات ، وخاصة زياد الحريري الذي استهجن هذا القول ، وأكد بأن لواءه خال من أي ناصري . ثم سألت قادة المناطق عن الناحية المدنية . فاستنكروا قول شعبة المخابرات ، وقالوا بأنه خال من الصحة ، وأخذنا جميعا باستعراض مختلف فئات الشعب ، حيث قلنا بأنه لا يمكن أن تكون النسبة التي حددها نائب رئيس شعبة المخابرات هي المضبوطة . إذ أن الشيوعيين هم غير ناصريين ، وجماعة أكرم الحوراني غير ناصريين ، والمسيحيون غير ناصريين ، والإخوان المسلمون غير ناصريين ، والتجار غير ناصريين ، ورجال الصناعة والاقتصاد غير ناصريين ، كما أن النسبة الكبرى من الفئات الأخرى كالعمال والفلاحين والطلاب غير ناصرية . لذلك لا يمكن أن تكون أقوال شعبة المفابرات صحيحة .

انتهى الاجتماع على أساس التروى والتريث في موضوع إعادة الوحدة ، لأنه من المواضيع الحساسة جدا ، ولا يمكن أن يتم بهذا الشكل السريع ، وإلا فربما انتكست الخطوة الثانية للوحدة ، وقضى على الوحدة هذه المرة قضاء مبرما . •

كان حديث الوحدة الفورية في القاهرة موقوفا ، والآن توقف هذا الحديث في دمشق مؤقتا على الأقل ، ولكن بقية الأحداث لم توقف ولم تتوقف ، وأولها حديث الانقلاب على الانقلاب .

وفي ٢٨ مارس ١٩٦٧ ، ولم تكن قد مضت على حكم الانفصال في دمشق سنة شهور كاملة ، جرى الانقلاب على الانقلاب ، واذاع راديو دمشق عند الفجر البلاغ رقم ٢٦ ـ باعتبار أن الانقلاب الجديد هو امتداد للانقلاب القديم ، وإنما عن طريق التصحيح والمراجعة .

□ كان نص البلاغ الأول (رقم ٢٦) كما يلي:

« إن القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تحقيقا لرغبات الشعب ، وحفاظا على مكاسبه وأمنه واستقراره وحريته ، التي حققها له جيش الثورة في الثامن والعشرين من أيلول ، تعلن بأن الجيش استمرارا لهذه الثورة قد استلم زمام الأمور في البلاد ، اعتبارا من صباح هذا اليوم . وهي إذ تطلب من المواطنين الخلود إلى الهدوء والسكينة ، والانصراف إلى أعمالهم ، تحذر بأن كل محاولة للإخلال بالأمن أو إثارة الشغب ستقمع بمنتهى الشدة والحزم . »

□ ثم تلاه البلاغ رقم ٢٧ وكان نصه:

« تغلق المطارات والموانىء فى كافة انحاء الجمهورية العربية السورية حتى إشعار أخر .

AY\Y\YA

□ وجاء البلاغ رقم ٢٨ وكان نصه:

« لما كان المجلس التأسيسي والنيابي لم يقم بالمهمة الموكولة إليه ، وقد عجز عجزا تاما عن تحمل المسؤولية وتوجيه الحكم ، وكل همه تأمين منافع ومصالح أعضائه الشخصية ، ولم يسع سعيا صادقا لتحقيق أهداف ثورة الثامن والعشرين من أيلول التي هي أهداف الشعب ومصدر السلطات ، لذلك فإن القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تعلن حل المجلس التأسيسي والنيابي اعتبارا من تاريخ صدور هذا البلاغ .

. 197Y/Y/YA

□ ثم لحق البلاغ رقم ٢٩ بما سبقه من بلاغات:

« قدم السيد رئيس الجمهورية استقالته التالية وهذا نصها :

إلى القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة:

نيـــران متفرتــة!

0

تمالك « جمال عبد الناصر » نفسه من صدمة الانفصال بسرعة .

في أعقابها مباشرة كان شعوره على حد وصفه(۱) هو « أنه يجد نفسه في وضع قبطان سفينة انشطرت إلى نصفين في وسط البحر » . وقضى أياما طويلة براجع نفسه ، ويستذكر تفاصيل تُجربة الوحدة وأمالها ومشاكلها .

كان شعوره الداخلى أن التجربة جاءت قبل أوانها ، ولم يكن هناك أساس موضوعى صلب لتحقيقها في هذا الوقت بالذات ـ ومع ذلك فقد حدث أنها قامت وكان الحرص عليها واجبا .

وكان يراوده إحساس بأن الاحتفاظ بالوحدة مهما كانت الظروف كان يمكن ان يعرض سوريا لضرورات أمن لم يكن على استعداد لها و إلا وقع الضرر بهدف الوحدة نفسه .

وعندما كان يقرأ نشرات الإستماع إلى إذاعة دمشق التى كانت تظهر فرحة الشعب السورى بالانفصال كان قوله دائما:

« إننى أتمنى أن أصدق أن ذلك كله حقيقي . ولو صدقت لاسترحت . على

اسباب صحية تمنعنى من الاستمرار بممارسة مهام رئاسة الجمهورية لذلك استقيل من مهام هذا المنصب في ٢٨ اذار ١٩٦٢ .

وقد قبلت هذه الاستقالة .

« 1977/7/XA

□ وأخيرا جاء البلاغ رقم ٣٠:

« قدم السادة رئيس وأعضاء مجلس الوزراء استقالاتهم من مناصبهم ، وقد قبلت منهم جميعا . »

واكتملت حلقات الانقلاب على الانقلاب.

وكانت دمشق تغلى وتفور.

⁽١) مذكرات عن لقاء مع ، جمال عبد الناصر ، يوم ٢ اكتوبر ١٩٦١ .

الأقل اعرف ان الذين اسلمونى امانتهم قد استردوا حقهم عندى ، وهم الآن مسؤولون عنه » .

ويوما بعد يوم كانت الحقائق الواقعة على الأرض تفرض نفسها عليه وراح يستجيب لها ، ولم يكن لديه على أي حال خيار آخر.

ثم استطاع أن يتخطى أزمته .

ولقد تخلص بسرعة من عقد كثيرة ، وأخرها «عقدة الكبرياء الشخصية » ـ وحين أعلن في خطابه يوم • أكتوبر ١٩٦١ « أنه ليس من المهم أن تبقى سوريا جزءا من الجمهورية العربية المتحدة وإنما المهم أن تبقى سوريا « فقد كانت ترجمة ذلك واقعيا أنه يفتح الباب أمام النظام الذي قام بالانفصال في سوريا لكى يأخذ طريقه المستقل بغير عوائق ، بما في ذلك استعادة عضوية سوريا في الأمم المتحدة ، وفي جامعة الدول العربية .

وقد كتب إليه « نهرو » بعد أن قرأ خطابه ف « أكتوبر رسالة شخصية يقول له فيها : « إننى تابعت تطورات الموقف عندكم بكثير من التعاطف ، واعجبت بما ابديتموه من ضبط النفس ، وكان مسلككم مسلك رجل الدولة المسؤول . ونحن نعرف أن هدفكم هو ألا تتعرض الوحدة العربية إلا لاقل ضرر ممكن . فانتم من مهندسى الوحدة ، ولذلك فقد كان موقفنا حيال تصرفاتكم مليئا ماتقدير « (١))

وكتب إليه «تيتو» بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٦١ رسالة شخصية يبدى فيها تقديره للطريقة المسؤولة التى تصرف بها حيال الأحداث المؤلمة التى جرت و دمشق، ويضيف إلى ذلك « أن أهمية ضبط النفس الذى أبداه تجىء من حقيقة أن ما جرى في سوريا ليس مجرد تمرد داخلي أو انقلاب، وإنما هو جزء من مؤامرة كدرى».

ورد عليه « جمال عبد الناصر » بعد يومين : « لقد ادركت أن ما واجهناه في سوريا ليس عملا داخليا ، واحسست أن واجبى يقضى على عند مواجهتى للتطورات أن لا أقصر النظر على مقتضيات اليوم ، بل وضعت نصب عينى

وبرغم تبادل الرسائل بين هؤلاء القادة الثلاثة لعدم الانحياز في أعقاب أزمة المت بأحدهم للمن « نهرو » و « تيتو » قررا المجيء إلى القاهرة لاجتماع مع عبد الناصر » يظهر قيه تضامن الدول غير المنحازة ، كما أنه يكون فرصة لدراسة الاتجاهات الجديدة في مناطق التوتر.

وفى منتصف نوفمبر كان الثلاثة معا فى القاهرة . وعقدوا عددا من الاجتماعات خصص أولها لبحث تطورات المنطقة بما فى ذلك مسألة الانفصال . وأما بقية الجلسات فقد خصصت لدراسة قضايا أخرى بدت ملحة للمجتمعين . وقد تباينت اراء الثلاثة فى هذه القضايا وأهمية كل منها :

كانت القضية الملحة بالنسبة لـ « نهرو » لا تزال قضية الحرب والسلام ، وقد قال إنه يخشى أن الاتجاه إلى الحرب بدأ يزيد ، فهو يلاحظ أن الولايات المتحدة بدأت تنفذ مشروعا واسعا لبناء مخابىء ذرية .

وأما بالنسبة لـ « تيتو » فقد اعتبر أن الخطر القادم هو التورط الأمريكي في جنوب شرقى أسيا ، فهو يلمح أن الرئيس الأمريكي الجديد « جون كنيدي » يتدحرج خطوة بعد أخرى نحو التورط في فيتنام .

واما «جمال عبد الناصر » فقد كانت القضية التى تشغله هى قضية السياسة السوفيتية التى بدت له محيرة . وفي الجلسة التى اثار فيها «جمال عبد الناصر » هذا الموضوع راح «تيتو » يروى بالتفصيل وقائع خلافه مع «ستالين » . وكان تقييمه النهائي « أن الخطأ الذى يمكن أن يقع فيه أى طرف هو أن يتعامل مع الاتحاد السوفيتي باعتباره دولة شيوعية فقط » . ثم أضاف بالحرف : « إن الاتحاد السوفيتي قوة كبرى أولا وثانيا وثالثا _ وياتي بعد ذلك رابعا أنها دولة شيوعية » . ")

ما يتطلبه المستقبل. ولقد كان همى في اللحظات الحرجة أن لا أمكن المتامرين من إشعال فتنة طاغية ليس في الإمكان تقدير مداها. وعندما تبينت حدود الموضوع، فقد أحجمت عن استخدام القوة. في وجدتها تعزيقا للجبهة الداخلية في سوريا، في حين أن هذه الجبهة لم تكن في حاجة إلى وحدتها قدر احتياجها إليها في الظروف المقيلة ». ثم وصل « جمال عبد الناصر » في نهاية رسالته إلى القول بالنص : « ومهما يكن من أمر ، فإننا فرقب باعين مفتوحة تحركات الاستعمار وخططه ».

 ^[] محضر اجتماع بين الرؤساء الثلاثة عقد في قصر القبة يوم ١٩ نوفمبر ١٩٦١ . وقد وردت هذه الملاهظة
 لـ ، تيتو ، في الصفحة ٢٣ من هذا المحضر وقد ارسلت نسخة منه إلى وزارة الخارجية ، ونسخة آخرى إلى وزارة الحربية .

 ⁽٢) أصول رسالتى «نهرو» و «تيتو» وردود «جمال عبد الناصر» عليهما محفوظة في أرشيف منشية البكرى» وتوجد نسخ من كل منها في وزارة الخارجية.

وقد انتهى اجتماع الثلاثة إلى اتفاقهم على انه مهما كان تباين الاراء بينهم ف الويات القضايا التى تواجههم ـ فإنه من المحتم في المرحلة القادمة زيادة اليقظة والتنبه بين مجموعة دول عدم الانحياز . وتوجه الثلاثة إلى غداء شخصى في بيت «جمال عبد الناصر » قبل أن يسافر كل من «نهرو » و » تيتو » عائدا إلى بلاده . وعلى الغداء تركز الحوار حول قضية الجزائر ، فقد أبدى الاثنان اهتماما بما يجرى فيها ، وكان رأى «جمال عبد الناصر» أن الثورة الجزائرية أقرب إلى تحقيق انتصارها مما يتصور أحد ، وأن «ديجول » رغم ما يبديه حتى الآن من عناد يمهد الطريق في الواقع للاعتراف بما لم يعد هناك مفر من الاعتراف به .

ويوما بعد يوم راح «جمال عبد الناصر» يشعر أن الانفصال رغم كل ما انطوى عليه من آلام كانت له جوانبه الإيجابية ، فقد أعطاه حرية في العمل لم يشعر بها طوال سنين الوحدة . وقد عبر عن ذلك بقوله (٤) : « إننى اقبلت على تجربة الوحدة مدفوعا بعواطفى اكثر مماكنت مقتنعا بعقلى . كنت اتصور انه في مقدورى أن اجنب سوريا مشاكل تناحر داخلي يمكن أن يؤدى بها إلى السقوط فريسة لمؤامرات الغرب عليها ... إلى حد ما فإننا استطعنا أن نمنع ذلك أو على الأقل نؤجله . لكنني طوال الوقت كنت اشعر انني مقيد اليدين ، فقد كنا نتعامل بمنطق المساومة في سوريا ، فقد كان مفروضًا علينا أن نسترضى ، وليس أن نتصرف بما تقتضيه الحقائق ، وهذا معناه اننى اعمل بالأسلوب الحزبي ، وأنا رجل لا حزب لى . ولم يكن هناك ما يضطرني إلى الاسترضاء إلا حرصى على أن لا اترك لاحد فرصة لاستغلال أي تصرف لنا في سوريا . هذا معناه أيضا أننا كنا نعمل من أجل اللحظة الراهنة في سوريا ، وليس من أجل المستقبل . فعندما تكون السياسة مساومات واسترضاء لا يستطيع احد أن يخاطر بفرض الأعباء والتكاليف التي يقتضيها صنع المستقبل . ثم يضيف « جمال عبد الناصر » : « إننى مازلت مؤمنا بالوحدة العربية ، ولكنني الآن واثق من أن تحقيق الوحدة هدف للمستقبل لا ينبغي أن نفقد إيماننا به ، ولكننا لا نملك أن نسبق ضرورة توافر شروطه الموضوعية . .

وكان قد بدأ يسمع ويتحقق من الخلافات داخل حكم الانفصال ، ويرى فيها مقدمات الانقلاب على الانقلاب ، وهكذا كان يضيف إلى تأملاته قوله : « وعلى أية حال فقد ثبت أن الوحدة ممكنة ، والآن يظهر - وغدا سوف يتحقق أكثر - أن الانفصال صعب ، وأخيرا يصل إلى نتيجة مؤداها :

، الآن فإن تركيز العمل العربي يجب أن يكون في مصر ، فمصر يجب أن تصبح بالفعل الدولة النواة في الوحدة العربية المكنة ، وأن تصبح النموذج الذي يمكن أن يقدم المثال لبقية الأمة ، فهي الآن بالتعبير العسكري تمثل الـ Firm Base ـ أي القاعدة الحصينة التي يمكن الدفاع عنها والبناء فيها » .

ولعل هذا المنطق هو الذي قاده إلى أن يكون واضحا في موقفه حين التقى بضباط الانقلاب في بيته يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦١ ليقول لهم بوضوح إنه « يرفض رفضا قاطعا عودة الوحدة عن طريق انقلاب عسكرى » ا



وكان هناك بالطبع كثيرون في المنطقة وحولها لا يريدون له أن يتفرغ لعملية تعزيز القاعدة في مصر مدركين أنه ليس بمقدوره الانسحاب تماما من الساحة العربية . وهكذا كان هدفهم أن يشغلوه بنوع من النيران المتقطعة قد لا تستطيع إصابته في مقتل ، ولكنها بالتأكيد تستطيع إشغاله ، وتشتيت اهتمامه .

كان الملك «سعود » على سبيل المثال واحدا من الضالعين في مؤامرة الانفصال برغم كل الوعود والعهود ، ورسائل الود المتزايدة في معدلاتها قبل الانفصال مباشرة . وقد روى الأمير « محمد البدر » (°) ولى عهد اليمن في ذلك الوقت أنه كان يزور الرياض ليلة الانقلاب ، وفوجىء بالملك «سعود » يطلبه إلى قصره ، فذهب إليه وإذا بالملك يقول له : «سوف تسهر معى إلى الصباح لكى تعرف ما يحدث للتسلط والاستعمار المصرى » . وعند الفجر كان الملك وضيفه وبعض رجال حاشيته حول جهاز راديو بينما راح أحد الفنيين يضبط مؤشراته على إذاعة دمشق . وحين بدأت إذاعة البيان الأول التفت الملك إلى « البدر » وقال : « وقع صاحبنا في شراعماله » . وكان الملك شديد الحماسة للبلاغات التى تصدر عن الانقلاب

^(•) رواية الأمير « محمد البدر » بنفسه لرئيس البعثة العسكرية المصرية 🐞 اليمن .

⁽٤) مذكرة عن لقاء لي مع «جمال عبد الناصر» يوم ٢١ نوامبر ١٩٦١ .

لدرجة أنه طلب أن يجىء الإفطار له ولضيوفه ولحاشيته حيث يجلسون بجوار جهاز الراديو. ومضت الساعات ، وحين أذيع البلاغ رقم ٩ واشتم منه الملك احتمال التوصل إلى حل للأزمة كان تعليقه على الفور: «جاءكم الغم – اقفلوه ». وانصرف الأمير « البدر » ولم يكد يصل إلى بيت الضيافة الذي ينزل فيه حتى لحقه رسول من الملك يستدعيه مرة أخرى ، فعاد إلى القصر ، وبادره الملك بقوله : « الحمد ش تصححت الأمور ، المشير مقبوض عليه ، والراجح أن يتخلصوا منه قبل الصباح ، وهو الأن محطوط في الحديد » «

وعندما عرف الملك بالانشقاق الذى حدث في صفوف الانفصاليين بعد أسابيع قليلة من الانقلاب على الوحدة قرر أن يتدخل بنفسه في هذه الخلافات . كان وقتها قد سافر إلى أسبانيا في إجازة ، وقامت إحدى طائراته الخاصة تحمل سكرتيره الخاص في ذلك الوقت ، وهو السيد " إسماعيل أبو خضرة » إلى دمشق يعرض أية مساعدات مالية تريدها حكومة « سوريا المستقلة " . وكذلك يبدى رغبة الملك في لقاء عدد من القادة العسكريين ، واستعداده لإرسال طائرته الخاصة لمن يفوض منهم في ذلك . وقد سافر إليه بالفعل ثلاثة من ضباط الانقلاب بينهم المقدم « هشام عبد ربه » ، ودار بينه وبينهم حديث طويل سالوه فيه عن أهدافه السياسية " وكان رده : « أي شيء إلا عودة الوحدة بين سوريا ومصر » .

وفي اليوم الأخير من شهر ديسمبر ١٩٦١ حدثت محاولة انقلابية في لبنان . فقد أحست بعض القوى أن حكومة اللواء «شهاب » تصرفت بطريقة ودية إزاء القاهرة بعد انقلاب الانفصال . فقد سهلت ترحيل المصريين من العسكريين والمدنيين الذين أخرجوا من سوريا بعد الانقلاب ، كما أن عناصر كثيرة في الحركة الوطنية اللبنانية اعتبرت نفسها عيونا وأذانا للقاهرة على ما يجرى في دمشق . وتحالف « كميل شمعون » الذي عاد من لندن قبل محاولة الانقلاب بثمان وأربعين ساعة ـ مع الحزب القومي السورى الذي يرأسه السيد « عبد ألله سعادة » وجرت المحاولة للاستيلاء على السلطة بالقوة المسلحة .

واضطر اللواء «شهاب » إلى استخدام الطيران اللبناني في ضرب المؤامرة ، ودارت معارك بالدبابات ، وجرى اعتقال الفين وخمسمائة من أعضاء الحزب القومى السورى وأنصارهم . وحاصرت قوات الأمن اللبنانية قصر «كميل شمعون » وثبت

فيما بعد أن خطة المؤامرة رتبت في معهد اللغات البريطاني بشملان في لبنان (١) ، ثم تأكدت هوية المؤامرة حين أذاعت وكالات الأنباء ، وبينها وكالة « رويتر » أن عددا من قادة المؤامرة الذين كان مطلوبا القبض عليهم قد فروا من ميناء « بيروت » بزورق حملهم إلى مدمرة بريطانية كانت واقفة خارج المياه الإقليمية . ثم أدلى « عبد الله سعادة » رئيس الحزب القومي السوري باعترافات قال فيها : « إن هدف الانقلاب كان التمهيد لتحقيق مشروع الهلال الخصيب بتكوين اتحاد بين سوريا ولبنان والاردن والعراق » . كما قال إن حركته كانت موعودة باعتراف بريطاني فوري وحالة نجاح عملية الانقلاب .

وكان الهدف البريطاني من تأييد مشروع الهلال الخصيب ، هو تأكيد حصر مصر في افريقيا ، وتصفية أي دور أو وجود لها في المشرق العربي .

وكانت الحكومة السورية التي ترى امامها الانقسامات في الجيش السورى نشعر بورطة شديدة ، وكانت راغبة في أي إجراء من شأنه تحويل الانظار في دمشق عما يجرى في المعسكرات ، وفي المحافل السياسية . وفي ٢٧ يوليو ١٩٦٢ بعثت الحكومة السورية بمذكرة إلى الأمين العام للجامعة العربية تلفت نظره فيها إلى فقرة وردت في خطاب القاه « جمال عبد الناصر » في الاحتفال بالذكرى العاشرة لثورة ٢٧ يوليو جاء فيها بالنص : « النكسة التي حصلت السنة اللى فاتت في سبتمبر هل الرت على معنوياتنا ؟ لم تؤثر باى حال على معنوياتنا . إننا اليوم أيها الإخوة ، ونحن نحتفل باعيادنا ننظر إلى الشعب السورى في الاقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة ... فهل تمكنت هذه الرجعية ، وهل تمكن هذا الاستعمار الوهل تمكنت أموال الراشين والمرتشين من أن تقضى على روح الشعب السورى ؟ »

وبعد أن أوردت المذكرة السورية هذه الفقرة من خطاب = جمال عبد الناصر » اضافت بأن هذه الفقرة خطيرة ، وأنها في رأى الحكومة السورية تعنى « أنه لا يزال بعتبر سوريا واقعة تحت سلطته لأنه يسميها بالإقليم الشمالي ، وأن مؤدى كلامه أنه يحرض الشعب والجيش على القيام بانقلاب أو الاقتتال وخلق البلبلة والفوضي وسفك الدماء . وعلى هذا النحو فإنها تشكل اعتداء صريحا على سيادة الجمهورية العربية السورية ، وكرامة شعبها » . وطلبت الحكومة السورية أن

⁽٦) كان معهد اللغات في شملان رسميا مركزًا لتعليم اللغة العربية لأعداد من الدبلوماسيين البريطانيين والأمريكيين، وقد تعدى نشاطه هذه الحدود بكثير إلى درجة جعلت الوصف الشائع له هو، معهد الجواسيس .

يجتمع مجلس الجامعة العربية لبحث شكواها في اى بلد عربى غير مصر. وفي ١٦ أغسطس ١٩٦٢ رد الأمين العام للجامعة العربية بأنه قد دعا مجلس الجامعة العربية إلى الاجتماع يوم ٢٢ أغسطس في مدينة «شتورا » اللبنانية للبحث في الشكوى السورية.

وتحول مؤتمر «شتورا » إلى مناسبة للتشهير بمصر ، وأعدت الأطراف المشاركة في هذه العملية ما بدا لها أنه ضربة قاضية لأى محاولة مصرية للرد . فقد استطاعت أسرة » أبو الفتح » وكان » أحمد أبو الفتح » هو أنشط أفرادها في هذه الفترة - إقناع المقدم » زغلول عبد الرحمن » وهو من أقرباء أسرة « أبو الفتح » بالنسب المباشر وكان يشغل وظيفة الملحق العسكرى في بيروت (حتى تلك اللحظة 1) بأن يترك منصبه في بيروت ، ويتوجه إلى «شتورا » حيث يظهر فجأة ، وبطريقة مسرحية أمام مجلس الجامعة العربية ليدلى بشهادته عن عمليات « التخريب المصرى » في سوريا ، وفي غيرها من البلاد العربية . وبالطبع فإن حديثه سوف يكون حديث خبير يعرف الخبايا من الداخل ، ولا يستطيع أحد أن يطعن في شهادته !

وقد ذكر اللواء عبد الكريم زهر الدين » قائد الجيش السورى بعد الانفصال في اعترافاته ما يلي بالنص :(٧)

النا المقدم زغلول عبد الرحمن بعد أن أدلى بشهادته أمام مؤتمر شتورا عن الجرائم التي يرتكبها النظام المصرى توجه إلى دمشق ، وهناك اجتمع بالدكتور عبد الكريم العائدى ممثل الإمانة العامة لجامعة الدول العربية وسلمه الأوراق الرسمية التي كان يحملها ، مع الأموال التي كانت في صندوقه في بيروت ، والتي جلبها معه خوفا من إخفائها بعد تركه لمكتبه واتهامه فيما بعد بسرقتها . لقد أحسن المقدم زغلول بجلب كافة الوثائق وتسليمها بصورة رسمية لقاء إيصالات إلى مندوب الجامعة الذي أعادها بدوره إلى السفارة المصرية في بيروت . غير أن جرائد وإذاعة القاهرة رغما عن ذلك اتهمت زغلول بالسرقة وغيرها من الاتهامات .

ثم بقى المقدم زغلول فترة لا باس بها في دمشق . ولكنه عندما اظهر رغبته بإقامة مكتب ووسائل دعاية لصالح منظمة « مصر الحرة » اعتذرنا عن تلبية طلبه لانه سبق لهذه المنظمة « وبعد حركة ٢٨ ايلول (سبتمبر) مباشرة ان تقدمت بهذا الطلب ورفضناه ، لاننا علمنا بان هذه المنظمة معولة ومسيرة من قبل الاستعمار الفرنسي والانكليزي . وهو بعد ذلك سافر إلى اوروبا ولم نسمع عنه شيئا . «

(٨] التقرير الصوتى ، ومرفق به تقرير ضابط المخابرات العامة الذى قام به موجود في ارشيف إدارة المخابرات العامة . وقد قامت الإدارة بتقريفه ، وطبعت منه ثلاث نسخ _ احتفظت بواحدة منها في ارشيفها المركزى ، وقلمت بإرسال الثانية إلى رئاسة الجمهورية ، والثالثة إلى مكتب المشير «عامر» .
(٨) محاضر حلسات المجلس العسكرى العالى المشكل المحاكمة المقدم السابق « زغلول عبد الرحمن » _ جلسة

(٩) محاضر جلسات المجلس العسكرى العال المشكل لمحاكمة المقدم السابق « زغلول عبد الرحمن ، ـ جلسة ١٢ المسطس ١٩٦٥ .

لم يسمع اللواء « عبد الكريم زهر الدين » (كما قال) شيئا عن « زغلول سد الرحمن » بعد سفره من دمشق إلى أوروبا ، ولكن المخابرات المصرية (^) كانت مريد أن تعرف عنه كل شيء . وقد استطاع احد ضباطها أن يحصل على تسجيل موتى لمناقشة جرت بين « محمود أبو الفتح » و » زغلول عبد الرحمن » في إحدى الغرف بفندق في ضاحية « أوستيا » القريبة من روما عاصمة إيطاليا . وفي هذا السجيل سمع صوت « زغلول عبد الرحمن » يقول لـ « محمود أبو الفتح » انا حسيت إنه الناس اللي قابلتهم إمبارح مع أحمد (يقصد أحمد أبو الفتح) م في الحقيقة إسرائيليين ، وكانوا بيسالوا بإلحاح عن معلوماتي عن الصواريخ اللي بتتعمل في مصر » . وسمع في شريط التسجيل صوت « محمود أبو الفتح » يرد عليه قائلا : « اسمع يا زغلول ، أنا مستعد اتعامل مع الشيطان ضد جمال (جمال عبد الناصر) » .

ويبدو على نحو أو أخر أن « زغلول عبد الرحمن » بدأ يشعر أنه تورط بأكثر مما أراد لنفسه . وبعد فترة من الزمن تخبطت فيها تحركاته بين روما وباريس وجنيف ولندن قرر أن الأفضل له أن يعود إلى القاهرة ، ويسلم نفسه . وقد جاء بالفعل وأدلى ماعترافات كاملة عن تجربته ، ثم أعاد تكرار اعترافاته أمام مجلس عسكرى عال شكل لماكمته . وجاء [اعترافاته أمام المجلس العسكرى(٩) أن أسرته (اسرة ، أبو الفتح ») أغرته بالهرب ، وأنهم دفعوا له مبالغ لتسديد ديونه مقدما ، ثم راحوا بعد ذلك يدفعون له مرتبا شهريا قدره ثلاثمائة جنيه استرليني . وقال لمختبئا في سيارة السفير السعودي في بيروت ، وأنه علم فيما بعد أن « أحمد أبو الفتح » تسلم ١٥٠٠ ألف جنيه استرليني من السعودية مقابل إغرائه على الهرب ، وأنه سلم « أحمد أبو الفتح » ملفا كبيرا يحوى صورا من كل ما كان الهرب ، وأنه سلم « أحمد أبو الفتح » ملفا كبيرا يحوى صورا من كل ما كان الهرب من أوراق .

وكان من اخطر ما جاء أن اعترافات « زغلول عبد الرحمن » هو قوله « بان شخصين من المخابرات البريطانية جاءا لمقابلته وانه رفض أن البداية ، إلا أن أحمد أبو الفتح الح عليه ليلقاهما حتى لا يوقعه أن

(٧) مذكرات اللواء = عبد الكريم زهر الدين ، صفحة ٣١٧ .

⁰⁹¹

حرج . فوافق على مقابلتهما ، ووجد أن اهتمامهما مركز كله على مسالة الصواريخ التي تصنعها مصر » .

وفي أواخر عام ١٩٦١ وكانت الثورة الجزائرية تواجه أصعب ظروفها «
و " ديجول " يبذل قصارى جهده ليحول دون تحقيقها لانتصار كامل حتى يفرض على قيادتها موقفا « معتدلا » في مفاوضات الاستقلال - كان رأى « جمال عبد الناصر » انه من الضرورى تكثيف المساعدات للثورة الجزائرية حتى تستطيع تحقيق انتصارها كاملا ، وعلى نحو يحسم بشكل نهائي مطلبها في الاستقلال الكامل . كان الأسطول الفرنسي يقيم حصارا شديدا حول الحدود الجزائرية مع تونس والمغرب لكى يحول دون وصول أية إمدادات حربية إلى المقاتلين في اللحظات الفاصلة من القتال ، كما أن الاسطول الفرنسي كان يفعل نفس الشيء أمام الشواطيء الجزائرية . وبلغت دقة الموقف في وقت من الأوقات إلى حد أن « جمال عبد الناصر » اتخذ قرارا باستعمال الغواصات في نقل السلاح إلى الجزائريين حتى يتاكد لهم التفوق في المعارك التي كانت تدخل مراحلها الأخيرة قبل المفاوضات . وبالتاكيد فإن « جمال عبد الناصر » اعتبر وقوفه إلى النهاية مع الثورة الجزائرية بمثابة الرمز الحي على أن التزامه بالقضايا العربية متين بصرف النظر عن الانقلاب أل سوريا » وعن كل ما كان يتعرض له في المشرق العربي !

وفي هذا الوقت قررت فرنسا أن تعمل مباشرة في القاهرة ، وتمكن جهاز المخابرات المصرى في ضربة من أكثر ضرباته توفيقا أن يلقى القبض على شبكة تجسس واغتيالات فرنسية كلفت بالعمل في مصر تحت ستار مكتب رعلية المصالح في السفارة التونسية بالقاهرة ، وكان المسؤول الأول عن هذه الشبكة موظف فرنسي يحمل جواز سفر دبلوماسيا يشير إلى أنه بدرجة سكرتير أول في الخارجية الفرنسية اسمه « جان بول فرانسوا بليفييه » . وقد اشترك معه المصالح المسرية أن يتابع الشبكة الفرنسيين والإيطاليين ، واستطاع جهاز المخابرات المصرية أن يتابع الشبكة الفرنسية ، ثم يقبض عليها في حالة تلبس ، وأن يواجه رئيسها بما لديه من أدلة مصورة ومكتوبة . وجلس « بليفييه » صامتا لكي يكتب اعترافا خطيا جاء فيه :

انا الموقع على هذا « جان بول فرانسوا بليفييه » اقر باننى كلفت رسميا بتصفية المتلكات الفرنسية في مصر الموضوعة تحت الحراسة ، ولكنى في نفس الوقت تلقيت الأمر بان اجمع معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية عن الجمهورية العربية المتحدة ، وان اقوم بإنشاء تنظيم يكفل حصولنا بانتظام على معلومات مخابرات

كنا نقوم بإرسالها بالعقيبة الدبلوماسية إلى الوزارة في باريس. وقد رسعنا خطة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر على اساس أن ذلك هو الحل الوحيد لتغيير سياسة الجمهورية العربية المتحدة. ولهذا الغرض ارسلوا إلينا من باريس ضابط مخابرات فرنسي هو المسيو « هنرى جانيتز » وقد سبق له أن وضع خطة لاغتيال فرحات حثياد رئيس اتحاد النقابات التونسية . وقد قمنا بإعداد منشورات ضد نظام الحكم في مصر عملنا على توزيعها « وكنا نتولى كمهمة جانبية عملية جمع اخبار خاصة لمحطة إذاعة مصر الحرة التي تبث من مرسيليا « والتي يديرها احمد ابو الفتح ، ويذيع منها مرتين كل يوم إذاعات موجهة إلى مصر . كما اننا قمنا ابضا بتهريب أموال لعدد من المصريين المعروفين بصداقتهم الفرنسا ، والذين وضعوا تحت الحراسة في اواخر سنة 1971 .»

كان تقدير • جمال عبد الناصر » أن هذه العمليات كلها ، على تعدد اتجاهات القائمين بها ، وعلى اختلاف أهدافهم ـ هي نوع من النيران المتفرقة يقصد بها أن تشغله ، وتشتت اهتمامه ، وتضعه باستمرار على الدفاع في معارك صغيرة وجانبية .

ولقد ادرك ان عليه ان يترك هذه المعارك لأخرين يتولون مواجهتها ، اما هو فيجب ان يتجه بكل جهده إلى تقوية « القاعدة الثابتة » ...

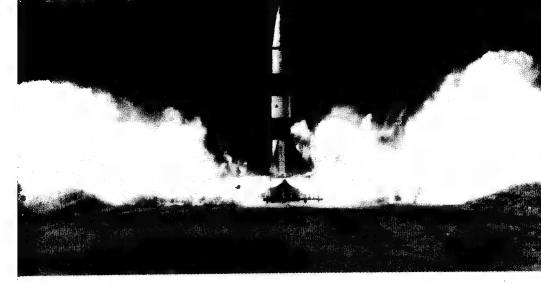
وطرح ، جمل عبد الناصر ، مشروع ميثاق العمل الوطنى أمام مؤتمر للقوى الشعبية .

وبدا الإعداد والعمل لتنفيذ اول خطة خمسية للتنمية على أساس مضاعفة الدخل القومى (عشر سنوات ، وفي مركز الصدارة من الخطة : إتمام السد العالى بمرحلتيه ، والتصنيع الثقيل .

وجرت يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٢ تجربة لصاروخين مصريين هما « القاهر » و « الظافر » (١٠) . ومع أن تجربة هذين الصاروخين أثبتت نقصا لابد من استكماله لل أجهزة التوجيه ، فإن ظهور صواريخ مصرية كان حدثا في المنطقة ، وكان المشرف على مشروع الصواريخ هو أحد العلماء الألمان الذين شاركوا في صنع الصاروخ « ٧ » رقم (١) وهو الدكتور « وولفجانج بيلز » (وكان هو فيما بعد الذي اشرف على صناعة الصواريخ في الصين) .

واعطيت دفعة كبيرة لصناعة الصواريخ ، وكان الإشراف عليها لعلماء ألمان من

⁽١٠) هذه الصواريخ ـ أو النملاج المتطورة منها ـ تقوم ساعة كتابة هذه السطور (بداية صيف ١٩٨٨) بدور عبير ف الصراعات الدائرة في القبرق الأوسط .



الصاروخ « القاهر » لحظة اطلاقه ، الذي احدث بويا سياسيا هائلا في المنطقة رغم نواقصه .

الذين كانت تتسابق عليهم الدول العظمى ، وبينها الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية .(١١)

وكان البرنامج النووى في مصر قد دخل إلى عهد جديد بعد إتمام إنشاء مفاعل « انشاص » ، وبدات مصر تعد بجانب مصانع « كيما « للسماد مشروعا لإنتاج المياه الثقيلة ، كما أن طبقات من اليورانيوم تم اكتشافها في الواحات ، وفي جنوب الصحراء الشرقية .

ولعل الثغرة الاساسية التي تركها « جمال عبد الناصر » وراءه في هذه الظروف ولم يقطع فيها بطريقة حاسمة كانت هي قضية القيادة أل القوات المسلحة . كانت تجربة الانقلاب أل سوريا قد أوضحت له أن أحوال القيادة العامة بما فيها شخص القائد العام تحتاج إلى مراجعة . كان هذا الموضوع قد طرح نفسه في أعقاب حرب السويس ، ثم عاد ليطرح نفسه بصورة الله بعد الانفصال في سوريا ، وكان لابد من البت فيه ، ولكن « جمال عبد الناصر » آثر

ناجيل البت فيه ، فقد تحرج من ناحية دفعا لمقولة إنه يتخلص من زملائه في مجلس قيادة الثورة واحدا واحدا ، ومن ناحية ثانية ، فلم يكن يريد إحداث هزة في الجيش في أعقاب الانفصال ، ومن ناحية ثالثة ، فإنه وهو مقبل على مرحلة يريد فيها تدعيم الجبهة الداخلية بتكثيف العمل في مجالات الإنتاج والخدمات للم يكن مستعدا لأن يعرض الأداة الرئيسية للأمن القومي لأى خلخلة في وقت تتزايد فيه التحديات من حول الجمهورية .

وكان السكوت على الأوضاع السائدة في القوات المسلحة حلا وسطا ، ولم يكن بالضبط انقلابا « أبيض » - كما تقول بعض النظريات - وعلى أى حال فإن خطر الحل الوسط إزاء أوضاع من هذا النوع الذى كان سائدا لم يكن أقل من خطر انقلاب أبيض !(١٢)



وكانت هناك قوى فى العالم ترقب القاهرة وترصد حركتها ، قد ظن كثيرون أن مفاجأت الحوادث وذيولها سوف تعطلها على الأقل _ إذا لم تصبها بالشلل _ لفترة طويلة .

ثم لاحظ هؤلاء جميعا أن القاهرة تجاوزت صدمتها بسرعة ، واجتازت امتحانها مكلاءة ، ولعل بعضهم راح يفكر ، ولعل بينهم من وجد الفرصة سانحة لكى يتحرك الان وقبل أن تمشى الأمور إلى بعيد قد يصعب اللحاق به . وكانت التقديرات مختلفة باختلاف القوى كما أن التوجهات كانت متباينة بتباين مقاصد أصحابها . وربما كان البيت الأبيض الأمريكى أسرعهم إلى انتهاز الفرص في ذلك الوقت .

⁽١١) كان الدكتور ، فون براون = منشىء صناعة الصواريخ في الولايات المتحدة ، بما فيها الصاروخ الذي حمل أول إنسان إلى القدر ـ أحد هؤلاء العلماء .

⁽١٢) الحقيقة اننى لست من انصار نظرية الانقلاب الأبيض التي تروج لها بعض الاجتهادات [محاولة سائجة ـ ل رايي ـ لإعفاء جمال عبد الناصر من اى مسؤولية عن الجانب العسكرى سنة ١٩٦٧ ـ ولو كانت هذه النظرية صحيحة ، فلم يكن يحق لجمال عبد الناصر ان يقبل تحدى الحرب سنة ١٩٦٧ مهما كانت الفلروف ، وإلا فكيف يدخل الحرب بجيش خارج عن طاعة قيادته السياسية ؟!

يوم ١٦ اكتوبر ١٩٦١ كتب « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى المرئيس « كنيدى » مذكرة إلى « دين راسك » وزير الخارجية (١٣) جاء فيها بالنص :

إن الرئيس مهتم كثيرا بالسياسة التي يمكن ان نتبعها إزاء مصر بعد الانقلاب في سوريا . وهو يتساط عما إذا كانت الصدمة التي تلقاها ناصر في سوريا حتى وإن كانت صدمة مؤقتة سوف تدفعه إلى الانكفاء على الداخل ، وإلى خلق فرص لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ولو بقصد الحصول على مساعدات اقتصادية منها .

إن الرئيس يطلب تقريرا ، ويطلب - إذا استدعى الأمر - برنامجا للعمل ، ويريد ان يكون ذلك عنده قبل يوم ٢٠ اكتوبر ١٩٦١ .

إمضاء ماك جورج باندى •

وأحست القاهرة أن البيت الأبيض يفكر في تحرك جديد تجاهها . واستطاع أحد الدبلوماسيين في السفارة المصرية (١٤) في واشنطن أن يحصل على تقرير داخلي من تقارير وكالة المخابرات المركزية سلمه للسفير « مصطفى كامل » الذي بعث به بالحقيبة إلى القاهرة . وقد وردت في هذا التقرير مجموعة من النقط أهمها ما يلى :

1 - إن الوقت مناسب لتحرك امريكى نشيط وخلاق تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، فهناك مجموعة من العوامل تؤثر في رؤية ناصر للأمور واهمها ضيقه الشديد من العرب بعد الانفصال في دمشق ، وما تاكد له من مشاركة اطراف عربية في تدبيره . وفي نفس الوقت فإن ناصر لا يزال على خلاف حاد مع الاتحاد السوفيتي ، وقد زادت مضاعفات هذا الخلاف من تاييد خالد بكداش للحكم الذي قام في سوريا ، واعتبر ناصر ان بكداش لا يمكن ان يتخذ هذا الموقف بدون إجماع من الاحزاب الشيوعية العربية يؤيدها فيه الاتحاد السوفيتي الذي كان هو نفسه من اوائل الدول الرئيسية التي اعترفت بحكومة الانقلاب في سوريا .

٢ - إنه من الواضح اعتمادا على معلومات مصادر موثوقة أن ناصر سوف يركز في الفترة القادمة على العمل الداخلي وهو يرى أن العمل في الداخل هو السبيل

المفتوح امامه في هذه الطروف لتطوية مركزه في مصر حتى يتسنى له أن يعود مرة اخرى إلى العالم العربي في طروف مستجدة ، خصوصا إذا نجح رهانه على انتصار الثورة الجزائرية .

٣ ـ إن = ناصر قوى داخل حدوده = _قد لا يكون عنصرا معاديا للولايات المتحدة .
 فخطره الحقيقي على مصالح الولايات المتحدة يجيء حين يخرج من حدود بلاده .
 ويتدخل في الشؤون الداخلية لبلدان الشرق الأوسط الأخرى .

1 - إن ناصر لا يزال عنصرا هاما في مقاومة الشيوعيين ونفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة - وهناك قدر معقول من الافتراض بانه إذا تلقى مساعدات مناسبة ، الله يجد ان من مصلحته الاستمرار في سياسة تكفل تحقيق العنصرين السابقين - اى بقاؤه داخل حدوده وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخرين - إلى جانب استمراره في العداء للشيوعيين والاتحاد السوفيتي .

■ _إن تفاعلات هذه العوامل التي سبقت الاشارة إليها قد تدفعه فيما بعد إلى رؤية الضوء بما يسبهل عليه تجاوز عقدة استمرار الصراع مع إسرائيل وإذا أمكن الوصول إلى سلام بين مصر وإسرائيل ، فليست هناك قوة عربية أو مجموعة قوى تستطيع أن تعرقل هذا الاتجاه .

وبدأ هجوم السلام الأمريكي على القاهرة يأخذ ملامحه وكانت بدايته خطابا بالغ الرقة من والنجمة اللامعة في المربكي الجديد والنجمة اللامعة في إدارته .

كانت حكومة الولايات المتحدة قد تبرعت لمشروع إنقاذ اثار أبو سمبل (من الغرق نتيجة لتنفيذ مشروع السد العالى) بمبلغ عشرة ملايين جنيه من فوائض مبيعات القمح الأمريكي لمصر . وتعبيرا عن تقدير مصر لهذا التبرع وافق « جمال عبد الناصر » على عرض بعض آثار « توت عنخ آمون » في الولايات المتحدة . كما أن مجلس الوزراء اتخذ قرارا بإرسال تمثال صغير لأحد النبلاء من عصر « توت عنخ امون » وجدت عدة نسخ في مقبرته كهدية خاصة للبيت الأبيض . وكانت « جاكلين كنيدي » هي التي تولت الرد على هذه الهدية . وبتاريخ ٣ نوفمبر ١٩٦١ كتبت إلى عبد الناصر » الخطاب التالى نصه :(١٥)

« عزيزي الرئيس

لا اعرف كيف اعبر عن شكرنا العميق لك . إنك جعلت من المكن لنا _ على بعد محيطات كثيرة من مصر _ ان نرى كنوز مقبرة توت عنخ أمون ، وكان ذلك كرما

⁽١٣) مذكرة عمل صادرة عن مجلس الأمن القومي برقم (١٠٥) بتاريخ ١٦ اكتوبر ١٩٦١ وقد ارسلت صور منها إلى وزير الدفاع ، ووزير الخزانة ، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

⁽١٤) قصة هذا الدبلوماسي لغز من الالغاز الغامضة ، فقد ظهر فيما بعد انه تعاون بشكل من الإشكال مع وكالة المخابرات المركزية ، وقد حاول دائما إبعاد الشكوك عن نفسه بالحصول على بعض التقارير الداخلية لوكالة المخابرات المركزية ، ولم يكن معروفا بشكل مؤكد إذا كانت الوكالة قد سمحت له أن يقوم بهذا الدور المزدوج ، أو انه هو الذي اختار لنفسه هذا الدور . وقد كانت بعض تقاريره صادقة ، كما كان بعضها الآخر » مصنوعا » ، ول النهاية فإن هذا الدبلوماسي عندما فرض عليه أن يختار رفض أن يعود إلى القاهرة ، وقرر البقاء في الولايات المتحدة ، وتم فصله من الخدمة . وإذا كنت لا أذكر اسمه صراحة في هذه الحاشية ورغم أنه توفي إلى رحمة الله فإن مبعث ذلك أنه أدين بالطريق الإداري ، وليس بطريق المحاكمة .

⁽١٠) مجموعة وثائق البيت الأبيض - مكتبة الرئيس كنيدى .

رائعا ، وإشارة رقيقة من جانبك . لقد عشت حياتي كلها اتمنى أن ارى أثار مصر ، وهكذا يمكنك أن تتخيل مشاعرى عندما وقفت أمام كنوز توت عنخ أمون قطعة بعد اخرى . ولقد وقفت أخيرا أمام التمثال الرائع الذى تفضلت بإهدائه إلى البيت الابيض لاحد النبلاء من القرن الخامس قبل الميلاد . ووجدت نفسى أقف مشدوهة لا اعرف ماذا أقول حتى لكاننى الله القدرة على النطق .

لقد اغرمت بفنون مصر اكثر من غرامى باى فنون اخرى ، ومنذ ان كنت تلميذة صغيرة ، فلقد استطاع اساتذتى ان يفتحوا عينى على روائع الفن المصرى . وانت تعرف مشاعر زوجى تجاه إنقاذ آثار المعابد البديعة الموجودة في اعالى النيل ، ولا تستطيع ان تتخيل ما الذى يعنيه ان اجد عندنا في البيت الابيض نموذجا من اثار مصر . إنه جميل إلى درجة اننى لا استطيع ان اشير إليه كشىء . إننى اشعر بالاسى له وهو يجد لنفسه بيتا جديدا بعيدا عن مصر ، ولكن لعله عزاء قليل له ولك ان تعلم ان طيفه سوف يظل معنا طوال حياتنا . وبالتاكيد فإن عمره سوف يكون اطول من اعمارنا ، وسيظل له دائما جلاله الذى لا يضاهى . وانا واثقة انه سوف يوقظ لدى كثيرين من الامريكيين حبهم لحضارة بلادكم ، وربما كان في ذلك بعض التعويض عن اغترابه . إننى اخشى يا عزيزى الرئيس اننى لن استطيع ان اجد الكلمات التي اشكرك بها وامل ان تقدر شعورى بالعرفان ، واتطلع بشوق إلى ان تتيح لى الظروف شرف لقائك في يوم من الايام .

المخلصة جاكلين كنيدي •

من الغريب أنه فى الوقت الذى راح فيه « كنيدى » يطرق أبواب القاهرة _ كانت إسرائيل تبذل جهدا كبيرا لإقناع الولايات المتحدة باعتمادها وكيلا لها فى أفريقيا ، وبالذات فى الدول الحديثة الاستقلال . ويوم ٢١ نوفمبر كتب « مائير فيلدمان » مستشار الرئيس « كنيدى » للشؤون اليهودية مذكرة الرئيس جاء فيها ما نصه :(١٦)

« إلى الرئيس

١ ـ تتذكر في اجتماعنا قبل اسبوعين انك سالتنى عن معلومات عن المساعدات التى تقدمها إسرائيل إلى الدول الافريقية حديثة الاستقلال . وكان توجيهك أن نبحث مدى استعداد إسرائيل واهليتها لهذه المهمة .

٢ ــ لقد اعترفنا منذ وقت طويل بالدور الهام الذى تقوم به إسرائيل في الدول الافريقية النامية ، وتقوم إسرائيل الأن بتنفيذ البرامج التالية :

(1) تدرب عددا كبيرا من القادة الافريقيين والاسيوبين ، ولديها الان عشرة مراكز دائمة للتدريب الم إسرائيل .

(ب) ترسل إسرائيل خبراء ومستشارين إلى عدد من الدول المهمة . وفي الشهور العشرة الأولى من سنة ١٩٦١ ارسلت إسرائيل ٢٠٥ خبراء إلى الحريقيا واسيا . وستة خبراء إلى امريكا اللاتينية ، ولديها الآن طلبات إضافية بـ ٦٥ خبيرا جديدا .

(جــ) تنظم إسرائيل مجموعات ومعدات تدريب في عدد من البلدان ، وهي تنشيء الأن خمسة مراكز للتدريب قادرة على استيعاب ٥٠٠ فرد في غرب افريقيا

(و) تقيم مشروعات مشتركة ابرزها شركة غرب افريقيا التى تستخدم الأن خمسة الاف موظف محلى وإدارة إسرائيلية مكونة من خمسين خبيرا ومستشارا .

إن هذا النشاط يناسب الولايات المتحدة الأمريكية ، ويخدم اغراضها بأقل التكاليف للأسباب التالية :

١ - إن الخبرة الإسرائيلية رخيصة ، فالخبير الإسرائيلي لا يتكلف اكثر من ١٠٠٨ دولار في الشهر في حين أن أي خبير أمريكي يحتاج إلى ضعف هذا المبلغ على الاقل .

٢ ـ لأن إسرائيل دولة اصغر، فإنها يمكن أن تكون أكثر نفاذا .

٣ ـ لأن ٥٠٪ من سكان إسرائيل من اصل اسيوى وإفريقى ، فإن ذلك يجعلهم قادرين بسرعة على التاقلم .

ونحن نقترح (بقية صفحات التقرير محذوفة لدواعي الأمن القومي المستمرة حتى الأن) . »

وفى يوم ١٠ يناير ١٩٦٢ رد وزير الخارجية « دين راسك » على التساؤل الذي وجهه له « ماك جورج باندى » وقد جاء في رده ما يلي :

١ - إنه يقترح إمداد مصر ببعض المعونات الاقتصادية لإبعادها عن أي اقتراب من السوفيت .

 ٢ ـ إن إحساس ناصر نتيجة للمعونة بأن لديه ما يفعله في بلاده سوف بغريه بعدم الخروج وراء حدوده

٣ ـ إنه يقترح أن تكون المعونة لعدة سنوات لكى تعزز إمكانية الارتباط السياسي الطويل المدى .

⁽١٦) مجموعة الوثائق السرية لمكتبة «كنيدى» وكذلك مجموعة وثائق مجلس الأمن القومي.

ا - إنه يقترح إجراء اتصالات مباشرة مع الحكومة المصرية عن طريق وقد سياسي يزورها ، وعن طريق بعثة خبراء تدرس اوضاعها .

- إنه يقترح دعوة ناصر لزيارة الولايات المتحدة ، ويرى أن ذلك أمر مرغوب فيه » لتهيئة فرصة لإجراء مواجهة شخصية معكم ، ولتعريفه بالولايات المتحدة ، وبالغرب عموما ، فهو لم يزر أى بلد غربى إطلاقا باستثناء حضوره الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٦٠ ، ثم للتغلب على شعور ناصر باننا لا نريده ، وهو ما نعتقد أنه أثر على مسلكه تجاه الولايات المتحدة تأثيرا معاكسا .»

وختم « دین راسك » مذكرته بقوله :

« إننى على علم بأن هذه الخطوات ربما بدت تأييدا لنظام ناصر ، ولكن علينا أن نعرف أن الترتيب لهذه الأمور كلها سوف يستغرق وقتا طويلا نستطيع فيه أن نراجع موقفنا . وفي كل الأحوال فإننا يجب أن ناخذ مخاطر محسوبة فيه

ويوم ٢٤ يناير ١٩٦٧ كتب الرئيس « كنيدى » إلى « جمال عبد الناصر » خَطَآبا شخصيا كان نصه كما يلي :(١٧)

« عزيزي الرئيس

في العام الذي مضى ، ومنذ تسلمت رئاسة الولايات المتحدة تبين في أن هنك مشكلة كبيرة في فهم آراء وشواغل اصدقائنا في الخارج ، وان مبعث ذلك هو أنه لا توجد صلات كافية بيننا وبين رؤساء الدول الأخرى . ومن الواضح امامي ان العالم يتغير بسرعة غير عادية ، والعام الحالى ، والعقد الحالى في رايي حاسمان بالنسبة لنا جميعا باكثر من أي عام ، أو أي عقد سبقا على مدار التاريخ . وأعرف انكم تشاطرونني الرأى في أنه يتعين علينا أن نبنل كل ما في طاقتنا لتحسين احتمالات السلام في كل ركن من أركان العالم . ومن المقرر أن يقوم صديقي العزيز ومستشارى تشستر بولز برحلة إلى الشرق الأوسط وأفريقيا . وبناء عليه يهمني أن أطلب منه أن يبحث معكم بصراحة ، وبالنيابة عنى جميع أنواع القضايا العالمية المعدد أن يبحث معكم بصراحة ، وبالنيابة عنى جميع أنواع القضايا العالمية المعدد التي تسبب المتاعب لعالمنا الآن . وفي وسع السفير بولز التوقف لبضعة أيام في القاهرة في شهر فبراير لإجراء هذه المناقشة معكم . ويمكنه أن يصل في اليوم الثالث عشر من فبراير إذا كأن هذا الموعد ملائما لكم .

ولعلكم تعرفون اننى قد عينت السفير بولز اخيرا ليكون ممثل الشخصى، ومستشارى بالنسبة لجميع جوانب علاقات الولايات المتحدة مع أسيا وافريقيا

(١٧) مجموعة وثائق مكتبة « كنيدى » ومجلس الأمن القومي ، وكذلك مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية

وامريكا اللاتينية وقد توافرت له خبرة واسعة النطاق في الشؤون الافتصادية والسباسية لهذه الأجزاء من العالم عان لديه فهما وتعاطفا عميقين بالنسبة للمشكلات المتشعبة للبلدان التي تسعى سعيا حثيثا في سبيل تنشيط عملياتها الخاصة بالتنمية الوطنية الذاتية . وإذا وافقتم على لقائه فسوف يتم الإعلان عن توقفه في القاهرة باعتباره فرصة لزيارة الجمهورية العربية المتحدة ليخرج بنفسه بانطباعات مباشرة عن مصر الحديثة . غير ان الغرض الحقيقي من زيارته للقاهرة هو أن يجتمع معكم " وأمل أن تتحدثوا معه بمثل الصراحة التي يمكن أن تتحدثوا بها معى حول الموضوعات التي تمس العلاقات بين أمتينا ، والشرق الاوسط بها معى حول الموضوعات التي تمس العلاقات بين أمتينا ، والشرق الاوسط بصورة عامة " والشؤون الدولية جميعا ، وسوف يكون بمقدوره أن ينقل إليكم أرائي الشخصية حول هذه الموضوعات كلها . وساكون عظيم الامتنان لمعرفة رد فعلكم تجاه اقتراحي " ويسعدني أن أعرف مع تقديري لكل أعبائكم ما إذا كان فعلكم تجاه اقتراحي " ويسعدني أن أعرف مع تقديري لكل أعبائكم ما إذا كان فقتكم سيتسع لمباحثات معه اعتقد أنها ربما برهنت على فائدتها القصوى لكلينا .

مع اطيب التمنيات .

المخلص جون ف . كنيدى »

وحين تسلم « جمال عبد الناصر » هذه الرسالة التي قدمها له السفير الأمريكي = جون بادو = كتب في اعلاها بخط يده بالنص:

وافقت :

١ - على الزيارة ، ويكون ضيفا على الحكومة .

٢ - يتم الاتفاق مع السفير على برنامج الزيارة .

٣ - وافقت على مقابلته يوم ١٤ فبراير الساعة الثامنة مساء . »

وتم اللقاء في موعده ، وتبعه لقاء ثان ، وسافر « تشستر بولز » من مصر بعد دلك متوجها إلى أثيوبيا ، ومن عاصمتها « أديس أبابا » بعث ببرقية سرية إلى الرئيس • جون كنيدى » يعرض فيها نتائج لقاءاته مع « جمال عبد الناصر » :(١٨)

« سری ۲۱ فیراین ۲۱ م

إلى الرئيس من تشستر بولز

لقد كانت الإيام الخمسة التي قضيتها في القاهرة وحولها مشجعة اكثر مما قدرت . إنني عقدت لقاعين مع ناصر قضيت معه فيهما خمس ساعات اتاحت الفرصة

١٨) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية الامريكية .

^{7.4}

لأعرض عليه بشكل مكثف مجملا لسياسات الإدارة الأمريكية الجديدة ، ولكى اسعب منه وجهات نظره في القضايا الهامة بما فيها ازمات الشرق الأوسط ، وتعقيدات العلاقات المصرية الأمريكية . وكان حديثنا وديا طوال الوقت ولم يكن هناك اثر للانفعال في أى لحظة ، وكان ناصر متمكنا من نفسه ، وقد طرح آراءه بطريقة صريحة وواضحة . ومن الواضح في أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تريد تحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة ، وقد اعتبروا أن زيارتي لمصر كممثل للرئيس فرصة لوضع اساس للتفاهم بيننا . وأريد أن أعرض هنا بعض انطباعاتي :

ا ـ إن مصر سوف تظل تلعب بالتاكيد دورا اساسيا في شؤون الشرق الأوسط بسبب موقعها ، وتأثيرها الثقافي في العالم العربي ، واهميتها في العالم الإسلامي ، وحجم سكانها ، وثروتها الزراعية ، وكفاءة وشخصية قيادتها المثيرة للحماسة . وإذا كان علينا أن نواجه عداء من مصر ، فلست أرى كيف يتسنى لنا أن نتوصل إلى حل لمشكلة فلسطين ، أو أن نحقق أي هدف من أهداف الولايات المتحدة المناحة

٢ - إن اية ترتيبات سياسية مؤقتة لن تقدم لنا اكثر من فرصة لالتقاط الانفاس.
 فإذا كنا نريد أن نسعى لتحقيق سياسة بعيدة الأمد ، فيجب علينا أن نساعد على إيجاد حل لمشكلة زيادة السكان ، وزيادة تطلعاتهم مع وجود موارد اقتصادية محدودة - وإلا فإن الوقف في هذا البلد المؤثر في الشرق الاوسط سوف يصبح قابلا للانفجار بما يؤثر على المنطقة كلها.

٣ - إن نجاحنا يتوقف على قدرتنا على إقناع ناصر بالإمساك بالمحراث بدلا من الميكروفون. وبهذه الطريقة وحدها يمكن ان نضمن تقدم المنطقة سلميا إلى العالم الحديث.

ولقد خرجت من مقابلتي مع ناصر وبغيره من أعضاء حكومته بالإنطباعات التالية :

١ - إن الحكومة في مصر تقودها مجموعة من الرجال شديدى الكفاءة ، ومعظمهم في سن الشباب ، مليئين بالعزم ، ولديهم تفان عميق لتحقيق اهدافهم .

٢ - مهما يكن من امر انتقاداتنا لناصر ومساعديه ، فإنهم مخلصون في تغانيهم من اجل تحسين احوال الشعب المصرى ، وهم شديدو الوعى بالمظالم الاقتصادية التي حلت بمصر لاجيال متلاحقة ، وهم مصممون على إزالتها .

٣ - إن قادة الجمهورية العربية المتحدة - فيما احسست ورايت - رجال عمليون يبحثون عن الإساليب التى تمكنهم من تنمية اقتصادهم ، والمحافظة على سياستهم . وقد كانت الصناعة المصرية تقليديا موجهة إلى تحقيق اكبر عائد ممكن في اقل وقت ممكن ، مع الاعتماد على الحماية دون نظر إلى الاستثمارات بعيدة المدى . وبرغم ان الحكومة حاولت بكل جهدها تشجيع راس المال الاجنبى ، فإن النتيجة كانت مخيبة للرمال . وعندما فقد ناصر وزملاؤه ثقتهم في تحقيق اهدافهم على اساس نموذج . راسمالى حر ، الله بداوا يتجهون نحو التخطيط المركزى . وربما كانت القرارات المراسمالى حر ، الله بداوا يتجهون نحو التخطيط المركزى . وربما كانت القرارات المراسمالى حر ، الله بداوا يتجهون نحو التخطيط المركزى . وربما كانت القرارات المدين .

التى اتخذت اخيرا لزيادة تركيز التوجيه الالتصادى تعكس إحباط النظام وغضبه عقب انفصال سوريا ، وخوفا من حدوث انقلاب مماثل في مصر ، وبعد ان ساروا طويلا في اتجاه التخطيط المركزي ببدو في الأن انهم يعاودون التفكير .

ان رأى ناصر ومعاونيه في الاتحاد السوفيتي ، وفي الصين الشعبية يبدو لى رايا عمليا غير ملتبس بأى اتجاهات عقائدية . فهم سوف يستعملون الاتحاد السوفيتي كمصدر للسلاح والاستثمارات بما يلائم مصالحهم - وبالطبع فإنهم سوف يتبعون نفس الاسلوب معنا .

ه - إن الجمهورية العربية المتحدة تنظر إلى إسرائيل كما تنظر الولايات المتحدة بالضبط إلى الاتحاد السوفيتى. ولن نتقدم بعيدا إذا حاولنا مجرد تسفيه هذا التقدير من جانبهم. وهم على اقتناع بأن حكومة الولايات المتحدة لا تستطيع الصمود أمام الضغوط الصهيونية في الولايات المتحدة.

٦ - وبنفس الطريقة ، فإن المصريين على اقتناع بان البريطانيين والفرنسيين لم يتخلوا عن تصميمهم على تدمير ناصر ، وقد ذكروا لى ان مخابراتهم تعرف يقينا كثيرا من المعلومات عن التعاون البريطاني - الإسرائيلى . تما انهم يعتقدون ان البريطانيين والاردنيين كان لهم دور في حوادث لبنان . وهم مصممون على ان اعضاء البعثة الفرنسية في القاهرة والذين تجرى محاكمتهم الآن فيها كانوا يتامرون لقتل ناصر .

٧ - إن هذا يقودنى إلى الاعتقاد بأن النظرة الأمريكية لناصر وزملائه تتسم بتبسيط شديد ، كما أنه يشوبها الكثير من القصور . فلقد قللنا من أهمية الطابع الثورى لنظامه ، كما أننا في ضيقنا من أعمالهم وأقوالهم أتجهنا إلى التقليل من أهمية مصر وناصر في مستقبل الشرق الأوسط .

ولقد شرحت لناصر النقط التالية :

١ - في حالة هجوم سوفيتي على الولايات المتحدة ، فنحن واثقون من قدرتنا على توجيه ضربات رادعة لا يمكن احتمالها للاتحاد السوفيتي . ولم يساورني شك في ان ناصر يدرك ذلك تماما .

٢ - اكدت له اننا لا نرغب في ان نفرض نظامنا على اى امة اخرى ، وبرامجنا للمساعدة تشهد بذلك . وقد عرضت عليه اهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، واكدت له اننا لا نريد السيطرة على المنطقة ، ثم إننا لم نعد في حاجة ماسة إلى بترولها ، وكل ما يعنينا هو ان نساعد على تنمية المنطقة واستقلالها ليكون لها حق الاختيار في إطار ثقافاتها الخاصة . وبالتاكيد فنحن لا نضغط على مصر ، ونحن على استعداد لقبول سياستها في عدم الانحياز شريطة ان تكون غير منحازة فعلا .

٣ ـ إننا ندرك الضغوط العاطفية المتولدة في كل من القاهرة وتل أبيب بسبب

الصراع العربي الإسرائيلي ، وندرك ان هذا لا يمكن ان يحل بين عشية وضحاها ، ولا نتوقع معجزات .

إ ـ ونحن نعتقد أن ما يحدث في مصر سوف يؤثر ليس فقط على مستقبل ناصر وحكومته وإنما على المنطقة كلها ، وأن المستقبل لا يتوقف على الدعايات التي يبثها صوت العرب ، وإنما على قدرة الحكومة المصرية على حل مشاكل شعبها . وأن مستقبل ناصر في التاريخ سوف يتقرر بقدرته على مقابلته هذا التحدى .

وقد استمع ناصر إلى كل ما قلته باهتمام ، وبدا لى انه يتقبل خطوطه العريضة . وقد ركز في رده معى على النقط التالية :

1 - إن الولايات المتحدة يجب إن تبنى سياساتها على الشعوب وإمكانيات تطورها ، وقدرتها على التحقيق ، وليس على اشخاص بعينهم مهما كانوا اصدقاء لها . ٢ - إن إسرائيل خطر حقيقى وقائم على الجمهورية العربية المتحدة . والجمهورية العربية المتحدة لن تبدأ بالحرب ، ولكن إسرائيل ابدت تصميمها باستمرار على أن تفعل ذلك .

٣ ـ في موضوع العلاقات الإسرائيلية ـ العربية فهو لا يريد من الولايات المتحدة إلا ان تراعى مصالحها ، ولا تسمح لجماعات الضغط الخاصة ، أو للأقليات بأن ترسم لها سياستها .

إن المجتمع الإقطاعي التقليدي القديم في الجمهورية العربية المتحدة قد مات.
 فعلا ، وإن الحكومة مؤيدة بالشعب مصممة على تصفية بقاياه .

و إن هناك خلافات لا شك فيها بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، وليس هناك مجال لإنكار ذلك ، فهناك تصادم في الإهداف في بعض الأحيان ، ولكن لدينا رؤى مشتركة لكثير من الأمور ، وعلينا أن نحدد بالضبط أين نختلف وأين نتفق .

٢ - إن مخاوفنا من الشيوعية في المنطقة لا اساس لها ، فالنظام الشيوعي من ناحية سياسية واقتصادية غير قابل للتطبيق لإ في الشرق الاوسط ولا في افريقيا .
 إمضاء

تشستر بولز ،

ولم تمض إلا أسابيع حتى كان الدكتور « عبد المنعم القيسونى « يقود وفدا اقتصاديا إلى الولايات المتحدة ، ويوقع هناك اتفاقا طويل المدى حصلت به الجمهورية العربية المتحدة على ما يساوى خمسمائة مليون دولار من القمح في أربع سنوات .

ولم يطل الصفاء في الجوطويلا ، فقد بدا كثير من أصدقاء الولايات المتحدة العرب يحتجون على الولايات المتحدة لانها تكانىء أعداءها على حساب أصدقائها . واضطر الرئيس « كنيدى » إلى أن يكتب خطابا للملك « سعود » ولغيره من رؤساء الدول العربية جاء فيه بالنص (١٩) : • إننى لا أعرف ما إذا كانت سياستنا الجديدة إزاء القاهرة سوف تحقق النجاح ، ولكننى اعتقد أنه إذا حدث ذلك فإن اصدقاءنا في المنطقة سوف يكونون أول المستفيدين من المناخ أل الشرق الاوسط » .

وكانت استجابة «كنيدى» لأصدقاء أمريكا من العرب متحفظة . ولكن استجابته لإسرائيل كانت أقل تحفظا . فقد بدأ «بن جوريون « يضغط على «كنيدى » من أجل الحصول على أسلحة أمريكية ادعى أنها لازمة لإسرائيل إزاء القوة النامية لمصر عسكريا واقتصاديا . وتحت ضغوط صهيونية مكثفة استجاب «كنيدى » في شهر أغسطس ١٩٦٢ لطلب إسرائيل بالحصول على صواريخ « هوك » الامريكية . ولم يستطع « كنيدى » أن يقاوم هذا الضغط بسبب قرب موعد انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكي .

وحينما تسربت أول أنباء عن هذه الصفقة قام الرئيس «جمال عبد الناصر » باستدعاء السفير الأمريكي «جون بادو » إلى مقابلته ، وأبلغه أنه يشعر أن القرار الأمريكي بتسليح إسرائيل بصواريخ «هوك » يعتبر بمثابة خطوة في أتجاه تغيير في سياسة الولايات المتحدة الجديدة في المنطقة ، وأنه ينظر إليه باعتباره تطورا خطيرا . وحاول السفير «جون بادو » أن يشرح الضغوط التي تعرض لها الرئيس الأمريكي ، ويضيف إلى ذلك « أن صواريخ الد «هوك » هي في كل الأحوال أسلحة دفاعية ، وقد أراد الرئيس كنيدي إعطائها لإسرائيل حتى يصرفها عن أي تفكير في خيار نووى » أ ورد عليه ، جمال عبد الناصر » بنقطتين :(٢٠)

ا _ إننا إذا عدنا إلى منطق ان الضغط الصهيونى في الولايات المتحدة يستطيع ان يفرض على الرئيس الأمريكي سياسات لا يريدها « فإنني لا اعرف إلى اي مدى يقودنا ذلك ، وما هي عواقبه على المستقبل » .

٢ ـ إنه من الغريب أن يقول له السفير الأمريكي إن صواريخ الهوك دفاعية ، وأن بين الأسباب التي تبرر إعطاءها صرف نظر إسرائيل عن أي خيار

⁽١٩) مجموعة وثائق مكتبة ، كنيدى ، ومجلس الأمن القومي الأمريكي .

⁽٢٠) تقرير السفير ، بلاو ، إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو ضمنَ مجموعة ملفاتها لسنة ١٩٦٢ .

نووى _ في الوقت الذي تتلقى فيه القاهرة تقارير تثير الشك حول قيام إسرائيل بمساعدة فرنسا ببناء مفاعل في « ديمونة » .

وفى ذلك الوقت من شهر أكتوبر ١٩٦٢ وقعت أزمة الصواريخ التى وضعها الاتحاد السوفيتي على قواعد فى كوبا ، وتحرج الموقف العالمي إلى درجة تهدد سلامه بالخطر.

وفي يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٦٢ طلب السفير الأمريكي « جون بادو » موعدا عاجلا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان يريده في نفس اليوم . ولم يتمكن « جمال عبد الناصر » من مقابلته في الموعد الذي طلبه بسبب ارتباطه بمشاغل أخرى . ومر السفير الأمريكي على بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » وترك له رسالة رسمية من الحكومة الأمريكية مرفقا بها خطابا موجها إليه من الرئيس « جون كنيدى » .

وكان نص الرسالة التي تركها السفير الأمريكي على النحو التالي بالحرف:(٢١)

« السفارة الأمريكية

القاهرة ـ الجمهورية العربية المتحدة

عزيزى السيد الرئيس

بناء على طلب الرئيس كنيدى ارفق مع هذا خطابا منه يتعلق بالموقف في كوبا ، وكذلك نص البيان الذى وجهه الرئيس كنيدى إلى الامة الامريكية مساء امس ٢٢ اكتوبر ، وإنى رهن أمر حكومتكم لأى مزيد من التفاصيل ترغبون في معرفتها .

وهل لى ان انتهز هذه الفرصة لانهى إليكم بصورة سرية ان علماء امريكيين قاموا اخيرا بزيارة مفاعل ديمونة الذرى في إسرائيل . واستفادا إلى زيارتهم ، والتفتيش الذى قاموا به تجدد حكومة الولايات المتحدة تاكيداتها التى سبق ان قدمتها إليكم في يونيو 1971 وهي ان نتيجة التفتيش الأمريكي تؤكد البيانات الإسرائيلية القائلة بان المفاعل الذى يجرى إنشاؤه لا يصلح إلا للأغراض السلمية وحدها . ويجرى العمل في هذا المفاعل بصورة عادية ، ولا يوجد دليل قط على استعداده لابتاج اسلحة نووية .

باحترام جون س . بادو السفير الأمريكي :

۲۳ اکتوبر ۱۹۲۲

ثم تلت ذلك رسالة « كنيدى » الموجهة إلى « جمال عبد الناصر » وكان نصبها :

« البيت الأبيض

عزيزى الرئيس

لقد طلبت من السفير بادو ان يسلم لكم شخصيا نسخة من خطاب للأمة سوف اوجهه إليها الليلة ، وهو يتعلق بالتطورات الخطيرة في كوبا ، وعن الإجراءات التي قررت اتخاذها . فمن الواضح لنا ان هناك قواعد للصواريخ النووية الوضعت على الارض الكوبية بواسطة الحكومة السوفيتية ، ونحن واثقون من صحة معلوماتنا ، وانها ليست موضع شك . ثم إن معلوماتنا تؤكد ان هناك قواعد جديدة للصواريخ يجرى بناؤها ، وقد طلبت من وزارة الخارجية ان تشرح لسفيركم هنا كل التفاصيل . واعتقادى ان هذا التصرف من جانب السوفيت يتناقض مع تصريحات المستر خروشوف ، ومع التاكيدات التي قدمها إلى شخصيا قبل ايام وزير الخارجية السوفيتي جروميكو ، والتي كان مؤداها ان الاتحاد السوفيتي لن يضع في كوبا غير اسلحة دفاعية .

وتتذكرون اننى قلت قبل شهر في تصريح علنى إنه « إذا تحول حشد القوات الشيوعية في كوبا ليصبح هجوميا ، فإن الولايات المتحدة سوف تفعل كل ما في وسعها لحماية نفسها وامنها وحلفائها .

ولهذا فإنى وجدت ضروريا أن افرض منطقة حجر نووى حول كوبا لأمنع وصول صواريخ هجومية أخرى بواسطة السوفيت ، واثق أن عملنا هذا سوف يؤدى إلى إذالة الصواريخ من كوبا .

إننى البغت المستر خروشوف باملى في استئناف طريق المفاوضات السلمية . وقد وجهت وفدنا الدائم في نيويورك إلى ان يدعو مجلس الأمن ، وطلبت من سفيرنا ستيفنسون ان يعرض قرارا يدعو إلى سحب الصواريخ السوفيتية من كوبا تحت إشراف مراقبين من الأمم المتحدة ، وهذا وحده هو الذى سيجعلنى ارفع حالة الحصار حول كوبا . واتمنى ان تصدروا تعليماتكم إلى وفدكم الدائم في الامم المتحدة ليتصرف ، ويتحدث مؤيدا لموقف الولايات المتحدة .

ولكم ان تطمئنوا إلى ان وزارة الخارجية هنا سوف تظل على اتصال دائم بسفيركم ... ون كنيدى

Г

كان العالم يقف على خافة الهاوية في أواخر شهر اكتوبر ١٩٦٢ عندما اكتشفت طائرات التجسس الأمريكية قواعد لإطلاق الصواريخ نصبها الاتحاد السوفيتي على الأرض الكوبية . وبدا أن الصدام يمكن أن يقع بين القوتين الأعظم ، وأن يكون بوريا ، لكنه وفي اللحظة الأخيرة - وكالعادة ! - أمكن تجنب الصدام ، ووصلت

⁽٢١) صورة من خطاب السفير في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب صفحة ٩١٩ تحت رقم ٤٠

القوتان الأعظم إلى حل رفعت فيه قواعد الصواريخ في كوبا في مقابل رفع بعض قواعد الصواريخ في تركيا ، إلى جانب تعهد أمريكي بأن لا تقدم الولايات المتحدة على غزو كوبا .

ولقد أوضحت هذه الأزمة للعالم أن القوتين الأعظم تعرفان لغة مشتركة بينهما للخطاب في وقت الأزمات ، وأن بقية الأطراف لا يعرفون هذه اللغة ، ولا يحسنون استخدامها ، ولربما كان أغرب ما حدث نتيجة للخطاب المباشر بين القوتين الأعظم في وقت الأزمة ، أن الاتحاد السوفيتي قرر فك قواعد الصواريخ في كوبا دون أن يتشاور ، أو يخطر الرئيس « فيدل كاسترو » زعيم كوبا الذي كانت الأزمة كلها تجرى على أرض بلاده ، وكان من المحتم أن تكون هذه الأرض أول مسارح العمليات بين العملاقين إذا وقع المحظور .

وفي يوم ٣١ اكتوبر رد « جمال عبد الناصر » على رسالة « كنيدى » إليه حول الأزمة ، وجاء في نص خطابه ما يلي :

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

القاهرة في ٣١ اكتوبر ١٩٦٢

عزيزى الرئيس

تلقيت بكثير من الاهتمام كتابكم المؤرخ في الثاني والعشرين من اكتوبر الذي ارفق ببيانكم الرسمي إلى الامة الامريكية حول الوضع في كوبا . والواقع اننى اقدر جهدكم لتوضيح اتجاه السياسة الامريكية امام المعنيين بالتطور العالمي والمنشغلين بقضايا السلام .

واعتقد انه لم يعد هناك الآن مجال لمناقشة وجهات النظر المختلفة حول طبيعة القواعد المقامة في كوبا، والتي اثارت ريبتكم

وفي الوقت عينه ، لم يعد هناك مجال الأن لمناقشة التدابير الأمريكية التي اتخذت لمقابلة هذا الوضع .

ولم يعد هناك مجال لمثل هذه المناقشة التى اصبحت ـ لحسن الحظ ـ بلا اثر . لأن اهتمام شعوب العالم بالسلام ، وانعقاد عزيمتها على صيانته وجهودها داخل الامم المتحدة وخارجها ، وكذلك ما تميز به مسلك جميع اطراف النزاع من حكمة وتقدير سليم وشعور بالمسؤولية ـ هذه العوامل جميعا يحسن معها ، ومن الاجدى بالنسبة لها التطلع إلى المستقبل بدلا من التشبث بالماضي .

ويهمنى هنا ان اسجل بضع ملاحظات:

□ اولا _ إننا لنقدر استجابتكم لنداء السيد يوثانت الأمين العام بالنيابة للأمم
 المتحدة ، وكذلك التعاون الذي قدمه إليه وقد الولايات المتحدة الله الأمم المتحدة .

وما زلنا نعتقد ـ ويشناطرنا ﴿ هذا الاعتقاد كثير من الشعوب المحبة للسلم ـ بان التعاون المخلص ﴿ إطار الامم المتحدة هو خير ضمان لحل المشكلات حلا سلميا

□ ثانيا - إننا لنقدر تقديرا عميقا ان التدابير الأمريكية - بغض النظر عن راينا فيها - قد تمت بطريقة خالية من التحريض العدواني .

 \Box ثالثا - إننا لنقدر وعدكم بعدم القيام بغزو كوبا عسكريا ، ونشعر بان هذا التعهد هو مساهمة صادقة في التخفيف من حدة التوتر .

ولنا هنا أن نعلن بثقة اعتقادنا بأن الولايات المتحدة ، وبما لها من قوة هائلة ، تستطيع أن تعزز السلام أكثر من سواها . وهي في هذا المقام تحمل مسؤولية تاريخية أمام البشرية بأسرها ، لأن السلم القائم على العدل هو مطلب إنساني يسبق كل ما عداه ، لأنه لا يصون الحياة وحسب ، بل هو يشرفها أيضا .

التوقيع جمال عبد الناصر •

الفصيل الترابع

نـــورة في اليمــن



ما كاد العالم يتنفس الصعداء بعد انتهاء أزمة الصواريخ الكوبية حتى انتبه فجأة ، فإذا هناك وضع جديد في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبدا هذا الوضع الجديد وكأنه يجيء معه باحتمالات تغيير في موازين القوة في الشرق الأوسط تلوح بالفعل بوادرها . كانت مقدمات الحوادث التي أدت إلى هذا الوضع قد بدأت دون أن تلفت أنظارا كثيرة إلى إمكانيات تداعيها ، وإلى دلالاتها الحقيقية .

سمع العالم وسط انشغاله بازمة الصواريخ الكوبية أن هناك انقلابا وقع في اليمن ضد أسرة « حميد الدين » التي كانت قد عزلته عن العالم ، وفرضت عليه حجبا من ظلام القرون الوسطى . وفي وسط زحام الحوادث على المسرح العالمي لم يقدر أحد أهمية ما جرى ولا عواقبه . ثم بدأ العالم يلتفت بجد حينما تبين بعد أسابيع قليلة أن هناك قوات مصرية قد عبرت البحر الأحمر ووصلت إلى اليمن . وكانت المعانى الواضحة لذلك على الفور:

 ان القوات المسلحة المصرية تمكنت بسرعة من السيطرة على خط مواصلات طويل _ من شمال البحر الأحمر إلى جنوبه _ على امتداد ما يزيد على ألفى كيلومتر.

٢ ـ أن مصر بهذه السيطرة قد أصبحت تمسك بمداخل البحر الأحمر عند

ملتقاه بالبحر الأبيض عند قناة السويس، كما انها تمسك بمخارجه الجنوبية عند نقطة لقائه بالمحيط الهندى.

٣ - أن مصر بهذه القفزة البعيدة قد أصبحت موجودة فى شبه الجزيرة العربية ، وبالقرب من أهم مواطن البترول ومنابعه .

٤ ـ أن هذه العملية ف حد ذاتها تعنى أن حركة القومية العربية التى بدت تفاعلاتها محصورة ـ أو على الأقل هادئة ـ لمدة عام في أعقاب انفصال سوريا ، قد عادت إلى نشاطها ، ثم إن هذا النشاط أصبح له جانب عسكرى .

ولم يكن العالم مستعدا لهذه المفاجأة . والغريب أن مصر كانت هي الأخرى في حال المفاجأ بما حدث .

Ш

ف صيف ١٩٦٢ كانت القاهرة مستغرقة في قضايا أخرى:

■ كانت تلك هي الفترة الحرجة في حياة الثورة الجزائرية ، فبعد أن تم توقيع اتفاق مع فرنسا ، وقع الخلاف بين القيادة الجزائرية . ذلك أن الحكومة الجزائرية المؤقتة التي كان يرأسها السيد « يوسف بن خده » اختلفت مع قيادة جيش التحرير ل الداخل ، واستحكم الخلاف إلى درجة تهدد بالحرب الأهلية حين تبني الزعيم الجزائري " أحمد بن بيلا " وهو القائد اللامع للثورة وجهة نظر العقيد " هواري بومدين » قائد جيش التحرير الجزائري . ورفض « بن بيلا » ومعه مجموعة من زعماء الثورة الذين خطفتهم فرنسا سنة ١٩٥٦ ويقوا في سجونها حتى سنة ١٩٦١ ـ أن يدخل إلى الجزائر مع الحكومة المؤقتة ليشارك في احتفالات يوم الاستقلال ، ويشارك بالتالي في الحكومة التي قامت بعده . وكانت جموع الشعب الجزائري التي صدمها الخلاف ورأته يدفع وطنها في فجر استقلاله إلى حافة الحرب الأهلية ـ خرجت إلى الشوارع ونداؤها الوحيد : « سبع سنوات بركات » أي « سبع سنوات تكفي » -إشارة إلى أن الجماهير التي خاضت حرب الاستقلال ترفض أن تدفع إلى حرب أهلية . وتدخلت مصر بدورها المتميز في الخلاف ، وكان ذلك طبيعيا ، كما أنه تحول إلى مطلب شعبي جزائري . وبعد أيام عصيبة تراجعت الحكومة المؤقتة ، وافسحت المجال للقيادة الشرعية للثورة الجزائرية ممثلة في «بن بيلا » ورفاقه ، و في « بومدين » وجيشه . واستطاعت الجزائر أن تبدأ احتفالها الموعود بالإستقلال .

- وفي نفس هذا الصيف _ في شهر يوليو ١٩٦٢ _ انشغلت القاهرة لعدة أيام بمحاولة مولها الملك « سعود » وشارك في الإعداد لها عدد من اللاجئين المصريين في الخارج _ وكان هدفها نسف المنصة التي كان مقررا أن يلقى « جمال عبد الناصر » منها خطابه في العيد العاشر للثورة بميدان الجمهورية _ عابدين _ وقد اكتشفت العملية واكتشف سلاحها _ وهو قنبلة موقوتة _ قبل ساعات من موعد بدء الخطاب .
- وفي شهر أغسطس ١٩٦٧ انشغلت القاهرة بأحداث في السعودية منها قيام مظاهرات وإجراء اعتقالات ، ثم وقع خلاف كبير بين الأسرة المالكة السعودية _ فإن الأمير « طلال بن عبد العزيز ، الذي كان 🖿 اشترك في الوزارة _ التي شكلها الملك « سعود » قبل شهور عندما قام بانقلابه الأول على الأمير « فيصل » _ مع عدد من إخوانه الأمراء الشبان _ اقيل بدون مقدمات ظاهرة من منصبه كوزير للمالية ، ثم سافر إلى جنيف ، ثم عاد من جنيف إلى بيروت ليعقد فيها مؤتمرا صحفيا يعلن فيه أنه لن يعود للسعودية ، ثم يبدأ في مهاجمة نظام حكم أخيه الملك « سعود » ويكشف عن حقائق وأوضاع في المملكة لم يستطع أن يسكت عليها . وأعلن الأمير « طلال » في مؤتمره الصحفي في بيروت عن أسباب خلافه مع الملك « سعود » وهي أسباب تتعلق بطريقة الحكم في المملكة ، وبالفساد المستشرى في قصورها ، وبالأسلوب المتبع ١ حكمها . وقال « طلال » إن خلافه مع الملك ليس خلافا شخصيا ، وإنما هو خلاف يقوم على اسباب موضوعية ومبدئية . وتازم الموقف عندما انضم أربعة من الأمراء الشيان هم « عبد المحسن » و « بدر » و « فواز » و « سعد » (أل سعود) وشكلوا ما أسموه « حركة الأمراء الأحرار • وأعلنوا أنهم سوف يناضلون ضد الحكم القائم في الرياض . وأمر الملك « سعود » بسحب جوارات هؤلاء الأمراء المتمردين عليه ، ثم أتبع ذلك بمصادرة أموالهم واحتلال قصورهم. وفي يوم ١٩ اغسطس ١٩٦٢ وصل الأمراء الخمسة إلى القاهرة ، وفيها اعلن « طلال » أن « معركتهم ضد سعود ومن أجل تغيير الأوضاع في الرياض سوف تنتقل إلى داخل السعودية » .
- وكانت القاهرة منشغلة أيضا بعملية إعادة التنظيم الداخلي للحكم فيها . فقد أعلن «جمال عبد الناصر» يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢ أنه نقل كل سلطاته إلى مجلس لرئاسة الجمهورية ، وأن أعضاء هذا المجلس لن يتولوا سلطات تنفيذية ، وإنما يقومون هم بالإشراف على عمل مجلس تنفيذي جديد يرأسه السيد «على

- صبرى « وبمقتضى هذا التنظيم صدر إعلان دستورى ستوحى روح ميثاق العمل الوطنى وينظم سلطات الدولة :
- □ رئيس الدولة وهو رئيس الجمهورية يرأس مجلس الرئاسة ، ومجلس الدفاع القومى .
- □ مجلس الرئاسة هو الهيئة العليا لسلطة الدولة ، وهو الذي يرسم السياسات .
- □ المجلس التنفيذي هو الهيئة التنفيذية والإدارية العليا للدولة ، وهو الذي يقوم على تنفيذ السياسات .
- وفوق ذلك فقد كانت القاهرة منشغلة تلك الأيام باعتبارها طرفا في قضايا السلام والحرب في العالم ، وبحكم دورها الدولي _ بمقدمات أزمة الصواريخ الكوبية .

وسط هذه المشاغل ، وفي منتصف شهر أغسطس ١٩٦٢ وصل إلى القاهرة تاجر يمنى من " تعز » _ التقى بالسيد « أنور السادات » رئيس مجلس الأمة ، وكان قد تعرف إليه من أيام عمله أمينا عاما للمؤتمر الإسلامي ، وكان اسمه " عبد الغنى المطهر " . وسمع " أنور السادات » منه عن وجود تنظيم للضباط الأحرار وسط الجيش اليمنى يقوده ضابط شاب هو العقيد « على عبد المغنى » . وفهم " أنود السادات " من زائره أن تنظيم الضباط الأحرار في اليمن يرتب للقيام بانقلاب حكم الإمام " أحمد بن يحيى حميد الدين » الذي وصل طغبانه بأمور اليمن إلى حد يحد يحتمله لا الشعب ولا الجيش . وفي هذا اللقاء بين الاثنين توجه " عبد الملاهر " بسؤال مباشر إلى « أنور السادات » يسئله عما تستطيع الجمهورية العربية المحمودة أن تفعله لمساعدة هذا التنظيم إذا ما قام بانقلابه واستطاع أن ينهى حكم الابعد الدين » . وكان رد « أنور السادات » أنه لا يستطيع أن يعد بشي الابعد الرجوع إلى « جمال عبد الناصر » .

وكان رأى « جمال عبد الناصر » عندما عرض عليه السيد « انور السادات » تفاصيل لقائه مع « عبد الغنى المطهر » يتلخص في عدة نقط: اولاها - انه ليس متحمسا لهؤلاء الذين يبحثون عن المساعدات قبل أن يتحركوا للأهداف التى يؤمنون بها ، ثم كان رأيه بعد هذه الملاحظة المبدئية انه لا يتوقع معارضة داخل اليمن لأى انقلاب يقع فيها ضد حكم الإمامة ، وأما عن الأخطار الخارجية ، فهو على استعداد لأن يتصور احتمالاتها من مصدرين المصدر الأول هو السعودية ، وإن كان تقديره أن الملك « سعود » مشغول

بمشاكله الداخلية عن اى شيء يمكن ان يحدث في اليمن واما المصدر الثانى للخطر فهو الاستعمار البريطاني في عدن وهو بدوره مشغول بالثورة التي تقودها نقابات العمال وعمال المصفاة في الميناء الاستراتيجي الحساس ولعل «جمال عبد الناصر» لم يأخذ كل ما سمعه من «أنور السادات» جدا فقد كانت القاهرة تعرف رسلا كثيرين مثل «عبد الغنى المطهر «يفدون إليها من كل بلد عربي ، يحملون معهم أمالا وأحلاما تصل في معظم الأحيان إلى حد الخيال المعلق في الهواء لا يعرف له أرضا محددة يحط

وصباح يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ تسربت من اليمن أخبار تفيد أن الإمام « أحمد » قد مات ، وترددت إشاعات توحى بأنه قتل نتيجة لقيام أحد ضباط الجيش بإطلاق النار عليه . وما لبثت إذاعة صنعاء أن أذاعت نبأ وفاة الإمام رسميا ، وانتقال خلافته إلى ابنه الأمير « محمد البدر » ولى العهد . وبدت الأمور طبيعية في اليمن .

وصباح يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لم تعد الأمور طبيعية في اليمن، فقد اعلنت إذاعة صنعاء صباح ذلك اليوم عن قيام انقلاب قاده العميد « عبد الله السلال » وأن هذا الانقلاب استولى على السلطة بعد مقتل « البدر » في معركة مسلحة دارت على أبواب قصره في صنعاء . وبعثت السفارة المصرية في اليمن ببرقية تقول فيها إن القادة الحقيقيين للانقلاب مجموعة من الضباط الشبان أبرزهم العقيد « عبد المغنى » .

وكان التاييد الشعبى الذى حصل عليه الانقلاب من اللحظة الأولى كاسحا ، فسجل أسرة « حميد الدين » لم يترك لأحد دموعا يذرفها عليه داخل اليمن ، أو خارجه !

ومساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ اعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالنظام الجمهورى في اليمن ، واعلنت أنها على استعداد لمساعدة اليمن وشعبه بما يمكن لهما من دخول العصر الحديث إلى هذا البلد العربى الذي تعرض لاقسى أنواع الاستبداد في التاريخ مما عطل دخوله ، أو حتى اقترابه من مشارف العصر الحديث!

لم تكن العلاقات التاريخية بين « آل سعود » وبين أسرة « حميد الدين » ف اليمن طيبة في أى وقت من الأوقات ، فإلى جانب المنافسات التقليدية بين الأسر الحاكمة في شبه الجزيرة العربية كان بين الأسرتين صراع وصل إلى حد الحرب

بسبب الخلاف على منطقتي « جيزان » و « نجران » ، فالرياض مصممة على أنهما تحت ولايتها منذ تنازل «الشريف الإدريسي» عنهما للملك « عبد العزيز أل سعود » _ بينما صنعاء تصر على أن المنطقتين امتداد طبيعي من اليمن ، وأن " الإدريسي " لم يكن يملك سلطة التنازل عنهما لأحد . ووصل الأمر إلى خد الحرب المسلحة بين الاثنين سنة ١٩٣١ حين قامت القوات السعودية باحتلال المنطقتين بقوة السلاح . وشهر إمام اليمن سيفه ، واستعر القتال يشتد حينا ويهدأ حينا أخر حتى عقدت بين الطرفين معاهدة الطائف سنة ١٩٣٤ . وبعدها ظلت العلاقة بين البلدين الجارين علاقة فيها من التوتر المكتوم اكثر مما فيها من الصفاء الظاهر . وكان إمام اليمن طوال هذه السنين يحاول موازنة علاقاته مع السعوديين بعلاقة محسوبة ومحصورة مع مصر التي كانت هي أيضا في ذلك الوقت على خلاف مع السعوديين . كانت أسباب خلاف مصر مع السعوديين تعود إلى رفض الملك « فؤاد » أن يعترف بضم الحجاز إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٢٤ ، وربما كان الدافع الحقيقي إلى موقف الملك « فؤاد » أن حلم الخلافة راوده في وقت من الأوقات ، ثم وجد أن استيلاء الملك « عبد العزيز » على الحجاز بما فيه الحرمين الشريفين تهديد لحامه . وكانت نتيجة الخلاف على أي حال هي أن العلاقات بين البلدين توقفت بالكامل طوال عهد الملك « فؤاد » . ولم تعد العلاقة بين البلدين إلى حالها الطبيعي إلا في عهد مجلس الوصاية على عرش الملك «فاروق» بعد وفاة الملك «فؤاد» سنة ١٩٣٦ .

وفى الفترة التى كان فيها الرئيس الأمريكى «فرانكلين روزفلت » يرتب إرث بريطانيا فى المنطقة ، تلقى الملك « فاروق » نصيحة مؤداها أنه قد يكون من المستحسن أن يتمكن هو والملك « عبد العزيز آل سعود » من ترتيب العلاقات بينهما بما يلائم بداية مرحلة جديدة فى الشرق الأوسط . وبالفعل اجتمع الاثنان على ظهر يخت الملك « فاروق » فى ميناء « ينبع » السعودى فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٥ .

وقد لاحظ الإمام « أحمد » أن علاقة وثيقة نشأت بعد ثورة ٢٣ يوليو بين « جمال عبد الناصر » وبين الملك « سعود » . وأحس بذكائه الفطرى أن لعبة التوازن التقليدى بين الرياض والقاهرة تحتاج إلى مراجعة جديدة » وهكذا فإنه انضم إلى معاهدة التحالف بينهما ، وهي المعاهدة التي وقعت في جدة سنة ١٩٥٥ . والحقيقة أنه لا » جمال عبد الناصر » ولا الملك « سعود » أخذا توقيع إمام اليمن على اتفاقية التحالف مأخذ الجد . وإن لم يجد أيهما بأسا من توقيع الإمام معهما ، ولو حتى كرمز إلى قرب خروج اليمن من عزلته وراء حواجز الظلام .

وهكذا فإنه عندما اعلنت إذاعة صنعاء عن قيام ثورة في اليمن لم تكن القاهرة

وإذن فقد كان « لابد ، من « انتظار » تدخل سعودى مباشر !

كان الأمير = الحسن » - شقيق الإمام = أحمد = الذى مات وعم الإمام ، « البدر » الذى أعلنت إذاعة صنعاء أنه قتل - موجودا في ذلك الوقت في نيويورك يرأس وفد اليمن إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة . وحين تلقى أنباء ما جرى في بلاده اعتبر نفسه إمام اليمن الأحق بالخلافة ، وأعلن أنه عائد إلى بلاده ليتولى المسؤولية وليقمع الثورة ، ويقطع رؤوس قادتها . واختفى الأمير = الحسن = من نيويورك يوم ٢٨ سبتمبر ، وظهر في اليوم التالى في قصر الملك «سعود » في الرياض .

وصباح يوم ٢ اكتوبر ١٩٦٢ فوجيء مطار « الماظة » (بالقاهرة) بطائرة تقترب منه ، وتطلب حق النزول فيه قائلة : « إنها لديها معلومات خطيرة تهم القاهرة . . ونزلت الطائرة ، وكانت من طائرات النقل الأمريكية الكبيرة طراز « فير تشيلد ١٢٣ ب » تحمل علامات السلاح الجوى السعودي . ثم نزل منها ثلاثة من الطيارين السعوديين هم : الرئيس طيار « رشاد ششة » والرئيس طيار « احمد حسين » والفني « محمد ازميرلي » ، وقال الثلاثة على الفور إن طائرتهم محملة على آخرها بالأسلحة والذخائر ، ثم بداوا في رواية التفاصيل . قالوا إنهم كلفوا بالتوجه إلى مطار جدة في الساعة الواحدة من صباح الثلاثاء 1 أكثوبر، وهناك وجدوا طائرة النقل الكبيرة تشحن بصناديق من السلاح والذخيرة ، وكانت الأوامر الصادرة إليهم أن يذهبوا بها على الفور إلى مطلى و فهوان و على الحدود السعودية اليمنية وسوف يجدون هنك من يتسلمها منهم . وأما هم فعليهم أن يعودوا بطائرتهم لأن أمامهم أن يكرروا الرهلة من • جدة • إلى « نجران » بحمولات مماثلة ـ ثلاث مرات في نفس اليوم . واضافوا انهم بعد أن صعدوا بطائرتهم في الجو تداولوا فيما بينهم ، واتفقوا على أن وأجبهم القومي لا يسمح لهم بأداء ما كلفوا به ، فقد عرفوا بالطبع أن هذه الشحنة من الأسلحة ، وما سوف يليها موجهة ضد الثورة الجديدة في اليمن . ولقد قرروا فيما بينهم أن الواجب القومي بفرض عليهم أن يجيئوا بطائرتهم وحمولتهم إلى القاهرة ، وهم بذلك يحققون هدفين : هدف الحيلولة دون وصول شحنتهم من السلاح إلى حيث تستعمل ضد ثورة اليمن، ومن ناحية أخرى فإنهم بذلك يكشفون عمليا دليل التامر لضرب هذه الثورة.

وبدأ تفريغ شحنة الطائرة في مطار « ألماظة » وكانت عشرين صندوقا من المدافع الرشاشة سريعة الطلقات تحتوى على ٢٤٠ مدفعا ، كما كانت هناك أعداد ضخمة من الصناديق الملأى بذخائرها . وكانت المفارقة أن كل هذه الصناديق تحمل

قادرة على إجراء حساب دقيق لموقف السعودية ، وكيف يمكن أن ينصرف الملك السعود » . وربما كان على القاهرة في ذلك الوقت أن تدرك مبكرا أن الملك أن يسكت ، فالظروف التي كانت تواجهه في الداخل تجعله في حالة من العصبية شديدة . كما أن الحقائق الاستراتيجية في شبه الجزيرة العربية كان مقدرا لها أن تتخطى مشاعر كل الأفراد بصرف النظر عما إذا كانت فاقدة أو متمالكة لأعصابها .

إن السعودية كان محكوما عليها موضوعيا ، وبصرف النظر عن العوامل الذاتية ، ان تتدخل ضد ثورة اليمن عمليا ، خصوصا عندما دخلت مصر لتأييدها معنويا في الأيام الأولى من قيامها .

صحيح أن الثورة في اليمن كانت ضرورية إنسانيا وقوميا وبكل المعايير _ إلا أن الحكم في السعودية كانت له تقديرات أخرى .

١ - فالثورة في اليمن بكل ابعادها السياسية والاجتماعية احتمال عدوى
 مباشر لانه ملاصق .

٢ - ثم إن التأييد المصرى - حتى ولو كان معنويا - يحمل نذر اخطار مقبلة . فزيادة التأثير السياسى المصرى في اليمن يعنى وجودا فاعلا لأفكار ليست مطلوبة في شبه الجزيرة العربية ، ثم إنه إذا تحول التأييد المعنوى المصرى للثورة اليمنية إلى ما هو اكثر ، فإن هذا الوجود يخلق حالة تهديد قابلة للانفجار ، فالأسرة السعودية تتحسب باستمرار من القوة العسكرية المصرية ، ويندر أن يتحدث مسؤول سعودى عن العلاقات بين البلدين دون أن يشير إلى عمليات " محمد على " العسكرية في نجد في أوائل القرن الماضى ، وما كان من تدمير على " الدرعية " عاصمة السعوديين أيامها .

٣ - إن الثورة في اليمن سوف توقظ من النوم العميق الكتلة الإنسانية الاكبر في شبه الجزيرة العربية وهي الشعب اليمني ، وهو شعب له مواريثه الحضارية فضلا عن وزنه السكاني الذي يجعل منه ثقلا حقيقيا في أعماق أعماق شبه الجزيرة العربية .

ا - إن دولة قوية في اليمن قد تعود إلى المطالبة بإعادة رسم الحدود مع السعودية بالذات في « جيزان » و « نجران » .

- إن بقاء الحكم الإمامي في اليمن كان شهادة لصالح الحكم في السعودية بمقتضى أية مقارنة .

شارة كفين يتلاقيان ، وهي شارة المعونة الأمريكية . وطلب الطيارون السعوديون الثلاثة حق اللجوء السياسي إلى مصر .

ويوم ٣ اكتوبر ١٩٦٢ تكرر نفس المشهد ، وفي مطار أسوان هذه المرة ، فنزلت فيه طائرة حربية سغودية من نفس الطراز ، وكان فيها اثنان من الطيارين هما : الرائد طيار « محمد عبد الوهاب » والملازم طيار « محمد على الزهراني » .

ويوم ٨ اكتوبر ١٩٦٢ تكرر نفس المشهد للمرة الثالثة ، ونزلت في مطار « الماظة » طائرتان سعوديتان مقاتلتان يقود الأولى الرائد طيار « أحمد موسى عواد » ويقود الثانية الرائد طيار « عبد اللطيف الغنورى » .

وتلقت القاهرة معلومات بأن الأمير « الحسن » عم الملك توجه إلى منطقة « نجران » وهناك وزع كميات من السلاح والذهب على بعض القبائل التى قامت بشن هجوم على مدينة « صعدة » ، وقد توجهت كتيبة من قوات الثورة للدفاع عن « صعدة » ، وفي المعركة التى دارت قرب اسوارها قتل العقيد « على عبد المغنى » . واحدث التله قلقا في صنعاء . وتزايد الإحساس بالقلق في عبد المغنى » . واحدث التائرة مع اخبار تقول بأن القوات البريطانية في إمارة العاصمة اليمنية الثائرة مع اخبار تقول بأن القوات البريطانية في إمارة « بيحان » (من إمارات اليمن الجنوبي) قد بدأت بإطلاق النار في اتجاه بلدة « البيضاء » الممندة !

وفي هذه اللحظات من القلق توجهت الحكومة اليمنية بنداء يطلب المساعدة العسكرية من الجمهورية العربية المتحدة.

ولثلاثة أيام متواصلة دارت في القاهرة مناقشات واسعة ، وانتهت إلى رأيين مختلفين :

■ رأى يرى بوجوب مساعدة الثورة اليمنية باعتبارها ثورة قامت بإرادة حرة ، وبعد عصور من الكبت المظلم طويلة ، وأن المقاومة ضدها تجىء من الخارج كما ثبت من الطائرات السعودية المحملة بالأسلحة والذخائر ، ولجوء طياريها إلى القاهرة وما حملوه معهم من وثائق تؤكد قيام العدوان ، كما أن توافق ذلك مع التحرشات العسكرية للقوات البريطانية في بيحان يقطع بأن المخاطر على الثورة تجىء من وراء حدود بلادها ، ومن ثم فإن الخطر على الشعب اليمنى نفسه ، وليس على نظام تام فيه بالانقلاب أو بالثورة .

وكان هذا الرأى يضيف أن تردد الجمهورية العرببة المتحدة في نجدة شعب

اليمن سوف يعتبر تقاصما عن اداء واجب ، وقد يحمل أمام الرأى العام العربى على محمل أن الجمهورية العربية المتحدة تخلت عن واجباتها القومية ، وأن هناك فارقا كبيرا بين الحرص على عدم التورط ، وبين التخلى عن ثورة وطنية لكى تقع ضحية للسلاح .

وكانت من اسانيد هذا الرأى:

١ _ أن الجيش اليمنى يقاتل ، وقد فعل ذلك بالفعل وحده في معركة «صعدة » .

٢ ـ وأن قبائل اليمن الكبرى « حاشد » و « بكيل » كلاهما في صف الثورة ، ومعنى ذلك أن الخطر ليس كبيرا ، وإنما هو مركز في عدد من القبائل الصغيرة التي يمكن شراء زعمائها ، وأن معظم هذه القبائل يتركز في منطقة « صرواح » _ كما أن مناطق « الشوافع » _ السنة _ في السهول المحيطة بالمنطقة الجبلية التي يسكنها « الزيؤد » _ كلها مؤيدة للثورة .

■ وكان هناك في مقابل ذلك رأى آخر يرى أن تكون مساعدات الجمهورية العربية المتحدة اسلحة وذخائر، على أن يتحمل الجيش اليمنى بمسؤولية القتال، ذلك لأن أى وجود عسكرى مصرى في اليمن قد يفسر على أنه تدخل، وبصرف النظر عن التحرشات التي تواجه ثورة اليمن من الشمال ومن الجنوب، فإن العمليات بطبيعة مسرحها سوف تكون أقرب إلى حرب العصابات، وهي نوع من الحرب لم يتهيأ له الجيش المصرى إلى جانب أن هذا الجيش لا يعرف الكثير عن أوضاع اليمن، ودخوله فيها على أى نحو مؤثر قد يواجهه بما لم يستعد له.

وكان السيد « انور السادات » من المتحمسين للتدخل ، ولعله احس ان « ثورة اليمن » كانت في إطار اختصاصه منذ لقائه الأول مع « عبد الغنى المطهر » .

واما « جمال عبد الناصر » فقد كان من انصار المساعدة بالسلاح وانتظار التطورات (١) ، وفي نفس الوقت قام بإرسال السيد « انور السادات » والسيد « كمال

⁽۱) كنت من انصار هذا الراى ، فقد كنت اظن وقتها أن أوضاع الثورة في اليمن لا تستطيع تحمل ثقل الوجود العسكرى المصرى ، فالأفكار مثل أى عملية نمو تحتاج إلى بنية أساسية (Infrastructure) لم تتوافر بعد في اليمن ، وقد يؤدى عدم توافرها إلى مشاكل بلا حدود . وقد رجوت الرئيس « جمال عبد الناصر » أن يقرأ رسالة ماجستير قام بها الاستاذ « السيد مصطفى سالم » تحت إشراف الدكتور «شفيق غربال ، تعرضت لعمليات الجيش التركى في اليمن (نشرت فيما بعد تحت عنوان « تكوين اليمن الحديث » ضمن مطبوعات عبد الدراسات العربية سنة ١٩٦٣) – وقد أشار الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى رأيي منسوبا إلى المجتماع الجباس الوزراء ، وذكر أمر هذه الرسالة التي رجوته في قراعتها . وقد كان في بعد ذلك اقتراح وسط بين التدخل ...

رفعت » لاستطلاع الموقف على الطبيعة في صنعاء ، وكان معهما وقد من ضباط هيئة اركان الحرب كلف بدراسة التطورات المحتملة .

وعاد السيد « انور السادات » من صنعاء إلى القاهرة بعد ست وثلاثين ساعة ، وكان تقديره أن ما تحتاج إليه الثورة هو سرب واحد من الطائرات ، وأن مجرد أزيزه فوق مواقع التحرش بالثورة اليمنية كفيل ببعثرة المقاومة ضدها ، وأن هذه هي بالضبط خلاصة تجربة الانجليز في الجنوب العربي .

وبدأت الحوادث تتجه إلى هذا الاتجاه ، ثم تصنع لنفسها حركتها الذاتية ، فعندما يذهب سرب من الطائرات للعمل في بلد بعيد تكون هناك حاجة إلى حماية قاعدته على الأرض ، وهكذا فإن سرب الطائرات احتاج إلى كتيبة حماية أرضية ، وراحت الحركة الذاتية للحوادث تفرض نفسها .

وتطوع الأمير «طلال» فوجه بيانا إلى الشعب السعودي يوم ١١ أكتوبر ١٩٦ قال فيه :

ا انتم طبعا تتابعون الأحداث في العالم العربي .. هذه الأحداث التي اطاحت بطغاة ظلمة فاسدين . وهزت آخرين هم الآن في حالة لا يحسدون عليها .. وهذا هو منطق التاريخ ، وهذه هي إرادة الله وإرادة الشعوب ، ولكن حكام السعودية لا يعترفون بهذا المنطق ولا بإرادة الله وإرادة الشعوب .

وحسب معرفتى بهؤلاء الحكام لا اظنهم سيعترفون بهذا المنطق ، والدليل على ذلك قومتهم مع عم ملك اليمن السابق الحسن ..

الحسن هذا الذى عمل مع والده يحيى ، ومع اخيه احمد على كبت شعب اليمن وحرمانه من كل شيء حتى من ابسط متطلبات الحياة .. إن شعب اليمن ثار من اجل حريته ، ومن أجل عيشه ، ومن أجل كرامته .. لماذا لا يثور شعب اليمن ؟ لماذا لا يثور وحكامه احتفظوا بكل شيء لانفسهم ، وحرموه هو من كل شيء ؟ \blacksquare

ومضى يقول:

« إن تصرفات حكام اليمن السابقين ضد شعب اليمن لا يمكن ان توصف إلا بانها تصرفات إجرامية . قصد من ورائها القضاء على هذا الشعب .. يعنى قتل الشعب

باساليب كليرة منها ما كان بالسبف . وغيرها كثير من الاساليب التي يجيدها عادة جلادو الشعوب .. إن ديننا العظيم ، وإن قوانين الارض لا يمكن أن تقر مثل هذه الاعمال الإجرامية .

لا شك أن الملك سعود قد طار عقله عندما سمع بثورة اليمن . ولا شك أنه فقد اعصابه عندما جرؤ وتحدى إرادة شعب اليمن وأعلن مساندته لحكامه السابقين . •

ثم وصل إلى طرح تساؤل:

" ما الذي حشر الملك سعود وجعله يتدخل في شؤون اليمن الداخلية ؟ السبب ان سعود يريد الإبقاء على الحكم الرجعي في اليمن ختى يبقى هو نفسه .. اوليس من الافضل لسعود ان يحمى نفسه اولا قبل ان يساعد غيره ويحميه . وهذه المبالغ الضخمة التى عودنا سعود على صرفها يمينا وشمالا على مؤامراته ودسائسه اليست البلاد في حاجة إلى كل قرش منها ؟ "



كان الأمير « فيصل » ولى العهد ووزير الخارجية في نيويورك حينما اعلن عن قيام الثورة اليمنية . كان قد قصد إلى نيويورك في أوائل شهر سبتمبر لكى يقوم بإجراء فحوصات طبية رأها أطباؤه لازمة بعد عملية جراحية كبيرة أجريت له قبل ذلك بسنوات . وقد أبلغ الملك « سعود » أنه سوف يسافر مبكرا لإجراء هذه الفحوص ، وحتى يكون جاهزا بعد ذلك لرئاسة وفد السعودية في الجمعية ألعامة للأمم المتحدة في الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر ١٩٦٢ . ولم يكن الملك متحمسا لسفر الأمير « فيصل » ، فالعلاقات بين الأخوين كانت قد توترت بشدة في أثناء رئاسة « فيصل » للوزارة ، ثم زاد توترها بعد ديسمبر ١٩٦١ حينما قرر « سعود » بعد أن اعاد تنظيم صفوفه أن يمسك بنفسه برئاسة الوزارة مرة أخرى – وأعاد « فيصل » بالتالي إلى وضع نائب الرئيس . ولعل » فيصل » كان يؤثر الاستقالة والابتعاد ، لكنه خشى من عواقب ذلك ، وبالذات على المجموعات التي تحيط به من المستشارين والأصدقاء والمرتبطين بالولاء له شخصيا .

⁼الكامل وعدم التدخل ، وهو السماح بإنشاء فرقة من المتطوعين العرب يذهبون للقتال مع الثورة اليمنية ، كما حدث في الحرب الأهلية في اسبانيا سنة ١٩٣٦ ، وكان ظنى ان هذا الاقتراح اقل في خطره من التدخل الكامل ، واكبر في اثره من مجرد مراقبة التطورات وانتظارها . وريما ان مسار الحوادث فيما بعد اظهر ان تصوراتي كانت نوعا من الرومانسية المفارقة للواقع في العالم العربي !

elleles it il'one « beand » clet it grad plate et as les littes elles et al littes et as les littes elles et as les established et as les established et as established et established

والآن كان " فيصل " يدرك أن كل ما فعله مع " سعود " ذهب سدى . فالأخ الإكبر يكره أخاه الذى برز عليه سواء في أثناء قيادته للقوات السعودية في القتال مع أسرة « حميد الدين » في اليمن ، أو في أثناء توليه العمل طوال فترة حياة والده كوزير للخارجية ، الأمر الذى حقق له شهرة في المجتمع الدولي " وأعطاه تجربة لم تتوافر لأخيه الذي لم يتصل بالعالم .

ولقد أضيف إلى أسباب الكراهية أن الأمير « فيصل » كان في حياته الشخصية متباعدا ، فبعد زواجه من سيدة تنتمى إلى أسرة تركية طيبة انتظمت حياته على نحو مختلف ، بما في ذلك أن أبناءه قصدوا إلى الجامعات الكبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبالتالي أصبح ، وأصبحوا معه يمثلون نوعا من الارستقراطية النسبية في محيط الأسرة السعودية .

واخيرا فإن الأمير « فيصل » احاط نفسه بمجموعة من المستشارين والمساعدين بينهم في ذلك الوقت « عبد الرحمن عزام » (باشا) ، والسيد « عمر السقاف » (وكيل الخارجية السعودى) ، والسيد « كمال ادهم » الذي كان باعتباره شقيق زوجة « فيصل » (الأميرة « عفت ») موضع ثقة الأمير ومستودع اسراره ، وقد عينه « فيصل » مستشارا مشرفا على كل أجهزة الأمن بما فيها المخابرات والمباحث ، وبحكم هذا الموقع فإن « كمال أدهم » كان على صلة مباشرة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وتشير اتصالات « فيصل » فى نيويورك إلى أن شاغله الأصلى كان فى الواقع بحث الأوضاع فى الملكة على ضوء تفرد « سعود » بالأمور فيها . ومن الواضح أن « فيصل » كان يلقى تشجيعا كبيرا من جانب مجموعة شركات » أرامكو » المسيطرة على بترول السعودية ، والتى كانت قد بدأت تضبج من مسحوبات الملك « سعود » من عائدات البترول ، كما أنها انزعجت كثيرا لتصرفاته سواء فى ذلك تحالفه لبعض الوقت

مع « جمال عبد الناصر » أو عدائه فيما بعد ضده ، وخصوصا منذ انكشفت محاولته الشهيرة مع « عبد الحميد السراج » سنة ١٩٥٨ وحتى دوره فى ترتيب عملية الانفصال » وهو دور كان كل عيبه فى نظر هذه المجموعة من المصالح البترولية الكبرى _ هو أنه كان دورا مكشوفا بأكثر مما هو لازم للأمن والسلامة .

وكانت للأمير « فيصل » مجموعة من الأصدقاء الأقوياء في نيويورك خصوصا في دوائر شركات البترول والنقل والبنوك ، وكان يتزعم هذه المجموعة « تيرى ديوس » رئيس مجلس إدارة « أرامكو » وهو وقتها رجل نافذ التأثير في صنع القرار الأمريكي ف الشرق الأوسط . كذلك كان الأمير « فيصل » يحظى بولاء » عبد الرحمن عزام » (باشا) إلى جانبه ، وهو وقتها السفير فوق العادة للسعودية في الولايات المتحدة . وكان = عبد الرحمن عزام = (باشا) وهو رجل يملك تجربة طويلة وخبرة سياسية غنية قد القى بثقله إلى جانب الأمير « فيصل » ، وزاد الارتباط بين الاثنين حينما تحققت مصاهرة بينهما بزواج أحد أبناء «فيصل » من أبنة «عزام» (باشا) . وقد قام « عزام » (باشا) بترتیب برنامج حافل لمقابلات یجریها الأمیر « فيصل » حتى من قبل وصوله إلى نيويورك . وكانت هذه المقابلات متنوعة تشمل أقطاب عالم البترول والمال ، وكذلك أعداد كبيرة من المسؤولين الأمريكيين في وزارة الخارجية وغيرها ، وتمتد إلى عدد من الرجال الأقوياء داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بما فيهم المستر « جون ماكون » المدير الجديد لهذه الوكالة ، والذي عينه « كنيدى » على رأسها بعد أن قام بإعفاء « آلان دالاس » في أعقاب مهزلة « خليج الخنازير » في كوبا . وكان « ماكون « نفسه من أقرب الناس إلى صناعة البترول وما يتصل به ، فقد اهتم بشؤون البترول بعد رئاسته للجنة الطاقة الدرية ، ولعله في هذه اللجنة أدرك أن البترول سوف يظل لزمان طويل مصدر الطاقة الرئيسي . ولهذا فإنه بعد أن ترك لجنة الطاقة الذرية لم يلبث أن ظهر على رأس اتحاد شركات البترول القوية . وعندما أصبح « ماكون » مديرا لوكالة المخابرات المركزية ، فقد أصبح البترول ومناطق انتاجه وأحوالها أبرز اهتماماته والمجال الأولى بنشاطه .

وفى الأيام السابقة على قيام الثورة اليمنية يلاحظ أن الأمير « فيصل = تناول العشاء ليلتين متواليتين مع « جون ماكون » أولاهما في جناح « عزام = (باشا) في فندق = بلازا » والثانية في جناح الأمير « فيصل » في فندق = والدورف استوريا = .

وتكشف وثائق البيت الأبيض في هذه الأيام عن مجالات اهتمام الأمير ، فيصل ، وعن تنوع هذه الاهتمامات يوما بعد يوم في الأسبوع الأخير من شهر

سبتمبر . ففي مذكرة لمجلس الأمن القومي برقم ٣٥٦٨ ـ ٤٩ جاء تحت عنوان الحديث مع الأمير فيصل »^(۲) ما يلى :

■ إن فيصل يعتقد أنه لابد من مساعدة النظام في سوريا ضد ضغوط الجمهورية العربية المتحدة ، وهو يعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تساعد الحكومة السورية باكثر مما تساعدها الآن . وقد بدا من الصعب إقناع الأمير فيصل أن الحكومة الأمريكية تحتفظ بمسافة بينها وبين الحكومة في سوريا ، وتتردد كثيرا دون مبرر كاف في مساعدتها للحكومة السورية . ويبدو أن السعوديين يرغبون في زيادة نفوذهم في سوريا ، وهم يريدون أن تكون السعودية هي الوسيط [المساعدات الأمريكية لسوريا إذا كانت الحكومة الامريكية لا ترغب في الظهور علنا كمؤيد لدمشق . وقد مارس الأمير فيصل في اثناء وجوده في نيويورك ضغطا على مجموعة شركات « ارامكو » و « تابلاين » لكي يرتبوا مع بنك « مورجان جارانتي تراست وشركاه ، قرضا للحكومة السورية بمبلغ ٢٨ مليون دولار . ويبدو ان فيصل يريد أن يخفى عن الحكومة السورية دور أرامكو والتابلاين في هذا القرض بحيث يظهر هو وكانه المانح الحقيقي . ووزارة الخارجية (الامريكية) لم تبد اي اعتراض على الصفقة معتبرة انها مسالة تخص ارامكو والتابلاين يقررون فيها على ضوء مصالحهما . وعموما فإننا نعارض اي تعامل مع سوريا من خلال وسطاء ، ونرى أن أي معونة لسوريا يجب أن يتم التفاوض عليها مباشرة مع الحكومة

وتلت هذه المذكرة مذكرة ثانية من مجموعة وثائق البيت الأبيض يظهر فيها اهتمام الأمير « فيصل » بموضوع أخر ، وهي تحمل رقم ٣١/٣٥٧ وقد جاء فيها مايلى:

« موقف الأمير فيصل من مسالة العلاقات بين السعودية ، والجمهورية العربية المتحدة :

١ - إن العربية السعودية ترى انها محل هجوم مرير من ناصر الذي يحاول استعادة نفوذه بعد خسارته لسوريا .

٢ - إن المعونات الأمريكية السخية التي تقدمها الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة هي التي تساعد ناصر على الاستمرار في السلطة ، بينما هو يبذل قصارى جهده لإضعاف مركز الأصدقاء الحقيقيين للولايات المتحدة في المنطقة .

٣ - في الوقت الذي يضعف فيه مركز ناصر - فإن الولايات المتحدة فيما يبدو تبنى سياستها على اساس انه الزعيم الطبيعي ، والذي لا بديل له في المنطقة .

حققناه مع ناصر لمنعه من مواصلة هجومه على المملكة العربية السعودية . » ثم تجيء مذكرة ثالثة تشير إلى اهتمام الأمير « فيصل » بالتعاون بين · السعودية والأردن ، وكانت علاقة الأمير « فيصل » وثيقة بالملك « حسين » ، الله كانت حلقة الوصل بينهما رجلا مقربا من كليهما وهو السيد « كمال أدهم » - شقيق نوجة « فيصل » وصديق الملك « حسين » منذ كان الاثنان زملاء صف في كلية « فيكتوريا » بالاسكندرية (وكان من زملائهما في نفس الصف السيد » عدنان خاشقجی 🏿 🕽 🕟

وفي هذه المذكرة عن اهتمام الأمير « فيصل » بالعلاقات مع الأردن جاء ما يلي :

1 ـ في الوقت الذي لا تعارض فيه الملكة العربية السعودية اي معونات اقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ، فإنها تطلب منا على الأقل استعمال نفوذنا الذي

« إن الأمير يعلق اهمية على اتفاقية الطائف التي عقدت بين البلدين يوم ٢٩ اغسطس ١٩٦٢ وهي تشمل مجالات سياسية واقتصادية وعسكرية ، وتستهدف في الواقع تحقيق تحالف عمل بين العرشين . وبرغم اهتمام فيصل بهذه الاتفاقية ، فنحن نراها بالدرجة الأولى عنصر طمانينة نفسى بين الطرفين . وقد ابدى لنا الملك حسين مخاوفه على الأوضاع الداخلية في السعودية ، وهو يعتقد انه ما لم تقم السعودية بتنفيذ برنامج سريع للتنمية فإن الموقف الداخلي فيها 🍱 ينفجر . وبصفة محددة فإن الأردن يامل أن يستبدل الخبراء والمدرسين المصريين بخبراء ومدرسين من الاردن ، كما انه يامل في ان يستطيع جذب سياح ورؤوس اموال سعودية ، وربما حاول الحصول على قرض سعودى للتنمية . وفي المجال العسكرى، فإن الاردنيين يخططون لاستعمال تسهيلات تدريب الطيارين التي انشئت في السعودية لكي يتجنبوا تكاليف إنشاء نظائر لها في الأردن . »

ثم تضاف مذكرة رابعة ، ومن الواضح انها معدة للرئيس « كنيدى » تمهيدا لمقابلته للأمير «فيصل » وهي برقم ٢٥٦٧/ ٤١ وقد جاء فيها بالنص :

 المدف الأمير فيصل الاساسى من رحلته إلى الولايات المتحدة هو بالدرجة الأولى أن يقابل الرئيس وغيره من كبار المسؤولين في الولايات المتحدة . وفي الوقت الذي يعتبر فيه فيصل أن علاقة الصداقة بين السعودية والولايات المتحدة ـ هي حجر الزاوية في السياسة السعودية ، فإنه يحتاج إلى تاكيدات بأن سياستنا في الشرق الأوسط لن تتاثر بالمساعدات الاقتصادية التي تقدمها الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة ، وفي عشاء عمل مع وزير الخارجية استطاع الوزير ان يوضح بالتفصيل كثيرا من اهداف سياسة الولايات المتحدة في المنطقة على ضوء مسؤولياتها العامة . وقد اعرب فيصل عن عرفانه بهذه البادرة على الثقة الشخصية به ، ومن المقرر ان يعود فيصل للاجتماع بوزير الخارجية ، ونحن ننوى ان نجعل من هذا الاجتماع فرصة لتوسيع أفاقه فيما يتعلق بالأوضاع الدولية.

⁽٢) الوثيقة لا تحمل أى توقيع ، ويبدو أنها مذكرة عمل ، ويظهر من نصوصها أن مصدرها هو وزارة الخارجية الامريكية، وانها ارسلت كـ مذكرة عمل ، إلى لجنة الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي .

Y - إن آخر التقارير التي تلقيناها من اطباء الملك سعود تشير إلى أن الملك ليست لديه فرصة لأن يعيش اكثر من سنة واحدة بسبب تردى احواله الصحية . وطبقا لذلك فإننا نرى أن اجتماعات فيصل الحالية في الولايات المتحدة هي فرصة مواتية لإعطاء كل التأكيدات اللازمة عن تاييدنا ، وصداقتنا للرجل الذي سيصبح وريئا للعرش ، وهي فرصة لابد من انتهازها لكي نؤكد له أن ناصر ليس رجلنا المختار في المنطقة . وبالإضافة إلى ذلك ، فنحن نامل أن نستطيع خلال وجود فيصل في الولايات المتحدة أن نؤثر على العوامل الإيجابية في السياسة الداخلية السعودية ، الولايات المتحدة أن نقلل إلى اقصى حد ممكن تأثير بعض العوامل التي تضايقنا في سياسة السعودية ، واهمها التمييز ضد اليهود الأمريكيين .

٣ - إن السياسة السعودية الأساسية هي الاعتماد على صداقة الولايات المتحدة .
وهذه الصداقة تاثرت في العام الأخير بسبب مساعدتنا للجمهورية العربية المتحدة التي ترى السعودية انها مشتبكة معها في حرب باردة . وقد ابدى الملك سعود وولى العهد فيصل قلقهما من ان مساعداتنا تقوى مركز ناصر ضد نظامهم ، وهم يريدون منا ان نستعمل مساعدتنا لكي نرغم ناصر على ان يتخلى عن الهجوم عليهم . ولقد كنا سعداء لأن نستجيب لثلاثة طلبات محددة تقدموا بها إلى البيت الأبيض ، وهي عقد توريد سلاح ، ومحطة إذاعة قوتها * كيلووات ، وفريق من خبراء التخطيط يدرس احوال السعودية . *

وفي يوم ٤ أكتوبر ١٩٦٢ كان الأمير « فيصل » على موعد لمقابلة الرئيس » جون كنيدى » والغداء معه في البيت الأبيض (كانت ثورة اليمن قد وقعت ، وتلتها التطورات التي تسارعت بعدها في آخر أيام سبتمبر وأوائل أكتوبر ١٩٦٢). وكان هذا الاجتماع حساسا إلى درجة أن المحضر الخاص بوقعائه وضع في خزينة مكتب الرئيس ضمن الوثائق التي لا يمكن إذاعتها ، أو الحصول عليها بواسطة قانون حرية المعلومات . ومع ذلك فإن هناك مذكرة (٣) أعدها المستر « روبرت كومر » وهو مساعد مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي المختص بالشرق الأوسط . وقد قدمها لـ « كنيدى » صباح يوم غدائه مع » فيصل » وفي الحقيقة فإنها تكاد تكون صورة عامة لما يمكن أن يكون قد دار في الاجتماع . وكان نص هذه المذكرة كما يلي الحرف :

« ٤ اكتوبر ١٩٦٢

مذكرة إلى الرئيس ـ رجاء الإطلاع عليها قبل الغداء .

إن فيصل هنا في الولايات المتحدة لكي يراك . إن لدينا مجموعة من التقارير المؤكدة

(٣) صورة من المذكرة ▮ الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ١١ سطعة ٩٧٠

تشير إلى أن موقف سعود يتهاوى بسرعة . فيصل هو الثانى في الصف . وهو هنا لكى يعرف منك كيف يمكن له ولبلاده أن يعتمدا على الولايات المتحدة . وتستطيع أن تتحدث بصراحة إليه (سطر محنوف) . النقطة المهمة أن فيصل يريد بشدة نصف ساعة في حديث خاص معك لا يحضره أيا من مرافقيه السعوديين . وهو يرغب في أن يتحدث إليك في مسائل تخص ستقبله الخاص . لماذا لا تأخذه إلى الدور العلوى لفنجان قهوة بعد الغداء مباشرة _ إن إنجليزيته معقولة ، وإذا اردت مترجما ، أو إذا أراد هو فسوف يكون صباغ مترجم الخارجية تحت طلبك ليقوم بالترجمة .

من سوء الحظ أن التمرد في اليمن أوصل المخاوف السعودية من الناصرية إلى نقطة الغليان . إن أسرة سعود تعتقد أنها قد تكون هدف ناصر التالى . إن فيصل يريد مساندتك من أجل جهد بريطاني ـ سعودى مشترك للعمل في اليمن ، وقد يكون من الصعب عليك أن تستجيب إلى طلبه في هذا الخصوص .

إن سياستنا الحالية في اليمن حتى الآن هي سياسة عدم التدخل . وليس في إمكاننا عمل شيء على أي حال أل الوقت الراهن . كما أن نظام الإمام كان اكثر النظم تخلفا في العالم . ومن الواضح أن ناصر يؤيد التمرد كما أن إذاعاته لا تخفي عن سعود أنه الهدف التالى . ومن هنا فإن السعوديين يشعرون أنهم مضطرون لرد الفعل (ثلاثة سطور محذوفة) .

وعلى هذا الأساس، فقد يكون من الأفضل توجيه اهتمام فيصل من اليمن إلى العلاقات الأمريكية السعودية. وفي هذا الصدد فإن امامك:

□ اولا - أن تؤكد لفيصل مرة أخرى مساندتنا للأسرة السعودية .

🗖 ثانیا ـ سیاستنا تجاه ناصر .

وإذا استطعت نقل هاتين النقطتين إلى فيصل بوضوح في اثناء العداء ، فسوف يكون ذلك نجلحا كبيرا .

إن فيصل كان في وقت من الأوقات مواليا لناصر ، ولكنه الأن شانه شان سعود يكرهه ويخشاه ، وهو يشك في اننا غيرنا سياستنا العربية إلى سياسة تؤيد ناصر باعتباره رجلنا المختار . وإنا احتك على أن تطرد هذه الفكرة من ذهنه بطريقة لا تحتمل الشك . إن تاييدنا للسعودية مؤكد ، ومن ذلك فنحن لن نتعامل مع ناصر باعتباره السيد الكبير في العالم العربي . وتستطيع أن تشرح له أن سياستنا تجاه ناصر المستد لتحقيق الأهداف التالية :

(1) رده إلى داخل بلاده .

(ب) زيادة إمكانياتنا في الضغط عليه، وهذا هو هدف مساعداتنا له.

(جـ) إذا لم نساعده نحن فسوف يتجه إلى السوفيت ، وهذا سوف يكون ضارا بمصالح اصدقائنا العرب في المنطقة .

وربما المحت له إلى اننا نتوقع من السعوديين انفسهم ان يتحركوا إلى الأمام بعض الشيء في اتجاه التحديث والتنمية . إن بعض الإصلاحات الداخلية هي افضل طريق لمواجهة الناصرية ، ونحن سعداء ان هناك بعض المؤشرات المشجعة في هذا الاتجاه ، وإن كنا نتساعل عما إذا كانت سرعة إحداثها كافية .

اعتقد ايضا انه يتعين عليك ان تثير مسالة التمييز ضد اليهود الأمريكيين في السعودية باعتبارها عاملا يؤثر على صداقتنا . إن سعود كان قد وعدك في فبراير الماضى انه سيغير سياسته ، ولكننا لم نر اثرا لذلك . ونحن نفهم مشاعر السعوديين فيما يختص بإسرائيل ، ولكننا نامل ان يتمكنوا بدورهم من فهم مشاعرنا . ولك ان تشرح له ان اهتمامنا بهذه القضية لا ينبع من جماعات ضغط تمارس نفوذا على السياسة الامريكية . وعليه ان يعرف منك ان إسرائيل هنا لتبقى ، وسوف نعارض اى هجوم عليها ، كما اننا سوف نعارض اى جهد إسرائيل للتوسع . لا تجعل لديه اى شك في اننا سوف نواضل الوقوف بجانب اصدقائنا .

إمضاء روبرت كومر

ملحوظة : مرفق مع هذا مجموعة من المذكرات تستطيع الاطلاع عليها إذا كان لديك وقت ، كما أن هناك تقريرا جديدا من الخارجية سوف يصلك عن آخر آراء فيصل ، وعن تعليقاتهم عليها

ووصلت مذكرة فى أخر لحظة من وزارة الخارجية الأمريكية ، وكانت تحمل بعض المعلومات الإضافية التى رأى « دين راسك » وزير الخارجية أن يكون الرئيس على علم بها قبل أن يقابل ولى العهد السعودى ، وكان أهم هذه المعلومات :

الأمير « فيصل » تلقى معلومات بأن الإمام « محمد البدر » لم يقتل
 كما أذيع من قبل ، وإنما تمكن من الهرب برغم الحصار الذى فرضه الثوار
 على قصره ، ووصل إلى منطقة « حجة » ومن هناك استطاع الوصول إلى
 « نجران » في السعودية . وهو الآن يقود المقاومة ضد الثورة من هناك .

 $Y = \{i \mid V \mid x \in X \}$ عم الإمام $X = \{i \mid V \mid x \in X \}$ هم الإمام $X = \{i \mid x \in X \}$ البدر X

٣ ـ إن الأمير و فيصل و ليست لديه معلومات كافية عن موضوع التجاء الطيارين السعوديين بطائراتهم المحملة بالسلاح المشحون للملكيين في اليمن _ إلى مصر ولا يستبعد الأمير أن تكون هناك خلايا سرية بين الضباط السعوديين الشبان استطاع عملاء « ناصر » تجنيدها .

وقضى الأمير « فيصل » يوم ٤ أكتوبر ساعة ونصف الساعة داخل البيت الأبيض . كان أبرز وقائعها اجتماع ثنائى بينه وبين « كنيدى » بعد الغداء في الطابق العلوى على فنجان قهوة ، كما اقترح « روبرت كومر » . ومع أنه لا توجد وثائق بتفاصيل هذا الاجتماع ، فإن هناك بعض الشواهد التى تشير إلى أن « فيصل » رغم اتفاقه مع « كنيدى » في كثير من الأمور ـ لم يخرج مرتاحا بالكامل من نتائج هذا الاجتماع ، فقد ساوره الإحساس بأن « كنيدى » ينظر إلى علاقته مع « عبد الناصر » في إطار الصراع الدولى اكثر مما ينظر إليها من منظور الصراع بين الجمهوريات والملكيات المحافظة في المنطقة . وقد اعرب الأمير « فيصل » بعد ذلك عن قلقه من أن « كنيدى » اعطاه الإيحاء بأنه يفكر في القيام بدور وهو تفكير كان يراه الأمير « فيصل » بغية التوصل إلى حل لأزمة اليمن ، وهو تفكير كان يراه الأمير « فيصل » خطرا ومؤذيا .

وتوحى تطورات الحوادث بأن « كنيدى » بعد لقائه بالأمير « فيصل » انشغل بالكامل في أزمة الصواريخ الكوبية وعواقبها ، ولكن الأمير « فيصل » لم يتحول باهتمامه لحظة عن اليمن . وهكذا فإنه غادر الولايات المتحدة ، وتوقف لبضعة أيام في لندن في طريقه إلى السعودية .

وفى لندن كان التجاوب مع الأمير « فيصل » اقوى واشد مما أحس به فى واشنطن . فبريطانيا التى كانت قد بدأت تحتك فعلا من محميتها فى عدن والجنوب العربى بالثورة اليمنية ، كانت على استعداد للتنسيق كطرف مهتم وفاعل ، وكان أى حديث عن الوساطة بالنسبة لها تخاذلا وضعفا .

والحقيقة أن لحظة وصول الأمير « فيصل » إلى لندن كانت اللحظة المواتية تماما ، فقد تزامنت مع بدء وصول طلائع القوات المصرية إلى اليمن . وهكذا فإن الطرفين وجدا أمامهما نفس العدو على الأرض يهددهما معا في الأمن وفي المصالح ، ولم يكن اتفاقهما على مواجهته في حاجة إلى مقدمات ، بل إن تنسيق العمل يكاد يكون قد بدأ تلقائيا . وكانت مقابلات الأمير « فيصل » في لندن كلها تؤكد ذلك ، فلم تقتصر اجتماعاته على رئيس الوزراء » هارولد ماكميلان » ووزير الخارجية « دوجلاس هيوم »

وإنما امتدت فشملت مجموعة النواب المحافظين الذين اشتهروا باسم «مجموعة السويس » برئاسة «جوليان ايمرى » وهؤلاء كانت دعوتهم باستمرار «حتمية التصدى بالقوة لناصر « ولو كرد على « إهانة السويس » . كذلك من الدلالات الهامة أن الأمير « فيصل » اجتمع مع السير « دوجلاس وايت » رئيس جهاز الـ M.I.6 وكان الذي رتب هذه المقابلة هو «جوليان ايمرى » زعيم مجموعة السويس .

وقد كتب « جوليان ايمرى » بعد فترة قصيرة من هذه اللقاءات كتيبا صغيرا⁽³⁾ عن » الصراع على اليمن » يفصح إلى حد ما عن طبيعة ما جرت مناقشته في هذه الاجتماعات . وكان أبرز ما قاله : « إن نجاح الكولونيل ناصر في الحصول على موطىء قدم لمشروعاته الانقلابية في شبه الجزيرة العربية ـ وهي موطن اهم مصادر البترول واحتياطياته في العالم ـ هو نذير شؤم يجب أن يتعاون على مقاومته كل الاطراف الذين لهم مصلحة في ذلك داخل العالم العربي وخارجه . »

وكان مؤدى التقديرات البريطانية في شأن الأزمة الناشبة في اليمن يتلخص في النقط التالية :

١ عدم الاعتراف بالنظام الجديد في اليمن مهما كانت الظروف ، ومحاولة التأثير على أكبر عدد من الدول لكى تحجب اعترافها عنه باعتبار أن ذلك ينتقص من شرعيته .

Y _ إن هذه الشرعية الناقصة من شأنها أن تشجع عناصر كثيرة في اليمن على إثارة المتاعب للنظام الجديد ، وفي أبسط الأحوال فإن هذه العناصر ، وفي مقدمتها قبائل اليمن الكبرى سوف ترفع ثمن ولائها للنظام الجديد بما يفرض عليه أثقالا لا يستطيع احتمالها .

٣ - إن ذلك بدوره سوف يفتح المجال لأى نفوذ يستطيع أن ينفذ لهذه القبائل ، خصوصا إذا كان هذا النفوذ معززا بضغط عسكرى بريطاني ف محمياتها في الجنوب العربي من ناحية ، وبالذهب السعودي من ناحية ، أخرى .

غ ـ إن التحالف الأردنى السعودى يستطيع أن يلعب دورا مؤثرا فى اليمن ، فالجيش العربى الأردنى بولاءاته التقليدية معبأ ضد الأفكار الثورية الجديدة .

(٤) وزع هذا الكتيب في مجلس العموم ، ومجلس اللوردات في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر ١٩٦٢ وقد اشارت إليه صحيفة « ديلي تلجراف » واستشهدت بفقرات منه في إحدى افتتاحياتها في تلك الفترة .

وفي يوم ١٧ نوهمبر ١٩٦٧ هبطت في مطار القاهرة على غير انتظار طائرة من طراز «دى هافيلاند هورن » ذات اربعة محركات تحمل رقم (١٠٦) وكانت المفاجأة أن قائدها هو الطيار « سهل حمزة » قائد سلاح الطيران الأردنى الذى طلب حق الالتجاء السياسي إلى مصر . وفي اليوم التالى ـ ١٣ نوفمبر ـ هبطت في مطار القاهرة أيضا طائرتان أردنيتان من طراز « هوكر هنتر » ونزل منهما ضابطان ، وهما الطياران « تحسين صيمة » و « حربي صندوقه » وقد طلب كلاهما الالتجاء إلى مصر . وكان دافع الطيارين الثلاثة هو نفس الدافع ، فكلهم لم يكونوا مستعدين لنقل الأسلحة والذخائر إلى حشود الملكيين في « جيزان » و « نجران » ولا كانوا مستعدين للاشتراك في عمليات عسكرية ضد الثورة اليمنية .

وقامت طائرة مصرية بعملية استطلاع فوق منطقة الحدود اليمنية ـ السعودية ، والتقطت صورا لحشود عسكرية تتجمع وتستعد للحركة . وطلبت الحكومة اليمنية عرقلة تقدم هذه الحشود إلى اطول فترة ممكنة ، وتمت الموافقة على طلبها ، وقامت طائرتان مصريتان بغارة على مواقع الحشود ، وكانت التعليمات تقضى بأن يكون هدف الغارة هو بعثرة الحشود لتخويفها . وبالفعل فإن كل ما اطلقته الطائرتان في هذه الغارة الأولى كان قنابل مشاعل مضيئة تحدث فرقعة ووهجا بغير إصابات بشرية !



ف أواخر شهر أكتوبر ، وأوائل شهر نوفمبر ١٩٦٢ كانت هناك اتصالات نشيطة على جانبى الأطلنطى بين الولايات المتحدة وبريطانيا . ولم تكن هذه الاتصالات مقصورة على القنوات الرسمية ، وإنما شاركت فيها بحكم طبائع الأمور قوى لها مصالح اقتصادية ومالية وحيوية في شبه الجزيرة العربية وثرواتها الطائلة .

كانت هناك بالطبع اتصالات عن طريق القنوات الرسمية ، فقد دخلت واشنطن ولندن في جدل اتسم بالحدة أحيانا حول الطريقة الأمثل لمواجهة الأزمة في اليمن ، فقد

كان « كنيدى » لا يزال ميالا إلى حل توفيقى ، ف حين ان الحكومة البريطانية كانت ترى ضرورة مواجهة « جمال عبد الناصر » بالحزم إلى درجته القصوى .

وقد فزعت الحكومة البريطانية عندما فهمت من المراسلات الدائرة بين وزارتى الخارجية في البلدين أن هناك اتجاها أمريكيا لاعتراف مشروط بثورة اليمن . وكان ردها أن هذا الاعتراف ينطوى على مخاطر شديدة ، وأن الأجدر بالعواصم الغربية كلها أن تتخذ موقف رفض الاعتراف بمنطق « أنه ليس واضحا حتى الآن أن الحكومة الجديدة في صنعاء تملك السيطرة الكاملة على كل التراب اليمنى » .

وكانت المصالح الاقتصادية والمالية الأمريكية في نفس الاتجاه _ مع الحكومة البريطانية _ ذلك لأن شركات البترول ، وخطوط الأنابيب والنقل ، ومجموعات البنوك _ كان رأيها قاطعا بأنه لا يمكن السماح « لأية اتجاهات ثورية أن توجد قرب منابع البترول ، أو تمثل تهديدا محتملا للنظم التي استقرت قواعد التعامل معها منذ سنوات طويلة ، وأن أي شيء غير ذلك قبول باحتمالات مجهولة وخطرة على حساب أوضاع معروفة ومأمونة ...

كان « كنيدى » لا يزال مترددا ، وانتهى تردده ، وقرر فى حوالى منتصف شهر نوفمبر أن يتحرك بمزيج من المرونة والحزم $^{(0)}$ ، وهكذا كتب يوم $^{(0)}$ نوفمبر خطابا إلى « جمال عبد الناص $^{(1)}$

« البيت الأبيض ـ سرى ، ١٧ نوفمبر ١٩٦٢

السيد الرئيس

إننى حزين للخلافات التى نشات بين دول ترغب الولايات المتحدة في ان تحتفظ معها باوثق علاقات الصداقة . كما اننى شديد القلق من ان يؤدى الصراع على اليمن إلى تعريض استقرار المنطقة للخطر . وبناء على ذلك اناشد زعماء الدول المستركة في هذا الصراع الآن ان يفكروا في المخاطر الكبرى التي يمكن ان تتحقق إذا ما سمحوا للتطورات الحالية بان تمضى دون مراجعة . وبصورة شخصية وسرية ، فإنى اقترح عليكم تنفيذ الخطة التالية للعمل من اجل تطبيع الموقف . وإنى موجه رسائل مماثلة إلى جلالة الملك حسين ، وصاحب السمو الأمير فيصل (٧) ، وصاحب السعادة عبد اش السلال .

تتمثل العناصي الرئيسية للخطة التي اقترحها فيما يلي:

١ - انسحاب القوات الاجنبية من اليمن على مراحل ، وإن تكن مراحل متسارعة .

٢ - إنهاء المساندة الخارجية للملكيين.

T = m سحب القوات التى ادخلت بعد ثورة اليمن إلى المنطقة المجاورة للحدود السعودية اليمنية على مراحل ، وإن تكن متسارعة $^{(\Lambda)}$.

واتصور عند القيام بالانسحاب ان يكون هناك اتصال مباشر بين الاطراف المعنية مع قيام طرف ثالث بمساع حميدة ، وقد يكون من المكن ايضا إنشاء نظام للرقابة او الإشراف على عملية فض الاشتباك بواسطة الامم المتحدة . وسوف يكون ممثلو الولايات المتحدة في المنطقة على استعداد لبحث الخطط بحثا اوفي .

وإنى اقترح اتخاذ الخطوات المبدئية التالية :

١ - تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا يشير إلى استعدادها لإجراء فض للاشتباك متبادل وسريع تقوم على اساسه بسحب قواتها على مراحل على ان يتم ق اثناء ذلك : (1) نقل القوات السعودية والاردنية من منطقة الجدود . (ب) وقف المساندة السعودية الاردنية للملكيين اليمنيين .

٢ - تؤكد الجمهورية العربية اليمنية مجددا وبصورة طنية للها على احترام الالتزامات الدولية ، والسعى لتطبيع علاقاتها مع جيرانها والسلام الماني ودى ، والتركيز على الشؤون المحلية . كما توجه الجمهورية العربية اليمنية قياة إلى اليمنيين في المناطق المجاورة(٩) ليتصرفوا كمواطنين متزمن مناطق المجاورة(٩) ليتصرفوا كمواطنين مناطق المجاورة(٩) ليتصرفوا كمواطنين مناطق المجاورة(٩) ليتصرفوا كمواطنين مناطق المحاورة ٩ ليمنيين في المناطق المجاورة ٩ ليتصرفوا كمواطنين مناطق المحاورة ٩ ليمنيين في المناطق المحاورة ٩ ليمنيين في المحاورة ٩ ليمنيين في المناطق المحاورة ٩ ليمنيين في المناطق المحاورة ٩ ليمنيين في المحاورة ٩ ليمنين في المحاورة

٣ - بمجرد إصدار البيانات المناسبة حسبما هو متصور فيما تقدم بمكن إعادة تنشيط عمل بعثة المعونة الأمريكية لليمن ، كما تبادر الولايات المتعدة بإعلان اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية .

واثناء إجراء عملية فض الاشتباك المتصورة ، فلنا طبعا ان نامل في الا يشترك طرف من الاطراف في الاستطة تتعارض مع روح هذا التفاهم .

^{(0 |} كان = كنيدى ، ق مراسلاته السابقة يوجه خطابه لـ = جمال عبد الناصر ، بعبارة « عزيزى الرئيس ، و ق هذه الرسالة الأولى بعد ازمة اليمن اختار أن يوجه الخطاب بعبارة « السيد الرئيس = !

⁽٦) أصل الرسالة [وثائق مكتبة «كنيدى ، وايضا في مجموعة وثائق الخارجية الأمريكية .

⁽ ٧) يلاحظ أن الرئيس « كنيدى » أسقط الملك « سعود » نهائيا كطرف يمكن توجيه الخطاب إليه في الازمة . وهذه علامة لها دلالتها .

 ^(^) تحمل هذه العبارة إشارة معناها أن هناك قوات غير سعودية دخلت إلى هذه المنطقة ، وراحت تشارك عسكريا [العمليات .

⁽ ٩) يقصد اليمنيين الموجودين في السعودية سواء من سكان « جيزان » و « نجران » او غيرهم .

وإنى لأتمنى تعاونكم السريع والقورى ﴿ هذه المهمة الحيوية قبل أن يدخل الصراع على اليمن مرحلة أشد خطورة . وليمنحنا الله جميعا القوة والحكمة للسير بهذه المساعى الهامة إلى نهايتها الموققة .

المخلص جون ف . کنیدی ،

قام السفير «جون بادو» سفير الولايات المتحدة في القاهرة بتسليم هذه الرسالة إلى «جمال عبد الناصر» مساء يوم ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ واستأذن الرئيس في أن يضيف إلى رسالة «كنيدى» بعض انطباعاته . وكان «جمال عبد الناصر» يقدر خبرة الدكتور «بادو » الذي كان مستشرقا عمل لسنوات طويلة كمدير للجامعة الأمريكية في القاهرة ، واستطاع خلال هذه الفترة أن يتصل بمشاعر وأفكار أجيال من شباب المصريين العرب . ولعل السبب الوحيد للخلاف بين الاثنين في ذلك الوقت هو إصرار الدكتور «بادو» على إجراء حواراته مع «جمال عبد الناصر» باللغة العربية . وقد بعض الأحيان كان «جمال عبد الناصر» يعجز عن فهم لكنته . وقد طلب إلى «بادو» أكثر من مرة أن يستعمل اللغة الانجليزية لأن القضايا التي يتحدث فيها كسفير بطبيعتها دقيقة وحساسة ، وأن أي خطأ أو لبس في فهم معاني الكلمات قد يؤدي إلى سوء فهم لا لزوم له _ لكن الدكتور «بادو » اعتبر الملاحظة تشكيكا في قدرته على الحديث باللغة العربية ورجاه أن يتسامح معه ، وأن يأذن له في استعمالها في لقاءاته معه ، وتعهد ضمانا لتجنب سوء الفهم أن يبعث كتابة بعد كل اجتماع يتم بينهما ملخصا وافيا لما قاله ولما سمعه .

وفى ذلك اليوم الذى سلم فيه «بادو » رسالة «كنيدى » بتاريخ ١٧ نوفمبر - قال » بادو » إنه يريد أن يشرح للرئيس أهمية العلاقات الأمريكية - السعودية » وأنه لا يتردد في أن يقول بصراحة بأن هذه العلاقة هي أهم علاقة عربية أمريكية على الإطلاق. فحجم المصالح المشتركة بين البلدين لا تدانيه ، أو تقترب منه مصلحة أخرى تربط الولايات المتحدة بأى بلد عربي. وبالتالي فهو يرجو من الرئيس أن يضع هذه الحقيقة في حساباته ولا يتركها تغيب عنه ،

ويوم ۱۸ نوفمبر رد « جمال عبد الناصر » على « كنيدى » وجاء فى رده بالنص ما يلى :

الرئيس جون ف . كنيدى

إنى شاكر لكم خطابكم بتاريخ ١٧ نوفمبر ، وما فيه من دلائل على اهتمامكم بسير الحوادث في العالم العربي .

على انه لابد في ان الاحظ ان هذه اول مرة اسمح لنفسى فيها ان اناقش مشاكل العالم العربي مع طرف من خارجه . فلقد أثرت دائما ان تبقى الخلافات الداخلية للعالم العربي في نطاقها المحلى ، برغم المحاولات المتكررة من جانب غيرنا لإخراجها من هذا الإطار .

وفى المشكلة التى طرات اخيرا بعد الثورة اليمنية ، وما نتج عنها من مضاعفات وأثار على الحدود بين الجمهورية العربية اليمنية والمملكة العربية السعودية وأثار على الحدود بين الاستجابة لاهتمامكم ، نظرا لما اعرفه ، وما اكده لى السفير الأمريكي في القاهرة الدكتور « جون بادو » ، من ارتباطاتكم الوثيقة بالمملكة العربية السعودية .

واحب أن أؤكد لكم أننى قبلت من غير تردد اقتراحك البناء بتفادى الصدام على حدود اليمن ، ولقد كان ذلك أصلا وأساسا هو الهدف الذى من أجله ذهبت قوات من الجمهورية العربية المتحدة إلى اليمن . ولقد حاولنا ذلك سلما بمختلف البيانات التى صدرت عن الجمهورية العربية المتحدة وعبرت عن سياستها تجاه الثورة الوطنية في اليمن ، وأبرزها البيان الذى أذيع من القاهرة في الساعات الأولى من يوم الوطنية في اليمن ، وأبرزها البيان الذى أذيع من القاهرة في الساعات الأولى من يوم حرا في إعمال إرادته وصياغتها على النحو الذى يريده . ومن سوء الحظ أن صاحب الجلالة الملك سعود أخذ الأمر على غير وجهته الصحيحة ، فلقد تصور الثورة في البيان معركة بين النظامين الملكي والجمهوري ، ومن ثم فإنه بهذا التصور غير الصحيح اندفع بكل طاقته وإمكانياته إلى محاولة لغزو اليمن من الخارج . ولعلكم علمتم أن عددا من الطيارين السعوديين الأحرار الذين كلفوا باعمال عدوانية ضد علمتم أن عددا من الطيارين السعوديين الأحرار الذين كلفوا باعمال عدوانية ضد ثورة اليمن قادوا طائراتهم إلى القاهرة بدافع من ضميرهم القومي ، وكانت في الطائرات أمريكية الصنع ، كما أن حمولتها من الأسلحة والذخائر كانت لا تزال في صناديق المعونة الأمريكية.

ولقد كان ذلك بالنسبة إلينا - فضلا عما ينطوى عليه من نوايا عدوانية - دليلا على أن نداءنا للجميع بالابتعاد عن حدود اليمن وعدم التدخل في شؤونه الداخلية ، وتجنب فرض الحرب عليه من وراء الحدود -لم يجد اذنا صاغية في الرياض . ومن ثم كانت استجابتنا ضرورية لطلب حكومة الجمهورية العربية اليمنية بوضع

بعض قواتنا تحت تصرفها لتشترك معها في الدفاع ضد الهجمات العنيفة التي تتعرض لها حدودها الشمالية في منطقة «صعدة » في ذلك الوقت ، والتي اتخذت من منطقة نجران في السعودية قاعدة لها .

واؤكد لك أن الجمهورية العربية المتحدة تملك الوثائق التي تثبت أن بعض الطيارين الأمريكيين اشتركوا في عمليات نقل العتاد والجنود ما بين الأربن والسعودية إلى حدود اليمن . على أننا نعرف أن هؤلاء الطيارين ، وقد كانوا ف خدمة الخطوط الجوية السعودية ، كانوا يعملون تحت عقود ملزمة ، وفي إطار ظروف فرضت عليهم ما قاموا به . وربما لم تكن ابعاد المسؤولية عما فعلوا واضحة امامهم . »

ومضى « جمال عبد الناصر » في رسالته إلى « كنيدى » يقول بالنص :

النفلاف التاريخي بين حكومة المملكة العربية السعودية على حدود اليمن . فإن الخمهورية الغاريخي بين حكومة المملكة العربية السعودية ، وبين الجمهورية العربية المتحدة ليس خلافا من النوع الذي يحسمه الصدام المسلح ، وإنما هو خلاف يضرب بجذوره في اعملق الاوضاع الاجتماعية السائدة في العللم العربي ، ومحلولة امال المستقبل ان تنزع نفسها من بقايا الماضي ورواسبه . فقد كنا - يعلم الله - حريصين على تجنب القوة حفاظا على كل نقطة دم عربية . ومن حسن الحظ ان القوات المسلحة في السعودية والاردن بذلت من جانبها جهدا واضحا لتحذير الراغبين في العدوان . وقد تجلى ذلك في مجيء طلائع من الطيارين واضحا لتحذير الراغبين في العدوان . وقد تجلى ذلك في مجيء طلائع من الطيارين الاردنيين إلى القاهرة حيث لحقوا بزملائهم السعوديين ، وكان يتقدمهم القائد العام لسلاح الطياران الملكي الاردني . »

واستطرد «جمال عبد الناصر» بعد ذلك في رسالته ، فناقش مقترحات « كنيدى » وأبدى استعدادا للموافقة عليها بعد التشاور مع الحكومة اليمنية .

ويوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٢ بعث «جمال عبد الناصر » ببرقية شفرية عاجلة إلى الرئيس «عبد الله السلال » يقترح عليه فيها قبول المقترحات الأمريكية . ووافق « السلال » وفهمت القاهرة بعد ذلك أن الأطراف على الجانب الآخر قد وافقت أيضا ، فقد أعلن أن الرئيس » كنيدى » عين ممثلا خاصا له لتنفيذ مشروعه الخاص بحل الأزمة في اليمن ، وهو السفير المخضرم « الزورث بانكر » ، كذلك كلفت الأمم المتحدة بإرسال هيئة مراقبين » وطار مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهو الدكتور « رالف بانش » إلى صنعاء لترتيب إجراءات عمل فريق المراقبين الدوليين .

وبعد أن قام الدكتور « رالف بانش » بجولة سريعة في اليمن عاد إلى صنعاء ، وكان أول تعليق له هو قوله مرتاعا :

« لقد كنت حتى الآن اتصور اننى رايت اسوا صور التخلف الالكونجو ، ولكن ما رايته هنا في اليمن اقنعنى بان هناك ما هو اسوا في التخلف من الكونجو »(١٠).

وفي ساعة متأخرة من مساء يوم ١٩ ديسمبر أعلن الرئيس « جون كنيدى » أن حكومة الولايات المتحدة تعترف اعترافا فعليا وقانونيا بالجمهورية العربية اليمنية .

وأحدث ذلك الاعتراف رضا عميقا في القاهرة ، وفي صنعاء ، وفي مواقع أخرى من العالم العربي . ولكن عواصف الغضب ثارت في عواصم عربية أخرى ، وفي مراكز للمصالح والنفوذ خارج العالم العربي !

⁽۱۰) من لقاءات بین الدکتور « رالف بانش » و « محمد حسنین هیکل » جرت ﴿ صنعاء ﴿ اواخر شهر نوهببر

الفصيل

الحرب الأهلية باردة وساخنة



أى اتفاق ، على أى مستوى ، ينجح أو لا ينجح ـ ليس فقط بنصوصه ، وليس بنوايا أطرافه الأصليين ، وليس برغبتهم حتى وإن صدقت في حسن تنفيذه ـ فكل هذه عوامل مساعدة ، وأما الاختبار الحقيقي لأى اتفاق ، ففي مجالات أخرى غير النصوص والنوايا وصدق الرغبات !

- هناك أولا طبيعة المشكلة التي يتعرض لها الاتفاق ، وما إذا كانت واضحة حتى لدى أطراف الاتفاق أنفسهم قبل غيرهم ، بحيث يتأكد لهم بيقين أنهم يتحدثون عن نفس الشيء على أساس توصيف مشترك يتحققون بواسطته مما إذا كانوا يملكون بالفعل عقد اتفاق نافذ بينهم في موضوعه ؟!
- وهناك ثانيا نوعية العناصر المؤثرة في المشكلة ، وتركيبة هذه العناصر وقوتها وقدرتها على الحركة المستقلة بعيدا عن اطراف الاتفاق الأصليين ، بما في ذلك تحدى رغبات هؤلاء الأطراف الأصليين إذا وجدت ذلك لازما .
- وهناك ثالثا رؤية هذه العناصر المؤثرة لمطالبها ، سواء من ناحية الأمن ، أو من ناحية المصلحة ، وهل تتحقق هذه المصالح ، أو لا تتحقق بالاتفاق ؟
- وهناك ـ رابعا ـ حقائق وتفاعلات المرحلة التاريخية التى يجرى فيها عقد الاتفاق ، فليس هناك حدث يستطيع أن يعيش خارج البيئة العامة لزمانه ومنفصلا عنها .

● وهنك مفاصد المواريث السياسية والفكرية ، والقناعات المسبقة للجميع سواء في ذلك اطراف الاتفاق الأصليين أو غيرهم من العناصر المؤثرة فيه ، فالاتفاقات القادرة على الحياة لا تولد بين يوم وليلة ، وأى صفحة جديدة من كتاب ليست قصته عند سطرها الأول !

وفى الاتفاق الذى جرى التوصل إليه بين « جون كنيدى » و « جمال عبد الناصر » حول أزمة اليمن ، والذى بمقتضاه تم اعتراف حكومة الولايات المتحدة بالجمهورية العربية اليمنية _ فإن هذه الشروط الحقيقية والضرورية لنجاح أى اتفاق _ كانت غائمة ورمادية !

ولم يكن « كنيدى » و « عبد الناصر » يعرفان ما فيه الكفاية عن طبائع الأمور في اليمن ، وكذلك كان حال معظم المحيطين بالاثنين رجالا كانوا أو اجهزة .

كان «كنيدى » و « عبد الناصر » كلاهما مهتما بالاتفاق ، أو على الأقل تجنب الصدام ، بينهما « أو بين الولايات المتحدة وبين الجمهورية العربية المتحدة ، ولم يكن ذلك صميم القضية ، فلا يمكن فصل صميم أى قضية عن موضوعها أى عن اليمن في هذه الحالة .

ولم يكن أحدهما واضحا في تصوراته عن اليمن ، ولعل « كنيدى » كان يقيس بمقدار ما يعرف عن بلاد القلاقل والانقلابات وحتى الثورات في أمريكا اللاتينية ، ولعل « جمال عبد الناصر » كان يقيس بمقدار ما عرف عن سوريا أو السودان أو الجزائر ، ولم يكن القياس في الحالتين صحيحا .

ولقد فزع «كنيدى » وشكا لـ «جمال عبد الناصر » عندما لفتوا نظره إلى تصريح للرئيس «السلال » غداة يوم اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الجديد في صنعاء جاء فيه على لسان «السلال » أن » اليمن يملك صواريخ يستطيع ال يهدم بها قصور الرجعية في الرياض على رؤوس سلكنيها »!

وفرع « جمال عبد الناصر » ولم يجد من يشكو له حين قرا ماساة اول شهيد من الضباط المصريين في اليمن ، وهو الشهيد « نبيل الوقاد » واكتشف ان احد زعماء القبائل الموالين للجمهورية باعه بيعا بعشرين قطعة من الزهب ، وقام بنفسه بإطلاق الرصاص عليه من الخلف!

ولم تهدأ مخاوفه عندما علم أنه لا يوجد طبيب مؤهل أو مدرس مؤهل أو مهندس من أبناء اليمن ، بل إن خزينة الحكومة اليمنية لا يوجد فيها مليم واحد لأن الخزينة كانت في جيب الإمام ، وعندما هرب كانت الخزينة معه !

ولم يكن المهتمون باليمن هم اطراف الاتفاق بين «كنيدى » و « عبد الناصر » إنما كانت هناك عناصر أخرى ليست أقل قوة وقدرة من الأطراف الأصليين الذين وقعوا عليه ، فقد كانت السعودية عنصرا رئيسيا لا يمكن تجاهل أهميته بحكم الجوار ، وبحكم التشابك الجغراف والإنساني ، وبحكم أوضاع قبلية غائرة في قرون الزمان . وكذلك كانت بريطانيا عنصرا رئيسيا بحكم وجودها العسكرى في الجنوب العربي ، وهو حقيقة ، وبحكم استراتيجيتها في شرق السويس ، وبحكم نظرتها لحركة القومية العربية ، وبحكم عدائها له ، جمال عبد الناصر ، وهذه كلها أيضا حقائق .

كذلك كان الأردن ، وكذلك كان « قاسم » في العراق ، وكذلك كانت بقايا حكم الانفصال المتهاوى والآيل للسقوط في سوريا .

إيران كان لها دور رئيسى ، فقد كان الشاه يعتبر أن الشاطىء الآخر للخليج العربى وحتى مداخل البحر الأحمر منطقة أمن إيرانى .

تركيا وبأكستان أيضا كان لهما دور بحكم حلف بغداد .

فرنسا كانت قريبة ، فهى موجودة فى جيبوتى ، وهى جريحة فى الجزائر - ومن الطبيعى أن تهتم .

وإسرائيل كان محققا أن تجد لنفسها دورا بحكم تفاعلات الصراع في الشرق

وخارج إطار الدول كانت هناك عناصر مؤثرة أبرزها شركات البترول ، والبنوك والمؤسسات الاقتصادية المالية العالمية ذات الصلة بالبترول ، وهي كثيرة وكبيرة .

بل إن قبائل اليمن الكبرى ، وحتى الصغرى أصبحت من عناصر المعادلات التي لا يمكن نسيانها .

اخطر من ذلك ، فإن القرار الأمريكي معقد ومركب ، وفي كل الأحوال ، فإن صنعه لا يقتصر على البيت الأبيض وسيده ، وإنما هناك قوى أخرى تصل في تأثيرها إلى حد أنها تستطيع اتخاذ سياسات مختلفة تخلق بها حقائق واقعة على الأرض تفرض على صانع القرار الرسمي في البيت الأبيض حتى وإن لم يكن مقتنعا سلامتها .

وليس صحيحا أن الأطراف الأصليين في أي اتفاق يستطيعون فرضه على كل العناصر المهتمة في أزمة من الأزمات ، فعند لحظة معينة ، وعندما تكون رؤى المصالح والأمن معرضة للخطر ، فإن أطرافا ثانويين يستطيعون بشيء من المخاطرة أن يزيحوا

الأطراف الأصليين ، ويتقدموا هم إلى مواقع الصدارة في تحريك الحوادث . ذلك أن أي طرف مهما كان ثانويا يملك حجما من الإرادة المستقلة يكبر بمقدار استعداده لتحمل المخاطر منفردا .

وعلى سبيل المثال ، فإن بريطانيا التى أسلمت بقايا إمبراطوريتها للولايات المتحدة في مؤتمر « برمودا » سنة ١٩٥٧ والتي راحت تفكر بعد ذلك في سحب قواتها شرق السويس معتمدة على الولايات المتحدة في كل شيء _ كانت على استعداد في هذه اللحظة للخروج من تحت المظلة الأمريكية مهما كان الثمن لأنها وجدت نفسها مهددة عند آخر موقع بقى لها عند نقطة التقاء البحر الأحمر مع المحيط الهندى ، ولقد فضلت أن تواجه سوء تفاهم مع الولايات المتحدة _ إذا كان ذلك ضروريا في النهاية _ على أن تسقط في البحر أمام حركة القومية العربية من آخر موطى « قدم لها عند الطرف الشرقى الجنوبي من شبه الجزيرة العربية .

أى أن بريطانيا وغيرها من العناصر المؤثرة كانوا على استعداد عند لحظة الخطر لتحمل سوء فهم مع الولايات المتحدة يصل إلى درجة التحدى لحليفهم الكبير على أن يسايروا ثم يقعوا على الأرض من أول ضربة يوجهها إليهم عدوهم اللدود!

وعندما تكون هناك بحكم المراحل التاريخية حالة فوران يصل إلى درجة الغليان في منطقة من مناطق العالم ـ فإن الاتفاقيات لا يمكن أن تكون ضابط التداعيات ولا رابطها .

وفى تلك الأيام كانت المنطقة العربية كلها - بل وكان العالم الثالث على امتداده - ف شبه حالة ثورية .

وكانت هذه الحالة غير مسبوقة في التاريخ ، فقد تفجرت في عالم تلاشت فيه الحدود والمسافات ، وتصارعت فيه قوى عظمى وعقائد ، وظهرت فيه وسائل واسباب لم تتح من قبل لحركات الثورة في التاريخ ، وأولها الإذاعة والتليفزيون ، وبالتالي فإن الأحلام استطاعت أن تجد لنفسها أجنحة تطير بها بعيدا عن أرض الواقع ، وكان هذا كله معززا بقفزة هائلة في تكنولوجيا الأسلحة الصغيرة ، وبمدد من الذهب كأنه إناء بلا قاع !

وفى شبه الجزيرة العربية وما حولها ، فإن هذه الأجواء أحدثت متناقضات بدا بعضها مثيرا للضحك ، وبعضها داعيا إلى البكاء . د عزیزی عبد المکیم^(۱)

تقبل تحياتي وارجو من الله أن يوفقنا وقلبي معك واشعر باطمئنان وسينصرنا الله لاننا نحارب بلا هدف إلا قضية الحرية وتاكيدها وقضية الثورة التي هي حق لكل شعب مغلوب على أمره .

من تتبعى للإشارات الملتقطة اشعر ان العدو مستمر في الحشد وتكديس السلاح والذخيرة والمفرقعات في نجران ، ومنها يحولها إلى عبد الله بن الحسن ، والحسن ، وعبد الله بن الحسين . كما أن هناك طائرات محملة بالسلاح والذخيرة من بلجيكا بدات تصل إلى نجران . وصلت الطائرة الأولى أمس ، وستصل الثانية يوم ٢٨ ديسمبر ، والثالثة والرابعة يوم ٢٩ ديسمبر ، والخامسة يوم ٣٠ ديسمبر . والمفهوم أن هذه الطائرات ستصل إلى الطائف ومنها تنقل البنادق بالطائرات إلى نجران وجيزان ، والذخيرة بالسيارات . كذلك تكدس الآن متفجرات في نجران وجيزان ، كل هذا مع استمرار نقل الاسلحة والذخيرة إلى نجران وجيزان . وإنا الآن الشد اقتناعا أن علينا أن نهاجم نجران وجيزان وننقل معركتنا من الدفاع إلى الهجوم . وفي رايي أن الوساطة الامريكية كانت خدعة الغرض منها تخفيف حماسنا واندفاعنا ، ومنعنا من القيام باى عمل ضد قواعد الحشد في السعودية . •

● وفي اليوم التالى ـ ١٨ ديسمبر ـ تأكد « جمال عبد الناصر » أن « كنيدى » على وشك الاعتراف فعلا بحكومة الثورة في صنعاء ، وأن هذا الاعتراف على وشك أن يعلن خلال ساعات . وكتب إلى « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ ـ وبخط يده (٢) يقول له :

« عزيزى عبد الحكيم

تقبل سلامي وتحياتي . اكتب إليك الآن في المساء قبل سفر شمس(٣) عن التطورات الاخيرة بالنسبة لاعتراف امريكا بالجمهورية اليمنية ، وكذلك الغرب وتاثير ذلك . قابل على صبرى السفير الامريكي قبل ظهر اليوم . وتم الاتفاق على ان يعلن بياننا الساعة الحادية عشرة مساء ، وعلى ان يصدر البيان الامريكي ظهر باكر بتوقيت الساعة الصادسة بتوقيت القاهرة . وقد ابلغ على صبرى السفير الامريكي ان سير الامور في الاراضي السعودية على حدود اليمن وخصوصا في نجران تدل على ان السعودية لن تلتزم بما جاء في جواب كنيدي عن

ووراء سطور الاتفاق بين واشنطن والقاهرة ، فإن تجارب الماضي ورواسبه كانت تؤثر في الطرفين : « جون كنيدى » و « جمال عبد الناصر » .

وعند أول لحظة شك _ حتى ولو ثبتت البراءة فيما بعد _ فإن اللحظة كانت تستدعى تلقائيا كل المخزون قبلها في العلاقات ما بين البلدين .

وهكذا فإن الاتفاق بين الرجلين كان أشبه ما يكون بشمعة واحدة فى جو مظلم ، ومعبأ ومسكون بالأشباح .

وكان كلا الرجلين يحاول ، وإن كان واقع الأمور يجعل المحاولة : نصف جهد ، بنصف اقتناع ، خطوة إلى الأمام ، ثم تردد وتلفت ، في انتظار ما سوف يفعله الآخر ، وكانت تلك هي الفترة التي غاصت فيها تحت سطح الأرض في الشرق الأوسط الغام لم يلبث بعضها أن تفجر سريعا في حين ظل بعضها الآخر نائما في انتظار أيام أخرى مازالت مواقيتها مؤجلة !

إن الطريقة التى تواصلت بها ، وتداعت وقائع الأحداث فى اليمن تكشف بسياقها ومضاعفاتها حجم النتائج المأساوية التى يمكن أن تصبيب أزمة من الأزمات نتيجة للفشل فى فهم طبيعتها وتوصيفها ، وتحديد أطرافها ورؤاهم ومصالحهم وإنجازاتهم المسبقة .

وربما كان تتبع سياق الأحداث في هذه الفترة الحساسة هو القادر أكثر من أي أسلوب آخر على رسم الصورة الكاملة لأسابيع خطرة أصبحت مفترق طرق كثيرة في الشرق الأوسط، وفي العالم العربي بأكثر مما كانت أي فترة أخرى في تاريخه الحديث:

■ يوم ١٧ ديسمبر ١٩٦٢، وفي الوقت الذي كان فيه « جون كنيدى » على وشك إعلان اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الثورى في اليمن ـ كان " جمال عبد الناصر " غير مقتنع بصدق نوايا الرئيس الأمريكي ، وقد كتب بخط يده خطابا إلى « عبد الحكيم عامر » الذي ذهب إلى اليمن ليشرف على معركة لتطهير أطراف الحدود اليمنية من إغارات وقعت عليها ، وتمكنت من احتلال بعض أراضيها ، وبالذات في منطقة " الجوف » . وكانت صورة المخطط الكامل للهجوم على الجمهورية العربية اليمنية أمامه كاملة ، فإن أجهزة التقاط الإشارات وحل الشفرات في المخابرات العامة كانت تتابع الأجواء في المنطقة ، وتتعقب معظم الموجات العابرة فيها . وكتب « جمال عبد الناصر " من القاهرة بخط بده إلى « عبد الحكيم عامر " في صنعاء يقول له بالحرف :

⁽١) الصفحتان الأولى والثانية من خطاب «جمال عبد الناصر » بخط يده منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٤٢ صفحة ٩٧٤

⁽٢) الصفحتان الأولى والثانية من خطاب «جمال عبد الناصر » بخط يده منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٤٣ صفحة ٩٧١

⁽٣) يقصد شمس بدران الذي كان وقتها مديرا لمكتب القائد العام للقوات المسلحة .

الـ disengagement) لانهم يشونون الأسلحة والذخائر ، الخ ويدفعون المتسللين ويدفعون الأموال ، وكان الرد انهم سيضغطوا لإنهاء ذلك

عموما بعد اعتراف امريكا اعتقد ان ما جاء في جوابي بالامس اصبح الان سابق لوقته ، أو في حاجة لاعادة النظر من جديد . وفي رأيي أن الواجب أن نحاول سياسيا مرة أخرى للوصول إلى إيقاف النشاط السعودي . وإذا لم يتحقق ذلك ، فالخطوة التالية تكون إنذار بهدم قواعد العدوان

إنى على يقين أن فيصل لن يسكت ، ولكن بعد ظهور العامل الجديد باعتراف الغرب وفيه كسب معنوى ، ومعناه أن الثورة اليمنية توطدت وعجزوا عن قهرها ، فالتوقيت يحتاج لبحث من المهم وضع السلال في الصورة عن نشاط السعودية على الحدود وهذا واضح في تقارير المخابرات الملتقطة حتى لا يطمئن إلى أن أمريكا ستوقف كل شيء ضده في الحال . ففيصل سيعمل ، والبدر ، وكذلك الانجليز باستمرار للضغط على الجمهورية اليمنية . •

■ ف ذلك الوقت من أواخر شهر ديسمبر ١٩٦٢ كانت قوات الجيش المصرى في اليمن قد استطاعت القيام بحركة واسعة في شرق وشمال اليمن تمكنت بها من تحقيق سيطرة الجمهورية العربية اليمنية على كل أطراف اليمن . وحين وصل الدكتور ورالف بانش » مبعوثا من « يوثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة ، وطار فوق كل أرجاء اليمن ، ونزل في عدد من قرى الحدود الرئيسية كان تقريره للأمين العام بعد ذلك أنه يرى أن النظام الثورى الجديد قد مد سلطته على كامل التراب اليمنى . وأن القوى المعادية للثورة اليمنية كلها متمركزة الآن في قواعد خارج الأرض اليمنية .

وربما بمقاييس ما هو عادى فى أى بقعة من العالم بعيدا عن الشرق الأوسط وعن اليمن ، فقد كان يمكن لأى مراقب أن يتصور أن الأزمة في طريقها إلى الحل . ولكن حجم المصالح في شبه الجزيرة العربية ، وتشابك العلاقات بين الأطراف المعنية جعل من هذا التصور ، أو أى شيء مماثل له ضربا من التعلق بالوهم .

● بدا الرئيس الأمريكي " جون كنيدى " فور إعلان اعترافه بالحكومة اليمنية يتعرض لضغوط شديدة متعددة الاتجاهات . وكان أهم مصدر لهذه الضغوط شركات البترول والبنوك إلى جانب الحكومة البريطانية . وتلقى الرئيس " كنيدى " اكثر من رسالة من المنطقة ومن خارجها ، ومن جهات سياسية واقتصادية ومالية وأجهزة مخابرات معلومات مؤداها أن النظام في السعودية ، وفي غيرها معرض لأشد المخاطر إذا ما ترك الأمور في جنوب شبه الجزيرة ولعربية تتفاعل مبتدئة من النقطة التي جرى فيها الاعتراف الامريكي بثورة اليمن . وذهب مجلس إدارة « أرامكو » بكامل هيئته تقريبا إلى البيت الابيض اليمن . وذهب مجلس إدارة « أرامكو » بكامل هيئته تقريبا إلى البيت الابيض المناس المن

وكان معهم ممثلون لمجموعة من البنوك الامريكية اهمها بنك «تشيس مانهاتن » و «مورجان جارانتى » ، وهناك التقوا ب «ماك جورج باندى » مستشار الرئيس للأمن القومى ، وانتهى لقاؤهم إلى أن البيت الابيض قد يكون له الحق ق ممارسة سياسته مع «ناصر » بالطريقة التى يراها ، وللأهداف التى يقدرها ولكن الحكم في السعودية يحتاج إلى عملية تدعيم لا شك فيها امام الاصدقاء والاعداء معا . وقدم رئيس مجلس إدارة «أرامكو » ل «ماك جورج باندى » والاعداء معا . وقدم رئيس مأداها أنه حينما التقى بالرئيس «كنيدى » منهل أسابيع - فإنه حصل من الرئيس على وعد مؤكد بأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقف بحزم لضمان أمن السعودية وسلامتها من أى تهديد . وأن الظروف الجديدة الواقعة في اليمن الآن بما فيها الاعتراف الامريكي والعملية العسكرية المصرية الناجحة تمثل جميعا تهديدا صريحا للسعودية ، يضاف إلى العسكرية المصرية الناجحة تمثل جميعا تهديدا صريحا للسعودية ، يضاف إلى واحيانا تقوم باختراقها .

ونقل « ماك جورج باندى = وقائع اجتماعه بمن قابلهم جميعا إلى الرئيس = كنيدى = واستقر الرأى على تشكيل لجنة خاصة من مجلس الأمن القومى تتولى متابعة ، وتنسيق السياسة الأمريكية إزاء اليمن والسعودية بالاتصال والتعاون بين شركة « أرامكو = ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية . وعهد برئاسة هذه اللجنة إلى المستر « روبرت كومر = وهو مساعد « باندى » والمسؤول في مجلس الأمن القومي عن امور الشرق الأوسط وقتئذ .

وبعد أيام تقدم «كومر» بخطة للعمل أطلق عليها الاسم الرمزى «السطح الصلب » "Hard Surface". وكان مجمل هذه الخطة يقضى بإجراء عرض للقوة الأمريكية في السعودية يتمثل في إجراءين:

أولهما - إرسال سرب واحد من الطائرات إلى السعودية للمرابطة في احد مطاراتها مع الإعلان عن ذلك بطريقة تلفت الأنظار إلى أن هناك تعهدا امريكيا قاطعا بالدفاع عن أمن السعودية ونظامها . والإجراء الثانى - إرسال اسطول صغير من المدمرات الأمريكية يقوم بزيارات لموانىء المنطقة الشرقية لكى يكون من ذلك مزيد من التأكيد للضمان الأمريكي .

وفى الوقت الذى أعلنت فيه هذه الاجراءات وسط ضجة دعائية كبيرة كانت الحشود فى مناطق « نجران » و « جيزان » تزيد بطريقة ملفتة ، كما أن نشاط « البدر » و « الحسن » وعدد من المسؤولين السعوديين تركز بطريقة مريبة على الاتصال ببعض رؤساء القبائل فى اليمن ، كما أن معدل تهريب السلاح والذخيرة إلى

^(*) كتبها ، جمال عبد الناصر ، باللغة الانجليزية طبقا للتعبير الشائع ، ومعناه ، فك الاشتباك ، .

، عزيزى عبد الحكيم

تحياتي واشواقي وارجو ان تكون بخير ، وسلامي واشواقي لانور (يقصد انور السلاات الذي كان مع عبد الحكيم عامر عندما عاد إلى اليمن) ونحن في انتظاركم فقد تركتم فراغا كبيرا .

هناك اهتمام كبير الآن باخبار اليمن حتى ان الاهتمام غطى على اخبار العراق وارجو الله أن ينتهى الأمر قريبا بالنصر الكامل . اكتب لك الآن ، وساقابل السفير الامريكي بعد ساعة ، واظن انه سيبحث موضوع الغارة على نجران ، وقد ابلغ ان عنده رسالة من كنيدى . وقد ابلغ السفير الامريكي ان كنيدى سوف يرسل مندوبا خاصا ، وبصفة سرية جدا ليقابل فيصل لتسوية الامر . وسيصل المندوب اليوم عبراير .

سعدت جدا بانباء الانتصار وروح الجنوب المعنوية العالية . واظن انك تعرف ان موضوع اليمن سبب لى في الماضي الكثير من القلق ، ولكن الحمد ش على النتائج الاخيرة ، واعتقد أن وجودك كان ضروري لتحقيق ذلك .

هناك موضوع مطلوب رايك فيه على أن يصلنى في الحال وهو أن الشيخ حافظ وهبة (سفير السعودية في لندن والمستشار المقرب من الأمير فيصل) اتصل بالأمين العام للجامعة العربية ، وطلب منه الالتقاء مع كمال رفعت من أجل بحث العلاقة بين السعودية ومصر . وقد أتصل حسونة بالدكتور فوزى ليبلغه الرسالة وأريد أن أعرف رأيك . •

• كان المندوب الأمريكي الذي بعث به الرئيس = جون كنيدي = إلى الأمير البصل » لـ « تسوية الأمور » هو السفير « الزورث بنكر » . وقد كانت المقابلة التي نعت بنيا مقابلة سيئة الحظ ، فقد انتهت بسوء تفاهم كامل بين الاثنين كاد يصل إلى درجة الأزمة ، فإن السفير = بنكر = قال للأمير « فيصل = إن مظاهرة القوة الجوبة والبحرية التي قامت بها الولايات المتحدة لإعلان مساندتها له تمت على شرط إيقاف التدخل السعودي في اليمن ، وأن الطائرات الأمريكية الثماني المرابطة في السعودية لن تشتبك مع أية قوات مصرية إلا في حالة الدفاع الرابطة في السعودية لن تشتبك مع أية قوات مصرية إلا في حالة الدفاع الرابطة في السعودية أن المنيس « كلام الرئيس «كندي » أن هناك شرطا عليه ، وأن كلمة « شرط = تبدو له غير مقبولة ونخل السفير الأمريكي في السعودية وهو المستر = بيتر هارت = وكان يحضر والمبعوث الرئاسي ، وقال إن هناك خطا في الترجمة المقابلة بين الأمير السعودي والمبعوث الرئاسي ، وقال إن هناك خطا في الترجمة المقابة ، وأنه يفضل استبدالها بكلمة « فهم مشترك » ، ولكن محاولة السفير «مارت » لم تفلح لأن السفير « بنكر » ما لبث بعد ذلك أن أضاف إلى ما قاله « أن الرئيس كنيدي يرى أن يوجه الأمير فيصل بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية الرئيس كنيدي يرى أن يوجه الأمير فيصل بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية الرئيس كنيدي يرى أن يوجه الأمير فيصل بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية الرئيس كنيدي يرى أن يوجه الأمير فيصل بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية المؤتر المناف إلى المؤون الداخلية المناف إلى المؤون الداخلية المؤتر السفير « بنكر » ما لبث بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية المؤتر السفير « بنكر » ما لبث بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية المؤتر السفير « بنكر » ما لبث بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية المؤتر المؤتر السفير « بنكر » ما لبث بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية المؤتر المؤت

داخل اليمن بدأ يتصاعد بطريقة تدعو إلى الريبة والشك وعاد نشاط الاستطلاع الجوى فوق مناطق الحدود السعودية ، وقامت إحدى الطائرات بإطلاق النار على بعض الحشود فعلا .

■ وأمام هذه المحاولات وقف الرئيس « السلال » في اجتماع عام في اليمن يلقى خطابه المشهور عن « امتلاك الثورة اليمنية لصواريخ قادرة على ضرب قصور الرجعية في الرياض » . وراح الحوار بين الفعل ، ورد الفعل يدفع الأمور إلى درجة الانفلات من كل النواحي .

● ولم يكن مراقبو الأمم المتحدة قادرين على متابعة كل ما يجرى على حدود اليمن ، ويبدو من مذكرات الجنرال السويدى « فان هورن » أنه كان مشغولا بمشاكله ومشاعره الشخصية ، فقد كتب نصف صفحة كاملة عن إحساسه وهو يركب سيارة الإمام « أحمد » التى وضعت تحت تصرفه كقائد لقوة المراقبين الدولية . كما أنه كتب نصف صفحة أخرى في مذكراته عن الحصان الأبيض الذى كان يملكه إمام اليمن المخلوع ، وقدمته حكومة الثورة هدية له لكى يمارس به رياضته المفضلة في ركوب الخيل في ضواحى مناواء

● ولم تكن واشنطن والقاهرة قادرتين على الحوار المباشر والمفيد بينهما حول تطورات الأمور . فقد كانت السفارة المصرية في واشنطن تعمل من منظور رؤيتها للموقف . كما أن القوات المصرية في اليمن لم يكن تحت تصرفها ضابط اتصال سياسي يتولى شرح السياسة العامة للقاهرة في اليمن وفق تعليمات محددة ، وهكذا على سبيل المثال كتب الجنرال * فان هورن * في أحد تقاريره أن أحد أبرز قادة القوات المصرية ، وهو اللواء * أنور القاضي قال له ما فهم هو (أي الجنرال * فان هورن *) منه * أن القوات المصرية لن تنسحب تماما من اليمن . ومع أن القوة الرئيسية في الجيش سوف تعود إلى بلادها ، فإن هناك قوة مؤثرة سوف تبقى في اليمن حتى تطمئن القاهرة إلى سلامة الجمهورية العربية اليمنية بشكل نهائي وقاطع * . وعلق الجنرال « فان هورن * على ذلك بقوله : * إنني بدأت أعتقد أنه لا السعوديين وجود مراقبين لديهم النية لفك الاشتباك . ويزداد اعتقادي يوما بعد يوم أن وجود مراقبين للأمم المتحدة في اليمن هو في الواقع عملية تغطية سياسية موجهة للرأي العام العالم . *

● وفى ٤ فبراير ١٩٦٢ كتب « جمال عبد الناصر » خطابا جديدا بخطيده إلى « عبد الحكيم عامر » الذي كان قد عاد مرة أخرى إلى اليمن يقول له فيه بالنص :

وكان « كنيدى » ما زال يحاول . وقد أحس مبكرا باحتمالات سوء الفهم التي يمكن أن تعرقل محاولته التي كانت تهدف أساسا إلى إقناع مصر بالانكفاء على الداخل ، وهكذا فإنه بعد أسابيع من الصمت - كتب إلى « جمال عبد الناصر » خطابا جاء فيه بالنص ما يلي :

0

« البيت الأبيض^(ه)

عزيزى الرئيس

عندما انبريتم انتم وانا لما اعتبرناه معا علاقة متبادلة تبشر بالخير ـ اتفقنا على انه من الضروري أن تستند صلاتنا إلى أقصى حد من الصراحة من الجانبين . أما وقد تابعت عن كثب طريق العذاب الذي سارت فيه احداث اليمن ، فقد بت اخشى ان تكون هذه المسالة قد اثارت اسبابا لسوء الفهم ، وما لم نتحدث بصراحة مع بعضنا البعض فيها ، فإن الإساءة قد تلحق بعلاقاتنا الأخذة في النمو .

عندما وافقت الجمهورية العربية المتحدة على الاضطلاع بالتزامات معينة كان لدى الأمل باننا أحرزنا تقدما كبيرا . لكنني الأن استشعر أن هناك شكوكا تثور عندكم من ناحية الولايات المتحدة . فقد تتصورون ان الولايات المتحدة بسبب امتناع المملكة العربية السعودية عن سحب مساندتها للملكيين ـ كانت تتبع في اليمن سياسة مزدوجة . دعني اؤكد لكم تاكيدا قاطعا بان الأمر ليس كذلك . إننا عملنا ، وسنعمل كل ما هو ضرورى لحماية مصالحنا الحيوية في شبه الجزيرة العربية ، ولكن حسابات ذلك قد تمت باقصى دقة حتى لا يكون حرصنا على مصالحنا معناه في النهاية تابيد السياسات السعودية في اليمن.

ولعل ما هو اخطر من ذلك هو الاحساس المحتمل من جانب الجمهورية العربية المتحدة باننا ينبغى ان نكون قادرين على إرغام السعوديين على فض الاشتباك في اليمن . ودعني اصارحك مرة اخرى باننا كنا نحث فيصل على فض الاشتباك بإقناعه أن ذلك يحقق مصلحته الخاصة . على أنكم تعرفون حق المعرفة بأن استعمال الضغط الارغامي على أي زعيم عربي من اصدقائنا ليس اسلوبا تاخذ به الولايات المتحدة ، ثم إن فيصل لن يستجيب له . وهو يرى في هذه اللحظة ان سياسته تجاه اليمن هي سياسة ضرورية للحفاظ على هيبة المملكة العربية السعودية بالذات

 السعودية ، فالأوضاع في الأسرة ، وفي الدولة ليست على ما يرام ، وهناك جهود كثيرة مطلوبة لوضع هذا كله على مسار صحيح » . وانفعل الأمير « فيصل » قائلا إن أمن أسرته وبلاده في خطر ، وهو غير مستعد لسماع نصائح تجيئه من مصادر بعيدة عن الواقع الذي يواجهه هو ويعاني آثاره كل يوم.

● وكانت قرون الاستشعار البريطاني في لندن ، وفي عدن ، متنبهة ومتحفزة وقد رأت على الفور أن الفرصة سانحة لتعاون أوثق مع السعودية وأصدقائها ، وكذلك مع بعض القوى والمصالح الهامة في الولايات المتحدة بصرف النظر عن استراتيجية أو تكتيك البيت الأبيض . وفي هذا الوقت توصلت لندن إلى نتيجة ظهرت واضحة في مذكرة صادرة عن إدارة الـ M.I.6 قدمت إلى السير « اليك دوجلاس هيوم » وزير الخارجية البريطانية ، وجاء فيها بالنص ما يلي :(٤)

 ق هذا المنعطف الهام من سير الأمور في اليمن ، فهناك ثلاثة حلول مطروحة للبحث ، ومن الصعب البحث عن خيار أخر خارج إطارها :

١ - الاعتراف بالثورة اليمنية ، وقبول الأمر الواقع - وهذا احتمال لا يمكن قبوله ، واضراره لا تحتاج إلى تفصيل .

٢ ـ وهناك إمكانية إقناع ناصر بسحب قواته من اليمن بصرف النظر عما يمكن ان يحدث للنظام الجديد في صنعاء ـ ومن الواضح ان هذه الإمكانية ميئوس منها ، فإن ناصر بعد كل ما وصل إليه لتاييد التمرد في اليمن لا يستطيع ان يتراجع عند منتصف الطريق .

٣ - يبقى الاحتمال الثالث ، وهو قبول واقع الحال كما هو ، والعمل على استمراره -اي قبول بقاء الجيش المصري في اليمن ، ورفع تكاليف بقائه فيها بما يؤثر حتى على نظام ناصر في القاهرة ـ وهذا احتمال تكمن فيه فرص هائلة إذا احسن استغلالها خصوصاً وأن طبيعة الأرض في اليمن وقبائله كما اثبتت تجارب الماضي بما فيها تجاربنا نحن ، تقدم ظروفا مواتية للاستنزاف . »

وراحت حرب عربية اهلية بدأت باردة ، تتحول إلى حرب عربية اهلية ترداد سخونتها يوما بعد يوم بمشاركة أطراف كثيرين بينهم غير العرب .

^(•) مجموعة أوراق ، كنيدى ، في مكتبته ، وهذا الخطاب موجود في الجزء الخاص بالشرق الأوسط (الجمهورية العربية المتحدة) صندوق رقم ٤٦ -

⁽ ٤) أرسلت نسخ من هذه المذكرة إلى مكتب المندوب السامي البريطاني في عدن ، وإلى قيادة القوات البريطانية في الجنوب العربي.

واخشى ان تكون اقوال وافعال الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية هي التي ساعدت على إقناعه به الاهر والداقع اننا كلما شعرنا في كل مرة باننا نحرز شيئا من التقدم نحو فض الاشتباك وجدنا انفسنا نرتد على اعقابنا بسبب عمليات مثل الغارة على نجران ومن المتعين ان اقول لك بكل صراحة بان هذه الافعال حما تبدو لنا من هنا - لا أودى إلى تخويف فيصل بل تؤدى إلى إثارة حتقه وال رايي ان هذا الموقف يحراج إلى صبد ، وإلى ممارسة تلك الحنكة السياسية التي اطريناها فحن وغيراً فعكم في مناسبات سابقة .

وبالمثل فإن اسباب التردد في الاعترافر بالجمهورية العربية اليمنية من جانب الحكومة البريطانية ، إنما تنبعث بول بول عن قلق هذه الحكومة حول عدن الحكومة البريطانية ، إنما تنبعث بول بول من قلق هذه الحكومة هذه المخاوف ، في حين اننى اثق أن عبارات التطمين إنما تساعد على تحقيق اعتراف الحكومة البريطانية بالجمهورية العربية اليمنيل . وإنا أرغب رغبة صادقة في حدوث هذا الاعتراف ، ولكنى لست في وضع يسمع في أن أضغط على الحكومة البريطانية لكى تعترف في مواجهة بيانات غير حكيم تصدر من صنعاء .

وفي يقيني اننا قدمنا فعلا برهانا كافيا على صدق اهتمامنا بالعلاقات الطيبة مع الجمهورية العربية المتحدة . وقد تذكر رُونَ اننا بِذِها كل جهد لكي نتاكد من ان مصالحنا الخاصة في عدن ، وفي شبه ا يرة العربية مفهومة من جانبكم . وإذا استطعنا تحقيق الفهم الكامل على الناكستين ، فإننى لا ارى سببا يعوق علاقات تبعث على الرضا بين بلدينا . وأمل أن الكون في وسم الجمهورية العربية المتحدة ، والولايات المتحدة السعى إلى تحقيق هرا الهدف منفة وفهم متبادلين ، وعلينا ان نهتدى إلى صيغة تهيىء لفيصل سندا علنيا ومقيولا لفض الاشتباك . وفي وسع السفير بادو ان يوضح لكم اكثر ما يجمل في خاطرى . وإنى لأمل ان يساعد هذا الخطاب على تصفية الجو بيننا علما بالله بوجد في بادينا كثيرون يشككون فيما إذا كان من المكن فعلا قيام علاقات طيبة بيننا . وفي اعتقادي ان هؤلاء على خطا ، ولكن علينا نحن ان نبرهن لهم بانفر انهم على خطأ .

المخلص

جون کنیدی ه

وفى ٣ مارس ١٩٦٣ بعث « جمال عبد الناصر » بدده على " كنيدى » . وجاء فى الته بالنص ما يلى :

« عزیزی الرئیس

شكرا لكم على رسالتكم الأخيرة التى حموت إيضاحات قيمة تتعلق بالجهود التى تبذلونها لإيجاد حل للمشاكل التى اعقبر ثورة اليمن والحقيقة اننى احسست ان هذه الرسالة في حد ذاتها دليل على متابعة سلية للموقف في الشرق العربى ومضاعفاته السياسية ، بل وحتى عقره النفسية .

والواقع . الاحظات في رسالتكم ، أنه كانت هناك شكوك حول مساعى الولايات المتحدة في مشكلة اليمن ، وكانت هذه الشكوك تشغل بال عناصر وطنية عربية عديدة في المنطقة ، وكانت حجة هذه العناصر في شكوكها أن الولايات المتحدة لها ارتباطات مع قوى معادية للقومية العربية وللثورة العربية ، تؤثر في سياساتها تأثيرا لا سبيل إلى تجاهله . مع أنى شخصيا أتفق مع هذه العناصر الوطنية العربية في بعض ما تذهب إليه نتيجة لتجارب طويلة سبقت ، فإنى أريد أن أقول لكم إننى بالنسبة لمسعاكم في مشكلة اليمن ، كنت مطمئنا إلى سلامة مقاصدكم ، وكان منطقى في ذلك ، ولقد شرحته بنفسى لكثيرين من رفاقى - يستند على إحساسي بأن صدور المسعى الامريكي عنكم شخصيا لابد أن يستبعد من فكرنا كل شك في أن تكون المحاولة كلها مجرد مناورة سياسية ، وكان رأيي ، وما زال أن الولايات المتحدة حتى وإن أرادت المناورة السياسية ليست في حاجة إلى الزج برئيس الولايات المتحدة نفسه في مثل هذه المحاولة .»

ثم مضى الرئيس بعد ذلك يقول إنه يريد « تحديد بعض النقط العملية لتكون امامكم وتحت نظركم ، وهي على النحو التالى :

□ اولا ـ ان الجمهورية العربية المتحدة مازالت مفتوحة الفكر لكل مسعى يعزز السلام القائم على العدل .

□ ثانيا – إن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد ان تتدخل في الطريقة التي قد تحاولون بها إقناع اصدقائكم بما ترونه مناسبا حتى لمصلحتهم انفسهم ، ولا تملك الجمهورية العربية المتحدة ان تفرض – ولا حتى ان تشير – بشيء في هذا الصدد بغية إقناع الاسرة المالكة السعودية بعدم جدوى العدوان ، او بإقناع الحكومة البريطانية بعدم جدوى تجاهل الحقائق ، ونحن نؤمن ان حركة التاريخ سوف تتولى نيابة عنكم وعنا إقناعهم بحتمية التطور .

□ ثالثا ـ إن الجمهورية العربية المتحدة في إيمانها بحتمية التطور لا تجد نفسها بحكم مسؤولياتها العربية ، قادرة على الوقوف مكتوفة البدين امام محاولات متعمدة وعدوانية للتصدى لحق شعوب الأمة العربية في صنع مستقبلها بالكرامة والحربية .

وفى الختام ـ يا عزيزى الرئيس ـ فإننا نسجل لكم بالتقدير العميق كل مشاعركم ومساعيكم الحميدة ، ونتمنى من قلوبنا أن يكتب لها النجاح الذي تستحقه .

إمضاء

جمال عبد الناصر =

ولم يكن هذا كله قادرا على إيقاف تداعى الحوادث نحو الأسوا في اليمن ، فالمسالح المتناقضة والمتصارعة كبيرة وهائلة ، والمهتمون بها أطراف عديدون ، ومن

مواقع وتوجهات مختلفة . وارض الصراع ذاتها اشبه ما تكون ببحر من الرمال المتحركة .

وكان السفير «جون بادو » يحاول بكل جهده في القاهرة وحاول سفير الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن أن يدخل في الصورة ، فطلب مقابلة « روبرت كومر » الذي كان يعرف أنه مسؤول البيت الأبيض الذي يتولى إدارة الأزمة في مجلس الأمن القومي وبالفعل تم بين الاثنين (« كومر » والسفير « مصطفى كامل ») لقاء يوم ١٨ مارس ١٩٦٣ ولم يكن اللقاء موفقا ، وقد كتب » كومر » عن وقائعه مذكرة إلى الرئيس «كنيدي » جاء فيها ما يلي بالحرف :

• ســرى

مذكرة عن حديث

بناء على دعوة من كامل سفير الجمهورية العربية المتحدة تناولت الشاى معه مدة ٥٤ دقيقة يوم الاثنين ١٨ مارس . وقد بدا لى ان غرضه الرئيسى هو أن يقول لى إنه يريد الاجتماع بالرئيس ، وهو موضوع ذكره ملحقه الصحفى بعد ذلك لتوم سورنسن (المساعد الشخصى للرئيس كنيدى) الذى نقله إلى . وكانت حجة الملحق الصحفى ان لبادو في القاهرة اتصالا متواترا بناصر بحيث يتعين علينا ١١ ان نولى كامل شيئا اكثر من الاعتبار . ولم يثر كامل الموضوع بهذه الكيفية ، ولكنه قال إنه يامل ان تتاح له مرة اخرى فرصة التحدث مع الرئيس في القريب . واشار إلى حديثه مع الرئيس ايزنهاور الذى استبقاه ، على حد قوله ، ٥٤ دقيقة فوق المدة الاصلية للزيارة وهي ١٥ دقيقة . ولم يكن لدى ما اقوله له سوى اننى اعتقد أن الرئيس قد يستفيد من إجراء جولة في الأفق مع كامل متى أصبح اليمن وراء ظهورنا .

وفيما عدا ذلك ، فإن كامل استمر يسمعنى مونولوجه الدرامي ساردا فيه بعثته الناجحة إلى واشنطن ، وهو كما يعرف ذلك جميع الذين يتحدثون مع كامل يعد نفسه الشخص الذي يكاد يعمل بمفرده في تحقيق التحول في سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة ابتداء من عام ١٩٥٩ . ومما اكده لي ضمن أمور أخرى أنه فيما يتعلق بمصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، والتي نعدها مصالح جوهرية – فإنه لا يرى في ذلك أي صعوبة محتملة بيننا . أما فيما يتعلق بإسرائيل ، فهي موضوعة داخل ثلاجة ومن الممكن بقاؤها فيها . وأما فيما يتعلق بالبترول ، فقد حرص على أن يقول لي إن مصالح البترول الأمريكية وأما فيما يتعلق بالبترول ، فقد حرص على أن يقول لي إن مصالح البترول الأمريكية لن تعانى شيئا بغض النظر عن أي تغييرات سياسية في العالم العربي مثل مجيء انظمة عربية ، اكثر تحررا ، وقد أصر إصرارا شديدا على أنه لا حاجة بنا إلى القلق من هذه الناحنة .

إمضاء ر . و كومر »

وقامت في الصحف الأمريكية ، وعلى شبكات الإذاعة والتليفزيون حملات عنيفة تزعمها في جريدة «النيويورك تايحز» الصحفى الشهير «جوزيف السوب» وكان معروفا أن أهم مصادره هم كبار المسؤولين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وفي «البنتاجون». وكتب «السوب» في هذه الفترة مقالا أثار ضجة جاء فيه أن «ناصر يستعد لفزو المملكة العربية المسعودية، وأن النشاط الذي يقوم به سلاح الطيران المصرى على مناطق الحدود سواء بالاستطلاع، أو بغيره من الوسائل هو نوع من عمليات التمهيد المعملي أو النفسي للغزو.

وتظهر وثائق البيت الأبيض أن الرئيس «كنيدى » قرأ مقالة «جوزيف السوب » ووضع على رأسها علامة استفهام ، وبعث بها إلى » روبرت كومر » . وكتب « روبرت كومر » مذكرة لـ « كنيد ى » كان نصها كما يلى :(١)

• مذكرة إلى الرئيس

إن هناك من الدخان اكثر مما هناك من النار في الكلام الذي كتبه جو السوب من ان ناصر سيغزو المملكة العربية السعودية، وما قالة ايضا من ان البنتاجون يتلهف على استخدام الاسطول الاسطول الامريكي في البحر الابيض) لردع ناصر ولكن السنج في وزارة الخارجية يعارضون ذلك .

لقد قمنا فعلا بالكثير في سبيل ردع الجمهورية العربية المتحدة عن التصعيد وجعلنا المدمرات الأمريكية تزور ميناء سعوديا وقاذفات القنابل تطير إلى هناك والآن يوجد في السعودية فزيقى لقوة خاصة وقد انذرنا ناصر مرة بعد مرة بان لا يدوس على اصابع اقدامنا اما فيما يتعلق بلهفة البنتاجون على استعمال الاسطول السادس ضد ناصر (عبارة محذوفة) والاستركة وهيئة اركان الحرب المشتركة) وهيئة اركان الحرب المشتركة فيسها وكذلك نيتز (يقصد بول نيتز مساعد وزير الدفاع) كانوا المشتركة نفسها وكذلك نيتز (يقصد بول نيتز مساعد وزير الدفاع) كانوا جميعا (عبارة محذوفة) ويستدل من مراجعة سريعة قمت بها انه ليس في البنتاجون حتى هذه اللحظة صقور حرب يمكن تحديدهم بالاسم.

صحيح أن ناصر ربما حاول برغم ذلك الضغط على السعوديين ضغطا أشد
(عبارة محذوفة) . وقد قدرنا باستمرار ، وتقديرنا صحيح حتى الآن ، أن ناصر سيقوم بالتصعيد عوضا عن الخروج من اليمن . وها هو قد استانف القصف فعلا ، واكتشفنا أن مظلات الجمهورية العربية المتحدة اسقطت مؤنا على من يفترض أنهم مشايعون لهم في الحجاز ، ويعتقد بعض (عبارة مُحذوفة) بأن الجمهورية العربية المتحدة للا تحاول إحداث ثورة في الحجاز ، أو الإغارة على مستودع سعودى للمؤن .

⁽٦) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومي الأمريكي ، وهناك صورة من صفحات هذه الوثيقة منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم £2 صفحة ٩٢٨

ونحن ننذر ناصر مرة اخرى (عبارة محذوفة)

ولأن كان كل جهدنا الحالى مؤلما وغير مؤكد ، وهو كذلك أولا ، فلست ارى بديلا عمليا في الوقت الحالى (عبارة محذوفة) .

المضاء ر . و . كومر »

وكان هذا الذى أشار إليه «كومر » في مذكرته لـ «كنيدى » عن « إسقاط مؤن على من يفترض أنهم مشايعون لهم في الحجاق » - صحيحا إلى حد كبير . ولكنه كان جهدا فرعيا قامت به المخابرات العسكرية المصدية استجاباً لخطة طرحها الأمير «طلال » .

كان الأمير « طلال » متحمسا « للعمل الثورى » في الربعودية . وفي اجتماع شارك فيه مع اللواء « عبد القادر حسن " مساعد قائر القوات المصرية في اليمن ، واللواء « عماد ثابت » مدير المخابرات العركرية وقتها ، عرض الأمير " طلال » خطة للعمل العسكرى داخل السعودية . فقد أبدى أنه على اتصال ببعض القبائل في شمال السعودية ، وبالذائر في منطقة « تبوك » وما حولها . واقترح إنشاء معسكر تدريب في سيناء لعدد من أبناء هذه القبائل بهدف إنشاء قوة خاصة منهم يجرى إسقاطها بالمظلات بعد فترة تدريب تستمر ثلاثة أشهر . واقترح أيضا أن يضم إلى هذه القوة الطيارون السعوديون الذين لجأوا إلى الجمهورية العربية المتحدة بطائراتهم ، وبالتالى فإن قوة العمل الخاص تصبح ممثلة للقبائل والجرش في السعودية .

وبدأ التحضير فعلا في إطار المخابرات للقيام بهذا النوع من العمليات، ولو لمجرد الإزعاج، وتشتيت التركيز الرسمى السعودي عن الجنوب إزاء اليمن، ولفته إلى الشمال في منطقة « تبوك » . وفي إطار هذه العملية تمت بالفعل عملية إسقاط مؤن في مناطق القبائل المعنية ، وكان الترتيب أن تصل إلى هؤلاء الذين قصدهم الأمير « طلال » في خطته

وعرف « جمال عبد الناصر » من قراءاته للبرقيات السعورية الملتقطة ، والتى كسرت شفرتها وأمكن حلها بما حدث . وسئل عن أصل الموضوع ، وتلقى ردا من القيادة العامة للقوات المسلحة بأن هذه العملية جرى إعدادها محملية فرعية ضمن التوجيه العام بالتعاون مع الأمير « طلال » وأشى عليها بخطم بجملة واحدة : « لا داعى » .

وكتبت له إدارة المخابرات العسكرية مذكرة قالت فيها إنها كانت ، تفكر في وقف العملية بسبب صعوبة التوفيق بين آراء الأمير لهلال ، وبين الطيارين السعوديين اللاجئين للقاهرة ، لله تعذر التوفيق بينهم لأن الطيارين مع تقديرهم لموقف الأمير طلال لم يكونوا على استعداد للمحامل مع الأمراء من اساسه » .

وهكذا على بعد المسافة بين القاهرة وواشنطن كان كل من " عبد الناصر " و " كنيدى " يجرب نفس الأسلوب : يستعمل إمكانياته إلى مداها ، ويفرق بين التكتيك والاستراتيجية ، ويحاول قدر ما يستطيع أن يحنظ بحريته في الحركة داخل إطار معين لا يتجاوزه بحيث « لا يدوس على المراف أصابع الطرف الأخر " - على حد التعبير الذي استعمله " كومر " في منازته لـ « كنيدى " !!



على ساحة الحرب في اليمن ظهر عنصر جديد ، لا يهمه أن يدوس على اطراف غيره ، ولم يكن ظهوره مرة واحدة ، وإنما تدرجت عملية ظهور خطوة بعد خطوة حتى تحول إلى أمر واقع شديد الخطورة وباهظ التكاليف .

كان هذا العنصر هو جيش المرتزقة الأجانب الذين جلى استئجارهم من كل عواصم أوروبا ، لكى يقاتلوا ضد القوات المصرية في اليمن . وكان التفكير الذي قاد إلى هذه الظاهرة تفكيرا منطقيا من وجهة نظر أصحابه ، وقد السعوديين والأردنيين مبكرا ، ومنذ الوقت الذي بدأ فيه لجوء الطائرات والطيارين المنطقي من وجهة نظر أصحابه تجرى على النحو التالى:

١ - إن هناك ضرورة لشن القتال ضد الثورة اليمالة ، وقوات الجمهورية العربية المتحدة التي تساندها .

٢ _ إن القوات الأصلية للأطراف الراغبين في شن هذه الحرب ضد الثورة

اليمنية ليست مأمونة ولا يمكن الاعتماد عليها ، كما اثبتت التجارب العملية .

 7 - إن هناك وفرة في أهم الوسائل الضرورية للقتال وهي المال والمثل الفرنسي الشهير القائل بأن « المال هو الذي يصنع الحرب » - ماثل في الأذهان ، وهو صادق بتجارب كثيرة في التاريخ .

٤ - وإذن فإن الحل العملى لهذه المعادلة الصعبة يكمن في استخدام المال لتأجير مقاتلين يقومون بشن الحرب نيابة عن الراغبين فيها ، وغير القادرين عليها بأنفسهم ، ولديهم ما يكفى من المال لتأجير هؤلاء المقاتلين

" - إن تجربة المرتزقة في الكونجو أثبتت أن استخدام المرتزقة على نطاق كبير ممكن ، كما أن هناك فائضا كبيرا في السوق من هؤلاء المرتزقة بعد هدوء الأحوال في الكونجو.

كانت بعض العواصم الأوروبية قد تحولت إلى أسواق للجنود والمرتزقة المستعدين للقتال بأجر للراغبين في خدماتهم . وهي حرفة ظهرت منذ أقدم أيام التاريخ ، وحين كان الملاك يطمئنون إلى رعايا لهم في الحقول يحملون الفؤوس اولا يطمئنون إليهم يحملون السلاح في ميادين الحرب .

كانت لندن أهم هذه الأسواق ، وكانت لبريطانيا تجربة سابقة في هذا المجال بدأها في الواقع البريجادير « وينجيت » الذي اشتهر بغاراته الجريئة وراء خطوط القتال في الحرب العالمية الثانية . ولم يكن « وينجيت » مرتزقا مأجورا ، ولكنه كان صاحب مدرسة في حرب العصابات تقوم على فكرة إنشاء مجموعات مستقلة من المقاتلين المحترفين يستطيعون التسلل وراء خطوط القتال ، والعمل بطريقة مستقلة تماما لإرباك العدو من مؤخرته . وقد قام « وينجيت » وقواته المستقلة بعمليات بالغة الجرأة وراء الخطوط في الصحراء الغربية » وفي وقت من الأوقات سنة ٢٤١٢ بلغت جرأة خطتهم إلى حد مهاجمة بعض مراكز القيادة الألمانية في ليبيا ، كما أنهم في إحدى المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال الماريشال » رومل » القائد الألماني الشهير المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال الماريشال » رومل » القائد الألماني الشهير المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال الماريشال » رومل » القائد الألماني الشهير المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال الماريشال » رومل » القائد الألماني الشهير المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال الماريشال » رومل » القائد الألمانية في المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال المارية والمرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال المارية وينه و المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال المارية والمرات والمرات

وفي داخل القوة المستقلة للبريجادير « وينجيت »(١) ظهرت أسماء شهيرة مثل

الكلابيل « سترلينج » الذي قاد وحدة من وحدات قوات العمل الخاصة تولت مهام عبدان مسارح العمليات من الشرق الأوسط إلى جنوب شرق آسيا ، وكذلك برز اسم البربادير « فيتزروى ماكلين » الذي قاد وحدة عمليات خاصة حققت شهرة كبيرة في البلان ، وبعد أن انتهت الحرب دخل « ماكلين » إلى حلبة الحياة السياسية ورشح نسالعضوية مجلس العموم ، وانتخب فعلا ـ ومع ذلك فإن حياة المغامرات ظلت نسايه و وتناديه .

ركان « فيتزروى ماكلين » صديقا مقربا من « جوليان ايمرى » (^) رئيس مجربة نواب السويس ، والذى كان فى نفس الوقت زوجا لابنة « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء البريطانى ، وكانت مجموعة نواب السويس (كما سبقت الإشارة من نهل) ابرز قوى الضغط التى تحركت للعمل فى اعقاب ثورة اليمن ، وكان شعارها « إن عزال تلحق بالسويس » ، ولم تكتف المجموعة بإطلاق الشعارات ، وإنما اتجهت إلى المل المباشر ضمن تحالف القوى التى تصدت لحرب ثورة اليمن .

رقد استطاع «جوليان ايمرى » وبعض اصدقائه ان ينشئوا مكتبا للانهل والدفاع عن الإمامة في اليمن . وفي أيام قليلة كان هذا المكتب قد تلقى الانهل والدفاع عن الإمامة في اليمن . وفي أيام قليلة كان هذا المكتب قد تلقى النهات ضخمة حولت إليه من الرياض ومن نيويورك ومن غيرهما من المراكز ، وبابتصل ببعض الضباط المحترفين ، وبينهم الميجور «جون كوبر » الذى رام بردد على بعض وكالات تأجير المرتزقة في شارع سلون في لندن ، ولم تمض بضا أسابيع بعد ثورة اليمن والتجاء الطائرات إلى القاهرة بطياريها -حتى كان جون كوبر » قد وصل إلى نجران ، وتسلل داخلا إلى منطقة الجوف ومعه لهذاصة من مساعديه ، وهناك انشاوا قاعدة للاستقبال والإعداد يتوجه إليها اللابن بعدهم ، وكان هناك منهم كثيرون تعطلوا بعد أن انتهت خدماتهم في الكربو !

ل نفس الوقت كان هناك نشاط مشابه في باريس ، وقد كانت باريس ذات خبرا واسعة في نشاط الجنود المرتزقة منذ تجربتها مع الفرقة الأجنبية

⁽ ٧) خدم البريجادير « وينجيت » قبل الحرب العالمية في فلسطين ، وكانت آراؤه في قوات العمل الخاصة قد الرت على عدد كبير من قادة الحركة الصهيونية ، وكان « وينجيت » نفسه متعاطفا مع هذه الحركة ، وقد قام بمساعدة الوكالة اليهودية على تدريب بعض وحداتها العسكرية ، وهناك في إسرائيل من يعتبرون أن « وينجيت » هو العقل المنظم للقوات الإسرائيلية الخاصة منذ نشاة جماعة « شتيرن » الذي كان هو نفسه وقت من الاوقات جاويشا مع « وينجيت »

⁽٨) لله أسرة « أيمرى » من أصل يهودى ، وكانت مثل عدد من الأسر المنحدرة من أصول يهودية من الملاسبين للوطنية البريطانية بصورتها الاستعمارية ، وقد كانت لدى « جوليان أيمرى » عقدة خاصة ، للله بعون أيمرى » تعلون مع الألمان في أثناء الحرب عندما وقع في أيديهم أسيرا ، وقد تولى تجنيد مجموعة شهرالات مع النازى عندما تصور البعض أن انتصارهم مؤكد بعد سقوط فرنسا . وبعد الحرب قبض على بهرالات مع النازى عندما تصور البعض أن انتصارهم مؤكد بعد سقوط فرنسا . وبعد الحرب قبض على بعرالات » وحوكم ، وصدر الحكم بإعدامه ونفذ الحكم . وكان « جوليان أيمرى » إلى جانب ذلك صديقا للمالال وقد باعه مجموعة من الصور الفارسية كانت في ملكية أسرته عندما أراد الشاه أن يسترد كل رواقع . الله الإس إلى إيران ، وكان الثمن قرابة نصف مليون جنيه أسترليني ، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت .

الفرنسية التي حققت لنفسها سمعة كريهة في كل حروب فرنسا الاستعمارية . كانت هذه الفرقة قد حلت رسميا وأصبح جنودها بلا عمل مستعدين لمن يدفع الثمن وقد دخلت سوق المرتزقة أيضا في هذا الوقت بقايا الجيش السرى الفرنسي الذي فقد صوابه بعد ثورة الجزائر، واعتبر أفراده أن القتال في اليمن عودة إلى الثار من ثورة الجزائر والذين انتصروا لها، خصوصا وأن الأجر الشهرى الذي كان معروضًا في السوق للجندي المرتزق وصل إلى ما بين اربعمائة إلى خمسمائة جنيه استرليني .

وحدث في عدن شيء مشابه ، واختلف في تفاصيله عما جرى في لندن وباريس، فهناك وجد بعض ضباط الاحتلال البريطاني في الجنوب العربي ان الفرصة سانحة أمامهم للقيام بأدوار قريبة من دور " لورنس " في حروب الصحراء مع قوات « الشريف حسين » في أواخر الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها ضد الاتراك . وهكذا تركوا وحداتهم وتسللوا إلى قرب الحدود اليمنية يتحينون الفرصة لدخولها، والانضمام إلى قوات « الملكيين » ا

ومع خريف سنة ١٩٦٣ كان واضحا لقيادة القوات المصرية في اليمن أن هناك عنصرا جديدا يشارك في المعارك ، ولم تكن الحقيقة مؤكدة في بداية الأمر رغم أن الرئيس " قوامى نكروما " رئيس جمهورية غانا كتب خطابا شخصيا إلى " جمال عبد الناصر « حوى فقرة تقول بالحرف : « يهمنى أن تعرف أن عددا من الجنود المرتزقة الذين كانوا يعملون في جيش كاتنجا يجدون الآن عروضا مغرية لكي يعملوا ضدكم في اليمن = ولكن الأمر كان يحتاج إلى دليل مادى . ولم تلبث إحدى دوريات الهليكوبتر المصرية العاملة في منطقة بيحان أن عثرت على هذا الدليل، الله قبضت الدورية على شخص كان يسير بين الجبال ويحاول التخفي ، وعندما قبض عليه ، وتم تفتيشه ظهر أنه كان يخفى في ملابسه مجموعة من الرسائل الموجهة إلى عدد من المرتزقة العاملين في جبال الحدود باليمن وقد وصلت إليهم عن طريق عدن ، وكان على حاملها أن يوصلها إلى مخبأ « عبد الله بن الحسن » في منطقة خولان .

وكانت الرسائل واضحة فيما تشير إليه ، فقد جاء في الرسالة الأولى منها :

« لندن في ٢٥ اكتوبر ١٩٦٣

عزیزی جون (المیجور جون کوبر)

اشكرك على خطابيك بتاريخ اول اكتوبر و ٣٠ سبتمبر إلى : بيتر ، و : جيم ، على

يبدو انك قائم بالمحمل على غير وجه ، وسوف ارسل لك عامل لاسلكى وجهاز غير ناجحة إلى دري الفرنسيون فيها حينما نحتاج إليهم، ويفضل ان تكون خاصة بنا، وسيد في الوحدات او الحيوش حسه بنا ، وسيد الوحدات أو الجيوش . كاجهزة الإنصال بين

و سر الحجاد المحالة على الأحود والمرتبات مفيدا المعالمة المحالة المرى كلها ملينة لم يمضى الخطاب عن الأحود والمرتبات مفيدا المعالمة المحالة الم عن الأجور والمرتبات وغيرها . وقام « الأهرام » بنشر هذه أن هناك قوات لمرتزقة أجانب في اليمن ، وأثار النشر ضبجة بالتفاصيل عن السلاح ، الغطابات كلها كوثائق تثب يا في بريطانيا ، وكان من أثر هذه الضجة أن الحقائق ناكت بما لا يدع مجالا من لندن أن رئيس ونداء بريطانيا قال في مجلس العموم وكان « رويتر » في برقية الما عدى المنده السا إنه علم « أمس » فقط أن وقال : « إن الحاكم العام السابق لعدن السير كنيدى نربناسكيس لم يكن على بريطانية تحقيقا عن الباور الطيار للمندوب السامى جربدة الأوبزرفر (۱۱) مه « أنتوني الكسند، مما دراية بالنشاط الذي يقوم به ياوره الجوى » . ونشرت موت بويل ، وكان يعمل في سلاح الطيران الملكي لعن ، فقالت إن اسمه البريطاني السير « دبير عام ١٩٦٣ وكان يعمل منتدبا كياور للمندوب السامي البريطاني حتى آخر ينابر تحقيقا عما وصفته الدينانية المندوب السامي التى يتولى قيادتها العامة ضابط بريطاني هو الميجور ن عدن . ثم نشرت الأوا لامام اليمن المخلوع ، و الأوبررفر ما نصه :

،جون كوبر»، وقالت حوبر ، يعد من أعجب الشخصيات العسكرية ، وقد ظل يعيش العسكرية ، وقد ظل يعيش المدافع منذ الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الذي كتبت فيه قريبا من صوت طلقها

مسترت في إنسائها الكولونيل دافيد سترلين في إنساء « الفرقة الجوية انضم كوبر إلى المرّ في إنشائها الكولونيل دافيد سترلينج لكي تحارب وراء خطوط الخاصة ، التي الغربية ، اثناء الحرب الدان ت

العدو في الصحراء نهيا كاولز كتابا في سنة ١٩٥٨ باسم « الميجور الشبح » ، تحدثت

(۱) جلسة مجلس العموم بتان في سبقت قبل ذلك باكثر من علم الوقت الذي اذبعت فيه الوثائق رغم ان الوقائع المتعلقة بها كانت و مايو ١٩٦٤ (١٠) جريدة الاهدن. ه. متادمة

(۱۰) جريدة الاوبزرض بتاريخ

117

فيه عن مغامراته العسكرية ، وكيف أن كوبر كان ينظر إلى أية عملية جريئة أو طائشة من عمليات « الفرقة الجوية الخاصة » كمجرد « نزهة ممتعة »

وبالنسبة لكوبر لم تنته هذه النزهات بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، إذ مضى يقاتل ويحارب كضابط في « الفرقة الجوية الخاصة » واشترك في محاربة رجال حرب العصابات الشيوعيين في الملايو في المدة من سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٥٩ .

ولما انهزم رجال حرب العصابات بالملايو ، نقلت « الفرقة الجوية الخاصة ، نشاطها إلى الشرق الأوسط .

ويبدو أن كوبر ينتمى إلى ذلك الطراز من الانجليز الأشداء المتمسكين بمثل عليا معينة ويعملون على تحقيقها بطريقة رومانتيكية ، مثل لورنس وجلوب وغيرهما من الذين شدتهم خيالات الصحارى العربية ، وهو التعليل التقليدي الذي يذكر في مثل هذه الحالات

وقد توجه كوبر إلى اليمن بعد قيام الثورة هناك بعدة اشهر (الثورة قامت في سبتمبر سنة ١٩٦٢) ، ومن المؤكد انه يتكلم العربية بطلاقة ، وانه من الدخصوم الرئيس ناصر .

وفى اليمن وجد كوبر حربا وصفت ذات مرة بالعبارة التالية • القرن العاشر يحارب القرن العشرين • فقد كان خمسون الفا من رجال القبائل غير المدربين ، والتابعين للإمام المخلوع ، يتدفقون لمحاربة الجنود المصريين المدربين تدريبا جيدا ، والمسلحين بدبابات روسية من طراز « ت - ٣٤ »

وكان من رأى كثير من الانجليز الذين زاروا العناصر الملكية اليمنية ومن بينهم النائب المحافظ الكولونيل ماكلين ، أن سياسة بريطانيا القائمة على أساس عدم الاكتراث بما يجرى في اليمن ، يستغلها المصريون بما يفيدهم في اليمن وفي الشرق الأوسط بوجه عام .

ولهذا قرر كوبر أن ينظم بنفسه برنامجا خاصا به ليقدم به مساعدات عسكرية إلى العناصر الملكية .

ويحيط الغموض بتفاصيل المنظمة التي انشاها كوبر لهذا الغرض ولكن يبدو من الواضح ان الأموال اللازمة لدفع مرتبات الجنود المرتزقة الذين استعان بهم كوبر الكانت تاتى من المملكة السعودية ، على اساس ٤٠٠ جنيه استرليني شهريا لكل حندي .

ويبدو ان دافيد سترلينج ، القائد السابق لكوبر ، ورئيس جمعية جنود وضباط « الفرقة الجوية الخاصة » قدم نصائح لكوبر على الأقل فيما يتعلق بالجنود والأعوان الذين سيستعين بهم على تنفيذ برنامجه . وجدير بالذكر أن كوبر كان يتولى قيادة طائرة سترلينج في الصحراء الغربية في اثناء الحرب العالمية الثانية . .

وبعد هذه الضبجة في بريطانيا كان لابد أن يهدأ هذا النوع من النشاط في لندن ، وقد هذا في لندن وازداد بروزه في باريس ، وانضم إلى « الفرق الأجنبية في اليمن » عدد من « نجوم » المرتزقة بينهم المرتزق المشهور باسم » ميشيل المجنون » و « شرام » و « دينار » و « فولكس » . ويروى المؤلف البريطاني « أنتوني موكلر » في كتابه الذي صدر في لندن بعنوان « المرتزقة » وفي الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب ، والذي كان عنوانه « من اليمن إلى بيافرا » (١١) :

« إن الضابط « هور » وهو احد المرتزقة البريطانيين فكر في التعاون مع حكومة جنوب أفريقيا لكى يستولى على إحدى محميات الخليج ، ويعلنها إمارة مستقلة له ولإنصاره بعد أن أعلنت بريطانيا سياسة الإنسحاب من شرق السويس . » !!

ولعل أخطر ما أسفر عنه هذا النوع من النشاط هو ظهور « نخبة قوة جديدة » في المشرق العربى ، فقد كان السيد « كمال أدهم » (شقيق زوجة الأمير ، فيصل ») ومستشاره لشئون الأمن ، والمشرف بذلك على المخابرات وعلى المباحث في السعودية هو المسؤول عن أعمال وميزانية النشاط السرى في اليمن ، وكانت اعتمادات تجنيد المرتزقة تحول بواسطته إلى لندن وباريس وغيرهما من العواصم . وعندما ظهرت الحاجة إلى السلاح استعان « كمال أدهم » بصديق وزميل له في كلية فيكتوريا في الاسكندرية ، وهو السيد » عدنان خاشقجى » الذى عرف تجارة السلاح من يومها .

وحول الاثنان ظهرت دوائر من الشبكات والاعوان ، واتسع المجال لاطراف جديدة مهتمة ، وكان لبعضها ارتباطات داخل مصر ذاتها!

وعندما أدلى السيد «عدنان خاشقجى » بشهاداته في وقائع فضيحة ايران جيت » سنة ١٩٨٧ وهى الغضيحة التى جرى فيها بيع سلاح إسرائيلى لايران ، وحولت فوائضه إلى جماعات « الكونترا » في نيكاراجوا - لفت الانظار قوله إنه التقى ب « شيمون بيريز » (مساعد وزير الدفاع الاسرائيلي وقتها ورئيس وزراء إسرائيل ووزير خارجيتها فيما بعد) وتعرف إليه لاول مرة في باريس سنة وزراء إسرائيل

وقد تأكد فيما بعد أن إسرائيل شاركت فعليا في عمليات اليمن ، وتولت إسقاط أسلحة وذخائر لجيوب الملكيين المحاصرة في جبال اليمن ، وكانت تمارس هذا النشاط من قاعدة «جيبوتي « الواقعة تحت

⁽۱۱) مطحة ۲۵۵

كانت القاهرة تعرف كثيرا عما يجرى في العاصمة اللبنانية ، ومع ذلك فإن معمل التفاصيل كانت مذهلة !(١١)

_

وكان المشهد في المنطقة بأسرها داعيا للانقباض . . .

كانه صفحة مستعارة من مشهد إحدى قصص ■ كافكا » المليئة بالعبثية
 والكابة على ارضية لزجة وموحلة . وامام خلفية داكنة ومعتمة ا

الاحتلال الفرنسي في ذلك الوقت وهي موقع حاكم في مواجهة اليمن على الشاطيء الآخر للبحر الأحمر، وكان الاسم الرمزى لدور إسرائيل في عملية إسقاط الاسلحة والذخائر والمؤن على مواقع المرتزقة في اليمن هو: «مانجو »!

وإلى جانب ذلك قامت إسرائيل بنشاط على جبهة اخرى ، فقد استطاعت إسقاط اعداد من اليمنيين اليهود الذين هاجروا إليها لكى يقوموا ببعض « العمليات الخاصة » في المجهود الحربى ، ثم يكون عليهم بعد ذلك ان يتسللوا لكى يذوبوا وسط الجماهير اليمنية في المدن أو القرى وتتراوح تقديرات أعداد اليمنيين الاسرائيليين الذين جرى إسقاطهم بالمظلات ما بين ثلاثمائة وأربعمائة فرد

كانت لندن وباريس وواشنطن جميعا تتابع ما يجرى ، ولعلها وجدته أكثر ملاءمة لها من ظروف تضطرها إلى التدخل المباشر . فهذا الذى يجرى فى اليمن ـ كالذى حدث قبله فى الكونجو ـ يحقق لها مزايا بدون تكاليف ، ويوفر لها مطالب بغير مسؤوليات مباشرة !

کان زمام المباداة ینتقل تدریجیا من أیدی حکومات کبری لکی یستقر فی أیدی مزیج غریب من القوی: أجهزة مخابرات ـ شرکات بترول وسلاح وبنوك ـ تجار وسماسرة سلاح ـ مرتزقة ـ جماعات ضغط سیاسی أوروبیة وأمریکیة ـ قبائل عربیة وعشائر(۱۲) . . . الخ . . .

ولعل أكثر من راقب الصورة عن كثب ، واستطاع الاحاطة بتفاصيلها هو اللواء « فؤاد شهاب « رئيس جمهورية لبنان الذي وجد عاصمة بلاده « بيروت » وقد تحولت إلى مركز اتصالات وعمل مباشر وقريب من مسارح الأحداث .

وكانت مدة رئاسته للبنان قرب نهايتها ، واختار أن يبعث بأحد كبار ضباطه الموثوقين من المكتب الثانى اللبنانى (المخابرات) (۱۲) إلى القاهرة مباشرة . وبعد يومين من وصوله كان في مكتب «جمال عبد الناصر» ينقل إليه ـ بأوامر من رئيس الجمهورية اللبنانية ـ صورة لما يجرى في بيروت .

⁽١٤) تتعرض هذه المعلومات _ إلى جانب ذلك _ النشاط الخارجي الذي اتخذ لبنان قاعدة له وتكشف تورط جهات لبنائية : صحف وساسة وشخصيات عامة . واكثر من ذلك ، فإنها تظهر أن عناصر في الأمن اللبنائي نفسه دخلت رسميا إلى دائرة النشاط المكثف في بيروت ، وقد أوضح ممثل اللواء «شهاب » أن « رئيسه لا يريد أن يفتح على نفسه أبوابا لا يستطيع إغلاقها خصوصا وأن مدة رئاسته في نهايتها ، وأنه يوشك أن يترك مكانه في قصر ، بعبدا ، للرئيس المنتخب بعده ، وهو الاستاذ «شارل حلو» »

⁽ تم تسجيل اللقاء بين « جمال عبد الناصر » وبين الضابط اللبناني الذي حمل رسالة الرئيس « شهاب » ، والتسجيل في أرشيف المخابرات العامة المصرية ، وقد جرى تقريفه وطبعت منه عدة نسخ !) .

⁽۱۳) تكرر ظهور هذا المزيج من القوى في مواقع اخرى من العالم فيما بعد ، واقرب نموذج له ما ظهر في تحقيقات ، إيران ـ كونترا ، في عهد الرئيس الأمريكي « ريجان » سنة ۱۹۸۷ .

⁽١٣) هذا الضابط ما زال على قيد الحياة ، وهو اليوم لاجيء في عاصمة أوروبية وليس من صالح أمنه تحديد

التاريخ « وقائع عائمات جليد طرفها فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية استكشافها يغوص ا »

الفصيل الأول

شلال يتدفسق على الصخور



فى ربيع سنة ١٩٦٣ ، اتخذ مسار الحوادث فى الشرق الأوسط منعطفا حادا لم بكن متوقعا من ظاهر الأحوال على الأقل ، وبهذا المنعطف الحاد لاح وكأن الحوادث اصبحت أشبه ما تكون بشلال ماء يتدفق فوق صخور ، قوى وخطر ، فيه ما يثير الانبهار ، وما يستوجب الحذر فى نفس الوقت .

بدأ الانعطاف الظاهر في مجرى الحوادث صباح يوم الجمعة ٨ فبراير ١٩٦٣ ، نقد كانت جماعات من القوى القومية قد حددت الساعة التاسعة والنصف صباحا لكي تكون ساعة الصفر في بدء تحركها ضد حكم « عبد الكريم قاسم » في العراق . كان هذا الحكم قد قاد العراق وشعبه إلى مذابح دامية ، وإلى ليل طويل من ظلام الاستبداد وجنون العظمة ، وكانت حبال الصبر قد تقطعت ، ولم يعد في وسع أحد أن بحول دون الثورة ـ وقد كان .

وفي ساعة الصفر المقررة للانقضاض على « عبد الكريم قاسم » بدا سلاح الطيران الذى كان يقوده اللواء « عارف عبد الرزاق » يضرب وزارة الدفاع مقر ليادة » قاسم » ومسكنه بالصواريخ ، في نفس الوقت الذى كانت فيه عناصر من القوى السياسية المختلفة ، وفي مقدمتها البعثيون والقوميون يتحركون للاستيلاء على المواقع الحساسة في العاصمة العراقية ، كما كان واضحا ان رحدات عديدة من الجيش العراقي تؤيدهم ، وتستعد للعمل جنبا إلى جنب معهم .



عبد الكريم قاسم مضرجا في دمائه ، في مقر قيادته في وزارة الدفاع .

كان « عبد الكريم قاسم » معتادا على أن يسهر الليل كله ، وينام النهار متحسبا من حدوث انقلاب في الليل أو عند الفجر ، وحين بدأت التحركات ضد نظاما في الساعة التاسعة والنصف صباحا لم يكن قد نام بعد ، وإنما كان جالسا مع بعض أعوانه يراجع قائمة بأسماء ٥٨ ضابطا قرر إحالتهم إلى الاستيداع بعد أن وصلت معلومات عن نشاطهم ضده في الوحدات العسكرية . وحين انقضت أول طائرة مقاتان قادمة من قاعدة « الحبانية » وضربت مقر وزارة الدفاع ، وأصابت المبنى الذي كان يقيم فيه داخلها بصاروخين من صواريخها تصور » قاسم » أنه يواجه مجرد محاولة اغتيال فردى قام بها أحد الطيارين ، وأنه نجا منها ، وأن الطيار سوف يهرب بطائرة بعدها خارج الحدود .

وحاول « قاسم » أن يتصل تليفونيا بقاعدة « الحبانية » . وكان مدير مكتب العقيد « وصفى طاهر » هو الذى يحاول إجراء هذه الاتصالات بينما كان « عبد الكريم قاسم » في حالة عصبية شديدة .

ولم تمض دقائق حتى لحقت بالطائرة الأولى طائرة ثانية ، وطائرة ثالثة ، وبدا المبنى الذي يقيم فيه « قاسم » يتعرض لضرب مركز ، ومع ذلك فإن « قاسم » ظل على اعتقاده أنه يواجه محاولة لاغتياله شارك فيها عدد من طيارى السلاح الجوى العراقى . وكان كل هم « قاسم » وقتها أن يتمكن من الاتصال بقائد القوات الجوية اللواء ، جلال الأوقاتى ، وهو ضابط شيوعى كان ، قاسم » قد عينه مديرا لسلاح الطيران .

وكان الحزب الشيوعى العراقى الذى عرف بما يجرى فوق وزارة الدفاع وحولها لد دفع بعض أنصاره تحت شعار « الدفاع عن النظام » لكى يتوجهوا إلى مقر ، قاسم » تأييدا له وتظاهرا لنصرته .

وفي هذه اللحظة بدأ هجوم المدرعات على وزارة الدفاع ، وكان يقوده العقيد الركن المظلى « عبد الكريم مصطفى نصرت » ، وحاول عدد من ضباط « قاسم » وحرسه أن يوقفوا زحف القوات ، فدخلوا في اشتباك بالمدافع الرشاشة مع طلائعها ، ولكن المعركة كانت محسومة تماما .

وتدفقت على شوارع بغداد جماهير واسعة اشتعلت حماستها وراحت نزحف نحو وزارة الدفاع ، وهناك وقفت تراقب عملية ضرب وزارة الدفاع ، ثم وجدت نفسها مشتبكة في قتال شوارع مع مظاهرات الشيوعيين التي جاءت نابيدا لـ « قاسم » . وحينما تقدمت القوات المدرعة القادمة من « الحبانية » كان ظاهرا أن الموقف كله يرتهن بالمعركة الدائرة بين حرس « قاسم » وبين القوات المهاجمة . ثم ما لبثت الأنباء أن تسربت بأن « عبد الكريم قاسم » قد قتل رميا بالرصاص داخل ستوديو خاص اقيم في وزارة الدفاع لكي يسجل منه بياناته للاناعة وللتليفزيون . وحين داهمته القوات المهاجمة واقتحمت عليه معقله ـ للاناعة وللتليفزيون بيانا يدعو فيه إلى مقاومة الثورة عليه . ولم تمض ثوان حتى كان « عبد الكريم قاسم » قد سقط مقاومة الثورة عليه . ولم تمض ثوان حتى كان « عبد الكريم قاسم » قد سقط النيلا ، ومعه عدد من معاونيه بينهم ابن خالته العقيد « فاضل عباس المهداوى » ومدير مكتبه الخاص العقيد « وصفى طاهر » .

وفي الساعة العاشرة إلا ثلثا كانت إذاعة بغداد تذيع البيان الأول للثورة ، وجاء

، ايها الشعب العراقي الكريم

لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته التي

سخرت موارد البلاد، وصادرت الحريات، وداست الكرامات، وخانت الأمانات، وعطلت القوانين، واضطهدت المواطنين، الخ . . »

ثم توالت بيانات المجلس الوطنى لقيادة الثورة ، وتجلت توجهاتها الوطنية والقومية ، فقد تضمنت فصل كل أعوان « قاسم » وإعادة الاعتبار إلى كل الذين وقفوا ضده ، كما أن توجهاتها السياسية راحت تتضح مع كل بيان جديد .

وحينما أعلن عن تشكيل مجلس قيادة الثورة تأكدت هوية الثوار بطريقة قاطعة ، فقد كان الرئيس هو « عبد السلام عارف » كما كان الأعضاء عددا من قيادات حزب البعث إلى جانب عناصر من القوميين والناصريين .

وبشكل ما فإن القاهرة كانت على علم بالثورة ضد « قاسم » قبل حدوثها . ففى الخطاب الذى كتبه « جمال عبد الناصر » بخطه إلى « عبد الحكيم عامر » الذى كان موجودا وقتها في اليمن بتاريخ ٩ فبراير ١٩٦٣ أى غداة يوم الثورة مباشرة كتب « جُمال عبد الناصر » يقول :(١)

« معذرة عن تاخرى في الرد على جوابك ، ففي الأيام الأخيرة انشغلت بموضوع العراق وثورته إلى اقصى حد .

لقد اتصل بنا القوميون العرب منذ عدة اسابيع . حوالى اربعة اسابيع ، وابلغونا ان الفئات القومية اتفقت ـ البعثيون ، القوميون العرب ، والناصريون ـ وشكلوا مجلس ثورة ووزارة ، وان الثورة يمكن ان تتم في اى وقت . وسالونا عن موقفنا ، وكان ردى اننا نؤيد اى ثورة عربية ، ولا يهم الاشخاص ، ولكن تهم المبادىء .

وفي يوم الجمعة بدات الثورة في بغداد الساعة التاسعة والنصف صباحا بتوقيت بغداد وقد ساندناها منذ الدقائق الأولى مساندة واضحة ، وفي المساء اعلنت الحكومة ، وظهر من الإعلان ان بها النصف من البعثيين . وقد ظهر ان عبد السلام عارف لا يمثل القوى الحقيقية . إذ ان البعثيين لهم قيادة ويمثلون حزب سياسى ، اما الباقى فكل وحده ولا حزب يجمعهم . ومن هذا يظهر ان حزب البعث (جناح عفلق) يسيطر على الثورة لحد كبير . نائب رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، ووزير الخارجية ، ووزير الداخلية ،

ولكن قيادة الجيش من القوميين ، ولكن ايضا الحرس القومى من البعثيين ، وأرى التباع سياسة التروى ، فقد كان البعثيون في العراق على سياسة طيبة معنا ، ولكن ماذا سيكون تأثير « ميشيل » ؟ وفي رايي ايضا أن الفئات القومية الأخرى لن تقبل بسهولة انفراد البعث ، وأن عارف لن يقبل بسهولة أن يكون صورة ، ونحن حتى الآن لا نعرف مجلس الثورة الجديد إذ أن الاسماء التي بلغت لنا منذ أربعة

اسابيع ـ ق رايى ـ ليست هى النهائية ، بل حصل تغيير ق اخر وقت نتيجة ضغط البعث من اجل الحصول على عدد اكبر في المجلس وفي الوزارة ، ومن اجل الحصول على الوزارات الحساسة . ويتضع من الاتصال بالبعثيين في القاهرة شعورهم بالقوة انهم الحركة العقائدية التى عملت وحدها ونجحت في القيام بالثورة ، وهذا مبالغ فيه جدا إذ ان عارف عبد الرزاق الذي قاد سلاح الطيران ـ وانت تعرفه ـ قومى ، وكذلك عدد كبير من الضباط الذين اشتركوا في الثورة . ولكن كان من الضروري لنجاح الثورة ان تتحد كل العناصر القومية في جبهة واحدة .

استمع الآن إلى راديو بغداد الذى ينقل مشاعر الشعب والشعب يهتف وبدنا وحدة عربية واليوم منعوا في بغداد طبع صور جمال عبد الناصر $^{(7)}$ وعبد السلام عارف وكنا قد نبهنا على سفارتنا بعدم توزيع اى صور لجمال عبد الناصر بعد ان بدا بعض الناس في طلبها .

واليوم اعلن عفلق ان الحورانى انتهازى منحرف لا مكان له في حزب البعث . ومن الملاحظ ان مجلس الثورة لا يرغب في إظهار عبد السلام عارف او اى شخص آخر في الوقت الحاضر ، وهذا ضد طبيعة الأمور . ولابد من حصول معارك صامتة داخل مجلس الثورة . ومن غير الطبيعى أن تكون الثورة بدون قائد رغم وجود مجلس الثورة .

معلوماتى ان السوفيت اصيبوا بذهول لما حصل فى العراق لقاسم ، ولما حدث للشيوعيين الموالين له . ولاحظت ان صحافة الشيوعيين فى بيروت تقول إن الثورة امريكية ناصرية ، وهذا شيء غريب . »

وكانت ملاحظة « جمال عبد الناصر » معبرة ، فإن الشيوعيين في العراق كانوا للا يواجهون رد فعل عنيفا متوازيا مع فعلهم السابق حين تصوروا أن العراق قد اسبح تحت سيطرتهم الكاملة .

وبدأ أول اتصال رسمى مع النظام الثورى الجديد في العراق في مساء نفس يوم النبراير ، فقد بعث الرئيس « عبد السلام عارف » رسالة إلى « جمال عبد الناصر » سها : « إننى أخوك الوفي الباقى على العهد » .

لم اتسعت دائرة الاتصالات واتسعت موضوعاتها واهتماماتها ، ثم فوجئت الاهرة برسالة من مجلس الثورة العراقى الجديد تقول إن المجلس يريد أن يشارك

^() صورة من صفحات هذا الخطاب كما كتبها « جمال عبد الناصر » منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٥٠ صفحة . ٩٣٠

⁽۱) بلاحظ أن «جمال عبد الناصر «حينما كان يتحدث أو يكتب عن نفسه في معرض رواية سياسية كان سعمل الضمير الثالث ، وكانه يتحدث أو يكتب عن شخص آخر تماما ، وكذلك كان يفعل عندما يحكى بعض الكات التي يسمعها ويكون هو موضوعها

بعدد من اعضائه في احتفالات عيد الوحدة التي تقام عادة في القاهرة في ذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة (٢٢ فبراير) بين مصر وسوريا

وفي يوم ٢٣ فبراير عاد = جمال عبد الناصر » يكتب إلى = عبد الحكيم عامر = الذي كان لا يزال في اليمن خطابا بخط يده يروى له فيه انطباعاته وأراءه بعد أن التقى بوفد مجلس قيادة الثورة العراقى الذي جاء فعلا للمشاركة في احتفالات ذكرى الوحدة . وقال « جمال عبد الناصر » في خطابه بالنص :

« إن الموقف في العالم العربي تغير بشكل كاسح بعد ثورة العراق ، ومع ذلك فأنا ما زلت اشعر بالقلق ، فقد ارسل في عبد السلام عارف عدة جوابات قبل وصول وفد مجلس قيادة الثورة الذي حضر لاحتفالات الوحدة ، وفي هذه الجوابات فهمت أن عبد السلام عارف متخوف من البعثيين ، ولكنه لم يذكر ذلك صراحة .

وقد وصل وفد العراق أول أمس، وهو مكون من:(٣)

السعدى امين عام حزب البعث ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . وهو صريح مغرور . مندفع . كان في السجن وقت قيام الثورة ، واظن إنك لاحظت انه لم يذكر في خطابه اسم عبد السلام عارف بل تجاهله كلية ، كما تجاهله في المباحثات . ولكن انطباعي بالنسبة له أنه وطنى مخلص .

والفريق على صالح عماشة وزير الدفاع ، وكان أيضا في السجن يوم الثورة . وهو هادىء ذكى ، وقد ارتحت جدا إليه . وهو من جماعة الحاج سرى(٤) ولكن انضم أخيرا إلى حزب البعث .

وطالب شبيب وزير الخارجية ، وهو بعثى ذكى لبق متحدث ، وقد استرحت إليه . عمر الأول 70 سنة ، والثانى حوالى 70 سنة ، والثالث حوالى 70 سنة . وضم الوفد ضابطين من مجلس الثورة ، وقد تكلمت معهم بصراحة فى جلسة إول أمس بعد الفطار 70 إلى الساعة الواحدة والنصف ، وأمس بعد الصلاة إلى موعد الافطار .

ويظهر من كلامهم انهم مقدرون المتاعب ويريدون علاقة وثيقة مع الجمهورية العربية المتحدة ، وقد قلت لهم إننا لا نريد منهم اى شىء سوى وحدة الهدف ، وإننا حتى لا نمانع إذا تحررت سوريا في ان تتحد مع العراق بل سنؤيد ذلك . وقد قال عماشة إن سوريا يجب ان تتحد مع مصر اولا . وأن اى اتحاد بين سوريا والعراق معناه منافسة بين بغداد والقاهرة او مظهر منافسة . وبعد ذلك يتحد

العراق وقد تكلمت معهم بصراحة عن الأخطاء ـ اخطاء حزب البعث وان العراض الخطاء . المارسة وتطبيق لأى هدف لابد ان تتعرض لأخطاء .

اما الاكراد ـ وزير وممثل للبرازاني ـ فقد طلبوا ان يقابلوني على انفراد منفصلين عن الاخرين . وقد وافق الوقد على ذلك . وقالوا لى في المقابلة إنهم لا يثقوا في اى وعود من الحكومة إلا إذا ضمنت شخصيا تطبيق هذه الوعود . وهم يطالبون بالحكم الذاتي وقد اوقفوا القتال بعد قيام الثورة . وكان لهم اتصال مع رجال الثورة وقتها واخذوا وعود والملاحظ ان الحكومة تتهرب .

عموما المشاكل التى تجابه ثورة العراق كبيرة جدا . قال عماشة إن المجلس الوطنى قرر انه لابد من موافقتنا على اى حل لمشكلة الاكراد وكذلك لمشكلة الكويت ، حيث ان هذه الامور تتعلق بالوحدة التى هى الهدف النهائي للثورة . وقال لى عماشة إنه يوجد سبعة الوية تحارب في المناطق الكردية ، وهم في حاجة إلى ذخيرة وقنابل طائرات واسلحة . وطلبوا ان يحصلوا على الذخيرة من عندنا لأن الاتحاد السوفيتي موقفه عدائي جدا . ذخيرة الدبابات والمدفعية ، الخ . وطلب إحياء الاتفاقية العسكرية ، والحصول على طائرات من إنتاجنا ورشاشات بور سعيد وبنادق ، الخ .

وقال عماشة إنهم اعتقلوا ٨٠٠ ضابط شيوعى منهم ١٥٠ طيارا لدرجة ان الأسراب الآن بدون طيارين . وقد دمروا سرب « ميج ١٩ » موالى لقاسم ، واعتقلوا اربعة الاف شيوعى ، وقتلوا عددا كبيرا منهم بدون محاكمة في أول يوم .

عموما الموقف أيضا في الجيش وبين الفئات القومية لا يدعو إلى الارتياح ، فعجلس الثورة اغلبه من البعثيين . وعارف عبد الرزاق ليس من ضمن المجلس . والثورة قام بما يقرب من ١٠٪ منها القوميون في الجيش ـ غير البعثيين ـ و ١٠٪ بعثيين . وفي رايى ان الكل وقد اعتمد البعثيين على الحرس القومي ـ ١٠٠٪ بعثيين . وفي رايى ان الكل متربص بالآخر . البعث يريد السيطرة الكاملة ، والكل متخوف من البعث .

وقد تكلمت معهم امس في ضرورة جمع كل الفئات القومية حتى لا يعزلوا . وان اى نكسة لن تكون لصالح القوميين ، بل لصالح الرجعيين او الشيوعيين . وكان الرد انهم يتجهون إلى المستقبل وينسون الماضى ، ويعملون على تجميع كل القوميين . ولكن رغم ذلك فإن عماشة قال امس لطلعت صدقى (٦) ه في الأوبرج - إن امام عبد السلام عارف ثلاثة اشهر فقط ، ويفهم ان البعث يعتبر هذا التحالف مرحلة . كما أن السعدى قال لطلعت في الأوبرج بعد أن شرب ١٤ كاس ويسكى - إننا لا نريد أن نقابل الرئيس مرة اخرى لانه بلشف الجميع بكلامه وتحليله . ورغم ذلك فساتقابل معهم أول يوم العيد بعد عودتهم من الجزائر وقبل سفرهم (إلى بغداد)

^(]) يقصد العقيد « رفعت الحاج سرى » احد القادة القوميين البارزين للتيار القومى في الجيش العراقي ، وقد اعدمه « قاسم » رميا بالرصاص لأنه عارض سياساته ، كما اعدم معه في نفس اليوم زميلا له هو العقيد « ناظم الطبقجلي » .

⁽ ٥) كان ذلك في شهر رمضان المعظم .

 ⁽١) ضابط سورى في مكتب الشؤون العربية ، وكان مسؤولا في ذلك الوقت عن تنظيم رحلات الوفود العربية في الممهورية العربية المتحدة .

وفي رايى انهم شباب يحتاج إلى رعاية وتوجيه . وقد لاحظت انهم في شدة التعب لدرجة أن السعدى نام في أول جلسة . عموما اعتقد رغم أخطاء البعث أن وأجبنا أن نحافظ على ثورة العراق ، وليس أمامهم إلا اللقاء معنا .

اما صديق شنشل فيقول إن عبد السلام عارف يترك لهم الأمور في هذه المرحلة التي سترتكب فيها اخطاء كثيرة ، وان هناك تجمع قومي من الجيش والفئات القومية الأخرى . »

ورغم كل مخاوف « جمال عبد الناصر » فإن سقوط نظام « عبد الكريم قاسم » كان منعطفا كبيرا في مسار الحوادث على أرض المنطقة .

3

يوم ٨ مارس ـ أى بعد شهر بالضبط من سقوط نظام « عبد الكريم قاسم » أن العراق ـ تحركت دمشق ، وأسقطت بقايا نظام الانفصال المتهالك الذي كان لا يزال يحاول الامساك بالسلطة في سوريا

في الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم قطع راديو دمشق إذاعته العادية ، وأذاع البيان الأول لقيادة الثورة التي تولت الأمور فيها بعد أن استولت القوات المسلحة السورية على السلطة عند الفجر . وكان نص هذا العان كما على :

« منذ فجر التاريخ العربى وسوريا تلعب دورا إيجابيا مناضلا في حمل راية العروبة والوحدة . وكانت سوريا العربية وشعبها لا يعترفون بحدود قطرهم ، وإنما يعيشون دائما وأبدا ، في حدود الوطن العربي الكبير . حتى أن النشيد السورى لم يحو كلمة واحدة عن سوريا ، وإنما كلماته كلها تمجيد للعروبة وتخليد لمفاخر العرب وبطولاتهم . ولما قامت الجامعة العربية اندفعت سوريا تدعمها وتدفع بها للأمام ، ثم أتت وحدة مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة نموذجا لأمال شعبنا في تحقيق وحدته الكبرى . واندفع الشعب

العربي في سوريا كلها بقلبه وروحه وإيمانه معطيا إياها كل ما تريد من قوة وتدعيم.

ولكن الرجعية العميلة والاستعمار والانتهازية أبت إلا أن تكشف عن نفسها مستغلة الأخطاء فى تلك الحقبة ، فذهبت بالتآمر على تلك الجمهورية إلى أقصى ما تستطيع ، فكانت نكبة الانفصال .

أيها الشعب العربى في سوريا . سنة ونصف مرت على الانفصال وأنت تعانى أصعب فترة مرت عليك _ انتخابات الاستغلال أشرف عليها الاستعمار والرجعية ، وصحف مأجورة تنهش أمانيك ولا تعبر عن عقيدتك ومشاعرك ، وبعد عن الدول المتحررة يزداد يوما بعد يوم . حتى أضحت العزلة هي الطابع الأساسي لسوريا .

أيها الشعب العربى في سوريا . كل ذلك وجيشك لم يكن بالجيش الغافل عن واجبه ، ولم يكن لنا في قيادته المنحرفة المراوغة إلا مشجعا على تحقيق رغبة الشعب ، فقام في صباح هذا اليوم بحركة ثورية ليعبر عن المبادىء الآتية الخ . . . »

ومضى البيان بعد ذلك يعدد هذه المبادىء بأنها الوحدة العربية ، والحياد الإبابى ، وتأييد ثورة اليمن الشقيق ، ومباركة ثورة العراق ، واستعداد النظام الثورى الجديد لمد يده إلى القاهرة وبغداد وصنعاء والجزائر ، وإلى كل الدار في كل مكان .

وتوالت بيانات الثورة بعد ذلك تشرح بالتفصيل حقائق حكم الانفصال ابتداء من $\Upsilon \Lambda$ سبتمبر ، والمحاولات المتكررة لتصحيح آثاره حتى جاءت ثورة Λ مارس .

كان يوما حافلا بالاثارة في دمشق ، فقد جرى اعتقال اللواء « عبد الكريم زهر النبي " قائد الجيش السورى طوال فترة الانفصال ، وأعلن عن خلع السيد " ناظم النبي » من رئاسة الجمهورية . والتجأ السيد " خالد العظم » رئيس الوزراء السرى إلى السفارة التركية في دمشق مصطحبا معه أسرته ، وصدرت قرارات تعيد الالفصال الخدمة في الجيش عشرات من الضباط الذين كانوا قد سرحوا منه بعد الانفصال رأي عهده . وراحت الأنباء المتسربة من دمشق تشير إلى أن القيادة التي قامت على رأس الجيش السورى والتي يبدو أنها قادت حركته تتمثل في ثلاثة ضباط هم : العقيد رأس الجيش الندى اعلنت ترقيته إلى رتبة الفريق ، وعين قائدا عاما للجيش السردى _ والعميد " راشد قطيني » الذي اعلنت ترقيته إلى رتبة لواء ، وعين نائبا

للقائد العام ـ والعقيد « زياد الحريري » الذي اعلنت ترقيته إلى رتبة لواء ، وعين رئيسا لقيادة أركان حرب الجيش .

واتصل الرئيس « عبد السلام عارف » من بغداد بـ « جمال عبد الناصر » ف القاهرة وأبلغه « أنهم قد استطاعوا تحقيق اتصال مباشر باللاسلكي مع قيادة الثورة في دمشق ، وأنهم أبلغوهم بأن العراق سوف يقف معهم إلى آخر المدى ، وأن أي عدوان عليهم سوف يعتبر بمثابة إعلان للحرب على العراق » . ثم قال الرئيس « عارف » لـ « جمال عبد الناصر » على التليفون : « إننا تلقينا من قيادة الثورة في سوريا الآن برقية قالوا فيها : الموقف جيد _ نسيطر عليه _ الموقف لا يستوجب أي عمل من ناحيتكم » . وبعد أن قرأ « عبد السلام عارف » على « جمال عبد الناصر » هذه الرسالة قال له : « عبد السلام عارف » على « جمال عبد الناصر » هذه الرسالة قال له : إنهم يحاولون الاتصال تليفونيا من بغداد بقيادة الثورة في دمشق ، وأنه سيعود إلى الاتصال به فور أن يتلقوا أية معلومات جديدة » .

كان «جمال عبد الناصر » يتابع من جانبه ما يجرى في دمشق منذ اللحظة الأولى ، وقد لاحظ ظاهرة لفتت نظره لأول وهلة ، فقد عرف أن العقيد « لؤى الاتاسى » الذى رقى إلى رتبة الفريق وعين قائدا عاما للجيش السورى – كان حبيسا في إحدى زنزانات سجن « المزة » عندما وقع الانقلاب . وكان نظام الانفصال قد اعتقله في هذا السجن بعد أن نفاه خارج سوريا لبعض الوقت ، ثم اكتشفت سلطاته أن « لؤى الاتاسى » عاد إلى دمشق بدون إذن – وهكذا جرى اعتقاله . وكانت ملاحظة » جمال عبد الناصر » هى أن » لؤى الأتاسى » لا ينتمى إلى أى حزب ، وهكذا فإن حقيقة وجوده في السجن وقت قيام الانقلاب معناها أنه لم يشترك في تدبيره أو تنفيذه ، وفي نفس الوقت فإن تعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة وللمجلس الوطني لقيادة الثورة بعد وقوعها يعنى أن هناك مساومات بين أطراف متعددة جعلتهم يلجأون إلى وضع طرف لم يشترك في العملية على رأس قيادتها . وهذا يعنى أن هناك ازدواجية في السلطة وصفقات بين أطراف تختلف أدوارهم ، وقد تختلف توجهاتهم . وكانت الملاحظة في موضعها ، فقد عرف بعد قليل أن قائد العملية الفعلي هو العقيد « زياد موضعها ، فقد عرف بعد قليل أن قائد العملية الفعلي هو العقيد « زياد موضعها ، فقد عرف بعد قليل أن قائد العملية الفعلي هو العقيد « زياد موضعها ، فقد عرف بعد قليل أن قائد العملية الفعلي هو العقيد « زياد موضعها ، فقد عرف بعد قليل أن قائد العملية الفعلي هو العقيد « زياد موضعها ، فقد عرف بعد قليل أن قائد العملية الفعلى الحرب .

ولم يكن لدى « جمال عبد الناصر » وقت طويل للتفكير في دلالات الأمور ، فقد كاز، تيار الحوادث الكاسح يجرف كل شيء أمامه . ومن ناحية إنسانية ، فقد كان ما يحدث في دمشق يمثل إلى حد كبير إنصافا لموقفه بعد الانفصال ، فها هو نظام الانفصال الذي قام في سوريا يسقط سقوطا نهائيا ، وأبطاله يقدمون

المحاكمة ، والكثير من اسراره ووقائعه يتكشف بحيث يتاكد العالم العربى ، والعالم الأوسع خارجه ان ما حدث في سوريا يوم ٢٨ سبتمبر كان بالفعل بأسرة . وربما أرضته إنسانيا أول برقية تلقاها من دمشق بعد نجاح الثورة ، وسلته في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٨ مارس ، وكان نصها :

الرئيس جمال عبد الناصر ـ القاهرة . .

لقد ثأرنا من الانفصال وغسلنا عاره.

المجلس الوطنى للثورة 🗓 سوريا »

ويروى اللواء « عبد الكريم زهر الدين » الذي كان قائدا للجيش السورى طوال الذه الانفصال في مذكراته (٧):

« إن الفئات الرئيسية التى قامت بحركة ٨ مارس هى: الناصريون ، والبعثيون ، والقوميون العرب ، والوحدويون الاشتراكيون . وكانت تجرى فيما بينها الاتصالات ، وكانت ترسم الخطط الاجمالية للحركة . لكن كل فئة منها كانت تضع لنفسها مخططا بعد نجاح الحركة . .

ربستطرد اللواء « عبد الكريم زهر الدين » فيقول^(^) :

«كانت المؤامرة تحاك بصورة شبه علنية ، وكان اسم زياد الحريرى يتردد على كل لسان في سوريا . غير أن رئيس شبعبة المخابرات كان ينفى تلك الاشاعات ، ويحول الأنظار إلى عناصر أخرى مشهورة بإخلاصها وولائها للقيادة وممن كنت أعتمد عليهم ، والذين كانوا يؤكدون لى الولاء والسهر الدائم على الوضع وعلى سلامة العهد . وكنت ويا للأسف أثق بأقوالهم ، وأهزأ من الاشاعات التى كانت تطلق حول زياد الحريرى وإمكانية قيامه بأية حركة . »

نْبِنَطْرِق اللواء « عبد الكريم زهر الدين » إلى أسباب نجاح ثورة ٨ مارس فيقول (^) :

« لقد كثرت الأسباب والدوافع التي أدت إلى هذا الانقلاب الذي وضع حدا لعهد ما بعد الوحدة المصرية ـ السورية والذي لقب بعهد

⁽١) مذكرات اللواء ، عبد الكريم زهر الدين ، صفحة ٤١٦ .

⁽٨) مذكرات اللواء ، عبد الكريم زهر الدين ، صفحة ٤١٨ .

⁽١) مذكرات اللواء ، عبد الكريم زهر الدين ، صفحة ٤١٩ .

« الانفصال » . والاسباب الرئيسية لتلك النهاية نوجزها فيما يلي :

١ – المد الوحدوى: من أهم أسباب حركة ٨ مارس (آذار) هى الوحدة التى فقدتها كل من مصر وسوريا بصورة خاصة وعملية ، وفقدتها الدول العربية بصورة عامة ومعنوية . لقد أدت تطورات حركة ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ (الانفصال) – إلى انتكاسة ظالمة للمد العربى الذى كان قد شعر عند قيام الوحدة بأنه اهتدى إلى الطريق السليم الذى سيقوده إلى وحدة الوطن العربى بكل أطرافه وأجزائه .

٢ - محاولة القضاء على الخط الاشتراكى: فقد كانت الأغلبية الساحقة من الشعب ومن الجيش بصورة خاصة تنادى بمبدأ الاشتراكية العادلة. وبما أن عهد ٢٨ سبتمبر قضى على هذا المبدأ عندما عدل القوانين الاشتراكية ، وخاصة قانون الاصلاح الزراعى ، فإن المقاومة ضده أصبحت شددة . »

وأضاف قائد الجيش السورى السابق إلى هذين السببين الرئيسيين عناصر أخرى تكررت الاشارة إليها في مذكراته ، وهي ظهور الحقيقة عن القوى التي دبرت لمؤامرة الانفصال من خارج سوريا - وتكالب نظام الانفصال على المنافع الشخصية لاقطابه - وضعف هذا النظام إلى درجة شديدة نتيجة لافتقاره إلى أسس الشرعية .

ولقد كانت قرارات العزل التى أصدرها مجلس الثورة فى سوريا بمثابة تعرية لمؤامرة الانفصال قبل أن تكون عقابا للذين شاركوا فيه ، فقد شملت قوائم المعزولين ٧٤ شخصا يمثلون ست فئات على النحو التالى ، طبقا لنصوص القرارات :

- الغئة الأولى ، تضم الضباط الذين قبضوا أموالا من الخارج بطريق غير مباشر من أجل التدبير لمؤامرة الانفصال ، مثل العقيد « فيصل سر الحسيني » والعقيد « حيدر الكزبرى » وشقيقه « خلوصي الكزبرى » .
- الفئة الثانية ، وتضم الضباط الذين قاموا بتنفيذ المؤامرة ، وبينهم « عبد الكريم النجلاوى » و « موفق عصاصة » و « عبد الغنى دهمان » ، الخ .
- الفئة الثالثة ، وهي تضم رؤساء الجمهورية ، ورؤساء وزارات حكومات الانفصال ، وبينهم «ناظم القدسي » و «خالد العظم » و «مأمون الكزبري » و «معروف الدواليبي ، الخ .
- الفئة الرابعة ، وتضم الصحفيين والكتاب الذين هاجموا الوحدة ، وتأمروا مع الرجعية وارتشوا منها لتكريس الانفصال .

- الفئة الخامسة ، وتشمل كبار الراسماليين الذين حاولوا السيطرة على الدولة ونهب مواردها في فترة الانفصال .
- الفئة السادسة ، وتضم كل الذين اشتركوا في مؤتمر « شتورا » الذي كرس للتشهير بالجمهورية العربية المتحدة .

لم تلبث الظاهرة التي لفتت نظر « جمال عبد الناصر » لأول وهلة يوم قيام ثورة ٨ مارس في سوريا _ أن كشفت عن نفسها بطريقة أصرح .

كان المجلس الوطنى لقيادة الثورة في سوريا قد شكل وزارة برئاسة الأستاذ «صلاح البيطار» وكانت الوزارة تضم قوى التحالف الذي قام بإسقاط نظام الانفصال، وهو التحالف الذي يضم مجموع القوى التقدمية الوحدوية في سوريا وهي : حزب البعث، وحركة القوميين العرب، وحركة الوحدويين الاشتراكيين، والجبهة العربية المتحدة.

وكان الميزان يميل لصالح حزب البعث بحكم عنصرين برزا في الموقف ، واولهما الأثر الذي نشأ عن ظهور دور حزب البعث في الثورة على « عبد الكريم قاسم ، في بغداد ، وما حققه ذلك من ارتفاع في معنويات الحزب وأرصدته على الساحة العربية بصفة عامة _ والثاني أن رئيس الوزراء الجديد في سوريا وهو الأستاذ « صلاح البيطار » كان هو نفسه أحد مؤسسي حركة البعث .

وواجه الوضع الجديد في دمشق معضلة حرجة من اول لحظة ، فقد كانت الجماهير السورية فيما يبدو تتوقع بيانا يعلن استعادة الجمهورية العربية المتحدة كاملة بعودة الوحدة الفورية بين مصر وسوريا . وكان ذلك املا مشروعا ، وربما كان شرعيا كذلك ـ ولكن الظروف الموضوعية كانت تقتضى عملا مدروسا يتكفل بوضع أساس صلب لأى محاولة وحدوية جديدة .

وهكذا فإنه بسبب التناقضات بين القوى المختلفة والتطلعات المتباينة ، ورواسب التجارب وشكوكها ـ فإن النظام الجديد في دمشق بدأ يواجه أزمة بعد أيام قليلة من قيامه . فقد وقع الخلاف بين حزب البعث من ناحية ، وبين بقية المجموعات المشتركة معه في الحكم بسبب ما أسمى وقتها بـ « ضرورة المشاركة المتكافئة في المسؤولية بين القوى الوحدوية والتقدمية . وتطورت هذه الأزمة بسرعة إلى درجة أن ستة من الوزراء غير البعثيين قدموا استقالاتهم من الوزارة لكى يتركوا المسؤولية كلها للبعث يتصرف فيها أمام الجماهير السورية ، ويتحمل تبعاتها .

0

وكان طبيعيا أن يميل حزب البعث في بغداد إلى رفاقه في سوريا ، وأن يحاول دعمهم في دمشق ذاتها . وهكذا طار إلى دمشق يوم ١٠ مارس (بعد يومين من الثورة) وقد من حزب البعث العراقي يرأسه السيد « على صالح السعدى » أمين عام الحزب ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، والرجل القوى في البعث العراقي وقتها ، ومعه مجموعة من زملائه . وقد وصلوا إلى العاصمة السورية لكي يجدوا الجو فيها ساخنا إلى درجة تهدد بالاشتعال ، الله سرى الشك بين جماهير واسعة ، وبين قوى سياسية متعددة بأن البعض في بغداد ودمشق يفكرون في وحدة بعثية أكثر مما يفكرون في وحدة عربية .

ويوم ١١ مارس وصل إلى القاهرة وزير الخارجية العراقى «طالب شبيب «قادما من دمشق حيث كان يشارك في اجتماعات الوفد العراقي الذي قصد إليها برئاسة السيد «على صالح السعدي ».

كان السيد « طالب شبيب » يريد أن ينقل إلى الرئيس » جمال عبد الناصر » صورة مما جرى في العاصمة السورية بالأمس ، وكانت الرسالة التي حملها السيد « طالب شبيب » معه هي أن « الاخوان العراقيين والسوريين الذين اجتمعوا أمس في دمشق يقترحون وحدة ثلاثية تضم مصر وسوريا والعراق ـ وان هذه الوحدة في رايهم هي الأمل الحقيقي والمرتجى للأمة العربية فضلا عن انه امل اصبح الآن ممكنا بفعل ما جرى في بغداد ، وما لحقه في دمشق » .

وفي يوم ١٤ مارس وصل إلى القاهرة وفد عراقي يرأسه السيد « على صالح السعدى » ، ولحق به وفد سورى يرأسه السيد « نهاد القاسم » نائب رئيس الوزراء الجديد في سوريا ، ويضم في عضويته اللواء « زياد الحريرى » والوزير البعثي الدكتور « عبد الكريم زهور » واللواء « راشد قطيني » والمقدم « فهد الشاعر » من أعضاء مجلس الثورة .

وفي يوم ١٥ مارس عقد «جمال عبد الناصر » في قصر القبة اجتماعا موسعا شاركت فيه وفود من الدول الثلاث : مصر والعراق وسوريا . وبعد يومين أعيد تشكيل الوفد السورى إلى هذه الاجتماعات ، وانضم إليه السيد «ميشيل عفلق » أمين عام حزب البعث ، والسيد «صلاح البيطار» رئيس الوزراء السورى ، والفريق « لؤى الأتاسى » رئيس مجلس الثورة السورى .

ودخلت محادثات الوحدة الثلاثية (مصر وسوريا والعراق) طورا جديدا.

امتدت محادثات الوحدة الثلاثية فاستغرقت جلساتها ما تبقى من شهر مارس ، وامتدت لتشمل النصف الأول من شهر أبريل سنة ١٩٦٣ . وتتكفل الصفحات الأولى من محاضر الوحدة الرسمية برسم صورة دقيقة وكاملة لاختلاف الرؤى والتوجهات . وتجرى الصفحات الأولى من محضر الجلسة الأولى للمحادثات على النحو التالى :(١٠)

- □ السيد نهاد القاسم: « الحمد شه الذي حضرنا هنا . . سبق أن قلت لك يا سيدى الرئيس إن الزعيم البطل هو الذي ينزع من النكسة الانتصار ، وقد حضرنا لنهنئكم على النصر الذي أحرزه الشعب السوري ، ولنظمئن سيادتكم بأن ثورة سوريا الأخيرة هي ثورة وطنية وحدوية تقدمية اشتراكية . وقد حضر معنا ممثلون من ثورة العراق ، الثورة التي عجلت بثورة سوريا ، إن هذا الاجتماع التاريخي يجمع رجال ثلاث ثورات ، إننا متأكدون أن القاهرة ستستجيب لمطلبنا ، لقد حضرنا لنبحث معكم إقامة اتحاد أو وحدة اتحادية بين الجمهوريات الثلاث على أسس مدروسة سليمة ...
- □ السيد على صالح السعدى: «لقد تبين لنا أنه يجب أن نخطو خطوات فعلية لتأخذ الوحدة مكانها فى الواقع ، ولتكون قاعدة لباقى الدول المتحررة ، فتتسع وتنضم إليها دول أكثر وأكثر . إن القضية الآن هى مسألة تقرير مصير ، إنها مسألة خطيرة وتتطلب دراسات فى شتى النواحى ، إن ما نطلبه الآن هو أن نعلن هذا الشيء للعالم . . وهو أننا نسعى فى سبيل الوحدة ، وأن تكون الأيام القادمة لتقرير الخطوات نحو الوصول للوحدة المطلوبة .

إننا نعتبر الانفصال نكبة وكارثة ، ولكنه فى نفس الوقت كان خيرا لنا إذ أنه عزز ومكن من فكرة القومية العربية وجعلها على أسس راسخة ، وأثبت أنها ليست مجرد فكرة طارئة ، ولقد جئنا إلى القاهرة لنعلن للعرب أننا سوف نسوى الوحدة ...

■ الرئيس جمال عبد الناصر: « لا شك أن هذا اليوم من أعز الأيام إذ نلتقى من أجل الوحدة ، وخاصة بين مصر والعراق وسوريا ، وإنى كنت أعتبر ذلك أملا يصعب تحقيقه بهذه السرعة . . ومنذ شهر كان السيد على صالح السعدى

⁽١٠) لقد قصدت أن استشهد بفقرات طويلة من المحاضر لأنها 🖟 اعتقادى تشرح ظروفا كثيرة ، وملابسات معقدة يصعب شرهها بلغتصار وكفاءة كما تشرحها المحاضر ذاتها .

ما هو المطلوب ؟

هل المطلوب وحدة أم وحدة اتحادية ؟

هل الاتحاد المطلوب صورى ام حقيقى ؟

هل المطلوب وحدة تنفذ أو وحدة مؤجلة ؟

كل هذه أسئلة مهمة . كذلك لابد أن نسال : ما هو الوضع الآن في سوريا ؟ هل في سوريا ثورة أو في سوريا انقلاب ؟

هل الجيش في سوريا يحكم أم الوزارة في سوريا تحكم ؟

هل الحكم في سوريا بعثى ام الحكم في سوريا قومى ؟

ذلك ضرورى أن يتضح لكي نتصرف جميعا على هدى .

لابد من عملية فحص وتدقيق ودراسة واسعة وجدية.

لنستعرض كل هذه الأمور . . وكل خطأ من الممكن تقويمه ، ولنرى ماذا يمكن عمله ، وبهذا يمكن تنفيذ العملية .

هل هناك شكوك ؟ . . هناك شكوك بغير جدال !

وهناك أخطاء حدثت أثناء الوحدة السابقة ، ولكنى أقول طالما أننا نعمل فستحدث دائما أخطاء ، ستقابل الوحدة بقوى معادية كبيرة ، ستحاربها دول الاستعمار كلها ، ودول حلف بغداد ، والرجعيات العربية ، والاحزاب الشيوعية . . والشعوبية والانتهازية . .

ولا أنسى منذ الشهر الثالث للوحدة السابقة أننى سمعت اصطلاح « الاستعمار المصرى » و « التسلط المصرى » من داخل الحكم ومن الذين يشاركون في الوحدة . . من حزب البعث .

كيف إذن نطمئن هذه المرة . . ؟

قبل أن ندخل في وحدة يجب مناقشة جميع هذه النقاط.

وفيما يتعلق بالتجربة السابقة ، فإنى لم اكن شخصيا احكم سوريا وإنما كان يحكمها السوريون . على سبيل المثال كان الحورانى رئيسا للمجلس التنفيذى ، واتخذ قرارا برفع رسوم الجمارك على كل شيء في سوريا حتى على الأكل ، واتخذ قرارا بغير علمى ومع ذلك تنصل هو من مسؤوليته وتنصل كل واحد غيره .

قيل - كما قرأت في تعميمات حزب البعث - إن المطلوب وحدة ديمقراطية ، قيل

موجودا معى في نفس هذا المكان ولم نكن نعتقد أن الكلام عن الوحدة سيجيء بهذه السرعة .

نحن طلاب وحدة ، ووحدويون عن اقتناع بدليل أننا قبلناها في عام ١٩٥٨ والجميع يعلم أنها كانت صعبة .

إنى أرحب بالوحدة مع سوريا والعراق ، ولكننا نريدها وحدة لا انفصال مغلفا في شكل وحدوى لأن الأمة العربية لا تحتمل جريمة انفصالية أخرى ، لقد اكتوينا بنار الانفصال بدرجة لا توصف ، لقد تسببت عنها ردة في مصر وكنت أخشى أن تصبح مصر انفصالية ، إن الوحدة أو الاتحاد المطلوب هو ما يتمناه الشعب ، ولكن لابد من أن نتناول الأمر بمنتهى الصراحة والوضوح .

إننا في بداية علاقاتنا مع العراق ، وليست بيننا مشاكل ، ولكن مع السوريين لنا خمس سنوات ، وهناك عدة مواضيع لابد أن نعرضها بصراحة ، إن المسألة ليست مسألة أشخاص ولكنها مسألة الأمة العربية بأسرها .

هناك إقليمية في مصر وأخرى في سوريا، ومن الخطأ أن نتجاهل هذا الاعتبار . . هذه مسألة .

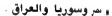
ومسألة أخرى هى أننا لابد أن نتعامل على نور . . هل المطلوب منا الآن أن نقيم وحدة مع حزب البعث . . أم وحدة مع سوريا ؟ . . إذا كان حزب البعث هو الذى يحكم سوريا وستكون الوحدة معه ، فأنا على غير استعداد للبحث على الاطلاق .

وحدة مع سوريا كلها أنا على استعداد لها.

وحدة مع حزب البعث ساقول لكم متأسف.

إن حزب البعث في رأيى انقلب على تجربة الوحدة وحاربها ، وكان من القوى التى مهدت للانفصال ! ولم يكتف بذلك بل أراد أن يؤثر في الأوضاع في مصر نفسها في المرحلة الحرجة بعد الانفصال ، وأنا أعتبر ذلك جريمة . كذلك لابد أن نتكلم عن الشعارات التى رفعت والتى رفعها حزب البعث في تعميماته التى قرأتها ينادى فيها بوحدة بدون عبد الناصر ، وكل مسألة في رأيى يمكن أن تحل ، حتى لو كانت مصلحة الأمة العربية في وحدة بدون عبد الناصر ، فإننا نستطيع أن نجد حلا لذلك ، وأنا الآن لا أتكلم كعبد الناصر ولكننى أتكلم كرئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة . وإنى لا أعقد الامور ، فأنا شخصيا اشد الناس تحمسا في مصر لهذه الوحدة ، ولكن الموضوع يتعلق بمستقبل أمة .







اجتماعات مناقشة الوحدة الثلاا

وحدة اتحادية ، وقيل وحدة بدون عبد الناصر ، وقيل وحدة بدون الحكم الحالى فى مصر . . كل ذلك قيل ونحن على استعداد لبحث جميع هذه النقاط . . كذلك أريد أن أعرف ما هى الوحدة ، وما هى الحرية ، وما هى الاشتراكية ؟

لابد أن نلتقى على تعريفات لها وليس المطلوب أن نلتقى على شعارات فقط، ولابد في هذا الاجتماع أن نتكاشف بكل وضوح وصراحة ونبحث كيف نقيم الوحدة الجديدة ـ ما دامت هي غايتنا ـ سليمة قادرة على البقاء.

عايزين وحدة بدون انفصال ، عايزين وحدة أبدية تجمع باقى الدول العربية ، وعلينا أن نقرر هل نريد وحدة حقيقية أو صورية ، وعلينا أن نقرر هل نريد وحدة تقوم على مبدأ المشاركة أم وحدة وكل واحد يعمل اللي عايزه

في هذا الاجتماع أنا أريد أن أسمع أكثر مما أتكلم . . موقفنا نحن تكلمنا فيه كثيرا ، نقدنا أنفسنا في التجربة السابقة ، وأنا مارست النقد الذاتي فيها علنا . ونحن طلاب وحدة في كل وقت ، ولا أظن أحدا يشك في ذلك ، لهذا نريد أن نسمع من سوريا ومن العراق ، ونريد أن نسمع بالتفصيل عن الماضي وعن المستقبل .»

□ السيد على صالح السعدى: «إننا فعلا لم نحضر إلا لنقيم ، وحدة لا تنفصم وطلبنا الآن هو أن تعلن الدول العربية الثلاث أنها في سبيل تحقيق وحدة اتحادية ثم تكون هذه الخطوة مفتاحا للدخول لهذا الشيء ، قد تطول الدراسة سنة أو سنتين أو ثلاثا ، ولكن المهم أن نعلن ذلك فورا وأن نباشر الدراسة في نفس الوقت . »

السيد نهاد القاسم: «إن ما قاله الأخ على صالح قد يكون مناسبا للوضع ف العراق ولكن ليس بالنسبة لسوريا ، لذلك فإنى اتحفظ بالنسبة لما قاله ، إن الوضع في سوريا مختلف عنه في العراق نهائيا ، ففي سوريا من ينادى بوحدة فورية ، وهناك من يطلب وحدة بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة ، وإن ما صرح به الأخ على صالح يعتبر عملية تخدير لمطلب الوحدة وللرأى العام في سوريا ، والمهم هو أن ندرس الأخطاء ونتصارح إلى أبعد الحدود ، وأسجل أني سبق أن قلت إن الأخطاء لم يكن المسؤول عنها جمال عبد الناصر فكلنا مسؤولون ، يجب أن نخرج من هنا بنتيجة إيجابية وبمشروع يباشر فورا

والشعارات الموجودة في سوريا الآن هي « لا درس ولا تدريس إلا بعد عودة الرئيس » ، « ناصر ناصر ناصر » . »

□ السيد عبد الحليم سويدان: « لا شك أن الوصول إلى الوحدة يقتضى منا حربا مريرة ، وفي هذه الحرب قد نخسر بعض المعارك ولكن في النهاية سنربح المعركة ، ولقد كان الشعب السورى أول من نادى بالقومية العربية والوحدة العربية ، لقد عاش هذا الشعب إبان الانفصال أشد تحمسا وتمسكا بالوحدة إيمانا منه بها ، وحرصا عليها ، وفي صبيحة الثامن من آذار (مارس) مسحت الثورة آثار الخيانة والعار من جبين الجيش العربي والشعب العربي في سوريا وفرضت إرادة الشعب ، إنها الثأر الأول لكارثة ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، وتعتبر ثورة اليمن الثأر الثاني لكارثة ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، وتعتبر ثار الثالث لها .

والآن توجد في سوريا هزة رائعة للوحدة العربية ، إن الوضع للثورات العربية الثلاث جعل الشعوب العربية تنظر إليها على أنها دعائم أساسية للوحدة العربية ، إن القسم الأعظم من الشعب في سوريا يعتقد أن الوحدة يجب أن تبدأ من هذا المنطلق الثلاثي ، لقد تفضلتم يا سيادة الرئيس بذكر أعداء الوحدة ، وعلى قدر قوتهم يجب أن نكون على مستوى الرسالة ، ولو خسرنا الحرب الآن فلا شك أننا سنربحها في النهاية . "

□ السيد عبد الكريم زهور: « الحقيقة أن الوحدة العربية ليست حلما فقط، ولكنها طريق الخلاص الوحيد للأمة العربية ، الطريق الوحيد الذي يجعلها تقوى في هذا العالم، ولقد ظهرت في سوريا القومية العربية بوضوح لأسباب واقعية خاصة بها، وقبل أن تظهر على هذا المستوى في الأقطار العربية الأخرى، ولم تكفر بها سوريا بتاتا.

بالطبع هناك خونة إلا أنهم لا يعبرون عن هذا الشعب أبدا ، وسوريا عام ١٩٥٨ أقبلت من تلقاء نفسها على الوحدة ، وما ذكره السيد الرئيس صحيح ، واذكر

لك عندما كنت عضوا في الوقد البرلماني الذي حضر للقاهرة قبل الرحدة للتدارس مع اخوانه في مصر عنها .

واذكر انى سمعت قول سيادتكم بأن القومية العربية تصبح هدفا ماديا تصوب البه السهام عندما تتجسم في الوحدة ، ولا شك أن هذا قول صحيح أيدته التجارب ، ولا شك أنه يجب أن تتم الوحدة تدريجيا شيئا فشيئا وفقا للدراسات الاقتصادية والعسكرية ، والوحدة السياسية آخر هذه المراحل . ولقد سمعت من قبل بالنسبة للوحدة السابقة من السيد محمود رياض أنها تحتاج إلى خمس سنوات ، صحيح كانت هناك أزمة سياسية وقتئذ دفعت إلى الاسراع نحو الوحدة ، ولكنها لم تكن الدافع الوحيد لذلك إذ كانت القومية العربية هي المحرك الأساسي لها .

حدثت الوحدة وكانت تجربة رائدة وهامة ، وكان البعثيون أول من سمى الانفصال نكسة . فلنسأل لماذا حدثت النكسة . كما قال السيد الرئيس يجب الفحص ، لقد علمتنا التجربة الماضية أن العواطف وحدها غير كافية ، لابد من دراسة الوحدة والانفصال والاخطاء وكما قال السيد الرئيس حتى لا تحدث أخطاء ، ولكن على الأقل لا نريد أن نقع في نفس الأخطاء القديمة ، لا أدرى إذا كان من الممكن عمليا دراسة أخطاء الوحدة التي ساعدت على الانفصال ، وفي مشروع الوحدة القادمة يجب أن نتجنب كل تلك الأخطاء .

لقد تمت الوحدة السابقة عام ١٩٥٨ ونحن اليوم في عام ١٩٦٣ وقد تغيرت الظروف كثيرا وخاصة خلال السنة الماضية . اليمن ثار . وتدافع قوات الجمهورية العربية المتحدة مع قوات اليمن عن ثورته ، والعراق ثار . وها هي سوريا ثارت ، إذن هذا ظرف جديد ، ويقتضى التفكير بشكل جديد للوحدة . صورة جديدة للوحدة .

يا سيادة الرئيس هناك خطر دائم في المشرق العربي أن يظل العراق بعيدا ، أو أن تظل مصر بعيدة ، لذلك كان من اللازم العمل مخلصين لوحدة الأقطار الثلاثة حتى نسد الطريق أمام إمكان عودة الصراع لهذا المشرق العربي ، وأعتقد أننا لو نجحنا في التخطيط ، فسنجعل موضوع تحقيق وحدة المشرق العربي مسألة زمن لا أكثر ولا أقل ، لا شك أن السيد على صالح بالغ عندما قال بدراسة الوحدة لمدة سنة أو سنتين أو ثلاث ، فإن القضية لا تحتمل مثل هذا الزمن الطويل ، كذلك من غير المعقول أن نعلن الوحدة ثم إذا هي وحدة مرجأة ، يجب ألا تعلن إلا عند ممارستها وإلا نكون قد ضحكنا على أنفسنا ، ينبغي أن نعلن عن هذا الاجتماع التمهيدي أننا سائرون فيه نحو الوحدة ، لم نأت هنا لنلهي الناس ، ولكن لتشكيل لجنة من الاقطار الثلاثة لتبدأ الدراسة الفعلية للوحدة . وتنبثق عنها لجان فرعية لدراسة المسائل العسكرية والاقتصادية إلى أخره .

سيدى الرئيس . لست أدافع عن البعث الآن ولكنها حقيقة ، إن البعثيين بعد الانفصال كانوا هم أشد الفئات تحمسا للوحدة ، أما عن الحوراني فوضعه معروف وقد أصدر الحزب قرارا بشأنه .

أما عن تساؤلات الرئيس ما هو الوضع في سوريا ؟ هل هو انقلاب أم ثورة ؟ من الذي يحكم سوريا ؟ الوزارة أم الجيش أم من ؟ . سؤال صحيح جدا . الحقيقة أن هناك انقلابا قد حدث ولكن دافعه ثورى ، لقد شن الانفصاليون حملة عنيفة قاسية ولكنها لم تؤثر على الشعب العربي إلا اندفاعا نحو الأمة العربية ، ولا يمكن أن نقول إن إخواننا الضباط قاموا بالانقلاب إلا لوجود دوافع شعبية ثورية .

شكل مجلس وطنى لقيادة الثورة وسيكون مختلطا من المدنيين والعسكريين، ونتيجة للمشاورات يصدر قراراته، هذا المجلس هو الذى يعبر عن الثورة، القيادة فيه جماعية، والقرارات بالأغلبية، وهو الممثل الحقيقى للثوره.

نحن أتون بشكل جدى لكى نصل للوحدة لأن القضية بالنسبة لأمتنا قضية حياة أو موت ، الوحدة بالنسبة لنا قضية مصير.»

□ اللواء راشد قطيني: ■ سأبدا الحديث منذ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، لقد قامت بكارثة الانفصال فئة ساندتها الشعوبية والطبقية الرجعية اليمينية استولت على الحكم بطريق عاجل ، ومنذ اليوم الأول قابلها الشعب السورى بوجوم ، منذ اليوم الأول بدأت الاتصالات في الجيش للوقوف في وجه هذا التيار الانفصالي ، ومنذ فترة اجتمعت عدة فئات عسكرية قومية واتفقت فيما بينها على الثورة ، ولم يكن هناك فيما بينها وبين أية جهة مدنية أي اتصال ، وقد شكل مجلس قيادة الثورة من جميع الفئات والهيئات التي اتصلت ثم نفذت الثورة .

لقد أقسم المجلس منذ اليوم الأول أنه لا يوجد هدف للجيش في الحكم، ولقد درس موضوع قيام وحدة أو اتحاد، وهناك رغبة جامحة لاقامة وحدة اتحادية بين الدول الثلاث، وذلك للوقوف أساسا أمام الخطر الكبير الذي يبعد عن دمشق بما لا يزيد عن ستين ميلا، لقد شكلت الوزارة على النحو المعروف لكم، ورأسها واحد من الموثوقين، وتمت إجراءات عنيفة لتطهير الجيش وأقصى منه كل من ليس بعربي، وأصدرت الوزارة بيانها الوزاري الذي صدر أمس، كما طلب المجلس تلبية لرغبة الرأى العام تخصيص فقرة للوحدة الاتحادية بين الدول الثلاث.

ويؤمن الجيش بالفكرة ويطلب تحقيقها ، والرغبة الملحة أنه لا داعى أن ندخل من الآن في تطويلات لنتجنب إرجاء الوحدة ، ولقد سبق أن أخطرنا السيد

طالب شبيب عند عودته من القاهرة منذ أيام بواسطة على صالح بضرورة سفر وفد سورى إلى القاهرة .

اما عن سؤال السيد الرئيس من يحكم سوريا ؟ إن الذى يحكم الآن مؤقتا هو لجنة مركزية من مجلس الثورة ، وتختص بالتوجيه السياسى والتخطيط العام ، وقد اجتمعت هذه اللجنة أمس وقررت أن تبدأ معكم في محادثات عن الوحدة الاتحادية وليس مفاوضات ، إن الرأى العام السورى لا ينتظر ولا يرحم ، إنه يريد أعمالا وليس أقوالا ، إنى أتكلم باسم القيادة والجيش مؤمنا بضرورة البدء فورا بتشكيل لجنة لوضع الأسس التي ستجمع هذه البلدان في وحدة تدوم الاف

□ اللواء زياد الحريرى: « الموضوع ببساطة أننا في الجيش قمنا بثورة القامة الوحدة ، لقد قام النحالوى بعملية غدر ، وكان المسيطر في ٨ أيلول (سبتمبر) الطبقة الرجعية ، ثم جاء ٨ آذار (مارس) وطالب الجيش بضرورة تصحيح الأوضاع . والطريق الصحيح لنا هو إقامة الوحدة المطلوبة ، وإنها بالنسبة لنا حياة أو موت ، لقد حدثت ثورة العراق يوم ١٤ رمضان ، ثم حدثت ثورة سوريا لتضعها في مكانها الصحيح وبوجهها الصحيح ، ورغم الصعوبات فقد نجحت الثورة ، ومنذ اليوم الأول بدأنا دراسة إعادة الوحدة ، وقرر المجلس أنه بدلا من وحدة ثنائية أن تضم لها دولة ثالثة لتكون المنطلق الجديد للوحدة ، ولا ننسى أن العراق كان دائما إقليما منفصلا بعيدا عنا .

والمطلوب الآن يا سيادة الرئيس هو العمل بأقصى سرعة بما يحقق لنا الوصول إلى هدفنا . »

□ المقدم فهد الشاعر: «من الطبيعى أن يكون للوحدة أخطاء ، وإننا جميعا فى سوريا وفى مصر مسؤولون عنها ، ولكن لا ينبغى أن نبحث عمن أساء ، ولكن يجب القضاء على كل إساءة . لقد عم القوات المسلحة والجيش فى فترة الانفصال استياء عام وتذمر ، ولولا هذا لما نجحت الثورة . ونحن كعسكريين قد نخطى، أثناء المعركة ، ولكن المهم هو العمل على تفادى هذه الأخطاء لانجاح المعركة .

ولم يكن إيمان السوريين بوحدة بين قطر أو قطرين فقط ، وإنما هم يؤمنون بالوحدة الشاملة بين جميع الدول العربية ، وعلى هذا الأساس قام التنظيم العسكرى مدعمه الشعب مؤمنا بفكرة الوحدة العربية .

ولقد دخلت حركة التطهير في القوات المسلحة بهدف الابقاء على العنصر العربي الذي يؤمن بهدف الثورة ، وهو الوحدة ، والتي لا يحميها إلا واقع عملي . . نحن الأن

نمثل ثلاثة أقطار عربية متحررة ، وهناك دول عربية آخرى مثل الجزائر واليمن وغيرهما ، ولذلك فإنه يتحتم على دولنا الثلاث العمل بشكل جدى ، وبدون تأجيل من أجل الوحدة ، لأن التأجيل ليس في صالحنا ، وأرى أن يتفق المجتمعون على مباشرة العمل السريع في هذا السبيل .

أما بالنسبة لطريقة البدء، هل نبدأ بالوحدة السياسية، أم بالوحدة الاقتصادية، أم بالوحدة العسكرية. فلست أعتقد أن حل هذه الأمور بالأمر الصعب. فالشعب العربي في كل قطر عربي شيء واحد، فالفلاح الموجود في الصعيد هو نفس الفلاح الموجود في شمال سوريا، وهو نفس الفلاح الموجود في جنوب العراق، والاختلاف موجود فقط بين الطبقة المثقفة. إن الشعوب العربية لا تحتمل التأخير أو أي عبث، ولندع الكلام المطاط، ولننطلق فورا.

□ السيد طالب شبيب: «إن ثورة ١٤ رمضان لم تكن في الحقيقة ثورة عراقية إقليمية ولكن العراق عملت فيه الشعوبية والشيوعية لتحطيم الحس القومى ، ويوجد بالعراق مليون كردى لا يرحبون بالوحدة ، وهناك اختلاف طائفي إلى غير ذلك ، كذلك كانت القاهرة وبغداد في أغلب الأحيان في تنافر تنفيذا لسياسة استعمارية قديمة ، ويجب وضع هذا موضع الاعتبار والتريث قبل اتخاذ قرارات سريعة .

ولا شك من ناحية أخرى أن الوحدة التى تمت بين مصر وسوريا تعد عاملا اساسيا لدعم القوى القومية وتفجير الثورة في ١٤ تموز (يوليو) في العراق، ولا شك أيضا في أن الأخطاء التى تعرضت لها الوحدة ستفيد حتما كتجربة في وضع الأسس الجديدة، لكننا يجب أن نضع في الاعتبار أن الوحدة لا يجب أن تتأثر بعواطف الجماهير، كذلك أريد أن ألفت النظر إلى أن العراق له مشاكله الداخلية الخاصة، وهي مشاكل معقدة. "

وتشعبت المحادثات وطالت وبرزت أراء واجتهادات ، واتضحت اسرار وحقائق ، وبدا واضحا لـ « جمال عبد الناصر » أن هناك « رغبة حقيقية ، وإن تكن مكبوتة " بين جناحى حزب البعث في العراق وسوريا في إنشاء " وحدة بعث " تكون هي الطرف الآخر في الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولم يكن لدى « جمال عبد الناصر » في أعماق أعماقه اعتراض على قيام وحدة بين العراق وسوريا ، كذلك كان يعتقد أن بعث العراق يختلف عن بعث سوريا ، وكان يشعر بأنه يفهم بعث العراق ويتعاطف معه أكثر ـ كما قال هو

بنفسه لـ ، صالح السعدى ، وكتب بخط يده لـ « عبد الحكيم عامر » ـ لكنه كان يشك أل قدرة ، وحدة الحزب » على إقامة « وحدة الدولة » بين العراق وسوريا ، وعلى اى حال فإذا كان ذلك ما تريده الحكومتان في بغداد ودمشق ، فلايكن إعلانه صريحا من ناحيتهما حتى يعرف الناس بالضبط ما هم مقبلون عليه ، وفي هذه الحالة ، فلا داعى لاقحامه هو في الموضوع ، واستغلاله كستار لتصرفات غيره ، وفي كل الاحوال فإنه لم يكن على استعداد للدخول في تجربة وحدوية جديدة لا يستطيع أن يضمن مسارها ، ولا أن يتحمل نتائجها

وصحيح انه تم التوقيع في نهاية محادثات القاهرة على بيان مشترك لانشاء جمهورية عربية متحدة تضم مصر والعراق وسوريا ، وتكون القاهرة عاصمتها ، لكنه كان يعرف منذ اللحظة الأولى أن هذا الميثاق لن يدخل حيز التنفيذ ، ومهما يكن من أمر ، فإن الأسابيع والشهور اللاحقة لم تلبث أن أتت بانقلابات سياسية لها مضاعفاتها في كل من بغداد ودمشق .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان عليه الكثير ، وكانت ضغوط الحوادث تفرض نفسها عليه ، وتتجاذب اهتمامه من اتجاهات شتى ا

الفصل

... ومفاجـأت إضــافية ا



كانت ردود الفعل إزاء هذه المتغيرات التي طرأت على موازين القوى في الشرق الأوسط بعد أحداث بغداد ودمشق مختلفة باختلاف الأطراف وزاوية رؤيتهم

ولم يكن هناك شك لدى الجميع ف أن ما حدث ينطوى على احتمالات لا يمكن الاستهانة بها ، خصوصا إذا وضعت هذه المتغيرات ف مجرى السياق العام للحوادث : انتصار الثورة الجزائرية واستقلال الجزائر (يوليو ١٩٦٢) - يليه قبام وصمود الثورة في اليمن (سبتمبر ١٩٦٢) - ثم سقوط نظام = عبد الكريم قاسم ، في العراق (فبراير ١٩٦٣) - ثم انهيار نظام الانفصال في دمشق بعد سلسلة من الهزات ضربت أساسه (مارس ١٩٦٣) .

كانت هناك ردود فعل متباينة ف المنطقة العربية نفسها ، كما كانت هناك ردره فعل متباينة في العواصم العالمية المهتمة بالمنطقة :

■ ق السعودية بدا رد الفعل الأول وكأنه نوع من التردد ومراجعة النفس . وتد روى « جمال عبد الناصر » ف خطاب كتبه بخط يده إلى « عبد الحكيم عامر »(۱) (الذي كان في اليمن) يقول له :

" اتصل الشيخ حافظ وهبة بالامين العام للجامعة العربية . وطلب منه الالتقاء مع كمال رفعت من أجل بحث العلاقة بين السعودية ومصر . وقد اتصل حسونة بالدكتور فوزى الذى تحدث معى في الموضوع . وقد كان ردى أن الشيخ حافظ وهبة اتصل فعلا مع على خشبة " وإذا كان هناك ما يود إبلاغه فليكن عن طريق على خشبة . وكان قد اتصل بعلى خشبة تليفونيا . حدث هذا من ١٥ يوم تقريبا ، وتمت المقابلة مع على خشبة – أى بعد ثورة العراق باسبوع . وقال في حديثه إن فيصل ضد الحرب ، ولكن سعود هو الذى يصمم على الحرب ، وأن إخوة فيصل يلحون على إيقاف القتال خصوصا بعد ثورة العراق . وقال (حافظ وهبة) إن استمرار المعادك سيستنزف موارد مصر والسعودية ، وأن الذى يستفيد من ذلك هو المستعمر . وقال حافظ وهبة إنه لا يرحب أن تقوم الوساطة لايقاف القتال بين المانبين عن طريق أجنبي بل كان يفضل أن يقوم بها العرب . وقال إننا يمكن أن نتفق على إيقاف القتال . ثم سال هل نحن على استعداد دائما أن نسمع . وبعد ذلك مصرى لا يريد إلا الخير ، وكان الرد نحن على استعداد دائما أن نسمع . وبعد ذلك تمت مقابلة أخرى بين على خشبة وحافظ وهبة فهم منها على خشبة أن فيصل يخشى من تسلل المصريين واليمنيين إلى القبائل في جنوب المملكة والمنطقة الشرقية " .

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » يروى لـ « عبد الحكيم عامر ، تفاصيل المقترحات السعودية ، فقال بالحرف :

« إن حافظ وهبة قال إنه لا فائدة من زيارات « بانش » المقبلة (لليمن) وهو (أي الشيخ حافظ وهبة) يفضل أن تكون الحلول بين الطرفين الحقيقيين المؤثرين في المعركة ، وهما الجمهورية العربية المتحدة والسعودية ، وكانت هذه المقابلة حوالي المرابر .

وبعد ذلك حدثت مقابلة ثالثة يوم ٢٧ فبراير بناء على طلب الشيخ حافظ وهبة الذى قال إنه يفضل ان يسافر إلى السعودية لأن البرقيات قد لا تعطى صورة عن الواقع ، ولذلك فهو يرى ان يعرض الآتى :

 ١ ـ يجب تجاهل سعود وموقفه تجاهلا تاما ، وان فيصل قد افاق لنفسه بعد ان ادرك انه مخلب قط في يد الانجليز.

٢ ـ يمكن الاتفاق على إيقاف القتال من الجانبين على ان يبدا التنفيذ يوم اجتماع مندوبين عن السعودية والجمهورية العربية المتحدة.

٣ ـ يرى ان يتم اجتماع للطرفين في روما ، او اى بلد آخر بعيدا عن الصحافة .

الطرف السعودى الأمير سلطان ، والشيخ حافظ وهبة .

ه ـ يبحث الطرفان كيفية تطبيق إيقاف القتال والانسحاب التدريجي ، وطريقة المراقبة والتنفيذ .

 ⁽١) نصوص حرفية من خطابين من « جمال عبد الناصر » إلى « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ■ فبرايرو ٧ مارس
 ١٩٦٣ وهناك صور لهذه الصفحات في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت ارقام ١٧ و ١٨ صفدة
 ٩٣٧ - ٩٣٧

⁽٢) السفير ، على خشبة ، وقد جرى اللقاء بين الاثنين في لندن على الأرجح .

٢ - يرى أن يكف الطرفان اثناء المفاوضات عن الهجوم الإذاعي والصحفي .

٧ ـ يرى عدم التعرض للماضي اثناء المفاوضات ومحاولة نسيانه . »

وخلص « جمال عبد الناصر » بعد ذلك بانه قرر الموافقة ، وراى ان يكون وفد الجمهورية العربية المتحدة في محادثات روما المقترحة برئاسة » كمال رفعت » ، و في هذه الحالة « فسنطلب إرسال ضابط كبير من عندك للاشتراك في المفاوضات » .

■ في الأردن كان رد الفعل مرتبكا ، فإن التغييرات التي حدثت في بغداد ، ثم في دمشق بعدها ، وما تلا ذلك من مفاوضات ثلاثية في القاهرة ، أحدث هزة بين الجماهير في الأردن ، وقامت مظاهرات في عمان وفي المدن الكبرى من الضفة الغربية للأردن تطالب الحكومة بالالتحاق بمفاوضات الوحدة في القاهرة ، وكان ذلك أكثر مما تحتمله الظروف . ووقعت مصادمات وجرت اشتباكات سقط فيها قتلي وجرحي ، واستقالت وزارة السيد ، وصفى التل » وعهد إلى « سمير الرفاعي » بتشكيل وزارة جديدة كان عليها أن تواجه موقفا مشحونا بالتوتر . وأخطر ما في الأمر أن هذا الذي كان يجرى في الأردن أثار ثائرة إسرائيل ، فبدأت في حشد بعض وحداتها على يجرى في الأردن أثار ثائرة إسرائيل ، فبدأت في حشد بعض وحداتها على الخطوط ، وزاد الموقف ارتباكا .

■ وفي إسرائيل كان القلق حقيقيا يختلف عن المرات التي تقوم فيها إسرائيل بافتعال الخطر لكي تستغل الشعور به سواء داخلها أو خارجها ، وحيث يزداد الاهتمام بأمنها وضماناتها .

وفى ربيع ١٩٦٣ وبعد الشكل الذى أخذته الحوادث فى الجزائر واليمن ، ثم فى العراق وسوريا _ فإن القلق فى إسرائيل كان حقيقيا هذه المرة . وطوال شهر أبريل سنة ١٩٦٣ (الوقت الذى كانت تجرى فيه محادثات الوحدة فى القاهرة) كان مجلس الوزراء الاسرائيلى فى حالة انعقاد شبه دائمة ، سواء على مستوى المجلس بأكمله ، أو على مستوى مجموعة الأمن والدفاع فيه .

وفى ٢٦ أبريل ١٩٦٣ كتب « دافيد بن جوريون » إلى الرئيس الأمريكي « جون كنيدى » خطابا يمكن أن تعتبر محتوياته ونقاطه تلخيصا قريبا إلى حد كبير لما كان يدور في مناقشات مجلس الوزراء . وقد حدد « دافيد بن جوريون » في خطابه إلى « كنيدى » أربع نقاط رئيسية :(٢)

١ - إن التعهد بإقامة اتحاد عسكرى بين الدول العربية الثلاث (مصر ـ سوريا ـ العراق) يتضمن وعدا بالعمل على تحرير فلسطين ، وهذا التحالف العسكرى في حد ذاته سوف يؤثر سلبيا على استقرار ، وأمن إسرائيل .

٢ - إذا حدث اختبار للقوة ، فإن إسرائيل تعتقد أن في استطاعتها
 إلحاق الهزيمة بالدول الثلاث ، وإن كانت لا تتحرق شوقا إلى مثل ذلك .

٣ - إن المساعدات الغربية والأمريكية للجمهورية العربية المتحدة الساعدتها على أن تحصل على الأسلحة السوفيتية لأى عمل ضد إسرائيل دون أن يختصم ذلك من ميزانيات التنمية .

إن الحل الفعال الوحيد لدرء خطر مخططات الجمهورية العربية المتحدة يكمن أ إعلان أمريكي - سوفيتي مشترك يضمن السلام الاقليمي والأمن لدول الشرق الأوسط، ويترتب عليه قطع كل أنواع المساعدات الاقتصادية والعسكرية لأى طرف يرفض الاعتراف بجبرانه.

وقد ركز «بن جوريون » ف خطابه على قوله : « إنه يعتبر الموقف خطيرا إلى درجة انه على استعداد للقيام بزيارة سرية يلتقى فيها مع الرئيس كنيدى دون إعلان أو دعاية لبحث الموقف » . وأضاف إلى ذلك أنه « مع عرفانه الشديد لأهمية صفقة صواريخ الهوك التى قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل ، فإن مجلس الوزراء الاسرائيلي ليس في مقدوره أن يعتبر صواريخ الهوك رادعا كافيا أمواجهة الاسلحة الهجومية الجديدة التى يتزود بها جيران إسرائيل » .

ورد «كنيدى » على هذا الخطاب من » بن جوريون » وقام سفيره في إسرائيل « والوورث باربور » بتسليم رده إلى رئيس وزراء إسرائيل « دافيد بن جوريون » الذى قراه في حضور السفير ، ثم أبدى خيبة أمله . وحاول السفير الأمريكي أن يشرح لرئيس الوزراء الاسرائيلي أن أى رد أكثر صراحة على رسالته يمكن أن يحدث أثارا غير مواتية في الأردن ، وفي هذه الأوقات التي تثور فيها المتاعب في عمان . ورد » بن جوريون » على السفير « والوورث باربور » قائلا: « إن هذه الاضطرابات الجارية في الأردن الآن تواجهنا باحتمال أن نستيقظ ذات صباح فإذا على الضفة الغربية أمامنا قوات من المصريين والعراقيين والسوريين . أو قد نجد أن الجيش الأردني ألى وضع تحت قيادة مصرية ، وهذا وضع لا يمكن احتماله بالنسبة لاسرائيل » .

⁽٣) دراسة على وثائق العلاقات الأمريكية الإسرائيلية قام بها الجنرال « موردخاى جازيت » مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية ، ونشرها معهد « شلواح » لدراسات الشرق الأوسط وافريقيا بجامعة تل ابيب سنة ١٩٨٣

وحاول السفير الأمريكي طمأنة رئيس الوزراء الاسرائيلي قائلا له: « إن تقديرات المخابرات الأمريكية تشير إلى أن الوحدة بين مصر وسوريا والعراق ليست وشيكة الوقوع كما يتصور ، وأن الوحدة العربية لن تتحلق لسنوات طويلة . وفي كل الأحوال ، فإن تحالف الدول الثلاث لن يؤثر كثيرا على التفوق الاسرائيلي . »

وخلال المناقشة أحس «بن جوريون » أن الرئيس الأمريكي لبس متحمسا لاقتراحه (أي اقتراح «بن جوريون») بإصدار بيان أمريكي سوفيتي. وهكذا في نفس الجلسة فإن «بن جوريون» اقترح أن يكون البديل - وهو يراه أكثر فاعلية - أن يكون هناك حلف دفاعي بين إسرائيل والولايات المتحدة تتعهد به الولايات المتحدة أن تقدم لاسرائيل من السلاح ما يوازي ما تحصل عليه مصر وبقية الدول العربية. وعند هذه النقطة استفاض «بن جوريون» في الحديث عن المشروع النووي المصرى، وعن مشروع صناعة الصواريخ في مصر. وتوقف «بن جوريون» كذلك طويلا أمام العلماء الألمان الذين تستخدمهم مصر في ابحاث صناعة الطائرات والصواريخ.

ولم تكن ضغوط إسرائيل و « بن جوريون » مقصورة على تبادل الخطابات والرسائل ، أو الحوار مع الرئيس « كنيدى » أو مع سفيره في إسرائيل ، وإنما راحت إسرائيل تحرك كل الموالين والمتعاطفين معها في واشنطن خصوصا في الكونجرس ، وفي الصحافة والتليفزيون . وعندما عقد الرئيس « كنيدى » مؤتمرا صحفيا يوم ٢٦ أبريل ١٩٦٣ كانت معظم الأسئلة التي وجهت إليه تدور حول الخطر الذي تتعرض له إسرائيل ، وصناعة الصواريخ والطائرات في مصر ، والعلماء الألمان الذين يعملون فيها .

وفي نفس الوقت كانت الريح تهب من الكونجرس على الببت الأبيض شديدة وصاخبة. ولم تقتصر مطالب الكونجرس على الالحاح لتزويد إسرائيل بما تحتاجه من الأسلحة، وإنما بدا التوقيع على مذكرات تطالب الرئيس بوقف المساعدات الأمريكية عن الجمهورية العربية المتحدة. وقام عكنيدى » بإرسيال مساعد وزير الخارجية « ايفريل هاريمان » المعروف بعلاقاته الوثيقة مع الكونجرس ، لكى يستمع إلى أعضائه ويتحدث إليهم . ثم طلب « كنيدى » إلى مجلس الأمن إجراء تقييم جديد للأوضاع في الشرق الأوسط. واقترح « روبرت

الله (1) ، وهو رئيس مجموعة العمل الخاصة في مجلس الأمن القومي السؤولة عن الشرق الأوسط أن يسافر بنفسه إلى المنطقة ، لكي يتحسس سنها ويقيس درجة حرارتها بنفسه ، كما قال . وجاء «كومر » إلى المنطقة للا ، وزار عددا من العواصم العربية بما فيها القاهرة ، وكانت إسرائيل هي النطة التي توقف فيها طويلا في أثناء جولته في المنطقة .



وبتاريخ ٢٧ مايو ١٩٦٣ بعث الرئيس «كنيدى » إلى «جمال عبد الناصر » طابا يمكن اعتباره نقطة تحول في المراسلات الدائرة بين الرجلين . قبلها كان الرضوع المطروح على اهتمامهما هو الأزمة في اليمن . وكانت الاتصالات بينهما في الشأن قد توقفت قرابة شهرين بدا خلالهما أن ترتيبات فض الاشتباك في اليمن سلارة في طريقها برغم العثرات والعقبات .

والآن وفي الرسالة الجديدة (يوم ٢٧ مايو) لم يعد الموضوع هو أزمة اليمن للأ، وإنما اتسع نطاق الموضوع فإذا هو يشمل إسرائيل والمفاعلات النووية والمسواريخ وضغوط الكونجرس، الخ. وكان «كنيدى» في نهاية خطابه يتقدم إلى بمال عبد الناصر» باقتراح أن يوفد ممثلا شخصيا على مستوى عال لكى يقابله في الأهرة، ويتباحث معه في هذه الموضوعات كلها، وكان نص رسالة «كنيدى» كا يلى :(٥)

⁽i) كان ، روبرت كومر ، شخصية غريبة ، وكانت خدمته كلها في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ومنها الشره ، مك جورج باندى ، مستشار الرئيس للأمن القومى لكى يعمل معه مختصا بالشرق الأوسط ، وكان ذلك الأدى جعله مسؤولا عن مجموعة العمل الخاصة بالشرق الأوسط في مجلس الأمن القومى . وفيما بعد عين ، ومر سفيرا للولايات المتحدة في انقرة ، وسبقته إلى هناك سمعته بالخدمة في وكالة المخابرات المركزية ، وسبت في ذلك الوقت وثيقة أكدت للأتراك دوره البارز في العمليات السرية لهذه الوكالة . واستقبلته في انقرة عدائية ، واضطرت حكومته إلى سحبه والاعتذار رسميا عن تعيينه للحكومة التركية .

⁽۱) مجموعة أوراق «كنيدى » الخاصة ، وهي محفوظة في مكتبته ، وكذلك وثائق ملفات وزارة الخارجية الربكية ، وتوجد كذلك نسخة من هذه الرسالة ﴿ أَرْشَيْفَ مَنْشَيَةَ الْبَكْرَى ، كما توجد نسخ منها ﴿ وَزَارَةَ النَّاسِكِينَةُ الْمُعْلِينَةُ الْمُعْلِينَةُ النَّاسِكِينَةً الْمُعْلِينَةً النَّاسِكِينَةً النَّاسِكِينَةً النَّاسِةِ النَّاسِكِينَةً النَّاسِكِينَا النَّاسِكُونَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكِينَانَا النَّاسِكُونَانَا النَّاسِكُونَانَانَانِينَالِينَالِينَانِينَالِينَانِينَانِينَالِينَالِينَالِينَالِينَانِينَالِينَالِينَالِينَانِينَالِينَ

« عزيزى الرئيس ناصر

رجوت السفير بادو بان يقدم إليكم هذه الرسالة ويتحدث معكم في شانها . اما وعملية فض الاشتباك في اليمن تقترب من بدايتها ، على ما هو مؤمل ، فقد بدا ل من المستصوب ان اعاود الاتصال في ضوء تطورات بضعة الاشهر الاخيرة

إن سياسة الولايات المتحدة ، كما شرحتها لكم ، لم تتغير ، ولست ارى في الوقت الحالى سببا لتغييرها . وطبيعي أن الكونجرس يضطلع ايضا بدور رئيسي في الأمور المتعلقة بالمعونة . ولكن سياستي تتحصل في مواصلة برامجنا المتعلقة بالمعونة الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ، وأمل أن يواصل الكونجرس رؤية الأمور على هذا النحو ايضا .

لقد شدت انتباهى يا سيادة الرئيس عدة نقاط وردت في خطابكم الأخير إلى . إذ قلنم إن الجمهورية العربية المتحدة لا تعتبر أن رسالتها تتمثل في توزيع الثورة بطريقة عشوائية على الشعوب الأخرى في العالم العربي ، واعربتم عن اعتقادكم بأن افضل ما تستطيع الجمهورية العربية المتحدة تقديمه من حيث رسالتها الثورية إزاء العرب هو أن تكون نموذجا عمليا لقدرة العربى على تطوير حياته صوب مستقبل افضل . وإننا لنتعاطف مع هذا الاعتقاد ، ولهذا السبب عينه حاولنا أن نكون عونا للجمهورية العربية المتحدة في إيجاد النموذج العملى ، وظللنا نسعى في هذا السبب

وفى الوقت عينه ، فإنى واثق من انكم تشاطروننى قلقى خشية ان تحدث في الفترة الحالية للمناورة والتقلب في الشرق الأدنى تطورات غير مواتية تسبب لكلينا مشكلات ، ولهذا السبب أود التعبير بصراحة عن « لماذا أنا قلق ؟ =

□ اولا ـ إنى لمنزعج اشد الانزعاج لأنه إذا اصبح الأردن ميدانا لصراع عربى المؤن التدخل الاسرائيلي في الأردن كفيل بتدمير سلام الشرق الأوسط بحجة المصالح الأمنية الخاصة لاسرائيل وربما واجهنا امرا واقعا ، فإذا رات الدول العربية الاخرى انها ملزمة بالرد على مثل هذا الموقف ، فربما ترتب على ذلك صراع كبير ، وهو صراع يوحى تقييمنا له بأن القوات العربية ربما كانت بلا اى مزية منه .

□ وثانيا ـ إن سباق التسلح يحمل بذور الكارثة ايضا بالنسبة لنا جميعا ، ونحن مغتبطون لانه ليس بين دول الشرق الادنى دولة استحدثت الاسلحة النووية ، وسنواصل النصح بعدم اتباع هذه السياسة . وإن التقدم الجارى في استخدام الطاقة النووية في الإغراض السلمية في إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ليبشر بالرفاهية لشعوب المنطقة . على انه إن لم توجد ضمانات كافية ، فلعل مفاعلات الطاقة تحول إلى اغراض عسكرية . ومن هنا تستطيع إسرائيل ان تمتلك القدرة على استحداث اسلحة نووية في بضع السنين المقبلة إذا ما حولت جهودها صوب هذا الاتجاه . إن القذائف الهجومية التي يجرى اليوم استحداثها في كل من إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة من شانها بدورها ان تضيف بعدا جديدا خطيرا ، ولايد من درء هذه المخاطر بكيفية ما

□ وثالثا ـ الولايات المتحدة تدرس بصورة عاجلة ما يتعين عمله للمساعدة على تفادى حدوث اضطراب خطير في المنطقة . ونحن في هذا المسعى نضع نصب اعيننا أراء العرب ومصالحهم بكل شدة . وإذا كانت مسالة أمن إسرائيل ووحدة اراضيها ـ باعتبارهما من الاهتمامات العميقة والمستمرة للولايات المتحدة ـ لم تحل حتى هذه النقطة دون نمو علاقات ودية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، فإنى أمل الا تحول دون ذلك في المستقبل . وإيا كان ما نستكشفه من تدابير أو ما نعيد إعلانه من سياساتنا مما نشعر باننا ملزمون بإجرائه بسبب الوضع الناشىء ، فلن يكون هذا معاديا للجمهورية العربية المتحدة ، ولا نحن ضد وحدة عربية يتم اختيارها بحرية على ما اوضحت لكم . وإننا لنؤيد عملية صبغ العالم العربي بالصبغة العصرية ، كما اعتقد اننا اظهرنا ذلك في اليمن . على اننا التي إذ تاخذ نفسها بالنظم العصرية ، تفضل الابقاء على انظمة الحكم الحالية فيها . وبالمثل فإذا كنا نعارض العدوان من دولة ضد دولة آخرى في المنطقة ، فالذي نعنيه ليس اعتداء العرب على إسرائيل وحسب ، وإنما نعنى ايضا أي اعتداء إسرائيل ، وهو ما برهنا عليه في عام ١٩٥٦ ، وما نعنيه بنفس القدر في يومنا الحالى .

وصفوة القول اننا سنزن اقوالنا وافعالنا بالدقة ، وبالقدر الذى تبدو ضرورته لكى نوضح المبادىء الاساسية لسياستنا . ويهمنا أن ننهج سبيلا متعادلا مع جميع اصدقائنا ، ونامل الا يصبح هذا الامر صعبا علينا بلا ضرورة . ويهمنى ، بموافقتكم ، أن أوفد مساعدا موثوقا به لكى يقابلكم في القريب بشأن بعض من هذه الامور .

المخلص جون ف. کنیدی ه

ويوم ٧ يونيو رد « جمال عبد الناصر » على رسالة « كنيدى » وتعمد أن يكون رده عليها مفصلا ، وكان نص خطابه إلى الرئيس الأمريكي كما يلي :(١)

• عزيزي الرئيس كنيدي

تسلمت خطابكم بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٦٣ ، وقبل ان ابدى بعض الملاحظات عليه ، فإنى اود ان اكرر لكم شكرى على كل الجهود التى بذلتموها وتبذلونها من اجل الوصول إلى حل للأزمة التى وقعت نتيجة لما تعرضت له الثورة اليمنية من تهديد وجه إليها من خارج الحدود

 ⁽١) اصل الرسالة موجود ق ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخ منه ق ملفات رئاسة الوزراء ، ووزارة النارجية ، والقيادة العامة للقوات المسلحة .

وما من شك أن شعوب الأمة العربية تقدر كل جهد يبدل لتحقيق السلام القائم على العدل ، وليس يقلل من قيمة جهودكم في تقديرنا أن الطرف الاخر ما زال يحاول ، حتى الآن ، مواصلة نشاطه العدواني ضد ثورة اليمن لقد بذلتم جهودا مخلصة ، ونرجو أن تمكن إجراءات الرقابة الدولية من تدعيم هذه الجهود بما يحقق هدفها ، ولا يترك مجالا لاحتكاكات على حدود جمهورية اليمن يمكن أن تكون لها أثار بعيدة .

وانتقل بعد ذلك إلى ما اود إبداؤه من ملاحظات ارجو ان تتقبلوا صراحتى في عرضها ، فكل هدف منها هو تعميق التفاهم بيننا ، وتوضيح فكر كل منا امام الأخر على نحو محدد وامين :

اله الولا اله الله المنطقة المناعدات التي تقدمها لنا الولايات المتحدة الأمريكية وإن هذه المساعدات وبغير جدال تزيد من سرعة التقدم الذي يضطلع به شعب الجمهورية العربية المتحدة وليكون وفضلا عن قيمته الذاتية له الموذجا بناء في العمل الثوري امام كل الشعوب المتطلعة بحق إلى حرية الوطن وحرية الانسان المواطن وحرية الانسان المواطن و

ومن هنا فإن هذه المساعدات في راينا لا تخدم الأمل العربي وحده ، وإنها هي تخدم المل الانسان في كل البلاد المتطلعة إلى غد افضل . ولقد اشرتم إلى دور الكونجرس الأمريكي في تقرير المساعدات الأمريكية ، ولست اخفي عليكم أن تصريحات بعض اعضائه بصدد هذه المساعدات تحدث في بلادنا أثارا كان يمكن لها أن تقلل من حماستنا لها ، لكن ذلك يعوضه شعورنا بالجهد الذي تبذلونه لاقرارها - كذلك فنحن نفهم طبيعة الضغوط التي يتعرض لها بعض اعضاء الكونجرس من قوى تملك كل إمكانيات التأثير - وتصدر في اعمالها عن مصالح غير امريكية ، على اننا نؤمن دائما بانتصار الحق مهما واجهته المصاعب .

□ ثانيا ـ لقد اشرتم إلى الاضطرابات التي حدثت في الأردن ، وانا اود ان اتوجه بكل شرف إليكم بسؤال :

ـ ما الذي سبب هذه الإضطرابات؟

إن هذه الاضطرابات كانت رد فعل مباشر للسياسة الخاطئة التي تورطت فيها حكومة الأردن ضد النظام الثورى في اليمن ـ هذه هي الحقيقة وليس من حقنا جميعا أن ننساها .

إن تورط الحكومة الأردنية في الأعمال المعادية للثورة اليمنية احدث تمزقا في القوات المسلحة الأردنية التي امر افراد منها بسفك دماء إخوة لهم في الوطن وفي المصير، وقد عكس هذا التمزق نفسه في عملية مجيء قائد سلاح الطيران الأردني بنفسه إلى القاهرة لاجئا سياسيا ، وتبعه في اليوم التالي اثنين من طياريه بطائراتهم الحديثة من طراز « هنتر » يريدون الانضمام لصفوف الثورة في اليمن ويرفضون ، حتى وإن كان الأمر صادرا إليهم من حكومتهم ، أن يقفوا في الصف المعادي للثورة .

ولقد سرى رد الفعل الذى ظهر تمزقا فى القوات المسلحة فى سلسلة متداعية ، فظهر فى صفوف مجلس النواب الأردنى برغم كل الاجراءات التى اتخذت اثناء انتخاباته الضمان سيطرة الحكومة عليه ـ ثم تفجر ذلك كله غضبا شعبيا عبر عن نفسه بقوة ووضوح فى اول مناسبة مكنته الظروف منها .

واضيف إلى هذا تفصيلا اكثر.

لعلكم تعرفون انه كانت تربطنى شخصيا في يوم من الأيام صداقة بالملك سعود ، وفي تلك الأيام فلقد كنت اعرف ان هذه الصداقة تتصادم مع الواقع الذي يمثله كل منا ، لكنى مع ذلك كنت حريصا على هذه الصداقة لأسباب كثيرة ليست كلها منا يدخل في باب العاطفة ، لقد كنت اعرف طبيعة النظام الملكى في السعودية ، وكنت اعرف انه متعارض مع طبيعة العصر ذاتها ، ولقد كنت اتمنى لو استطاعت صداقتنا مع الملك سعود ان تنبهه تدريجيا إلى اتجاهات اكثر ملاءمة مع طبيعة العصر ، ويشهد الله اننى لم اقصر ابدا في مصارحته بكل ما اعتقده خيرا له وخيرا لبلاده ، وكان اقصى مناى لو استطاع الملك ان يعد بصره إلى بعيد ، وان يسبق التطور المحتوم ويمهد للتقدم ، ولا يعرض بلاده واسرته لتجربة لا مفر منها إذا ما سارت الامور فيما كانت تسير فيه ، خصوصا في مثل الاوضاع التى تسود بلاده .

ومن سوء الحظ ان الملك لم يسمع ، واكثر من ذلك اندفع يحاول ان يغرض على المنطقة اتجاها معاكسا لاتجاه مسيرها التقدمى ، ومن هنا مشاكله ، ومشاكل كل النظم التى تسير في طريق بعيد عن امانى شعوبها .

ولقد كنت وما زلت اؤمن انه خير ما يستطيعه هؤلاء الذين لا يستطيعون مسايرة التقدم ، هو ان يتواروا ولا يعترضوا مساره الحتمى .

إنهم بمحاولتهم التصدى للتقدم لا يحققون اكثر من تعويقه قليلا من الوقت ، لكنهم يعرضون انفسهم الخاطر محققة .

وهكذا ، فإنه في الأردن ، وفي السعودية تقع مسؤولية المتاعب الداخلية اولا واخيرا على الذين ينسون انه لا شيء يستطيع التصدى لارادة الحياة الجديدة .

□ ثالثا ـ تحدثتم باستفاضة عن سباق التسلح في الشرق الأوسط، وعن احتمالاته الخطيرة ، ولقد تابعت على كل حال الضجة الكبيرة التي اثيرت في عواصم العالم كلها ضد الجمهورية العربية المتحدة بسبب ما نشر عن استعداداتها للدفاع عن نفسها ، وتحاول إسرائيل ، في هذه الظروف بالذات ، أن تثير مسالة استعانة الجمهورية العربية المتحدة ببعض العلماء الألمان .

ولقد كنا نتوقع هذه الضجة ونحسب حسابها ، وفي ظننا انها سوف تزيد مرات عما هي عليه الآن بقصد التأثير على الراى العام الأمريكي ، وعلى مؤسساته الدستورية في ظروف تقترب فيها الانتخابات العامة ، خصوصا انتخابات الرئاسة

إن هذه الضبعة كلها تستهدف إحداث نتيجتين:

احد معاونيكم القابلتي والتحدث إلى بشان بعض ما أشرتم إليه في خطابكم ، وإنه ليسعدني دائما أن أستقبل من ترون إرساله من معاونيكم لهذا الغرض ، ولسوف تكون حفاوتنا الحقيقية به ، كممثل لكم ، أن نتحدث إليه في صراحة الاصدقاء وإخلاصهم .

إمضياء جمال عبد الناصر ،

وفی ۱۰ یونیو ۱۹۹۳ رد « کنیدی » علی رد » جمال عبد الناصر » علیه ، وکان نص رده کما یلی :(۷)

« عزیزی الرئیس ناصر

تلقيت رسالتكم المؤرخة في ٧ يونيو وقراتها باهتمام . وإنى لأرحب بالصراحة التي اعربتم بها عن ارائكم فيها . وكما اشرتم بحق ، فإنه بمثل هذه الصراحة يمكن تحقيق فهم افضل لمشكلاتنا المشتركة . وسابقى لا اقل صراحة في عرض المسائل التي تهم حكومتي .

وبادىء ذى بدء ، دعنى يا سيادة الرئيس اعرب عن اغتباطى الشخصى لانه ترتب على الاجراء الذى اتخذه مجلس الامن في ١١ يونيو أن اتخذ مراقبو الامم المتحدة طريقهم الآن إلى اليمن . وبات الآن ميسورا الشروع بكل صدق في فض الاشتباك . وإن الدور البناء الذى قام به وفدكم في الامم المتحدة ، وسفارتكم في واشنطن للمساعدة على تحقيق ذلك ، لهو دور جزيل الفائدة . ولست أرى أى بديل عمل لكون جميع الاطراف تعمل على جعل فض الاشتباك المذكور عملا ناجحا .

ثانيا ، عند النظر في الدائرة الكاملة للمشكلات التي يواجهها كلانا ، فالذي انا مقتنع به هو إنه لا يوجد ما هو اهم من مشكلة استمرار سباق التسلح في الشرق الادني . وفي الفترة الإخيرة شهدت كل سنة منقضية مزيدا من الاسلحة المتطورة تدخل إلى المنطقة . وما لم يتم كبح جماحها ، فقد تصبح حتى الاسلحة النووية أمرا محتملا في المستقبل غير المفرط في نايه . واعتقد ، كما أوضحت في رسالتي المؤرخة في ٢٧ مايو ، أن من المفيد إرسال مساعد موثوق به لكي يقلب الرأى معكم فيما يمكن لفا القيام به سوية لوقف هذا التصعيد الخطير في سباق التسلح .

وقد طاب لى أن أسمع من السفير بادو أنكم ترجنون بزيارة هذا الممثل الشخصى و وقد رجوت السيد جون ج. ماكلوى أن ينوب عنى في التحدث في هذا الشان . والسيد ماكلوى هو من أبرز مواطنى أمريكا ، وله في الخدمة العامة سجل طويل ، وفي مجال الحد من الاسلحة تجربة لا نظير لها . وهو يتمتع بثقتى الكاملة . والذي ١ - زيادة حصيلة صناديق الجباية الاسرائيلية تحت إنذار الخطر الموهوم.
 ٢ - الإساءة للعلاقات النامية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ،
 والشعوب العربية بوجه عام .

إن إسرائيل تعرف ان جو الصداقة يفتح افاق النية الحسنة ، وبالتالى يمكن من التعاون الحر المثمر ، كما انها تعرف ان جو الشك يصبح هو نفسه السياسة المفروضة على كل الأطراف مهما كانت نواياها .

ولقد لفتت نظرى في خطابكم عبارة قلتم فيها « إنه في تقديركم إذا نشبت معركة مسلحة بين العرب وإسرائيل ، فإن القوات العربية قد لا تكون في مركز المتفوق . .

إن هذه العبارة تدفع إلى تساؤلات كثيرة ، خصوصا إذا ما لاحظنا ان الجمهورية العربية المتحدة لم تبدأ أبدأ بعدوان وإنما كان العدوان دائما من الجانب الآخر المعادى لها .

هذه التساؤلات :

ا _ إذا كانت الولايات المتحدة ترى تفوق إسرائيل في السلاح ، فلماذا تبيع لها المزيد منه ، كما حدث اخيرا بتزويدها بالصواريخ من طراز «هوك » ؟

 ٢ - إذا كان الأمر كذلك ، ومع ثبوت نوايا العدوان الاسرائيلى بالتجارب ، تجربة بعد تجربة ، الا يصبح من حق الطرف العربى ان يصحح موقفه ، وان يكون على استعداد لمواجهة الاسوا ؟

 \Box رابعا - اشرتم إلى موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الصراع العربي - الاسرائيلي ، ومحاولاتها الوصول به إلى حل ، وإنى لاسمح لنفسي هنا ان اذكركم بما تشرفت بإبدائه لكم في خطاب سبق ، وهو انني اصلى إلى الله من اجل يوم تواجه فيه الولايات المتحدة مشاكل الشرق العربي بوحي من المبلديء الأمريكية والمصالح الأمريكية . إن السلام لا يقوم - في راينا - إلا على العدل ، وبغير عدل لا يكون سلام ، وسلام الأمر الواقع ليس سلاما حقيقيا ، وإنما هو هدنة يحكمها تغير موازين القوى التي تخلق امرا واقعا جديدا .

وليس يخالجنى شك ان ميزان القوى يتجه إلى صالح العرب ، فإن هنا ، في هذه المنطقة ، من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسي ، امة عربية سوف تتحد يوما مهما طال عناؤها في سبيل وحدتها ، وذلك امر جربته الأمة الأمريكية العظيمة ذاتها في تجربة وحدتها . وإذن فاى سلام يمكن ان يقوم على الأمر الواقع اليوم ، ويقدر على مواجهة الغد إذا لم يكن على العدل سنده ؟

إننى افتح لك قلبى مؤمنا بحقك على ، كصديق ، أن أضع أمامك صورة دقيقة لا أؤمن به .

وبعد فلقد اشرتم _ يا عزيزى الرئيس _ في ختام خطابكم إلى انكم تريدون إرسال

⁽٧) مجموعة الأوراق الفاصة للرئيس الأمريكي ، جون كنيدي ، .

فهمته هو انه پناسبکم استقبال السید ملطوی بین یومی ۲۹ یونیو و ۲۹ یونیو ، وساطلب منه زیارة القاهرة فی هذه الفترة

وسيرافق السيد ماكلوى اثنان من رجال وزارة الخارجية لمساعدته وامل ان توافقوا على عقد هذه المبإحثات في سرية تامة دون نشر شيء عنها رغبة في ضمان جدواها .

المخلص جون ف. کنیدی ه



بدأ المستر " جون ماكلوى " المبعوث الخاص الذى اختاره الرئيس الأمريكى " جون كنيدى " لبحث التطورات والأحوال في الشرق الأوسط على الطبيعة وبعد كل ما طرأ من المستجدات _ يستعد لزيارة المنطقة ، وكانت وجهته الأساسية في رحلته هي مصر وإسرائيل بالذات . وقدم له « روبرت كومر " مجموعة من التقارير المتوافرة لدى مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض . ومن جانبه قام " ماكلوى " بزيارة مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في ضواحي واشنطن ، وقد حضر اجتماعا مطولا للتعرف على الحقائق والمعلومات عقد في مكتب « جون ماكون " مدير الوكالة ، وكان أبرذ الحاضرين فيه هو « جيمس أنجلتون " مساعد مدير الوكالة وزعيم التيار المنادى داخل الوكالة بأن إسرائيل هي الصديق الحقيقي الذي يمكن الاعتماد عليه في المنطقة .

كان « جيمس أنجلتون » هو مدير العمليات الخاصة للوكالة إلى جانب كونه مساعدا لمديرها ، وكان (وقد سبقت الاشارة إلى ذلك) هو المشرف على ميزانية « الصندوق الاسرائيلي » الذي أنشىء من أيام الحرب العالمية الثانية لمساعدة اليهود في أوروبا ، ثم تحول بعد الحرب لكي ينظم عمليات جمع المعلومات التي تقوم بها بعض « العناصر اليهودية » التي تعيش في البلدان الشيوعية بما فيها الاتحاد السوفيتي .

واللبت هذه المهمة الجديدة فائدتها القصوى(^) ، وزادت قيمة « الصندوق الاسرائيلي » كما زادت بشدة سقوف اعتماداته ا

والآن وفي الاجتماع الذي عقد في مكتب « ماكون » أحس « جون ماكلوى » أن بيمس أنجلتون » متحمس إلى درجة زائدة لمشروع إسرائيل النووى في بيمونة » ، بل وسمع بعد الاجتماع من همسوا في أذنه بأن « أنجلتون » بالتعاون مع إسرائيل يشحن لها بعض المعدات والمواد اللازمة لمشروعها النووى ، ويصرف عليها من موازنة « الصندوق الاسرائيلي » .

ولقد أدرك « ماكلوى » أن مهمته أصعب مما قدر .

ورأى « ماكلوى » أن يقضى إلى الرئيس « كنيدى » ببعض مخاوفه ، والها أن تنجح إسرائيل في مشروعها النووى الأمر الذي شيفرض على العرب أن يبحثوا الأنفسهم عن مخرج نووى .

وتكشف الوثائق الأمريكية أن «كنيدى » طلب تقدير وكالة المخابرات المركزية من قدرات إسرائيل النووية ، ولفت النظر أن رد الوكالة عليه كان غريبا في لهجته ، لله جاء فيه بالنص ما يلي :(١)

" إن أى صرخات يطلقها العرب (حول المشروع النووى الاسرائيلي) سوف تنتهى بالاحباط ، ولن يجدوا أمامهم طريقا مفتوحا لمعادلة إمكانيات الانجاز الاسرائيلي . فنحن لا نعتقد أن الاتحاد السوفيتي على استعداد لتقديم سلاح نووى إلى الحكومات العربية . فليس معقولا من وجهة نظرنا أن يقدم الاتحاد السوفيتي إلى مثل هذه الانظمة أنواعا من نظم السلاح لم يقدمها إلى توابعه في الكتلة الشرقية . إن الاتحاد السوفيتي ليس أمامه إلا محاولة استغلال الفرص السياسية » .

قبل أن يغادر « جون ماكلوى » واشنطن في طريقه إلى المنطقة وقع تطور لم بنصب له في إسرائيل . ففي أواخر شهر يونيو قدم « دافيد بن جوريون » استقالته

⁽۱) استطاع اليهود اله الاتحاد السوفيتي الحصول على نص الخطاب السرى الذى القاه الزعيم السوفيتي البيعية السوفيتي المتوادف ، في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي (فبراير ١٩٥٨) والذى تضمن هجوما دا على عهد « ستالين » والذى احدث تسريبه بواسطة وكالة المخابرات المركزية ضجة كبرى في العالم ادت إلى درج شديد للقيادة السوفيتية ، وللحزب الشيوعي السوفيتي .

⁽۱) نص من مذكرة وقعها رئيس لجنة التقديرات في الوكالة ، وهو المستر « شيرمان كنت » والنص الكامل للنكرة موجود في مكتب الرئيس ، جون كنيدى ، بالصندوق رقم ۱۱۹ .

من رئاسة الوزارة في إسرائيل بعد أن استفحلت الصراعات والانقسامات بين الأحزاب والكتل المشاركة فيها _ وقامت وزارة جديدة برئاسة « ليفي أشكول » .

واتصل « جون ماكلوى » بالرئيس « كنيدى » يسئله ما إذا كانت الظروف ما زالت مناسبة في رأيه للمضى في مهمته في الشرق الأوسط بعد استقالة « دافيد بن جوديون » أو أن الأنسب هو التأجيل حتى تستقر الوزارة الاسرائيلية الجديدة برئاسة » ليفي أشكول » وتقوم ب « إعادة دراسة الملفات » . وقام الرئيس » كنيدى » بطرح المسئلة من جديد في مجلس الأمن القومي ، وكان الغريب أن « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض اتصل ب « ماكلوى » تليفونيا بعد باندى » مجلس الأمن القومي ، وأبلغه بأن « الرئيس يرى أن تمضى في مهمتك ، وأن تقتصر المهمة على القاهرة فقط لأن الاسرائيليين في ظروفهم السياسية الطارئة بالتغيير الوزارى ليسوا مستعدين بعد لاستقباله » .

بدا الأمر غريبا في القاهرة عندما اتضح لها أنها المقصودة وحدها بمهمة «ماكلوى » ، وطلب « جمال عبد الناصر » من الدكتور « محمود فوزى » إعداد تقدير موقف سياسي لما يراه في هذا الوضع . وكتب الدكتور « فوزى » بخط يده مذكرة جاء فيها :

« السيد الرئيس

١ - لقد فهمنا من رسالة كنيدى ان مهمة ماكلوى سوف تجرى بالتوازى على
 الناحينين .

٢ - اقتصار هذه المهمة على القاهرة معناه انهم يريدون الحصول منا على وعود دون مقابل لها من الطرف الآخر .

٣ -قد ترون مناسبا ان يكون موقفنا موقف من يفسح صدره لما يسمع دون ان يربط نفسه بقرار نهائى .

٤ - قد تذكرون أن التجارب أثبتت لنا أننا نمارس السياسة بنوايا طيبة ، وليس ذلك مسلك الطرف الآخر . ثم نجد أنفسنا ملزمين بوعودنا ، وأما هم فلا يلزمون أنفسهم بعهد ، وإذا تعهدوا فالعهد وسيلة لكسب الوقت تساعدهم على السير أسرع فيما هم فيه سائرون . »

ووصل « جون ماكلوى » إلى القاهرة ، وعقد اجتماعا مطولا مع الرئيس ، جمال عبد الناصر ، حضره الدكتور « محمود فوزى » .

وفى أثناء الاجتماع تجلى لحظة بعد لحظة أن مخاوف الدكتور « محمود فوزى » كان لها ما يبررها ، فقد تبدت مطالب « ماكلوى » في النهاية على النحو التالى :(١٠)

ا - إن الولايات المتحدة تطلب من مصر إيقاف برنامجها لانتاج الصواريخ .

[وساله « جمال عبد الناصر » عن برنامج الصواريخ الاسرائيلي ، ورد « ماكلوى » بأنه سوف يذهب إلى إسرائيل في رحلة أخرى يقوم بها مستقبلا إلى الشرق الأوسط ، وسوف يحاول الحصول منها على وعد مماثل . وأضاف « ماكلوى » أنه لا يستطيع أن يضمن أن الرد الاسرائيلي سوف يكون في ذلك الوقت إيجابيا لكنه يعتقد أن حصوله على رد إيجابي من مصر الآن يعزز موقفه أمام الاسرائيليين حين يقابلهم ، كما أن مثل هذا الرد الايجابي يثبت للرئيس « كنيدى » صدق نوايا الجانب المصرى ، كما يسهل موقفه إزاء الكونجرس في موضوع المساعدات الاقتصادية لمصرى .]

Y ـ طلب « ماكلوى » أن تقوم الجمهورية العربية المتحدة بالاستغناء عن خدمات عالم الصواريخ الألماني الشهير الدكتور « وولفجانج بيلز » باعتباره نازيا سابقا ، واضاف أن معلومات المخابرات الأمريكية أن « بيلز » كان هو الذي اشرف على تطوير صواريخ V-1 و V-2 التي وجهها « هتلر » إلى لندن في المراحل الأخيرة من الحرب العالمية الثانية . كذلك طلب « ماكلوى » أن تستغني الجمهورية العربية المتحدة عن خدمات الخبراء الألمان الذين يعملون مع ، بيلز » .

[ورد « جمال عبد الناصر » بأن العالم كله بما فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يستخدم الخبراء الألمان في الصواريخ . وأنه لم يسمع أن صوتا في الولايات المتحدة ارتفع مطالبا بإخراج الدكتور « فون براون » المشرف على مشروع الصواريخ الأمريكي بدعوى أنه نازي سابق في حين أنه كان كذلك ، وأكثر من الدكتور « بيلز » في حماسته لألمانيا الهتلرية . وأضاف قائلا إن صناعة الصواريخ في رأيه لا تعنى إنتاج الصواريخ كمجرد سلاح عسكرى ، وإنما هو يراها كما يرى صناعة الطائرات ـ محاولة عربية للتعرف على تكنولوجيا العلم الحديث . وأن مدرسة الخبراء المصريين المحيطين بالدكتور

⁽١٠) مذكرة كتبها الدكتور «محمود فوزى » بخط يده ، ثم تولت مكاتب الرئاسة طبعها على الآلة الكاتبة من خمس نسخ وزعت على : ارشيف منشية البكرى ـ رئيس مجلس الوزراء ـ وزير الحربية ـ وزير الخارجية ـ رئيس هيئة المخابرات العامة

« بيلز » والذين يتعلمون منه ومن زملائه هي في رأيه أهم من مصنع الصواريخ .]

٣ _ اشار « ماكلوى » في حديثه إلى ان الولايات المتحدة ترى انه يجب ان يكون لها فريق تفتيش على المنشأت النووية في مصر بما فيها مفاعل » انشاص » يكون له الحق في زيارتها دوريا إلى جانب القيام بزيارات مفاجئة للتاكد من انها باقية [إطار « الذرة من أجل السلام »

[ورد = جمال عبد الناصر » بأنه يعتبر ذلك تدخلا في مسائل من صميم السيادة المصرية ، خصوصا وأنه يعلم بيقين أن الحكومة الاسرائيلية رفضت أن تعطى لحكومة الولايات المتحدة أية معلومات عن مفاعل ديمونة . بل إن الحكومة الاسرائيلية رفضت أن تسمح بزيارة وفد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي لمفاعل ديمونة رغم إلحاح أعضاء هذا الوفد على = دافيد بن جوريون = شخصيا في أثناء زيارة أخيرة لهم لاسرائيل .]

وعاد π جون ماكلوى π إلى واشنطن ليقول للرئيس « كنيدى π = ف تقرير قدمه إليه π صراحة إنه لم يحرز تقدما يذكر في القاهرة ، وأنه يعتقد أن هذا التقدم لا يمكن إحرازه إلا إذا كان الجهد الأمريكي قادرا على أن يثبت وجوده في إسرائيل بحيث تتأكد القاهرة أن هناك نوعا من التوازى π أو التوازن في المسعى الأمريكي .

كانت إسرائيل بكل ما تقدر عليه من وسائل ، وما يملكه أصدقاؤها من إمكانيات سياسية أو غير سياسية تحاول وقف برامج مصر غير التقليدية . ولم يكن اعتمادها على ما يبذله الرئيس «كنيدى » من جهود ، أو ما يقوم به مبعوثه الخاص من اتصالات . كانت في حالة مزاج سوداوى تزين لها العمل المباشر مهما كانت

وفي ذلك الوقت تلقت القاهرة تقريرا حصلت عليه المخابرات اليوجوسلافية من روما ، وكان التقرير يشير إلى الحملة الواسعة والمركزة التي تقوم بها إسرائيل ضد العلماء الألمان بالتحديد . ويقول التقرير : « إن هذه الحملة تحاول أن تثبت في اذهان الراى العام العالمي ثلاث نقط يزداد الالحاح عليها يوما بعد يوم :

١ ـ إن هؤلاء العلماء الألمان آثروا خدمة مصر استمرارا لتعصيهم ضد اليهود ، وقد كان في استطاعتهم الحصول على شروط وظروف أفضل للعمل في الولايات المتحدة ، أو الاتحاد السوفيتي .

٢ - إن هؤلاء العلماء الألمان يعملون في إنتاج اسلحة غير تقليدية بعضها محرم دوليا كالاشعاعات والأسلحة الكيماوية ، وهذا يجعلهم بمثابة محرمى حرب

٣ ـ إن إسرائيل لا تستطيع أن تقف موقف المحكوم عليه في انتظار الحكم ، وإنما يتعين عليها أن تتصرف قبل أن يفوت الأوان . »

ومضى التقرير اليوجوسلاف بعد ذلك يقول: « إن هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلي قدمت إلى رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » قبل استقالته لللا عمل يقوم به سلاح الطيران الاسرائيلي مرة واحدة بغارة مفاجئة ومركزة على مصانع وقواعد الصواريخ المصرية في الصحراء الغربية ، وتدميرها تدميرا كاملا وشاملا ».

ثم يستطرد التقرير فيقول : « إن الخيارات المفتوحة امام مصر لمواجهة مثل هذه الغارة سوف تكون أحد احتمالين :

١ - إما أن تلجأ مصر إلى الأمم المتحدة بشكوى ضد إسرائيل ، وفي هذه الحالة تستطيع إسرائيل إبراز حقها في الردع المبكر في الدفاع عن النفس .

٢ - وإما أن ترد مصر بالحرب معتبرة أن الغارة الاسرائيلية ضربة أولى ، وفي هذه الحالة ، فإن التفوق العسكرى سوف يسمح لاسرائيل بضربة إجهاض قبل أن تتغير خريطة الشرق الأوسط بالوحدة الثلاثية أو بأى عمل وحدوى غيرها ، وقبل أن يصل برنامج الصواريخ المصرى إلى حد النجاح الكامل .»

ولم يحدث ما توقعه التقرير ، ويبدو أن استقالة « بن جوريون » ومجىء « ليفى اشكول » بدلا منه غير الموقف على مستوى صنع القرار الاسرائيلي عند القمة ، ومع ذلك ، فإن أساليب العمل المباشر لم تتوقف .

وفي صيف ١٩٦٣ كان الدكتور «هاينز كروجر» وهو احد مساعدى الدكتور «بيلز» قد سافر إلى ميونيخ في المانيا الغربية لاجازة مع اسرته . وفجاة اختفى الدكتور «كروجر» ولم يعثر له على اثر ، وتاكد انه خطف في ميونيخ ، وانه ارسل بطريقة ما إلى إسرائيل ، ومن يومها ضاع كل اثر له . وبعدها بايام كان الدكتور « هانز كلاينفستر » وهو احدى مساعدى الدكتور « بيلز » يقوم

الفصل الثالث

السحب الزاحفـــة



عندما وصلت محادثات الوحدة الثلاثية إلى الطريق المسدود الذي وصلت إليه مع بدايات صيف ١٩٦٣ ـ لم يكن معنى ذلك أن الحوادث سوف يتوقف زحامها ردانعها . أو أن الموقف يمكن تثبيته عند النقطة التي كان عليها . كان طبيعيا ان نكن هناك ردود فعل لتعثر محادثات الوحدة الثلاثية سواء على مستوى العمل العربي العام، أو على مستوى الأقطار التي كانت معنية بها ، خصوصا إذا وضعت في الاعتبار حقائق التناقضات الداخلية القائمة بين الأطراف التي قامت بالتغيير في بغداد ردشق .

والذى حدث أنه ما كادت محادثات الوحدة الثلاثية تقف أمام الباب المسدود ، حنى بدأ التراجع إلى مواقع الخلاف الذى لم يكن هناك سبيل إنسانى لايقافه . رشبت بغداد تقلصات عنيفة توقفت عند النقطة التى تمكن فيها الرئيس ، به السلام عارف = من الانفراد وحده بالسلطة وإزاحة حزب البعث رغم دوره الكبر في حركة ٨ فبراير .

وفي سوريا تسارعت مشاهد الصراع بين الضباط الذين قاموا بحركة ٨ مارس ناختنى قائد هذه الحركة « زياد الحريرى » ونفى إلى أوروبا ، كما أزيح الفريق ، الذي الأتاسى » الذي كان قائدا عاما للقوات المسلحة ، ثم توالت عمليات السقوط

بنزهة ل احد منتجعات الغابة السوداء ل المانيا الغربية ـ حين فوجىء بمجموعة رجال مسلحين يطلقون النار عليه ، وقد أصيب بجراح ، ولكنه نجا بمعجزة ا

وفى أثناء احتفالات عيد الميلاد سنة ١٩٦٣ تلقت سكرتيرة الدكتور « بيلز » الأنسة « هيلدا ايكبرج » طردا تصورته يحمل هدية لها ، وكان بالفعل يحمل لها كتابا صدر حديثا في ألمانيا . وفتحته ، وإذا بشحنة متفجرة تمزق وجهها وتصيبها بالعمى .

وكان الدكتور " بيلز " يقضى إجازة عيد الميلاد ف المانيا ، وفوجىء برسالة تدعوه إلى مقابلة المستشار الألماني « لودفيج إيرهارد » . وذهب « بيلز " إلى موعده مع المستشار ، وإذا هو يقول له : « إن الحكومة الألمانية ترى ان نشاطه في مصر يعرضها لمشاكل كثيرة من جهات متعددة . وانه يرجوه باسم الوطن ان يجد لنشاطه مجالا آخر غير مصر "!!

والاختفاء ، ولحقتها بالطبع عمليات الظهور والبروز لعناصر جديدة تحاول تأمين نفسها قبل أى اعتبار آخر .

وكانت تلك حالة تبعث على القلق في المشرق العربي .

وفي جنوب شبه الجزيرة العربية كانت هناك شواهد كثيرة تدعو بدورها إلى القلق . وكانت جهود فض الاشتباك في اليمن هي الأخرى أمام طريق مسدود ، فالأوضاع في اليمن ما زالت هشة والعمليات العسكرية ما زالت تجرى ، وقد تعقد الموقف العسكرى أكثر بظهور عنصر المرتزقة الأجانب . وكانت المشكلة الملحة أن فريق مراقبي الأمم المتحدة الذي أوكلت إليه مهمة الاشراف على فك الاشتباك في اليمن لم يعد في استطاعته العمل لاختلاط المواقع ، كما أن المدة المقررة لمهمته وهي ستة شهور كانت قرب نهايتها ، وكذلك كانت الاعتمادات المالية المخصصة لتمويل مهمة هذا الفريق قد أوشكت على النفاد .

وفى يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٣ استقبل « جمال عبد الناصر » السفير « جون بادو »(١) الذى عاد قبل أيام من إجازته فى الولايات المتحدة ، والذى أراد أن ينقل إلى الرئيس المصرى تفاصيل لقاء له مع الرئيس الأمريكي « جون كنيدى » جرى بينهما يوم ١٠ سبتمبر .

وقال السفير «بادو» للرئيس «جمال عبد الناصر» نقلا عن الرئيس « كنيدى » :

المشكلة المباشرة في رأى الرئيس كنيدى هي خطر انتهاء نشاط مراقبي الأمم المتحدة ، فعمل هذا الفريق سوف يتوقف تماما في أوائل شهر نوفمبر اللهم إلا إذا تم عمل شيء لمد أجله . ولو حدث أن سقط دور الأمم المتحدة في هذا المنعطف الحرج لكانت النتيجة في أقل القليل نوعا من الكارثة . ففي غياب نشاط مراقبي الأمم المتحدة فإن الاحتمال كبير بأن تحاول الحكومة السعودية زيادة دعمها على نطاق واسع للملكيين ، ولو حدث هذا فربما أدى إلى حدوث مصادمات متجددة على الحدود بين الجمهورية العربية المتحدة والقوات السعودية ، وهو أمر يؤدى إلى استرجاع جميع المشكلات التي كانت قائمة في الشتاء الماضي . وإذا حدثت مواجهة مباشرة بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية ، قلن يكون من شان ذلك

إلا زيادة القلق الشديد ، وازدياد الانتقاد في الولايات المتحدة الملتزمة التعرف الرئيس جيدا باستقرار المملكة العربية السعودية » . وعاد » بادو » بعد ان خلص بن عرض محصلة حواره مع الرئيس « كنيدى » – إلى تسجيل بقية وقائع لقائه هو بع الرئيس » جمال عبد الناصر » فقال « لقد الح السفير في اتخاذ الخطوات التي نكفل استمرار العمليات الحالية للأمم المتحدة . وقال إن تحقيق هذا يحتاج إلى قيام الاطراف المعنية – وهي الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية بالإطراف المعنية العام للأمم المتحدة برغبتهما في ان تواصل الامم المتحدة القيام بورها كمراقب ، وكذلك فإن على هاتين الدولتين ان تعربا للسكرتير العام عن استعدادهما للاستمرار في تقديم مساهمتهما المالية اللازمة لعملية الامم المتحدة اليمن » لان الجوانب المالية عنصر اساسي في ذهن السكرتير العام الان .

راتفق الرئيس « ناصر » على ان إنهاء عمل فريق مراقبي الأمم المتحدة في اليمن بوضوع خطير ، وفي اعتقاده ان حكومته قد تؤيد ما اقترحه السفير من اسلوب عمل .

لم قال السفير إن إجراء قدر من الانسحابات الجديدة لقوات الجمهورية العربية التحدة من اليمن في المستقبل القريب يخدم مصالحها خدمة كبيرة ، ويساعد على للدئة الموقف . كما قال إن آخر تقديرات المخابرات المتاحة للرئيس « كنيدى » تظهر أن الجمهورية العربية المتحدة ما زالت تحتفظ بنحو ٣٢ الف جندى في اليمن .

رقال الرئيس إن الجمهورية العربية المتحدة قامت بسحب بعض قواتها لعالا ، فلى رفت من الأوقات وصل عدد القوات المصرية في اليمن إلى ٤٠ الف جندى ، وهم الآن لعد في الحدود التى ذكرها السفير . وهناك خطة الآن لسحب بعض الوحدات ، وليس في النية استبدالها . وقال السفير إنه سيعاود الاتصال بالرئيس بعد طلب نعليمات جديدة عليات من واشنطن . »

لل يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٣ بعث الرئيس «كنيدى» برسالة شخصية إلى الرئيس د جمال عبد الناصر » قام بتسليمها له السفير « جون بادو » وجاء في نص الرسالة (٢)

بيتعين على بروح التبادل الصريح للآراء الذي اعتقد ان كلينا بات يقدر قيمته - انهي إليكم قلقى الشخصى الشديد لتباطؤ الجمهورية العربية المتحدة حتى الآن على الاضطلاع بدورها في اتفاقية فض الاشتباك في اليمن . واعتقد أن من الانصاف لن اذكر أن السعوديين يضطلعون بالجانب الخاص بهم من الصفقة . وبناء عليه للا املك اي تاثير على فيصل عندما يتبين أنه ، وقد اضطلع بجانبه من الصفقة ،

[﴿] ١) مذكرة كتبها السفير « جون بادو » عن وقائع المقابلة بتاريخ ٧ اكتوبر ، وعنوانها « مذكرة بمناقشة عن الموقف في اليمن بين الرئيس جمال عبد الناصر ، والسفير الأمريكي جون س . بادو يوم ■ اكتوبر ١٩٦٣ ، . وقد ارسل بادو نسخة منها إلى رئاسة الجمهورية ، واصلها موجود في ارشيف منشية البكري ، كما أن هناك نسخة منها في ارشيف وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المخابرات العامة .

 ⁽۱) بجرعة أوراق ، كنيدى ، وملفات الخارجية الامريكية ـ كما توجد أيضًا نسخة ف أرشيف منشية البكرى.

ما زال يرى القوات المصرية في اليمن ويسمع من القاهرة عبارات بعادية .

ومن ناحية اخرى ، لم تقم الجمهورية العربية المتحدة بانسحابات على مراحى ، وبالدرجة التي تتفق مع فهمنا لروح الاتفاقية . ونحن نفهم بعض الأسباب التي دعت إلى ذلك . ومع هذا فلا يسعنا ان نغمض العين إزاء حقيقة ان الجمهورية العربية المتحدة لا تفي بعهد قطعته للأمم المتحدة وتم بضمانة الولايات المتحدة باعتبارها صديقا للطرفين . وبسبب دورى الشخصي في هذا الأمر ، فاعتقد انكم تستطيعون فهم شعورى بالورطة حين أرى حكومة الولايات المتحدة تتعرض للنقد من الخارج والداخل على حد سواء . وليس امامي مفر من أن اقول لكم إن هذه المسالة تعقد جهودى الخاصة في الكونجرس لمواصلة سياستنا الودية في مجالات المصلحة المتبادلة . وإذا نحن سمحنا لليمن بان تؤثر في مصالحنا الاكبر منها ، فإننا المصلحة المتبادلة . وإذا نحن سمحنا لليمن بان تؤثر في مصالحنا الاكبر منها ، فإننا نكون بذلك فقدنا قدرتنا على تشكيل الحوادث وسمحنا لها بأن تطغي علينا . »

وأحس « جمال عبد الناصر » أن الرسالة في بعض تعبيراتها تحمل مظنة تهديد ، وأبدى رأيه بذلك للسفير « جون بادو » . ثم أبدى بعد ذلك ملاحظة قال فيها :

" إنه على استعداد لأن يقدر الورطة التي يتحدث عنها الرئيس كنيدى لسياسته في اليمن . وهو على استعداد لأن يسلم بأن السعودية خففت بعض اوجه نشاطها المباشر في اليمن ، لكنه كان يتصور ان المخابرات الأمريكية التي احصت عدد المورزة الموجودة في اليمن وابلغت به كنيدى ـ كان عليها ان تحصى ايضا عدد المرتزقة الأجانب العاملين في اليمن وتبليغ الرئيس الأمريكي بعددهم ايضا . " ثم اضاف « عمال عبد الناصر » : " إنه ليس مستريحا لبعض العبارات الواردة في رسالة كنيدى إليه ، وهو يؤثر ان يتغاضي عنها حرصا على العلاقات الاكبر التي يتحدث عنها الرئيس كنيدى ، ولكن الأطراف جميعها عليها ان تتحلى بقدر من الصبر وضبط النفس لأن ازمة اليمن بطبيعة المسرح الذي تجرى عليه والمناخ السائد على هذا المسرح ـ تحتوى على عناصر وقوى تصعب السيطرة عليها ومن الناحبتين ! "

وكان الموقف في المغرب لا يقل مدعاة للقلق عنه في المشرق العربي ، أو في الجنوب العربي _ فقد راحت القاهرة تتابع محاولات أمريكية لتدعيم وجودها في قاعدة « هويلس » في ليبيا ، وتظهر وثائق مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض أن سياسة الولايات المتحدة في ليبيا كانت _ إلى جانب أهداف أخرى متعددة _ تسعى لتعزيز وجودها العسكري قريبا من الجمهورية العربية المتحدة .

ن ۲۸ سبتمبر ۱۹۹۳ کتب « روبرت کومر » مذکرة (۲) للرئیس « کنیدی » جاء النص :

« ســرى

مذكرة إلى الرئيس

إنك سوف تقابل رئيس وزراء ليبيا الجديد « الفكينى « صباح يوم الاثنين المقبل ، وعليك ان تتحدث إليه برقة ، وان تقنعه بان بلاده ليست في حاجة إلى مساعدات امريكية .

إن تعداد سكان ليبيا هو مليون وربع مليون نسمة ، وقد عاشوا حتى الآن على كرم الولايات المتحدة التى اعطتهم في السنة المالية ١٩٦٣ ـ مساعدات قدرها ٢٠٦ ملايين دولار . والآن فإن ليبيا تعوم على بحر من رسوم إنتاج البترول المسلم . وفي السنة القادمة سوف يزيد هذا المبلغ إلى مائة مليون ، وفي السنة التالية سوف يصل إلى ٣٠٠ مليون ، ويواصل الزيادة بعد ذلك . إن ليبيا على هذا النحو هي « كويت » اخرى ، ولم تعد في حاجة إلى مساعدات امريكية .

ولكن " الفكينى " يستعمل وجود قاعدة " هويلس " كحجة لطلب مساعدات منا ، وهو يدعى أن وجود القاعدة يخلق مشاعر معادية لها (للقاعدة) ويتعلل بأن الوسيلة الوحيدة لتخفيف حدة هذا العداء للقاعدة أن تكون هناك مساعدات امريكية في مقابلها .

في هذه النقطة عليك ان تتحدث له بصراحة بان وجودنا في قاعدة هويلس شانه شان وجود البريطانيين في قاعدة العظم (طبرق) هما خير ضمان لتامين ليبيا ضد اى محاولة للاستيلاء عليها من ناصر الذي يقف على الباب المجاور . إن وجودنا في ليبيا هو الضمان الحقيقي لامنها ، وعليك ان تقول لرئيس الوزراء الليبي ، إننا لا نرى سببا يجعلنا ندفع لهم لميزة اننا نقوم بحمايتهم ، وعلى رئيس الوزراء الليبي ان يواجه منتقديه بهذه الحجة القاطعة » . بجانب ذلك فعليك ان تذكره بان الاستثمارات الامريكية هي التي اعطت ليبيا ثروتها من البترول ، وسوف يكون من الصعب علينا ان نقنع الكونجرس بغير ذلك .

الفكينى أيضًا قد يسمعك بعض النغمات المعادية لاسرائيل ، وعليك أن تكون حازما معه ، وتواجهه بأننا لا ننوى أن نسمح للعرب بالهجوم على إسرائيل أو العكس لاحظ أنك تركت انطباعا عظيما على الفكينى عندما قابلته من قبل في أثناء عمله كسفير لبلاده هنا ، وقد أبديت أمامه بعض الأراء السياسية العامة ، وسوف يكون سعيدا إذا فعلت ذلك مرة أخرى .

کومر 🛚

⁽۲) بسوعة مالكل مجلس الأمن القومي ـ مكتبة الرئيس «كنيدي » برقم ٣٥٤٥ . .

وراء ليبيا إلى الغرب كانت حكومة الجزائر المستقلة تواجه اوضاعا حرجة مع بداية عهد الاستقلال ، فقد كانت هناك أولا تناقضات الثورة بملابساتها الانسانية والسياسية والتاريخية . وكذلك كان هناك ـ ثانيا ـ الموقف الذي نشأ عن رحيل المستوطنين الفرنسيين تاركين مزارعهم للبوار . ثم كانت هناك ـ ثالثا ـ تطلعات الشعب الجزائري الذي ضحى بمليون شهيد ، وكان أمله الآن أن يعيش السلام ف حين أن الوضع الاقتصادي العام كان مترديا .

وكتب « بن بيلا » إلى « جمال عبد الناصر » بحقيقة الأوضاع الاقتصادية في الجزائر . ورد عليه « جمال عبد الناصر » برسالة كتب أصلها بخط يده وجاء فيها :

« شعرت بالقلق بعد اطلاعي على رسالتكم الخاصة بالحالة الاقتصادية لأن الأوضاع الاقتصادية لها التاثير الأول على الوضع السياسي.

نحن على استعداد لمعلونتكم بكل ما نستطيع لمواجهة الموقف . وانا على استعداد لايفاد الدكتور القيسوني في الحال إليكم ليشرح لكم رايه في حل هذا الموقف .

ولمواجهة الموقف بسرعة ارى ان تاخذوا المباداة ، وتكون الحركة على مراحل ومضى « جمال عبد الناصر » بعد ذلك يشرح مراحل العمل الذى يقترحه على « بن بيلا »(٤) .

وفي هذه الظروف الصعبة من الناحية السياسية والاقتصادية والنفسية في

الجزائر، نشب فجأة على الحدود بينها ، وبين المغرب نزاع على منطقة ، تندوف ، الجزائر، نشب فجأة على الحدود بينها البلدين بسرعة خطرة إلى حد ينذر باللجوء وتطور النزاع على تخطيط الحدود بين البلدين بسرعة خطرة إلى حد ينذر باللجوء للسلاح . وكانت القاهرة أقرب إلى الجزائر بتأثير علاقات خاصة ربطتها بالثورة الجزائرية من أول يوم . وقد قامت بإرسال بعض المساعدات للجزائر ، ولكن هذه المساعدات سبقتها رسالة من «جمال عبد الناصر» إلى «بن بيلا ، جاء فيها بالحرف :

« إننى أناشدك أن تحول بكل جهدك دون تحوّل خلافكم مع المغرب إلى صراع مسلح . وأرجوك أن تعرف أن المساعدات التي هي في الطريق إليكم لها هدف معنوى وسياسي بالدرجة الأولى ، ولذلك فإننى أدعوك إلى التزام أقصى درجات الحذر واليقظة في هذه الظروف العاصفة .»

وفى يوم ۲۷ اكتوبر طلب السفير الأمريكى « جون بادو » مقابلة عاجلة مع ، جمال عبد الناصر » ليبلغه رسالة شفوية جديدة من الرئيس « كنيدى » إليه عن طورات النزاع الجزائرى ـ المغربى ، والدور المحتمل للجمهورية العربية المتحدة به وجاء في هذه الرسالة الشفوية(٥) ما يلى :

ا الولايات المتحدة تشعر بقلق شديد بسبب الخصومة الجزائرية ـ المغربية . وهناك دلائل تشير إلى ان هذه الخصومة قد تتحول إلى حرب ربما سيقت إليها دول اخرى .

٢ - إن الولايات المتحدة حرصت - كما حرص غيرها من الدول الغربية - على تفادى
 التورط في هذه الأزمة برغم أن هناك أنباء تواترت في العالم على خلاف ذلك .
 ٣ - إن إعادة السلم إلى شمال أفريقيا هو أمر حيوى بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة .

الولايات المتحدة بناء على ذلك مستعدة لتاييد الامم المتحدة ، او اى مبادرة دولية اخرى تبشر بحل عادل سلمى .

إن اى تدخل على نطاق واسع من جانب حلفاء الجزائر قد يؤدى إلى إثارة حرب شاملة يمكن أن تطغى فيها اعتبارات الدول الكبرى على المصالح المحلية .

النظر إلى قلق المملكة العربية السعودية من فشل فض الاشتباك في اليمن - فإن أى تورط متزايد من جانب الجمهورية العربية المتحدة في الجزائر قد يشجع السعوديين رغم الاحتجاجات القوية والمستمرة من جانب الولايات المتحدة على مناصرة الملكيين اليمنيين ، حتى على مستوى اعلى مما كان قبلا .

٧ - إن مجلس الشيوخ الأمريكي، سوف يقترع في الأسبوع المقبل على قانون المساعدات الخارجية بعد مناقشات غير معتادة من حيث طولها ومرارتها. وقد تعرض موقف الجمهورية العربية المتحدة لضعف خطير بسبب فشلها في فض الاشتباك بصورة جوهرية في اليمن. وإن اى دليل على ان الجمهورية العربية المتحدة ترسل أسلحة أو مواد أو رجالا إلى الجزائر قد يؤدى لعلا إلى إجراء تشريعي يمنع الادارة من المضى في تقديم معونة فعالة إلى الجمهورية العربية المتحدة.

 $\Lambda = 1$ الولايات المتحدة لا تستطيع ان تتصور ان الجمهورية العربية المتحدة au ترغب في توريط نفسها في موقف من شانه ان يزيد الصراع ويدعو إلى تدخل خارجي ويرهق الموارد الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ويعجل باتخلا

 ^(*) كتب السفير ، بادو ، مذكرة عن النقط التى ابلغها للرئيس ، عبد الناصر ، نقلا عن الرئيس ، كنيدى ، وبث بنسخة منها في اليوم التالي إلى رئاسة الجمهورية . واصل المذكرة محفوظ في أرشيف منشية البكرى ، وقد أرسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المغابرات العامة .

^{(£]} النص الكامل لرسالة « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى « بن بيلا » منشورة بالكامل ﴿ اللَّجَقَّ الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٤٩ صفحة - ٩٤١

إجراء من جانب الكونجرس الأمريكي من شانه إضعاف العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية العربية المتحدة إضعافا خطيرا . •

وأضاف السفير الأمريكي إلى ذلك من عنده أنه سمع عن معلومات تشير إلى أن كوبا الشيوعية تقوم بمساعدة الجزائر ، وهو لايتصور أن القاهرة سوف تضع نفسها في ذات الموقع مع كوبا .

وأصغى « جمال عبد الناصر » إلى رسالة « كنيدى » الشفوية التى نقلها إليه « بادو » وقال له : « إنه يجدها رسالة هامة ، وتستحق ردا تكون معانيه وألفاظه محددة بما لا يقبل مجالا للبس أو سوء الفهم ، وأن على صبرى سوف يسلمه في الوقت المناسب ـ وقريبا جدا ـ ردا مكتوبا منه على رسالة كنيدى . »

وفى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٦٣ بعث السفير الأمريكي «جون بادو» بخطاب شخصي منه إلى الرئيس «جمال عبد الناصر» جاء فيه بالنص:

« عزيزى السيد الرئيس

في اثناء نقاشنا الذي جرى يوم الاحد اشرت امامكم إلى معلومات سمعتها عن التاييد الكوبي لحكومة الجزائر في نزاعها الحالى مع المغرب . وقد راجعت بعناية أخر التقارير المتاحة من المخابرات ، ويتضح منها ان هناك سفينتين كوبيتين على الأقل دخلتا ميناء « وهران » وتواتر انهما تنقلان دبابات واسلحة . وهناك سفينة كوبية ثالثة وردت إلينا اخبار موثوقة بانها في الطريق .

واستنتج مما تقدم ان الكوبيين يحاولون تقديم عون عسكرى ضخم إلى الرئيس بن بيلا .

مع الاحترام.

جون س. بادو السفير الأمريكي .

وفى يوم ٣١ أكتوبر عاد «جون بادو» فكتب خطابا(٢) أخر إلى «جمال عبد الناصر» جاء فيه بالنص:

« عزيزى السيد الرئيس

واصلت عن كثب متابعة التقارير المتعلقة بالمساعدة الكوبية للجزائر ، ويؤخد من أخر معلوماتي التي يعول عليها أنه في الفترة بين ٢١ ـ ٢٣ اكتوبر قامت سفينة الشحن الكوبية « ارازيليا اجليسياس » بدخول ميناء وهران ، وانزلت منها معدات

عسكرية متنوعة ، منها دبابات ت ـ ٣٤ ، وسيارات لورى ، ومدافع هاوتزر من عيار ١٢٢ مم وذخائر . و في يوم ٢٥ اكتوبر نزل من هذه السفينة بضع مئات من الكوبيين برتدون ازياء الجيش الجزائرى . و في ٢٢ اكتوبر هبطت طائرتا نقل كوبيتان من طراز = بريتانيا = في مطار الدار البيضاء في الجزائر ، ونزل منها ١١ جملته ٣٤٠ فردا بن العسكريين .

باحترام .

جون س. بادو السفير الإمريكي ،

كان «جمال عبد الناصر » يعد مسودة رده على «كنيدى » _ وكانت تتنازعه عوالل ساسية ونفسية متعددة . كان يريد أن يحتفظ بالعلاقات مع « جون كنيدى » ربا باللوب الحوارطالما أن ذلك كان ممكنا ، وفي نفس الوقت لم يكن يريد أن يغامر بالساعات الأمريكية ببساطة في إطار خلافات عاصفة ، وإن كان يراها مؤقتة _ لكنه في نس الوقت لم يكن مرتاحا لنبرة التهديد التي بدأت تظهر في رسائل «كنيدى » بنكر الهروها يوما بعد يوم . كما أن حرصه على المساعدات الأمريكية لم يكن في رايه كانبالبله يتهاون في قبول أي قيد على حرية حركته . وكتب ثلاث مسودات المشروع الرب من عن أي منها .

رفجاة ، وفي الساعة التاسعة وعشر دقائق من مساء يوم الجمعة ٢٧ لوفمبر ١٩٦٣ ـ اصيب العالم كله بذهول ، وهو يستمع إلى نبا اغتيال الرئيس الأمريكي « جون كنيدى » بطلقات رصاص وجهها إلى ظهره » لى ارزوالد » في اثناء زيارة قام بها الرئيس الأمريكي لمدينة « دالاس » .

لم بكن « جمال عبد الناصر » قد التقى وجها لوجه ب « جون كنيدى » لكن الرسال التصلة والمتبادلة خلقت بينهما نوعا من الصداقة الوثيقة رغم كل اسباب سرء اللم ، وصعوبة القضايا التى كان عليهما مواجهتها معا .

كل « جمال عبد الناصر » يشعر إلى جانب اسفه الشخصى لاغتيال اكتبيال الموقف الدولى بعد غيابه عن المسرح سوف يتأثر على نحو او اخر . ولا النه بعد عدة أيام من اغتيال « كنيدى » بالسيدة « باندرانايكا » رئيسة وزراء سبلان وراعرب لها عن مخاوفه من احتمالات الموقف الدولى بعد غياب » كنيدى » . وكان بنه مرحلة جديدة من الحرب الباردة يثبت فيها « ليندون جونسون » خليفة المنبي لل البيت الأبيض قدرته على إدارة شئون العالم من منظور واشنطن ، ولم

⁽٦) صور من رسائل «بادو » وبتوقيعه منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت ارقام ٥٠ و ٥١ صفحة ٩٤٤ م١٤٤

يكن ما يسمعه ويقرؤه عن « جونسون » مشجعا . واقترح « جمال عبد الناصر » على « باندرانايكا » أن « الوقت قد حان لعقد مؤتمر جديد على مستوى القمة للدول غير المنحازة ، فأمام هذه الدول على الأرجح مرحلة جديدة من الحرب الباردة لابد أن تتأهب لها حتى لا تفاجأ بأية تطورات » .

وبعث « جمال عبد الناصر » برسالة إلى «نهرو » عن خواطره في هذا الشأن ، ورد عليه « نهرو » بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٦٣ برسالة شخصية جاء فيها :

« صديقى العزيز

سلمنى سفيركم في دلهى خطابكم إلى وارانى على اتفاق معك ومع رئيسة وزراء سيلان في ضرورة عقد مؤتمر آخر لبلدان عدم الانحباز في وقت ما في العام القادم . وسوف اظل على اتصال بسفيركم هنا لتطوير هذه المبادرة .

إن ما حدث مؤخرا من اغتيال الرئيس كنيدى، ابعد عن الساحة الدولية واحدا من المهندسين الرئيسيين لسياسة الانفراج الدولى . وإذا كان الرئيس جونسون قد اعرب عن عزمه على مواصلة سياسات كنيدى ، فإن وفاة الرئيس كنيدى المبكرة وإبعاد يده المتزنة عن توجيه سياسات الولايات المتحدة ، ربما تؤدى إلى إبطاء سير عملية الانفراج .

جواهر لال نهرو .



مساء يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٣ عاد = جمال عبد الناصر » إلى بيته بعد منتصف الليل بعد أن انتهى لتوه من محادثات طالت إلى أكثر من ثلاث ساعات مع = شوين لأى = رئيس وزراء الصين الذى كان يقوم بزيارة رسمية إلى القاهرة وقتها . ومر بمكتبه في الدور الأول من بيته قبل أن يصعد إلى غرفة نومه في الدور الثانى ، لكى يحمل معه ملف التقارير اليومية الذى كان يحرص على الاطلاع عليه كل ليلة قبل أن يحمل معه ملف التقارير اليومية الذى كان يحرص على الاطلاع عليه كل ليلة قبل أن يأوى إلى فراشه . ومع أنه كان يشعر بإرهاق شديد نتيجة لعمل يوم اتصل حتى منتصف الليل ، فإنه فيما يبدو أراد أن يلقى نظرة - ولو سريعة - على أحداث اليوم ، لكى يتأكد من أنه ليس هناك مسألة تقتضى قرارا عاجلا .

وأوى إلى فراشه وبجانبه ملف ضخم ، وسحب منه اول مجموعة من الأوراق بلنى نظرة عليها ، واستغرقه ما قرأ . وقضى الليل ساهرا حتى الصباح يفكر فيه . كان ما قرأه يحمل عنوان « توصيات الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء اركان حرب الجيوش العربية في الدورة السابعة غير العادية المنعقدة في المدة من ٧ _ الديسمبر ١٩٦٣ » _ وكان برفقة هذا التقرير بالتوصيات تلخيص لمحضر اجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، ومجمل لوقائع المناقشات التي دارت بينهم .

لقد وضح أمامه أن رؤساء أركان حرب الجيوش العربية (٧) يقفون أمام مأزق لايستطيعون تجاوزه . وكان المأزق سياسيا لأن الحكومات العربية عهدت إلى مجلس الدفاع المشترك منذ أكثر من سنة بأن يدرس الوسائل الكفيلة بمنع إسرائيل من إتمام سروعها لتحويل مياه الأردن . ثم نسيت هذه الحكومات العربية كل شيء عن الرضوع ، وانهمكت في خلافاتها الداخلية والعربية . واحس « جمال عبد الناصر » رس يقرأ أوراقه أن رؤساء أركان الحرب يوجهون نداء استغاثة إلى السياسيين الذين رسعوهم أمام مهمة مستحيلة ، وتركوهم هناك وانصرفوا عنهم إلى شواغلهم المعفيرة .

وعند الفجر طلب « جمال عبد الناصر » تليفونيا من مكتبه أن يتصل باللواء ، عبد المنعم رياض » وهو عضو في الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء اركان حرب الجيوش العربية ـ حتى يجىء إلى مقابلته في الساعة الثامنة صباحا ، لكى سمع منه تفصيلا حقائق ما دار في الاجتماع .

ووصل عبد المنعم رياض » في موعده ، وبدأ على الفور يقدم تقريرا شويا إلى « جمال عبد الناصر » عما جرى في الاجتماعات . وكانت الصورة التي رواها « عبد المنعم رياض » قاتمة ، فشعور قادة الجيوش العربية كله مرارة ، وإحساسهم بالعجز شديد وهم يرون أنهم يكلفون بمهام لا يجدون تحت تصرفهم وسائل تنفيذها ، في الوقت الذي يقوم فيه السياسيون بمزايدات هدفها إحراج بضهم البعض بينما إسرائيل ماضية في مشروعاتها بدون توقف .

يوم ١٦ ديسمبر حضر = جمال عبد الناصر = وكان معه « شوين لاى » احتفال عبد العلم في جامعة القاهرة . ثم تحولت زيارة « شوين لاى » من زيارة رسمية إلى زيارة شخصية لأن رئيس وزراء الصين كان يريد أن يخصص ثلاثة أيام للتعرف على مضارة مصر القديمة .

 ⁽٧) اشترك في الاجتماعات رؤساء اركان حرب جيوش: الأردن والجزائر والسودان والعراق والسعودية رسريا ومصر واليمن والكويت ولبنان وليبيا مع الأمين العام لجامعة الدول العربية ، بالإضافة إلى مقرر الهيئة الاستشارية العسكرية التابعة لمجلس الدفاع المشترك.

وتفرغ « جمال عبد الناصر » للموضوع الذي أصبع شاغله مستوليا على كل اهتمامه وفكره.

كان تفكيره يتحرك على الخطوط التالية :(^)

 ١ - إن الأوضاع في العالم العربي تتطلب خطوة كبيرة تضعه على طريق آخر غير هذا الطريق الذي يسير فيه الآن.

Y _ إذا كنا نفكر ونعد لمؤتمر قمة لدول عدم الانحباز _ فمن باب اولى أن نفكر ونحاول عقد مؤتمر على مستوى القمة للعالم العربي . خصوصا وأن أي تعديل أساسي في المسار العربي لا يمكن تعنيقه الآن إلا على مستوى القمة . خصوصا وأن إمكانيات أي عمل وحدوي ليست متاحة في الوقت الراهن ، ومن الصعب الاقتراب منها _ كما أن سياسة المحاور لم تؤد في الماضي إلا إلى زيادة الاستقطاب العربي .

٣ ـ إنه مهما كانت الصعوبات والحساسيات التي تحكم الموقف العربي الآن ، فإن المحاولة تستحق أي جهد يبذل فبا .

إنه إذا أمكن عقد مؤتمر قمة عربى ، فإن ش هذا المؤتمر قد يكون الاطار الذي يمكن أن تتحقق فيه تصفية لمشاكل الاضى أو لبعضها (ويمكن أن يكون بينها مشاكل اليمن والصراع الجزائرى - المغربى ، الخ).

 إذا أمكن الوصول إلى ذلك ، أو إلى شيء قرب منه ، فإنه يمكن وضع برنامج عمل للمستقبل . خصوصا فيما يتعلق بازمة تحويل مياه الأردن وبقية جوانب المشكلة الفلسطينية .

ويوما بعد يوم كان « جمال عبد الناصر » يزداد اقتناءا بإمكانيات فكرته . وكان على موعد مع جماهير بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ليتحدث فاحتفالات الذكرى السابعة لانتصار السويس سنة ١٩٥٦ . وانتهز الفرصة ، وصارح الجماهير بما يشغل خواطره . تحدث عن مؤتمر رؤساء اركان حرب الجيوش العربية ، وقال : « إننا وضعناهم أن حلقة مفرغة » ، ثم استطرد ليقول : «إن العسكرية تابعة للسياسة » . ثم وصل إلى قوله : « لقد جاء الوقت للى نتكلم جدا ، فنحن لا نستطيع أن نقول في العلن إننا على استعداد لاسندام القوة لمنع تنفيذ المشروعات الاسرائيلية ، ثم نقول في الحجرات المناقة إننا عاجزون عن

استخدامها . لقد أن أن نكف عن المزايدات ، فإذا كنا نستطيع الحرب نحارب وإذا كنا لا نستطيع فعلينا أن نستعد ، وإذا لا استحى من أن أقف أمامكم لاقول إلى لا أستطيع أن أحارب الأن . ولا أرضى لنفسى أن أقامر بالبلد ل مزايدة لا أعرف أولها ولا أخرها » . ثم أعلن أقتراحه المحدد بالدعوة لاجتماع للملوك والرؤساء العرب على مستوى القمة لبحث كل قضايا المصير سياسيا حتى يكون رؤساء أركان حرب الجيوش على نور وثقة فيما يكلفون به .

وفى اليوم التالى لالقاء هذا الخطاب _ أى يرم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٣ _قامت وزارة الخارجية المصرية بإرسال نسخة منه إلى السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية ، ومعه خطاب رجته فيه أن يعتبر هذا الخطاب طلبا رسميا من مكومة الجمهورية العربية المتحدة بتوجيه الدعوة إلى مؤتمر على مستوى القمة لدول الجامعة العربية .

وفي نفس اليوم أعلنت كل من العراق واليمن ولبنان والأردن وسوريا والكويت والجزائر موافقتها على عقد المؤتمر . ولم يصدر رد عن السعودية ، ومع ذلك فإن الامين العام لجامعة الدول العربية أعلن أنه يقترح عقد المؤتمريوم الاثنين ١٣ يناير ١٩١١ . وتلقى موافقات كل الدول العربية التى سبق لها الاعلان عن قبول الاقتراح الاصلى به . ومرة أخرى كان الصمت ينزل بالرياض ، وإن كانت الأنباء قد تسربت من العاصمة السعودية بوجود خلاف بين الملك «سعود» وبين نائب الملك الأمير ، فيصل عدول أيهما يحضر الاجتماع ويمثل السعودية فيه . وكان «جمال عد الناصر » يتمنى أن يكون الأمير » فيصل » هو رئيس الوفد السعودى ، فلم يكن على القرار السعودى . ولم يتحقق ما تمناه ، ولم تلبث السعودية أن أعلنت موافقتها على حضور الاجتماع ، ثم كان إعلانها بأن الملك » سعود » هو الذي سيرأس وفد السعودية إلى الجتماع ، ثم كان إعلانها بأن الملك » سعود » هو الذي سيرأس وفد السعودية إلى

وجرت عملية إعداد سريع للمؤتمر ، فتقرر أن تتم جلسات القمة في مبنى جامعة الدول العربية _ على أن يخصص فندق * هيلتون * المجاور له لاقامة الوفود . وتم بناء حسر مباشر بين الفندق ومبنى الجامعة العربية تنتقل عليه الوفود من مكان إقامتها إلى ملر عملها دون أن تتسبب مواكبها في إرباك الحياة العادية في القاهرة

⁽ ٨) مجموعة أوراق تحوى تفاصيل مقابلة مع « جمال عبد الناصر » في بيدل الساعة التاسعة صباحا يوم ١٧ ديسمبر ١٩٦٣ .

وفى الظروف الموضوعية التى انعقد فيها المؤتمر فليس هناك شك في ان نتائب كانت إيجابية . فقد استطاع في عمل عدة أيام أن يحقق عددا من النتائج الهامة كبداية يمكن أن تكون مبشرة بخير ، إذا أمكن المحافظة على قوة الاندفاع:

١ - وضع المؤتمر الخطوط العامة لمشروع عربى لتحويل مياه الأردن داخل البلاد العربية ، ودون التعرض للمشروع الاسرائيلي حتى لا تتذرع إسرائيل بدعوى الدفاع عن النفس . وكان تنفيذ المشروعات العربية كفيلا بالحصول على مياه الأردن قبل أن تصل إلى المشروعات الاسرائيلية ، وبالتالي فقد كانن تلك وسيلة لتحقيق المطلوب العربي من موقف الدفاع ، وليس من موقف الهجوم .

٢ - ووضع المؤتمر خطة لانشاء قيادة عربية موحدة تكون مهمتها حماية تنفيذ المشروعات العربية لتحويل مياه الأردن على الأراضى العربية والتصدى لأى استفزاز يصاحب عملية التنفيذ ، أو يحابل عرقلتها مباشرة أو بطريق غير مباشر . كذلك اعتمد المؤتمر الموارد المالية اللازمة للتسليع والتدريب والقيادة المشتركة ، كما خصص قوات من كل بلد لكى توضع تحت تصرف هذه القيادة المشتركة .

٣ ـ وضع المؤتمر مشروعا لاقامة كيان فلسطينى مستقل يستطيع أن يمثل الشعب الفلسطينى ويعبر عنه ، مع المحافظة فى نفس الوقت على أمن الأردن الذى يملك أطول خطوط مواجهة مع إسرائيل . وقد عهد المؤتمر إلى السياس الفلسطينى المخضرم الأستاذ « أحمد الشقيرى » ببدء العمل لانشاء هذا الكيان الذى تحول فيما بعد إلى « منظمة التحرير الفلسطينية » .

ولم يكن ممكنا أن يصل المؤتمر إلى هذه القرارات إلا إذا كانت المقدمة لها رغبة جادة في تصفية الخلافات العربية ، وحوارا بناء لازالة رواسبها وشوائبها . وقد تحقق من ذلك شوط لا بأس به ، وإن كان غياب الأمير « فيصل » قد جعل مناقشة أزمة اليمن وإنهاء ذيولها رغبة مؤجلة لأن مثل هذا الجهد مع الملك « سعود » لم تكن هناك جدوى منه . ومع ذلك ، فقد تطوع العراق والجزائر لبذل وساطة مع الأمير « فيصل ، حتى يمكن حل أزمة اليمن في إطار عربى .. عربى يغنى عن الدور الأمريكى الذى راح يخلط بين أزمة اليمن ، وأزمات أخرى في المنطقة وفي العالم .

ولم تمض أيام بعد انتهاء مؤتمر القمة العربى حتى طار المشير « عبد الحكيم عامر » والسيد « أنور السادات » ومعهما الدكتور « شامل السامرائى » وزير الصحة العراقى ممثلا للرئيس « عبد السلام عارف » والسيد « احمد تونيق المدنى » وزير

الأرقاف الجزائرى ممثلا للرئيس « احمد بن بيلا » ودارت في الرياض محادثات مكثفة ، ثم صدر بيان يعلن الاتفاق على عودة العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، مع اتفاق البلدين على التاييد المطلق لاستقلال اليمن وحرية شعبه ، والتعهد بحل اية خلافات بطريق الحوار الودى .

كان على القمة العربية أن تعود للاجتماع في شهر سبتمبر في الاسكندرية ، لكي تراجع ما تم في تنفيذ مقررات اجتماعها الأول .

وفي الوقت الذي كان فيه العالم العربي يتابع ما يجرى ، وينتظر خطوات التنفيذ ـ لم تكن إسرائيل على استعداد للانتظار . واصدر مجلس الوزراء الاسرائيلي بيانا اذاعه رئيسه « ليفي اشكول » يقول فيه : « إن قرارات مؤتمر القمة العربي تضمنت تهديدا باستعمال القوة المسلحة ضد إسرائيل ، وانه ـ اي اشكول ـ على استعداد للسفر فورا إلى الولايات المتحدة ، لكي يبحث مع الرئيس الأمريكي الجديد ليندون جونسون مخاطر التهديدات التي تتعرض لها إسرائيل بسبب تجمع العالم العربي ضدها » .



كان «ليندون جونسون » الرئيس الجديد للولايات المتحدة الامريكية شخصية من اعقد الشخصيات التي عاشت في البيت الابيض ـ رغم ان قائمة الذين سكنوا هذا البيت فريدة في نوعها وداعية للتامل!

كان وصول « جونسون » إلى الساحة السياسية في العاصمة واشنطن قادما من حافة مدينة صغيرة في « تكساس » ـ طريقا مليئا بالمنحنيات والتعرجات والالتواءات الدرجة أن مؤرخه الرسمي « روبرت كارو » لم يجد وصفا مهذبا لملخص تاريخ حياته إلا أنها « سلسلة من الصفقات معظمها بطريقة المقايضة » ا

وقد عبر « روبرت كنيدى » _ شقيق الرئيس « كنيدى » _ عن ذلك بصورة اخرى اشتهرت عنه ، وهي قوله : « إن وصول » ليندون جونسون » إلى حيث وصل

ليس فقط دليلا على جدية الديمقراطية الأمريكية التي تسمح لأى من كان بالوصول إلى أى مكان ـ وإنما هو أيضا دليل على صحة القول بالفصل بين السياسة والأخلاق »

ولقد وصل « ليندون جونسون » إلى حيث أصبح زعيما للاغلبية الديمقراطية ، ومن هناك راودته أحلام الرئاسة ، ولقد كان نفوذه يمكنه من الحصول على ترشيح حزبه للانتخابات ، ولكن مناخ الشك العام المحيط بشخصيته كان يجعل فوزه ف الانتخابات مسألة غير مضمونة . فالحصول على ترشيح الحزب قد يكون مسألة « صفقات » ، ولكن الفوز في الانتخابات يتطلب « صورة » جذابة !

ولقد ظن الذين نظموا واداروا حملة الحزب الديمقراطى في انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٠ أنهم توصلوا إلى المعادلة الصحيحة : « كنيدى » لمنصب الرئيس بصورته الجذابة ، و « جونسون » لنائب الرئيس بنفوذه خصوصا في الجنوب بما فيه معقله الأصلى في ولاية تكساس ، وكان هذا المزيج من الجاذبية والنفوذ ، يعطى الحزب الجمهورى ، وقد حدث .

وكان كل المحيطين بـ « كنيدى » يكرهون « جونسون » وكان هو يبادلهم الكراهية اضعافا ، وكانت الهوة بين الفريقين واسعة ، فمجموعة « كنيدى » من رجال الفكر ، ومجموعة « جونسون » من رجال السوق ، وهما عنصران غير قابلين للامتزاج . وهكذا فإن مكتب الرئيس ، ومكتب نائب الرئيس في نفس الطابق من البيت الأبيض كانت بينهما مسافات شاسعة ، ولم يكن رجال الرئيس على أى حال مهتمين بمشاعر نائب الرئيس ، فهو رجل بلا مستقبل ، فرجلهم أصغر عمرا منه ، وإذا جرت الأمور في مسارها الطبيعي ، فإن « كنيدى » سوف يعيش بعد « جونسون » وبالتالي فإن « جونسون » سوف يقضي بقية عمره على الهامش مثل معظم نواب الرئيس في الولايات المتحدة . خصوصا إذا كانوا اكبر عمرا من رؤسائهم بحيث لا ينتظر لهم أن يرشحوا انفسهم بعدهم .

وربما كان وجه الشبه الوحيد بين «كنيدى » و «جونسون » غرام كل منهما الزائد بالجنس الآخر ، ومع ذلك فقد كان الأسلوب لدى كل منهما مختلفا .

وكان «كنيدى = وهو في وسط معركة الرئاسة طرفا في غرام مع « مارلين مونرو = . وأما = جونسون = فقد دس نفسه عاريا في فراش سكرتيرة من مكتبه كانت نائمة في بيته في «تكساس » حيث ذهب إليه لأول إجازة بعد توليه الرئاسة ، وانتدبت هي لمرافقته كحلقة اتصال مع مكتبه في البيت الأبيض في واشنطن ، وحين تنبهت السكرتيرة إلى أن رجلا دخل معها إلى الفراش في غرفة

النوم ، وانتفضت لتقوم وجدت يدا تمسك بها ثم سمعت صوتا لاهثا يقول لها : و اطمئني يا طفلتي هذا رئيسك ، "Relax baby, this is your President " إذا

وعندما دخل «ليندون جونسون » لأول مرة إلى المكتب البيضاوى رئيسا للولايات المتحدة دعا كل رجال «كنيدى » إلى اجتماع معه ، وقال لهم بطريقة مسرحية :

انتم أول من يعرف أننى أجهل كل شيء عن سياسات العالم ، فذلك لم يكن مجال اهتمامى . إننى كنت دائما في وسط السياسة المحلية ، وأعرف عنها الكثير ، وأما خارج ذلك فليست لى وسيلة إليه غيركم أنتم . وأنا أريدكم أن تبقوا معى ليس من أجل ، ولكن من أجل الولايات المتحدة

ثم بدأ يمسح دموعا سالت من عينيه .

ویقول کبیر مستشاری « کنیدی » وهو « ماك جورج باندی » :

« كنت أعرف أنه يمثل ، ولكن جهله كان حقيقة لا يمكن إنكارها . ولقد قبلت ـ وقبل غيرى ـ أن نتعاون معه ، ولكننا فعلنا ذلك ليس لأننا اقتنعنا بحسن نواياه ، ولكن لأنه لم يكن هناك بديل آخر . «

ومع ذلك ، فلم تكد تنقضى شهور بعد وفاة « كنيدى » حتى بدأ معظم رجاله بشعرون أن الحياة لا تحتمل مع السيد الجديد في البيت الأبيض ، وبدأوا يجدون طريقهم إلى أبواب الخروج واحدا بعد الآخر.

ولقد كانت معرفة «جونسون » بالسياسة الداخلية للولايات المتحدة هي التي قادته إلى الاقتراب إلى حد الالتصاق بجماعات الضغط اليهودي في الولايات المتحدة ، فقد كان تأثير هذه الجماعات أقوى وأظهر ما يكون في مجالات التبرعات بالمال للحملات الانتخابية ، وعدد الأصوات التي ترجح الحساب في الدوائر والولايات ، وإمكانيات التأثير غير الظاهر في وسائل الاعلام .

وفي يوميات « ايزنهاور » خلال « أزمة السويس » إشارات متعددة لـ « ليندون

⁽ ٩) وردت الاشارة إليها في كتاب ، كارو ، عن سيرة ، جونسون ، وهو المؤرخ الشخصى له ، كما نشرتها منحيفة ، نيويورك تايمز ، . ثم ريدتها مجلة ، تايم ، ضمن مقال عن الحياة الشخصية للرؤساء الامريكيين .

جونسون « باعتباره « عمدة اصدقاء إسرائيل والمدافع عن وجها نظرها (۱) ، متحمسا في البداية لترك البريطانيين والفرنسيين والاسرائيليين يابون «بالحملة التي أعدوا أنفسهم للقيام بها » ثم مطالبا بعد ذلك بعدم مشاركة الوابات المتحدة مع الأمم المتحدة في ممارسة أي ضغط على إسرائيل للانسحاب من ببناء وغزة بعد انسحاب البريطانيين والفرنسيين من بورسعيد . ويشعر اللايء ليوميات « ايزنهاور » أنه لم يكن معجبا ب « جونسون » ولكنه كان متحبا لنفوذه .

ولم تكن علاقات « جونسون » الخاصة بإسرائيل غائبة عن النادة ، ومع ذلك فإن أحدا لم يعتبرها عاملا مؤثرا لأن نائب الرئيس كان أبعد ما يكون إنتها عن عملية صنع القرار ، وعندما أصبح القرار الأمريكي كله في يد « جونسون، تحول اهتمام القاهرة إليه ، وكان اهتماما مشوبا بكثير من الحذر والتوجس

كانت بداية العلاقة بين « جونسون » والقاهرة سوء تفاهم أبدته حساسية البيت الأبيض في عهد « جونسون » . فبعد يومين من اغتيال « كنيد» تلقت وزارة الخارجية في القاهرة برقية رمزية من سفيرها في واشنطن الدكتور « مسطفي كامل » برقم ١٩٩١/ ٣٩٥ جاء فيها :

« رسالة عاجلة لسكرتارية الرئيس :

١ ـ نشرت الصحف اليوم ان السيد الرئيس تفضل وارسل براية عزاء لحرم الرئيس الراحل كنيدى.

٣ - لم تصل بعد برقية عزاء لرئيس الجمهورية الجديد .

٣ - اتصل بى مسؤول البروتوكول فى البيت الابيض مستفسرا عمالاً كنا ارسلنا برقية عزاء إلى الرئيس ، فلم يصلهم من القاهرة شيئا حتى الآن . وقاستفسروا منا عما إذا كانت لدينا نسخة من برقية العزاء التى يفترض أن يكون البد الرئيس قد بعث بها إلى الرئيس جونسون .

* عنرجوكم إفادتنا بسرعة ما إذا كانت برقية عزاء قد ارسلت إلى رئب الجبهورية الجديد .

إمضاء السنفير »

رام يكن هناك قصد متعمد في تأخير إرسال برقية عزاء لـ « جونسون » وإن كان طبيعة المشاعر الانسانية قد استدعت التعجيل بإرسال برقية عزاء إلى « جاكلين كندى » قبل أي طرف أخر . وقد أبدى بروتوكول وزارة الخارجية دهشته من أن بلاما البروتوكول في البيت الأبيض تأخر وصول برقية عزاء من القاهرة إلى الرئيس الجديد وسط زحام البرقيات التي كانت تنهال على البيت الأبيض في ذلك الوقت . ومع دلك لم يتوقف أحد طويلا أمام هذه الملاحظة .

وفي يوم ٦ فبراير ١٩٦٤ توجه الرئيس الأمريكي الجديد لأول مرة باهتمامه إلى شرّان الشرق الأوسط ، وكان اختياره للمنبر الذي قرر إظهار اهتمامه بالشرق الأوسط من خلاله منبرا غريبا . فقد ظهر في اجتماع لجمع التبرعات لمعهد « وايزمان » -وبرارقي المعاهد العلمية في إسرائيل ـ لكي يعلن أن الولايات المتحدة قررت أن نندان مع إسرائيل ﴿ إِيجِاد طريقة رخيصة لتحويل مياه البحر المالحة إلى مياه عنه صالحة للرى وللشرب ، وذلك ضمن سياسة استخدام الذرة من أجل السلام ، ثم أضاف « جونسون » إلى ذلك في خطابه إشارة إلى رسالة « ليفي أشكول » إله ل أعقاب مؤتمر القمة العربي ، والتي قال فيها ، اشكول ، إن ، قرارات مؤتمر الله العربي تضمنت تهديدا باستعمال القوة المسلحة ضد إسرائيل، وأنه على استداد للسفر إلى الولايات المتحدة لكي يبحث مع الرئيس الأمريكي الجديد مخاطر النهددات التي تتعرض لها إسرائيل بسبب تجمع العالم العربي ضدها ، وطق ، جرنسون » على ذلك بقوله : « إن الولايات المتحدة ستواصل سياستها الحيادية ف الشرن الأدنى إلا أنها مستعدة للوقوف مع أي دولة في المنطقة يقع عليها عدوان من دراة ار دول اخرى في المنطقة » . ولم يكن في هذا القول على إطلاقه ما يدعو إلى القلق والكن رروده في سبياق خطاب في معهد " وايزمان " وفي اعقاب إعلان تعاون مع إسرائيل لنطبة المياه عن طريق الطاقة النووية - وكذلك في سياق الرد على رسالة « ليفي المكل ، _ كان يحمل إيماءات يصعب تجاهلها .

ولم تشأ القاهرة أن ترد بسرعة على تصريحات « جونسون » وتقرر تشكيل لمنا عمل خاصة من وزارة الخارجية ، وهيئة الطاقة الذرية ، وهيئة المخابرات العامة لننبيم الدلالات الحقيقية التي ينطوى عليها بيان الرئيس الجديد ، وأهمها ما يتعلق بانفان التعاون العلمي والفني بين الولايات المتحدة وإسرائيل في مسألة تحلية مياه البدر. وطلب » جمال عبد الناصر » إلى الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشأن الخارجية أن يقوم باستدعاء السفير الأمريكي « جون بادو » ويبلغه بقلق مكوبة الجمهورية العربية المتحدة الشديد إزاء تصريحات « جونسون »

⁽۱۰) رجاء مراجعة كتاب ، ملفات السويس ، صفحة ٥٨٤ والاشارة الواردة في يوميات ، ابزنهاور، صفحة ٣٨٧ .

وكتب الدكتور « محمود فوزى » بعد اجتماعه بالسفير تقريرا عما دار بينهما جاء فيه بالنص :(۱۱)

«جاء السفير الأمريكي لمقابلتي بناء على دعوة منى . ابلغته بما لا يقبل اختلاف التفسير والاجتهاد قلق الحكومة من البيان الذي اعلنه الرئيس جونسون في معهد وايزمان . قلت له مبتدئا إن وايزمان كما لعله يتذكر هو مؤسس دولة إسرائبل ، وان يختار الرئيس الجديد هذا المكان بالذات لبيان عن السياسة الأمريكية امرلا يدعونا إلى التفاؤل والغبطة . ونحن لا نستطيع أن نرد ما قاله الرئيس جونسون إلى ضرورات الحملة الانتخابية كما فعلنا إزاء تصريحات له سبقت من قبل في اجتماعات حزبية . فهو الآن في البيت الأبيض وفي مكان السلطة .

ومن الناحية الموضوعية ، فإن لدينا ملاحظات اجملتها للسفير الأمريكي لبما يلي :

١ - إننا إذا صدقنا ما قاله الرئيس جونسون - وليس امامنا غير ان نصدقه ،

فمعنى ذلك ان الولايات المتحدة سوف تقدم لاسرائيل مفاعلا نوويا ضخما بستطيع

تنفيذ المطلب المتفق عليه .

٢ - إن النتيجة التى سوف تترتب على هذا هى ان الولايات المتحدة تعنزم إتاحة الفرصة لعلماء إسرائيليين الكى يتدربوا على ايدى علماء امريكيين على كيفية التعامل وإدارة مفاعل نووى ضخم.

٣ - بالتوازى مع ذلك فإن هذا الوضع سوف يتضمن - مهما كانت النوابا - فرصة ان يتعرف العلماء الاسرائيليون على الامكانيات الأمريكية بتعمق خاص ، وهي ميزة ليست متاحة للعرب .

٤ - ونظرا لحجم مثل هذا المفاعل وقوته ، فسوف يكون استخدامه للبورانيوم
 عاليا ، وبالتالى فسوف تنتج عن التشغيل كميات من مادة البلوتونيوم التى قد تتيح الفرصة لانتاج اسلحة نووية .

وعدنى السفير بانه عائد إلى حكومته فمبلغها بقلقنا ، ثم عائدا إلى بما برونه من الضاحات ملائمة .

إمضاء محمود فوزی =

وفى يوم ١٤ فبراير ١٩٦٤ طلب السفير الأمريكي « جون بادو « مقابلة الدكتور « محمود فوزى » وقدم إليه مذكرة مكتوبة بالرد على التساؤلات القلقة لحكومة الجمهورية العربية المتحدة .

البنتاب حكومة الولايات المتحدة قلق بسبب ما يبدو من سوء فهم في دوائر الجمهورية العربية المتحدة بشان اعتزام الولايات المتحدة مواصلة سياستها للتعاون مع جميع الدول في الشرق الأوسط دون تحيز . وهي تاسف بصورة خاصة لحاولات الصحف العربية تفسير خطبة الرئيس جونسون بتاريخ 1 فبراير بانها نعنى تعديلا في سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط . لقد كان بيان الرئيس تاكيدا مجددا للرغبة المستمرة للولايات المتحدة في التعاون مع جميع دول المنطقة وليس حيادا عن هذه الرغبة .

والولايات المتحدة راغبة في التعاون مع جميع البلدان في تكنولوجيا إزالة ملوحة سياه البحر ، سواء ما كان منها نوويا او غير نووى ، ومما يدل على ذلك ان فنيي الولايات المتحدة من المقرر زيارتهم للمملكة العربية السعودية في الشهر المقبل لاستكشاف إمكانيات إزالة ملوحة مياه البحر هناك . وإن الولايات المتحدة لترحب بالتعاون العلمي والتقني بين حكومتينا . ونحن نعلم بان حكومة الجمهورية العربية المتحدة معنية في المقام الأول باستغلال مصادر مياه النيل ، إلا ان تحويل الماء المالح إلى ماء عذب بالفصل الغشائي الكهربائي بالاستعانة بالطاقة من السد العالى ، أو من (منخفض) القطارة هو مشروع يبدو ان له إمكانيات للنجاح ، وبالمثل ربما برهن استخدام الموارد البترولية في منطقة البحر الاحمر في تغطية مياه البحر بالوميض المتعدد على أنه مشروع مجد .

رفيما يتعلق باستخدام الطاقة النووية في إزالة ملوحة المياه ، فإن حكومة الولايات المتحدة يهمها ان تؤكد سياساتها السلمية إلى التوصل إلى نزع سلاح خاضع الاشراف على اساس علمى ، وهي تعترض اعتراضا جازما على انتشار الاسلمة النووية . وتمشيا مع هذه السياسات ، فسنقوم بتهيئة الضمانات المعتلاة للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، أو أي ترتيبات مماثلة لاجراء الرقابة على أي مشروعات المعونة تستخدم التكنولوجيا النووية .

رهكذا نقدم معونة غير متحيزة لجميع الدول التي ترغب في زيادة مواردها المائية من خلال إزالة ملوحة مياه البحر، مع التاكد في الوقت عينه عن طريق المراقبة الدولية من أن أي تكنولوجيا نووية داخلة في الأمر لن تستخدم إلا للاغراض السلمية. وهذا العرض يتمشى مع سياستنا العامة في الشرق الادنى التي تسعى إلى نعزيز استقلال جميع الدول من خلال المعونة الاقتصادية، وتحول في الوقت عينه بون أي صراع يمكن أن يمتد إلى خارج المنطقة. ونعتقد اعتقادا جازما بأن سمالحنا في هذه الأمور إنما تتساوى بصورة عامة مع مصالح جميع بلدان النطقة، ويهمنا ضمان الا تؤول سياساتنا خطأ بأنها تتحيز لأي بلد واحد، ومجموعة من البلدان.

⁽١١) ارشيف وزارة الخارجية المصرية ، وكان اصل هذا التقرير محفوظا في غرفة المحفوظات الخاصة بالوزير ، وهي مجاورة الكتاب وتقع تحت السلم [المقر الرسمي لوزارة الخارجية المواجه لمبني الجامعة العربية .

⁽١١) والله وزارة الخارجية الأمريكية ، وكذلك أرشيف منشية البكرى ، وأرشيف وزارة الخارجية المصرية .

ومع أن الرابدا مائعا ، فإن القاهرة الرت الانتظار ومتابعة التطورات .

ويبدو أن = جرنسون » أحس - وربما بأثير بعض مستشاريه الباقين من عهد

حنيدى » - بأنه تمرف على نحو أثار الشكك العربية إزاء إدارته بدون مبرر ، وفي
وقت مبكر من رئاست ، مماقد يحدث مضافات قد تؤثر على التوازنات الحرجة في
المنطقة بدون ضرورة في هذه الظروف . وهكذان ٢٧ فبراير ١٩٦٤ بادر « جونسون »
إلى كتابة أول خطاب شخصي (١٢) منه إلى « جلل عبد الناصر » ، وكان نصه كما يلى :

« البيت الأبيض

واشنطن

سيري

۲۷ **فبرا**یر ۱۹*۹٤*

عزيزى السب الرئيس

قرات بعناية براسلاتكم المسهبة مع الرئب كنيدى ، وإننى ماخوذ بما كشفت عنه من مقدار الاحترام والنفاهم المتبادلين ، كا احسست بان هناك إرادة صادقة للسير قدما فيما نستطيعه من مجالات ، تاركيز جانبا القضايا التى نختلف فيها بحكم الضرورة ، وعاملين على الحد من وطائبا . ومن جانبى ، يهمنى استمرار هذا الشعور بالثقة المتنامية بين الجانبين ، راطع الطريق على إساءة تفسير سياسات بعضنا البعض مما اضر بعلاقاتنا في الضي .

ويهمنى في هذا السبيل أن اؤكد لكم شنصيا بأننا مصرون إصرارنا في أى وقت مضى على السير قدما بسياسات التعاون البناء داخل الأمم المتحدة ، وخارجها مع الحكومات الأخرى التي لها مثل هذه الله . ولهذا اتطلع إلى استمرار التعاون المثمر مع حكومتكم ، ومع الحكومات الأخرى في الشرق الأوسط ، وإلى تبادل الآراء معكم حول مصالحنا المتبادلة .

وفى اعتقادى أن الاهتمام الرئيسى للزعماء أجميع الأمم ينبغى أن ينصب اليوم على الحيلولة دون تكاف سحب الحرب . فقداضاف العالم النووى إلى الحرب ابعادا جديدة مفزعة ، ولا سبيل إلى جعل العلم النووى علما سلميا عوضا عن تسخيره عسكريا إلا بالتعاون والتفاهم الدوليين ، العميقين والدائمين . ولكم أن تثقوا في اننا سنظل نعارض الانتشار النووى (اى منطقة من العالم .

ولما كان لا معدى للامم عن أن تختلف ، فلم اعتلادنا أنه يتعين علينا أن نحاول بكل

البرة إحراز ما يستطاع إحرازه من تقدم في تسوية القضايا المتنازع عليها وعلينا الوقت عينه ان نركز على توسيع مجالات الاتفاق وقد اغتبطت بالتاكيد الاخير الافاء العرب الذين اجتمعوا في القاهرة للنظرية القائلة إن على الامم ان تحل الله بالوسائل السلمية وإننا لنقر بالحنكة السياسية التى دعت إلى التضييق السباب المظالم خدمة للمصلحة العامة ، والتي انشات جوا من التعاون فيما بين الكومات العربية المختلفة وإننا لنرحب بإمكان عودة الامور إلى حالتها الطبيعية اليمن ، وضبط النفس في المشكلة العربية الاسرائيلية ، وتزايد إمكانيات الجامعة الربية في التعاون البناء .

الله أمل أن نستطيع في الأشهر المقبلة العمل معا لتوسيع مجالات المصلحة الشركة ، وتضييق ما قد نختلف فيه . ويهمنى في هذه الاثناء أن يستمر الحوار السريح الودى الذى أسهم فعلا في التفاهم بين حكومتينا . وستكون بضع السنين الله عبئا على كلينا ، ولكن للولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة اللير الذى تكسبانه من خلال العلاقات الطيبة ، بحيث يتعين على كلينا الجهاد في الله المحافظة على (هذه المكاسب) والتوسع فيها عوضا عن ترك امتينا تنجرفان التباعد .

المخلص .

ليندون ب. جونسون ،

الله عبد الناصر = عدة أسابيع قبل أن يرد على رسالة « جونسون = كانظ يحاول تقييم موقف الرئيس الأمريكي الجديد ، ويدرس طبيعة ارتباطاته السابة الرامنة .

الله هناك سبب آخر للانتظار ، فقد اتصل السفير الأمريكي « جون بادو » المكرر، محمود فوزى » وأبلغه أن مساعد وزير الخارجية الأمريكية » فيليبس المرس زيارة القاهرة في الأسبوع الأول من شهر مارس ، ويرجو أن يقابل البسلم يؤكد له أنه ليس هناك تغيير في السياسة الأمريكية تجاه العالم العربي . والمرابليبس تالبوت » إلى القاهرة يوم ٢ مارس ، والتقى بالرئيس » جمال الله مارس ، وقضى معه ساعتين كاملتين . ولم يستطع الله أن يخفف من شكوك « جمال عبد الناصر » ولعله نجح في تحقيق الله الدر مرة اخرى قضية الصواريخ المصرية ، وقضية صناعة الله النساط النووى في الجمهورية العربية المتحدة ، ثم عاد إلى المسأل طرحه « جون ماكلوى » حول افضلية قيام الولايات المتحدة ، بالمسئلة على المنشأت المصرية الهذاك الثلاثة معا .

رسا قرر « جمال عبد الناصر » أن يرد على رسالة « جونسون » وفي حدود ما الراه الأمريكي فيها فعلا ، وتجاهل ما جاء به » فيليبس تالبوت ، بعدها .

⁽١٣) مجموعة وثائق مكتبة اليندون جونسون = في تكساس، وهذه الرسالة موجودة ◘ الصندوق رقم ٩٤ ويضم أوراق ، جونسون » الخاصة بلشرق الأوسط وتوب نسخ من الرسالة في ارشيف منشية البكرى ، ومكتب نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، إلى جان نسخة ثالثة في مكتب وزير الخارجية .

وكانت تلك مشورة الدكتور = محمود فوزى ، الذى كان رابيه أن يرد الرئيس المصرة على رسالة الرئيس الأمريكى في حدود ما تقتضيه دونه التشعب إلى ما جاء به «تالبوت »، وإذا أراد «جونسون » أن يتناول بنفسه إعادة إثارة الموضوعات التم طرحها «تالبوت » فليكن لذلك إطاره المستقل . وفي ٢٦ أمِريل ١٩٦٤ كتب «جمال عبد الناصر » إلى «ليندون جونسون » رسالة شخصية أقر أن يشرح فيها رؤوس المسائل الهامة في العلاقات العربية – الأمريكية ، والقضاية المفاتيح في مسيرة العال العربي . وكان نصها كما يلى :(١٤)

« عزيزي الرئيس

تلقيت بكل اهتمام مبادرتكم الطيبة بالكتابة إلى استئنافا لاتصالات جرت بين سلفكم الراحل وبيني على الأخر بالفهم .

ولقد اسعدنى ان اتاحت لكم مشاغلكم فرصة الاطلاع على المراسلات المتبادلة بينه وبينى حول العديد من المشاكل والموضوعات التى اثارت اهتمامنا المشترك ، سواء في العلاقات المباشرة بين بلدينا ، او في الدائرة العالمية الاوسع بعدها ، واثقا ان ذلك سوف يضع تحت تصرفكم صورة صحيحة من فكر الجمهورية العربية المتحدة ، ودوافعها في كل موقف اتخذته .

وإنى لأؤمن بجدوى الاتصال الشخصى المباشر بين رؤساء الدول ، واعتبر ان ذلك يمنح العلاقات الدولية نظرة إنسانية تستطيع دائما ان تتلمس على على وسط الازمات المحتدمة اسبابا للاتصال .

وإنى لالتقى معكم في كثير من المسائل التي تعرضت لها رسالتكم إلى . التقى في الأمال المعلقة على الأمم المتحدة ، والتعاون معها في إطارها طريقا إلى عالم اكثر انسجاما وسلاما .

والتقى في اهمية تطوير العلم الذرى لكى يخدم السلم ولا يسخر للحرب ، وفي ضرورة حصر انتشار الاسلحة النووية .

والتقى في ضرورة توسيع وتعميق العلاقات العربية - الأمريكية ، وفتح طريقها بالتفاهم وبالاحترام المتبادل .

والتقى في ضرورة البحث دواما عن الطريق لتضييق مجال الخلاف قدر المستطاع ، وفي مقابلة ذلك توسيع مجال التعاون حيث يمكن أن تكون له فرصة وامل . على أنى أريد أن أضيف بعض الملاحظات التي أشعر من خلال التجربة بحيوية دورها ، وأشعر أيضا بضرورة ملاقاتها بالتقدير الكافي من جانب كل الذين يهمهم

استقرار السلام واستمراره ولريما كان تركيزي الأكبر في هذه الملاحظات على الشرق العربي بوجه خاص ، وعلى العالم الافريقي الاسيوى بوجه عام .

□ اولا: إن هناك صراعا ضد الاستعمار ما زال قائما ، ولا يمكن إنكار وجود مدا الصراع ولا التقليل من اخطاره على السلام ، واشير هنا على سبيل المثال إلى موقف بريطانيا في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وإلى موقف البرتغال ل انجولا وموزمبيق .

□ ثانيا : إن هناك صراعا من اجل الوحدة ، باعتبارها تحقيقا للذات القومية لامم عديدة ، بينها الأمة العربية ، أمم مزقتها مصالح الدول الاستعمارية الكبرى ل ظروف سابقة ، وما زال هذا التمزق في الكثير من الاحيان قائما تتحصن وراءه رواسب انفصالية تغذيها فعلا من الخارج نفس القوى صاحبة المصلحة لى التمزق .

□ ثالثا: إن هناك صراعا بين التقدم والتخلف ، بتعبير آخر بين الغنى والفقر ، ويمارس هذا الصراع دوره على مستوى الدول خصوصا مع التقدم العلمى والتكنولوجي العظيم اللذين أوجدا تناقضا طبيعيا ، وإن بدا للوهلة الأولى غريبا ، ذلك أنه يمنح المتقدمين الفرصة ليكونوا أكثر تقدما ، ويفرض على المتخلفين برغم كل ما يبذلونه من جهود أن يكونوا أكثر تخلفا ، ولو بالقياس إلى غيرهم من المتقدمين .

□ رابعا: إن هناك صراعا اجتماعيا في داخل هذه الأمم المتنبهة حديثا إلى ابعاد القرن العشرين وآماله الواسعة. يستهدف إقامة حرية الانسان على اولاق الضمانات، ويربط الحرية السياسية واى معنى قد يكون لها، بالحرية الاجتماعية ومضمونها الاصيل، وإنى لاستذكر في هذا المجال ما ورد أل الميثاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة في أن حرية تذكرة الانتخابات ترتبط بحرية رغيف العيش.

وإنى لأثق انكم أول من يقدر شرعية هذا الصراع ، وضرورة مواجهته بكل مسؤولية الضمير الوطنى ، فلقد اثارت الاعجاب في بلادنا حملتكم ضد الفقر في الولايات المتحدة اغنى البلاد في عالمنا المعاصر .

□ خامسا : بالنسبة للشرق العربي هناك صراع بين الامة العربية ، وبين إسرائيل التي كان قيامها نتيجة للرغبة في تمزيق وحدة العرب والحيلولة دون التقاء شعوبه من ناحية ، وإبقاء قاعدة وسط الارض العربية لاستمرار تهديدها ، كما اثبتت بجلاء عملية التواطؤ بالعدوان على مصر سنة ١٩٥٦ .

ولربما كان يمكن تلخيص هذه الملاحظات التي اوردتها في عبارة واحدة هي ان السلام لا يمكن ان يستقر ، او يستمر حقيقة إلا إذا كان مدعما بالعدل ، وسلام الامر الواقع مهما خلصت النوايا لا يستطيع غير ان يلعب دور الهدوء الذي يسبق العاصفة .

⁽١٤) مجموعة وثائق مكتبة ليندون جونسون ، وارشيف منشية البكرى ، وارشيف وزارة الخارجية ، وهناك تأشيرات تفيد أن نسخا أرسلت إلى وزارة الحربية ، وإلى رئاسة مجلس الوزراء ، وإلى هيئة المخابرات العامة .

وبعث بها إلى رئاسة الجمهورية بتاريخ ١١ مايو ١٩٦٤ . وكان نص هذه المذكرة كما يلى :

« سفارة الولايات المتحدة القاهرة

شخصی وغیر رسمی(۱۰)

مذكرة غير رسمية عن مناقشات بين الرئيس جمال عبد الناصر والسفير جون س. بادو ٧ مايو ١٩٦٤

في يوم ٧ مايو استقبل الرئيس جمال عبد الناصر السفير بادو في مقر إقامته في منشية البكرى ، وسلم السفير إلى الرئيس عبد الناصر رسالة شخصية من الرئيس ليندون ب. جونسون . وبعدما قرا الرئيس عبد الناصر الرسالة قال السفير إن الرئيس جونسون طلب منه أن يتقدم بعرض يتحصل في الموجز غير الرسمي التالى :

إن الرئيس جونسون يقدر تقديرا عنيقا الرسالة التي بعث بها إليه الرئيس عبد الناصر مؤخرا ، وقد لاحظ بصورة خاصة تاكيدات الرئيس عبد الناصر لمعارضة الجمهورية العربية المتحدة لانتشار الاسلحة النووية . والرئيس جونسون معنى بالوسائل العملية التي من شانها الحد من الخطر النووي وتقليص سبلق التسلح ، ورجا السفير أن يبحث هذا الموضوع مع الرئيس عبد الناصر من حيث الموقف في الشرق الاوسط . واعاد السفير إلى الذاكرة أن هذا الموضوع لمن ناقشه مع الرئيس عبد الناصر السيد جون ماكلوي الذي اوقده الرئيس كنيدي كمبعوث خاص . كما اشير إليه مرة اخرى من جانب مساعد وزير الخارجية تالبوت عند زيارته الاخيرة للرئيس عبد الناصر .

ولقد استبد بالرئيس كنيدى قلق عميق إزاء انتشار الاسلحة النووية ، وجامت بعثة السيد ماكلوى نتيجة لهذا القلق . ويؤخذ ما قاله الرئيس جونسون في رسالته انه راجع سجلات هذه اللقاءات ، وانه يشاطر الرئيس كنيدى قلقه ، ويسعى في المضى قدما باسلوب عملى يحول دون سباق التسلح النووى .

كما إن الولايات المتحدة مستمرة في قلقها الشديد إزاء حصول بلدان الشرق الأوسط على الاسلحة المتقدمة بسرعة متزايدة . وقد سرّ الرئيس جونسون ان يقف من

وإنى لاؤكد لك أن الجمهورية العربية المتحدة لا تتربد في بذل أى جهد من أجل تحقيق مثل هذا السلام القائم على العدل، وتعد بغير تحفظ، وبغير شروط يدها بالمحبة والأمل والرغبة في التعاون الصادق إلى كل من يشغل بالهم مستقبل السلام وكفائته .

وإنى لاثق ﴿ نَفُسَ الوقَّتِ أَنَّ الولاياتِ المُتَحَدَّةُ الأَمْرِيكِيَّةُ وَشَعِبُهَا الْعَظْيِمِ تَعْطَى قضية السلام كل امتمامها ، وليست هنك في هذا العصر مسؤولية تضارع مسؤولية الولايات المُتَحَدَّةُ وقيادتها .

ومن صميم قلوبنا ، نحن نتمنى كل التوفيق للولايات المتحدة ، كما نتمنى لكم شخصيا كل النجاح في المسؤولية العظيمة التي تتحملون تبعاتها . وتفضلوا بقبول موفور تحيتي .

أمضياء جمال عبد الناصر»

وتحقق ما توقعه الدكتور ، محمود فوزى ، . فإن الرئيس ، جونسون ، ما لبث أن أثار بنفسه ذات الموضوعات التي جاء بها ، تالبوت ، واصبح باديا أن هذه الموضوعات هي الهدف الرئيسي ، وأن ما حولها مما تضمنته المراسلات مجرد مقدمات دبلوماسية تمهد للقص المطلوب .

ويوم أول مايو ١٩٦٤ اتصل السفير الامريكي « جون بادو » بالدكتور « محمود فوذي » يطلب موعدا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وفى ٧ مايو تم اللقاء .

وفى بداية اللقاء قدم السفير الأمريكي رسالة مكتوبة من الرئيس « جونسون » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » ، وكانت الرسالة مقتضبة ومقصورة على دعوة « لرئيس الجمهورية العربية المتحدة » إلى أن يقدم تأكيدات بإمكان تجميد استحداث أي أسلحة جديدة (في مجالات الصواريخ والطائرات والمفاعلات النووية) عند المستوى الحالى لا تتجاوزه . وأضاف بعد ذلك أنه « طلب إلى سفيره جون بادو أن يناقش هذه المسائل شفويا مع الرئيس جمال عبد الناصر » . واستمع « جمال عبد الناصر » تفصيلا إلى ما قاله « بادو » وفي النهاية طلب منه إعداد مذكرة مكتوبة بتلخيص ما قاله له حتى يمكن دراسته على مهل وبتأن على أن يعود إلى مناقشته بالتفصيل معه في لقاء آخر يتم بينهما في موعد لاحق ، وبعد انتهاء زيارة « نيكيتا خروشوف » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي الذي كان في طريقه لزيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة .

وبالفعل كتب « بادو » مذكرة بما عرضه على الرئيس « جمال عبد الناصر »

⁽١٥) مجموعة وثلثق وزارة الخارجية الامريكية - مكتب مساعد وزير الخارجية ، وتحمل خاتما بتاريخ ١٤ مليو ١٩٦٤ ، كما توجد نسخ اخرى منها في ارشيف منشية البكرى ، ووزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المغابرات العلمة .

مساعد الوزير تالبوت على ما قاله الرئيس ناصر اثناء حديثه مع السيد تالبوت من أن الجمهورية العربية المتحدة لا تخطط الآن لأى نشر كبير للقذائك ارض ـ ارض .

إلا أن المشكلة ما زالت باقية . فكل تقدم في اسلحة الجمهورية العربية المتحدة يستدعى تقدما من ناحية إسرائيل ، ولدى إسرائيل كل من القدرة المالية والتقنية للحصول على ما تراه ضروريا من أي اسلحة متطورة مماشاة مع ما تحصل عليه الجمهورية العربية المتحدة - كما يتضح من بيان السيد ادزوبي في باريس (بما يعنى ضمنا أن إسرائيل تحصل على عدد قليل من قذائف أرض - أرض من فرنسا) .

ونخشى إذا استمر سباق التسلح الحالى ان تجد إسرائيل إغراء في السعى الاستحداث اسلحة نووية . وستقوم الولايات المتحدة بمعارضة كل انتشار للاسلحة النووية معارضة قوية . ولكن برغم الضغط الامريكي ، فإن إسرائيل قد تغرى باستحداث اسلحة نووية رداً على مضى الجمهورية العربية المتحدة في تكديس قذائف ارض ـ ارض .

إذن ، فالذى يبدو انه يخدم مصالح جميع ذوى الشان على خير وجه إنما يتمثل في البحث فيما إذا كان مستطاعا إعداد ترتيب ما لتجميد سباق التسلح (ولا سيما في مجال القذائف ارض ـ ارض) عند مستواها الحالى . ومن شان هذا ان يقلل من الضغط للحصول على اسلحة نووية ، كما انه يخفف من العبء المالى الثقيل الذى لا شك في أن سباق التسلح الدائم الإضطراد ينطوى عليه بالنسبة لجميع الاطراف .

والولايات المتحدة إذ تدرس هذا الاحتمال ، إنما تستشهد بتجربنها الخاصة . فقد قامت الولايات المتحدة ، بالإضافة إلى المعاهدة الرسمية لحظر التجارب ، بتخفيض الانتاج من المواد القابلة للانشطار ، وستمتنع عن وضع القنابل في الفضاء الخارجي . واتخذ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية إجراء مماثلا دون اى الفاق رسمي . وهذه القرارات المتقابلة لا تنطوى على أى تفتيش دولي أو قيام باعمال الدوليس الدولي ، لأن لكل دولة من القدرة على الاستخبار ما يكفيها لتكون على علم بالاجراءات التي يتخذها الطرف الآخر .

وفى اعتقاد الرئيس جونسون انه ربما كان ممكنا للجمهورية المربية المتحدة وإسرائيل انتهاج نهج مماثل فإذا كان من الممكن التذرع بضبط النفس بإجراءات متبادلة ومتقابلة من الدولتين العظميين في العالم ، وجب ان يكون ذلك مستطاعا بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة ، باعتبارها دولة عظمى في الشرق الاوسط ، فتشارك بسلوك مماثل .

والذى يجول بخاطر الرئيس جونسون هو ان الجمهورية العربية المتحدة تستطيع ان تؤكد للولايات المتحدة في هدوء بانها تعتزم تجميد استحداث القذائف ارض ـ ارض عند المستوى الحالى، ويسرى هذا على كل من عدد اللذائف، وحالتها الحاضرة من حيث التطور التقنى. يضاف إلى ذلك انها نستطيع ان تؤكد للولايات

المتحدة بأن الجمهورية العربية المتحدة لا تعتزم استحداث اسلحة نووية أو الحصول عليها .

وفي اعتقاد الرئيس جونسون بانه من الممكن الحصول من إسرائيل على تاكيدات مماثلة . وبهذه الكيفية يخف الضغط على البلدان في ابواب الإنفاق المضطردة الزيادة في مجال الاسلحة ، ويقل إلى حد كبير خطر وجود اسلحة نووية في الشرق الادنى . وتعترف الولايات المتحدة بان للجمهورية العربية المتحدة احتياجات مشروعة إلى قوة دفاعية كافية ، غير انه يعتقد بان هذا التحرك المقترح لن يعرض امن الجمهورية العربية المتحدة للخطر لأن من شانه منع إسرائيل من استحداث قذائف واسلحة نووية تشكل تهديدا مضطرد النمو لكل من الجمهورية العربية المتحدة والعالم العربي .

وفيما يتعلق بالاسلحة النووية ، فإن الرئيس عبد الناصر قد ابلغ في مناسبات سابقة بان الولايات المتحدة تحث إسرائيل تكرارا على قبول وضع ضمانات دولية على تطورها النووى . وستواصل الولايات المتحدة القيام بذلك اعتقادا منها بان التطبيق العالمي (لقواعد) الوكالة الدولية للطاقة الذرية هو انجع ضمان لتطوير الطاقة النووية السلمية بصورة سليمة مع الحرص على عدم استحداث الاسلحة النووية علنا أو سرا .

والولايات المتحدة متحيرة شيئا ما تلقاء بيانات ممثل الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر نزع السلاح في جنيف حول مقترحات الوكالة الدولية للطاقة الذرية . فقد اعترضت الجمهورية العربية المتحدة على ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية (المفروضة) على نقل المواد القابلة للانشطار والمعدات وفقا لما اقترحه وفد الولايات المتحدة في ٥ مارس . وقد اشار الرئيس عبد الناصر اثناء الحديث الذى جرى يوم ٣ مارس مع مساعد وزير الخارجية تالبوت إلى انه ربما امكن للجمهورية العربية المتحدة قبول ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية في وقت مناسب . وربما ارتات الجمهورية العربية المتحدة أن الترتيبات المقترحة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية هي ترتيبات شديدة الصعوبة أو التعقيد . فإن كان الامركذلك ، فإن الولايات المتحدة لترحب بوجهات نظر الرئيس عبد الناصر .

وإن الرئيس جونسون ليرحب بصورة خاصة بتاييد الجمهورية العربية المتحدة لمبدأ ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية لأن من شان هذا ان يساعد جهدنا الدولي في حماية العالم من اى استحداث جديد للأسلحة النووية ، وحتى تبين الولايات المتحدة إخلاصها لبرنامج الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، فقد عرضت إجراء تفتيش على مفاعل من اهم مفاعلاتها النووية .

والولايات المتحدة إذ تبسط قضية ضبط النفس في استحداث الاسلحة بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل، إنما تكرر بانها لا تفعل ذلك لكى تحمى إسرائيل أو تخدم المصالح الاسرائيلية. وهمها إنما ينصرف إلى التخفيف من التوترات في الشرق الاوسط، والمساعدة في الضمان الذي يقى من مخاطر الحروب.

الفصل الـرابع

عاصبة العسالم الثالث

0

كان « نيكيتا خروشوف » الزعيم الأشهر للاتحاد السوفيتى في طريقه بالبحر – رحلة خمسة أيام من يالطا إلى الاسكندرية – على ظهر الباخرة « أرمينيا » – وشامت الظروف أن أكون معه ، ضيفا عليه في بيته ليوم واحد قبل الابحار من يالطا ، ثم مدعوا معه على ظهر الباخرة « أرمينيا » طوال أيام السفر الخمسة حتى الاسكندرية .

كان الترتيب لزيارة « خروشوف » قد بدأ قبل ذلك بشهور ، وبالتحديد هين وجد الاتحاد السوفيتى أنه مطالب بإعادة النظر في سياساته العربية بعد سلسلة الهزائم والتراجعات التي لحقت به في المنطقة .

فلقد فشلت سياسته في الاعتماد على الأحزاب الشيوعية العربية ، وتأكد له خطأ نظرته إلى قضية الوحدة العربية بعد أن سقط نظام الانفصال في دمشق . كذلك انهار أمامه في بغداد نظام = عبد الكريم قاسم» الذي توهمه قادرا على التصدي للقاهرة . وفوق ذلك فإن المذابح التي قام بها الشيوعيون في العراق = وردود الفعل التي استدعتها بعد سقوط = عبد الكريم قاسم » أحدثت سلسلة من الصدمات في موسكو ، مما فرض على القيادة السوفيتية أن تبحث في الأسباب ، وفي الدوافع ، وفي من القضايا واصولها .

والولايات المتحدة على علم بان العالم العربي يعد إسرائيل دولة لا مفر من كونها توسعية . ولئن لم تشاطر الولايات المتحدة هذا الاعتقاد ، فإن السفير مخوّل بان يقول بصفة للنا بان الولايات المتحدة ستعارض بشدة أي حمد تبذله إسرائيل لتوسيع حدودها ، كما أنه سيكون لها رد فعل إزاء التهديدات بلعدوان على أي دولة في منطق الشرق الأوسط سواء داخل الأمم المتحدة ، أو فهما وراءها .

وفي الختام ، الح السفير في إيلاء المشكلة المعروضة فيما تقدم التي قدر من التفكير . والبادى ان سباقي التسلح ، سواء في الأسلحة التقليدية ، أو في الأسلحة الجديدة المتطورة ، أخذ في الازدياد . إن الوقت يمر حتما ، وإن لم تتخذ الأن خطوات إلى الأمام ، فقد تفلت المسالة من اليد . لهذا عاد السفير ، فاشار إلى رسالة الرئيس جونسون الذي قام بتسليمها وتسامل فيها عما إذا كان مستطاعا أن ببنل الرئيس عبد الناصر تاكيدات بان الجمهورية العربية المتحدة لا تعتزم الحصول على الاسلحة النووية ، أما فيما يتعلق بإمكان تجميد استحداث الاسلحة عند مستواها الحالى ، فقد اعرب السفير عن الامل في أن يكون في وسعه إجراء مناقشة اخرى حول الحالى ، فقد اعرب السفير عن الامل في أن يكون في وسعه إجراء مناقشة اخرى حول هذا الموضوع بعد زيارة رئيس الوزراء خروشوف .

وقد اجاب الرئيس عبد الناصر بقوله إنه سيرد على رسالة الرئيس جونسون ، اما اقتراح تجميد مستوى الاسلحة فهو من الخطورة بحيث يحقاج إلى إمعان فكر ، وطلب من السفير أن يقدم إليه مذكرة غير رسمية عن المناقشة ، وأنه ، بعد زيارة رئيس الوزراء خروشوف ، سيبحث الموضوع بحثا أخر .

جـون بادو سفير الولايات المتحدة

السفارة الأمريكية القاهرة ، ج. ع. م. 11 مليو ١٩٦٤ =

وتلت ذلك مفاجاة لم تكن متوقعة ، ففي يوم ١٧ مايو ١٩٦٤ اعلن السفير الأمريكي في القاهرة « جون بادو » انه قدم استقالته من منصبه على أن تكون نافذة المفعول ابتداء من يوم ٩ يونيو _ أي بعد أقل من شهر . وكان تفسيره لهذه المفاجاة « أنه قرر العودة إلى مجال التعليم مرة أخرى ، فقبل منصب أستاذ جامعة كولومبيا » !!

ولم يكن سبب الاستقالة مقنعا ، والأرجح أن « بلاو » راح يحس بوما بعد يوم أنه أصبح في موقف مستحيل ، وأنه وضع بين شقى الرحى!!

وهكذا لم تتح له فرصة مناقشة مذكرته وما حوته من موضوعات خطيرة مع الرئيس • جمال عبد الناصر » - كما اتفقا - بعد انتهاء زيارة • خروشوف • لصر .

لم يكن الاتحاد السوفيتي من الأساس معتقدا بصحة فكرة القومية العربية ، ولم يكن يرى في الشعوب العربية أمة واحدة سائرة في يوم من الأيام إلى تحقيق وحدتها ، وإنما كان يراها شعوبا مختلفة ودولا متفرقة بينها روابط ثقافية معينة تستطيع تحقيق نوع من التجانس والقرب ، ولكنها لا تصل إلى اكثر من ذلك أو أبعد ، وصحيح أن الاتحاد السوفيتي أبدى في بعض الفترات قبولا ظاهريا للفكر القومي العربي ، ولكن ذلك كان من قبيل المجاملة السياسية ، ومنطق فض المجالس . ومن هنا فإنه وقف موقفا معارضا للوحدة بين مصر وسوريا ، ومؤيدا للانفصال ، ثم إنه اتخذ ما اتخذ من مواقف بعد ثورة ١٤ يوليو في العراق . ثم دخل من ذلك إلى خلاف ساخن ، ومشتعل في بعض اللحظات مع الجمهورية العربية المتحدة وقياداتها .

وعندما تغيرت الأوضاع في بغداد ودمشق ، وعندما بدأت محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق ، وجد الاتحاد السوفيتي نفسه أمام ظواهر تؤكد له ضرورة إعادة النظر في قناعاته ومنطلقاته ، وإلا كان عليه أن يواجه عزلة في المنطقة تؤثر على هيبته ، وعلى حركته في السياسة العالمية .

وفى أثناء اجتماع الحزب الشيوعى السوفيتى في مايو ١٩٦٣ أعيد طرح قضية الوحدة العربية مرة أخرى ، ودارت مناقشات معمقة شارك فيها كثير من العقائديين والساسة في الحزب . وفيما يبدو فإنهم انتهوا إلى إقرار ورقة أعدها خبير الحزب المتخصص في قضايا حركة التحرر الوطنى وهو « أوليانوفسكى » ، وكانت النتيجة التى توصل إليها في ورقته أن هناك بالفعل أمة عربية واحدة في طريقها إلى التكوين ، وأنه قد يكون من صالح الاتحاد السوفيتي أن يتعامل مع مشروع هذه الامة ككل ، ومن مركز رئيسى واحد هو القاهرة ، دون أن يعنى ذلك بالضرورة إغلاق أية مسالك فرعية أخرى إلى عواصم عربية غير القاهرة . وذهب إغلاق أية مسالك فرعية إلى أن « كنيدى » نفسه يتبع هذا الخط مع « جمال عبد الناصر » بينما الاتحاد السوفيتي مشتبك مع هذا « الزعيم البارز للعالم العربي » في معارك سياسية وإعلامية بسبب أحزاب شيوعية ضعيفة وهامشية !

وعلى هذا الأساس جرت إعادة النظر في سياسة الاتحاد السوفيتي ، وتم التوصل إلى اعتماد سياسة جديدة تستند على ورقة « أوليانوفسكي » وتبحث عن وسائل للتعبير عن نفسها عمليا . وأصبحت المشكلة المطروحة في موسكو هي كيف يمكن خلق فرص تتم فيها عملية جس نبض القاهرة ، ومعرفة مدى استعدادها لفتح صفحة جديدة في العلاقات توقف المعارك الاعلامية المتبادلة ، ثم تفتح الأبواب بعدها لمرحلة أخرى .

وكانت هناك علاقات ود تربطني بـ « البكسي ادجوبي » رئيس تحرير صحيفة • ازفستیا » ، وكان « أدجوبي » في نفس الوقت متزوجا من « رادا » ابنة الزعيم السوفيتي « خروشوف » . وفي هذه الفترة تلقيت خطابا من « أدجوبي » تحدث فيه مطولا عن قضايا سياسية وصحفية مما كانت تحتويه مراسلاتنا عادة ، ثم وصل في نهاية الخطاب إلى فقرة قال فيها إنه قرأ في بعض صحف الغرب عن مشروع مبنى • الأهرام » الجديد الذي فرغنا من دراسته وبدأنا تنفيذه ، وأنه كان يتمنى أن تتاح له الفرصة لكي يطلع على مشروعنا ، وأن تكون من ذلك فرصة لكي يرى الأهرام وابو الهول والأقصر . وفي أول لقاء لي بعد ذلك مع « جمال عبد الناصر » أطلعته على خطاب « ادجوبي » وابديت ملاحظة مؤداها أن في رغبة « ادجوبي » لزيارة مصر إشارة واضحة ، وأننى أفكر فعلا في توجيه دعوة إليه هو وزوجته لزيارة مصر ، وبدأ على « جمال عبد الناصر » أنه تذكر شيئًا ، وكان قوله بعد ذلك : « إن أدجوبي أبدى مثل هذه الملاحظة عندما كان في وداع « هدى »(١) في مطار موسكو ، فقد قال لسفيرنا عند سلم الطائرة « إن السفر إلى مصر كان دائما حلما من أحلامه » . » ثم وافق • جمال عبد الناصر » على فكرة توجيه الدعوة إلى « اليكسى » و« رادا " . وكانت في رايه محاولة لتصفية أجواء العلاقات العربية السوفيتية مما علق بها من آثار معارك سياسية دامت خمس سنوات ، وحان الوقت لانهائها .

وبعثت إلى « أدجوبى » بدعوة من » الأهرام » لزيارة مصر هو وزوجته ، وتلقيت قبولهما للدعوة عن طريق السفارة السوفيتية بالقاهرة في ظرف أيام قليلة . وقبل أن يمر أسبوعان على توجيه الدعوة كان الاثنان في القاهرة . وعندما ذهبنا جميعا في أحد أيام الزيارة إلى منطقة الأهرامات ، وقف » أليكسى » أمام الهرم الأكبر » وقال موجها كلامه لزوجته « رادا » متعمدا أن يكون كلامه باللغة الانجليزية : « ألا تظنين أن الرجل الكبير سوف يقف مبهورا أمام هذا المشهد ؟ » وكان واضحا أنه يعنى الرجل الكبير سوف يقف مبهورا أمام هذا المشهد ؟ » وكان واضحا أنه يعنى « خروشوف » وبشكل ما فقد أحسست أن جزءا من تساؤله موجه إلى كما هو موجه إلى « رادا » . وقلت على الفور : « ولم لا ؟ » . وكان سؤاله بعدها ما إذا كنت أظن أن الرئيس « جمال عبد الناصر » على استعداد لتوجيه الدعوة لـ « خروشوف » لزيارة مصر ، مكان ردى أن هناك على حد علمى دعوة قائمة لـ « خروشوف » بزيارة مصر ، ردا على زيارتين قام بهما « جمال عبد الناصر » للاتحاد السوفيتى (زيارة رسمية في الريل ١٩٥٨ وزيارة سرية في يوليو ١٩٥٨ في أعقاب ثورة العراق) . ثم أضفت أنهما سيقابلان الرئيس معى غدا ، وأننا نستطيع أن نفتح الموضوع أمامه ونستطلع رأيه .

وكان « جمال عبد الناصر « مستعدا للموضوع عندما أثير التساؤل في

^(1) الابنة الكبرى للرئيس ، جمال عبد الناصر ، وكانت قد عادت قبل اسابيع من رحلة إلى الاتحاد السوفيتي .

حضوره . كان جاهزا بمناسبة الدعوة ، وقد اختار لها شهر مايو في مناسبة إتمام تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع السد العالى .

وفي الأيام الأخيرة من أبريل ١٩٦٤ - كنت في البين أتابع الأحداث فيها حين تلقيت تليفونا من موسكو ، وكان المتحدث هو « اليكسي الجوبي » الذي قال لى : » إن الرجل الكبير قادم إلى بلادكم كما تعرف بعد انتهاء احتفالات أول مايو في الاتحاد السوفيتي ، وقد كنا معه بالأمس نتحدث في شان هذه الزيارة ، واقترح أن تجيء إلى الاتحاد السوفيتي لكي تحضر معنا عيد أول مايو ثم تعود معه إلى مصر . إن لديه اسئلة كثيرة عن بلادكم ، وعن العالم العربي ، وهو يريد أن يناقشها بطريقة غير رسمية وبصراحة ، وقد اتفقنا جميعا على أن مناقشاته معك يمكن أن تكون مفيدة » . وسألته « إذا كان يعرف أنه يكلمني وأنا في صنعاء ؟ » وقال « إنه يعرف » ، وقلت إن « هذا هو اليوم الأخير في شهر أبريل وغدا هو أول مايو ، ولا استطيع عمليا أن أحضر احتفالات أول مايو » ، وكان رده « أنه يعرف ، وأنه ليس مهما أن أحضر استعراض أول مايو فقد شهدته من قبل ، ومع يعرف ، وأنه ليس مهما أن أحضر استعراض أول مايو فقد شهدته من قبل ، ومع ذلك فقد يكون من الأنسب أن أذهب إليهم بأسرع ما استطيع ، والحق بقية ذلك فقد يكون من الأنسب أن أذهب إليهم بأسرع ما استطيع ، والحق بقية الاحتفالات التألية للاستعراض الكبير – ثم نعود جميعا إلى مصر » .

وفرغت من الحديث مع « ادجوبى » لأجد ضابطا من القيادة العامة للقوات المصرية في اليمن يحمل إلى رسالة تلقتها القيادة باللاسلكي من القاهرة موجهة إلى من الرئيس » جمال عبد الناصر » . وكان نصبها : « اقترح السوفيت أن تسافر إلى موسكو ، وأن تعود مع خروشوف لأن لديه اشياء كثيرة سياسية وغير سياسية يريد أن يستوضحها منك _ وأرى أن تعود فورا إلى القاهرة لكى تتوجه إلى موسكو بعد أن تقابلني » . وركبت أول طائرة من صنعاء إلى القاهرة ، وتوجهت مباشرة إلى بيت « جمال عبد الناصر » ومنه عدت إلى طائرة موسكو

ولأيام متصلة من شهر مايو ١٩٦٤ وجدت نفسى اعيش مع « خروشوف » . وفي اليوم التالى لوصولى إلى العاصمة السوفيتية « وجدتنى على مائدة الافطار معه ومع ضيفه في احتفالات أول مايو الرئيس الجزائرى « أحمد بن بيلا » . ومن الحق أن يقال إن « أحمد بن بيلا » أضاف كثيرا إلى معلومات « خروشوف » عن دور مصر الخاص في العالم العربي ، وعن مكانة « جمال عبد الناصر » المتميزة في قيادة حركة القومية العربية .

كان « خروشوف » معجبا بكفاح الشعب الجزائرى وصلابة نضاله ، وكان « أحمد بن بيلا » في ذلك الوقت هو الرمز الحي لذلك الكفاح . ومن هذا الموقع ، فإن

« بن بيلا » كان أول زعيم عربى يحصل على وسام « بطل الاتحاد السوفيتى » وهو أعلى الأوسمة السوفيتية . وعندما قال « بن بيلا » بطريقة لا تحتمل اللبس لـ « خروشوف » إن « علاقاتكم مع مصر ومع جمال عبد الناصر هى المعيار لعلاقاتكم بالعرب جميعا » كان « خروشوف » يستمع ويهز رأسه باهتمام .

وبعد احتفالات أول مايو توجه « خروشوف » ومعه « بن بيلا » إلى القرم لإجازة مدتها ثلاثة أيام ، ثم لحقنا بهما جميعا في يالطا . وعاد » بن بيلا » من يالطا إلى الجزائر ، وبدأ المسافرون إلى القاهرة يستعدون لرحلة البحر إلى الاسكندرية . وكان الوفد السوفيتي المسافر مع « خروشوف » كبيرا على المستوى الرسمي والشخصي . كان من أعضاء الوفد الرسميين كل من « أندريه جروميكو » وزير الخارجية ، والماريشال « جريتشكو » وزير الدفاع ، و « نيباروجني » وزير الطاقة الكهربائية ، و « سكاتشكوف » وزير العلاقات الاقتصادية الخارجية ، و « اليكسي أدجوبي » رئيس تحرير « ازفستيا » ، و « ساتياكوف » رئيس تحرير جريدة « برافدا » وعلى الناحية تحرير « ازفستيا » ، و « ساتياكوف » رئيس تحرير جريدة « برافدا » وعلى الناحية و « سيرجي » أبن « خروشوف » وقرينته « جالينا » ، ثم « تانيا » ابنة « سيرجي » أبن « خروشوف » وقرينته « جالينا » ، ثم « تانيا » ابنة « ساتياكوف » رئيس تحرير « برافدا » . وكانت دارسة لآداب اللغة العربية في جامعة « موسكو .

كانت الحياة مع « خروشوف » خلال هذه الأيام _ ف بيته في يالطا ، وعلى ظهر الباخرة » أرمينيا » من البحر الأسود إلى جنوب البحر الأبيض _ مثيرة إلى أبعد حد . لله كان الرجل مليئا بالفضول تجاه العالم الغريب عنه والذي يوشك أن يزوره لأول مرة . ولم تنقطع اسئلته ولا ملاحظاته ، وكان معظمها يدور حول فكرة القومية العربية ، وحول الروابط الثقافية والتاريخية والسياسية بين شعوب هذه الأمة ، وحول إمكانياتها ومواردها واحتمال تطورها في المستقبل . وقد للمت نظرى باكثر من أي مرة التقيته فيها سابقا ، كثير من جوانب شخصيته المتعددة الزوايا والألوان . وكذلك لفتت نظرى فيه ظاهرة لم تكن مالوفة أل غيره من زعماء العالم الذين عرفتهم . فقد كانت تلقائيته مثيرة للدهشة في بعض الأحيان إلى حد يدعو للحرج .

وقد حدث على سبيل المثال عندما كانت الباخرة « أرمينيا » تعبر البسفور بين ضفافه التركية أن صعد قائد الأسطول التركي إلى ظهر الباخرة » أرمينيا الميرحب رسميا بزعيم الاتحاد السوفيتي الذي يعبر المياه الاقليمية التركية . وقبل أن يستقر الأميرال التركي في مقعد أعد له على ظهر الباخرة بجوار » خروشوف » إذا هو يفاجا ب « خروشوف » يقول له : « تعال يا سيدى الأميرال ، وانظر من خلال نظارتي

المكبرة إلى هذه الاستحكامات المقامة على شواطئكم . إننى إى هناك بعض التحصينات وبعض أوكار المدافع ، وأسالكم لماذا تضيعون وأتكم في مثل هذا الهراء الذي لا ينفع ولا يجدى . أنتم لم تتعلموا بعد طبيعة الحرب الحديثة ، ولا تدركون أن كل هذا الذي تحصنون به شواطئكم هو لعب اطال تنكسر في أول ثانية من الحرب . وفوجيء الأميرال التركى ، ولم يستطع أن يجدكما يرد بها على زعيم الاتحاد السوفيتي .

وفي مثال آخر صعد « خروشوف » ليتمشى على ظهر الباخرة « إمينا » ووجدنى هناك على جسرها ممسكا بجهاز راديو صغير أحاول أن التقط ب إذاعة القاهرة . وأقبل على بخطى سريعة ليسالنى عما أسمعه ، وقلت له إننى أحاول أن التقط أيا من الاناعات المصرية . وفوجئت به يقول لى : « اسمع ، أنا لا أسطي أن أخفى ما بقلبى . لقد تلقيت قبل قليل تقريرا من القاهرة بأن الحكومة هناك تعاول تحجيم استقبال جماهير شعبكم لى ، وأنا لا أفهم هذا إلا إذا كنا ما زانا أسرى خلافاتنا القديمة » . وقلت له : « قمل تأذن لى أن أرد عليك بصراحة كما سأتنى بصراحة » ورد على قائلا : « بالطبع وإلا فلماذا سألتك ؟ » وقلت له : « إن الذي كتب هذا التقرير واحد من اثنين : إما رجل يجهل الحقائق ، وإما أنه يقصد أن يخدعك » ثم استطردت واحد من اثنين : إما رجل يجهل الحقائق ، وإما أنه يقصد أن يخدعك » ثم استقبالك « أرجوك أن تعرف أنك في مصر سوف تكون ضيفا على جمال عبد النامر ، واستقبالك أقل فيها ليس أمرا متعلقا بقيمتك ، وإنما هو متعلق بمضيفك . وإذا كان استقبالك أقل مما تستحق » فلن يكون هذا انتقاصا من قدرك أنت ، وإنما انتقاص من قدر الرجل الذي أنت ضيف عليه _ هكذا التقاليد العربية » . وكان «خرشوف » يصغي باهتمام ، وكان تعليقه « أن ما قلته له يبدو له معقولا ، ومع ذلك فإن كفلاح بالطبيعة بيثر أن ينتظر حتى يرى بنفسه » .

وعندما وصل « خروشوف » إلى القاهرة كان استقباله فيها حافلا ، وعندما دخل إلى قصر القبة بعد رحلته بالقطار من الاسكندرية ، وبعد أن اخترق شوارع القاهرة من محطة السكك الحديدية إلى قصر القبة كانت الدموع في عينيه تأثرارانفعالا . وكان أول ما فعله بعد أن دخل غرفة نومه أن طلب استدعائي ليقول لى : • إن لم تكذب على فأنا لم أر في حياتي ما رأيته في هذا اليوم ...

وكانت رحلة «خروشوف» إلى مصر ناجحة بكل المعايير، للم تشبها غير حادثتين جرت أولاهما خلال الاحتفال الرسمى بتحويل مجرى اللل، فقد وقف «خروشوف» ليخطب في الاحتفال، وكان خطابه باللغة الروسية بالطبا، وكان يتوقف بين فقرة وأخرى لكى يستطيع مترجمه أن يعيد على الجماهير ما الله رئيسه بلغة

عربية ركيكة لم تكن تثير سامعيه . وبعد أن انتهى « خروشوف » كان الدور على الرئيس « عبد السلام: عارف » الذي كان هو والرئيس « بن بيلا » ضيوفا ف الاحتفال . والذي حدث أن الرئيس » عارف » ملا خطابه باستشهادات من أيات القرآن الكريم ألهبت حماسة الجماهير المحتشدة في الاحتفال .

وعندما انتهت المراسم، وعاد «خروشوف» إلى فندق «كاتاراكت» للاستراحة فوجئت به يدعونى إلى غرفته، ودخلت لأجده ممددا على سريره بملابسه الداخلية، وقد تحول جسده الأبيض من تأثير حرارة شمس أسوان إلى لون الطماطم الحمراء، وفوجئت مرة أخرى به يقول: «لم أفهم حماستهم الزائدة لعارف»، ثم راح يسالنى «هل ستظل العنزة معنا طوال الرحلة؟ «وسالته عما يقصده ب « العنزة » ومد يده إلى إحدى صحف الصباح التى كانت في غرفته، وفي صفحتها الأولى صورة لضيوف احتفال السد العالى عند وصولهم بالأمس إلى أسوان، وهو يقول لى: «عارف. عارف. الا تراه هنا [هذه الصورة أشبه ما يكون بالعنزة »!!

ووقعت الحادثة الثانية على ظهر الباخرة « الحرية » التي انتقل إليها الجميع من اسوان إلى شاطىء البحر الأحمر ليوم نزهة بحرية كان مفروضا أن تخصص لصيد السمك . وكان حظ السمك طيبا لأن اليوم كله ضاع في مناقشات عنيفة لم تسمح لأحد أن يمسك بسنارة صيد . كان « خروشوف » معبأ ضد » عبد السلام عارف " وزاد من حدة مشاعره أنه قرأ عن تنفيذ أحكام بالاعدام في بعض الشيوعيين ف بغداد قبل يومين اثنين . وهكذا فإنه عندما صعد إلى ظهر الباخرة « الحرية » الراسية في ميناء « برنيس » ووجد » جمال عبد الناصر » و « أحمد بن بيلا » و « عبد السلام عارف » في انتظاره على ظهرها ـ صافح « جمال عبد الناصر » و « احمد بن بيلا » ثم سحب يده قائلاً أله « عبد السلام عارف » إنه لا يستطيع أن يصافح الأيدى الملوثة بدماء الشيوعيين في العراق. وتوتر الجو إلى درجة خطيرة ، وتدخل « جمال عبد الناصر » وطلب إلى « خروشوف » أن يمد يده إلى " عبد السلام عارف " ثم يجلس لمناقشة الأمر في هدوء . وأحس « خروشوف » ان الموقف يمكن أن يتطور إلى حد لا يريده أحد ، فمد يده لمصافحة « عبد السلام عارف ، وقال إنه يريد أن يسمع منه . وانبرى « بن بيلا » يقول لـ « خروشوف » : « بل ستسمع منى اولا » . ثم بدا « بن بيلا » يشرح التناقضات التي لابد من الاعتراف بها بين عقائد العرب وجوهرها الاسلام، وبين العقائد المادية للفكر الماركسي . ثم تطرق من ذلك إلى الحديث عن دور التنظيمات الشيوعية ل العالم العربي مركزا على دور الحزب الشيوعي ا الجزائر ، وكيف أنه اعتبر نفسه امتدادا للحزب الشيوعي الفرنسي ولم يقم بأي

جهد في النضال التحرري الجزائري ، بل إن العكس مع الاسف كان هو الصحيح . ثم حان الدور على « جمال عبد الناصر ، لكي يتكلم . وراح بدوره يتحدث عن ضرورة الاتفاق على أن بين القوميين الغرب، ربين الشيوعيين خلاف يحسن بالأطراف جميعا أن يسلموا بوجوده، وأن بتعلموا كيف يتعاملون مع بعضهم من خلال التسليم بحقائقه ، فالاسلام هو الجوهر الحضارى للقومية العربية، والاسلام دين سماوى، والأمنون به ليسوا مستعدين للمساومة فيه سياسيا مهما كان الثمن . ثم راح , سال عبد الناصر » يعد أسباب التناقض واحدا بعد واحد منتهيا بانه لا مستبل للشيوعية في العالم العربي، وأن هذا لا يقلل من التوجهات التقدما لحركة القومية العربية . ثم راح يستعرض تصرفات الأحزاب الشيوعية العربية في مختلف بلاد العالم العربي واحدة بعد واحدة بادئا من مصر إلى سوريا إلى العراق قائلا ل النهاية : « إنهم فقدوا اي مصداقية يمكن أن تكون لهم ، وإن الاتحاد السوفيتي يخطىء كثيرا إذا ربط سياساته في العالم العربي بالأحزاب الشيوعية . . ثم قال: • إنكم تستطيعون اعتبارهم اصدقاء عقائديين لكم تدعرنهم إلى احتفالات أول مايو او احتفالات ثورة اكتوبر، فهذا حقكم لا ننازعكم فيه، واما هنا ل العالم العربي ، فإنهم اختاروا العمل تحت الأرض ، وسوف يبقون 🗓 المكان الذي اختاروه لانفسهم . .

وربما أضفت إلى هاتين الحادثتين حادثة ثالثة وقعت منى ، فقد كتبت ف « الأهرام » سلسلة مقالات عن تجربة تلك الأيام مع « خروشوف، وجاء في أولاها ، وقد نشرت في أثناء وجود « خروشوف » في مصر أنه « اشبه مابكون بفلاح يطل براسه من إحدى قصص « دوستويفسكي » ! »

ودعانى « خروشوف » إلى لقائه فى يوم سفره من مصر لباتبنى ، وقلت له : « إنك كررت لى أكثر من مرة أنك تعتبر نفسك « فلاحا » وتتصرف فى كل موقف على هذا الاساس » . ورد بسرعة :

« لا اعاتبك لأنك قلت إننى فلاح ، وإنما اعاتبك لانك قات إننى فلاح من قصص « دستویفسكی » - لملذا لم تجدنی فلاحا من قصص « تراسنوی » - فلاح « دستویفسكی » خبیث وشخصیته معقدة ، واما فلاح « تراسنوی » فطیب وشخصیته بسیطة ! »

وعندما غادر عضور القاهرة عائدا إلى موسكو كانت العلاقات العربية السوفيتية قد وضعت على أساس سليم ، وكانت احتمالات نموها في الستقبل قد تحددت واتضحت توجهاتها . وكذلك كانت نتائجها العملية في مجالات التصنيع ، والتسليح ، واستصلاح الأراضي نتائج بالغة الاهمية والأثر .

لم تكد طائرة « خروشوف » تقلع من مطار القاهرة عائدة به إلى موسكو حتى كانت طائرة » ليفى أشكول » رئيس وزراء إسرائيل تهبط به في « فيلادلفيا » التى وصلها بادئا زيارة رتبت على عجل للقاء بينه وبين الرئيس « جونسون » » .(۲)

وفي يوم ٢ يونيو ١٩٦٤ كان «جونسون » في انتظار « أشكول » على أبواب البيت الأبيض مرحبا بعبارات لم يسمعها أحد من قبل صادرة عن رئيس أمريكي موجهة إلى رئيس وزراء إسرائيلي ، قلل «جونسون» موجها كلامه لله « الشكول » : « إن إسرائيل لها أن تعرف وأن تثق بأن لها صديقا وفيا وحميما في البيت الأبيض ، وأن سلامة وأمن إسرائيل هما جزء لا يتجزأ من سلامة وأمن الولايات المتحدة » .

واجتمع ثلاثة عشر سفيرا عربيا في واشنطن ، وقرروا أن يذهبوا معا إلى وذارة الخارجية ليسلموا احتجاجا جماعيا باسم العرب جميعا ، واستقبلهم هناك مساعد وزير الخارجية الأمريكية الذي قال لهم : « إن مواكب احتجاج السفراء العرب أن لها أن تتوقف ، وأنها أصبحت مثل مواكب الجنازات » ، واعتبرها السفراء العرب استفزازا ، وغادروا مكتب مساعد وزير الخارجية معلنين أنهم قرروا التشاور مع حكوماتهم فيما اعتبروه إهانة جماعية لحقت بهم .(٣)

وكان المحقق ان نجاح زيارة • خروشوف » لمصر لم يكن موضع رضا في واشنطن !

 ⁽٢) امتدت زيارة • اشكول ، للولايات المتحدة اثنى عشر يوما ، وقد بدات يوم ٣١ مايو وانتهت يوم ١١ يونيو .

[.] (٣) تقرير مشترك من السفراء العرب إلى السيد ، عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية ، فضلا عن التقارير التي ارسلها كل سفير منهم إلى حكومته .



كانت زيارة «نيكيتا خروشوف » في شهر مايو ١٩٦٤ حدثا دوليا هاما ، ومع ذلك فإنها لم تكن الحدث الدولي الهام الوحيد الذي شهدته القاهرة في هذه السنة . فقبلها كانت القاهرة ملتقى لاجتماع القمة العربي (يناير ١٩٦٤) ، وبعدها بشهرين لحق بزيارة «خروشوف » للقاهرة مؤتمر على مستوى القمة لمنظمة الوحدة الافريقية شاركت في أعماله ٢٤ دولة من القارة السوداء .

كانت القاهرة منذ البداية احد مؤسسى منظمة الوحدة الافريقية ، فقد كانت « الدائرة الافريقية » ضمن الدوائر الثلاث الشهيرة للعمل المصرى كما حدده « جمال عبد الناصر » في « فلسفة الثورة » . وهكذا قامت مصر بتكوين مجموعة الدار البيضاء التي مثلت الدول المتحررة في إفريقيا سنة ١٩٦١ ، ثم سعت بعد ذلك إلى دمج هذه المجموعة مع المجموعة الأخرى التي نشأت في مواجهتها ، وهي مجموعة دول الملاجاش . ثم توصل العمل الافريقي وضروراته إلى دمج المجموعتين بتأسيس منظمة الوحدة الافريقية في اجتماع على مستوى القمة في أديس أبابا في مايو ١٩٦٣ .

وف يوليو ١٩٦٤ كان موعد لقاء القمة الافريقي ف القاهرة ، وكان هذا هو المتماع العمل الأول ـ بعد اجتماع التأسيس ف أديس أبابا ـ وقد تقرر عقده ف القاهرة اعترافا بدورها في النضال الافريقي .

كانت القاهرة تريد أن تجعل من القمة الافريقية مؤتمرا ناجحا . ولكن الجلسة الأولى للمؤتمر كانت تعبيرا متجددا عن أحزان أفريقيا : الشكوى من الاحتكارات المسيطرة مثل احتكار " أوبنهايمر " الذى أثاره الرئيس « نكروما » وشرح أثناء كلامه عنه كيف أن « أوبنهايمر " ابتلع ١٠٤ شركات تحتكر الأن فيما بينها أثناء كلامه عنه كيف أن « أوبنهايمر " العالم والشكوى من التمييز العنصرى ، وقد أثارها بانفعال الرئيس « موديبوكيتا » رئيس مالى ، وزاد انفعاله وصوته يجلجل في بانفعال الرئيس « موديبوكيتا » رئيس مالى ، وزاد انفعاله وصوته يجلجل في العنودية ؟ » ثم انفجر يتحدث عن تجارة العبيد ، ولحقه الرئيس « نكروما » للعبودية ؟ » ثم انفجر يتحدث عن تجارة العبيد ، ولحقه الرئيس « نكروما » الذى قال إن بريطانيا كانت تاجر العبيد الأكبر أل التاريخ ، وأنه وجد وثائق في الذى قال إن بريطانيا كانت تاجر العبيد الأكبر أل التاريخ ، وأنه وجد وثائق في وشحنوهم إلى مستعمراتهم ، أو تاجروا فيهم حيث شاعوا يصل تعدادهم إلى ما بين ٢٠ إلى ٥٠ مليونا من المشر.

وحتى ثائر جديد مثل الرئيس « بن بيلا » وجد نفسه يجارى هذه الأصوات المثقلة بالأحزان ، فتحدث عن الطريقة التى تصرف بها آخر مقيم فرنسى عام فى الجزائر قبل الاستقلال ، وقد وصل به الأمر إلى حد شحن كل ما كان موجودا فى القصور من تحف وأثاث ، حتى لقد حمل معه لمبات الكهرباء التى كانت تضىء مقره ، والذى تحول فيما بعد إلى قصر الشعب .

وتضامن الرئيس « نيريرى » مع هذا الشجن فوقف يتسامل هل يعقل أن بلدا مثل بلجيكا يستعمر بلدا مثل الكونجو وهو أكبر منه في الحجم ٧٧ مرة ؟ والأسوأ من ذلك أن مستعمرة الكونجو كانت من أولها إلى أخرها ملكا شخصيا لـ « ليوبولد السادس » من سنة ١٨٧٦ إلى ١٩٠٨ وهذا جعله أغنى رجل في العالم في زمانه ، ومسيطرا على أهم مناجم الذهب والنحاس والماس ومزارع المطاط وتجارة العاج ، لكن أكثر من ٥ ملايين كونجولي ماتوا جوعا في أسر عبوديته . ولم يسكت الرئيس « نيريرى » عند هذا الحد ، وإنما قفز من الماضي إلى الحاضر ليقول : « والأن امامنا الكونجو الجنرال موبوتو ، وهو يزعم أن الله قد هداه فراى النور . ولست مستعدا أن أصدق أن المعجزة التي حدثت للقديس بولس يمكن أن تتكرر مرة أخرى مع الجنرال موبوتو »

وكانت بعض الاقتراحات التي قدمت للمؤتمر جامحة أو على الأقل سابقة لأوانها . وكان المتحمس الأكبر كالعادة هو الرئيس « نكروما » الذي طالب بالوحدة الافريقية فورا » هنا والأن » . ثم تقدم باقتراح مكتوب ينص على إقامة حكومة اتحادية لكل افريقيا ، وإنشاء قيادة عسكرية عليا لافريقيا .

واحس « جمال عبد الناصر » بالقلق من وقائع جلسات أول يوم للمؤتمر . وفي اليوم التالى وجد أن عليه أن يتكلم مرة أخرى ، فقد كان هو بوصفه رئيسا للدولة المضيفة قد افتتح المؤتمر بكلمة منه ، وكان المفروض بعدها أن يترك مجال الكلام فسيحا لغيره . وتسجل محاضر الجلسة الصباحية لليوم الثالث للمؤتمر ، وكانت جلسة مناقشات مفتوحة أنه قال : « إننى أردت أن أتحدث إليكم من دافع حرصى على نجاح هذا المؤتمر الذى تتطلع إليه أبصار الدنيا . والحقيقة أننى في حاجة إلى أن أذكركم بأننا نريد أن نجعل من هذا المؤتمر إطلالة على مستقبل الهريقيا ، وليس مجرد نواح على أحزان ماضيها . فأنا أول من يعرف ثقل الميراث الاستعمارى ومصائبه ، ولكننى أعرف أيضا أننا إذا تركنا مشاعرنا للغضب فسوف توجهنا إلى الانتقام ، وهذا شيء سلبى لا يحقق لنا شيئا ، وإنما يتركنا

بكثير من المرارة في حلوقنا » . ثم قال إنه يجد نفسه حائرا بين نغمتين تترددان ف المؤتمر: نغمة المطالبين بأكثر مما تعتمله الظروف مثل حكومة واحدة لكل افريقيا وجيش واحد لكل أفريقيا _ ونغمة المالبين بقبول الأمر الواقع والرضا بأحكامه ، وهو يراها أقل كثيرا مما تسمح به الظروف وظروف أفريقيا في الحقيقة تسمح لها بتحقيق أشياء عملية كثيرة . ونقطة البداية الصحيحة في رأيه أن تتمكن افريقيا أولا من حل المشاكل الافريقية _ الافريقية، وفي مقدمتها مشاكل النزاع على الحدود . واضاف : « إن كل دولة منا على نزاع مع جيرانها حول تقسيم الحدود . ونحن جميعا نسلم بان هذه الحدود لاتثل أي حقائق جغرافيا ، أو حقائق تاريخ ، أو حقائق أمن ، وأنها مجرد خطوط رسمت على خرائط بحدود الاستكشافات او امتيازات الشركات الاستعمارية الكبرى المستغلة ». وقاطعه الرئيس « نكروما ، عند هذه النقطة قائلا : ، إن هذه الاستكشافات التي قام مها الرحالة الأوروبيون ، وادعوا بعدها انهم ، وضعوها على خريطة العالم ، هي ايضا إهانة ، قانا لا اعرف كيف استعثاثوا ما كان موجودا قبل ان يوجدوا هم . وعندما يجيء رجل مثل « ليفينجستون » ويقول إنه اكتشف الكونجو فإنني اشعر بنار تشتعل 1 راسي. فالكونجو كان موجودا قبل ان يولد « ليفينجستون » وكان سكانه يعشون على ضفافه منذ اقدم عصور التاريخ . كان الأجدر بـ • ليفينجستون ، ان يقول إنه أول أوروبي وصل إلى الكونحو وطاف بارجائه ، ولكن أن يقول إنه اكتشفه فهذه وقاحة ، وإلا فمن حقى وأنا أول غاني زار امريكا أن اقول إنني اكتشفتها ، وأن أطالب بوضع تمثال في أمام مبنى الكابيتول . » وضحك الملوك والرؤساء ، واستأذن « جمال عبد الناصر » في أن يكمل كلامه . واستطرد قائلا : اكنت أتحدث عن نزاعات الحدود ، وارى ان هذه النزاعات قد تسبب كوارث بينًا . ومع تسليمي بانها هي الأخرى ميراث استعماري ورثناه، فإنني لا أبد سبيلا إلى حلها غير وسيلة التفاوض والتوفيق، وهذا أسلوب بحب أن نتفق عليه.

والمشكلة الثانية التى اراها المناهى مشكلة التخلف . فنحن من ناحية أمام موارد ومصادر للثروة منهوبة ، ولا تزال كذلك حتى الآن . ويضاعف من هذه المشكلة أننا لا نملك الكوادر الفنية والدارية اللازمة لاستغلال ما لدينا ، حتى وإن قمنا باسترداده ممن يسيطرون عليه الآن . وهذه مشكلة لا حل لها ف رأيى غير تعزيز إمكانيات التعاون بيننا ، بحيث يستطع الذين سبقوا منا أن يساعدوا اللاحقين . وهنا فإن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لأن تضع ما لديها من إمكانيات وخبرة تحت تصرف قارتها . وفي كل الاحوال فنحن مقتنعون بأن الاستقلال هو مجرد ويا فاطهة ، وأن الحقيقة الفعلية وراه هذه البافطة ، اقتصاد ،

والمشكلة الثالثة ، وقد كان يحدثنى فيها وزير الاقتصاد عندنا ، وهو الدكتور القيسونى هى مشكلة شروط التجارة الدولية . فشروط التجارة الدولية الأن تلحق بنا غبنا شديدا من حيث أنها تضع مواردنا من المواد الخام تحت رحمة أسواق وبورصات الغرب ، وهذه مشكلة لا نستطيع أن نواجهها إلا مجتمعين على سياسة واحدة . وقد طلبت من الدكتور القيسونى أن يعد تقريرا حول هذه القضية ، وسوف نتقدم به إليكم قبل انتهاء جلسات المؤتمر .»

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » : « هناك مسألة أخرى قد تبدو إجرائية ، فقد اقترح صديقى الرئيس نكروما أن نختم أعمالنا هنا بترقيع اتفاقية ملزمة لكل دول أفريقيا ، واعتقادى أنه من الصعب الآن إلزام ٣٤ دولة إفريقية بأحكام اتفاقية عامة واحدة . ولذلك فإننى اقترح أن ننهى أعمالنا هنا بإعلان للمبادىء نتفق على خطوطه العريضة ، وليس باتفاقية تلزمنا نصوصها متوقعين أن يقبل الجميع بعد أن يعودوا إلى بلادهم بالبقاء داخل هذه النصوص . »

وكانت هناك مشكلة عملية أخرى معلقة من الاجتماع التأسيسي الأول ، وهي مشكلة اختيار المقر الدائم لسكرتارية منظمة الوحدة الافريقية . واقترح ، جمال عبد الناصر » أن تكون أثيوبيا هي المقر الدائم لسكرتارية المنظمة .(١)

وبقيت مشكلة اخرى حرص « جمال عبد الناصر » على ان يستبقيها إلى النهاية ، وهي مشكلة إسرائيل . وقد بدا حديثه فيها قائلا : « إنه استبقي إلى النهاية مسألة يعرف انها حساسة ، ومبعث الحساسية فيها ان هناك عددا من زملائنا واصدقائنا يتصورون اننا نلح على خطر إسرائيل من تاثير صراعنا كعرب معها ، واننا نريد توريط افريقيا في مشاكلنا الاقليمية . ونحن نختلف مع اصحاب هذه النظرة ، فحين نثير قضية إسرائيل امام افريقيا فنحن نفعل ذلك من يقيننا من أن إسرائيل من نفس الطينة العنصرية التي وجدت منها جنوب افريقيا . وقد اعددنا تقريرا مفصلا لكم عن مجالات التعاون بين إسرائيل وجنوب افريقيا ، وهي مجالات تمتد من تجارة العبيد الاثمة ، وحتى ميدان التعاون النووى المشبوه . ومن جانبنا فإننا لا ننوى ان نطرح عليكم اتخاذ اية

^{[])} لعله في هذا كان يصدر عن اعتبار مصرى خاص يتعلق بالعلاقات مع اليوبيا ، فلقد كان اعتقاده دائما ان مصر يتحتم عليها رعاية مشاعر اديس أبابا إلى أقصى حد ممكن ، وذلك في إطار سياستها المائية ، فهضبة الحبشة هي المصدر الرئيسي لمياه الفيضان ، وهو ضرورة حيوية بالنسبة لمصالح مصر . وأنه بصرف النظر عن اعتراضات بعض الزعماء الأفريقيين الجدد على شخص الإمبراطور « هيلاسلاسي » الذي يبدو لهم وكانه شخصية منتزعة من قلب أساطير القرون الوسطى ـ فإن أحدا لا يحق له أن ينكر دوره في الكفاح الافريقي ، كما أن مصر عليها أن تجامله إلى أخر الحدود حتى وإن كان حكمه الإقطاعي نقيضنا متعارضا مع الكارها ودعوتها الثورية .



بورقيبه والحسن وبن بيلا في جناح بورقيبه اثناء مؤتمر القمة في القاهرة

كانت العقبة الأولى أمام القمة العربية الثانية هي المشاكل المعلقة من قرارات وتوصيات القمة العربية الأولى:

ا _ كانت مشروعات تحويل مياه الأردن من داخل الأراضي العربية متعثرة لعدة أسباب مالية وعسكرية . فبعض الدول التي قبلت على نفسها بالتزامات مالية لم تنفذ ما وعدت به ، ثم إن حكومة لبنان ، وكذلك حكومة الأردن بعثتا إلى القائد العام للقيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية الفريق اول على عامر = بخطابات سرية تبلغه فيها أنها لا تستطيع السماح بدخول قوات دعم أو مساندة عربية لحماية تنفيذ مشروعات التحويل _ لأن ذلك قد يعتبر استفزازا لإسرائيل تستغله للتدخل عسكريا ضد البلدان التي تسمح به مما يعرض هذه البلدان لخطر حال . ف حين أن القوات المطلوبة لجيوش القيادة العربية الموحدة لم تتحقق بعد .

قرارات فيما يتعلق بافريقيا . ونؤثر ان تجيء اى اقتراحات بهذا الصدد من افارقة غير عرب إذا هم اقتنعوا بمحض إرادتهم بان إسرائيل خطر على افريقيا بمقدار ما هى خطر على العرب . »

ونجح مؤتمر القمة الافريقي باى معيار يمكن أن يقاس به نجاح الما إفريقية ، وكان « جمال عبد الناصر • مستغرقا بالكامل ل مهمة إنجاح المؤتمر . ولعل مجموعة أوراقه وتوجيهاته في اثناء جلسات المؤتمر تعطى فكرة كافية عن الأسلوب الذي عمل به من أجل بلوغ هذا النجاح (°).



كانت مصر ملتقى للقمم طوال سنة ١٩٦٤ :

- مؤتمر قمة عربية في القاهرة (١٣ يناير ١٩٦٤).
- مؤتمر الله عربية سوفيتية بين «خروشوف» و «جمال عبد الناصر»، وشارك في مرحلة لاحقة منه كل من الرئيس الجزائري، بن بيلا »، والرئيس العراقي « عبد السلام عارف » (مايو ١٩٦٤) .
 - مؤتمر قمة إفريقي في القاهرة ايضا (يوليو ١٩٦٤).

والآن وفي يوم • سبتمبر ١٩٦٤ كان الموعد المحدد لانعقاد مؤتمر قمة عربى ثان تقرر هذه المرة أن يكون في الاسكندرية . وكان مؤتمرا صعبا وشائكا ، ففي حين أن المؤتمر الأول في يناير كان مؤتمرا استكشافيا لامكانيات القمة العربية (٦) ، وقد توصل بالفعل إلى قرارات هامة في قضايا محددة _ فإن القمة الثانية لم تكن مجرد استكشاف ، وإنما كانت عملية ممارسة . فضلا عن أنها وجدت نفسها في مواجهة نتائج وآثار القمة الأولى .

^(*) صور من أوراق وتوجيهات ، جمال عبد الناصر ، كتبها بخطيده في أثناء انعقاد جلسات المؤتمر منشورة في اللحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٢٥ صفحة ٢٤٩

⁽ ٦) كانت محاولة القمة الوحيدة السابقة لذلك هي محاولة الملك د فاروق ، في اجتماع د انشاص ، سنة ١٩٤٦ وكانت محاولة محدودة اقتصرت على لقاء اجتماعي ، وصدر عنها بيان مقتضب اقتصر على إعلان نوايا .

٣ - وكانت ازمة اليمن لا تزال عقبة كؤوداً ، وزاد من تعقيد الازمة أن الدور البريطانى في الحرب ضدها زاد بروزا مما دعا السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يعد للمؤتمر مذكرة بداها بقوله : = إن التآمر على سلامة الجمهورية العربية اليمنية ، ومحاولة القضاء عليها أصبحا من السمات البارزة في السياسة البريطانية . وقد ظهر من تصريحات المسؤولين البريطانيين ، ومما تكتبه صحافة لندن أن ذلك يعود إلى خشية بريطانيا من الثورة لليمنية على مصير وجودها في الجنوب المحتل » _ثم امتد تقرير الأمين العام بعد ذلك إلى تسع صفحات حتى وصل في فقرته النهائية إلى القول : « لقد بلغ العدوان البريطاني على الجمهورية العربية اليمنية حدا بعيدا من الشراسة والضراوة تنفيذا لمخططها الاستعمارى البعيد المدى ، والذي لا يقصد إلى النيل من الجمهورية العربية اليمنية فحسب ، بل يتناول المنطقة العربية بأسرها » .

وكانت العقبة الثانية هي أن ظهور واستمرار اللقاءات العربية على مستوى القمة فتح الباب أمام كل الأطراف لعرض سيل من القضايا والمشاكل والأزمات وجدها كل منهم جديرة باهتمام القمة:

۱ ـ أرادت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تلفت نظر القمة إلى خطورة النشاط النووى لاسرائيل " فقدمت إلى المؤتمر تقريرا من ثماني صفحات يتحدث عن إمكانيات مفاعل « ديمونة " الذى بنته إسرائيل بمساعدة فرنسا ، وذكرت « أن هناك أنباء لدى إحدى دول المعسكر الشرقي تستوجب الاحساس بالخطر إزاء إمكانيات النشاط النووى في إسرائيل " . ثم ذكر الأمين العام في تقريره (۱۷) أن ما بلغه من هذه المعلومات يظهر " أن مفاعل ديمونة يعمل فيه عدد كبير من الخبراء الفرنسيين جاءوا من فرنسا مع عائلاتهم ، وتحمل سياراتهم أرقاما فرنسية ، وقد خصص لسكناهم سلسلة من الأبنية المتجاورة في المدينة الذرية الاسرائيلية " وهم غالبا ما يتجمعون في مقهى في بئر سبع أطلق عليه اسم المقهى الفرنسي (الشهير في باريس) « كافيه دى لابيه " وصاحبه يهودى يونانى . كما أرسلت إسرائيل تباعا عددا من العمال الفنيين اليهود للتدريب في المعاهد الذرية الفرنسية والعمل في هذا المفاعل بعد عودتهم . وإلى جانب مفاعل « ديمونة "



عبد الناصر يلقى خطاب افتتاح مؤتمر القمة الافريقي في القاهرة ..

Y - إن التقرير الذي قدمه السيد « أحمد الشقيري » المكلف بإقامة الكيان الفلسطيني أشار إلى المصاعب التي تواجهها مهمته ، فقد ظهرت الحساسية - وحتى النفور - بسرعة بينه وبين السلطات الأردنية التي خشيت أن يكون من نشاطه تهديد للضفة الغربية الواقعة في الوقت الراهن على الأقل تحت المسؤولية السياسية والعسكرية للأردن . ومن ناحية أخرى ، بدا أن التفكير الخطابي يشد الأستاذ « أحمد الشقيري » إلى أبعد مما هو قائم عمليا . ومن نماذج ذلك ما كتبه في الصفحة الرابعة من تقريره حيث قال « ومن الهتافات التي أطلقتها السنة الشعب في كل مكان ذهبت إليه في الضفة والقطاع ، وبصورة عفوية - هتافات « يا شقيري بدنا سلاح - يا شقيري هات سلاح وخذ تحرير » . والمهم أن الدعوة إلى الكفاح لم تكن مجرد شعارات وعبارات ، ولكن كل الدلائل كانت صريحة في أن وراءها تصميما قاطعا وعزما أكيدا على خوض معركة التحرير . »

 $[\]cdot$ (4) تقرير السيد 2 عبد الخالق حسونة 2 إلى مؤتمر القمة العربى برقم د 4 4 4 4 2

فهناك معاهد أخرى في إسرائيل تعمل لخدمة التطور النووى ، وهي : معهد وايزمان بروخوبوت » ويشتمل على ٧١ مختبرا و ٢٦ غرفة للدراسة . وفيه جهاز ذرى لانتاج الطاقة الكهربائية ، وجهاز آخر لانتاج المياه الثقيلة ، وميزانية المعهد تزيد على ١٠ ملايين دولار سنويا ـ ومعهد ، التخنيون » (الهندسة التطبيقية) في حيفا ، وفيه يتخرج مهندسون ذريون ـ والجامعة العبرية ، وفيها جهاز لتوليد البروتونات والذرات الخفيفة بالتعاون مع جامعة «كورنيل » في أمريكا ـ ومركز ذرى مقام على جبل الكرمل بحيفا أقيم بواسطة خبراء أمريكيين يشرفون عليه ويدربون الاسرائيليين فيه . » ٢ ـ وأرادت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أبضا أن تلفت نظر الرؤساء العرب إلى خطورة التغلغل الصهيوني في الدول النامية ، وبالذات في أفريقيا .(^)

٣ ـ وإضافة إلى ذلك أرادت الأمانة العامة لجامعة الدرل العربية أن تلفت نظر القمة العربية إلى خطورة النشاط الاسرائيلى فى أمريكا اللاتينية ، وكان ذلك بناء على مذكرة من حكومة الأردن التى قام وزير خارجيتها بزيارة لأمريكا اللاتينية عاد منها وقد أزعجه ما رأى ، فالمسرح متروك لاسرائيل ، والوجود العربي ليس مؤثرا ، كما أن الجاليات العربية هناك « لا تؤدى مع الأسف ما عليها من واجب » . (٩)

لا منافة العامة اخيرا بناء على مذكرات من حكومة الكويت ان تلفت نظر القمة إلى التغلغل الأجنبي في منطقة الخليج العربي. وجاء في مذكرة الأمين العام لجامعة الدول العربية (١٠) ■ أن الحكومة البريطانية على سبيل المثال – تمكنت بوسائل الضغط والخديعة أن تفرض على حكام المنطقة اتفاقيات ومعاهدات عير متكافئة لايقرها عرف ولا قانون . فقد نصت هذه الاتفاقيات على تعهد الأمراء المشايخ بألا يسمحوا لوكلاء أية دولة غير بريطانيا بالاقامة في بلادهم ، أو حتى مكاتبهم ، وألا يمنحوا أية امتيازات تجارية أو بحرية إلا لبريطانيا . بل إنها فرضت عليهم ألا يستغلوا بأنفسهم ما قد يكتشف في بلادهم من بترول إلا عن طريق بريطانيا أو بموافقتها ، وأن تتولى عنهم شئون الدفاع الخارجي والأمن الداخلي والعلاقات الدولية ■ .

ورادت حكومة الكويت ان تلفت نظر القمة العربية إلى نشاط إيران في إمارات الخليج ابتداء من أبو ظبى إلى مسقط. وقد أشارت المذكرة الكويتية (١١) إلى مظاهر نشاط عسكرى واقتصادى وسياسى وثقافى يدعو إلى التخوف ، خصوصا وأنه يصاحبه نشاط إرهابى لا تخفى مقاصده ، ومن ذلك أنه قبض على إيراني يشعل حرائق عن عمد فى دبى ، وقبض على أربعة إيرانيين أشعلوا أربعة حرائق فى رأس الخيمة ، وشب حريق كبير فى أبو ظبى ، واشتعلت حرائق كبرى فى سلطنة مسقط ، وقد جرى إحراق أبو ظبى ، واشتعلت حرائق كبرى فى سلطنة مسقط ، وقد جرى إحراق كان مفروضا أن يحمل أدوية للمستوصف الإيرانى فى مشيخة عجمان ـ ظهر فى الواقع أنه يحمل أسلحة وذخائر أكثرها مسدسات . كما أن هناك إشاعات عن وجود ضباط إيرانيين بأثواب مدنية فى دبى .

وكانت الشخصية التى ظهرت في قمة الاسكندرية ، ولفتت الانظار إليها هى شخصية اللواء « أمين الحافظ» رئيس مجلس قيادة الثورة في سوريا . وكان ما لفت الانظار إليه هو الاسلوب الذى تدخل به في اعمال المؤتمر . فقد بدا يقول إن كل ما يسمعه مضيعة للوقت ، وأن مشاكل العرب كلها تبدأ وتنتهى بإسرائيل ، وأن القضاء عليها ممكن ومتاح إذا استطاع العرب تجميع أربعين لواء من القوات المسلحة ، وأنه كفيل بتقديم خطة إلى المؤتمر تضمن تحقيق هذا الهدف في أربعة أيام .

وبدا أن المؤتمر بدأ ينجرف إلى مزايدات عقيمة لن تصل بطبيعتها إلا إلى مزيد من الاحباط وضياع الجهود . كما بدأ أن بعض الدول مهتمة بإنشاء مشروعات خاصة بها على حساب الخطر المشترك . وكذلك بدأ أن هناك من يفضلون دور المتفرج على دور المشارك الفعلى في مسؤوليات العمل .

كان الأمير « فيصل » قد حضر القمة الثانية بعد أن تغيب عن القمة الأولى ، وكان واضحا أن الصراع الداخلى في السعودية قد حسم لصالحه ، وبدا أن نوعا من التفاهم قد بدأ يعود إلى العلاقات بينه وبين « جمال عبد الناصر » . وكان الأمير « فيصل » هو الذي تدخل لمناقشة اللواء « أمين الحافظ » في خطته « بالقضاء على إسرائيل في أربعة أيام بأربعين لواء من القوات المسلحة » . فقد طلب الأمير « فيصل » من اللواء « أمين الحافظ » أن يضع خطته تفصيليا ثم تناقشها بعد ذلك

⁽ ٨) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة ، إلى مؤتمر القمة العربي برقم « ٢ / ٢ / ١ ـ هـ .

⁽ ٩) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربي برقم = ٢ / ٢ / ١ ـ و .

⁽١٠) تقرير السيد ، عبد الخالق حسونة ، إلى مؤتمر القمة العربي برقم 🗷 ٢ / ٢ / ٦ .

⁽١١) تقرير وزارة الخارجية الكويتية برقم ٢٥٢/٦٠.

ويتضع بالطبع أن هذه هي بدايات حركة « فتح » .

كان «جمال عبد الناصر » مؤمنا بالعمل المسلح ، مؤمنا به من الداخل ، فهناك في رايه موقع الحسم ، ولكنه بشكل ما كان يشعر أن الظروف تحتاج إلى حسابات ادق – فالمسالة ليست « وضع المسؤولين العرب أمام أمر واقع » كما نقل الدكتور « حبش » – ولكنها نظرة أوسع على موازين الصراع وإمكانيات تحريكها ، وفي أى توقيت ؟ وبشكل ما فإنه في هذه الفترة كان يشعر أن البؤر القابلة للانفجار في العالم العربي قد تناثرت بشكل يدعو إلى القلق ، وكانت هذه نتيجة طبيعية في تقديره لثورة أمال محبوسة – ومع ذلك فقد كان في اعماقه بحس بأن المسائل يجب أن « لا تنفلت » على حد تعبيره .

وكتب « جمال عبد الناصر » على هامش تقرير هذه المقابلة مع الدكتور « جورج حبش » تأشيرة بخطه جاء فيها بالحرف :

« أرى إرجاء هذه الحركة حتى عودة قواتنا الأساسية من اليمن حيث أن قواتنا (هناك) حوالى أربعون ألفا سنسحب منها بعد الاتفاق مع السعودية ٣٠ ألفا ، ويترك في اليمن ١٠ ألاف فقط ،(١٢) .

وكانت الأوضاع في العراق تهتز تحت رئاسة الرئيس = عبد السلام عارف » .
وما كاد مؤتمر القمة في الاسكندرية ينتهي حتى بعث الرئيس « عارف » برسالة مؤداها أنه يريد أن يعود إلى القاهرة بهدف إتمام الوحدة . وتلقى « جمال عبد الناصر » يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٦٤ رسالة بخط الفريق = طاهر يحيى » (١٠٠ رئيس وزراء العراق يقول في ختامها « إن الشعب يطالبنا الآن بإلحاح وإصرار بالتقدم به نحو هدفه الثاني ، وهو إعلان الوحدة مع شقيقته الكبرى العربية المتحدة » .

وفي تقدير « جمال عبد الناصر » وقتها ، فلم تكن الظروف مهياة لوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق بمقدار ما أن هذه الظروف لم تكن مهياة للعمل المسلح داخل إسرائيل بصرف النظر عن النتائج طبقا للآراء التي نقلها الدكتور « جورج حبش » عن تنظيم « فتح » .

قمة عربية أخرى تنعقد في الرباط بعد شهور . وفي نفس الوقت تكون القيادة الموحدة المجيوش العربية قد أعدت تقديراتها لامكانيات العمل المسلح من أجل فلسطين . وساعتها يمكن مقارنة الأوراق والخطط ، ويمكن الوصول إلى قرار أو قرارات .

ف أجواء مؤتمر القمة العربية ف الاسكندرية كان « جمال عبد الناصر « يشعر أن الأوضاع في العالم العربي راحت تتفاعل عند بعض التخوم بغير حسابات دقيقة ، وأن الظروف تفرض الامساك بزمام الحوادث ، وإلا تعقدت الأوضاع أكثر مما هي معقدة ، خصوصا بعد أن أصبحت القمة العربية الثانية مسرحا للمزايدات .

وقد حدث في هذه الأجواء أن وصل إلى القاهرة الدكتور « جورج حبش » زعيم حركة القوميين العرب وقتها ، والتقى بالسيد « سامى شرف » سكرتير الرئيس المعلومات الذي كتب بعد اللقاء تقريرا يتضمن تقدير الدكتور « جورج حبش » للأوضاع في العالم العربي . ويلفت النظر ما جاء في الصفحة الخامسة من هذا التقرير تحت بند :

« د ـ فلسطين

اتصل بهم بعض الشبان الفلسطينين في الكويت ، وذكروا لهاني الهندى (احد اقطاب حركة القوميين العرب في ذلك الوقت) انهم قرروا إشعال ثورة شعبية مسلحة من داخل إسرائيل ، وأن لديهم تنظيم كامل مسلح ، كما أن هناك اسلحة ومخازن داخل إسرائيل ، وأن ثورتهم قد تستمر من شهر ونصف إلى ستة أشهر ، وهم يرجون أن تتوسط حركة القوميين العرب لدى الجمهورية العربية المتحدة . كما أنهم على استعداد لإيفاد اشخاص للتفاهم حول هذا الموضوع . كما الحوا بانهم إذا لم يتلقوا ردا مقنعا ، فإنهم قد يبدأون بالعملية سواء كانت الجمهورية العربية المتحدة توافق أو لا توافق ، وليضعوا المسؤولين العرب أمام أمر واقع .

ذكر لى الدكتور جورج ان هؤلاء الشباب متصلون بالجزائر فعلا ، ولهم مندوب هناك على اتصال بالحزب ، وتصدر صورة من جريدتهم ، فلسطيننا ، بالجزائر ، وان الدكتور جورج فهم ان اتجاه الجزائر بالنسبة لهذه العملية هو ترك الراى النهائى فيها إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكنها في نفس الوقت تعتقد ان هذا هو الاسلوب الذي يجب ان تحرر به فلسطين .

الدكتور جورج وهانى الهندى سيلتقيان بمندوب هذه الحركة في خلال يومين او ثلاثة حيث سيوضحوا له ـ بناء على طلبه ـ اتجاههم السياسى الغير واضح حتى الآن . وهم بالرغم من انهم غير مرتاحين لطريقة هؤلاء الشباب التى يسودها عاطفة فقط دون تدبر او روية في معالجة الموضوع إلا انهم لا يريدون قطع الصلة او صدهم ، ويريدون معرفة توجيهات سيادتكم . »

⁽۱۲) الصفحة السابعة من تقرير «سامى شرف» التى تتضمن هذه الفقرة ، وعلى هامشها تاشيرة «جمال عبد الناصر » بخطه منشورة في اللحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٥٣ صفحة ١٩٥٠ ، والأصل محفوظ في ارشيف منشية البكرى .

⁽١٣) صورة من رسلة الفريق ، طاهر يحيى ، بخط يده منشورة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٥٤ مـ مطحة ١٩٠١ . والأصل مودع بارشيف قصر عابدين .

3

ولم تكن القمة العربية الثانية آخر القمم في مصر سنة ١٩٦٤ . ففي ٥ أكتوبر ١٩٦٤ انعقد في القاهرة مؤتمر لرؤساء دول وحكومات الدول غير المنحازة ، وحضرته ٢٦٤ دولة إلى جانب إحدى عشرة دولة شهدته من موقع المراقب .

كان هذا المؤتمر أول قمة للدول غير المنحازة لا يحضره قطبها الكبير « جواهر لال نهرو » فقد توفى قبلها بعدة شهور تاركا وراءه وصية مؤثرة تليق بإنسان عظيم قضى حياته في النضال من أجل حرية وطنه « ومن أجل سلام العالم . وقد ختمها بقوله « إننى أريد أن يحرق جثماني ، وأن تحمله طائرة تصعد به إلى الأجواء العليا ، وأن تلقى بذراته من الهواء لكى تنزل على الحقول التى يرويها عرق فلاح الهند ، وأتمنى أن تمتزج بتراب بلدى وتصبح جزءا لا يتجزأ منه » .

وكان هناك غائب حاضر آخر عن المؤتمر وهو « مويس تشومبي » رئيس كاتنجا والشريك الرئيسي في قتل « لومومبا » . وقد وصل إلى القاهرة دون دعوة لحضور مؤتمر عدم الانحياز ، وأصدر « جمال عبد الناصر » قرارا باحتجازه في أحد القصور حتى تنتهى أعمال المؤتمر !

وربما بتأثير « نهرو » الحاضر الغائب في المؤتمر ، فإن قمة عدم الانحياز كرست جهدها لاصدار إعلان عن مبادىء السلام والتعاون الدولى . وقد طالب هذا الاعلان بعدة أهداف محددة يتحقق بها السلام ، وهي :

ا عمل موحد من أجل تحرير البلاد التي لا تزال غير مستقلة للقضاء على الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية .

٢ ـ تأكيد احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها ، والتنديد باستخدام القوة ضد ممارسة هذا الحق .

٣ ـ مقاومة التمييز العنصرى ، وسياسة التفرقة العنصرية .

٤ _ التمسك بالتعايش السلمى ، وتقنين مبادئه بواسطة الأمم المتحدة .

. • _ احترام سيادة الدول وسلامة اراضيها .

 ٦ - حل المنازعات بدون التهديد باستعمال القوة أو استخدامها وفقا لبادىء الأمم المتحدة.

لاغراض السلاح العام الشامل، واستخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية، وتحريم جميع تجارب الأسلحة النووية وإنشاء مناطق مجردة من الأسلحة النووية، ومنع انتشار هذه الأسلحة تمهيدا اللغائها.

٨ - فك جميع الأحلاف والقواعد العسكرية .

٩ ـ تأكيد دور الأمم المتحدة في الشؤون الدولية ، والتمسك بتنفيذ
 قراراتها ، وتعديل ميثاقها إذا كان ذلك ضروريا .

١٠ ـ فتح كل الأبواب للتنمية والتعاون الاقتصادي بين الدول .

وتلقى السفير = محمد القونى » مندوب الجمهورية العربية المتحدة الدائم فى الأمم المتحدة تعليمات بأن يعقد اجتماعا موسعا لكل سفراء الدول المشتركة فى عدم الانحياز والمعتمدين لدى الأمم المتحدة لكى يذهبوا جميعا فى موكب واحد ، ويقدموا إعلان برنامج السلام والتعاون الدولى الصادر عن قمة عدم الانحياز إلى « يوثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة » ولكى يكون من هذه المظاهرة فى تقديم الاعلان إلى الوثانت » رمزا لتصميم وإرادة أكبر مجموعة من الدول التقت على برنامج واحد فى العمل الدولى .

ولم يكن ذلك كله مقبولا في البيت الأبيض الذي يجلس «ليندون جونسون » في مكتبه البيضاوي الشهير . فلم تكن كل هذه القرارات والإعلانات الصادرة عن قمم القاهرة متفقة مع آرائه ، أو مع سياساته ، أو مع مزاجه . ولم يكن سعيدا وهو يرى القاهرة وقد تحولت سنة ١٩٦٤ لتصبح أقرب ما تكون إلى عاصمة لا تنازع لنعالم الثالث باماله وطموحاته وحركته .

الفصيل الخامس

الاقتسراب من فوهة البركان

وفى يوم أول نوفمبر كتب السفير « محمد القونى » المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة فى نيويورك خطابا شخصيا إلى الدكتور « محمول فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، وبعث به إليه فى الحقيبة الدبلوماسية . وقرأه الدكتور « فوزى » ثم كتب لـ « جمال عبد الناصر » مذكرة قال فيها بالنص :(١)

د السيد الرئيس

تسلمت من السفير القونى خطابا جاء في مشتملاته جزء رأى القونى ، وأواقه ، بأن أ من المناسب أن أطلعكم عليه ، وقمت باستخراج هذا الجزء دون بقية الخطاب توفيرا لوقتكم حيث أن الخطاب في أصله شخصى ، ومما يكتبه الأصدقاء بعضهم للعض .

مقدما لكم التحية ، مع موفور الاحترام .

محمود فوزی ،

وكانت الفقرات التى اختارها الدكتور «فوزى» من خطاب السفير « القونى » ـ ليطلع الرئيس » عبد الناصر » عليها ـ كما يلى :

(۱) اصل مذكرة الدكتوره محمود فوزى ، ومرفقاته موجود لا ارشيف وزارة الخارجية ، وفي ارشيف منشبة البكرى ، وتوجد ايضا نسخة منه في اصول كتاب الدكتور « محمود فوزى » عن تجربته السياسية والذى اختار له عنوان « اما بعد » ـ ولم ينشر هذا الكتاب لأن الدكتور « محمود فوزى » لم يكن قد فرغ من إعداده كاملا .

بعد ما وجعت راسك ، بكل ما كتبته في هذه الصفحات لا يبقى عندى من اخبار الدورة غير مسالة اخيرة تركتها إلى نهاية الخطاب ، واترك لك تقدير اهميتها من عدمه ، وإذا وجدت لها اهمية فربما تنتهز اى فرصة وتضعها تحت علم السيد الرئيس ـ هذا مع العلم اننى اجدها مستوجبة للاهتمام ، وعلى العموم فإن الراى اولا واخيرا لتقديرك الذى نحترمه كنا . والمسالة هى :

« اول امس كنا مدعوين لكوكتيل اقامه المسكر ادلاى ستيفنسون (رئيس الوفد الأمريكي الدائم إلى الأمم المتحدة) وهو بالمناسبة يسلم عليك ويفتقد عدم حضورك للدورة الجديدة ، ويقول إن هذا اول موسم لا يراك فيه في الأمم المتحدة ، وإن كان يامل ان تسمح ظروفك الجديدة () بحضورك ، ولو في جزء من الدورة .

كان المدعوين إلى الكوكتيل عدد كبير، وفيهم كثير من معارفك وهم ايضا سالوا عنك . المهم كان بين المدعوين اللورد " هارليك " وهو كما تعرف السفير الانجليزى في واشنطن ، وهو متداخل جدا في اوساطها السياسية " وكان كما تذكر من اقرب المقربين للبيت الابيض في إدارة كنيدى ، وهو الآن لا يتورع عن انتقاد ، جونسون " ويقارن كثيرا بين الرجلين لمصلحة كنيدى بطبيعة الحال ، وقد وجدت انتقاداته شديدة ودهشت من انه لم يتحرج في إبدائها امام ستيفنسون وهو مهما يكون رئيس الوقد الامريكي الرسمي ، ويمثل الرئيس الجديد كما كان يمثل الرئيس القديم . والذي لاحظته ودعاني إلى الاندهاش أن ستيفنسون كان يظهر عليه انه لا يعترض على ما يبديه اللورد هارليك ، حتى كدت اعتقد انه يوافقه على ما يقوله وإنما يتحرج من أن يقوله بنفسه .

الاهم بعد ذلك ان موضوع التصعيد الأخير في فيتنام كان هو الموضوع الذي يستولى على اهتمام الجميع ويتحدثون عنه ، ويناقشون تاثيره على اعمال الدورة الجديدة . وكان الجميع مستغربين لامر جونسون بضرب فيتنام الشمالية مع ابتداء الدورة ، ويضربون اخماسا في اسداس عن الحقيقة في موضوع خليج تونكين ، وقد قال اللورد هارليك إن حادثة خليج تونكين (") مدبرة ، لكي يستطيع جونسون ان يتخذها عذرا لتصعيد الحرب مع فيتنام . إذ انه فيما يظهر سوف بجعل انتصار امريكا في فيتنام هو اساس حملته الانتخابية للرئاسة ، واثناء

⁽ ٢) كان الدكتور ، محمود فوزى ، ■ ترك وزارة الخارجية ، وعين مساعدا لرئيس الجمهورية للشؤون الخارجية .

⁽٣) كانت حادثة خليج تونكين بالفعل مدبرة ، فقد اعلن جونسون ان مدفعية الشواطىء الفيتنامية ، اعتدت بعدافعها على قطع بحرية أمريكية خارج المياه الاقليمية الفيتنامية ، واتخذ من ذلك تكاة لغارات مكثفة على فيتنام الشمالية دون الرجوع إلى الكونجرس ، وقد اثبتت تحقيقات السناتور فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي هذه الحقيقة ، عندما قامت بمناقشة حرب فيتنام في جلسات استماع مفتوحة ، وكان انكشاف هذا التدبير بين الاسباب التي ارغمت جونسون على عدم ترشيح نفسه لمدة جديدة في انتخابات الرئاسة على 1978

النقاش بيننا في هذه الأمور وجه اللورد هارليك حديثه إلى امام ستيفنسون وبحضور سفير فرنسا وسفير بناما وسفير غانا ، وقال : « إن هذه المسالة تهمكم انتم في الشرق الأوسط على الخصوص لأن جونسون ليس عنده وقت الأن لمعالجة امور الشرق الأوسط وازماته ، فهو يريد التفرغ لموضوع فيتنام ، وبما انه لا يستطيع ان يهمل او يستغنى عن الشرق الأوسط ، ولهذا فإنه بنصيحة اصحابه قرر ان يترك الزمام فيه لاسرائيل لانها تعرف المنطقة وهي في وسطها وما يجرى فيها يهمها اكثر مما يهم غيرها ، كما وانه مما لا شك فيه ان مصالح الاثنين (امريكا وإسرائيل) ليست بعيدة عن بعضها « . ولما ابديت له اننى اجد ما يقوله شيئا غريبا ، شرح المسالة هكذا :

اساس المشكلة في تقديره أن الرئيس جونسون متضايق أشد الضيق من السياسة المصرية من كل النواحي، وهو ينتقد سياسة كنيدى ناحيتنا ويراها سياسة ضعيفة رسمها مستشارو كنيدى المتاثرون بالمدرسة الانجليزية، وهو يقول إن في اليام لورنس لم يكن العرب ينتجون صواريخ وطائرات ويجيئون بعلماء المان وخلافه!

وقال اللورد هارليك إنه سمع هو شخصيا من اقرب المقربين إلى جونسون انه متازم من الدور الذى تقوم به مصر ، والظاهر من كلامه ان مؤتمرات القمة التى اجتمعت في القاهرة ضايقت جونسون ، وكذا زيارة خروشوف ، وكذلك مؤتمر عدم الانحياز . والمؤتمر الافريقى بالذات يظهر انه اثار اعصابه (جونسون) وحسبه على انه مؤثر بالضرر على مصالح امريكا وحلفائها من ناحية المواد الخام الاستراتيجية .

والنقطة التالية في كلام اللورد هارليك ان عنصر الوقت مهم لأن مصر تأخذ مكانا اكبر من مكانها وتقوم بحشر غيرها ، وإذا تركوها بدون تعرض ، فالمسالة قد تتفاقم اخطارها في المستقبل ويصعب تداركها او تصبح اصعب واصعب في كل يوم .

وتعبير اللورد هارليك كان انه إذا وجد جونسون نفسه امام مشكلة في الشرق الأوسط وليس لديه الوقت الكافي لعلاجها ، فمن طبيعة الحال ان يعتمد على صديق او حليف او نائب عنه بصفة وكيل .

وإسرائيل تقدم نفسها إليه بهذه الصفة ، ويصفة إخلاصها وصداقتها الموثوقة القديمة معه .

وتحدث اللورد هارليك عن الفوائد التي يعود بها هذا الحل على جونسون:

١ ـ هذا الحل يوفر الوقت لجونسون حتى يركز على فيتنام ، ويرتب كل الأوضاع فى الشرق الاقصى ـ مستفيدا ليضا من الخلاف الصينى السوفيتى .

٢ - وهذا الحل يوفر له تاييد اصدقاء إسرائيل في امريكا ، ويجعلهم يقفون صفا
 واحدا مرصوصا وراء سياسة جونسون في فيتنام ، وهذا مهم من ناحية تاثير
 اليهود على التيارات الليبرالية في امريكا .

٣ - وهذا الحل مهما تكون النتائج التي تنتج عنه لا يؤدى إلى تدخل دول كبرى اخرى فيما يحدث في المنطقة ، كما حدث في وقت السويس ، لأن المسألة سوف تكون في هذه الحالة مسألة محلية ومحدودة لا تستطيع أي قوة ، ولا حتى الاتحاد السوفيتي - أن تدعى أنها أزمة عالمية .

إن هذا الحل بما معناه إطلاق بد إسرائيل في التصرف لن يؤدى إلى إغضاب كل العرب ، بل يمكن ان يكون فيهم من سيكونوا سعداء إذا استطاعت إسرائيل حصر الدور المصرى وخنقه ، وهذا على اى حال هو المطلوب الذى تبغيه السياسة الامريكية .

دكرنى اللورد هارليك كذلك بما كان يدعيه الاسرائيليون في السنوات الأخيرة من انهم كانوا يقدرون وحدهم على هزيمة مصر في سنة ١٩٥٦ وأن اشتراك فرنسا وانجلترا لم يساعدهم كما كان يقال ، وإنما أضر بهم دون شك . وقد ظلوا يقولون هذا ، ويطالبون الأمريكان « بأن يعطوهم الوسائل وهم يقوموا وحدهم بالمهمة . Give us Ihn tools and we finish the job

وقال اللورد هارليك إن عناصر كثيرة في البنتاجون والأمن القومي والمخابرات اصبحت تتبنى الدعوة إلى هذا الحل وتؤيده ، وإن هذا الحل هو اقرب ما يكون إلى استعداد الرئيس جونسون وميوله ما في ذلك شك .

هذا مجمل ما دار ، وإننى حرصت على ان يكون فيه شيء من التفصيل لكى تتمكن بنفسك من وزن قيمته والتصرف بما تجده مناسبا من جهة إطلاع السيد الرئيس بالطريقة التي تراها .

وكان يراودنى شك فى كلام اللورد هارليك لأنى اعرف صداقته بجماعة كنيدى ونفوره من جماعة جونسون ، والمشاكل بين الطرفين الآن على اشدها ـ ولكن لأن تحليله فيه منطق . ولانه مطلع ولا شك فى هذا ، ولان الكلام جرى كله امام ستيفنسون ، وامام سفراء دول ، فإننى قدرت ضرورة إخباركم بتفصيلاته ،

قرأ « جمال عبد الناصر » هذه الفقرات من خطاب السفير « محمد القونى » إلى « محمود فوزى » يوم ٦ نوفمبر ١٩٦٤ .

وفى نفس اليوم تلقى الصورة الكاملة لنتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية ، وكانت قضية فيتنام هي الموضوع المركزي فيها ، وقد انتهت بفوز ساحق

لـ « جونسون » على منافسه « جولدووتر » وكان توزيع الأصوات ٤١٠١٧٢٧١ صوتا لـ « جونسون » في مقابل ٢٥٩١٦٢٥٨ صوتا لـ « جولدووتر » .

كان رد فعله الأول أن دعا الدكتور « محمود فوزى » إلى اجتماع معه في بيته لمناقشة « سياسة جونسون » بعد عودته للرئاسة منتخبا بشخصه لأول مرة ، وليس فقط باعتباره نائب الرئيس الذي أكمل مدة رئاسة سلفه الذي اغتيل بالرصاص فحأة .

ويوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٤ حدثت معركة جوية فوق سوريا قام فيها الطيران الاسرائيلي باختراق المجال الجوى السورى ، واستدراج الطيران السورى إلى معركة مقاتلات . وفقد الطيران السورى الذى اخذ على غرة اكثر من عشي طائرات . وتقدمت سوريا بشكوى عاجلة لمجلس الأمن الذى اجتمع يوم ١٦ نوفمبر لمناقشة العدوان . وكانت اللهجة التي تكلمت بها إسرائيل معباة بنبرة مبطنة بالاستعلاء . ولعلها كانت تقوم باستعراض للقوة يقنع واشنطن قبل غيرها من العواصم ، بما فيها العواصم العربية ذاتها ، وهي المقصودة بالضرية والدرس !

وعلى الأرض العربية ـ وتحت هذه الأجواء التى تقاطعت فيها خيوط النار ـ فإن المشهد العام كان باعثا على القلق . مراحل من التاريخ والتطور تتصادم مع مراحل . وافكار وتجارب مشتبكة مع تقاليد ومواريث . وصحارى ونجوع في حالة خصام مع وديان ومدن . ومعارك بالقنابل والرصاص والخناجر تشابكت ، وتداخلت فيها مواقع الأطراف . وقوى خارجية لها مطالبها ، وبعضها له خرائطه ، وتحركها نحو ما تريد كلاهر وفاعل في بؤر ، وفاعل دون ظهور [بؤر أخ ي ا

وكانت هناك في المنطقة حرب أهلية ساخنة ، وحرب خارجية باردة في نفس الوقت .

وكان هناك تغيير على وشك أن يطرأ : الحرب الأهلية الساخنة بدأت تميل إلى البرودة ، والحرب الخارجية الباردة بدأ يجرى تسخينها .

ثم إن هناك صراعا تتسع رقعته بمساحة قارات (خصوصا في افريقيا) ، و أمالا تتجاوز بطموحاتها إمكانيات التحقيق ، وحتى إيقاع الزمن ا

إلى جانب ذلك فإن الخطوط كانت قد طالت على كل الاتجاهات ، كما تكاثرت الجيوب التى تركتها عمليات الاختراق والتقدم والتطويق وراءها ، واتصلت بعض هذه الجيوب ببعضها ، واختلط الخارج بالداخل ، والعكس .

ولقد كان في وسع إطلالة سريعة على هذا المشهد ان تظهر بقدر كاف من اليقين ان المنطقة كلها تعيش على حافة بركان . وكان البركان قد عانى سنوات من الغليان ، وكان الغليان حتى الآن مكتوما إلا من زفير بخار محبوس ، وتماوج ابخرة ساخنة متصاعدة ، وبقع حمم ملتهبة تتناثر احيانا هنا وهناك من تاثير النار المكبوتة [الأعماق .

شواهد توحى كلها باحتمال انفجارا

شواهد بدا منها أن الصراع على الشرق الأوسط، وفيه قد انتقل إلى البند الثانى من التقرير الشهير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية (٤) الذى رأى الله لا وسيلة إزاء مصر غير بديلين:

- إما الاغتيال
- وإما هزيمة ساحقة امام إسرائيل

ولقد جرت تجربة الطريق الأول عمليا وسياسيا إلى مداه (وسراديبه ما زالت على أي حال مفتوحة!)

والآن (و «جونسون » يتفرغ لحرب فيتنام) 🍱 حان الأوان لتجربة الطريق الثاني .

^{(]} سبقت الأشارة إلى هذا التقرير على صفحة ١٨٦ . كما أن صورة من الصفحة الأو ل ننه ، والتي تقدم ملغمنا حاسما له منشورة في اللحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ١٣ صفحة ٢٢٨

الملحق الوثائقي

الوثيقة رقم (1)

محضى للحوار الذى دار بين المستر « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانى والمستر « جون فوستر دالاس » وزير خارجية الولايات المتحدة يوم ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ .

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF HER BRITANNIC MAJESTY'S GOVERNMENT

SECRET

Middle East (Secret) Cabinet Distribution

JE 1094/363G

Copy No. 13

RECORD OF A CONVERSATION BETWEEN THE SECRETARY OF STATE AND MR. DULLES ON MONDAY, DECEMBER 10, 1956, IN PARIS

The Secretary of State said that me a result of what we had been told by the United States Administration, and particularly the threat to sterling, we had agreed in withdraw our forces from Port Said virtually without conditions. He was, however, much concerned about the repercussions if in fact we obtained no satisfaction on any of the issues which were of concern to us. For instance, we had received certain assurances from the Secretary-General about clearance of the Canal. It now seemed that the Egyptians had obstructed General Wheeler's journey to Cairo and we had no indication that any of our salvage resources

هذه الوثيقة تخص حكومة جلالة ملكة بريطانيا

للتوزيع (السرى) على مستوى مجلس الوزراء بشان الشرق الأوسط JE 1094 / 363G

محضر للحوار الذى دار بين وزير الخارجية والسيد دالاس يوم الاثنين ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ في باريس .

قال وزير الخارجية إنه نتيجة لما ابلغتنا به حكومة الولايات المتحدة ، ولا سيما التهديد المتعلق بالجنيه الاسترليني ، فقد وافقنا على سحب قواتنا من بور سعيد بدون شروط من الناحية العملية . غير انه يشعر بقلق شديد للنتائج التي يمكن ان تترتب على عدم حصولنا على ترضية بشأن اى قضية من القضايا التي تهمنا . وعلى سبيل

مقدمة

تتضمن الصفحات التالية من الكتاب ملحقا وثائقيا كاملا يعزز نصبه الأصلى وفي بعض الأحيان يضيف إليه .

وتحسن الإشارة مقدما إلى بعض الملاحظات:

ا - كل الوثائق العربية التي يتضمنها الكتاب وملحقه الوثائقي مثبتة بمواضع حفظ أصولها في الملفات الرسمية ، وقد جرت الإشارة إليها جميعا في حواشي الصفحات وحيث استلزم الأمر ذلك . وربما لوحظت الإشارة المتكررة إلى ارشيف منشية البكري ، وهذا الأرشيف كان موجودا في مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » في مبنى مواجه لبيته ، وقد تقرر نقل محتويات هذا الأرشيف بأمر من الرئيس « أنور السادات » إلى قصر عابدين ، وتم بالفعل نقلها خلال شهرى يوليو وأغسطس ١٩٧١ .

٢ – كل الوثائق الأجنبية في هذا الملحق ـ واهمها مجموعة الوثائق الأمريكية ، وبعضها تم الحصول عليه بمقتصى قانون حرية المعلومات ـ سلمت إلى « مركز الأهرام للترجمة والنشر " ليقوم بترجمتها إلى اللغة العربية ، وكان ذلك من جانب مؤلف الكتاب ضمانا إضافيا لحياد الترجمة معنى ولفظا .

٣ - ومن داعى الحرص على عدم التكرار ، فإن الوثائق التي جرى استعمالها في النص الأصلى للكتاب لم ترد في الملحق الوثائقي ، وأما ما جاء في هذا الملحق فقد اشير إليه (موضعه مجرد إشارة رغبة في أن يكون الملحق الوثائقي جزءا من الكتاب يقرأ في حد ذاته ، ويؤدى دوره في إلقاء أضواء إضافية على جوانب مختلفة من الصورة العامة للأحداث .

اللحظ في هذا الملحق كثرة وتعدد الوثائق المكتوبة بخط الرئيس = جمال عبد الناصر = نفسه ، وكان هذا مقصودا بحكم أن ادق شهادة على تصرفات أى رجل هي ما كتبه بنفسه وبخط يده وفي ظروف لم يكن نشر ما كتب مطروحا من قريب أو من بعيد .

المثال ، فقد تلقينا تاكيدات معينة من السكرتير العام للأمم المتحدة بشأن تطهير القناة . ويبدو الآن أن مصر عطلت سفر الجنرال هويلر إلى القاهرة ، ولم نتلق ما يفيد أن أيا من معدات الإنقاذ التابعة لنا سوف تستخدم . وليس في وسعنا أن نترك سفن الإنقاذ التابعة لنا في بور سعيد بدون اطقمها البريطانية بعد خروجنا ، ونحن مضطرون بسبب عامل الوقت إلى البدء في سحب تلك المعدات يوم الأربعاء ١٢ ديسمبر إذا لم يتم التوصل حتى ذلك الحين إلى ترتيب مناسب لاستخدامها . وبذلك سينشا موقف يتسم بطابع عبثى ينسحب فيه اسطول ضخم للتطهير من القناة ، وسيكون من اللازم في بعض الحالات ترك بعض الحطام الذى رفع جزئيا ليسقط إلى القاع مرة أخرى .

٢ - وفيما يتعلق بنظام القناة في المستقبل، فقد كنا على استعداد لأن ناخذ رسالة السكرتير العام المؤرخة في ٢٤ اكتوبر، نقطة بدء لمحادثات جديدة، لكن السكرتير العام نفسه أبلغنا الآن أن موقف فوزى من هذه المسألة اصبح اكثر تشددا.

٣ - وهناك أيضا مسالة المطالبات ، والمطالبات المضادة التي لم يتم التوصل إلى إتفاق بشانها حتى فيما يتعلق بالإجراءات . فالمصريون ماضون في مصادرة الممتلكات البريطانية في مصر ، واستولوا على المواد الموجودة في قاعدة القناة . ولا شك في انهم سيقدمون لنا فاتورة هائلة بسبب اضرار الحرب التي وقعت في بور سعيد وغيرها . ومن الواضح انه ليس في الوسع تسوية جميع هذه المطالبات ، والمطالبات المضادة قبل إتمام انسحابنا ، ولكن يمكن على الأقل الاتفاق على تسويتها عن طريق التحكيم .

٤ - وكذلك فإن وضع الرعايا البريطانيين في مصر، يبعث على القلق الشديد. فالمصريون يلزمونهم بالمغادرة، ومن المشكوك فيه للغاية ان تتخذ إجراءات مناسبة لحماية ممتلكاتهم. وذلك بالاضافة إلى اعتقال نحو ٥٠٥ من المقاولين المدنيين في القاعدة. ولم نتلق أي تأكيد بالإفراج عنهم. وقد يكون هذا الجانب من الموضوع اكثر اهمية من الجوانب الأخرى من وجهة نظر الراى العام في المملكة المتحدة.

• - ولو اننا توصلنا إلى اتفاق مع المصريين بشان انسحابنا لكان الارجح ان نسوى جميع هذه المسائل كجزء من الاتفاق ، إلا أن تطور الامور ، كما جرى في الواقع ضيع هذه الورقة من يدنا . لكن قد لا يكون ذلك قد حدث بالفعل إذ أن الانسحاب لن يستكمل قبل أسبوع ، أو عشرة أيام . بل إن الفرنسيين كانوا حريصين ، لاسباب برلمانية ، على الايتم الانسحاب حتى يوم ٢٢ أو ٢٣ ديسمبر ، وقد يكون في الوسع إتاحة هذه الايام القليلة الاضافية لهم عن طريق ترتيب إدارى يوضع مع الجنرال بيرنز . لكن يبدو لنا أنه من الاهمية مكان كبير التوصل إلى تسوية أو على الأقل تحقيق تقدم بشان هذه المسائل الاخرى خلال هذه الفترة . وقال وزير الخارجية : إنه يقترح تأكيد أهمية هذه المسألة للسكرتير العام ، ويا حبذا لو سافر السكرتير العام بنفسه إلى القاهرة . وفيما يتعلق بالتطهير ، فإننا نقوم بالفعل بالاتصال بالبلدان الأخرى المستخدمة للقناة .

٦ - ذكر السيد دالاس أن القول بأن « الولايات المتحدة طلبت منا أن نخرج " ليس دقيقا تماما . إلا أنهم يتصورون أن كثيرا من النتائج السيئة التي ترتبت على تحركنا يمكن أن تعالج على نحو أفضل بعد انسحابنا من بور سعيد . وهم طبعا لا يستطيعون أن يضمنوا ذلك ، غير على نحو أفضل بعد انسحابنا من بور سعيد . وهم طبعا لا يستطيعون أن يضمنوا ذلك ، غير

ان هناك اشياء معينة يستطيعون ان يفعلوها بانفسهم ، مثل دعم الجنيه الاسترليني الذي وعدوا به الآن. وقال وزير الخارجية إنه لا يريد أن يظن أحد أننا لا نشعر بالامتنان لهذا العمل من جانب حكومة الولايات المتحدة . وقد اسعدنا البيان الذي صدر يوم الاثنين الماضي والكلمة التي القاها نيكسون نائب الرئيس. وقال السيد دالاس إنه شخصيا ناقش هذا الخطاب مع السيد نيكسون سلفا ، وانه مطمئن إلى أن الجو في الولايات المتحدة افضل الأن بصورة عامة ، وأن الخطوة التي اتخذت لدعم الجنيه الاسترليني كان مصدرها اقتناعهم بأن مصالح البلدين مترابطة ولكنهم لم يكونوا يستطيعون أن يفعلوا ذلك قبل أن يتأكدوا من انسحابنا . وكان رد الفعل في الكونجرس وبين الراى العام مشجعا . وقال السيد دالاس إن العمل البريطاني الفرنسي في مصر أثار الاستياء في جميع انحاء الولامات المتحدة ، ربما باستثناء بسيط ، في السواحل الشرقية وفي صحف مثل نيويورك تايمز وهبراك تريبيون . غير أن هذه الصحف لا تعبر عن مجموع الراي العام في الولايات المتحدة . ولكنه يعتقد ان الميدان أصبح الآن مهيئًا لاستئناف علاقات وثيقة بين البلدين . وقد علم بأن الضغط على الجنيه الاسترليني 🎩 توقف خلال اليوم أو اليومين الأخيرين ، وذلك أمر من الواضح أن الثقة تلعب فيه دورا حاسما ، وأن الدعم الذي تقدمه حكومة الولايات المتحدة سيسبب لها صعوبات كبيرة في وقت تواجه فيه مشكلة زيادة تكاليف الدفاع . وربما نجد ان السيد همفري مازال متشددا إلى حد ما في هذا الصدد ، وأنه سيسعى إلى إنقاص المساعدات الخارجية التي تقدمها الولايات المتحدة من أجل تعويض التكاليف الإضافية للدفاع . لكن السيد دالاس يعتقد أن هناك شعورا متزايدا بأنه يجب على بلدينا أن يعودا للاتفاق ، وهو على ثقة من أن الرئيس نفسه سيستخدم كل نفوذه الشخصي في هذا الاتجاه ، ولا سيما في خطابه في افتتاح الكونجرس في بنابر.

٧ - وقال السيد دالاس: إن رد فعل الولايات المتحدة تجاه تحركنا في مصر لم يكن راجعا إلى اى حب للمصريين، إلا أن الولايات المتحدة لا ترى كيف كان للنظام العالمي أن يستقر لو أنها أغمضت عينيها. وبعد وقوع ما حدث في مصر، شرع الرئيس رى، وشيانج كاى شيك في العمل معا على شن حرب في أسيا عن طريق شن هجمات منسقة على كوريا الشمالية واراضى الصين. وهو أمر من الواضح أنه يمكن أن يتسبب في كوارث، إلا أنه يبين نوع النتائج المحتملة حيث أصبح من المقبول أن تسوى المنازعات عن طريق القوة.

۸ – وقال السيد دالاس: إنه ليس من سياسة حكومة الولايات المتحدة استرضاء عبد الناصر، أو التودد إلى العرب، وأنها لا تثق بعبد الناصر، وهي مستعدة للضغط عليه لتسوية المسائل الشبيهة بما أشار إليه وزير الخارجية. وقد يكون لحكومة الولايات المتحدة قدر من التأثير على عبد الناصر في الوقت الحاضر لكن المتوقع أن يتناقص هذا التأثير عند عودة العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، خاصة وأن عبد الناصر لمس بنفسه أن دافع الولايات المتحدة لم يكن حبها له. وستكون حكومة الولايات المتحدة مستعدة لأن تفعل كل ما في وسعها بشأن مسائل مثل تطهير القناة ووضع النظام الذي ستتبعه في المستقبل. وقال دالاس بشأن هذه النقطة الأخيرة إن الشعور حاليا في واشنطن هو أن أفضل السبل يتمثل [أن يستأنف السكرتير العام المناقشات من النقطة التي قطعت عندها في السبل يتمثل [أن يستأنف السكرتير العام المناقشات من النقطة التي قطعت عندها في المتوبر، ولذا تميل الولايات المتحدة إلى إرجاء مشروع قرارها الخاص بتشكيل لجنة تابعة الكتوبر، ولذا تميل الولايات المتحدة إلى إرجاء مشروع قرارها الخاص بتشكيل لجنة تابعة

للأمم المتحدة . وترى الولايات المتحدة أنه كلما عجل السكرتير العام ببدء المباحثات كان ذلك أفضل .

٩ - قال وزير الخارجية : إنه لا يريد أن يعود إلى احداث الماضى ، فالمطلوب الآن هو رأب الصدع ، وأنه على الرغم من الضغوط الشديدة التى تعرض لها ، احجم عن توجيه أى لوم للولايات المتحدة في البيانات التى أدلى بها في البرلمان . وأنه لم يشر إلى مسالة الانسحاب الآن إلا لاعتقاده بأنه ليس من المصلحة ، لاللمملكة المتحدة ، ولا للصداقة الانجلو أمريكية أيضا ، أن يبقى ذلك النوع من المسائل التى أشار إليها بغير حل في الوقت الذى يتم فيه الانسحاب . فبعد الانسحاب قد يتشدد مولف عبد الناصر ، ويصبح من الصعب الوصول إلى تسويات مرضية . وقد تكون النتيجة أن يتفاقم هذا الشعور في المملكة المتحدة ، ويتجه الكثيرون إلى القول - الذى قد يكون مجرد نريعة -بانه لولا معارضة الولايات المتحدة لحققت عملياتنا نجاحا كاملا ، وأن جميع متاعبنا ترجع إلى الامريكيين . وهو أمر يمكن أن يصيب العلاقات بين بلدينا بابلغ الإضرار .

• ١ - قال السيد دالاس: إنه بوافق على ضرورة السعى للوصول إلى إتفاق مع المصريين على هذه المسائل قبل إتمام انسحابنا. وأن حكومة الولايات المتحدة ستضغط من أجل ذلك. وفي مسالة تطهير القناة فإنها ستسعى بلا إبطاء لمعرفة رأى الجنرال هويلر. وقال وزير الخارجية إننا لا نحاول أن نتنصل من تعهدنا بالانسحاب. ويجب الا نشعر بأن ذلك كان يمكن أن يحدث بدون الموافقة الضمنية على الاقل من جانب الولايات المتحدة إن لم يكن موافقتها العلنية. وقال السيد دالاس: إنه لا يستطيع أن يحلنا من تعهدنا في هذا الصدد لأن ذلك سيكون من قبيل النكث بالوعود من جانب حكومة الولايات المتحدة أمام الكونجرس والرأى العام الأمريكي. لكن الحكومة ستمارس اقصى ضغط ممكن على عبد الناصر خلال الايام العشرة أو نحوها التي مازالت باقية، سواء فيما يتعلق بالتطهير، أو بمستقبل القناة.

واقترح وزير الخارجية ان تثار ايضا مسالة المعتقلين والاتفاق على التحكيم فيما يتعلق بالمطالبات ، وانه ربما كان افضل من يقوم بهذه المهمة هو سفير الولايات المتحدة في القاهرة . ووعد السيد دالاس بالنظر في هاتين النقطتين .



صور كاملة من المراسلات السرية التي بعث بها الرئيس الأمريكي « دوايت ايزنهاور » إلى الملك « سعود » ردا على الملك الذي تحمل مسؤولية تفنية خليج العقبة . وقد سبق نشر رسائل الملك « سعود » إلى الرئيس الأمريكي في الملحق الوثائقي لكتاب « ملفات السويس » . والأن تتاح لأول مرة فرصة الحصول على ردود الرئيس الأمريكي على الملك السعودي . (ويلاحظ أن اهتمام ايزنهاور بدا يتناقص بالموضوع ، على المدى اهتمامه الشديد في بداية المراسلات ، وانتهى باقتراح عرض القضية على محكمة العدل الدولية) .



مرسل إلى : السفارة الأمريكية بجدة رسائل الرئيس

نرجو تسليم الرسالة التالية من الرئيس إلى الملك سعود ، ونرجو تاكيد تاريخ وساعة التسليم . وإذا كان هناك تأخير كبير قبل عودة الملك يرجى التشاور مع الوزارة بشان وسيلة اخرى ووقت آخر للتسليم .

« ١٥ مايو ١٩٥٧ » صاحب الجلالة :

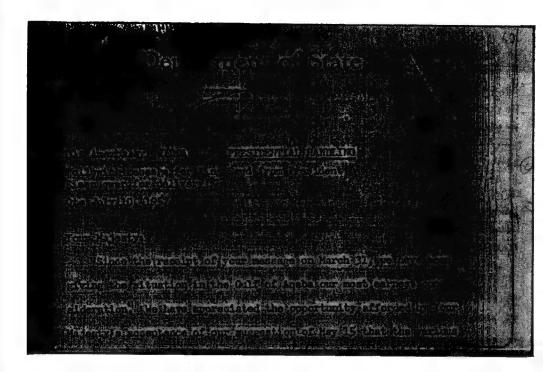
قرات باهتمام شديد رسالتكم المؤرخة في ٧ مايو والتي سلمها السفير الخيال إلى البيت الأبيض. وقد أوليتها اهتمامي العاجل والمتمعن ، وكانت موضع دراسة تفصيلية لدى حكومة الولايات المتحدة .

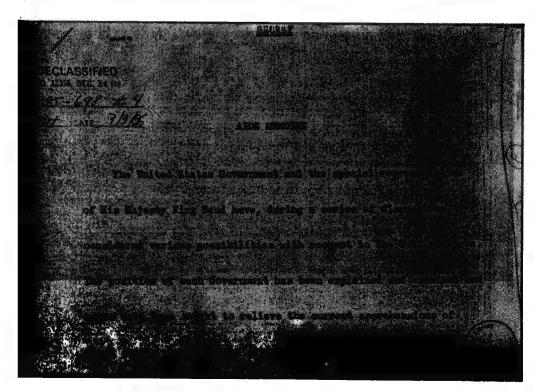
ونحن نقدر لجلالتكم انكم تشاورتم معنا ، بروح التعاون التى تميز علاقاتنا في مسالة خليج العقبة المعقدة . كما نقدر لجلالتكم انكم اتبعتم في مسائل اخرى سبيل الحل السلمى لمثل هذه القضايا . ونحن على ثقة من انه يمكن العثور على وسيلة تتيح لنا أن نعمل معالحل هذه القضية وغيرها مما يؤثر على السلم والاستقرار في الشرق الأوسط .

ورسالتكم المؤرخة في ٧ مايو تتناول مباشرة مشكلة مرور السفن الحربية الإسرائيلية في المياه الإقليمية للملكة العربية السعودية في خليج العقبة ، وقد احطنا علما بأن جلالتكم رفعتم الأمر إلى مجلس الأمن وانكم تنتظرون رأينا قبل اتخاذ إجراء آخر ، وموقفنا فيما يتعلق بنظر الموضوع في الأمم المتحدة يتوقف جزئيا على النهج والإجراء الذي تعتزم حكومتكم اتخاذه . ولذا قد يكون من المستصوب إجراء المزيد من المناقشات بيننا ، وربما مع ممثلي جلالتكم في هذا البلد .

ويمكن خلال هذه المناقشات ان نستعرض مع ممثل جلالتكم مختلف الجوانب المتعلقة بعرض الموضوع على مجلس الأمن . ونحن نعترف بانه قد تكون هناك فائدة في نظر مجلس الامن في الموضوع ، ونعترف ايضا بان هذا النظر قد يتحول إلى جدل يفضى إلى تفاقم الوضع في المنطقة ، ويعطى الفرصة لمزيد من الأعمال الهدامة من جانب الاتحاد السوفييتي وقوى الشيوعية الدولية .

ويمكن ايضا خلال المزيد من التشاور مع ممثليكم ان نستعرض مسالة الوضع القانونى لخليج العقبة ومضايق تيران التى تشيرون إليها في رسالتكم المؤرخة في ٣١ مارس . وتعرفون جلالتكم ان للدول المختلفة آراء مختلفة بشان القانون الواجب التطبيق في هذه المسالة . ونحن نعرف ان آراء الولايات المتحدة التى شرحها الوزير دالاس وشرحتها بنفسى عندما كنتم هنا ، والتى سجلت في مذكرة مؤرخة في ١١ فبراير ١٩٥٧ ونشرت في ١٧ فبراير ، تختلف عن أراء جلالتكم ، ولكننى أرجو أن نتمكن من مناقشة هذا الاختلاف في الرأى بروح الصداقة والتعاون التي ميزت علاقاتنا في الماضى . وقد وجدنا أن هذه المسالة يمكن أن تحال إلى محكمة العدل الدولية عن طريق حكومة ، أو عن طريق الأمم المتحدة . فإذا حدث ذلك ، فإن حكومة





الولايات المتحدة ستدخل في اعتبارها بطبيعة الحال قرار المحكمة او رايها فيما يتعلق بالمنطقة .

وكان في ذهننا دائما عند نظرنا في هذين الموضوعين صداقتنا الوطيدة مع المملكة العربية السعودية، ورغبتنا في تجنب اى عمل ينطوى على تهديد لاستقلال مملكتكم، أو سلامتها الإقليمية. ونحن نقدر ما اعربتم عنه في رسالتكم من قلق. وسوف نشير في علاقاتنا مع دول المنطقة بالتزام الاعتدال والحكمة وتجنب اى اعمال استفزازية أو عدوانية، ولا سيما أية اعمال تمس الأماكن المقدسة التي تقومون جلالتكم بحمايتها.

وسوف نحيطكم علما بأى تطورات تصل إلينا عن المشكلتين اللتين اثرتهما: يا صاحب الجلالة ، وسنبقى في الوقت نفسه على اتصال وثيق بممثليكم في الولايات: المتحدة .

حفظكم الله ورعاكم.

صديقك المخلص دوايت د . ايزنهاور تراعى القواعد المتبعة في تسليم رسائل الرئيس (إمضاء) دالاس

وزارة الخارجية

إلى: السفارة الأمريكية في جدة نرجو تسليم الرئيس ايزنهاور. نرجو تسليم الرسالة التالية إلى الملك سعود من الرئيس ايزنهاور. ١٠ يوليو ١٩٥٧ صاحب الجلالة

منذ تسلمنا رسالتكم المؤرخة ف ٣١ مارس ، كان الوضع في خليج العقبة موضع دراستنا الدقيقة . وقد قدرنا لجلالتكم الفرصة التي اتحتموها بقبولكم اقتراحنا في ١٥ مايو ان تجرى مناقشة الجوانب المختلفة لهذه المسألة مع ممثلكم . وفي جميع أوقات المناقشة كنا مدركين على الخصوص لموقف جلالتكم بوصفكم حامى الأماكن المقدسة للإسلام ، ولكونكم زعيم دولة عربية هامة على الخليج .

وقد أطلعنى وزير الخارجية دالاس باستمرار على مسار مناقشاته ومناقشات غيره من المسؤولين في الوزارة مع عزام باشا ، وأعتقد أن المحادثات كانت مفيدة في إيجاد وسائل ممكنة لتخفيف الوضع في الخليج . وقد أعد وزير الخارجية مذكرة تتضمن بعض السبل المقترحة سيسلمها إلى عزام باشا الذي اعتقد أنه سيتخذ الترتيبات اللازمة لتنظر فيها جلالتكم مع مستشاريكم .

وتهدف الذكرة إلى معالجة مصادر القلق الرئيسية التي بدت من رسالتكم ومن محادثاتنا اللاحقة مع عزام باشا ، وهي : وجود سفن حربية إسرائيلية في الخليج ، ومسألة أمن الحجاج المسلمين المارين في الخليج ، ومسؤوليات سفن الولايات المتحدة من السيادة الساحلية على الخليج ، والوضع القانوني لخليج العقبة والمضايق المؤدية إليه .

ونحن في دراستنا لهذه المشكلة ، لا تغيب عن بالنا المسؤوليات الخاصة التي تحملونها جلالتكم في اثناء موسم الحج الحالى . وإنى أؤكد لكم كما أكدت في الماضي أننا ندين بكل شدة أي إجراء يتخذه أي بلد يكون من شأنه المساس بالمرور الأمن للحجاج ، وإذا رأيتم جلالتكم خلال مداولاتكم مع ممثلي الدول الإسلامية الأخرى في أثناء الحج الحالى أنه من المفيد أن تذكروا تأكيدنا المتعلق بهذا الموضوع ، فإن لكم أن تفعلوا ذلك بلا تردد .

وإنى ممتن لجلالتكم لما نبهتمونى إليه فى رسالتكم المؤرخة فى ٢٥ أبريل ١٩٥٧ من قلقكم الخاص لما ورد فى كتاب دورى أرسل إلى ملاك السفن بشأن الخليج . وقد شرحت وزارة الخارجية للسفير الخيال ولعزام باشا الطبيعة الروتينية لهذا الكتاب الدورى ، وأنه لم يقصد منع الامتثال لشرط الإخطار المسبق الذى أصدرته الدولة الساحلية وفقا لمبادىء القانون الدولى .

ويقوم إعلاننا المتعلق بالوضع القانونى لخليج العقبة على الالتزام بالمبادىء وبالقانون الدولى . وذلك ما اهتدينا به في تصرفاتنا في أثناء أحداث أكتوبر ونوفمبر الماضيين . وحتى في هذا الصدد فنحن لم نتمسك بآرائنا ونعتبرها غير قابلة للمناقشة ، بل ذكرنا أنه إذا اختلفت الآراء حول هذا الموضوع فإن الأمر برمته يمكن أن يحال إلى محكمة العدل الدولية في لاهاى . ونحن على استعداد للالتزام بقرارها مقدما . وإنه لمن المؤسف حقا أن يؤدى إعلان هذا الموقف إلى اختلاف بيننا وبين الملكة العربية السعودية في الوقت الذي يتجلى فيه اتفاق أهدافنا في المنطقة بصورة أكثر وضوحا . وأمل أن يكون ما نقترحه سبيلا للحد من هذه الخلافات ، وإقرار السلام والهدوء اللذين نرجوهما كلانا للمنطقة بإخلاص .

حفظكم الله ورعاكم.

صديقكم المخلص دوايت د. ايزنهاور

صاحب الجلالة

سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية نرجو إخطارنا بتاريخ وموعد التسليم . تراعى القواعد المتبعة بالنسبة لرسائل الرئيس .

ترقيع دالاس

مذكسرة

قامت حكومة الولايات المتحدة والممثل الخاص لجلالة الملك سعود ، خلال سلسلة من المناقشات ، بدراسة الاحتمالات المختلفة المتعلقة بخليج العقبة . وقد تم شرح وبحث موقف كل من الحكومتين ، والسعى إلى تبديد المخاوف الحالية التى تشعر بها المملكة العربية السعودية بشأن الموقف في الخليج .

وتسلم الولايات المتحدة بأن هناك خلافا في الرأى حول الوضع القانوني للخليج . وهي تشارك الملك سعود حرصه على صيانة السلام والهدوء في منطقة الخليج . وتعترف الولايات المتحدة بالأهمية التاريخية للخليج بوصفه طريقا تقليديا للحجاج المسلمين إلى الأماكن المقدسة القائمة في المملكة العربية السعودية ، وتسلم بأن الوضع في الخليج مصدر قلق مشروع لجلالة الملك سعود ، لا بوصفه حامي الأماكن حاكما لإحدى الدول العربية الهامة والمشاطئة للخليج فحسب ، بل أيضا بوصفه حامي الأماكن المقدسة للإسلام .

ومن رأى حكومة الولايات المتحدة أن خليج العقبة يعتبر مياها دولية . وأن للسفن التجارية لجميع الدول حق المرور الحر والبرىء عبر مضيق تيران وف الخليج . وأكدت الحكومة أن هذا الموقف يعتمد على مبادىء القانون الدولى المسلم بها ، مع المراعاة الواجبة لمصالح الولايات المتحدة بوصفها دولة بحرية . وقد كان مبدأ حرية البحار من النقاط الجوهرية في سياسة الولايات المتحدة منذ قيام الجمهورية . وليس المقصود بتطبيق الولايات المتحدة لهذا المبدأ على خليج العقبة إنشاء أى حق لأى أمة على الخليج ، أو أى أمة أخرى بدون أن يكون هذا الحق مقررا لها من قبل .

وسعت الولايات المتحدة إلى تحديد الطريقة التي يمكن أن تحل بها المسائل القانونية على يد هيئة محايدة مختصة ، وتحديد الخطوات العملية التي يمكن اتخاذها لصون السلام والهدوء .

وعلى وجه التحديد، فإن الولايات المتحدة تقترح ما يلى:

\ _ قد ترغب المملكة العربية السعودية فى عرض مسالة الوضع القانونى لخليج العقبة على محكمة العدل الدولية . وفيما يتعلق بالسفن المسجلة لدى الولايات المتحدة فإن الولايات المتحدة ستلتزم بأى حكم أو فتوى تصدرها المحكمة .

Y - وتدرك الولايات المتحدة أن المسألة الأساسية التي أثارها جلالته من قبل المحادثات الحالية ، هي تحرك القوات البحرية والجوية الإسرائيلية في المياه الاقليمية للدول الشاطئية الأخرى على الخليج . وليس من رأى الولايات المتحدة أن موقفها المعلن من طبيعة الخليج يعنى المرور غير المقيد للسفن الحربية في المياه الإقليمية للخليج في ظل الظروف الحاضرة . وتلبية لاهتمام جلالته الخاص بهذا الموضوع ، فإن الولايات المتحدة على استعداد ، لمصلحة صبيانة السلام والهدوء في الخليج ، لأن تبحث بصورة مباشرة أو عن طريق وسيط مناسب القيود التي ينبغي أن توضع على استخدام القوات البحرية والجوية الإسرائيلية للخليج ، بما في ذلك تدابير مثل رباط السفن في إيلات ، أو إبعادها من الخليج .

٣ ـ والولايات المتحدة على استعداد ، إذا طلب منها ذلك لأن تطلب من السفن المسجلة في الولايات المتحدة أن تتجنب المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية عند مرورها في الخليج . كما أن الولايات المتحدة مستعدة لأن تطلب من ربابنة السفن المسجلة لدى الولايات المتحدة أن يقوموا بالإخطار بمرورهم عندما تشترط ذلك القواعد التي تضعها الدول الشاطئية بما يتفق مع القواعد التي تضعها الدول الشاطئية بما يتفق مع القواعد المتحددة للقانون الدولي .

٤ ـ ربما ترغب المملكة العربية السعودية ف أن ينظر مجلس الأمن مسألة سلامة الحجاج بقصد اتخاذ قرار ينشىء ممرا دوليا معترفا به للحجاج ف مياه خليج العقبة . ومن شأن مثل هذا القرار أن يوفر ضمانات مناسبة للمرور الآمن للحجاج بتقييد الأنشطة التى تهدد سلامتهم . والولايات المتحدة مستعدة للتشاور مع حكومة المملكة العربية السعودية حول الشكل الذى يتخذه هذا القرار ، وأن تعزز الجهود المعقولة ف هذا الاتجاه في مجلس الأمن . وتعترف الولايات المتحدة بند يتبين أن الطابع الخاص لطرق الحج التقليدية يمكن أن يكون أساسا لمعاملة خاصة .

والولايات المتحدة إذ تتقدم بهذه الاقتراحات ، تتصرف بروح الصداقة الوطيدة التي ميزت دائما العلاقات مع المملكة العربية السعودية . وتود الولايات المتحدة أن تقرر وتؤكد مرة أخرى ما سبق أن أكدته في مناسبات عديدة من أنها تؤيد بحزم استقلال المملكة العربية السعودية وسلامة اراضيها . كما أوضحنا أننا ننظر بقلق بالغ لأى تهديد للمرور الآمن للحجاج الدينيين المتجهين إلى الأماكن الإسلامية المقدسة . ولا شك في أن الولايات المتحدة لا تود أن تقوم بدور الدولة المعنية مباشرة بهذا الموضوع الذي يشمل حقوقا بحرية لدول عديدة ، وحقوقا إقليمية لعدد من الدول . ونحن على ثقة من أنه إذا توافر حسن النية أمكن حل الخلاف في الرأى بطريقة عملية وبوسيلة تتفق مع الاهتمامات المشروعة ، وتحمى المصالح العادلة لجميع الأطراف المعنية .

وزارة الخارجية واشنطن

الوثيقة رقم (٦)

صورة وثيقة تتضمن خطابا بتوقيع « أبو الفتح ، باسم « لجنة أحرار العرب » (مصر الحرة) وهو موجه إلى « انتونى ايدن » رئيس الوزراء البريطانى . والوثيقة حافلة باراء اسرة « أبو الفتح » ورايها في التصرف مع مصر بما في ذلك دعوة الغرب إلى استعمال القوة المسلحة ضد مصر . كما تتضمن أيضا طلب أموال من الغرب بطريقة مكشوفة لتمويل جهد شامل في الدعلية ضد « الخطر المصرى » على المنطقة إ

وتستحق هذه الوثيقة أن تقرأ بعناية شديدة لأن الخطوط الرئيسية التي احتوت عليها ما تزال سارية حتى الأن ، كما أن الإشارة واضحة فيها إلى عناصر تعمل مع اسرة ، ابو الفتح ، ﴿ الداخل و ﴿ الخارج .

THE FREE ARAB COMMITTEE

Beirut, Lebanon

January 27, 1956

The Right Honorable Sir Anthony Eden Prime Minister, British Embassy Washington, D. C. Den latte

Dear Mr. Prime Minister:

The writers of this letter asked one of their friends last June, to submit to you letters and a background note concerning the military dictatorship and the communist menace in Egypt. Since then the situation has deteriorated and the communist threat has reached grave proportions. We therefore feel duty-bound to write you once more on the matter.

The gravity of the situation and its internal and regional dangers are now fully recognized by the United States of America and the United Kingdom. In addition to a reinforced police state and its inherent instability, the situation in Egypt presents the West with a Russian-communist challenge, more complex than the one they faced in Guatemala. Indeed, unlike the latter, Egypt exercisare are influence in its region, while Egypt's neighboring countries are much less protected against and more exposed to communist subversion and infiltration than Guatemala's.

الوثيقة رقم (٥)

السنج لبالفرزاء

ن ١٦ ا برس تعليم

عدة صعاعة بلعالى ومرم ليسووم المعتماعير

العرائعية المن تشرم به المجد لعليه لمقا ومهاسش والمصدو الميوه وسدى دل و المستنف عضع المشرب الذن منظم الاجعدي الزماع وهذا المصدولات المرحد والمسترف المرحد والمسترف المرحد والمسترف المرحد والمسترف المرحد والمسترف المرحد المدحد والمسترف المدارة المدرود المسترف المس

(۱) مُشْ بِلِلْكِ الصغيره الى مُحْتَدِعِهُ الذِن لِيهِ حِسْرِهِ رَلِيْهِ عَادٍ، وَإِنْ سَرَعِ مِنْكُونِهِ وَلِيهُ ثَامَةً عَدَّصَعَام المِلِيكَ الإِراعِبِيدِ هَن دِقام حَرَّمَ مِدَوَام الْحِرِّي (۲) حَمْدٍ الْكَلَيْةِ الْحَصْرِةِ مَد الشَّبْسِيمِ الذِن مُنزل مِلْ عَد الدِّدِن المَدَرِلَةِ عِنْدِهِ مِسْتَقَى مِعْدِلْ مَعْدِلْ وَالْحِدْ وَدِيدُ وَدِيدُ وَلِيدُ وَلِيدُ وَلِيدًا وَدُورًا رِيْرُورُ وَلِيدًا لَارْتُهُ الى تَحْرِيم الْمُعْزِقُ الْمُدَّمِّةِ عَلَى الْمِيوِدِ الْوَرْدُ

(ع) مُعَيِّدٍ لَلْكَنَاتُ اللَّهِ ولا وسُمَامُ المروة مدفّع الرحدال المعادر المرات الله المكارمة المكرمة المكرمة المكرمة الم

(٤) شغيم الديجار ميليون بارا مي توفي الي بالربية الدينا الما والمطلب المارية المراحة المارية المراحة المارية المراحة المراحة

المحدالة تعرف المناج المناج المعدد والإعماد المراج والمراج وا

وثيقة بخط

اسماعيل صدقى (باشا) رئيس البوزراء سنة تظهر الاهتمام المبحر بقضية المبحر مصر، وهلي مصر، وهلي على تنفيذها إلا بعد قيام شورة يوليو

responsibility without your Government having an open part in it, provided that they receive the necessary financial assistance to build up an efficient organization for propaganda and counter -propaganda. Priority should be given to them to import and erect a powerful broadcasting station. No less important is the question of Western diplomatic representation in the Middle East with responsible and qualified diplomats.

Britain is now spending millions of pounds yearly to retain a shaky footing in Jordan, - and America is spending millions of dollars to regain a doubtful friendship and initiate a constructive cooperation in the Middle East, -- Yet, American and Britain could, with a fraction of this money, help their friends there to create an effective and efficient propaganda service and defend the interests for which they are blackmailed into paying millions!

With our highest esteem,

For The Committee.

Hollowed Orcha

Note: The Free Arab Committee was created recently in Beirut by leading and influential personalities representing Egypt, Syria, Iraq and Lebanon, whose identity cannot be revealed for the time being, -- they are however known to the American and British diplomatic mission in those countries.

وتستمر ، فإنها مضطرة لأن تستمر في سياستها الحالية المعادية للغرب . وفضلا عن ذلك ، فإنه لم يعد سرا أن دكتاتورية البكباشي عبد الناصر أصبحت الآن في قبضة الشيوعيين ، ومن نهج نهجهم بصورة نهائية .

وقد سبق أن تناولت هذا الأمر بالتفصيل المذكرة التي قدمها أصدقاؤنا إليكم في شهر يونيو الماضي . ولكننا نود أن نضيف هنا المعلومات التالية المستمدة من أوثق المصادر :

إن الساعد الايمن للبكباشي عبد الناصر شيوعي متعصب . وهو اللواء عبد الحكيم عامر القائد الاعلى للجيش المصرى ووزير الدفاع . ورغم غرابة الامر ، فإن عبد الناصر نفسه

Instead of appeasement, a firm policy should be instated. A show of force, such as sending some Anglo-American warships to the Middle East with the threat of teding military measures with a simultaneous outright support to all Western friends could be fruitful since it would enjoy the support of the captive people of Egypt.

لجنة احرار العرب بيروت، لننان

۲۷ ینایر ۱۹۵۳

الرایت اونرابل سیر انتونی ایدن رئیس الوزراء السفارة البریطانیة واشنطن ، دی . سی .

عزيزى السيد رئيس الوزراء

طلب محررو هذه الرسالة من احد اصدقائهم في شهر يونيو الماضي ، ان يقدم اليكم خطابات ومذكرة تحوى معلومات أساسية عن الدكتاتورية العسكرية والخطر الشيوعي في مصر . وقد ازداد الوضع تدهورا منذ ذلك الحين ، ووصل التهديد الشيوعي إلى ابعاد خطيرة . ولذا نشعر ان الواجب يملي علينا ان نكتب لكم مرة اخرى في هذا الموضوع .

إن الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة تعترفان الآن على نحو كامل ، بخطورة الوضع وما ينطوى عليه من مخاطر داخلية وإقليمية . فإلى جانب وجود دولة بوليسية قوية وما يصاحب ذلك حتما من عدم استقرار ، فإن الوضع في مصر يواجه الغرب بتحد من جانب الشيوعية الروسية ، اكثر تعقيدا مما كان عليه الحال في جواتيمالا . فمصر ، على غير الحال هناك ، لها تأثير كبير في المنطقة ، كما أن جيرانها من البلدان اكثر تعرضا واقل حصانة في مواجهة التغلغل الشيوعي والأعمال الشيوعية الهدامة من جيران جواتيمالا .

السيد رئيس الوزراء ، ليس في نيتنا ان نقدم إليكم النصيحة بشان سياساتكم الخاصة بمصر والشرق الأوسط ، ولكننا كاشخاص يعنيهم الأمر مباشرة ، نرى من واجبنا الوطنى ان نخاطبكم مرة اخرى ، ولا سيما في هذه المرحلة الحاسمة وربما الفاصلة في العلاقات العربية الانجليزية الامريكية .

ونذكر ابتداء بكل احترام ان مسالة التوسع الروسى والإثارة الشيوعية [الشرق الأوسط ترتبط ارتباطا وثيقا بالدكتاتورية البغيضة الطاغية في مصر . ومن نافلة القول ان نذكر انه لكى تبقى الدكتاتورية التي يلفظها الشعب ، والتي لا تحكم إلا بالقوة والتخويف

كان عضوا في الحزب الشيوعي ، وقد ضمه إليه في ذلك الوقت احمد فؤاد ، الذي عرفه عن طريق الصاغ خالد محيى الدين وهو يقر بشيوعيته . وكان عبد الناصر معرونا في الخلية الشيوعية بالقاهرة بوصفه رقم ١١٧ ، وشقيق خالد محيى الدين يشغل حاليا منصبي وزير الداخلية ورئيس المخابرات المصرية .

وهذا ما يفسر الدور الرئيسى الذى قام به احمد فؤاد ، السكرتير العام للحزب الشيوعى المصرى ، بالتعاون مع شيوعى بارز آخر هو الدكتور راشد البراوى ، [استهلال الاصلاحات الاقتصادية والمالية لنظام عبد الناصر . ويسيطر هذان الشيوعيان ايضا على اهم بنكين [الحياة الاقتصادية للبلاد . وقد استقال احمد فؤاد من الحزب شكليا ، ولكنه ما زال رغم ذلك عقله المفكر واعلى قائد تنفيذى له من وراء الستار .

وبالإضافة إلى اللواء عامر وخالد محيى الدين ، هناك خمسة آخرون من اعضاء ما يسمى مجلس الثورة من الشيوعيين .

وهذه وقائع مزعجة حقا ، وجديرة بأن تلقى عنايتكم التامة .

وعلى ضوئها ، فإنه وهم ان نتوقع ان يعمل البكباشى عبد الناصر (بافتراض انه شيوعى انتهازى) على التخلص من نفوذ هذه العقول المفكرة الشيوعية القوية ، وإن كانت تعمل في الخفاء ، بدون أن يعرض مصير دكتاتوريته للخطر .

ويستطيع الدكتاتور المصرى بطبيعة الحال أن يقوم من حين لآخر - لاسباب تكتيكية - باعتقال بعض الشيوعيين الله و ولكنه لن يجرؤ في أى وقت على المسلس بانشطة القادة الحقيقيين للمؤامرة الشيوعية الذين يعيشون في خفاء كامل ويعملون تحت الأرض داخل الجيش ، وفي جميع الهيئات الحكومية تحت حماية الشيوعيين الاقوياء ، واعوانهم من المحيطين بعيد الناصي .

وهذه الحقائق المذهلة هي وحدها التي تفسر الانجراف السريع للدكتاتورية المصرية نحو سياسة ما يسمى « الحياد » والتي تتسم عمليا بالتعاون البناء والودى مع العالم الشيوعي وباتباع سياسة الابتزاز والعداء نحو الغرب .

وقد ظهر تأثير اولئك الشيوعيين المصريين على البكباشي عبد الناصر في صفقة الاسلحة التشيكية . إذا استغل الشيوعيون قيام الدول الغربية بتزويد العراق بالاسلحة وازدياد التوتر داخل الجيش المصرى ، فنصحوا عبد الناصر بالاتجاه إلى الروس . واقترح الشيوعيون في نفس الوقت ، وهم يتنبأون بدقة برد فعل المستر بايرود ، ان يقوم عبد الناصر بدعوة السفير الامريكي وإنذاره بانه سيسعى للحصول على الاسلحة من الروس إذا تخلت عنه اله لامات المتحدة .

وكان الشيوعيون على يقين من أن المستر بايرود سيرفض هذا الإنذار باعتباره نوعا من الابتزاز أو التهويش ، وأن النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة لن يسمح أبدا بمثل هذه المساعدة ، ولم يكن السفير الأمريكي يعرف أن صفقة الاسلحة الشيوعية كانت بالفعل محلا للتفاوض عليها من قبل أن يستدعيه البكباشي عبد الناصر لمقابلته .

وعلى أى حال ، فإن الإعلان عن صفقة الأسلحة عزز مكانة عبد الناصر إلى حد ما داخل مصر (حيث ينحى الشعب باللائمة على الغرب ، لإعادة دكتاتورية عبد الناصر المارس ١٩٥٤) ، ودعمت مكانته بدرجة أكبر في البلاد العربية الأخرى التي تهددها القوة المتزايدة للدولة اليهودية ، والتي لا يعنيها غير الانتقام لماساة فلسطين .

لقد كان عبد الناصر هو أول حاكم عربى يجرؤ على صفع الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والسخرية منهم ، ويكسب من وراء ذلك ، وهو ما أكدته الزيارة غير العادية التي قام بها السيد جورج آلن إلى القاهرة في ذلك الحين .

ومن المهم إدراك أن ذلك كأن ، في رأى العرب ، أول فوز يحصلون عليه من ، الغرب القوى المتغطرس ، المعتز بقوته » ، والذى كأن نادرا ما يتخذ موقفا وديا أو متفهما ، ويبدو أنه يتصور أن إلقاء بضعة ملايين من الدولارات إلى العرب من حين لآخر يكفى لضمان ولائهم وإمتنانهم .

وينبع العداء العربى للغرب من مصادر عديدة . ففى الماضى (ولا يزال هذا هو الحال في بعض الأراضى حتى الآن) كان السبب في هذا هو السيطرة التى كانت في كثير من الأحيان غير إنسانية وغير عادلة وغير متعاطفة ، وادت إلى استغلال السكان والموارد استغلال قاسيا . وفي البلدان التي كان الاستعمار فيها اقل وحشية ، ادى التمييز في المعاملة ، وإقامة النوادى والمناطق المغلقة على الأجانب ، وحاجز اللون ، إلى خلق شعور قوى من التذمر .

وازداد العداء اشتعالا في السنوات الأخيرة نتيجة للقمع الوحشي للحركات الوطنية في كل مكان .

ولم يكن لروسيا في أى وقت مستعمرات في أفريقيا أو أسيا . وبينما كانت أمريكا تساعد الدول الاستعمارية وتؤيد إسرائيل بكل قواها ، وكان الأفارقة والاسيويون يشعرون بأن الديمقراطيات الغربية متفقة على إدامة خضوعهما ، كان الروس يعلنون أنهم أنصار الحرية ، ودعاة السيادة لجميع الشعوب ، وأنهم محررو البشرية من العوز والمرض ، ومن الخوف والإذلال الذي كان الغرب يفرضه على افريقيا وأسيا .

ومن ثم ، ينبغى إدراك أن العداء للغرب ، وليس الحب لعبد الناصر ، هو الذى حرك الشعوب العربية ضد حلف بغداد ، وضد قرار الأردن بالإنضمام إليه . ولو كان الذى دعا إلى هذا الحلف عبد الناصر وليس رئيس الوزراء نورى السعيد والعراق ، لكانت معارضة الشعوب العربية له أشد ، بسبب السجل الأسود لعبد الناصر ونظامه ، الذى يحكم الشعب بالتعذيب والقمع والعنف بدرجة لم يسبق لها مثيل في أى بلد عربى .

هذه هى اهم العوامل النفسية والسياسية التي يجب ان تؤخذ في الحسبان عند وضع تقييم واقعى للوضع الحالى في الشرق الأوسط. وبالمثل ، ينبغى إدراك ان تسوية جميع المشاكل المعلقة ـ سواء مسألة التغلغل الروسى ، او مسألة فلسطين ، او امن الشرق الأوسط ـ تتوقف على المسلك الذي تود الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ان تتخذانه تجاه النظام العسكرى ﴿ مصر .

ويبدو والما لتقارير جديرة بالثقة ، أن هناك المزيد من التنازلات التي ستقدم لاسترضاء

عبد الناصر ، إذ تعتزم الدبلوماسية الأمريكية البريطانية 🐧 هذه المرة أن تقدم له مساعدة اقتصادية ومالية كبيرة ، بالإضافة إلى تعديلات طفيفة تتعلق بأراضي فلسطين .

ويتطابق موقف محررى هذه المذكرة بشأن هذه المسألة الأخيرة مع الموقف الذى وافقت عليه دول الجامعة العربية وعبرت عنه بوضوح . ومن الخطأ تصور أن هذه المسألة يمكن أن يبت فيها نظام مصرى غير دستورى وغير شعبى . فالبكباشي عبد الناصر الذي يعنيه في المقام الأول أمن نظامه ، مضطر في الوقت الحالى ، كما كان في الماضي ، إلى أن يتمسك علنا بسياسته الداعية إلى " تحرير فلسطين » بينما يستمر بشكل غير رسمي في تقديم أية وعود يتطلبها الأمر حتى يستمر في الحصول على الدعم الأنجلو أمريكي لنظامه .

وليست هناك حاجة إلى تذكير حكومة جلالة الملكة بالوعود التى قدمها لها البكباشي جمال عبد الناصر قبل اتفاق السويس ولم يوف بها ولابد أن التطورات الدبلوماسية الاخيرة في مصر قد كشفت لحكومة الولايات المتحدة عن القيمة الحقيقية لكلمة رجل يدين بنجاح انقلابه في ١٩٥٤ جزئيا إلى الدعم السياسي والاقتصادي الذي لقيه من الولايات المتحدة .

اما عن المعونة الاقتصادية لمصر ، فإننا كعرب نرحب بطبيعة الحال بأى جهد يمكن أن يساعد في تحسين ظروف معيشة الجماهير المحرومة . ومصر في امس الحاجة إلى هذه المعونة التي نشعر بالامتنان لها . ولكن هل ستستخدم هذه المساعدة السخية لتعزيز نظام دكتاتورى حاقد ، وبذلك يطول امد معاناة اشقائنا المصريين .. ؟ أم أنها ستستخدم لأغراض بناءة .. " نحن نخشى أنه إذا لم تربط هذه المعونة بشروط واضحة فإنها يمكن أن توجه لخدمة أغراض سياسية ، تسفر عن المزيد من العداء الشعبي للدول الغربية .

والدول الغربية إذ تلعب المباراة وفقا للقواعد التي يضعها عبد الناصر ، وإذ تستسلم لمطالبه ، لا يمكن ان تكسبه إلى جانبها ، بل إن الشعب المصرى سيفقد بذلك كل ما قد يكون قد بقى لديه من ثقة بالغرب ، ويتجه يائسا إلى الشيوعية على نحو ما فعل شعب الصين .

ومن شأن المزيد من التنازلات أن يشجع عبد الناصر على الاستمرار في سياسة الابتزاز من موقع أكثر قوة ، وستكون النتيجة الحتمية لذلك هي إضعاف مكانة وعزيمة الاصدقاء الحقيقيين للغرب في الدول العربية والإسلامية الأخرى .

وعندئذ سيجد القادة الموالون للغرب في العراق وباكستان وإيران وتركيا انهم مضطرون، خضوعا للضغط الشعبى المتزايد، إما إلى إعادة النظر في سياستهم أو إلى ضياع مكانتهم، وستكون هذه هي المعضلة التي يواجهها رجال من امثال نورى السعيد باشا، والدكتور فاضل الجمائي وغيرهما، ممن تعرضوا - كما تعرضت الاسرة المالكة في العراق بشكل يبعث على الخجل - إلى حملات غير إنسانية لم يسبق لها مثيل من جانب الإذاعة والصحافة - المرتشية بأموال العملاء السعوديين والمصريين - لا لشيء إلا لانهم كانوا اصدقاءكم وحلفاءكم.

ويجب أن يتم تقييم سياسة الدكتاتور المصرى على أساس تصريحاته العلنية لا على أساس « مساوماته السرية » . وحديث عبد الناصر عن «تحرير البلاد العربية » إنما يعنى

تحريرها من النفوذ الغربي ، وشعاره الغوغائي « افريقيا للافريقيين » إنما يعنى استبعاد السيطرة الأوربية . هذه هي خطة الرجل الذي تأملون في كسبه إلى جانبكم بتقديم مساعدات اقتصادية حديدة .

إن البكباشي عبد الناصر لا يمكن ان يصبح حليفا صادقا ونشيطا للغرب ، لأن من شان دلك ان يبدد المكانة التي اكتسبها بمشقة _ وكان على استعداد لأن يفعل في سبيلها اى شيء _ كما انه يرفع عنه عباءة " صلاح الدين » ، ويكشفه امام العرب في صورته الحقيقية كدكتالور لا يرحم . وبطبيعة الحال ، فإنه سيكون في احاديثه غير الرسمية مستعدا لقبول اى القتراح للحد من ارتباطاته بالبلدان الشيوعية و / أو التعاون الوثيق مع الغرب ، حتى فيما يتعلق بتصفية القضية الفلسطينية . بل إنه قد يوحى بأنه يؤيد تلك الاقتراحات جميعا على نحو ما فعل عندما التقى به السير انتونى ايدن منذ فترة وتحدث معه عن تسوية النزاع مع اسرائيل .

وكما فعل في الماضى ، فإنه سيطلب ثمنا لذلك ، وسيكون ثمنا باهظا ! وسيتشبث بالحصول على ذلك الثمن مقدما وبالكامل - وسيقدم حججا مختلفة لهذا الطلب - وما ان يحصل على مبتغاه ، حتى يجد ذرائع لعدم الوفاء بما وعد . ولكنه لن يقبل ابدا الالتزام باى اتفاق رسمى .

لقد استخدم الدكتاتور هذا الأسلوب في الماضى وبنجاح . وساعده في هذا التكتيك دبلوماسيون غربيون اصبحوا بإراداتهم ، او رغما عنهم ادوات في يده . وكان ممن ساعدوه بغير إرادتهم اولئك السفراء الذين توصل إلى معرفة جوانب ضعف شخصية خطيرة بشانهم عن طريق جهاز مخابرات شبيه بالجستابو ، وهددهم بانه قادر على تدمير سمعتهم وهدم بيوتهم ومستقبلهم إذا لم يتعاونوا معه . ومن الأمور ذات الدلالة ان بعض هؤلاء الدبلوماسيين هم الآن من المؤيدين المتحمسين لعبد الناصر ، ويدافعون عنه حتى ضد مصالح بلادهم .

وفي اعتقادنا ان اى تسوية للوضع الراهن يجب في آخر الأمر ان تستند إلى صداقة الشعوب العربية ، وليس إلى دكتاتور يرفضه شعبه نفسه ويدين بشعبيته في البلاد العربية الاخرى إلى موقفه المناهض للغرب .

وليس ذلك هدفا بعيد المنال . فالسياسة الواقعية تحتاج إلى تأييد الشعب ، ولن تتمكن دول الغرب ابدا من مواجهة التحدى الشيوعي بسياسة الاستسلام لدكتاتورية موالية للروس او تدعو للحياد .

وبدلا من الترضية والملاينة ، ينبغى استخدام سياسة متشددة . وقد يغيد ا ذلك استعراض القوة ، وذلك مثلا بإرسال سفن حربية انجليزية وامريكية إلى الشرق الاوسط مع التهديد باتخاذ تدابير عسكرية ، والإعراب الوقت ذاته عن التاييد الصريح لجميع اصدقاء الغرب ، لان خطوة كهذه سوف تلقى تاييد الشعب المصرى المغلوب على امره ، وسيكون من الميسور ، باستخدام الوثائق ونشر التفاصيل ، تبديد الاسطورة التى نسجت حول عبد الناصر ونظامه على بد سمن الصحفيين المرتشين والدبلوماسيين الذين خضعوا

الوثيقة رقم 🔍

وثيقة بتوقيع الاحرف الأولى من اسم السير « ايفون كيركباتريك » الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية عن المحادثات مع الحكومة الفرنسية هول الحكومات البديلة لمصر بعد سقوط « جمال عبد الناصر » .

LEI015/72/11, John

M. GAZIER said that he wished to raise the question of an Egyptian regime, if Nasser fell. He understood that we were disposed to favour the Wafd. But the French Government thought this a mistake. What was required was a new Egyptian Government based on progressive elements.

2. I said that I did not think we differed in our aims. We also would like to see a new democratic and progressive Government in Egypt. But the important thing was to get rid of Nasser and first things must come first. We did not believe that there was anyone in the progressive

، تقریر من السیر ایفون کیرکباتریك (۳) رقم ۷۲/۱۰۱۰ ۱۰ نوفمبر ۱۹۰۱

(١) قال فى المسيو جازييه إنه يريد أن يبحث معى مسالة النظام المصرى الجديد الذى يتعين إقامته عندما يسقط ناصر . وقال إنه فهم أننا نتجه إلى صالح تشكيل حكومة من الوقد . ولكن الحكومة الفرنسية ترى أن ذلك خطأ لأن الأمور تتطلب حكومة مصرية جديدة تقوم على عناصي

(٢) قلت إننى لا اعتقد اننا نختلف (اهدافنا ، فنحن ايضا نرغب في إقامة حكومة ديمقراطية وتقدمية في مصر . ولكن الشيء المهم أن نتخلص من ناصر لأن أولويات المسائل لها الأولوية . ونحن لا نعتقد أن هناك الآن في مصر أي شخص أو جهة تقدمية يمكن لها أن تشكل معارضة متجانسة تقوم بقلب نظام ناصر ، ونحن نتصور أن الوقد هو الوحد الذي يستطيع ذلك .

(٣) قال المسيو جازييه إنه يظن انه يستطيع أن يتفهم موقفنا فنحن من أنصار الوفد ، ليس على أساس عقائدى ولكن لأننا نعتبر الوفديين هم أقرب العناصر التي يمكن أن تنجح في إسقاط ناصر . وقد أمنت على فهمه ذلك قائلا إن ذلك بالضبط موقفنا .

(التوقيع) ايفون كيركباتريك ، لمتزاز ومن المؤسف أن ينجح هؤلاء الدبلوماسيون والصحفيون في تضليلهم ، في الوقت للى يغدو فيه وضع تقييم صحيح للوقائع أمرا جوهريا وحقيقة الأمر هي أن النظام المسكرى المصرى لا يتمتع بأى تاييد شعبي في مصر ، وأن العالم العربي سيبقى المسلم الآن من القلق والاضطراب ما دام ذلك البلد محروما من الحياة الدستورية الليعية .

وختاما، فإننا نود أن نذكر ما يلى:

إن تجنب وقوع كارثة في الشرق الأوسط، يستلزم الا توحى سياسة الغرب بالتردد الضعف أو الاستسلام، بل يجب أن تكشف عن القوة والعزم، مصحوبتين بجهد صادق ألاب ثقة الشعوب وصداقتها. وفي وسعنا أن نقدم المشورة بشأن الوسائل الكفيلة بتحقيق السدف الضرورى. ولابد للدبلوماسية الأنجلوامريكية أن تسترد من روسيا زمام المبادرة الشرق الأوسط.

ويجب أن ترتكز هذه السياسة على اصدقاء الغرب ، وعلى مساعدتهم بكل وسيلة ممكنة المجهة الإثارة التي يقوم بها الشيوعيون والغوغائيون . واصدقاء الغرب هؤلاء قادرون على الموض بهذه المسؤولية دون أن يكون لحكومتكم دور ظاهر فيها ، على أن يتلقوا المساعدة المزمة لإنشاء منظمة قادرة على بث الدعاية والدعاية المضادة . ويجب أن تكون لهم الوية في استيراد وإقامة محطة إذاعة قوية . ولا يقل عن ذلك أهمية أن يكون التمثيل الموماسي للغرب في الشرق الاوسط قائما على دبلوماسيين مسؤولين ومؤهلين .

إن بريطانيا تنفق الآن ملايين الجنيهات في كل سنة للاحتفاظ بنفوذها المهتز في الأردن ، الشيخ الدولارات لتستعيد صداقة مشكوك فيها في الشرق الأوسط ولتقيم تعاونا بناء مع بلدانه . ومع ذلك كانت امريكا وبريطانيا تستطيعان ، بجزء من تلك الأموال ، مساعدة اصدقائهما في إنشاء جهاز فعال وكفء للدعاية والدفاع عن المصالح التي يضطر البلدان ـ بالابتزاز ـ إلى دفع الملايين للدفاع عنها ا

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

عن اللجنة (توقيع)

□ ملاحظة: انشئت لجنة احرار العرب منذ وقت قريب في بيروت على يد شخصيات بارزة واسعة النفوذ، تمثل مصر وسوريا والعراق ولبنان. ولا يمكن الكشف عن اشخاص اعضاء اللجنة في الوقت الحالى، غير أنهم معروفون لدى البعثات الدبلوماسية الأمريكية والبريطانية ده البلدان.

هذه الوثيقة تخص حكومة جلالة ملكة بريطانيا طبعت لمجلس الوزراء، بناير ١٩٥٧

سری

النسخة رقم ٣٦

C.M. (57)

النتائج (المحضر الرابع)

مجلس الوزراء

النتائج التي خلص إليها اجتماع المجلس المنعقد في ١٠ داوننج ستريت ، ج. غ. ١ يوم الاثنين ٩ يناير ١٩٥٧ ، الساعة ٥ مساء

الحاضرون : الرايت اونرابل سير انتونى ايدن رئيس الوزراء

الموست اونرابل مرکیز سالزبری ، رئیس المجلس . الرايت اونرابل هارولد ماكميلان ، عضو البرلمان ووزير المالية .

الرايت اونرابل سلوين لويد ، عضو البرلان ومستشار الملكة ووزير الدولة للشؤون الخارجية . الرايت اونرابل ايرل اوف هوم، وزير الدولة لعلاقات الكومنولث.

الرايت اونرابل انتوني هيد ، عضو البرلمان ووزير الدفاع .

الرايت اونرابل بيتر ثورن كروفت ، عضو البرلمان ووزير التجارة .

الرايت اونرابل سير دافيد اكليس ، عضو البرلمان ووزير التعليم .

الرايت أونرابل ر. ١. باتلر ، عضو البرلمان وهامل أختام الملكة .

الرايت أونرابل الفيكونت كيلمور، رئيس مجلس اللوردات والرئيس الأعلى للقضاة.

الرايت اونرابل وليم لويد جورج ، عضو البرلمان ووزير الدولة للشؤون الداخلية ووزير شؤون

وعضو البرلمان ووزير الدولة للخزانة . الرايت أونرابل دنكان سانديز ، عضو البرلمان ووزير الإسكان والحكم المحلى .

الرايت أونرابل سير والترمونكتون ، مستشار الملكة

الرايت اونرابل د. هنتكوت أموري ، عضو البرلمان ووزير الزراعة ومصايد الإسماك والأغذية.

الرايت أونرابل إبان مكلويد ، عضو الدرلمان ووزير العمل والخدمة الوطنية .

> الرايت أونرابل باتريك بوكان هيبرن عضو البرلان ووزير الأشغال وحضر الاجتماع ايضا:

الرايت اونرابل لورد ستر اتكلايد ، وزير الدولة الرايت اونرابل ادوارد هيث ، عضو البرلمان ووزير لشؤون اسكتلندا . البرلان .

> وتولى أعمال السكرتارية : الرايت اونرابل سير نورمان بروك

الدقائق التي انتهت فيها الاميراطورية

الوثيقة رقم

نص المحضر الرسمي والسرى لجلسة مجلس الوزراء البريطاني التي اخطر فيها السير « انتوني ايدن » زملاءه اعضاء مجلس الوزراء بعزمه على تقديم استقالته إلى الملكة . والوثيقة ترسم صورة حية لنهاية إمبراطورية .

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY HE HER WRITANNIC MAJESTY'S GOVERNMENT

Printed for the Cabinet, January 1937

SECRET

4th Conclusions

C.M. (57)

Copy No. 36

CABINET

CONCLUSIONS of a Meeting of the Cabinet held at 10 Downing Street, S.W. 1, on Wednesday, 9th January, 1957, at 5 mm.

The Right Hon, Sir Antmony EDEN, M.P., Prime Minister

The Blost Hon. The Manquess of The Right Hon, R. A. Butter, M.P., Salisminy. Lord President if the

The Right Hon, HAROLD MACKILLAN, M.P., Chancellor of the Exchequer.

The Right Hon. SELWYN LLOYD, Q.C., M.P., Secretary of State for Foreign Allnus.

The Right Hon, The EARL OF HOME, Secretary of State for Commonwealth Relations. The Right Hon, AHIONY HEAD, M.P.,

Minister of Defence. The Right Hon. PETER THORNEYCROFT.

M.P., President of the Board of Trade,

The Right Hon, Sir David Eccles, M.P., Minister of Education.

The Right Hon, VISCOUNT KILMUIR, Lord Chancellor,

The Right Hon. GWHYM LLOVD-GEORGE, M.P., Secretary of State for the Home Department and Minister

Lord Privy Scal.

for Welsh Affnirs.

The Right Hon, Sir WALTER MONCKTON, Q.C., M.P., Paymaster-General.

The Right Hon, DUNCAN SANDYS, M.P., Minister # Housing and Local Government

The Right Hon, D. HEATHCOAT AMORY. M.P., Minister of Agriculture, Fisheries and Food.

The Right Hon, JAIN MACLEOD, M.P. Minister of Labour and National

The Right Hon, PATRICK BUCHAN-HEPBURN, M.P., Minister of Works.

The following were also present:

The Right Hon. LORD STRATHCLYDE, | The Right Hon. EDWARD HEATH, M.P., Minister of State, Scottish Office. Parliamentary Secretary, Treasury.

Secretary:

· The Right Hon, Sir NORMAN BROOK

Anthony Eden Resignation.

\$1080---3

المحتويات استقلله سير انتونى إيدن

□ سير أنتونى ايدن الاستقالة

قال رئيس الوزراء إنه يأسف إذ يضطر لإبلاغ زملائه أنه غير قادر على الاستمرار في الاضطلاع بمسؤوليته . فبعد فترة الراحة التي حصل عليها قبل الكريسماس ، بناء على نصيحة الاطباء ، كان يأمل أن يسترد عافيته بما يسمح له بأن يواصل عمله لفترة طويلة . إلا أنه وجد بعد ذلك أنه بحاجة إلى استشارة طبية أخرى ، ووصل الأطباء الأربعة الذيق استعان بهم إلى رأى إجماعي مؤداه أن صحته لم تعد تمكنه من الاستمرار في تحمل عبء العمل كرئيس للوزراء . وقد قرر على أساس ذلك أنه ليس أمامه بديل عن الاستقالة ، وأنه أبلغ الملكة بما استقرارا عليه عندما قام بزيارة قصر ساندرينجهام في اليوم السابق . وأنه سيقدم استقالة ، إلى جلالة الملكة رسميا عند استقبالها له بقصر بكنجهام في وقت لاحق من نفس المساء

وقال رئيس الوزراء: إن استقالته تعنى استقالة الحكومة بكاملها ، وأن الوزراء الآخريق ليسوا بحاجة إلى تقديم استقالاتهم للملكة ، ولكنهم ينبغى أن يضعوا وظائفهم تحت تصرف من سيخلفه ، وعليهم فى الوقت ذاته أن يواصلوا إدارة شؤون وزاراتهم إلى حين تشكيل الحكومة الجديدة ، وأن الوزراء الإداريين الذين ليسوا أعضاء فى المجلس ، ووزراء الدولة ، سوف يبلغون بذلك فى اجتماع يعقده فى وقت لاحق فى نفس المساء . كما سيبلغ الأمر إلى الوزراء المساعدين خطاب .

وقال رئيس الوزراء إنه يبقى عليه أن يعرب عن أسفه للقرار الذى اضطر إلى اتخاذه . فإنه لمن دواعى حزنه الشديد أن يفترق عن زملائه في هذا الوقت . وهو يعتقد أن الشهور المقبلة ، وإن كانت حافلة بالمساعب إلا أنها تفتح الطريق أمام إمكانيات عظيمة ، وأنه كان يأمل أن يتمكن من المساعدة في تحويل تلك الإمكانيات إلى حقائق . وتمنى لزملائه حظا طيبا في المستقبل .

وقال اللورد الرئيس: إنه استمع لهذا القرار بأسف بالغ ، ولكن نظرا لتقرير الأطباء ، فإنه لا يستطيع أن يطلب من رئيس الوزراء أن يعيد النظر فيه . وهو شخصيا يشعر بمرارة شديدة للافتراق عن رئيس الوزراء بعد صداقة سياسية وثيقة استمرت أكثر من ثلاثين عاما . وأنهما مرا خلال هذه الفترة بأوقات صعبة كثيرة ، ولكنهما لم يفترقا في أى وقت . وأن رئيس الوزراء كان بالنسبة للجميع نموذجا للشجاعة والاستقامة . وأن الشجاعة التي أبداها خلال أحداث الشهور الستة الأخيرة ضاعفت من الحب والإعجاب اللذين يكنهما له البلد بأسره ، وأن زملاءه الذين سيواصلون عمله سيستمدون القوة عندما يذكرون قدوته وقيادته في السنوات المقبلة .

وقال حامل اختام الملكة: إن استقالة رئيس الوزراء ليست مجرد صدمة شخصية له ، بل إنها أيضا خسارة سياسية شديدة لحزب المحافظين . وأن جميع زملائه يودون أن يعربوا له عن تعاطفهم العميق ، وأملهم المخلص في أن يسترد عافيته كاملة حتى يمكن أن توضع مواهبه العظيمة مرة أخرى في خدمة بلده .

وقال وزير المالعة : إنه يشعر بحزن عميق لاضطراره الآن إلى إنهاء الوشائج السياسية الوثيقة التى ربطته برئيس الوزراء في مجلس العموم لاكثر من ثلاثين عاما . وكان مما يجمع بينهما في هذه الفترة الطويلة أنهما من القلائل الذين استمرا في العمل بعد الحرب العالمية الأولى التي مات فيها خيرة أبناء جيلهم . وفي اعتقاده أنه عندما يكتب تاريخ أزمة السويس ، سوف يعرف أن رئيس الوزراء كانت تحركه أسمى الدواقع الوطنية ، وإذا اقتفى زملاؤه خطاه ، فقد يحسنون الاستفادة عليهم التي وفرتها سياسته وإعماله .

وقال رئيس الوزراء: إنه اتخذ قراره مع شعور بالأسف العميق ، وأن الكلمات التي قيلت قد اللجت صدره . ولم يعد له إلا أن يشكر زملاءه لإخلاصهم ودعمهم الكامل طوال الفترة التي قضاها في منصب رئيس الوزراء .

□ الحالة الاقتصادية (المرجع السابق (57) C.M. (المرجع السابق الأولى المحضر ٣)

قال وزير المالية*: إن أزمة السويس وما ترتب عليها من فقد الثقة بالجنيه الاسترايني كشفت عن الضعف الهيكلي لاقتصادنا في فترة ما بعد الحرب . وأن الوقت ما زال مبكرا لتقدير جميع النتائج الاقتصادية التي تمثلت في نقص الإنتاج ، وزيادة الإنفاق بالدولار للحصول على البترول وخدمة الديون الجديدة . ولكننا كنا مضطرين إلى تعبئة جميع الإمكانيات للحصول على القروض المتاحة حتى نحافظ على سعر الجنيه الاسترليني . وفي هذه الظروف التي يعاني فيها الاقتصاد الوطني من عبء الديون الخارجية والداخلية الذي تجاوز ٢٧٠٠٠ مليون جنيه استرايني ، لم يكن من المتوقع أن يتحمل هذا الاقتصاد الاعتمادات المتزايدة لأغراض الدفاع والإنفاق المدنى في السنة المقبلة ، بالإضافة إلى تكاليف الاستثمار في الصناعات المؤممة . وقد كشفت التقديرات الموضوعة لعام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ عن عجز متوقع مقداره ٥٦٤ مليون جنيه تحت العجز والزيادة ، ل مقابل عجز يقدر بمبلغ ٣٥٢ مليون جنيه في السنة الجارية . وإذا لم يمكن الحد من الإنفاق الحكومي بصورة فعالة ، فلن يكون في الوسع الاحتفاظ بالثقة الدولية بالجنيه الاسترايني . وإذا اريد حماية الجنيه الاسترليني ف هذه الظروف بطريقة فعالة ، فإن النظرة المالية السليمة تقضى بزيادة الايرادات في الميزانية ، وإنقاص المصروفات بالقدر الذي يسمح بالرصول إلى توازن إجمالي . وإذا كان من الصعب عمليا في رأيه إجراء خفض بهذا الحجم ، فإنه يعتقد أنه يمكن تحقيق خفض ن النفقات المقدرة في حدود ٣٠٠ مليون جنيه استرليني ، إذ يأمل في خفض الإنفاق العسكري بمقدار ٢٠٠ مليون جنيه استرليني ، وخفض الانفاق على الخدمات الاجتماعية بنحو ٨٠ ـ ١٠٠ مليون جنيه استرليني ، كما يتطلع إلى خفض كبير في الإنفاق على الدفاع المدنى وعلى خدمات الصحة الوطنية . وأعرب عن أمله في أن يوافق المجلس على الاقتراح بأن تقدم وزارة المالية للسلطات المحلية اعتمادا إجماليا بدلا من النظام الحالى القائم على تقديم اعتمادات تفصيلية . وأن زيادة المبالغ التي يدفعها الآباء مقابل الرجبة الغذائية في المدارس يمكن أن توفر ١٠ ملايين جنيه استرليني أخرى . وإذا وضعت الميزانية على هذه الأسس فانها ستحافظ على التوازن العام للاقتصاد ، وتسمح بقدر من الإعفاءات الضربيهة الرامية إلى زيادة الكفاءة والإنتاجية .

أما الاستثمار في الصناعات المؤممة فإنه مشكلة قائمة بذاتها . فقد أبدت أكثر من لجنة من لجان تقص الحقائق في تقاريرها عن الصناعات المؤممة ، عدم ارتياحها للترتيبات التي تضعها تلك الصناعات لبرامج تمويلها . ولما كانت الصناعات المؤممة غير قادرة على الاقتراض من السوق اعتمادا على جدارتها الائتمانية الخاصة ، فإن الخزانة ملزمة بأن تتحمل المسؤولية عن تمويل احتياجاتها . لكن مجمل مسألة النفقات الراسمالية لتلك الصناعات ، والجهاز المركزي للسيطرة عليها ، يحتاجان إلى مزيد من البحث للاطمئنان إلى أن الحصول على رؤوس أموال جديدة لا يتم إلا المشروعات ، أو إضافات يرجح أن تحقق أرباحا .

وفي الدراسة الأولية للوضع الذي صورته مذكرة وزير المالية هذه ، ركز المجلس إهتمامه في المقام الأولى على النفقات المتعلقة بالدفاع ونفقات الخدمات الصحية الوطنية .

□ الدفاع

قال وزير الدفاع: إن نفقات الدفاع تنقسم بالتساوى تقريبا بين توفير المعدات وتكاليف الأفراد العسكريين . وأن أي خفض كبير في الإنفاق على المعدات بدون خفض مناظر له في الإنفاق على الأفراد سيجعل القوات ضعيفة التسليح . وفي اعتقاده أن السياسة الدفاعية في الأجل الطويل يجب أن تقوم على مبدأ وجود قوات أصغر حجما مزودة بأحدث الأسلحة . وعلى ذلك فهو يقترح خفض العدد الإجمالي للذكور العاملين في الخدمة العسكرية من جميع الرتب من الرقم الحالي وهو نحو ٧٦٠٠٠٠ جندي إلى نحو ٤٥٠٠٠٠ جندي في نهاية المطاف . وهو يوافق على ضرورة تحقيق هذا الخفض في أقرب وقت ممكن ، ولكن هناك حدودا للقدرة على الإسراع بهذه العملية ، وسيكون الهدف ف الأجل الطويل هو زيادة عدد الجنود النظاميين في القوات وإنقاص نسبة المتطوعين . وعلى ذلك فإن الخفض سيحدث في المقام الأول عن طريق إنقاص عدد المتطوعين . ومن وسائل تحقيق ذلك إنقاص مدة الخدمة المتصلة إلى ثمانية عشر شهرا أو سنة ، لكن ستترتب على ذلك صعوبات بالنسبة للقوات تتعلق بالتدريب وتوفير الأعداد اللازمة للوحدات المتمركزة فيما وراء البحار . وهنا إمكانية أخرى وهي إنقاص عدد المقبولين من المتطوعين . إلا أن هناك أسبابا عملية وسياسية تحول دون الخرى الامتناع الكامل عن قبول المتطوعين ، ولو لفترة قصيرة ، لأنه لابد من استمرار نوع من الخدمة الوطنية حتى إذا نِقص حجم القوات. ومع ذلك ، فالمرجو أن يتم خفض مجموع العاملين في القوات. المسلحة بنحو ٧٠ الف جندى خلال السنة المقبلة . والوزير مقتنع بأن إنقاص حجم القوات هو السبيل السليم لتحقيق الوفر في الإنفاق العسكرى . فالمحاولات التي بذلت في الماضي لتحقيق الخفض عن طريق التراضى بين الأسلحة المختلفة على إنقاص اعتماداتها ، أو المبالغ المخصصة لشرام المعدات ، لم تؤد إلا إلى حلول وسط قصيرة الأجل . وحجم القوات مسألة يجب أن توضع لها. سياسة طويلة الأجل ، وأن تنفذ تلك السياسة بإصرار ، وبذلك يمكن تحقيق وفورات كبيرة في المدى الطويل . إلا أن هناك صعوبات في تحقيق أي وفورات أخرى في المدى القصير . وقد كان من المقرر " على أساس البرنامج الدفاعي الذي وضع منذ نحو ١٨ شهرا ، أن تكون الميزانية الدفاعية للسنة المقبلة في حدود ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني . وقد أمكن من خلال المناقشات التي أجريت مع الأسلحة الرئيسية ، ورؤساء الأركان خفض هذا الرقم الإجمالي إلى ١٥٥٠ مليون جنيه استرليني .

وذلك بالإضافة إلى ٥٠ مليون جنيه استرلينى اخرى اسهمت بها القوات المسلحة في الوفورات التى تحققت خلال السنة المالية الجارية ، وبلغت ١٠٠ مليون جنيه استرلينى . وفوق ذلك فإن التخفيضات الفعلية التى حققتها القوات المسلحة تبلغ أكثر من ذلك ، لأن الرقم الإجمالى الجديد بشمل التكلفة الكاملة لوجود القوات البريطانية في المانيا . ولم يأخذ في الحسبان آية مبالغ يمكن أن تسهم بها الولايات المتحدة على سبيل المساعدة . ولهذه الأسباب سيكون من الصعب زيادة الخفض في حجم القوات المسلحة خلال السنة المالية المقبلة ، وأن المجال لإحداث خفض في الإنفاق على المعدات محدود أيضا بسبب التكلفة العالية التى تترتب على إلغاء التعاقدات . وهناك بديل اخر وهو تأجيل تسليم المعدات ، ولكن ذلك سينطوى على تبديد للموارد لأنه سيؤدى إلى زيادة تكلفة الاسلحة في بند في النهاية . أما إذا أريد أن يكون الخفض في تكاليف الخدمات ، فسيكون الجزء الأكبر منه في بند توفير مرافق جديدة لإيواء القوات وإعاشتها ، وهو أمر قد يضر بتجنيد العسكريين النظاميين الذين وفيرات أخرى خلال السنة المالية المقبلة ، وسيقدم إلى المجلس تقريرا أخر في اليوم التالى .

وخلال المناقشة أثيرت مسألة أن نسبة اكبر مما ينبغى من جهود البحث والتطوير في مجال الصناعة في البلاد موجهة لأغراض الدفاع ، ويحسن أن يخف هذا العبء عن كاهل الصناعة حتى بمكن تحرير مزيد من الموارد للمجالات المدنية في البحث والتطوير ، للمساهمة في زيادة الكفاءة الصناعية والانتاجية .

□ الخدمات الصحية والوطنية

قال وزير الصحة: إنه لا يستطيع أن يحقق وفرا مقداره ١٥ مليون جنيه استرليني في النفقات التقديرية المتعلقة بالخدمات الصحية الوطنية بغير زيادة الرسوم ، أو إنقاص عدد أسرة المستشفيات بما يقرب من ٢٠ الف سرير . ولما كان عدد من يتلقون خدمات الوزارة في أي وقت يبلغ نحو ٢٠٠ الف شخص ، فإن زيادة تكاليف الخبز واللبن مثلا ، وهي الزيادة التي ترتبت على التدابير الاقتصادية التي طبقتها الحكومة خلال السنة الحالية ، أدت بشكل مباشر إلى زيادة مقدارها ١٩ مليون جنيه استرليني في تقديرات تكاليف الخدمة الطبية . وذلك إضافة إلى أن الرقم يتضمن الزيادة في أجور العاملين ومرتباتهم ، وهي زيادة تقررت مؤخرا ضمن الزيادات الأخرى في الأجور ، والأمر يتطلب إقرار اعتمادات أخرى لزيادة أجور الأطباء . وأن تكاليف الخدمة الصحية الوطنية الآن ، قياسا إلى الدخل الوطني ، أصبحت تقل بنسبة ٢٠٥٠ في المائة عما كانت عليه في عام ١٩٥١ ، وأن الانفاق على الانشاءات في المستشفيات نقص بكثير عما كان عليه ولا سيما في مستشفيات الأمراض العقلية .

[•] سبق تسجيله ﴿ مرفق للتوزيع على نطاق محدود

قائمة بمجموعة مراسلات « مايلز كوبلاند » :

□ 74 نوفمبر ١٩٥٨: برقية يعرض فيها مايلز كوبلاند استعداده لجمع معلومات عن الأوضاع في العراق يقدمها إلى المخابرات المصرية.
(تلقى ردا بالاعتدار)
□ ١٩ مارس ١٩٦١ : رسالة من مابلز كو بلاند إلى مكتب الرئيس عبد النامج وقت من تكاريب و المراريب
لتدريب بعض الشباب الأفارقة ، ويعرض في نفس الوقت استعداده لتقديم عرض لمعدات مكتبية لهذا الركز تشتريها المكومة المصرية .
(تلقى من القاهرة ردا بالاعتذار)
□ 17 فبراير 1977: عرض بإقناع بعض اصحاب رؤوس الأموال الأجانب لإنشاء مصنع للمثلجات (أيس كريم) في مصر .
(لم يتلق من القاهرة ردا على عرضه)
🗆 ١٣ مارس ١٩٦٧ : طلب للسماح لشركة يمثلها بتصوير فيلم في مصر وعنها تتولى هذه الشركة تعويله .
(لم يتلق ردا على عرضه)
□ ٢٣ مارس ١٩٦٧ : عرض من بعض المستثمرين الأجانب الذين اختاروه لتمثيلهم لإنشاء د صناعة سينما دولية ، ف مصر .
(لم يتلق ردا على عرضه)
□ ٣١ اغسطس ١٩٦٢ : خطاب إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر يقترح فيه أن يعهد إليه بتاليف كتاب عن الفكاره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .
(لم يتلق ردا على عرضه)
الله عن الأحوال في العواق . وسالة إلى مدير المخابرات المصرية يعرض فيها _ مرة أخرى _ جمع معلومات وتقديمها الله عن الأحوال في العواق .
(لم يتلق ردا على عرضه)
□ ١٢ مارس ١٩٦٣: رسالة إلى محمد حسنين هيكل يعرض فيها بيع مطابع لمشروع الاهرام الجديد من شركة وهاريس ء التي وقال » إنها على استعداد لاعتماده وكيلا يمثلها ا
(تلقى ردا بالاعتذار لأن الأهرام اشترى ما يحتاج إليه فعلا من شركة «هاو»)
🗖 ٣ ابريل ١٩٦٦ : تقرير إلى مدير مكتب السيد زكرما مجير الرين بميثر فيهري 👢 به جرور برا 💌 🕏
عدن توجه اهدمامها لرجال الأعمال والمولين المهتمين بأسواق الشرق الأوسط وأفريقيا
(للقي ردا بأن الموضوع سوف يبحث وسوف يخطر بالنتيجة ، ثم تلقى إخطارا بالاعتذار)
□ ٣ ابريل ١٩٦٦ : رسالة إلى مدير مكتب نائب رئيس الجمهورية يعرض فيها بيع أجهزة حاسبة طراز .N.C.R الله إنه مفوض .

(تلقى ردا بالاعتذار)

🗆 ٦ ابريل ١٩٦٦ : رسالة إلى مكتب الرئيس عبد الناصر يؤكد فيها إنه يستطيع أن يحصبل لمصر على مساعدات مالية طَأَنَّلَة من الحكومة الكويتية ، ويقول إن له نفوذا على فوائض الأموال الكويتية لأنه « هو الذي قدم للحكومة الكويتية مشروعا لإنشاء صندوق التنمية الكويتي = !!

(لم يتلق ردا على عرضه)

 □ ٧ مايو ١٩٦٦ : رسالة إلى السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات يعرض فيها أن يقوم بدور ضابط. اتصال لمصر مع روبرت آندرسون الذي كلفه الرئيس جونسون بمهمة لتقصى الحقائق في الشرق الارسط.

(لم يتلق ردا)

□ ٢٦ يناير ١٩٦٧ : تقرير بمعلومات عن الأوضاع في الشرق الأوسط ادعى أنه حصل عليه بصلاته القديمة من

وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وقد بعث به إلى مكتب عبد الناصر لإظهار مدى قدرته في المصبول على معلومات ستطيع أن يقدمها إلى المخابرات المصرية .

(لم يتلق ردا)

- □ مارس ۱۹۹۷ : رسالة إلى مكتب السيد زكريا محيى الدين يطلب فيها تذكرة سفر من لندن إلى القاهرة لكى يستطيع أن يشرح أحواله. (لم يتلق ردا إ
- □ ٢٧ أبريل ١٩٦٧ : رسالة إلى السيد سامى شرف يقول فيها إنه يستطيع ترتيب اجتماع بين الرئيس عبد الناصر والرئيس الأمريكي ليندون جونسون . (لم يتثق ردا)
- □ ٨ اغسطس ١٩٦٧ : رسالة إلى السيد سامى شرف يقترح فيها تكليفه بالرساطة بين مصر والمغرب (لم يتلق ردا)
- □ سبتمبر ١٩٩٧ : رسالة إلى مكتب نائب رئيس الجمهورية يطلب فيها مبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه تدفع لشركة اقامها مع بعض الأمريكيين والأوروبيين للإعلان والإدارة ، متعهدا بالدعاية للصناعات المصرية المؤممة إذا حصل على المبلغ لشركته التي اسماها شركة ، انتر سير .. .

(لم يتلق ردا على عرضه)

- □ ٧ يناير ١٩٦٨ : رسالة إلى مكتب السيد سامي شرف يقترح فيها أن = يتفضل الرئيس جمال عبد الناصر بتحديد موعد القابلة المستر فاندريك ممثل شركة بان أمريكان للبترول » ، قائلا إن هذه الشركة تستطيع أن تقوم بضغوط على الحكومة الأمريكية لكى تضغط بدورها على إسرائيل لتسهيل إعادة فتح قناة السريس.
- □ ابريل ١٩٦٨ : رسالة إلى السيد سامى شرف يطلب فيها معلومات يستطيع أن يواجه بها الدعاية الموجهة للرئيس جمال عبد الناصر في الغرب، ويقترح تكليفه بوساطة سرية مع إسرائيل.
- □ 10 بناير ١٩٦٩ : تقرير مرفوع من سامى شرف إلى الرئيس عبد الناصر بخصوص مقابلة بينه وبين مايلز كربلاند يعرض فيها الأخير قيامه بدور الوساطة بين مصر وإسرائيل.
- □ ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ : رسالة إلى السيد سمير أحمد في السفارة المصرية في لندن يقول فيها إنه يستنكر اقوالا نسبت إليه تدعى عليه أنه قال إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت تعرف بموعد انقلاب ٢٢ يوليو ١٩٥٧ ويقول أن هذا الإدعاء عليه كذب ومحض هراء.
- (في هذه الفترة حاول مايلز كوبلاند أن يجيء إلى مصر ، ووصل إلى مطار القاهرة فعلا ، وصدر امر باحتجازه في المطار وترحيله في أول طائرة عائدة إلى لندن بعد أن تبين أنه يستغل صلات مزعومة له في القاهرة مع بعض الشركات الامريكية).
- □ ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ : رسالة إلى مكتب الرئيس عبد الناصر يقول فيها إنه أعد كتابا عن الثورة المصرية بعنوان و لعبة الأمم و ويعرض إرسال بروفات منه لكي يحذف من النص أويضاف إليه ما تشاء السلطات المصرية . (لم يتلق ردا على عرضه ، واعتبرت محاولته نوعا من الابتزاز ، وساعد على ذلك أن بعض أجهزة الدعاية المعادية لمصر بدات تستعين به فعلا).
- □ ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩ : رسالة موجهة إلى محمد حسنين هيكل يقول فيها إنه كتب كتاب ، لعبة الأمم ، ووضع فيه وقائع يعرف أنها غير صحيحة ، ولكنه وضعها لكي يزيد من مصداقيته في الصحافة الأجنبية ثم يستطيع بعد ذلك استعمال هذه المصداقية في الدعاية لجمال عبد الناصر ... الخ ، الخ ، ويقترح أن يأتي إلى مصر ويعيد كتابة النسخة الأجنبية .
- ٢٦ نوفمبر ١٩٦٩ : رسالة من مايلز كوبلاند إلى محمد حسنين هيكل يعرض عليه تغيير ما يراه ف كتابه دلعية الأممي.

(لم يتلق ردا)

□ 7 أبريل ١٩٧٠ وسالة من مايلز كوبلاند إلى محمد حسنين هيكل بشأن ترجمات كتابه ، لعبة الأمم « التي نشرت أن بيروت دون تصريح من كويلاند . السيد سمير احمد

سفارة الجمهورية العربية المتحدة

لندن

عزیزی سمیر

كنت قد شرعت في كتابة مذكرة موجهة إلى سامى شرف وفي نيتى ان ارجو منك إرسالها إلى القاهرة ، إلا انى عندما سألت عنك في مكتبك علمت انك موجود بالفعل الالقاهرة . وعلى ذلك طلبت من سفارتكم توصيل هذه المذكرة إليك ، على امل ان تتمكن في القاهرة من مناقشة موضوعها مع سامى ، او هيكل ، او اى شخص اخر تعتقد انه يجب أن يعرف بها ، ثم تأتيني برد عند عودتك إلى لندن .

وهذا ملخص للوقائع .

ا - منذ اكثر من عام مضى البغتنى شركة البترول الامريكية التى اشتغل لحسابها المصر انه ليس هناك ما استطيع ان اعمله لها بصورة مباشرة لان جميع امورها تسير على ما يرام ، لكنها ارادت من ناحية اخرى ان تستبقينى « بصفة احتياطية » بحيث استطيع ان اقدم لها يد المساعدة فيما يتصل بالعلاقات الحكومية إذا ما حدثت اية مشاكل و اخبرتنى الشركة (واخبرت سامى شرف فيما بعد) ان لدى الحرية الكاملة لقضاء وقتى كله المشروعات التى يمكن ان تساعد على تحسين « صورة الجمهورية العربية المتحدة في الولايات المتحدة » وان الشركة ستدفع مرتبى ومصاريفى بحيث تستفيد الجمهورية العربية المتحدة من كفاءتى فى كل ما يساعد حكومتكم بغير مقابل .

Y - وقد ناقشت عددا من المشروعات مع سامى ، ومع الدكتور الزيات ، ومع اخرين . وسرعان ما اتضح انه ليس هناك غير مجال واحد يمكن ان اقدم فيه مساعدة حقيقية : وهو نشر معلومات في النشرات الإخبارية غير المخصصة للتوزيع العام والتى تعنى باخبار دوائر الاعمال (وهى نشرات لها تأثير كبير في الولايات المتحدة في ظل حكومة الحزب الجمهورى) مما يمكن أن يساعد رجال الاعمال والمال الأمريكيين على فهم موقف الرئيس عبد الناصر ، ودفعهم إلى التأثير على رئيس الولايات المتحدة ورجال الكونجرس ذوى النفوذ ، وغيرهم من الشخصيات . لكن ذلك لم يكن كافيا ، فقد كنت اريد أن أنشر مقالات في المجلات الواسعة النفوذ ، وأن يصبح لى « اسم » حتى يصبح لمقالاتي وزنها . وقد انقضى الآن اكثر من عام وإنا اشتغل في الكتاب حتى اصنع هذا « الاسم » .

٣ - لم تلبث أن اتضحت حقيقتان: الأولى، أن المرء لا يستطيع أن يصنع لنفسه اسما - بل ولن تقبل مقالاته أصلا - إذا كان مؤيدا لمصر علنا أو مؤيدا للعرب أو معاديا لإسرائيل. والثانية، أنه حتى إذا نجح أن نشر مقالاته فلن يكون لها وزنها إلا إذا ثبتت موضوعيته، وقدرته على الوصول إلى المعلومات من مصادرها دون وسيط. ولهذا السبب فكرت في كتابة ، لعبة الامم ، وهو كتاب يبين أن معلوماتي فيما اتحدث عنه معلومات

الوثيقة رقم (٩)

خطاب من عمليز كوبلاند على الوزير المفوض «سمير احمد عبالسفارة المصرية في لندن ذلك الوقت ، وهو بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ و في الوقت الذى ظهر فيه كتابه «لعبة الامم » وفيه يروى نواياه الحقيقية كما يتصورها من الكتاب عما يعرض خدماته . واهم شيء في هذا الخطاب العبارة التي يقول فيها «إن احد كتاب الإثارة واسمه اندرو توللي قد تسرع في جمع مواد لكتاب «يثبت » (وضع الاقواس للتشكيك في الكلمة وضعه مايلز كوبلاند بنص خطابه) – فيه «أن عبد الناصر بدا انقلابه وهو عميل للمخابرات المركزية الامريكية ، وأن المصريين كانوا ياوون ضباطا نازيين بالتواطؤ مع المخابرات المركزية الامريكية » والكثير من هذا الهراء!» .

PERSONAL AND CONFIDENTIAL

15 September 1969

Samir Ahmed, Esq. U. A. R. Embassy London

Dear Samir:

I started drafting a memorandum to Semi Sharraf, which I was going to ask you to send along to Cairo, when I called your office to learn that you were in Cairo yourself. Accordingly, I am asking your Embassy to pass this on to you, in the hope that while you are in Cairo you will be able to discuss the ambject of the letter with Sami, Heykel, or whoever else you think ought to know about it, then bring me some answers when you return to London.

Here is a summary of the facts.

- 1. Over a year ago, the American oil company which employs me in Egypt said that there was noting I could do directly for the company since all was going well. On the other hand, the company wanted to keep me *Massat* "on tab" so that I would be in m position to help with government relations in case something went wrong. My oil company employer told me (and later told Sami Sharraf) that I was free to spend all my time at projects which would help the UAR "image" in the U. S., and that the company would pay my salary and expenses so that my talents would come to the U.A.R. free of charge, for whatever help your Government Calumbria of from me.
- 2. I discussed a number of projects with Sami, with Dr. Zayyat, and with others. It soon became apparent that there was only one field where I could be of real assistance: getting information into business confidential newsletters (these are highly influential in the U.S. under a Republican administration) which would assist the American businessmen and financiers to understand President Nasser's position, and to induce them to bring influence to bear on the President Nasser's the United States, key Congressmen, and others. But this wasn't enough. I wanted to get articles into influential magazines, and to develop a "name" for mysélf so that they would carry weight. Por over a year now, I have been working at the book so as to develop this "name."
- 3. Two facts quickly became apparent: first, you can't make a IIII for yourself or, for that matter, you can't even get your articles accepted if you are openly pro-Eyyptian or pro-Arab and anti-Israel. Second, even if you get your articles into print they don't carry much weight until you have established your objectivity and your credentials for knowing first hand what you are talking about. It was for this reason that I hit upon the idea of writing THE CAME OF NATIONS, I book which would show that I knew first hand what I was talking about but which would not be openly pro-Nasser. There another reason why the idea seemed a good one: a sensatonal writer named Andrew Tully had been quathering material on which to write a book to "prove" that "Masser started his complass a CIA agent," that the hyptians harbored Nazi officers with CLA commitance, and other goth resource. It occurred to me that it would be,

مباشرة ، ولكن دون أن أوضح صراحة تأييدى لعبد الناصر . وكان هناك سبب أخر حبب إلا الفكرة : فقد كان أحد كتاب الإثارة وأسمه أندرو توللي له تسرع في جمع المواد لإعداد كتاب «يثبت » فيه أن عبد الناصر بدأ أنقلابه وهو عميل للمخابرات المركزية الأمريكية ، وأن المصريين كانوا يأوون ضباطا نازيين بالتواطؤ مع المخابرات المركزية الأمريكية » والكثير من مثل هذا الهراء . وخطر في أنى سأسدى لحكومتكم خدمة إذا أفسدت مشروع توللي بتاليف كتاب أقل عداء لعبد الناصر .

- والآن بعد نشر كتابى ، تخلى توللى عن مشروع كتابه . كما ان مكانتى اصبحت مسلما بها . ففى انجلترا بيعت الطبعة الاولى من « لعبة الامم » بكاملها و ثلاثة ايام . وطلب منى ان اظهر في التليفزيون ، وان اتكلم في الإذاعة ، وان اكتب العديد من المقالات و مجلات واسعة النفوذ ، وان احرر اعمدة توزع على الصحف في نفس الوقت ، وان اقوم بجولة لإلقاء محاضرات و الولايات المتحدة في شهر مارس ، عندما تصدر الطبعة الامريكية من الكتاب ولم تكن هناك غير مسالة واحدة مقلقة على الجانب الغربي للسور . وهي ان الخبراة الحقيقيين ادركوا ان الكتاب « مؤيد لعبد الناصر في الواقع (حتى إذا لم يكن مؤيدا لعبد الناصر و الظاهر) واتخذت كثير من المنظمات الصهيونية والإسرائيلية خطوات لعبد الناصر و الظاهر) واتخذت كثير من المنظمات الصهيونية والإسرائيلية خطوات ان يقبلوا اى شخص يعلن صراحة وبوضوح انه موال للعرب ، ولكنهم يكرهون ويخشوق ان يقبلوا اى شخص يعلن صراحة وبوضوح انه موال للعرب ، ولكنهم يكرهون ويخشوق ان يقبلوا اى شخص يعلن صراحة وبوضوح انه موال للعرب ، ولكنهم يكرهون ويخشوق ايضا ما زعمته السفارة الإسرائيلية من انى لعبت « لعبة » اكسفورد بإذن صريح من الرئيس عبد الناصر – وذلك محض اختلاق . إلا ان ذلك لم يحدث ضررا حقيقيا بسمعتى ، وما زالف عبد الناصر – وذلك محض اختلاق . إلا ان ذلك لم يحدث ضررا حقيقيا بسمعتى ، وما زالف العروض تتدفق على .

٥ - لكن كثيرا من الامور لم تسر على ما يرام على الجانب المصرى من الحوار. وعلى الرغم من انى شرحت مقدما لكثير من كبار المسؤولين في حكومتكم بالدقة ما سيكون عليه كتاب دلعبة الامم »، وما كنت ارجو ان احققه عن طريقه ، فإنه مع ذلك اثار استياء الكثيرين لديكم . فقد راوا انه يسىء إلى الرئيس عبد الناصر في العالم العربي ، ولم يفهموا النفسية الغربية بما يكفى لإدراك مدى ما يحققه له هذا الكتاب من خير في العالم الغربي . كما كان الغربية بما يكفى لإدراك مدى ما يحققه له هذا الكتاب من خير في العالم الغربي . كما كان هناك برنامج في الإذاعة البريطانية (B.B.C.) قلت فيه اشياء اعتقدت انها ترضى رجال الدعلية عندكم ، ولكن تبين انها ليست الاشياء المطلوبة ، نظرا لانه لم تتح لى الفرصة لاناقشها معهم مسبقا . وكان من نتيجة ذلك انى عندما ذهبت إلى القاهرة في آخر مرة منعنى ضباط إدارة الهجرة من الدخول .

٦ - وقد لا يكون هذا بالضرورة امرا سيئا. فإذا حدثت الدعاية الصحيحة ، فإن منعي من دخول مصر يمكن أن يستخدم كدليل على أنى لست داعية اسود (أى بطريق غير مباشر) للرئيس عبد الناصر ، وأن يكون هذا المنع اداة لتعزيز دعواى والحياد والموضوعية . ويجب والوقت ذاته أن تتم هذه الدعاية بعناية فائقة . وأن نتفق معا على ما يجب أن اقوله للصحفيين عندما يوجهون إلى الاسئلة ، وماذا يكون رد فعلى لاية انتقادات عربية للكتاب . وهذه النفطة الاخيرة بالغة الاهمية . فالطبعة الامريكية لكتابى ستصدر في مارس المقبل ، وناشرى في نيويورك يقوم بقدر كبير من الدعاية وإعمال العلاقات العامة مما يتيح للكتاب

احبر فرصة معكنة ليصبح من اكثر الكتب رواجا . فإذا كانت هناك في الطبعة البريطانية اشياء معترض عليها الرئيس عبد الناصر او تعترض عليها حكومتكم ، يسعدنى ان تتاح في الفرصة لادخال التعديلات اللازمة على الطبعة الأمريكية قبل ان يفوت الأوان . وبالمثل إذا كنت الدليت بأقوال تعتقد حكومتكم انها ضارة ، فإنى على استعداد لتصحيحها لا بمجرد الاستعانة موضعى الجديد الذي يسمح في بكتابة مقالات باسمى مباشرة ، بل أيضا بالإدلاء ببيانات لمحفيين كبار يمكن ان يعرضوا ما ساقدمه من تصحيح على انه قصة إخبارية علاية . والخلاصة ان كل ما اريده هو فرصة لتصحيح اي خطأ ترى حكومتكم انى وقعت فيه .

٧ - وهناك نقطة هامة أخرى: كان من نتيجة صدور كتابى ، وما صحبه من دعاية ، أن اصبحت الفرص تتاح لى الآن لإلقاء نظرة من الداخل على الجهود الماكرة التى يبذلها اعداء الرئيس عبد الناصر لاستخدام وسائل الدعاية غير المباشرة وغيرها من الاساليب لإحراجه ، ولبث الفرقة بين القادة العرب الذين يسعى إلى توحيدهم ، وما إلى ذلك . وعلى سبيل المثل المعد اطلعت على كثير من مشروعات الدعاية التى تبدو في ظاهرها ودية نحو الرئيس عبد الناصر ، ولكنها تهدف بغير شك إلى الإضرار به - وذلك على خلاف كتابى الذى يبدو الطاهره محايدا (بل وغير ودى في بعض الأجزاء) ولكنه في الواقع يساعد في تحسين صورته ، في بلدان الغرب على الأقل . بل إن الأمر اخطر من ذلك ، إذ أن تلك الجهود سترتبط بهجمات عسكرية إسرائيلية لن يكون الهدف منها كما تعرفون بغير شك ، تحقيق أغراض عسكرية خالصة بقدر ما هو إحداث إرتباك وإضعاف الروح المعنوية ، ولن تكون الهجمات وحدها خلارة على تحقيق هذا الغرض ، ولكنها إذا اقترنت بدعاية بارعة من نوع المصارعة اليابانية ، حون جيتسو » فمن المحتمل أن تنجح .

٨ ـ عندما طلبت السلطات منى ان اغادر القاهرة كان ذلك في مساء الجمعة ، وهو اسوا وقت ممكن للاتصال باى شخص تليفونيا . وعلى ذلك لم تتح لى الفرصة لتبليغ هذا كله لاى انسان ـ هذا كله واشياء كثيرة اخرى لا أريد ان اسجلها كتابة . ولهذا السبب ، فإنى اقترح ما يلى : ان تعطوني تأشيرة للدخول إلى مصر لمدة أربع وعشرين ساعة فقط (أو الافضل مدة أربع وعشرين ساعة بالإضافة إلى يوم أو نحوه لوضع برنامج ساقترحه في صورة مذكرة مكتوبة) ، ومقابلة سامى أو هيكل ، ثم أغادر البلد لأبدا العمل في أى موضوع يتم الاتفاق عليه ، وإذا لم توافق حكومتكم على أى شيء فإنها لن تكون قد خسرت شيئا أكثر من الساعة أو نحوها التي انقضت في سماع ما أريد أن أقوله .

وعلى اى حال فإنك يا سمير تؤدى لى معروفا كبيرا بتوصيل الرسالة التالية إلى هيكل او سامى شرف ، او اى شخص آخر تعتقد انه ينبغى ان يسمعها : إذا كنت قد اسات إلى الرئيس عبد الناصر ، او إلى حكومتكم بكتابى « لعبة الامم » فإنى شديد الاسف ، وسانتهز كل فرصة لتصحيح ما ذكرته إذا ما حدد لى احد التصحيح المطلوب . وليس لهذا اى علاقة بامكانيات التعاون في المستقبل . وحتى إذا لم يكن هناك تعاون ، وحتى إذا لم يصرح لى بالعودة إلى مصر ، فسيكون هذا شعورى وسابقى دائما على استعداد للمساعدة .

ارجو ان تستمتع بإجازتك ، وان اراك في لندن قريبا .

ولك احسن التمنيات.

مايلز

۲۱ مارلبورو بلاس
 لندن ، ش ، غ ، ۸
 تلیفون : جون ۲۰۰۰
 ۲۲ سیتمبر ۱۹۲۹

عزیزی هیکل

لابد أنك أنت بالذات تدرك ، أكثر من أى من أصدقائى الآخرين في القاهرة ، حقيقة مشاعرى بسبب اضطرارى للبقاء بعيدا عن مصر . إنى أحس بمشاعر الرجل الذى مر على زواجه خمسة وعشرون عاما (المدة التى كنت أتردد خلالها على مصر) ثم تقول له زرجته إنها لم تعد تحبه وأنه يجب أن يرحل . لقد كانت علاقتي بمصر من ذلك النوع الذى يختلط فبه الحب بالكراهية . وذلك لا شك فيه ، ولكن جانب الحب كان دائما هو الغالب ، وكان التزامى نحو مصر كاملا ولا يتزعزع . وعندما يخرج إلى النور التاريخ الرسمى الذى تعده حكومة الولايات المصرية الأمريكية (وهو يكتب الآن في الحوليات الرسمية ، ولكنه سينشر على الجمهور خلال السبعينات) ، سوف يتضح أنه كانت هناك أوقات تشكك فيها من يرسمون السياسات العليا في حكومتي بشأن الجهة التي أمنحها ولأني الحقيقي . وعندما حدث التحول الكبير ، وانتقل كيم وجميع الآخرين إلى السياسة المناهضة لعبد الناصر ، بقيت وحدى منبوذا وكان الكبير ، وانتقل كيم وجميع الآخرين إلى السياسة المناهضة لعبد الناصر ، بقيت وحدى منبوذا وكان على أن استقيل . وعلى أثر ذلك ، وعندما اكتنفت المتاعب حياتي الظاهرة ، مد الرئيس يده لإنقاذي (عن طريق سامي وآخرين في مكتبه) بطريقة سأبقي ممتنا لها بقية حياتي ، ولا يمكن أن يخطر بنهن أحد أني أقدم متعمدا على شيء يتعارض مع مصلحة الرئيس .

ولكنى علمت أن بعض أصدقائى المصريين ، وأنت منهم ، يظنون أنى فعلت ذلك . وقيل لى : أنك وأخرون تظنون أن كتابى « لعبة الأمم » والبرامج التليفزيونية والاذاعية التى ارتبطت به ، وغيرها من الأنشطة المتصلة بذلك كلها معادية لمصالح الجمهودية العربية المتحدة . (وهو أمر غريب ، لأن الصهيونيين ومن يتعاطفون مع الصهيونية ، سواء فى انجلترا ، أو الولايات المتحدة ، يمسرون على أن كتابى جزء من مؤامرة موالية لعبد الناصر ، وأنه « دعاية ماكرة مؤيدة لعبد الناصر » وذلك فى الواقع هو المقصود به) . وأنت من خبرتك الطويلة بى تعرف عنى شيئين : الأول ، إنى لا يمكن أن أحرك أصبعا بما يمس مصر دون أن أتأكد أولا » عن طريق شخص مسؤول ، أن ما سأقدم عليه لا ضرر منه . والثانى ، إنى عندما أعرض اقتراحا يتصل بعملى على شخص مسؤول لا أطلب منه أن يعتمد ذلك العمل – أى إننى لا أطلب منه أن يشترك معى فى المسؤولية بحيث أستطيع أن اتملص منها إذا تعقدت الأمور بأن أقول « إننى عرضت الأمر على فلان ، وقال إنه لا مانع » . وفى وسع أى شخص فى حكومتكم أن يبدى موافقته على أى اقتراح فلان ، وقال إنه لا مانع » . وفى وسع أى شخص فى حكومتكم أن يبدى موافقته على أى اقتراح القدم به دون أن يخشى أن يتحول الأمر لغير صالحه ويجر عليه المتاعب .

ومن ثم ، إذا كان الناس في حكومتكم غير راضيين عن كتابى ، فمن واجبى أن أتحمل المسؤولية كاملة . ويجب أن أقوم من جانبى بكل ما أستطيع لعلاج ما تسببت فيه من أضرار ـ أو ما يعتقد رجال حكومتكم أنى تسببت فيه من أضرار . لقد كنت أتصود أنى أقوم بعملية « دعاية غير مباشرة « ذكية لاقصى حد ، تهدف إلى عرض قضاياكم المنتلفة في منظور موات (أحسن منظور

الوثيقة رقم (١)

خطاب من «مايلز كوبلاند » إلى « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩ وهو يعرض فيه تغيير أى شيء يكون موضع اعتراض في كتاب « لعبة الامم » كما أنه يعرض خدماته . واغرب فقرة في هذا الخطاب هي قوله في الصفحة الاولى منه بالحرف : « سوف يتضح أنه كانت هناك أوقات تشكك فيها من يرسمون السياسات العليا في حكومتي بشأن الجهة التي أمنحها ولائي الحقيقي ، وعندما حدث التحول الكبير وانتقل « كيم » (روزفلت) وجميع الآخرين إلى السياسة المناهضة لعبد الناصر ، بقيت وحدى منبوذا وكان على أن استقيل » .

PERSONAL AND CONFIDENTIAL

21 MAHLBOROUGH PLACE
LONDON, N.W.E

24 September 1969

Dear Heykel:

More than any of my other friends in Cairo, you in particular should be able to understand how my being kept out of Egypt makes me feel. H feel like m man who has been married for twenty-five years (the length of time I have been coming to Egypt) and who has been told by his wife that she doesn't a love him any more, and that he should shove off. Hyprelations with Fgypt have been m love-hate sort of thing, it is true, but the love part has always been dominant, and my commitment to Egypt has been uncompromising and complete. When the official U. S. Government history of Egyptian-American relations comes out (it is now being written for official annals, but it will be released to the public during the seventies) it will show that there were times when top decision makers in m Government had doubts about where my true sympathies were. And when the Great Switch occurred, and when and all the others swung over to mm anti-Masser policy, I was left high and dry and had to resign. Subsequently, when my life-on-the-outside mu into difficulties, the President (through Sami and others in his office) came to my rescue in a way which I will appreciate for the rest of my life. It would be unthinkable for me knowingly to do anything against the President's interests.

But I gather that some of my Egyptian friends, including yourself, think I have done just that. I am told that you and others think that my - of Nations, my television and radio appearances in connection with it, and my other related activities have been damaging to U.A.R. interests. (This is strange, since the Zionists and Zionist sympathizers both in England and in the United States insist that we book is part of a pro-Masser plot, and that it is "subtle pro-Nasser propaganda" -- which, in fact, it is intended to be.) You from long experience know two things about was first, I wouldn't wiggle m little finger in m way to affect Egypt without first making certain, through some responsible official, that it was okay; second, when I check my proposed works with a responsible official I do not ask him to endorse then -- in other words, I do not ask him to join with me in responsibility so that if things go wrong I can get myself off the hook by saying, "I checked with Se-and-se and he said there was no objection." Anyone in your Government express a favorable opinion about any project I propose, and know that he doesn't have to worry from then on about the possibility of its backfiring and setting him into trouble. .

Thus, if people in your Government don't like my book I must shoulder the entire responsibility. On my own I must do what I can to remedy any damage

خطاب من « مابلز كوبلاند » إلى « محمد حسنين هيكل ، بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٦٩ وهو يعيد فيه شرح موقفه ، ويعرض إجراء اي تغييرات 🚺 الكتاب

> 21 MARLBOROUGH PLACE LONDON, N.W.8 TEL: JUN 0600

26 November 1969

Dear Heykel.

To an extent I never would have believed, Edyptian friends I have know for years have mone out of their way to tell me what a terrible book I have written and what I scoundred I am for having written it. All I have from you is a cool silence, but others have used such phrases as "traitor" and "stab in the back." One Ecoptian friend whose opinions I respect tells re that President Nasser was personally hurt by the book.

Why do such reactions surprise me? Well, unsophisticated and uninformed persons take everything at face value and assume that I mean, literally mean, everything I write in the same way they assume that you mean literally everything you write -- without regard to the rotives behind the writing, that is. But Egyptians (and Americans and Pritish) who understand me and who are in-the-know with respect to my motives should know better. It is inconceivable to me that President Masser -- or you, or any of my other Emyptian friends -- could believe that I would do anything, knowingly, to to even the slightest damage to President Masser. This should be especially true of those to whom I showed an advance copy of the book (and who had plenty of opportunity to object to it in time for me to make changes before it went to the printer), and who knew that (a) I believed it advisable to make enough of a "splash" in the journalistic world to ensure my getting future assignments, (b) that I would be of no value to you until I freed myself of my reputation of being a Wasserist apploaist -- a tag which has for years dulled the effectiveness of all my representations in Washington, and (c) that my allegations which secred "anti-Nasser" would be such that they couldn't conceivably to the President any real harm.

It never occurred to me that any of you would think I meant what I said when (for example) I said that staving in power was the President's first objective. Moreover, I thought you would all realize that such a remark is not uncomplimentary when spoken of a Western leader in Western circles (to which, after all, the book was addressed) since it can be said of virtually every United States President and Pritish Prime Minister except those who were visionary fools. Mercover, I believed — and still believe — it safe to assume that the roman's would do no harm at all in Arab and Middle Eastern circles since it wouldn't get much reading there anyhow, and since the few who read it wouldn't like it or believe it anyhow.

There is no use going on with this, since I appear to have thought wrongly -or, anyhow, it is clear that you and my other friends don't agree with me. All that is left for me to do is to do the best I can to remedy the situation

With all best wishes.

PS You may have heard that I'm suing those people in Beirut who did the Arabic translation without my permission, and that Arabic rights are up for grabs. Want them? I'll give you

ممكن) وأن أكسب لنفسى في الوقت ذاته مكانة ، يكون لها اثرها على كتاباتي المقبلة (حصلت على مبلغ كبير مقدما عن كتابي الجديد ، الذي سأعرضه بغير شك عليك ، وعلى غيرك سلفا ، كما جاءتني عروض لكتابة عدد من المقالات) . وقد كتبت رسالة مطولة في الموضوع وأرسلتها إلى أحد أصدقائنا المشتركين ، ومن ثم فلن أكرر ما جاء فيها . ولكنى أريد أن أقول إنى على استعداد للعودة إلى القاهرة لإعادة صياغة الكتاب كله تمهيدا لإصدار الطبعة الأمريكية (وموعدها في مارس ، والمقدر لتوزيعها ١٠٠ ألف نسخة) ولعمل كل ما يطلب منى لتنظيف صفحتى .

وهناك أشياء عديدة أستطيع أن أقوم بها ، لا لمجرد تنظيف الصفحة بل أيضا للمساهمة مساهمة ايجابية في الحرب النفسية المقبلة التي تتوقعها ، عن حق ، في مقالاتك . فلا شك في أن لدى معرفة مباشرة بهذه الحرب ، وبما يمكن توقعه فيها . وقد تقدمت لحكومتكم منذ أمد قريب باقتراح للاستفادة بهذه المعرفة ، وطلبت السماح لى بالعودة إلى مصر خلال ما يقرب من عشرة ايام لمناقشة هذا الاقتراح.

وأظن أن أول من يجب أن أقابله هو سامي شرف . غير أني أود بعد ذلك مباشرة أن أتحدث طويلا معك الأشرح لك خلفية الكتاب ، وكيف كتب ، و « المؤامرة » الحقيقية التي يعتبر جزءا منها ، والمؤامرة الخبيثة التي يعارضها ، وما إلى ذلك . وأود أن أشرح لك خلال مناقشتنا كيف حدث أن ذكرتك على النحو الذي ذكرتك به (وكانت النسخة الأصلية تحوى كلاما كثيرا عنك) ولماذا تأخرت لمدة طويلة في أن أرسل نسخة من التجارب غير المسححة للكتاب _ وإن كان عليك يا صديقي هيكل أن تسلّم بأن الحصول على موعد معك في مصر ليس من الأمور السهلة ، وأنى في المرتين الأخيرتين اللتين حاولت أن أراك فيهما وجدتك غارقا إلى أذنيك في مواعيد أخرى ، ولم أتمكن من رؤيتك .

وهناك شيء آخر: إذا لم أحصل على الإذن بالحضور إلى مصر خلال الأيام العشرة القادمة ستغصلني شركة البترول التي أعمل معها ، ومن ثم لن أستطيع على الإطلاق أن أحضر إلى مصر . (جيم فاندربيك لم يعرف بعد أني طردت من مصر) . ولذا فمن المهم أن أحصل على التأشيرة على الغور تقريباً . وسأكون ممتنا للغاية لما يمكن أن تفعله في هذا الصدد .

وعلى كل حال ، فمهما يحدث ، وسواء حصلت على التأشيرة أم لم أحصل عليها ، وسواء أتيحت لى الفرصة لتصحيح موقفي أم لم تتح ، فإني أريدك أنت على الأخص أن تعرف أنه لن يكون في نفسى غير أحر المشاعر نحو بلدكم الذي قضيت فيه كل هذا الوقت ، والذي منيت فيه بكثير من خيبة الأمل ، ولكني قضيت فيه أيضا الكثير من الأوقات السعيدة . وأظن أن في وسعى أن أقول بأمانة ، إنه على الرغم من كل خيبة الأمل ، فإني بقيت متفائلًا على امتداد السنين ، وإني استطيع أن أشير إلى حالات كان تفاؤلي فيها صحيحا ومفيدا ، وما زلت على ثقة من أنه يمكن أن يكون مفيدا حتى الآن. وكل ما أطلبه هو أن تتاح لى فرصة جديدة.

وإليك أفضل تمنياتي الشخصية

المخلص، مابلن

۲۱ مارلبورو بلاس لندن ش. غ. ۸ تلیفون : جون ۲۰۰ . ۲۲ نوفمبر ۱۹۲۹

عزيزى هيكل

لدرجة لم اكن أصدقها أبدا ، تعمد أصدقائى من المصريين الذين عرفتهم لسنوات طويلة الخروج على مالوف عاداتهم ليقولوا فى إن الكتاب الذى الفته كتاب شنيع ، وأنى اعتبر وغدا لإقدامى على كتابته . أما أنت فلا أجد منك إلا صمتا باردا ، في حين استخدم الآخرون كلمات مثل « الخائن » و » الطعن في الظهر » . وقد أخبرنى أحد الأصدقاء المصريين الذين احترم أراءهم ، أن الرئيس عبد الناصر شخصيا شعر بالاستياء من الكتاب .

ولماذا تدهشنى ردود الافعال هذه ؟ الواقع أن غير المحنكين وغير المطلعين يأخذون كل شيء على ظاهره ، ويفترضون اننى اعنى ، وحرفيا ، كل كلمة اكتبها ، على نحو ما يفترضون انك تعنى حرفيا كل كلمة تكتبها ـ اى بغير اعتبار للدوافع الكامنة وراء الكتابة . ولكن المصريين (وكذلك الامريكيون والمبريطانيون) الذين يفهموننى ، والمطلعون على دوافعى ، يجب أن يكون لهم موقف آخر .

ولا اتصور أن يصدق الرئيس عبد الناصر – أو أنت ، أو أى من أصدقائى المصريين الآخرين – أنى يمكن أن أفعل عامدا أى شيء يمكن أن يسبب للرئيس عبد الناصر أدنى ضرر . وينطبق ذلك بشكل خاص على من أطلعتهم على نسخة سابقة من الكتاب (وكانت لديهم الفرصة كاملة للاعتراض عليه في وقت يسمح بإدخال تعديلات قبل أن أدفع به إلى المطبعة) ومن كانوا يعرفون (1) أنى كنت أرى من المستحسن أن أحدث « فرقعة » في العالم الصحفي لاضمن تكليفي باعمال أخرى في المستقبل ، (ب) وأنى لن أكون مفيدا لكم إلا إذا تخلصت من السمعة التي تلاحقني باني ناصرى متحمس – وهي بطاقة ظلت لسنوات طويلة تقلل من فاعلية كل ما أعرضه في واشنطن ، (جـ) أن أقوالي التي تبدو « معادية لعبد الناصر » مصاغة بحيث لا يمكن عقلا أن تضر به ضررا حقيقيا .

ولم يخطر لى في أى وقت أن أحدا منكم يدور بخلده أنى أعنى ما أقول عندما أردد (مثلا) أن البقاء في السلطة هو الهدف الأول للرئيس . وكنت فوق ذلك أظنكم جميعا تدركون أن قولا كهذا لا يعد بعيدا عن المديح إذا قيل عن قائد غربى في الدوائر الغربية (وهى في آخر الأمر الدوائر المقصودة بالكتاب) لانه شيء يمكن أن يقال عن كل واحد من رؤساء الولايات المتحدة وعن كل من تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا ، فيما عدا أولئك الحمقى الحالمين . وفوق ذلك ، كنت أعتقد _ وما أزال _ أن هذه الملاحظة لا يمكن أن تحدث ضررا على الإطلاق في الدوائر العربية ، ودوائر الشرق الأوسط ، ما دامت لن تقرأ فيهما على نطاق واسع على أى حال ، وما دام القلائل الذين سيقرأونها لن تعجبهم ولن يصدقوها .

وليست هناك جدوى من الاستمرار في هذه الاقوال ، إذ يبدو اننى اخطأت التفكير ، أو انكم واصدقائى الآخرين لا تتفقون معى كما هو واضح . ولم يبق أمامى غير أن أبذل جهدى لتصحيح خطئى بقدر ما استطيع . ولا شك في انكم علمتم الآن أن طبع الكتاب توقف عند ٢٠٠٠ نسخة (وهو عدد ضئيل حتى بالمقاييس البريطانية) . وقد أصبح من المستحيل الآن الحصول على نسخة منه في انجلترا . ووافق الناشر على إدخال تعديلات على الطبعة الجديدة (٢٠٠٠ نسخة في البداية ، تضاف البها ٢٠٠٠ نسخة اخرى إذا نفدت بسرعة) بشرط أن ادخل التعديلات قبل يوم ١٥ ديسمبر . وكذلك

ناجل إصدار الطبعة الأمريكية (٣٠ الف نسخة [البداية ، مع وضع هدف للتوزيع هو ١٠٠ الله سخة في السنة الأولى) إلى شهر ابريل ، ويمكن أن ندخل عليها تعديلات جوهرية ، بشرط أن تدخل هده التعديلات في موعد لا يتجاوز منتصف يناير ، إذ أن عملية الطباعة تحتاج إلى ثلاثة أشهر كحد ادنى .

وبصراحة ، فإنى اشعر أن ذلك كله أمر محزن ، لانى أعتقد مخلصا أن الكتاب بصورته الحالية لا يضر الرئيس جمال عبد الناصر بأى شكل ، بل إنه يوضح للقارىء الأمريكى ، ولا سيما القارىء المنقف ، المنطق الذى نبع منه سلوك الرئيس ، وهو منطق تقبله العقلية الأمريكية . واصدقائى فى البيت الأبيض الذين قرأوا الكتاب يقولون ذلك عنه بلا مواربة ، واتحداك أن تجد أمريكيا ذكيا (أو بريطانيا) واحدا يعتبر أن هذا الكتاب «معاد لعبد الناصر » . وأسال مثلا ديك بومون ، أو أى واحد غيره من البريطانيين ، أو الأمريكيين الذين تعرفهم فى القاهرة ، فيما عدا أولئك الذين يكرهون الكتاب (أو يكرهوننى) لأسباب بعيدة عن ذلك تماما . وعلى أى حال ، فإذا كان الكتاب يغضب أصدقائى المصريين ، فإنى على استعداد لتغييره بغير مزيد من المناقشة . بل إنى فى الوقت يغضب أصدقائى المدرجة أنى مستعد لإعادة صياغة الكتاب حتى يصبح مؤيدا للرئيس عبد الناصر صراحة إذا كان هذا هو ما تريدونه جميعكم .

والمشكلة بطبيعة الحال هي الحضور إلى القاهرة . وكان طبيعيا ان يفصلني زبائني الذين كانوا يدفعون مصاريف سفرى ، في نفس اللحظة التي عرفوا فيها انى اصبحت ممنوعا من دخول بلدكم . غير انى استطيع أن احملهم جزءا على الأقل من مصاريف السفر وذلك حتى أول يناير ، وهو الموعد الذي ينتهي فيه آخر عقودى . ولذا أود أن أحضر إلى القاهرة خلال الاسبوع القادم أو نحو ذلك بتاشيرة سياحة عادية بطبيعة الحال لغرض واحد هو أن اتحدث معك ومع سامى ، وربعا أيضا مع محمد فايق ، حتى أعرف بدقة ماذا تريدون منى أن أفعل ، لا فيما يتعلق بتغيير الكتاب فحسب ، بل أيضا في كتابة مقالات إضافية ، والقيام بأي عمل آخر مطلوب للحصول على غفران جزئي على الأقل . وكذلك فإن هناك خلفيات كثيرة تتعلق بالموضوع من ناحية واشنطن ، وأود أن أشرحها لك شخصيا وكذلك فإن هناك خلفيات كثيرة تتعلق بالموضوع من ناحية وأشنطن ، وأود أن أشرحها لك شخصيا وكنت أظن أنك ستخمنها بنفسك ، ولكن من الواضح أن ذلك لم يحدث .

وبإيجاز ، فإنى ساطلب من سفارتكم خلال يوم أو نحوه أن ترسل برقية إلى القاهرة تطلب الاذن بمنحى تأشيرة سياحة ، وأمل أنك سترى من المناسب أن توصى بمنحها في (واقصد التوصية في القاهرة ، وللجهة التى تبت في مثل هذه الأمور) . كما أمل أن تجد الفرصة لتحدث الرئيس عن خطابى ، وأن تذكر له في أثناء ذلك أنى أسف أشد الأسف لكونى اقدمت على شيء لا يرتاح إليه . ولست أجد وسيلة أعبر لكم بها غير المي الشديد عندما عرفت أنى وقعت في ذلك .

مع افضل تمنياتي . .

مايلن

□ ملاحظة :

لعلك سمعت بانى رفعت قضية على اولئك الذين اصدروا في بيروت ترجمة عربية لكتابى بدون إذنى ، وان حقوق الطبعة العربية معروضة لمن يطلبها . هل تريدها ؟ إنى على استعداد لإعطائك حرية الترجمة بالشكل الذى تراه .

۲۱ مارلبورو بلاس لندن ش. غ. ۸ تلیفون : چون ۲۰۰ ۲ ابریل ۱۹۷۰

السيد محمد حسنين هيكل الأهرام القاهرة المجمهورية العربية المتحدة عزيزى هيكل

لا شك في انك مطلع على الصعوبات التي واجهها غسان تويني في الترجمة العربية لكتاب « لعبة الأمم » . واصلا ، فإن فكرة نشر طبعة عربية من الكتاب لم تكن فكرتي (وترجمة « الحياة » صدرت بدون تصريح مني) . ولكني وجدتها فرصة لتصحيح المفاهيم الخاطئة التي انتشرت في العالم العربي نتيجة للطبعة الانجليزية . وفي الاسبوع الماضي ، كتبت إلى تلك الدار في بيروت ، والتي لها علاقة بكم (مصر) ، اعرض عليهم أن يكون لهم الحق المطلق في المراجعة والترجمة ، بشرط أن يتصلوا بك لتعملوا معا على ضمان الا يحوى النص شيئا هجوميا بل وأن يكون نافعا .

ويخيل لى إن الاقتراح الذى ساقدمه هنا لن ينتهى إلى نتيجة ملموسة ، كما حدث مع غيره من الاقتراحات التى قدمتها في الماضى ، ومع ذلك ، فإنى اريد أن أكرر عليك أمرا ، وهو ببساطة ما يلى: إنى أو أفق على أن أحول إليك حق تحرير كتاب « لعبة الامم » واختصاره وترجمته ونشره والاحتفاظ بجميع إيراداته – على أن تمنح الحصة المعتادة التي تؤول إلى بوصفى مؤلفا لأى هيئة خيرية تختارها . وشرطى الوحيد هو : أن تتيح لى على الاقل فرصة مناقشة تفاصيل الكتاب معك مسبقا ، وأن أشرح لك – لمعلومات الرئيس عبد الناصر ولمعلوماتك – كيف الف هذا الكتاب أصلا . واعتقد أن ذلك يعنى إعطائى تأشيرة سياحة لزيارة مصر ، وبالتالى يكون هناك شرط آخر : أن استلم تلك التأشيرة في موعد لا يتأخر عن أول مايو (ومن الافضل أن يكون قبل ذلك بأسبوع) حتى يكون هناك متسع من الوقت لإيقاف الطبعة التى سيصدرها الناشر سيمون أند شوستر إذا راينا بعد مناقشتنا أن ذلك مستصوب .

وإذا كانت اخبارى لا تزال تهمك ، فإنى اصبحت هذه الأيام بعيدا تماما عن مسرح الشرق الأوسط ، واحاول أن اركز افكارى في كتاب جديد ، وبضعة برامج للتليفزيون ، وفيلم سينمائى . ومع ذلك ، فإنى اعترف بان الايام الماضية السعيدة توحشنى من حين لآخر . ورغم أنه لم تعد لى مصالح عملية في القاهرة ، فإنى افتقدها لأسياب عاطفية .

واليك افضل تمنياتي . .

مايلز



خطاب من « مايلز كوبلاند » إلى « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٦ أبريل ١٩٧٠ وهو يتحدث عن الترجمات التي نشرت في بيروت في ذلك الوقت ، وبينها جريدة « الحياة » التي نشرت ترجمة قامت بها للكتاب دون تصريح منه (واتجاهات جريدة « الحياة » وارتباطاتها في ذلك الوقت معروفة !) .

21 MARLBOROUGH PLACE LONDON, N.W.8 TEL: JUN 0600

6th April 1970

Mohammed Hassanein Heykel, Esq. el Ahram Cairo United Arab Republic

Dear Heykel,

You are no doubt up to date on the difficulties Ghassan Tuweini has been having with the Arabic translation of The Game of Nations. It wasn't my idea to publish in Arabic in the first place (the Hayat translation MHE totally unauthorized), but I did see it an opportunity to straighten out misconceptions which arose in the Arab world from the English language edition. Last week, I wrote to their publishing house in Beirut, in which you have an interest, offering to donate to him all rights to edit and translate, but on condition that he get together with you to work out something that will not only be inoffensive but actually helpful.

I suppose that, like similar proposals I have made in the past, this particular one will get nowhere. None the less, I want to repeat it to you. It's simply this: I agree to turn over to you the right to edit, abridge, translate and publish The Game of Nations and to retain all income derived from it -- the part of such income which would normally come to me as author to be donated to any philanthropy of your choosing. My only condition is this: that you at least give me the privilege of discussing details of the book with you beforehand and explaining to you, for the benefit of President Nasser as of yourself, how the book came to be written in the first place. This would presumably mean getting me a tourist visa to visit Egypt, so there must be another condition: the visa must be in my hands not later than May 1st (or, preferably, a week earlier than than) we that there will still be time to hold up the Simon | Schuster publication if, after our talk, this appears to be advisable.

وثيقة تقرير " تقدير موقف مخابرات " صادر عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية برقم (١/٣٦/ ٥٥) عن إمكانيات الاستقرار في مصر، وهو يقول بوضوح إن النظام في مصر باق إلا إذا واجه احد احتمالين : اغتيال ، أو هزيمة عسكرية أمام إسرائيل

THE PROBLEM

To estimate probable trends in Egypt's foreign and domestic policies and in its internal stability over the next few years, and to assess the implications of these trends for US interests in the Middle East.

CONCLUSIONS

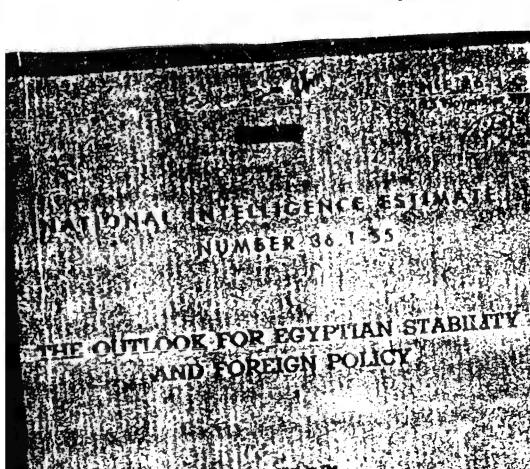
1. Barring such grave developments assassination or military defeat by Israel, the Nasir regime is likely to remain in control of Egypt at least for the next year or so. The regime's power will continue to depend primarily on the support of the armed forces. (Paras. 19-20)

المشكلة (التي يتعرض لها التقرير)

تقدير الاتجاهات المحتملة في سياسات مصر الداخلية والخارجية ، وكذلك احتمالات الاستقرار فيها للسنوات القليلة القادمة . وقياس تأثيرات هذه الاتجاهات على مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط .

المحصلة (التي توصل إليها التقرير)

ما لم تحدث تطورات خطيرة مثل الاغتيال ، أو هزيمة عسكرية أمام إسرائيل ، فإن نظام الصر سوف يبقى مسيطرا على مصر على الأقل طوال السنة القادمة . إن قوة النظام سوف تظل سرتكزة أولا إلى تأييد القوات المسلحة .



وأمل أن يفهم أصدقاؤنا في منظمة حلف شمال الأطلنطي بصورة وأضحة بأنه ليست لدينا أي نية للوقوف مكتوفي اليدين نتفرج على الجناح الجنوبي للمنظمة وهو ينهار انهيارا تاما بسبب تغلغل الشيوعيين إلى الشرق الأوسط ، ونجاحهم هناك في حين أننا لا نعمل شيئا إزاء هذا ، وإني لواثق من أنهم يعرفون بأننا نرى أن لناصر تأثير شرير . كما أعتقد بأننا بينًا بوضوح شديد بأننا وإن كنا نشاطر البريطانيين والفرنسيين آراءهم حول ناصر إلى حد كبير ، فنحن نصر على أنهم قد اختاروا الوقت والحادثة السيئين للإقدام على تدابيرهم التصحيحية استنادا إليهما .

وأهم من كل شيء هو أملى في أن يرى أصدقاؤنا في أوربا ، كما نرى ذلك نحن ، ضرورة الشروع سرا وعلى مستوى أركان الحرب لوضع سياسات وخطط يستطيع الغرب بمقتضاها العمل سوية على جعل الشرق الأوسط أمنا من التغلغل السوفيتى . وليس يخالجنى أى شك في أنه سيكون من المتعين علينا في قابل الأيام ، ولو في نظر الرأى العام على الأقل ، أن نكون رأس الحربة في أي حركة من هذا القبيل . ولكن يبدو أننا سنستطيع في خاتمة المطاف التوصل إلى اتفاق عام جيد جدا فيما بيننا بشأن ما يتعين عمله وكيف يتأتى لنا القيام به .

ويحدونى اعتقاد مستمر ، كما أظن بأنه يحدوكم ، بأن من بين الإجراءات التى يتعين علينا التخاذها أن نقيم غريما عربيا لناصر ، والاختيار الطبيعى هو على ما يبدو يتمثل فى الرجل الذى طالما تحدثت أنت وأنا عنه . فإذا استطعنا إقامته باعتباره الشخص الذى يستحوذ على خيال العالم العربى ، لم يعد المقام يطول بناصر .

وقد تلقيت من بضعة أيام خطاب بتوقيع الجنرال ويجاند والمارشال جوان أرسلت إلى على حد قولهما استنادا إلى سبق اشتراكنا في زمالة السلاح . وأعتقد أن وزارة الخارجية ربما أبرقت اليك بمقتبسات معينة من الخطاب . وقد لا تكون له أهمية كبيرة ، ولكنه يبين ولو ضربا واحدا من ضروب التفكير السائدة في أوروبا الغربية ، ولا سيما في فرنسا .

موضوع جدید . أمس توقف رئیس الوزراء سان لوران في أوجستا لزیارتی ولئن كانت الزیارة زیارة اجتماعیة إلى حد كبیر ، فقد كانت لدیه بعض أفكار عن الزیارة المقبلة لصدیقنا الآسیوی ـ ولم یكن فی هذه الافكار شیء جدید بصورة خاصة ، ولهذا لن أزعجك هنا بإعادتها . والأرجم أن أراك یوم السبت .

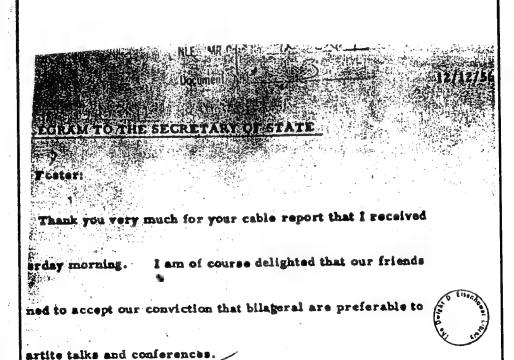
مع التحيات الفائقة الحرارة ، وأمل ألا تعانى شيئًا من الآثار المرضية عند عودتك إلى العمل بُهذه السرعة بعد مرضك الآخير .

المخلص

د . ۱.

ATO

الوثيقة التى تحوى نص رسالة « ايزنهاور » إلى « دالاس » بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٥٦ وحينما كان وزير الخارجية الأمريكي يحضر اجتماعا لوزراء حلف الاطلنطي في باريس . والوثيقة واضحة في ضرورة إيجاد بديل لـ « جمال عبد الناصر » في المنطقة .



فندق سميراميس بالقاهرة شركة الفنادق المصرية القاهرة ١٠ مايو ١٩٥٧

ر السيد محمد حسنين هيكل ١٤ شارع شجرة الدر الزمالك ، القاهرة

مصر

عزيزي ...

إن اثنتى وستين سناتورا ، و ١٦٦ من رجال الكونجرس ، و ٢٣ من حكام الولايات ، و ٤٤ من كبار رجال الأعمال في الولايات المتحدة لا يمكن أن يكونوا جميعا مخطئين . وهذه هي « حصيلة » الأشخاص الذين أبدوا اهتماما واضحا بخططنا واقتراحاتنا حتى وقت مغادرتي واشنطن » وقد علمت أن مكتبنا في واشنطن تلقى أكثر من ٢٠٠ خطاب بعد سفري ** .

فأى دليل تريده أكبر من ذلك على أن الشعب الأمريكي يرغب في التعاون مع مصر ، ومستعد لتنفيذ الاقتراحات التى قدمتها إلى الرئيس ايزنهاور والكونجرس ووزارة الخارجية بشأن القرض التجارى لمصر .

وقد طلبت منك أن تساعدنى فى غل يد دالاس بتعاونك معى إلى أقصى حد ممكن أثناء وجودى هنا . ولكنك بدلا من ذلك تساعده فى تخقيق أغراضه بتكتيك « الصد والرفض » الذى تتبعه .

إذا كنت لم تعد مهتما بالقرض الذي اقترحناه فأخبرنا بذلك وسنكف عن تضييع وقتنا.

وأرجو قبول فائق الاحترام،

لجنة التسويات في الشرق الأوسط توقيع أ م م جرينوود ، رئيس اللجنة فندق سميراميس القاهرة ، مصر القاهرة ، مصر

* 🗷 هذه الخطابات موجودة وتستطيع الاطلاع عليها .

الوثيقة رقم (٥)

صورة من خطاب " جرينوود " إلى " محمد حسنين هيكل " بشان تاجير قناة السويس " وإعطاء قرض كبير لمصر " وإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين " وقد رفض العرض في القاهرة جملة وتفصيلا ، وخطاب « جرينوود » يشرح خيبة أمله من جراء ذلك . وقد أرسل خطابه من فندق « سميراميس " الذي كان يقيم فيه اثناء وجوده بالقاهرة .



THE EGYPTIAN HOTEL

UNDER THE MANAGEMENT

CAIRO

Lay 10, 1957

Dear Mohammed

**Sixty-two Senators, 11 Congressmen, 23 Governors and 44 leading United States business executives cannot all in wrong. This is the "score" of the people voicing an active interest in our Plans and Proposals up to the time I left Washington; and I me advised there sum more than all letters received by our Washington effice since I left.

What greater proof do you want that the American people wish to cooperate with Egypt and are willing to implement the proposals I have submitted to President Eisenhower, Congress and our Eliming to the commercial loan for Egypt.

I have asked you to help me call Dulles! hand by cooperating with me as much as possible while I am were here. Instead you are playing right into his hand by your "brush off" taction.

If you are no longer interested in the loan or proposed, say so agd we will stop wasting our time.

Respectfully,

HIDERST SET THE COMMITTEE

Cuuro

E. M. Greenwood, Chairman Semiramis Hotel

Cairo, Egypt

10.0

**These letters are available for your inspection.

الوثيقة رقم (٦)

اول وثيقة بتوقيع « ايزنهاور » بسريان قانون الأمن المتبادل على الملكة العربية السعودية .

March 14 1953

MEMORANDULLEON, THE DIRECTOR FOR MUSICAL SECRETY-

In accordance with the recommendation contained in your memorandum of March 2, 1953, I hereby determine, pursuant to the authority vested in my by.

Section 202 of the initial Security Act of 1951, mm amended, that it is essential for the purpose of that Act that the Government of Saudi Arabia be provided military assistance, pursuant to the provisions of the initial Defense Assistance Act of 1949, mm amminded. In making this determination, I find that (1) the strategic location of Saudi Arabia mades it of direct importance to the defense of the Near East area, (2) the assistance to be furnished is of critical importance to the defense of the free nations, and (3) the immediately increased ability of Saudi Arabia to defend itself is important to the preservation of the peace and security of the "ear East area, and to the security of the United States.

The Secretaries of State and of Defense are to be notified by you of this determination.

DESCRIT D. EISENHOURR
The President

Recommended by: The Department of State-Halter 3. Levith
The Department of Defense-Frank C. Nosh
The Director of the Budget-J.
The Director for Hutual Security- OCC56//7 Hereh 12, 1953

خطة لتحقيق الفوز

- ١ ـ عقد قرض تجارى لمصر يحقق الاستقرار في الشرق الأوسط.
- ٢ ينبغى أن تعقد مصر هذا القرض عن طريق المصدر والوكيل الذى يستطيع أن يدافع بصورة
 بناءة عن قضيتها في الولايات المتحدة .
- ٣ ـ هذا المصدر والوكيل يمكن أن يكون شخصية رئيسية فى سياسة الولايات المتحدة ، وأن تكون
 له أهمية خاصة فى المساعدة فى اختيار رئيس جمهوريتها المقبل .
- ٤ مع وجود صديق لمصر في البيت الأبيض يمكن ايقاف المصدرين الأساسيين للمعونة المالية لإسرائيل (التبرعات المخصومة من الضرائب والمعونة المباشرة) . كما يمكن تخفيف شروط الهجرة بحيث يصبح في وسع ٧٠٪ من اليهود أن يخرجوا من إسرائيل (وهو ما يرغبون فيه) .

ليست هناك وسيلة متاحة لمصر لإحراز نصر تام على إسرائيل غير الخطوات المذكورة أنفا، على أن تنفذ تنفيذا جيدا حتى نهايتها الموفقة.

ولجنتنا الحالية المؤلفة من صغار رجال الأعمال يمكن أن تتحول إلى مؤسسة وطنية قوية تضم الافا عديدة من الأعضاء (بدون حملات لجمع الأموال) تسعى من أجل مبادىء السلام الدائم مع العدل .

وقد أرسلت خطط ومقترحات لجنتنا بالفعل إلى كل سناتور وكل عضو في الكونجرس وكل حكام الولايات وكل المسؤولين الحكوميين وكل رابطة تجارية وكل نقابة عمالية في الولايات المتحدة . وكانت الاستجابة مشجعة للغاية ، ويمكن خلال وقت قصير تدعيم هذه القوى وتوجيهها نحو أهدافنا المشتركة ، وهي :

- إصدار « سندات السلام » لتمويل حملة عالمية واسعة النطاق من أجل السلام ، السلام عن طريق الاستغلال .
- ٢ التخطيط على المدى الطويل للتعاون في المساعدات الخارجية على اساس تجارى عملى بدون شروط، أو قيود سياسية . فلم يعد هناك محل للمنح التي تعطى على حساب دافع الضرائب الأمريكي .
- ٣ إعادة توطين اللاجئين من المناطق المتفجرة في المناطق الراكدة التي تحتاج إلى مهاجرين ، وإلى تنمية جيدة التخطيط .
- ٤ الاستفادة بموارد العالم الطبيعية غير المستغلة من أجل تمويل الأمن الوطنى والاقتصاد الداخلي لكل بلد .

الوثيقة رقم

شارجية « جون فوستر دالاس » إلى صورة وثيقة بمذكرة صادرة من وزير « على سوريا . الرئيس » ايزنهاور » بشان بدامات الم

THE SECRETARY OF STATE

August 20, 1957

MEMON

NDUM FOR THE PRESIDENT THE WHITE HOUSE



On the Syrian nestatement or implied after, I think it important that you avoid any is now "controlled blion that you have as yet determined that Syria of the Middle East of International Communism" within the meaning statement that you is solution. On the other hand, I would avoid any confused. There is ink it is not so controlled. The situation is still blockaded and we call tight censorship. Our Embassy is virtually the actual extent of not yet make a clear political judgment is to ommunist penetration.

For your confinence in Washington Intial information, Ambassador Moose, who is reat as appears on feels it possible that the change has not been by temperature of the surface, and that the Leftist take-over is not

I think it impocourage Israel, for ant that you should say nothing which would entire theory that we example, to stimulate an incident with Syria on the other hand, we are judged Syria to be Communist controlled. On syrian Government tain contingencies. We would like to keep the uncertain as to our intentions.

I suggest that
United States have the line to take is that recent charges against the elements to seek the line to take is that recent charges against the elements to seek the line to take is that recent charges against the elements to seek the line to take is that recent charges against the elements to seek the line to take is that the government. There the Soviets first the of the development of a dangerous and classic pattern. With this aid they comise and extend aid, military and/or economic. The enderson the control of any positions by pro-Soviet cantrol of Internative sult sought is that the country will fall under the chose destinies a lonal Communism and become a Soviet satellite, it okes creen of the directed from Moscow. All of this is under a see charges that others are conspiring, e.g., the

002094-1987

Authority MR 66-434

be me the she wall

رفع عنها الحظر في ١٩٨٦/٢/٢٨

١٤ مارس ١٩٥٣

مذكرة لمدير الأمن المتعادل

عملا بالتوصية الواردة في مذكرتكم المؤرخة في ٢ مارس ١٩٥٣ ، أقرر بناء على السلطة المخولة في بمقتضى المادة ٢٠٢ من قانون الأمن المتبادل لعام ١٩٥١ بصورته المعدلة ، أن من الضرورى لأغراض ذلك القانون ، توفير المساعدة العسكرية لحكومة المملكة العربية السعودية بمقتضى أحكام قانون المساعدة العسكرية المتبادلة لعام ١٩٤٩ بصورته المعدلة . وإني إذ أتخذ هذا القرار أرى : (١) أن الموقع الاستراتيجي للمملكة العربية السعودية يجعل لها أهمية مباشرة في الدفاع عن منطقة الشرق الأدنى ، (٢) أن للمساعدة التي ستقدم أهمية قصوى للدفاع عن عن الأمم الحرة ، (٣) أن زيادة قدرة المملكة العربية السعودية على الفور على الدفاع عن نفسها له أهميته في صون السلام ، والأمن في منطقة الشرق الأدنى ، وأمن الولايات المتحدة .

وعليكم إخطار وزيرى الخارجية والدفاع بهذا القرار:

دوايت د . ايزنهاور رئيس الجمهورية

أوصت به: وزارة الخارجية ـ والتر ب ليفيز ١٩٥٣ مارس ١٩٥٣ وزارة الدفاع ـ فرانك ك . ناش ١٩٥٣ مارس ١٩٥٣ مدير الميزانية مدير الميزانية مدير الأمن المتبادل ١٩٥٣ مارس ١٩٥٣

ولمعلوماتكم الخاصة ، فإن السفير موس ، الموجود حاليا ف واشنطن ، يرى أنه من المحتمل ألا يكون التغيير كبيرا بقدر ما يبدو على السطح ، وأن التحول إلى اليسار ليس كاملا حتى الآن .

وأعتقد أنه من المهم ألا تقولوا شيئا يشجع إسرائيل مثلا على افتعال حادث مع سوريا ، اعتمادا على نظرية أننا حكمنا بأن سوريا خاضعة للسيطرة الشيوعية . ونحن من الناحية الأخرى نريد أن نحتفظ بحرية اتخاذ مثل هذا القرار في ظروف معينة . ونريد الآن أن تبقى الحكومة السورية غير متأكدة من نوايانا .

وأقترح أن يكون الخط الذي نتبعه هو أن الاتهامات التي وجهت إلى الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة كانت ستارا تستخدمه العناصر المعادية للغرب، والموالية للسوفيت لتعزيز سيطرتها على الحكومة وهناك دلائل على أن ما يجرى في سوريا يسير وفقا لنمط كلاسيكي خطر في فالسوفيت يبدأون بتقديم الوعود، ثم بتقديم المساعدة العسكرية ، أو الاقتصادية أو كليهما ومن خلال هذه المساعدة يعملون على أن يسيطر أشخاص موالون للسوفيت على أية مواقع كانت والنتيجة الأخيرة المرجوة هي أن يسقط البلد تحت سيطرة الشيوعية الدولية ، ويدور في الفلك السوفيتي ، وتدار مصائره من موسكر ويجرى ذلك كله وراء ستار من الاتهامات الكاذبة بأن هناك أخرين يتآمرون ، ومن أمثالهم الولايات المتحدة .

ونحن لا نعرف حتى الآن إلى أى مدى ذهبت سوريا في هذا السبيل ، ولكن لا شك في أن ما حدث بالفعل مؤشر على الخطر ، ويجب أن يكون إنذارا للآخرين ممن تعمل الأساليب السوفيتية على جذبهم .

وقد أصبح الشرق الأوسط كما نعرف هدفا أساسيا للتطلعات الشيوعية في الآونة الأخيرة. وقد استغل الشيوعيون السوفيت والصينيون كل فرصة متاحة ، لبث التفرقة ، وعدم الاستقرار في المنطقة ، ونحن نتابع التطورات الجارية في سوريا بقلق إذ أنها تمس سلم المنطقة ، وهدوءها ، ورخاءها .

توقیع جون فوستر دالاس We do not yet know how far along this pattern Syria has yet gone, but certainly what has already happened is a sign of danger and should be a warning to others who are sought to be lured by the Communist technique.

The Middle East, as we know, has recently become prime target of Communist aspirations. The Soviet and Chinese Communists have sought every opportunity to promote instability and disunity in this area. We are following with concern developments in Syria as they affect the peace, tranquillity and prosperity of the area.

John Foster Dulles



وزارة الخارجية واشنطن

۲۰ اغسطس ۱۹۵۷

سري

مذكرة للعرض على الرئيس البيت الأبيض

في موضوع سوريا ، اعتقد أنه من المهم أن تتجنبوا الادلاء بأى تصريح ، أو تلميح يفهم منه أنكم وصلتم إلى قرار بأن سوريا أصبحت الآن « تحت سيطرة الشيوعية الدولية » بالمعنى المقصود في القرار الخاص بالشرق الأوسط . ومن الناحية الأخرى ، فلنتجنب أى تصريح بأنكم تعتقدون أنها ليست تحت تلك السيطرة . فما زال الموقف غير واضح . والرقابة صارمة . وسفارتنا تحت الحصار من الناحية العملية ، ولا نستطيع حتى الآن أن نصدر حكما سياسيا واضحا بشأن مدى التغلغل الشيوعى .

وزارة الضارجية

يرقية صادرة

المرسل إليه: السفارة الأمريكية في لندن

التوزيع محدود

ارجو إبلاغ الرسالة الشخصية التالية من وزير الخارجية (الأمريكية) إلى وزير الخارجية (البريطانية)..

« عزیزی سلوین :

إننا نشعر بقلق شديد للأحداث الجارية في سوريا ، واعرف انها تسبب لك القلق ايضا . ويبدو لنا انه ليس هناك امل في التصحيح من الداخل ، وعلينا ان نفكر في الامكانيات الخارجية التي تتمثل في القلق الشديد الذي تشعر به الدول الإسلامية التي لها حدود مشتركة مع سوريا . وقد يلزم ان نكون مستعدين لتحمل قدر من المخاطرة الجدية تجنبا لمخاطر واخطار أكبر فيما بعد . ونحن نولي هذا الأمر اشد الاهتمام ، وسنكون في حاجة ـ بغير شك ـ إلى تبادل الراي معكم غدا ، أو يوم الجمعة .

، المخلص فوستر ،



صورة وثيقة تتضمن خطابا من = جون فوستر دالاس » إلى « سلوين لويد = وهي البداية الحقيقية لعملية حصار سوريا .

TELEGR	44144	artment of Stat		
CHARGE TO	Corrict	TOP SECRET	157 NJ 21 NI 7 59	
25	90		1 1 7 3 0	
53	SERT TO Amembassy I	LONDON NIACT 1491	Strate 32	
Origin	LIMIT DISTRIBUTION		le Lind	
Please deliver following personal message from Secretary to			Secretary to interpre	
Pur	Foreign Ministers			
C C C We are deeply concerned, as I know you are, about developm				
			e, about developments in	
MELA	Syria. It seems to us th	nat there is now little hope	of correction from within	
,	and that we must think in terms of the external assets reflected by the deep			
concern of the Mission Moslem States having common borders with Sy take must perhaps be prepared to makersome serious risks to avoid even			on borders with Syria. We	
			isks to avoid even greater	
	fishs and many was dar	ngers later on. We are giv	ing this matter our most	
	concentrated attention	and will - doubt want to ex	change views with you	
Ei.	tomorrow or Friday.		M 3	
Part.	•	Sincerely yours,		
0	•	Foster	UNCTE HIS	
1	, m		DILLES A	
• 1			8	
	THE TANK THE	A 20 GA 192	A STATE OF THE STA	
	W 107	Telegraphic baseshirles and Cri	FDULLES	

الوثيقة رقم (١٩)

صورة وثيقة تتضمن خطابا موجها من «جون فوستر دالاس» وزير الخارجية الأمريكي إلى «هارولد ملكميلان » رئيس الوزراء البريطاني ، وهي تعزيز لخطابه إلى «سلوين لويد» وتفصيل اكثر لعملية الضغط على سوريا .

« تصرف رئاسی »

عزيزى هارولد

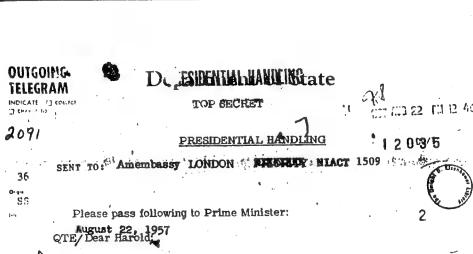
بعد دراسة الموقف دراسة وافية مع الرئيس قررنا أن نطلب من لوى هندرسون وهو وكيلى الأول أن يعجل بزيارته المقترحة لبعض سفاراتنا ، وأن يضع انقرة على رأس القائمة . وسوف يتيح له ذلك بالإضافة إلى أعماله العادية أن يحصل في تركيا على معلومات مباشرة عن موقف بعض جيران سوريا من التطورات الجارية هناك . وقد علمنا أن العراقيين ، وربما الاردنيين سيكونون هناك في ذلك الوقت ، وسوف يتصل لوى بسفيركم في انقرة .

وقد ارسلت امس رسالة شخصية إلى بن جوريون اعرب فيها عن الأمل في اننا نستطيع ان نتصرف مفترضين انه لن يتخذ إجراء يربط المسالة السورية بجوانب النزاع العربي الاسرائيلي ، ففي رايي ان هذا شرط لا غنى عنه حتى يمكن الوصول إلى حل بناء تحت رعاية عربية وإسلامية .

كما بعث الرئيس رسالة إلى الملك سعود يعرب فيها عن الأمل في أن يستخدم الملك بوصفه حامى الأماكن الاسلامية المقدسة نفوذه الكبير لمنع تمركز العقيدة الشيوعية الملحدة في أحد المراكز الرئيسية في العالم الاسلامي .

ويسرنى أن أعرف رأيكم في هذا الموقف، وأعتقد أنه من المهم الا تمتنع إسرائيل فقط عن التدخل في التطورات المحتملة في سوريا، بل وأن تمتنع عن ذلك الدول الغربية أيضا. ويكفى أن يعرف جيران سوريا أنهم سيلقون مناكل تأييد معنوى لأى تدبير دفاعى يرون أن عليهم أتخاذه.

المخلص **فو**ستر ،



This supplements my message to Salwyn of yesterday which our Embassy tells me was given to you as Acting Foreign Secretary in Selwyn's

absence.

After reviewing the situation fully with the President we have decided to ask Loy Henderson, who is my principal deputy on administrative matters, to accelerate his proposed visit to some of our Embassies and to put Ankara first on the list. This will enable him in addition to his normal firsthand

لبنان أو دولا عربية أخرى وهو يود أن يعرف ما ستفعله الحكومة الأمريكية إذا تعرضت إسرائيل لهجوم من روسيا عن طريق سوريا .

وقال إن الصحف السوفيتية التى لا تنشر ابدا شيئا بدون غرض كانت بشعة في الهجوم على إسرائيل في الاونة الأخيرة ، واستشهد على ذلك بانباء تقول إن إيلات قد سلمت للولايات المتحدة لتجعل منها قاعدة بحرية على خليج العقبة ، وإن فرنسا وإسرائيل تستعدان للهجوم على سوريا .

كما استشهد بن جوريون في حديثه معى بملاحظة يبدو ان حكومته تتوجس منها بشكل خاص، إذ ان السفير السوفيتي أبراموف قال لعضو المابام حزان اثناء لقاء بينهما ما نصه : « إن المدن الاسرائيلية لم تعرف بعد معنى التعرض للقذف بالقنابل » .

(راجع رسالة إيبان إلى وكيل الوزارة هيرتر في ٢٥ / ٧/ ١٩٥٧)

٢ - وقال بن جوريون : « إن المطلوب هو تحرك امريكي قوى على غرار التحركات التي اوقفت السوفيت عند حدهم ، كما حدث مؤخرا عندما اقترب الاسطول الامريكي السادس من الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط تاييدا للاردن ، والتصريح الامريكي الذي سبق ذلك لتاييد فورموزا » .

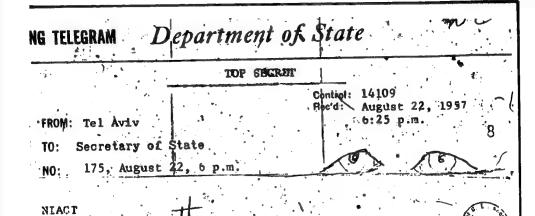
٣ - وقال بلهجة عتاب معتدلة: « إن سوريا تتلقى من روسيا كميات هائلة من الاسلحة تشكل خطرا على إسرائيل اكثر من أى بلد آخر. وبينما تقوم الولايات المتحدة بتزويد لبنان والمملكة السعودية والعراق بالاسلحة ، فإنها ما زالت تمنع الاسلحة عن إسرائيل تنفيذا - فيما يبدو - لقرار الأمم المتحدة الصادر في ٢ نوفمبر (١٩٥٦) - « وإن كان لملذا ، لست ادرى = ؟

وتمضى برقية السفير الأمريكي في إسرائيل بعد ذلك لتصل إلى البند الخامس الذي روى فيه السفير نقلا عن « بن جوريون » قوله « إنه يرحب بوجه خاص بأن يفهم ماذا يعنى بعبارة « حل بناء » . « ثم أضاف السفير إلى مقابلته مع « بن جوريون » إضافة من عنده قال فيها :

«تعليق: ربما كانت الطلاقة التى تكلم بها بن جوريون بعد قراءته للرسالة مباشرة دليلا على انه اعطانى خلاصة مركزة لتفكير الحكومة الاسرائيلية الذى وصلت إليه بعد أيام متوالية من المتابعة المستمرة للأوضاع في جارتها الشمالية. وقد دار حديثنا بلهجة معتدلة وبغير انفعال. ولكنه كان يردد كثيرا عبارة «نحن قلقون ، قلقون للغاية ». وقد قال لى «إننا سنتلقى ردا رسميا على رسالة وزير الخارجية في المستقبل القريب ، عندما تكون الفرصة قد اتيحت له لمناقشة الموضوع مع إيبان الذى كان ينتظر في الغرفة المجاورة عندما غادرت المكتب بعد محادثتنا التى استمرت عشرين دقيقة ».

واتفقنا على اننا سنرد على اسئلة الصحفيين بأن المقابلة تمت بناء على طلبى لنناقش الأمور الجارية ذات الاهتمام المتبادل. فإذا سئلنا عما إذا كانت سوريا بين موضوعات المناقشة ، ساجيب بأن بلدينا يهتمان بطبيعة الحال بالتطورات السوريا .

إمضياء باكستر ، صورة وثيقة تتضمن تقريرا من السفير الأمريكي أن إسرائيل « باكستر » إلى وزير الخارجية الأمريكي « جون فوستر دالاس » بتاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٥٧ وهي تتضمن تفاصيل لقاء بين السفير الأمريكي و « دافيد بن جوريون » رئيس الوزراء الاسرائيلي على سوريا واضح في الوثيقة ، وكذلك رغبتها أن المشاركة في العمليات الموجهة ضد سوريا .



Ben Gurion, whom I saw at his Tel Aviv office within hour receipt reference telegram, said he could gladly give assurances requested, if USG meant that it wished to be assured Israel had no intention of initiating trouble with Syria, and expressed warm gratitude for Secretary's desire to exchange views on Syria. He made following points.

Re DEPTEL 146

«قال لى بن جوريون الذى قابلته فى مكتبه بتل ابيب بعد ساعة من تسلم برقيتكم إنه يستطيع أن يعطى بسرور التاكيدات المطلوبة إذا كانت الحكومة الامريكية تعنى انها تريد تاكيدا بأن إسرائيل لا تعتزم أن تكون البادئة بالمتاعب مع سوريا . وأعرب عن شكره الحار لرغبة الوزير في تبادل الآراء معه بشأن سوريا . وأبدى النقاط التالية :

ا ـ إنه يشاطر الولايات المتحدة القلق من التطورات الجارية [سوريا لانه [رايه يستحيل التمييز بين و سوريا وروسيا ، فإسرائيل هي الهدف النهائي للأسلحة التي تتدفق من الاتحاد السوفيتي على سوريا ، وإن كان من المكن أن يقال نظريا إن هذه الاسلحة تهدد

الوثيقة رقم

صورة ونيقة تتضمن تقريرا من السفير الأمريكي في إسرائيل عن إتصالات قام بها 🛭 وزارة الخارجية الإسرائيلية تتعلق بالازمة 🕽 سوريا .

MING TELEGRAM . Department of State

SPERM

18033

Control: Rec'd:

August 28, 1957

5:33 p.m.

FROM: Tel Aviv

10: Secretary of State

202093 /87

NO: 199, August 28, 8 p.m.

PRIORITY

SENT NIACT BEIRUT 57, DEPARTMENT PRIORITY 199, REPEATED INFOR-MATION AMMAN 29, ANKARA 8, BAGHDAD 18, CAIRO 31, DAMASCUS 25, JIDDA 15, PARIS 24, LONDON 33, MOSCOW 4.

BEIRUT FOR HENDERSON

At Israeli initiative I called at Foreign Ministry today for talk about Syria with Herzog, Comay and Shiloah latter now functioning in newly created position of adviser to Foreign Minister on political and policy planning affairs.

وزارة الخارجية

برقية واردة

رقم المراجعة : ١٨٠٣٣

من : تل أسب

تاريخ التسلم في : ٢٨ اغسطس ١٩٥٧

إلى : وزارة الخارجية

1 : 0 amle

الرقم: ١٩٩ ، ٢٨ اغسطس ، ٨ مساء

ارسلت صورة إلى بيروت ٥٧ ، ، اولوية الوزارة ١٩٩ ، ارسلت للعلم إلى عمان ٢٩ ، انقرة ٨ ، بغداد ١٨ ، أ القاهرة ٣١ ، دمشق ٢٥ ، جدة ١٥ ، باريس ٢٤ ، لندن ٣٣ ، موسكو ٤ .

بيروت ، تسلم لهندرسون

بناء على طلب الجانب الإسرائيلي توجهت اليوم إلى وزارة الخارجية لمناقشة المسائل المتعلقة بسوريا مع هرتزوج ، وكوماى ، وشيلواح الذي يشغل الأن وظيفة انشئت حديثا كمستشار لوزير الخارجية لشؤون التخطيط السياس وتخطيط السياسات .

عندما قلت إنى ارحب بهذه الفرصة للاستماع إلى أرائهم ، ولكن الدراسة الجارية حاليا للموقف من جانب واشنطن لم تسفر عن تصفية الآراء الامريكية بحيث يمكن نقلها إلى حكومة إسرائيل ، ذكروا أن هذا الاعلام السلبى نفسه يزيد من عدم تشجيعهم ، ويضيف إلى تقديرهم غير المتفائل بالنسبة لاحتمالات المستقبل . وهم يرون أن للوقت أهمية خاصة . فكل يوم يتأخر فيه التعبير عن رد فعل قوى وإيجابي من جانب الولايات المتحدة بؤصفها زعيمة للعالم الغربي ، يزيد من الاحتمالات الخطرة بالتفاضي عن خطورة التهديد الذي تعثله سوريا . فإذا لم تكن هناك دلائل على أن ثمة خطوات يجرى بحثها للتحرك من أجل عكس أتجاه الأحداث الحالية ل سوريا ، فقد يؤدى التفكير بالاماني إلى قبول النظرية الخطرة التي تود سوريا والكرملين نشرها ، ومؤداها إن الهزة التي وقعت في سوريا لا تزيد عن أن تكون تغييرا في الحكومة ، تم بالوسائل الدستورية ، واسفر عن اتجاه إلى اليسار ولكنه لم يسفر عن خلق دولة شيوعية ، أو بلد يدور في الفلك السوفيتي على نحو ما كان يخشي في البداية . وقال شيلواح : إن الموقف شبيه بما حدث مع مصر في ١٩٥٥ ، عندما حاول الغرب أن يقلل من اهمية صفقة الأسلحة التشيكية بناء على اعتقاد ، ثبت الآن خطؤه ، بانه ما زال في وسع الغرب أن يتعامل مع عبد الناصر، وأن إتخاذ موقف قوى إزاء الصفقة التشيكية ربما يؤدى إلى الإسراع بدفعه إلى المعسكر السوفيتي . كما تعتقد الحكومة الإسرائيلية أن التصور بأن عبد الناص يشعر بالقلق لاحداث سوريا إنما هو من قبيل طمانة النفس. وهو ربما حاول إعطاء هذا الانطباع للدبلوماسيين الغربيين، لكنه هو بذاته الذي اقنع القوتلي بالعدول عن قراره بالاستقالة .

وق رأى ، خبراء الشؤون العربية ، ق الحكومة الإسرائيلية أن تحوّل سوريا إلى بلد يدور [الفلك السوفيتي اسهل بكثير من تحوّل مصر . ورغم أن عبد الناصر أداة طيعة للسوفيت ، فإنه يصر على أن يعملوا من خلاله ، ولديه سيطرة قوية على جميع العناصر في الحكومة المصرية . أما في سوريا فهنك حركة شيوعية قوية ، وخلاياها على استعداد لتولى جميع الوظائف والعمل في جميع المستويات الحكومية . وإذا لم يعمل شيء لمنع ذلك ، يجب أن نتوقع تطهيرا يجرى خطوة بعد خطوة ، ويسفر عن قيام هنجاريا اخرى لا يكون الغرب قادرا على التحرك ضدها . لكن الحكومة الإسرائيلية ترى انه ما زال هناك بعض الوقت الذي يمكن فيه تقديم المساهدة للعناصر السورية المعارضة للمسار الحالى ، وتشجيعها على عكس الاتجاه ، وأن ذلك إذا تم بسرعة وبتشجيع علنى ، أو سرى من جانب الولايات المتحدة واصدقائها في المنطقة ، يمكن إنجازه بغير نشوب حرب واسعة ، وبغير اللجوء إلى ، استخدام الولايات المتحدة للقوة الغاشمة ».

واكد ممثلو وزارة الخارجية أن إسرائيل أيضا جزء من المنطقة ، وهي كغيرها من بلدان المنطقة تشعر بقلق بالغ لاحتمال وجود « قاعدة سوفيتية » على حدودها . وان هندرسون ارسل في مهمة خاصة ليسمع اراء · بعض جيران سوريا ، ، وقد أجرى بالفعل اتصالاته مع تركيا والعراق والاردن ، ويقال الآن إنه سيسافر إلى بيروت . وربما ينشأ الانطباع قريبا بأن الولايات المتحدة لا تعتبر إسرائيل ، جزءا من المنطقة ، أو من جيران سوريا ۽ .

وعندما قال شيلواح: إن تركيا، والأردن، والعراق لابد قد عرفت من هندرسون شيئا من الأراء المبدئية للوزارة ، أو اتجاه تفكيرها ، وهي أمور غير متاحة لإسرائيل لتساعدها في مناقشتها للموقف ، ذكرت أني اعتقد ان بعثة هندرسون هي بالضبط ، كما جاء في الصحف ، لا تزيد عن كونها بعثة لتقصى الحقائق ، ولابلاغ اراء زعماء المنطقة بصورة مباشرة إلى وزير الخارجية ، لمساعدة الوزارة في تقييم التطورات الجارية [سوريا . ودون أن يسال عما إذا كان في نية هندرسون أن تكون إسرائيل جزءا من جولته ، تطوع بالقول بان الحكومة الإسرائيلية يسعدها ان تستقيله إذا رغب 🕻 الحضور ·

باكستر

صورة وثيقة تتضمن رسالة موجهة من « لوى هندرسون ، المبعوث الخاص « لايزنهاور ، إلى الشرق الأوسط بتاريخ ٢٨ اغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٠٣٧ ، وهي تحتوى على نتيجة مباحثاته مع وزير الخارجية اللبناني الدكتور « شارل ماك ، حول الموقف في سوريا .

2095

FROM: Beirut

IING TELEGRAM Department of State

TOP SECRET

Control: 18037

Rec'd: August 28, 1957

5:43 p.m.

TO: Secretary of State

NO: 563, August 28, 9 p.m. (SECTION ONE OF THREE)

NIACT

FROM HENCERSON

(1) I arrived Beirut 11 a.m. Ambassador Heath met me airport and took me directly Foreign Office meet Foreign Minister Malik then visit Prime Minister Sami Solh for brief meeting thence to President Chamoun for more detailed conversation:

۲۸ اغسطس ۱۹۵۷

٤٣ : ٥ مساء

وزارة الخارجية

سرى جدا ـ من بيروت ـ إلى وزير الخارجية

الرقم : ٥٦٣ (الجزء الأول من ثلاثة)

من هندرسون إلى الوزير:

(۱) وصلت إلى بيروت ۱۱ صباحا . قابلنى السفير هيث في المطار ، واخذنى مباشرة إلى وزارة الخارجية حيث استقبلنا وزير الخارجية مالك ، ثم قمنا بزيارة قصيرة لرئيس الوزراء سامى الصلح ، وبعدها انتقلنا لمقابلة الرئيس شمعون لمحادثته اكثر تفصيلا .

(٢) شرحت لمالك أن من المراض زيارتي للشرق الأوسط أن أناقش سفراءنا ، وأن اتحدث مع اعضاء الحكومات الصديقة في الشرق الأوسط حول المشاكل الناشئة عن التطورات الاخيرة في سوريا . وقد تبادلت الراى في استانبول مع رئيس وزراء تركيا ، ومع الملك حسين ، والملك فيصل ، ووفي عهد العراق وغيره من القادة العراقيين . وأني مستعد الناقش معه أراء حكومتنا ، ولكني أكون شاكرا لو أعطاني قبل ذلك أراءه بشأن التأثير المحتمل للتطورات الجارية في سوريا على لبنان .

(٣) قال مالك وهو يقرأ من مذكرات معدة سلفا ، إن هناك ثماني نقاط يريد أن يبديها بشان الحالة في سوريا .

- (1) الموقف خطير للغاية ، ويتطلب ان تتشاور جميع البلدان العربية والغربية المعنية ، وان تتصرف بطريقة موحدة .
- (ب) إذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للعراق ، والأردن ، وتركيا ، ولبنان ، وإلى حد ما المملكة العربية السعودية ، وجميعها لا توافق على النظام السورى الحاضر ، وإذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للولايات المتحدم ودول الغرب الرئيسية غير قادرة على الوصول إلى حل للمشاكل السورية ، فلابد أن مناك ضعفا مخيفا في العالم الغربي .
- (ج) إن الاقتحام الشيوعي في سوريا هو نمو طبيعي لسنوات من التحضير الشيوعي، وهو جزئيا نتيجة لمبدأ ايزنهاور. وأضاف بين قوسين أن هذا النبات كان سيصل إلى مرحلة الازدهار على أي حال، ولكن مبدأ ايزنهاور عجل بالعملية.
 - (د) إن الرد المناسب على هذا التطور الشيوعي في سوريا حتمي وملح.
- (هـ) إن التعايش بين سوريا « المحايدة » (على الطريقة اليوجوسلافية) والمتجهة إلى الشيوعية ، وبين لبنان المتجه إلى الغرب مستحيل . فاجلا أو عاجلا لابد أن يختفي أحدهما . وينتج من ذلك بالنسبة لنا في لبنان أن حياد سوريا ، أو اتجاهها إلى الشيوعية هو بالنسبة لنا مسالة حياة ، أو موت بكل معنى الكلمة .

ھيث

□ ملاحظة : تم إخطار السيد بورديت (الشرق الأدنى) في ٨,١٠ مساء ، ٢٠/٨/٧٥ . .

صورة وثيقة تتضمن تقريرا عن محادثات « لوى هندرسون ، أل بيروت بتاريخ ٢٩ اغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٣٠٧ ، وهي تحتوى على نتائج محادثاته مع كل من وزير الخارجية اللبناني ، ورئيس الجمهورية في ذلك الوقت

Control 18203.

FROM: Beleat

10: Secretary of State

NO: 551 August 28, 9 p.m.//SECTION 190 OF THREE

NIACT

Same a Little subtraction of smell Westerries and small manual be mailtenant Computer of neutralism or anti-Westerries in a mailtenant Computer of neutralism or anti-Westerries in a mailtenant Computer of neutralism or anti-Westerries in genis is greater than larger of direct agakements. From that

۲۹ اغسطس ۱۹۵۷ ۲:۱۷ ت صیاحا

وهو ، كميل شمعون ، .

سرى جدا - من بيروت - إلى وزير الخارجية الرقم: ٣٣٥ (الجزء الثاني من ثلاثة)

(تكملة المقابلة مع «شارل مالك»)

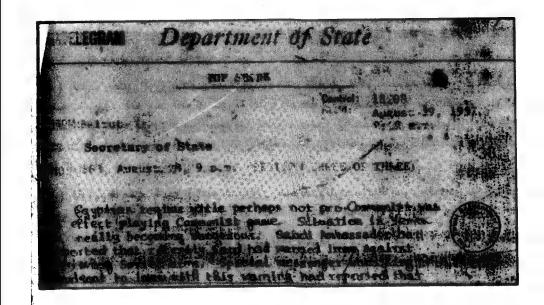
- « (و) إذا اجتاحت لبنان نزعة « الحياد » أو معاداة الغرب أو الشيوعية سيخرج الجميع خاسرين ، فيما عدا الاتحاد السوفيتي .
- (ز) إن الخطر الذي يتعرض له لبنان من الأعمال الهدامة التي تحركها، أو توجهها اتجاهات خبيئة ، شيوعية ، أو حيادية ، أو معادية للغرب في سوريا ، أكبر من خطر عدوان سوري مباشر .

- (ح) إن الاعتبار الوحيد الهام الطيب هو أن الأغلبية الساحقة من الشعب السورى تناو من النظام الحاضر.
- (٤) شكرته ، وقلت إنى واثق من أن الحكومة الأمريكية تتفق معه تماما ، ثم أعطيته تحليلنا للموقف في سوريا ، وأوضحت أنه إذا ظل النظام السورى الحالى في السلطة ، فمن المحتم تقريبا أن تتحول سوريا خلال وقت قصير إلى دولة تدور في فلك السوفيت ، وتستخدم كقلعة شيوعية مدججة بالسلاح في الشرق الأوسط . وأن قرون الاستشعار الممتدة من ذلك البلد التابع ستتغلغل في البلدان المجاورة ، وتضعف مؤسساتها ، وتجذبها أن النهاية إلى الفلك السوفيتي . وعلى ذلك فإن استمرار العملية الجارية الآن في سوريا سيكون معناها خسارة العالم الحر للشرق الأوسط ، وتهديد السلام العالمي . وقال مالك إن حكومته توافق على هذا التحليل موافقة تامة .
- (٥) اعرب رئيس الوزراء الذى قمنا بزيارته بعد ذلك عن القلق الشديد للتطورات الجارية في سوريا ، وقال إنه وقد اقام في سوريا لفترة طويلة لديه اصدقاء سوريون كثيرون ، وانه يستقبل الآن سيلا من الزائرين السوريين الذين يعربون له _ جميعهم تقريبا _ عن الانزعاج للاحداث الجارية في سوريا . وكانت زيارتنا لرئيس الوزراء أقرب إلى زيارة المجاملة ، ولم يذكر فيها شيء له اهمية سياسية .
- (٦) ثم اخذنا مالك لمقابلة الرئيس شمعون . فشرحت للرئيس مرة اخرى الغرض من زيارتي للشرق الأوسط، وطرحت عليه أراءنا ، وقلقنا بشان الوضع في سوريا .
- (V) قال الرئيس ، إنه يوافق تماما على تقديرنا للموقف . وأن ما يجرى الأن في سوريا إنما هو المرحلة الأخيرة مما كان جاريا منذ سنتين . وأنه حذرنا في ١٩٥٥ من أن سوريا تتحول إلى منصة عسكرية وسياسية للسوفيت . ويستطيع المرء أن يقول الآن إنه لم يعد هناك وجود لحكومة سورية ، فالرئيس القوتلي مجرد من السلطة ، والبلد الأن في يد مجموعة من العسكريين ، هم بدورهم تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي . وهذا الوضع مصدر للقلق الشديد ، والسيما في لبنان ، والأردن . وقد تلقى للتو رسالة من الملك حسين يعبر فيها عن الانزعاج للموقف . وقد تحدث بالأمس مع وزير خارجية العراق الذي يرى الموقف خطيرا بالمثل . والسفير السعودى الذي عاد لتوه من الرياض يقول : إن الملك سعود يشعر ايضا بالقلق الشديد . غير أن الرئيس لم يشر إلى جزء من الرسالة التي حملها السفير السعودي معه ، والتي كان مالك قد ذكرها لنا في اثناء محادثتنا السابقة . فوفقا لما قاله مالك ، فإن السفير السعودى ، بعد أن أشار إلى ما أبداه الملك من اشمئزاز من السياسات السورية الحالية ، ذكر مع ذلك أنه من الخطأ أن يحاول جزء من العالم العربي أن يعزل سوريا ومصر . وقال الرئيس شمعون إن الحقيقة أن الملك سعود يخشى إذاعة القاهرة التي إذا هاجمته يمكن بسهولة أن تخلق له المتاعب، بل وريما تشعل ثورة. ونظرا لوجود عدد كبير من الضباط والمعلمين والفنيين المصريين ، فإن لمصر تأثيرا كبيرا على المملكة السعودية . وأكد الرئيس أن المشكلة التي تواجهنا لا تتعلق بسوريا وحدها ، فالحقيقة أن السوفيت يحاولون الاستيلاء على العالم العربي .

میث ،

الوثيقة رقم (٢٤)

صورة وثيقة تتضمن بقية تقرير « لوى هندرسون » عن محادثاته في بيروت بتاريخ ٢٩ اغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٢٠٨ مع الرئيس « كميل شمعون » .



وزارة الخارجية

برقية واردة

رقم المراجعة : ١٨٢٠٨

تاريخ التسلم في : ٢٩ اغسطس ١٩٥٧

۲۲: ۷ صیاحا

الرقم : ٦٦٣ ، ٢٨ اغسطس ، ١ مساء (الجزء الثالث من ثلاثة)

(^) ربما لا يكون النظام المصرى مواليا للشيوعية ولكنه يلعب في الواقع لعبة الشيوعيين . والموقف في اليمن قد أصبح خطرا حقا . وقد ذكر السفير السعودى ان الملك سعود نبه الإمام مؤخرا إلى وصول أسلحة سوفيتية . وأن المبعوث الخاص الذي أرسله الملك سعود إلى الإمام بهذا التحذير ذكر أنه شخصيا رأى ١٠٠ طائرة سوفيتية في

اليمن ، واسلحة لم يتم تفريغها من صناديقها . وذكر الرئيس ان اليمنيين يحتاجون إلى ماثة سنة ليتعلموا قيادة هذه الطائرات . وقد لاحظ مبعوث الملك السعودى وصول عدة مجموعات من الفنيين السوفيت . وحتى إذا كان هذا التقرير عن شحنات الأسلحة السوفيتية مبالغا فيه فإن الوضع يدعو للانزعاج ، خاصة وان الروس لابد انهم يعتزمون إحضار طيارين سوفيت . أو طيارين دربهم السوفيت لقيادة تلك الطائرات .

(٩) إن الأعمال الشيوعية الهدامة الموجهة من سوريا بدات تصبح ملموسة بالفعل في المبنان وان حرس الحدود يعتقلون باستمرار شبانا لبنانيين عائدين من سوريا ، وقد حملهم الضباط السوريون منشورات هدامة وذخائر . وان هذه العملية كانت تجرى منذ عدة شهور ، ولكنها زادت بدرجة كبيرة في الأسابيع الأخيرة . ويبدو الآن أنها أصبحت نشاطا سئلا بعناية . والشبان اللبنانيون المعنيون هم عملاء لسوريا ، ومن الواضح انهم ليسوا من الشيوعيين العاملين . كما أنهم لا يعملون على ابتلاع سوريا للبنان ألى الوقت الحالى ، ولا يطلب منهم السوريون غير الإطاحة بالحكومة اللبنانية الحالية ، وإقامة حكومة أخرى تتبع خطى سوريا في السياسة الخارجية . وعند ذلك تدخل مالك قائلا إنه إذا لم تتخذ خطوات قوية دون إبطاء ، فإن العالم الحر سيفقد لبنان والشرق الأوسط ، كما فقد الصين من قبل .

(١٠) قال الرئيس شمعون إن الكارثة ستقع إذا لم يوضع حد للتطورات الجارية في سوريا . فإما « ان نصبح اقوى ، وسوريا اضعف ، أو أن ننهار » . ثم أعرب كل من الرئيس ومالك عن الأمل في الا يكون معنى البيان الصحفى الذى ادلى به الرئيس في ٢١ اغسطس بشان سوريا ، أن تعتق الولايات المتحدة أن بلدان الشرق الأوسط يمكن أن تتعايش مع سوريا ذات الاتجاه الشيوعى . واكدت لهما أنه لا يمكن استخلاص شيء كهذا من بيان الرئيس .

(۱۱) وقلت إنه من الواضح ان حكومتينا تتفقان تماما على ان استمرار وجود النظام الحالى في سوريا يشكل خطرا على الشرق الأوسط، وعلى السلام العالمي . وسالت عما إذا كانت لديه اقتراحات لوقف الاتجاهات الحالية في سوريا ، وقلت إنى لا اتوقع منه ان يقدم اقتراحات محددة

محادثتنا الأولية ، واننا يمكن ان نناقش الأمر في مقابلة ثانية . وسالت عما إذا كانت لديه تعليقات يريد ان يبديها في الوقت الحالي .

(١٢) قال الرئيس إنه يود ان يناقش معنا هذا الأمر فيما بعد.

ھيث ۽

A £ 7

من: بيروت

إلى : وزير الخارجية

444

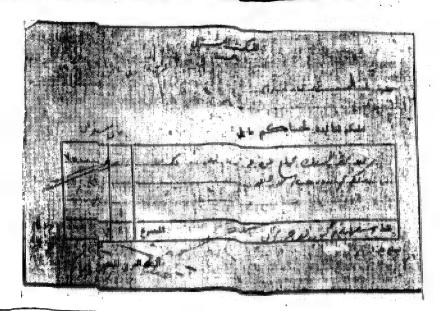


PAY TO DESCRIPTION Jearer.

Rivad, 26th Pebruary 1958

HESUM OF IND Masdami Thomasani Pounds Sterling Only. Paid Land Bank Ltd., Oversees Spanots Cor and BANK LIMITED. 122,014 Broad Street,

Amount & 200,000 -





Nº A \$5902/52.

Riyad, 20th Cebruary, 19 58. Saudi Arabi...

PAY TO REPRESENT BORREST TO

THE BUR OF One Million Pounds Sterling Only ARAB BANK LIMITED

Midland Book Ltd., Overseas Stranci, 122, Old Broad Street, London, Z. C. 2.

Show ne 22,000,000/-/--

صور من مجموعة الشيكات التي تلقاها « عبد الحميد السراج » من الملك « سعود » وهي عبارة عن ثلاثة شيكات ، أولها بمبلغ مليون جنيه استرليني ، والثاني بمبلغ ٧٠٠ الف جنيه استرليني، والثالث بمبلغ ٢٠٠ الف جنيه استرليني ، وكلها مسحوبة لامر حامله _وكذلك صور لإشعارات الإيداع 🕻 البنك العربى المحدود في جنيف ، وهي صادرة باسم السيد ، ع . س . » (والمقصود بالطبع « عبد الحميد السراج ») .

ARAB BANK	700000%
Frub B	ank Limited
Nº A 85903/50	Riyed, 26th Tehrisip 19.58
THE SUM OF SEVEN BURGES Phouse	and Pounds Sterling Only
122,014 Fred street, London, E.S.	Branen
Surrent 2.100.000/-	J-Man 21
M. d.	
Market and the contract of the	A STANDARD OF THE STANDARD OF
البكالبستة بي المستان	THE THE PARTY OF T
Colores Colores	A STATE OF THE STA
يم انابدا لحسابكم ما يا رمم بي	1
- Usio/com/	are to the same of
	THE PROPERTY OF THE PROPERTY O
والدوكون وكسور والملطان والا المسلم	منظ سلم
My pull class to	

وضع يمكنها من ممارسة ضغط على الولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية ، وهذا الاحتمال يمكن ان يتحول إلى سلاح مخيف في يد الرئيس ناصر.

..... **-** ٣

٤ - وفي الظروف الحالية ، فإن متابعة الأسلوب السابق تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، لن يؤدى . إلا إلى مضاعفة سخط العرب ، ودفعهم إلى أحضان السوفيت ، وهذا يتطلب بعض التغييرات [اسلوب متابعة سياستنا ، ومن هنا تجيء مسالة « تخفيف » علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولا يتضمن الأمر إعادة تقدير أساسي لسياستنا، وإنما هناك تحول تاكتيكي مؤقت تفرضه الضرورة ، وعليه فإن الإفراج عن ارصدة مصر من الدولارات المجمدة في الولايات المتحدة ، وتخفيف بعض القيود المفروضة على التجارة ، وبعض الخطوات الأخرى ، تجرى دراسته في الوقت الحاضر .

وإذا نجحنا في أن نقنع ناصر أن الولايات المتحدة ، قد وطدت نفسها على حكمه ، وانها الأن على استعداد للاستجابة لبعض شروطه ، فإن النتيجة الحتمية لذلك ستكون فتورا في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والكتلة السوفيتية.

وإن احتمال نجاح تطور على هذا النحو موجود ويستدل عليه من تصريحات صادرة عن مصر -بينها تصريحات من ناصر نفسه _ بما معناه أن الصلات القريبة بين مصر وروسيا قد استمدت جذورها من رفض الغرب أن يتفاوض مع مصر على أساس الشروط المصرية ، وهكذا فإن تحسنا ل العلاقات بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة ، يمكن أن يؤدى - على المدى البعيد -إلى إثارة الشكوك في الكرملين ، ثم إلى إضعاف العلاقات العربية السوفيتية ، إن لم يؤد إلى قطعها تماما .

ه - يتحتم أن تظل جهودنا متجهة إلى مهاجمة فكرة الوحدة بين مصر وسوريا ، ولا يجب أن تتولف جهودنا لإيجاد فاصل بين البلدين، وينبغى أن يظل ذلك من أبرز أسس سياستنا في المنطقة.

وهناك قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته ، كما أن هناك قوى خارجية يمكنها ل أي لحظة ملائمة أن تتدخل ، وينبغى تدعيم هذه القوى من غير كلل ، وينبغى أن نذكر دائما أن أي تفسخ ل الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر ، وإنما سوف يجعل من السهل أيضًا محاربة القومية العربية، في أي شكل تتخذه في الشرق الأوسط.

٦ - ولسوف تكلل جهودنا بالنجاح اكثر إذا أمكن عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقي العالم العربى ، وبالنسبة لهذه المهمة ، فإن ممثل الولايات المتحدة ، سواء في الاقسام الدبلوماسية او في اقسام الاستعلامات والدعاية في العالم العربي ، عليهم أن ينشروا الاعتقاد العام بأن الجمهورية العربية المتحدة تشكل خطرا مباشرا على كل الحكومات العربية .

وفي البلاد الملكية علينا ان نشرح بقوة أن تدعيم الجمهورية العربية المتحدة قد يؤدى إلى سقوط حكم جميع البيوت الحاكمة ، كما أنه [الجمهوريات يمكن بث الخوف من ابتلاع القاهرة لهذه الجمهوريات .

وفي النهاية ، ينبغى انتهاز كل فرصة لتقوية الاتحاد العراقي الاردني الذي سوف يستمر في الحصول على تاييد الولايات المتحدة ضد الاتحاد السورى المصرى .

٧ - إن هذا المنشور يقدم تصويرا عاما لبعثات الولايات المتحدة الدبلوماسية [الشرق الأوسط، وتتلقى كل بعثة منها بالذات تعليمات مفصلة تناسب مكانها .

توقيع



صورة وثيقة تتضمن توجيها لرؤساء البعثات الدبلوماسية 1 الشرق الاوسط وحدهم ، ومؤدى ما تحتويه أن سياسة الولايات المتحدة ل المنطقة لم تتغير سواء بالنسبة لعزل مصر أو لكسر الوحدة بينها وبين سوريا ، وأن أي تغييرات ظاهرة في السياسة الامريكية هي نوع من التكتيك لا يؤثر على الاستراتيجية .

ING TELEGRAM

AMERICAN EMBASSY, BAOHDAD

CORPIDSETIAL SECURITY INFORMATION

(S) MAYEN.

CONTROL 2279 RECD: April 18, 1958

ROKE

WASHINGTON

BAGHDAD, CIRCULAR 11 April 17, 5 30 FM

ACTION: This circular letter is being sent by the State Department IT all U.S. diplomatic representatives in the Middle East on the subject of the United States' policy in regard to the United Arab Republic.

The State Department reaffirms that the bacic objectives of the U.S. policy in relation to the U.A.H. remain unchanged. It atresses mass that expansion of Egypt's sphere of influence is counter to the Joint Recolution of the Congress on the Piddle Eset, strengthens Arab untionalism, encourages anti-seetern and particularly anti-American tendercies in the Fiddle East and Africa, undermines the Bughdad fact, an injortant line in the ttrategic network of the free world, and impairs the position of lernel the interests of which the U.S. can in no any lenere.

2. The fact that notual control over the trunsportation of Piddle fart oil to Europe both through the Suez Canal and via all the pitelines to the Pediterranean is now concentrated in Cairo seriously endangers Aperican interests in this area. The U.L.d. is now in a position to exert pressure upon the U.Z. and other seaturn posers. This possibility can become a fermidable weapon is, the thids of President Harser if he happens to fail tuc. on the Soviet bloc in the future.

«سرى للغاية (١٧) توجيه رقم : ۲۲۷۹

تسجيل: ۱۸ ابريل ۱۹۵۸

خاص ولعلم رؤساء البعثات الامريكية في الشرق الاوسط وحدهم سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة

١ - إن وزارة الخارجية تؤكد ان الاهداف الاساسية لسياسة الولايات المتحدة في علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة، باقية من غير تغيير.

إنها تؤكد من جديد أن أزدياد نفوذ مصر يتعارض مع القرار المشترك للكونجرس عن الشرق الأوسط. ويؤدى إلى تقوية القومية العربية ويشجع الاتجاهات المضادة للغرب، وبالتحديد الاتجاهات المضادة لأمريكا ، في الشرق الأوسط وفي افريقيا ، ثم هو يؤثر على هيبة حلف بغداد ، الذي يعتبر حلقة هامة في شبكة الدفاع عن العالم الحر، ويمس بالضرر موقف إسرائيل ومصالحها، الامر الذى لا تستطيع الولايات المتحدة أن تتجاهله.

٢ - إن وجود السيطرة على مواصلات نقل بترول الشرق الأوسط إلى اوروبا ، سواء عن طريق 🕶 السويس ، أو عن طريق انابيب البترول المتجهة إلى البحر الابيض - تحت السيطرة الفعلية للقاهرة ، يعرض المسالح الامريكية في المنطقة لخطر اكيد ، فإن ذلك يجعل الجمهورية العربية المتحدة الآن في

صورة وثيقة بخط يد الرئيس « جمال عبد الناصر » تتضمن نص البيان الذي كتبه في بريونى لكى يذاع معلنا تاييد الجمهورية العربية المتحدة لثورة العراق . وقد كتبه الرئيس على أوراق ديوان رئاسة الجمهورية ، وكتب ل اعلاه عبارة « برقية مفتوحة اش ا » (اى وكالة انباء الشرق الاوسط) .

Brus cine and

My wed of will me ب الناء النواء الذكه للنام i fingle 'si de النصف المناس 2, 9, 21 J. W lang -lein per " Cin مر الما ما داد درم المال المنافع المالية

من ثما المنائية الى من

ور المناسبة المناسبة المناسبة

- and die de i-cul rich en duc ن ما ما ما ما ما م 1 Leb 1 Comp of mind ely with to My many the many that the same of the same الحصورية المن بقير سابق النبي المناه ما in plila il in a classing and De l'alle sons l'a che sh is the my house, back

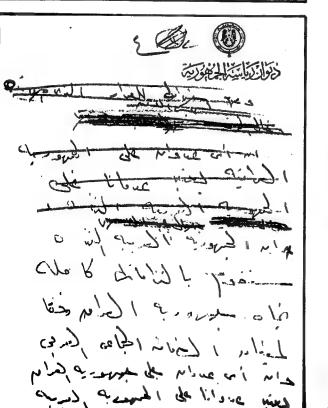
أعلن البرئيس حمال عبد الناصر ان احتلال القوات الأمريكية للبنان يشكل خطرا على السلام في الشرق الأوسط ويعتبر تهديدا للدول العربية التي رفضت أن تخضع للاستعمار وصممت على أن تتبع سياسة مستقلة .

وقال الرئيس انه من الواضح أن الحكومة الأمريكية اتخذت من الثورة الداخلية اللبنانية التي مضي على بقائها سبعة اسابيع ذريعة تحقق عن طريقها غرضها في احتلال لبنان وتهديد الدول العربية المستقلة وبعد إعلان تقرير مراقبي الأمم المتحدة عن ثورة لبنان واقرارهم أنها ثورة داخلية واعلانهم عن عدم وجود ای دلیل علی تدخل من الجمهورية العربية المتحدة فان احتلال امريكا للأراضي اللبنانية (يفضيح النوايا الامريكية تجاه الشعوب العربية المستقلة ومصاولاتها لاخضباعها والسيطرة عليها).

إن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقا لميثاق الضمان الجماعي العربي وأن أي عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة .

والتعاليم المناه والمناه ide I wish lack للزام اللبانه (بنفر 164 1600 %

المستعوب العما بسقاله ما الله منها ملى ولا ماده phis we see (dk 1 Lies this 2 m ceil 1 Colo le best tille Marking the starte grafie .. I mand in product of the first Town I for I for O.



تقریر خاص ۱۹۵۸ه ۲ اغسطس ۱۹۵۸

تقرير خاص شامل من المخابرات العدد ٥٨٣٣٠

القومية العربية بوصفها من العوامل المؤثرة في الوضع ل

تقرير أعده مدير المخابرات المركزية

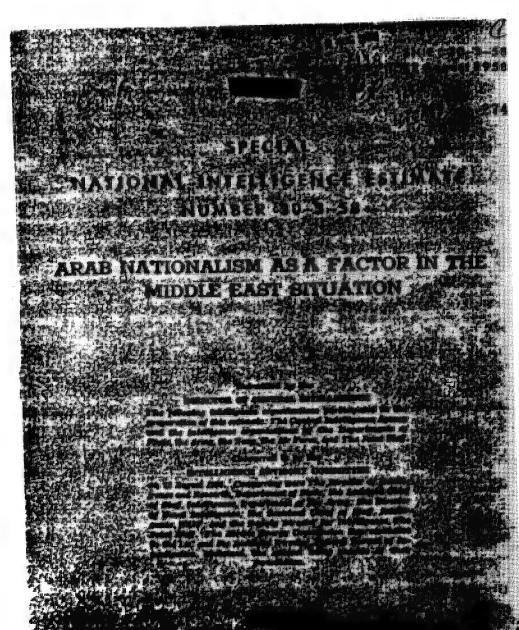
القومية العربية بوصفها عاملا مؤثرا في الوضع في الشرق الأوسط

المشكلة

تقدير الوضع الحالى للقومية العربية باعتبارها عاملا مؤثرا في الوضع أن الشرق الأوسط.



صورة وثيقة تقدير موقف أعدته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحت عنوان « القومية العربية كعامل مؤثر في الموقف في الشرق الأوسط » ، والتقرير برقم ٥٨٣٠٠ .



المناقشية

أولا: الوضع الحالى (الفقرة بكاملها محذوفة)

٢ - اوجد تدخل الولايات المتحدة والملكة المتحدة في لبنان والاردن قدرا من الاستقرار المؤقت في هذين البلدين، وربما ساعد في ردع عبد الناصر وانصاره عن تشجيع حدوث انتفاضات ثورية فورية في اماكن أخرى من المنطقة خوفا من الاصطدام بقوات الدول الغربية. غير أن النتيجة النهائية لثورة العراق وغيرها من الاحداث التي وقعت في الاوتة الاخيرة هي تعزيز مركز الراديكاليين من دعاة الوحدة العربية.

٣ - وفوق ذلك ، فإن التعارض طويل الأمد والمستمر بين النظم الوطنية الراديكالية والنظم المحافظة التى يؤيدها الغرب ، فتح الطريق أمام الاتحاد السوفيتي للحصول على نفوذ له يتزايد باضطراد في المنطقة بمساندته للنظم الراديكالية .

ثانيا: القومية العربية - اغراضها واهدافها:

٤ - القومية العربية حركة طال عليها الأمد ، لها جاذبية عاطفية هائلة ، ترمى إلى بعث الشعوب العربية واستعادة سيادتها ووحدتها وقوتها ومكانتها . وقد شجع عليها منذ الحرب العالمية الثانية اتجاه شعوب المناطق المتخلفة في انحاء العالم إلى مناهضة « الاستعمار » والمطالبة بحق تقرير المصير. وقد اعلن كل من الوطنيين المحافظين القدامي، وانصار الحركة الراديكالية الجديدة بقيادة عبد الناصر هدف التخلص من النفوذ « الاستعماري » الغربي ، واتفقوا على العداء لإسرائيل . إلا أن المحافظين قبلوا عادة المساعدة من الدول الغربية ، وتعاونوا مع الغرب بالرغم من كابوس ارتباط الغرب بإسرائيل . ويرجع ذلك جزئيا. إلى أن مصالحهم التجارية أو الثقافية تقع مع الغرب، وجزئيا إلى أنهم يحتاجون مساندة الغرب للبقاء في السلطة . اما الوطنيون الراديكاليون فكانوا اقل ثقة بالغرب ، واكثر تصميما على إزالة القيود الغربية الباقية في الحياة السياسية والاقتصادية العربية. وكانوا اكثر جدية في العمل لتحقيق هدف الوحدة العربية (وعدم الاكتفاء بالإشادة به). وفوق ذلك أضاف الوطنيون الراديكاليون إلى المبادىء القديمة للقومية العربية نظرية في الثورة الاجتماعية والإصلاح ، وبذلك تعارضت دعوتهم مع الطبقات العليا التقليدية ومع النظم الاجتماعية والاقتصادية في العالم العربي التي تستند إليها سلطة المحافظين. واخيرا، فإن الوطنيين الراديكاليين على خلاف المحافظين ، سعوا للحصول _ وحصلوا _ على تاييد الكتلة السوفيتية في صراعهم مع الدول الغربية، ومع النظم العربية المؤيدة للغرب.

٥ – وكانت القومية العربية ترتبط دائما بالولاء « للأمة » العربية في مجموعها ، لا إلى واحدة أو اخرى من الدول العربية القائمة ، والتي كان كيانها مصطنعا في كثير من الحالات . ولكن من الناحية العملية كانت قوة القادة المحافظين تقف عقبة في سبيل هدف الوحدة العربية الذي رفعته الحركة الوطنية ، وكان هذا الهدف ينطمس وراء اختلاف الأوضاع الاقتصادية والجغرافية والثقافية في العالم العربي ، وكذلك وراء المصادمات بين الدول والقادة المتنافسين . وقد ابعدت الخلافات السياسية والثقافية مصر عن منطقة الهلال

الخصيب التي تقع إلى شمالها . حيث ترفض المنطقة إدعاء مصر بزعامة العالم العربي ، كما ان الثقافة الاسلامية المحافظة في شبه الجزيرة العربية لم تجد ما يربطها بثقافة الدول العلمانية الاكثر تقدما على ساحل البحر المتوسط . غير أن حيوية الحركة الوطنية الراديكالية ، وضعف المحافظين في وجهها أديا خلال العامين الماضيين إلى الحد من أهمية هذه العوائق . وقد تزامنت هذه النهضة مع ظهور جمال عبد الناصر كرمز وقائد لها ، وهي تعتمد عليه إلى حد كبير ، واسهم التأييد السوفيتي بدور ملموس في رفع مكانة عبد الناصر وزيادة إمكانياته . وقد اتخذت تحت رعايته خطوات نحو الوحدة العربية كانت تبدو أل حكم المستحيل منذ عامين اثنين .

٦ - وهكذا ثبت أن لفكرة الوحدة قوة هائلة وجاذبية شديدة في كافة أنحاء العالم العربي تقريبا ، وأن لها قوة دفع لا ينتظر أن تفقدها في المستقبل القريب . إلا أننا لا نعتقد أن توحيد الدول العربية ودمجها في إمبراطورية مركزية موحدة ممكن في المستقبل المنظور . فهنك والمنطقة ظروف وأوضاع سوف تتحرك ضد النجاح النهائي لاقامة دولة عربية مركزية ، وذلك بمجرد تحقيق الهدف الأساسي للتضامن العربي ، الا وهو التخلص من السيطرة الاجنبية . فعلى رغم وجود بعض أوجه التشابه الاثني والديني ، هناك مصالح عديدة - وطنية وثقافية وتجارية واقتصادية -يمكن أن تكون عوامل تفرقة في أي دولة عربية موحدة ، بل وفي أي نوع من الاتحاد الفيدرالي . فسوريا والعراق مثلا بينهما في الجوانب التجارية والاقتصادية وغيرها من المصالح رابطة أقوى مما بين أي منهما ومصر وصلات التقارب الطبيعية يمكن أن تعمل بمرور الوقت ضد قبول التفوق المصرى ، أو تعمل على إحياء الخوف من « الاستعمار » المصرى . وربما لا يقبل كثير من صانعي الثورة العراقية أن تكون القاهرة هي المصدر النهائي والوحيد للسلطة في شؤون العراق ، وقد يحدث نزاع بينهم وبين الناصريين . وفوق ذلك ، فحتي إذا قبلت بعض البلدان الغنية بالبترول أن تتقاسم أرباحها مع البلدان العربية الأخرى ، فمن المؤكد أن ينشا تعارض المصالح حول هذه القضية .

٧ ـ غير اننا نعتقد ان العوامل المختلفة المؤدية إلى التفرقة في المنطقة سوف تختفي لبعض الوقت نتيجة للجاذبية العاطفية القوية لحركة الوحدة العربية ، وخاصة إذا استعر وجود بعض اجزاء من العالم العربي تحت سيطرة الدول الغربية أو نفوذها . وفوق ذلك ، فإن وجود إسرائيل سيستمر في إحداث تأثير توحيدى قوى بين العرب .

٨ - دور عبد الناصر: واكتسب عبد الناصر مكانته كبطل وطنى عربى شعبى نتيجة لسلسلة من الأحداث أحرز فيها ، أو بدا على الأقل أنه أحرز فيها انتصارات للقومية العربية ضد معارضيها ، مثل نجاحه في الحصول على اسلحة سوفيتية ، وتأميمه لشركة النال السويس ، واستعادته مكانته بعد الهجوم الاسرائيلي البريطاني الفرنسي في أو أخر ١٩٥٦ ، والوحدة مع سوريا . كما أنه عزز نفوذه في المنطقة عن طريق استخدامه البارع والقلسي للأعمال الهدامة والدعاية . وهذه هي الأسلحة الطبيعية لحركة ثورية ، ومن المستبعد أن يتخلى عن استخدامها - بغض النظر عن حالة علاقاته مع الغرب -ما دامت أهدافه الثورية لم تتحقق . وهو يرى - ومعه أغلبية أنصاره - أن معظم الحدود الوطنية في المنطقة ، وجميع الحكومات المحافظة ، كيانات مصطنعة خلقتها قوى خارجية ، وبالتالي فإنهم لا يقتنعون الحكومات المحافظة ، كيانات مصطنعة خلقتها قوى خارجية ، وبالتالي فإنهم لا يقتنعون

ما هو قائدها . بل إن خليفته يمكن أن يكون أقل قدرة منه على كبح جماح الوطنيين العرب ، وأقل حذرا في علاقاته مع الكتلة السوفيتية .

1 - اهداف عبد الناص : نعتقد ان موقف عبد الناصر واهدافه هي ل جوهرها كما اعلنها بنفسه . فهو يعتزم القضاء على جميع بقايا المواقع الاجنبية الخاصة ، ووضع موارد العالم العربي بالكامل تحت تصرف القوى الوطنية العربية ، وهو يهدف إلى توحيد العالم العربي قاطبة وراء سياسة خارجية مشتركة وبرنامج مشترك للتحديث والتنمية والإصلاح . ونعتقد أن عبد الناصر ، في سعيه لتحقيق هذه الأهداف ، سيستمر في استخدام وسائل الدعاية والنشاط الهدام ومساعدة القوى المحلية للقومية العربية . ولا نعتقد أن لدى عبد الناصر برنامجا محددا ، ولا خطة مفصلة للدولة العربية الموحدة التي يعمل لاقامتها . ونعتقد أنه سيكون راغبا في تجنب الصدام المباشر مع القوى العربية أو التركية والاسرائيلية ، وربما يكون على استعداد لقبول درجة كبيرة من الاستقلال الذاتي المحلى تتمتع به الدول التي قد ترتبط بالجمهورية العربية المتحدة أو الدول العربية المتحدة .

۱۲ و وهداف القومية العربية الراديكالية لا تتعارض دائما مع المصالح الامريكية . وهكذا ، فإن الهدفين العربيين المتمثلين في صون الاستقلال ، واستخدام ارباح البترول العربي ، يتفقان مع اثنتين من المصالح الاساسية للولايات المتحدة ، وهما عدم خضوع المنطقة للسيطرة السوفيتية ، واستمرار الغرب في الحصول على بترول الشرق الاوسط . إلا ان هناك مصالح اخرى للولايات المتحدة ، مثل المحافظة على إسرائيل ، يبدو الا سبيل إلى التوفيق بينها وبين اهداف الحركة القومية العربية . وينطبق نفس القول على المحافظة على سيطرة الغرب على بترول المنطقة (وذلك غير القدرة على الحصول على البترول) والقدرة على استخدام القواعد العسكرية . وفوق ذلك فإن طموح عبد الناصر لا يقتصر على العالم العربي . فهو يعتزم القضاء على السيطرة الاوروبية على اجزاء من افريقيا وإدخالها في كتلته المحايدة . والارجح ان يكون هناك صدام مستمر في المصالح بسبب تأثير النفوذ الثورى لعبد الناصر في مناطق آخرى من العالم الإسلامي : السودان وليبيا وشمال افريقيا ، واجزاء لخرى من افريقيا وإيران . ولعله يضع في المدى الاطول خططا لإقامة مركز مستقل للقوى ، يتخذ قاعدته في مصر ، ويرتفع به إلى موقع قيادة كتلة افرو أسيوية .

١٣ - ونحن لا نعتقد ان عبد الناصر شيوعي او متعاطف مع العقيدة الشيوعية . وهو يعارض الشيوعيين العرب لانهم يمثلون تحديا لسلطته . وهو يرى ان الاتحاد السوفيتي دولة كبرى لها مصالح وسياسات في الشرق الأوسط تصادف انها تتفق ل هذه المرحلة مع مصالحه وسياساته . وهو سيستمر في التطلع إلى الاتحاد السوفيتي في طلب المساعدة ، ويستجيب للمراعم السوفيتية المناهضة للغرب . وفي اعتقادنا انه ما زال يامل ل حماية الوحدة العربية التي يسعى لاقامتها عن طريق موازنة النفوذ السوفيتي ، والنفوذ الغربي في المنطقة العربية ، بالرغم من احداث السنوات الثلاث الأخيرة التي عمقت - بغير شك - ريبة عبد الناصر تجاه الغرب ، وربما انقصت عدم اطمئنانه إلى السوهيت .

11. Nasser's Objectives. We believe that Nasser's position and his objectives are essentially as he has stated them. He intends to eliminate all vestiges of special foreign positions and to bring the resources of the Arab world completely under Arab nationalist control. He aims at uniting the entire Arab world with ■ common foreign policy and ■ common program of modernization, development, and reform. We believe that Nasser, in pursuit of these objectives, will continue to use the instruments of propaganda, subversion, and assistance to local forces of Arab nationalism. We do not believe that Nasser has a precise schedule or a detailed blueprint for the unified Arab state toward which he is working. We believe that he will wish to avoid direct conflict with Western, Turkish, or Israeli forces and will probably be prepared to accept a considerable degree of local autonomy in states which may affiliate with the UAR and UAS.

بالحجج الداعية إلى الإبقاء عليها . وفوق ذلك فإن عبد الناصر مقتنع بان الغرب ، ولا سيما الولايات المتحدة ، يقوم بنشاط هدام ودعايات واسعة ضده في المنطقة العربية .

٩ - ومع ذلك ، ورغم قوة عبد الناصر ومكانته ، فإن سيطرته على حركة الوحدة العربية الراديكالية - خارج مصر على الأقل وبدرجة ادنى في سوريا - ليست سيطرة مطلقة . وفيما يتعلق بالشؤون الداخلية لكل دولة على حدة في المنطقة ، فإن سلطته ليست كاملة ، وهناك مجال واسع للخروج على إرادته . وفي اعتقادنا ان نفوذه يعتمد على الجاذبية العاطفية لبرنامجه ، وعلى شخصيته ، وعلى كفاءة دعايته ، اكثر مما يعتمد على اى تنظيم ياتمر بامره ، سواء كان سريا ام علنيا .

١٠ - ومع ذلك، فإننا نعتقد أنه من الضرورى في كافة الأمور العملية تصور عبد الناصر والجماهير الوطنية العربية كوحدة لا تنفصم. فقد توحد بوضوح مع اعظم انتصارات القومية العربية بحيث لا ينتظر أن ينافسه أحد إلا إذا تعرض لسلسلة من الهزائم. وليس هناك ما يدل على وجود جماعة لها أهميتها معادية لعبد الناصر داخل حركة الوحدة العربية. وفوق ذلك، فحتى في حالة أختفاء عبد الناصر، من المستبعد أن تتسم الحركة الوطنية العربية بسمات مختلفة جوهريا، لأن عبد الناصر ربما كان أداة للحركة بقدر

الوثيقة رقم (٢٩)

صورة خطاب إلى الرئيس = جمال عبد الناصر » بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥٨ بتوقيع اللواء = فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبناني ، والذي انتخب بعد الازمة رئيسا لجمهورية لبنان ، وقد كانت تلك اول رسالة يكتبها الرئيس الجديد ، وقد كتبها على الاوراق الرسمية لقائد الجيش .

> الجمهورية اللبنانية وزارة الدفاع الوطني قائد الجبش ادكان الحرب (الفرفة)

> > eve.

سيسادة الاخ الرئيسيس

من دواي اغتباطي الشديد أن تكون أول رسالة اكتبها بعد وقوع اختيار مواطني اللبنانيين على شخصي للقيام بمهام رئاسة الجمهورية ، هي التي أوجهها ألى سياد تكم .

واذا كنت أرى هذه الفاتحة وليدة الامر الطبيعي اكثر مما هي وليدة الصدفة ، فانني لا بُعد فيها رمزا عفويا لما ارجوه من عهد جديد بين الجمهورية العربية المتحسدة الشقيقة ولبنان .

لقد قامت الجمهورية الشقيقة بخطوات ايجابسية للمعاونة على تصفية الجوبينها وبين لبنان ، واني وكل من احكم ان يطلع على الوقائع كما اطلعت لنعرف في هذه الخطسوات رضتكم وتدخلكم الشخسصي ونسجل فيه فضلكم الكييسسسسر .

ويسعدني انكم تعرفون ما عندى من رفية مماثلة . وتقدرون انتي سأبذل اقصى الجهد لا زالة التوتر الذى اصاب علاقات بلغينا الاخوية ، واعادتها الى أصغى مما كانست عليه في سابق العهد وامتن ، تحقيقا لخيرهما جميعا ، ولسلامة وحدة الصف العربي كلسمه وتراصله .

ان تلك الخطوات الاخيرة من قبل الجمهورية الشقيقة ، تشجعني على البحــــث منذ الان ، أى قبل تسلي رسميا مقاليــد الرئاسة ، في خطوات ايجابية اخرى من جانبهــا تساعد كثيرا على دخول بلدينا دون ابطا ، في عهد من التعاون العملي البني على الاخلاص والصراحــــة .

• • • / • • •

الجمهورية اللبنانية وزارة الدفاع الوطني فائد الجيش اركان الحرب (الغرفة)

. 7 -

ولقد عهدت الى الصديق العزيز السيد على بزى ان يعرضها لسيادتكم ، وهو محل ثقتنا وتقد برنا الشخصسية وثقة وتقدير جميع من عرفوا تجرده ومزاياه الكثيرة ، ووطنيته الصادقسة التي دفعته دائما للسمي من اجل قيام اوثق التعاون والتصافي بين لبنان وكل بلد عربي بنوع عام ، وبيند وبين وبين الجمهورية العربية المتحدة بنوع خاص ،

واني وانا اعرب عن ألمي ، يل ثقتي ان يلقى لدى سياد تكم ما يكلل سعيه بالنجاح ، ارجو ان تتفضلوا يا سيادة الرئيس بقبول اصدق عواطفي الاخوية متمنيا لشخصكم الكريم التوفيسق والسوادد، ، / .

أهلا فراد سل

صورة لمسودة خطاب من الرئيس « جمال عبد الناصر » وبخط يده إلى الزعيم السوفيتي " نيكيتا خروشوف » وهو يتضمن ردا من الرئيس على رسالة من « خروشوف ، حملها المشير ، عبد الحكيم عامر » .

إسسكرالله الزمز الزحية

cising in his air air تنب رساتم الديه الاعل me i si de de la me plate mint تكرم منا شكره و رفعات و معنفا للم و ركناه الألا طبله عاد مدا الأنه بالان عاد مالم لما فقالم على على اعظاء متحم لمنف النوال Li all TEl qui de mi aux d'ell ell الهالد نار المحيدة في المساسم المساسم المالية هذا المل سم عليه الا على الله الماء الاناد لمدين دا نا للحيد المديد الله سوار ن کا مزاس ایل الد این کا در درالمام المد في فيودا علت النبه الدينادي . دلا شك مدا س نه لا العر والاعتباء ماد با ، ه وسم ولا يسفيا على والمناحنط ويشد وطو 一年 1216に بعد الانتقام له في عنه هنا ما بد ازام light we can is dendered, - till pe

to he bailed ولا سنه الد أن معد الله عكمه لد مانكم divil i maner d'in de la coll ! عادة الما الما الما الما الله الما الله الكام il and report as her is ain d.

1907 age iedt git aut -lein dit

عزيزى الرئيس نيكيتا خروشوف

لمساندة الاتج

السوفييتي دالا

للجمهورية العسرو

المتحدة سواء 🚺 كفلا

من اجل الاستقلال

العدوان اوفي مجهور

التنمية الاقتصادي

ولا شك أن مساندة ال

السوفييتي لنا في 🕊

الماضي من اجل العمل

تنفيذ مشروع الش

سنوات الأول للتمو

كان له أكبر الأثر ل تحا

هدفنا من أجل إزالة جم

تلقيت رسالتكم الأ التي حملها الم عبد الحكيم عا ولايسعنى إلاان لكم عن مزيد شكا وتقديسرى لاحتفنا بالمشير عامر واهتم ببحث الأمور التي كا ج . ع . م وكان لموافق على إعطاء قرض لتع مشروع السد العالى معا کبیر عند شعب ج . ح الذي ينظر إلى الات السوفياتي نظرة المس للصديق، وإن هذا الم من جانبكم إنما جاء تاك

کما اننی اقدر کل التقدير استعدادكم لتقديم المساعدة الفنية لتنفيذ المرحلة الأولى لمشروع خزان السد العالى . ونحن 🚺 انتظار انتهاء دراستكم حتى نصل إلى الاتفاق المطلوب في هذا الخصوص . وكذلك البما يختص بانشاء المصنع الكيماوي للألياف

وانى انتهز الفرصة لاعبر عن تقديرنا الكامل

الإنار التي نتجت عن استعمال بلادنا هذا الاستعمار الذي انتهى إلى غبر رجعة سنة ١٩٥٦.

ولا يسعني إلا أن أكرر المكرى لاستجابتكم لطلبنا الخاص بإرسال خبراء منخصصين في التخطيط لاستشارتهم 🚺 تنفيذ مشروع الخمس سنوات للنصنيع الاقتصادية وكذلك لمساعدتنا 👔 اتمام الخطة الكاملة الأولى للتنمية الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة .

واننى ارحب بوصول السيد نيكيتين وأي اشخاص آخرين ابتداء من الخامس عشر من توقمبر الحالي .

الصناعية .

إسنسج كمتنة الزمنز الزجينيز

وانته ارجه ندموله ب ناسه

packs of 1001 1 cels · dbl me u meanbl m - lail the معالق ا جفتا الح شعا خذا لا لنقدم بسساءه الننبه لنفنغ راحل لامله للأمله لشدوم عنا الله الديام لها الله الفيل الما الم cilly april de recit de la chis ، ميا ميه .

we were the sale in the المذعبة لمدعب عد تتعب الكالى لكاس نادن when their de'in animal stop I me has الني سنات للعَيْمِ ، والبوم له الم سلام والما المنظم الم ن الدمول و ما الله الماس بينا ن ها العرب مثم للعلامًا عبد الدول ١ ومعادية

الما منحدم المات والأسلم لحريث المهورية العبه وفعًا فيرتفاء المعقد س بلينا فانه مس esied l'im a ruled 1 mb is a ried, red like وآنامه ف عذب مطلقاتا لم الحم فلاتع للعارنات الددية سي ددليم حيدونيم وانتها هذه لهزمها o il i le mostion i'm e rein ne ne u Millioni ma . alel, lie i light de i m الملاب الاحد الذر وراسات الحبيره للدب العلمان من العالم العلمان من الله علم ا

لكل من تعاونوا معنا من الاتحاد السوفييتي من اجل تنفيذ مشروع الخمس سنيوات للتصنيع . واليوم بعد أن مر عام على الاتفاق بيننا في هذا الخصوص فقد تم دراسية العبديد من المشروعات وبذل الخبزاء السوفييت جهدا كبيرا لإتمام العمل يستحق الاعجاب وبدات المعدات والآلات في الوصول، وقد كان التعاون بيننا في هذا

الخصوص مثلا للعلاقات

بين الدول الصديقة .

اما بخصوص تسليم المعدات والأسلصة الحبربية للجمهاورية العربية وفقا للإتفاق المعقود بين بلدينا فانه يسيس طبقا للمواعيت المقررة وقد كان التعاون في هذا الخصوص وكذلك في تدريب رجال قواتنا المسلحة مثلا للعلاقات البودية بين دولتين صديقتين وانتهز هذه القرصة لاعبر عن تقديري الزائد لما بذلتموه من اجل بلادنا في هذا الميدان . ومن أجل أهتمامكم بالطلبات الضاصلة بالأسلصة والمسعندات الجندينة

المطلبوسة واصداركم

التعليمات من اجل توقيع

ill to the light becase

مانية ها النبه الملك لا له دعدة بسامة لكم خاره لما مانى مناكر أم سيع الحيوية إلمرسه سمه ن هذه النابه النامية الناسية نل . pune i fina viet o seine النه ساع لا دا مًا فه او فات المصرية William Who exercised in the comments of the c print is copy lister and the services of the services ومنه نداننا - شية صع هذه الاياره while it and I die I to the Wall was السينية فحديث الناء ملم للأالم تنعوا لمنة م اللاعم ف بردا وعم ها المان معطيمة وفيعن با الرجيم بم فال وفي -3

منان منان منان الماله

ونحن في انتظار تحديد

موعد هذه الزيارة وبعد

انتهاء اجتماع المجلس

الأعلى للاتحاد السوفييتي

ومؤتمر الحزب يمكن لكم

أن تنعموا بفترة من

الراحة في بلادنا وجوها

الدافيء ويسعدني جدا أن

ارحب بكم في اي وقت

وتقبلوا تحياتي وتمنياتي

الخالصة مع عظيم

الامضياء

احترامي .

الماتيد المخد ه

بهذا الخصوص.

وانتهز هذه الفرصة لتأكيد دعوتي السابقة لكم بزيارة بلدنا واني متاكد أن شعب الجمهاورية العربية سيجد في هذه الزيارة الفرصة التي يعبر فيها عن شعوره نحوكم ونحو شعبكم الصديق الباسل الذي ساعدنا دائما 🚹 أوقاتنا العصيية. وعاوننا باخلاص 👔

اتفاقية ل القريب العاجل

النهوض باقتصاد البلاد

بسنسي لمنته الزمز الزجينية

صورة أطول خطاب كتبه «جمال عبد الناصر» إلى الزعيم السوفيتي « نيكيتا خروشوف » وكان ذلك بعد أن استفحلت الخلافات بين الاثنين في ربيع سنة ١٩٥٩ . وقد جاء هذا الخطاب ردا على خطاب سبقه من ع خروشوف ع ويحتوى نص رد « جمال عبد الناصر ، على كل النقاط التي اثارها « خروشوف ، في رسالته الأصلية .

الوثيقة رقم





ماحت السميادة الميد فياينا من عروفسيول وليس يزام الاقصناء السوائيسيعي

عزيستي الرايسس

بنهاس أن أواسع لكسم في بدايسة هذا الرد على خطابكسسسم يتاريخ ١٦ أبريل سنة ١١٠١ ، أن التأخير في الداده وارساله اليام لسيسم يكن له من صهب الا أن خدايكم أفار طاقاسة من القليط والوقافع استذرتها فراسته سنا وبراجه تهسا وتبسا طهسلاه

وبعذلك فان أكساد أعسسورأن الطسوير الذي أرسله اليكس أسايراسم في اللاحيرة السيد ويعتسيري كيميلك عن الاجتباع الذي سلمسلي فيه حبيسادا الخطيبات ، وما ود أي حديثين مع المضيور ، حتى ليل أن تتاح أن غرمية الاطسلاع على فلأصياسه ، قد حوى جوام كيسيرا من رد تا عليسه . •

وسهب لك م أنه وان كان الطبيلام لله بدأ يسود الملالات بيندسيا كما مبرشم من أدلك في خطابكم _ يعراحية بعمل _ فان الأسباب السائي أدعال هذا الشيلام بد والمحية ظاهيرة .

والى الأجه الزاسيا على لهل أن استطره الى الكنز وجهة نظرنا تسسس

(44)

صاحب السعادة نيكيتا س . خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي عزيزي الرئيس

ينبغى ان اوضح لكم فى بداية هذا الرد على خطابكم بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩٥٩ ، ان التاخير فى إعداده وإرساله إليكم لم يكن له من سبب إلا أن خطابكم اثار طائفة من النقط والوقائع استغرقت دراستها ومراجعتها وقتا طويلا .

ومع ذلك فانى اكاد اتصور أن التقرير الذى أرسله إليكم سفيركم في القاهرة السيد ديمترى كيسيليف عن الاجتماع الذى سلمنى فيه هذا الخطاب، وما ورد في حديثي مع السفير، حتى قبل أن تتاح في فرصة الاطلاع على تفاصيله، قد حوى جزءا كبيرا من ردنا عليه

وسبب ذلك ، أنه وإن كان الظلام قد بدأ يسود العلاقات بيننا كما عبرتم عن ذلك في خطابكم - بصراحة وبحق - فإن الأسباب التي أدت إلى هذا الظلام - واضحة ظاهرة .

وانى لأجد لزاما على قبل أن استطرد إلى ذكر وجهة نظرنا في هذه الاسباب ، أن أقرر أنه ليس هناك من هو أكثر منى أسفا على الحالة التي وصلت إليها علاقاتنا .

فلقد كنت _ ومازلت _ اعتز بالصداقة التي جمعت بين بلدينا _ واستطعنا في إطارها ان نواجه طائفة من المصاعب التي اعترضت سبيل التطور التاريخي نحو الاستقلال الوطني في الشرق الأوسط والتي كادت في كثير من الأحيان أن تتطور إلى تهديد خطير للسلام العالمي

كذلك كنت _ ومازلت _ اعتز باننا في العلاقات بيننا ، رسمنا لدول كثيرة غيرنا من الدول الصغرى في افريقيا و آسيا نموذجا للعلاقات الدولية بين بلدين تتفاوت مراتب القوة بينهما ، ومع ذلك فانهما وجدا ارضا للقاء مشترك قائم على المساواة .

ولقد كنا نشعر أن المدى الذى وصل إليه تعاوننا المتكافىء لا يلتزم حدود بلادنا فحسب ، وأنما هو يتعداها ليكون مثالا لغيرنا من الشعوب التى تمر بنفس ظروفنا ، وأظنكم يا سيادة الرئيس تستطيعون أن تجدوا في تطورات علاقاتكم مع دول كثيرة في أفريقيا وأسيا شواهد متعددة على الأثر الذى أحدثه النموذج الحي الذى صنعناه بالعلاقات بيننا .

ولم نكن نرضى بسهولة أن نفرط في هذا الكسب العظيم الذي حققناه في ميدان العلاقات الدولية تطبيقا لمبادىء باندونج .

وفق ذلك ، فانكم لتعلمون يا سيادة الرئيس إنه إذا كانت قوة الدول الكبرى تقاس بارصدتها من الاسلحة النووية والقاذفات عابرة القارات ، فإن الدول الصغرى ـ في المعترك العالمي ـ تقاس قوتها بارصدتها من الصداقات الدولية ، ولقد كانت صداقتنا معكم بندا هاما في رصيدنا الدولي ، بحيث لم يكن من المتصور أن نتطوع بتبديد أي قسط منها ، الأمر الذي يزداد وضوحا إذا ما راجعتم ما تعلمونه اكثر منى عن موقف الاستعمار من القومية العربية ،

والا السائلسم الما معلسها ماه لين فيهم صبد التا . الاسلا ، اليسد أن السمر أن يه لينا السه يها السال لا دــــرك

والى العسان جهده للممل الإيوايين في مسبيل التقسيم في سيدا، المسان، جهده للممل الإيوايين في مسبيل التقسيم في سيدا، السيام

والماد السيادة الرئيس بثيق قائل احستراس وأماني الماد لا بالله ساح والرقاميسة للامم الاتعاد السولييلي المنابع -



وتربصه بها ، لكى يسترد منها ما انتزعته شعوبها من انتصارات ضده في منطقة ظل يعتبرها ميدانا لنفوذه منذ قرون ، ثم ليثبت هذا النفوذ بعد أن يسترد ما ضاع منه .

وحتى لو لم يكن ذلك موقف الاستعمار المتربص بنا ، فإن حرصنا على صداقتكم في حد ذاتها يكفى لكى نبذل لتامينه ، ولصيانتها ، كل جهد .

وانكم لتعرفون يا عزيزى الرئيس ـ أن صداقتنا معكم كانت بالنسبة لنا فرصة التعاون الوثيق معكم ـ ولم تكن هذه الصداقة بالنسبة لنا نقطة مساومة ، ولا كانت عملية مضاربة ضد كتلة دولية تكتلة دولية أخرى تتوازن معها في القوة .

ولقد كانت هذه المبادىء ، وما تعرضنا له بسبب ايماننا بها هى التى فتحت لكم طريق معرفتنا على النحو الصحيح ، رغم أنكم في بداية ثورتنا القومية سنة ١٩٥٧ ـ تاثرتم بما كانت تروجه الجماعات الشيوعية في بلادنا ضد هذه الثورة ـ ومن ثم تجدون سيادتكم في اذاعاتكم وفي صحفكم خلال هذه الفترة الأولى من سنين ثورتنا القومية إشارات لها باعتبارها حركة فاشستية ، وكنا في ذلك الوقت كما تذكرون نحارب معركة لا هوادة فيها ضد الاستعمار البريطاني

ولكن هذا الموقف البدائي عن ثورتنا ، لم يغير من ايماننا بمبادئنا ، وكذلك لم يغير من تقديرنا لكم حين اقتنعتم بمنطق الحوادث ذاتها بخطأ الصورة التي نقلت إليكم ، ولقد خضنا _ يا سيادة الرئيس _ معركة ضد الأحلاف العسكرية الاستعمارية ، وكانت هذه الاحلاف

موجهة دون مواربة إلى بلادكم وشعوبكم ، وتستهدف تطويقها بالقواعد العسكرية والمطارات المعدة لقاذفات القنابل الذرية .

ولقد رفضنا بوحى من مبادئنا وحدها ومن غير إتصال بيننا كما تعلمون سيادتكم ان نكون إحدى حلقات الحصار الذرى من حولكم بل ولعلكم يا سيادة الرئيس تذكرون ان حربنا ضد الإحلاف الاستعمارية التى يتجه عدوانها إليكم ، لم تقتصر على حدود بلادنا ، وإنما كنا نحارب المعركة من اجل مبادئنا في منطقة باكملها تحيط بنا ويرتبط تاريخها بتاريخنا ، ومصدرها بمصدرنا .

وفي ذلك الوقت، وفي تلك الظروف، يا سيادة الرئيس وجهت إلينا التهم من غير حساب، من ناحية الدوائر الاستعمارية والصهيونية التي تعرفونها جيدا.

واتهمنا في ذلك الوقت باننا لا نعرف مصلحتنا ، وكانت مصلحتنا في منطق الاستعمار ان نتحول إلى قواعد عسكرية ومطارات ذرية .

واتهمنا [ذلك الوقت باننا نخرق وحدة العرب ، وكانت وحدة العرب [منطق الاستعمار ان نساير الذين اقاموا حلف بغداد الاستعماري او في القليل نهادنهم .

واتهمنا [ذلك الوقت باننا نتدخل في الشؤون الداخلية لغيرنا ، وكان اقناعنا عن التدخل في منطق الاستعمار أن نتركه يضم الدول العربية واحدة بعد واحدة إلى حلف بغداد وأن يجر شعوبها واحدا بعد الآخر إلى ميدان الحرب الباردة ، وأن يقامر بها [مغامرة الحرب الساخنة التى كانت احتمالاتها تزداد خطرا لو أن حلف بغداد العدواني حقق ماربه وتوصل إلى أغراضه ، ولكن ايماننا يا سيادة الرئيس بعدم الانحياز حتى من قبل باندونج جعلنا نقف من مشاريع الاستعمار العدوانية موقف المناضل العنيد .

كذلك كان ايماننا بالقومية العربية هو الذى جعلنا نمد حدود المعركة خارج بلادنا دفاعا عن امة ينص دستورنا كما تعلم يا سيادة الرئيس على ان شعبنا جزءا منها ، كذلك كان ينص دستور سوريا قبل الوحدة ، وكذلك ينص الآن دستور العراق بعد ثورته الوطنية في ١٤ يوليو ،

وانكم لتذكرون أن المعارك بمختلف أشكالها فرضت علينا فرضا حتى نتحول عن الايمان بميادئنا .

ولقد حاولت قوات الإحتلال البريطانية التي لم يهدا كفاح شعبنا ضدها خلال عشرات السنين ، أن تعزل منطقة من أرضنا فحملنا السلاح لكي نجعل حياة جنود الاحتلال في هذه المنطقة جحيما لا يحتمل .

ثم حاول الدهاء البريطاني على مائدة المفاوضات أن يأخذ منا باليسار ما كان يوهمنا أنه يعطيه الينا باليمين ، ولكن الدهاء البريطاني أضطر أن يوقع على اتفاقية الجلاء في خريف ١٩٥٤

وحين رفضنا أحلاف الاستعمار بدأت محاولات اخضاعنا باحتكار السلاح ، ومنعه عنا ، وتحريض إسرائيل ، كما جرى أل الغارة على غزة بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ـ أن تعتدى على أرضنا .

ثم كان التضييق الاقتصادى علينا تمهيدا للحصار الكامل ثم كانت حرب الدعاية ضدنا وتشويه مقاصد ثورتنا واهدافها ، هذه الحرب التي وصلت ذروتها ل إبان معركتنا الاولى لاسقاط حلف بغداد لل الشهور الأولى لسنة ١٩٥٥.

وخلال هذا كله ، كما لابد تذكرون يا سيادة الرئيس لم تكن الصلات بيننا قد توثقت ، ولا كان التعاون بين بلدينا قد ترابطت عراه .

وإنما كان الأمر بالنسبة لنا امر مبادىء آمنا بها ، ووجدنا واجبنا الوطنى ان ندافع عنها بكل ما في طاقتنا من القدرة على التضحية والصمود بل والعناد وهي صفة اجد الآن مع الأسف ، انها لم تعد تلق الفهم الذي كانت تلقاه ، وتحولت في تقديركم إلى عيب كبير ، وكانت من قبل ، في ظروف اخرى ، مزية كبيرة .

ولو أن الإصرار على التضحية والصمود _ بل والعناد _كانت اقل ما هي فعلا _لكان من العسير علينا يا سيادة الرئيس أن نواجه الاستعمار بمثل ما واجهناه به من رفض للمساومة في استقلالنا ومن إعراض عن مشاريعه العدوانية ، ومن حرب على هذه المشاريع كيلا تنجح في بلادنا ، ومن تحمل للضيق الاقتصادى ، ومن مواجهة لحرب الاعصاب والدعاية ، ومن احتكار للسلاح .

ولولا هذا الإصرار والصمود ، بل والعناد يا سيادة الرئيس ما كانت ايدينا قد وجدت الشجاعة ان تمتد لكى تطلب منكم السلاح الذى قبلتم مشكورين في ذلك الوقت ان تبيعوه لنا - بعد أن تبين لكم في غير شك أو تردد أن ثورتنا الوطنية لا تضرب جذورها إلا في أرض أبائنا .

وهكذا يا سيادة الرئيس ، تكفلت التجربة العملية ، وتكفلت الحوادث نفسها ، بان تغير موقفكم من ثورتنا الوطنية ، فاصبحتم تعرفونها على حقيقتها ، وليس كما حاولت بعض الجماعات التى ترفع الأعلام الشيوعية ، والتى فشلت في استغلال الثورة الوطنية في مصر لصالحها ، أن تصورها لكم .

وهذا تجلى في تعاملكم معنا اثر هذه المعرفة ومن ثم بدات العلاقات بين بلدينا تدخل طورا جديدا من اطوارها تقوم أسسه على مبادىء التعايش السلمى .

وانكم لتعلمون ـ يا سيادة الرئيس ـ أن الاستعمار وقد هاله التأثير البعيد المدى لهذا النموذج الذى حاولنا أن نرسمه في العلاقات الدولية ـ قد حاول بعدها بكل ما وسعه الجهد أن يقطع هذه الصلات التي قامت بيننا .

هكذا راح الاستعمار يتهمنا باننا اصبحنا منطقة لنفوذكم . بل مستعمرة لكم .

ثم راح الاستعمار يحاول تشكيكا فيكم وهو يصور لنا انكم ما مددتم يد التعاون إلينا إلا لانكم تريدوننا لعبة في الحرب الباردة.

بل راح الاستعمار يقدم إلينا من المغريات ما يباعد طريقنا عن التعاون معكم ، وفي تلك الظروف كما تعلمون تقدم إلينا عرض المساهمة والمساعدة ، في تمويل مشروع السد العالى ، ولكن التكتيك لم يلق غير الفشل .

وكذلك لم يستطع الاغراء _مهما بلغت شدته _ ان يجعلنا نفرط فيما نؤمن انه مبدأ وعقيدة .

وهكذا دخلت علاقاتنا مع الاستعمار في مرحلة عنيفة بدأت بمحاولة عقابنا على كل ما أصررنا عليه وصمدنا وعاندنا ، وكان من ذلك سحب عرض المساهمة والمساعدة و المويل السد العالى وبالطريقة التي تم بها هذا السحب ، وغير خاف عليكم يا سيادة الرئيس ما كان هذا السحب ، والطريقة التي تم بها ، تستهدفه من تأثير في الأوضاع الداخلية لجمهورية مصر في ذلك الوقت .

وكان امامنا _ إما ان نستسلم لكل هذه الأنواع من الضغط يا سيادة الرئيس ، ومن ثم يضيع كل ما حققناه ، وتنهار مبادىء الثورة الوطنية في مصر وهى الركيزة القوية للقومية العربية ، وتعود المنطقة كلها كما كانت منطقة نفوذ للاستعمار دون منازع ، وقاعدة عسكرية هائلة لأحلافه العسكرية العدوانية .

وإما ان نصمد وان نستنجد بكل ما في طاقتنا من الإصرار على التضحية والصمود ، بل والعناد ايضا ، لكى نحبط خطة الاستعمار ونفوت عليه هدفه .

وعادت الناة السويس إلى الشعب الذي حفرها بشقائه وعنائه عادت إليه لتساهم في بنائه ورخائه ، وكانت تلك كما تعلمون سيادتكم ضربة لا إلى الاستعمار وحده وإنما إلى كل القوى التى تحركه وفي مقدمتها الاحتكارات المتخلفة من افكار القرن التاسع عشر.

ولقد قمنا بهذه الخطوة وحدنا كما تذكرون سيادتكم لم نتشاور فيها معكم ولا حملناكم شيئا من تبعات ما يمكن أن نواجهه نتيجة لها ، وكنا ندرك منذ البداية أن المعركة ستكون عنيقة مضنية ، ولكنها كانت بالنسبة لنا معركة دفاعية لا مفر منها ، ولا بديل عنها إلا أن نستسلم للأمر الواقع كما يريد الاستعمار أن يفرضه .

ولقد كان عرفاننا عميقا ، وتقديرنا بالغا ، لما اعلنتم بعد ستة وثلاثون ساعة من تاميم قناة السويس انكم تؤيدون موقفنا .

ولقد كنا ندرك خلال الساعات التي سبقت إعلان رايكم ان من حقكم ان تدرسوا التطور الكبير الذي كان مفاجأة لكم ، وأن تقدروا نتائجه بأنفسكم قبل أن تحددوا موقفكم منه .

ولقد حاولنا بعد التأميم بكل طاقتنا أن نشرح للرأى العام العالمي موقفنا وأن نحبط خطط العدوان الاستعمارية التي بدأت نذرها تملأ الجو من حولنا وذهبنا إلى الأمم المتحدة نحتكم للعقل حتى لا يكون الاحتكام للمدافع وما قد يجره ذلك على السلام العالمي من اخطار.

ولا نستطيع يا سيادة الرئيس أن نصل إلى هذا الحد من استعراضنا للأمور ـ دون أن نعود للاشادة بما كان لكم . ولدول أخرى صديقة في طليعتها جمهورية الهند ، من جهد بارز في محاولة الوصول إلى حل سلمى لذلك الموقف الذي بدأ العالم يسمع فيه قعقعة السلاح .

ولكن الاستعمار الذي فقد قاعدته في بلادنا ، وفقد نفوذه في المنطقة من حولنا ، والذي ضبع مع هذه الهزائم منطق الحق والعدل لم يجد باقيا في يده من وسائل العمل غير السلاح .

وانى لاستبيحك العذر _ يا سيادة الرئيس _ اننى اعيد عليك هذا كله الان ، ولكنى اجد هذا امرا لا مغر منه في هذه المرحلة من علاقاتنا إذا كنا نريد بإخلاص وصدق ان نبدد الظلام الذي بدا يسود علاقاتنا .

فإنه ما لم توضع المسائل كلها بوضوح ، وما لم يترابط سياقها في غير مجال للبس فإننا سنتعرض للذى يبدو في أننا تعرضنا له فعلا من سوء الفهم أو سوء النقل ولست أخفى عليك اننى بعد أن فرغت من قراءة خطابك في بتاريخ ١٢ أبريل تملكتنى الدهشة لبعض ما ورد فيه حتى لقد أحسست أمام بعض الفقرات أننى أقرأ مقالا في إحدى صحف الغرب ، حيث تنحرف الوقائع عن أصلها ، وحيث تمتلىء الفجوات بين الحوادث بالتصورات وحيث تعز الحقائق على الكتاب فيلجاون إلى الخيال .

وإن التفسير الوحيد الذى أجده في قدرتي لذلك الوضع هو أن أخطاء لا تغتفر قد وقعت في الفهم ، أو في النقل ، أو في الترجمة ولعلك لم تنس يا سيادة الرئيس أنك قلت في مرة أثناء الجتماعنا في شهر مايو سنة ١٩٥٨ أن أخطاء في الترجمة كانت من أهم أسباب الخلافات بينكم وبين الماريشال جوزيب بروز تيتو رئيس أتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية الإشتراكية الشعبية .

ويظهر أن هذا السبب ، سوء الترجمة على أرجح الفروض ، قد عاد يفعل نفس التأثير المدمر في أزمة العلاقات بين بلدينا .

لهذا فإنى كما قلت لك _ حريص في هذه المناسبة ان لا اضيع هذه الفرصة ، في هذه اللحظات الحاسمة ، لكى اشرح لك باستفاضة وتفصيل كل وجهة نظرى كما اراها واسجل ذلك كتابة على الورق لا اتركه لذاكرتك او لذاكرتى ، ولا لقدرة مترجم يقدر أو يعجز عن التعبير .

عزيزى الرئيس ..

وإنكم لتذكرون كيف جاءنا العدوان على غير انتظار ، انه وقت كنا فيه نعتقد ـ وكانت المعلومات التى اتيتم بها إلينا في ذلك الوقت تساند هذا الاعتقاد ـ بأن ذروة الأزمة قد مرت بسلام ، وأن المفاوضات التى تقرر أن تستمر في جنيف والتى حدد لها يوم ٢٩ اكتوبر تحت إشراف الامم المتحدة قد قضت إلى حد كبير على احتمالات التدخل العسكرى المسلح .

ولكن العدوان كما تذكرون سيادتكم جاء في نفس الوقت الذي كنا نستعد فيه للمفاوضات في جنيف .

ولقد وجدنا انفسنا فجأة نتعرض لعدوان بشع لا أجد في وصفه أبرع ولا أدق من العبارات التي وصفته في أحاديثكم العديدة وفي خطبكم التي نقلتها الأنباء إلينا في ظروف تلك الأزمة العصيبة والتي كان لها من الوقع في نفس الشعب المصرى وفي نفوس الشعوب العربية ، وفي نفسي كمواطن عربي ، أثرا لا أظنني أقدر على أن أفيه حقه من الوفاء والوقار .

ودعنى هذا يا سيادة الرئيس أوضح نقطة اشتد فيها الجدل بيننا والنقاش.

لقد قلت في خطبة القيتها في دمشق اننا نقف في مواجهة العدوان الثلاثي في ميدان القتال وحدنا ننتظر معونة احد .

ولكن هذه العبارة على ما احسست من خطابك ومن تصريحات لك ـ لم تقع منك موقع الرضا .

واحب أن أقول أنه لم يخطر في بالى ، ولا في بال أحد من أعضاء حكومتى أن يقلل من قيمة الإنذار الذى وجهه رئيس الوزراء السوفييتى في ذلك الوقت ، ولكن هذا لا يعنى أن الحقيقة التى أوردتها في خطابى بدمشق ليست صحيحة إلى أبعد الحدود .

لقد كنا في ميدان القتال وحدنا .

كان جنودنا في سيناء يحاربون على ارض سيناء وحدهم .

وكان جيشنا وشعبنا في بور سعيد يحاربون في شوارع بور سعيد وحدهم . ولم نكن نؤمل في عون إلا من الله .

ولعلك يا سيادة الرئيس تذكر انه في اثناء العدوان الثلاثي على مصر، تصادف أن زار الاتحاد السوفييتي وقتها السيد شكرى القوتلي رئيس الجمهورية السورية، وأنه وجد بدافع التضامن العربي وبحافز الأخوة المخلصة أن يتباحث مع اقطاب حكومتكم فيما يمكن أن تقدمه بلادكم لنا من مساعدة.

وكان العدوان الثلاثي ضدنا كما تذكرون سيادتكم قد بدا يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ وكانت زيارة الرئيس شكرى القوتلي تبدأ يوم ٣٠ اكتوبر، ثم اتيحت له فرصة التباحث مع رئيس الوزارة السوفييتية السيد نيكولاى بولجانين بحضور عدد من قادة الاتحاد السوفييتي وكبار ماريشالاته العسكريين، ثم تلقيت رسالة بعث بها إلى الرئيس شكرى القوتلي حددت موقفكم من العدوان وكانت هذه الرسالة تمثل الموقف كما حدده الرئيس القوتلي بعد اجتماعاته بقادة الاتحاد السوفييتي.

وكان واضحا في هذه الرسالة:

١ ـ ان الاتحاد السوفييتي غير مستعد لدخول حرب عالمية .

٢ ـ انه على هذا الأساس لا يستطيع الاتحاد السوفييتي ان يتدخل عسكريا ولا حتى ارسال متطوعين .

٣ ـ ان اقصى ما يمكنه عمله لمساعدتنا هو إرسال بعض المعدات إلينا ومعها بعض الغنين .

واؤكد لك يا سيادة الرئيس ـ اننى قدرت هذه الرسالة حق قدرها ولم يخطر ببالى حتى في الجو المكفهر الذى كان يحيط بوطننا وقتها أن أحملكم فوق ما تقررون أنكم قادرون على احتماله

ولقد كان كل ما فعلته واسمح لى أن أذكر لك هذا السر الآن أننى نزعت هذه الرسالة من الملك الذي كان بضمها ووضعتها في جيبي لأني لم أشا أن يطلع عليها من قد تتأثر روحه المعنوية بقراءتها.

ولم تخرج هذه الرسالة من جيبي إلا بعد أن كانت المعركة قد أنتهت فأمرت أن تعاد إلى مكانها في الملف كإحدى وثائق الدولة وشواهد التاريخ

وما زلت اعتقد ان هذه الوثيقة شرف كبير لنا ، إذ هي خير دليل على اننا حاربنا ولم نكن في ميدان القتال وحدنا الله ، وإنما كنا ندرك ايضا اننا سنظل وحدنا .

ولعلك تدرك يا سيادة الرئيس ان الإنذار السوفييتى الذى لا يستطيع احد ان ينكر الره قد صدر من موسكو مفاجأة لنا بعد ان مرّت تسعة ايام كنا فيها في ميدان القتال وحدنا ، ولقد كان يمكن ان نفقد عزيمتنا ، ولقد كان يمكن ان يشتد الياس بنا ، ولقد كان جائزا يا سيادة الرئيس ان نستسلم امام ثلاث دول هاجمتنا فجأة وبينها دولتان من الدول العظمى - كان يمكن ان نستسلم بعد يومين او ثلاثة ، او اسبوع بل لقد كان يجوز ان نستسلم صباح اليوم الذى صدر فيه إنذاركم من موسكو وماذا كان يجدى الإنذار يومها يا سيادة الرئيس إذا كان موضوعه قد انتهى وسقط .

وإذن فإن الأمر على حقيقته لم يكن فقط أن الشعب المصرى حارب وحده أن الميدان ، ولم يكن فقط يعرف أنه سيظل وحده في الميدان بل كان كل شيء حتى الإنذار السوفييتي الذي صدر بعد تسعة أيام من بدء القتال يتوقف على صمود هذا الشعب واستعداده للتضحية ، بل وتصميمه على العناد .

ومع ذلك فلقد اشدنا بالإنذار السوفييتي واثره ، ولم نكن نمل الحديث عنه عرفانا وإقرارا .

لقد كانت إشادتنا باثر هذا الإنذار من اسباب تعرضنا بعد العدوان لحملة عنيفة اتهمنا خلالها باننا نسينا الموقف الذى اتخذته الأمم المتحدة ، ونسينا دور الضمير العالمي في وقف العدوان .

ولقد كان الأمر الذى استوجب التصريحات التى لم تقع منكم موقع الرضا عن الحقيقة أمر العدوان _ أن إذاعات كثيرة تنطق باسمكم وصحف تصدر في بلادكم راحت وسط مناقشات بيننا وبين الحزب الشيوعى السورى تعود بالفضل كله إلى هذا الإنذار وتصور الأمر على نحو يبدو معه أن الشعب المصرى لم يقاتل والشعب السورى لم يهب ، والشعوب العربية كلها لم تتحفز ، وإنما هي جميعا قبعت ساكتة في انتظار أن ينقذها هذا الإنذار .

ولقد كان واجبا على ان احق الحق وارد الأمر إلى نصابه وان اضع دور شعبنا في مكانه الصحيح باعتبار انه كان الجيش الحقيقي بل الجيش الوحيد في ميدان القتال ، ولست أرى انه يمكن إنكار هذه الحقيقة كذلك لست أرى انه ينبغي الإقلال من قيمتها أو تجاهلها .

اما الحديث هنا عن دور اش في المغركة والتساؤل الذي ورد في خطابكم - وتكرر قبل خطابكم في بعض إذاعاتكم - في معرض التساؤل عما فعله اش وعما فعله الاتحاد السوفييتي ، فإني اسمح لنفسى أن أقول أننا لا نفصل الدور الذي قام به أش في معركتنا عن الدور الذي قمنا به بانفسنا ، ذلك أن إيماننا العميق هو أن روح أش كانت في قلوبنا تشد عزائمنا وتقوى باسنا .

وليست هذه يا سيادة الرئيس محاولة للتبشير بالدين ، وإنما هي محاولة لإظهار أن المقاييس المادية لا تكفي وحدها لوزن الأمور في كثير من الأحيان .

ولو أن هذه المقاييس المادية وحدها طبقت أل ظروف العدوان لكان حتما علينا أن نستسلم ولا نقاوم ، واين هو العقل الذي يقبل أن يقف شعب صغير في مواجهة دولتين من

الدول العظمى معهما دولة ثالثة من صنائعهما ، جاءوا من كل ناحية حولها وسدوا مداخل البحر _ وكان لابد أن يسدوها باساطيلهم ، وسيطروا على الجو وكان حتما أن يسيطروا عليه . وأنك لتذكر أن المعلومات التي توافرت لديكم أثناء ما ذكرت _كما ورد في ذلك الوقت في إذاعاتكم بأن ما اشترك من طائرات عدونا في العمل ضدنا وصل إلى أكثر من الف وخمسمائة طائدة .

وكنا وحدنا في مواجهة هذا كله يا سيادة الرئيس حتى من الناحية الجغرافية ، وهبوا جدلا انكم اردتم وقتها أن تسيروا جيوشكم لنجدتنا فكيف كانت تصل إلينا وبيننا وبينكم بحار وبلاد تعيش فيها دول بعيدة عن موضوع النزاع .

ودعنى اعود فاكرر اننا كنا نقدر موقفكم ونفهم دوافعه ، ولم يخطر ببالنا في اى وقت ان نطلب منكم ـ او نتوقع ـ ان تدخلوا حربا عالمية من أجلنا .

واننا لندرك بانكم تزنون الأمور حق وزنها ، وما من منطق يرضى أن تتولى تجارب بلادنا ، أن تفرض عليكم موعد الحرب العالمية النالة وإنما لظروفكم اعتباراتها الخاصة ، ولمقاييسكم اسبابها ، وينبغى أن يكون أصدقاؤكم أول من يفهم ويقدر ، ولقد كنا - ولازلنا - يا سيادة الرئيس نعتبر أنفسنا من أصدقائكم ، ولذلك حاولنا أن نكون أول من يفهم ويقدر .

ولقد تعرضنا كما تذكرون بعد العدوان مباشرة لمحاولات اخرى حاولت أن تحقق نفس أهداف العدوان باساليب أكثر هدوءا وأقل صخبا .

ولكن هدف الاستعمار بقى نفس الهدف وهو ان يقضى على بلادنا وعلى الركيرة التى رست في ارضها حركة القومية العربية.

وكل الفارق بين المحاولات الجديدة والمحاولات السابقة هو الفرق بين محاولة قتل فرد بالرصاص وقتله بالجوع .

ولربما كان القتل بالرصاص أكثر صخبا .

ولكن محاولة القتل بالجوع كانت أشد قسوة.

وفي الوقت نفسه بدأت كما تذكرون محاولة عزلنا عن باقى الدول العربية المحيطة بنا . اشتد الحصار الاقتصادى علينا ، وبذرت الشكوك بيننا وبين اخواننا ، بل ولفقت ضدنا الأدلة المزيفة .

وما اكثر ما تردد في ذلك الوقت يا سيادة الرئيس اننا نتدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد ألم البلاد المحيطة بنا ...

ولقد قيل في ذلك الوقت أننا نتدخل في شؤون لبنان الداخلية وقيل في ذلك الوقت أننا نتدخل في شؤون الأردن الداخلية ، بل وجرى الإدعاء على حد إتهامكم معنا في مؤامرة تستهدف السيطرة على الأردن واتخذ ذلك ذريعة للقيام بانقلاب على الحكم الوطنى في الأردن.

وقيل في ذلك الوقت اننا نتدخل في شؤون المملكة العربية السعودية الداخلية وفي شؤون السودان وفي شؤون ليبيا ، وفي شؤون تونس .

ومن عجب يا عزيزى الرئيس انكم في رسالتكم بتاريخ ١٢ أبريل اكملتم الطريق إلى الحد الذى اتهمونا فيه بالتدخل في شؤون الاتحاد السوفييتي الداخلية .

وياله من طريق طويل ، ذلك الذي قطعه تدخلنا المزعوم في الشؤون الداخلية لغيرنا منذ بدانا نحاوله في الأردن وحتى وجدنا الجراة على ان نمارسها في الاتحاد السوفييتي ذاته .

وعلى أى حال فقد كان موقفكم من تهم التدخل التى وجهت إلينا في الماضى تختلف عن موقفكم الآن ، ولقد كان واضحا في ذلك الوقت أنكم تعرفون دور الاستعمار وتدركون خطته ، وكانت إذاعاتكم وصحفكم بل وتصريحاتكم شخصيا في ذلك الوقت ، من أكبر العوامل الفعالة في كشف المؤامرة الموجهة إلى عزل مصر عن العالم العربى والتى اشتهرت باسم مشروع ايزنهاور .

بل ولقد مضيتم يومها في مشاركتنا في دفع خطر هذه المحاولة لتحقيق اهداف العدوان بوسائله المختلفة إلى حد إيجابي ، حينما استجبتم لما طلبناه منكم في إرسال بعثة من بلادنا توجهت إلى عاصمتكم برئاسة المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية يطلب منكم المساهمة في تمويل مشروعاتنا الصناعية التي وجدنا أنه لابد لنا من القيام بها لمواجهة الحصار الاقتصادي وحرب الجوع الموجهة إلينا .

ولقد تمكنا بفضل روح التعاون التى لقيتها بعثتنا في عاصمتكم ، وبفضل الجهود التى كنتم تبذلونها شخصيا ، من الوصول إلى اتفاقية للتعاون الاقتصادى ثم توقيعها في ١٨ من نوفمبر ١٩٥٧ ، وبمقتضاها وضعتم تحت تصرفنا مبلغا يساوى ٦٣ مليونا من الجنيهات قرضا يسدد على أجال طويلة ويخصص لمشروعات التنمية الاقتصادية في بلادنا .

وينبغى أن اذكر لك هنا ونحن نتحدث بهذه الصراحة في محاولة جادة لتصفية أسباب الظلام الذى بدأ يسود علاقاتنا ـ أن البعثة المصرية في موسكو واجهت بعض ما أثار انتباهها فلقد جرى حديث بين السيد تسائيسيف رئيس قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية السوفييتية وقتها ، وهو يتولى منصب السفير السوفييتي في العراق الآن ـ وبين ثلاثة أفراد من أفراد البعثة المصرية هم اللواء حافظ إسماعيل نائب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، واللواء عبد العزيز مصطفى قائد المشروعات ، واللواء جمال عفيفي مدير العمليات في سلاح الطيران ـ وفي هذا الحديث الذى دار في قصر الكرملين سمع الثلاثة من السيد تسائيسيف ما ملخصه :

« أن الحياد الدولى خرافة » .

وانه يتعين على مصر أن تختار معسكرا دوليا تنضم إليه وأنها لن تجد القوة الحقيقية إلا إذا أنضمت لمعسكر قوى ثم استطرد السيد تسائيسيف يقول لهم:

« لماذا تخافون من الشيوعية ، تقبلوها ونحن نقويكم وندافع عنكم ، إن الحياد لعب على الحبل لا يطول أمره » . ولقد رأى المشير عبد الحكيم عامر رئيس البعثة المصرية بعد ان نقل إليه هذا الحديث أن لا يثيره على نطاق واسع خوف التأثير الذى يمكن أن يلحقه بالعلاقات بيننا ، وفضل ، وفضلت معه ـ حين وصلنى الأمر ـ أن لا نصنع منه أزمة تكدر العلاقات بيننا .

وعلى اى حال فلقد اقنعنا التعاون ـ الذى بدا خلال مفاوضات التعاون الاقتصادى ، والنتائج التى انتهت إليها ـ بان السيد تسائيسيف كان يتحدث بارائه الشخصية ، ومن سوء الحظ ان بعض التطورات الأخيرة والجهود التى يبذلها السيد تسائيسيف نفسه كسفير

للاتحاد السوفييتي في العراق ، قد بدأت توحى بأن الأمر أكثر من مجرد الأراء الشخصية

ولقد مضى برنامج التعاون الاقتصادى بيننا على اى حال وبدا يحقق الامال المعلقة عليه وكانت مناقشته في مجلس الامة المصرى فرصة اتخذناها للتعبير مجددا عن شكرنا للاتحاد السوفييتي .

وهنا ينبغى - يا سيادة الرئيس - أن أرد على ملاحظاتكم التى وردت ال خطابكم عن المساعدة الاقتصادية وكيف أنكم لا تقرضونها على أحد لا يريدها .

واحب أن أؤكد لك يا سيادة الرئيس أننا نحن الذين سعينا إلى معونتكم الاقتصادية وطلبناها بشجاعة وشرف .

واؤكد لك ايضا اننا لازلنا نتمسك بها ولا نعتبرها قيدا على حريتنا ، نقول لك ذلك بشجاعة وبشرف ايضا .

والدليل على ذلك انها لم تمنعنا أن نبدى لك راينا - بشجاعة وبشرف - فيما بدا لنا من مواقفكم تجاهنا.

وسيظل ذلك دائما موقفنا ، من غير إدعاء ومن غير ضعف ، وإننا نتصور انك خلال معرفتك بتاريخنا تتفق معنا في هذا الراى .

وعلى أى حال فقد بدا العمل بيننا بوضع اتفاقية التعاون الاقتصادى موضع التنفيذ . وهنا أيضا حرصنا على أن نضعها أمام الرأى العالمي كنموذج حي من نماذج تطبيق روح باندونج للتعاون الدولي غير المشروط في سبيل التنمية الاقتصادية .

وإن الأحاديث الصحفية ، والخطب ، ومقالات الصحف ، وإذاعات الجمهورية العربية المتحدة ، لتحفل في تلك الفترة بالإشادة بكم وبتعاونكم المخلص على اساس التعايش السلمي مع الدول التي تختلف عنكم في مناهجها الاجتماعية .

وحاولنا ، بل ونجحنا تماما ، في أن نزيل من أذهاننا كل أثر لملاحظات السيد تسائيسيف ولكن سوء الحظ قضى أن تعود التطورات إلى تذكيرنا بها ، إذ راح ما حدث في موسكو يتكرر على نمط متشابه مع ما بدا يحدث في دمشق حين أخذ موضوع الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا طابعا عمليا في بداية عام ١٩٥٨ .

ولقد كان من حقنا ان نتساعل عن حقيقة موقفكم من هذه الخطوة التي تضع حلما عربيا خالدا موضع التنفيذ بعد كفاح طويل مرير استغرق مئات السنين .

كان من حقنا يا سيادة الرئيس ان نتساعل والشواهد أو مظاهرها تشير إلى ان الاتجاه الجديد إلى الوحدة لا يلائم ميولكم ورغباتكم.

ولقد كان مما يشير إلى هذا تلك الأقوال والملاحظات والعبارات التي صدرت عن افراد سفارتكم في دمشق ، ولعلكم تذكرون يا سيادة الرئيس اننى في هذه الفترة بعثت إليكم بنماذج مما جاءنا نقلا عن هؤلاء الافراد من سفارتكم ولعلكم تذكرون اننى سالتكم عما إذا كان ذلك يعبر عن راى الحكومة السوفييتية وكان الرد الذي تلقيته بالنفى .

وكان مما يشير إلى اتجاهكم من الوحدة موقف الحزب الشيوعي السورى الذي عز عليه

ان يتقبل الإجماع الشامل للشعب السورى ، وكان النائب الشيوعي هو النائب الوحيد الذي فضل ان يهرب من البلاد كلها كي لا يرى الشعب يحقق بنفسه ما يريد .

ولقد تاكد لنا أن تصرفات هذا النائب الشيوعي تشير إلى اتجاهكم عندما وجدناه يلجا إلى بعض بلدان الكتلة الاشتراكية ، ثم زاد على ذلك أخيرا أن وقف بجواركم في احتفال المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي وراح يتهجم على حكومة بلاده الأمر الذي سبب لنا مزيدا من القلق والانزعاج ومبعث هذا القلق والانزعاج ليس فيما يمكن أن يحدثه كلام هذا الهارب ، فإن نتيجة الاستفتاء على الوحدة في سوريا كانت بمثابة تصفية نهائية لكل ما يدعيه وإنما كان مبعث القلق والانزعاج أن تنتهك مبادىء التعليش السلمي بهذا الشكل العلني ، وأن يضار شعور إجماع الشعب ، من أجل فرد ثبت أنه لا يمثل من الامة شيئا .

كذلك كان مما يشير إلى اتجاهكم ان الاتحاد السوفييتى بعد إعلان الوحدة في اول فبراير من القاهرة ظل اكثر من اسبوعين حريصا على الامتناع عن إبداء رايه فيها سواء عن طريق رجاله الرسميين أو عن طريق إذاعته وصحافته التي تنطق دائما بوجهة النظر الرسمية.

وعلى أى حال فلقد كان لحكم الطبيعة وحكم التاريخ وحكم المستقبل أن ياخذ مجراه فتحققت الوحدة .

وبدات اتطلع إلى فرصة نجتمع فيها ونتبادل فيها وجهات النظر ونتعرف معا على مشاكل كل منا ونظرته للأمور ، لذلك كانت سعادتى غامرة ان اتيحت لى فرصة زيارة بلدكم العظيم في شهر ابريل من سنة ١٩٥٨ ، وكانت تلك اول زيارة لى خارج بلادى بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد كنت اتطلع إلى حديث مفيد وإلى مناقشات مجدية وإلى استقرار في العلاقات بين بلدينا وإلى دعائم من الفهم المستنير تقوم عليها هذه العلاقات .

والعجيب يا سيادة الرئيس اننى عدت إلى وطنى وفي تصورى ان جزءا كبيرا من ذلك 🛋 تحقق ، ولكننى وجدت أخيرا أن الصواب لم يكن معى فيما تصورت .

ولقد هالني يا سيادة الرئيس _ أؤكد لك _ أن أقرأ في خطابك الأخير بعض ما تبين أنك فهمته مما قلته لك في الاجتماعات بيننا في بلادك .

واؤكد لك اننى لا استطيع أن اتصور أن أى أخطاء في الترجمة مهما كانت فداحتها كان يمكن أن تؤدى إلى هذا التباين بين ما دار بيننا كما أراه ، وبين ما رأيته أنت على حد ما جاء خطابك لى .

وينبغى أن أقول لك في صراحة أننى لم أجد نفسى ولا وجدت أرائى التى أؤمن بها في بعض ما ورد في خطابك ، وإنما واستسمحك العذر ، وجدت شيئا أقرب ما يكون إلى روايات صحف الغرب في حملاتها العنيفة التى كانت تستهدف تشويهنا .

من ذلك مثلا ما تناول حديثنا في موسكو عن الأوضاع في البلاد العربية المجاورة لنا .

ولقد رويت اننى سالتك عما يمكن عمله لتغيير الأوضاع في هذه البلاد بالقوة واننى سالتك العون وانك أسديت في بأن امتنع عن التدخل إلى آخر ما جاء في خطابك حول هذا الموضوع .

لقد هالتنى ـ اؤكد لك يا سيادة الرئيس ـ هذه الرواية كما جاءت في خطابكم فإنها في سياقها وتفاصيلها ابعد ما تكون عن الحقيقة .

ولقد كان ما حدث ولعلكم تعيدون التحقق من المترجم الذى كان ينقل حديثنا ـ اننى سالتك :

- ماذا سيكون موقف الاتحاد السوفييتي إذا حدثت محاولة من الداخل لتغيير الاوضاع البلاد القريبة منا والتي تخضع لنفوذ الاستعمار ؟

بل لقد حددت سؤائي بعد ذلك صراحة اثناء المناقشة.

معبوا أن ثورة حصلت في العراق أو في الأردن ثم تبعها تدخل إسرائيلي بالاشتراك مع الدول الاستعمارية، فماذا يكون موقف الاتحاد السوفييتي في هذه الحالة ؟

ولعلك تذكر يا سيادة الرئيس وانى لاذكر قطعا انك قلت لى:

- اننا نفضل أن لا يحدث شيء ، ونفضل أن يتم أي تغيير بالوسائل السلمية وقلت لك :
- أن احتمالات حدوث حركة داخلية بالوسائل السلمية في هذه البلاد التي يسيطر عليها الاستعمار والرجعية قليل ، والخوف هو أن نفاجأ بأمر واقعى من جماعات وطنية متحمسة لا تستطيع أن تترك الاستعمار يضربها ويسحق أمالها وقلت في :
- إذا كنت تستطيع الإتصال بهذه الجماعات فاستعمل نفوذك معها لكى لا تتحرك . وقلت لك :
- إن الذي يفكر في عمل من هذا النوع لا يتصل بي وإنما الذي اخشناه أن نفاجا بامر واقعى لم نتاهب له .

ولقد انتهت مناقشتنا دون أن أحصل منك - كما لعلك تذكر - على رد إيجابى للمشكلة التى كان واضحا اننا سنواجهها يوما ما في الشرق الأوسط، ولقد تحقق ما كنا نتوقعه فعلا، بل واثبتت التطورات اننا لم نكن نتعجل الحوادث.

ومن العجيب أن ما ورد في خطابك يبين انك تصورت الأمر على عكس ما كنت اقصده ، فلم يخطر ببالى على الإطلاق أن نكون في موقف المهاجم وإنما كنت أريد أن نكون في وضع المستعد للدفاع ، وكيف كان يخطر ببالى مثلا أن أتصدى لمهاجمة الأوضاع بالقوة في بلاد يسيطر عليها حلف بغداد بكل الإمكانيات العسكرية له وللدول المشتركة فيه .

كذلك لم يخطر ببالى أن يرتفع سلاح عربى ضد بلد عربى ولقد واجهت في الماضى من الاستعمار استفزازات لا حد لها عسى أن تفلت منا اعصابنا ونخرج عن قاعدة التزمنا بها خلال تاريخ طويل، ولقد خابت استفزازات الاستعمار واحدة بعد واحدة.

وإنه ليدهشنى انك تصورت انى اريد عونك فى مغامرة عسكرية ضد بلاد عربية ، وكيف يمكن ان يستقيم ذلك ونحن نعتبر اى تهديد لأى بلد عربى مهما كانت ظروفه تهديدا لنا ، وإذن فكيف يمكن ان ندفعك إلى مكان نجد انفسنا مرغمين على التصدى لك فيه ـ تضامنا مع شعوب امتنا ـ حين تتعرض لتهديد منكم .

كذلك لو أن تغيير الأوضاع بالقوة في العراق أو في الأردن كان مما يمكن أن يخطر ببالي لما كان أسهل محاولته على الأقل ولقد كان الجيش السوري في الأردن وما كان أسهل إصدار

الأمر بالقتال ولكن ذلك شيء لا تأباه مبادئنا فقط بل تنكره كل قطرة من الدم العربي الذي يسرى في عروق شعبنا .

وانى لأخالك أيضا يا سيادة الرئيس، تستبعد أن يكون الحديث فعلا لل جرى بيننا على النحو الذى يرويه خطابكم وذلك في رأيي سبب إصراركم على تكرار أنكم تعتمدون على المحاضر التي كتبها المترجمون خلال اجتماعاتنا أما أنا فقد كنت أعتمد على ذاكرتي

والواقع اننى لم اكن احمّل ذاكرتى فوق ما تطيق فإنى كنت دائما بعد كل اجتماع من اجتماعاتى بكم اعقد لجنة من وفدنا اروى لها ما حدث ونسجله في محاضر ولقد كانت دهشة افراد هذه اللجنة لبعض ما ورد في خطابكم عميقة ومن هؤلاء السيد اكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة الذي أبدى استغرابه لما جاء في خطابكم من اننى شكوت لكم منه وهو امر غير جائز الحدوث لا من ناحية المبادىء التي اؤمن بها وإنما من الأخلاق التي لا تنفصل في رأيي عن السياسة ولعل اكثر ما عانيناه في تجاربنا السياسية اننا كنا لا نساوم على المبادىء ولا نفصل الكرامة عن المصالح.

وإنى لأذكر تماما ، ويذكر زملائى ، وتسجل المحاضر التي امليتها [اعقاب اجتماعاتنا مباشرة ، ذلك الحديث الذى دار بيننا وجرى فيه ذكر الوحدة .

ولست اذكر انك لم تبد رضاءك الكامل عن الوحدة ولم يكن بيدى ما افرض به عليك الاقتناع ، ولقد حدثتنى عن زعماء الأحزاب في سوريا وقلت لك ان العناصر الوطنية في سوريا كلها على وجه التقريب تشترك معى في الوزارة وعددت لك هذه الأسماء ، وسالتك من غير هؤلاء الذين عددتهم لك تعنيه بإشارتك وقلت في ولعلك تذكر : العظم .

وفهمت أنك تشير إلى السيد خالد العظم.

ولم اسمح لنفسى أن أمضى في مناقشة معك حول الأشخاص فانتقلنا من الموضوع إلى غيره.

وإذا كان ما ورد في خطابكم عن اجتماعنا الأول في موسكو قد هالني فلقد هالني ايضا وبطريقة اشد ما ورد في هذا الخطاب عن اجتماعي الثاني بكم في موسكو في يوم ١٦ يوليو (اعقاب ثورة العراق.

ولقد كان الاجتماع بكم أول ما خطر ببالى بعد أن وقعت الثورة في العراق وهو أمر كنت أتوقعه على نحو ما دار بيننا من مناقشات في اجتماعنا الأول في موسكو.

لقد قامت عناصر وطنية من جيش العراق بما كنا نحسب حسابه ، ولم يكن جائزا ف تصورنا أن نترك الاستعمار يسحق الثورة الوطنية في مهدها ، ولقد كان موقفنا واضحا في اننا سنقف بجانب هذه الثورة مهما كانت النتائج .

اما موقفكم منها ومنا في هذه الحالة فلقد خطر ببالى انه ربما تكون الظروف ملائمة بعد التطور الجديد لكى اسمع منكم ردا واضحا على السؤال الذى وجهته لكم افتراضا في اجتماعنا الأول في موسكو خصوصا وقد تكلفت الحوادث بتحويله من مجرد افتراض إلى امر واقع .

وكان هذا السبب المباشر في اننى طلبت ان اجتمع بكم في اى مكان يناسبكم وقررتم ان يتم اجتماعنا في موسكو ومن سوء الحظ اننى لم استطع ان احصل منكم على جواب واضح

عن السؤال ، الذى طرحته من قبل كما قلت لكم افتراضا في شهر أبريل ، ثم طرحته الحوادث واقعا في شهر يوليو وانكم الآن تعللون عدم حصولي على إجابة وافية منكم عليه لأنكم كنتم تخشون من أن تشجعني معرفتي بمساعدتكم غير المحدودة على الاندفاع إلى عمل عسكرى يزيد الموقف خطرا .

ومع أن هذا التعليل لا يقنعني فإنني أود أن أتساءل ما هو العمل العسكرى الذي كان يمكن أن أندفع إليه ؟ ولقد كنا وقتها وكانت ثورة العراق الوطنية في مهدها ، نقف موقفا دفاعيا بحتا . وكان الأسطول الأمريكي السادس يقذف بحارته على الشاطيء اللبناني ، كما كان جنود المظلات البريطانيون يهبطون في الأردن فهل كان العقل يتصور أنه في إمكاننا أن نقوم بإجراءات هجومية .

هل كان من المتصور مثلا يا سيادة الرئيس ـ لو اننا علمنا انكم على استعداد للوقوف معنا ـ ان نبادر بالهجوم على الأسطول الأمريكي السادس بوحداته المسلحة بالأسلحة النووية والقذائف الموجهة.

او هل كان من المتصور مثلا ان نهاجم مناطق احتشاد جنود المظلات البريطانيين الالاردن، او القواعد التي يطيرون منها في قبرص.

لعلك يا سيادة الرئيس توافقنى ان للله كلها تعليلات تدعو إلى الاستغراب. كذلك يدعو إلى الاستغراب ما جاء في خطابك انك فهمته عن طلباتنا العسكرية في ذلك الوقت.

ولقد طلبت منكم عددا من قاذفات القنابل وهذا صحيح وهو طلب عادى للسلاح .

وطلبت منكم ايضا بعض صواريخ المدفعية متوسطة المدى ، ولقد قلت في خطابك وهذا حق اننى طلبت صواريخ إلى مدى ٥٠ أو ٧٠ ميلا ولقد ادهشنا ايضا تعليقك على هذا الطلب بانك قلت لى ان الصواريخ المتوسطة التي يملكها الاتحاد السوفييتي هي لمدى من ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ الاف ميل ، فلقد حددت ما طلبت وحددت مداه ولعل الترجمة واللبس بين كلمةRockets وهو ما طلبته ، وكلمة Missiles وهو ما لم أطلبه ، هو المسئول عن هذا الخطأ ، وإن كان من الصعب الاطمئنان إلى هذا التفسير في هذه الواقعة بالذات على ضوء هذه السلسلة من الاختلافات بين الواقع كما جرى ، وبين روايتكم له كما جاءت في خطابكم بتاريخ

ومهما يكن من أمر فلقد عدت بعد لقائنا من موسكو إلى دمشق وكان الموقف كما لخصته للوزراء في الجمهورية العربية المتحدة حين اجتماعي بهم.

د إن علينا ان نعمل لأحسن الاحتمالات ، وأن نستعد السوئها » .

ولقد كنا دائما نؤمن بالسلام ، إن لم يكن ايمانا منا بالمبادىء فلأننا على الأقل لا نملك سلاح الحرب ، ولكن ايماننا بالسلام ، والسلاح المحدود الذى نملكه ، لم يكن يمنعنا أن نستعد باتخاذ الوسائل الدفاعية ضد من يتربص بسلامة بلادنا .

ولقد كانت ثورة العراق بداية 1 نفس الوقت للأزمة الطارئة على علاقاتنا ، وإن كان

الكثير مما ورد في خطابكم قد فتح عيوننا إلى أن أسباب سوء الفهم بيننا كانت تمقد ـ على غير علم منا وعلى غير قصد وعلى غير أساس ـ إلى ما قبل هذه الثورة بكثير كما أوضحت لسيادتكم في مناقشة مارويتموه عن اجتماعاتنا الأولى والثانية في موسكو والتصادم الشديد بيننا وبين الحقيقة التي يؤيدها منطق الحوادث نفسها من غير اعتماد لا على ذاكرتكم ولا على ذاكرتك.

ولقد كنت اتصور انكم اول من يقدر موقفنا المجرد من الانانية في نصرة ثورة العراق ، فلقد لمستم بانفسكم استعدادنا للتضحية ، كذلك كنتم انتم اول من لفت انظارنا إلى المخاطر التي تعرضنا لها في هذه الفترة ، واني لاستعيد الآن في ذاكرتي الجهود التي بذلتموها لتامين سلامة عودتي إلى الوطن وكيف انكم طرحتم امر هذه السلامة على مخابراتكم لترتيب خطة لها تولى امرها الجنرال سيروف وزير الأمن لديكم في تلك الظروف ، كذلك استعيد في ذاكرتي مشاهد حفاوتكم الحارة بي إلى الحد الذي دفعكم مشكورين وقتها أن تقترحوا شرب نخبي كزعيم لجميع العرب ، وأود أن أعقب لكم هنا في صراحة وأمانة أنني عددت المنخب مجاملة كريمة لى لا أكثر ولا أقل ، فليست زعامة جميع العرب هدفا أسعى إليه ، كذلك فإن هذه الزعامة لا تخلع على أي عربي من خارج الوطن العربي ولا من غير الشعوب العربية ، وأنما ذكرت هذه الواقعة لانها هي الأخرى تتصلام مع ما ورد في خطابكم من أنني حاولت بعد ثورة العراق أن أفرض على شعبه قيادة معينة وأن هذا من أسباب الأزمة بين الجمهورية العربية المعرورة العربية حديد مسببات الظلام الذي بدا يسود علاقاتنا .

قلت لسيادتكم اننى كنت اتصور أن تكونوا أول من يقدر موقفنا المجرد من الأنانية في نصرة ثورة العراق ، كنت اتصور ذلك لا لأنكم كنتم قريبين من الحوادث التى أحاطت بالأثار التى ترتبت فجاة على قيام الثورة فحسب ، ولكن لأننى كنت اتصور أنكم أقدر من غيركم على فهم طبيعة الحوادث في المنطقة وعلى فهم تيارات التاريخ الكبرى وعلى فهم التفاعلات النفسية والاجتماعية العميقة التى تصنع النطورات .

ولقد كان أول دليل عملى يؤكد تصورنا هذا هو موقفكم الظاهر منا (أزمات مفتعلة الثارها الاستعمار ، وأتهمنا فيها تجاه دول عربية معينة بنفس ما يتهمنا به الحزب الشيوعي العراق اليوم بالنسبة للعراق .

ق تلك التجارب السابقة يا سيادة الرئيس ، وفي مواجهة مثل الحملات التي نتعرض لها الآن ، كان موقفكم يعكس إدراكا صحيحا للدوافع التي تملي على الاستعمار حملات التشهير التي يقوم بها .

ومن ناحية أخرى يا سيادة الرئيس فقد كنت أتصور أن المرأت التى أتيح لى فيها أن أحدثكم عن القومية العربية استطاعت أن تضع أمامكم صورة أجلى لحقيقة أيماننا بالقومية العربية .

ومن عجب اننا الآن نسمع من دوائر مختلفة هجوما على القومية العربية كاساس . ومن الناحية العلمية ـ إذا جاز في أن انتهز فرصة هذا الخطاب لمناقشة علمية ـ فما هي عناصر القومية .

في رايي انها باختصار ، عقل مشترك ، وضمير مشترك .

فأما عقل الأمة فهو اللغة.

وأما ضميرها فهو التاريخ.

وفي حالة القومية العربية فانكم لتجدون ان شعوب المنطقة فضلا عن اعتبارات شتى ، مادية وروحية ، تشترك في اكبر ما يمهد للقومية الواحدة ، العقل الواحد ، والضمير الواحد .

كذلك فاننى واثق انك تذكر ، ولقد قلت لك ، وكررت ما قلته في عديد من الخطب التي القيتها ألا مناسبات مختلفة وهي أن القومية العربية في رأيي تضامن ، وليست إطارا دستوريا بحال من الأحوال ، ولقد يجوز أن تتحول بإرادة الأجماع إلى إطار دستورى ، ولكن التضامن هو الأساس الأول .

وانى لاشعر ان سجل استعدادنا للتضامن مع ثورة العراق هو مما يحق لنا ان نفخر به ، ولقد بدا هذا التضامن منذ وقت طويل ، انا واثق يا سيادة الرئيس انك تعلم ان عددا من قادة ثورة العراق ، وبينهم اللواء عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية قد اتصلوا بنا قبل الثورة وطلبوا ان نساعدهم في تخطيطها كما سألونا عن الضمانات التي يمكن ان نقدمها إليهم في حالة فشلها ، ولم تكن نصيحتنا إليهم هي نصيحة من يريد التدخل في شؤون غيره أو يفرض عليهم وصاية ، وإنما كانت نصيحتنا لهم ان يحفظوا امرهم سرا حتى علينا ، وان لا ينشدوا العون إلا من شعبهم ، وان لا يتولى وضع خطة الثورة الا الذين سوف يقع عليهم عبء تنفيذها ، كذلك قلنا لهم ان الثورة في العراق يجب ان تظل فكرا وتصميما وعملا وحيا عراقيا خالصا .

وبعد أن نجحت ثورة العراق ، وبذلنا كل ما بذلناه لتامينها ، لم يتغير رأينا ، ولقد ظلت نصيحتنا الصادقة الأخوية لهم ، وكان السيد كامل الجادرجي آخر من سمعها منا من ساسة العراق ، هي أن لا يشغلوا أنفسهم في الوقت الحاضر بالصور الدستورية للوحدة أو الإتحاد وإنما الأجدى لهم وللأمة العربية كلها أن يتوافروا على إنجاح الثورة داخل العراق وذلك بدفع أهدافها الحقة إلى خدمة الجماهير على أن أقصى ما نطلبه منه هو التضامن العربي في شكل اتفاقيات اقتصادية وثقافية وعسكرية تنسق نشاط الشعبين بما يعود بالخير المشترك عليهما وعلى الأمة العربية كلها .

ومن سوء الحظيا سيادة الرئيس ان الحزب الشيوعي في العراق ـ الذي عاد افراده من المخابيء التي هربوا إليها في حكم نورى السعيد ـ اراد انتهاز الفرصة للسيطرة على ثورة العراق ودفعها إلى الوجهة التي تناسب ميوله فاستغل خلافا شخصيا نشب بين اللواء عبد الكريم قاسم ، وبين نائبه العقيد عبد السلام عارف لكي يخلق جو من البلبلة يساعده على تحقيق اغراضه ، وهو خلاف كان راينا وتصرفاتنا العملية شاهد على ذلك ودليل ، انه ينبغي ان يترك اللواء عبد الكريم قاسم قائد ثورة العراق يسويه على النحو الذي يجده اكثر ملاءمة لأهداف الثورة وسلامتها ، ولكن الحزب الشيوعي في العراق بدا يثير الفتنة لا بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وحسب ، وإنما مد نشاطه إلى الإساءة للعلاقات بين جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك باثارة مناقشة مفتعلة عن المفاضلة جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك باثارة مناقشة مفتعلة عن المفاضلة

بين الوحدة والاتحاد ، مالبثت ان تطورت إلى هجوم سافر ضد فكرة الوحدة الأمر الذى اظهر أن الهدف هو التأثير في الأوضاع في سوريا ، ولقد تجلى ذلك بوضوح خلال التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعى العراقى والحزب الشيوعى السورى ، ثم اتخذ هذا التعاون شكل نشاط سافر سواء في الإقليم السورى من الجمهورية العربية المتحدة أو أ جمهورية العراق

ولقد بدأت في الاقليم السورى تحركات مريبة تستهدف تعكير صفو الاستقرار واتخذ ذلك في بعض الأحيان اشكالا لا يسبهل تصديقها للوهلة الأوفى ومن بين النماذج على ذلك هجوم الحزب الشيوعى السورى على قانون الإصلاح الزراعى ، الذى كان هدفه أن يتيح لأكبر عسم من الفلاحين في سوريا فرصة ملكية الأرض ، كذلك كان هدفه تحطيم الإقطاع ، ومن ذلك ايضا نشاط الحزب ضد الوحدة وهو نشاط كان واضحا أنه ليس موجها ضد الاستعمار ، ولعلك توافقنى يا سيادة الرئيس أن قيام الجمهورية العربية المتحدة كان تتويجا للكفاح ضد الاستعمار ، وكان الحصن الكبير الذى تلتمس الحماية لديه ، كل حركات التحرير في الوطن العربي .

ووصل الأمر بالحزب الشيوعى السورى إلى حد أن رئيسه بدأ يدلى بتصريحات علنية نشرتها صحف تنطق بلسان الاستعمار كما تعلمون ، كذلك روجت لها إذاعات بعض الدول الاشتراكية ، وصورت هذه التصريحات هجوما عنيفا على الوحدة قصد به تقويض دعائمها وهو أمر لا يختلف أنسان من العرب في أنه لا يتوجه إلى حرب الاستعمار .

وفي تلك الفترة وكان السيد نور الدين محيى الدينوف يزور القاهرة سمحت لنفسى ان الحدثه في هذا الموضوع صراحة وسالته عما إذا كان نشاط الاحزاب الشيوعية في سوريا وفي العراق يعكس وجهة نظر الاتحاد السوفييتي ولقد كانت اجابته على صراحة هي النفي والإنكار.

ولابد انك علمت بما دار بيننا من مناقشات ولعلك تذكر أن موضوع نشاط الأحزاب الشيوعية المحلية في منطقتنا كان موضوع مناقشة بيننا في اجتماعنا الأول أ موسكو أ أبريل ١٩٥٨ .

ولعلك يا سيادة الرئيس تذكر اننى اشرت في حديثى معك إلى نشاط الأحزاب الشيوعية في الجمهورية العربية المتحدة وهو نشاط كنا نعتبر انه يخرج عن الخط الوطنى أل بعض الاحيان بحيث لا يخدم إلا مصالح اعداء وطننا ، وكنت اخشى ايضا ان يفسر اى إجراء نتخذه ضد هذه الاحزاب على انه موجه إلى الاتحاد السوفييتي لذلك رايت رعاية لمشاعركم واحتراما لها ان اثير الموضوع مبتدئا معكم في موسكو ولقد قلت لكم وقتها:

« اننى ارجو أن لا يفسر أى إجراء نتخذه ضد الأحزاب الشيوعية في بلادنا بأنه عمل عدائي ضد الاتحاد السوفييتي . .

ولقد قلت لك أن كثيرين منهم ينتمون أن الواقع إلى أسر إقطاعية وراسمالية وأنه ليس يكفى أن يضع أى واحد منهم لافتة قوق رأسه بأنه شيوعي ومن ثم يصير شيوعيا وأضغت أن لدينا أن الاقليم المصرى مثلا ثلاثة أحزاب شيوعية أو هكذا تدعى وكل منها في منشوراته يتهم الآخر بالمروق والانحراف ويصل تبادل التهم بينهم إلى حد الخيانة ، ولا نستطيع نحن أن

نحدد من هو الشيوعي الحقيقي ومن هو غير الشيوعي ، ونكاد في خاتمة المطاف نصدق فيهم جميعا .

وانى لأذكر انك نظرت إلى في ذلك اليوم وهزرت راسك ، ولم اجد ان اطيل في مناقشة هذا الموضوع معك ، واعتبرت اننى اخطرتك بحقيقة موقفى حتى لا نفاجا يوما حين نضطر إزاء نشاطهم المعادى لمصالح الشعب إلى إجراءات ضدهم وحينئذ قد يتبادر إلى الأذهان اى تفسير لا ينطبق على الحقيقة خصوصا وانه في ذلك الوقت سوف تحاول صحف الاستعمار ودوائره ان تضف من الملابسات على تصرفنا ما قد يفسر أ ظاهره على انه فتور في العلاقات يومئذ .

ولقد ادهشنى يا سيادة الرئيس انه في مناقشتك في خطابك بتاريخ ١٢ ابريل ، لما قلته في إحدى خطبى من أن الشيوعيين أتباع يتلقون التعليمات من الخارج ، أنك عدت إلى مناقشتنا في موسكو وذكرت ما قلته لك وقتها عن انقسام الشيوعيين في الاقليم المصرى إلى ثلاثة أحزاب ثم عقبت على ذلك بقولك : « أنهم لو كانوا يتلقون التعليمات من الخارج لكان أول ما ينصحون به أن يوحدوا جبهتهم » .

ومن عجب انه ما كاد النشاط الشيوعي في الجمهورية العربية المتحدة يشتد ، حتى توحدت الأحزاب الثلاثة وتناست ما بينها .

ولقد كان ذلك هو الذى فرض على في يوم الاحتفال بالجلاء عن بور سعيد في يوم ٢٣ ديسمبر أن أشير إلى النشاط المعادى للوطن الذى تقوم به المنظمات الشيوعية أو التي تدعى انها شيوعية ، وقصرت كلامي على هذه المنظمات في حدود الجمهورية العربية المتحدة ، ولم تستغرق إشارتي أكثر من عشر سطور ولقد قصدتها أن تكون تحذيرا وأضحا بأنني لست على استعداد لأن أسمح داخل الجمهورية العربية المتحدة بأى نشاط لا يخدم إلا أهداف الاستعمار .

وفي هذا كان حديثي يتجه إلى المنظمات الشيوعية داخل الجمهورية العربية المتحدة ، ولم ارض في ذلك الوقت حتى ان اشير إلى النشاط الشيوعي في العراق ، وهو نشاط لم يكن يتجه مع الأسف إلى حرب الاستعمار ، وإنما كان مع الأسف ايضا يهادن الاستعمار ليتفرغ بطاقته كلها لضرب الجمهورية العربية المتحدة ، مل وفكرة القومية العربية اساسا .

ولعلكم لو طلبتم تقريراً عما كانت تنشره الصحف العراقية في تلك الفترة لخيل إليكم ان الجمهورية العربية المتحدة ، وليس بريطانيا هي التي كانت تحتل العراق قبل الثورة وهي التي كانت تقيم صنائعها لحكم العراق ، ولخيل إليكم ايضا أن الجمهورية العربية المتحدة هي التي غللت شعب العراق بقيود حلف بغداد .

ولقد كانت الهدنة مع الاستعمار كاملة وكانت الحرب مع القوى الوطنية في المنطقة على اشدها ، وتلك حقيقة لا مجال لإنكارها ولا يكفى لدحضها أن يقال جزافا أن الشيوعيين هم طليعة الصف المناضل ضد الاستعمار ، فأن الشيوعيين كغيرهم من البشر كما لعلكم تذكرون ، عرضة للخطأ بل عرضة للانحراف .

ولقد احسست من تقرير بعث به إلى سفيرنا في موسكو عن حديث له مع السيد نور الدين محيى الدينوف أن إشارتي إلى النشاط الشيوعي في الجمهورية العربية المتحدة في

خطاب ٢٣ ديسمبر قد حملت على غير محطها الصحيح فبعثت إلى السفير كما طلبت من كل وسائل التوجيه في الجمهورية العربية المتحدة أن تشرح وجهة نظرنا في الامر تلافيا لأى سوء فهم .

وهكذا كرّسنا جهودا كبيرة لكى نشرح أن هجومنا لا يتجه على الشيوعية كعقيدة لأن ذلك ليس شاننا ، ونحن نفضل أن نشرح عقيدتنا الخاصة وتبلورها ، ولا نظن أنها تكسب كثيرا بمحاولة هدم العقائد الأخرى .

كذلك كرسنا جهودا كبيرة لكى نشرح أن هجومنا لا يتعدى هؤلاء الذين يدعون الشيوعية في بلادنا والذين نرى في نشاطهم ضررا يلحق بوحدة الشعب ، وأنه لا يخرج عن هذا الحد إلى المساس بأى شيوعي غيرهم بل وعددنا في هذا المجال أن ثمة أفرادا ممتازين من الشيوعيين تقدرهم شعوبنا حق قدرهم وكنت أنتم يا سيادة الرئيس على رأس القائمة من هؤلاء الافراد الممتازين .

ومن سوء الحظمرة اخرى ان محاولاتنا على ما يبدو لنا الآن لم تكن كافية لشرح وجهة نظرنا ، فاننا ما لبثنا ان وجدناكم تتعرضون للموضوع في خطابكم أل الحفل الافتتاحى للمؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي .

ورغبة منا في عدم توسيع شقة الخلاف _ رغم ما ورد في خطابكم من عبارات _ ورغم بعض الملابسات التي احاطت بظروف إلقاء خطابكم ومنها أن جلس معكم على المنصة بعض الهاربين من الشيوعيين من بلادنا _ وتعرض احدهم بما لا يليق بنائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة _ فإننا قصدنا أن لا نتعرض لهذا الخطاب بما قد يزيد سوء الفهم استحكاما . ولقد نشر احد الصحفيين مقالا ناقش فيه عباراتكم بالفاظ ملؤها التقدير والاحترام _ والتزم فيها الجانب الموضوعي التزاما دقيقاً فإذا صحف رسمية في بلادكم وإذاعات تتهمه بانه عميل امريكي ، ومع ذلك فلقد شئنا أن لا نفتح بابا للخلاف لا يغيد منه إلا الاستعمار .

وكان ذلك ايضا هو حافزى حين بعثت إليكم برسالة مع السيد ديمترى كيسيليف اشرح لكم فيها أن صداقة الشعوب العربية لكم لا ترجع إلى نشاط الأحزاب الشيوعية ، بل هى بالرغم من هذه الأحزاب الشيوعية ، وأنه لا يتفق مع الصواب في تقديرى أن تنحازوا داخل بلادنا إلى اقلية لا تمثل شيئا من مجموع الشعب وتغامرون بتقدير الإجماع الساحق للشعب لكم .

وكان ذلك ايضا هو حافزى حينما سلمنى القائم باعمال السفارة السوفييتية في القاهرة في يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٩ خطابا منكم تردون فيه على الملاحظات التى حملها إليكم سفيركم القاهرة ، وبادرت باستعمال فقرات منه على الفور - قبل ان تمضى اربع وعشرون ساعة على تسليمه إلى ، وذلك في خطابي يوم ٢١ فبراير لكى اقفل نهائيا باب الخلاف بيننا وبينكم ، وهو باب كنت ارى ان الاستعمار ، وان الاحزاب الشيوعية و بلادنا مع الاسف الشديد تساعده في ذلك ، يحاول جاهدا ان يفتحه على آخره .

ولقد كان يقال ، كما تعرفون ، انكم كنتم تقفون معنا لمواجهة حلف بغداد ، فلما إنهار حلف بغداد ، لم تعد لكم فائدة من الوقوف معنا .

وكان يقال ، كما تعلمون ، أنكم إنما كنتم تستعملون القومية العربية الأغراض تكتيكية الحرب الباردة ، فلما تحققت لكم هذه الأغراض تغير موقفكم .

وكان يقال ، كما تعلمون ، انكم كنتم تتقبلون فكرة الحياد لما كانت المعركة بين الاستعمار وبين القومية العربية ، فلما وجهت الضربة القاضية إلى الاستعمار ، بعد الثورة في العراق ، وبدا بعدها النشاط الشيوعي يشتد في المنطقة ، بداتم تخرجون عن تقبل فكرة الحياد في المنطقة .

وكنا نرفض أن نصدق ذلك وغيره. رغم ما كانت الشواهد تشير إليه مما ينشر في صحف العراق. وما يروجه الحرب الشيوعي في الاقليم السورى، وما تردده، نقلا عنها، إذاعات وصحف عديدة في بلاد الكتلة الاشتراكية.

لذلك ، يا سيادة الرئيس تلقيت من خطابكم بعض الفقرات التى ترجح حسن النية من جانبكم ، وإذعتها في خطابى بتاريخ ٢١ فبراير وكان هدفى ، كما شرحت لكم ، أن اسد الثغرة بيننا ، وأن أفوت على الاستعمار فرصة تصور أنه على وشك الظفر بها .

ولقد سافرت بعد ذلك الخطاب إلى الاقليم السورى ، والقيت اكثر من عشرين خطابا ، لم اشر فيها بغير الود إلى الاتحاد السوفييتى ، بل وكذلك قللت جهد الامكان من الاشارة إلى المنظمات الشيوعية ، حتى تتاح الفرصة لاعصابنا جميعا أن تستوعب ضرورة العمل على سد الثغرة ، وعلى ضرورة استعادة الثقة الكاملة فيما بيننا .

وكنا نحاول ما وسعنا الجهد في ذلك الوقت أيضا أن نصفى الخلافات التي لا سبب لنا ولا أصل ولا أساس. والتي أتصلت أتصالا بيننا وبين اللواء عبد الكريم قاسم، ومضينا في هذه المحاولة إلى حد أننا أقترحنا أكثر من مرة أن نجتمع باللواء عبد الكريم قاسم في أي مكان، حتى نصفى أسباب التوتر، وحتى تتاح لنا الفرصة لنؤكد له أننا لا نريد أن نفرض عليه شيئا لا يريده، ونبين له بالدليل العملي أننا لا نقصد غير التضامن العربي، واننا على استعداد لأن نسير مع كل بلد عربي إلى المدى الذي يرتضيه هذا البلد العربي، وعلاقاتنا باليمن حتى مع قيام الإتحاد، مثال حي لما نقول.

ولكن هذا الاجتماع ، مع الأسف ، لم يتم ، كما شوهت في صحف العراق ، التي تنطق بلسان الحزب الشيوعي ، مقاصدنا من ورائه ، حتى فقد إدعى إدعاء اننا نريد ان نعيد عصر تقرير مصائر الشعوب بالاجتماع بين الحكام ، وهو أمر لم يخطر لنا على بال .

كذلك حاولنا في خطب علنية ، أذيعت على الرأى العام العربي كله ، أن نناشد اللواء عبد الكريم قاسم أن يصد صوت الفتنة عن أذنيه ، حتى لا تكون الفرقة بيننا ، وأنى لاحيلكم في هذا الصدد على خطب عديدة القيتها في مدينة المنيا وفي القاهرة وفي دمشق .

ثم كان ما وقع في الموصل ، وهو أمر تنطق كل تفاصيله بأنه كان من وحى العاطفة المندفعة اكثر ما كان وحيا لتدبير متامر ، فلقد استفزت مجموعة من الضباط الشبان استفزازا

دفعهم دفعا إلى ما اقدموا عليه ، وكانت المفاجاة لنا ان الحزب الشيوعي في العراق ، حتى قبل ان تتاح الفرصة الكاملة لتحقيق ما حدث في الموصل وتقصى دوافعه ، بادر على الفور إلى اتهام الجمهورية العربية المتحدة ، الأمر الذي كان يدفع إلى زيادة العلاقات بيننا وبين العراق سوءا ، ولا يخدم مرةاخرى غير أهداف الاستعمار .

ومن سوء الحظ، أن الحكومة العراقية انساقت ، ببعض أجهزتها الرسمية ، بما في ذلك إذاعة بغداد ، والمحكمة العسكرية فيها ، إلى هذا النيار ، وهكذا أصبحنا أمام أزمة عنيفة بالغط .

وفي ذلك الوقت ، كان خطابكم في حفل تكريم الوفد العراقى بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٩ الذى اجد من واجبى أن أصارحكم بأنه لا يتناقض فقط مع الحقيقة . وإنما يتناقض اولا مع كل ما كان يصدر منكم قبل ثورة العراق .

ولقد اثار هذا الخطاب في نفوسنا _ فضلا عما حواه من التجنى _ ما لم يكن يسعنا عن ان نسكت عليه ، وما من شك في انه بدا لنا نقطة تحول خطيرة في علاقاتنا .

وينبغي أن أصارحك أن الاحتمالات التي رسمها أمامنا هذا الخطاب بدت قائمة وقوية .

ولقد كان بين هذه الاحتمالات انكم الآن غيرتم موقفكم تماما فبعد ان كنتم قبل ثورة العراق ، ويوم لم تكن الاحزاب الشيوعية عنصرا بارزا في الميزان تتعاملون مع القوى الوطنية ، بداتم الآن تفضلون ، وقد خرجت الأحزاب الشيوعية إلى النشاط الصريح ، ان تتعاملوا معها ، مهما تضاعل ما تمثله في الكيان الشعبي .

كذلك كان بين هذه الاحتمالات ما بدا واضحا امام شعوبنا انكم رميتم بكل ثقلكم إلى جانب الأحزاب الشيوعية ، فلقد استمعت شعوبنا وشاهدت مدى ما يبذله هؤلاء من نشاط هدام ضد اوطانهم ومع اننا قابلنا ذلك بالصبر شهورا طويلة امتدت من اعقاب ثورة العراق مباشرة ، فاننا ما كدنا نفضح نشاطهم في يوم ١٩ مارس ونسلط عليه الأضواء حتى خرجتم بعد اربعة أيام فقط إلى نصرتهم ، ولم تقتصر صراحتكم إلى مجرد نصرتهم ، وإنما امتدت المحاولة إلى إتهام الوطنيين بانهم يتكلمون بلسان الاستعمار ، ثم تعرضتم للقومية العربية ذاتها ، وزدتم عليه التعرض للأوضاع الداخلية في بلادنا .

ومعنى ذلك ، أن منطقكم كان يرتضى أن يهاجمونا فإذا ما رددنا بعد الصبر الطويل ، انبريتم للدفاع عنهم .

كذلك كان بين هذه الاحتمالات ، انكم توقفون الفكرة التقدمية حكرا على الشيوعيين وحدهم ، ناسون أن الأفكار التقدمية تستطيع أن تجد لها مجالا فسيحا للازدهار في مجتمعات لا تؤمن بالشيوعية وهو أمر يتناهى في غرابته ، كما لعلك توافقنى ، إذا ابتعدنا عن التعصب الفكرى ، كل منا لعقيدته .

وأنه لمن العجيب أن يكرس الشيوعيون في الاقليم السورى جزءا كبيرا من نشاطهم لقاومة الإصلاح الزراعي، وما أظن ذلك ـ في أي مقياس ـ يمكن أن يعتبر عملا تقدميا .

كذلك لا استطيع أن اتصور أن السكوت على الاستعمار، وهو ما لا يزال الحزب الشيوعي العراقي متلبسا به في وضح الشمس، عملا تقدميا.

وإذا كانت هذه التصرفات كلها من الشيوعيين في ملادنا عجيبة ، فلقد كان الأعجب منها أن تتصدى بنفسك ، ولك من المكانة في نفوسنا ما تعرفه ، للدفاع عنهم ، وتبرير تصرفاتهم ، الأمر الذى لم يكن مفر من أن يربط بينهم وبين الاتحاد السوفييتي في أذهان الناس ل بلادنا ، وما يترتب على ذلك من أثار لا يمكن أن تخدم مصلحة العلاقات بين بلادنا .

ولقد حوت خطبتك بتاريخ ١٦ مارس ، كما حوى خطابك الشخصى لى بتاريخ ١٦ ابريل ، دفاعا عن النظرية الشيوعية وشرحا وافيا لها .

ولست أريد أن اناقشك فيما قلت ، فإن احترام العقائد الأخرى من سمات مجتمعنا ألم وإنما دعنى أؤكد لك أننا نحاول وبمنهاج قد يختلف عن منهاجكم أن نلبى حاجيات الجماهير الأساسية .

ولعلك ترى معى أن ذلك يستغرق منا عملا وجهدا وفكرا تجعلنا نعزف عن الدخول فم مناقشات لا طائل من ورائها ، وأنك لتدرك يا سيادة الرئيس أن ثورة اكتوبر ، وقد مضى عليها الأن أكثر من أربعين عاما لم تصل بعد إلى ما تريدون تحقيقه تلبية لمطالب الجماهير .

ولقد بدات تجربتنا معا عن طريق المنهاج الاشتراكي الديمقراطي التعاوني منذ اقل من سبع سنوات ، ضاع منها جزء طويل كما تعلمون في مواجهة مؤامرات الاستعمار وعدوائه ، ومع ذلك ، فان ما حققناه ، سواء للفلاحين او للعمال ، يمكن اعتباره بداية لبناء ايجابي ، خصوصا بعد ان تمكنا في هذه الفترة من القضاء تماما على سيطرة الاقطاع ، وعلى سيطرة راس المال على الحكم .

وإذا كنا في هذه المرحلة نمنع قيام الاحزاب صيانة لوحدة الشعب ، ونعبىء نضاله الوطنى داخل اتحاد قومى ، فان ذلك كان حريا بان يجد لديكم من رحابة الفهم ، خصوصا وقد مررتم في الاتحاد السوفييتي بتجربة مماثلة ، وليس يجدى ، يا سيادة الرئيس ، ان يقال أن انعدام الاحزاب في الاتحاد السوفييتي يمكن أن يبرره أن مجتمعكم قد قضى على الطبقات ولعلك تذكر أنه بعد ثورة اكتوبر ، تعرضت الثورة السوفييتية لاعاصير من الداخل ومن الخارج عرضتها لاقصى الاخطار كما لا يمكن أن يقال اطلاقا أن إلغاء الطبقات قد تم بين يوم وللة .

ومما يثير التساؤل مثلا أن الحزب الشيوعي في العراق ، وكان دفاعكم عنه من اسباب ازمة العلاقات بيننا ، وهو الحزب الذي لا يفتا يندد بالأوضاع الداخلية في بلادنا بسبب عدم سماحنا بقيام احزاب لم يجد ما يعلق به على خطاب رسمى لرئيس الحكومة العراقية ، نبؤ فيه فكرة الاحزاب وهاجمها ، وطالب كما تطالب بفترة انتقال تصبح فيها الامة كلها على حد ما قال «حزب الله » .

كذلك ، فلقد اشدتم غير مرة ، يا سيادة الرئيس ، بجهودنا في تنمية الانتاج ، وتنشيط الثقافة ، ارساءا لقواعد مجتمع متحرر .

ولذلك ، كانت دهشتنا لما ورد في خطابك من قولك اننا نواجه مصاعب جمة نتصور اننا نستطيع مواجهتها بشن حرب صليبية ضد الشيوعية .

واؤكد لك ، يا سيادة الرئيس ، اننا لا نرى امامنا مصاعب جمة ، وانما نرى امامنا عملا شاقا .

والصعوبة الحقيقية أن يتخبط المرء فلا يجد طريقه ، وليست الصعوبة أن يجد الطريق ، ثم يجده طويلا .

وإننا لندرك أن الطريق أمامنا شاقا ، وأننا لندرك أن سبيلنا عليه هو العمل ، وهو المعركة المستنيرة الدائبة .

وليس هجومنا على الشيوعيين حلا يقصر الطريق - نحن نوافقك في ذلك - وانما هجومنا كان لأن الشيوعيين حاولوا إقامة العقبات على هذا الطريق.

ولقد احسست ، يا سيادة الرئيس ، أن جزءا كبيرا من ضيقك بهجومنا على الشيوعيين كان مبعثه الحرص على الفكرة التي ينسبون انفسهم اليها أن تضار بسبب الهجوم عليهم . ولست أدرى في الحقيقة كيف كأن يمكن أن نكشف أعمالهم دون أن نسميهم بالصفة التي ادعوها الانفسهم .

واؤكد لك ، وما اظننى في حاجة إلى تاكيد ، اننى حريص على مشاعرك ، لا كصديق فقط ، وانما بصفتك مؤمن بالفكرة الشيوعية ولكن حقيقة لا اعرف كيف يمكن أن اتعرض للتصرفات التى قام بها الشيوعيون دون أن أسمهم شيوعيون ؟!

ولقد ساعد على تعقيد الأمر، ما صدر عنكم من تصريحات وما صدر عن صحفكم واذاعاتكم ، بل لقد وجدنا انفسنا فجاة في وجه حملة منظمة تمتد على جبهة عريضة واسعة ابتداء من جريدة الديلي ووركر التي تصدر في لندن إلى جريدة الراية الحمراء التي تصدر في الصين .

ومع ذلك ، فحتى بعد هذا كله ، كنا حريصين بكل قوانا أن نحصر جبهة الخلاف ، ولعلكم تلاحظون مثلا أننا لم نتعرض على الإطلاق لكل ما وجه إلينا من الصين الشعبية .

وفي الجبهة الضيقة ، التي حاولنا فيها أن نرد على ما وجه الينا ، كان موقفنا دفاعيا بحتا ، في وجه عمل هجومي لم يقتصر على حد العدوان بالدعاية بل كاد يصل إلى حد العدوان الفعلى ، واظنكم تسلمون أن العمل لهدم الوحدة بين مصر وسوريا وهدم الاساس الذي تقوم عليه الجمهورية العربية المتحدة هو عدوان كامل على بلادنا .

وهكذا فان الموقف، يا سيادة الرئيس، اصبح يتلخص فيما يلى:

- ١ لقد وجدنا انفسنا مرغمون على الدفاع عن بلادنا ضد نشاط المنظمات الشيوعية داخل
 حدود الجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك هدف حديثى بتاريخ ٢٣ ديسمبر
- ثم وجدنا انفسنا مرغمون على الدفاع عن انفسنا ضد مساندتك شخصيا لهذا الحزب،
 ولقد تجلى ذلك في خطابك في المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى،
 وإن كان واضحا ان دفاعنا عن انفسنا في هذه الحالة ، لم يتعد مقالا واحدا نشره احد
 المحفيين

 م وجدنا انفسنا مرغمين ـ بعد استفرازات طال صبرنا عليها ـ على الدفاع عن انفسنا ضد هجوم الحزب الشيوعى العراقى علينا واتهامه لنا ، ومحاولته الواضحة لتكدير العلاقات بيننا وبين شعب العراق.

نم وجدنا انفسنا مرغمین علی الدفاع عن انفسنا ضد مساندتك لهذا الحزب فیما یقوم
 به ولقد تجلی ذلك فی خطابك بتاریخ ۱٦ مارس .

■ - ثم وجدنا انفسنا مرغمين على الدفاع عن انفسنا في وجه الحرب العنيفة التي خرجت علينا بها الاحزاب الشيوعية والمنظمات الشيوعية في العالم كله ، وهي حرب مازالت مستمرة حتى هذه اللحظات .

وهكذا ندور الآن في حلقة مفرغة.

فالواضح اننا لا نستطيع السكوت باى حال على هذا الذى يوجه ضد مبادئنا ومعتقداتنا بل ضد سلامة وطننا.

لا نستطيع أن نسكت عليه ، حين يقوم به أفراد من بلادنا ، ولا نستطيع أن نسكت عليه حين يجد هؤلاء الأفراد قوة من الخارج تسندهم ، وتعين أزرهم وليس يجدى في تخفيف أثر ذلك يا سيادة الرئيس أن نبدى الأسف ، لانك أنسقتم وراء هؤلاء الأفراد ، كذلك ليس يجدى التساؤل – المقرون بالأسف أيضا – عن الحجج التي ساقها اليكم هؤلاء الأفراد ، ودفعوكم دفعا إلى هذا الموقف الصعب الذي تقفونه الآن في حكم الراى العام العربي ، بل والرأى العام في كل أفريقيا وأسيا ، وما من شك أنها كانت حججا لا تقوم على أساس ، ومعلومات لا تستند إلا إلى التضليل ، ومن سوء الحظ أن جزءا كبيرا من الضرر الذي وقع سوف يقتضي أزالة أثاره جهودا كبيرة .

والواضح أن هجومنا ضد الشيوعية ليس هجوما على عقيدة ، وإنما هو دفاعا عن انفسنا ضد حملة عنيفة موجهة إلينا .

والواضح ايضا أنه ليس أمامنا مفر من استعمال صفة هؤلاء المهاجمين في محاولة دفاعنا

والواضح ايضا انك تعتبر كل هجوم على الشيوعيين هجوما عليك وتجد نفسك مضطرا إلى الاشتراك في المعركة، وهو امر اؤكد لك إننا لا نريده ولا نسعى إليه.

ولقد كنا نهاجم نورى السعيد وهو مسلم ، بل كنا نهاجم الأسرة المالكة في العراق وهي سليلة نبى الاسلام ، ولكننا كنا نهاجم انحرافات اشخاص ، ولا نقصد مهاجمة العقيدة التي يؤمنون بها ، بل وكان الأمر في حالتنا معهم أكثر تعقيدا منه في حالتنا معك ، فان الدين الذي كانوا ينتمون اليه هو نفس الدين الذي نتشرف باعتناقنا له .

وكذلك ندور في الحلقة المفرغة.

وأننى أؤكد لك صادق النية بنفس العزم على أنه لا شيء احب إلى من أن نخرج من هذه الحلقة المفرغة إلى استقرار يسود العلاقات بين بلدينا ، وهي علاقات أكدت لكم ومازلت أؤكد أنها من دواعي فخرنا واعتزازنا .

وما اظننى في حاجة إلى أن أعدد لكم المبررات التي تحبب إلى أن يعود الصفاء بيننا ، وهي أبرز وأوضح من أن تحتاج إلى مزيد تكرار .

إننا نؤمن بالتعايش السلمى ونحن نؤمن بالصداقة بين الشعوب، ونحن نرفض الحرب لأنها تتنافر مع مبادئنا . سواء في ذلك الحرب الساخنة او الحرب الباردة ، بل نحن لا نملك كما تعلم أسلحة الحرب الساخنة ولا نملك الوقت الذي نضيعه في الحرب الباردة بسبب سعينا للحاق بالتقدم البشرى الذي أرغمنا على التخلف عنه بفعل الاستعمار .

ثم اننا نقدر تمام التقدير مواقفكم منا منذ بدا التعاون الوثيق بيننا [سنة ١٩٥٥ حتى بدأت الأوضاع التي يتملكنا الأسف الشديد لوقوعها في نهاية ١٩٥٨ وبداية ١٩٥٩. ولكنك تدرك أن في الأمر طرفين ، ولقد استعملت يا سيدى الرئيس ، مثلا روسيا شائعا في خطابك ، فاسمح في أن استعمل مثلا عربيا شائعا يقول أن « يدا واحدة لا تصفق » . وإذا كنا نشعر أننا مخلصون صادقون نريد صداقتكم .

فاننا ، نريد ان نشعر ان يدنا المعدودة إليكم لا تترك معلقة في الهواء .

وإنى لأتمنى أن يسود جسر المعلاقات بيننا هدوء يتيح لكل منا أن يبذل قصارى جهده للعمل الايجابي في سبيل التقدم وفي سبيل السلام.

وتفضلوا يا سيادة الرئيس بقبول فائق احترامي واماني الصادقة بالنجاح والرفاهية لشعب الاتحاد السوفييتي العظيم.

امضاء جمال عبد الناصر وإذا كنت قد تأخرت في الرد على هذا الخطاب فلقد كان باعث التأخير هو إعطاؤه ما يستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتأنية .

ولعل مبعث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيت خطابكم ، كما أشرت أن العبارة الأولى من هذا الخطاب ، أننى كنت من جانبى أقلب النظر أن فكرة الإتصال بكم بشأن نفس هذه القضية التي أثرتم أن خطابكم بعض جوانبها .

ولقد كان فكرى في الإتصال بكم، يرتكن على مجموعة من العوامل:

- اولها _ ان ما تم بالفعل من تبادل المراسلات بيننا في عدد من مختلف المشاكل العالمية كان واضحا في دلالته على انكم تحاولون فتح أبواب التفاهم _ وابقائها مفتوحة _ بينكم وبين عد من الشعوب الاخرى التي تولى قضايا السلام اهتمامها الأول ، حفاظا على هذا السلام وصونا للجنس البشرى مما يتهدده من اخطار ، وفي اعتبارنا أن الوصول إلى التفاهم المشترك بين الشعوب ، هو في الوقت نفسه إقامة فرص للسلام على أمتن الاسس واصلبها .
- ثانيا .. أن قضية فلسطين وما تفرع عنها من مشاكل هي ، بجانب كونها من القضايا الرئيسية التي تمس السلام العالمي مباشرة في عصرنا ، فهي في الوقت نفسه ذات إتصال وثيق بالعلاقات ما بين شعبينا ، وأحب هنا أن أضيف أنني لا أربط احتمالات التفاهم بيننا بضرورة التقاء وجهات نظرنا في هذه المشكلة على نحو كامل التطابق ، وإنما الذي اقوله هو أنه من الأمور الحيوية في هذا الصدد أن تكون لدى كل منا صورة وأضحة للحقيقة ، بقدر ما يمكن أن يبدو منها أنسانيا من وراء ضباب الزمان ، ودخان الأزمات .
- ثالثا _ اننى تابعت باهتمام كل مرة تعرضتم فيها لهذه المشكلة سواء فيما القيتم من خطابات في الكونجرس حين كنتم تمثلون ولاية « ماساشوستس » أو ما صدر عنكم خلال حملة انتخابات الرياسة ، ولست اخفى عليكم اننى قبل أن يصلنى خطابكم كنت _من تأثير فكرة الإتصال بكم في موضوع فلسطين _ احاول أن استشف صورة لموقفكم منه خلال سطور كتابكم عن استراتيجية السلام _ ولقد كان احساسى بما قرأت عنكم مباشرة ، أو بما نسب إليكم في هذا الموضوع _ يجعلنى اعتقد أن هناك زوايا كثيرة في المشكلة تستحق مزيدا من الضوء .

على انى برغم هذا كله تصورت انه ربما كان المناسب أن أرجىء الاتصال بكم في هذا الأمر باعتبار ما كان يواجهكم من مشاكل ضخمة ذات طابع ملح وعاجل ألليدان الدولي.

ومن هنا ـ كما قلت لكم ـ اثار ارتياحى انكم اخذتم المبادرة وكتبتم إلى في بعض زوايا الموضوع الذى كان بودى ان احدثكم من جانبى في صورته الكاملة كما نراها هنا على الناحية العربية منها ، ولست اريد هنا أن املا هذا الخطاب بالوثائق ومعانيها ، والقرارات واحكامها ، فذلك كله قد يكون له مجاله ، وإنما أنا هنا أحلول أن أنقل إليكم تصورنا العام للمشكلة ، وأسمح لى هنا أن أؤكد لك أن هذا التصور لا يقوم على أسلس عاطفى ، وأنما ما حدث ملايا ، هو أساسه المحدد .

صورة من خطاب الرئيس د جمال عبد الناصر » إلى الرئيس الأمريكي « جون كنيدى » بتاريخ اول اغسطس ١٩٦١ ردا على اول خطاب اثار فيه الرئيس د كنيدى » فجاة ، وبدون مقدمات ، قضية فلسطين ورغبته في إجراء صلح بين العرب وإسرائيل

عزيستزى الرئيس جسون • ف • كنيسدى

لقد تلقيت بعزيد من الارتياح والتقديسر خطابكسم السيّ بتاريسسخ ١١ مايو ١٩٦١ ، والذي تفضلتم فيه باثارة بعض جوانسب المشكلسسة ، ذات الاَّ هميسة البالغة ، والخاصة ، بالنمبة للاَّ منة العربيسة على اختسلاف شعيبها ، وهي دون شك د قضية فلسطين =

واذا كنت على تأخرت في الرد على هــذا الخطاب فلقد كان باعــــث التأخير هو اعطاؤه مايستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتأنيسة •

ولعل معث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيست خطابكم ، كما أشسرت في العبارة الأولى من هذا الخطاب ، أننى كنت من جانسي أقلسب النظسسر في قكرة الاتصال بكم بشأن نفس هذه القضية التي أثرتسم في خطابكم بعسف جوانبهسسا •

ولقد كان فكرى في الاتصال بكم ، يرتكن على مجموعة من العوامسل ا

أولها سان ماتم بالفعل من تبادل المراسلات بيننا في عدد من مختلسف المهاكل العالمية كان واضحا في د لالته على أنكسم تحاولون فتسسح

(يتبع)

سيادة الرئيس

اسمحوا لى أن أضع أمامكم هذه الملاحظات التالية ، علها تساعد مترابطة ، على توضيح صورة سريعة للمشكلة :

۱ ـ لقد اعطى من لا يملك ، وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان «من لا يملك » و «من لا يستحق » ، بالقوة وبالخديعة ، أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه ، فيما يملكه وفيما يستحق .

تلك هى الصورة الحقيقية لوعد بلغور ، الذى قطعته بريطانيا على نفسها ، واعطت فيه ـ من ارض لا تملكها ، وإنما يملكها الشعب العربي الفلسطيني ـ عهدا بإقامة وطن يهودى والسطين .

وعلى المستوى الفردى ـ يا سيادة الرئيس ـ فضلا عن المستوى الدولى ، فإن الصورة على هذا النحو تشكل قضية نصب واضحة تستطيع أى محكمة عادية أن تحكم بالإدانة على المسؤولين عنها .

٧ ـ ومن سوء الحظ يا سيادة الرئيس أن الولايات المتحدة وضعت ثقلها كله في غير جانب العدل والقانون في هذه القضية ، مجافاة لكل مبادىء الحرية الأمريكية والديموقراطية الأمريكية ، وكان الدافع لذلك مع الأسف هو اعتبارات سياسية مجلية لا تتصل بالمبادىء الأمريكية بل ولا بالمصلحة الأمريكية على مستواها العالمي ، ولقد كانت محاولة اكتساب الأصوات اليهودية في انتخابات الرئاسة هي ذلك الدافع المحلى ، ولقد قرانا لأحد السفراء الأمريكيين السابقين المنابقين المنابقين المنابقين المنابقين المنابقين في المنابق ان سلفكم المستر هارى س . ترومان لما القي بكل قوته ، وفيها بالقطع قوة منصبه الخطير ، على رأس الأمة الأمريكية ضد الحق الواضح في مستقبل فلسطين لم يكن له من حجة ازاء الذين لفتوا نظره من المسؤولين إلى خطورة موقفه غير قوله :

هل للعرب أصوات في انتخابات الرئاسة الأمريكية؟

٣ ـ ان خرافة الانتصار العسكرى ، الذى تحاول بعض العناصر أن تقيم على أساسه حقا مكتسبا
 للدولة الإسرائيلية في فلسطين ، ليست إلا وهما صنعته الدعايات التي بذلت جهدها لاخفاء
 معالم الحقيقة .

ولست أريدك أن تسمع - في هذا المجال - شهادتي كجندى عاش هذه التجربة بنفسه ، وإنما وثائق الأمم المتحدة وتقارير وسيط الهدنة الدولية في فلسطين ، ولجانها ، تستطيع أن تثبت لك أن القوات الإسرائيلية لم تستطع إحتلال ما احتلته من الأراضي خلال المعارك ، وأنما من العجيب أن ذلك كله تم خلال الهدنة ، ولقد كان ما فعله العرب في ذلك الوقت أنهم أحسنوا الظن بالأمم المتحدة ، وتصوروها قوة قادرة على فرض العدل ، خصوصا إذا كان العدل أساسا هو كلمتها وقرارها ، ولقد ظن العرب أن الجانب الإسرائيلي سوف يعاقب على خرقه لاحكام الهدنة الدولية ، وأن ما تسلل إليه من الأرض تحت ستار الهدنة سوف يعاد إلى مكانه الأصلى ، ومن سوء الحظ أننا عوقبنا فيما بعد على أن نظرتنا إلى الأمم المتحدة كانت نظرة مثالية تنبع من الثقة .

إن الخطر الإسرائيلي بعد ذلك كله ، لا يمثل مجرد ما تم حتى الأن من عدوان على الحق العربي ،
 وإنما هو يمتد إلى المستقبل العربي ويهدده بافدح الأخطار ، وإذا ما لاحظتم استمرار الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وتشجيعها وفتح الأبواب أمامها رايتم معنا أن هذه الهجرة تصنع ضغطا

داخل إسرائيل لابد له أن ينفجر ويتجه إلى التوسع ، ولعل ذلك هو التفسير المنطقى للتحالف القوى بين إسرائيل وبين مصالح الاستعمار في منطقتنا ، فإن إسرائيل منذ قيامها لم تبتعد كثيرا عن الفلك الاستعمارى وكان واضحا أنها تشعر بترابط مصالحها مع الاستعمار ، كذلك كان الاستعمار من ناحيته يستخدم إسرائيل كاداة لفصل الأمة العربية فصلا جغرافيا عن بعضها ، وكذلك كان يستخدمها كقاعدة لتهديد أى حركة تسعى للتحرر من سيطرته ولست في حاجة للتدليل على ذلك الا بتذكيركم بالظروف التى تم فيها العدوان الثلاثي علينا ، والتواطؤ الذي سبقه سنة ١٩٥٦ .

من هذا العرض السريع للصورة في خطوطها العامة اردت أن أقول لكم أن موقفنا من إسرائيل ليس عقدة مشحونة بالعواطف وإنما هو:

عدوان تم في الماضي

وأخطار تتحرك في الحاضر

ومستقبل غامض محفوف باسباب التوتر والقلق معرض للانفجار 🛭 اى وقت .

ولكى اكون منصفا فإنه يبدو لى ان بعض العناصر العربية قد ساهمت في تصوير المشكلة لديكم باعتبارها شحنة عاطفية ، واذكر في هذا المجال ان سلفكم الرئيس دوايت ايزنهاور قال لى عندما كان لى شرف لقائه في نيويورك في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٠ ان بعض الساسة العرب كانوا يدلون بتصريحات علنية متشددة في موضوع فلسطين ثم يتصلون بالحكومة الأمريكية يخففون من وقع تشددهم قائلين أن تصريحاتهم كانت موجهة للاستهلاك المحلى العربي .

وإنى لأسف حقيقة أن هذه الأصوات المتخاذلة المترددة استطاعت أن تجد من يسمعها في بلادكم ، وإن كانت في بلادنا مهما تظاهرت بالتصلب في الحق لم تجد من يسمعها أو يثق بها واقد اثبتت الحوادث فيما بعد على أي حال أن هؤلاء الذين خدعوكم لم يتمكنوا من خداع شعوبهم .

سيادة الرئيس

لقد حاولت أن أكون صريحا إلى أبعد حدود الصراحة في حديثي إليكم ، ولقد يبدو من أصول اللغة الديبلوماسية التقليدية ـ انني جاوزت ما تفرضه اعتبارات المجاملة ، ولكني أؤكد لكم أنه الاعتباري لا يوجد أشرف في تكريم الصديق والحفاوة به خيرا من التعبير الصادق كما يحس به صاحبه ، ومن هذا الأساس فاني استأذنكم بعد أن عرضت للصورة ـ من ناحيتها الإسرائيلية ـ أن استطرد للناحية الأمريكية منها .

واسمحوا في أولا أن أؤكد لكم أن ايماني العميق ـ كان ولا يزال ـ أن الوصول إلى تفاهم عربي أمريكي هدف هام بالنسبة لنا يستحق أن نبذل من أجله كل الجهود ، ونحاول من أجله ولا نيأس من المحاولة أو نمل .

ونحن في هذا نصدر عن تتبع واع لمجرى التاريخ الأمريكي ، وعن إعجاب عميق بخصائص الأمة الأمريكية ، وعن مشاركة مخلصة أل كثير من مبادىء النضال التي استهدت بها امتكم العظيمة في صنع مكانها .

والأن استاذنكم في إبداء هذه الملاحظات:

١ - لقد حاولنا دائما ، ومازلنا نحاول ، ولسوف نصر دائما على المحاولة ، أن نمد أيدينا للأمة

الأمريكية ، واؤكد لكم انه مما يحز في نفوسنا إلى ابعد الحدود اننا في كثير من الأحيان نجد بدنا معلقة وحدها في الهواء .

ولقد تفضلتم ـ يا سيادة الرئيس ـ واشرتم ل خطابهم إلى دور الرئيس وودرو ويلسون ، وفرانكلين روزفلت ، في بروز دول عربية مستقلة ذات سيادة متكافئة في المجتمع الدولي . واسمحوا لي أن أقول أن الرئيسين الكبيرين لا يمثلان في بلادنا أمالا تحققت ، بقدر ما يمثلان أمالا لم تتحقق .

لقد كانت في بلادنا ثورة وطنية عارمة تطلب حق تقرير المصير ، ولما اعلن الرئيس ويلسون نقطه الأربعة عشر المشهورة كان صداها على الثورة الوطنية العارمة في بلادنا قويا وفعالا .

ولقد ذهب وقد يمثل الثورة الوطنية في مصر - في ذلك الوقت - إلى باريس ليحضر مؤتمر الصلح وينادى بحق مصر في تقرير مصيرها وكان هذا الوقد يرفع - بين ما يرفع من الإعلام - نفس مبادىء الرئيس وودرو ويلسون ويستند عليها ، ولكن الرئيس ويلسون رفض مقابلة هذا الوقد ، كما أن هذا الوقد لم يجد فرصة يشرح فيها قضية بلاده أمام مؤتمر الصلح في باريس ، ولم يكن أمام هذا الوقد وأمام الشعب الذي أرسله إلى باريس غير المقاومة الشعبية المسلحة ضد الاستعمار ، وكانت القوة القاهرة سلاح الاستعمار لقمع الثورة الشعبية خلافا مع كل دعوى عن تقرير المصير .

كذلك استطاعت مبادىء الاطلنطى التى اعلنها الرئيس روزفلت سنة ١٩٤١ عن تحرير الشعوب ان تشد إليها أمال شعبنا ولريما كان سوء حظنا أن الرئيس روزفلت لم يعش ليرى يوم انتهاء الحرب حتى تتاح له الفرصة لوضع قوته الضخمة وقوم وطنه وراء المبادىء التى اعلنها وقت محنة الطغيان الفاشيستى .

- ٢ كانت الصدمة الكبرى في العلاقات العربية الأمريكية ، هي غلبة اعتبارات السياسة المحلية الامريكية ، على اعتبارات العدل الامريكي والمصلحة الامريكية في تقرير موقفكم من الظروف التي اهدر فيها الحق العربي في فلسطين اهدارا كاملا ولقر سبقت في الاشارة الى هذا الامر حين تعرضت لمشكلة فلسطين من جانبها الإسرائيلي .
- ٣ ـ احتدم الخلاف بيننا ، وزادت حدته ما بين سنة ١٩٥٤ وسنة ه١٩٥٥ بسبب التباين بين نظرة كل منا إلى مشكلة واحدة ، هي مشكلة الدفاع عن الشرق الاوسط .
- كان راينا أن الأحلاف العسكرية ، خصوصا تلك التي تستند على قوى عالمية كبرى ، لا تكالل الدفاع عن الشرق الأوسط ، وإنما هي تزيد تعرضه للخطر بمقدار ما تزج به إلى الحرب الباردة ،
- وكان راينا ان الدفاع الحقيقي عن الشرق الأوسط تقوم به بلدان هذا الشرق الأوسط وان ميدانه ليس الخطوط الدفاعية بقدر ما هو الجبهات الداخلية للشعوب ، وكان الاستقلال الحر غير المشروط ، والاتجاه المجدى إلى التطوير الوطنى البناء هو خير ضمان لسلامة الشرق الأوسط ضد اى عدوان كيفما كان مصدره ، ولقد أتيح لى أن أشرح بنفسى موقفنا هذا للمستر جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الوقت عندما أتيحت لى فرصة لقائه سنة 1907 في القاهرة .
- 1 1 = 1 + 1 غمرة المناقشة الكبرى حول الدفاع عن الشرق الأوسط، وقعت الحادثة التى كانت بمثابة انقطة التحول في اتجاهات الحوادث واعنى بها الغارة على غزة في فبراير ١٩٥٥ ، حبث قام

الجيش الإسرائيلي بغارة هجومية وحشية على مدينة غزة الفلسطينية ، ولست اريد ان اصف هذه الغارة باكثر مما وصفته بها وثائق الأمم المتحدة ، وقد وصفتها بانها غارة ، وحشية ومدبرة ، ومع ذلك فإن وزير الدفاع الإسرائيلي ، ورئيس الوزراء الحالى ، بعث بتهنئته إلى الذين قاموا بها بناء على امره ، ومواصلة نفس الخطة العدوانية على مصر في ذلك الوقت وهذه الخطة التي كانت تستهدف الجبهة الداخلية لمصر على حد ما تشهد به الوقائع المتسربة مما الخطة التي كانت تستهدف الجبهة الداخلية لمصر على حد ما تشهد به الوقائع المتسربة مما يسمونه عملية لافون في إسرائيل والتي اتضح منها أن الهدف كان تفجير القنابل في بلادنا وتدمير منشاتنا واساءة العلاقات بيننا وبين دول صديقة بينها الولايات المتحدة الامريكية التي وضع العملاء الإسرائيليون القنابل الحارقة أمام مكاتبها في القاهرة وفي نفس الوقت كانت هذه الخطة تستهدف خطوط الهدنة كما تجل في الغارة على غزة .

ولقد دفعنا ذلك إلى الاحساس بان انهماكنا في عملية التطوير الوطنى لا يجدى ازاء العدوان وتحتم أن نوجه جزءا من الاهتمام ـ بجانب التطوير ـ إلى الاستعداد المسلح لرد العدوان إذا ما تحرك ضدنا.

ولقد كان من هنا أن بدأنا بطلب شراء السلاح من الولايات المتحدة بالحاح ، ولما ووجهنا بالماطلة ثم بالرفض كان أن اتخذت قرار شراء السلاح من الاتحاد السوفييتى ، وأؤكد لك أننى سوف أظل احتفظ بكثير من الوفاء لحكومة الاتحاد السوفييتى ، واتصور أنك لو كنت مكانى لكان ذلك نفس شعورك وأنت ترى التهديد يحيط بوطنك وتجد أ الوقت نفسه أنك لا تملك وسيلة إنزال العقاب بالمعتدين .

- ٥ كان من اثر ذلك ان مرت العلاقات بيننا بفترة عاصفة وجرت محاولة تشويه سياستنا الوطنية عن عمد وتعرضنا لالوان من الحرب النفسية بينها توجيه عدد من محطات الإذاعة السرية توجه دعاياتها المسمومة إلى شعبنا بغية تحويله عن الصمود وراء حكومته الثورية ، ثم كانت ذروة الحرب النفسية هنا ، هو ذلك القرار الذي اتخذ بسحب عرض المساهمة الامريكية في تمويل سد اسوان العالى ، وهو العرض الذي كانت الحكومة الامريكية قد تقدمت مختارة مشكورة به ، ثم تبع ذلك انسحاب البنك الدولى من عملية تمويله ، ولم يكن هناك شك في أن الطريقة التي تم بها سحب هذا العرض كانت تنطوى على الكثير مما لا يرضى الشعب العربي في مصر لنفسه أن تتقبله .
- ٦ قدرنا للولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك موقفها في محاولة إيجاد حل سلمي للمشكلة التي ثارت في ذلك الوقت بعد تاميم شركة قناة السويس ، كذلك كان تقديرنا فائقا للتاييد العظيم الذي لقيته قضية الحرية في بلادنا من جانب الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي وكان ذلك حينما تكشفت مؤامرة التواطؤ على بلادنا من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، ثم حينما بدات عملية الغزو عوم ٢٩ اكتوبر ٢٩٥١ في نفس اليوم الذي كان محددا لبدء المفاوضات في جنيف بغية الوصول إلى حل نهائي على ضوء قرارات مجلس الأمن بشان قناة السويس.

ولقد كان احساسنا ان الشعب الأمريكي يشعر بموقفنا من ذكريات تجاربه في بيرل هاربور، وصدق احساسنا ومن سوء الحظ ان التحسن الكبير الذي طرا على علاقاتنا في ظروف المحنة الدامية بدا يتعرض لنكسة خطيرة ، فإن سياسة الولايات المتحدة اتجهت في اعقاب إنهاء معركة السويس بهزيمة العدوان ، إلى عزل مصر ومحاولة تحقيق اهداف العدوان بوسائل سلمية ، وكان ذلك عن طريق مشروع ايزنهاور الذي اراد معاملة الشرق الأوسط ـ على حد تعبيركم الناء المناقشة بصدده أن الكونجرس الأمريكي ـ كما لو كان الماطعة المريكية

٧ ـ تعرضت سوريا بعد ذلك لازمة خطيرة تهدد سلامتها ، وكان ذلك بتاثير تجمع عدد من دول حلف بغداد ، سواء بمجموعهم كاعضاء منظمة ، او بجهودهم المنفردة ، وكان الهدف هو ضرب الجبهة الداخلية الوطنية لسوريا ، وهو امر كان يمكن أن تنتج عنه اوخم العواقب على سلامة الشرق الأوسط كله ، ولقد حاولنا مرارا أن نلفت نظر الحكومة الأمريكية إلى خطورة مثل هذه الجهود الهدامة من جانب حلف بغداد ودوله .

انهار حلف بغداد ، وكان يوم الثورة في العراق ، هو اليوم الفاصل في امره ، وبانهيار هذا الحلف إنهارت كذلك سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية وأصبحت الحاجة ماسة إلى سياسة جديدة واعية تستلهم الماضى تجربته ، وتقدر على مواجهة الحاضر وعلى ملاقاة المستقبل .

ولقد كان املنا كبيرا ان تهيا الفرصة امام الولايات المتحدة لتدرس المنطقة على ضوء نظرة جديدة غير متاثرة بالاعتبارات القديمة، وغير خاضعة لارتباطات لا تمثل الاماني الحقيقية للشعوب العربية.

ولقد كان مؤلما حقيقة أن لا تسال حكومة الولايات المتحدة نفسها بعد انهيار حلف بغداد فيما يتعلق بصلة الشعوب العربية به :

- « لماذا تحولت السياسة الأمريكية إلى انقاض على هذا النحو ؟ » .
- « لماذا اختفى معظم الأصدقاء التقليديين للسياسة الأمريكية وحكمت عليهم شعوبهم ؟ » .
- « لماذا تقف الولايات المتحدة ، وهي دولة قامت على الحرية وعلى الثورة ، ضد نزعة الحرية ونزعة الثورة وتجد نفسها مع القوى الرجعية والعناصر المعادية للتقدم ، في صف واحد ؟ » .
- بدات بعد ذلك مرحلة من التحسن في العلاقات العربية الأمريكية ، ولكن التحسن كان بطيئا ،
 وكانت الصدمات تتربص له دائما بتاثير دوافع غير امريكية على الإطلاق ، واذكر منها مقاطعة الباخرة العربية كليوباترة على أرصفة ميناء نيويورك .

ولقد اتيح لى بعد ذلك في سبتمبر ١٩٦٠ أن التقى بسلفكم الجنرال دوايت ايزنهاور ، وأن اتحدث إليه أله العلاقات ما بين بلدينا وفي تطوراتها وفي ضرورة النظر إليها على ضوء جديد يتماشى مع ما نتطلع إليه جميعا من سلام قائم على العدل ، ولكن ذلك كان كما تذكرون في أواخر مدة رياسته ، ومن ثم لم يتح للمحلولة الجديدة أن توضع موضع الاختبار .

سيادة الرئيس

وليس معنى ذلك بحال من الأحوال أن علاقاتنا خلال هذا كله لم تعش لحظاتها المشرقة.

كان هناك في تاريخ الأمة الأمريكية ما يشدنا إلى الكثير من المبادىء الأمريكية وإلى ما اعطته الثورة الأمريكية للتراث الانساني من التجارب العميقة ومن الرجال الأبطال.

وكان هناك موقف بلادكم منا وقت العدوان علينا انتصارا للمبادىء وهو موقف اشدنا به دائما ، ولسوف يظل يحظى بعرفاننا مهما كان من تطورات العلاقات بيننا

كذلك كانت هناك مساعداتكم القيمة لنا عن طريق تصدير القمح او عن طريق قروض صندوق التنمية ، كذلك لا يفوتني هنا ان اشيد بمساهمتكم القيمة في مشروع إنقاذ آثار النوبة ، ولقد كانت رسالتكم إلى الكونجرس في هذا الصدد تحية كريمة تقبلها شعبنا بمزيد من التقدير والرضا .

واؤكد لك _ بشرف _ أن ما يحكم موقفى ونظرتى الى قضية فلسطين ليس هو كونى رئيس للجمهورية العربية ، وانما الأصل والأساس هنا ، هو موقفى ونظرتى ، كوطنى عربى ، كواحد من ملايين الوطنيين العرب .

وتقبلوا يا سيادة الرئيس عميق احترامي وتقديري .

(امضناء)

الوثيقة رقم (٣٣)

صورة خطاب من الملك «سعود » إلى الرئيس ، جمال عبد الناصر » بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ وهو يدور حول خبر غير صحيح نشر عن تلحين القرآن . وقد ظهرت على الملف الذى حفظ فيه الخطاب اصلا مجموعة تأشيرات للرئيس «جمال عبد الناصر » بخط يده ، وكذلك ملاحظة بخط السيد « على صبرى » (وزير شئون رئاسة الجمهورية وقتها)

الرياض في ٧ ربيج الأول سنة ١٣٧٨ هـ الرياض في ٢ ربيج الأول سنة ١٣٧٨ هـ الرياض في ٢ سبتبـــر سنة ١١٥٨ م

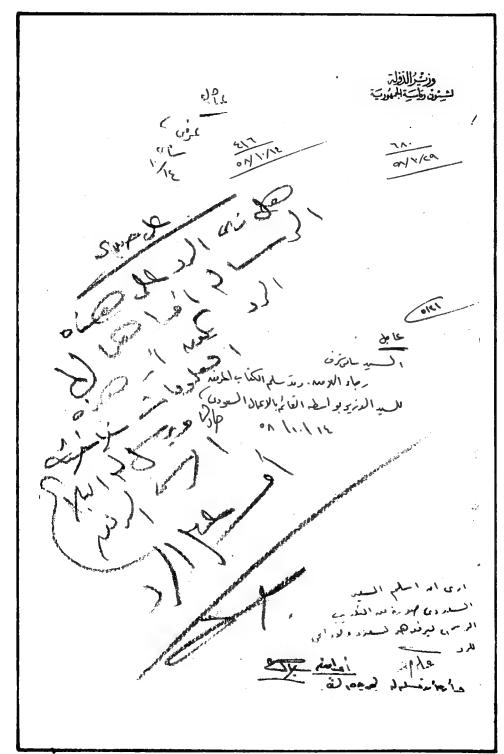
حضرة الافخ الكرسم :

السند وطيكرورجية الله وبركاته : وبعد ارجو لسيادة الأثن موقور الصحة والماقية وأن يديم العولى طيئا نميه ويوققنا جميعا لناقيمه الخير والعلاج انه سميم سجيب .

راجعني كبار الشايخ والعلماء في البلاد يخصوص با اطلعوا عليه اخيرا في الصحف المصريسيسة من وجود نكرة لدى يعض الا وسياسا وسيطيم على القرآن العظيم على الآلات البوسيقية وانغاميسيا وانادوني بانه قد حصل لهم اخطراب وتنوين عظيم منذ لك ، خوقا من ان تحدث هذه الخطوة تغسرة كبيرة في الدين ، لقد دعاني هذا العادث لما فيه من الخطورة أن اراجي سيادة الا أخ والفسست ناره ، راجيا منه لما اعلم فيه من حصافة الرأن ومدى المقيدة ان يعمل ينفوذه الكبير على منع هذا الام الذى لا يسأتي منه الا التفرقسة والثقاق بين المسليين في مشائي الارش ومغاربها ، والذى نحن في غنى عنه ، ااني اعتقد بانكم توافقونني بان اعداء الاحم والمدروسة سيجدون في هذا المجال مرتما خصيسا لبت سبوم م انقتالية ، وهي فرصية فدينة لا يجدونها في كل وقت ، وبالأخص في الدور الذى تجتسازه نحن العرب ، ولذلك فيأتي لا أرجو مخلسها بيأن نسكون جبيعا من يحافظ ويد افع عن قد سسية كتاب الله ويحرص على كراشه من اى عث يراد به ، واني لداخل بانه سرف لا يثال احد منه شسيئا وقد وحد وهو اصدن الواعدين وقال: في تزيله الحكم ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظسسون))، وفي انتظار با يخطبين الغار في هذا الخصوس .

ابعث البكم باطيب تحياتي ، طروسة باجمل المانسي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ، ، ،

ا جن کر سعرد (السعاد



وثيقة تتضمن ردا كتبه «جمال عبد الناصر » بنفسه لكى يذاع من إذاعة «صوت العرب » ردا على موقف الشيوعيين من قرارات يوليو الاشتراكية كما عبرت عنه صحفهم الصادرة في بيروت

لقد كان الرد الذى كتبه «جمال عبد الناصر» بخط يده موجها في ظاهره إلى ما نشرته صحف الحزب الشيوعي في بيروت ، ولكن الرد في جوهره كان موجها في الحقيقة إلى شرح الاختلافات الفكرية والتطبيقية التي تفرق ما بين رؤية الحركة الشيوعية . القومية العربية لعملية التحول الاجتماعي ، وبين رؤية الحركة الشيوعية . ومن هنا فإن هذا الرد وثيقة فريدة من نوعها في وصف الخلاف الواسع ما بين موقفين ورؤيتين وتقديرين لتوجهات العمل الاجتماعي سواء على مستوى الغايات ، او الوسائل .

To See the

wer list . This war ا- هذا مله مره 14. - a citim 0.33 y نینت د در د . disign de drair D, 1280 dysery of and graits -dit alis ولا من المارة الماركة ~ Yeo de dred à Fit. الأراعي استطاعت إلى تعنا قعناه كسه فاند الله به الفقال الم philipped ace il die il الم دامل السام، in I is I cape Vi-10011 Killing when I Wite to be how I wing الم تكدم المسانية دلانا نقس الماء على النا نظات نه الجنع الدسائل السلب geting the white wish will نه ۱ کار ، لو یوه الد کید. ندس انه نصاع دفيل الح ، لعنه الذ خلاء د نسب عا . د الله عنه موجه معلى مال مع حبيقاً . وبع ادر النيا .

عندما اعلنت القرارات الثورية الاشتراكية في ج.ع.م. يوم ١٩ يوليو كانت المواضيع الرئيسية في كل الصحافة العالمية إلا صحف الشيوعيون العملاء في بيروت فخرجت صحيفة نداء العملاء الشيوعية التي تصدر في بيروت يوميا ولم تشر بكلمة إلى القرارات الثورية التي اعتبرها الشعب العربي نقطة تحول بالقضاء على الظلم الاجتماعي وإقامة عدالة اجتماعية . وصدرت جريدة أخبار العملاء الشيوعية التي تصدر في بيروت ولم تشر إلى القرارات الثورية بل اكتفت بتسويد صفحاتها بالسباب والاكاذيب ضد ج.ع.م. ولم يدهشنا ذلك فالعملاء قوم باعوا وطنهم بعد أن باعوا ضمائرهم .

ولكن جرائد الشيوعيين التي تصدر ل بيروت - خرجت يوم الاحد الماضي بعد اثني عشر يوما من إعلان القرارات الثورية الاشتراكية الانسانية وسودت صفحاتها بحملة ضد ج.ع.م.

ما معنى ذلك ظه ؟ .

معناه أن الشيوعيين العرب 🍱 افلسوا إفلاسا كاملا .

لقد كشفت الأمة العربية الأحزاب الشيوعية في بلادها . وبوعى الأمة العربية الأصيل عرفت حقيقتهم . وأن الشعارات التى اطلقوها ليست إلا خداع لتخدير الشعوب يمكنها من الانقضاض على الشعوب العربية الطيبة لتغرقها في بحار من الدماء كما حصل في العراق .

ولكن الشعب العربي عزل الأحزاب الشيوعية .

ماذا قالت جريدة الأحزاب الشيوعية العربية ؟ قالت :

ا إن الشروط الرئيسية للاشتراكية كما تحددها المبادىء العلمية هي الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج الرئيسية وضمان سلطة البروليتاريا المتالفة مع جماهير الفلاحين . ثم قالت أن الاشتراكية تتطلب القضاء على كل اساس للراسمال الفردى » .

هذا ما قالته جريدة الشيوعيين.

وردنا على ذلك واضح أن اشتراكيتنا اشتراكية إنسانية فهى عا تعمل لإقامة عدالة اجتماعية وإنهاء الظلم الاجتماعي تحترم الانسان وترفض أن تجرده من أدميته. إن اشتراكيتنا التي أعلنت الثورة عنها في أول يوم لها في المبادىء الستة تهدف إلى القضاء على الإقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال وإقامة عدالة اجتماعية ولكنها ترفض أن يكون الانسان كالآلة الصماء لا مجال له في الحياة. إن اشتراكيتنا تضع قيمة الانسان في الاعتبار الأول فهو حر وله مجال للحركة والنشاط على اساس من مصلحة المجتمع وذلك بمنع الاحتكار والاستغلال وسيطرة رأس المال.

كما أن اشتراكيتنا في طابعها الانساني تسير في طريق ينبع من طبيعة الشعب العربي.

إن اشتراكيتنا تهدف إلى بناء مجتمع متحرر من الاستغلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي بالوسائل السلمية لا بالهدم والقتل ، نريد إقامة العدالة الاجتماعية والمساواة بدون أن تسود طبقة على طبقة بدون انتقام . ونحن نؤمن أن هذا ممكن . بل أن تجربة الممارسة والتطبيق في ج. ع. م. تثبت ذلك .

إن الطبقة العاملة والفلاحين في ج. ع. م. وهي تحصل على حقوقها وذلك بإنهاء دكتاتورية رأس المال والاستغلال والإقطاع والاحتكار وبالمشاركة في الادارة والمشاركة الحصول على ٢٥٪ من الأرباح استطاعت أن تقفر قفرة كبيرة في زمن اقل من القفرات التي حققتها الشيوعية في بعض البلدان مع فرق واحد أساسي . نحن لم نذبح الطبقة الراسمالية أو الاقطاعيين نحن لم ننتقم منهم ولم نحولهم إلى معدمين لأننا نؤمن أن الاشتراكية لابد أن تكون إنسانية . ولأننا نؤمن بإمكان حل التناقضات في المجتمع بالوسائل السلمية ولأننا نؤمن بإقامة عدالة اجتماعية في إطار الوحدة الوطنية . ولأننا نؤمن أن هدم وقتل الطبقة التي تملك وتشريدها وسيادة طبقة جديدة أمر يتنافي مع طبيعتنا ومع إنسانيتنا أمر لا ينتج عنه إلا إضعاف لبلدنا وإدخال شعبنا في دوامة الإرهاب الطبقي . أن شعبنا سيفخر دائما ويرتاح ضميرد لأنه يطبق الاشتراكية على أسس إنسائية ولأنه لم يتخل عن أي فرد من أبنائه ولم ينبح جزء منه ولم يستعبد أي من أفراده أو يشرده لا لسبب إلا لأنه خلق في مجتمع ورث الاقطاع والرأسمالية.

إن شعبنا سيبنى المجتمع الاشتراكى الجديد بدون دم وبدون حقد وبدون انتقام سيبنيه على اسس إنسانية . إن الشعب العربى يرى في الاشتراكية بعثا جديدا للإنسان لكل إنسان ولا يقبل أن تكون الاشتراكية تجريدا للإنسان من أدميته . إن التطورات الضخمة التي شهدتها ج. ع. م. في ميدان التطبيق الاشتراكي منذ أول الثورة حتى الان تتم بطريقة سلمية وبدون حقد للوصول إلى مجتمع تسوده العدالة والمسلواة . مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات .

إن شعب ج. ع. م. يحقق المجتمع الاشتراكي بالوسائل السلمية بالمحبة والعمل ويرفض أن يكون سبيله إلى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية عن طريق الحرب الطبقية داخل صفوف الشعب أو عن طريق الحرب الأهلية.

يرفض شعب ج.ع.م. تغذية الصراع الطبقى داخل صفوف الشعب بغرض دفع التناقض إلى اقصى درجاته لإثارة حربا اهلية تؤدى إلى تدمير الطبقة التى تملك من اجل إقامة مجتمع المساواة عن طريق تمزيق شعبى داخلى عنيف ولكن شعب ج.ع.م. يريد ان يحقق الاشتراكية بطريقة اخرى فيها الإيمان الكامل بضرورة المساواة والعدالة الاجتماعية والقضاء على التناقض الطبقى دون حرب اهلية . إن اشتراكيتنا العربية تنادى بإذابة الغوارق بين الطبقات بالوسائل السلمية .

فإذا كانت الحرب الأهلية الطبقية بالنسبة للماركسية الطريق الوحيد للاشتراكية أو الطريق الذي تقرره حتمية التاريخ والذي يجب أن يخضع له كل الاشتراكسن فإن ج. ع. م. في تجربتها الاشتراكية تؤمن أن الحرب الأهلية الطبقية ليست أمرا حتميا للوصول إلى الاشتراكية . إن شعب ج. ع. م. الذي يؤمن بالمحبة والعمل والوحدة الوطنية يعمل وهو يسير في طريق الاشتراكية على إزالة التناقض الطبقي في إطار من الوحدة الوطنية وإذا كان من الممكن الوصول إلى الاشتراكية دون أن تعانى الأمة من الصراع الطبقي الدموى الذي يمزق المجتمع بقسوة فلماذا الاصرار على إثارة الحرب الأهلية الطبقية واعتبارها امرا لا مفر منه . ولماذا الاصرار في أن تسود طبقة البروليتاريا وتحطم وتسحق كل الطبقات إذا كانت الاشتراكية تحقق المساواة والعدالة الاجتماعية لصالح مجموع الشعب . إن شعب ج. ع. م. وهو يعمل للتحويل الاشتراكي وهو يرفض إثارة الحرب الأهلية الطبقية يصمم على انتزاع حقوق الطبقة العاملة بالوسائل السلمية كما يصمم على تطهير المجتمع من الإقطاع والاستغلال وسيطرة راس المال . إن الاشتراكية التي نعمل بها لا تستهدف تجميد النضال الطبقى وتثبيت الاستغلال والتحكم والسيطرة بل تهدف إلى إزالة الاستغلال وسيطرة راس المال والإقطاع وإقامة المساواة والعدالة الاجتماعية بدون تعريض المجتمع لحرب طبقية مدمرة . يقول الشيوعيون أن هذا مستحيل والاشتراكية الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال ثورة طبقية تمحو بالدم كل أثار الاستغلال.

إن ثورة ج. ع. م. اثبتت إمكان إقامة مجتمع اشتراكى دون إشعال الحرب الطبقية المدمرة داخل صفوف الشعب كما اثبتت إمكان إقامة مجتمع اشتراكى في إطار من الوحدة القومية .

قالت جريدة الأخبار البيروتية الناطقة باسم الشيوعيين:

ا إن التدابير التي اتخذتها ج. ع. م ابقت جميع الاسس الراسمالية فما زال هناك حق الملكية الكبيرة هناك حق ملكية ١٠٠ فدان وهذا يعني استثمار الإنسان للإنسان الملكية الكبيرة هناك حق ملكية ١٠٠ فدان وهذا يعني استثمار الإنسان للإنسان الم

وردنا على جريدة الشيوعيين بسيط واضح. لقد فقد الشيوعيون رؤوسهم حينما شعروا أن الاشتراكية تطبق بدون حرب طبقية وبدون حمامات الدم وبدون قتل الطبقات التي تملك . هل يذكر الشيوعيون أن ملكية الأرض أل ألمانيا الشرقية الشيوعية ٢٥٠ فدان وما رأى فلاسفتهم في هذا التطبيق . إن الاشتراكية لا يمكن أن تكون نظاما واحدا ثابتا أو نظرية شاملة مخطوطة معدة للتطبيق في كل مكان حتى المعسكر الشيوعي نفسه انقسم الراى فيه حول مفهوم الاشتراكية الصحيح . إن اشتراكية لينين غير اشتراكية ستالين غير اشتراكية خروشوف غير اشتراكية ماوتسي تونج وغير اشتراكية تيتو .

وهناك اتهامات متبادلة بالانحراف فالشيوعيون الصينيون يعلنون عن عزمهم على تطبيق اشتراكية ماركس بحرفيتها لبلوغ الشيوعية .

إن لكل بلد من الاسباب ما يجعله اقدر على معرفة الاشتراكية التي تناسبه .

إن اشتراكية ج. ع. م منبثقة من ظروف شعبنا واهدافه وحاجاته وتكوينه وطبيعته انها ليست اشتراكية ماركس أو لينين أو ماوتسى تونج أو تيتو أو حزب العمال البريطاني .

إن اشتراكيتنا هي الحل الصحيح لمشاكل المجتمع في بلدنا.

إن الماركسية تنص على ان الانتقال للشيوعية أو الاشتراكية لا يتم إلا بعد ان يتحول المجتمع الإقطاعي إلى مجتمع برجوازى اى نتيجة لتطور الصناعة وزيادة الطبقة العاملة وان الثورة الشيوعية ستحدث في بلد صناعي . ولكن لينين خالف هذه النظرية وصمم على الانتقال للشيوعية راسا وقد عارضه كبار الشيوعيين في حزبه ولكنه قال أن الهدف هو الوصول إلى الحكم وعن طريق الحكم سيطبق الشيوعية بل هل طبق لينين الشيوعية إنه حافظ على الكولاك حتى يحصل للشعب على حاجته من القمح وحتى لا تطبح المجاعة بالحكم .

إن أكبر عار يحيط بالشيوعيين العرب أنهم قفلوا على عقولهم بأغلال التبعية فالاشتراكية بالنسبة لهم ليست إلا أن يتحول الفرد إلى عميل، أما مفهوم الاشتراكية أما القضاء على الظلم الاجتماعي وإقامة عدالة اجتماعية فأمور لا تعنيهم بشيء ولو طبقت أي بلد الشيوعية بحذافيرها ورفضت التبعية فإن الشيوعيين لن يقبلوا فالتبعية دينهم الوحيد وكل ما يقال غير ذلك ليس إلا خداعا وتضليلا

وتستمر جريدة الأخبار الناطقة باسم الشيوعيين العرب العملاء فتقول:

« إن هذه التدابير تدخل ضمن نطاق ما يسمى براسمالية الدولة . ثم تقول ان البرجوازية ترى في هذا القطاع العام تعبيرا عن مصالحها . فهى لضعف تراكم الراسمال لديها ولعدم قدرتها على بناء مشاريع كبيرة كمحطات توليد الكهرباء والسدود ومشاريع الرى وسكك الحديد والاساطيل البحرية والنهرية تشجع الدولة على القيام بهذه المشاريع لكي تستخدمها فيما بعد باسعار رخيصة ومن هنا تظهر ناحية هامة وهي ارتباط محتوى وصفه القطاع العام بالسلطة القائمة ففي كل سلطة البروليتاريا يعتبر قطاع الدولة مؤسسة الشتراكية لأنه لا يوجد لصالح الجماهير اما في ظل سلطة البرجوازية فهذا القطاع لا يتصف

بهذه الصفة ابدا . وهو موضوع نضال بين البرجوازية التي تحاول دائما تسخيره لمسالحها وبين الجماهير الشعبية التي تعمل لإنقاذه وجعله في خدمة المصالح الشعبية العامة « .

الا يظهر من هذا القول أن الشيوعيين فقدوا عقولهم.

هل إشراك العمال في الإدارة راسمالية الدولة ؟

هل اشتراك العمال في ٢٠٪ من الأرباح رأسمالية الدولة ؟

هل التاميم لصالح البرجوازية كما يقول الشيوعيون ؟

هل التاميم والقطاع العام لصالح الاحتكارات كما يقول الشيوعيون ؟

إن ما يعنيه الشيوعيون ان القطاع العام لا يعتبر مؤسسة اشتراكية إلا في حالة واحدة فقط وهي حكم البروليتاريا اي حكم الحزب الشيوعي . اما تطبيق الاشتراكية بغير الحزب الشيوعي فامر محرم لا يرضي به الشيوعيون الذين قفلوا عقولهم ولا يمكن ان يتصوروا ان الاشتراكية يمكن ان تطبق بدون حمامات الدم وبدون الحرب الاهلية الطبقية .

يقول الشيوعيون أن القطاع العام لخدمة البرجوازية والاحتكار لأن السلطة برجوازية . هذا هو الموضوع . السلطة . كل ما يتم حلال وصحيح إذا كانت السلطة شيوعية . القتل مباح إذا كانت السلطة شيوعية . السحل مباح إذا كانت السلطة شيوعية . الإرهاب مباح إذا كانت السلطة شيوعية . الظلم مباح إذا كانت السلطة شيوعية . معسكرات الأعتقال مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . الحرب الواحد مباح إذا كانت السلطة شيوعية . المحاكم الخاصة مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . الملكية مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . ملكية ٢٥٠ فدان مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . حتى الملكية الراسمالية ابيحت في السلطة الشيوعية . كل شيء مباح على شرط ان يتربع الحزب الشيوعي 🐧 الحكم . على شرط أن تسود البروليتاريا التي يمثلها الحزب الشيوعي . أما الاشتراكية أما العدالة الاجتماعية فلا يباح لغير الشيوعيين أن يمارسوها مهما بلغت عدالتها ومهما بلغت في التطبيق لأن الشيوعيين هدفهم الاممية قبل الاشتراكية والاممية هي حركة عالمية لا تقوم على المساواة بل تقوم على التبعية . إننا نطالب الشيوعيون أن يدلونا على الاحتكاريين في بلادنا أو يدلونا على سيطرة رأس المال لصالح البرجوازية في بالادنا . إنها شعارات بالية شبع الشعب من سماعها وكشفها بل كشف الشيوعيين عن طريقها . إن الشيوعيون يريدون السلطة يريدون الحكم ولو تحالفوا مع الرجعية والإقطاع . إن الشيوعيين لا مبدا لهم فالغاية تبرر اى فعل . تبرر الطعن في اشرف ثورة عربية . إن الشيوعيين يريدون العمل من أجل الجماهير من أجل العمال والفلاحين احتكارا لهم حتى يستخدموا الطبقة العاملة في الوصول إلى الحكم وحتى يجعلوا من بلدهم بلدا تابعا .

قالت جريدة الأخبار لسان حال الشيوعيين العرب:

« إن الحكم في ج. ع. م حكم إرهابي موجه ضد جماهير العمال والفلاحين وضد مصالح البرجوازية الوطنية في سوريا » .

الم يفقد الشيوعيون العقول؟ الم يفقدوا المنطق؟ هل تحديد الملكية الزراعية والقضاء على الاقطاع موجه ضد الفلاحين؟

لصالح من ؟ لصالح الإقطاع ؟ هل تأميم ٨٠٪ من وسائل الإنتاج موجه ضد العمال لصالح من ؟ لصالح رأس ألمال أو لصالح البرجوازية ؟

ثم يكشف الشيوعيون انفسهم وهدفهم حينما يتملقون البرجوازية السورية _ إن الأمر واضح وضوح الشمس . إن حقد الشيوعيين مرض مزمن خطير ولا يمكن أن يبراوا منه . لقد فقدوا أملهم في الحكم ففقدوا أملهم في سوريا بعد أن كشفهم الشعب . إن الشيوعيين افلسوا . لن تنفع شعاراتهم ليس أمامهم إلا البرجوازية والإقطاع ليتحالفوا معهم لا لهدف إلا الوصول إلى الحكم . ولكن اشتراكيتنا تسير في إطار من الوحدة الوطنية . ومهما تباكي الشيوعيون على البرجوازية الوطنية فإن الكل يعرف أنهم لو وجدوا الفرصة لذبحوهم جميعا بل لذبحوا بعضهم البعض في سبيل شيء واحد السلطة . الحكم .

ثم تستمر جريدة الأخبار الشيوعية (هذيانها فتقول:

دإن الراسمال الاستعمارى يشارك في القطاع العام ويجثم خطر توسع الاستغلال الاستعمارى للشعب في إقليمي الجمهورية عن طريق هذا القطاع . ويمكن القول ان الرساميل الاستعمارية التي كانت سوريا مغلقة امامها امكن دخولها تحت ستار هذا القطاع » . ثم تستمر في الهذبان وتقول :

« إن قضية تاميم التجارة الخارجية ستكون عاملا مفيدا لاقتصاد البلاد إذا ترافق بتوسيع التعامل مع المعسكر الاشتراكي . أما إذا اتجه لتوسيع التعامل مع المعسكر الراسمالي ـ وهذا ما هو ملحوظ حاليا فإن الوضع سيتردى كثيرا ـ أما القروض فهي وسيلة استثمار اخرى . .

حقا لقد فقدتم عقولكم . أين هو الراسمال الاستعمارى سواء في سوريا أو في مصر . لقد أممنا كل المؤسسات البريطانية وكل المؤسسات الفرنسية وكل المؤسسات البلجيكية ـ ثم أممنا ٦٠٪ من شركة البترول البريطانية . أين الراسمال الغربي الذي دخل سوريا بعد عام ٨٥ بعد الوحدة للاستثمار .

لم يدخل سوريا رأسمال للاستثمار أما مصر فإن استثمار راس المال الأجنبى مشروط بصدور قرار جمهورى . ما دخل مصر منذ أول الثورة حتى الآن لا يزيد عن ثمانية ملايين من الجنيهات من مجموع استثمار ٨٠٠ مليون جنيه سنويا وفق سنة ٦١/ ٦٢ .

وهل نسى الشيوعيون أن لينين بعد نجاح ثورته طالب بالراسمال الأجنبى وأباحه . وهل ينسى الشيوعيون أن لينين بعد الثورة حاول بكل الوسائل أن يحصل على قروض اجنبية من الدول الغربية لينقذ الاقتصاد المنهار . أما عن التجارة فلماذا يريد منا الشيوعيون أن لا نتاجر إلا مع المعسكر الاشتراكي أن تتاجر مع لا نتاجر ألا مع المعسكر الاشتراكي أن تتاجر مع الدول الراسمالية مع أمريكا وألمانيا وأنجلترا وإيطاليا وفرنسا ولماذا يحرم علينا أن نتعامل مع العالم على قدم المساواة . آلم يوقع الاتحاد السوفييتي إتفاقية مع بريطانيا منذ علا أسابيع اشترى عن طريقها المصانع والآلات . هذا مباح . أما نحن فغير مباح لنا ذلك . الم تحصل بولندا على مساعدات من أمريكا . فائض القمح والمواد الغذائية بما يبلغ ٢٠٠ مليون تحصل بولندا على مساعدات من أمريكا . فائض القمح والمواد الغذائية بما يبلغ ٢٠٠ مليون دولار . هذا مباح لبولندا . أما لنا فغير مباح وفق رأى الشيوعيين إلا أن نتعامل مع المعسكر

الاشتراكي نرضى بما يعطينا ولا مجال لنا في ان نخرج من هذه الدائرة . هذا منطق العملاء . إن القروض نبنى بها بلدنا وندفعها من عملنا . إننا نتاجر مع العالم كله . ناخذ احسن الاسعار . تجارتنا مع العالم كله بلا قيد ولا شرط . نقترض من العالم كله بلا قيد ولا شرط . اما كلامكم فهو قول الاتباع الذين لا تهمهم مصالح بلادهم او رفاهية شعوبهم وكل ما يهمهم ان يكونوا عملاء .

واستمرت جريدة الشيوعيين في هذيانها فقالت:

• هناك شكل خطير يطبق في الصناعة في ج. ع. م إذ تقوم صناعات مشتركة تساهم فيها شركات استعمارية مع راسمالية الدولة مثل صناعة السيارات . فهذه الصناعة المتفق عليها مع شركات المانيا وإيطاليا تقوم على تصنيع الأجزاء الرئيسية للسيارة في الخارج وتجمع في ج. ع. م وتستثمر اليد العاملة بواسطة الشركات الأجنبية الغربية وتعفى من الجمارك والضرائب وتحتكر السوق وتجنى ارباحا طائلة تحت ستار قطاع الدولة ، .

وردنا على ذلك أن الشيوعيين يتبعون اسلوبهم المبنى على التجرد من كل اخلاق.

إن صناعة السيارات في ج.ع.م صناعة عربية خالصة. إن الإتفاق مع الشركات الألمانية هو اتفاق لبناء مصنع لعربات النقل والامنيبوس. ونص في الاتفاق على ان يقوم التصنيع على مراحل ثلاث كل مرحلة سنة واحدة في السنة الاولى نصنع ٣٠٪ من السيارة وفي الثانية نصنع ٥٠٪ من السيارة . وكذلك في عربات الركوب الثانية نصنع ٥٠٪ من السيارة وي الثانية نصنع وبعد ثلاث سنوات يتم تصنيع ٢٠٪ من السيارة في ج.ع.م.

واستمرت جريدة الشيوعيين فقالت:

ا إن اخطر ظاهرة في الاستقراض من الدول الاستعمارية استخدام القروض في الدول الاخرى ايضا . وفي القرض الألماني الغربي الأخير بند يقول بإمكان التعاون في توظيف كميات من هذا القرض في البلدان الأخرى وهذا يعني أن قطاع الدولة في ج. ع. م سيكون ستارا للاستعمار الألماني الغربي للتغلغل في البلدان الأفريقية التي يصعب عليه الدخول فيها » .

وردنا على ذلك أن الشيوعيين لم يكتفوا بنشر الاكاذيب لخلق الشكوك في داخل الامة العربية بل يحاولون أن ينشروا الشك في افريقيا . أن ج. ع. م وهي تعطى القروض للدول الافريقية إنما تحارب نفوذ الاستعمار بكل اشكاله ونفوذ إسرائيل . وهي تعطى هذه القروض من أموالها .

اما النص الذى نشرته صحيفة الشيوعيين العملاء عن بند يسمح بإعطاء جزء من قروض المانيا إلى افريقيا فلا يوجد إلا في رؤوس الشيوعيين. لا يوجد نص بهذا الشكل ولا يسمح للجمهورية العربية المتحدة بان تصرف القرض في بلد آخر. هناك نص يقول يمكن للمانيا أن تحصل على القروض من بلد آخر اما نحن فلا نحصل على القروض اموال سائلة سواء من روسيا أو المانيا ولكنا نحصل عليها على شكل آلات. إن حقد الشيوعيين يدفعهم لأن يسهلوا الطريق لإسرائيل في افريقيا لتسيطر فهذا لا يهم الشيوعيين أل شيء اما ما يقلق الشيوعيين فهى ج.ع.م لأنها تسير في طريق الاشتراكية المستقلة ، لأنها لا تقبل طريق التبعية .

ثم تقول صحيفة الشيوعيين:

« إن الغرض من التاميم وضع اليد على ودائع البنوك وشركات التامين لاغراض التنمية . ومن المعروف أن نتائج السنة الأولى لخطة التنمية لم تنجح تماما وفي سوريا لم ينفذ أكثر من ٤٠٪ مما هو مرسوم في الخطة » .

الا يدعو هذا الكلام إلى السخرية وإلى الضحك؟

إذا تركنا البنوك قلتم احتكارات برجوازية . إذا أممنا البنوك قلتم ما الغرض ؟ الغرض استخدامها في التنمية .

الغرض مرض ومرضكم معروف . مرضكم الفشل المريع . مرضكم الانعزال عن الشعب العربي . من سوء حظكم أن الخطة نجحت في مصر . ومن بلاء حظكم أنها نجحت في سوريا ايضا . إن الخطة للسنة الأولى في مصر تم منها تنفيذا ٥٨٪ والباقي في طريق التنفيذ . وما نفذ حتى الآن يمثل ضعف ما نفذ في العام الماضي . أما في سوريا فإن الخطة للسنة الأولى نفذ منها ٥٧٪ والباقي في طريق التنفيذ . وما نفذ اكثر من ضعف ما نفذ في العام الماضي .

ثم تقول جريدة الشيوعيين:

" إن الغرض من هذه التدابير هو الوفاء باعباء القروض المختلفة فإن العربية المتحدة لجأت إلى سياسة الاستقراض بشكل واسع وخاصة من الدول الاستعمارية وهي مدينة لالمانيا الغربية وحدها باكثر من ٢٠٠ مليون جنيه وللولايات المتحدة باكثر من ٣٠٠ مليون جنيه عدا ديون إيطاليا وانجلترا واليابان وتعويض حملة اسهم قنال السويس واصحاب الاملاك الانجليزية والفرنسية والبلجيكية المؤممة . إن العربية المتحدة امام موقف دقيق ولابد من وسيلة لجمع الاموال للايفاء بهذه الاعباء » .

هذا ما يقوله الشيوعيون فهو كلام يقال إما عن جهل او سوء نية . إن ج. ع. م حصلت على قروض قيمتها ٤٠٠ مليون جنيه . منها ٢٠٠ مليون من الاتحاد السوفييتي استخدم منها حتى الآن ٥٠ مليون فقط ومنها ٢٠٠ مليون من الدول الغربية استخدم منها ٢٥ مليون لألمانيا .

١٠ مليون لليابان .

والباقي لم يستخدم حتى الآن.

اما قروض امريكا فهي نتيجة شراء حاصلات بالعملة المحلية .

أما أموال المؤسسات البريطانية والفرنسية المؤممة فقد دفعت بالكامل . أما تعويض تأميم قنال السويس فقد دفع عدا قسط واحد .

هذه هي الحقيقة . .

ثم تقول جريدة الشيوعيين:

ا إن من الأسباب القابعة وراء هذا التدبير - تقوية الطابع الاحتكارى للاقتصاد والتناقض بين الزمرة الحاكمة وبعض الاحتكاريين المصريين لأن الزمرة الحاكمة في مصر منذ اسنوات اصبحت لها اسس ومصالح اقتصادية ».

وردنا على ذلك أن الشيوعيين يتخبطون . هل توزيع الأرض على الفلاحين تقوية للطابع

الاحتكارى ؟ هل قوانين تحديد الدخل والضرائب التصاعدية تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل التأميم تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل التأميم تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل إشراك العمال في الإدارة تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل إشراك العمال في الإدارة تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل إشراك العمال في الأرباح وتوزيع ٥٧٪ منها عليهم تقوية للطابع الاحتكارى ؟ ونسال الشيوعيين ما هي المصالح الاقتصادية للزمرة الحاكمة كتا تقولون

إن هذا القول لا دافع له إلا الحقد الذى تنفعل به قلوبكم بعد ان أمن الشعب العربي بالاشتراكية العربية القومية ونفض أساليب الشيوعيين لأنه كشفهم . لقد كشف الشعب العربي تضليل الأحزاب الشيوعية واصبحت الأحزاب الشيوعية [البلاد العربية معزولة ومنبوذة . وبعد ثورة العراق كان أى شيوعي يخرج في الطريق يتابعه الأحرار بهتاف دخل التاريخ . شيوعي فوضوى عميل .

وقالت جريدة الشيوعيين:

« ضمن القرارات التي صدرت قرار يقول بمنح ٢٥٪ من صافى الأرباح للعمال وهذا القرار اكثر القرارات تضليلا وهو الكذبة الكبرى » .

وقالت الجريدة « وسيرافق كل ذلك محاولات لانعدام الصراع الطبقي . .

وردنا على ذلك أن الشيوعيين فقدوا كل الأرض التي تصوروا أنهم يقفون عليها وهم يصرون على النضال الطبقى والحرب الأهلية ولا يهمهم بحال تحسين حالة العمال أو مشاركتهم في الإدارة نتيجة عملهم بدلا من استمرار الإدارة مقصورة على اصحاب راس الما.

لا يهمهم أن يأخذ العمال ٢٥٪ من الأرباح بدلا من قصر الأرباح جميعها على رأس المال . اليس هذا انحرافا عن جميع الأفكار الإشتراكية ؟ - لقد صعق الشيوعيون لأن هذه الخطوة الجبارة تعتبر نقطة تحول عظمى بالنسبة للعامل في العالم أجمع . بل إن العامل في الدول الشيوعية لم يحصل على هذه الامتيازات . إنها امتيازات تتصف بالصغة الإنسانية . فالعامل ليس الة بل إنسان يشارك في الإدارة ويشارك في الأرباح ولا يريد الشيوعيون للعامل إلا أن يكون الة ضمن المصنع لا إنسانية له ولا أدمية . كل ما يطلبون هو الصراع الطبقي حتى تصل البروليتاريا إلى الحكم وتهدم المجتمع بالعنف . وإذا حصل العامل على هذه الامتيازات تبخرت أمال الشيوعيين في حتمية الصراع الطبقي وضاع أملهم في الحكم وضاع أملهم في هدم المجتمع بالقوة والعنف واصبحوا في وضع منعزل .

وقالت جريدة الشيوعيين:

« إن عبد الناصر وعد بتحقيق يوم العمل بالسبع ساعات ثم قالت إن هذا قول ستجرى الماطلة حوله ولن يتم ومن الواضح ان هذا التدبير يهدف إلى تشغيل عدد من العاطلين عن العما، . .

وردنا على هذا القول أن الشيوعيين صعقوا من هذا الإجراء فإن الدول التى تطبق يوم العمل بالسبع ساعات لا تزيد عن ثلاث دول أو أربع والكثير من الدول الشيوعية لا زالت تطبق معسكرات العمل والثمان ساعات . هل هذا ما تريدون أن نطبقه ﴿ بلدنا .

إن الصناعة في ج. ع. م سارت في تطورها وتضاعف إنتاجها في سبع سنوات وإن الآلات الحديثة التي تستخدم والأوتوميشن تستدعى عددا أقل من العمال لتشغيل الماكينات وهذا

سبب لتخفيض ساعات العمل أما البطالة التي يتشدق بها الشيوعيون فهي نتيجة الاستعمار وحكم أعوان الاستعمار . فكيف حلتها الشيوعية . أو كيف يقترح الشيوعيون الحلول لها . إن البطالة استمرت في الاتحاد السوفييتي بعد الثورة الشيوعية إلى ما بعد عام ٢٧ – ولكن اشتراكيتنا ستقضى على البطالة بمضاعفة الإنتاج كل خمس سنوات ومضاعفة الدخل القومي كل عشر سنوات وبتقليل ساعات العمل ولن نبقي البطالة سيفا مصلطا كما يقول الشيوعيون . من أجل القضاء على البطالة نتوسع ألى التصنيع ونحصل على القروض التي لا يرضاها الشيوعيون . إن الشيوعيين يهاجمون التوسع التجاري في أفريقيا ويقولون التي لا يرضاها الشيوعيون . إن الشيوعيين يهاجمون القروض من الدول الراسمالية ويقولون أقصروها على الدول الشيوعيون . ثم يقولون أن هناك بطالة . بأي منطق يتكلم الشيوعيون . ثم يقولون أن هناك بطالة . بأي منطق يتكلم الشيوعيون في جريدتهم :

« إن امرا هاما يجب ذكره في هذا المجال ففي سجون ج. ع. م. عدد كبير من الشيوعيين وهؤلاء هم اشد انصار الاشتراكية فكيف يمكن التوفيق بين إدعاء الاشتراكية وحبس الشيوعيين » .

وردنا على هذا أننا نحبس الشيوعيين لأنهم عملاء تنكروا لوطنهم وشعبهم وقوميتهم وعروبتهم . وهل هناك دليل على هذا أوضح من هذا البيان الذى نشرتموه . إن الاشتراكية ليست احتكارا . إن الاشتراكية ملازمة للقومية . تنكرتم للوطنية وتنكرتم للقومية بل تريدونها حربا اهلية طبقية تهدم وتقتل لتسيل بحار الدماء .

إن الاشتراكية مرادفة للإنسانية وانتم تنكرتم لكل قيمة إنسانية . هدفكم الحكم والهدم والقتل . إن الاشتراكية ملازمة للأخلاق واين الاخلاق منكم إن الغاية تبرر الواسطة . الغاية الحكم أما الواسطة فلا حد لها . إن مكان العملاء في بلادنا هو السجن أما العمل فهو للشرفاء .

وهاجمت جريدة الشيوعيين كل هذه الإجراءات وقالت انها سابقة لاوانها بالنسبة لسوريا . الله تناولت تدابير التأميم او توسيع القطاع العام عددا من الشركات الصناعية السورية ومعروف أن لسوريا ظروفها الخاصة وهنا يطرح سؤال : اليس وراء هذه التدابير ابتلاع سوريا نهائيا .

وردنا على ذلك أن المنطق ينقصكم . لماذا تتمسحون وتتملقون البرجوازية في سوريا . لماذا تتناسون برامجكم التى تطبقونها إذا وصلتم للحكم . الا ينص برامجكم على هدم الطبقات البرجوازية بالقوة والقضاء عليها وتجريدها من كل ما تملك . سيادة البروليتاريا . الم تطبق الشيوعية ذلك ؟ لماذا تذرفون دموع التماسيح على البرجوازية في سوريا ولو وقعت في يدكم لذبحتموها وجردتموها من كل ما تملك .

إن املكم في ابتلاع سوريا ضاع ولهذا تتملقون البرجوازية عسى أن تساندكم وتتحالف معكم لتوصلكم إلى هدفكم فتنقلبوا عليها بعد هذا وتهدموها وتقتلوها وتسلبوها كل ما تملك . ولكن هل تفلح هذه الحيل . إن الاشتراكية العربية تبنى مجتمعا إنسانيا بلا قتل ولا هدم . بالوسائل السلمية . وهذا يجردكم من كل اسلحتكم التي استخدمت لإثارة الصراع الطبقي لاستخدامه للوصول إلى الحكم . إنكم أعداء للوحدة العربية ولهذا تقولون أن هذه الإجراءات ستبتلع سوريا .

ولكن ما رايكم بالأممية بل ما رايكم بالتبعية ؟ إن هذا واضح () برامجكم . الأممية ترضونها والتبعية ترضونها أما الوحدة العربية . أما القضاء على الحدود المصطنعة التي خططها الاستعمار فلا توافقون عليها .

ثم يستمر الشيوعيون فيقولون = إن مبدأ الضريبة التصاعدية مبدأ صحيح ولكن مبدىء العدل تتطلب بالدرجة الأولى إلغاء الضرائب غير المباشرة =

هل المجتمع الاشتراكي يعتمد اصلا على الضرائب المباشرة ؟ لناخذ الاتحاد السوفييتي مثلا : إن ٥٨٪ من الضرائب غير مباشرة . أما بالنسبة لاسعار المواد الاستهلاكية كالسكر أو الكماليات وهذا أمر طبيعي فالضرائب المباشرة تطبق على الملكيات الكبيرة . وفي النظام الاشتراكي لا توجد ملكيات كبيرة .

إن نظامنا الاشتراكي يعتمد على الضرائب المباشرة وغير المباشرة. إن الانظمة الشيوعية تعتمد اساسا على الضرائب غير المباشرة.

ثمن كيلو السكر عشر اضعاف ثمنه في ج. ع. م.

ثمن الملبوسات عشر أضعاف ثمنها في ج. ع. م.

اليس كلامكم كله تضليل ؟

ثم يقول الشيوعيون في جريدتهم :

« إن تقوية الجبهة الوطنية امر هام جدا ويجب توسيع النشاط بتوحيد جميع القوى الوطنية المختلفة من أجل إعادة النظر في أسس الوحدة ونشر الديمقراطية وسلوك سياسة وطنية » .

لقد كشف الشيوعيون انفسهم مرة اخرى فهدفهم الأول هو كسر الوحدة العربية ولو تحالفوا مع البرجوازية ومع الإقطاع والرجعية . الأمر للشيوعيين ليس إقامة عدالة اجتماعية بل الأمر بالنسبة لهم أمر واحد : السيطرة الشيوعية .

لقد اكتسح تيار القومية العربية الشيوعية . لقد اكتسح التيار الاشتراكي العربي الشيوعيين . فاين أصبحوا الآن ؟ نسوا كل ما تكلموا عنه وذكروا شيئا واحدا لابد من سيادة الحزب الشيوعي وهدم كل الأمة بكل مقوماتها بالقوة والعنف . هذه هي الديمقراطية . ان يحكم الحزب الشيوعي وأن يقتل كل من يعارضه . الديمقراطية في عرفكم معسكرات العمل والسخرة . الديمقراطية في عرفكم أن يكون الإنسان كالآلة لا مجال له إلا ما يقرره الحزب الشيوعي . إن الشعب العربي كشف الشيوعية وعرفها وكشف الشيوعيين وسيسير في طريق الإشتراكية الإنسانية .

صورة للصفحة الأولى من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٥٩ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذي كان موجودا في دمشق ، وهو يشرح فيه بداية وتفاصيل الأزمة مع حزب البعث السوري .

للأثيرس

زیزی عبد الحکیم اهدیک تحیاتی

اشواقى وارجو ان تكون

خير. اكتب لك الآن قبل

هابي إلى جلسة مجلس

وزراء مباشرة وقد قابلت

مدون صباح اليوم

سبت من الساعة اثنى

الر ونصف إلى اثنين

نعود إلى اول امس

فميس بعد مكالمتك

مت أن البيطار كان

حث باهتمام عن على

بری ولما لم یجده سلم

اب استقالة لحامد

مود مدير مكتبه وبعد

ه بنصف ساعة وصل

اب من اكرم الحوراني

ستقالة . وعموما كانت

جاة لى لأن اكرم كان

س في بور سعيد طول

م وفطر معنا في القطار

شي معنا في العودة

ا نضحك وكان مبسوط

الحملة ضد قاسم.

صف .

www aire

معدد الحائدل أست الحسل عن كالم معدد من كالم معدد من المائد المائد من المائد المائد من المائد ما

وكان معنا كذلك البيطار فلخص مقابلتي لحمدون

فلخص مقابلتي لحمدون. قال حمدون أن هناك في سوريا الأمور لا تسير في الخط السليم. وأن

عبد المحسن ابو النور وحنيدى يعملون ضدهم . وأن قرار اللجنة الذى صدر جعله بدون كرامة . وأنه لم يقصد .

المرثثين

السياء و١ ١١٤٠

ائد تدم بن المن بولان الذم - air of the said will the win is a wind other die de des l'arielle and is their - Mily . io is ي به سه از کام حال ران بوي ارنگه علویه ۵ - . وانا انانی - bull by aill out 1 yeals The in Thy Iberlian wish سا، خول الدستال - اسب di retaile ailie in in من من من من من من من - tis muste

الأحد ٢٧ ديسمبر

الوثيقة رقم (٣٦)

صورة للصفحة الأولى من خطاب ثان كتبه الرئيس ، جمال عبد الناصر ،

بخط يده بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٥٩ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذي كان لا يزال في دمشق ، وهو يروى فيه تفاصيل الازمة الممتدة مع حزب البعث السورى . ويلاحظ في هذا الخطاب قول الرئيس » جمال عبد الناصر » : « ارجو

ان تجهز ترشيحاتك (للوزارة الجديدة) على ان يكون فيها مدنيين إذ اننى

لاحظت انك رشحت عسكريين فقط».

عزيزى عبد الحكيم اهديك تحياتى واشواقي وارجو ان تكون بخير استلمت جوابك الإن الساعة الرابعة بعد الظهر _ حيث كان عندى قنوت حتى الساعة الثالثة _وانا لا اشعرباي ضيق ولكن من الضروري أن أطلعك على كل ما يقال لهذه المقابلات تغميليا حتى تعطيني رايك بسرعة إذا كان هناك راى جديد او فكرة جديدة ـ . وانا ساقابل اليوم الساعة الثامنة صلاح البيطار وباكر ظهرا اكرم الحوراني _وساعلن مساء قبول الاستقالة _ ارجو ان تجهز ترشيحاتك على ان يكون فيها مدنيين إذ اني لاحظت انك رشحت

عسكريين فقط.

صورة للصفحة السادسة من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٥٩ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذي كان لا يزال في دمشق ، وهو يحتوى على جزء من مناقشة بين الرئيس والاستاذ ، صلاح البيطار « حول تجربة الوحدة مع سوريا .

> هـذا ملخص لكـلام البيطار لمدة ساعة . ويعد ذلك ناقشته في كلامه_ فقلت له _ هل تذكر أن نغمة الاستعمار المصرى ليست جديدة وانها قديمة وكانت موجودة بعد عودتي من روسيا في مايو من العام الماضي واني تكلمت معك في ذلك على اساس انها كانت تردد من البعثيين فقال نعم وقلت له انكم اتبعتم طريقة سلبية للضغط ثم اتبعتم طريقة اللمز ولذلك فأنا اغلقت جريدة دالراي العام ، التي كانت تحاول ان تبین مصری وسوری وحينما بحثنا الأمر اقترح ميشيل أن تشكل لجنة من أكرم وميشيل والبيطار وثلاثة من مصر يكون لها السلطة في كل شيء واني رفضت ذلك وقلت انى لن اقبل لجنة وصاية وهناك دستور ومنظمات يمكن أن تكون ليكون جهاز الحكم

للرنبرس

al lend 1 7/6 ich 100 ساع. دىسىدىك ئامكنى ة كلاء - نعلت لا - على تاكد أم ه بيد حيا صحار النساا من عائل شيه وكان ورموده دب عددن بدرسيا تايد ١١٠١ ١١ نان دان dimelike alisa ale inte Vin wer , haring edb up gut air pair by by للنيف تم المي لمونة الليريدات نا ا مران الله معم مشلوا لأل on and it dit dit وعبنا منا الذم انتى حياد انم - ken is die you a dais in doken I d rut en ixes دان نع ذلا و تلت ان سه انك الله رمام عاله رمام منا يِّم أم تكوم لكرم بها إليم طوين انا الله السبه متعا مناها انا لم لال طيس مدن منه ذنه نفا كالخه

> طبيعي أما اللجنة السرية فسيكون ضررها بالغا فقال

لقد كانت هذه فكرة ميشيل وانا لم

بملتهم 🕻 دمشق والأمر باسبة لهم مسالة حياة ارموت .

أعود وأقول أنى أترك أر الترشيحات الجديدة لا ولكن افضل المدنيين ا اكثرية من المدنيين . وهذا كله لن يكون مفيد ارمجدى مالم نعمل سرعة على إزالة الأسباب الني تؤدى إلى النقد

واهم شيء يركزون عليه أن هو الدولة البوليسية ولذا فمن الضروري أن نفف وزارة الداخلية في اللوبها في العمل ـ ويجب سع الاعتقالات كلية لابقرار منك ويجب منع ای ضرب او تعذیب . كما أن الأساليب التي ببعها بوليس الأداب بالرغم من تفاهة ا**لوضوعات**

الزنيس

صورة للصفحة الثامنة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى المفير

« عبد الحكيم عامر « بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٥٩ ويلاحظ فيها إلحامه على

تفضيل المدنيين في الوزارة ، كما يلاحظ فيها طلبه في التخفيف من إجراءات

« الدولة البوليسية ، بعد أن سمع من كثيرين عن نشاط وزارة الداخلية (

الوثيقة رقم (٣٨)

عدال د د الد الحداد رم داد ماره داد ما أعددامّه ازادن أدر ال شبات الحيه مل وللم انفل السبيم الي اكن به ا لدنييم -

من الله لم لما بلا انص عبى مام منه دسه على ازام الاساب الذف فذاء المسكا 1. 1 of wit in be صالدا الوليه دراس العاري الم تمنى دوله الاخلون المدلان علا خالفتما ف جدء - ملما الدينا نيك دين بن أن من - جِينِيَ ١٠

حيطيه طعبذنا الاسارء ال الذاء العمر مع نظاهه العمومات

الوثيقة رقم

صورة من خطاب بعث به السفير الأمريكي في القاهرة المستر ، جون بادو ، بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩٦٧ موجه إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » ، وأهم ما فيه تاكيداته عن المفاعل الذري الإسرائيلي في « ديمونة ، وأنه ليس ثمة دليل على التاهب لإنتاج اسلحة نووية .



American Embassy, Cairo, United Arab Republic, October 23, 1962.

My doar Mr. President:

At President Kennedy's request, I am with this delivering to you the text of a letter concerning the situation in Cuba and also the text of President Kenned,'s address to the American nation, made last evening (October 22). I am at the disposal of your Government further to discuss this matter if so

May I take this occasion to inform you confidentially that recently American scientists visited the Dimons atomic reactor in Israel. On the basis of their visit and inspection, the United States Government renews its assurances of June 1961 that these observations confirm Israeli statements that the reactor is intended for peaceful purposes only. Work on the reactor is progressing normally and there is no evidence of preparation for nuclear weapons production.

Respectfully rours.

John S. Dadeau American Ambassador

Gonal Abdel Hasser.

His Excellency

President of the United Arab Republic. · Cairo.

السفارة الأمريكية

القاهرة - الجمهورية العربية المتحدة

۲۳ اکتوبر ۱۹۹۲

عزيزى السيد الرئيس

بناء على طلب الرئيس كيندى أرفق مع هذا نص كتاب يتعلق بالوضع في كوبا وكذلك نص خطاب الرئيس كيندي إلى الأمة الأمريكية الذي القاه مساء امس (٢٢ اكتوبر) . وإنى رهن حكومتكم للاستزادة من بحث هذا الموضوع إذا رغبت في ذلك .

وهل في أن انتهز هذه الفرصة لانهي إليكم بصورة سرية أن علماء امريكيين قاموا أخيرا بزيارة مفاعل ديمونة الدرى ال اسرائيل. واستنادا إلى زيارتهم وتلقدهم تجدّد حكومة الولايات المتحدة تاكيداتها التي أعطتها في يونيو ١٩٦١ وهي أن هذه الملاحظات تؤكد البيانات الاسرائيلية القائلة إن المفاعل لا يراد إلا للأغراض السلمية وحدها . ويجرى العمل 🕻 هذا المفاعل بصورة عادية وليس ثمة دليل على التاهب لانتاج اسلحة

باحترام جون س . ب**اد**و السقير الأمريكي

صاحب الفقاضة جمال عبد الناصى رئيس الجمهورية العربية المتحدة القاهرة

صورة للصفحة الأخيرة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى المشير رعيد الحكيم عامر * يتاريخ ٥ بناس ١٩٦٠ ويلاحظ فيها قول الرئيس بعد الخلافات مع البعث السوري ، وإنا الآن خائف على نفسي خائف من أن أكفر بالقومية والعروبة والوحدة ـ لأن هؤلاء الناس قرفوني كل واحد يشتم في الثاني ويسيه 🚺 كل شيء 🛚 .

وسن لا دفيل سهاد لاا. بانف سر اله آلف بالعديه وإمريه لام هدلاdela Ling illis euro المده المعابير المعابير

وانا الآن خائف على نفسي خائف من أن أكفر بالقومية والعروبة والوحدة ـ لأن هؤلاء الناس قرفوني كل واحد يشتم في الثاني ويسبه 📱 كل شيء ارجو لك التوفيق.

جمال

طبة قصاصية من الوحدة يظهر فيها الدس.

حمال ه بناس ۱۹۹۰ Faisal was once pro-Nasser, but now (like Saud) hates and fears him; he suspects we have really changed our Arab policy to one of supporting liasser as aur chosen instrument. I urge disabusing him in no uncertain terms. We are not backing Nasser against the other Arab states, with whom we have longstanding cordial relations. If this were the case, why are we continuing to be helpful to Saudis, and 'ying reajor new aid to Syr'a, plus underwriting the independence of the Those actions are totally inconsistent with any suggestion we hing liasser as Mr. Big in the Arab world.

. 003566/87 Secret

د ٤ اكتوبر ١٩٦٢

مذكرة إلى الرئيس _ رجاء الإطلاع عليها قبل الغداء .

إن فيصل هنا في الولايات المتحدة لكي يراك . إن لدينا مجموعة من التقارير المؤكدة تشير إلى ان موقف سعود يتهاوى بسرعة . فيصل هو الثانى في الصف وهو هنا لكي يعرف منك كيف يمكن له ولبلاده ان يعتمدا على الولايات المتحدة وتستطيع ان تتحدث بصراحة إليه (سطر محذوف) . النقطة المهمة ان فيصل يريد بشدة نصف ساعة في حديث خاص معك لا يحضره إيا من مرافقيه السعوديين . وهو يرغب في ان يتحدث إليك في مسائل تخص مستقبله الخاص . لماذا لا تأخذه إلى الدور العلوى لفنجان قهوة بعد الغداء مباشرة _ إن انجليزيته معقولة ، وإذا اردت مترجما ، او إذا اراد هو فسوف يكون صباغ مترجم الخارجية تحت طلبك ليقوم بالترجمة .

من سوء الحظ أن التمرد في اليمن أوصل المخاوف السعودية من الناصرية إلى نقطة الغليان . إن أسرة سعود تعتقد أنها قد تكون هدف ناصر التالى . إن فيصل يريد مساندتك من الجل جهد بريطاني ـ سعودى مشترك للعمل في اليمن ، وقد يكون من الصعب عليك أن تستجيب إلى طلبه في هذا الخصوص .

إن سياستنا الحالية في اليمن حتى الآن هي سياسة عدم التدخل . وليس في إمكاننا عمل شيء على أي حال في الوقت الراهن . كما أن نظام الإمام كان أكثر النظم تخلفا في العالم . ومن الواضح أن ناصر يؤيد التمرد ، كما أن إذاعاته لا تخفى عن سعود أنه الهدف التالى . ومن هنا فإن السعوديين يشعرون أنهم مضطرون لرد الفعل (ثلاثة سطور محذوفة) .

وعلى هذا الأساس فقد يكون من الأفضل توجيه اهتمام فيصل من اليمن إلى العلاقات الأمريكية انسعودية . وفي هذا الصدد فإن امامك :

اولا - أن تؤكد لفيصل مرة أخرى مساندتنا للأسرة إلسعودية.

فانيا ـ سياستنا تجاه ناصر .



صورة وثيقة تتضمن مذكرة كتبها « روبرت كومر » مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض الأمريكي المختص بالشرق الأوسط - إلى الرئيس « جون كنيدى » وهي تتحدث عن اللقاء المرتقب بين الأمير « فيصل » ولى عهد المملكة العربية السعودية والرئيس الأمريكي « جون كنيدى »

Ket i fun Mr. Dimesen 10/4 October 4, 1962

-CDGRET

MEMORANDUM FOR

THE PRESIDENT

Faisal Is in the US primarily to see you. We've had numerous reports that Saud is rapidly failing. Faisal, next in line, is probably here to find out how much he and his country can rely on US support. You can talk frankly to him,

Most important, Faisal wants very much a half hour privately with you, without any other Saudis present. He may want to say a few things about his own future. Why not take him upstairs for coffee right after luncheon. His English is fair (or you can ask along our own Arab interpreter, Sabbagh, to translate).

Unfortunately, the Yeinen revolt has brought to a boil all Saudi fears of Nasserism (the house of Saud well knows it might be next). Faisal wants US backing for the UK/Saudi counter-effort in Yemen. It will be hard to satisfy him on this score.

Our current Yemen policy is one of non-involvement. We can't do much anyway, and the Jinam's regime wie one of the most backward in the world. However, Nasser clearly backed the revolt and his radio is telling Saud he'll be next. So the Saudis feel compelled to react.

Therefore, it would be best to steer Feisal off Yemen and on to US-Saudi relations. Here has important thing is to reassure Faisal as to our firm backing of the House of Saud and as to our policy toward Nasser. If you can get just these two points across at luncheon, it will be a great

Indeed, our policy toward person is designed (a) to turn him inward; and (b) to increase US leverage on him an that we can encourage policies less-antagonistic to our interests and those of our friends. We do not think US aid (mostly food) is keeping Nasser in power. If we didn't help, he'd merely turn more to the Soviets, which would be emphatically against US and Arab interests.

The other side of the coin is to convince Faisal that we still strongly support the Saudi regime. We met all three requests made to you by Saud last February: (1) an arms credit--for \$13.5 million; (2) = gift of three radio transmitters; and (3) an economic survey team (Saudis have the report). We've also met the Saudi request that we keep our Military Training Mission there, and are ready to sell an excellent new fighter, the F-5A. We're ready to provide further experts in specialized fields (though we'd prefer Saudis to pay for them; we also doubt any US loans are needed in light of their \$300 million oil revenues).

But was think the Saudis themselves must press forward with modernization and development. Deliberate, controlled internal reform is the best antidote to Nasserism. We're pleased with the signs of progress to date, but wonder if it's fast enough.

I also think you should brace Faisal on the discrimination issue, one factor which puts I real strain on our ability to pursue a friendly policy. Saud told you last February that he intended to apply the policy followed by other Arab states, but we've seen no signs yet. We know how deeply the Saudis feel about Israel, but they must understand our feelings too. This is not just a matter of a US pressure group influencing our policy, but of m fixed position of the US government. Israel is here to stay and we will oppose any efforts to attack it, just as we will oppose any Israeli effort at expansion,

Finally, you might give Faisal a personal, oral message to take back to Saud, i.e. let there be no doubt that we continue to stand by our friends.

R. W. KOMER

Read Tabs I-A and HI-A of attached briefing book if you have time, but State is sending over a supplementary memo giving their last-minute views.

EESRET.

وإذا استطعت نقل هاتين النقطتين إلى فيصل بوضوح اثناء الغداء فسوف يكون ذلك نجاحا كسرا .

إن فيصل كان في وقت من الأوقات موالما لناصر ، ولكنه الآن شانه شان سعود عكرهه ويخشاه ، وهو يشك في اننا غيرنا سياستنا العربية إلى سياسة تؤيد ناصر باعتباره رحلنا المختار ، وإنا أحثك على أن تطرد هذه الفكرة من ذهنه بطريقة لا تحتمل الشك . إن تأبيدنا للسعودية مؤكد ، ومن ذلك فنحن لن نتعامل مع ناصر باعتباره السيد الكبير في العالم العربي . وتستطيع أن تشرح له أن سياستنا تجاه ناصر قد رسمت لتحقيق الأهداف التالية :

ا ـ رده إلى داخل بلاده .

ب ـ زيادة امكانياتنا في الضغط عليه ، وهذا هو هدف مساعداتنا له .

جـ - إذا لم نساعده نحن فسوف يتجه إلى السوفيت ، وهذا سوف يكون ضارا بمصالح أصدقائنا العرب في المنطقة .

وريما المحت له إلى اننا نتوقع من السعوديين انفسهم ان يتحركوا إلى الأمام بعض الشيء في اتجاه التحديث والتنمية . إن بعض الإصلاحات الداخلية هي أفضل طريق لمواجهة الناصرية ، ونحن سعداء أن هناك بعض المؤشرات المشجعة في هذا الاتجاه ، وإن كنا نتساط عما إذا كانت سرعة إحداثها كافية .

اعتقد ايضا انه يتعين عليك ان تثبر مسالة التمسن ضد البهود الإمريكسن في السعودية باعتبارها عاملا يؤثر على صداقتنا . إن سعود كان قد وعدك في فبرابر الماضي انه سيغير سياسته ولكننا لم نر اثرا لذلك . ونحن نفهم مشاعر السعوديين فيما بختص بإسرائيل ، ولكننا نامل أن يتمكنوا بدورهم من فهم مشاعرنا . ولك أن تشرح له أن اهتمامنا بهذه القضية لا ينبع من جماعات ضغط تمارس نفوذا على السياسة الأمريكية . وعليه ان يعرف منك أن إسرائيل هنا لتبقى وسوف نعارض أي هجوم عليها ، كما أننا سوف نعارض أي جهد إسرائيلي للتوسع . لا تجعل لديه أي شك في أننا سوف نواصل الوقوف بحانب اصدقائنا

امضياء رويرت كومر

□ ملحوظة : مرفق مع هذا مجموعة من المذكرات تستطيع الإطلاع عليها إذا كان لديك وقت ، كما أن هناك تقريرا جديدا مِن الخارجية سوف يصلك عن آخر أراء فيصل وعن تعليقاتهم

الوثيقة رقم (٢٤)

صورة للصفحتين الأولى والثانية من خطاب كتبه الرئيس «جمال عبد الناصر ، بخط يده بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٦٧ إلى المشير «عبد الحكيم عامر « الذي كان [اليمن وقتها . وهذا الجزء من الخطاب يتعرض لعمليات المساعدات الخارجية الموجهة ضد الثورة اليمنية .

للرئيرس

ملكابع دهيند

فغل نمان علی ما سه الم ام بینهان عامی علی عاشد بلامینان اله نمبه المه و ناکها عنمیه النه و الفاعی میس لله شده نافیه النه و الفاعی میس لله شده نافیه

س تنبه مبر ندان بان مرا المعاد من من من دنه و المنه و دا لمنه و دا لمن من المعدد و المحت و دا لمن من المحت و النبوه و المنا المنا



عزيزى عبد الحكيم

تقبل تحیاتی وارجو من اش آن یوفقنا وقلبی سا واشعسر بالاطمئنسان وسینصسرنا اش لاننا نحارب بلا هدف إلا قضیا الحریة وتاکیدها وقضیا الثورة التی هی حق الا شعب مغلوب علی امره،

من تتبعى للإشارات المعدو المستمر و الحشد وتكنيس السلاح والدخيس والمفرقعات في نجران ومنها يحسولها إلى عبدالم بسن الحسس والحسس وعبد الله ابن الحسين كما

ان طائرات محملة بالسلاح والذخيرة من بلجيكا بدأت تصل إلى نجران وصلت الطائرة الأولى أمس وستصل الثانية يوم ٢٨ ديسمبر والثالثة والرابعة يوم ٢٩ ديسمبر والخامسة يوم ٣٠ ديسمبر والمفهوم أن هذه الطائرات ستصل إلى الطائف ومنها تنقل البنادق بالطائرات إلى نجران وجيزان والذخيرة بالسيارات . كذلك تكدس الأن متفجرات في نجران وجيازان كل هذا مع استمرار نقل الاسلحة والذخيرة إلى نجران وجيزان .

الرئيس

الله الدله الى مران و مولي الله الدله المه و الله المه و الله و

صورة للصفحتين الأولى والثانية من خطاب كتبه الرئيس وجمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ إلى المشير « عبد الحكيم عامر ، اثناء وجوده في اليمن ، وقد جاء هذا الخطاب في اعقاب محاولة الرئيس « كنيدى ، للوصول إلى حل وسط في اليمن .

امرد ست، ال حريه

ملكابع عذنه





تنل حده رفان النه م النام النام النام الم لا منان ادركا بالحيوية الهنه و وندل الذب ونائي دلاه. فاله على صوء راسيد الاسك خدم البيع وي الدناء عالم سائل مانا عم de, 7,4, -- 219.41 انه سعه البابه الذري خله يآل i is d'in meils is is سون الماصه. وقد الله مرا ، رتيم النيسا ر ديم طو سعرالادر في الذاف إسعوريه

۱۸ دیسمبر ۱۹۹۲ عزيزى عبد الحكيم

تقبل سلامي وتحياتي أكتب إليك الآن في المساء قبل سفير شمس عن التطورات الأخيرة بالنسبة لاعتراف امريكا بالجمهورية اليمنية وكذلك الغرب وتاثير ذلك . قايل على صبرى السفيس الأمريكي ظهر اليوم وتم الإتفاق على أن يعلن بياننا الساعة الصادية عشى مساء اليوم وعلى أن يصدر البيان الأمريكي ظهر باكر بتوقيت واشنجطن او الساعة السادسة بتوقيت القاهرة . وقد ابلغ على صبري السفيلر الأمريكي . أن سير الأمور

حدود اليمن وخصوصا في نجران تدل على ان السعودية لن تلتزم بما جاء في جواب كىنىدى عن الـ Disengagement لأنهم يشونون الأسلحة والذخائر الخ ويدفعون المتسللين ويدفعون الأموال. وكان الرد أنهم سيضغطوا لإنهاء ذلك .

في الأراضي السعودية على

عموما بعد اعتراف امريكا . اعتقد ان ما حاء ل جوابي بالامس اصبح الأن سابق لوقته او في حاجة لإعادة النظر من جديد . وفي رايي ان الواجب أن نحاول سياسيا مرة أخرى للوصول إلى

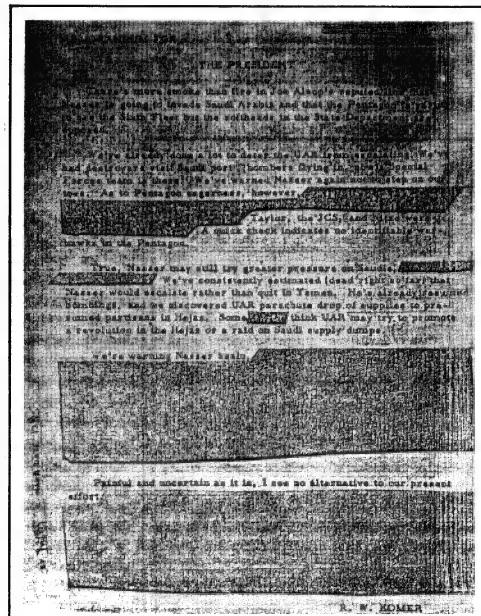
للرنبرسي

على بورد الن وعضوم فأراح ته له ما الم يسعود با له مات به يا على ن عمل كينه في ال Disinga gement. はな これといいとといいいといい و- يندم له الله و عيدم بإيوال. وكاء الرابع منعطوا لانكار نىك

سينا د الما ما تعدا من ليد أسما علم ن عجله بالاس احبر الذم سيس لونه او ن عامية ل عاده ۱ رغه مه جويه . ونی _ ای ام اله الجد استال اب مد المرى للعمول ا اليان بنام إيقاف النشاط السعودي . \ لـعورى

الوليقة رقد ن

صورة وثيقة تتضمن مذكرة من « روبرت كومر » مستشار الأمن القومى ألا البيت الأبيض الأمريكي المختص بالشرق الأوسط وفيها يشير إلى حملات صحفية تثيرها وزارة الدفاع والبنتاجون بخصوص الموقف في اليمن ويشير « كومر » في مذكرته إلى تواجد عسكرى بحرى وبرى وجوى للولايات المتحدة الأمريكية في شبه الجزيرة العربية



مذكرة مرفوعة

إلى الرئيس

إن هناك من الدخان اكثر مما هناك من نار في السطر المشهور الذي كتبه جو السوب من أن ناصر سيغزو المملكة العربية السعودية ، وأن البنتاجون تتلهف على استخدام الأسطول السادس ولكن السدّج في وزارة الخارجية يعارضون ذلك .

لقد قمنا فعلا بالكثير في سبيل نهى الجمهورية العربية المتحدة عن التصعيد . وجعلنا المدمرات تزور ميناء سعوديا ، وقاذفات القنابل تطير إلى هناك ، والآن هناك فريق لقوة خاصة . وقد أنذرنا ناصر مرة اخرى بالا يدوس على اصابع اقدامنا . اما فيما يتعلق بلهفة البنتاجون (عبارة محذوفة) فإن تيلور والج . سى . س . ونيتز كانوا (عبارة محذوفة) . ويستدل من مراجعة سريعة أنه ليس في البنتاجون صقور حرب يمكن تحديدهم .

صحيح أن ناصر ربما حاول برغم ذلك الضغط على السعوديين ضغطا اشد (عبارة محذوفة). وقد قدّرنا باستمرار (وهو تقدير صحيح حتى الآن) أن ناصر سيقوم بالتصعيد عوضا عن الخروج من اليمن. وها هو قد استانف القصف فعلا، واكتشفنا أن مظلات الجمهورية العربية المتحدة اسقطت مؤنا على من يفترض أنهم مشايعون لهم في الحجاز، ويعتقد بعض (عبارة محذوفة) بأن الجمهورية العربية المتحدة قد تحاول إحداث ثورة في الحجاز أو الإغارة على مستودع سعودى للمؤن.

ونحن ننذر ناصر مرة اخرى (عبارة محذوفة).

ولئن كان جهدنا الحالى مؤلما وغير مؤكد ، كما هو حاله ، فلست ارى له بديلا . (عبارة محذوفة) .

ر. و. كومر

صور لعدد من الصفحات من خطاب كتبه الرئيس : جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير ، عبد الحكيم عامر ، بتاريخ ٩ فبراير ١٩٦٣ يروى له فيه قصة الإتصالات التي جرت مع القاهرة قبل قيام الثورة ضد نظام " عبد الكريم قاسم ۽ في العراق.

> والموزي والمرزيك والركبني

سيده عدنا لمزه ن الدر لل موالي . ن المالا إلا نموه انتنف مينى العام دىدر ئه اسد دف بار enjournels to dois in معيان الله يعيد ا مو شو رسي . دانيا اد انياع النوع الننك - البيون الشيبة اله؛ دا لنا موين -و تلوا بله فده و دناره. درن الغده عمد الم تان ال دَنْ وَسِالِنَا عِمْ يُوتَعُنَّا . وَكَامِ

والناصريون _ وشكلوا مجلس ثورة ووزارة . وإن الثورة يمكن ان تتم في اي وقت وسالونا عن موقفنا . وکان ردی انتا نؤید ای ثورة عربية ولايهم الأشخاص ولكن تهم المبادىء .

وفي يوم الجمعة بدات الثورة في بغداد الساعة التاسعة والنصف صباحا

ساندناها منذ الدقائق الأولى مساندة واضحة وفي المساء أعلنت الحكومة. وظهر من الإعلان ان بها النصف من البعثيين وقد ظهر ان عبد السلام عارف لا يمثل القوة الحقيقية. إذ ان البعثيون لهم قيادة ويمثلون حزب سياسي اما الباقي فكل وحده لا حزب

فالورن فاربين فأنجره لاكريني

رده ۱ نتي د اله فته مربي علام الدينا = ديس ميم لبادي . ول بدم الجه جائت المقدمان مشاد hips wies , and is , and , المانات من الله عنين في النائم الادل مسانه والمه whis install cites me is ساديد الديد الم المنظم المنظم من نده و معروم ما من من الغده الحنبية ، اذ أم الستبغة الم ناوه و مناون عن على الم Marie in a ser of shirt مسطا نفس الله عن البث كا وسفاء ملا مكر (مانو داند) سي كب الدراء دوزي لمالمله درئيا فارعبه ددنبالناع ودنب النابع سرحوب السلة .

> معذرة عن تاخرى في الرد على جوابك . في الأبام الأخيرة انشغلت بموضوع العراق وثورته إلى اقصى حد .

لقد اتصل بنا القوميون العرب منذ عدة اسابيع حوالي اربعة اسابيع. وابلغونا ان الفئات القومية اتفقت _ البعثيون القوميون التعارب

بتوقیت بغداد. وقد

وهم بهادنه ر لميشيم . ورده فالموثة الحاض المامر ب ب الذي . وكام العنف ران ميل عساس ماد دامارن رتكس مازا سليدن نائب مثل مِنْ إِنَّا اللَّهُ اللَّاللَّالِيلَالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا العندي الانب لد تعل مسمع نسله , دین . دار بازی in in early in the seco ومن عن الله لدنية على النده الحيم الماء المسار ور ابعدا من المنظان، مريانه حي - جانب طفية عيد شد نه ته بينا طعيد ط with me de closed , de i m cial ,

ن الله دن الذاره دس الم

ا ليمو بل الدالات الحب س

يجمعهم ومن هذا يظهر ان

حسزب البعث (جناح

عفلق) يسيطر على الثورة

إلى حد كبير نائب رئيس

الوزراء ووزير الداخلية

ووزير الخارجية ووزير

الدفاع ووزير التربية من

حزب البعث . وكذلك وزير

ولكن قيادة الجيش من

القوميين ولكن ايضا

الحرس القومي من

البعثيين وهم يجندون

وأرى 🚺 الوقت الحاضر

إتباع سياسة التروى.

وكان البعثيون في العراق

على سياسة طيبة معنا .

البعثيين .

الإرشاد .

ر و الأدارية ١٠ الدرسشاد

. بس ناره المشت سر المغاسب مستماس الحسالفين سراسم

فالاية فارية فاتجرة لاكريني

ولكن ماذا سيكون تاثير

وفي رايي ايضا ان

الفئات القومية الأخرى لن

تقبل بسهولية تسلط

البعث . وأن عارف لن

يقبل بسهولة أن يكون

ونصن حتى الأن

لا نعرف مطس الثورة

الجديد إذ إن الإسماء التي

بلغت لنا منذ أربعة

اسابيع ـ في رائي ـ ليست

هي النهائية بل حصل

تغيير في آخر وقت نتيجة

ضغط البعث من اجل

الحصول على عدد اكبر في

المجلس وفي الوزارة ومن

صورة .

ميشيل .

ديتنع سادنهال بالنيس ، الناع . سندم بالنده رام المرم المنانه الا علت وموطا و فيت د اللا الله معدا مان منه بين ان اله عارن عمالزار ألن ناد مسيح العبان مان تمانه فقده ويد كبو مد المقالم الذب ا يَسْدَا لَهُ النَّهُ ٥٠ رَبِّكُم كَا سِ ب العافرة لناع النقره الد تنه = > 1 w 1 lie of i more ! + "

أجبل الحصبول عبلي الوزارات الحساسة .

ويتضح من الإتصال بالبعثيين في القاهرة شعورهم بالقوة وانهم الحركة العقائدية التي عملت وحدها ونجحت في القيام بالثورة وهذا مبالغ فيه جدا . إذ ان عارف عبد الرزاق الذي قاد سلاح الطيران وانت تعرفه قومي وعدد كبير من الضباط الذين اشتركوا في الثورة. ولكن كان من الضروري لنجاح الثورة أن تتحد كل العناصر القومية 🛔 جبهة واحدة .

صور لعدد من الصفحات من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٦٣ يصف فيها انطباعاته عن اعضاء الوفد العراقي الذي جاء إلى القاهرة بعد الثورة ضد « عبد الكريم قاسم » .

> وقد وصل وفد العراق اول امس وهو مكوّن من السعدى امين عام حزب البعث ونسائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو صريح . مغرور . مندفع كان 🚺 السجن وقت

لاحظت انه لم بذكر في خطابه اسم عبد السلام عارف بل تجاهله كلية كما تجاهله في المباحثات ولكن انطباعي بالنسبة له انه وطئى مخلص .

> نالارية لاربية فاتخره ولأكبني

د ف دمل رئه العام اول المست وهو cient cipa yle mil aremed i me mate ماني سنب الدوراد در دي الدا غزان وهد حدير . معرف . مين كاس فالنبية رنك فيال اللهمه وانهم والله ما يمتر لم إذا خلفه ما حذا pain of one you live To الله كا ماهه نه الما يا د تلم اظلامی ولی د از دمن دلمی

قيام الثورة واظن انك والفريق على صالح عماشه وزير الدفاع وكان ايضا في السجن يوم الثورة وهو هادىء ذكى . وقد ارتحت جدا إليه. وهو من جماعة الحاج سرى ولكن انضم اخيرا إلى حزب البعث .

وطالب شبيب وزير الخارجية وهو بعثى ذكى لبق متحدث وقد استرحت

عمر الأول ٣٠ سنة والثاني حوالي ٣٨ سنة والثالث حوالي ٢٨ سنة وضم الوفد ضابطين من مجلس الثورة .

وقد تكلمت معهم بصراحة في جلسة اول امس بعد القطار إلى الساعة الواحدة والنصف وامس بعد الصلاة إلى موعد الإفطار

ويظهر من كلامهم انهم مقدرون المتاعب ويريدون علاقة وثيقة مع ج. ع. م . وقد قلت لهم اننا لا نريد منهم ای شیء سوی وحدة

الهدف واننا حتى لا نمانع إذا تحررت سوريا في ان تتحد مع العراق بل سنؤيد ذلك. وقد قال عماشه ان سوريا يجب ان تتحد مع مصر اولا . وأن ای إتحاد بین سوریا والعراق معناه منافسة بين بغداد والقاهرة. أو مظهر منافسة . ويعد ذلك تتحد العراق. وقد تكلمت معهم يصراحة عن الأخطاء اخطاء حازب البعث وأن أي ممارسة وتطبيق لأي هدف لابد ان تتعرض لأخطاء .

اما الاكراد وزير وممثل للبرازاني 📥 طلبوا ان يقابلوني على انفراد منفصلين عن الآخرين وقد وافق الوفد على ذلك. وقالوا في في المقابلة انهم لا يثقوا 🚺 اي وعود من الحكومة إلا إذا ضمنت شخصيا تطبيق هذه السوعود وهم يطالبون بالحكم الذاتي وقد اوقفوا القتال بعد قيام الثورة وكان لهم إتصال مع رجال الثورة قبل قيامها واخذوا وعبود والملاحظ ان الحكومة تتهرب .

عموما المشاكل التي أثجابه ثورة العراق كبيرة جدا . الل عماشة أن المجلس الوطني قرر ان

اللاية المربية فأنحره لاكرني

كانكارين عشاه كالمله سينكاء. ركاء انعان السن بدع الشده وه طرة ذكر وعد ارتب عدد و المعلم المعلم المعلم المعلم الى طنياء ونع

ر لما له شبیع درید ۱۷ میده وهو منه در ليم شات ديد بيات

عرالاندل به سنه دالان من ور كالت عدالى مع ما ومن المن خليلي سيلب النده رت نطب سم رجام أن علي 21 - 1 /1 - Halles can'1 de الدامس ماء تضوناء صبداياء 1 - Neid 1 42 m /1 - New 1

نالارس فرارس فانخره

a in a god it some بالما من در بدون عارنه دشيعه 11 pl 22 is - 788 6 لدند بنه الدست سعه دموه الهياء أحاكا عن لديان ادارية سميل نه اند شمه سے المام کے منده دالم . مله المنس المسمدة بين المد تناسع معا العلاء والم المه المام بيد سعدا ولمام ما ما منه سب عنداد والاعره. ار فله نامنه و مساد سف ۱ بع مملو بسع نناها شه . ماما ا الانظاء المناء منه الممت دام أن مارسه دقطيم كمان معنى لديد المستقدم لاخلال اما الدَداد منه دنه للإزان نَهُ لَمُلِمِا اللهِ مَا لِمِنْ عِلْ الْمَادِ

نابورة الأربة المخوة الأكريني

واند المذاب على المدالا منالاً المنالد المذاب المذاب المذاب المنالد المالد المالد المالد المنالد المنالد المنالد المنالد والمالا الذا والمنال المنال المنالد المنال المنال المنالد المنالد

المارية فالمراز . والمرازي

الذه مى الهذه الذي ولمنده.

الحديد كارب أو الما لمم الكرديه

الحريد كارب أو الما لمم الكرديه

المانات والسور وطلوا أم

الدناد المسونية موتفه عان الدناد المسونية موتفه عان لمن المرات ولمنيه إلى المرات ولمنيه إلى المرات ولمنيه إلى المرات المرات والمنية والمنية المرات ا

لابد من موافقتنا على اي حل لشكلة الإكراد . وكذلك لمشكلة الكويت . حيث أن هذه الأمور تتعلق بالوحدة التي هي الهدف النهائي للثورة. وقال في عماشية انه يوجد سبعة الوية تحارب في المناطق الكردية وهم في حاجة إلى ذخيرة وقنابل طائرات واسلحة. وطلبوا أن يحصلوا على الذخيرة من عندنا لأن الاتحاد السوفييتي موقفه عدائي جدا ذخيرة الدبابات والمدفعية . . · الـخ . وطلب إحياء الإتفاقية العسكرية والحصول على طائرات من إنتاجنا ورشاشات بور سعيد وبنادق. . الخ .

وقال عماشة انهم اعتقلوا ۸۰۰ ضابط شيوعى منهم ۱۵۰ طيار لدرجة ان الاسراب الآن بدون طيارين وقد دمروا سرب ميج ۱۹ موالى لقاسم واعتقلوا اربعة آلاف شيوعى وقتلوا عددا كبيرا منهم بدون محاكمة في اول

عموما الموقف ايضا في الجيش وبين الفئات القومية لا يدعو إلى الارتياح فمجلس الثورة اغلبه من البعثيين وعارف

عبد الرزاق الته الطيران ليس من ضمن المجلس. والثورة قام بما يقرب من ٩٠٪ منها القوميون 🐧 الجيش _غير البعثيين _ و ۱۰٪ بعثیین . وقد اعتمد البعثيين على الحـرس القومي ١٠٠٪ بعثيين وفي رأيي أن الكل متربص بالأخس البعث يريد السيطرة الكاملية والكل متخوف من البعث ومتربص وقد تكلمت معهم امس في ضرورة جمع كل الفئات القومية حتى لا يعزلوا وان اي نكسة لن تكون لصالح القوميين بل لصالح الرجعيين او الشيوعيين وكان الرد

انهم يتجهون إلى المستقبل

وينسون الماضي.

ويعملون على تجميع كل

القوميين . ولكن رغم ذلك

فإن عماشية قال امس

لطلعت صدقي ـ في

الأوبرج - ان امام

عبد السلام عارف ٣ اشهر

فقط ويفهم أن البعث

يعتبر هذا التحالف مرحلة

- كما أن السعدى قال

لطلعت في الأوبرج بعد أن

شرب ۱۶ کاس ویسکی ـ

اننا لا نريد أن نقابل

الرئيس مرة اخرى لانه

بلشف الجميع بكلامه

وتحليله. ورغم ذلك

فساتقابل معهم اول يوم

المونة فارية فاتو: فالركب

الله ملياء مالك مون مثناء منت طاب ما به ن سرا مد د ناف ن برم که الفات الفدید لددندا راء الرتكب لم تحد معال المذبيم بل لعال الر عييم الد المستدعيم د كام الدو اللم بميون الى CANI mains daily ولعلمة على بُمِيم لل المعربيم . وتكم -غ دال نار ما نه بال الس للن مون - نالادوع- الم · dis wing & confue the منبر الله مني طدا رالان م بند - ال الم المسال عال الا بيا الاربي وبالم مناف

بده لمارید و درسا ساعتلا اربه الده شیده و تندا عدا کیوا نم بده قاله ده الله بیده بده

وفي رأيي انهم شباب يحتاج إلى رعاية وتوجيه.

وقد لاحظت أنهم ن شدة التعب لدرجة أن السعدى نام 🐧 أول جلسة .

> فالأربة لامربة فالمخره نازكرني

فالإرتيال بربية فالخروة

ەلاكىپىئ

لات دسک - انا هنه

اله نظل العنب مده النوى

لانه بالم يكاد مدله مدلم.

dil produción alipo

بدع المدي ب عدد مم سرا لزان

ونذ دند بها مناء

· in of the was

١١ رعاج دند عرفي ر

النب لدم أمراسمه ١٢ ن

منم علید ب مند المد سام وی ما نا بدا م

ادل مله .

دليه المام الر اللغاء معا.

الما حيس شنك ل نبع ل صابت دزاد ممارد نا 17 / Kes ico , Lak 165 مشا الخذا طا ملان مانه طاله بغع مده سرليت رالنات العدمة الأخرى

العيد بعد عودتهم من الجزائر وقبل سفرهم .

عموما اعتقد رغم اخطاء البعث أن وأجبنا ان نحافظ على ثورة العراق وليس أمامهم إلا اللقاء معنا .

اما صديق شنشيل فيقول أن عبد السلام عارف يترك لهم الأمور في هذه المرحلة التي سترتكب فيها اخطاء كثيرة وأن هناك تجمع قومى من الجيش والفثات القومية الأخرى .

الوتيقة رقم

صورة للصفحة الثانية من خطاب الرئيس وجمال عبد الناصر وبخط بده إلى المشير ، عبد الحكيم عامر ، بتاريخ 1 فبراير ١٩٦٣ وهو يشير فيه إلى رسالة جاعته من الرئيس « كنيدى » بشان اليمن ، كما يشير ايضا إلى إتصال قام به الشيخ « حافظ وهبة » السفير السعودي في لندن بشان نفس الشكلة .

معة إناخ المستد المدرية سياد الله

وقد أبلغ السفيس الأمريكي سامي ان كينيدي سيرسل مندوبا خاصا بصفة سرية جدا ليقابل فيصل لتسوية الأمر. وسيصل المندوب اليوم 🛮 فبراير .

سعدت جدا بنيا الانتصار وروح الجنود المعنوية العالية. واظن انك تعرف ان موضوع اليمن سبب لي 1 الماضي الكثير من القلق ولكن الحمد شعلي النتائج الأخيرة . واعتقد ان وجودك كان ضروري لتحقيق ذلك .

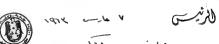
هناك موضوع مطلوب رایك فیه علی ان مصلنی فی الحال . وهو اتصل الشيخ حافظ وهبة بالأمين العام للجامعة العربية وطلب منه الالتقاء مع كمال رفعت من أجل بحث العلاقة بين السعودية ومصر وقد اتصل حسونة .

die y half him a my wint and down the an الله و العجدا وعدد العجب ع شار - heiral his ye in me دي الحذر لعندي النالي . داكره الم تعن الم روجوي الني سي لى المان الله م الله والم النام وناس الحامل على الناج الاسبد النوك ، وبندكا In sect thing it The sale prime which in shin was is blb. ci انعلالت نے بانط ورب اللاسم الما الماسة المديد وللب نه الدلكاني كالحريثة مدم ا بل بنه المعدية ری د ت ا نه حدد که

الوتبقة رقم

صورة من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر ، بتاريخ ٧ مارس ١٩٦٣ وهو يشرح فيه كل المقترحات التي عرضها الشيخ « حافظ وهبة » باسم الأمير « فيصل » تمهيدا لحل الأزمة في

ويلاحظ أن الصفحة الثانية من هذا الخطاب مفقودة لسوء الحظ من النصوص الأصلية لهذه المجموعة من الخطابات التي بعث بها الرئيس وجمال عبد الناصر " إلى المشير « عبد الحكيم عامر " اثناء وجوده في اليمن .



Maire aire

حديده لا دارجو ان تكون بنب وملن عوالم وارحر الله مل النفس ن تميع المتات د_ المسالات 14- 181 14" CE TED تلعه انسنا سياس المه حن ناله فيه صناه ن الني ديتود إن الفده الي حصال الماء ونت

كاله منه سناله سناله رصوالية دسيله الدد با عن ما مرا م مولم الان Jeins . die com who s ان بر المد جل ن الد سعم العام انا كفيا على سدلها



سلاله رفية دية كامه ردي الله لمستبغر de justie deis and tithe خريم داذا لاء مانه مادر a so de me me me inti دلاء ما المنه بل عند من الله Lie yes 10 mliss -+ ند، عشه له والفارخة، د قدم العام اسبعي . وغال سلاق دی این کون ۱۱ میر ن سعد هداده مه الح alm like into hem at ا نيان ا نفال منسمام الفاء المام ، د فاله ۱ استرار لهارله سينان مدارد يصاد المسدرة والم الله لمستفلا سذاك هرجستن

> عزيزى عبد الحكيم سياسيا في المعركة حتى

> > سلامي لك واشواقي وأرجو ان تكون بخير وصلني جوابك وارجو اش لك التوفيق في تحميم القوات وسد المسالك . والأمر الهام الآن هو

كيف نخلص انفسنا

نترك قوة صغيرة في اليمن وتعود باقى القوة إلى مصر في أقرب وقت .

كمال رفعت سيقابــل حافظ وهبة اليوم وسيبلغه الرد بما يتضمن ما جاء في جوابك الذي

وصلني امس مع هيكل. وينتظر أن يتم الاجتماع في الأسبوع القادم إذا وافقوا على شروطنا بكمال رفعت وقد کان ردی ان الشیخ حافظ وهبه اتصل فعلا مع على خشية وإذا كان هناك ما يود إبلاغه فليكن عن

طريق على خشبة وكان قد اتمىل بعلى خشية تليفونيا حدث هذا من ١٥ يوم تقريبا وتمت المقاملة مع على خشبة اي بعد ثورة العراق باسبوع . وقال في حديثه أن فيصل ضد الحرب ولكن سعود هو الذي يصمم على الحرب وأن أخوة فيصل يلحون على إيقاف القتال خصوصا بعد ثورة العراق . وقال إن استمرار المعارك سيستنزف موارد مصر والسعودية وان الذي يستفيد من ذلك هو المستعمر .

وقال حافظ وهبة انه لا يرحب أن تقوم الوساطة لإيقاف القتال سن الجانبين عن طريق اجنبي بل كان يفضل أن يقوم بها العرب وقال انتا يمكن ان نتفق على إيقاف القتال .

ثم سال هل نحن على استعداد للاستماع إلى مايقول وهو مصرى لا يريد إلا الخيس وكان الرد نحن على استعداد دائما أن نسمع ويعد ذلك تمت مقابلة اخرى بين على خشبة وحافظ وهبة فهم منها على خشية أن فيصل يخشى من تسلل المصريين واليمنيين إلى القبائل في جنوب الملكة والمنطقة الشرقية وان ضرب

ار مساله لدينان إنال سير الخائب عم لموس المنه ل كان جما كر ريس من طفي ولا النفر دنيان هست الم لذا مُ سال هل من على ساد الرسناع الاماديول رهو مصم لديرة الد الن دلاء الدر de بر دید ا بال فنه صان س the are time air crir dei no anis de di ستسل المدس والمسلم الى الناك م بذء الله أريفه

المسترنع داسمنة المطبان

المران درسان بيثر دائد درارا

in who is it down in

س المنان الدر بالماه بالله

منال سعامله دعيه الالاي عرر،

فالملة الأربين فغوا

مان أم لد خاشه سه دارا - در ان النبل وهد (الملين مانك ينفل اله تكدم الملال سم الله أبه المنتقيم لمنتب ب المرة عاجع وبدره ر کا نا مید بد نی منت شد لا ،

وصودال عرشة فظم نالله دسا ۷۷ نبای باد مل النبخ بانط الان نال انه يمنفل الم يسامل الم لسموري لأن البركات ف لدتيان مسده عن 1 le is a circo versonia 146:

١ - يهي بادل سيعدد ديرقه de il a le l' po l' ق الله من من مادرت الأنك ولا في الانتيا

بعد اكتشاف الأسلحة الملقاة بالمظلات .

وقال أن لا فائدة من زيارات بانش المقبلة وهو (ای الشیخ حافظ) يفضل أن تكون الحلول بين الطرفين الحقيقيين المؤثرين (المعركة وهما ج. ع. م. والسعسوديسة وكانت هذه المقابلة حوالي ۱۹ فبرایر ،

وبعد ذلك حدثت مقابلة ثالثة يوم ٢٧ فبراير بناء على طلب الشيخ حافظ وهنة الذي قال أنه يفضل ان يسافر إلى السعودية لأن البرقيات قد لا تعطى صورة عن الواقع ولذلك فهو يرى أن يعرض الأتى :

١ ـ يجب تجاهل سعود وموقفه تجاهلا تاما وأن فيصل قد افاق لنفسه بعد ما ادرك أنه مخلب قط ن يد الانجليز.

٢ _ يمكن الإتفاق على إيقاف القتال من الجانبين على أن يبدأ التنفيذ يوم اجتماع مندوبين عن السعودية وج.ع.م.

اجتمام للطرفين 🕻 روما او ای بلد آخر بعیدا عن الصحافة .

٣۔ يسرى ان يشم

٤ ـ يمثل الطرف السعودي الأمير سلطان والشبيخ حافظ وهبة.

٥ ـ يبحث الطرفان كيفية تطبيق إيقاف القتال والانسحاب التدريجي وطريقة المراقبة والتنفيذ. ٦ ـ يسرى أن يكف الطرفان اثناء المفاوضات عن الهجوم الإذاعي والصحفى .

٧ ـ يرى عدم التعرض للماضى اثناء المفاوضات ومحاولة نسيانه .

٨ ـ إذا تمت الموافقة على ذلك وسيتكون وفدنا من كمال رفعت وسنطلب إرسال ضابط كبير من عندك للاشتراك .

الجواب المرسل مشترك لانور ولك وهو يحوى كل شيء عندنا تقريبا. عموما غيبتكم الطويلة ترکت عندی هنا فراغ کبیر

وفي انتظاركم بفارغ صبر. العائلة بخير وسلامي لك واشواقي .

جمال عبد الناصر 1977 /7 /

و ينم الاراء والمانان الكال haid 'le i'l de mi !!! ... Acres of the 1 the

٣ د د -رسا لمعلم داند ا بترساميد _ و يزردا اد الله المذلعيدا + 601 me

7- 36 16 16-16-16 سرلان دالمشنى عانث ه - بین اولانا مر کینی خدیم

الكان النال دالانان in which will The was fire other and الناميد مدولانها المزاهد لهدى م الله معناز الدو سي - ب انار المنادنيات رمادين الا المر المالك المالك المدين

کال سان ناتی ا رنه د سنان ارسدال سائن به عادد سيم لجاند الإام يست لسن لسنة لذن دولي وهد يمه ال . اي نن اند خشب

الله الله الله الله Maria Si de la vice المارز مودد

المادية والمادال

11/1/2

إلى السرئيس أحمد بن بيلا . .

من السرئيس جمال عبد الناصر

شعرت بالقلق بعد إطلاعي على رسالتكم الخناصنة بالصالبة الاقتصادية لأن الأوضاع الاقتصادية لها التاثسر

نالهورية الأربية الأنخرة

نازكرني

بسرعة أرى أن تأخذوا المباداة وتكون الحركة على مراحل .

المرحلة الأولى إصدار بيان منكم شخصيا موجها إلى جميع الدول العربية يطلب معاونتها للجزائر في هذه المرحلة للتغلب على الوضع الاقتصادي الذي

أ لمه السيدسين مري الما مري المارية المرية فانخرة

لاكبني

الوتيقة رقم

· الأول عسلى السوضسع

السياسي . نحن عيلي

استعداد لمعاونتكم بكل

مانستطيع لمواجهة

الموقف . وأنا على استعداد

لإيفاد الدكتور القيسوني

في الحال إليكم ليشرح لكم

رأيه في حل هذا الموقف.

ولمواجهة الموقف

صورة من خطاب كتبه الرئيس ، جمال عبد الناصر ، بخط بده إلى الرئيس

الجزائرى ، احمد بن بيلا ، بتاريخ اول ديسمبر ١٩٦٧ وهو يقترح فيه على

« بن بيلا » خطة عمل لمواجهة الموقف الاقتصادي في الجزائر .

الى لريست السويد سيم بالر

س ردن عول عبد ناص

they are النامه الادالد فتماده لذم الدينواح الديتقودة لا الماك الادل المديد المسلم المديد المسلم الم de plisted sharing 1 de is denish he to lle cos دانا على استعاد لدوغاد الدلو-المسون فالمال اللم سيت السلع للم الله الأسلامية immeting bein

بسسه ارمه الد ناخود

د المل ، ا لمرسول الدارفي احيدار سام had seem to be here had her Mary description and 1 سادنك المنائر ن صده المرحلم contains it is with الذي يدينه المؤرد حبط Nein solle sollier a e le lange I callo a con con 1 1/4 mm yhle

المادان وتديد الآله على

يه هذا اليام سيملن الله الله الله الملاء

نامرية نامرة نامرة داركي

نانورنه فانون در کریسی

ولا نفاس المدين المراكب المالية المالية المالية المستطيع المراكبة المالية المراكبة المراكبة المالية ال

ولا ما به المارية وله مولوي المراد المولوي المارية وله مولوي المارية وله مولوي المارية وله المولوي المارية والمولوي المرادية الم

ورثته الشورة عند الحصول على الاستقلال . ولمواجهة البطالة وتعويض عائلات الشهداء .

بعد هذا البيان سنعلن في القاهرة اننا قررنا إعطاء الجزائر قرض قيمته عشرة ملايين من الجنيهات بدون فائدة يسدد على اثنى عشر سنة بعد سنتين من الاستخدام .

في تقديرى أن العراق ستوافق على إعطاء الجزائر قرض مماثل . ، وأن الكويت ستوافق على قرض مماثل .

بالنسبة لنا لا يوجد عندنا عملة صعبة بل نحن في ازمية ولكنى على استعداد لأن ارسل لكم كل طلباتكم من إنتاجنا ولو على حساب الاستهلاك

وفي تقديرى أن الكويت والعراق تستطيع أن تدفع بالعملة الصعبة لأن عندهما احتياطي .

وفي رايي أن ترسلوا في الحال بعد البيان وفد حكومي إلى القاهرة وبغداد والكويت ومعه خطاب منكم.

المرحلة الثانية بيان إلى جميع الدول لمعاونة الجزائر في مواجهة الموقف الاقتصادى الذى ورثته يوم الاستقلال مماثل للبيان الأول يرسل إلى سكرتير الأمم المتحدة وإلى جميع الدول بطلب

معونات او قروض بلا قبد

ولا شرط .

وفي رايي ان الحركة السريعة لازمة لحل الموقف وقد جابهنا هذه المشكلة بقبول القروض من البنك الدولي ومن البنك المساعدة والقروض من امريكا ومن روسيا ومن بريطانيا وفرنسا ويوغوسلافيا وكل الدول الغربية والشيوعية .

ويمكن للدكتور القيسونى أن يخبركم كيف وأجهنا هذه المشاكل.

بالنسبة لنا نحن على استعداد من الآن لوضع القرض موضع التنفيذ كخطوة أولى ارجو قبول احسن تمنياتي لكم ولشعب الجزائر المجاهد .

نا**ب**وز فارد. دارگر

ميسي الدول لمعاونه إلى أر العدد الدين الموشهاد، الذي العدد له مدار الدر شمول ويقل للأم العدد له مدار الم حكر ند الفتح المؤده عالم عربي الدول وله عددات الدائرة عمر علائه، ولا سنط

ون ابن لمسلم الد المرا الحد يم لدنه و لم كما دوره الدرس سم كله الدل وسرلات الديان عنى فول لمساسه ركراس سراد يلا وسوسها وسريانا

ناتورتهٔ والربهٔ وانخوه مارگریسی

و نامل دید غرصه در کال الدول

د منه مستند العدب ن ام منه م كنه عامروا تعد ه المناكاه

المنه المورد المن عاستاد مدالات المن عاستاد مدالات المدود المال المردد المردد المال المردد المردد المردد المال المردد ال

صورة وثيقة نتضمن مذكرة ثانية من السفير الأمريكي في القاهرة . جون بادو » بتاريخ ٣١ اكتوبر ١٩٦٣ وهي تضيف معلومات جديدة عن النشاط الكوبي في الجزائر .

EMBASSY OF THE UNITED STATES OF AMERICA

> Cairo, United Arab Republic, October 31, 1963.

My dear Mr. President:

I have continued to follow closely reports of Cuban assistance to Algeria. My latest dependable information indicates that between October 21 and 23 at the port of Oran the Cuban freighter ARACZLIA IGLESIAS unloaded various military equipment, including T-34 tanks, lorries, 122 mm howitzers, armorad cars, and ammunition. On October 25 several hundred Cubans dressed in Algerian army uniforms were disembarked from this ship. On October 22 two Cuban transport mircraft (Britannias) landed at the Maison Blanche Airport in Algiers and discharged a total of about 340 military personnel.

Respectfully yours

John S. Badeau American Ambassador

His Excellency
Gamal Abdel Hasser,
President of the
United Arab Republic,

« عزيزي السيد الرئيس

واصلت عن كثب متابعة التقارير المتعلقة بالمساعدة الكوبية للجزائر، ويؤخذ من اخر معلوماتي التي يعول عليها أنه في الفترة بين ٢١ ـ ٢٣ أكتوبر قامت سفينة الشحن الكوبية «ارازيليا اجليسياس» بدخول ميناء وهران، وانزلت منها معدات عسكرية متنوعة منها دبابات ت ـ ٣٤، وسيارات لورى ومدافع هاوتزر من عيار ١٢٧ مم وذخائر. وفي يوم ٢٥ أكتوبر نزل من هذه السفينة بضع مئات من الكوبيين يرتدون أزياء الجيش الجزائري. وفي ٢٧ أكتوبر هبطت طائرتا نقل كوبيتان من طراز «بريتانيا، في مطار الدار البيضاء في الجزائر، ونزل منهما ما جملته ٣٤٠ فردا من العسكريين.

باحترام .

جون س . بادو السفير الأمريكي ، صورة وثيقة تتضمن مذكرة من السفير الأمريكي في القاهرة « جون بادو » بتاريخ ٢٩ اكتوبر ١٩٦٣ حول مخاوف الولايات المتحدة من النشاط الكوبي في الجزائر .

EMBASSY OF THE UNITED STATES OF AMERICA

Cairo, United Arab Republic, October 29, 1963.

Dear Mr. President:

During our conversation of last Sunday, I said that I would let you know if I had further information about alleged Cuban support for the Government of Algeria in its present dispute with Morocco.

I have carefully reviewed the latest available intelligence and it shows that at least two Cuban ships have landed at Oran. These are known to have tanks and arms on board. A third Cuban ship is reliably reported as being under way.

From the above, I would gather that the Cubans are attempting to provide large military support to President Ben Bella.

John S. Badami

John S. Badeau American Ambassador

His Excellency

Gamal Abdel Nasser,

President of the

United Arab Republic,

Cairo.

« عزيزى السيد الرئيس

ق اثناء نقاشنا الذى جرى يوم الاحد اشرت امامكم إلى معلومات سمعتها عن التاييد الكوبى لحكومة الجزائر في نزاعها الحالى مع المغرب . وقد راجعت بعناية آخر التقارير المتاحة من المخابرات ، ويتضح منها أن هناك سفينتين كوبيتين على الاقل دخلتا ميناء ، وهران ، وتواتر انهما تنقلان دبابات واسلحة . وهناك سفينة كوبية ثالثة وردت إلينا اخبار موثوقة بانها في الطريق .

واستنتج مما تقدم أن الكوبيين يحاولون تقديم عون عسكرى ضخم إلى الرئيس بن بيلا .

مع الاحترام

جون س . بادو السفير الأمريكي ،

الوثيقة رقم

صور من مجموعة أوراق صغيرة تحمل تعليمات كتبها الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده وبعث بها إلى مكتبه ، وكان مكتبه قد اتخذ مركزا مؤقتا في مبنى الجامعة العربية اثناء جلسات مؤتمر القمة الإفريقي ، وهي تتعرض لملاحظات مختلفة طرات للرئيس خلال الجلسات الطويلة للمؤتمر.

> الزنيس الدلنة ملام حلاء على ك ؟ هنع ما الحفظ ا هنم. خالحا حديث شغارن عنفاخ ١٠ الفنية exil ach auxil - di 1 do - mer - ide الغة الناليم , لاغيا عنيا الحب لا وزيا - New York مث تا بلا بلا ، سيمرون do h has = h per si

العفدالعبه بعينايا لصوال

🗆 سامی تبرز كلمة بن بيلا في الصحف والإذاعة. جمال

🗆 الدكتور حاتم

مطلوب عمل كتاب يجمع الخطب التي القيت في المؤتمر بترتيب إلقائها باللغات العربية والفرنسية والانجليزية طبعة فاخرة على أن يصدر قبل انتهاء المؤتمر او اليوم الأخير ليوزع على جميع الوفود جميع الأعضاء .

حمال

توزع جريدة محلة المجــــلات نشسرة الاستعلامات يوميا على كل التوفيود التعربية وموروتانيا والصومال وباقى الوفود .

~ / - db = ~ العنف فالاثلم

🗆 سامی

مطلوب تجهيز ترجمة عربية سليمة لخطاب نكروما في أسرع وقت . جمال

ويعمل ترتيب مع السكرتارية اننى سالقى خطاب ختامي ويرد عليه احدث دولة افريقية مستقلة كما حدث في أدبس أبابا .

جمال

apri we who aby on are تك و ما ك سع دمن مر لا يكرا ي وين و طعاء ١ نن سالت متا س منا - sol este sino دول ان رصله مستفل نا مردت ن اردب 111

للرنبرس

ا فنست سے میں کسی الماسكار تمثل دلدماس ال ن ان وزن دارسال بعثه رياس نات من درار ا minimized of the a) lei y, - 2 4 1 ____ منابلط عدلت اء سه نلک نسی را در در در در در این به اطرا

🗆 سامی

اتفقت مع رئيس تشاد على إنشاء تمثيل دبلوماسي لنا في أقرب وقت وإرسال بعثة برئاسة نائب رئيس وزراء إلى تشاد في آخر سبتمبر لبحث الأمور الاقتصادية والثقافية لعمل الترتيب .

جمال

من هو نائب رئيس

الوزراء الذى يرافق رئيس

الانبرس

رئي دياد،

دند زی ا ن ره نوی مامد دا هنه الفاصلة اننائيا سراطائدان النفائه ويترك بقال كالمان عمر الطائن في من ع موری دولان نوع e1 2'1 c.

🗆 حاتم

يعمل موضوع في الجازيت والصحف الفرنسية عن إنتاجنا من الطائرات النفاثة ويذكر في المقال كل مانشر عن الطائرة الجديدة مع صورتها وذلك يوم ٢٠ او ۲۱

جمال

🗆 حاتم

يجبب الاهتمام في الإذاعية والصحيف خصوصا بالجزء الخاص بالوحدة ومنافعها في خطاب نكروما .

تذاع مقتطفات طويلة من خطب البرؤساء في التلفزيون على القناة ٩ البرنامج الثالث من الساعة الثالثة إلى الساعة ألخامسة ومن التاسعة مساء حتى آخر البرنامج باللغات الاصلية التي القيت بها. الغرض ان يرى الرؤساء خطبهم في التلفزيون .

🗆 سیامی

١ - يطلب من حاتم أن ينشر موجات محطة إذاعة القرآن الكريم في مجلة الإذاعة .

٢ ـ يطلب من حاتم الإطلاع على مجلة Jours De France

العدد ٤٩١ ابریل ۲۶ ص ۱۷ سیاحی (ايرفرانس)

١٥ يوم في إسرائيل ۱۲۷۰ فرنك

٢٢ يوم في إسرائيل ١٦٤٥

۱۲ يوم في مصر ۱۹۹۰ فرنك

أمر يستدعى الملاحظة جمال

ا۔ میمکن سران اسے مولات دعه ۱دنایم الفتام الکوم ن وا زبر بلع الع لا در الم مار برايد مد بنام - د

للزنبرسي

الم المار الم

نطيعا كالدناء دالهنا

tet alles delles

they - liter of it

سر غطم الله ما ما معلم سا

نمان و ملی لا

44400,44

بله الاس مستلمة

the top of the state of

رمن الاسعام

من سر من دلونا مي سر شد

الدميل الله المعنى الما الميم ما ا

اس مر مرد مر مامر منام م

عني الحن المحمد عمل المحمد

down De France

7: de " " 291 Jud!

(cilin) cel " "

مان روا. طِنالِس مِن اه مان رواد طِنالِس مِن اه صان رعم. نون رب اد

- Wishing

صورة من خطاب كتبه السيد « طاهر يحيى » رئيس وزراء العراق إلى الرئيس

« جمال عبد الناصر » بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٦٤ يلح فيه على طلب العراق إقامة

الوثيقة رقم

صورة وثيقة تتضمن تقريرا بخط السيد «سامي شرف » بتاريخ ٧ ابريل ١٩٦٤ عن حديث له مع الدكتور « جورج حبش » وهو يتضمن إشارة إلى بدايات حركة « فتح » . وتوجد تاشيرة على حافة التقرير بخط يد الرئيس « جمال عبد الناصر » وهو يرى فيها إرجاء الحركة حتى عودة القوات المصرية

1992/9/4. 00 14

ب زوالذع الرنبي حلى عالماصر

وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

الدفيام إنّ السف العرف ع لعليه تدم الف والرس عليم مهاب إله العرف العرب الما العرب ال الماليون المرفقة وفارجه ، ليتن للاملول عاد نوافر مالول على اللبد ، النا والعبيم الذي يحمد له أما فيه الفاله في الرب والد شراليد والوجدة

ي نوينا (تدخفا) وليد التيمة بالتابه ليد أخيم الرسابه المعارف الرشيدة وفيا وتعالميك ومه وليك المان الملي لفا وفالثورة را خاالباد لملعول مدلت ، وزار ولني حسيرة عاد الالدليما ليون والمعمون ولاستعار ويرم المونا الفينة لديننا لأقدم وليدم وعلافات والعدد والملادرا ما لوت الرق و الزراع

ب دراندع من المراسية المون لعدن من في المادع الماد الكرن العرب للفي ، الوسه التي يون غلوهم والوث ما الألف المالة ال عمايدااللهم المع على المائية مها والوحدة. نولة ان والنا النبي عايمًا عدمًا يُلَ بِمِنَا كِينًا اللَّمَا تَعْدَانُكُ آلِدِ رُحْدَهُ وَنَفَ الْمُعَالَّ عفيرنا راهد رأما ننا راحده لب فالعاقد صب ب معينا معم مليد فإنا نفخ تفنا ديدنا سام الله للي ورول أمريه المينوالعب المانيك الفالدع يدنا . دُرَّهُ هُ كَا وَدُرُ الدِرهِ الحلِّهِ اللهِ ريضاداً دينول اص الدِندُن باسياره الرئيس

لنه رمه مد ترك برا مهلای ملی ای ایم رسل المعن المعنى نقف الم هذا من المراد ا الذه يجه المدكر و فل عيد .

cois, led sid is los RIHIHA صدر الله نا مال يوميد أدثه م مي سيركوا اله - بارم طلب أباهم لية ك لفدوافغ في المرس وهم بالرئم مد أنهم عُد مريًا حيد للمية هؤلاد لها؟ الله ليودها عاله تعل دور تدر أدروي في معاكمة المنفك إلا أنهم لايرب ويد مع لهام أوهم وير عرب معرفة تدميل ___ يا دلكم .

٣. أ بلته بكند مورج من أرمان وسر عمير مؤاكريو) (النين أدركيد) رهم يعوب إشرف عيا لم سيا دلكم ١٠٤ قد و دول ما ما ما ما معدام من دوسول ما وسر اعتماره رئيا محركة وسدناهم أول كورا